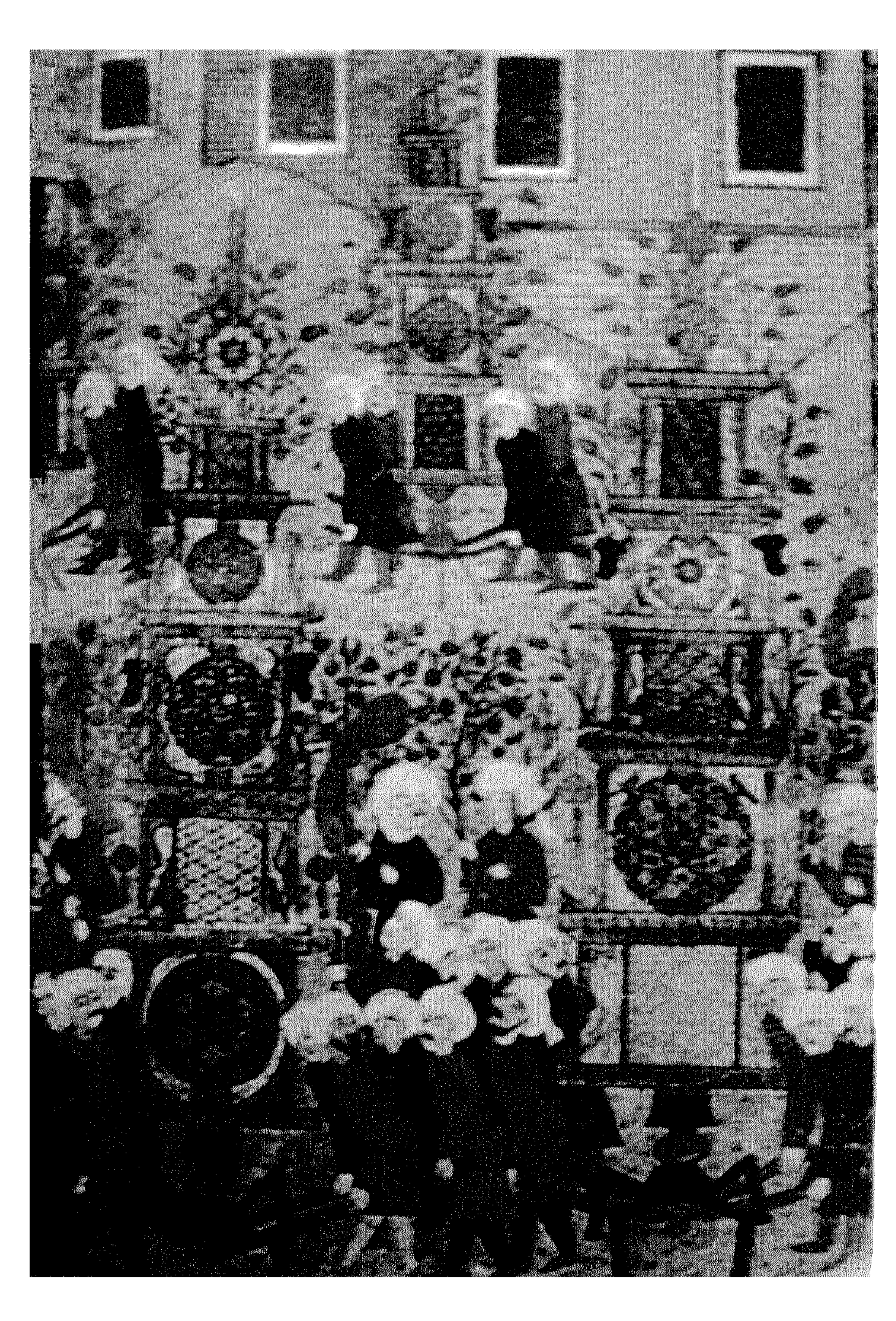


الهلال
يناير
سنة ١٩٨٦
الثمن ٥٠ قرشاً
رحلة السيد المسيح إلى مصر
هل ماتت الشعر في مصر؟
محنة الاقتصاد والاقتصاديين



من روائع الفن الإسلامى

● لوحة تركية تصور موكب السلطان العثمانى مراد الثالث ، فى طريقه إلى أحد الاحتفالات الدينية ..

وتكشف قدرة الفنان على استخدام الألوان وبراعة التكوين ●

الهلال

السنة الثالثة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها جورجى زيدان سنة ١٨٩٢ - أول يناير سنة ١٩٨٦ - ٢٠ ربيع الثانى ١٤٠٦



● رحلة العائلة المقدسة
إلى مصر .. ص ٤٨

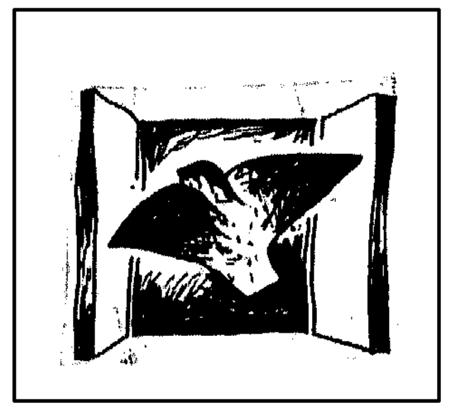


● أعلام معاصرون
ص ٧٠

في هذا العدد

● فكر وثقافة ●


● العقاد بين الكفر والإيمان ص ٣٠


● ندوة الهلال الشعرية ص ٩٩


● المهرجان الحائر بين الفوضى والاستقرار ص ١٤٦

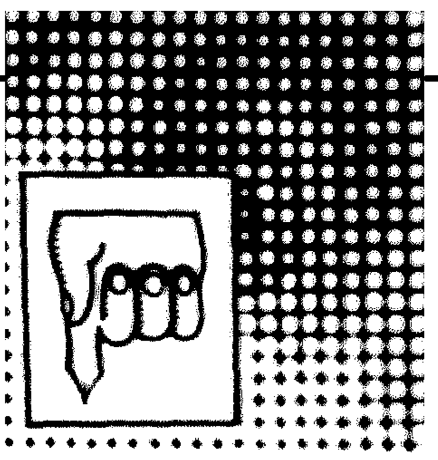
● ملزمة الألوان ●

● شعر وقصة ●

● دراسة الهلال ●

ص

● الأبواب الثابتة ●



عزيزى القارئ

كل عام وأنت بخير وسعادة .. ونرجو أن نلتقى معا ـ إن شاء الله ـ فى الاعوام القادمة ، فنزجى إليك التهنئة ونتلقى منك التشجيع الذى اعتاد « الهلال » أن يتلقاه من قرائه الذين تتابعوا أجيالا على إمتداد بضعة وتسعين عاما منذ صدور أول عدد منه حتى الآن ..

إن بداية كل عام جديد ، تذكرنا بتواصل السنين والاجيال ، فالجيل الذى صنع وأصدر العدد الأول من « الهلال » فى أخريات القرن التاسع عشر ، يطل علينا الآن بروحه من سجف الغيب ونحن راكضون فى الشوط الأخير من القرن العشرين ، وقد أوشكنا أن نطل على بداية القرن الواحد والعشرين ، قرن الاحتمالات المثيرة العاصفة ..

لقد كانت الأمم تتساءل وهى تتطلع إلى بداية القرن العشرين منذ ستة وثمانين عاما : ماذا تخبىء لنا المائة الجديدة القادمة من الاعوام ؟!.. وهاهى ذى أجيالنا التى عاشت أكثر هذه المائة الساخنة من السنين ، قد علمت ماذا كانت تخبىء من عجائب التطور المذهلة فى الفضاء والهواء والماء وفوق الأرض .. ولكنا نتساءل الآن كما تساءل أسلافنا : ماذا يخبىء لنا القرن الواحد والعشرون ؟!..

ذلك أن تطلع الانسان إلى المستقبل لاينتهى ، وسؤاله عن المستقبل معناه فى الحقيقة سؤاله عن التقدم والتطور وارتفاع الانسان درجات فى صعوده الشاق ماديا وروحيا على امتداد التاريخ ..

ويخيل إلينا أن الأجابة عن هذا السؤال ليست رجما بالغيب ، لأن القرن الواحد والعشرين هو عصر الأمم المتقدمة فى تنظيماتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، أى فى بنيتها الاقتصادية وعلاقاتها الانتاجية ومؤسساتها العلمية والثقافية والحقوقية ، وفى كل ما يتصل جملة وتفصيلا ببنائها الفوقى التحتى ، المادى والثقافى ، الواقعى والروحى .. تطورا وتقدما واتساعا فى تكريم الانسان الذى قال فيه القرآن الكريم : « ولقد كرمنا بنى آدم ».

وأهل الفكر والأدب والفن والعلم الذين هم حملة الأقلام فى « الهلال » من قديم ، حاولوا دائما ويحاولون الآن ـ على اختلاف الظروف ـ أن يكافئوا بعملهم الفكرى عمل الشعب المادى والادبى من أجلهم ، فقد كانوا ومازالوا يسهمون فى تكديس الثروة الفكرية للمجتمع وهى الاساس الذى لاغنى له فى بناء ثروة المجتمع التى يقوم عليها

كيانه برمته .. وهذا فى الحقيقة جوهر رسالة « الهلال » ورسالة كل صحيفة ثقافية فى أى بلد عربى وفى أى ركن من العالم ، إذا صدقت فى أداء رسالتها ..

ومنذ اليوم ، تبدو آفاق المستقبل المصـرى والعربى ، مرتبطة بنجاح المصـريين فى الوصول بسلام وتماسك إلى مطلع القرن الواحد والعشرين وشهود شمسه البازغة على الأمم الحية التى اتخذت الوسائل للوصول إلى ذلك اليوم فى أفضل حال .. وبقدر عملنا سوف تتسع آفاق المستقبل بين أيدينا ..

و« الهلال » مجلة الواقع المعاصر ، والتراث الحى المتواصل ، وهى أيضا مجلة « مستقبلية » فى النظر إلى المجتمع والحياة ، تدرك أن الواقع والتراث يجب أن يتكاتفا لصنع المستقبل ، وإلا بطل عمله ، وتحولا إلى مجموعة مرتبكة من أوراق الحاضر والماضى تختلط بلا ترتيب ، تتمخض عن لاشىء ، أو عن أسوأ شىء !..

ويشعر الكاتب والشاعر والفنان بالسعادة حين يرى أن لعمله فائدة عملية فى بناء بلاده بناء صحيحا قويما مفتوحا لأعظم التطورات .

ومن أعمال الأدباء والشعراء والفنانين تنبثق أغانى العمل والفرح والتفاؤل .. وقد عرفت بلادنا حقبة من تاريخها المعاصر ، كان أدباؤها يكتبون من أجل اليقظة والتحرر ، وكان مثالوها ينحتون تماثيل النهضة الوطنية والقومية ، وملحنو ها ومغنوها يرسلون أغانيهم وألحانهم من أجل الانسان المصـرى الذى كان فى ذلك الحين مستبشرا بمستقبله لايساوره يأس ولا يفكر فى النكوص أو التوقف عن المضى الى الأمام .

وفى بداية عامنا الجديد هذا ، نلقى نظرة على ذلك المنظر البانورامى القديم لمجتمعنا ، منذ صدور أول عدد من « الهلال » فى نهاية القرن التاسع عشر إلى وقتنا هذا ونحن نتشوق إلى بدايات القرن الواحد والعشرين .. يالها من نظرة مثقلة بالفكر العميق ، والتعبير الصادق عن أملنا فى مستقبل مصـر والبلاد العربية ، وفى السلام والتقدم لنا ولجميع شعوب العالم ..

وهكذا تجد عدد « الهلال » الذى بين يديك لايمتاز بحجمه وشكله فقط ، بل يمتاز كذلك بمادته وتوجهاته الأدبية والفنية والفكرية والصحفية بوجه عام ، وهى توجهات تخاطب مستقبل الأنسان المصـرى والعربى كما تخاطب حاضره .. ولا تنسى ماضيه ..

إننا لانريد فى هذه المناسبة أن نقوم لك بدور الدليل السياحى فى هذا العدد .. فالأجدر بنا أن نقدم العدد إليك لترى وتحكم بنفسك .

ثم إننا نشد على يدك من جديد ، ونكرر التهنئة : « كل سنة وأنت طيب ».. وكل عام وأنت بخير وسعادة واللقاء بيننا موصول على الدوام إن شاء الله ..





● تلك دعوة اجتمع على ظلمها التاريخ والجغرافيا . فقد شاء قدر المذهب الزيدى أن يظل خارج دائرة الضوء والاهتمام . سواء لأن التاريخ الاسلامى المتداول هو فى الأساس تاريخ العواصم والحواضر والانظمة التى سادت فى المشرق أولا وفى المغرب ثانيا . أو لأن الزيدية استقرت فى اليمن ، فحجبت عن الجميع بسبب البعد والكمون فى الاطراف من ناحية ، وبسبب ظلم آل حميد الدينى من ناحية ثانية ، وقد حكموا باسم المذهب ، فأساءوا اليه ابلغ اساءة ، اذ داسوا على تعاليمه وانتهكوها وأطفأوا كل ما فيها من وهج وبريق ونور ●



الإمام احمد

■■ عندما غاص بعض المستشرقين فى أعماق التاريخ الاسلامى . فإن الفرق الاسلامية أثارت انتباههم ، واعتبروها صيدا ثمينا ومرتكزا قويا لمختلف محاولات تفتيت العالم الاسلامى ، وتشتيت قواه ..

وتشهد المنطقة العربية فى زماننا الراهن سعيا إلى الوراء نحو دول الطوائف . !!

وإذ ندرك هذا البعد ، فإننا نحاول استكشاف آفاق تلك الفرق من منظور مختلف ، باعتبارها دليلا على ثراء الفكر الاسلامى عبر مسيرته العريضة ، وعلى قدرة تلك الفرق على الاستمرار . والتعايش جنبا إلى جنب ..

ويبدأ الكاتب الاسلامى فهمي هويدى هذه المقالات بإلقاء الضوء على الزيدية فى اليمن

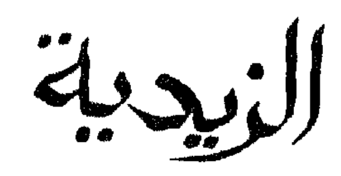
« الهلال »

وفى خضم التيارات الاسلامية المتعددة التى حفلت بها مسيرة الاسلام عبر ١٤ قرنا ، يبرز المذهب الزيدى باعتباره دعوة صريحة وبالغة الوضوح والجرأة فى التصدى للظلم والظالمين . ويظل يحسب للمذهب الزيدى أنه ارتكز أساسا على فكرة الخروج على الامام الظالم بغير تردد . وقنن هذا الخروج دارسو اسسه ، فضلا عن انه قدم لنا معيارا محددا لثبوت الظلم وقياسه .

دعوة لها هذا القدر من الاهمية ، لايملك المرء الا ان يعرب عن دهشته من اهمالها وتجاهلها من جانب الباحثين . واذا كان طبيعيا ان تهتم بعض الكتابات اليمنية بالمذهب الزيدى واعلامه ، لاسباب مفهومة ، فانه من المستغرب ان يتناول المذهب بهذا القدر من الشح والاعراض من جانب الباحثين العرب عامة ، والمصريين خاصة . وفيما نعلم فاننا لانكاد نجد فى مصر ـ مثلا ـ سوى مؤلفين اثنين حول الموضوع ، اولهما كتبه الشيخ محمد ابو زهرة فى عام ١٩٥٩ عن الامام زيد مؤسس المذهب ـ والثانى اصدره الدكتور احمد محمود صبحى استاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة الاسكندرية عن الزيدية ، فى عام ١٩٨٠ . وفى غير ذلك اشارات متناثره الى تعاليم المذهب فيما كتبه الدكتور محمد عمارة عن المعتزلة والثورة ، او فى مختلف الابحاث والرسائل الجامعية ، التى تناولت تاريخ اليمن وبعض مشاهير حكامه .

واذا كان هناك شح عام فى تناول موضوع الزيديه ، الا اننا نسجل ايضا أن الفكر السياسى للمذهب لم ياخذ حجمه الطبيعى ، وانما عالجه الباحثون جنبا الى جنب مع الفقة الزيدى ، وآراء الزيدية الفلسفية والكلامية . ذلك رغم ان فكرهم السياسى هو الاضافة الاهم والابرز . حتى





الزيدية

اننا لانبالغ كثيرا اذا قلنا ان الزيدية هى فكر سياسى باكثر منها مذهب فقهى

● ظلال دم الحسين ●

لقد كانت نقطة الابتداء فى فكر مؤسس المذهب تتمثل فى الكيفية التى ينبغى ان يواجه بها الظلم ، هل هى السكوت والمهادنة والتقيه ، أم المواجهة والتصدى و« الخروج » طرح السؤال بشدة منذ تولى الامويون السلطة ، بالحيلة والسيف ، وتوارثوا الحكم فى سلالتهم . حتى حولوا الخلافة الى ملك عضوض . كما قيل بحق . واذا كان السؤال عاما فى الضمير المسلم . فانه كان اشد الحاحا فى أوساط آل البيت ، من سلالة على بن ابى طالب . الذين كانوا على قناعة من انهم الأحق والأولى بحكم المسلمين وخلافة رسول الله .

لقد اغرق دم الحسين بن على ، الذى قتل ومثل به وبأهله فى كربلاء آل البيت فى بحر من الصمت والذهول . اذا كانت سلالة رسول الله معرضة للانقطاع والاندثار ، لولا ان شاءت قدرة الله ان يخف ابن الحسين ، على زين العابدين ويهرب خارج ساحة القتال .

رأى على زين العابدين الموت والهول بعينيه ، فآثر ان يعتصم بالصمت ويكتم غضبه بين جنبيه . وانصرف للعبادة والعلم ، وهو مانشأ عليه ابنه الأكبر محمد

الباقر ، ولم يسترح له ضمير الابن الاصغر زيد ، الذى راى فى جده الحسين القدوة والمثل . وادرك ان بيعة الظالمين اقرار للظلم واشتراك فيه . وان السكوت عليهم قد يكون قبولا بالظلم وسكوتا عليه ، وليست تلك شيمة آل البيت فى احضار على بن طالب والحسين .

بعد مقتل الحسين سادت فى سلالته فكرة اعتزال السياسة ، وقيل عن الائمة الذين جاءوا بعده انهم اهتموا بامامة العلم دون إمامة الدعوة . لكن السياسة ظلت تلاحقهم فى كل زمان ، أو ظل الأمويون ومن بعدهم العباسيون يلاحقهم فى مختلف الامصار .

فى عهد الخليفة الاموى هشام بن عبدالملك كان الظلم قائما والملاحقة مستمرة . فاختار محمد الباقر المهادنة والتقية . واختار زيد - شقيقة الاصغر - المواجهة والخروج . الاول قرر الرفض بالصمت . والثانى انحاز إلى الرفض بالسيف وهو ما أشار إليه يحيى ابن الامام زيد من قوله ان اتباع عمه - محمد الباقر - اختاروا الحياة . اما من ساروا وراء ابيه زيد ، فقد اختاروا الموت . وبالفعل فان القتل كان مصير الامام زيد ومصير ابنه ، ومصير من جاء بعده من أئمة الزيدية الذين اعلنوا الخروج . حتى وصفوا بحق - انهم ائمه جهاد واستشهاد .

وليس صحيحا ان الامام زيد (٨٠ - ١٢٢ هـ) خرج على هشام بن عبدالملك لانه اهانه وجرحه ووصفه بابن الأمه ، كما يذكر المسعودى صاحب " مروج الذهب » . انما الاصح ان ثورته كانت على ظلم بنى أمية . يذكر ابن الاثير فى مؤلفه « الكامل » ان زيدا دعا الناس الى مبايعته قائلا : « انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين ، واعطاء المحرومين وقسمه هذا الفىء بين

اهله بالسواء ، ورد المظالم ونصر اهل الحق !!

● فرق الشيعة الثلاث ●

كان خروج زيد من البداية ثورة على الظلم ، ودفاعا عن العدل ، ونصرة للمستضعفين والمحرومين .

في البداية كان الرجل يؤسس معارضة سياسية ، وليس مذهبا فقهيا رغم انه كان فقيها ومحدثا ، ومن ابرز علماء عصره .

كان موقف الامام زيد في الخروج . هو الاساس الذى قامت عليه دعوته ، التى صارت بعد ذلك مذهبا نسب إليه ، هو الزيدية .

وكان موقف شقيقه محمد الباقر في التقية احد الأسس التى قام عليها مذهب الشيعة الاثنى عشرية ، وقد عد الباقر احد أولئك الائمة الاثنى عشر ، من سلالة الحسين عليه السلام .

وقد اوجز الدكتور احمد صبحى الفرق بين مواقف المعارضة التى تبنتها كل من الزيدية والاثنى عشرية والاسماعيلية ، اهم المذاهب التى تحصر الامامة فى آل البيت ويتفق اكثر الباحثين والمؤرخين على انتمائها للتشيع ، فيما يلى :

- الزيدية تبنت مبدأ الامامة السياسية ، وجعلت من « الخروج » مبدأ اساسيا لآرائها . كانت المعارضة المتمثلة فى سلاح السيف .

- الاثنى عشرية ، اتخذت مبدأ الامامة الروحية ، وجعلت من « التقية » مبدأ أساسيا لمعتقداتها ، فكانت معارضة متمثلة فى سلاح الكلمة .

- الاسماعيلية ، تبنت مبدأ « الامامة الباطنية » القائمة القول بأن لكل ظاهر باطن ، هادفة بذلك الى إخفاء مقاصدها . فكانت المعارضة المتمثلة فى سلاح « الحركات السرية » .

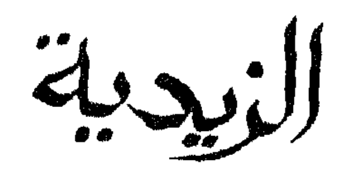
واذ تنتسب الزيدية الى الامام زيد ، الذى سار على درب على والحسين ، فان الاثنا عشرية مضت على نهج الحسن بن على (الذى آثر السلامة وتنازل لمعاوية) وعلى زين العابدين الذى مررنا به قبل لحظات . اما الاسماعيلية بسريتها وغموض حركتها ، فتتبلور فى شخصية الامام الغامض اسماعيل بن جعفر الصادق الذى لا يعرف عنه ! هل مات فى حياة ابيه ، ام اخفاه ابوه مُعلنا موته خوفا من بطش العباسيين ، ام انه شرب الخمر فنحّاه ابوه ونزع عنه استحقاق الامامة . وتلك روايات موجودة باسانيدها فى كتب التاريخ .

ويصف الدكتور صبحى الفرق الثلاث قائلا ان الزيدية بحكم « العلانية » اكثر انفتاحا على سائر الفرق ، وبخاصة اهل السنة . بينما كانت الاثنى عشرية بحكم « التقية » اكثرها انغلاقا وتوجسا من المخالفين . اما الاسماعيلية فقد كانت اكثرها « استغراقا » لمذاهب المخالفين من اجل جذبهم الى الحركة السرية لتقويض الدولة .

● الخروج : الركيزة الاولى ●

للامام زيد كتاب تضمن اراءه واجتهاداته باسم « المجموع » ، وهو يعد اول مدونة فى الفقه الاسلامى . ورغم وضع زيد اساس المذهب ، الا أن بناءه اكتمل باضافات فقهاء الزيدية التى استمرت حتى القرن الثانى عشر الهجرى . وكان لاعلام الفقه الزيدى فى اليمن اضافاتهم الجليلة التى اثرت المذهب واغنته الى ابعد مدى . وفى مقدمة هؤلاء خمس هم : العلامة محمد بن ابراهيم الوزير ، والعلامه محمد بن اسماعيل الامير ، والعلامة الحسن بن احمد الجلال ، والعلامة صالح بن مهدى المقبلى ، والعلامة محمد بن على الشوكانى .

واذ اعتبرنا ان الموقف السياسى



الزيدية

للزيدية هو الاولى والاجدر بالاهتمام . فاننا سنعطيه اولوية في عرض فكر المذهب . وهو ما يمكن ان نوجزه في عنصرين اساسيين !

اولا ـ الخروج ، هو الركن الركين فى حركة الامام زيد وفى فكر المذهب وفى فقهه . وطبقا لقول الامام زيد فان « كل فاطمى شجاع ، عالم زاهد سخى ، خرج ثائرا على الظلم يكون اماما ومهديا . وليس الامام منا من جلس فى بيته وأرخى ستره وثبط عن الجهاد . ولكن الامام منا من جاهد في سبيل الله ودافع عن رعيته » .

وفى تعاليم المذهب الزيدى ان الامام يعد ظالما اذا استأثر بمال اورأى (بالثروة والسلطة) ويذهب بعضهم الى ان الامام اذا تميز عن المحكومين باثواب فخمة وجب الخروج عليه ، فتلك علامة الانشغال بالنعمة عن احوال الرعية .

وطبقا لهذه التعاليم فان الخروج يصبح واجبا اذا ما لبى نداء الراعي عددا مماثلا لاهل بدر . اى ثلاثمائة شخص كحد ادنى

● يمثل الخروج نقيضا مهما لفكر الشيعة الاثنى عشرية الذى يعتمد التقية

ثانيا : الامامة : يلتقى الزيدية مع الاثنى عشرية فى وجوب ان تكون الامامة فى آل البيت . وان قالوا بان شرط الامام ان يكون فاطميا ، من سلالة الحسن او الحسين . اما الاثنى عشرية فقد حصروها فى سلالة الحسين وحده ، لذلك انضم الائمة من اولاد الحسن الى المذهب الزيدى .

لكنهم لم يتركوا الامامة مطلقة فى آل البيت ، ولكنهم اشترطوا شروطا محددة فى الامام علاوة على كونه فاطميا . فغير الشجاعة والزهد ، فانه يجب ان يعلن دعوته ويبين احقيته فيها ، فى خروجه لمواجهة الظلم وتكريس العدل .

فالخروج والدعوة وتبرير الاحقيـة شروط واجبة فيمن يطلب الامامة . ويسجل التاريخ اليمنى انه عندما كان يظهر فى الساحة اكثر من مريد للخلافة ، فانهم كانوا يجتمعون امام اهل الحل والعقد ، رموز المجتمع ، ويعرض كل منهم دعوته ويجيب على الاسئلة فى مختلف شئون الفكر والفقه والدولة . وهو شيء اشبه بالمناظرات التى تجرى فى زماننا بين مرشحى رئاسة الجمهوريـة فى الـولايـات المتحـدة الامريكية .

وفى ضوء تلك المناقشات كان اهل الحل والعقد يختارون الامام الاصلح من بين الراعين . اى انها ليست امامة متوارثة ، لكنها مشروطة ومقيدة . ودور اهل الحل والعقد اساس فيها ، بدليل انهم اذا وجدوا المصلحة فى اختيار آخر ، من غير آل البيت لكان لهم ما ارادوا . وهو ما يسمى فى الفقه الزيدى بجواز امامة المفضول مع وجود الافضل ؟ اى انه اذا كان آلـ البيت هم افضل الناس ، بحكم انتسابهم للرسول ، الا انه يجوز لاهل الحل والعقد تفضيل غيرهم فى الامامة اذا اقتضت المصلحة ذلك

وهو ما حدث فى خلافة أبى بكر وعمر ، وتفضيلهما على الامام على بن ابى طالب . اذ رغم انه يعتبر الافضل ، الا أن الخلافة فوضت الى أبى بكر بعد وفاة الرسول » لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها .

ويشكل هذا الموقف مصدرا لاختلاف الزيدية عن الاثنى عشرية . ففضلا عن توسيع قاعدة الاختيار من آل البيت ، فان الزيدية لا يتمسكون بضرورة ان يكون الامام من سلالة النبى . ويشترطون مراعاة المصلحة واقرار اهل الحل والعقد .

ذلك يسقط من فكر الزيدية مقولات توارث

آل البيت للامامة بشكل تلقائي كما يسقط مبدأ عصمة الامام ، فضلا عن مسالة الامام الغائب والمستور اضافة الى التقية التى اسقطها مبدأ الخروج .

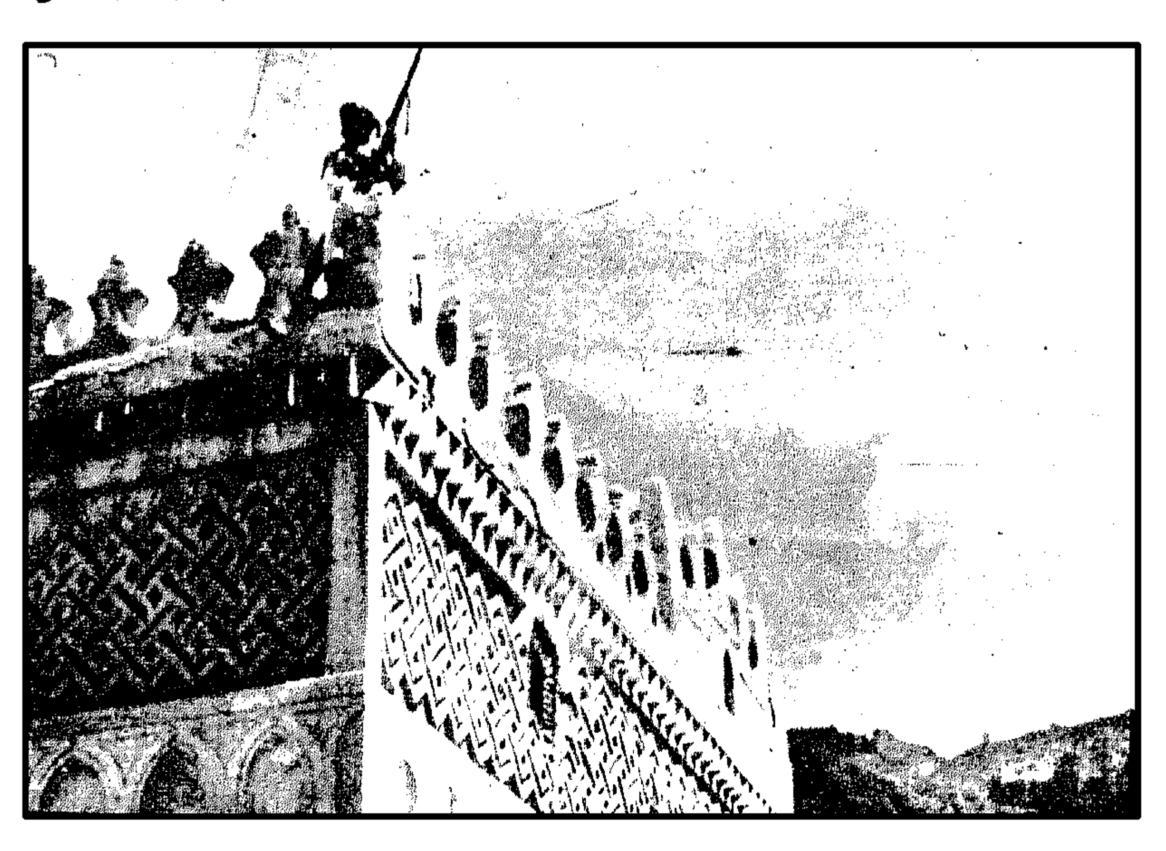
ومن الظروف الهامة فى هذا الصدد ايضا بين الزيود والاثنى عشرية ، ان الاولين يقولون ان النبى عين خليفته بالوصف لا بالاسم ، فى حين ان الاثنى عشرية يقولون ان النبى اوصى للامام على بالخلافة من بعده .

ثمة عنصر ثالث فى الفكر السياسى للزيدية ، هو اجازتهم لخروج امامين فى قطرين متباعدين ممن تتوفر لهم شروط الامامة . ويرى الدكتور احمد صبحى ان الامام زيد عندما اجاز ذلك فانه لم يكن يقبل تقسيم الدولة الاسلامية . وانما قصد فتح الباب لتعدد فرص الخروج على الامام الظالم فى انحاء الدولة « حتى تعجز السلطات الغاشمة عن مواجهتها معا ، وذلك ادعى الى انتصارها .

● أزمة الفكر السياسى ●

ثمة اتفاق على ان فكر الامام زيد تاثر بالمعتزلة والاحناف . والثابت انه التقى بـ « واصل بن عطاء » راس المعتزلة فى الكوفة ، وسواء أنه درس على يديه كما يقول الشهرستانى ، ام انهما تدارسا معا كما يقول الشيخ ابو زهرة ، فالمهم ان اللقاء الفكرى قد حدث بالمثل ، فالثابت ان الامام زيد تدارس الفقه مع ابي حنيفة ، الذى ايده فى خروجه على الخليفة هشام بن عبدالملك .

ويرى الاديب والباحث اليمنى الكبير ، الدكتور عبدالعزيز المقالح ، فى كتابه « قراءة فى فكر الزيدية والمعتزلة » ان الفكر الزيدى فى صورته الاولى تاثر بتلاقح أفكار الشيعة والمعتزلة والسنة ، وأن الامام زيد اكتسب الملمح الشيعى عن طريق شقيقه محمد الباقر ، والملمح



الزيدية

الاعتزالى عن طريق واصل بن عطاء ، والملمح السنى عن طريق ابى حنيفة » .

اكتسب الفكر الزيدى من المعتزلة افكارا عدة ، اهمها ذلك الاتجاه الى اعلاء العقل ، حتى ذهبا الى تقديمه على الكتاب ، بحجه ان الكتاب والرسول يعرفان بالعقل ، بينما لايعرف العقل بهما ، وهو ما قال به القاسم الدسي حفيد الامام الحسن ومن ابرز اعلام الفقه الزيدى . ورغم ان المعتزلة هم اصحاب النزعة العقلية الا اننا نتفق مع الدكتور احمد صبحي في ملاحظته ان احدا منهم قدم العقل على الكتاب بهذا القدر من الوضوح والصراحة .

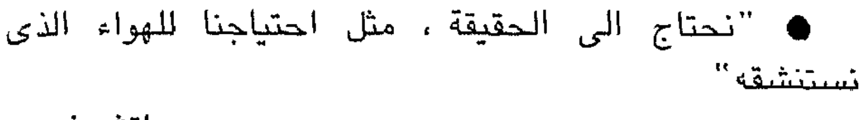
وقد كان انفتاح الزيدية على الفكر السنى ورفضهم للتعصب المذهبي واخذهم بالرأى ، من اثر اتصالهم بالاحناف ثم الشافعية من اهل السنة . ويرى الدكتور المقالح ان اتجاه بعض الزيدية الى معارضة بعض صور التمرد على الامام او السلطة ، حدث نتيجة للتأثر ايضا بالفكر السنى .

اما اتصالهم بالشيعة فاكثر ما يدل عليه هو حصرهم الامامة في آل البيت ، واعتبارها من الاصول ، وليس من الفروع كما هي عند اهل السنة والمعتزلة .

والسائد في كتابات التاريخ والفرق الاسلامية ان الزيدية من فرق الشيعة . غير اننا قرانا معارضة لهذا الاتجاه في بحث الدكتور عبدالعزيز المقالح ، الذى قال في مؤلفه انه « لولا بعض الفوارق الصغيرة ، لاعتبرت الزيدية تيارات من تيارات الفكر المعتزلى ، وليس الفكر الشيعى » . ثم قال في موضع آخر من كتابه انه كان من الطبيعى ان يوضع مؤسس هذه الفرقة - الامام زيد - الى جوار النظام وغيلان الدمشقى وغيره من اعلام المعتزلة .. لان افكاره جزء لايتجزأ من الفكر المعتزلى ، بكل ما فيه من اعظام للعقل ، ومن خروج على الظالمين ، ومن ازراء بالمقلدين » . واستشهد في ذلك بالصلة بين الامام زيد وواصل بن عطاء ، وبان الزيدية تبنوا اصولا اربعة من الأصول الخمسة لفكر المعتزلة . فاتفقا في التوحيد والعدل والوعد والوعيد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر . واضاف الزيدية اثبات الامامة في آل البيت كأصل خامس ، بديلا عن « المنزلة بين المنزلتين » التى قال بها المعتزلة . وهو مبدأ قرروه في شأن مرتكب الكبيرة ، اذ اعتبره المعتزلة عاصيا ، بينما اعتبره الزيدية كافرا ، وهو الامر الوحيد الذى يبرر الخروج من وجهة نظرهم .

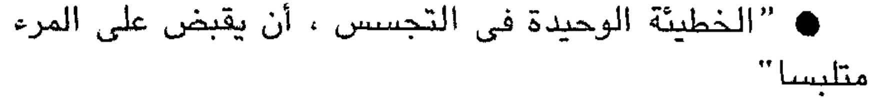
ولايعنينا في هذا المقام ان نفصل في قضية انتماء الزيدية الى الشيعة او المعتزلة ، فضلا عن ان ذلك امر اولى به ان يحال الى المتخصصين . انما الذى يهمنا ويعنينا هو ضرورة الانتباه الى هذا الفكر الذى ظل كالآثار اليمنية ، مطمورا تحت تراب النسيان ، كما يصفه الدكتور المقالح . والاهم من ذلك هو ان تعاليم المذهب الزيدى تلفت انظارنا الى ضرورة البحث عن صيغة للعمل السياسى الاسلامى صيغة تتجاوز الخروج واشهار السلاح عند اول بادرة ، كما يقول الزيدية . وتتجاوز التقية كما كان يبشر ائمة الاثنى عشرية ، كما تتجاوز المهادنة او النصيحة - التى كثيرا مالا تجدى - التى يقول بها بعض اهل السنة ، ممن عنوا بضرورة أقامة دولة الاسلام باى ثمن ، حتى ولو كان القبول بالحاكم الظالم . وهى نظرة مازالت متاثرة باحداث « الفتنة الكبرى » ايام عثمان بن عفان ، حيث استشعر بعض الصحابة ان صرح الاسلام مهدد بالانهيار من جراء الخروج على خليفة المسلمين .

أقوال معاصرة

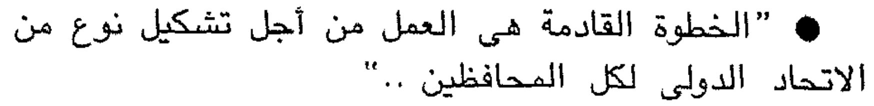

● "نحتاج الى الحقيقة ، مثل احتياجنا للهواء الذى نستنشقه"

جورباتشوف


جورباتشوف

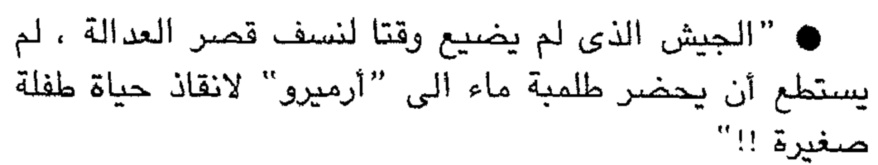

● "الخطيئة الوحيدة فى التجسس ، أن يقبض على المرء متلبسا"

هيلز رئيس المخابرات
الأمريكية السابق

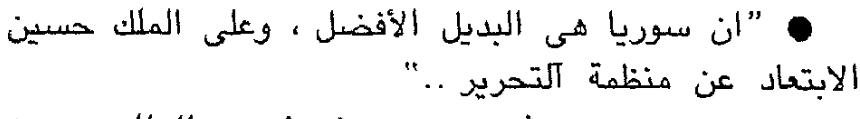

● "الخطوة القادمة هى العمل من أجل تشكيل نوع من الاتحاد الدولى لكل المحافظين .."

بيرتون باينز نائب رئيس
مؤسسة التراث الأمريكية .

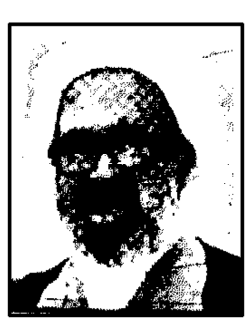

شيمون بيريز


● "الجيش الذى لم يضيع وقتا لنسف قصر العدالة ، لم يستطع أن يحضر طلمبة ماء الى "أرميرو" لانقاذ حياة طفلة صغيرة !!"

محام من كولمبيا التى ثار فيها البركان


● "ان سوريا هى البديل الأفضل ، وعلى الملك حسين الابتعاد عن منظمة التحرير .."

شيمون بيريز ينصح الملك حسين


آية الله منتظرى

"لدى انطباع بأن جميع مناصب الدولة يحتلها غير الأكفاء .."

آية الله منتظرى
خليفة الامام خومينى .



الجريمة والمرأة المصرية

بقلم : د. سيد عويس

في الدراسات السديدة التي قمت باجرائهما في محيط الاناث المصريات سواء كن احداثا اوشابات أو نساء رشيدات في ضوء الظروف الثقافية الاجتماعية والاقتصادية التي يعيشن في ظلها لاحظت انهن لا يكتفين باطلاق عقيرتهن اذاماواجهن مواقف اجتماعية معينة ، بالتعبيرات الشعبية النابية على اختلافها ، ولكنهن قد يتعدين ذلك فيرتكبن الجرائم .

والملاحظ ان الجريمة ، هي ظاهرة اجتماعية . اى انها توجد بالضرورة في المجتمعات الانسانية ، اى توجد في محيط البشر سواء كانوا ذكورا او اناثا ، حيثما وجد هؤلاء في المدينة او في القرية او كانوا يحيون حياة البداوة .

والملاحظ ايضا ان الجريمة تتضمن نمطا معينا او انماطا معينة من السلوك من طبيعتها ان تكون بشرية . وهي قانونا انماط من السلوك يحرمها قانون العقوبات وتستوجب العقوبة باسم الدولة ، وذلك بعد المحاكمة وثبوت الادانة . ويفترض عادة ان كل مخالفة لهذا القانون تكون ضارة بالمجتمع ، وعليه يجب ان تمنع او على الاقل يجب ان تقل .

ومع ذلك فان من الملاحظ ان الجريمة المخالفة لقانون العقوبات ، هى مجرد مخالفة لنوع من القوانين السلوكية السائدة فى المجتمع ‥ اى مجتمع . وعلى هذا فالمجرمون ذكورا او اناثا، هم فئة من الاشخاص لا يختلفون عن غيرهم من الاشخاص الذين يخالفون القوانين السلوكية الاخرى . انهم ليسوا قط فئة فريدة فى نوعها . ومن الناحية الاخرى فاننا نجد ان القوانين بعامة وقانون العقوبات احدها ، تتغير من وقت لاخر . ونجد ان ما يصطلح عليه بانه ضار اجتماعيا يختلف من مجتمع لاخر كذلك . لان المجتمعات تختلف فى اجهزتها وثقافاتها بعضها عن البعض . وكذلك بمرور الزمن نجد انه فى المجتمع الواحد تتغير اهداف القيم الاجتماعية والاخلاقية كما تتغير الاراء والمبادىء ووجهات النظر السائدة فيه . ذلك لان تطور الاساليب الانتاجية فى مجتمع من المجتمعات واتساع رقعة الحضر فيه ، والمتغيرات الكبرى فى المسائل المالية والاقتصادية وفى الصناعة ، وفى طرق المواصلات والقوى الالية وغير ذلك من الظواهر التى تؤدى عادة الى تعريفات جديدة لانماط جديدة من الجريمة او تؤدى عادة الى اعادة تعريف انماط الجريمة القديمة . والملاحظ ان كل هذا لايحدث ميكانيكيا ، بل يحدث حتما فى ضوء اعادة التربية لاعضاء المجتمع .

***

والمراة فى المجتمع المصرى وفى غيره من المجتمعات تؤدى عادة ادوارا اجتماعية عديدة . فقد تكون اما او زوجة او ابنة او اختا او جارة او زميلة او رئيسة فى العمل او مرءوسة ‥ الخ . ونجد ان الجرائم التى يرتكبها الاناث على وجه العموم تختلف باختلاف الاعمار والمستوى الثقافى والاجتماعى والمستوى الاقتصادى فضلا





والمرأة المصرية

عن محددات كل انثى العقلية منهـا والنفسية • اى ان هذه الجـرائم تختلف باختلاف شخصية المرأة فى ضوء ادوارها الاجتماعية، تؤديها فى المجتمع الذى ولدت فيه وتعيش ، مع الاخذ فى الاعتبار ان الانثى الحدث لم تستكمل شخصيتها فى العادة ، وان المرأة فى ضوء ادوارها الاجتماعيـة يمكن ان ترتكب جميع صور الجـرائم التى ينص عليها قانون العقـوبات المصرى ما عدا جريمة واحـدة هى جريمة الاغتصاب •

وفى ضوء البحوث والدراسات التى قمت باجرائها فى محيـط الاناث المصريات المجرمات سواء كن احداثا او شابات او نساء رشيدات ، وجدت ان نسبة الجرائم التى يرتكبنها نسبة ضئيلة • ففى ضوء البحث العلمى عن عدد المحكوم عليهم بالاعدام فى مصر فى خلال خمسين عاما ، وجـدت ان هذا العدد كان ٧١٤ شخصا • كان منهم ٧٠٢ من الذكور واثنتا عشـرة من الاناث • وكان متوسط نسبة عـدد النساء اللاتى اتهمن فى جنـايات فى السنوات العشر التى تنتهى فى عـام ١٩٨٢ نحو ٢ر٦٪ • وكانت نسبـة جرائم السرقة بطريقة النشل فى محيط الاناث المصريات اعلى من ذلك اى نحو ٣ر٧٪ •

***

ومهما يكن من الامر فان من المتوقع وقد خرجت المـرأة المصرية الى ميدان العمل فى ضوء الظروف الثقافيـة الاجتماعية والاقتصادية فى المجتمـع المصرى المعاصر ، ان تزداد الجـرائم التى ترتكبها بكل صـورها (ما عدا صورة جريمة الاغتصاب بالضرورة)•

ومع ذلكفاننا يجبان نلاحظ ان عوامل ارتكاب اية جريمة تتـوقف على نوع هذه الجريمة او صورتها او صورها • فالملاحظ ان عوامل جريمة مثل جريمة السرقة او احدى صورها غير عوامل جريمة القتل او احدى صورها مثلا• وهذه العوامل ترجع فى العـادة الى العوامل التكوينية للمرأة والى العوامل الثقافية والاجتماعية (اى الظـروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التى تواجهها منذ ولادتها حتى ارتكابهـا احدى الجرائم ، وفضلا عن ذلك الى العوامل النفسية والعقلية التى تتسم بها ، والمصالح التى تـكون عادة من المواقف الاجتماعية التى تواجههـا • فالمعلوم ان المصالح تصنع النوايا وان النوايا تصنع المواقف وان المواقف فى ضوء محددات شخصية كل واحد منا تكون عادة من وراء انماط سلوكه •

***

وفى ضوء نتائج احدى الدراسـات التى تناولت ٥٠ نزيلة من نزيلات سجن



القناطر اللاتي حكم عليهن في جرائم القتل بصورها ، تبين ان اغلبية اعمارهن تتراوح ما بين ١٥ ـ ٤٥ عاما بنسبة نحو ٧٢٪، وان نحو ٥٢٪ منهن كن أراملا ، ونحو ٨٪ فقط كن مطلقات، ونحو ١٢٪ منهن لم يتزوجن منهن : اثنتان مخطوبتان • وكانت الاغلبية الساحقة من الجانيات يقمن خارج القاهرة • وكان اكثر من نصفهن فلاحات وخادمات وبائعات ومنهن « دادة » واحدة • وكان المجني عليهم من الذكورومن الاناث ، ونسبة كبيرة منهم (نحو ٦٤٪) من الاقارب (مثل الزوج وابن الضرة وابن السلفة واخت الزوج والاب وابن العمة وزوجة الاخ وابن الخالة وابن الاخت) ، وكان الباقي من الجيران ومن المخدومين ، ووجد من هؤلاء خادمة وصديقة وعشيق وجندى شرطة •

وقد وجدت ان دوافع ارتكاب جريمة القتل عديدة (يلاحظ ان دوافع ارتكاب الجرائم غير عوامله) منها : الانتقام والغيرة والكسب المادىوالعرلك وسوء الخلق والاخذ بالثار والتخلص من الزوج للزواج باخر ، ثم الدفاع عن النفس ••

وقد ارتكبت الجرائم داخل المنزل بنسبة نحو ٦٨٪ فى مسكن الجانية او فى مسكن المجنى عليه او عليها •وكانت اساليب ارتكاب الجريمة عديدة ايضا، منها : الخنق والمسدس والضرب بالعصا والضرب باليد وحشو الحلق بالرمل والحرق والغرق وكتم النفس واستخدام المدية وقذف المجنى عليه من فوق المنزل والبندقية واستخدام الزرنيخ والفنيك وال د • د • ت والتوتيا الخضراء واستخدام ماء البوتاس مع الخنق والمبالطة والساطور والسكين والمسمار والشومة والفاس•ويلاحظ ان كل هذه الاساليب او معظمها اساليب بدائية يسر استخدامها المناخ الثقافى الاجتماعي الذى كانت الجانيات يعشن فى ظله •

● حالات فريدة ●

واذا كان المجتمع المصرى المعاصر لم يصادف اما تتهم بقتل ـابنهـا الا اخيرا فاننى لا استطيع ان أدعي تفسير ذلك • وذلك لان مثل هذه الحالة فى هذا المجتمع فريدة فى نوعهـا • ولكي نتعرف علىعوامل ارتكابجريمة القتل هذه فاننى ادعو المتخصصين سواء كانوا اطباء او علماء نفس او علماء اجتماع ان يحاولوا كفريق دراسة هذا السلوك الفريد • ان دراسة هذا النوع من السلوك أمر ضرورى وبخاصة اذا كان قد حدث • والرجم بالغيب فى هذه الامور لا يفيد احدا ويشيع البلبلة والضباب الفكرى فى محيط اعضاء المجتمع • واذا كانت ام تقتل ابنها فقد تجد ابنا يقتل امه • وهذه جريمة أخرى شنعاء ولكنها ايضا جريمة فريدة فى نوعها فى مجتمعنا • ولا يمكن لشخص جاد يهتم بدراسة السلوك البشرى ان يغامر ويبدى رايا فى عوامل ارتكاب هذه الجريمة • ومن حق العلوم التى تهتم بدراسة السلوك البشرى ان تجند متخصصيها الجادين كفريق للقيام بدراستها والتعرف على عواملها •

ولا يمكن ان نكتفى بوصف هذه الجرائم بانها جرائم شنعاء ان الهدف المرجو هو ان نتعرف على عوامل ارتكابها فى ضوء دراسة الجانية او



والمرأة المصرية

الجانى دراسة موضوعية اى دراسة المحددات التكوينية والثقافية والاجتماعية والنفسية والعقلية لشخصية هذه الجانية او هذا الجانى وعلاقة الجانى او الجانية بالمجنى عليه ، فضلا عن دور المجنى عليه نفسه فى ارتكاب الجريمة ففى جرائم القتل بخاصة لقرب صلة الجانى والجانية بالمجنى عليه نجد ان للمجنى عليه دورا فقد يكاد ان يكون المجنى عليه فى بعض الحالات جانيا وقد يحدث العكس . ومن الضرورى ايضا التعرف على اسلوب او اساليب ارتكاب الجريمة والمكان والوقت الذى تم ارتكاب الجريمة فيهما والمصالح



التى تكون من وراء هذا السلوك الاجرامى . ذلك أن المصالح كما سبق ان اوضحت تصنع النوايا وان النوايا تصنع المواقف وان المواقف فى ضوء محددات الشخصية غير السوية أو السوية تكون عادة من وراء انماط سلوك هذه الشخصية سواء كان سلوكا غير سوى او سلوكا سويا .

● جرائم غير منظورة ●

والراصد للمجتمع المصرى فى ضوء الظروف الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية المعاصرة يلاحظ ارتكاب انماط عديدة من الجرائم ولما كانت جريمة القتل لامعة اجتماعيا فاننا نجد أن الحديث عند ارتكابها لا يخلو منه جهاز من اجهزة الاعلام والثقافة منه ، وبخاصة اذا كان القاتل اما كما ذكرت آنفا او ابنا او ابنة او زوجا او زوجة او احد الاقارب المقربين لمن قتل . واذا كانت جريمة القتل فى مجتمعنا لا يرتكبها عادة الا من كانت له صلة بالمجنى عليه فاننا لا يمكن اعتبارها فى ضوء المستوى التكنولوجى للمجتمع المصرى المعاصر من الجرائم غير المنظورة اى التى لا تصل الى رجال الشرطة او الى المحاكم . ولن يستطيع مجتمعنا ان يغير الحال الا اذا تيسر لاعضائه القادرين ان يسهموا مع المسئولين على اختلاف مواقعهم فى وضع استراتيجية يتم الاتفاق على اهدافها ووسائلها وامكاناتها المالية والبشرية حتى تواكب الحضارة المصرية السائدة التى أرجو أن يتفق معى السادة القراء على ان تكون ابرز سماتها سيادة العلم والديمقراطية بانماطها واحترام انسانية الانسان المصرى .





أم كلثوم   ابراهيم ناجى

● فى أغنية الأطلال من شعر ابراهيم ناجى تردد أم كلثوم كلمة « ذياك » .. و« ذياك » تصغير « ذاك » .. والشاعر لم يصغر هذه الكلمة هنا إلا ليستقيم الوزن ، وكان شعراء الرومانسية فى الثلاثينيات يستعملون كثيراً هذا التصغير إعجابا به ، أو لضرورة الوزن .. فتجد « ذياك » فى شعر رامى والهمشرى وصالح جودت وغيرهم ..

● ولأم كلثوم أغنية جميلة على شكل الموال ، تأليف بيرم التونسى وتلحين زكريا أحمد ، مطلعها : « الأولة فى الغرام والحب شبكونى .. والثانية بالامتثال والصبر أمرونى .. والتالتة من غير ميعاد راحم وفاتونى » .. وقد سمعت بعض الأدباء يقول : إن كلمة « الأولة » تصح فى العامية ، أما فى الفصحى فلا تصح إلا كلمة « الأولى » .. قلت : إن كلمة « الأولة » صحيحة فصيحة ، وهى مؤنث « أول » كما أن كلمة « ثانية » مؤنث « ثان » و« ثالثة » مؤنث « ثالث » .. ولكلمة « الأولى » معنى السبق فى الأولية ، ويطول الكلام فى هذا الباب ..

● نجد فى الصحف كلمة « إنشاء الله » مكتوبة هكذا حتى فى كتابة بعض المشاهير .. والصواب : « إن شاء الله » .. لأن الفعل الماضى « شاء » لا يتصل عند كتابته بأداة الشرط « إن » .. ولعل كاتبى « إنشاء الله » يحسبونها كلمة واحدة .. وهذا بعض الجهل المؤلم باللغة المغلوبة على أمرها ..

● يقال فى الاذاعة والتليفزيون : « نقدم هذه الفقرة » .. بفتح الفاء ، والصواب كسرها .. ويقال : « نقدم هذه الفقرات » .. بفتح الفاء والقاف .. والصواب : كسر الفاء وفتح القاف .. وقلما يلتزم بهذا النطق الصحيح أحد إلا فى الاذاعات الناطقة بالعربية من خارج الوطن العربى .. وتلتزم به أحيانا بعض الأصوات فى إذاعة القاهرة ..

● عندما نقول : « هذه فلتة » .. فإن أصل « الفلتة » هو الفعل « فلت » بفتح الفاء واللام .. ويتحاشى بعض الكتاب استعمال هذا الفعل ظنا منهم أنه عامى وأن الفصيح هو « أفلت » .. والحقيقة أنهما صحيحان فصيحان معا .. وإذا أردت المرة الواحدة من الفعل « أفلت » فهى « الافلاتة » وليست « الفلتة » .

المتـــــزعـــــلى

الأشواك

ماذا تَصنَع بالكعكة ؟

« لا يمكنك أن تحتفظ بالكعكة وتاكلها »
مثل انجليزى لم يكن يمر على الا وتعجبت لسذاجته ، أين هو من امثالنا المفعمة بالحكمة ، الناضجة بتجارب الحياة ؟ ولكننى تذكرته حين روى لى صديق سافر الى الاتحاد السوفييتى أن مرافقه هناك ـ وكان دبلوماسيا متقاعدا ، سبق له أن مثل بلاده في قطرين عربيين ـ حدثه عن الشقة التى يقيم فيها مع ابنتيه الشابتين : انها شقة ـ قال السفير السوفييتى السابق ـ فسيحة ومريحة ، فمساحتها خمسة وأربعون مترا مربعا (أكتبها بالحروف لا الارقام حتى لا تحسبها غلطة من الطابع) ، واستحى صديقي أن يساله ان كانت احدى ابنتيه او كلتاهما لها زوج أو ابناء ، ولكنه عرف من ثنايا الحديث ان الكبرى تعمل فى وزارة الخارجية أيضا ·

حدثنى صديقى العربى بهذه القصة ليبين لى غرابة الاحوال فى الاتحاد السوفييتى · لم يكن صديقى هذا دبلوماسيا كبيرا ولا ثريا من اثرياء البترول ، ولكنه أستاذ جامعي مثلنا يرتزق ـ مثلنا ايضا ـ ببعض قشور العلم · وكان قد اتفق له ـ قبل سنين كثيرة ـ ان قضى عاما فى الولايات المتحدة الامريكية ، وهناك تعرف بمواطن أمريكى ميسور الحال ، ولابد أن صديقي ذكر لى شيئا عن صفة ذلك المواطن أو مهنته ، والارجح على كل حال أنه لم يكن أستاذا ، فحال الاساتذة هناك لا يختلف عن حالهم فى أى بلد من بلاد العالم ، ناس لا يطمعون في أكثر من حياة كريمة مستورة ، وهذا المواطن الامريكى كان يملك فيلا يمكن أن تعتبر بالمقياس المتوسط قصرا · كان ثمة حديقة واسعة تطل عليها غرفة طعام طويلة عريضة ، لا يفصل بينهما

بقلم: د. شكري محمد عياد

وبين الحديقة الا حائط من زجاج • أشهر صديقي بهذا المنظر اكثر من أي شيء آخر في الولايات المتحدة الامريكية • وحين عاد الى وطنه كان قد اصبح له هدف في الحياة وهو ان يمتلك مثل هذه الفلا أو القصر • ولا أعلم كم من سني عمره كلفه هذا الحلم ولكني اعلم انه تحقق آخر الامر ، كما أعلم أن صديقي عجز عن تحمل تكاليف خدمة القصر الذي بناه ، ولم تطب نفسه بتأجيره ، فتركه لاحد أبنائه يعيش في قسم منه ، وانطلق هو ساعيا في بلاد البترول كي يوازن ميزانيته المتصدعة ، ويعود الى قصره بين عام مرهق وآخر شقي ، فيجلس هنيهة في غرفة الطعام ويتأمل زجاجها الذي رسم عليه المطر والغبار خريطة مهوشة للعالم ، ولا يمد بصره اكثر من ذلك خشية أن يتعثر في مزابل « الحديقة » •

حين حدثني صديقي بحكاية الدبلوماسي السوفييتي كانت صورة القصر المهمل في الوطن البعيد غائبة عن ذهنه بكل تأكيد • أو لعله كان عاجزا عن رؤية هذه الصورة لان خياله لم يكن يرى سوى صورة قصر الثرى الامريكي منقولة الى العاصمة العربية ، وصورته هو نفسه جالسا كما كان يجلس ذلك الثرى ، يحدث ضيوفه (كبطل المقامة المضيرية) عن المهندس المشهور الذي بناه ، والرخام ومن اين اشتراه ، والزجاج وكيف حصل عليه ، بينما هم يسرحون النظر في الحديقة الفينانة ثم يرجعونه الى أطباق الصيني الفاخرة بين أيديهم •

هكذا يعيش الناس في الاتحاد السوفييتي – قال صديقي – يعملون كالآلات ولا تتاح لهم تلك المتع الطبيعية البسيطة التي هي حق لكل انسان ، كأن يكون للمرء منزل يملكه وحديقة فيها بعض الزهور وبعض الاشجار المثمرة • ووافقت صديقي على رأيه في الاتحاد السوفييتي ، ولكني قلت له ان الناس في العالم الغربي يعملون كالآلات أيضا ، ويمتلكون احيانا شققا واسعة أو فلات أنيقة يموتون قبل سداد اقساطها . وان الافراد في العالم الرأسمالي لهم مشكلاتهم كما أن الافراد في العالم الاشتراكي لهم مشكلاتهم ، ولكن كلا الفريقين يعرف نوع المشكلات التي سوف تصادفه في كل مرحلة من مراحل

حياته ، ويعد نفسه للتغلب عليها او التصالح معها أو الاستسلام لها بحسب استعداده • ولكننا في بلادنا العربية (لا شرقية ولا غربية ، لا اشتراكية ولا راسمالية) نتبارى — حكومات وافرادا — في خلق المشكلات وارتجال الحلول التي تصبح بدورها مشكلات • والسبب هو اننا نكذب — بكل بساطة — نكذب حين نقول ان فلسفتنا الخاصة التي ليست بشرقية ولا غربية ، ليست باشتراكية ولا راسمالية • ففلسفتنا الوحيدة التي اعرفها هي أننا نريد أن ناكل الكعكة ونستبقيها في الوقت نفسه •

كافراد ، نريد من الحكومة ، مثلا ، أن تعلم أولادنا وتوظفهم ، على ان نقرر نحن وأولادنا ماذا يريدون أن يتعلموا ، ومتى يهجرون وظائفهم للعمل في الخارج • ونريد من الحكومة أن تبني لنا المساكن ، وتمد الطرق ، وتصلح المجاري ، وتوفر المياه والكهرباء وخطوط التليفون ، بينما نتهرب من سداد الضرائب لتبقى نقودنا في جيوبنا •

وكحكومة ، نخلق وظائف غير منتجة ، ونضع فيها اناسا غير منتجين، ثم نطالب « الشعب » بزيادة الانتاج ، وندعو « الشعب » (من هو «الشعب»؟ هذه مسألة تحتاج الى بحث) للاقتصاد والتضحية كي نواجه ديوننا المتراكمة، ونقول لهذا الشعب في الوقت نفسه ان من حق كل انسان أن يستمتع بالحياة التي نمثلها له في شكل ثلاجات وتليفزيونات وسيارات وما لا نهاية له من الكماليات ، التي لا تلبث أن تصبح ضروريات ، يستدين المواطن او يرتشي او يسرق ليحصل عليها •

والمشكلة ليست مشكلة شعب في جانب وحكومة في الجانب الآخر • فلم تعد الحكومات العربية تمثل الترك ولا الانجليز ولا الفرنسيين ولا الطليان، ولم تعد تستند الى حق تاريخي أو ميراث قديم ، بل هي حكومات تخرج من صميم الشعوب ، وتستند في شرعيتها الى الشعوب وحدها • وكما تكونوا يـول عليكم •

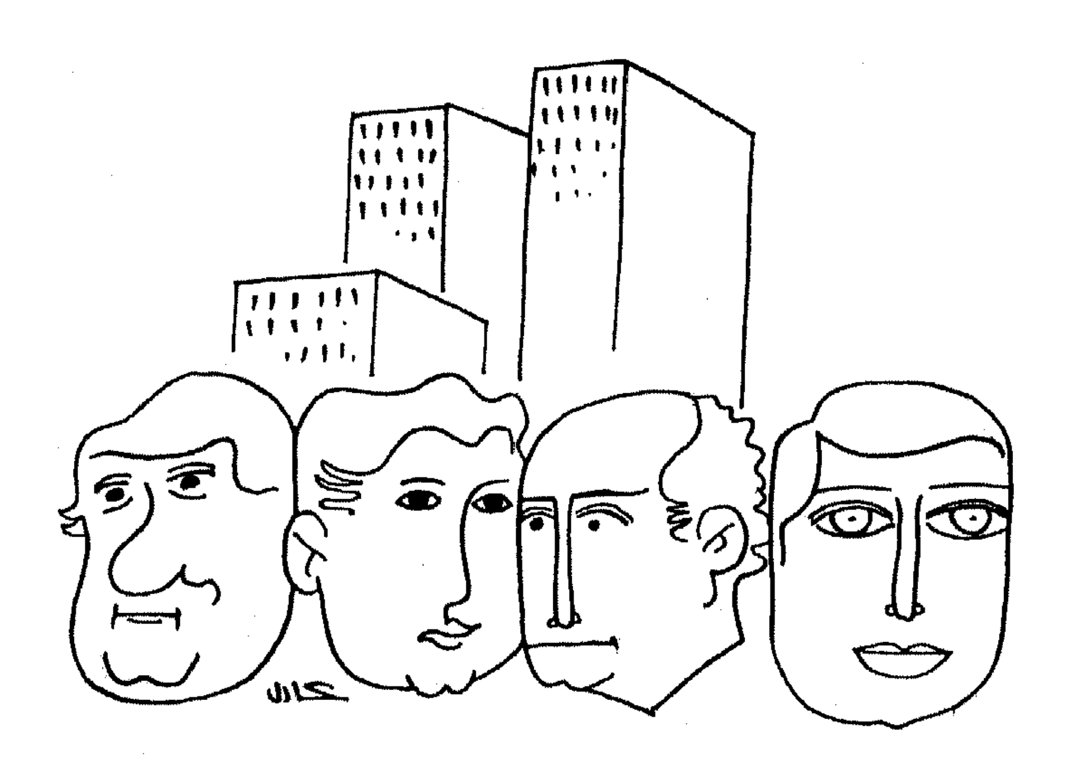
وقد جعلت أراجع نفسي حول دلالة ذلك المثل الانجليزي — الذي كنت احسبه تافها — فاذا له في الحقيقة أكثر من معنى واحد ، فهو يعني أولا أن الانسان لابد له أن يختار ، فهو لا يمكن ان ينام يقظانا ، أو يهاجم متقهقرا ، أو يتقدم وهو واقف ، او يصعد وهو هابط ، وان كان الشعراء يقولون عبارات مثل هذه لانهم يريدونها ان تحمل على المجاز ، الذي هو نوع من الكذب ، والكذب خاصية للشعر لا ينبغي أن توجد في الامثال ، وهنا تتجلى بلاغة المثل الانجليزي الذي طهر من المجاز تطهيرا ، فليس ثمة مجاز في الدنيا يسمح

بالاحتفاظ بالكعكة مع اكلها ، هذا المعنى ، كما ترون ، هو معنى اخلاقى صارم لا يسمح لقائله او سامعه ان يتلاعب بالالفاظ ٠

وهناك معنى ثان يرجع الى الاقتصاد الذى اشتهر به الانجليز ٠ وهذا المعنى هو ان الاستهلاك ضد الامتلاك وعدوه اللدود ، فما تستهلكه ينتقص مما تملكه ، وما تحرص على بقائه يجب الا تعرضه للاستهلاك ، وما تضطر الى استهلاكه يجب أن تكون قادرا على تعويضه ٠ وعليك دائما ان توازن بين حاجتك الحقيقية الى الاستهلاك ، وقدرتك الحقيقية على التعويض ٠

واعتقد مخلصا ان هذا المثل الساذج يفسر قيام أول مجتمع راسمالى فى التاريخ ، باوضح مما تفسره نظريات آدم سمث ٠

ولان صديقى هذا عربى وليس أمريكيا ولا انجليزيا فانه لم يستطع ان يختار بين امتلاك الكعكة ـ القصر واكلها ـ السكنى فيه ، ويمكنك ان تقول انه اختار ، اختار القصر اى الكعكة ، ولكنه اختيار المضطر ، فقد كان يتوهم انه قادر على أن يحتفظ بكعكته وياكلها فى الوقت نفسه ، أن يضع كل ما يملك،





او ينتظر ان يملك ، فى هذا القصر ويستمتع بالحياة فيه • وهو ايضا لم يستطع أن يوازن بين حاجاته وقدراته ، فربما كانت تكاليف القصر بالنسبة الى الثرى الامريكى مساوية لرغبته فى التعالى على انداده أو التأثير فى عملائه ، ولكن قصر الاستاذ لم يكن عديم الفائدة له فحسب ، بل كلفه الحرمان من الحياة الطبيعية •

والاستاذ لا يشعر بانه اخطا التصرف ، بل يرثى لحال السفير السوفييتى السابق ، ويكاد يتهمه بالكذب والنفاق لانه أبدى سعادته بالسكنى فى شقة مساحتها خمسة وأربعون مترا مربعا • ولم يسأل نفسه : هل يحتاج الفرد المتوسط ، فى مدينة جيدة المرافق ، تنتشر المراكز الثقافية والاندية الرياضية فى كل حى من أحيائها ، الى اكثر من هذه المساحة لمأواه ؟ ولا سيما اذا كان يعلم أن ميزانيته الخاصة هى فى النهاية جزء من ميزانية بلاده ، وانه اذا سكن فى فيلا ذات حديقة ، تحتوى على مكتبة وأدوات الممارسة الرياضية (وربما ملعب او مسبح صغير)

وجهازى فيديو وستريو فضلا عن التليفزيون (وربما آلة للعرض السينمائى) فان مقامه فى هذه الجنة الخصوصية لن يطول لأن بلاده لن تستطيع توفير الأموال اللازمة للدفاع عن اراضيها •

وقد اصبحت مسالة السكن من المشكلات المزمنة فى بلادنا لاسباب كثيرة ولكن ليس اقلها أن معظمنا يفكرون بطريقة ذلك الصديق • من الثابت أن الثروة القومية وقد نمت ، وأن مستوى الدخل الفردى قد ارتفع فلماذا هذه الديون المتلتلة على المستوى القومى ، ولماذا هذا الشقاء

اللازم على المستوى الفردى ؟ لماذا أصبح السكن معضلة يحار امامها معظم الافراد ؟ أليس السبب هو أننا لم نفهم بعد معنى المثل الانجليزى البسيط ، أو نفهمه (فنحن اذكياء !) ولا نريد أن نعترف بانه حقيقة ؟ أليس نموذج الشقة المناسبة لكل عروسين ، فى نظر المصرى المتوسط ، هى ذات الغرف الثلاث التقليدية ، وربما اضيف اليها « الانتريه » ، وبعضهم يصمم على حجرة رابعة لينزل فيها اقرباؤه الذين يأتون من الريف ؟ نريد أن نعيش فى المدينة بأسلوب أعيان القرى ، كما أن الذين سافروا منا الى بلاد البترول يعودون الى قراهم ليبنوا بيوتا ريفية فسيحة تحتوى على كل مميزات بيوت المدينة • لا نريد مطلقا أن نتخلى عن شيء الفناء فى سبيل شيء آخر نريد أن نستمتع به • والنتيجة على المستوى القومى هى اننا نبور أرضنا التى لا تعوض ، لنبنى شققا وفيلات تزيد عن حاجتنا • ونضع « تحويشة العمر » فى شقة يمكننا أن نكتفى بنصفها لنستثمر الباقى فى عمل منتج يمكننا من العيش براحة وامان وشرف فى شقتنا الصغيرة •

وربما كانت مشكلة السكن مثلا واحدا من امثلة كثيرة على عزمنا الأكيد أن نحتفظ بكعكتنا ونأكلها فى الوقت نفسه ، ونموذجا لأسلوب حياتنا المبتكر الذى زعمنا انه لن يكون اشتراكيا ولا رأسماليا ولا شرقيا ولا غربيا ، فلم ننجح فى أن نجعله شيئا ما ، بل ثبت اننا نريد فقط أن نحتفظ بالكعكة ونأكلها بأسلوب اشتراكى صميم - بل متطرف - وضعنا ثرواتنا الاقتصادية (والفكرية ، والسياسية) خلف قفل حتى لا يباح لاحد التصرف فيها وحتى النظر اليها ، وبأسلوب راسمالى الى درجة الفوضى قلنا للناس : كلوا وتمتعوا فقد أصبحتم بنعمة الله احرارا • ويبدو أننا اضعنا مفتاح القفل ويقينا خارج المخزن نأكل الهواء ، الا فئراننا التى عرفت كيف تشق الانفاق ، وتتسلل فى الظلام لتصيب من الكعكة ما تشاء •



قنديليات

بقلم :
يحى حقى



عرفتهم لاكثر من نصف قرن مضى ، وانا فى مثل عمرهم يجذب نظرى اليهم وجل خفى يهمس لى ٠٠ كان من المحتمل جدا ان تقع فى الخطر وتصبح بينهم لولا الصدفة ، وحسن الحظ وتنشأ افنديا يدخل المدارس ثم يجلس على المكاتب ويده دائما نظيفة لانها مغسولة وعاطلة ٠٠ والنجاة من خطر جسيم قد تكون أشد زلزلة للنفس من الوقوع فيه ٠٠ هم طبيعة ارباب المهن والحرف الصغيرة ، يعملون اغلب الوقت فى دكاكين مكشوفة ، عراة الرءوس ، يلبسون الجلابيب ولا اذكر كيف كانت نعالهم ان كانت ٠

ويقاس طولهم بنصف المتر اكثر قليلا او اقل كثيرا ٠

صبى المطبعة ٠ رايته يعمل فى قبو على يساره منضدة فوقها كوم عال من افرخ الورق متر فى متر ، وامامه منضدة أخرى ، وفى يده اليمنى شبه مسطرة من خشب او من حديد لست ادرى ، يتناول الفرخ بيده اليسرى ، ويضعه على المنضدة امامه وبحركة سريعة يطويه نصفين ثم يمر عليها بالمسطرة بقوة ، وبشرط ان تقع الحافة على الحافة لا تختل ، ثم يطوى النصفين الى ربعين وتتكرر حركة التسوية ثم الى ثمنين وهكذا الى ان تتم الملزمة ٠٠

لم اكن رايت فى حياتى حركة سريعة مثل حركته ، كانما هو محرك قد انفلت عياره ، لو حدث لآلة المطبعة مثله لاسرع اليها صاحبها ليصلحها ، ويعيدها الى صوابها بعد جنون ، ولكن احدا لا يجرى الى هذا الصبى ويقول له استرح قليلا ٠ هكذا دابه من طلوع الشمس الى غروبها حتى ينتهى من الكوم كله فهذا هو شرط دفع الاجر ، فصاحب المطبعة احن على الآلة منه على صبى فى عمر الزهور ، هو فى اغلب الامر يتيم ٠

ما اعجب هذا الجهاز العصبي في جسم الانسان الذى يؤدى هـــذا الجهد بهذه السرعة المنتظمة بدقة واحكام ••

صبي السباك ، يسير وراء المعلم •• هو الذى يحمل الصندوق الممتلىء بالعدد والآلات ، ويجلس وراء المعلم •• فى بيت الزبون ليلبى له كل طلب لآلة يريدها ، فتدور يد الصبي في قعر الصندوق ، فاذا تأخرت لحظة واحدة ، انهال عليه السب والشتم ، وعليه كذلك ان يلزم الصمت ولا يوجه سـؤالا ليعرف أسرار الصنعة بل عليه أن يرى بعينيه وان يتعلم ••

صبي الحلاق •• هو الذى يمسح البـــلاط فور فتح الدكان ، ويكنس الشعر الساقط من رءوس الزبائن ، ويغسل الطست المشطوف له حافة بحجم دوران الرقبة •• فقد كانت العادة أن يغسل المعلم وجه الزبون بعد حلقه ••

ثم يعود الصبي الي الصنبور ليغسل وعاء صغيرا من المطاط به خليط من رغاوى الصابون وجذور شعر اللحية كأنه في لونه بلغم زجل مصـدور فاذا فرغ هذا الصبي ، عليه أن يقف كالصنم وراء الزبون وبيده منشة من القش الرفيع لينش بها الذباب ••

استمعت الي صوتها ذات مرة فخيل الى أن الصبي يتسلى بتوقيع نغمة موسيقية يتصور أنه يؤديها بحركة المنشة وخشخشتها في الهواء •

وكان ادعاهم الى الابتسام صبي « البسكلتاتي » ، فهو وحده الـذى اتسخت يداه كانما من مداد ، فعليه تصليح الجنزير ، ويستخرج الانبوبة المطاط ويضعها فى اناء به ماء ليكتشف اين الثقب ويعالجه ثم يعيـــده الى مكانه بحركة من أصابعه كانه يحشو باذنجان •• ثم ياتي دور نفخ هــــذا الانبوب بعمل من قدم هذا الصبي – انه يعمل بيديه ورجليه ، ولكن لعـله كان أسعد هؤلاء الصبية ، فهو مسموح له بالمجان أن يركب الدراجة – بدعوى انه يجربها ، وهو محـــاط في أغلب الامر بصـــبية في مثل سنه يستأجرون الدراجات فيكون بين الجميع عبث ومزاح •

رأيت بعيني كيف كان ينهال علي رءوسهم جميعا ما شاء لك التخير من السب والشتم والاهانة ، وربما من الضرب أيضا او جذب الاذن ••

واجارك الله يوم دفع الاجر من نقد معدني تدس القطعة في يد الصبي بقوة •• لست أدفع لك أجرا بل احسانا عسى أن تقدره فانت لا تستحقه ••

وكانت حلقة مفرغة حين يصبح هذا الصبي معلما فهو يعامل صبيه ربما بقسوة اشد •• هل هو انتقام مؤجل الدفع أم تسليم بحكمة كانت شائعة فى ذلك الوقت ان هذه القسوة هي لصالح هؤلاء الصبية ••

اختفي جيلهم والحمد لله فقد تغيرت الدنيا ••

وماتزال نظرتي اليوم مشدودة ولكز الى جنس آخر هم جيل حميـــر عربيات القمامة ، فانى لا أعرف صورة للبؤس والشقاء والضـــياع والمذلة مثلهم ••

بئس هذا المجتمع الذى يرضى بمثل هذه الصورة ••





العقاد
بين الكفر والإيمان

بقلم: محمد سيد كيلانى

١ ـ ان انتظام العالم لا يصلح ان يتخذ دليلا على حدوثه ، كما لا يصلح أن يتخذ دليلا على قدمه •

٢ ـ لا يمكننا أن نحكم على الشىء أنه متقن الا اذا وقفنا على الغاية منه ، فما هى اذن تلك الغاية التى تبين له انها مقصودة بخلق العالم ؟ وهل يعقل ان نحكم على شىء بانه محكم ، أى أنه يؤدى الغاية منه تمام الاداء من غير أن نعرف ما هى تلك الغاية ؟

٣ ـ الاحكام الشامل والتطابق التام اللذان لابد أن يشيرا الى القصد مفقودان من الكون » فأين هو ذلك الشىء الذى نراه ولا نود أن يصير

كان العقاد في مطلع حيـــاته ملحدا زنديقا ، يقول بالتعطيـــل وينكر النبوات . ولم ينفرد بهذه الصفات، بل شاركه فيها كثيرون ـ وكان محمد فريد وجدي يعطف على العقاد الذي كان يعـاني من الفقر وسوء الحال . وقد اصدر في ذلك الوقت الجزء السابع من دائرة معارفه وخصصه لاثبـات وجود الله . فانبرى العقاد للرد على وجدي وتسفيه آرائه . فمن ذلك قوله ؟.

اكمل مما هو ؟ فالاجرام السـماوية تتصادم في كل فترة فتتساقط في الفراغ ونواميس الطبيعة تثير نكباتهـــا وطوفاناتها وأوبئتها وحرائقها فتدمر ما عملت فيه نواميس أخرى مـلايين السنين . ولا يتلف ما بدأ في صـنعه الا من يعمل مضطرا في الحالتين .وهذا المكون ما كان في وقت مضي محكما حتى لا موضع فيه للخلل ، أو كامـلا حتى لا شائبة فيه للنقص . فهو يتـــدرج في الرقي فيسد نقصا قديما ويأخذ في تكمل جديد . ونحن نعلم العـــوامل التي تدفعه الى هذا الرقي ، فـكلها منه واليه فنظامه هذا البديع تـــد استفاده بذاته ، أي بعوامله ونواميسه من اختلاله ذاك . وما هذا النظـــام بأدل على الاعجاز من ذلك الاختـلال لانهما كلاهما أثر لتلك العـــوامل والنواميس القهرية . وما قال احـد ان الكون انتظم اليوم لان الله موجود ، وأنه كان مختلا الامس لانه لم يـكن موجودا ؟

٤ ـ ان العدم تصور فاســـد من تصورات الانسان ، فلا وجـــود الا للوجود ، ولا حقيقة الا له . فنحن لم نر عدما ولا يمكن أن نرى عدمـــا ، فمن أين لنا أن نتوهم غير الموجـود ، فلا مقتضى مطلقا لتصور الوجـــود منفصلا عن الازلية والابدية .

٥ ـ ان الالهيين هم المطـــالبون أولا بالاثبات لانهم هم المدعـــون ، ولا يطالب الملحدون لانهم منكرون ليس الا ، ولا يصح ان يطلب الدليل ممن ينكر قضية لم يقم على اثباتها دليـل

كان العقاد يحـرر في صـــحيفة الدستور لصاحبها محمد فريد وجدي. وكان من الطبيعي بعد ان كتب هـــذا المقال أن يطرده صاحب هذه الصحيفة فاصبح متشردا لا يجد ما يمســـك الرمق . فأراد أن يتصل بلطفي السيد رئيس تحرير « الجريدة » وكان هـذا

العقاد
بين الكفر والإيمان

ملحدا ، يأوى اليه الملحدون · واخـذ يتقرب اليه بكتابة المقالات الالحادية · مثال ذلك قوله :

الحر والخصب كلاهما طبعـــا
الشرقي على الكسل وقلة العمـــل ·
وكلا هذين من دابه ان يطلق للفـكر
عنان التصور والخيال ويغرى النفس
بالاسترسال في الاماني والامـــال
فالشرق من قديم الزمان مهد الاديـان
ومهبط وحي الوجدان · وليت شعرى
اذا لم تكن العقائد من نتاج الخيـال
فلماذا لا ينشا الا في الشرق امثـال
برهما ، وبوذا ، وكونفشيوس وزردشت
وموسى وعيسى ومحمد وسـواهم من
الانبياء وواضعي الاديان ؟

ويقول العقاد : لا اعلم لماذا يسوغ للرجل ان يستحوذ على اكثر من أربع نساء ولا يسوغ للمرأة ان تطمـع في اكثر من ربع رجل ان لم يكن اقل

ويقول في مقال اخـر : وبعـد أن كان ـ يعني الانسان ـ كله في قبضة ما وراء المادة ، اصبح للمـادة كله · وارتدت الدينيات من العقل الى زاوية ضيقة بعيدة عن مشاغل الحياة وعلائق الانسان بالانسـان ، ومن الارض الى بقاع مقصورة على المعابد والمساجد والبيع · وهـكذا انحسر الدين عن بقعة عادت مجال وفاق ووئام بعـد ان كانت ميدان نضال وخصام ·

وكان العقاد هو الـكاتب الوحيـد الذي وقف في مجلس النواب مدافعـا عن طه حسين وكتابه « في الشـعر الجاهلي » ·

وقد مرت الايام ، وتبدلت الاحـوال واصبح العقاد الكاتب الاول لحـزب الاغلبية الساحقة ، فترك التهجم على الدين بهذه الصراحة التي مرت بنا · ولما انشق على الوفد عانى الفقـر وحالفه البؤس والشقاء واصبح مؤمنا شديد الايمان ، مسلما متعصبا للاسلام من ذلك قوله « في بيتي » ص٦٠ العدد ٣٢ من سلسلة اقرأ ـ اغسطس ١٩٤٥ـ

قال صاحبي : وهل وصلت قط من فلسفة حياتك الى شيء ؟

قلت : نعم ، ان الله موجود

قال : باسم الفلسفة تتكلم الان أو باسم الدين ؟

قلت : باسم الفلسفة اتكلم الان · والفلسفة تعلمنا ان العدم معـدوم ، فالوجود موجود بلا أول ولا اخـر ، لانك لا تستطيع أن تقول : كان العـدم قبله او يكون العدم بعده · وموجـود بلا نقص لان النقص يعترى الوجـود من جانب عدم ، ولا عدم هنـاك · موجود بلا بداية ولا نهاية ولا نقـص ولا قصور · والوجود الكامل الامثـل هو الله ·

وهكذا انقلب العقاد من الالحاد وانكار وجود الله الى الايمان الراسخ بوجود الذات الالهية · واصبح كاتبا اسلاميا يشار اليه بالبنان ، ويقبل النـاس على اقتناء كتبه ومطالعتها ·

***

وكان العقاد الفقير المعـدم يواسى نفسه بمثل قوله :

لاتحسبن غنيـا في تنعمـه
قد يكثر المال مقرونا به الكدر
تصفو العيون اذ قلت مواردهـا
والماء عند ازدياد النيل يعتكر

وهذا الشعر أشبه بكلام الوعاظ فى خطب الجمعة وليس ممـــا يحرك الوجدان ويثير العواطف . وقــوله « قد يكثر » أضعفت المعنى بل زادتـه ضعفا وبرودا . وقوله « ازدياد النيل» فانه خصص النيل دون سائر الانهار، وهذا ضعيف ايضا .

***

كان طه حسين والعقاد قد بلغـــا منزلة رفيعة فى الادب ونالا شــهرة واسعة عن طريق الدراســات الادبية والمقالات السياسية التى امتـــازت بالعنف ومعارك النقد الادبى . وكان الشاب الذى يريد ان يظفر بما ظفر به هذان الفحلان ، فعليه أن يسلك سبيلهما ويخوض فيما خاضا فيه ولم يكن للقصة اى ذكر او اهتمام،بل كانت ضربا من العبث او التسلية فى اوقات الفراغ . وكانت القصص الرائجة فى السوق هى المعربة أو المترجمة .وقد ظل الحال كذلك حتى منتصف الثلاثينات حين نشــر توفيق الحكيم : مذكــرات نائب فى الارياف ، واهل الكهف وعودة الروح . وقد عرض لها طه حسين فى مقـــال طويل نوه فيه بموهبة توفيق الحكيم وقال انه فتح فتحا جديدا فى الادب . وكان هذا الحدث منبها للشبان الى ان الشهرة الادبية يمكن ان تنـال عن طريق كتابة القصص . فبدأ فى اواخر الثلاثينات نجيب محفوظ ينشر قصصا فى مجلة الرسالة والرواية . وتبعــه محمد عبد الحليم عبد الله . وبعد ان كان محمود تيمور يطبع قصصه ويوزعها هدايا على الاصدقاء والمعارف تشجع فبدأ يعرضها فى المكتبات . وقد لعبت الخيالة دورا عظيما فى جلب الشهرة لكل من نجيب محفوظ واحســـــان عبد القدوس .

عز على العقاد ان تسـطع هذه



طه حسين



النجوم وينتشر ضوؤها في الافاق بينما هو محصور في دائرة ضيقة هي دائرة الكتب ، وخاصة ان كتبه الاسلامية تهم المسلمين فقط ، في حين ان قصص هؤلاء النجوم يقرؤها الناس على اختلاف اديانهم واوطانهم . وقد ترجمت بعض هذه القصص الى عدة لغات اجنبية ووضعت عنهم دراسات مستفيضة . وعلاوة على ما تقدم فان اسلوب العقاد لم يكن من السهولة بحيث يفهمه الشبان .

أخذ العقاد يقلل من شان القصة ويقول ان خمسين صفحة من القصة لا تعطيك المحصول الذى يعطيك بيت كهذا البيت .

وتلفتت عينى فمنذ خفيت
عنى الطلول تلفت القلب

وهذا رأى خطأ من ناحيتين : الاولى انه اعتقد أن القصة ستدفع الشعر بعيدا لتحل محله . وهذا لم يحدث ولا يمكن أن يحدث . فللقصة وظيفة وللشعر وظيفة ، فكلاهما فن من فنون الادب . وهل اغنت المقامات - وهى قصص خيالية - عن الشعر ؟ ثم ان الانسان من قديم الزمن مغرم بسماع القصص والتأثر بها . فوضع القصص على السنة الحيوان والطير ، كما وضع السير الشعبية كسيرة الظاهر بيبرس وسيف بن ذى يزن ، وغيرهما وفى القرآن الكريم قصص الغرض منها العبرة والموعظة .

والناحية الاخرى ان الموضوع لا يتعلق بالمعانى وانما يتعلق بكيفية صياغتها وتوجيهها ، والقالب الذى

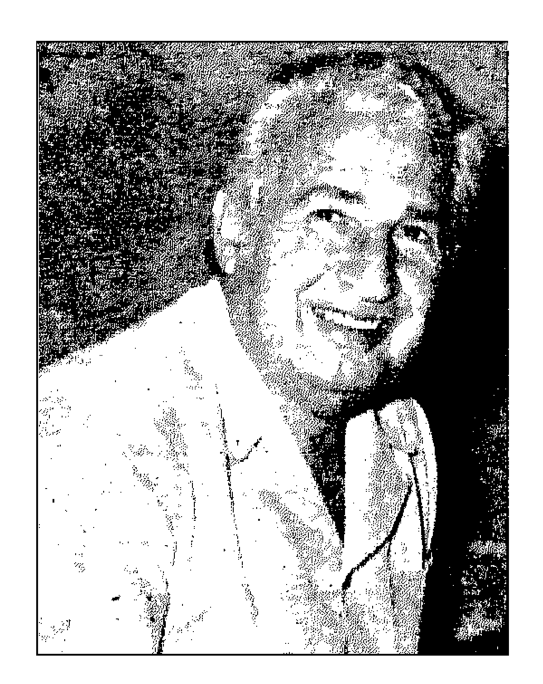


احمد شوقى

توضع فيه بحيث تكون مقبولة ومقنعة ونحن نعرف أن القصص هى التى مهدت للثورة الاشتراكية فى روسيا . وقد وجد علماء النفس والتربية أن خير وسيلة لتعليم الاطفال هى طريقة القصص .

ويقول العقاد ان القصة كالخرنوب الذى قال التركى عنه انه قنطار خشب ودرهم حلاوة . ولا يقف العقاد عند التقليل من شان القصة ، بل راح للجمهور الذى تروج عنده القصة دون غيرها من فنون الادب ، قال :

« ولا خلاف فى منزلة الطبقة التى تروج بينها القصة دون غيرها من فنون الادب سواء اذا نظرنا الى منزلة الفكر او منزلة الذوق ، او منزلة السن ، او منزلة الاخلاق فليس اشيع من ذوق القصة ولا اندر من ذوق الشعر والطرائف البليغة . وليس أسهل من تحصيل ذوق القصة ولا



احسان عبد القدوس



نجيب محفوظ

أصعب من تحصيل الذوق الشعرى الرفيع حتى بين النخبة من المثقفين • ويرى العقاد من اسباب انتشار القصة هى شيوع الدعوة الشيوعية بين طائفة من طلاب الهدم والانقلاب • وهذا خطأ أيضا ، لان خصوم الشيوعية اتخذوا القصة لعرض مساوىء الحكم الشيوعى •

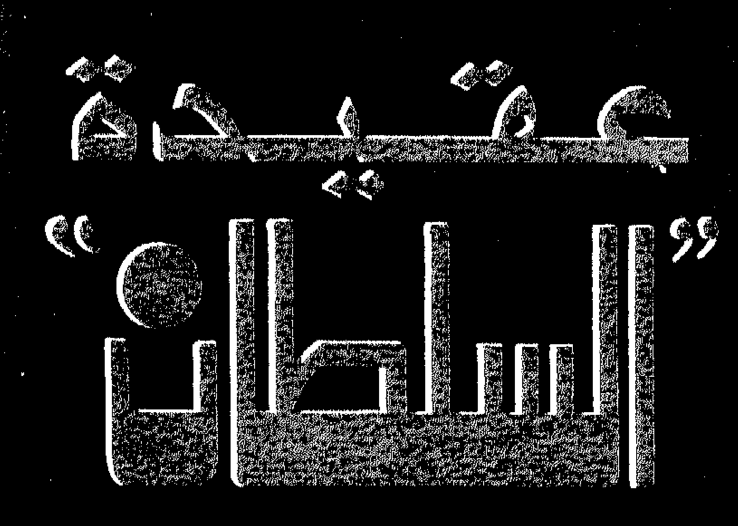
ومن شعر العقاد الذى نشر فى « الجريدة » بتاريخ ٢٦ ـ ٥ ـ ١٩١٠

قد اقبل الربيع
بنشره يضوع
ففاحت الزهور
وصاحت الطيور
حديثها تلحين
ولحنها شجون
سجية فطرية
وقدره سرية
ما ركبت مزمارا
او هذبت أوتارا

فهذا شعر لا اثر للعاطفة فيه وهو قريب الشبه من الفية ابن مالك فى النحو أو هو كموضوع تعبير يكتبه تلميذ مبتدىء • وأين هذا من قول احمد شوقى •

اذار اقبل قم بنا يا صاح
حى الربيع حديقة الافراح
واجمع نداماى الظرف تحت لوائه
وانشر بساحته بساط الراح
صفو اتيح فخذ لنفسك قسطها
فالصفو ليس على المدى بمتاح

فشوقى اندمج فى الطبيعة ونظر الى الربيع على انه حديقة فيها بهجة وسرور • وهو لا يريد أن ينفرد بهذه الحديقة ، بل يحب أن يشاركه فيها اخوانه ، وهم جالسون حول مائدة الخمر • وفى البيت من عوامل الاغراء مالا يخفى •



عند الانكشارية الجديدة

بقلم: عبد الرحمن شاكر

توقفت طويلا عند التشبيه او المقارنة التى عقدتها الكاتبة الامريكية « كلوديا رايت »، ما بين الامبراطورية العثمانية ، (والامبراطورية) الامريكية الجديدة ، فى « الشرق الاوسط » وذلك فى بحثها المنشور تحت عنوان « العذاب المتصاعد ـ الحرب فى لبنان والسياسة الامريكية » ، ونشرت ترجمة له كواحد من فصول كتاب « الاجتياح الاسرائيلى للبنان ـ ١٩٨٢ » والصادر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية .

تقول الكاتبة فى شرح « نظريتها » عن استمرار ذلك الوضع « الامبراطورى » فى المنطقة بعد سقوط الامبراطورية العثمانية ، وبالرغم من هذا السقوط :

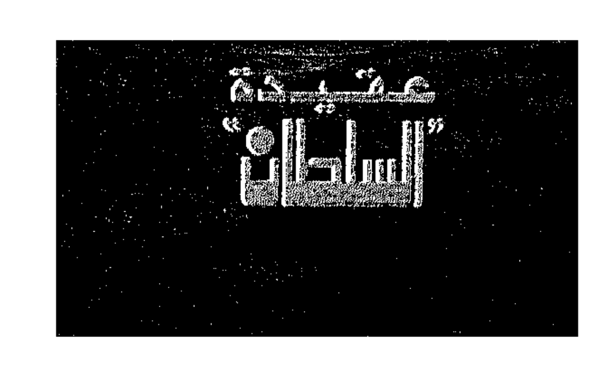
« لقد ساد الاعتقاد حتى الان أن الحربين العالميتين تمثلان العتبة التى دخلها العرب والشرق الاوسط ليصلوا الى عالمهم الحديث والتأجج بالنفط صحيح ان السلطة التركية قد انهارت ، ولكن عناصر الامبراطورية العثمانية وخطوطها على الارض ومناطق نفوذها وأساليب حكمها قد تبنتها دول اوربا المتحالفة والولايات المتحدة ، وحافظت عليها كأنها غنائم حرب » •

ولا تعتبر الكاتبة ، التى تعمل فى بلادها مراسلة بمجلة « نيوستيتسمان » البريطانية ، أن الثورات العربية كانت العامل الحاسم ، فى التخلص من الوضع الامبراطورى ، للدخول فى بديل له ، بل الاسباب تتعلق بمركز الحكم الامبراطورى ذاته ،تقول:

« ولكن الاطار العثماني لحكم العرب ظل قائما ، فالامبراطورية نفسها اصابها الوهن ، لا لان الدول من مواليها ثارت عليها، ولم يكن في استطاعة الجيش التركي حينئذ ان ينتصر على الثورات بسبب انتشاره الواسع بل لان عاصمة الامبراطورية ، استنبول ، انهارت ، أما محاولات بريطانيا وفرنسا للحفاظ علي اسهمها فى الامبراطورية العثمانية ، فقد أخفقت هى الاخرى وللسبب ذاته ، اى للضعف السياسى وانهيار الارادة السياسية فى العاصمة ، لا بسبب الفشل فى اخماد الثورات • لذا فان ثمن الحفاظ على الامبراطورية اصبح فى كلا الحالتين أكبر مما تستحق • ثم تمضى قائلة :

« وقد ورثت الولايات المتحدة مهمة حماية مناطق النفوذ الانجلو ـ فرنسية فى الشرق الاوسط ، كما ورثت تلك الدول من الموالى، التى اعطيت استقلالا اسميا ضمن ذلك الاطار ، وبعد التكتم الذى كانت ادارة ترومان وادارة ايزنهاور الاولى قد اظهرتاه حيال التدخل المباشر فى المصالح البريطانية او الفرنسية ، بدأت الحمية الامريكية تتسع الى ان قاربت سعة السلطة العثمانية التاريخية فى المنطقة •

« وقد كانت هناك بعض الثغرات تمثلت فى قيام ثورات وطنية ناجحة (غير مرغوب فيها وغير منظورة لدى الامريكيين) فى مصر والعراق والجزائر وليبيا • وعمد الامريكيون حيثما استطاعوا الى المؤامرات للاطاحة باعدائهم فى تلك الدول ، وللاتيان بانظمة عميلة من شأنها ان تدفع ثمرة الوصاية الامريكية • وفى الخمسينات والستينات كانت سورية ولبنان مثالا لجهود واشنطون الحثيثة من أجل فرض ارادتها ، ففى عملية « الخفاش الازرق » ، أى عملية التدخل العسكرى فى بيروت فى يوليو ١٩٥٨ ، اكدت الولايات المتحدة لاول مرة عزمها على استعمال القوة العسكرية بشكل



مباشر لنيل اهدافها السياسية فى بلد عربيمهدد بثورة وطنية»

وبعد مقارنة تلك العملية . باجتياح اسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ ، تقول الكاتبة : « وبصفة الولايات المتحدة وريثة للامبراطورية العثمانية فان لها مزية مهمة تتميز بها عن الاتراك والبريطانيين والفرنسيين فهى لم تضطر قط الى ارسال قوات للتدخل او حاميات محلية لحماية حدود الدول التابعة لها او للحفاظ عليها من اعدائها من الداخل ، وكان التدخل الاميركى فى لبنان سنة ١٩٥٨ تكتيكا استثنائيا ولا يمثل القاعدة فى السياسة ·· الى ان تقول ·· وعوضا عن انشاء حاميات أجنبية ، استطاعت الولايات المتحدة ان تعتمد على قوة الردع السريع اى على الاستفادة من قوات الانتشار السريع تتدخل من مسافة بعيدة ، وعلى اسرائيل · ومن خلال اسرائيل اصبحت مصر وسوريا ، اللتان كانتا اكثر الدول العربية تهديدا للمصالح الاميركية خلال ربع قرن ، مقيديتين هادئتين ومن خلال اسرائيل اصبحت امكانات العراق العسكرية عرضة للهجوم السهل ، والتهديد بالقوة الاسرائيلية ضد الاردن عسكريا ، كما قيد ارادة باقى الدول العربية وامكاناتها وقدرتها على التدخل فى الصراعات الاقليمية التى تهدد المصالح الامريكية او الاسرائيلية او تهدد الاطار العام للمحمية الامريكية » ·

وتصل الكاتبة الامريكية الى ذروة تحليلها او نظريتها لتنتقل منها الى طرح المشكلة من وجهة نظر المصالح الامريكية فتقول :

« ومن خلال هذا المنظار من المفيد لنا ان نعتبر اسرائيل بمثابة الانكشارية فى امبراطورية اميركا العثمانية، فهى مكلفة بالنسبة الى استنزاف المعونة الامريكية ، لكنها رخيصةبالنسبة الى دورها فى تفادى الضرورة التى قد تنشأ فتجبر الولايات المتحدة على الحفاظ على مصالحها من خلالحامياتها الخاصة بها فى المنطقة ·· وكما اشرنا أعلاه ، فان المشكلة الوحيدة فى مثل هذا الاطار للسيطرة على الشرق الاوسط تكمن فى ان الاعتماد الزائد على السلاح الاسرائيلى قد يربك علاقات اميركا بالدول العربية التابعة· وحتى الان فان الحل ـ اى تثبيت قوة ردع اميركية مركزها تركيا تحصل على امداداتها من منشات فى كل الدول التابعة ـ يبعث على الارتياح والاطمئنان »

● تركيا مرة اخرى؟! ●

ان الكاتبة فى تلك الفقرة الاخيرة لم تكتف بتشبيه موقف اسرائيل فى المنطقة بالنسبة للولايات المتحدة

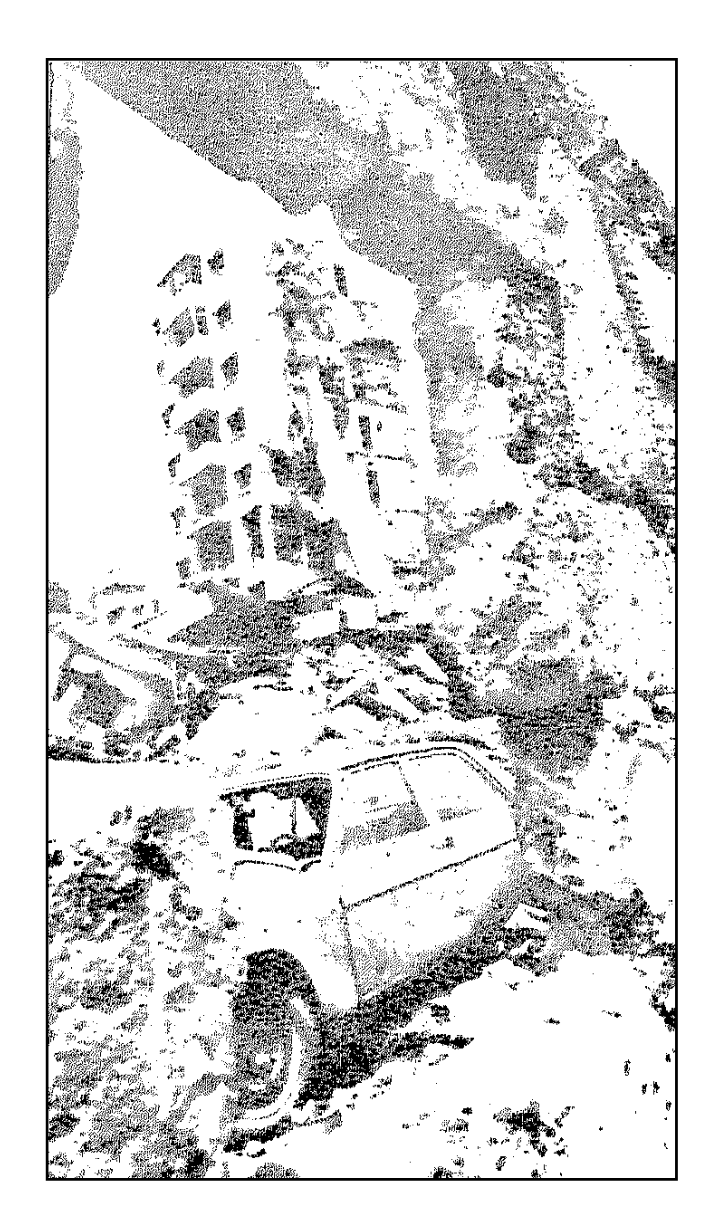
بالانكشاريةبالنسبة للامبراطورية العثمانية الغاربة ، بل ترى أن الحل بالنسبة لمشاكل تلك الانكشارية الجديدة هو وجود قوة ردع اميركية موقعها هو نفس موقع الجيوش «الاصلية» للامبراطورية العثمانية ، وهو تركيا ذاتها ! الى هذا الحد قادتها المقارنة !

على ان التشبيه الذى استخدمته الكاتبة الامريكية صحيح فى جوهره الى حد كبير ، ولعل اقتران عملية الغارة الاسرائيلية الاخيرة على تونس ، مستندة الى المساندة الامريكية من الاسطول السادس ، بعملية اختطاف الطائرة المدنية المصرية المقلة للفلسطينيين بواسطة سلاح الجو التابع للاسطول ذاته ، يعطى صورة جلية للعلاقة بين القوات التابعة (الانكشارية) والقوات « الاصلية » للجيوش « الامبراطورية » !

تبقى بعد ذلك أوجه الخلاف بين طرفي المقارنة وهما الانكشارية القديمة والانكشارية الجديدة ، لتفعل فعلها فى مصير كل من القوتين ، وامكانية اعتماد الدولة الامبراطورية المعنية عليها ، وذلك لان الانحلال السريع فى حاضرة الامبراطورية الجديدة وهى الولايات المتحدة، على نحو ما حدث للامبراطورية العثمانية لا يبدو على الافق منتظرا فى المدى القريب ٠

أول أوجه الخلاف هذه وأوضحها هو مسألة العقيدة ، بالمعنى الدينى والسياسى لهما على السواء ٠

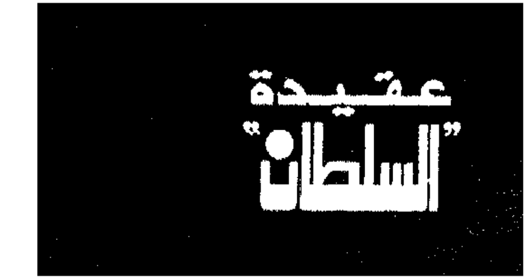
ومن المعروف ان الانكشارية



لقطة لاجتياح اسرائيل لبيروت

القديمة (العثمانية) التى كانت تعتمد عليها« الدولة العلية»فى تدعيم سلطانها فى البلاد التابعة لها ، ومنها مصر ، كان افرادها من أبناء بلاد اخرى تابعة لها فى البلقان ، تعتنق المسيحية فى معظمها ، وكان افراد الانكشارية يتم خطفهم من بلادهم وهم صغار وينقلون الى اسطنبول ، حيث يتم تربيتهم من جديد ، على أساس اعتناق





الدين الاسلامى ، والولاء العثمانى الذى كانوا ينظرون اليه باعتباره ابا لهم ، يتلقون العلوم العسكرية ليصبحوا قوة ضارية لا تدين بالولاء لشىء او لاحد الا للسلطان العثمانى ذاته ، ربما اكثر من الاسلام الذى يفرض عليهم اعتناقه ! »

كانت تلك «العقيدة القتالية» عند الانكشارية القديمة ، مزيجا من الاعتقاد الدينى والسياسى ، الغلبة فيها للوجه الاخير منها، وكانت غربتهم فى كل شىء الا فيما يتعلق بالدين ، عن البلاد التى يكلفون بالعمل فيها ، هى اساس الاعتماد عليهم كحامية موالية للجالس على عرش الامبراطورية •

اما الانكشارية الجديدة فان « عقيدة السلطان » هذه تختلف عن سابقتها فى امور كثيرة ، ولكن الدين اصل فيها لا مفر منه :

● فعناصر الانكشارية الجديدة هم من اليهود الذين جندتهم الحركة الصهيونية للاستيلاء على فلسطين ، اى ان المعتقد الدينى هو اساس تجمعهم ، ولكن هذا المعتقد لا يتفق والعقيدة السائدة فى المنطقة التى جاءوا اليها ، مما يمثل نقطة ضعف فيهم لم تعرفها الانكشارية القديمة ، كما يختلف عن العقيدة السائدة فى حاضرة الامبراطورية , التى تستخدمهم ذاتها •

● وعلى هذا فان « عقيدة السلطان » عندهم ، تاخذ تحويرا جديدا ، هى ايمانهم بالتفوق التكنولوجي الهائل للولايات المتحدة الامريكية التى تمدهم بالسلاح وكل شىء تقريبا، وبامكان الاعتماد عليهما الى مدى طويل ، وجزء من هذا المعتقد السياسى الايمان بان ما حدث للهنود الحمر على يد الامريكيين يمكن ان يحدث للعرب او فريق منهم على الاقل، لولا ان المدد البشرى اليهودى لقوى « الانكشارية » الجديدة لا يكفى للحلول محل كل العرب او المطلوب القضاء عليهم منهم ممايجعل فريقامن عقلائهميحاول التشوف الى مستقبل يسوده التعايش السلمى مع العرب بدلا من القهر او الاعتماد على القهر بمفرده •

ونعود الى « صاحبتنا » ـ كلوديا رايت لنطالع بنوءاتها بالنسبة لمستقبل الامبراطورية الامريكية فى المنطقة العربية ، لنراها تقول :

« اذا استمرت الولايات المتحدة فى المجازفة فى مصالحها بالشرق الاوسط بواسطة شبكة من الحماية للانظمة العربية التابعة ، حيث تقوم القوات الاسرائيلية وجيش التدخل الامريكى بدور الشرطى ، فان الحرب فى لبنان هى ايضا مؤشر للتحالف الذى قد يبرز من أجل التصدى لذلك • وفى




هارى ترومان


ايزنهاور


سيمون بيريز

المستقبل فان المعارضة لامريكا في المنطقة سوف تاتي من جانب الطبقات الاجتماعية السفلى في الدول التابعة ، ومن الفقراء والمشردين في الامبراطورية ، ومن الطبقات المثقفة الشابة التي لا نفوذ لها ، ومن الاقليات العرقية والدينية من الشيعة والبربر والفلسطينيين ، ومن ايران . ان التحالف العثماني القديم ـ اى تحالف النخبة الحاكمة من مسلمي السنة والموارنة في لبنان ، والصهيونيون ، وتركيا والغرب لا يمكن مقاومته بعد الان بتحالف مبنى على القومية العربية بل عبر تحالف بين قوى مناهضة الامبريالية ، والتحرر الوطني والاصولية الاسلامية » .

وتستدرك الكاتبة على هذه الصورة التي استوحتها مباشرة من الاوضاع اللبنانية فتقول : « ان الحرب في لبنان توحي بانه على الرغم من أن الوحدة العربية لا تؤدى الى سيادة قومية حقيقية ، فهناك بعض القوى الاخرى التي هي الان في قيد النشوء والتي في امكانها أن تنجح في ذلك المسعى » .

ولست أدرى ما الذى تقصده الكاتبة بالعبارة الاولى من تلك الفقرة ؟ وهل قامت الوحدة العربية لنرى اذا ماكانت تؤدى الى سيادة قومية حقيقية ام لا ؟ على ان المنطق يقول انه لاسيادة حقيقية للعرب في بلادهم الا على طريق الوحدة ، على شريطة ان تكون وحدة ديمقراطية يشعر الجميع في ظلها بالمساواة والامن ، ذلك اذا ما اراد العرب الا يكونوا ، والى أبد الابدين ، دولا تابعة تتلقفهم هذه الامبراطورية لتسلمهم الى تلك .

ولعل ذلك هو اول ما ينبغي ان تعيه « القوى الاخرى » التي اشارت اليها الكاتبة الامريكيه ووصفها بأنها في « طريقة النشوء » ، وان في امكانهـ ان تنجح في مسعاها ..

ولست أرى تلك القوى الا في أجيال عربية شابة تعي ماضيها وحاضرها ، وتامل في ان يكون لها مستقبل ..!



الدولة العثمانية

دولة مفترى عليها

بقلم: فتحي رضوان

● نجح الغرب في القاء فكرة او عقيدة في نفس وعقل العرب والمسلمين وعدد ضخم من الشرقيين مؤداها ان دولة بني عثمان التي استمرت تحكم مساحة واسعة في آسيا واوربا وافريقيا، قرونا عديدة وبنجاح سياسي وعسكري متصل الحلقات، متعددة المراحل، والتي تركت اينما ذهبت، عواصم زاهرة متالقة، تزينها مساجد وتكايا واسبلة وقصور وجسور وشوارع وميادين ومكتبات وتكنات وآثار حية في لغة الاقوام التي تحكمهم سواء كانت لغة الحياة اليومية اى لغة المأكل والمشرب والملبس، وركوب الجياد، أو لغة الفكر والادب .. هذه الدولة بكل جلالها وهيبتها وضخامتها واتساع مداها، كانت عورة في تاريخ الاسلام والعرب، والتمدين الانساني، والحضارة البشرية، وان حكمها كان ظلما وعسفا، ومحاربة للعلم، ووأدا للفكر، وقد صعب على المصريين والعرب بعد ذلك أن يراجعوا انفسهم في هذا الحكم الظالم، وان يلتمسوا المعرفة الحقيقية في نطاق التاريخ الحديث الذى سطرت صفحاته، ونسقت بفصوله اقلام مؤرخين اجانب ينتمون الى الغرب، ويؤمنون بالمسيحية، ويطوون صدورهم في الاغلب الاعم، على كراهية شديدة للاسلام والمسلمين، الا عن تعصب لدينهم، بل ولكثرة ما سمعوا من القدح والذم، في تركيا وحكامها، وأساليب دولتها، ومناهج قادتها ٠

ولو تنبه هؤلاء المساكين والمضلل بهم، أن تركيا منذ عبرت جيوشها من الاناضول سنة ١٣٥٦ على عهد السلطان ادرخان ثاني السلاطين العثمانيين، استمرت تحكم وتتوسع في

الفتح حتى بلغت فى اوربا مشارق النمسا ، كما اتسع ملكها فى آسيا وافريقيا ، واستمرت متماسكة ، سلطانها باذخ ، وامرها نافذ ، وقوتها متصاعدة حتى افل نجمها فى نوفمبر سنة ١٩١٩ ، اى بعد ستة قرون متصلة العمر الذى لم تبلغه دولة آخرى لا فى القديم ولا الحديث ، وانها حين امال عليها الزمان فى الحرب العالمية الاولى التى بدات فى اغسطس سنة ١٩١٤ ، كانت دولة ذات شان تعتبر قوة عسكرية وسياسية ، يحسب لها فى السياسة الدولية كل حساب ، ولو احسن قادتها التدبير ، وآثروا الحياة على التحام حلبة الحرب فى صف المانيا والنمسا ، ضد انجلترا وفرنسا ، لعاشت زمنا آخر وربما لحافظت على وجودها فى آسيا وافريقيا ٠

ولقد تنبه عدد من علماء التاريخ العربى الى ما فى حملة اوربا وامريكا، من التجنى على الدولة العثمانية ، وما خالط احكام ساستهم وعلمائهم ، من التحيز والميل مع الهوى ، فانبروا يروون عليهم اغلاطهم باسلوب علمي قائم على الوثيقة التاريخية ، والواقعة الثابتة ، والحقائق غير المنكورة ، ومن هؤلاء الاستاذ الدكتور عبد العزيز محمد الشناوى الذى وضع موسوعة



السلطان عبد الحميد الثاني





تاريخية من ثلاثة أجزاء أهـــدى الى اثنين منها ٠

قال الدكتور الشـــناوى فى مقدمة الجزء الاول من موسوعته العظيمة :

« وعلى مبلغ علمى لم تتعـــرض دولة فى العالم لمثل ما تعرضت له هذه الدولة من حمـــلات عنيفة ضـــارية استهدفت التشهير بها والنيل منهـــا ، وقامت بهذه الحمـــلات المكثفة قوتان عالميتان عاتيتان همـــا الاســـتعمار الاوربى والصـــهيونية واتخذت هذه وتلك من المؤلفات التاريخية والبحوث (العلمية) والتصريحات الرسـمية ، ومن مجموعات الوثائق التى نشرتها بعض الحكومات الاوربية مجالا رحيبا لاذاعة ماراق لها أن تنشره عن الدولة تحاملا عليها وقد رد بعض المؤرخين والباحثين العرب عن جهالة وتجاهل أو حقـد تلك الاراء الخاطئة والظالمة معهم فى مؤلفاتهم واستقرت فى اذهان الاجيـــال المتعاقبة من رجال الفكـــر العربى والاسلامى صور حالكة الظلام عن الدولة العثمانية ، واقترن ذكرها فى افئدتهم بمظالم ومحن تكدست على رعاياها من استغلالهم بتقرير ضرائب تعســفية وجغرافية عليهـــم ، ومن مصـــادرة اموالهم واراضـــيهم ومحـــاصيلهم ٠ وماشيتهم ، واجراء مذابح عامة ، وعن عزلة عن العالم فرضتها الدولة على ولاياتها العـــربية بوجه خاص ، وهى خدمات يجب أن تذكر لها وتشكر عليها ٠

وتناسوا ايضا ان الدولة العثمانية واجهت اخطارا دولية جســـيمة كانت تهدد العالم العربى بافدح الاخطـــار وكان من بينها وصول البرتغاليين الى البحار الشرقية ، وتســـللهم الى شرق الجـــزيرة العربية واستيلاؤهم على مواقع عسكرية هامة ، ومحـــاولاتهم دخول البحر الاحمر من منفذه الجنوبى للاستيلاء على جده والزحف منها على مكة المكرمة ، لهدم الكعبة الشريفة ثم موالاة الزحف على المدينة المنورة ، لنبش قبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه ٠ وكان الغزو البرتغالى الشرقى الجـــزيرة العربية هو أول غزو اوربى عسكرى صليبى فى التاريخ الحـــديث لاقاليم ٠

وانتقل المؤرخ الكبير الى جـــانب اخر من تاريخ الدولة العثمانية كان يعتبـــر عند أهل أوربا ، الجـــريمة الكبرى ، من جرائم الدولة العثمانية، واعنى ؟ فتوحـــاتها فى تلك القارة ، وهو رد فعل طبيعى لاهل كل دولة او قارة او للمؤمنين باى دين ٠ فـــان تقتحم عليهم معبدهم ، وان يحـــكمهم اقوام لا يؤمنون بعقيدتهم ، فذلك هو اعظم البلاء ٠

قال الدكتور الشناوى :

« لقد عاشت الدولة العثمانية اكثر من ستة قرون واجتاحت جيوشـــها الاســـلامية العثمانية اقاليم شاســـعة فى جنوب شرق اوربا ووسطها ، وهى اقـــاليم لم تخضـــع قط من قبل لحاكم مســـلم ٠ واحرزت باسم الاســـلام انتصارات خاطفة وباهرة وتساقطت فى ايديها دول اوربية عديدة ، وامتلأت قلوب الحكومات والشـــعوب الاوربية

فزعا وهلعا من هذه الدولة الاسلامية الطارئة عليها فى عقر دارها •

واحب بعد هذه الاقتباسات الطويلة ان انقل ثلاث فقرات من كتـــاب دولة مفترى عليها :

الفقرة الاولى تقول :

ويلاحـــظ ان العثمانيين اعتنقـوا الاسلام عقيدة رســـمية لهم ، وكان العثمانيون ينظرون الى انفســهم على انهم مســـلمون قبل كل شىء • فكان ولاؤهم يتجه الى الدين الاسلامي أولا ثم الى الســـلطان ثانيا الى الدولـــة ثالثا •

الفقرة الثانية :

نظر الاوربيون الى الفتوح العثمانية في أوربا على انهـا فتوح اسلامية ـ وقد اعتزم محمد ابو الفتوح (او محمد الفاتح) ان يتخذ من اوترانت قاعـدة يزحف منهـــا شمالا فى شبه جـزيرة ايطاليا حتى يصل الى روما واقســم ليقدمن الطعام بيديه الى حصانه وهو واقف على مذبح الكنيسة البابوية • ولكن عاجلته المنية فى اليوم التالي من شهر مايو عام ١٤٨١ وتنفست اوربا الصـــعداء حين علمت بوفاته ، وامر البابا أن تقام صلاة شكر ثلاثة ايام •

والشق الثاني من الفقرة :



« ومما هو جدير بالذكر ان ريتشارد نولر مؤرخ عصر الملكـــة اليزابيث فى انجلترا (١٥٥٨ ـ ١٦٠٣) وصـف الشعور الاوربى العام باتجاه الحروب التى خاضـــتها الدولة العثمانية ضد أوربا فكتب هذه الجملة المعبرة « ان الامبراطورية العثمـــانية هى مصدر الرعب فى العالم » •

ومع ذلك فان العثمانيين لم يزجوا بانفســـهم فى الصراع الدموى الذى نشب بين الكاثوليك والبروتســـتانت ولذلك كانت الدولة العثمـــانية ملاذا تستهوى افئدة المضطهدين والمعذبين فى الارض الاوربية يلتمسون فى رحابها الامن والملاذ والتســـامح • وقد كتب مارتن لوثر فى كتيب نشره فى عـــام ١٥٤١ • أن الفقراء المسيحيين الذين

مصطفى كامل



للمناقشة

يظلمهم الامراء الجشعون واصحاب الاراضى يفضلون ان يعيشوا تحت حكم الاتراك ولا يعيشوا فى كنف حكام مسيحيين يمارسون اساليب ظالمة فى حكم الفقراء ٠

بعد هذه الحقائق التاريخية التى تحدد اصول المناقشة فى موضوع الدولة العثمانية ٠
يتضح الآتى :

اولا : تركيا دولة عظمى بمعايير القرن السادس عشر وما بعده وقد اتسع ملكها وترامت آفاقه بالاساليب التى كانت متبعة في ذلك العهد لم تزد ، وربما لم تنقص وان كانت قد تحملت بما تقضى به قواعد الاسلام من رعاية اهل الذمة ، وهم غير المسلمين الخاضعين للحكم الاسلامى والذى نهى الاسلام عن الاساءة اليهم، او قهرهم على دخول الاسلام او ترك دينهم ٠ وقد أورد مصطفى كامل فى كتابه الشهير (المسالة الشرقية) ان بعض مستشارى سلاطين بنى عثمان زين لهم اغراء او حمل الاقليات المسيحية فى شرق اوربا ولكن شيوخ الاسلام نهوا السلاطين عن ذلك ، وكان من الممكن انذاك اخراج الاقليات من ملتهم ، فالظروف الدولية فى تلك الايام كانت تسمح باشياء من هذا القبيل بسبب النزاع الدولى والحروب الدينية بين المسيحيين بعضهم البعض ٠ وهى الحروب التى استبيحت فيها ارواح الابرياء، واعراض النساء ، واستعملت فيها ضروب من العنف عف عنها الفاتحون المسلمون وحتى الجنود الصغار ، لفرط تشديد القادة المسلمين على اتباعهم بوجوب رعاية حرمات غير المسلمين مالا وعرضا وعقيدة ٠

ثانيا : ان الحكم التركى فى كل ممتلكات السلطان العثمانى لم يكن اسوا من حكم ملوك وامراء اوربا فى تلك الفترة ، بل ان حكم هؤلاء كان امعن فى الظلم ، وابعد فى الاساءة الى الشعوب ، وكان حكامهم جهالا ، ولم تكن تربطهم عقيدة تامر بالعدل والاحسان كما كان يامر الاسلام ملوك بنى عثمان ٠

ثالثا : ان الشكاوى التى لاتزال عالقة باذهاننا وخاصة لاسماعنا عن الحكم العثمانى ، هى شكاوى العرب بصفة خاصة ففى فترة افول الحكم العثمانى ، وهى فترة سيئة فى ظل كل دولة ولا يمكن أن تحاسب عليها تركيا، ولا ان نعتبر مقياسا للحكم على كل الحكم العثمانى ٠ وحسب تركيا شرفا انها وهى تكاد تلفظ انفاسها الزمت سلطانها السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٩ ٠ وحسب السلطان عبد الحميد الذى اسىء اليه بفعل الدعاية الاستعمارية والصهيونية انه رفض ان يأذن بوطن صهيونى على ارض فلسطين وبقى مصرا على هذا الرفض حتى تم عزله ثم موته ٠

هذه هى تركيا الحقيقية ، التى لا نزعم ان الله براها من كل عيب ، ولكنا جهلنا تاريخها ، واسلمنا انفسنا لتقولات خصوم تاريخنا . فتجنينا عليها ٠

ابتسامات

● مثالية ●

● قال احد الكتاب : عنـــدما كنت شابا قررت الا اتزوج الا من المـــراة المثالية وقد وجدتها بعد اعوام ، ولكنها كانت تبحث هى الاخرى عن : رجـــل مثالى .

● عثرت الزوجة على دفتر حسابات قديم كان زوجها يسجل فيه مصـــاريفه ووجدت فى السنة التى تزوجا فيها بندا تحت عنوان مصاريف لن تتكـــرر عبارة « شهر عسل واحد » !

● منظر بالغ الروعة ! ●

● كان الدليل السويسرى يصطحب احد السياح الامريكيين فى تسلق بعـض الجبال ، عندما قال له : كن حريصا جدا ، لكى لا تسقط فى هذا المكان . ولكن اذا سقطت تطلع الى يمينك ، فان المنظر هناك ، بالغ الروعة !

● تضايق الاخ الاكبر من سلوك اخيه الصغير ، الذى اسرع باخـــذ السمكة الكبرى من الطبق الموضوع على المائدة وترك فيه السمكة الصغرى ، فقال له ! لو كنت مكانك لاخذت السمكة الصغرى فرد الصغير : اعـــرف ذلك ، ولذلك تركتها لك ..

● قال المدير لسكرتيرته : ماذا قالت لك زوجتى عندما انبأتها باننى ساتاخر هذا المساء ؟

ـ قالت « هل استطيع ان اعتمد على ذلك ؟! »

● سراج جديد ●

● فقد رجل زوجته المحبوبة فنقش على قبرها هذه الكلمات : « لقد انطفأ سراج حياتى » وبعد بضعة اعوام تزوج الرجل مرة اخرى فسأل القس :

ـ اليس من الاوفق ان امحو هـــذه العبارة عن قبر زوجتى الاولى ؟

وكان القس رجلا لبقا فاجاب : كلا حسبك ان تضيف هذه العبارة « ولكنى اضأت سراجا جديدا »

● اخلاص ! ●

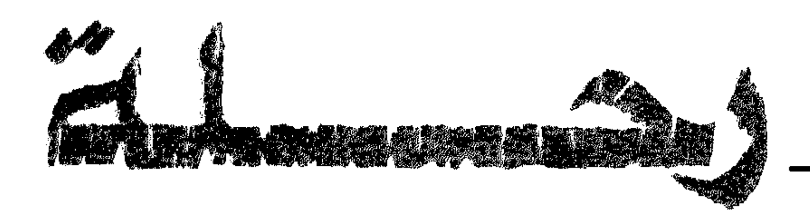
● اراد احدهم بيع كلبه فسـاله المشترى : « هل هو مخلص ؟! »

فاجاب : مخلص جدا . لقـــد بعتــه ١٠ مرات من قبل وهو يعود الى ثانية !

● نصيحة ●

● سالت فتاة تهوى السينما ، احد النجوم الكبار فى هوليود عن نصـــيحة يسديها لها ، لكى تشتهر ، فقال لها : غيرى تصفيفة شـــعرك ، وتعلمى كيف تسيرين جدا ، واشترى فستانا مثيرا ، وسوف تجدين نفسك فجأة متزوجة ، ولديك ستة اطفال ، وتنسين كل شىء من هذا .. الهراء .





رحلة العائلة المقدسة في مصر

بقلم: البابا شنودة الثالث

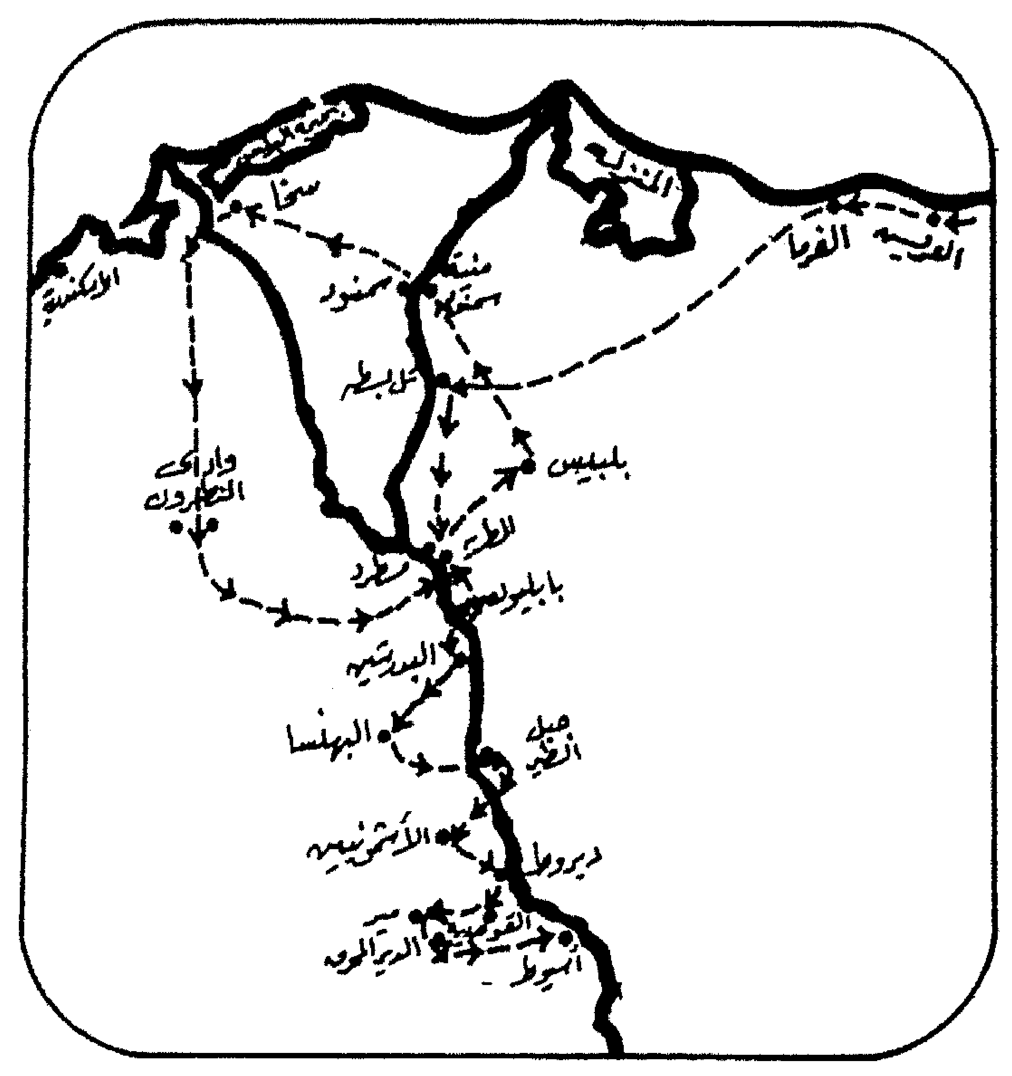
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

عاش السيد المسيح فى فلسطين ، لم يغادرها الى أى اقليم آخر . والاقليم الوحيد الذى انتقل إليه ، غير أرض موطنه ، هو مصر . أتى إليها فى طفولته ، مع السيدة العذراء مريم والدته ، ومعهما يوسف النجار .



كان السبب هو أن جماعة من المجوس ، أتوا من المشرق إلى اورشليم « القدس » بعد مولد السيد المسيح بقليل . وقالوا « أين هو المولود ملك اليهود ، فإننا رأينا نجمه فى المشرق ، وأتينا لنسجد له » فخاف هيرودس الملك ، وحسب هذا المولود منافساً له . ولما لم يستدل عليه ، أمر بقتل جميع أطفال بيت لحم ، البلدة التى ولد فيها المسيح ، لعله يكون ضمن هؤلاء المقتولين . وهكذا انتقلت العائلة المقدسة كلها إلى مصر ، بناء على رؤيا مقدسة وأمر إلهى .

اتوا إلى مصر من الشرق طبعاً ، مارين على العريش والفرما . ولم يسيروا فى خط واحد يمكن تتبعه . ولم يستقروا فى مدينة واحدة . وكانت المدن الكبيرة التى مروا بها حوالى عشرين مدينة أو منطقة ، غير القرى العديدة التى فى الطريق ... كما كانوا



● خريطة تبين خط سير الرحلة ، بدءا من فلسطين حيث ولد السيد المسيح في « بيت لحم » حتى اسيوط بصعيد مصر

يعبرون النهر الى الشرق احيانا . والى الغرب احياناً أخرى .

ونستميح القارىء عذراً ـ من أجل تسهيل الموضوع عليه ـ أن نذكر كل تلك الأماكن بأسمائها الحالية على قدر الامكان ، حتى لايرتبك فى أسماء كثيرة لايعرفها ، وغير موجودة على الخرائط الحالية . إننا لانريد لهذا المقال أن يكون موضوعاً علمياً بحتاً ، إنما نريده مبسطا على قدر الامكان .

رحلة العائلة المقدسة شملت مناطق فى الوجه البحرى ، وأخرى فى الوجه القبلى ، أقصى ما وطأته تلك الأقدام المقدسة فى شمال مصر ، كان العريش شرقاً ، ومدينة سخا غرباً (من محافظة كفر الشيخ) . وأقصى ماوصلوا إليه جنوباً كان محافظة اسيوط (جبل قسقام ، وربما جبل أسيوط أيضاً) .

وهكذا تقدست كثير من بلاد مصر ، بزيارة السيد المسيح والسيدة العذراء

رحلة العائلة المقدسة فى مصر

عرض : سعيد عبد الحميد

● مقصورة بكنيسة العذراء بسمنود ، تحوى رفات الشهيد ابانوب ومعه رفات ثمانية الاف شهيد

مريم . وورد فى سفر إشعياء النبى قول الرب « مبارك شعبى مصر » (أش ١٩ : ٢٥) . وكذلك نبوءة فى نفس الفصل عن عبادة الله فى مصر « ويعرف المصريون الرب فى ذلك اليوم » (اش ١٩ : ٢١) . وتحققت نبوءة فى سفر هوشع النبى ، عن رجوع السيد المسيح من مصر . وهى « من مصر دعوت ابنى » (هو ١١ : ١) (متى ٢ : ١٥) .

استمرت رحلة العائلة المقدسة فى صر حوالى ٤ سنوات من سنة ٢ م الى ٠ م تقريبا ، الى ان مات هيرودس لملك ، وحكم بدلا منه ارخيلاوس .

وفى بعض المدن قضت العائلة اسبوعاً ، أو بضعة أيام . وفى مدن آخرى شهراً أو آكثر . وكانت أطول مدة هى فى جبل قسقام ، حيث بنى فى قربه الدير المحرق على اسم السيدة العذراء فيما بعد ...

ولعل البعض يسأل : لماذا كان هذا التنقل من مكان الى آخر فى مصر ؟ وتجيبه بسببين :

١ - لأن هيرودس أرسل أيضا يطاردهم فى مصر .

٢ - لأنه كانت تحدث معجزات فى البلاد التى زارتها العائلة المقدسة . وأحيانا كانت تسقط الأصنام محطمة على الأرض ، فكان كهنة الاوثان يطردونهم من مدينتهم فيلجأون الى اخرى

فلنتتبع اذن رحلة العائلة المقدسة . والبلاد التى دخلوها ، حتى يمكن للسوّاح والدارسين ان يزوروها ، ويعرفوا معالمها وما تبقى فيها من آثار هامة ، مع دراسة تلك الآثار والحفاظ عليها ، وتصويرها وشرحها ... وسنعطى لكل مدينة رقما خاصا ، لتسهيل المتابعة .

الرحلة فى شمالى مصر

١ ، ٢ مدينتان على الحدود الشرقية الشمالية . هما **العريش والفرما** ، اتجهت العائلة المقدسة بعدهما الى منطقة محافظة الشرقية . وكانت أول مدينة فيها هى :

٣ - **تل بسطه** : وهى قرب الزقازيق . دخلوها ظهراً ، واستظلوا تحت شجرة . عطش المسيح ، وإذ لم يجد ماء ، رسم بيده على الأرض ، فتفجر نبع ماء . سقطت اصنام تلك المدينة من قدسية الزائر العظيم . فطردهم الكهنة من المدينة فتركوها .

صارت تل بسطه فيما بعد احدى اسقفيات الكرسى المرقسى .

٤ - مسطرد (المحمه)

نزلت العائلة المقدسة بعد ذلك جنوبا الى مسطرد . وجدت هناك نبع ماء ، استحم منه السيد المسيح ، فسمّى (المحمة) . وتغير اسم المكان بعد ذلك



الى مسطرد . بنيت هناك فيما بعد كنيسة على اسم السيدة العذراء . وفى عودة العائلة المقدسة ، مرت على مسطرد أيضاً

٥ ـ بلبيس :

ومن مسطرد انتقلت العائلة المقدسة شمالاً بشرق إلى بلبيس ، واستظلت عند شجرة عُرفت باسم « شجرة العذراء مريم » . وصارت بلبيس اسقفية فيما بعد . ومرت العائلة المقدسة على بلبيس أيضا فى رجوعها .

٦ ، ٧ ـ منية سمنود ، وسمنود

من بلبيس رحلت العائلة المقدسة شمالا بغرب الى منية سمنود ، وكانت تعرف باسم (منية جناح) ، ومنها عبرت النهر الى سمنود ، داخل الدلتا . واستقبلهم شعبها استقبالاً حسنا ، فباركهم المسيح .

وبنيت فى سمنود كنيسة قديمة على اسم السيدة العذراء . ثم تهدمت فبنيت على أنقاضها كنيسة الشهيد ابانوب حالياً

ومن هناك رحلت العائلة المقدسة شمالاً بغرب الى منطقة البرلس الى سخا

٨ ـ سخا

وهى حالياً فى محافظة كفر الشيخ . وقد ظهر قدم السيد المسيح على حجر . ومنه اخذت المدينة اسمها بالقبطية . وقد

● شجرة العذراء مريم بالمطرية ، أراد الخديو اسماعيل ان يهديها للامبراطورة « أوجينى ولكنها فضلت بقاءها فى مكانها



أُخفى هذا الحجر زمنا طويلا خوفا من سرقته فى بعض العصور ...

ولقد بنيت فى سخا كنيسة قديمة على اسم السيدة العذراء ، مع مغطس ، ثم عمّر فيها دير المغطس .

٩ ـ وادى النطرون

من سخا عبرت العائلة المقدسة نهر النيل الى غرب الدلتا ، وتحركت جنوباً الى وادى النطرون ، وباركته ، ومنه رحلت الى منطقة القاهرة الحالية .

العائلة المقدسة فى منطقـــة القـاهـــرة

اهم الاحياء التى زارتها فى هذه المنطقـة : عين شمس ، والمطرية ، ومنطقة بابليـون (مصر القـديمة) ، ومنف ، والمعادى .

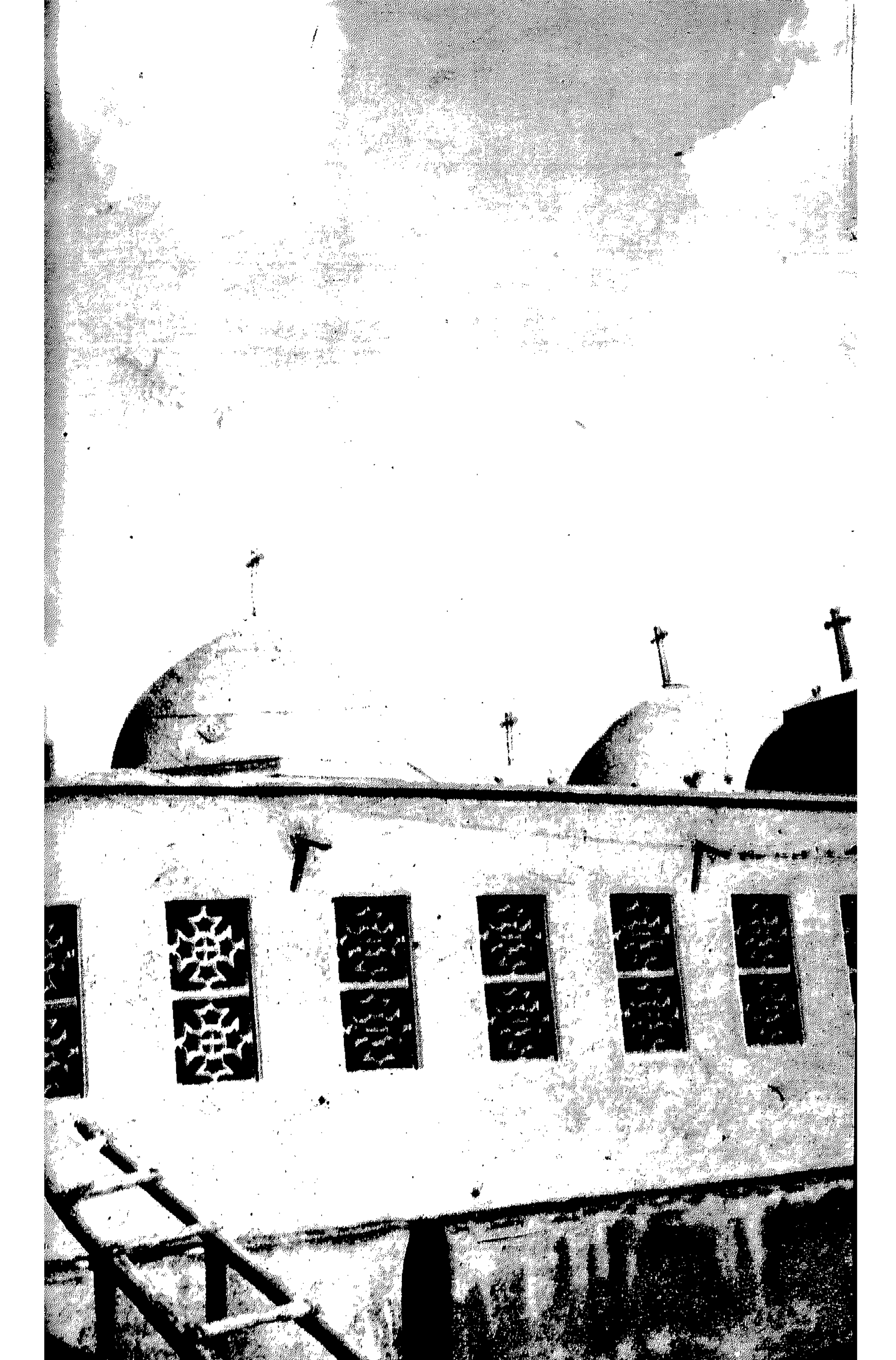
١٠ ـ المطرية :

اهم مافى هذه الزيارة الشجـرة المعروفة باسم (شجرة مريم) حيث استظلت السيدة العذراء . وقد أنبع السيد المسيح هناك نبع ماء ، وشرب منه وباركه . وغسلت السيدة العذراء ثياب ابنها من مياه هذا النبع ، وسكبت الماء ، فنبتت فى مكانه شجرة البلسم ذات الرائحة العطرية .

وهذا المكان الأثرى العظيم يحتاج الى عناية من مصلحة الآثار والبلـدية ، وإعداده ليكون مركزاً سياحياً لائقاً ، لأن

● قباب كنيسة المعادى ، المكان الذى ابحرت منه العائلة المقدسة الى الصعيد ، فى مركب





● قباب ومنارة دير السيدة العذراء بسمنود . والتى بنيت فى المكان الذى عاشت فيه العائلة المقدسة .



معلومات كثيرة مكتوبة عنه فى الكتب التى يحملها معهم السائحون لارشادهم .

ولعله فى زيارة هذه المنطقة مرت العائلة المقدسة على منطقة الزيتون . ثم تحركت بعد ذلك الى بابليون .

١١ ـ بابليون (مصر القديمة) :

وقد تباركت هذه المنطقة كلها بزيارة العائلة المقدسة ، التى اقامت حيناً فى مغارة صارت جزءاً من كنيسة « ابا سرجه » فيما بعد

ثم اتجهت الرحلة نحو منف

١٢ ـ منف :

وفى منف تحطمت اصنامها من قدسية الزيارة ، فعزم الوثنيون على قتل العائلة المقدسة ، التى تركت لهم المدينة . وفى نفس الوقت تركت أثراً فى النفوس . فبنيت فى منف كنيسة قديمة جداً يعتبرها البعض أقدم الكنائس بعد الاسكندرية . وبنى هناك دير أيضاً . وصارت منف احدى اسقفيات الكرسى المرقسى فيما بعد .

١٣ ـ المعادى :

أقلعت العائلة المقدسة بعد ذلك فى مركب بالنيل من عند المعادى . وبنيت فى ذلك المكان كنيسة قديمة هى كنيسة العذراء بالمعادى . ومن ذلك الموضع تحركت العائلة المقدسة جنوباً نحو

الصعيد . ومن أشهر المدن التى آقامت فيها : البهنسا .

العائلة المقدسة فى الصعيد

١٤ ـ البهنسا :

وهى من أهم المراكز التى زارتها العائلة المقدسة وباركتها . وصارت إحدى الاسقفيات الكبيرة فيما بعد . وسميت (بيت يسوع) . وبنيت فيها كنائس كثيرة ، وعمرت بأديرة للرهبان والراهبات . وكانوا يأتون إليها للزيارة للتبرك مشياً على الأقدام .

١٥ ـ جبل الطير :

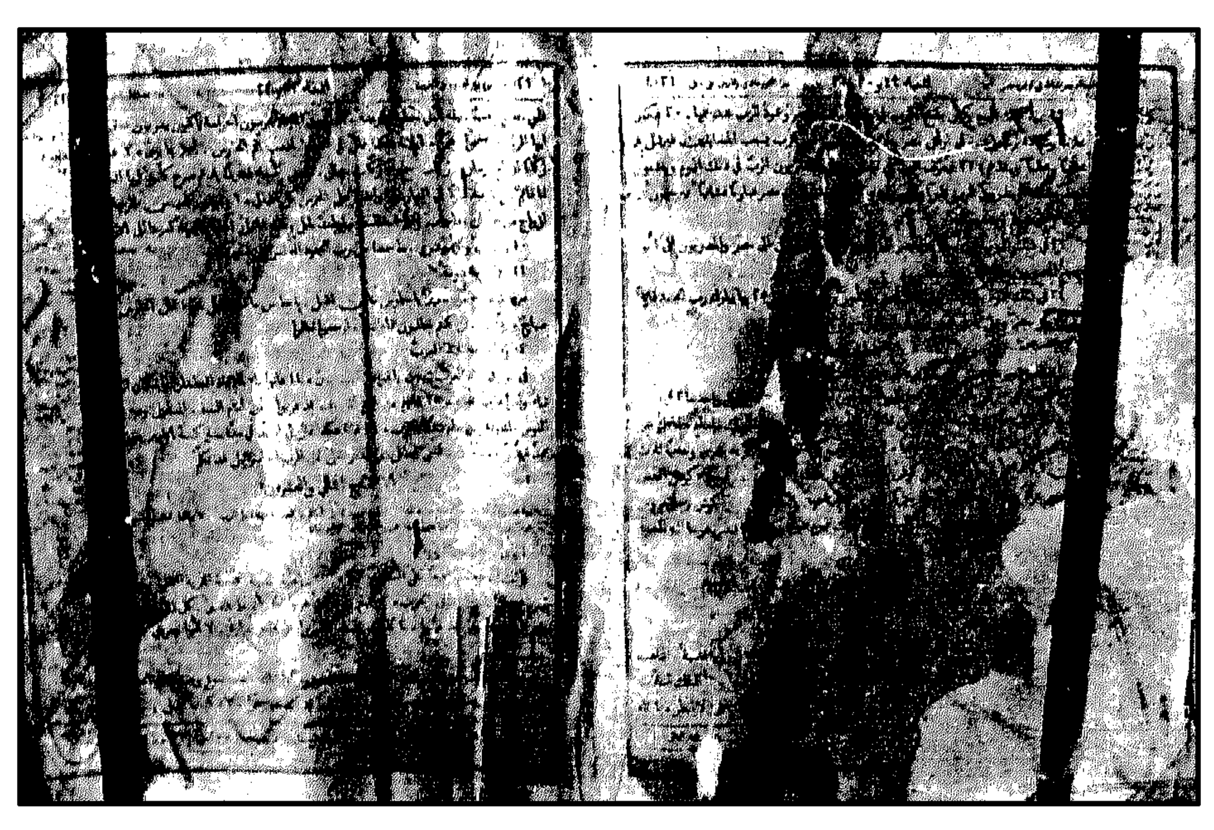
سارت العائلة المقدسة جنوبا حتى سمالوط ، ثم عبرت النيل شرقاً الى جبل الطير . وهناك سند السيد المسيح بيده حجراً كاد يسقط ، فانطبع كفه عليه . وبنت القديسة الملكة هيلانه (فى القرن الرابع) كنيسة باسم السيدة العذراء

ثم نزلت العائلة المقدسة جنوباً ، وعبرت النهر غرباً الى الاشمونين

١٦ ـ الاشمونين :

وقد حدثت معجزات كثيرة فى هذه

● على ضفاف النيل وبجوار كنيسة العذراء بالمعادى ، وجد الكتاب المقدس مفتوحاً على الصفحة التى جاءت بها الآية التى تقول : « مبارك شعبى مصر »



البلدة وسقطت أوثان . وقد صارت الاشمونين فيما بعد احدى الاسقفيات الشهيرة . ومن اساقفتها الانبا ساويرس ابن المقفع المؤرخ والكاتب المعروف .

١٧ - ومن الاشمونين نزلت العائلة المقدسة جنوباً الى **ديروط الشريف** ، وكانت تعرف وقتذاك باسم فيليس .

١٨ - ومنها الى **قرية قسقام** ، حيث سقط الصنم معبودهم وتحطم ، فطردهم أهلها خارج المدينة . وعرفت هذه المنطقة باسم القوصية ، وهى غير القوصية الحالية .

● فى كنيسة العذراء « بسخا » محافظة كفر الشيخ وجد هذا الآناء ويقال عنه ان السيدة العذراء كانت تصنع فيه العجين



١٩ - فرحلوا من هناك الى **مير**

٢٠ - ومن هناك ذهبوا الى **جبل قسقام** ، حيث بنى الى جواره **الدير المحرق** على اسم السيدة العذراء .

وأقاموا فى تلك المنطقة ستة شهور وعشرة أيام ، وبنى يوسف النجار بيتا صغيراً الى جوار بئر ماء باركه المسيح .

وفى هذه البقعة المقدسة ظهر الملاك ليوسف النجار ، وطلب إليه الرجوع الى فلسطين ، لان هيرودس قد مات .

٢١ - وقيل إن العائلة المقدسة مرت فى رجوعها على **جبل اسيوط** ، (المنطقة المعروفة باسم جبل درنكه) حيث بنى دير باسم العذراء .

فى خط العودة :

لم يكن هناك داع فى العودة الى المرور على اماكن استدعتها امور اخرى فى المجيء .

فمثلا مرت الرحلة على بابليون ومسطرد وبلبيس . ولم تكن محتاجة ان تدخل فى الدلتا الى سمنود ، أو تتجه غربا إلى سخا ، أو تنزل جنوباً الى وادى النطرون . وانما من الممكن أن تتجه من بلبيس مباشرة الى الفرما والعريش .

كان الطريق فى العودة آمناً بعد موت هيرودس

السيد المسيح اختفى من هيرودس فى طفولته ، مع قدرته على إبادة هيرودس

ولكن الساعة لم تكن قد أتت بعد ، التى فيها يسلم المسيح نفسه للموت . كان لابد أن يقوم برسالته أولاً ، ويعلم الناس ويحذر من حرفية اليهود فى فهم وصايا الله ، ويختار التلاميذ الذين يقودون الايمان من بعده ، ويعلمهم ان هذا الايمان هو لكل شعوب الأرض ، وليس لليهود فقط .

وفى أنتظار تأدية رسالته ، جاء الى مصر ، فبارك مصر

نعم ، ولتكن مباركة ...

● على اليمين مذبح للسيدة العذراء ، وفى هذا المكان وداخل مغارة بجبل درنكة بأسيوط عاشت العذراء حتى عادت مرة آخرى الى فلسطين ، والصورة الثانية المنارة الجديدة لدير السيدة العذراء بأسيوط .





مظاهر الاستمرارية فى الفن المصرى عبر التاريخ

بقلم: د. صبرى منصور

ان البحث والتقصى عن مظاهر الاســـتمرارية فى الفن المصرى عبر العصور المختلفة ، والكشف عن عوامل الاتصال بين اشكاله المتغيرة لهو جهد يكتسب اهمية بالغة فى المرحلة الثقافية التى تعيشها بلادنا اليوم ، والتى يتضح فيها ضرورة السعى نحو تخليق فنون لها استقلاليتها عما عداها من فنون عالمية أخرى • وقد يرى البعض أن هذا الجهـد هو مسعى لا نفع فيه ، ولا طائل من ورائه ، فحتى لو كان هناك اتصال ما بين فنوننا القديمة فما بالنا نحن المعاصرين بهذا الاتصال• فهم يرون أن العصر الحديث ـ الذى يعنى لديهم دائمـــا حضارة الغرب ـ قد اسفر عن فكر فنى جديد هو الاحرى باتباعه والاولى بالاخذ عنه ومجاراة افكاره •

ومنشا هذه النظرة الاعتقاد الخاطىء بأن الفنون هى مجـال مماثل لمجالات الصناعة وأوجه الحياة الاقتصادية والتكنولوجية



التى اعتمدنا على مبادئها فى مجال تحديث حياتنا العامة وتنظيم أحوال مجتمعنا المعاصر · متناسين أن الفنون منشؤها الروح والتقاليد المستمرة فى أعماق الوجدان الانسانى ، وأن الجانب التقنى فيها ـ رغم أهميته ـ لا يشكل عاملا جوهريا فى تكوينها· فالفنون على اختلاف فروعها انما هى لغة تواصل بين مجموعة محددة من البشر فى المقام الاول ، وقبل أن تكون لغة اتصـــال عالمية فى مقامها الثانى ، كما أن مبدأ نبذ الماضى ـ اذا كان يصدق على النظريات العلمية التى تتطور نظرياتها نحـو الاكمل والافضل دائما ، فينسخ الجديد منها ما سبقه من نظريات ـ فان الامر يختلف أشد الاختلاف فى الفنون التى لا يحكمها قانون للتطور بهذا المعنى ، فالاشكال الجديدة منها لا تلغى ما سبقها ، بل تشتق من ثناياها ، وتضيف اليها أو تحور فيها ، وتاريخ الفن يحفل بنماذج عـديدة عـلى عـودة فنانين وطرز باكملها للاشتقاق من مراحل قديمـــة بل وموغلة فى القدم ، فالفن الكلاسيكى قد استمد من الفن الاغريقى ، والمصور الانجليزى وليم بليك اعتمد فى أسلوبه على الطراز القوطى ، وبول جوجان اشتق اتجاهه من الفن البدائى ، وأســـلوب المصور الايطالى دى كيريكو كان على صلة وثيقة بطراز عصر النهضة ·

واذا كان كل فنان ـ سواء أدرك ذلك أم لم يدركه ـ يشـيد ابداعه فوق ابداع الفنانين السابقين عليه ، كذلك فان الكيان الفنى لأمة من الامم ـ وخاصـــة اذا كانت تتمتع باستمرارية تاريخية كبلادنا ـ انما هو حلقات متصلة لا يمكن فصل احداها عن الاخرى ، كما لا يمكن المفاضلة بينها جميعا من ناحية القيمة أو من جهة البساطة والتعقيد · ولقد كان من اقدار مصر أن تمر فى فترة تاريخية استمرت عـــدة قرون بحالة جدب فنى ، فانقطعت سلسلة التواصل والعطاء والابداع الفنى باحتـلال الاتراك العثمانيين وما تبعـه من اســـتنزاف لخيرة صناعنا وفنانينا · وحين تم الاتصال بالحضارة الغربية وكانت فى أوج نضجها كنا قد تحولنا الى أمة خلت من مقومات الخلق والابداع، لهذا لم ينتج هذا اللقاء الحضارى ـ فى جملته ـ سوى أشكال باهتة من الفنون الغــربية ، وذلك شىء طبيعى ، اذ أن التأثر والتأثير بين حضارات وثقافات الامم المختلفة لا يكون ايجابيا الا حين تتكافأ عوامل النضج والقوة فيما بينها · وربما كـان نتاج هذه المرحلة قريب الشبه الى حد بعيد بذلك الطراز المخلوط الذى ظهر فى مصر بعد غزو الاغريق ، اذ كان طرازا ممسوخا لا هو اغريقى ولا هو مصرى ·

ومن هنا بات من الاهمية بمكان ـ فى المرحـــلة الراهنة البحث داخل أغوار الكيان الفنى المصرى عبر تاريخه الطويل



مظاهر الاستمرارية في الفن المصري عبر التاريخ

تمهيدا لاستكشاف امكانيات الامتداد به ، ووصل ما انقطع من استمرارية حلقاته ·

● تواصل الابداع ●

ومفهوم الاستمرارية في مجال الفنون يحتاج الى توضيح

الفن المصرى القديم عبر عن الاشكال بحس فنى متميز



وتحديد لمعناه ، اذ أن الفهم العادى والشائع للاستمرارية هـو للثبات والجمود على حال بعينها دون تبديل ، بينما تعـنى الاستمرارية الفنية التتابع والتواتر فى العطاء ، والتواصل فى الابداع فى سلسلة مستمرة من الاشكال والطرز التى تجمـع بينها قيم جوهرية • اذ أن تلك الطرز لا تأتى من فراغ ، فهى تتوالد بشكل طبيعى ، فكل مرحلة يتم استخلاصها من مراحـل سابقة عليها وصلت الى ذروة عطائها • وهذا التوالد لا يعنى أن الطرز الجديدة تنسج على منوال الماضى ، وانما تستمد منـه خيوطا تساعدها على بلورة حلقة غنيـــة جديدة وفقا لطبيعة الحياة الانسانية المتغيرة والمتجددة دائما • وهكذا تســستمر

قدرة عالية وامكانية بارعة فى رسم الاشـــخاص
بدقة لا يقدر عليها سوى الفنان المصرى القـــديم



مظاهر الاستمرارية في الفن المصري عبر التاريخ

الحلقات متصلة بما قبلها في البداية ، ومستقلة عنها حين نضوجها ، وممهدة في نفس الوقت لما سيأتي فيما بعد · وسيعنى مقالنا بتتبع أثر الاستمرارية من خلال استعراض التحولات الفنية الكبرى في تراثنا الفني ، والكشف عن تلك الصفات الجوهرية ، والسمات الغالبة على هذا التراث ، والبحث عن الخيوط التي تصل بين جميع أشكاله على تنوعها واختلاف مظهرها ، والتي اسبغت عليه في النهاية شخصيته الفريدة بين أشكال وطرز الفنون العالمية · ولعله يحسن بنا في البدء أن نشير الى أن مصر قد توفر لها منذ فجر التاريخ عوامل طبيعية واقتصادية كانت هي الاساس في تكوين ثقافة متجانسة، عكست آثارها على شخصيتها العامة ، وساعدت على تبلور هذه الشخصية واستمراريتها ، تلك الشخصية التي كانت مجالا خصبا لعديد من الباحثين المصريين والاجانب ، الذين أثبتوا في بحوثهم توفر عنصر الاستمرارية في الشخصية المصرية عبر تاريخ مصر الطويل رغم ما طرأ على هذا التاريخ من تغييرات فيرى جمال حمدان في كتابه « شخصية مصر » أن بلدا من بلاد الارض لا تصدق على حضارته صفة الاستمرار كما تصدق على مصر ، وأن مصر قد تعرضت للغزو ولكن روحها لم تقهر، لانها عرفت شيئا غريبا على التجربة الانسانية الا وهو الانسحاب الى داخل الذات · ويسوق لنا حسين مؤنس في كتابه « مصر ورسالتها » دلائل عديدة يثبت بها عدم فقدان الشخصية المصرية لمقومات استمرارها ، فالدين واللغة في مصر قد تغيرا خلال حوالى خمسة الاف سنة مرتين فقط ، في حين أن بلدا كبريطانيا التي لايرجع تاريخها الى أبعد من ألفين وخمسمائة سنة قدتغير الدين فيها مرتين واللغة أربع مرات ، واسبانيا تغير الدين فيها خلال ألفين وخمسمائة سنة ثمان مرات واللغة ست مرات كما أن الجنس المصري لم يتغير في جملته سوى تغييرات طفيفة، كل ذلك ساهم في عدم اختلاف طبيعة الحياة في مصر رغم مرور الاحقاب ، ومازالت هناك ملامح ثقافية واجتماعية عديدة ، وتقاليد والفاظ متوارثة ، وبعض العادات المتصلة بالمزراعة والزواج والدفن قد استمرت في حياتنا منذ ايام الفراعنة وحتى اليوم ·



الفن القبطى ترجم بصدق عن سمو الروحانيات

ويرى « روس » أن مصر قد شاهدت مجيء ورواح أنواع الغزاة الذين تركوا كثيرا من التاثيرات العميقة على روحها ، ذلك لان وادى النيل مسجل حقيقى للمراحل الناجحة فى حياة الانسان ، وأن هناك ملامح قومية وأصيلة قد استمرت خلال هذه الحضارات المركبة •

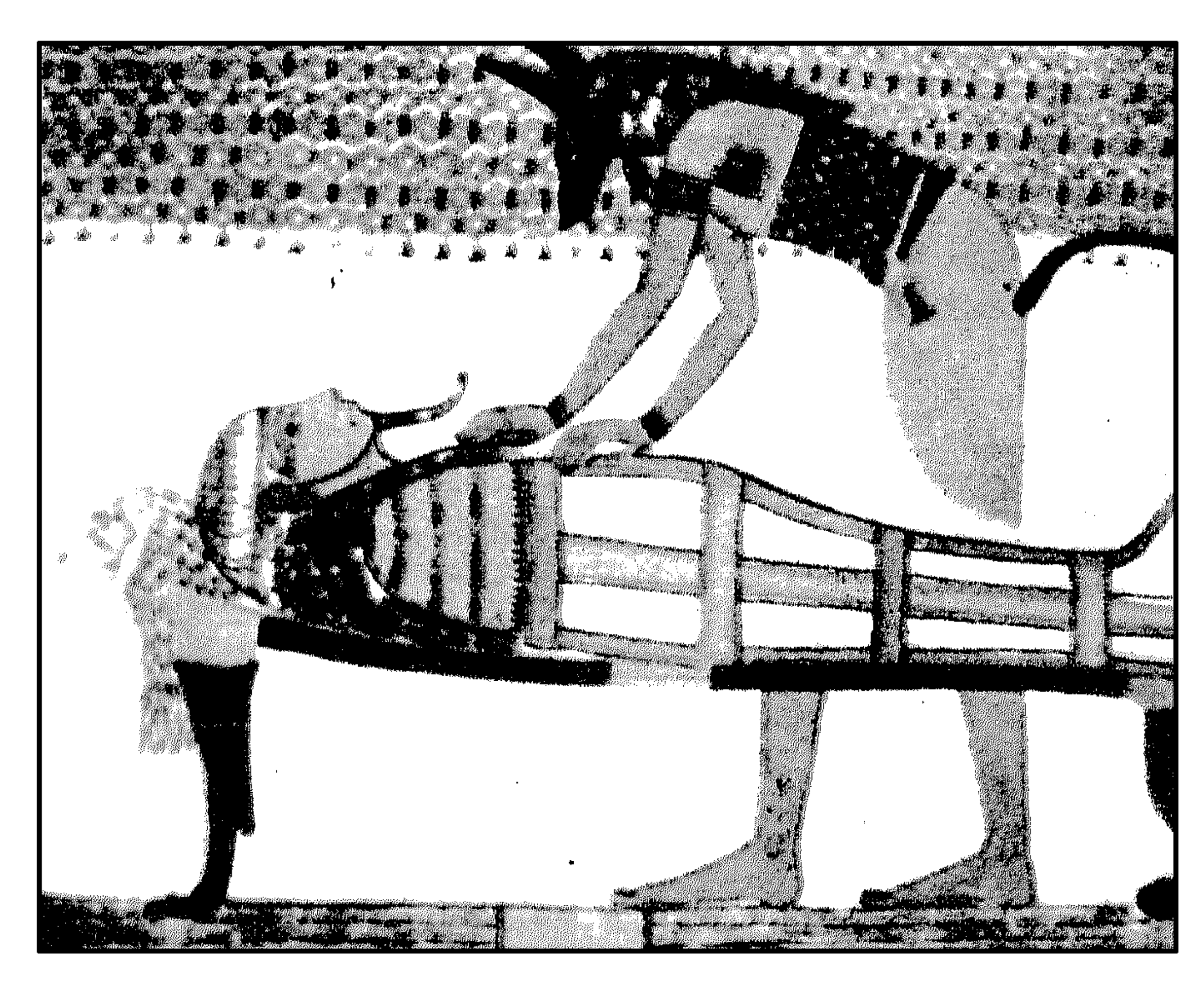
ويؤكد « رينيه ويج » أن تاريخ مصر يكشف عن لوحة ذات غنى خارق تلاقت واتحدت فيه أشد العناصر واختلافا •

ليس غريبا اذن على هذه الشخصية التى لم تفقد أبدا استمرارها واستقلاليتها أن تعكس هذه الاستمرارية على الفنون التى أبدعت على ارض مصر عبر القرون والحضارات المتعاقبة ولعل اطلالة سريعة على أهم خصائص التحولات الفنية الكبرى فى التراث الفنى المصرى سوف تساعدنا على الكشف عن الخيوط التى تصل بين أشكاله جميعا •

مظاهر الاستمرارية في الفن المصري عبر التاريخ

كان الفن المصرى القديم - اول عطاء فنى استمر لآلاف السنين - قائما على عدم العبودية للواقع التسجيلى ، وكان هدف الفنان فيه دائما هو ابراز الاشكال فى أجمل وأكمل أوضاعها ، لهذا تظهر الموجودات والاشياء ليس كما تراها العين ، وانما كما هى موجودة فى الحقيقة ، ونجم عن هذه النظرة تلافى قواعد المنظور والبعد الثالث ، تلك القواعد التى لا تحمل فى حد ذاتها قيمة تشكيلية. وكان لطبيعة المكان والبيئة

الطقوس الدينية - كما عبر عنها الفنان المصرى



تأثيرها على الحس الهندسى والتوازن والتماثل فى الفن المصرى القديم ، فمن خصائص البيئة الزراعية المنبسطة اعتمادها على التقسيم وتحديد الارض فى أشكال هندسية ، ومن هنا جـاء التصميم فى الفن المصرى قائما على تقاطع الخطوط العمودية والافقية . كما كان طابع السكون والاستقرار من أهم سمات الفن المصـرى القديم ، فلا تنم أشكاله عن أحاسيس أصحابها ، ولا دلائل انفعالاتهم ، والحركة هادئة وقورة لاتكاد تتعدى تقديم رجل عن الاخرى .

واحتفل الفن المصرى القديم فى مجمله بالخطوط ، واتسم بقدرة عالية على التلخيص والتبسيط وتحاشى التفاصيل الزائدة وغير المفيدة لجوهر العمل الفني،وكذلك اتصف بمهارة فائقة فى المبالغات الذكية للاشكال والعناصر - ورغم ما يبدو على هذا الفن - من خلال النظرة المتعجلة - من رتابة وتكرار ، الا أن الدارس المتفحص ليستطيع أن يكتشف الامكانيات الهائلة فى حبك التصميم ، والحوار التشكيلى البليغ بين العناصر ، وتلك التنويعات والايقاعات المتميزة داخل العمل الفنى الواحد .

ولقد اختفى الطابع المصرى القديم بعد أن أصبحت مصر جزءا من امبراطورية الاسكندر ، وفى أثناء العصر البطلمى الذى استمر حوالى ثلاثة قرون نشأ فى مصر فن هو خليط من الفن المصرى القديم والفن اليونانى ، وكان هذا الفن الجديد ينم عن شىء من الحرية فى الحركات ، وليونة فى الاوضاع ، وكلها من خصائص الفن اليونانى بالاضافة الى بعض ملامح الوقـار والصلابة المعروفة فى الفن المصرى القديم .

وبدأ عصر الفن القبطى منذ حوالى عام ٣١٣ م .واستمر حتى دخول العرب مصر عام ٦٤٠ م . ويعتبره عديد من الباحثين فنا وطنيا وانقلابا ضد الهيللينية ، فعلى الرغم من أن هذا الفن كان فنا مسيحيا يعبر عن اتجاه جديد فى الحياة أخذ ينتشر بسرعة فى المشرق والمغرب الا أن الفن المسيحى فى مصر ظل مصريا . فلقد انبثقت أسس الفن القبطى وخاصة فى فن التصوير من الفن المصرى القديم ، وهناك ارتباط واضح بين الفنين فى الاوضاع والتقاليد الفنية ، وكذلك فى الموضوعات، وحتى فى طرق الاداء والتلوين . ومما ساعد على الترابط بين الفنين تلك التشابهات فى العقيدة . اذ كان المصريون أول من قدس الثالوث ، وكان ثالوث طيبة من أهمها ، فقد عبدوا الاله آمون وزوجته الالهة نوت وابنها خنسو . وأيضا من التشابهات العقائدية فكرة الولادة من الروح ، ففى الاسطورة الشهيرة للاله أوزيريس تخيل القدماء أن أخاه اله الشر ست قد قتله ، وذكروا أن اخته وزوجته الالهة ايزيس سعت فجمعت اشلاءه، وتلت عليها التعاويذ حتى عادت اليه الحياة فتزوجها عرفانا بجميلها ، وانجب منها ابنهما من الروح الاله حوريس . وكذلك



مظاهر الاستمرارية في الفن المصري عبر التاريخ

نجد أيضا القيامة عند المصريين القدماء ، الذين آمنوا بأن الاله أوزيريس قد قام من الموت بعد أن هزم الشر ، ولقد مهدت تلك التشابهات العقائدية - بالاضافة الى العلاقة القوية بين اللغة الهيروغليفية والقبطية - الطريق أمام فناني العصر القبطى للاقتباس والاستعارة من عناصر الفن القديم ، فلم يقف الامر عند حد الرسم على منوال احدى الطرق المصرية القديمة وهى الرسوم الحائطية ، وتزيين أماكن العبادة بصورة القديسين والقديسات ، بل تعدوا ذلك الى صميم التقاليد الفنية ، حين اباح الفنان القبطى لنفسه فى الفترة المبكرة أن يمثل السيدة العذراء وهى ترضع طفلها من ثديها ، وهذا الوضع لم يكن ليقدم على اظهاره فنانو البلدان المسيحية الاخرى • لقد استقى الفنان القبطى مصدرة من الرسوم والتماثيل المصرية القديمة التى تمثل الالهة ايزيس وهى تخرج ثديها لترضع ابنها حوريس ، كذلك نجد أن كثيرا من فنانى العصر القبطى يخلطون بين علامة عنخ الفرعونية وبين الصليب •

الميل للرمزية

ولقد تميز الفن القبطي باتجاهه نحو الرمزية ، واستخدام العناصر النباتية الزخرفية الى جوار الرموز الدينية ، اذ أننا غالبا ما نرى الصليب يتوسط وحدات عناقيد العنب فى نسق زخرفى ونظام هندسى جميل ، وكما اشتق الفنان الفرعونى أسلوبه الفنى من الواقع دون تقليد لهذا الواقع تقليدا حرفيا، كذلك فعل الفنان القبطى حين جرد عمله من البعد الثالث ، ولم يلق بالا الى التجسيم واستعمال التظليل للايهام بالواقع ، كما أن عناصر عمله لم يكن يجمع بينها وحدة واقعية ، بل انها تبدو منفصلة عن بعضها البعض ، وغير مرتبة ترتيبا منطقيا ، مما أضفى عليها طابعا زخرفيا ، اكدته المهارة فى تنسيق الاشكال وتحويرها . وكثرة استخدام الوحدات الزخرفية وتنوعها •

ويرى أغلب الباحثين أن الفن القبطي قد استمر فى نشاطه بعد زوال الدولة الرومانية في مصر ، وظل مزدهرا حتى القرن

التاسع تقريبا ، وبأنه يعد حلقة اتصال بين الفن المصرى القديم وبين الفن الاسلامى ، ويؤكدون بأن وجود التقسيمات الزخرفية والهندسية ، وعناصر الفن العربى « الارابسك » والزخارف الاخرى التى تنتمى الى كلا الفنين القبطى والاسلامى ليست الا دليلا قاطعا على اتصالهما وترابطهما ·

ولم يكن الفن الاسلامى فى مرحلته الاولى سوى مرحلة انتقال كانت تتصف بالتوفيق بين التقاليد والعناصر الفنية السائدة فى مصر وبين الميول الاسلامية والذوق الاسلامى ، وسوف نلاحظ أن استخدام العناصر الزخرفية التى كانت غالبة فى الفن القبطى ـ مثل رسوم أوراق العنب وعناقيده ، وورق الاكانتس والنخيل والسمك والحمام ـ قد استمر فى الفن الاسلامى ، كما ظلت تلك العناصر كما كانت فى الفن القبطى مسطحة لا تجسيم فيها ·

وكانت أوراق الشجر التى استخدمت كعناصر زخرفية ـ والتى وصفها « دريتون » بأنها غالبا ما كانت مفرغة ذات حواف مسننه ومستمدة من الشكل الطبيعى ـ قد أصبحت بقيمتها الزخرفية العالية تقليدا واصطلاحا فنيا ، وهذه المعالجة الهندسية والزخرفية لها قد مهدت الطريق لفن « الارابسك » الاسلامى ·

واستمرت من خلال الفن الاسلامى فى مصر ـ وحتى مجىء التأثير القاتل للفن الاوربى فى القرن التاسع عشر على حد قول هربرت ريد ـ الخصائص الاساسية التى سادت الفنين المصرى القديم والقبطى ، تلك الخصائص التى تمثلت فى الابتعاد عن المحاكاة الحرفية للواقع أو تقليده . والنزوع نحو خلق كيان فنى مستقل عن الطبيعة ، وفق قوانين فنية خالصة، كان أهمها تبسيط العناصر وتحويرها فى نسق هندسى ، ينحو أحيانا نحو الزخرف، ويصل فى أحيان أخرى الى مرتبة التجريد الكامل ، والاعتماد على لغة تشكيلية ذات ايقاع خاص يولى للمتعة البصرية أهميتها ويوفيها قدرها · كل ذلك بالاضافة الى تلك المسحة الروحانية التى ترقى بالرائى الى عالم مطلق ولا نهائى ، نستشعرها فى الفن المصرى القديم بايماءاته نحو الخلود بعد الموت ، وفى الفن القبطى بسموه على الواقع المادى ، وفى الفن الاسلامى باتجاهه نحو تمجيد الخالق الواحد الاحد ، والتسبيح بحمده ، والايحاء بمدى عظمته وفائق قدرته·

تلك هى الخيوط الرئيسية التى استمرت خلال مراحل تراثنا الفنى ، ونستطيع أن نؤكد بأن معظمها يبدو واضحا حينا ، وخافتا فى أحيان أخرى تحت سطح ابداع الفنان المصرى المعاصر ، وحتى عند أولئك الفنانين الذين يدعون الى نبذ هذا التراث وهجره الى أشد مذاهب الفنان الغربى حداثة وتطرفا·

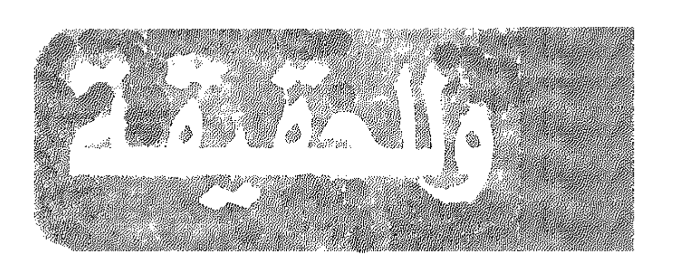
الدكتور جمال حمدان

العاشق العظيم لمصر

فى أواخر الاربعينات وأوائل الخمسينات، كنت اعمل امينا لمكتبة قسم الجغرافيا ـ التابع لكلية الآداب ـ جامعة القاهرة ((فؤاد آنذاك)) . ورغم سعادتى بالعمل فى هذه المكتبة ، الا انى اعيش الى حد كبير تناقضا بين دراسات قسم الجغرافيا التى تكاد تقتصر على وصف التضاريس الخارجية للظواهر الارضية من طبيعية ونباتية وبشرية، وبين استغراقى آنذاك فى اهتمامات وهموم واحلام فلسفية . اذ انى كنت متخرجا فى قسم الفلسفة لا فى قسم الجغرافيا . ولهذا ، ما اكثر ما كانت تتحول مكتبة قسم الجغرافيا الى ساحة للحوار حول قضية المنهج فى العلم ، فضلا عن ساحة لانشطة ادبية وفنية وفكرية عامة . وما كان اكثر فرسان هذه الساحة ، لامن اساتذة قسم الجغرافيا وطلبته فحسب، بل من طلبة مختلف اقسام كلية الآداب ، وكليات اخرى . على ان الطالب جمال حمدان كان فارس الفرسان فى هذه الساحة .



بقلم: محمود أمين العالم





استشعرت نبوغه منذ حوارنا الاول . لم يقف الامر عند سعة اطلاعه ، وذكائه وعمق حجته ، بل كان شعلة من قلق خلاق ، يستوعب ويتمثل وينتقد ، ويرتعش بالتساؤلات الفنية ، وبارادة الغوص الى الاعماق البعيدة والتحليق فى الافاق الفسيحة كشفا لاسرار الاشياء والحياة . ما كان يرضيه أن يكون العلم مجرد وصف خارجي ، او تفسير ظاهرى ، او وقوف عند حدود الجزئيات الثابتة الساكنة . كانت النظرة الشاملة التاريخية الحية الديناميكية همه الاكبر حتى بالنسبة للظواهر الطبيعية .. ولقد ترك فى اذنى طويلا اصداء احاديثه الحارة ، حول البحث عن رؤية منهجية جديدة للجغرافيا . وعندما غادرت قسم الجغرافيا ، ثم غادرت مصر بعد ذلك بسنوات ، والتقيت فى فرنسا بعالم كبير من علماء الجغرافيا هو « ايف لاكوست » احسست فى احاديثه ، فى منهجه فى كتاباته ، ببقايا هذه الاصداء القديمة لاحاديث جمال حمدان . وايف لاكوست هو صاحب اهم كتاب بالفرنسية عن ابن خلدون ، وصاحب العديد من الكتب الجغرافية التى تعالج مختلف القضايا فى العالم ، وهو رئيس تحرير مجلة « هيرودوت » وهى مجلة متخصصة فى الجغرافيا والجغرافيا السياسية ، ولعل اختياره اسم المؤرخ هيرودوت اسما للمجلة يعبر عن رؤيته التاريخية الخاصة للجغرافيا . لست اقيم مقارنة أو تماثلا بين فكر ايف

لاكوست ورؤية جمال حمدان المبكرة وانما أردت أن اعبر عن مواصلتي الاهتمام بجمال حمدان رغم انقطاع اخباره عني ، فضلا عن التأكيد بأن همه في البحث عن رؤية جغرافيــة جديدة ، كان هما مشروعا ورائدا في الفكر الجغرافي الحديث ٠

وأخيراً بدأت أقرأ هذه الرؤية التي كان يحدثني عنها جمال حمدان فمنذ سنوات بعيدة وهي تتجسد في كتاباته التي أخذت تخرج علينا تبـاعا في موضوعات متفرقة ، لتمهــد الطريق لخروج ملحمته الجغرافية الكبــرى « شخصية مصر ، دراسة في عبقرية المكان » ٠

ولا أعرف بالدقة ماذا كتب عن هذه الملحمة الجغرافية في مصر ، أو خارج مصر ، ولكني أشعر بضرورة تجـديد الحديث باستمرار عن هذا العمـــل الكبير ، وبذل الجهـــود المتصلة من أجل التعريف والتوعيــة والاستفادة بمضامينه ٠ والى جانب هــذا كله ، فانني أريد ــ على المستوى الشخصي ــ أن أواصل ما انقطع من حديث وحوار بين جمال حمدان وبيني منذ سنوات بعيدة ، واتطلع بأمل كبير أن يخـرج جمال حمدان من عزلته شبه الصوفية الى الجمــاهير الغفيرة مـن قرائه ومحبيه ومقدري فضله على فكـــرنا المعاصر ٠

***

حقا ، لقد استطاع جمال حمــدان أن يحقق رؤية علمانية حمدانية خاصة للجغرافيا في كتابه هذا بوجه خاص ٠ ان الجغرافيا هي علم الخاص ، علم التفرد ، علم الواقع الملموس المحسوس الجزئي ٠ ولكن في هـــذا الخـاص الجزئي يكمن العام الكلي ، وفي داخل المظهر السكوني لهذا الخاص الجزئي تكمن الحركة ٠ وبدون الربط التكاملي بين الجزئي والكلي ، بين الســاكن والمتحرك ، لا يكون هناك علم حقيقي ٠ وهكذا يرتبط المكان بالزمان ، وترتبط الطبيعة بالانسان ٠ لا جغرافيــا بلا تاريخ ٠ ان البيئة الجغرافية خرساء تنطق بلسان الانسان » ٠ والجغرافيا عــلم حي تاريخي ، « ليست البيــة واصفة بل هي عضوية هادفة » ، « تحلق فوق ما تحدق » ٠ بهـــذا المدخــل الحمداني المنهجي العام ، تبدأ رحلتنا داخل الكتاب ٠

وكتــاب « شخصية مصر » ليس في الحقيقة كتابا علميا تقريريا ، بل هو كتاب رغم علميته وبفضـــل علميته ، يوظفه جمال حمدان توظيفا ايديولوجيا لخدمة هدف ٠ ليس مجرد هــدف معرفي ، بل هو هدف سياسي اجتماعي قومي فكري ٠ انه ليس كتاب معرفة فحسب بل هو كتاب معــركة كذلك ٠ فجمال حمدان لا يكتب لنا كتــابا عن شخصية مصر ، وانمــا يقيم بهـــذا الكتاب سدا جديدا لمصر ، في مواجهة محاولات شتى لهدم روحها والقضـاء على شخصيتها القومية ٠ يقول جمال حمدان في المقدمة « في هذا الوقت الذي تتردى فيـــه مصر الى منزلق تاريخي مهلك قوميا ، ويتقلص حجمها ووزنها النسبي جيوبوليتيكيا بين العرب وتنحسر ظلها ٠٠٠ نقول في هـــذا الوقت تجد مصر نفسها بحاجة الكثير



من اى وقت مضى الى اعادة النظر والتفكير في كيانها ووجودها ومصيرها بأسره ... من هي ... ما هي ... ماذا تفعل بنفسها ... ثم ماذا بحق السماء يفعل بها . الام ... والى اين ، ثم يقول « بالعلم وحده فقط لا الاعلام الاعمى ولا الدعاية الدعية ولا التوجيه القسرى المغرض يكون الرد » .

وهذا الكتاب ذو الالفين وخمسمائة وخمسة وثمانين صفحة هو الرد على محاولات طمس الشخصية المصرية . انه دفاع عن مصر ، واقعا جغرافيا وانسانيا ومكانيا وتاريخيا وقوميا واجتماعيا . انه فى الحقيقة ملحمة فى حب مصر . فجمال حمدان عاشق عظيم لمصر وعاشق عظيم للحقيقة .ولان عشقه عظيم فهو عشق يقظ مسئول واع مدرك أمين . يغار وينتقد ويرفض يقترح ويكشف العيوب والمحاذير ويقدم الحلول . فليس حبه بالحب الاعمى الشوفينى الضيق . ولهذا يقول « ان ابن مصر البار الغيور على امه الكبرى .. هو وحده الذى لصالحها ينقدها بقوة وبقسوة » . هكذا يقول وهكذا يفعل فى كتابه ، ولهذا ، فهذا الكتاب العلمي جدا ، هو كتاب سياسى جدا ، وهو كتاب ملتزم جدا ، يعبر عن نموذج رائع للمثقف العضوى الشجاع الملتزم بهموم أمته ، وهو دفاع واع مناضل عن طريق مصر المستقلة ، مصر المتقدمة ، مصر الديمقراطية ، مصر العربية ، على ان هذا كله ، لا يتحقق على نحو خطابى عاطفى ، وانما فى اطار « نظام فكرى ونسق منهجي ومعيار بنيوى يتبنيا الاصالة والخلق والجدة والابتكار اساسا » . ومن هذه العناصر جميعا تتشكل بنية الكتاب ومنهجه . ولهذا يمكن تقسيم الكتاب الى ثلاثة اقسام كبيرة : القسم الاول هو التقويم ، كتقويم البلدان بمعنى وصفها ، والقسم الثانى هو التقييم اى تحديد القمة ، والقسم الثالث هو التقويم بمعنى التغيير والتصحيح والتعديل .

بالتقويم او بالتحديد الوصفى يبدأ الكتاب جزاه الاول : شخصية مصر الطبيعية . ولكن هذا التحديد الوصفى نراه مستمرا ممتدا فى بقية اجزاء الكتاب . فى الجزء الثانى الخاص بشخصية مصر البشرية ، وفى الجزء الثالث الخاص بشخصية مصر الاقتصادية ، وفى الجزء الرابع

الخاص بشخصية مصر الاجتماعية او خريطة المجتمع المصرى · على ان هذه الرحلة الوصفية ليست مجرد وصف خارجي بل هو وصف عمقي لو صح التعبير · ليس وصفا لتضاريس خارجية بل هو وصف للحركة التاريخية للجغرافيا او لجغرافية الحركة التاريخية · انه لا يقف عند جزئيات وان وقف عندها · فوقوفه عندها انما يكون لتحديد علاقاتها الافقية والعمودية ، اى التداخل بين المكان الممتد والزمان المتحرك (الزمكان) · فالمكان عنده دائما متزمن بزمن ، اى بالتاريخ بالبعد الرابع · والعلاقات الجغرافية علاقات وظيفية اولا ، انها فعل وتفاعل وحركة ، وليست مجرد تواجد · ولهذا فهو فى الجزء الطبيعي يتحدث عن تاريخية طبيعة مصر الجغرافية المتجانسة كأنما يتحدث عن جسد حبيبته فى حركته ونموه وفى صراعه وتأبيه ضد أعدائه ، من أجل الاحتفاظ بكيان متسق وحر · وفى الاجزاء البشرية والاقتصادية والاجتماعية يتحدث عن التجانس الحى بين الطبيعي والانساني : التجانس المورفولوجي ، والتجانس السكاني والعمراني والاقتصادى والحضارى والجنسى · فرغم الاختلافات هناك التجانس دائما · حقا ، هناك ثنائيات متضادة دائما ، ولكنها فى النهاية - عنده - متجانسة متسقة · فبين الموضع جغرافيا وبشريا والموقع المحيط بمصر جغرافيا وبشريا هناك ثنائية ، سرعان ما تصل الى التجانس ·· وما اكثر الثنائيات الاخرى : بين

الصحراء والوادى ، بين الرمل والطين ، بين البر والبحر ، بين الماء والسلطة ، بين السلطة والشعب ، بين الشمال والجنوب ، بين الشرق والغرب ، بين القرية والمدينة ، بين التعرية والارساب ، بين السماء والسياسة ، بين العزلة والاحتكاك بين الثبات والتغير ، بين الضرورة والامكان ، بين الاستمرار والانقطاع ، بين الانغلاق والانفتاح ، بين الاستقرار والعبور ، بين العزلة والاتصال ، بين الوحدة الاقليمية والوحدة القومية ، بين هذه الثنائيات المتضادة جميعا التي تمتلىء بها تضاريس مصر البيولوجية والبشرية ، ويتكشفها جمال حمدان يتحقق التجانس والتكامل كقانون عام لمصر « المكان - الزمان » ، لمصر « الجغرافيا - التاريخ » · ومع مفهوم التجانس والتكامل هذا - عند جمال حمدان - يرتبط مفهوم آخر هو مفهوم « التدرج » · ان « التجانس » عنده هو قانونها الاول و « التدرج » هو قانونها المكمل ، ومن هذين القانونين ينبع « التوسط » كتعبير جغرافى و« الاعتدال » كتعبير بشرى هذا التجانس والتدرج والتوسط والاعتدال هو ما يشكل ظاهرة فريدة هى ما تعبر عنه عبقرية مصر ، مصر « المكان - الزمان » ، « الجغرافيا - التاريخ » · ان مصر هى مركز الدائرة ، هى ملتقى الابحر ، هى ملتقى القارات والمتناقضات ، وهى حجر الزاوية ، وهى خط الاستواء البشرى من حيث خطوط العرض ·

وقد يكون من الطريف ان نذكر ان



هذا الذى يعتبره جمال حمدان « عبقرية المكان » ، سبق ان اعتبره سلامة موسى من قبله « مأساة جغرافية » !.. يقول سلامة موسى « ان مصر نفسها مصادفة سيئة لكل مصرى ، من حيث انها مأساة جغرافية . اذ تقع فى ملتقى القارات الثلاث الكبرى ، كما انها تقع فى طريق الملاحة بين آسيا وافريقيا ثم فوق ذلك تخلو من الجبال التى تيسر لها الدفاع عنها . ولهذا وقعت فى أسر الغزو المتكرر » .

والحق أنه لا فرق – فى التحليل الاخير – بين رأى سلامة موسى ورأى جمال حمدان رغم هذا الاختلاف المظهرى . فعبقرية المكان هى سبب مأساتها عندهما معا . وسنجد جمال حمدان فى القسم التقييمى من دراسته يسعى لتفسير هذه المأساة بعوامل مختلفة أغلبها عوامل خارجية وان كان لا يغفل العوامل الداخلية وان غلب عليها فى تفسيره لها الطابع السيكولوجي أو الايديولوجي أحيانا (مثل الاهتمام بالموضوع وعدم الاهتمام بالموقع ، او ان عقليتنا عقلية برية وليست بحرية ، الى غير ذلك)

واذا انتقلنا من المرحلة التقويمية الوصفية الى المرحلة التقييمية اى الحكم والتقدير والتقييم ، فاننا نجد ان الرؤية الوصفية السابقة للواقع الجغرافى التاريخى لمصر ، اى التجانس والتدرج والاعتدال والتوسط ، تكادان تكونان منهجا للحكم والتقييم. فاذا كان الاعتدال والتوسط والتجانس والتكامل هو عبقرية مصر وخصيصتها الجوهرية ، فان ما يسىء اليها ويحط من قدرها هو اختلال هذا الاعتدال وهذا التوسط .

ولا شك ان القول بالاعتدال والتوسط والتجانس هو حكم قيم مستخلص من استقراء وصفى ، ولكنه فى الوقت نفسه هو معيار يتخذ للحكم والتقييم . فما اتفق معه كان صحيحا وما خرج عليه كان سيئا . وما اكثر الامثلة ، التى ساكتفى ببعضها :

اشرنا من قبل الى غلبة الموضع على الموقع أحيانا .. انه اختلال لهذه الموازنة « ولو اهتمت مصر بالموقع لتغير تاريخها كله » . ان سيادة عقلية البر على عقلية البحر هى التى اضعفت من البعد التجارى لمصر .

ان السلطة المركزية المرتبطة بنظام الرى ، تتعاون فى هذا مع المشاركة الجماعية التضامنية الشعبية . ولكن .. كان هناك دائما طغيان السلطة . والطغيان ليس حكما جغرافيا كما يقال

بل هو حكم بشرى منحرف ٠

(المأساة ليست فى ضبط النيل وانما ضبط الحكم) ٠ والامة هي خضوع الشعب للطغيان ٠ هناك دائما مقاومة ولكنها ليست متصلة ولم تتحقق ثورة شعبية جذرية ٠

في الاقتصاد هناك ثنائية الإنغلاق والانفتاح ٠ والانفتاح هو انزلاق ، واختلال للتوازن والتجانس ٠ « انه فتح الباب للرأسمالية الفردية والاستعمار وسيطرة طبقة طفيلية استهلاكيةمليونيرة عاتية » « الراسمال الاجنبى خرج من باب التاميم ودخل من باب الانفتاح » « الانفتاح اعلى مراحل الرأسمالية » ٠

هناك افراط السكان فى مواجهة انخفاض المعيشة ٠

وهناك زيادة البيروقراطيةوانخفاض الكفاءة ٠

وهناك الجنوح احيانا الى الفرعونية على حساب العروبة ٠٠ الخ ٠٠ الخ ٠٠

خلاصة هذا كله ، ان التجانس والتكامل والتوازن والتدرج والاعتدال هم الصفات الاساسية لمصر ، مكانيا وتاريخيا وسكانيا واقتصاديا واجتماعيا وايديولوجيا وحضاريا ٠

ان الخروج عن هذه المعايير ـ فى راى جمال حمدان ـ هو خروج عن حقيقة مصر ٠

بقى بعد ذلك القسم الثالث فى بنية الكتاب وهو افاق المستقبل ، واسس التقويم والتغيير ، اى الاجابة على السؤال : الى اين ٠٠٠ وكيف ؟٠

● نقطة البداية عنده هى الديمقراطية ٠٠ فقضية القهر السياسى هى أس وجذر مشكلة الشخصية المصرية ومصدر كل سلبياتها وعيوبها وأمراضها الحادة المزمنة ، بالديمقراطية تسير مصر فى طريق الشفاء من هذه الامراض والسلبيات ٠ هذه هى دعوته ٠

على أن الامر فى تقديره يتطلب حدثا عظيما يرج مصر رجا ، ويخرجها من مأزقها التاريخى الوجودى ، ومن دوامة الصغار والهوان والازمات المتراكبة » ٠٠ بل لابد من العنف ، العنف الثورى ، على أن يكون « عنفا حميدا » معتدلا ٠ فالعنف الثورى عنده « قليل منه يصلح الامة ، كما أن كثيره يضرها ، بل من غياب هذا العنف العنف الثورى » جاءت السلبية الواضحة المخزية فى سجل مصر عبر التاريخ » ٠

ويعرج جمال حمدان على الاقتصاد، فيرى أن كلا الانفتاح والانغلاق مطلوب ومفيد ٠ فالانفتاح تنمية طبقية بورجوازية واستغلال باسم الوطنية ، والانغلاق تنمية وطنية لمصلحة القاعدة العريضة من الجماهير ٠ وهو يدعو الى قدر موزون من الانفتاح والانغلاق، والى نوع من المواءمة بين الايديولوجية والتكنولوجيا فى صيغة تجمع بين الانغلاق الواسع والانفتاح الضيق ، او على حد تعبيره « تجمع بين كثير من الانغلاق الضيق مع قليل من الانفتاح الواسع » ٠

أما من الناحية السياسية فهو يرى أن مطلب الدولة السياسية القائمة على العلم والتكنولوجيا ليس مطلب

بقاء فحسب وليس هدفا اقتصاديا او ماديا فحسب ، بل هو مطلب سياسي كذلك ، وهو مفتاح الوحدة العربية • ان الوحدة العربية في تقـديره هي الاطار للدولة العصرية ، كما أن الدولة العصرية هي مفتاح الوحدة العربية • وهو يؤكد أن لا وحدة للعرب بغير زعامة مصر ، ولا زعامة لمصر بـ... استرداد فلسطين للعرب ، لانه لا وحدة للعرب بدون استرداد فلسطين •

ولكن ماذا عن التوجه الايديولوجي والاقتصادى العـام لهـذه الدولة السياسية الجديدة ؟ يقول فلناخذ من الحضارة الغربيـة جانبها المـادى التكنولوجي ، أما العمق الثقافي فهو الثقافة العربية الاسلامية • انهـا اصالتنا الثابتة • ان الثقافة عنـده هي الثـوابت أما الحضـارة فهي المتغيرات • فليكن اذن ارتبـاطنا بالعصر الحديث ارتباطا علميـا تكنولوجيا على أساس من ثقافتنـا العربية الاسلامية • هذه هي دعوته •

وهذه باختصار شديد ومخـل ، العناصر العـامة الاساسية لشخصية مصر كما يراها جمال حمدان ، سواء في مستواها الوصفي او التقييمي أو التفاصيل الدقيقة الطبيعية والبشرية ، •• وهو يعرضها علينا عبـر الاف التفاصيل الدقيقة الطبيعية والبشرية ، وخلال عمليات تحليلية وتركيبية على مستوى عال من العقلانية والذكاء ، مستخدما لغة عربية رصينة خاصـة تجمـع بين العمق والرنين الشـعرى والقـدرة الفائقة على صك الصياغات الجديدة •

ومع احترامي وتقديرى العميق لهذا البناء المتكامل الشـامخ ، الذى هو ذ.رة جهد خـارق ، ومعـرفة عميقة وامانة فكرية ووطنية صـادقة ، فقـد تكون لي بعـض الملاحظات المنهجية خاصة •

حقا ، ان جمال حمدان في اكثر من موضع من كتابه يؤكد بانه ليس هناك حتم جغرافي ، وان كـان يؤكـد فقط وجود حسم جغرافي ، وقـد يكون الحسم قريبا من الحتم ، ولكن الحسم هو تاكيد للفاعلية الجغرافية ، التي يعني انكارها انكار السببية العلمية•

كما يؤكد كذلك أن الجغرافيا عامل هام في تفسير الحيـاة الحضارية المصرية ، ولكنها ليست العامل الوحيد بل ليست العامل الاهم • ولهذا فهو يرفض التفسـير بالعامل الواحـد ، فعند حديثه مثلا عن السكان وتوزيعهم يقول « ان الغطاء البشرى غطاء فصله النيل على قد مصر ••• » ثم سرعان ما يستدرك قائلا : « وهذا لا يعني ان النيل هو العامل الوحيد في تفسير توزيع السكان ، فهناك عوامل اخرى عديدة ، طبيعية وبشريـة واقتصادية واجتماعية وحتى تاريخية • ولهـذا كذلك فهو يرفض التفسير المنـاخي كما يرفض التفسير العنصرى العرقي له ، بل يتبنى بشكل صريح في بعض الاحيان الجدل الهيجلي في التحول من التقرير الى النقيض فالى التركيب على حد تعبيره ، وهو يتحرك دائمـا في دراسته للظواهر من التحليل التفصيلي لها الى التركيب النظرى العام •

هذه بالفعل بعض السمات البارزة

فى منهج دراسته العملية في هــذا الكتاب • الا ان فى بعض تطبيقــاته وتنظيراته العــامة ما يثيــر بعض التساؤلات والملاحظات النقدية :

● فهـــو وان لم يقــل بالحتم الجغرافي ، فانه كاد ان يجعل العوامل الجغرافية الطبيعية فى مستوى العوامل الجغرافية البشرية والاجتمــاعية من حيث الفاعلية ، مما افضى به الى هذه الاحكام العــامة المجردة الاطلاقيــة بالتجانس والتكامل والتناسب والوسط والاعتدال سواء فى المستوى الطبيعى او المستوى البشرى بغير تمييز بينهما او تمايز ، وان جنح احيــانا الى الجانب الطبيعى الخالص مما يرجــح رؤية مادية ميكانيكية الى بعض الظواهر

● وتاسيسا على هــذه الملاحظة الاولى ، فان عمليــة التفسير السببى او العــلى عنده تكاد تكون عمليــة عواملية ، اى تضع مختلف العوامل على مستوى واحــد من الاهمية فى بعض الاحيان مما يحول التفسير الى مجرد وصف ، لانه بهذا لا يقدم تحديدا للعامل الحاسم فى الحركة وخاصة فى المجال الاجتماعي والسياسى •

● وتاسيسا على ذلك ، تبرز سمات التجانس والتكامل والوسطية والتوازن والاعتدال الى اخر ذلك كعملية ناجمة عن متوسط حسابى ، او متوسط عوامل متداخلة ، ولا يبرز اى شكل من اشكال الصراع فى الجــانب الاجتمــاعى والبشرى خاصة • ولهذا تفتقد الرؤية الطبقية فى التضاريس الاجتماعية ، بل تصبح المعادلة الهيجلية عمليــة انتقال بندولى بغير صراع من حــالة الى حالة اخرى « مختلفة » ثم الى حالة ثالثة « متوازنة » •

ولهذا فانه برغم الطابع التاريخى العام للمنهج ، يكاد يسود الثبات فى الرؤية العامة ، ويكاد التاريخ البشرى يصبح مجرد تدفق زمنى ، لا حــركة تاريخية اجتمــاعية صراعيــة •• «فالاستمرارية» تكاد تصبح استمرارية خطية ، طولية ، و « الانقطاع » يكاد يفسر فى اغلب الاحيان بعامل خارجى، كما تفسر بعض الظواهر تفسيرا دوريا على الطريقة الخلدونية ، وخاصة فى مسالة السلطة •

ولهذا كله ، قد تسود فى الكتــاب بعض الاحكام المثالية التوفيقية مثل :

١ ـ انه ينفى عن القــرية المصرية الصراع الدامى الذى عــرفته القرية الاوروبية بين الانســان والانسان ، ويقول بان الحكومة المركزية والمجتمع التعاونى هما الظاهرتان الحتميتان فى كيان مصر الفيضية •• ويستخلص من هذا بانه اذا كانت البيئــة الفيضية تحتم قيام حــكم قوى وتنظيم سياسى مؤثر ، فما معنى هذا ؟ معناه ببساطة ـ كما يقول ـ « بان النظــام النهرى وايكولوجية النيل تؤهل بطبعها وتلقائيا لعنصر كامن اصيل وبعيد المــدى من الاشتراكية التعاونية بالدقة » •

٢ ـ وتاكيدا لنفس هـــذا المفهوم السابق يميز بين الثورة المصــرية والثورة الفرنسية والثورة السوفييتية مستعينا بالقــاعدة الهيجلية بحسب

تعامله معها فيقول : « اذا كانت الثورة الفرنسية هى التقرير والشيوعية هى النقيض فان الثورة المصرية بحق هى التركيب الذى يجمع بين محاسن كل منهما دون اضداد أى منهمـا • وهى لا تعرف التطرف بل تقف في الوسط • ومن هنا يبرز مفهومه عن « العنف الحميد » الخالى من اى دلالة اجتماعية •

٣ ـ وينعكس هذا المفهوم كذلك فى موقفه من القوى الدولية الكبرى ، فهى جميعا تكاد أن تكون على مستوى واحد من حيث استعماريتها • يقول فى نص من نصوصه « انتقلنا من قطب الاستعمار القديم المباشر والتبعية الكاملة الى قطب الاستعمار الايديولوجى والصداقة المزائلة ثم الى قطبالاستعمار الجديد والصداقة الزائفة •• تخلصنا من التبعية لاوروبا خلال روسيا ، ومن التبعية الروسية خلال امريكا ولذلك عدنا الى الغرب » •

٤ ـ ولقد سبق ان اشرنا الى قوله بالوسطية بين الانفتاح والانغلاق ، وبالتوفيقية بين تكنولوجية الحضارة الغربية •

وما أعتقد انه يقصد بهذا التنمية الراسمالية فقد نفى امكانيتها) وبين الايديولوجية العربية الاسلامية والواقع أن هذه الوسطية والتوفيقية تكاد لا تشكل مركبا جديدا من طرفين ، بل هى تركيب وسطى يجمع بين هذين الطرفين •

٥ ـ على أن منهجه يتحرك دائما بين ثنائيات سعيا وراء زواج سعيد بينهما ، اي وسط عادل متزن متعادل بين طرفيها • ولا يقف هذا الامر على المفاهيم بل يمتد الى الجانب الاسلوبى من لغته وتعابيره البلاغية الجميلة مثل « التهويل والتهوين » و « التهليل والتضليل » و « التمجيد والتنديد » و « الانبهار والانهيار » و « التقوقع والتميع » و « والاصيل والدخيل » و « التقاليد والتقليد » و « النافورة والبالوعة » و « التمالك والتهالك » الى غير ذلك ، بين هذه الثنائيات المفهومية والبلاغية يصوغ جمال حمدان فلسفته التوازنية التجانسية التوفيقية التى قد لا تفضى ـ رغم نواياه التغييرية التثويرية ـ الا الى رؤية قومية اصلاحية متقدمة •

هذه بعض ملاحظات منهجية ، لا تقلل بحال من ضخامة وشموخ هذا العمل العظيم الذى قام به جمال حمدان • وهى تعبير عن نفس الصراحة والامانة العقلية التى يتوخاها فى كتاباته • كما هى تعبير عن الاحترام العميق لعمله العلمى ، فعملية العمل وجديته تقاس بمدى ما يثيره لدى قارئة من افكار واشكاليات • وهى فوق هذا وذاك امتداد لحوار قديم قديم منذ سنوات بعيدة تزيد على الثلاثين ، ارجو ان نعاوده معا مساهمة منا فى تنشيط الحوار العلمى والفكرى فى بلادنا •

على انى القول فى النهاية ، لعل بعض هذه الملاحظات النقدية التى اوجهها لكتاب جمال حمدان أن تكون نتيجة لما حاوله جمال حمدان من تقية ـ على طريقة اهل الشيعة ـ فى عرض افكاره ، حرصا على ضمان نشر كتابه

•• اقول هذا مستندا الى امرين :

الامر الاول هو ان فى الكتاب ما يرد على هذه الملاحظات النقدية الذى لا اشك فى ان جمال حمدان كان واعيا بها •

الامر الثانى هو هذا النص الذى جاء فى مقدمة الفصل الاخير من الجزء الرابع من الكتاب وهو الفصل الخاص بالعلاقة بين مصر والعرب • وهو نص طويل اكتفى بان اجتزىء منه هذه الفقرة تحت عنوان « توضيح لابد منه للقارىء » تقول الفقرة « الى أن يزول « وجه مصر القبيح » نهائيا وكذلك وجه العرب الكالح القمىء المنتطع أيضا ، فان من الواضح تماما فى الوقت الحالى الردىء الساقط استحالة كتابة هذا الباب كما ينبغى ، وكما كان فى خطة هذا العمل الكبير • ليس هذا ـ ليثق القارىء ـ حرصا على سلامتنا او حتى على امتنا ، ولكن فقط حرصا على سلامة وصول هذا الكتاب اليه •• وكل لبيب بالاشارة يفهم » •

اليس من حقنا اذن ان نقول لعل فى بعض صفحات الكتاب الاخرى ، وبعض فصوله واحكامه ، بعض التحفظات او الافكار التى لم يعبر عنها جمال حمدان كما كان يجب ان يعبر ؟!

ايا ما كان الامر ، فتحية للدكتور جمال حمدان ، المثقف الملتزم ، والعالم الجاد ، والمفكر الجسور والوطنى المتفانى فى حب وطنه وامته •• وتحية لعمله العظيم الذى يعد بحق اضافة خصبة الى تراثنا الجغرافى والعلمى والى ثقافتنا القومية عامة ••

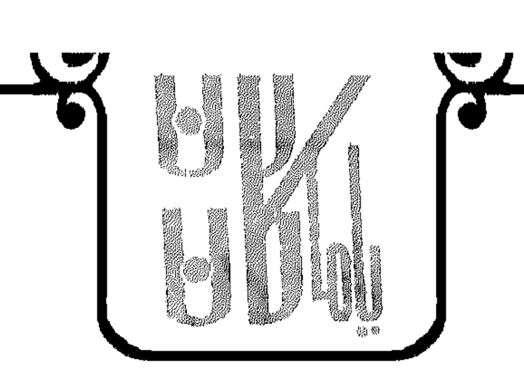
مقالات فى كلمات

● لا تمار فقيها ولا سفيها ، فإن الفقيه يغلبك والسفيه يجترىء عليك .
إبن عباس

● سقوط الانسان ليس فشلا ، وانما الفشل ان يبقى حيث سقط .
دانتون

● عليك بالصدق فهو سفينة النجاح ومركب الشرف ومطية الفلاح .
عثمان كمال الدين

إن اسلوبى فى المزاح ان اقول الحقيقة ، إنها ابدع نكات الارض .
برنارد شو



مملوك في لندن

انجلترا والألفي بك

بقلم : حسين أحمد أمين

كانت الحملة الفرنسية على مصر في نظر الجميع وقت انسحابها ، وبالنسبة لفرنسا بالأخص ، حملة فاشلة من كافة الوجوه . قد وصفها البعض مثل تيير Thiers بأنها « أكثر محاولة في التاريخ تهورا ، وأكثر تهورا من حملة بونابرت على موسكو » ولانكاد نجد في التاريخ مشروعا بدا بمثل ما بدات به هذه الحملة من الطنطنة والمبادىء الرفيعة والأهداف واسعة النطاق . ثم إذا هو بعد بضعة أشهر يتدهور إلى حد أن يهجره صاحبه ، بونابرت ، لمصيره ، ولايكاد خلفه كليبر يفكر إلا في كيفية تخليص رجاله من الورطة والرحيل .

والواقع أن السبب الأكبر في فشل الحملة هو ذلك الافتقار الرهيب إلى التناسب بين ضخامة المشروع والوسائل المستخدمة لتنفيذه ، وقد أضطرت الضائقة التي عاناها الفرنسيون في مصر بعد رحيل بونابرت المفاجىء ، والتي نجمت عن ضغط قوات العثمانيين والانجليز وثورة الأهالي ، اضطرت الفرنسيين إلى التخلي عن الكثير من الاصلاحات التي دشنوها أو فكروا فيها ، وإلى انتهاج وسائل قمع وجمع للمال لاتقل قسوة عن وسائل المماليك والعثمانيين غير أنه من الظلم أن نشارك البعض في اعتقاده أن هذا التراجع عن الاصلاح والضائقة كشفا النقاب عن الوجه الحقيقي للنوايا الفرنسية في مصر . إذ مهما خالط هذه النوايا من الدجل وبواعث النفع الذاتي ، ومهما تدهورت إلى حد اللجوء إلى العسف والعنف ، فلا مفر من الاعتراف لهم بقسط كبير من الرغبة



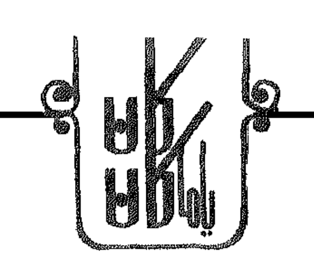
محمد على يصدر اوامره فى مذبحة المماليك كما تخيل الرسام هورس فرنية

الصادقة فى الاصلاح وفى تحرير البلاد من أغلال العصر الوسيط وأوهامه . فإن كانت الأهداف قد تعثرت ، فما كان ذلك إلا لقصر الأمد ، وبسبب الظروف المضطربة المعاكسة التى لم تتح الفرصة لاحداث تغييرات عميقة وواسعة المدى .

ومع قصر المدة التى قضاها الفرنسيون فى مصر ، فقد كان لاقامتهم أثار باقية فى تاريخها . فقد فتحت الحملة أعين الجميع : فتحت أعين المصريين الذين فقدوا عذريتهم باطلاعهم الأول هذا على عادات الفرنجة ونظمهم ، بعد أن ظلوا أكثر من خمسة قرون كزوجة هييرو التى يتحدث عنها مونتنى والتى كانت تظن لعفتها أن رائحة افواه الرجال كافة خبيثة لأن رائحة فم زوجها خبيثة ! وفتحت أعين العثمانيين على حقيقة أن تمسكهم بتقاليدهم الشرقية لن يجدى شيئا فى مواجهة عدوانية الغرب ، وأن عليهم أن يتبنوا نفس سلاح الغرب لمحاربته به ، وإن كان هذا التبنى من شأنه حتما أن يقضى تدريجياً على هذه التقاليد ، حتى مالم يكن له علاقة بالسلاح والحرب . وفتحت أعين الدول الأوروبية على أهمية الاستحواذ على مصر ، أو على الأقل ، مراقبة سير الأحداث فيها باهتمام ، وضرورة التدخل فى الوقت المناسب لفرض إرادتها قبل أن تأخذ الأمور فيها مجرى فى غير صالحها .

● انجلترا تفكر فى مصير مصر ●

وقد بادرت انجلترا بالذات ، فور خروج



الفرنسيين ، وأثناء إقامة قواتها فى مصر للاشراف على رحيل الحملة عن البلاد وإقرار الوضع الجديد فيها ، إلى التفكير الجدى النشط فى مستقبل هذه الأمة التى طفرت فجأة الى مسرح السياسة الدولية وكان تفكير أعضاء الوزارة البريطانية ومن استعانت بهم من الدبلوماسيين والساسة فى دراسة الموضوع ، على المنوال التالى :

لقد كان المماليك قبل قدوم الحملة الفرنسية هم أصحاب السلطة الحقيقية فى مصر ، بينما كانت سيادة العثمانيين إسمية فحسب . وقد وجه الفرنسيون إلى المماليك ضربة قوية غير أنه لم يزل بهم رمق ، والعثمانيون أضعف من أن يجهزوا عليهم . ومن الواضح أن كلا من الفريقين عاجز عن حماية مصر من غزو كالغزو الفرنسى . ولذا فإنه ليس من الحكمة السماح بالعودة إلى حالة الفوضى والاستبداد التى سهلت وقوع البلاد فى ايدى أعداء الانجليز . وقد عاد المماليك والعثمانيون إلى مصر ، وعادوا إلى الصراع فيما بينهم ، مما يوضح أن انفجارا ماقد أصبح وشيك الوقوع ، وإن صعب التنبؤ بالجهة التى سيصدر عنها . فالحل إذن هو أحد ثلاثة أمور .

الاول : احتلال بريطانى صريح لمصر . والثانى : أن تظل مصر تحت سيادة الباب العالى ، مع تعيين بعض أمراء المماليك ذوى الشعبية والنفوذ حكاما للأقاليم ، وتعيين مندوب بريطانى مع كل منهم ، ومراعاة نقل هؤلاء الحكام من المماليك بين حين وأخر من إقليم لاقليم . والحل الثالث هو تدمير مصر عن طريق إغراقها ، وإن كان فى ذلك خطر الاساءة إلى سمعة بريطانيا إساءة بالغة . (من مذكرة الدبلوماسى چ . ب . موربيه إلى حكومته بتاريخ ٧ يوليو ١٨٠١) . والرأى على كل حال هو أنه « يجب ألا يسمح لمصر بأن تبقى فى وضع نشط ، أو فى أيدى نشطة» « EGYPT must not emain in an active stete or in active hands » (من تقرير للكابتن بلانكيت إلى الحكومة البريطانية بتاريخ ٢٦ يناير ١٧٩٩) .

بريطانيا مع المماليك

غير ان راى الحكومة البريطانية استقر فى النهاية على ان تقوم بدور الوسيط بين الأطراف المختلفة ، وأن تسحب جيشها من مصر . وإذ رات انه قد ينجم من جراء هذا الانسحاب خطر عودة البلاد إلى الطغيان والفوضى ، فقد أوصت الباب العالى بإجراء إصلاحات فى مصر ، أبدت بريطانيا استعدادها للمساهمة فى تنفيذها . بيد أن نظرة البريطانيين إلى طبيعة الاصلاحات المطلوبة كانت تختلف عن نظرة الفرنسيين فهم شعروا بانه من الواجب اولا إحداث تغيير جذرى فى عادات المصريين واخلاقهم ونظم الحكم


الجنرال كليبر

فى بلادهم ، وأن عليهم أن يتعلموا نمطا من التفكير لم يعهدوه وسلوكا لم يألفوه ، وأن تمر سنوات من السلام والنظام والأمن والحكم الصالح قبل النهوض بالاصلاحات العالية الضرورية . والمصريون بوجه عام ضعيفو الرغبة فى تبنى أى تغيير فى عاداتهم . وهم مع تمتعهم بالصفات التى قد تجعلهم ، لو أنها نميت ، قادرين على أن يصبحوا أمة حرة ، سيظلون أمدا طويلا محرومين من الحرية ومن الطاقة اللازمة لنيل الاستقلال . وكان البريطانيون يؤمنون بانه من الضرورى من أجل إقامة وحدة وطنية ، أن تقوم سلطة مركزية توفر الأمن وتستأصل احتكار الامتيازات ، كما ينبغى خلق صلة حقيقية او مفتعلة بين مصر الفرعونية ومصر الحديثة ، حتى تحرر البلاد من الارتباط بالتاريخ الاسلامى ، وتسهل إقامة المسيحيين من أقطار البحر الأبيض المتوسط فيها ، وهذا المسلك الهادىء التدريجى كفيل بان يجنب البلاد الفشل الذى كان نصيب تجربة الفرنسيين ، وهم الذين حاولوا « إلحاق عضو حى بجثة عفنة » !!

وكانت بريطانيا تميل إلى أن تكون السلطة الفعلية فى مصر فى يد المماليك دون العثمانيين فهم رغم عيوبهم قد ألف المصريون حكمهم . فإن ساعدتهم بريطانيا على استعادة مكانتهم ، ووثقت صلاتها بهم ، امكنهم فى المستقبل طرد العثمانيين من مصر ، وحفظوا لبريطانيا مشاعر الولاء والامتنان .

وانسحبت القوات البريطانية من مصر عام ١٨٠٣ مصطحبة معها إلى انجلترا أميرا من أعظم أمراء المماليك نفوذا وجاها ، وهو محمد بك الألفى ، زاعمة أنها تود أن يكون فى انجلترا ممثل للمماليك يعرض وجهة نظرهم ، وآملة فى قرارة نفسها أن يصبح هذا الأمير فى الوقت المناسب أداة قوية فى يد الحكومة البريطانية تستخدمها فى بسط نفوذها على مصر . وكان الألفى قبل رحيله معهم بنحو عامين قد خطرت بذهنه فكرة الهجرة إلى بريطانيا . غير أنه حين أراد أن يطمئن على معرفة نسبة الفائدة التى سيحصل عليها من إستثمار أمواله فيها وأخبروه أنها تزيد عن ستة فى المائة . غيّر رأيه إذ رأى هذه النسبة ضعيفة بالمقارنة بالثلاثين فى المائة التى

يتقاضاها على مايقدمه من قروض إلى الفلاحين فى مصر ، والتى كان الفلاحون يدفعونها بشعور من الامتنان له !

كان الانجليز إذن يعلقون آمالهم على إعداد الألفى لحكم مصر . وكان القصد من حملة فريزر التى أرسلوها إلى مصر عام ١٨٠٧ ، مساعدة الألفى وحزبه ضد محمد على الذى أصبح واليا على مصر قبل الحملة بنحو عامين ، والذى كان الانجليز يرونه « رجلا تنقصه كل مبادىء الشرف ، على استعداد لتقديم خدماته لأية حكومة تدفع له مبلغا أكبر من المال ، على حد اعترافه هو نفسه » ، ويخشون من أن يكون قد باع نفسه بالفعل للفرنسيين .

وإذ كان الالفى هذا إذن قاب قوسين أو أدنى من تولى حكم مصر ، بما ينطوى عليه هذا من احتمالات ضخمة بالنسبة لتاريخ مصر اللاحق ، ولما كانت قصة هذا الرجل الفذّ ليست بالخالية تماما من المغزى وتلقى ضوءا على ظاهرة تأثر الشرقيين بالنظم الغربية فى ذلك العصر ، فأنه قد يكون من المفيد التعرض لهذه القصة ببعض التفصيل :

محمد بك الالفى

ولد الألفى فى حوالى عام ١٧٥١ م ، ورغم أن المؤرخين أغفلوا ذكر موطنه الأصلى ، فالراجح أنه كان جركسيا ، وفى عام ١٧٧٥ جلبه بعض التجار إلى مصر لبيعه ، فتنقل من ملكية أمير إلى ملكية أخر من أمراء المماليك ، حتى استقر



عمر مكرم

مملوكا لمراد بك شريك ابراهيم بك فى حكم مصر .

وكان الألفى رجلا صعب المراس ، قوى الشكيمة ، مشهورا بالفجور والعسف فخافته الناس ، وخافت مماليكه الذين بات يكثر من شرائهم وينشئهم على طبيعته . ولم يزل على حالته هذه وسطوته حتى حضر حسن باشا الجزايرلى واليا على مصر من قبل العثمانيين ، فخرج مع مماليكه إلى الوجه القبلى مقيما به أكثر من أربع سنوات أحدث به تغييرا كبيرا فقد رزن عقله خلالها ، وأحب العزلة وتعلق قلبه بمطالعة الكتب والاهتمام بالعلوم خاصة علمى الفلك والهندسة ، يخالط أهل العلم بهما ويقتنى الكتب فيهما وفى التاريخ غير أن هذه الاهتمامات الجديدة أثارت احتقار مماليكه له ، فتجرءوا عليه وترفعوا وضعف سلطانه عليهم ، حتى

اضطر إلى التراجع بعض الشىء عن ميوله المستحدثة وشغفه بالعلوم إلى ما كان عليه قبلها .

ثم عاد الى القاهرة فبنى لنفسه دارا بالغة الفخامة فى حىّ الأزبكية . وكان له أصدقاء من الفرنجة زودوا حديقتها بنافورة ضخمة من الرخام على صورة أسماك يخرج الماء من أفواهها . فما أنتهى العمل فيها وانقضت ستة عشر يوما على انتقاله للسكنى بها حتى وصلت الحملة الفرنسية ! فهرب الالفى إلى الصعيد هو ومماليكه ، حيث دارت بينه وبين الفرنسيين وقائع هائلة استخدم فيها الكر والفر ، دون أن يفلح الفرنسيون فى اقتناصه .

غير أن متاعبه لم تنته بخروج الفرنسيين من مصر (١٨٠١) . كان فى الخمسين من العمر من وقت عودته إلى القاهرة . وكان القلق يساوره بشأن مستقبل الحكم فى البلاد ومصير المماليك . ذلك لأنه ، على حد تعبير الجبرتى ، « كان صحيح النظر فى عواقب الأمور . فكان لايستقر له قرار ، ولم يدخل إلى الحريم ، ولم يبت بداره إلا ليلتين على سجادة ومخدة فى القاعة السفلى » ويضيف الجبرتى قوله : « ذهبت إليه مرة فى ظرف اليومين ، فوجدته جالسا على السجادة ، فجلست معه ساعة . فدخل عليه بعض أمرائه يستأذنه فى زواج .. فنتر فيه وشتمه وطرده . وقال لى : أنظر إلى عقول هؤلاء المغفلين هؤلاء ! يظنون أنهم استقروا بمصر ، ويتزوجون ويتأهلون ، مع أن جميع ماتقدم من حوادث الفرنسيين وغيرها أهون من الورطة التى نحن فيها الآن .. إن هؤلاء العثمانيين لهم السنين العديدة يتمنون نفوذ أحكامهم وتملكهم لهذا الاقليم . ومضت الاحقاب وأمراء مصر قاهرون لهم وغالبون عليهم ليس لهم معهم إلا مجرد الطاعة الظاهرة ، وخصوصا فى دولتنا الأخيرة ، وماكنا نفعله معهم من الاهانة ومنع الجزية وعدم الامتثال لأوامرهم . وكل ذلك مكمون فى نفوسهم ، زيادة على ماجُبلُوا عليه من الطمع والخيانة والشره . وقد ولجوا البلاد الآن وملكوها على هذه الصورة ، وتأمروا علينا ، فلا يهون بهم أن يتركوها لنا كما كانت بأيدينا ويرجعوا إلى بلادهم بعد ما ذاقوا حلاوتها » .

● الألفى بك فى لندن ●

وكان من رأى الألفى أن يستعين المماليك بالانجليز فى وضع الشروط مع العثمانيين التى تضمن سلامة المماليك وعودتهم إلى نفوذهم السابق ، وجلاء العثمانيين عن مصر غير أن غالبية المماليك كانوا مطمئنين لوعود العثمانيين ، ورفضوا الاستعانة بالانجليز « أعداء الدين ، فيحكم العلماء بردّتنا وخيانتنا لدولة الاسلام » وكاد رد الألفى عليهم أن العثمانيين أنفسهم استعانوا بالانجليز ، وأنه لولا هذه المساعدة لما قدروا على إخراج الفرنساوية من البلاد » ولم تمض أشهز قلائل على هذا النقاش حتى أوقع العثمانيون بأمراء المماليك فهرب منهم من القاهرة من استطاع



الهرب ، ودارت بين الألفى وجنود العثمانيين معركة هائلة بالبحيرة كان النصر فيها حليفه .

بيد أن الألفى فضل بعد هذا النصر وبإلحاح من المماليك ، أن يسافر إلى انجلترا فوصل إلى لندن فى أكتوبر عام ١٨٠٣ حيث أقام لمدة تزيد عن سنة مع خمسة عشر شخصا من مماليكه . فأما التقارير البريطانية الخاصة بإقامته فى لندن فلا توحى بأنه استفاد كثيرا من اطلاعه على نظم الحياة الانجليزية ففى عدد أكتوبر ١٨٠٣ من « الجنتلمانز ماجازين » اللندنية ، صفحة ٩٧٢ ، ذكرت المجلة إن لم يتبين من العادات الانجليزية « غير عادة شرب البنش ... ولا يخلص إلا لغليونه ، مبهورا بكل شيء هنا خاصة النساء ، ويشرب زجاجتين من الشمبانيا

نابليون فى احدى حملاته الحربية



أو البرجندى بعد كل وجبة عشاء » ! وأما قارىء الجبرتى فيخرج بانطباع قوى عن مدى استفادته من إقامته هذه بإنجلترا فقد تهذبت أخلاقه بما اطلع عليه من عمارة بلادهم ، وحسن سياسة أحكامهم ، وكثرة أموالهم ، ورفاهيتهم وصنائعهم ، وعدلهم فى رعيتهم مع كفرهم ، بحيث لا يوجد فيهم فقير ولامستجد ولا ذو فاقه ولا محتاج . وقد أهدوا له هدايا وجواهر وآلات فلكية وآشكالا هندسية وأسطر لابات وكرات ونظارات ، وفيها ما إذا نظر الانسان فيها فى الظلمة يرى أعيان الاشكال كما يراها فى النور ! ومنها لخصوص النظر فى الكواكب فيرى بها الانسان الكوكب الصغير عظيم الجرم وحوله عدة كواكب لاتدرك بالبصر الحديد ، ومن انواع الأسلحة الحربية اشياء كثيرة ، وأهدوا له آلة موسيقى تشبه الصندوق ، بداخلها اشكال تدور بحركات فيظهر منها اصوات مطربة على ايقاع الانغام ، وضروب الالحان !

ويظهر تاثير « عدلهم فى رعيتهم » فى نفس الالفى من القصة التالية التى يرويها الجبرتى عنه :

« أخبرنى بعض من خرج لملاقاته عند منوف العلا ، انه لما طلع إليها وقابله سليمان بك البواب . وكان قد بلغ الالفى كافة افعاله بالمنوفية من العسف والتكاليف ، تسامروا فى ذكر العدالة الموجبة لعمار البلاد . فقال الالفى لسليمان بك : الانسان الذى يكون له ماشية يقتات هو وعياله من لبنها وسمنها

وجبنها . يلزمه أن يرفق بها فى العلف حتى تدرّ وتسمن وتنتج له النتاج بخلاف ما إذا أجاعها وأجحفها وأتعبها وأشقاها وأضعفها ، حتى إذا ذبحها لايجد لها لحما ولادهنا ، فقال سليمان بك : هذا ما اعتدناه وربينا عليه . فقال الألفى : إن أعطانى الله سيادة مصر والامارة فى هذا القطر ، لأمنعنّ هذه الوقائع ، وأجرى فيه العدل ليكثر خيره وتعمر بلاده وترتاح أهله ، ويكون أحسن بلاد الله . ولكن الاقليم المصرى ليس به بخت ولا سعد ، وأهله تراهم مختلفين فى الأجناس ، متنافرى القلوب منحرفى الطباع ».

انظرى يامصر إلى أولادك »

عاد الألفى من انجلترا إلى مصر فى أواخر عام ١٨٠٤ ، فإذا به يفاجأ بنجم آخر فى صعود سريع ، هو نجم مغامر ألمعى تمكن من الاستفادة لصالحه من ضعف العثمانيين والمماليك جميعا . وعندما نجح العلماء فى تولية محمد على حكم مصر ، غضب الألفى وهاج ، واتجه إلى البحيرة محاولا الاستيلاء ، على دمنهور ، فقاومه أهلها بما كان يرسله إليهم عمر مكرم من الاسلحة ، فى حين وجد محمد على من السهل استمالة أمراء المماليك إلى صفه بالمراسلات والهدايا ، وبسبب ماكانوا يكنونه للألفى من الغيرة والحقد . رغم تحذير الألفى المتكرر لهم من نوايا محمد على .

وارسل إليه محمد على جيشا ليحاربه عند دمنهور ، فهزمه الالفى شر هزيمة غير انه لم يطارد فلوله . وبادر فأرسل إلى الحكومة البريطانية يلتمس منها إرسال قوة عسكرية تساعده . فوعدته بانفاذ ستة آلاف جندى بريطانى . واقام الالفى ينتظر قدوم الانجليز قرابة ثلاثة أشهر . وإذ هو قرب قناطر شبرامنت فى طريقه مع مماليكه إلى الصعيد ، « نزل على علوة هناك ، وجلس عليها ، وزاد به الهاجس والقهر ، ونظر إلى جهة مصر (القاهرة) وقال : يامصر ! انظرى إلى أولادك وهم حولك مشتتين متباعدين مشردين واستوطنك أجلاف الأتراك واليهود وأراذل الأرنؤد ، وصاروا يقبضون خراجك ويحاربون أولادك ويقاتلون أبطالك ويسكنون قصورك ... » ولم يزل يردد هذا الكلام وأمثاله وقد تحرك به خلط دموى . وفى الحال تقيأ دما ، وقال :

قضى الامر وخلصت مصر لمحمد على . وليس ثمة من ينازعه ويغالبه ، وجرى حكمه على المماليك المصرية ، فما أظن أن تقوم لهم راية بعد اليوم .

ثم مات فى تلك الليلة » .

وعندما دخل على محمد على من يبشره بوفاة الألفى ، صاح الرجل فى فرح عظيم :

ـ الآن طابت لى مصر ، وما عدت أحسب لغيره حسابا .

● ● ●

وفى ١٣ مارس ١٨٠٧ ، أى بعد وفاة الألفى بأربعين يوما بالضبط ، وصل الجيش البريطانى بقيادة فريزر إلى الاسكندرية .

قاهرة القرن السابع عشر

حقيقة ان رحلة اوليا جلبى فى مصر رحلة مثيرة لانها تتضمن تفصيلات دقيقة قيمة عن مشاهدات هذا الرحالة التركى الذى زار مصر فى القرن السابع عشر الميلادى .

يقتصر عرضنا هنا لبعض جوانب قاهرة القرن ١٧ اى قاهرة العثمانيين اثناء زيارة اوليا لمصر . نحاول ان نذكر الجديد فى القاهرة مبتعدين عن تناول ما هو معروف مثل الآثار المملوكية اى نقتصر على الجديد المثير الذى لم نكن نعرفه الا من خلال هذه الرحلة .

والواقع ان رحلة اوليا جلبى رحلة فريدة فقد قضى هذا الرجل بها حوالى نصف قرن زار فيها ٢٣ دولة من دول العالم اليوم فى كل من اسيا وافريقيا واوربا .

زار اوليا جلبى مصر مرتين الاولى عام ١٦٧٢ م والاخرى عام ١٦٧٦ وكان قد جاء الى مصر من رحلته الى الحجاز اذ دخل مصر عن طريق العقبة وشبه جزيرة سيناء وغادرها الى السودان وافريقيا ، ثم عاد اليها مرة اخرى .

فى ٤ يونيو ١٦٧٢ وصل هذا الرحالة الى القاهرة وكان يبلغ من العمر واحدا وستين عاما .

يبدا وصفه للقاهرة بوصف قلعة صلاح الدين ومصنع البارود فى القلعة واتخاذ الوالى العثمانى سكنه فيها وتفوق البارود المصرى على البارود الاوربى من حيث الصناعة .

● احياء قاهرة القرن ١٧ ●

بيوت القاهرة ٣٦٫٠٠٠ بيت فى

فى رحلة أوليا چلبى

بقلم : د . محمد حرب

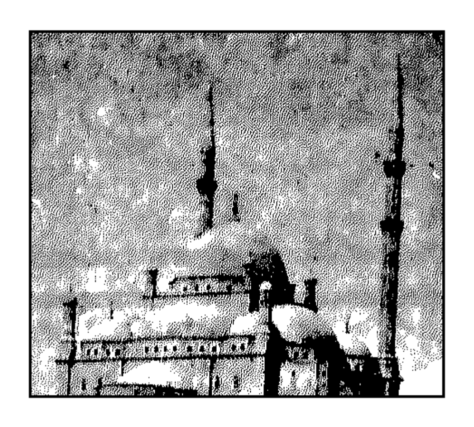


قاهرة القرن السابع عشر

حارات لها أبواب وحراس ، ولا يمكن المرور من حارة الى أخرى ليلا الا اذا تعرض المار للسؤال . وفى القاهرة ٢٧٠ حارة مسلمة أغلبها للعرب ، لكن الاتراك موجودون يسكنون قسم القلعة المحاط بالسور .

وفى القاهرة ٧٨ قصرا كل واحد منها فخم وبعضها يضارع أعظم قصور العالم ، مثل قصر السلطان قايتباى على ضفاف بركة الذيل وقصر محمد باشا الشواربى وقصر محمد باشا البلتاجى .

٢٢٠٠٠ بيت من مجموع بيوت القاهرة خاص بالمسلمين . أما المقبط فهم فى ٢٠ حارة و ٦٠٠ منزل و ٩٠٠٠ نسمة . واليهود تجمعوا فى بعض حارات تشكل حيا واحدا ،وعدد اليهود بالقاهرة ٦٠٦٠ نسمة منازلهم خمسة أدوار أو اكثر والمسلمون فى القاهرة لا يحبون المنازل العالية . أزقة اليهود ضيقة لدرجة أن من المتعذر مرور جمل منها أو فرس . وتقوم فصيلة من الانكشارية بمراقبة اليهود دائما فى حيهم . وللاروام فى القاهرة أربع حارات وللارمن حارتان ومجموع سكان الروم والارمن ٣٠٠٠ .. والنصارى من التابعين لبلدان أوربا



قلعة محمد على

أو الدولة العثمانية ، فيتراوح عددهم بين ٦٠٠٠ ــ ٧٠٠٠ نسمة وهؤلاء يتجمعون فى حارة يسكنونها وفيها مراكز لقناصل سبع دول أوربية . . الغجر من المسلمين فى القاهرة قليلون والغجر من النصارى كثيرون . وفى القاهرة تجد ناسا من كل الاجناس والزنوج المسلمون كثيرون . والعبيد والجوارى من كل الاجناس وبأعداد كبيرة ، وهؤلاء العبيد والجوارى يتعلمون العربية سريعا واذا اشتغلوا فى بيوت تركية فانهم سريعا مايتعلمون اللغة التركية .

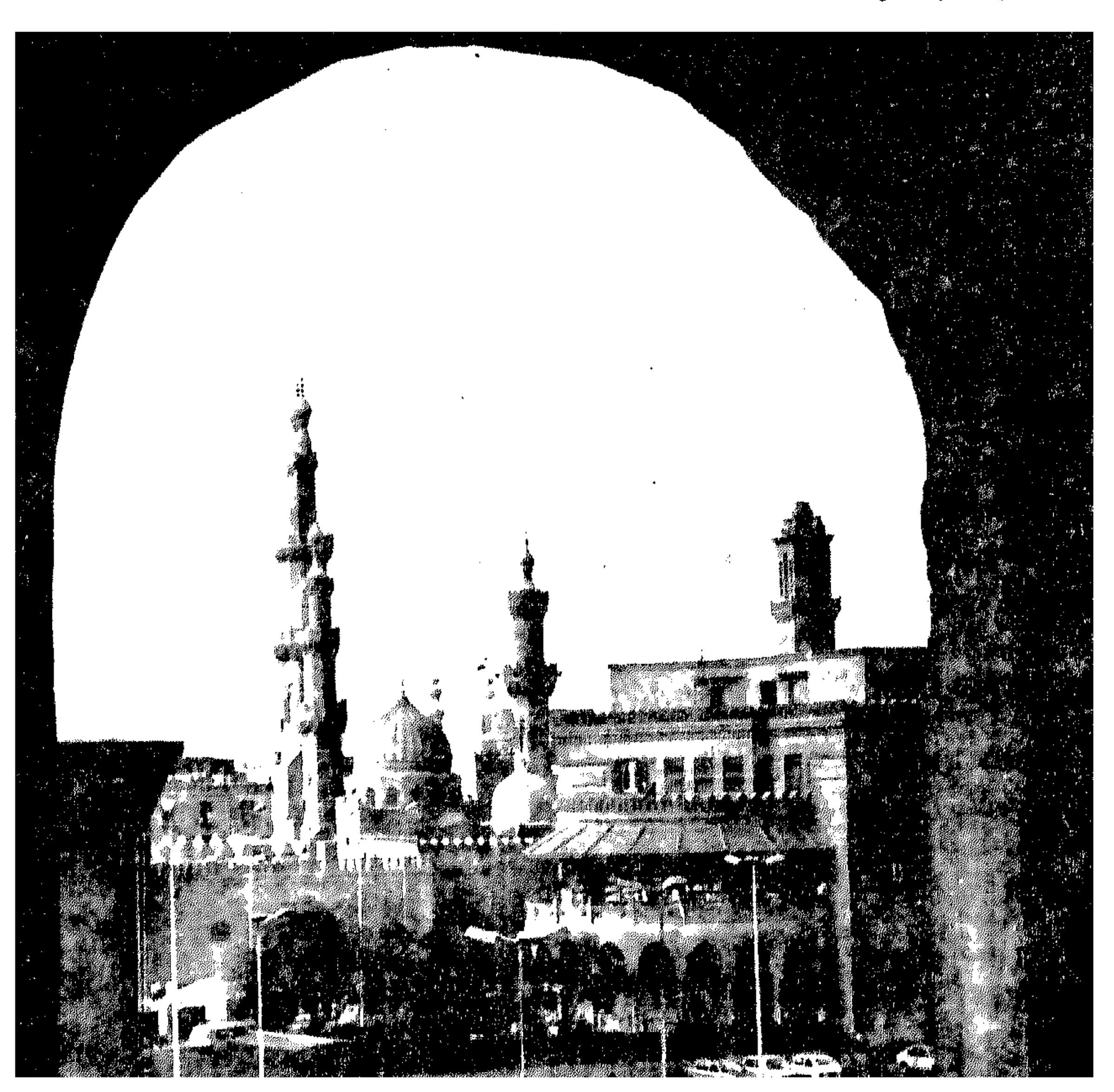
جوامع القاهرة

بالقاهرة ١٥٦ جامعا كبيرا من جوامع الحكام ، أقدمها جامع عمرو ابن العاص الذى لم يبن مثله ــ لفترة طويلة من انشائه ــ فى البلدان العربية ، وبه من المنارات أربع ، وقد

رممه الداماد بايرام باشا عندما كان اميرا لامراء مصر .

وفى القاهرة : الجامع الازهر الذى ليس كمثله جامع قط فى الدنيا فعدد الطلاب به ١٢٠٠٠ طالب اسكنوا فى بيوت حوله ، به أربعة محاريب للمذاهب الاربعة و ٩٠٠٠ دولاب ممتلئة بالكتب ، وفيه من حفاظ القرآن الكريم من ٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ مقرىء أغلبهم من العميان . والمذهب السائد هو الحنفى . واروقة الطلاب فى الازهر مقسمة حسب قومياتهم والطلاب من كل جنس ولون ولغة الا أن تفاهمهم بالعربية . والمذاهب الاربعة متساوية فى التعامل . فى الازهر ١٧٠ شيخا واروقة الطلاب العرب فى الازهر قذرة

المآذن والقباب التى تميزت بها القاهرة منذ اقدم العصور



قاهرة القرن السابع عشر

وفى الازهر طـــلاب سنيون من ايران وكثير من أتراك تركستان • والطيور لا تعشش فى الازهــــر وسبب ذلك مجهول ، ومطبخ الجامع الازهر مفتوح دائماً للفقراء •

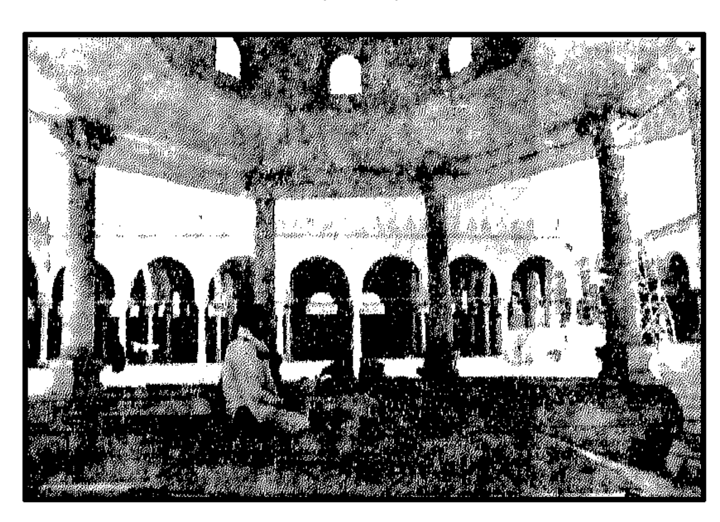
ثم عدد «أوليا جلبى» الجوامع الكبيرة فى القاهرة بوصف دقيق وعلى مــر العصور الاســـلامية أما الجـــوامع العثمانية التى ذكرها فمنها : جـــامع «الني بارماق» فى ميدان الرماية وجامع الداودية نسبة الى داود باشـــا من ولاة مصر فى عهد السلطان سليمان القانونى وجامع اسكندر باشـــا وهو ايضا من ولاة مصر العثمانيين وهـــو جامع على نمط جامع رستم باشا فى استانبول وبنـــاؤه تقليـــد لاسلوب المعمـــارى سنان فى استانبول وجامع سليمان باشا (وبنى عام ١٥٢٩ م) وامام محرابه أربعون مصحفا خطهـا أعظم الخطاطين ومن الجوامع العثمانية بمصر جامع محمد كتخدا الحبشى وجامع ابراهيم أغا وكان هذا اغا الانكشارية فى مصر • قال « أوليا جلبى » ان المقيد فى دفاتر مصـــر أن مساجدها كلهـــا ٤٦٠٠٠ مسجد •

● مدارس القاهرة ●

٦٨٠ مدرسة للحديث فى القاهرة فى القرن ١٧ يطلق على الواحدة منها « دار الحديث » وأكثـر من ٥٠٠٠٠ من المحدثين حصلوا على اجـــــازة الحديث فى القـــاهرة • وهم يحفظون مـن ٢٠٠٠٠ ـ ٣٠٠٠٠ حـــديث بسلاسلها • وحفــظ الحديث منتشر بالقاهرة وقسم من الحفاظ عميان ولا يوجد بلد فى العالم به نسبة عميـان كبيرة بقدر مصر • والحفظ فى نظـــام التعليم المصرى أساس •

فى القاهرة ٢٠١٥ مدرسة ابتدائية للصبيان كلها وقف وفى كل مصـــر ٦١٧٦ مدرسة ابتدائية من ذلك نعلم أن ثلث مدارس مصر مركز فى القاهرة •• والآذان فى هذه المدارس يرفع على مقام حجـــاز أوسيكاه او حسينى ، وليس هذا بعادة فى البلاد العثمانية الاخرى • والدراسة فى المدارس تتم باللغة العربية •

مسجد عمرو بن العاص من الداخل



بالقاهرة ٣٦٠ تكية صوفية و ٦٨٠ زاوية (تكية صغيرة) و ٢٠٠ من هذه التكايا تابعة لطريقة احمد البدوى وهى طريقة منتشرة فى القاهرة انتشارا كبيرا • وعدد زوايا هذه الطريقة فى مصر ـ كما هو مسجل بدفاترها ـ ٢٠٦٠ر٢ زاوية يبلغ عدد المنتسبين اليها ٣٠٠ر٠٠٠ مريد ومركزها طنطا •

والتكية الرفاعية تتبع الطريقة الرفاعية وهى منتشرة بالقاهرة وتقع هذه التكية أسفل جامع السلطان حسن ، وهى تكية ضخمة وفى مصر ١٠٠ر٠٠٠ منتسب للرفاعية •

ورغم أن الشافعية ليست طريقة الا ان فى القاهرة تكية شافعية يتجمع فيها ـ فى كل أسبوع مرة ـ حوالى ستة الاف شخص لقراءة القران الكريم حتى الصباح •

وتكية عمر بن الفارض بالقاهرة يتجمع فيها خمسة او ستة اشخاص عقب صلاة كل جمعة لقراءة القصيدة التائية لابن الفارض بصوت مرتفع وعلى مقام حجاز وعشاق •

عدد « أوليا جلبى » التكايا الاخرى بتفصيلات • من هذا : التكية القادرية وتكية قدم النبى والشيخونية وخواجا كان » والازبكية والنظامية الكاشفية ، والواحدية وهذه الاخيرة خاصة بمسلمى الهند •

اسهب اوليا جلبى كعادته ، فى وصف حمامات القاهرة ومن بين الاسماء التى عددها ، حمام سليمان باشا بالقلعة وحمام مصطفى باشا فى سوق السباهى وهو اوسع حمام فى مصر تقريبا وحمام الدرب الاحمر وحمام الصوباشى وحمام الشيخ البكرى فى الازبكية وحمام تحت الربع وحمام الحبانية وحمام الجماميز وحمام كوبرى الليمون وحمام النساء •

ويقول اوليا جلبى أن الحمامات فى القاهرة آثار عثمانية لاهتمام الاتراك بالحمامات ، وان كان بالقاهرة بضع حمامات بقيت من العصرين المملوكى والايوبى •

● بولاق وقصر السبتية ●

كلمة بولاق تركية والاتراك هم الذين اسسوها ومساحتها فى القرن ١٧ كانت ٢٥٠٠ ذراع طولا و ٣٠٠٠ ـ ٨٠٠ اتساعا • ومسجل فى دفاتر رئيس ميناء بولاق أن ١٠ر٠٠٠ سفينة تتجه من بولاق الى البحر المتوسط • ولوالى مصر ممثل فى بولاق برتبة امير سنجق •

وبولاق ميناء هام على النيل ، فيه ١١ مدرسة و ٦ دور للقراء و ٣ دور للحديث وست تكايا و ٧٣ خانا • والتكية الكلشنية اكبر تكايا بولاق •

تتكون بولاق من ٤٥ حارة و ٦٧٠٠

قاهرة القرن السابع عشر

جامع و ٣٠٤ مسجد • وترســـانة بولاق عظيمة قطرها ٢٠٠٠ ذراع •

فى شمال بولاق يوجد قصر عظيم مكون من سبعة طوابق يطلق عليه قصر السبتية يطل على النيل يتسم بالجمال فى كـــل شىء : حوضه وشادروانه ونوافذه وحدائقه وهو مخصص لوالى مصر الذى يأتى يوماواحدا فى الاسبوع مع معينة ليستريح فى قصر السبتية •

مصر القديمة

وكانت تحتوى على ٤٦٠٠ منزل ويمر على مينائها ١٠,٠٠٠ سفينة ولوالى مصر ممثل أيضا فيها بدرجة امير سنجق معه ٣٠٠ رجل • وحول قلعة مصر القديمة خندق عميق من جهاتها الاربع ، يجرى تنظيفه كل عام ولا يستخدم فى الاغراض العسكرية كما كان من قبل ، وكانت هذه القلعة ذات يوم هائلة مجهزة بكل ما يلزم ولم تعد كذلك ومع كل ذلك ممنـوع دخول المدنيين اليها •

مقاهى القاهرة

٦٤٣ مقهى فى القاهرة وقت زيارة أوليا جلبى لهـــا • يقول أن بعض المقاهى كانت الواحدة منها تستوعب ألفا من الرواد • المقاهى وقتها كانت مجهزة بالفسقيات واحواض المـــاء والشادروانات والمقصـــورات • ومن اشهر مقاهى القاهرة وقتها واجملها وأكثرها تكلفـــة هى مقهى الغورية ومقهى باب الفتوح ومقهى ميدان الرملة ومقهى باب الشرعية ومقهى الكتخــدا الحبشى ومقهى الجمامين وكان مجموع من يعمل فى مقاهى القاهرة ويخــدم فيها ٣٠٠٠ شخص •

كانت مقاهى القاهرة تقدم الدخان • كما كان بها « المقلدون » و «المضحكون» للتسرية عن الرواد •

تجارة الرقيق بالقاهرة

يقول أوليـا جلبى أن بالقـــاهرة ـ وقتها ـ مهنة لا توجد الا فيها وهى صيد العبيد • القائمون على هـــذه التجارة تجار لا يعرفون الرحمـــة ، قساة ، انعدم النور من وجوههم ، يطلق على الواحد منهم « جلاب ـ وهم بالقاهرة ٢٠٠٠ لهم خانات خاصة بهم •• يقومون فى العام مرة بعملية صيد العبيد من أواسط افريقيا • يصطادون الزنوج من غير المسلمين • اغلب تجار هذه المهنة من العـــرب المصريين من جنوب مصر • يتجمعون فى القاهرة . ولهؤلاء عشر جراحين يشتغلون معهم يتخصصون فى اجراء عمليات الخصى• يخدرون الزنجى بواسطة شراب معين ثم يربطونه ويقطعون بالموسى مواضـع الحبـــاء وعضو الذكورة مع وضع بوصة أو قصبة فى مكان نزول البـول حتى لا ينغلق المكان ، ويوقفون نزيف الدم بأدوية نباتية ويضعون مسحوق

البيوت على الجوارى البيض والسود من غير المسلمات وعلى الاعرابيات والحبشيات ونساء من مختلف الشعوب الاخرى •

وان كان بالقاهرة ٨٠٠ بغى يتجمعن فى باب اللوق ـ غير ١٢٠٠ منهن يعملن فى البيوت للتعيش بهذا ، فانهن تحت رقابة ثلاثة موظفين كل واحد منهم فى القاهرة وواحد فى بولاق وواحد فى الفسطاط و ٤٠ موظف بلدية لمراقبتهن ويطلق على كل واحد من الثلاثة الرئيسيين « شيخ العرصات »• ولا يمكن للبغى قضاء الليل فى غير بيتها ، والقوادة مهنة ملحقة بالبغاء ، يحترفها ٣٠٠ من النساء السابقات فى هذه المهنة • ويطلق على الرجل فى هذه المهنة « ديوث » وعلى المرأة فيها « واسطة النسوان » •



احياء القاهرة تميزت بعمارتها الإسلامية الفريدة فى بابها

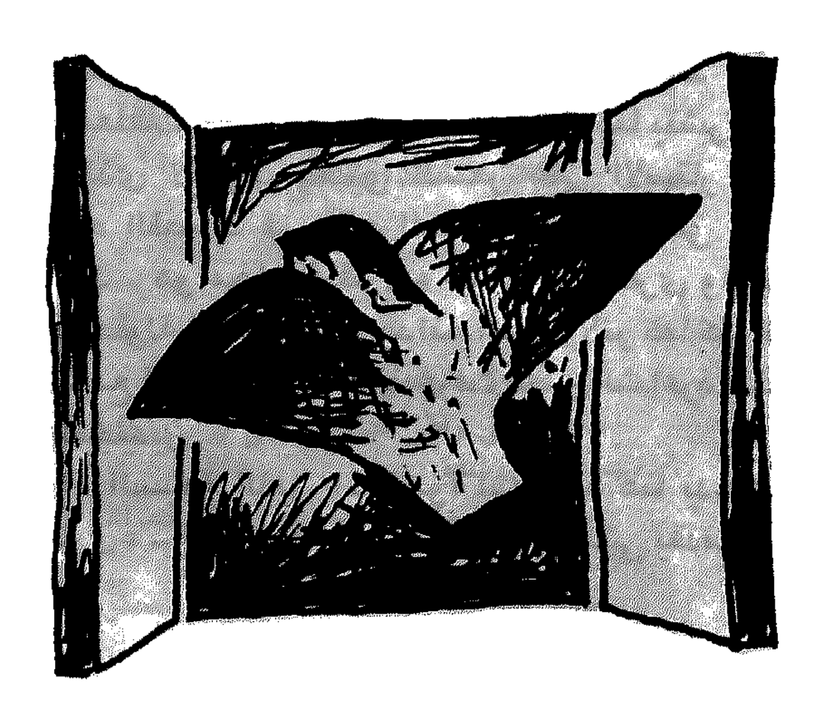
اشجار الصنطة مع دهان اسود ثم يلفون الجرح بقماش معين • يموت كثير من الاطفال الزنوج الابرياء فى هذه العملية ويباع هؤلاء الاطفال الى القصور •

ومما اختصت به مصر من دون الولايات العثمانية الاخرى وجود بيوت للبغاء بالقاهرة رغم شدة تدين اهلها • يقول أوليا جلبى ان هذا الامر موجود فى مصر منذ الازمنة البعيدة فلما دخلها العثمانيون لم يستطيعوا الغاءه ، الا أن عمل المرأة المسلمة فيها ممنوع وانما يقتصر العمل فى هذه

والواقع أن أوليا جلبى تحدث عن القاهرة كثيرا وبالتفصيل فى كل مجالات الحياة تقريبا مما شاهد ، فهو يذكر ـ فيما يذكر ـ التمر هندى الشراب الخاص بالمصريين ودكاكين المشروبات وعن دكاكين قص شعر الحمير وعددها وأماكنها وأماكن بيع الفراخ والتفريخ الصناعى ، ومدافن القاهرة والطرق الصوفية ، واستقبال المصريين للوالى العثمانى وابتهاجهم بمروره فى موكبه ورفعهم أصواتهم بالدعاء له بقولهم : « حفظك الله يا والى مصر » و « حفظك الله يا عزيز مصر » •


كتاب الهلال
يقدم :
الأفغانى و محمّد عبْده
تأليف : د . س . بلنت
ترجمة : د . على شلش
يصدر
٥ يناير
١٩٨٦
روايات الهلال
تقدم :
الريح
الرواية الفائزة
بجائزة نوبل
تأليف : كلود سيمون
ترجمة : د . زينب عبد العزيز
١٥ يناير ١٩٨٦

ندوة الهلال الشعرية



على الصفحات التالية سبع قصائد من الشعر الموزون المقفى والشعر التفعيلى ، تتجاور بلا تنازع ولاتضارب بين مذاهب الشعر ومدارسه ، فقد هدأت تلك الضجة الشكلية التى فرقت منذ زمن بين المبدعين من الشعراء فى المذهبين الجديد والتليد ، وصارت القاعدة فى النظر إلى الشعر هى الأثر الفنى والوجدانى الذى يجده القارىء فى الشعر حين يقرؤه أو يسمعه ، مصداقا لقول أحمد شوقى أمير الشعراء :

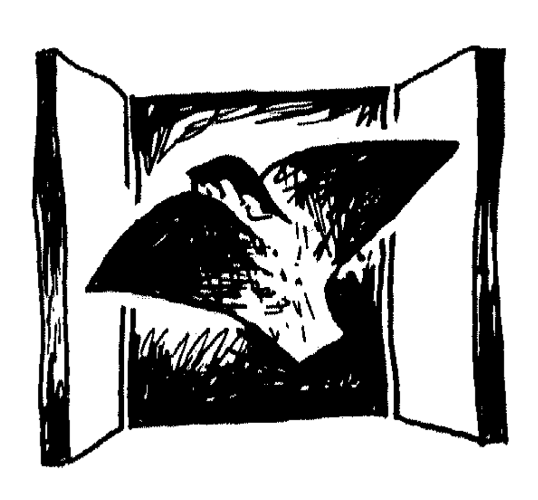
والشعر فى حيث النفوس تلذه
لافى الجديد ولا القديم العادى



يقصد شوقى بالشعر « العادى » الشعر الذى يضرب فى الزمن القديم إلى عهد « عاد وثمود » .. فلو عثرنا الآن على شعر من ذلك الزمن وتذوقناه وأحببناه لكان بمثابة الجديد الذى لم يعتوره البلى ، لأن الجديد فى الشعر والفن هو ما تستطيع الأجيال المتعاقبة أن تحبه وتتذوقه ..

وهذه القصائد السبع ليست معلقات كالقصائد السبع القديمة « المعلقات » .. وإنما هى منشورة هنا كما ينشر الشعر فى زماننا الذى لايعرف تعليق الشعر على الأستار .. وقد اجتمعت هذه القصائد فى هذه المناسبة بغير اتفاق ، ولكن بهدف مقصود ، هو مخاطبة قارىء الشعر المصرى والعربى فى زماننا ومحاولة التأثير فى وجدانه أجمل الأثر كما كان شأن الشعر دائما مع قارئه وسامعه منذ عرفت مصر الشاعرة أبناءها الشعراء المجيدين ..

والشعراء السبعة الذين اجتمعوا لشعرهم هنا يدعونك ـ عزيزى القارىء ـ إلى هذه الندوة الشعرية التى يقدمها إليك الهلال .



"العاطفة المجنحة"

شعر : عبدالشافى داود

فى دائرة الرقص المتحيز للنشوة
نقضم فى رفق أحرف عشق .. نتداخل
نحسو من شفق ..
نسقط فى بوتقة ننسج أروقة حمراء
بلون العمق ..
نطير بأجنحة محرقة للأطياف .. نسطر
عبر الأنفاس أغانى الأجراس الكونية ..
نكتب شعرا دموياً .. أبدياً
فنضىء
الحب الدافىء كالأنفاس على قيثار جراح
شتويه
يفتح بوابات عوالم حلم مغلقة الأسرار .
آه فى لحظات بالغة الدقة
نلتف معا بغموض الروعه
....
فوق صليبى أنبع من زهرة صدرك
وأكون مع النجمات .. مع القمر الثلجى
أكون ..
اتابع صوتك أين يكون .. ترانى ..
يجمعنا كأس الخمر الوهجى .. فنشرب
نخب محبتنا
....

أرسم صورتك الممطرة الأبداع

« صامتة كالسحر

ينشر صوتك أجنحة فوق الغابات .. تغنى

تطلق منك عصافير تغرس فى صدرى ..

تلتقط النغمات الشفقية .. لحنا لحنا ..

وتعود الى ثغرك تسبح عبر أزاهير القبلات

عارية .. خلفك يمشى فجر ..

وعلى قدميه أشعة شمس كعلامات الدهشة

كل شعاع يتغرغر فى قدميك

كأزاهير منحنية

ترشف من بحر أريج »

....

أنت ..

كسهم راعش

نصب تذكارى فوق الأولمب لأفروديت

أنت ..

الجسم المنحوت على همس شراع

يصخب حولى دون توقف

يبعث فى جسدى أنفاس البعث

كنسيج من مطر ممزوج بقياثر شمس خمرية

أنت ..

عصافير تمرق راقصة من بحر شفاف

أسمع ..

صوتا يبحر من عينيك

أعمق من صوت الأصداف

......

نمزج عبر بحار الشفق المجنون

وكضوء قاتل

كحراب وسهام نتداخل فى ذوب دموى

نعتصر اللحظات

نتصاعد شيئا شيئا فى لهب الزرقة

نتكهرب عبر حديث البرق
برعمة النهد كلحن موسيقى
يندس بغابة صدرى
يعزف فوق لهاثى شهقات مجون
برعمة النهد كلحن موسيقى
يندس بغابة صدرى
يعزف فوق لهاثى شهقات مجون
غمغم فى ثغرك قلبى
طاف يرتل عبر حبيبات الكرز ..
ويقطف عطرا سحريا وأناشيد خصوبة
غمغم طيرك عبر مسابح صدرى
غمغم بحرك عبر دمى
......
ياشبح الموت
خبرتك أنا
بين الليل وسقسقة النجمات
بين الضوء وأنفاس الخضرة
خبرتك أنا
ليلة حب عاطرة أبدا
كعبير فضى يبعث تحت رماد يصهر
أجفان البركان
ياشبح الموت
دعنا نهبط فى النهر ...
فتغتسل الأصداف بنيران الوجد الخالد
دعنا نمسك أجنحة الريح ...
نحلق فى اللهب الوثاب ...
ونهجع فى كهف الوهج الخالص
خبرتك أنا
عشتار وتموز
نختزن البعث
أبدا نبقى
....

« عمى الطيب »

شعر : جليلة رضا

ماذا أصنع ياربى فى أمى المزواج ؟
هل قُدّر لى أفتح للطارق باب المزلاج ؟
أن أشهد أمى تتزين وتزف لكل الخطاب ؟
وأنادى « ياعمى » كل الأزواج ؟
فإذا ما عارضت يقال أدسّ الأنف
فأنا فى البيت الصفر .. وأنا فى البيت الضيف .

أنا أعلم أنك ياأمى مازلت ، مع الدهر جميله
لا يعبث بشبابك عمرٌ .. لاتشبع منك العينان
لكنك طيبة القلب وصافية النيه ..
يغريك خطيبك بالكلمات المعسوله
فإذا ما نام على فرشك فى استمتاع ..
صار إلها وهويت أنا ياأمى للقاع ..
ورأيتك تخفين الوجه الفاتن فى صدر الأحزان .. !
ولماذا ياأمى يدفن أزواجك كل كفاءاتى .. ؟
وأنا فى سن التمييز وإبداء الرغبات ..
ولماذا تحيين مع الأزواج وقد غلتك قيود ..
وابنك يرقص ، رقص الموت ، على حبل مشدود ..
لكنى اليوم أصلى كل صباح ومساء :
فلعل الزوج الحاضر يعدو لك خير عزاء ..
حتى أدعوه - بلا زيف - « ياعمى الطيب » .. !

«من آخر كلمات ابن حزم»

شعر : عبد اللطيف عبد الحليم

غادرتكم ، لاتروق صحبتكم
غمامكم راعد ، ولا مطر
وبأسكم بينكم ، وشانئكم
يحكم فيكم ، وشأنه البطر
كل دعى تدعونه ملكا
وماله همة ، ولاخطر
سيان « نغريلة »[1] و « مقتدر »
كلهم بالأعاجم أناطروا
والامويون غال نخوتهم
أنهم بالمهانة انشطروا
يسطرون الأحكام نافذة
وبئس ما نفذوا وما سطروا
والناس لا حيلة ، ولا أمل
كيف ، وهم بالمذلة انفطروا
فى « منت لشم »[2] ألفت معتزلى
غمامكم راعد ، ولا مطر

الهوامش :

(١) هو الوزير اليهودى الذى رد عليه ابن حزم فى كتابه « الرد على ابن النغريلة » .

(٢) هى قرية ابن حزم ، عاش فيها أواخر أيامه .

"بكاءُ النّاى"

شعر : أحمد حمدى

نفض الفجر من يديه تراب الل
يل وانساب تحت جلد النهار
مسح النوم من عيون العصا
فير وقد نمن فى دجى الأوكار
فسرت رعشة الحياة على الأرض
وتغنى وحولها الحب سارى
والبساتين تغنى واشرأبت
سنبلات الغرام للأنوار

همس النور فى فؤادى ونادى
هات حبايتيه بالأسرار

أطرق القلب وانحنى وأطلت
ملىء عينيه دمعة الأعذار
قلت : مات المساء وانبلج الصبح
وماتت مناى عند النهار
قال : لكن فى النهار ضياءً
يكشف الخير فيه للأخيار
قلت : ما عاد فى البسيطة خير
ذبح الخير عند باب الدمار
أكل الناس بعضهم ثم ناموا
كالسكارى على وجوه القفار
صمت النور وأرتمى نحو عين الش
مس واجتاح ساحة الأنظار
نظر القلب لم يجد غير ناى
أثقلته الهموم عند جدار
قال هات الدموع ياناى فالليـ
ل صديق العشاق فى القلب جارى
وأعد أنه الحبيب على سمعى
فقد فرق الأسى اوتارى

« تثاؤبُ حَديقة »

شعر عبد الرحمن عبد المولى

ردَّتى الموت ثم جئتُ إليك
فاسمحى أن أموت فى عينيك
شرف لم أنل نصيبى منهُ
ثم أحرزتهُ لدى لفتتيك

أتمرين فى فؤادى نسيماً
ام فؤادى يسير فى قدميك
لثغة العطر برعمتنى ربيعاً
ساكباً لونه على كرزتيك
طبع الحسن باسمه ، وتناسى
نونه مرتين فى خديك

نعمات الكاكاو تغرق روحى
أوقفى العزفَ ، أو فمدى يديلك
صعقاً خرَّ كل ما فيَّ لماً
قد تجلَّى العبيرُ فى شفتيك

المسافات مابين عينيك
والثغر انفتاح على تثاؤب آيك
استديرى وحدثينى قليلاً
إن طعم الحياة فى ناظريك
حدثينى فربما ترجعينى
بشراً مثلما أتيت إليك

"من كان يصدق" ٢

شعر محمود عبد الحفيظ

شكرا ياكل مطارات العالم
شكرا .. ياكل محطات قطارات العالم
يامتجهات الدنيا السبع .. وياكل موانيها
ياكل شوارعها .. وحواريها
ياكل خرائبها .. ومبانيها
ياأرخص أغلى مافيها ..
ياحبات من عرقى ..
تسقى بين ضلوعى أفدنة الجوع
شكرا يامولاى الانسان
معروف ..
لأ أدرى كيف أوفيك الشكر عليه :
قهر ودموع .. وذهاب ورجوع ..
ونزول وطلوع
ودماء وضلوع .. وبنوك وفروع ..
وفؤاد موجوع
شكراً .. فأنا الآن ..
- ياألف نهار أبيض
صار بوسعى ..
- من شر الحسد احفظنى ياربى -
أن أجلس فى بيت ملكى .. مل ..
كى ..
وأفكر .. (فى جو هادىء)
كيف أحل مشاكل أسرتنا
ماكان .. وما سوف يكون
وأرد هموما تأتى حتما
مادمنا نسكن هذا الزمن المجنون .

«مضى من حياتى»

شعر : خليل فواز

مضى من حياتى سلطانها
وغاب عن العين إنسانها !
وخلفتنى فى خضم الحياة
كفلك تخلف ربانها !
وما أنت إلا مناط الفؤاد
ونبع الحياة وشريانها !
مضيت .. وصارت حياتى حطاماً
كدار تهدم جدرانها !
مضيت .. وصارت حياتى طلولاً
لأن وجودك بنيانها !
كأن السما غادرتها النجوم
وغاب عن الأرض سكانها !
فلا نضبت من عيونى دموع
ولا فارق النفس أشجانها !
أودع فيك زمان الأمانى
فأنت الأمانى وأزمانها !
أودع فيك زمان الأغانى
فأنت الأغانى وألحانها !
أودع فيك زمان المغانى
فأنت المغانى وأفنانها !
أودع فيك زمان المعانى
فأنت المعانى وتبيانها !
وكم كان لى فيك من ذكريات
يعز على القلب نسيانها !
وكم لك فى الصدر من وحشة
تعربد فى الصدر نيرانها !
وياقلب جرحك بين القلوب
مثال الجراح وعنوانها !
جفاك - وكان الهوى - خائن
فأوحش فى النفس خوانها !
وسالت دماؤك خلق الحبيب
ففيه تدفق شريانها !

هل مات الشعر في مصر؟

بقلم : د. سيد إبراهيم

طلعت علينا أخيرا بعض الاتجاهات التى تحاول إنكار دور مصر الأدبى وريادتها للشعر العربى الحديث ، فمن ذلك ماردده بعض الشعراء من أن الشعر مات فى مصر وأنه نشأ فى العراق وترعرع فى الشام ، وما اتجهت اليه بعض البحوث التى تقدم فى المؤتمرات الشعرية فى البلاد الشقيقة من محاولة القفز على حقائق التاريخ الأدبى وصياغتها من جديد

ومن الأمور المقررة لدى الباحثين فى تاريخ الأدب العربى أن نجداً بأرض الحجاز كانت هى السابقة الى زعامة الشعر العربى وليس العراق ، وإن كنا قد وجدنا أن شعراء نجد كانوا يفدون على أمراء الحيرة بالعراق أحيانا . ولكن ذلك لايغير من جوهر هذه المقولة شيئا . وقد ظلت امارة الشعر منعقدة لأهل نجد طوال العصر الجاهلى ، إلى أن جاء الاسلام فاتجه نشاط الشعر الى المدينة ومكة ، فانتقلت إليهما زعامة الشعر وانعقد لهما لواؤه . كل ذلك ولم تتعد هذه الزعامة أرض الجزيرة العربية . ولم يظهر دور العراق ومشاركته فى النشاط الأدبى إلا بعد ذلك حتى تفرد بالزعامة الأدبية حينا ، وحتى شاركه شعراء الشام فى هذه الزعامة حينا آخر ، حين ظهر شعراء الشام العظام من أمثال أبى تمام والبحترى ومن بعدهما شاعر سيف الدولة الذى طار صيته فى سمع الدنيا ، ونعنى به المتنبى الذى ظهر فى القرن الرابع الهجرى ، وغيرهم .

أما مصر فقد آلت اليها الزعامة الأدبية خالصة فى عهد الدولة الايوبية على يد


محمود سامى البارودى

صلاح الدين ، فتفوقت فى الشعر والنثر ، كذلك على جميع الأقطار العربية وصار أدبها مثالا يحتذيه أدباء الشام والعراق . ومن أشهر أدبائها فى ذلك الوقت فى الشعر ابن سناء الملك ، وهو صاحب كتاب (دار الطراز) . وهو كتاب يدرس فن الموشحة الأندلسية ، ويحاول أن يرسى نظامها وقواعدها . وبعض الباحثين يجعله ندا للخليل بن احمد الفراهيدى الذى اكتشف أوزان الشعر وحصر أنماطها ، فهو بالنسبة لفن الموشحة كالخليل بن أحمد بالنسبة لفن الشعر ، كلاهما اكتشف قواعد الفن الذى تصدى لبحثه ، حتى صار علما فيه يعرف به وينسب اليه . وقد ترك الشاعر المصرى ابن سناء الملك بصماته الواضحة على أجيال من الشعراء سواء فى مصر أو خارجها فى بلاد الشام والعراق ، كما ثارت حول شعره حركة نقدية واسعة شأنه فى ذلك شأن كبار الشعراء فى تاريخ الشعر العربى . أما فى النثر فمن الكتاب الذين حققوا شهرة واسعة فى تاريخ الكتابة الأدبية القاضى الفاضل الذى كان وزيرا لصلاح الدين وهو صاحب الأسلوب الذى عرف باسمه وشاع فى الأقطار العربية وأعجب به الكتاب واقتدوا به وصارت له سطوة على الكتابات الأدبية .

● زعامة أدبية ●

ثم انحسر دور مصر الأدبى حقبة من الزمن ، حتى جاء البارودى رائد الشعر الحديث . وهو الذى هيأ للنهضة الأدبية ولصحوة الشعر بعد أن تردى فى الضعف والابتذال . وقد عكف البارودى على قراءة الشعر العربى القديم فى عصور مجده وازدهاره ، فأتيح له مع سلامة طبعه ومواتاة استعداده وموهبته أن يكتسب معرفة عميقة بأساليب الشعر العربى وتقاليده ، فجاء شعره قويا صادقا كحياته وشخصيته . يقول عنه الدكتور شوقى ضيف (اضطرمت الروح العربية الأصيلة فى أشعاره بكل مقوماتها بحيث استطاع ان ينفذ من خلالها الى موسيقاه الرصينة الصافية ، موسيقى يتصل فيها الماضى بالحاضر اتصالا خصبا حيا - اتصالا تنمو فيه شخصيتنا الشعرية العربية نموا رائعا . وعنت الوجوه لشعره فى جميع الأقطار العربية بحيث عد - بحق - حامل لواء الشعر العربى الحديث . وسرعان ماحمله بعده حافظ وشوقى ، فإذا هما يمكنان لمصر من الزعامة الأدبية مالا عهد لها به فى أى زمن من أزمنتها الماضية .

ومن الأشياء التى يراد الترويج لها هذه الأيام إنكار الدور الذى أدته مصر فى رعاية الشعر العربى وغمطها حقها فى زعامة هذا الشعر ولو بإنكار التاريخ ، كل ذلك لتثبت - فى المقابل -

هل مات الشعر في مصر؟

زعامة العراق للشعر ، فمن ذلك مارددته بعض الالسن من أن الشعر إنما نشأ فى العراق وأنه ترعرع فى الشام ومات فى مصر . وإن القول ليعزى بالقول ، فإذا الكتابات تدمج فى هذا المعنى والبحوث تطرح للتداول ، حتى تقدم بعض الناس فى المؤتمر الذى عقد أخيرا للشعر فى العراق ، وهو مؤتمر المربد ، ببحوث تذهب الى الطعن فى الريادة الأدبية للبارودى وشوقى وكذلك العقاد والمازنى ، فعدنا بحاجة من جديد الى تكرار القول فى البدهيات والاستدلال عليها . وليت شعرى هل ياتى زمان ينكر فيه الناس وجود البارودى وشوقى والعقاد والمازنى ، مثلما رأينا أخيرا من ذهاب أعداء الاسلام الى انكار أن يكون لشخصية نبى الاسلام وجود حقيقى .

ولكن لهؤلاء غاية من وراء ذلك ، وهم يلتمسون أسلحتهم حيث كانت ، فما الغرض الدافع لمتحدث بالعربية يشتغل بآدابها وثقافتها الى اثارة النعرات الاقليمية . ونهوض الشعر فى العراق لايغض منه نهوضه فى مصر أو غيرها من البلاد ، وإنما يدعمه ويقويه . وتاريخ الشعر العربى لايقال فيه هذا مصرى وهذا عراقى ، مادامت العربية هى الصفة التى تجمعهما .. وأولى من ذلك أن يقال هذا شعر جيد وهذا شعر ردىء ، أو إن هذا شاعر يملك أدوات فنه أو لايملكها ..

وهكذا ، فهذا أجدى للشعر وللفكر والثقافة ، والعبقرية لا وطن لها اذا اتجهت الى الانشغال بقضايا واحدة هى قضايا الفكر العربى والوطن الذى يضمه .

ولن ترى كلاما مثيرا كالطعن فى الحقائق الثابتة بأسلوب المتعالم الساخر ، كأن يستنكر كاتب أن يكون العقاد والمازنى مؤسسى مدرسة أدبية فى الشعر العربى المعاصر ويتعجب كيف انطلى ذلك على كثيرين ، وبكتيب سمياه - على حد تعبيره - الديوان ، لأنه يرى ان حركات التجديد كلها ليست من التجديد فى شىء وأنها رغبات وأهواء ومحاكاة واقتباس .. يرى ذلك فى شعر المهاجر وأصحاب الديوان وعند جماعة أبولو وفى كل فئة حاولت التجديد على مدى النصف الأول من القرن العشرين ، ولكنه يستثنى أواخر العقد الخامس منه ، لأنه يريد أن يجعل الفضل كله والشعر كله والتجديد كله للعراق ، كما دلت ألفاظه على ذلك صراحة فى كلام أورده للقارىء - بعد - ليتبين المعنى بنفسه . **وللعراق فضل لاننكره ، ولكن فضل مصر لايذهب به فضل العراق . وما العراق وما مصر .. أليست هذه ألفاظا كان لاينبغى أن يزج بها حين يتعلق الكلام بالفكر والأدب ولكن**



أحمد شوقى — عباس العقاد

جعل الشعر صنواً للسياسة وجعل الأدب رديفا لها ، فجاز عليه ماجاز عليها .

ثم يكر الكاتب بعد ذلك الى البارودى ، فيقول عنه بالحرف الواحد انه فى مقدمة من وصُفوا ظلما بالتجديد ، أما أحمد شوقى فيبقى فى نظره شاعرا مقلداً ليس غير . ثم انظر اليه حين يقول عن هؤلاء جميعا - العقاد والمازنى والبارودى وشوقى : (التجديد لم ينبع لديهم من إيمان أصيل تدعمه مواهب عالية يتجاوز الزمن والمستوى الثقافى والتقاليد السائدة ، ولكنه كان نتيجة مظاهر غريبة انبهر لها الانسان الخارج من عصور أقبية السبات الجماعى التى تلت انطفاء جذوة الحضارة فى بغداد ، فاضطرت ارادة التغيير والتجديد بمحاكاة مظاهر خارجية مستعارة ومستوردة سرعان ما انطوت أو تنكر لها أصحابها ، على مانجد عند العقاد فى سنواته الأخيرة) .

ولن تجد كلاما أبلغ من هذا فى الاثارة وأعدى للمرء على العدوان . واشارة الكاتب الى عصور سبات جماعى تلت انطفاء جذوة الحضارة فى بغداد ليس لها الا معنى واحد ، أن كل شىء خارج بغداد لم تكن له قيمة .

ولست أدرى لماذا لاتتجه البحوث - لكى تكون جديرة باسمها - الى محاولة الفهم والتبصر وتحديد المساحات المبحوثة فى نطاق ضيق حتى تستوعبه قدرات صاحب البحث وامكاناته ، إذ كيف يعطى كاتب لنفسه الجسارة على الخوض فى مساحات هائلة من الفكر أو الانتاج الأدبى اقتضى وجودها أعمارا وأعمارا ، فضلا عن مواهب أصحابها التى لايسمح بها الزمان فى كل حين . ولو أنا سلمنا لهذا الكاتب بأن له من جوهر الموهبة والعبقرية ما للعقاد والمازنى والبارودى وشوقى وغيرهم ، فكيف نسلم له بأن يخوض من موهبة أدبية الى سواها ويصدر عليها احكاما عامة ، وهو لم يطلع بنفسه على تفاصيل اعمالها التى انفقت فيها أعمارا توفر لها فيه الجد والحرص والاخلاص وقدر لايهمل من شرف العصر بصفة عامة واخلاصه للفكر واحترامه اياه .

ولايمكن الاجابة عن ذلك بأن الكاتب يكفيه ان يقرأ أحكاما عن هذا الأديب أو ذاك لفلان من الباحثين وفلان وفلان ، وانه يعتمد عليهم فى تكوين النظرة العُامة التى يستقر عليها ، فكل شىء فى فكرنا العربى يحتاج الى مراجعة وإن توافر له حظ عظيم فى النزاهة .

ولوقد فعل الكاتب ذلك لحمى نفسه من مزالق النظرة الذاتية وانحصارها داخل أفقها الضيق ، وهو شىء يشهد به كل من عانى الفكر وعرف كيف تستهين النظرة السطحية الغافلة بأعمال المبدعين اذا قاستها الى ماتنجذب اليه بالأهواء فتستغرق مقدرتها على التمييز الصحيح فى الانبهار بما هو زائف . ولو كان للكاتب من الاخلاص والفهم ما للمبدعين الصادقين لأحجم عن القفز بين اعلام الثقافة والأدب بالأحكام يرسلها يمينا وشمالا الى العكوف على فهم أعمالهم واستخراج دقائقها وبعث كنوزها وانصاف أوقاتهم التى أفنوها تدقيقا وتأملا ونظرا ، فلربما ذهب عمره كله - من غير مبالغة - فى فهم عمل أدبى واحد .



الزواج فى الأمثال

● من أمثال الانجليز ●

- من تزوج أرملة لها ثلاث بنات ، تزوج أربعة لصوص .
- الزوجة الصالحة لن تبحث عن ابنتها فى الفرن إلا إذا كانت أيضاً قد ذهبت إليه .
- من يتزوج وهو معوز ، يثر وهو مدفون .

● من أمثال الروس ●

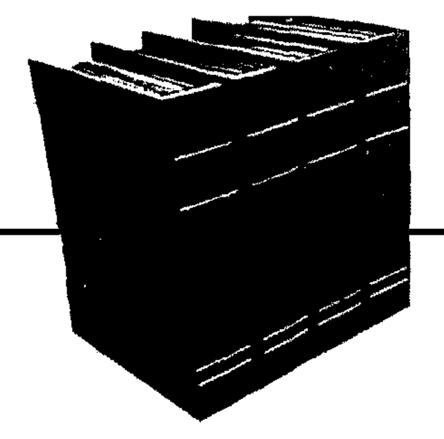
- لا توجد إلا امرأة شريرة واحدة فى العالم . وكل زوج يعتقد أنها زوجته .
- زوجة الجندى ، ليست زوجة ولا أرملة .

● أمثال اسكتلندية ●

- إذا أردت أن تلام فتزوج ، وإذا أردت أن تمدح فمت .
- زوج ابنك متى أردت ولكن زوج ابنتك متى قدرت .
- إن ابنى هو ابنى إلى أن يتزوج ، وابنتى هى ابنتى طول حياتها .

● أمثال إستوائية ●

- لا يسير الحصان ولا الزوجة بلا أعنة .
- إذا أردت أن يذاع أمر ، فافشه لزوجتك .
- الزواج قفل الرجل .



دفاع عن الديمقراطية

صدر عن دار ثابت ، كتاب « دفاع عن الديمقراطية ».. للأستاذ خالد محمد خالد ، تناول فيه تجربة الديمقراطية منذ عام ١٩٢٤ .. حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو .. ثم عرض التجربة الديمقراطية منذ قيام الثورة حتى الآن ، كما قدم تصوره عن الديمقراطية والاسلام ، وأن الشورى هى تمام الديمقراطية السياسية .

أما تعريفه للديمقراطية فيقول : « الديمقراطية هى قدرة الشعب على التغيير .. تغيير حكامه وتغيير قوانينه عن طريق الاقتراح الحر وبواسطة نوابه وممثليه فى برلمان إثمرته انتخابات حرة نزيهة ».

ونحن مع الكاتب الكبير فى دفاعه عن الديمقراطية وندين معه آية تجاوزات حدثت ، ولكن نختلف معه فى تقويمه للتجربة الديمقراطية قبل ثورة يوليو ، وتزداد شقة الخلاف فى حديثه عن ثورة ٢٣ يوليو المجيدة ، لقد وقف الكاتب عند الديمقراطية السياسية ، بل نجد انه وقف طويلا عند ديمقراطية « القول » وحتى فى تعريفه للديمقراطية لم يحدد لنا كيف ينفذ هذا المفهوم ؟

وإذا كانت الديمقراطية السياسية لعبت دورا هاما فى تاريخ الشعوب ، فلا شك آن غياب الديمقراطية الاجتماعية قد حرم الأغلبية من ممارسة هذا الحق ، بل كانت قضية الأغلبية هى قضية وجود . والوصول إلى حياة إنسانية .

وفى ظل الديمقراطية قبل ثورة يوليو والتى يقول عنها الكاتب « لقد نجحت تجربتنا مع الديمقراطية بكل مقاييس النجاح » ويقول « كنا يامن لم تسعدوا بمعايشة تلك الأيام ـ نعيش فى مهرجان عروسة الحرية والديمقراطية » نشير إلى بعض الحقائق ونضع بعض التساؤلات .

من الذى كان يحكم مصر ؟ ومن الذى كان يتحكم فى أرزاق الملايين من الفلاحين ؟ ومن الذى كان يستطيع آن يصل إلى مجلس النواب والشيوخ ؟

كانت هناك ثلاث أسر تملك كل أسرة أكثر من ١٠ آلاف فدان ، يقابل ذلك ملايين من الفلاحين المعدمين والتملية والحظرية

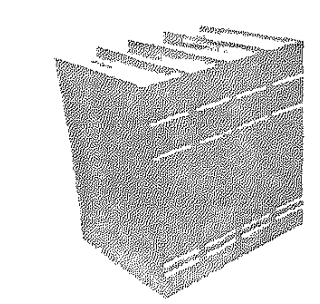
خالد محمد خالد

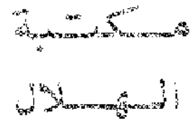
دفاع

عن الديمقراطية

الطبعة الأولى

ذو الحجة ١٤٠٥ هـ - أغسطس ١٩٨٥م









وعمال التراحيل ، اما تحكم الاقطاعيين فى حياة الفلاحين ووجودهم وأصواتهم التى حققت « الديمقراطية » فالشهود مازالوا أحياء والحالات بعدد قرى مصر ومراكزها .

هل نحن فى حاجة إلى تذكير الكاتب الكبير بالذين كانوا يجندون فى الجيش ، لأنهم لم يستطيعوا دفع « البدلية ».. والذين كانوا يتعرضون للخطر من الفلاحين لأنهم كانوا يواجهون فيضان النيل بأجسامهم والذى عرف فى القرى بـ « سد البحر ».. وألم يكن أحد بنود خطب العرش ، أن الحكومة ستعمل على مكافحة « الحفاء »! ونذكر الكاتب الكبير بما نشره فرسان الديمقراطية قبل ثورة ٢٣ يوليو عندما أعلنت الثورة أنه يجب على الأحزاب أن تطهر نفسها ، واستجابت هذه الأحزاب وطهرت بعض عناصرها .

وقامت هذه العناصر التى أعلنت أحزابها إدانتها ، واتهامها بالفساد والرشوة ، برد الاتهام ، لزعمائها وأحزابها ، ومازالت صحف عام ١٩٥٢ .. فى شهور أكتوبر ونوفمبر وديسمبر حافلة بشهاداتهم ، وقد كانوا نوابا وشيوخا ووزراء فى التجربة الديمقراطية من ١٩٢٤ .. حتى ١٩٥٢ .

● تجربة الديمقراطية الليبرالية فى مصر ●

صدر عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ـ كتاب : تجربة الديمقراطية الليبرالية فى مصر ـ دراسة تحليلية لآخر برلمان مصرى قبل ثورة ١٩٥٢ ـ تأليف : عزة وهبى وتقديم الدكتور بطرس غالى

وموضوع الكتاب قدم أصلا كدراسة تقدمت بها المؤلفة لنيل درجة الماجستير فى العلوم السياسية وحددت الكاتبة هدفا محددا فى إطار زمن محدد ، وهو دراسة برلمان ١٩٥٠ ـ ١٩٥٢ .. آخر برلمان عرفته مصر قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وللوصول إلى النتائج ، قدمت الكاتبة التفصيلات العديدة حول هذا البرلمان ، فعرضت للظروف التى أحاطت بتكوين البرلمان ، ومشكلات المعركة الانتخابية والتى منها توزيع الدوائر الانتخابية وتحديد الموطن الانتخابى للعمال ، كما قدمت تحليلا للانتماء الاجتماعى والسياسى للمرشحين ، واما اسفرت عنه عملية الانتخاب .

وعرضت الكاتبة لتحليل البيئة الاجتماعية للبرلمان بمجلسي « النواب والشيوخ » وذلك من خلال تعريفها العلمى

للطبقات والفئات . وتابعت موقف البرلمان من القضية الوطنية أى قضية الاستقلال الوطنى ، وكذلك موقفه من القضايا الاجتماعية وركزت على قضية الاصلاح الزراعى .

والكتاب مدعم بالأرقام ومواقف الاعضاء من خلال المضابط ، وكذلك انتماءاتهم الاجتماعية ونسب كل فئة حسب تصنيفها للأعضاء : كبار ملاك ـ متوسطو ملاك ـ رأسمالية صناعية ـ رأسمالية تجارية ـ مهنيون ـ موظفون .. وتابعت نسبة كل فئة فى اللجان ورؤساء وسكرتيرى هذه اللجان .

وعلى ضوء المقدمات ، وصلت الكاتبة إلى اخفاق تجربة الديمقراطية الليبرالية فى مصر فى الفترة السابقة على ثورة يوليو .

وعزت ذلك إلى عدة أسباب ، منها : نقل التجربة من الغرب ، ودون مراعاة ظروف المجتمع المصرى وقتذاك ، كما أن التجربة لم تكن ليبرالية بالمعنى الحرفى ، وقد ساهم هذا التصوير الليبرالى فى إخفاقها ، وأشارت إلى الانتهاك الذى تعرض له دستور ١٩٢٣ .. سنوات طويلة .

وكان دور الملك محوريا على الرغم من عدم مسئوليته ، وكيف كان يستخدم سلطاته الكبيرة الممنوحة له ، وكانت طبيعة النظام الحزبى فى تلك المرحلة ، قد اتسمت بسمة شخصية مع اختلافات طفيفة فى البرامج ، وكان التقارب الشديد فى البيئة الاجتماعية للأحزاب بما فيها الوفد ، وكان كبار الملاك والرأسماليون الصناعيون يسيطرون على هذه الأحزاب ، وأن هذه الأحزاب ـ بسبب قصور النظام الحزبى ـ لم تكن حريصة على التجربة الليبرالية ، هذا مع سبب خارجى ، وهو التدخل البريطانى فى الحياة السياسية .

● النظام الإعلامى الجديد ●

صدر للدكتور/ مصطفى المصمودى خلال أكتوبر ١٩٨٥ .. كتاب بعنوان « النظام الاعلامى الجديد » عن المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت ضمن سلسلة كتبه الثقافية الشهرية عالم المعرفة ، والكتاب اضافة الى الجديد فى عالم الاعلام والاتصال وكتب مقدمته الدكتور/ محمد الرميحى رئيس تحرير مجلة العربى وسن ماك برايد الحائز على جائزة نوبل وجائزة لينين للسلام والكتاب ٤٠٠ صفحة ، ضمت ثلاثة أبواب .

- النظام العالمى الجديد للإعلام والاتصال دوافع وتعريف .
- من أبعاد النظام العالمى الجديد للإعلام والاتصال .
- النظام العربى الجديد للاعلام والاتصال (من النظام العالمى الى النظام الاقليمى) .

ومما جاء فى كتاب (النظام الاعلامى الجديد) للدكتور/ مصطفى المصمودى قوله : (وبطبيعة الحال فان ابناء الأمة العربية بمالهم من تاريخ مشترك وتكامل جغرافى وتجانس ثقافى وانتماء الى الحضارة العربية الاسلامية مرشحون قبل غيرهم لتحقيق نظام إعلامى عربى جديد يستمد اصوله من النظام العالمى ، يأخذ منه مايتمشى مع اهداف الامة العربية ، ويدعم بمميزات اضافية كما تتوفر فى مناطق اخرى ولا يستقيم بدونها العمل الانمائى السليم ، هذا الرهان الاساسى وهذه هى الرسالة التى يتعين على جيل القرن الحادى والعشرين حملها بعد أن عجزت عن ذلك الاجيال السابقة) .

محمد العائش القوتى
تونس



تقديم : مصطفى نبيل

ماهنالك !

كيف تتداعى وتنهار الدول؟

لا تنهض الدول على الاباطيل ولا تشيد صروحها على الاكاذيب ••

النظام البوليسى يبعد الاكفاء .. ويقرب بطانة السوء !.

كتاب المركز العربي



إبراهيم المويلحي

ما هنالك
من
أسرار بلاط السلطان عبد الحميد

مراجعة أحمد حسين الطماوي
تقديم د. علي شلش



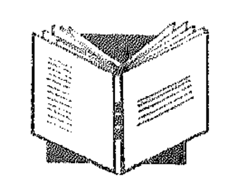
تعود السلطان أن يسمع من جواسيسه كل يوم خبراً ، إذا لم يأته وقع ما يخشاه ، ويبقى متكدراً حتى تأتي له التقارير بشيء فيشتغل بتحقيقه ، فإذا ظهر زيفه استراح .

وماذا يبقى من الوقت للدولة وتشييدها والشريعة وتأييدها ، والجنود وترتيبها ، والأحكام وتقويمها ، والمالية وتنظيمها ، والمعارف وتعميمها ، وعلائق الدول وتوثيقها ، والسياسة وتنسيقها ، والسفن وتعميرها ، والمنافع العامة وتكثيرها ، لايبقى من الوقت سوى مايكفي ليأخذ زيد مكان عمرو ، وينال بكر منزلة خالد .

لقد بالغوا في إشغال السلطان وقلب الحقائق حتى صاروا يقدمون لجلالته في اليوم ماينيف على مائة وخمسين تقريراً كلها كذب وإفك ..

فيا كساد العلم ورواج الجهل ، وياشقاء الحق وسعادة الباطل ، وياخيبة الصادق ونجح المنافق ،





ويابكاء الأمين وضحك الخائن ، بعد أن أصبحت دار السلطنة التى كانت عرينا للأسود خلايا تطن فيها زنابير الجواسيس ، وأصبح العالم من شر الجهلاء بدعا على قواعد العلم يكتبها من تأليفه ، وأصبح الجاسوس الذى يظلم العلماء يمشى مرحاً ويختال تكبرا ، وأصبح يصدر عشرات القرارات كل يوم لتفتيش بيت زيد أو استنطاق عمرو أو إبعاد خالد أو سجن بكر ، وأصبحت الأستانة طبقا من الفضة مملوء بالعقارب والأفاعى . !

هذا ماجاء على لسان إبراهيم المويلحى فى كتاب قديم ، نشر على شكل مقالات فى صحيفة المقطم لصاحبها فارس نمر ، تحت عنوان « ماهنا لك . » ، وجمعت هذه المقالات فى كتاب صدر عام ١٨٩٦ ، ولكن سرعان ماختفت نسخه من الأسواق .. والكتاب يتضمن تجربة شاهد عيان يحكى ماشاهده فى البلاط العثمانى فى الآستانة أيام حكم السلطان عبد الحميد ، بعد أن عاش كاتبه فى عاصمة الخلافة بين عامى ١٨٨٥ و ١٨٩٥ .

وكشف المويلحى الحفيد سر اختفاء الكتاب بقوله : « بعث السلطان عبد الحميد بأمره الى مؤلفه إبراهيم المويلحى يطلب منه إرسال النسخ الى الآستانة ، فخضع إبراهيم لأمر جلالته ، لذا يندر وجوده »

وبالفعل لايوجد من هذا الكتاب رغم أهميته أى نسخة فى دار الكتب ، ويقتنى الباحث أحمد حسين الطماوى نسخة منه قام بتحقيقه ونشره ..

وتظهر خطورة هذا الكتاب وأهميته ، إذا نفذنا الى الخيط الذى يربط مقالاته ، وتجاوزنا عن الخلاف الحاد حول تقويم شخصية السلطان عبد الحميد ، وتناولنا ماجاء من شواهد انهيار الدولة العثمانية ، وهو ماوقع بعد نشر هذا الكتاب بأقل من عقدين من الزمان .

لقد إهتم الغرب طويلاً بأسباب سقوط الدولة الرومانية ، وصدر حولها عشرات الدراسات والأبحاث ، حتى يتجنب السقوط ويحمى حضارته من الأنهيار ، وكان ينبغى أن يشغل الشرق أسباب سقوط أطول دولة فى تاريخه وهى الدولة العثمانية .

يقول أحد كبار المؤرخين : إن أكبر معضلات التاريخ قضيتان ، الأولى ، تفسير قيام الدول والأمبراطوريات ، والثانية ، تفسير سقوطها ، وإذا كان قيام الدول وصعودها قد حظى باهتمام مؤرخيها الذين عاشوا فى ظلها ، إلا أن عملية السقوط لم تلق نفس الاهتمام لما فى هذا الحديث من أسى ، والسقوط ليس حادثا واحدا ، بل عملية تداع طويلة تمتد إلى عدة أجيال ، وعدم إهتمام المؤرخين بها يخفى الكثير من الدروس والعبر ..

ويقدم المويحلى فى كتابه الفصل الأخير من حياة الدولة العثمانية التى امتدت ستة قرون . ويحلو للكثيرين تفسير سقوط الدول الى القوى الخارجية ، متجاهلين أن هذه القوى لاتنفذ إليها الا بعد أن تقضى هى على نفسها من الداخل ، فسقوط روما يعود الى شعب روما ، عندما إنتشر بين أفراده الفساد الخلقى ، ونشبت بينهم المنازعات ، وقادته حكومة استبدادية .

ان الفساد الخلقى عجل بانحلال الامبراطورية الرومانية ، عندما فقد أهلها صفات الرجولة التى قامت من بساطة العيش وتحمل المشاق ، وأضعفها بهرج الثروة ، وأصبحت الفئات المسيطرة تنكب على شهواتها وتستسلم للغوايات ، فلا يراعون الآداب العامة وساهم ازدحام المدن بالسكان فى إنحطاط الخلق والجمال ، وضاعت الحرية السياسية ..

وتعود الأسباب السياسية لانهيار الامبراطورية الرومانية الى الاستبداد المتزايد الذى قضى على شعور الفرد بحقوقه . مما أضعف قدرته على القيام بأعباء الحكم ، وعندما لم يصبح أمام المواطن الرومانى فرصة للتعبير عن أرائه السياسية سوى بالعنف ، فقد اهتمامه بشئون الحكم ، وانهمك فى أعماله ومتعه ، ولم يعد أمامه سوى الخلاص الفردى !

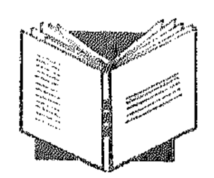
هذا عن الامبراطورية الرومانية ..

فماذا عن الدولة العثمانية كما يصورها إبراهيم المويلحى فى مشاهداته ؟

يزخر كتاب « ماهنالك » بمظاهر الضعف والوهن الذى ينخر فى كيان دولة الخلافة ، فى كل مناحى الحياة يبين عللها وأسباب عجزها فى مواجهة التحديات الخارجية وفى تحديث مؤسساتها ونظمها ..

وأمام هذا العجز الفاضح ، لجأت الدولة الى أسهل الحلول وأكذبها ، واعتمدت على نظام بوليسى يعد على الناس أنفاسهم ويلتقط كلماتهم ويحلل أعمالهم ، يتصور سدنة هذا النظام ، أنه يقدم أداة طيعة تحمى الدولة من الانهيار ، والحقيقة أنه يعجل بانهيارها ، بما يساهم به من إخفاء الحقائق وستر جوانب الخلل ، فيقود إلى الهاوية ، ويسد المسالك للقيام بعمل عام من أجل الانقاذ الوطنى ..

يوضح المويلحى ذلك فى مقالته عن أعمال دائرة الخفيات ، يقول : « للانسان فى الآستانة طريق مختصر ينال الاثراء والعلياء وشهرة العلم فى يوم واحد ، بأن يكتب تقريراً ملفقا يتهم فيه الأبرياء الأمناء والصادقين والغافلين فتنهال عليه



الدنانير ، ويطلع فى صدره قمر الوسام بازغا وتخاطبه الدول بألقاب الفضيلة والسعادة ..

فى مجتمع لم يعد فيه من هو فوق الشبهات ، ويتحول الجميع وكأنهم أعداء لساكن قصر يلديز (قصر السلطان) ، ولاحساب ولاعقاب لمن يقدم فرية يثبت التحقيق كذبها ، وتتنافس .. « الخفيات » فى عرض هذه الافتراءات ، فى مجتمع لايتورع الابن فى الدس على أبيه لينال رتبة أو يحقق حظوة ، وهكذا شاع جو من الريب والشكوك ، وتلاحقت الفتن القاتلة فلا تنهض دولة على الأباطيل ، ولاتشيد صروحها على الأكاذيب .

ويرد السلطان عبد الحميد بعد خلعه فى مذكراته أسباب إهتمامه بجهاز الأمن - من مذكرات السلطان عبد الحميد ، تحقيق الدكتور محمد حرب - يقول : « كنت أعلم أن السر عسكر عونى باشا قد أخذ من الانجليز أموالاً ، إن رجلا من رجال الدولة يأخذ مالاً من دولة أخرى لابد وأن يكون قد قدم لها خدمات ، كان حسين عونى يعمل كل مافى وسعه دون أن يطلع أحدا عما ينتويه ، وعندما سافر إلى أوروبا طرق أبواب رجال الحكم هناك ، وخلال سفره إلى فرنسا وأنجلترا إرتمى فى أحضان الانجليز ، وأخبرنى سفيرنا فى لندن موسوروس باشا تسلم حسين عونى نقودا من الانجليز ، ان الصدر الأعظم وهو يحكم البلاد باسم السلطان يخون دولته ، لذلك تكدرت وتأثرت ، ومسألة أن قائدا عثمانيا يقبل نقوداً من دولة أجنبية لم يكن عملا يستهان به ، فوقفت طويلاً أمام هذه المسألة ، فلا يمكن لدولة أن تكون آمنة إذا تمكنت الدول الكبرى أن تجند لخدمة أهدافها أشخاصا فى درجة وزير أعظم ، وعلى هذا قررت إنشاء جهاز مخابرات يرتبط بشخصى مباشرة ، وكان ضروريا أن أعرف أن بجوار هؤلاء لابد أن يوجد أشخاص مفترون ، لكنى لم أصدق ولم آخذ أى شيء يأتى من هذا الجهاز دون تحقيق دقيق .. »

ويفسر بعض المؤرخين إنتشار هذه الظاهرة السرطانية ، بالهزائم العسكرية التى اقترنت بالسنتين الأولتين من حكم السلطان ، وأن عبد الحميد رأى بعينيه عمه السلطان عبد العزيز وهو يخلع ثم يقتل ، ووقعت محاولة لخلعه قبل مضى عامين على حكمه ..

ويظل النظام البوليسى محاولة يائسة لمنع الانهيار والأخذ بشكل القوة دون حقيقتها .

ولننظر ماذا كانت نتيجة النظام البوليسى . ؟ .. قامت الرقابة على المطبوعات ومنعت وصول الحقائق والأفكار للمواطن ، حتى حجبت المعلومات عن المنوط بهم إتخاذ القرارات السياسية ، فتخبطت الدولة فى الظلام ، ويروى المويلحى ، كيف تجمع الكتب وتحرق مثل كتاب فى الفقه تضمن شروط الامامة ، وتلقت الصحف تعليمات بعدم ذكر جمهورية أمريكا واستبدالها بمجتمع أمريكا ، ولم تكن صحيفة تستطيع أن



ابراهيم المويلحى

تكتب ولى عهد روسيا خشية أن يحدث لفظ ولى العهد إنقلابا فى السلطنة . !

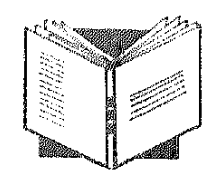
● الأغوات والحريم ●

وهناك نتيجة واحدة للحكم البوليسى . وهو ظهور بطانة السوء وابتعاد الأكفاء من العناصر القديرة .. فالحكومة إذا غلب عليها الجبن وأحاط بها الخوف وتولى الأدنياء أمورها وساس الأغبياء جمهورها وانتشر فى جسمها ميكروب التجسس فبشر حكامها بالخراب القريب والدمار الوشيك .

ورأى السلطان أن الكون لايستتب وأن النظام لايحفظ ، وأنه لايأمن على ملكه ونفسه الا اذا قبض بيده القوية على زمام كل الأمور كبيرها وصغيرها ، وطاف حول العرش زمرة مختلفة الأجناس والأنواع من نزاع الآفاق .. رأوا أن أغراضهم لاتنال ومراكزهم لاتحفظ وراحتهم لاتدوم إلا بمضاعفة مخاوف السلطان ، فتشتت أهل الفضائل الذين كانت الدولة تنتفع بهم فى حل مشاكلها ، ولم يبق منهم إلا من تغابى أو تجاهل أو أفرط فى إظهار الجبن حفظا لوظيفته أو طمعاً فى وظيفة ، وأصبح التعيين فى وظائف الدولة هو مجرد مزاج سلطانى ، حتى لقد عزل والى الحجاز عبد الحميد باشا عثمان لأن أهل الحجاز أحبوه ..

وأصبح الصدر الأعظم لايعلم بتوظيف زيد وعزل عمرو الا بعد وقوعه ، وصار الباب العالى ديواناً للقيد والتسجيل وانحصرت أمور الدولة فى رجال المابين (الحاشية وهى تعبير يعنى الحجرة التى لها بابان ، باب الى جهة الحريم وباب الى جهة الخدم) ، فاختلطت الوظائف وتقلدها غير أربابها ، وأصبح الشيخ سفيراً ، وطابخ الشاى واليا ، ولاعب التياترو مبعوثا ، حتى أمست الوظائف كخرزات مختلفة الألوان وضعها واضع فى جعبة ثم جلجلها ما استطاع وفتحها فانكب عليها شبان القصر يفرقون ماوقع فى أيديهم على أصحابهم ، وكانت نتيجة هذا ماتراه من حال الدولة فى نصفها الثانى بعد ضياع النصف الأول . !

وتآمرت بطانة السوء لابعاد ذوى الكفاءة ، .. فمن الياوران الأكارم فؤاد باشا المصرى الذى تفتخر به مصر لعزة نفسه وثبات جأشه وقوة فؤاده وصداقته للسلطان ، إلا أن فضائله رمت به فى مشاكل لم يسلم منها ، وضيعت عليه



حلقات الاستنطاق - التحقيق - فى أمور رمته فيها سذاجة الصادق الأمين ..

بعثه السلطان الى امبراطور النمسا بنيشان فاشترى من فينا سلاحاً أعجبه ليقدمه الى السلطان ، فأبلغوه أن فؤاد باشا إشترى سلاحاً لقصد سيىء ، فأخذ عند قدومه الى التحقيق ، واتهمه خصومه بأكبر من هذا حتى رمى بشرائطه العسكرية أمام السلطان ، كان هذا حال الأمين اذا وجد بين الخائنين ، فى إضاعة الأوقات الضرورية لاصلاح حال الدولة ..

ووصل الأمر الى سقوط الوزارة بعد يوم واحد من تشكيلها لوشاية أو دسيسة ، دخل أبو الهدى على السلطان فى اليوم الثانى من صدارة أحمد وفيق باشا مضطربا ، ويقول : ياأفندينا إن عثمان بك مع الصدر وبعض الوكلاء يكتبون ورقة فى السر بخلع جلالتك بناء على فتوى من عريانى ذادة شيخ الاسلام ، فأمر السلطان باحضار عثمان بك تحت حراب البنادق ، وأمر بتفتيشه لاخراج الورقة ، ففتشوه فلم يجدوا معه شيئا ، ورغم هذا عزلت الوزارة بعد يوم وليلة من تأليفها . !

● من رجلى إلى يدى ! ●

وأخذ المويلحى يروى الحكايات فى عبارات نافذة عن سيطرة بطانة السوء ، فمثلا أرادت الدولة أن تبعث زكى باشا قائدا على عساكرها فى طرابلس الغرب ، فوقف بين يدى الأغا وقال : يامولاى إن الدولة عينت عبدكم قائداً على عساكرها فى طرابلس الغرب ولى أمنية هى تقبيل يدكم الشريفة .

قال الأغا : متى وصل قدركم أن يتعدى رجلى الى يدى !!

وانقلب الهرم فى الدولة العثمانية ، وأصبح أسافلها فى أعلى الهرم الاجتماعى ، وأصبح عدد المشيرين حول السلطان ستون مشيراً ، ويعلن المويلحى قائلا : ليس فى الدولة البريطانية سوى ستة مشيرين ، والدولة الفرنسية عندها أربعة وبعد حربها مع ألمانيا لم يخلفهم أحد بعد وفاتهم .

وفى الدولة البوليسية يتوارى القضاء وتهتز مكانته .. فكان على الآباء أن يدعو الله لأبنائهم ألايحكم عليهم بدعوى ، فالدعوى قصامة الظهور لابطاء الحكم واهمال الفصل فيها أو لمصيبة الحفظ لأوراقها ، وربما ورث الابن دعوى أبيه وجده .

مر عبد الله باشا فكرى فى أحد أسواق الآستانة فوجد رجلا يبيع المناديل ، ووقف يشترى منه وخلال حديثه تبين طيب أصله فسأله عن بلده ، فقال : من بغداد ، كنت من علية قومى فرمانى القضاء والقدر فى البلد لدعوى بينى وبين جماعة من أهل بغداد ، فجئت الى دار الخلافة لأنال عدل الحكومة فبقيت ثلاثا وعشرين سنة ، ودعواى واقفة لايحكم لخصومى فاستريح باليأس ، ولايحكم لى فأحصل على حقوقى ، وبعت جميع ماأملك ، وانتهى بى الحال الى ماترى !

● الرشوة والبذخ ●

وبدلاً من أن تنفق الدولة التى فى

طريقها للانهيار أموالها على حل مشاكلها والخروج من مأزقها ، تعيش حالة من البذخ المدمر وتنتشر فيها الرشوة والفساد ، ولقد فاقت السلطنة العثمانية وهى فى ذروة ضعفها جميع الدول الأوربية فى الأبهة والفخار بأعظم مقتنيات الزينة ، ويصف المويلحى موكب السلطان بأنه ليس مثل قيصر فى موكب انتصاره ولا الاسكندر فى يوم افتخاره ، ففى يوم الجمعة ترد عشرة آلاف من العساكر الى ساحة المسجد أمام باب السراى ، وتصطف صفوف مضاعفة بعضها وراء بعض ، وتتسابق مركبات المشيرين والوزراء والمشايخ والأجانب من السفراء ، ومجلس السفراء فى قاعة الجيب الهمايونى المطلة على تلك الساحة .. أما المراقبة والمحافظة على المسجد ، فترى على كل نافذة من نوافذ المسجد حافظين غليظين يمنعان كل قاصد للنظر ، وعلى سطح المسجد عشرات من العيون والأرصاد ، ولايدخل

السلطان عبد الحميد

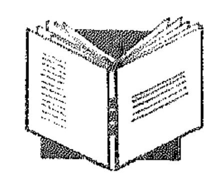
المسجد مصل إلا فتشه المراقبون تفتيش اللص سرق فص خاتم ، فإذا دخل المسجد دخل وعن يمينه جاسوس وعن شماله أخر ومن خلفه إثنان ..

وفى شهر رمضان ، يفطر السلطان فى سراى طوب كابى ، ويأتى الخدم من سراى يلديز بالأوانى الذهبية المرصعة والموائد الفضية ومايتبعها من أنواع الزخارف والزينة التى لاتوجد عند جميع ملوك الأرض لافطار جلالته ، وأفطر مرة الى جانب المخلفات النبوية التى بقيت ثلاثة عشر قرنا . وماهى بذهب ولابحجر كريم ، انما هى صوف خشن من لباس خاتم المرسلين !

ويحكى عن الفساد الذى ضرب أطنابه فى الدولة ويقول : « يأتى المعزولون من المأمورين الى دار السلطنة ، فيدخلون وعبابهم مملوءة بالمال ورءوسهم بالأحلام يطوفون على بيوت الكبراء والوزراء والكتاب والحجاب ، ويقدمون الهدايا والتحف للناظر والوكيل والكاتب والحاجب والنديم ، وعندما يعودون الى وظائفهم لاترى الرعية منهم الا نموراً تمزق الأعضاء وأسوداً تفرق الأشلاء وأفاعى ناهشات وعقارب قاتلات ، وعرفوا أن لاعقاب على الرشوة ولامؤاخذه فى استعمال القسوة ، ولاجناح على الكاذب ، ولاعيب على الخائن ، ولاصحة على منافق ..

● راسبوتين العثمانى ●

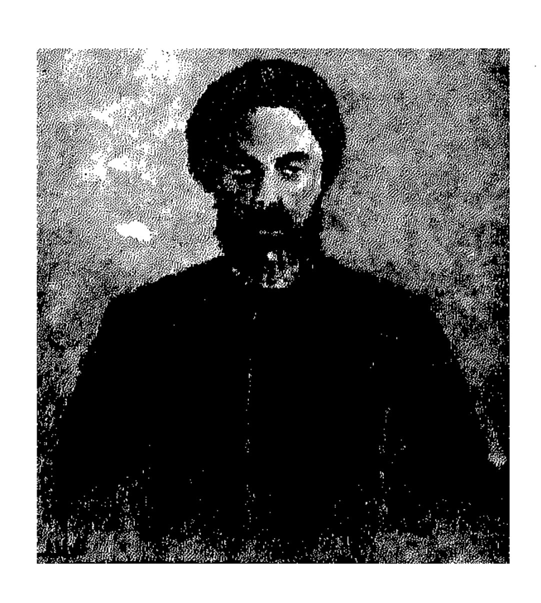
وشاع فى أعلى درجات المجتمع والادارة العثمانية الخرافة بدلاً من العلم ،



وتفسير الأحلام والتنجيم ، ولعل قصة أبو الهدى الصيادى خير دليل ، على نوعية الشيوخ الذين أحاطوا السلطان ، ويروى هذه القصة ابراهيم المويلحى ويكملها الدكتور عبد العزيز الشناوى فى كتابه القيم عن الدولة العثمانية .

قدم الشيخ أبو الهدى الصيادى الى الآستانة من حلب فى آخر حكم السلطان عبد العزيز فى زى أهل الطريق ، وأخذ ينشد الذكر ويضرب على الدف فى احدى التكايا الرفاعية ، وعاد وهو يحمل لقب نقيب الاشراف فى حلب ، ورجع الى الآستانة بعد تولى السلطان عبد الحميد بشهرين ، ورأى السلطان رؤيا ففسرها له الشيخ أبو الهدى تفسيراً راق له ، وبعد أيام أبلغ الشيخ رجال المابين ، أنه النبى صلى الله عليه وسلم قد جاءه فى الرؤيا وأبلغه رسالة إلى السلطان عليه أن يبلغها من غير واسطة ، وقيل له إن السلطان لايعرف اللغة العربية وأنت لاتعرف اللغة التركية ولابد من وسيط ، وعاد الشيخ فى اليوم التالى وقال لقد علمنى النبى اللغة التركية ! ، فبحثوا إن كان الشيخ يعرف اللغة التركية وتأكد عدم معرفته بها من قبل ، فدخل على السلطان ، ونال حظوة لديه لم ينلها أحد من قبله ..

وهو بحق راسبوتين الدولة العثمانية ، فإذا كان راسبوتين أحد أسباب سقوط القيصرية فى روسيا فأبو الهدى أحد أسباب سقوط الدولة العثمانية بنفس



عبدالله النديم

الوسائل والأساليب .. فقد كان أفاقا دفعته المقادير إلى السلطان ، ماهراً ذكيا ، قادرا على التغلغل فى أعماق النفس البشرية ، ومعرفة مواطن الضعف والقوة فى كل منهم ، استحوذ على السلطان ، ولايطيق أن ينافسه أحد ، وانتزع نقابة الأشراف فى حلب من أسرة عبد الرحمن الكواكبى ، ولم يقف نفوذه عند الأمور الدينية والتكايا بل إمتد الى الأمور السياسية والقصور ، وحمل العديد من الألقاب فهو مستشار السلطان وحامى العثمانيين وسيد العرب وشيخ الشيوخ ، ويقف خلف كل القرارات التى أدت الى سقوط السلطان وانهيار الدولة ..

تعرض لدسائسه جمال الدين الأفغانى ، وعبد الله النديم ، فبعد أن عفا عبد الحميد عن عبد الله النديم وسمح له بالسفر الى استانبول وعينه مفتشا للمطبوعات بالباب العالى ، استقبله الصيادى بالعداء ، ونازله النديم بلسانه اللاذع وفضح دسائسه وشغفه بوضع تقارير ملفقه للسلطان ، ووضع كتابا إسمه

المسامير » أطلق فيه على أبى الهدى أبا الضلال ، وصور الشيطان فى كتابه مكتئبا حزينا لأنه وجد منافسا له من بنى الانسان هو الصيادى ، ورد الصيادى باستعداء السلطان ومحاولة مصادرة الكتاب ، ولكن النديم استطاع أن يصدره فى مصر ، ورد عليه الصيادى بكتاب سماه « صوت الهزار ونعيق العذار » قال فيه عن مصر : « إنها دار الفاسدين ، ودار الفجور ، وموضع فن غير مستور ، ومقر فضائح تضيق لها الصدور .. » !

وعرف عن « أبو الهدى » عداءه لكل إصلاح وخصومته لكل رجل حر ، ويكفى أنه أفتى للسلطان أن اهلاك الثلث فى إصلاح ثلثى الرعية جائز . !!

● اليأس .. اليأس ●

ومن الطبيعى أن تصيب الناس أمام تلك الهزائم ونتيجة هذه الأوضاع جرثومة اليأس التى تفضى إلى موت الأمم والافراد ، وينقل المويلحى عن أسعد باشا سفير الدولة العثمانية فى باريس قوله لأحد الذين يعملون من أجل نصح الدولة وايقاظها بكتاباته وخطبه : « أيها السيد الفاضل ان الله أراد موت هذه الدولة فكيف تقدر على إحيائها .. »

● ● بقيت كلمة أخيرة تتناول الشاهد وشهادته ، لقد كان إبراهيم المويلحى من أهم كتاب النثر الأدبى فى نهاية القرن التاسع عشر ، وعاش مرحلة كثرت فيها الحوادث والخطوب ، وشهد التدخل الأجنبى من خلال صندوق الدين ، وخلع الخديو اسماعيل وقيام الثورة العرابية وأخيراً الاحتلال الانجليزى لمصر ..

وكان قريبا من هذه الأحداث ، وعمل سكرتيرا للخديو اسماعيل خلال وجوده فى نابولى ، يحرر رسائله ويعلم أولاده ..

ومن العسير أن تجد أحد الكتاب فى المسائل السياسية فى هذه الحقبة ، يثبت على موقف واحد ، فنلاحظ انتقال المويلحى بين المعارضة والتأييد للسلطان عبد الحميد ، ولعله كان متأثرا لبعض الوقت بالفرمان السلطانى بخلع الخديو بأمر الدول الكبرى ، فهاجم السلطان ودولته فى الصحف التى أصدرها فى أوروبا مثل صحيفة الخلافة عام ١٨٧٩ ، وصحيفة الاتحاد ، ثم عاد وأصدر جريدة « عين زبيدة » يدافع فيها عن السلطان والدولة العثمانية ، ويهاجم الانجليز ، ثم إنتضم الى جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده فى تحرير العروة الوثقى فى باريس ..

ووصل الى استانبول عام ١٨٨٥ ، وعينه السلطان فى « انجمن المعارف » وبقى بها عشر سنوات ، ثم عاد الى مصر وأصدر صحيفة « مصباح الشرق » عام ١٨٩٨ يدافع خلالها عن الدولة العثمانية ..

وأخيرا نشر هذه السلسلة من المقالات عن الدولة العثمانية فى صحيفة المقطم الموالية للانجليز .. فهل كانت المقطم مجرد منبرا يعبر فيه عن آرائه ، أم كانت هذه الكتابات جزءاً من حملة منظمة على الدولة العثمانية فى مصر .. ؟

والأرجح .. أنه كان مدافعاً صادقا عن الدولة العثمانية ، مثل كل أبناء جيله ، فكانت بالنسبة اليهم رمز وحدة الشرق وحاميته ، تعلق بالأحلام طويلاً بأن تخرج من مأزقها وأن تصحح أخطاءها ، وأن تتمكن من الانتصار على أعدائها .. وخذلته وأحبطته ..

وكان هذا الكتاب .

الجدران الأخرى

سياسات عملية السلام العربي - الإسرائيلي

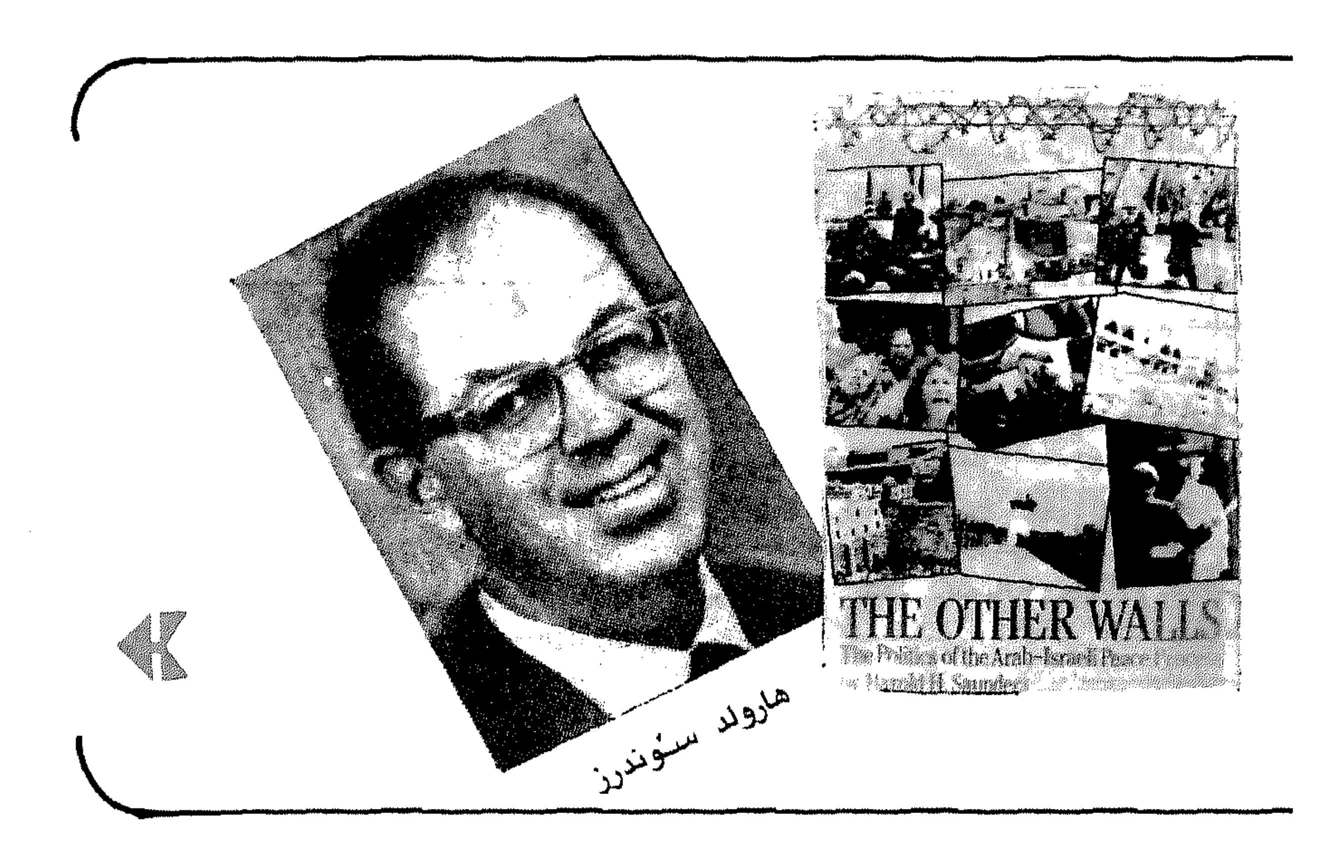
بقلم : تحسين بشير

هذا عنوان الكتاب الذى نشره اخيرا هارولدسوندرز الزميل المقيم بمعهد امريكا انترابيز الامريكى للشئون الهامة والذى عمل لفترة طويلة فى وزارة الخارجية ومجلس الأمن القومى الامريكى فى مجال الشرق الأوسط ولعب بذلك دورا هاما فى إدارة وصناعة القرار الأمريكى فى كثير من مشاكل المنطقة وعلى وجه خاص فى النزاع العربى الأسرائيلى وقد شارك مستر سوندرز فى محادثات كيسنجر ومحادثات كامب ديفيد وعين فى عام ١٩٧٨ مساعدا لوزير الخارجية الامريكى لشئون الشرق الأوسط وجنوب آسيا .

وقد عكف منذ أعتزاله فى عام ١٩٨١ عند مجىء الرئيس ريجان للحكم فى البحث والتحليل فى مشكلة الشرق الأوسط وكيفية إيجاد الاطار المقبول للمفاوضات ودراسة العوامل المؤثرة عليها وأنماط التفاعل والتداخل بين العوامل الكثيرة - داخلية كانت أو خارجية - التى تلعب دورا أو تطرح تغيرا على شبكة التوازنات التى تعزز التغيرات والثوابت فى هذه المشكلة المعقدة .

وهو يعرض مختلف المفاهيم التى يطرحها كل جانب محللا المعنى العلمى والمغزى الحقيقى لما يستخدم من الفاظ فالكل مثلا يستخدم لفظ السلام ولكن لكل طرف معانى مختلفة لما يعنيه بالسلام ، بل أن هذه المعانى تطرأ عليها التغيرات حسب تغيرات رؤيا هذا الطرف أو ذاك لمصالحه أو تقديره لما جد من تغيير .

ماهى « عملية السلام » ؟ لفظان ليس لهما تعريف محدد لافى ادبيات علم السياسة أو فى علم العلاقات الدولية ، لان هذا المصطلح قدسك فى أعوام ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ ليناسب تطورات المفاوضات القائمة بين مصر



هارولد سوندرز

وإسرائيل وبقية الدول العربية التى استلزمت اطارا واسعا يشمل البعد الزمنى غير المحدد لعملية المفاوضات وكذلك الاطراف المختلفة مثل سوريا والاردن والتى دخلت فى عملية التفاوض والدول العربية الاخرى وخاصة البترولية التى تمسك بزمام مادة استراتيجية ذات تأثير هام على المستهلك الامريكى وحال السياسة الامريكية اخذ ينمو ويتحدد بحيث يشمل العوامل الداخلية والسياسية لكل طرف وكذلك التفاعل بين الاطراف والاطار الدولى المتغير الذى تتم فيه هذه التفاعلات .

ومن الأسئلة الهامة التى يطرحها هو لماذا يجب أن يهتم الرئيس الأمريكى بايجاد حل لهذه المشكلة . ويعتقد سوندرز بأن الضغط المستمر للتحرك نحو تسوية سلمية مؤمنة ومضمونة يخدم مصالح الولايات المتحدة فى دورها العالمى والاقليمى فى الشرق الأوسط وهو يرى بأن عملية السلام النشطة تعتبر البديل الايجابى للتطرف والراديكالية فى البحث عن حلول أخرى وهذا الرأى من جانبه لايشاطره فيه عدد من الخبراء الذين يعتقدون بان البحث عن حل لهذه المشكلة هو اضاعة لجهد الرئيس الأمريكى وسمعته ودفعه الى موقف سياسى لايحقق فيه مكسبا أو ربحا سياسيا .

وعلى عكس الخبراء المتشائمين يرى مستر سوندرز ان هناك ارضية مشتركة لعملية السلام الآن أقوى من الأرضية التى كانت قائمة عام ١٩٧٣ وهو ينوه بالدور المصرى الذى يرتبط بالسلام كمبدأ أو هدف ولكن مصر تشترط ان تكون طبيعة السلام والتطبيع مرتبطة بالطريقة التى تتعامل بها اسرائيل مع الفلسطينيين وغيرهم من جيرانها العرب وهو

الجدران الأخرى

يرى تقدما محدودا وغير كاف فى مقررات مؤتمر ١٩٨٢ ..

والكتاب لايعرض معادلة أو مقترحا أو تصورا يشكل الحل النهائى ولو بصورة عامة مثلما قدم تقرير معهد بروكينجر لعام ١٩٧٥ ولكنه يطرح مدخلا لفهم وتحليل المناخ السياسى وكيفية التأثير عليه والتركيز على خطوات محدودة ومركزه للمرحلة القادمة من عملية السلام . فالكاتب يهتم بالمدخل والأطار والأسلوب اكثر من اهتمامه بالنتائج التى يتركها تتشكل وتنتج من خلال التفاعل الذى يطلق عليه عملية السلام .

وهو يركز على إيجاد البؤرة الصالحة للتركيز عليها محاولا ان يحترم حساسية كل طرف للنقاط الهامة بالنسبة لكل طرف كما يتصورها هذا الطرف ويحاول ان يجد أرضية مشتركة يمكن التحرك عليها رغم وجود أرضيات تختلف حولها الاطراف بشدة واندفاع .

وهو يؤكد ان الوقت مجرد مرور الوقت يخلق حقائق جديدة وان عنصر الزمن هو بعد هام فى هذه المشكلة .

وهو يحلل الموقف الفلسطينى والاردنى ويطالب بصوت سوريا لان استبعاد سوريا يعرقل من عملية السلام ويحبطها وهو يرى صعوبة تكوين وفد ثلاثى أردنى فلسطينى سورى للتفاوض ويقترح بديلا عن ذلك لجنة عربية للتنسيق ، كما يبحث عن مقترحات رمزية لتأكيد الشرعية الدولية للمفاوضات مثل حضور سكرتير عام الأمم المتحدة أو ممثلين من مجلس الأمن لتوفير هذا المطلب العربى .

وهو يرى أن مصلحة السلام تتطلب آن تتبوأ مصر مركزها القيادى فى العالم العربى وفى عملية السلام . ويرى أن مساعدة مصر فى حلها لمشاكلها الأقتصادية عنصر هام فى تقوية السلام ويمكن الدعم الاقتصادى ولكن على الولايات المتحدة ان تعلم ان تقدم عملية السلام واشتراك الفلسطينيين والاردنيين فيها يقوى مركز مصر وقدرتها على الأستمرار فى دعم السلام وخلق وتطوير علاقات طبيعية مع أسرائيل .

ويعرض الكاتب لدور الدول العظمى ويناقش مختلف النصائح والمقولات التى تتردد بين السياسيين والمحللين ويطرح نقاطا كثيرة لتشجيع الاطار السياسى والنفسى لعملية التفاوض وأهمية ان تكتسب العملية عنصر الأهمية العاجلة والمتصاعدة لخلق الضغط المناسب لبلورة القوى اللازمة لتأكيد العملية وتقويتها امام القوى التى تعوق مسارها .

وهو يرى ان السؤال السياسى الهام ليس فى امكانية قبول الطرف الاخر للحل المقترح بل فى الخطوات التى يقوم كل طرف ليسهل للطرف الآخر قبول الحل وهو يرى ان المناخ المناسب قادر على جعل مايبدو اليوم غير ممكن يتحول فى اطار مناخ سياسى مناسب الى حل يلقى القبول .

ان الكاتب أعد كتابا يصلح لهؤلاء الذين يقومون بمهمة المفاوضات وأسلوبها وهؤلاء الذين يتابعون بتحليل تطوراتها وهو بذلك يشذب أدوات المفاوضة ويحلل تفاعلاتها مقدما ، دليلا نافعا للمفاوضين فى أمور النزاع العربى الاسرائيلى وتاركا لعملية المفاوضة مهمة انتاج الحل المقبول من الاطراف .

وهو يبتعد بالمدخل الذى اختاره عن الخوض فى المواقف القانونية للأطراف ملتزما بأسلوب برجماتى عملى للبحث عن الممكن والعمل على التأثير على الظروف المتغيرة لتوسيع وتقوية وتأهيل الارضية المشتركة .



هنرى كيسنجر

والكتاب بذلك لايعرض حلا ولاتصورا لحل شامل للقضية الرئيسية وروافدها وانما يقدم دليلا لمساعدة الاطراف المختلفة على الخوض فى « عملية السلام »

وهو يعتقد ان هذه العملية هى خير بديل عن الاختيارات الأخرى سواء كانت الاختيار التصادمى عن طريق الصراع العسكرى أو أساليب الصدام المتنوعة كما هى افضل من الاختيار الآخر وهو عملية التعليق لأجل غير مسمى .

وفى رايى أن للكتاب معطيات ايجابية فى مجال وسائل واسلوب المفاوضة ، أى فى المجال الفنى الضيق لعملية السلام بشكلها العام والذى تتفاعل فيه موازين القوى والعناصر القيادية والمحركات الاقتصادية والنفسية ودور الدول العظمى والوسيطة والاستفادة البناءة من الفرص المتاحة ، فهى مجال أوسع يتطلب منا فهما أعمق وأشمل بحقيقة المتغيرات الدولية والاقليمية فى منطقتنا ووسائل تحريكها وأسلوب دفعها لتحقيق سلام شامل دائم .

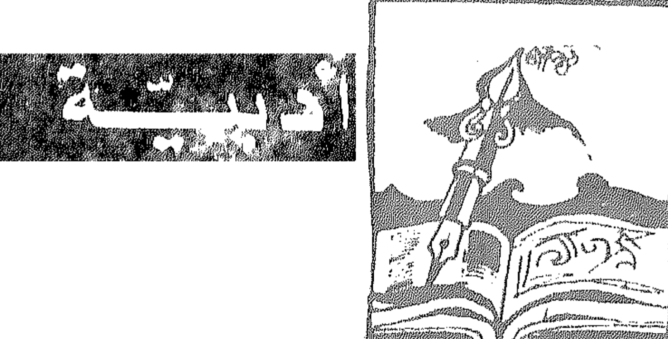
وفى اطار المنظور المحدود الذى اختاره الكاتب لمعالجته يستفيد القارىء من خبرة مستر سوندرز ويكتسب بقراءة الكتاب فهما لعقلية القائمين على السياسة الامريكية واسلوب تناولهم للقضايا المصيرية التى يشكل عنصرا محوريا فى واقعنا السياسى .

وفى ختام هذه العجالة السريعة لهذا الكتاب اذكر الأيام الأولى لشهر سبتمبر ١٩٧٥ وكان وزير الخارجية المصرية حينذاك السيد اسماعيل فهمى قد ابقى تفاصيل اتفاق فك الارتباط الثانى سرا مفضلا ان يذكر بعض الجوانب الايجابية ومبقيا الجوانب الاخرى التى كان يتوقع اعتراضى عليها فى طى الكتمان . وجاء هارولدسوندرز فى دورة المفاوضات وأطلعنى على تفاصيل الاتفاق فى اطار مناقشة بيننا وكان وقع هذه التفاصيل شديدا على نفسى وقلت له كيف تضعون مصر فى تقديم ثمن باهظ فى سبيل الحصول على تقدم ضئيل ومن ضمن للعرب الحصول على الأرض المحتلة بهذا الاسلوب التفاوضى فأجاب بأن الحل يتوقف عند قوة دفع السلام ... ومرت الايام بل الأعوام ولازلت انتظر قوة دفع السلام وقدرتها على تحريك الاحتلال الاسرائيلى من الضفة والقطاع . ان فن المفاوضة واسلوب التفاوض هو أحد وسائل التحرك السياسى ولكن لايمثل الا عنصرا من عناصر كثيرة تشكل صرح الوضع السياسى المواتى لانتاج حلول مقبولة .

يقينى أن مهمة تحقيق السلام العادل تتطلب جهودا صامتة ومبدعة تجمع بين الرؤيا الثابتة والتحرك السريع والتاييد الشعبى والتاثير على الأطراف الاخرى والمناورة وخلق الظروف المواتية وهى تحتاج كذلك الى العمل الدائم الدائب لبناء قوى المجتمع الخلاقة ، التى تمثل عصر الأمن والأمان وفى نهاية المطاف تمثل القاعدة الصلبة للسلام العادل .







بقلم: يوسف القعيد

الشعراء كثيرون ولكن .. ماقل الشعر

●● إختار وزير الثقافة والاعلام العراقى ، لطيف نصيف جاسم الدليمى ، أن يتكلم فى نهاية المربد ، بعد ان يستمع أولا لمن جاءوا الى المهرجان . وفى كلمته الاخيرة . قرر الوزير أن يصبح المربد مهرجانا سنويا بدلا من إقامته كل عامين . وان تخصص له قناة ارسال تليفزيونية وإذاعة خاصة به .

ويبدو ان الوزير أراد ان يمسك بالمثقفين العرب من أحلامهم ، فوقف أمام الحلم المستحيل وقال : إن المهرجان سيصبح منطقة حرة للجميع .

هذا الكلام الكبير يفرض علينا ضرورة الكتابة ، ولن تكون الكتابة هى السطور المتوقعة ، بل هى الكلمات الاخرى ، التى قالها المثقفون طوال المهرجان ولكنهم عند العودة الى بلادهم سبحوا فى بحار الازدواجية الخالدة . وقرروا ان مافعلوه وماقالوه هو أمر ولكن مايكتب فى مثل هذه المناسبات يجب أن يصبح أمرا أخر تماما . يصل إلى حد النقيض فى بعض الأحيان .

وعندما اكتب هذه الكلمات لااحب ان أبدو مثل عواجيز الفرح ، والمهرجان كان فرحاً فعلا . ألف مثقف عربى منهم حوالى ٦٥٠ من ابناء العراق . والباقون من أبناء الأمة العربية ، وبعض المستشرقين .

ومجرد ان يلتقى هذا العدد من مكان واحد فى بغداد وان يسافر جنوبا حتى البصرة . حيث مكان المربد الأول فى التاريخ ، وحيث السياب أحد الحقائق المؤكدة فى تاريخنا الشعرى كله . وأن يسافر شمالا حتى أم الربيعين ، الموصل الجميلة فهذا أمر طيب

ولكن يبقى ان المربد مهرجان شعرى وأى مهرجان شعرى له أضلاع ثلاثة اساسية هى : الشعراء ، والنقاد والجمهور . والمحك الاساسى لأى نجاح



بدر شاكر السياب



محمود درويش

يبقى فى لقاء هذه الاطراف الثلاثة واحتكاكها وتفاعلها .. تخرج منه الشرارة العظيمة التى هى الفائدة المرجوة من مثل هذه المهرجانات .

الذى حدث هو انه لا النقاد استمعوا الى الشعراء ولا الشعراء استفادوا من النقد . ففى وقت واحد كانت تعقد جلسة شعرية وجلسة نقدية فى مكانين مختلفين . مع انه كان يمكن العثور على صيغة لقاء مابين الطرفين .

الجمهور لم يتمكن من حضور جلسات النقد التى بدت اكاديمية ونظرية ، وان كان قد تفاعل بصورة جيدة مع الشعر فهو تفاعل يتم عبر التليفزيون الذى نقل مشكورا كل ماجرى فى المهرجان شعرا ونقدا . وإن كان تفاعل التليفزيون غير اللقاء الحى والمباشر .

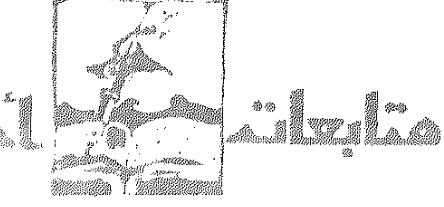
المفروض أن المربد مهرجان شعرى ، ولكن الشعراء عوملوا فيه إعلاميا بمنطق النجوم والكواكب على الطريقة الغربية من صناعة النجوم . إفتتاح المهرجان كان مخصصا لنزار قبانى وسعاد الصباح . ومنتصفه - ولكن بصورة خافتة واقل - لأحمد عبد المعطى حجازى . ومحمود درويش الذى قرر ان يحضر فى الختام فقط . ايمانا بقاعدة أن الختام مسك . فقفز نزار قبانى وقرر ان يشاركه لحظة نجومية الختام ، والقى شعرا قال عنه انه جديد . ذلك انه يؤمن ان من يتحدث اخيرا يبقى فى الذهن دائما .

وهذه امور طبيعية ، ولكن الغريب ان يحدث هذا فى مهرجان ثقافى ، حضوره ألف من مبدعى الكلمة وجمهوره الملايين من متذوقى الشعر .

اما الشعر نفسه ، فقد تاه فى دروب الصفقات الشعرية . وتحول الى نوع من القص الشعرى ومعظمه يسكن فى خانة شعر المناسبات الذى لايبقى منه - بعد ان تمضى المناسبة كثيرا او قليل . وحتى الشعر الذى لم يتناول المناسبة بشكل مباشر بدا وكأنه قد قيل من قبل .

فلا المعانى جديده ولا التناول فيه توهج الشعراء .. والظاهرة الغريبة أن كثيرا من الشعراء قال شعرا منشورا من قبل . بحجه انه ليس لديه جديد كما أن كثرة القصائد والشعراء جعلت القدرة على التلقى تتوقف من منتصف الجلسة الشعرية .

وفى اطار ماقيل من الشعر ، فإن التقليدى منه كان سيد الموقف . والجديد



كان اقل بصورة لافتة للنظر .

المربد مهرجان تقيمه العراق الذى تدخل حربه مع ايران شهزها الرابع والستون هذه الايام . وهذا معناه ان العراق الذى يواجه ظروفا اقتصادية بالغة الصعوبة عليه أن يدقق كثيراً فى فكرة المهرجانات . والمسئولون عن المربد هم : عبد الأمير معله الشاعر الروائى ووكيل وزارة الثقافة والاعلام . وحميد سعيد الشاعر ورئيس تحرير جريدة الثورة . وعبد الرزاق عبد الواحد الشاعر المعروف ولابد وان نضم معهم الدكتور محسن جاسم الموسوى . رئيس تحرير مجلة آفاق عربية والوجه الجديد للثقافة العراقية . والمسئولية عليهم كبيرة والعبء غير عاد . ومطلوب منهم الأن الاجابة على عدد من الاسئلة الهامة :

● هل من صالح المهرجان ان يُقام كل سنة بدلا من عامين ؟ وفى هذه الحالة كيف ينظم بحيث يخرج من دائرة التكرار الممل احيانا ..

● كيف يلتقى قولا وفعلا الثلاث : الشاعر والناقد والانسان العادى .. فى لحظة شعرية نادرة .

لامفر من الخروج من فكرة الشاعر النجم الأوحد الى الشاعر صاحب الموهبة الشعرية اولا واخيرا ..

ايهما اجدى للثقافة والسياسة معا . ان يكون المهرجان مظاهرة سياسية دون محتوى ثقافى . أم ان يكون لحظة إبداع ثقافى تطرح هما سياسيا . ؟ !

اننى اكتب هذا لأننى أحب العراق الارض والناس والتجربة والجنود والثقافة اكثر من الذين عادوا لكى يقولوا كل شيء تمام والمؤتمر كان أعظم إنجاز فى النصف قرن الأخير ..

فالهدف الاساسى هو ان يكون المهرجان القادم افضل من الذى عدنا منه منذ ايام .



● ● كان من مسلمات المربد ان الوفد المصرى هو اكبر الوفود فى المهرجان . وقد تحدث حالة من الطرب عند سماع هذه الكلمات . ولكن بعد السكرة تاتى الافكار دائما . فالذين سافروا من مصر لم يكونوا وفدا باى معنى من المعانى . كانوا مجموعة من الشعراء والكتاب والمفكرين والصحفيين . تم أختيارهم على اساس فردى وبصفتهم الشخصية . وكانوا يعانون حالة من عدم التجانس . لدرجة انهم تحولوا الى مجموعات لايربط بينها سوى المكان الذى يقيمون فيه .

ولنتحدث حتى بالصراحة التى تغضب الأخرين ليس احيانا ولكن فى كل الاوقات فمسألة الحضور المكثف للمصريين وعملية التغييب التى جرت لمصر تتمثل فى حالات من الغمز واللمز من احد الذين قالوا ان الشعر مات فى مصر ولانه قال هذه الجملة بهدف ان يخلق موضوعا للرد

عليه أساساً وانه يهدف الى دفع عشرات من المصريين الذين كانوا فى المهرجان لكى يكتبوا مقالات حول حال الشعر فى مصر . فانه يمكن ان نقول الكثير عن شعر الامة العربية فى احضان مصر دون ان يكون ذلك ردا على أحد .

لامفر من اقول ماهمس به الكل لنفسه وللآخرين في الغرف المغلقة . ثم عندما قرروا الكتابة بلعوا الاحرف في بطونهم وكتبوا كلاما اخر . يوجد الآن فى الوطن العربى حالة من السعار اسمها : وراثة الدور المصرى . منذ ست سنوات وهناك من يتصور ان عربة العقل المصرى اصبحت فارغة ولابد من ان يكون هناك من يملؤها . وملء العربة تحول الى حالة من الجنون . فى بعض الاحيان . وهذا الجنون عبر عن نفسه بأكثر من صورة واكثر من شكل . مرة بإهالة التراب على وجه مصر الثقافى . واخرى تريد اطلاق النار على الواقع الثقافى فى مصر . وثالثة بتجاهل الانجاز المصرى فى اى ميدان ثقافى .

وقد شعرت بأن هناك محاولة لتغييب الحجم المصرى فى المربد السادس .. قد يقال إن هناك ٨٠ مصريا جاءوا .. وإنهم ثلث من حضر من العالم العربى .. ولكن حضور الأشخاص ـ مع احترامى التام لهم ـ لايعنى حضور الابداع . لست شوفينيا والحلم القومى العربى هو الثابت الوحيد فى خيالى وماأكثر المتغيرات . ولكنى عدت وفى ذهنى سؤال حزين : من



احمد عبد المعطى حجازى

المستفيد من تحويل مصر الى هذا الغائب الحاضر بهذه الصورة ؟!

يمكن ان يرد على بعضهم بأن عصر لم تنس وكانت فى البال والخاطر وهذا صحيح تماما . لمن يتعامل مع سطوح الاشياء . ولكن من يحاول النفاذ إلى ماتحت السطح . وآه من عذاب هذه المحاولة . سيدرك ان ثمة خيوط غير مرئية . وأمورا فى الذهن تحدد الحضور الشعرى والنقدى المصرى ..وربما حدث هذا بحسن النوايا . والنيات علمها عند الله . ولكن تدارك الامر ضرورة هامة فى المربد القادم .

اكتب هذه الكلمات فى اوراق المنطقة لحرة التى قررها وزير الاعلام العراقى نفسه واكتب هذه الكلمات لكى اقول ـ الى اللقاء في المربد السابع ..

من الأقاليم | المنصورة

عاطف مصطفى

لطفى السيد

الفلاح الذى نادى بمصر للمصريين

تحتفل المنصورة بذكرى ميلاد أستاذ الجيل أحمد لطفى السيد فى ١٥ يناير الحالى ، وهو تقليد طيب لتكريم أبنائها من الأدباء والفنانين ، الذين لعبوا دورا هاما فى الفكر المصرى المعاصر ، وأسهموا بجهودهم فى كل الميادين منذ بداية القرن العشرين .

وقد بدأ قصر ثقافة مدينة المنصورة عاصمة الدقهلية هذا التقليد منذ فترة قريبة ، وكان آخرها الاحتفال بميلاد الشاعر على محمود طه فى منتصف الشهر الماضى ، وحضره صفوة من أدباء المنصورة حيث ألقيت قصائد الشعر ، وتبارى الحاضرون فى الحديث عن دور الشاعر فى إثراء الحياة الأدبية من خلال شعره الرصين .

وأحمد لطفى السيد ولد فى قرية « برقين » من أعمال مدينة السنبلاوين بالدقهلية ، وظهر نبوغه منذ نعومة أظفاره ، ولم يأبه بالجاه والغنى الذى كانت تحياه أسرته . بعدما شاهد المعاناة التى يحياها المصريون فى ظل الاستعمار والاستبداد . وحرص على أن يعيد للمصرى كرامته وعزته ، ولذلك فقد ظل طوال حياته يحرص على إثبات أن مصر برجالها وبأبنائها أعز وأعظم شعوب الأرض قاطبة ، بل إنه أول من نادى بشعار « مصر للمصريين » كما كان أول من نادى بالديمقراطية فى الوطن العربى .

وهو أستاذ الجيل بغير منازع ، فلم يختلف على أستاذيته لجيله وللجيل الذى لحق بجيله إنسان ، وامتدت أستاذيته عبر تلاميذه إلى جيلنا ، ممن رأوه ولم يستمعوا إليه ، الا من واتتهم الفرص على قلتها للاتصال به والاستماع إليه .

عاش أكثر من تسعين عاما ، وما كان فى حياته على طولها إلا كل عمل جليل ، فكان موظفا نابها ، ووصل فى سلك الوظيفة إلى أعلى مراتبها ، وشارك فى الأعمال العامة ، وكان من الرعيل الأول فى كل عمل قومى أو سياسى أو وطنى .. فكان من مؤسسى الوفد المصرى عام ١٩١٩ ، وكان مديرا للجامعة ومن مؤسسيها ، ووزيرا وعضوا بمجلس الشيوخ ، ومفاوضا فى وفد المفاوضات المصرى مع الانجليز ، وكان فى كل هذا شخصية متميزة لها دورها التاريخى الذى يذكر به ،


أحمد لطفى السيد

كما يذكر به غيره من النابهين الذين شاركوه ، أو شاركوا مثله فى تلك الأعمال العامة ، ولكنه لم يخلد بهذا كله ، وإنما خلد لأنه كان صاحب فكرة تمثلت مايحتاج إليه جيله ، فكان لطفى السيد - بحق - الناطق الحقيقى بلسان عصره .

● مصـر للمصـريين ●

وكان أحمد لطفى السيد رجلا فى أمة ، وأمة فى رجل ، أو هكذا وصفه الرسميون حينما أهدته الدولة جائزتها التقديرية ، فقد كان أمة وحده حين أخذ يعرف المصريين بأنفسهم ، ويفتح لهم أفاقا من الفكر ويدلهم على معان جديدة للحياة ، غابت عنهم حين وقف بهم الجمود عن التطور ، ووقف بهم الجهل عن الارتقاء والتمدن .

وقد عاش أخصب فترة فى تاريخ مصر الحديث .. حيث نشأ فى ثورة ، وختم حياته فى ثورة ، وشغل فكره أثناء الحرب العالمية الأولى بمستقبل مصـر بعد الحرب ، وما ينبغى أن تحصل عليه ، خاصة وأن الانجليز سخروا طاقات الشعب بهذه الحرب المدمرة ! .

وكان نداء « مصـر للمصـريين » مهما حتى فسره لطفى السيد ، وكشف عن معناه ، كما انصف أحمد عرابى يوم وفاته ، ولم يأبه بما يمكن ان يحدث له ، حيث كان الخوف من تهمة العرابية مازال قابعا فى الأذهان فى تلك الحقبة .

لم يضع أحمد لطفى السيد مؤلفات كثيرة ، فمعظم كتبه عبارة عن مقالات فى الجريدة ، وأحاديثه بعد أن نفض يده من العمل الصحفى ، وقد تولى جمعها ونشرها بعد ذلك « إسماعيل مظهر » فنشر الجزء الأول من المنتخبات عام ١٩٣٧ ، ثم الجزء الثانى فى عام ١٩٤٥ ، ونشر فى عام ١٩٤٦ « تأملات فى الفلسفة والأدب والسياسة والاجتماع .. » وفى العام نفسه نشر « صفحات مطوية من تاريخ الحركة الاستقلالية فى مصـر » . وفى عام ١٩٦٢ نشر كتاب الهلال مجموعة من الأحاديث ، رواها لطفى السيد للأستاذ طاهر الطناحى تحت عنوان « قصة حياتى » وفيما عدا ذلـك ترجمـاته للفيلسـوف الاغريقى « أرسطو » وهى كتاب « الطبيعة » و « الكون والفساد » و « الأخلاق » .

* * *

وإذا كان احتفال المنصورة بواحد من ابنائها ، وعلم من أعلام مصـر فينبغى أن يكون التكريم الأول له فى أن تحظى مكتبته الخاصة التى آهداها لمكتبة المنصورة ، وكذلك مقتنياته الشخصية بوضعها فى متحف خاص به ، أو فى مكان يليق بها ، بدلا من وضعها بهذه الصورة التى تجعلنا نأسف على ما يحظى به أعلامنا من جحود ! .



بقلم: د. محمد رجب البيومي

ليست هذه هي المرة الاولى التي يدهم مصر فيها وباء المخدرات ، فمنذ عهد الدولة الاخشيدية حين كانت زراعة الحشيش مباحه في الدولة ، ومصر تتعرض لهذا البلاء على فترات متباعدة ، وقارىء المقريزى يقف على سلسلة من ضروب الكفاح المستمر لهذه السموم القاتلة ، وليس من همنا الان ان نجلو صفحة من تاريخ هذا النضال الشاق وانما نمهد به لنذكر ان ماتعانيه البلاد الان هو اشد ضروب المعاناه في تاريخها الطويل ، اذ اصبحت هذه السموم في هذا العهد قريبة من ايدي النشء الصغير ، وهذا مالم يحدث من قبل ، اذ كان تعاطي هذه البلايا مقصورا على الكبار وحدهم ، فتدفق المال في ايدي الجهلة جعلهم يسخون في منح التلاميذ من ابنائهم مايفيض عن حاجتهم ، فيفسح امامهم باب الشر ، وهكذا وجدت المخدرات ميادين كثيرة للفتك بالارواح فتكا بطيئا عن طريق الادمان ، بل هكذا ساعد الجهلة من الاباء على انتشار هذا الداء ، بالاتجار في السم القاتل تارة ، وبتهيئة الظروف لادمان ابنائهم ، وتحطيم قواهم في عمر الزهر ! ولا ننكر ان الحشد الضخم من الافلام الهابطة ، الداعية عمليا لانتشار هذه السموم قد جعل الفن السينمائي مسئولا عن انحداره الشائن مهما اختلقت بواعث التبرير لهذا الالحاح المتواصل في عرض المشاهد المنكرة دون حياء ! ومن المؤسف ان نفرا من كبار الفنانين شرقا وغربا وقديما وحديثا قد تورطوا في الادمان القاتل ، ومنهم من ادرك سوء مصيره ، وتحدث عن مأساته بما يقدم العبرة الناصحة ، والموعظة الامينة ، وسنختار من ادباء الغرب بعض من كتبوا عن ادمانهم المزمن ، فهم بتجربتهم الصحيحة القدر على الصدق في وصف الداء اذ ينقلون عن انفسهم دون افتعال .

الذين قرءوا الياذة الشاعر الاغريقي الكبير هوميروس يعرفون انه ذكر بها نبات الافيون ،

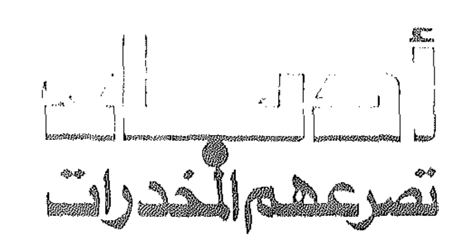
وهومير لسان الشـــعب اليوناني يتحدث عن اهوائه بما يبرزخفاياه ، وكذلك عرفابوقراط اله الطب اليوناني اثر هذه المادة في التخدير ، فاوصى بها في العلاجين الجسمي والنفسي ، اذ رآها تخـــدر الداء تارة وتذهل المريض عن هواجسه الاليمة تارة اخرى ، وطبيعي ان ينقل الرومان عن اليونان مالديهم من شر وخير ، اذ جعل اطباؤهم الافيون مصدر راحة للمريض ولعلهم كانوا معذورين بعض الشيء اذ لم يجدوا من وسائل التخدير سواه ، وقد قيل ان طبيب الامبراطور نيرون ، وهـو « اندروماكلوس » كان يحرص على وصــــفه لنيرون حين تهيج انفعالاته ، ولعل جنونه المتقطع كان من بواعث هذا الادمان ، وقد غلبت الخمرة على الافيون في احقاب تالية اذ آثرها الاطباء في التخدير على ماسواها ، حتى جاء القرن الثـامن عشر فعادت الســـــيطرة للافيون ، واتســع الامد لدراسته علميا على وجه مقارب ، وفي مدى مائة عام تجلى للاطباء خطره الداهم ، فاصدر الطبيب الفرنسي مورودي تور سنة ١٨٤٥ كتابه « الحشيش والجنون » وهو خلاصة تجربة اليمة شاهدها المؤلف لدى مرضاه الكثيرين ، اذ كان مديرا لمستشفى الامراض العقلية بباريس ، فادرك ان اكثر مرضاه من صرعى الافيون ، وقد جازف بنفسه حين تناوله ليدرك اثره الجسمي والنفسي ، وهي مجازفة دفعته الى شن حرب قاسية عليه اعلنها في كتابه المشـــار اليه ، وحق له ان يؤلف مستنكرا ، اذ انتشر الافيون في فرنسا وانجلترا لعهده على نحو مزعج ، وقد وقع في براثنه اعــلام من رجال الادب منهم توماس دي كنسي ، وشارل بودلير ، وتيوفيل جوتيتيه ، وكلهم قد عاش في القرن التاسع عشر ، وله في الحديث عن المخدرات كلام ذائع نشير الى بعضه الان .

توماس دى كنسي

اصدر توماس دى كنسي كتابه « اعترافات آكل الافيون » ليبرر لنفسه وللناس عكوفه على الادمان القاتل ، فقد احس احساسا قويا باثر المخدر في انهاك جسمه ، وتدهوره الى الهاوية في عجلة سريعة ، كما احس بنظرات اللوم ، وعبارات التهكم من عارفيه ، فاراد ان يجعل من اعترافاته وسيلة مسترحمة للدفاع عن مذنب يلمس آثار جريمته في كيانه الذاتي قبل ان يلمسها في نقد السـاخر ، وتهكم الشامت ، لذلك نجده يسرف في الحديث عن لذة الافيون ضعف ما يتحدث عن عواقبه الوخيمة ، وهو انسياق لا شعوري الى التبرير اكثر منه اعترافا بفداحة المصاب ، وقد بدا اعترافاته ليقول لقارئه انه لا محالة سيسائل نفســه : كيف يستسلم العاقل لسلطان هذه العادة مع مافيها من شقاء وتعس للنوع الانســـاني ، وكيف يلقي بنفسه طائعا مختارا في هاويتها حتى تثقله باوزار ليس للخلاص منها سبيل ! وفي الاجابة عن هـذا التساؤل اخذ الكاتب يسهب في تعداد مآسيه التي واجهته في مطلع شبابه ، وكيف ائتمر به الاوصياء حتى حرموه ماله ، واضطروه الى التشرد ، ومن خلال ماذكر الكاتب نعلم انه كان ذا موهبة كبيرة ، وانه اتقن اللغة الاغريقيــة في الثالثة عشرة من عمره اتقانا جعله يصحح اخطاء مدرســـه ، ويعجب لجهله الشائن بمادة الدرس ! وقد كان يتناول الصحيفة الانجليزية ليقراها باليونانية فورا دون ان يشعر صاحبه انه يترجم ، ثم كره الدراسة التقليدية في المدرسة واراد ان



هوميروس



يكون حرا في مطالباته فسخط عليه أوصياؤه . وتعرض لانياب الفقر والجوع والتشرد ، ومد يده للصدقة والتسول ! ويقول انه ذاق من مرارة الجوع مالم يذقه انسان اذ كان يتضور تضورا لاينقطع وخزه القاتل ببعض الفتات حتى يرجع كما كان بل أشد ، وبعد اسهاب مطيل في شرح ضروب الفاقة التي عاناها ، ذكر أنه أحس بضرب مؤلم في ضرسه كاد ينزع روحه فخرج هائما على وجهه ليدله احد الناس على استعمال الافيون كي يهدىء ضربات الضرس ، وقد ذاقه لاول مرة فجن به جنونا . وعز عليه ان يسلوه ، وقد كتب توماس صفحات مثيرة تصور احساسه بهذا المخدر ، صفحات مسرفة يسوقها تبريرا لانحداره ، يقول في بعض سطورها مصورا احساسه به لاول مرة :

« يا للسماء ! ماهذا البعث الذي حدث ، انتقلت مرة من أبعد الاغوار سحقا ، الى ارفع الذرى ارتفاعا ، شعرت بتغيير كلي ، زالت آلامي كلها دفعة واحدة ، على ان زوال الالم لم يكن بالامر العظيم اذا قيس بغيره ، فقد فتحت امامي أبواب الفردوس ، فنعمت بالحياة حتى خيل الى اني قد تعاطيت سر السعادة الذي اضاع الفلاسفة اعمارهم في البحث عنه ، اجل ، استطيع الان ان اشترى هذه السعادة وأن احملها في جيبي « بيني » واحد !

يقول هذا توماس ، وقد اعترف انه غب ادمانه لم يعد يصلح لشيء ، حتى انه كان لايستطيع ان يخط رسائل من ثلاثة اسطر لاصدقائه الا بعد جهد جهيد ! وقد قضى عمره لم يؤلف شيئا غير اعترافاته التي كتبها ارتجالا وكأنه يتحدث ، ويلحظ الناقد خللا في سياقها ، اذ يستطرد كثيرا الى مالايمت الى موضوعه ، ثم يكرر ماقال ثانية وثالثة ! وهذا ليس باسلوب كاتب مقتدر ذى موهبة ، بل ليست هذه طاقة من كان يخطىء اساتذته ويدلهم على الصواب ، وهو تلميذ ! والذين يتحدثون عن نشوة المخدرات ، يستشهدون بفقرات مما كتب توماس ويرددون قوله في مناجاة الافيون :

« ايها الساحر العظيم ، ياذا القدرة التي لاتتلاشى ، والقوة التي لاتقهر ، يا من تجلب العزاء لقلوب الاغنياء والفقراء على السواء ، اذا انطلق لسانك بسحر بيانك انتزع من القلوب الحقد والبغضاء واذا ماجلبت الاحلام ليلة واحدة عادت الى المجرم التعس ذكرى ايام الطفولة ملأى بالعابها الهانئة فتغسل عن يده دم الجريمة »

وهذه الاقوال التي تنتزع انتزاعا من اعتراف توماس يجب ان يضاف اليها ماقاله في عواقب هذا البلاء حين يخمد الحس ، ويخبل العقل وينهك الجسم فيصبح متعاطيه مشلولا جسما وعقلا وارادة ! كان عليهم ان يستشهدوا بمثل قوله :

« اني احاول ان اصف او اصور حالة الخمول التي اصبحت فيها ، وهي صورة لكل يوم من ايام السنين التي قضيتها تحت سحر هذا الوباء الخادع ، احاول ذلك فلا استجمع ادراكا يكفيني لكتابة ثلاثة اسطر ، بل لااستطيع ان اكتب رسالة قصيرة الا بعد اشهر واسابيع فاتالم لمصيري لان آكل الافيون لايفقد شعوره بالمه النفسي ، وانحدار اماله ، بل يتزايد هذا الشعور مع انحطاطه الجسمي والعقلي فيزيد سعيرا والتهابا ، يشعر ان الواجب يدعوه الى النهوض ، ولكنه لايستطيع التحرك كرجل اصابه الشلل ، فلزم الفراش عاجزا عن مغادرته اني عاجز عجز الرضيع في يدى مرضعته ، أذرف الدموع ، واقذف بالاهات دون جدوى ، ويزيد

على هذا الرهق النفسي ما احسه من الم في التنفس ، وضيق في الصدر ، وفساد في التخيل اذ كان يخيل الى انى كل ليلة انزل ثم انزل ثم انزل الى اغوار مظلمة سحيقة يتلو بعضـــها بعضا ، واشعر ان من المستحيل ان اخرج منها فازداد تعاسة واود الانتحار لانجو » .

هذا بعض ماذكره توماس عن تجربة صادقة ، اعترف بها تلقائيا دون الزام .



بودلير

شارل بودلير

شارل بودلير صـــاحب ديوان « ازاهير الشر » شاعر اسمه اكبر من شعره ، فان غرائب شذوذه وظواهر انحلاله دفعت اقلاما كثيرة الى الاحتفاء بادبه ، فكتبت عنه الدراسات الكثيرة التي لم يحظ اولو الجد بامثالها ، وكان الذين يعلقون على دراسة هؤلاء يروحون عن انفسهم اذ يعبرون عن عواطفهم الذاتية فى ستار من التحليل الادبى المحايد ! ولا نظلم الشاعر حين نذكر انه شاعر الرذيلة ، لان اخلص حوارييه من النقاد قد وصفوه بذلك الوصف عن اعجاب وتقريظ لا عن قدح وتجريح ، وكان صديقي الاستاذ ابراهيم المصرى لا يعدل به شـــاعرا آخر من ارباب اتجاهه ، وهو مع ذلك يقول عنه في كتاب « الفكر والعالم » .

والحياة فى عرف بودلير لاتبدو فى مختلف الوانها الصارخة الا في الرذيلة والشر ، فقد خلبت الرذائل لبه ، يود أن يهبط الى اعماقها السحيقة ، حيث تبدو الفطرة الحيوانية مجردة من العرف الاجتماعي ، والواجبات المفروضة ، شريرة متخبطة عارية من كل دثار ، فشعره مفعم بالجنون الشهوى ، تتوارد فيه ابشع صـــور الدعارة ، يختلط فيها الالحاد والعبث والفوضى الخلقة المحتاحة »

ويكفى هذا لنقرر أن الرذائل تتابع متلاحقة لدى اصحابها ، فبودلير قد عشق النســـاء والسواقط منهن بنوع خاص ، وعشق الخمر ، ثم قرا كتـــاب « اعترافات آكل الافيون » لتوماس دى كنسى المشار اليه من قبل ، فجره الى هذا المخدر ، وكتب عنه كثيرا مما اوحاه تفكيره المنحدر ، وصحب معه الحشيش ايضا ، فكانت الخمر والافيون والحشيش حلقات في سلسلة تغل الشاعر لتهوى به الى الفناء السريع ولم يغب عنه أن يغلف فكره الهابط بغلائل ذات بريق يخـــدع بهـــا قارئه حين قال عن الحشيش :

« أن في الانسان رغبة مستـــاصلة لادراك المثل العليا ، والوصـــول الى الحقيقة ، لذلك يحاول ما امكنه ان يخلص الروح ويطلقها من سجنها المادى ، العائق لها عن الوصول الى هذه الاهداف كذلك السعادة هي الضالة المنشودة لبنى الانسان ، وبما انها ليست في متناول الجميع ، فهو يحـــاول ما امكن ان يتوهمهـــا ويصطنعها ، فقدح من مدام ، وشهقة من تبغ ، ومضغة من حشيش ، تجد بها الروح تخلصت وتبدلت » .

ياعجبا ! يحاول الصوفيون ادراك المثـــل العليا والوصـــول الى الحقيقة فيتجردون من الشهوات ، ويطيلون مناجاة الخالق في الخلوات ويخرجون عن اموالهم للفقراء والمساكين عن رغبة مخلصة ! وقلما يصلون بعد ذلك ! أما بودلير فيرى ادراك المثل العليا والوصول الى الحقيقة محصورا فى قدح من خمر ، ومضغة من حشيش ، وشهقة من تبغ ! وهو تفكير لايستغرب من مدمن مخدرات !

هـــذا الاديب الفرنسي اللامع حبيب لدى المثقفين من المصريين . فقـــد خلد تاريخ مصر

أدباء نصرعهم المخدرات

الفرعونية في أدبه شعرا ونثرا اذ تحدث عن مدينة طيبة القديمة في كتابه « قصة المومياء » كما نظم قصيدة من ارقى قصائده على لسان المسلة المصرية القائمة بباريس ! ولكن ظلام القرن التاسع عشر ادركه حين وقع في اسر المخدرات ، وبلغ به الادمان مبلغا وصف تاثيره في كتاب خاص اسماه « نادى الحشاشين » وقد استطاع ان يرصد اوهامه الباطنية في لحظات تخديره ، فاعلن انه تخيل بعد تناول الحشيش ان جسده قد ذاب ذوبانا ، وصار شفافا ، وأن أهداب عينيه قد امتدت كأسلاك رفيعة من الذهب ، ثم اخذت تلتف حول كرات صغيرة من العاج اخذت تدور حول نفسها ، وقد انفجرت من حول الشاعر انهار من الفضة ، شواطئها من الذهب ، وبعد امد عاوده الصحو قليلا ثم ادركته السمادير ليرى نفسه بين جماعات من الطيور والفراشات وليسمع اغاريد جميلة لا عهد له بها ، كما راى اكثر من خمسمائة ساعة دقاقة ترن في ســـ.ه رنينا يشبه الاهازيج ، وحين صحا مرة ثانية ادرك ان هذه المناظر الجميلة قد مرت عليه في اقل من ربع ساعة فقط ! عاد بها الى الفتور والهمود .

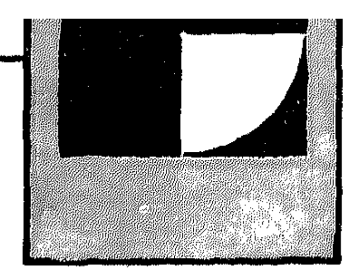
لم تكن هـــذه الخيـــالات الموهومة وقفا على تيوفيل جوتييه وحده ، فاكثر المتعاطين يتوهمون مالايحصى من الاخيلة . ولــكن مايعقب فترة الذهول يرجع بالفكر الاليم فيحتسي مرارته هذا الحالم الســـكران ، وقد نقل الدكتور يعقوب صروف في كتابه « فصول في التاريخ الطبيعي » وصفا كتبته مدمنة انجليزية اديبة عن عذابها النفسي الشاق اثناء الاوهام وعقب انتهائها ، اذ كانت تسمع اصواتا تخترق جسمها حـ.د. كالسهام فتمزقه تمزيقا ، وكانت الارض تنشق تحتها لتهوى فيها صـــائحة مستغيثة ، وقد اومضت البروق الحمراء من كل الجهات امامها ، وانطلق مدفع رهيب لم تسمع اقوى من دويه المزعج طيلة حياتها ، وقد خيل اليها انه ينطلق متوجها اليها في وحشية ، كما تصورت ان انفصلت عن جسدها ، وانها رات هذا الجسد ملقى طريحا لا حراك به ! ومن العجيب انها بعد ان افاقت تحدثت مع من اخبرها بان صوت المدفع المدوى لايعدو أن يكون ترجمة عن خفقان قلبها المتكرر في فزع !

هذا لون من العذاب النفسي يضاف الى مانعلمه من العذاب الجسمي حين ينحل الجسد ، وترهل المفاصل وتشل الارادة ، وينعقد اللسان .

على ان بعض الشعراء يقع في روعهم ان المخدر اللعين يســـاعد على صفاء القريحة ، وروعة التصوير فالشاعر الانجليزي «كولردج» وقد كان مدمنا كبيرا زعم انه الهم معـاني قصيدته « كبلخان » بعد أن تعاطى ما تيسر من الافيون ، وهو لون من التبرير المكشوف يتوجه به المدمن الى لائميه من العقلاء ليخففوا من تانيبه ، كما راينا بين المخمورين من شعراء العربية من يحاول ان يبرىء نفســـه من اثم الخمرة مدعيـــا انها تذهب الحزن ، وتجلو الهمم ، ولئن صح بعض مايقال عن مكابره هشة تمحلا وتبريرا في هذا المجال ، فان شاعر الحكمة ابا العلاء المعرى قد عصف بهذا الخداع حين قال :

اياتي نبي يجعل الخمر طلقــة ... فتحمل شملا من همومي واحزاني
وهيهات لو حلت لما كنت شاربا ... مخففة في الحلم كفة ميزاني

مع الفن التشكيلي



بقلم : صبحي الشاروني

• مائيات ٨٥ • في معرض عدلي رزق الله

اقام الفنان عدلي رزق الله معرضا جديدا للوحاته المرسومة بالالوان المائية - والتي اطلق عليها اسم « مائيات ٨٥ » - حيث اضاف اشكالا وعناصر جديدة الى الورود والازهار التي كانت الموضوع الرئيسي لمعارضه خلال العامين الماضيين •• لقد اضاف البيت الريفي والنخلة • وقدمهما بطريقته الشاعرية في الرسم ، وهي الطريقة التي تجعل تدرج الالوان وتداخلها مماثلا لتدرج النغمات في الموسيقى •

بدأ الفنان معارضه عام ١٩٧٣ اثناء اقامته في باريس ، وكانت لوحاته عبارة عن شرائط متعددة الالوان متجاورة ومتحاورة ، ولكنها تنطوي على هيئة هرم او طائر بين هذه الشرائط الملونة •• ثم انتقل الى رسم الورود والثمار وحالات الاخصاب والتكاثر في النبات وتنطوي على اسقاطات وتلميحات الى حالات الحب في عالم البشر •

ان اضافة عنصري البيت والنخلة في معرضه الاخير تشير بوضوح الى زيادة ارتباط الفنان ببيئتنا الريفية والمحلية ، وخروجه الى حد ما من اسار الفن الاوربي الذي كان يجعل لوحاته منذ عودته من رحلة السنوات العشر في باريس - بلا وطن ، بينما كانت رسومه على الشاطيء الاخر للمتوسط مملوءة بالحنين الى مصر : النيل والهرم والحمامة وحورس •

ولا شك ان استمرار الفنان في الرسم ومواصلته الانتاج ، مع احساسه بالانتماء الى هذه الارض وتاكيده على ذلك في كل احاديثه الصحفية الغزيرة ، قد جعل « مائياته » تحقق التعبير عن العناصر المحلية وعن اشكالها البسيطة ، بعد ان كان يهاجم من يسلكون هذا السبيل ويعتبرهم باحثين عن عصا يرتكزون عليها من اشكال البيئة او التراث •

وها هو عدلي رزق الله يتالق - كما كان في معارضه السابقة - بلوحاته الغنائية المبهجة ، وفي نفس الوقت يعبر عن عناصر مصرية باسلوبه الخاص ، ليثبت ان هذه العناصر في يدي الفنان المتكامل الشخصية ، لا تؤدي في النهاية الى انتاج لوحات « سياحية » بل اعمال فنية لها خصوصيتها وشخصيتها المحلية ، ولها قدرتها على النفاذ الى ذهن المشاهد المدرب على متابعة الاعمال الفنية وتذوقها •• ولها قدرتها ايضا على عبور الحدود لتخلق جمهورا من المعجبين في مصر وخارجها •

وعدلي رزق الله فنان متفرغ لفنه ، لا يؤمن بالهواية او الرسم في اوقات



الفراغ ، فالرسم عنده مهنة لابد ان يمارسها كل يوم .. وهو يقف موقفا وسطا بين التجريدية والتشخيصية فيرضى بذلك المتعصبين لهذا الاتجاه ويامن فى نفس الوقت هجوم المتعصبين لذاك الاتجاه .. فلوحاته تبدو لاول وهلة وكانها خطوط والوان مختلقة من الذهن ولا تهدف الا الى امتاع البصر سطحيا .. ثم لا يلبث المشاهد ان يكتشف بين هذه الالوان المتدرجة والمتداخلة : عناصر لهـا وجودها الواقعى وان كانت غير واقعية الهيئة ، فيفرح باكتشافه ، ويطيل النظـر والتامل ، حتى يالف الاشكال ويتعاطف معها ويحبها .

ولعل افضل ما يميز لوحات هـذا الفنان هو فهمه وتمكنه من استخدام الالوان المائية لتعبر بقوة عن الشفافية والضياء مع الايقـاع والتنغيم الذى يجعل من اللوحات معروفات مرسومة .

• بيوت سيوة •
عند محمود بقشيش

عرض محمود بقشيش لاول مرة بعد عودته من باريس ، حيث اقام ستة اشهر كجائزة لتفوقه فى دراسة اللغة الفرنسية .. لكنـه سافر كرسام ، فاهتم بمتابعة انجازات الحركة النقابية فى مدينة النور .

المعرض يضم مجموعة اعماله التى رسمها عقب زيارته لواحة سيوة فى رحلة نظمتها الثقـافة الجماهيرية لعـدد محدود من الفنـانين ، حيث شاهدوا ما تتميز به واحة سيوة من

حد أعمال الفنان عدلى رزق الله ضمن معرضه « مائيات ٨٥ »



بيوت سيوه من أعمال الفنان محمود بقشيش

خصوصية شديدة فى بيئتها مع مجموعة القرى والواحات الصغيرة المحيطة بها ٠

ان بيوت « سيوة القديمة » المقامة من الطين والملح على هضبة مرتفعة في مدخل الواحة العريقة ، ومظاهر القدم على هذه البيوت حتى تبدو كاطلال مهجورة : هى اكثر ما يشد الانتباه ويجتذب عين الزائر الغريب٠

وهكذا كان موضوع اعمال معرض الفنان هو هذه البيوت التى تشبه القلاع ٠٠ فتحاتها ضيقة تنطوى على ظلمه في الداخل ، جدرانها خشنة الملمس ومتعرجة فتحقق تذبذبات مدهشة مع تغير زاوية سقوط الشمس عليها ٠٠ ابوابها موصدة دائما وتبدو متآكلة ٠٠ من النادر أن ترى خلال النهار سكان القرية في شوارعها ، حيث لا يظهر ـ من حين لاخر ـ سوى الاطفال يسرعون الخطى الى السوق لشراء بعض الحاجيات ٠

وفناننا لم يهتم برسم الاطفال او الملمس الخشن للبيوت وانما وقع في غرام المباني المتراصة المتكاثفة وتلك المتوحدة التى تبدو خالية موحشة ٠٠ وراح ينسج لوحات معرضه من هذه المباني ، مستفيدا بالخبرة التى اكتسبها خلال شهور اقامته في باريس

٠٠ والتي جعلت اقدامه اكثر رسوخا فيما يتعلق بعجينة اللون وجسارة التكوين والتحرر من الالتزام بمصدر ضوئي يتم على اساسه توزيع الظل والنور في اللوحة ٠

لقد بدأ الفنان ككاتب قصة ، ثم انتقل الى الرسم والكتابة النقدية ، واعلن حربا على النموذج الاوربي ثم تصالح معه ٠٠ كما رفض الخضوع للتراث ثم اقام حوارا مع هذا التراث ٠٠ وهاجم الذين يصورون البيئة وتخلو صورهم من البشر ، ثم اقام معرضه الاخير وكل لوحاته تصور البيوت وحدها خالية من البشر ٠٠ لكنه عوض اختفاء الوجه الانساني من لوحاته بأن اضفى ما يشبه ملامح الوجوه الانسانية على بيوته المتكاتفة المتوحدة ، حيث ترسم الابواب والنوافذ ملامح بشرية ٠

لكن اهم ما يميز اسلوب الفنان في الرسم هو الاحساس بالحيوية والحركة في لوحات يغلب على عناصرها المرسومة الشكل السكوني الصامت وذلك باستخدامه الذكى للخطوط المائلة ٠٠ فنجدها تختزن ايقاعات داخلية ديناميكية نتيجة للتلاعب بالاضاءة واستخدام الظلال الطويلة المتمددة فتحدث اثرا تراجيديا على المشاهد ٠

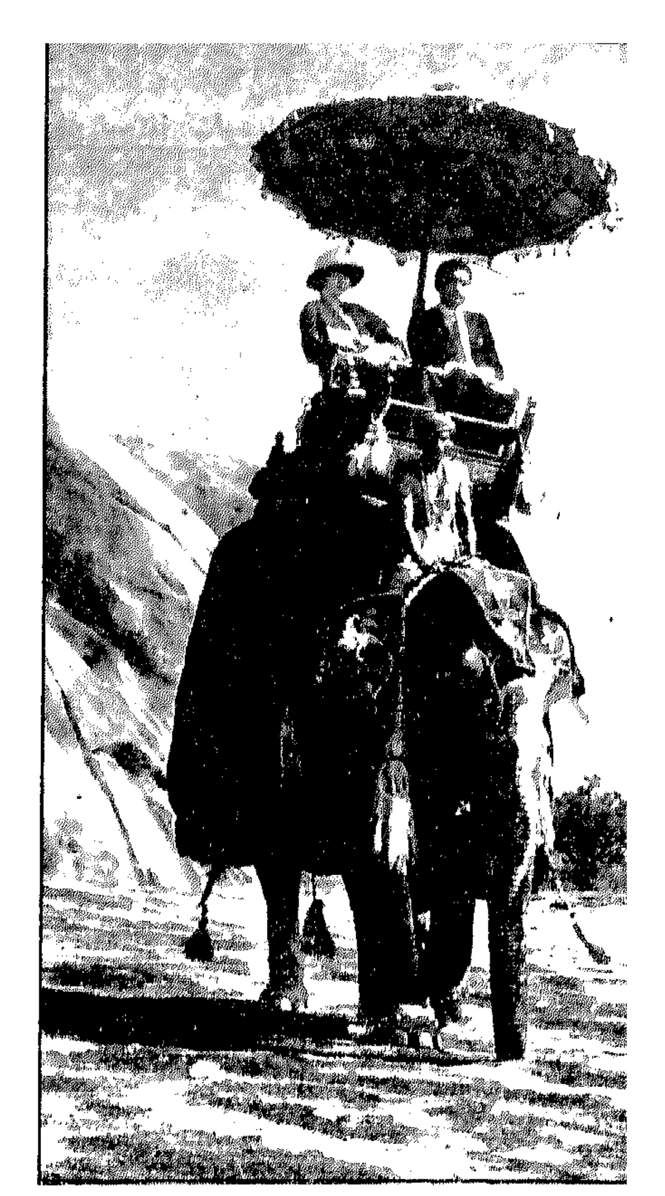
المهرجان الحائر بين الفوضى والاستقرار

بقلم: مصطفى درويش

عجيب امر مهرجان القاهرة السينمائى الدولى فله من العمر سنين أو يزيد .

ومع ذلك فثمة لعنة تطارده كل سنة .. لعنة ان يكون او لا يكون .

فدائما ، ومع اقتراب الموعد المحدد لاقامته يثير غير المستفيدين منه حملة شعواء ضده ، تشكك فى جدواه، تقيم امامه المراقيل تفتعل اسبابا لالغائه لو اقتنع بها حماة المصلحة العامة لانتهت بهم الى اراحة بالهم بالتضحية به خلاصا من مسئولية لا تحمل لصاحبها الا كل هم وغم .



دكتور احمد عزيز مع الديلا فوق ظهر فيل

واسباب ١٩٨٥ التىافتعلها دعاة الالغاء تنحصر فى :

اولا : ان فكرة المهرجانات لا تتناسب مع نداءات التقشف وشد الاحزمة سدادا للديون .

ثانيا : ان المهرجان بهرجة لا تليق مع ما نحن فيه من حزن حزين على من مات ومن سيموت فيما هو آت من الايام .

فلما أسقط في يدهم ، وبدا أن المهرجان على وشك أن يقام ، أطلقوا وابلا من الشائعات حول طبيعة الافلام لعل أهمها الزعم بان « طريق الى الهند » فيلم الافتتاح معاد للاسلام ، و « شاهد » الذى اشتركت به هوليود ـ بعد مقاطعة للمهرجان دامت سنوات ـ فيلم يمجد شعب الله المختار .

ولولا هاتين الشائعتين لكان معظم الكلام عن الروائع السينمائية التى عرضت خلال المهرجان ـ وما أكثرها ـ واذكر منها على سبيل المثال لا الحصر .

١ ـ « الروح .. السيمفونية الخيالية » « لتيترس ليبر » ـ نمساوى ـ

٢ ـ « المرأة والغريب » لرينر سيمون ـ المانيا الديمقراطية ـ .

٣ ـ « ويزربى » لدافيد هير ـ انجليزى ـ وكلاهما حاصل على الجائزة الاولى لمهرجان برلين « ١٩٨٥ » .

٤ ـ « أحلام المدينة » لمحمد ملص « سورى » وحاصل على الجائزة الاولى لمهرجانى قرطاج وفالنسيا « ١٩٨٤ » .

٥ ـ « تعالى وانظر » « لكليموف ـ « سوفييتى » وحاصل على الجائزة الاولى لمهرجان موسكو « ١٩٨٥ » .

٦ ـ « برلين على الشاطىء » لايريك رومير « فرنسى » .

٧ ـ « بلاد يحلم فيها النمل الاخضر » لفيرنر هرتزوج .
« المانيا الاتحادية » .

٨ ـ « البرازيل » لتيرى جيليام « انجليزى » .

٩ ـ « الدواء » لشريف جونى وحاصل على الجائزة الاولى لمهرجان دمشق ١٩٨٥ .

١٠ ـ « يرما » عن مسرحية الشاعر الاسبانى « جارسيا لوركا » ـ مجرى ـ .



١١ ــ « المرآة » للمخرج التركي « ايردن كيرال » و المانيا الاتحادية » .

الاستثناء لماذا

وعند الفيلم الاخير ، وقبل الكلام عــن الفيلمين المتهمين ــ أتوقف قليلا .. لماذا ؟

لانه ينتسب الى سينما بلد محســوب ضمن بلدان العالم الثالث المتخلف .

ولانه يعتبر ، ورغم فقر الامكانيات واحدا من أجمل الافلام التي ازدان بها المهرجان

واخيرا لانه لو كانت الرياح تجرى بما تشتهى السفن لوقع الاختيار عليــه دون « طريق الى الهند » ليكون فيلم الافتتاح.

والمرآة فيلم يتميز باســلوب يذكرنا بعباقرة السينما العــالمية أمثال « ميزو جوش » اليابانى و « روبرت بريســون » الفرنسى و « بيير باولــو بازولينى » « الايطالى » مع قدرة على الاحتفاظ باصالة تستطيع ان تستخرج من الاشياء العــادية أشعارا واقمارا .

وفكرة المرآة بسيطة كل البساطة ..

أبطالها ثلاثة : فلاحة « زيليهان » وفلاح زوجها وفارس « الاغا الصغير » الذى هو فى حبها ولهان .

الفيلم يبدأ بلقطة مكبرة لورقة مالية تسقط في الحقل حتى تراها عينا «زيليهان» التي ترفض الاغراء .

يلقى الاغا المشنوق القوام بباقة مــن الزهور فى دلو ملىء بالماء تحمله «زيليهان» التى تفرغه من كل ما فيه دون أن تطرح الفارس التحية .

يقترب الاغا حذرا ومعه مرآة صغيرة من زيليهان الى أن تبصر وجهها ثم وجهــه فيها .



كيلى ماكجيليس والعيون الشاهدة

وعندما تشــكو « زيليهان » أفاعيــل الفارس الى زوجها تبدأ المأساة .

فبقوة جذب هائلة وليدة ليل طويل مــن الهوان يأمر الفلاح زيليهــان » بــان تقبل الهدية وتطرح التحية .

فاذا ما عاد الى الكوخ ووجد ورقة مالية، تأكد ان الاغا طامع فى زوجته ، فقر قراره على اعداد كمين له ينهى به دهرا مــن الحرمان .

الموت والتحول

ومع قتل الاغا ودفن جثته في الكــوخ ثم سفر الزوج القاتل الىالمدينة فى محاولة منه لاخفاء معالم الجريمة ، تنعطف الحكاية انعطافا شديدا .

فها هى « زيليهان » وحيدة ، خائفة ، حزينة مع جثة فى مملكة الموت .

وعندما يعود الزوج ترفضه ، لتنشــغل عنه بطيف القتيل العاشق الذى تبصره فى

كل مكان ، تبصره في الوديان فارسا ملء الارض والفضاء ممتطيا آلامه ، حاملا في كفيه مرآة كبيرة تتوحد معه فيها في لقطة نادرة ساحرة .

وتزداد هوة الصمت بين الزوجين اتساعا تملأ انقاتل خوفا يمتد في كل الجهات ، ينحسر بالانسان الذي فيه .

كل ذلك بأقل القليل من الكلمات ، بلا موسيقى تصويرية في أغلب المشاهد اكتفاء بالمؤثرات الصوتية ، تأكيدا للغة سينما رقية تصعد بالانسان ليبصر .

والان الى الفيلمين المشبوهين ..

طريق أو ممر الى الهند أجمل قصة أبدعها خيال الاديب الانجليزي «فورستر».

وعن حكايته معها يقول صاحب الفيلم « دافيد لين » « جزء من كيان صانع الفيلم هو سعيا بحثا عن قصة يقع في حبها » .

رحلة عذاب

ولقد حدث اللقاء السعيد مع « طريق الى الهند » التي تعلق بحبها ، عندما وقع بصره على شخصياتها تتحرك على المسرح بفضل « سانتا راما راو » الذي حول القصة الى عمل مسرحي .

حاول أن يشتري حق التحول بها الى فيلم ، ولكن عبثا ، فمؤلفها عبس وأبى لا لسبب سوى أنه كان لا يثق في السينما ، متخوفا مما قد تلحقه بقصته من تشويه يفقدها تماسكها القائم على توازن حساس دقيق في رسم حدود العلاقة بين الانجليز والهنود وما يحيط بها من مآخذ بسبب التسلط والاحتلال .

ولم يلبث ان ودع « فورستر » الحياة ومضت أعوام والحلم لا يتحقق منه شيء الى أن اتصل المنتج « جون برابورن » قريبا من نهاية سنة ١٩٨١ بالمخرج الكبير المعتزل الاخراج منذ فشل فيلمه « ابنة ريان » — ١٩٧٠ — ، طالبا اليه ان يصنع فيلما من قصة « فورستر » .

ولم يكن يتم الاتفاق حتى كتب «لين» السيناريو ، اختار لورد « ستودن » مصورا للفيلم ، يمم شطر أرض الغرائب والعجائب بحثا عن موقع لالتقاط المناظر ، وعن ممثل هندي « فيكتور بانرجي » يتقمص شخصية الدكتور « أحمد عزيز » تلك الشخصية التي أراد « فورستر » لها ان تكون محورا لقصته ، يبدأ بها وصاحبها حائر متردد ، فاقد للكيان الموحد .

فاذا ما عبر الى بر الامان متغلبا على محنة الاتهام له بالشروع في الاغتصاب ، انتهى الامر به متجاوزا التجربة ، مستردا الثقة بالنفس والاعتبار صائحا في أنفة وكبرياء صائحا قريبا من نهاية الفيلم « أخيرا أنا هندي » .

الامبراطورية صدى

والظاهر ان تخوف « فورستر » على مصير درته في السينما كان له مايبرره .

« فلين » مال الى شخصية الانسة «اديلا كويستد » « جودي داليز » .

بدأ الفيلم بها وهي في انجلترا تحجز تذكرتي سفر الى الهند ثم بها مع السيدة « مور » « بيجي اشكروفت » أم خطيبها ، وهما معا في القطار المتجه الى «شاندرابور» حيث يشغل الخطيب منصب رئيس محكمة .

انها فتاة في حيرة من أمرها ، ساقها الفضول الى بلاد تركب الافيال ، هيأ لها التردد ان بالامكان اكتشاف الهند الحقيقية .

فاذا ما دخلت أحد كهوف « مارابار » في محاولة منها للغوص في الاعماق ، اضمحلت الهند التي سعت الى اكتشافها حتى غدت لا شيء .. مجرد صدى يتردد ، يذهب اثر كل نداء .

كيد النساء

وهنا قد يكون من المناسب التساؤل : لماذا مال « لين » الى العنصر النسائي ، لماذا جعل من « اديلا » محورا للفيلم بدلا من الدكتور « عزيز » ؟

«في اخر حوار أجرته معه مجلة بريمير» الفرنسية ابريل ١٩٨٥ » حول فيلمه قال « في انجلترا دائما ما نردد الاتهام بأن الامبراطورية قد فقدت بسبب النساء .

وفي اعتقادي أن هذا الاتهام لا يجانبه الصواب ، فالرجال الذين بعثت انجلترا بهم الى الهند قاموا بأداء ما كلفوا به من واجبات .

المهرجان الحائر

وهذا الاداء كان فى بعض الاحيان رائعا، وفى أحيان اخرى بشعا .

أما النساء فموقفهن بشكل عام كان محل استهجان ، كان مثيرا للاشمئزاز .

و « فورستر » فى كتابه قد وجه الاتهام الى جميع البريطانيين الرجال منهم والنساء على حد سواء .

ولكنى آثرت التفرقة واضعا التعبيرات الاكثر بلاهة على لسان النساء » .

حساسية الانحياز

واضح اذن ان « لين » قد انحاز الىجانب رجال الامبراطورية الذى خدموافى«جوهرة التاج «ميزهم بالفعل والقول علىالجنس اللطيف .

ومن هنا فقدان الفيلم للتوازن الحميد فالرجال رسمت شخصياتهم على وجه أوشكت ان تختفى معه رذائل التدخل والاحتلال وعيوب العنصرية والتعالى .

وهذا التجميل لغزاة الشمال كانلابد وان يصاحبه انحدار فى رسم شخصية الرجال الهنود .

لعل سبيل المثال شخصية الاستاذ « جود بول » « اليك جينيس » ـ وهى هندوسية براهمية ـ تناولها « لين » بسطحية كادت تصل بها الى حافة الكاريكاتورية المقيتة .

سحر الابهة

ومهما يكن من أمر هذه المآخذ ، فالقدر المتيقن ان الفيلم آخذ ينساب من خلال لقطات أمجاد « لين » توليفها فاشمت سحرا على مدى ثلاثه ساعات الا قليلا .

ومع ذلك فلا ملل أو سأم يصاب به المشاهد ولو لثوان .

وهو يبدأ بمدينة بومباى فى العشرينات فرقة تعزف موسيقى عسكرية ، فرسان يمتطون جيادا مطهمة ، حشود من البشر على امتداد البصر ، نائب الملك وحاكم الهند مع قرينته عائدين من انجلترا .

هاهما يمران تحت بوابة ضخمة تمثلا الشاشة فاذا بهما يتضاءلان ، يتحولان الى رمز لا غير لابهة امبراطورية عابرة ، يذوبان فى شبه القارة التى تبدو وكأنها لا أول لها ولا انتهاء .

الهائمون

وفجاة ينتقل بنا صاحب الفيلم الى ليل وقطار يتلوى كالثعبان بين الوديان تستقله انجليزيتان أكثر تواضعا « اديلا » والسيدة « مور » فى طريقهما الى « شاندرا بور » .

بعيدا عن المدينة تجيء الاهوال من الاخريز



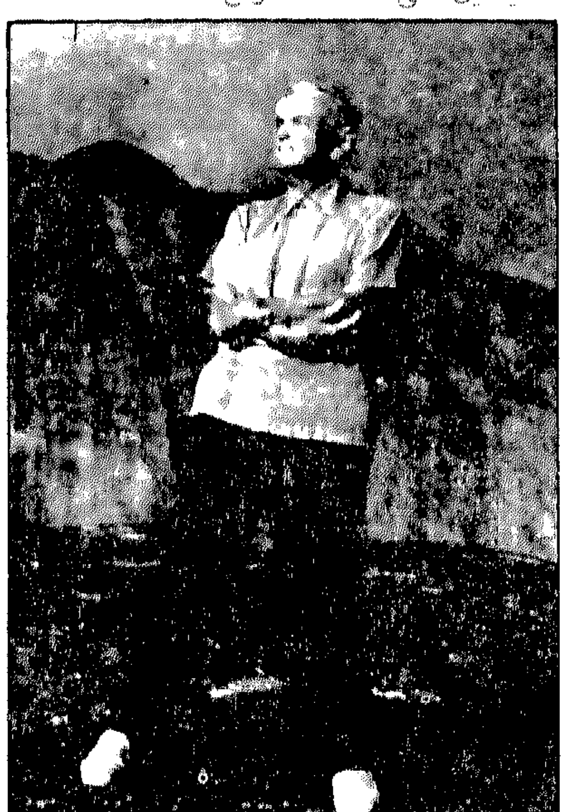
وها هو القطار يظهر وكأنه لعبة صغيرة تائهة تحت أقدام أرض الهند تطل علينا بمعابدها وتصورها فنحس دوارا يأخذنا أخذا شديدا .

وكيف لا .. وأمامنا تتلاحق أطياف ثقافات وأديان وتاريخ عجيب يشبه المعجزة لا يملك الغرباء له تفسيرا أو تأويلا .

وفي صباح يوم ، وبعد أسابيع من الاستقرار في شاندرابور عثرت أديلا على مغامراتها ، التقت أو ظنت انها التقت بالواقع الهندى ، القت عليه نظرة قصيرة ولكن مريرة .. كيف ؟

تعرفت على الدكتور «عزيز» - وهوطبيب أرمل وأب لثلاثة أطفال - تعرفت عليه بفضل المدرس « ريتشارد فيلدنج » « جيمس فوكس » أنبل أفراد الجالية البريطانية في « شاندرابور » وأكثرهم تبرما بكل ما حوله ، لا يروقه من سلوك مواطنيه العجرفة واحتقار الهنود .

دانيلين في حالة اخراج



واحتفالا بها رتب الدكتور لها هي والسيدة « مور » رحلة مكلفة على حسابه الى كهوف « مارابار » الواقعة في التلال القريبة من شاندرابور .

وها هما معا على ظهر فيل مهول .

ومع ذلك فهذا الحيوان الضخم القديم قدم الدهر وطابور الخدم والحشم الذى من خلفه يسير ، هذا كله تقلصت به الصخور الوحشية المطلة من التلال المحيطة بطريق القافلة ، فاذا به يضيع فيما حوله ، واذا به كأن لم يكن شيئا .

وفي فوضى الكهوف وحشود الزوارضلت « اديلا » الطريق ، وجدت نفسها في كهف يحيط بها الظلام ولا تسمع سوى لسان الصدى .

اندفعت الى الخارج فزعة ، عادت الى شاندرابور حيث نسبت الى الدكتور « عزيز » تهمة الشروع في الاغتصاب .

وطبعا أسرع ضابط الامن البريطاني فالقى القبض على الدكتور المتهم وزج به في مهاوى السجون لا يخرج منها حتى يوم الحساب أمام القضاء .

انقسمت شاندرابور الى فئتين متخاصمتين .. أقلية أجنبية تقف وراء « اديلا » دفاعا عن الشرف الانجليزى المهان والغالبية أهل البلد تساند الدكتور المسجون ايمانا منها بانه برىء مما يصفون .

القول الفصل

وقبل بدء المحاكمة بقليل غادرت السيدة « مور » الهند ، وقد فقدت ايمانها بابنها وخطيبته ، غادرتها دون ان تعرف عن جوهرة التاج شيئا .

وفي الطريق الى عدن فارقت الحياة ، دفن جسدها في ميـاه المحيط حيث القى مجهول باقة من ورود .

ويوم المحاكمة المشهود ، وأثناء الجلسة الاولى والاخيرة حدث أمر لم يكن في الحسبان .

نطقت « اديلا » بالحق ، اعترفت بأن الدكتور لم يقتف أثرها في الكهف وسحبت الاتهام .

المهرجان الحائر

بعد هذه الجلسة الفريدة ، وبعد ان ثبت ان الدكتور مسلم برىء لم تمكث « اديلا » فى شاندرابور الا أياما ثم غادرت شبه القارة منبوذة من الانجليز ، ملعونة من الهنود غادرتها وليس فى ذاكرتها منجوهرة التاج سوى صدى يلقى الرعب فى القلوب .

الفردوس المفقود

والفيلم الاخر المتهم « شاهد » تدورمعظم احداثه فى ريف ولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة حيث يوجد قوم بيض يعيشون كما كان يعيش أجدادهم فى سويسرا وأجزاء من ألمانيا منذ حوالى مائتى سنة ، أى بدون راديو أو تليفون ، سينما أو تليفزيون ولا يستعملون داخل مملكتهم الصغيرة السيارات أو القاطرات أو الطائرات .

باختصار يمارسون الحياة ، وكان ساعة الزمن قد توقفت عند بداية القرن الثامن عشر ، يمارسونها متحررين من رق الاشياء التى ابتدعها خيال انسان القرنين التاسع عشر والعشرين ، وذلك لانهم أصحاب ملة تؤمن بفلاحة الارض وقدسية العمل اليدوى ، تعتقد فى جمال البساطة وسحر البراءة ، ترى الخير كل الخير فى الطيبة والحب ومسالمة الغير .

وعلى كل ، فما علاقة هذه الجماعة واسمها « الاميش » التى تعيش فى الماضى بالسينما ؟

من المعروف عن مخرج الفيلم « بيتر فير » - وهو استرالى - انه مولع بتناول موضوعات تعرض لشخصيات يتنازعها عالمان ، و « جون بوك » « هاريسون فورد » فى « شاهد » نراه مضطرا للذهاب الى عالم « الاميش » هربا من أيام سود ، بحثا عن ماوى يلوذ به من رفاق سوء خشية جبروتهم ، ومخافة بأسهم .

حتى اذا ما استقر به المقام وشعر بالامن والامان أحس بأن ثمة أسلوبا آخر للمعيشة والحياة لم يعهده من قبل ، فنراه ، وقد أصبح ممزقا بين دنياه ودنيا « الاميش » التى تبدو معلقة فى الزمن ، ثابتة بلا حراك .

العزاء للجميع

والفيلم لا يبدأ به فى فيلادلفيا حيث يعمل شرطيا انه يبدأ بلقطات رعوية فى ربوع ريف أخضر لجمع من طائفة «الاميش» مرتد السواد حدادا على « يعقوب لاب » ، فى وداعه حتى مثواه الاخير .

وها هى امرأة المتوفى « راشيل » « كيلى ماكجيليس » تتقبل العزاء فىالفقيد العزيز مع ولدها الوحيد « صاموئيل » « لوكاس هاس » البالغ من العمر ثمانية أعوام والاب « ايلى » « يان روبيس » بلحيته الوقور .

ومن خلال هذه اللقطات الاولى بما فيها من عربات عتيقة تجرها جياد خشنة وأردية وعادات وتقاليد عفا عليها الزمن ، يذهب بنا الظن الى ان أحداث الفيلم مستوحاة من عصور موغلة فى التاريخ البعيد .

أما كيف ومتى نكتشف حقيقة تلك الاحداث ، وانها قريبة وليست موغلة فى القدم ، فهذا ما يحكيه « شاهد » بطريقة جذابة خلابة .

المصير المجهول

بعد مدة من رحيل زوجها الى دار الموتى ، اسودت الدنيا فى قلبها وعينيها ، حاولت

الخلاص من قسوة وحدتها قررت ان تشد الرحال مع صغيرها الى « بالتيمور » حيث تقيم شقيقتها ٠

وها هى الان مع الصغير داخل محطة فى انتظار القطار السريع المتجه الى فيلادلفيا٠

اذن نحن لسنا فى زمن قديم ، نحن فى قرن غزو الفضاء

وبينما هى فى محطة فيلادلفيا تنتظر قطار «بالتيمور» المتأخر ثلاث ساعات عن الميعاد كان الصغير يلهو ويلعب مشدوها بالسلالم المتحركة ، بالتليفونات الاوتوماتيكية وما الى ذلك من آعاجيب والاعيب ليس لها فى دنيا « الاميش » مثيل ٠

طبعا ، وهو هكذا منبهر ، لم يكـن ليتصور انه مقبل خلال ثوان ، على أمـر خطير به تتغير حياته هو وأمه الشكل من حال الى حال ٠

جرائم شرطة

فقد ذهب الى دورة مياه الرجال حيث رأى منظرا لن ينساه ما دام حيا ٠

رأى فيما رأى رجلا اسود يذبح رجلا أبيضا ذبح الشاه ٠

ولا يكاد يخرج مذهولا من مخبئه ويلقى نظرة مذعورة على جثة القتيل التى انطفـأ من عينيها نور الحياة ، حتى يتأكـد ان صاحبها قد أسلم الروح ٠

وهنا ، وبطبيعة الحال ، يتدخل ضابط الشرطة الرائد « بوك » انه يحتاج للصغير باعتباره الشاهد الوحيد ٠

وتتوالى الاحداث سريعة نشاهد مـن خلالها صراعا دمويا بين نقيضين عجيبين ٠٠ بين البراءة فى أروع مظاهرها والوحشية فى أبشع صورها ٠

ففى رحلة البحث يكتشف الرائد بفضل الشاهد الصغير ان القاتل واحد من الرفاق حماة القوانين ٠

وفوق هذا يكتشف ـ بعد ان اصـابه طلق نارى بجرح خطير ـ ان رئيس الشرطة فى المدينة هو العقل المدبر لجريمة محطـة السكة الحديدية ، والسبب احراز كوكايين تقدر قيمتها بالملايين ٠

وتمضى اللقطات كالطلقـات ، فها هى الارملة الملتاعة يحيط الشر بها وبصغيرها، يطاردهما فى غير رحمة ، يستبد بهما فى غير عطف ٠٠ فما العمل ؟

لم يضع « بوك » الفرصة ، رأى من الحق عليه ان يعود بالارملة والصغير من حيث جاءا حماية لهما ، انطلق بهما فى سيارته الى اكناف السهل والجبل حيث فردوسهما المفقود ٠

وبحكم ان الفيلم أمريكى وبطله «فورد» فارس « انديانا جونز » ومسلسلها الذى لا ينتهى ، فقد كان لابد ان نراه فى الختام وقد هزم الاشرار وحده ، نراه وقد خـرج من الفردوس منتصراً وحيدا ٠

لا علينا من هذه النهاية ، ولننظـر الى جماعة « الاميش » وقد قال عنهـا مطلقـو الشائعات انها من جنس اليهود ٠

فما هو نصيب هذه الشائعة من الصحة ؟

بالرجوع الى الموسوعة البريطانية تبين ان « الاميش » جماعة تنحدر من طائفة مسيحية اسمها المينونية نسبة الى الاب « مينـسـو سيمونس » « ١٤٩٦ ـ ١٥٦١ » وهـو من المحتجين على كنيسة روما ٠

ومهما يكن من الامر فلا ذكر لليهـود ، ولاسرائيل فى « شاهد » اللهم لقطة خاطفة لمسافر ملتح فى محطـة فيلادلفيا ممسك بجريدة « الجيروساليم بوست » فهل تكفى دليلا على الاتهام ؟ ٠



تهذيب الحيوان

لأبي عثمان الجاحظ

الجاحظ هذا الرائد الكبير للفكر العربي ، وهذا الاديب الخالد فى عصر ازدهار الحضارة الاسلامية وهذا القلم البليغ الذي عاش ابداعه طول العصور نموذجا رفيعا يجتذبه كل الكتاب والمتادبين .. من واجبنا القومي والفكرى والادبي ان نعنى بتراثه وان نوليه حظا من الخدمة الصادقة الدءوب .

وليس فى جيلنا ولا فى الاجيال السالفة من أولى تراث الجاحظ كل وقته وعلمه وعمله وأدبه مثل الاستاذ شيخ المحققين فى عصرنا عبد السلام هارون الذى نذكر له بالحمد تحقيقه لكتابى الجاحظ الخالدين « البيان والتبيين » و « الحيوان » وتحقيقه لرسائل الجاحظ وغير ذلك من تراث هذا القلم الخالد • فى تاريخنا العقلى •

وأخيرا يصدر لنا هذا الاستاذ المحقق الكبير كتابا نفيسا هو خلاصات من كتاب الحيوان جميل عنوانه « تهذيب الحيوان » والذى صدر فى اكثر من ثلاثمائة صفحة فاضاف بذلك رصيدا ثمينا لتراث الجاحظ العظيم •

***

ولقد كانت عناية الجاحظ بالحيوان والتاليف فيه عناية موفورة فالحيوان رفيق العربى فى الحل والسفر يقاسمه حياته ومعيشته اينما كان والحيوان كذلك ظل دائما موضع اهتمام العلماء والمفكرين منذ القدم ، واقدم من كتب عنه ارسطو الذى الف فيه كتابا مشهورا عنوانه « الحيوان » ، نقله الى العربية المترجم العربى القديم ابن البطريق وذلك من اليونانية وترجم

بقلم : د. محمد عبد المنعم خفاجي

حديثا منها الى الانجليزية والفرنسية وغيرهما من اللغات •

والجاحظ كما يذكر الاستاذ الجليل المحقق فى مقدمته لكتابه « تهذيب الحيوان » أول واضع لكتاب عربى جامع فى علم الحيوان وان سبقه علماء اللغة الذين استقصوا الالفاظ اللغوية التى ينعت بها أعضاء الحيوان فى رسائل صغيرة ولكن الجاحظ ينطق كتابه بالقصد العلمى التفصيلى للحيوان معتمدا فى ذلك على كتاب الله وحديث رسوله الكريم ، وعلى التراث العربى الضخم المنقول الينا عن العرب والمروى عن بدوهم وحضرهم والذى وعاه ابوعثمان الجاحظ فى القرنين الثانى والثالث طيلة حياته الطويلة (١٦٠ ـ ٢٥٥هـ) (٧٧٧ ـ ٨٦٩م) ، ومعتمدا كذلك على كتاب « الحيوان » لارسطو وارسطو يلقبه الجاحظ فى كتابه بصاحب المنطق وقد نقل عنه بعض النصوص التى تعد من القيمة والنفاسة بمكان كبير، وقد وافق ابو عثمان الفيلسوف أرسطو فى بعض ارائه وخالفه ونقده فى بعض أخر ، واعتذر عنه فى بعض ثالث بان المترجمين لم يحسنوا ترجمة كتاب ارسطو الى العربية ولم يتوخوا الدقة والمطابقة فنجده يقول حينا: ولعل المترجم قد اساء فى الاخبار عنه ويقول حينا أخر ولعله ـ أى أرسطو ـ ان وجد هذا المترجم ان يقيمه

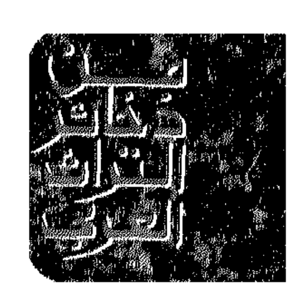


عبد السلام هارون

على المصطبة ويبرأ الى الناس من كذبه عليه ومن افساده معانيه بسوء ترجمته •

ويعتمد ابو عثمان الجاحظ كذلك فى كتابه « الحيوان » على اراء معاصريه وبخاصة رجالات المعتزلة وقد كان الجاحظ اماما من كبار ائمتهم •

والكتاب ـ كما يقول المحقق ـ معلمة واسعة وصورة ظاهرة لثقافة العصر العباسى متشعبة الاطراف وقد حوى طائفة صالحة من المعارف الطبيعية والمسائل الفلسفية كما تحدث عن سياسة الاقوام والافراد وكما تكلم فى نزاع أهل الكلام وسائر الطوائف الدينية •



وفى الكتاب الكثير من المعارف الجغرافية والتاريخية والاجتماعية واللغوية والادبية والنقدية والدينية ، وتحدث الجاحظ فيه عن العرب والاعراب وأحوالهم وعلومهم وتراثهم وافاض القول فى اى الكتاب الحكيم وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويجمع كتاب « الحيوان » للجاحظ صفوة مختارة من حر الشعر العربى ونادره ومن بلاغات العرب وثقافتهم ، وقصصهم وتاريخهم ، وقيمة الكتاب قيمة كبيرة فى تراثنا العربى بل وفى تراث الانسانية قاطبة لانه دائرة معارف واسعة عن العرب وادابهم ، ويعد حقا من خوالد التراث الانسانى الذى أثرى الفكر والبحث والحضارة الانسانية وهو مطبوع فى عدة مجلدات بتحقيق شيخ المحققين عبد السلام هارون .

***

وهذا العمل العلمى الكبير الذى يوليه العلماء والمفكرون والمثقفون كل اهتمام وتقدير دفع المحقق الى تقديم خلاصة موجزة له ليكون فكر الجاحظ وادبه المثلان فى كتابه فى ايدى القراء وبخاصة الشباب منهم فى سائر بلاد العروبة والاسلام فكان هذا الكتاب الجديد وهو كتاب اليوم « تهذيب الحيوان » .

ومن اجل ذلك اختار محققنا الجليل فى تهذيب الكتاب ما كان من النصوص غير مالوف للقراء وما كان من الادب الذى يجب ان يحفظ ويروى ويقتبس ويستشهد به وهو الادب الرفيع النبيل وحذف من « تهذيبه » الكثير من النصوص الحوشية الغريبة ، ومن المسائل الفلسفية والكلامية واثر النصوص القريبة الى الذوق والطبع والى الادب الاديب والى ثقافة القارىء الفطين المثقف ووضع فهارس وافية للكتاب وأخرجه فى أجمل صورة واجل مظهر .

وبين دفتى الكتاب تجد كلام الجاحظ البليغ المأثور عن الكتاب والترجمة وعن الخلاف بين صاحب الديك وصاحب الكلب ويتحدث عن الثعلب والدجاج والخفافش والنمل والسنانير والحمام والاسد والذباب والخفاش والحيات والعصفور والظليم والفار والعنكبوت والقطا والضب والارانب والفيل والجاموس وغيرها .

ويضم التهذيب الكثير من القصص العربى الطريف ومن الفكاهات المرحة الطروب ومن الامثال والحكم والبلاغات والاشعار والروايات والطرائف التى تستعذب وتنقل وتروى ويستشهد بها .

وغير ذلك من طرائف ابى عثمان الجاحظ وشوارد ادبه ومأثور بلاغته فى كتاب « الحيوان » ..

وليس هناك اشهى من أدب الجاحظ الذى كانت تتناقله الملوك والخلفاء ويرويه الادباء والعلماء انه ليس هناك اشق من تهذيب كتاب ضخم وخاصة اذا ما كان هذا الكتاب لاديب كبير ولمفكر فى حجم الجاحظ فهنا تضخم المشقة ويصعب الاختيار .

ولكن المحقق وهو من هو فقه بالعربية ومعرفة باصولها ومصادرها وتراثها وبتراث الجاحظ خاصة من بين تراث العربية الكبير قد صعد



الى الغاية ودأب فى اداء الغــرض ونجح فى القصد ووفق فى الاختيــار توفيقا ما بعده من توفيق مما تشــهد به رائعته الثمينة · « تهذيب الحيوان »

ونقف عند نص من نصوص الكتاب وليكن حديث الجاحظ عن الكركــدن هذا الحيوان الضخم المعروف · يذكر الجاحظ هذا الحيوان ويســـخر به ويتحدث عنه فيقول :

« ان النبى داود ذكره فى الزبــور وان صاحب المنطق ارسطو ذكـــره فى كتابه الحيوان وسماه الحمــار الهندى فجعل له قرنا واحدا فى وسط جبهته ويعرفه أهل الهنـــد كبيرهم وصغيرهم وتزعم الهند ان ســائر الحيوان تهابه وترهبه ويرد الجــاحظ على أرسطو فيما يزعم من ان ولــد الفيل يخرج من بطن أمه ثابت الاسنان لطول لبثه فى بطنها فيقول فى استطراد ان هذا جائز فى العقل فى ولد الفيل غير منكر لان جماعة نساء معروفــات الاباء والابناء قد ولدن ابناءهن ولهم أسنان ثابتة وليس هذا بالمســـتنكر وان كنت لم ار قط قابلة ــ أى مولدة تقر بشىء من هذا الباب وكذلك الاطباء وقد رووه كما علمت ولكن العجب كل العجبماذكروه من اخراج ولد الكركين رأسه من بطن امه واعتلافه أى اكـله العلف ــ ثم ادخاله رأسه بعد الشبع والبطنة ·

ومثل هذا الاستقصــاء والتحقيق والاحتكام الى التجربة والى العقل فى ادب الجـاحظ كثير وان هــذه الدقة العلمية التى عرف بها الجـــاحظ وهذه الحرب التى يعلنها على الاوهام والاساطير وهذا المنهج العلمى الــذى يسير عليه كل ذلك لما تروع العلمــاء والمفكرين ويجعلهم شديدى التعلـــق بأدب الجاحظ والتذوق لبلاغته ·

وبعد فهذا هو كتاب تهذيب الحيوان الذى نهض بعبئه واختيــاره من ادب كتاب الحيوان لابى عثمان الجــاحظ شيخ جليل من شيوخ العربية والتحقيق العلمى للنصوص فبلغ الغاية واثـرى قراء العربية بكتاب جـديد يجمع بين بلاغة الجاحظ فى ادبه وطرافة الاختيار من ماثورات ابى عثمان فى كتـــابه « الحيوان » فكان البدء والختام اجمل شىء واطرف شىء واعون على وصـول ادب الجاحظ الى جيل الشباب اليوم ·

قصة قصيرة

[illegible]

جمعه محمد جمعه

ـ لا أراكم الله المكروه أبدا ..

قالها وضحك، ترجرجت دقة بيضــــاء الكثة ، حبات كالندى المبلور ، أو قطرات من اللبن الناصـع لترقرق على جانبى أنفـه المريض ، تغوص فى شعر الذقن الابيض ، تتسـربل بين الشعيرات حيــث الاخاديد والانهار ..

كان مستلقيا على ظهره لمدة أيام خلت، يستعيد قصة السرير الحـديدى الذى يرقد نوقه ، تقف أعمدته الحديدية الاربعـة مشرعة نحو الســقف ، يذكر الدرجات الخشـبية التى انـدثرت ، والتى صنعت للصعود عندالنوم، كانت حميدة زوجته ترفع الدرجات كل صـبـاح ، وتضعها مع قدوم الليل ، وتردد متباهية .

ـ يظل السرير نظيفـا طول اليوم ..

يوم تزوجها كـانت كالريشة ، رفعها ، وبرفق وضعها نوقه ، كـانت خجلة قال مبتسما :

ـ سنة الحياة بالمرأة، ارفعى اليشمك ..

ارتعش الفراش تحـت جسدها الخفيف ، خبـط حافة الفـراش بيـديه وقال :

ـ الا تريدين انجـاب الاولاد ؟

قالت :

ـ طبعا ..

قال :

ـ خــلاص ، ارفعـى اليشمك ..

لم تكن حميدة ـ بعـد تلك الليلة الاولى ـ تخافه . او تهابه ، وانما تقدره ، انجبت الولدين والبنت ، البيت واحة أمن وطمانينة، لم يكن فيه أب فقـط ، أو زوج ، وانما رجل ، ولم تكن هى زوجة وانما، أم ، واخت ، بـكاها سنوات طويلة بعد وفاتها، ومازال يذكرها دائمـا بالخير ..

ـ لا أراكم الله المكروه أبدا ..

قالها بعد أن نوضـا نوق الفراش ، قـامت ابنته بزحزحة جسـده الثقيل الى جانب مـن السرير ، وفردت نصـف الملاءة النظيفــة ، ثم أعادته الى موضعه وفردت النصف الاخر ، قال بعـد أن استلقى منهوكا .

ـ لو حافظت عـلى الدرجات الخشبيةلارتحت من متاعبى ..

امسكت يده وقبلتها ، قالت :

ـ أبى ، لا تقل هـذا مرة ثانية ..

ابتسم ، ولمتم :

ـ الله الحى القيوم ..

ثم استغرق فى صـلاة صامتة ..

ـ لا أراكم الله المكروه ابدا ..

قالها وهو يفتح عينيه الشبه مغمضتين بصعوبة، وابنه الكبير يتناول يـده ويقبل ظهرها ، تمتم وهو يمسح بيده الاخـرى رأس ابنه :

ـ بارك الله فيـك ، وفى أبنائك ياولدى ..

ثم استفاق وساله :

ـ من هـذا السـيد ياولد ..؟

ـ الطبيب يا أبى ..

قال مشيحا بوجهه .



دقات ساعة العمر

ـ ألم أقل لا فائدة ، الا تيأس أبدا ..

جلس الطبيب على حافة السرير ، امسك ذراعه وعراها ، قاس النبض ، طلب معاونة الابن لرفع الجسد نصف جلسة ، رفع الجلباب حتى العنق ، تبلت سماعته الصدر ، ثم الظهر ، مصمص شفتيه وقال :

ـ لا شيء ..

نظر العجوز الى ابنه وقال :

ـ ألم أقل ..

ثم مقهقها :

ـ اكتب ياطبيب فى تذكرتك لا شيء ..

ضحك الطبيب وهو يخط بقلمه تذكرة العلاج قائلا :

ـ بعض المقويات ياحاج .

حين عاد الابن بعد وداع الطبيب ، قال له أبوه :

ـ لا داعى للاسراف يابنى انا لست مريضا ، أنا اتأمل الدنيا الفانية ، هذا كل شيء ..

قال الابن :

ـ وساقاك اللتان لاتقويان على حملك ؟

قال فى غضب :

ـ لا حول ولا قوة الا بالله ، أنسيت أنهما حملانى العار كله ، لماذا الان تتهمونهما بالتقصير ، وهل نفز الحقن ، وابتلاع الحبوب سيمدهما بالقوة

دخلت الابنة بطبق الحساء ، وضعت الصينية على منضدة صغيرة وقالت :

ـ ساعده يا أخى على الجلوس لياكل ..

قام الاخ بالمهمة ، وضع صدره خلف ظهر أبيه كمسند .

ـ استرح على صدرى يا أبى ..

أمسك الاب الطبق بكلتا يديه ، دلقه فى جوفه ، حمدا لله ، وتمتم .

ـ لم يعد له زاد ..

ثم بصوت واضح لابنته :

ـ جزاك الله كل الخير يا ابنتى ..

تبادل الاخ واخته النظرات الحيرى ، خرجت دامعة العينين وصوته يتخافت خلفها :

ـ أتعرف يا بنى من الذين لا يحاسبون فى القبر ؟

ـ من يا أبى ؟

ـ الانبياء والصديقين والشهداء ، والذين يرافقهم يوم موتهم الاطفال ..

قال الابن :

ـ الاطفال أحباب الله .

قال الاب بصوت عفى :

ـ قم من ورائى ، اذهب لاطفالك ، انا بخير ..

حين اراح رأسه على الوسادة ، أخذ يتمتم بكلمات غير واضحة ، ثم استغرق فى الخيط الفاصل بين اليقظة والنوم ..

جلس الابن فى الحجرة الاخرى ينهنه بالبكاء ، قالت اخته بصوت هامس :

ـ حذار أن يسمعك وأردفت :

ـ هل أعددت عدتك ..

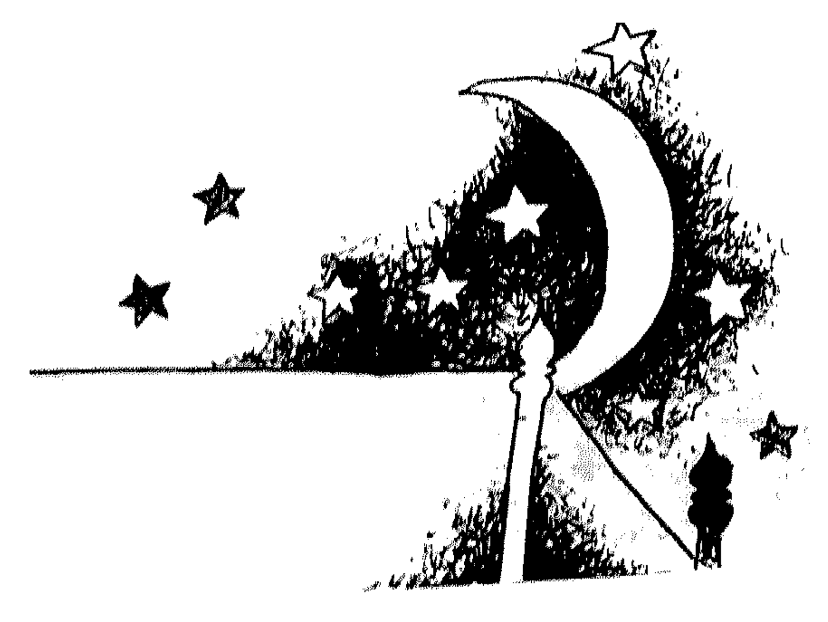
هز رأسه بالايجاب ..

ـ ألم يسالك عن اخيك ..

توقفا على صوت صفق راحتى الاب ، هرولا اليه ، سأل ابنه :

ـ أين اخوك ؟

ـ سيأتى بعد قليل ..





ــ ظننتــــه لن يأتي كعادته ..

ثم تطلع الى رف المذياع وقال :

ــ اسمعني القرآن ..

ادار الابن المـذياع ، جلس على حافة الفراش واخته تعد له كـــوب الشاي ، اخذت رأســـه تميل يمنة ويسرة مع صوت المقرىء ، والعجوز يشارك المقرىء التلاوة بصـــوت رخيم ، تسح عينـــــاه الدموع ، لمـــسها الابن بطرف اصبعه :

ــ مايبكيك يا أبي !

ثم جفف دموعه وقال :

ــ الفرحة يابني ..

ــ أتعـــرف يابني ان قلوب البشر جامدة ! يقول الناس لبعضهم « لا أراكم الله المكروه أبدا » ،هذا جحود ، والمفروض محاربة هذا الجحود في لغـــة الناس ، لا يصيب الله عبدا من عباده بمـــكروه أبدا ، فلماذا يتفـــون الناس بها !

قال الابن :

وزلها الناس يابي..

قال الاب بعد حمدالله :

ــ اريد شربة ماء ..

حمل الابن كوب الماء ، قربه من شفتي أبيـــه ، تناول الاب رشفة ثم حمد الله وتمتم :

ــ لم يعد له ماء ..

وبعد ان استلقى عـلى ظهره ثانية قال :

يابني ، لا أريد صرخة واحدة في جنازتي ، ولا عزاء بعد ثلاثة ايام ، ولا تزور أختك قبري .. ! اتفهم !

ــ أمرك يا ابي ..

ــ فليـسامحها الله ..

ــ من يا علي !

ــ اختك ؟

ــ لماذا يا ابي !

ــ لانهـــا ستخالفك ، وستزور قبري .. ستقلق راحة الاطفال حولي ..

ــ اي اطفال يا ابي ..

ــ ملائكة رحمتي يابني .. انهم آتون الي ، الا تراهم !

ــ اجل يابي .. كنت اراهم في كتابك وانــت تعلمهم القران ..

امسك الاب يد ابنه، مسحها بيده الاخـــرى ، قال :

ــ دعني وحدي ، اغلق الباب وراءك ..

خرج الابن ، ترك الباب مواربا ، وقف ساهما ، شد انتباهه صوت ابيه، مليئا بالفرحة :

ــ هيا يا احبـــائي ، اقرأوا الفاتحة ..

نظر الابن من فرجـــة الباب ، رأى ابتسامة ترف على شفتي أبيـــه ، رأى اللبن يترقرق تحت جـلد وجهه ، رآه يصـــل الى يديه ، يبدو واضحا جليا في رجليه ، سمعه يقول:

ــ احسنتم ، احسنتم يا احبائي ..

وارتفع صوته شاهقا :

ــ اشهد ان لا اله الا الله ، واشهد ان محمدا رسول الله ..

اقتحم الابن الحجرة ، اقترب بوجهه من وجـــه ابيه ، تحسس النبض في معصمه ، اجهش بالبكاء.

وتحققت نبوءة الاب ، حمل معه في كفنه طفـلين صغيرين ، ولحق به على باب القبر طفلان اخران .



موسم الجوائز الأدبية

الشباب يخطفون الجوائز في فرنسا!

أن الاوان لبعض المفاهيم ـ فى حياتنا الثقافية ـ ان تتغير او ان تذهب أدراج الريح . مثل تلك التسميات المتداولة فى الصحافة الادبية والاوساط الثقافية . كأن نلقب ادبا ما بالاقليمية . أو نتوج لكاتب العمارة او الامارة . او نطلب ريادة لجيل من الاجيال . او ان تمنح الجوائز الادبية لنوع معين من الادباء وغير الادباء دونا عن غيرهم لاعتبارات بالغة الخصوصية .

بقلم: محمود قاسم

نسوق هذا الكلام غير القاسي بمناسبة حديثنا عن الجوائز الادبية التي منحت في الشهر الماضي في فرنسا فقد منحت اكثر الجوائز الادبية للشباب الاقل من الخامسة والثلاثين وهي جوائز كما سنرى لها اهميتها • ليس في فرنسا وحدها بل في الخارج ايضا • وفي الاعوام الماضية كانت هذه الجوائز تمنح للشباب والشيوخ على السواء • المشاهير الاقل شهرة معا ، فهي تمنح للأدب الجيد المكتوب بالفرنسية بصرف النظر عن سن الكاتب او مدينته او ديانته او جنسه • بعض هذه الجوائز أعلى قدرا في فرنسا من جائزة الدولة التقديرية - في بلادنا مع الفارق - التي لا تمنح سوى لشيوخ الفكر والعلم ، والبعض الاخر يقل درجات لكنها في الاعم جوائز كبيرة • مثلا باتريك بيسون الذى نال جائزة الاكاديمية الفرنسية عن روايته « دارا » يبلغ التاسعة والعشرين من العمر ، ثم هناك هكتور بينوشوتى الذى منح جائزة فيينا عن رواية «بدون رحمة من السيد المسيح » ، ميشيل برادو الذى نال جائزة مدسيس عن « مولد شاعر » ، يان كوفليك الذى نال جائزة جونكور عن « عرس البربر » كلهم في سن الشباب • والطريف أن ادباء أكبر منهم بربع قرن في بلادنا يطلق عليهم ادباء شباب •

لندع هذه المرارة التي تقطر دما ونحن نتابع ما يدور في العالم الثقافي ونتحدث عن احد هؤلاء الشباب لن نقول أديبا شابا لان هذا التعبير أصبح سيىء السمعة • فباتريك بيسون الذى نال جائزة الاكاديمية الفرنسية يعد الآن علامة بارزة في الرواية الفرنسية وقد سعد بيسون كثيرا بحصوله على الجائزة •• خاصة انه قد نالها في اطار احتفالات الاكاديمية بمناسبة مرور ثلاثة قرون ونصف على انشائها •

وبيسون الذى ولد عام ١٩٥٦ نشر روايته الاولى « شرور الحب الصغيرة » وهو في السابعة عشرة من عمره في احدى كبريات دور النشر • وقد كشف في عام ١٩٧٤ عن مولد كاتب من الطراز الاول •• نشر حتى الان قرابة عشر روايات تتبعها النقاد الواحدة وراء الاخرى ليؤكدوا أن بيسون ليس كاتبا بالمصادفة أو كاتب الرواية الواحدة • من اهم هذه الروايات « الم تر سلسلتى الذهبية ؟ » ١٩٧٩ ، « رسالة الى صديق مفقود » ١٩٨٠ ، « حنين الاميرة » ١٩٨١ • « السكين الثانى » ١٩٨٢ • ثم « سفاهة » ١٩٨٥ ، « دارا » ١٩٨٥ التى نالت جائزة الاكاديمية •

جاءت روايته « شرور الحب الصغيرة » معبرة عن المرحلة التي يمر بها الكاتب اثناء كتابتها • فقد بدأ يكتبها وهو في الخامسة عشرة من عمره لذا تناولت هذا الجيل من الشباب الذين يعبرون عن مستقبل قادم مليء باطفال حزانى لا طموح لهم ولا روائح تحرر او رغبة في النجاح •• كل ما يودونه هو التدمير بلا سبب أو دافع • جيل ضائع يحمل حقيبة

الشباب يخطفون الجوائز في فرنسا

صغيرة يجوب الشوارع ويبحث عن العزلة • يؤثر الصمت لانه لا يجيد الكلام • ولا يمكن لاحد ان يقتنع بما يقوله • واذا كان هذا هو حال الصغار فان الكبار ينظرون اليهم بارتياب • والبنات في حال يرثى لها ، فهن يبحثن عن تفاهم واضح • ان يحبهم الشباب بنفس الطريقة التى تعرضها افلام السينما • لقد علمتهم الافلام ان يمارسوا الحب باى ثمن • وبلا شعور محبب • او انتماء واضح ، ويقول بيسون فى المقدمة ان هذه ليست رواية، ولكنها خيالات مؤلف يعتذر لهؤلاء الذين لا يعرفونه •

« نمنا معا • دون ان نمارس شيئا• لم تعد لور ترغب فى المزيد • لعبت لعبة العروس • لعبة اقل غواية • ضحكنا اقل • وكنا اقل تعبا • ولكن اكثر حياة • ثارت الى لور ثم ضحكت وفهمت • عندما انتهيت نامت على مقربة منى كاخ واخته » ص ١٤١ •

وفى روايته « خطاب الى صديق مفقود » يتحدث عن فتاة تدعى جلاديس ، فى السابعة عشرة • ترحل اثناء ثورة مايو عام ١٩٦٨ الى احدى بلاد اوروبا الشرقيةحاملة معها حقيبتين كبيرتين • اما مارك البر فهو شاب فرنسى عادى • لايمتلك سيارة ولا مالا •• يعمل فى احد ستوديوهات التصوير •• كما يرتزق من اعطاء دروس فى لعبة الكاراتيه بين حين واخر • اما صديقه موفتار فهو بطل رياضى •يعانى من اعجاب الفتيات بجسده المفتول واللائى يدعونه الى اسرتهن « يجد نفسه نائما فجاة • ولا يتذكر اى تفصيلات سوى ان هناك رغبة فى النوم ويتساءل • ترى من كانت تلك الفتاة • ص ٩٢ •

وتختلف جلاديس عن هذه النماذج من الشباب • انها تحب الرحيل • وترى ان من لا يرحل يجب الا يعيش • تحتفظ بمذكرة سميكة دونت فيها كل مشاهداتها • تروح هنا وهناك • تجد ان فى الحياة اشياء اكثر جدية من اسرة الرجال • تكتب رسالة الى صديق لم تعثر عليه بعد • تحدثه عما شاهدته • وعن بعض الشباب الذين قابلتهم • وقد تناول الكاتب هذه المستويات دون ان يربط بينها برباط واضح • فهى مجرد نماذج تتحرك فى الحياة من خلال احداث الشباب • «كنا اربعة • وكانت لنا اربع حيوات مختلفة » •

وقد اهتم بيسون ايضا بابناء جيله من الشباب فى روايته « حنين الاميرة» حول دافيد كيسلنج الجندى الشاب • هو ايضا تكفيه ليلة واحدة كى يفلسف الاشياء من حوله • يكتشف يوما جثة للصوص اريك فى مخلته • يهاجم بنكا ويكسب فى مباريات الكرة • هناك رجال عديدون يحيطون هذا الرجل الذى على عجالة دائمة • انه رجل يحب الادب والتاريخ والحركة • ويقول فردريك فيفو فى مجلة لونوفيل اوبز فاتور ــ ٥ ديسمبر ١٩٨١ ــ ان بيسون قد قدم فى هذا المجلد الصغير عشر روايات مجتمعة وانه قد القاها جميعا عبر النافذة حيث تتراكم الجثث فوق السلم • والعشاق يتعانقون • لقد حلم بجزيرة خيالية مليئة بحكايات

السحرة » • ويقول ان الكاتب قد قارن بين المراة والليل فى روايته • فالمراة اشبه بكراس ذى الف فرخ كالكرنب متعاقب الاوراق • ولا نعرف ماذا نجد كلما نزعنا ورقة •••

اما روايته الاخيرة التى حصلت على جائزة الاكاديمية « دارا » فقد غير فيها الكاتب اتجاهه • والنغمة التى يعزف عليها • لقد اصبح اكثر نضجا ووعيا بواقع العالم من حوله • ولم تعد المراة بالنسبة له ولابطاله جسد يرتعش لحظات عابرة ، ولكنها مخلوق يعي قضايا المجتمع • دارا امراة يوغسلافية • فقدت السنوات الاولى من حياتها فى زغرب • ثم تقرر الرحيل عن بلادها متجهة الى ايطاليا • وما تلبث ان ترحل الى فرنسا حيث تقيم فى احد الفنادق الصغيرة • تعمل بالتطريز داخل الفندق كي يمكنها ان تقتات • انها امراة بلا عائلة ولا اهل تتسم بالتمرد • وقد تبدو لهؤلاء الرجال الذين يحومون حولها غامضة لكنها بكل بساطة امراة تنظر الى الامام •• تحلم بان تكون ذات جدوى سياسية من اجل انقاذ هؤلاء البائسين فى كل مكان بالعالم وخاصة فى بلادها •

ودارا تعترف ان التمرد ليس سوى حالة فردية • ولكنه حركة تاريخية يجب ان يحتويها هؤلاء الصامتون فى كل مكان بعد ان يحطموا العزلة التى يعشون فيها ، لم تعد المراة فى ادب بيسون مجرد جسد يرقد فوق اسرة الرجال • تهتم بالغزل والعرى • لقد نضجت وارتبطت بحركة التاريخ • تعترف دارا انها لجأت الى التطريز كدليل ان المراة يمكنها ان تمارس عملا بسيطا من اجل سد جوف بطنها الاكول بدلا من ان تكون فتاة من الرقيق الابيض •• لذا فانها تفكر ان تعود مرة اخرى الى يوغسلافيا كي تضيم تحررها الى تحرر بنات بلدها وتنهى عزلتها التى صنعتها لنفسها •• فهى لست متمردة تجتر الشكاوى •• ولكن عليها ان تعمل •• فالعمل تغيير •• وثورة •

وشخصيات بيسون قاسية فى كل رواياته •• لكنها تتحدث عن ادق التفاصيل المتعلقة بحياتها وهو لا يرحم هذه الشخصيات بهموم تتوالى فوق بعضها البعض • وكما راينا فان المشاكل التى يعانى منها ابطاله اقرب الى الرفاهية •• وهذا النوع من الادب يجد له قراءة خاصة من الشباب ••

السؤال الذى يمكن ان نطرحه الان• هل منح بيسون الجائزة حين اختار امراة متحررة • حتى وان كان تحررها سلبيا ؟ • وهل يمكن لهذا الاختيار ان ياتى بجائزة الى كاتب ؟ من المعروف ان الاكاديمية الفرنسية تتسم بالتحفظ الشديد • ويفكر اعضاؤها الف مرة قبل ان يمنحوا جوائزهم لرواية قد تبدو فيها الشبهة السياسية • فمن المعروف ان هذه الاكاديمية قد تعرضت خلال الثلاثة قرون ونصف الماضية لمحن بسبب السياسة • وعندما استقرت بها الامور لم تود ان تكون جائزتها مشبوهة وبالنظر الى الاسلوب المتبع فى اختيار الفائز بالجائزة ندرك الى اى حد يبتعد الاختيار عن الشبهات الا فى حالات قليلة • فمن بين مئات الروايات التى تصدر خلال العام الذى تمنح فيه الجائزة والتى تقوم اللجان بالتصفية فيما بينها واختيار ست روايات او اكثر بقليل كي يتم اختيار احدها •• حتى اذا جاء يوم الاقتراع يكتب كل عضو من لجنة التحكيم اسم الرواية التى يختارها • وتفوز الرواية التى حصلت على اعلى الاصوات ••



الشباب يخطفون الجوائز في فرنسا

ومن المعروف ان الصحف الفرنسية تنشر ترشيحات الاكاديميات الادبية الكبرى : الاكاديمية الفرنسية ، جونكور ، رينودو ، فيمينا ، مدسيس. وفي اغلب الاحوال فان الروايات المرشحة تتكرر اسماؤها في كل هذه الاكاديميات • حيث ان المفروض يتم اختيار احسن الروايات على مستوى العام • ومن هنا تبعد شبهة المجاملة او المصادفة • وعندما تعلن الاكاديمية الفرنسية اسم الفائز بجائزتها في الرابع عشر من نوفمبر يتم استبعاد اسمه من بين المرشحين في الاكاديميات الاخرى كي يمكن لكاتب آخر ان يأخذ فرصة ترشيحه او فوزه •

وقد حدثت المفاجاة بالفعل هذا العام • حيث ان الروايات التي فازت بجوائز في الاكاديميات كانت موجودة فيقوائم ترشيحاتالاكاديمية الفرنسية•

يسوقنا الامر الى الحديث عن نظام منح الجوائز في بلادنا اولا : لا توجد اكاديميات ادبية لدينا تعمل بنفس الطريقة •• واذا وجدت بعضها ـ مثل المجمعات اللغوية ، فانها لا تؤدي هذا الدور • اما الجهات التي تمنح الجوائز فهي حكومية • وقد منحت جوائزها لاسماء قيل انها دون مستوى الجوائز ـ التقديرية والتشجعية ـ واكثر هذه الجوائز تمنح لغير المبدعين كما انها تمنح عن ماض ادبي او فكري معين • ونحن ندعو بهذه المناسبة الى انشاء اكاديمية ادبية تلعب نفس الدور• فاذا كانت فرنسا قد انشات اكاديميتها الادبية عام ١٦٣٦ ثم تم انشاء اكاديميات اخرى لها اهميتها • فاننا حتى الان لم نؤسس اكاديمية ادبية واحدة • رغم ان الوقت قد حان منذ امد طويل • واعتقد انها يجب ان تبدا بمبادرات خاصة بعيدا عن التنظيمات الرسمية ، وعندما ستجد الاكاديمية ادبية مصرية او عربية في بلادنا اعتقد ان الحياة الثقافية ستتغير بشكل ملحوظ الى الافضل •

● احتفظ بشخصيتك ●

لا يرتضين احد بأن يكون مجرد آلة يديرها عقل شخص آخر ، لقد وهبنا الله المقدرة على التفكير والعمل ، فإذا تصرفنا بعناية ، طالبين من لدنه الحكمة فهو يجعلنا اكفاء لحمل الأعباء . فحافظ على ما وهبك الله من شخصية ولا تكن ظلاً لاحد .

لا تظنن أنك تعلمت مافيه الكفاية ، وانه قد آن لك أن توقف جهودك ، ان العقل المثقف هو مقياس الانسان فلتستمر ثقافتك مدى حياتك ، لا تدع يوماً يمر دون أن تتعلم شيئاً وتستخدم معرفتك استخداماً عملياً .

اذكر أنه أياً يكن المركز الذى تشغله فأنت تكشف عن الباعث وتنمى الخلق . وأيا كان عملك بدقة واتقان واجتهاد ، وتغلب على الدافع الذى . يميل بك إلى نشدان عمل هين :



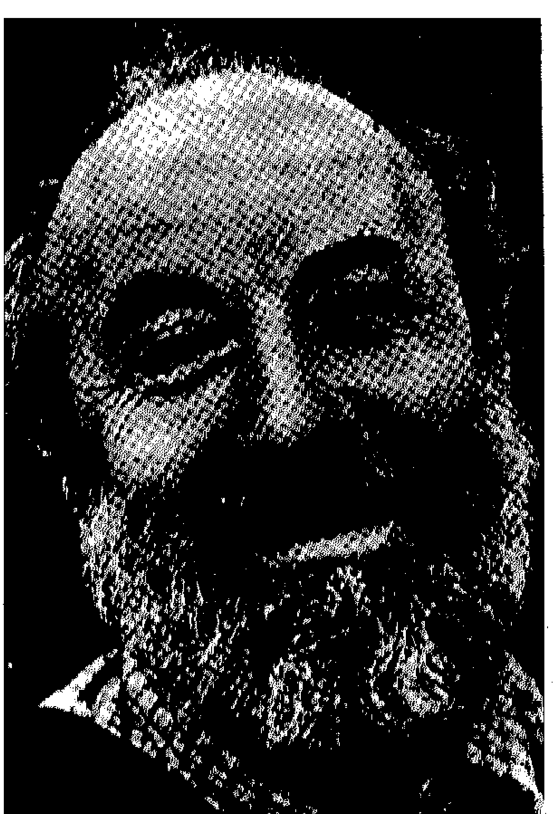
العالم فى سطور

الاسكندرية

المصلح .. فى الثغر
درينمات .. درينمات ..

لم يكن للصحافة الادبية المصرية حديث سوى عن زيارة فردريك درينمات الى القاهرة . فبينما يتناول درينمات غذاءه فى جريدة الاهرام وسط « رجال » الثقافة المصرية . فإن حادثا أدبيا هاما قد تم فى نفس اللحظة بقسم اللغة الفرنسية بكلية الآداب جامعة الاسكندرية . حين ألقى الكاتب الفرنسى المعروف ميشيل بيتور محاضرة فى السادس والعشرين من نوفمبر الماضى حول الرواية الجديدة . اتجاهاتها . ومستقبلها .

لم تنشر الصحافة الادبية سطرا واحدا عن



هذه الزيارة التى كأنها تمت فى الخفاء . رغم أن بيتور لايقل شهرة وأهمية عن درينمات .. فهو روائى وناقد وفيلسوف . وهو لايزال يقدم عطاءه حتى هذه اللحظة ـ ولد عام ١٩٢٦ ـ انه أحد الذين انطلقوا للبحث عن شاعرية الرواية

تمسك بالشكل وعروض الشعر . وهو من الذين صنعوا مايسمى بعبقرية المكان . قالت موسوعة الأدب الفرنسى « أدب اليوم » أن بيتور يستطيع أن يصبح اكبر روائى فى فرنسا لقد مزج الفلسفة بالشعر بالرواية فتوهجت سطوره ومعانيه .

تقول موسوعة ادباء فرنسا ان كل رواية لبيتور هى نوع من الحج الابداعى الذى يسعى الى التحرر . وجمع الصياغات . والنسق الانشائى وتتجه الرموز نحو « مطهر » ليصبح مطهر المؤلف ومطهرنا .

بيتور كاتب قليل الانتاج قياسا الى زملائه من ادباء اللارواية . من أهم هذه الابداعات نرى « التبديل » ١٩٥٨ ، و « رحيل العهد الذهبى » و « ابريل المتسع » وقد صدرت له فى العام الماضى خماسية روائية تحت عنوان « المصلح » .

صنعاء

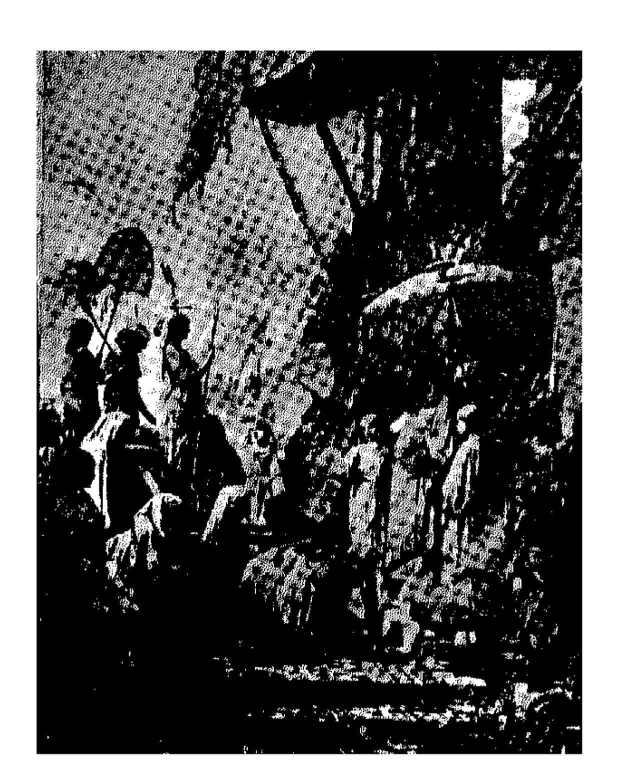
سليمان .. وملكة سبا

كثيرا مالفت النظر علاقة التواجد المرتبطة بين الكتب السماوية وبين كتب التاريخ خاصة

ويمكننى منه أن أرى البحر البعيدة .

ملكة سبأ اذن امرأة ساحرة مثل نساء التاريخ الاخريات . كليوباترا وسميراميس . ولذا فيجب ان ترتبط برجل عظيم مثل سليمان لتحقق امبراطوريتها وقد اجتمع فى الطرفين كل الوان الثراء والقدرات الخاصة .. وكونا ثنائيا لامثيل له فى التاريخ .

الجدير بالذكر ان السينما الامريكية قد قدمت فيلما عام ١٩٥٨ عن « سليمان وملكة سبأ » قامت فيه جينا لولو برجيدا بدور بلقيس .. وهو ممنوع من العرض فى البلاد العربية لانه يسيء الى التاريخ العربى القديم .



فيما يتعلق بالشخصيات التاريخية المذكورة فى كل منهما .. ملكة سبأ هى إحدى الشخصيات التاريخية الهامة المذكورة فى الكتب السماوية .

بلقيس ملكة سبأ التى حيرت النبى سليمان وحيرت العلماء والباحثين .. وحول هذه المرأة الساحرة الغامضة قدم جابرييل دوبارد كتابه الذى يقول فيه ان اكثر المصادر التى استمدت عنها معلومات حول ملكة سبأ مأخوذة عن مصادر عربية ، هذه الشخصية بالغة الاهتمام سميت بلقيس . التى حكمت بلاد اليمن السعيد ذات الشمس المشرقة دوما . والتى اكد العباسيون انها قد ولدت فى الحبشة ويقول أن اسمها الحقيقى ماكيدة .

ويذكر الكاتب أن المرأة كانت تحلم بانشاء امبراطورية كبيرة قبل زمن الاسكندر الاكبر تضم كلا من الحبشة والسودان ومصر وكينيا ، ولذا فضلت أن تنتقل من اثيوبيا الى مصر واختارت اليمن لأنه بؤرة طيبة لبدء تحقيق امبراطوريتها ، وامرت بانشاء مدينة سبأ أو « مأرب » أود انشاء مدينة فوق الرمال لايوجد مثيل لها فى العالم كله ، أريد انشاء قصر ضخم تطل كل شرفاته على الحدائق المليئة بكافة أنواع الخضر والحيوانات النادرة

ريودى جانيرو

الفنان .. والديكتاتور

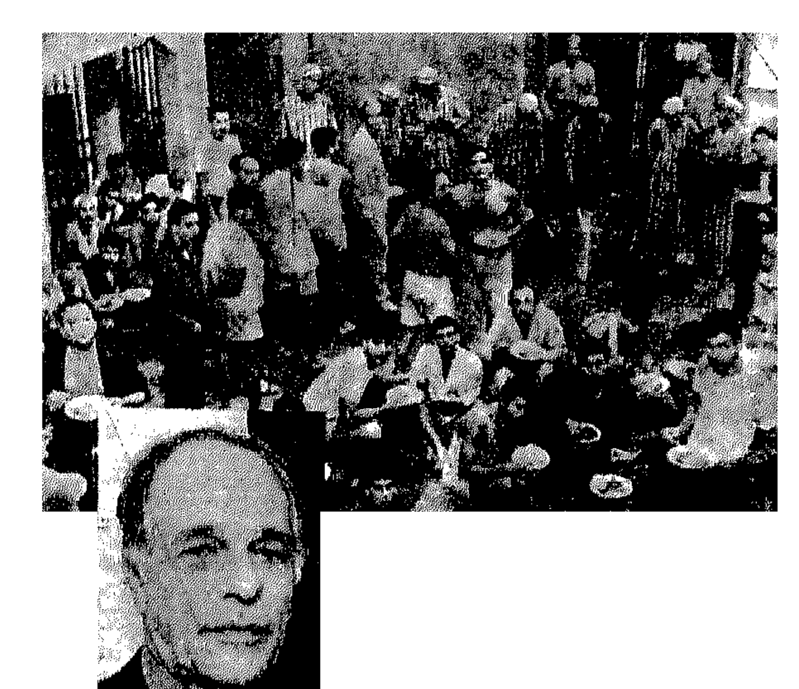
أخيرا خرجت « ذكريات السجن » الى العالم ..

فبعد عامين من الرقابة حول الفيلم الذى أخرجه نلسون بيريرا دوس سانتوس عرض فيلمه فى الولايات المتحدة واوربا . ويتناول الفيلم كأغلب الوان الفنون فى امريكا اللاتينية العلاقة بين الحاكم الديكتاتور وبين الفنان المثقف . فقد استمد الفيلم عن سيرة ذاتية كتبها أديب برازيلى يدعى جراشيليانو راموس وجد نفسه مسجونا سياسيا عام ١٩٣٥ ابان حكم الدكتاتور جتليو ڤارجاس .

يقول المؤلف أن الدكتاتور لم يسجنه وحده بل سجن كل الشعب البرازيلى ابان فترة حكمه . وان الحاكم عندما يزج بكاتب الى السجن لاسباب سياسية فانه يخنق روح الشعب واحساسه . وان العلاقة متوترة دائما بين اى فنان والديكتاتور . اما المخرج الذى يبلغ من العمر الثامنة والخمسين فيقول ان



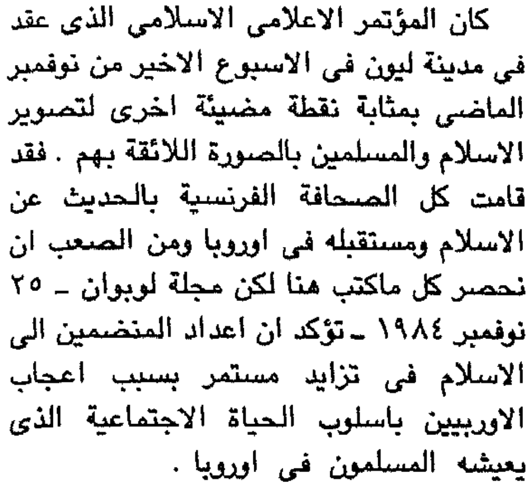




الشعب البرازيلي لم تنطلي عليه حكاية أن الفيلم تدور أحداثه في الثلاثينات . فقد سعى الشعب الى تغيير الاوضاع السياسية في الانتخابات الاخيرة .

يتناول الفيلم بالطبع ألوان القهر التى يتعرض لها الفنان فى السجن مع بقية زملائه من المساجين السياسيين والجدير بالذكر أن دوس سانتوس سبق أن قدم افلاما مماثلة . وتأثر بوضوح بالواقعية الايطالية حيث تدور أحداث افلامه كلها فى الاحياء الفقيرة بالبرازيل . اخرج اربعة عشر فيلما من أهمها « ريو ٤٠ درجة » « ريو منطقة الشمال »





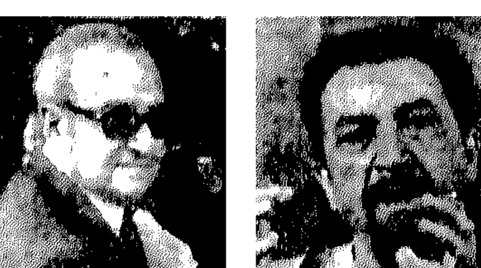
صحوة الاسلام .. في مدينة فرنسية

كان المؤتمر الاعلامي الاسلامي الذى عقد في مدينة ليون فى الاسبوع الاخير من نوفمبر الماضى بمثابة نقطة مضيئة اخرى لتصوير الاسلام والمسلمين بالصورة اللائقة بهم . فقد قامت كل الصحافة الفرنسية بالحديث عن الاسلام ومستقبله في اوروبا ومن الصعب ان نحصر كل ماكتب هنا لكن مجلة لوبوان ـ ٢٥ نوفمبر ١٩٨٤ ـ تؤكد ان اعداد المنضمين الى الاسلام فى تزايد مستمر بسبب اعجاب الاوربيين باسلوب الحياة الاجتماعية الذى يعيشه المسلمون فى اوروبا .

وتتحدث جريدة لوموند في أول ديسمبر ان تعاليم الاسلام تجد هوى فى قلب الاوربى حين تنكر العنصرية والتعصب الاعمى وتدعو الى المحبة ونبذ الشرور وترى الجريدة ان هجرة المسلمين من شمال افريقيا الى فرنسا كانت سببا لتكوين هذه الجالية الكبيرة من المسلمين .

وقد قام جان فرانسوا ريڤيل بعرض كتاب « عودة الاسلام » لبرنارد لويس فى مجلة لوبوان ـ ٢ ديسمبر ـ وهو كتاب صدر باللغة





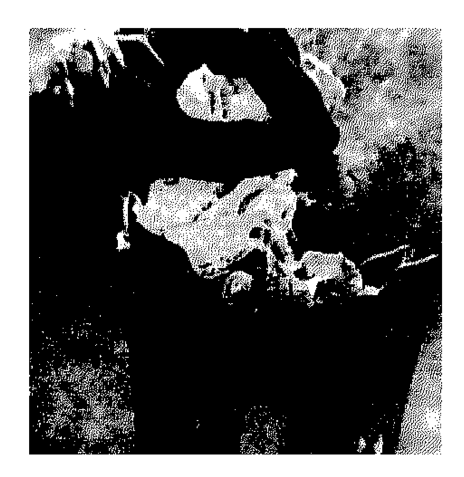
الانجليزية يتحدث عن عصور الازدهار الاسلامية فى القرون الوسطى . ويرى ان عصور الازدهار تبدو قادمة مع سنوات المستقبل . ومن بين العبارات التى كتبها لويس فى هذا الكتاب : « يحتوى القرآن الكريم على مئات الآيات القرانية التى تنظم الحياة الاجتماعية والاستقرار الاسرى واذا تناولنا خمسين كتابا تتناول التقاليد الاسلامية . فهناك كتابان او ثلاثة منها تتحدث عن واجب الانسان تجاه ربه . اما الباقى فتدور حول المجتمع والاقتصاد والقانون .والسياسة فى الأسلام »

ويقول ريفيل أن الفرصة قد جاءت للمسلمين لاستعادة امجادهم فترى هل يمكنهم اقتناص الفرصة .. أم سيتركونها تفلت من بين ايديهم ؟

الجزيرة العربية

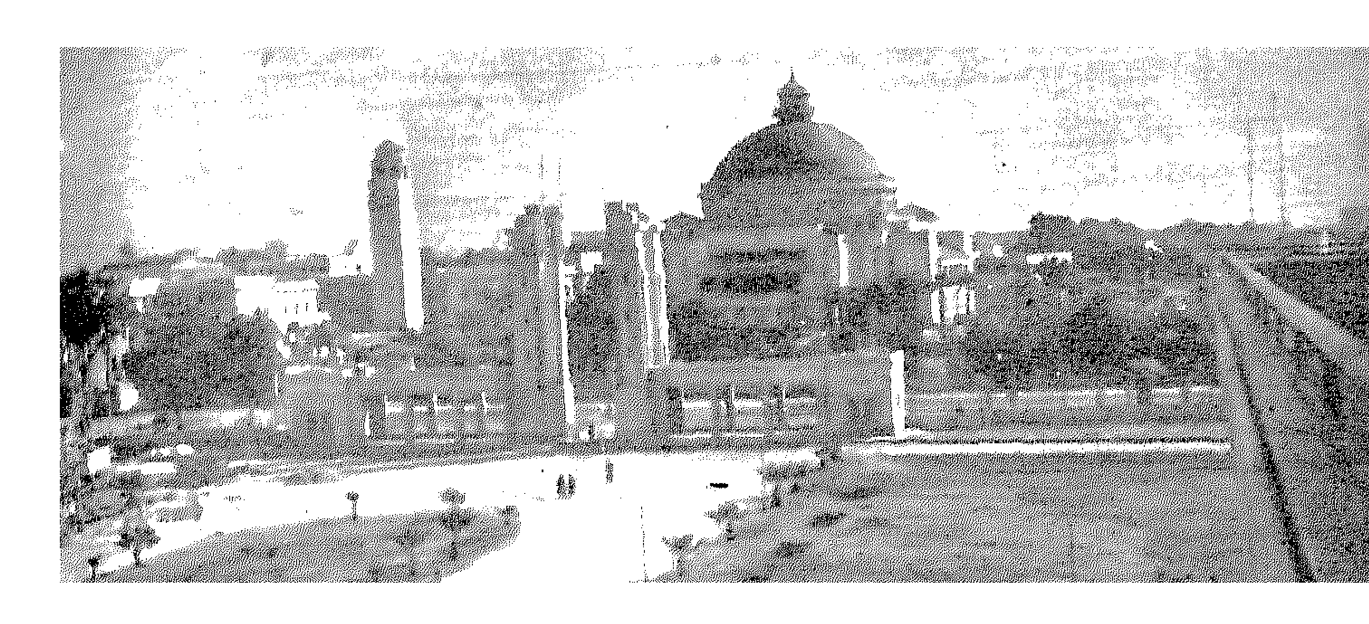
البخور وسحر الشرق

تعتبر منطقة شبه الجزيرة العربية هى الموطن الاصلى لأفضل انواع شجر البخور فتنمو اشجار البخور على امتداد ٢٤٠٠ ميل بداية من اليمن الجنوبية مروراً بمرتفعات اليمن الشمالية ثم صحارى عمان وحتى منطقة بترا بالاردن وتعتبر افضل مناطق شبه الجزيرة العربية لزراعة البخور على وجه الخصوص هى المنطقة الضيقة من سهل صحراء عمان المتاخم لسلسلة الجبال الخضراء فى منطقة دوفار باليمن الجنوبية حيث تتوافر الظروف الملائمة لنمو هذه الاشجار والتى تتمثل فى درجة حرارة استوائية ثابتة وتربة من الحجر الجيرى ورطوبة عالية طوال العام بفضل الرياح الموسمية . ويتم استخراج مادة البخور عن طريق عمل عدة شقوق فى لحاء الشجر فتخرج منها بعد فترة من الوقت مادة لبنية



بيضاء تجمع فى وعاء ثم تجمد لتتحول الى مادة ذهبية نصف شفافة وهذا هو انقى انواع البخور فى العالم وتواجه زراعة البخور فى منطقة شبه الجزيرة العربية مشكلة انقراض جيل العاملين فى جمع عصارة البخور فمعظمهم اتجه الى صناعات اخرى كحقول البترول لما تدره من دخل كبير مما ادى الى انتشار انواع البخور الرخيصة السعر والمفتقدة للجودة والتى تبيعها الهند والصومال لكافة انحاء العالم رغم ان منطقة شبه الجزيرة العربية كانت هى الموطن الاصلى لتصدير أجود انواع البخور فى الزمن القديم الى بلاد اليونان وروما وغيرها من الحضارات القديمة .

ولعل اول من عرف البخور وفوائده هم المصريون القدماء فقبل آلاف السنين استخدم المصريون البخور او ماأطلقوا عليه « عطر الآلهة » فى اداء طقوسهم داخل المعابد كما استخدمته النساء للتزين والتعطر . وقد جاء ذكر البخور لاول مرة فى التاريخ فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد حيث دونت على مقبرة الملكة حتشبسوت وعلى جدران معبدها وصف لرحلتها الى بلاد بنت (الصومال) للحصول على البخور . وفى عام ٤٥٠ قبل الميلاد عندما كانت اثينا فى عز مجدها وصف هيرودوتس ابو التاريخ اليونانى بخور الجزيرة العربية فى قوله « إن المنطقة كلها تتعطر بهذا البخور وتستنشق رائحته الذكية » وفى عصر ازدهار الحضارة الرومانية ، استخدم الرومان البخور فى طقوس حرق جثث الموتى حتى يقال أن نيرون استخدم مايوازى انتاج الجزيرة العربية كاملاً فى عام فى حرق جثة زوجته بوباى .



جامعة سنة ٢٠٠٠

جامعة مفتوحة ومكان لكل طالب

بقلم : محمد فتحى

● رسخ فى الاذهان ارتباط مصطنع بين جامعة الاعداد الكبيرة، وبين تدهور العملية التعليمية ، وتدنى معارف الخريجين ، وضعف مستوى الدراسات العليا والبحث العلمى ٠٠ الى آخر المثالب التى يعانيها نظام التعليم العالى حاليا ٠

وجامعة الاعداد الكبيرة ضرورة حضارية ، يفرضها الواقع ٠ فالمتعلمون الكثيرون ـ ان أحسن اعدادهم واستثمارهم ـ طاقة دافعة صاحبت كل النهضات ، وكل موجات المد الحضارى ٠

هذا بالاضافة الى أن تراثنا الروحى يرقى بطلب العلم الى مستوى الواجب الدينى ، الامر الذى طمحت اليه فيما بعد الاتجاهات الديمقراطية ، فجعلت العلم بين الحقوق الاساسية للانسان ، مما أوجب اتاحة أوسع فرص التعليم الجامعى ، وتخفيض تكاليف هذه الفرص فى نفس الوقت ٠

وهناك موقف يبعث على التساؤل عن طبيعة المعضلة الكامنة بين الواجب والحاجة من جهة ، وبين امكانية تلبية ندائهما من جانب آخر ٠٠ هل هى معضلة حقيقية أم مصطنعة ؟ وما هو المخرج من هذه المعضلة ●

● إمكانيات تعليم طالب واحد تكفى لتعليم خمسة طلاب فى الجامعة الحرة ..

● لماذا لا يصادف قطار التعليم العالى المرء إلا مرة واحدة فى حياته ؟

التعليم عملية اتصالية من حيث الجوهر . أى أن هناك رسالة ((مواد))، ينقلها مرسل ((مدرس)) ، ليستوعبها مستقبل ((طالب)) . وطبيعى ان يبدأ التعليم ، كغيره من العمليات الاتصالية ، بالشكل الشخصى .. اى بطالب ومدرس ونص فى مكان واحد .

لكن بينما اتخذت العمليات الاتصالية الاخرى وجهة الاعتماد المتزايد على الوسائل الجماهيرية ، فانقرض مثلا ـ او يكاد ـ الراوى الذى كان يحكى ((سيرة أبى زيد)) ، خالفا مكانه لوسائل الاذاعة المسموعة والمرئية .. بينما حدث ذلك بقيت الصلبة التعليمية فى اطار ماكان يجرى فى الكتاتيب ..

● مميزات الشكل الكتاتيبى ●

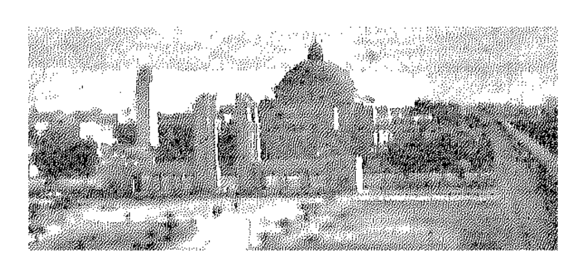
وقد يراود الاذهان ان مميزات الشكل الكتاتيبى ((الشخصى)) هى ما تجعله الانسب للعملية التعليمية عامة، وان هذه المميزات هى الدافع وراء تمسك الجامعة به ، ادراكا منها لدورها فى الحفاظ على الاصالة شكلا وموضوعا ..

ولا جدال فيما يتمتع به الاتصال الشخصى من دور مميز فى العملية التعليمية . لكن علينا ان نملك ناصية التفريق بين الامانى والاوهام . فمن الوهم ان ندافع ، ونحن نقوم تعليمنا الجامعى الراهن ، عن مزايا مثل استفادة الطالب من توجيه ((العالم الخبير بصفة مستمرة وفورية)) ، او من ((التفاعل بين الفعل ورد الفعل فى العملية التعليمية)) ، أو من ((الاثر الذى تصنعه هيبة المعلم)) ...

واذا أدرنا ظهورنا لما هو مرتبط بظروف الجامعة الراهنة ، تحدثنا عموما عن مزايا نظام الاتصال الشخصى وانه من الزم اللوازم فى المراحل التربوية الاولى، جريا وراء التوجيه الناجح للطفل المبهور باللعبة الجديدة ((التعليم)) ناهيك عن انبهاره الاعظم بهيبة المعلم ((الاب)) ، القادر على كل شىء ، حتى لو كان الاغتراف من وجه القمر ، باعتلاء قامة العلم ..

لكن هذا الطفل يكبر مع الزمن وحين يصل عتبة الجامعة ، يصبح من الزم اللوازم التربوية له تقليص جرعة الاعتمادية الى اقل حد ممكن ((مع جعل التوجيه انجح بالضرورة)) ، وحث الميل الى التعلم ((لا التعليم)) والبحث الذاتى ، بل والى جهود الاعتماد على النفس عامة . ذلك بالاضافة الى ان





جامعة سنة ٢٠٠٠

اهمية الاب فى هذه السن يكون قد شابها ماشابها ، مع نضج الطفل وادراكه لحقيقة الاوضاع .

من هنا نرى ان نظام الاتصال الشخصى ليس قدرا تعرضه طبيعة الدراسة الجامعية . وهكذا تكون قد قطعنا نصف الطريق الى التخلص من جاذبية الحركة بالقصور الذاتى ، ويبقى النصف الاخر الذى يمكن ان تساعدنا عليه الاجابة عن سؤال : وهل هناك طريقة اخرى ممكنة للتعليم ؟

وجولة سريعة فى عالمنا يمكن ان تقدم لنا اجابة السؤال . فاذا اتجهنا بانظارنا صوب الصين ، وعيا بابعاد المشكلة المطروحة ـ الامكانيات والاعداد ـ لوجدنا ان « الجامعة التليفزيونية » قد صارت ادارة اساسية فى التعليم العالى ، فطلابها يمثلون ٧٥٪ من مجمل عدد الطلاب المسجلين فى معاهد التعليم العالى الصينية .

واذا استدرنا باتجاه المملكة المتحدة ولى الامر الشرعى لنظامنا الجامعى لوجدنا فيها اشهر الجامعات الحرة فى القديم كله .

فان مثل هذه الجامعة لن تغيب عن انظارنا .

وحتى اذا تطلعنا الى التحدى الحضارى الذى نواجهه اليوم ، فان مثل هذه الجامعة لن تغيب عن انظارنا فيما يعرف باسم جامعة « الجميع » الاسرائيلية

لقد شهد عالمنا تجارب كثيرة ، حملت مسميات مختلفة ، مثل « جامعات الهواء » وجامعات التليفزيون » و « الجامعات الحرة » و « الجامعات المفتوحة » و « جامعات المراسلة » .. وعلى اختلاف المسميات تلتقى هذه التجارب جميعا فى تخليها عن الاطار التقليدى . فهى لا تجمع بين الطالب والاستاذ داخل حرم جامعى فى كل وقت وانما تتمحور حول مركز ادارى يعد المادة التعليمية ، ويوصلها بوسائل متعددة ، الى اناس يدرسون عن بعد ، فى مجال اقاماتهم .

وقد يبدو ان الجوهرى فيما يخص هذه الجامعة هو تطويعها لتكنولوجيا الاتصال « الاذاعة الصوتية المرئية والحاسبات الالكترونية » ، وتوسلها بمجموعة من وسائل ينعكس على الاطراف الاخرى للعملية الاتصالية ، مما يفتح الباب واسعا لان يكون الطالب غير الطالب ولان تكون المناهج غير المناهج ، ولان يكون الاستاذ غير الاستاذ .. اى لان تكون الجامعة غير الجامعة ، أو ان شئنا الدقة لان تكون الجامعة ارقى من الجامعة الحالية .

● الجامعة الحرة البريطانية

وربما احتاج ايضاح ذلك الى فكرة سريعة عن هذه الجامعة ، ولا بأس من ان يكون نموذجنا هنا هو الجامعة الحرة البريطانية .

لما كانت غالبية الطلاب تاتى الجامعة الحرة من شتات مختلف المنابت ، ولما كان الساعون الى الالتحاق بها قد انهوا دراسات مختلفة ، فى اماد زمنية مختلفة ، ولما كانت الجامعة تتبنى نظام الالتحاق الحر دون اشتراط سن او مؤهل فهى تفضل لو ان الطلاب التحقوا قبل بدء العام بدروس تحضيرية فى مؤسسات اخرى ، او قاموا بقراءات ذاتية ـ تحددها الجامعة ـ تساعد فى تاهيل الطلاب على نحو جيد لمشوار الدراسة .

وبعد الالتحاق بالجامعة يقضى الطالب معظم الوقت فى بيته ، يتسلم مادته الدراسية بالمراسلة عن طريق البريد ، او الاذاعة المرئية « نصف ساعة اسبوعيا

• وقت الدرس والاستيعاب فى الجامعة الحرة يقل عن الوقت الذى يقضيه الطالب فى المواصلات ..

فى المتوسط » والاذاعة المسموعة « نصف ساعة أخرى » .

ويستطيع الطالب اذا أراد ، ارتياد مراكز دراسية فرعية قريبة من محل اقامته ، لاستيضاح ماقد يغمض عليه ، والاشتراك فى حلقات مناقشة ، تحت اشراف موجهين متخصصين .

وهناك بعض المقررات التى تلزم الطالب بان يقيم أسبوعا فى دراسة عملية صيفية مكثفة ، قد تصل الى ٧٢ ساعة، باحدى المعاهد التعليمية « وبالمناسبة تتجاوز ساعات هذه الدراسة اذا اضيف الى التجارب التى يجريها الطالب فى منزله ، وما يتابعه عبرالشاشة الصغيرة ، مما يدخل فى باب التطبيقات العملية .. تتجاوز الساعات الصيفية التى تستغرقها الدراسات العملية لطالب الجامعة حاليا .

هذا ويكون على الطالب ان يؤدى بانتظام ، خلال العام الدراسى اختبارات وأعمال تحريرية يقدمها الى المراكز الفرعية ، أو يرسلها الى المركز العام. وتساهم الدرجات التى يحصل عليها فى هذه الاختبارات التحريرية ، مع درجات الامتحان النهائى ، الذى يؤديه الطالب بالمركز العام ، فى تحديد التقدير السنوى للطالب فى هذا المقرر او ذاك .

هذا وتبدأ الجامعة الحرة « ارسالها » فى شهر يناير يمتد نشاطها ٣٦ أسبوعا . يكون على الطالب خلالها ان يدرس مادة تستغرق ١٠ — ١٤ ساعة اسبوعيا « وقت يقل عما يقضيه طالب الجامعة حاليا فى المواصلات » . ويسمح الامتداد الزمنى للدراسة على هذا النحو بالاستفادة من منشآت المعاهد التعليمية التقليدية « الورش والمعامل والمدن الجامعية » أثناء العطلة فى تنظيم الدراسات الصيفية ، كما يسمح بالاستفادة من اساتذة الجامعات التقليديين، غير المشغولين خلال العطلة ..

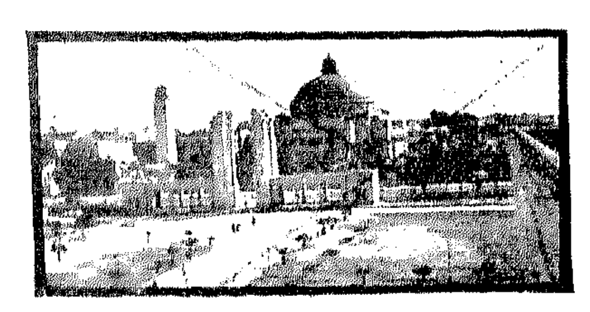
وان كان زمن الدراسة المقرر بالجامعة للحصول على درجة البكالوريوس هو ست سنوات ، فالفيصل النهائى بصدده هو ظروف الطالب نفسه . فقد تدفعه حاجته او حماسته الى أن ينهى مقررات عامين فى عام واحد . وقد تعوقه ظروف اخرى « الحمل والولادة مثلا » عن دخول الامتحان عامين ، أو تدفعه الى الاكتفاء بثلث المقررات فى عام .

هذا ولا تقف الجامعة الحرة فيما تمنحه من درجات علمية عند درجة بعينها ، ومستويات الدراسة مفتوحة حتى درجة الدكتوراة ..

ومن الجدير بالذكر هنا ان استفتاءات الطلاب ، حول مدى استخدام الاذاعة المسموعة والمرئية فى التعليم ، كشفت عن أن اكثر المتحمسين لهذا الاستخدام هم طلاب كليات العلوم والرياضيات والتكنولوجيا فى الجامعة الحرة «بل وطلاب الجامعات التقليدية ، فالبرامج مذاعة ، وليست مغلقة على اناس بعينهم» . وهذه هى الفروع التى يزداد الاقبال عليها اجتماعيا ، والتى قد يتبادر الى الذهن ان الجامعة الحرة تقصر عن امكانيات دراستها ، مقارنة بالعلوم الانسانية مثلا .

• جامعة جديدة أكثر رقيا

هنا يمكن العودة الى تفصيل التغيرات



جامعة سنة ٢٠٠٠

الجوهرية ، التى تفتح مثل هذه الجامعة الباب لاحداثها .

ان الجامعة الحرة باب مفتوح لمن لم تمكنهم ظروفهم ، أو لم يرغبوا فى التفرغ للتعليم أو فى مواصلته بلا انقطاع . وهنا واحدة من اكبر مميزاتها . اذ انها تقضى على محنة قطار التعليم ، الذى لا يصادف المرء الا مرة واحدة فى حياته. ويكون عليه ، خلال هذه المرة ، الفلاح فى التعليق باهدابه ، مهما كانت الظروف، ودون أن تتواءم وجهته مع الميل الحقيقى للمرء فى أغلب الحالات .. فاين الفرصة لواحد شغلته معمعة الشهادات العامة ، والدروس الخصوصية، على نحو مستمر، حتى أتم الثانوية العامة ، ولم يصل العشرين بعد ((ناهيك عن معمعة التنسيق)) .. أين لمثل هذا الشخص ان يكتشف ميله الحقيقى بالفعل ، وعلى مهل ، وبالتجربة والاختيار تحت الضرس والسن،

هذا كما ان قدرات الكثيرين لاتتفق، كما لا تتجلى مواهبهم ، الا فى عمر متاخر من خلال الممارسة . كما أن هناك من يتوقفون عن الدراسة لاسباب متعددة، لكن التوق يعاودهم الى التعليم بعد فترة مدفوعين بحوافز ومثيرات جديدة تطرأ على حياتهم ، وتشحذ اراداتهم لاكتساب الجديد من المعارف والمهارات. وليس من العدل ان نقضى ، مرة والى الابد ، على هؤلاء بالحرمان من فرصة التعليم العالم .

ويمكن لمؤشرات تاكدت بين طلاب الجامعة الحرة ، مثل تزايد نسبة الدراسات ، ونسبة العاملين ، ونسبة نجاح من هم أكبر سنا .. يمكن لمثل هذه المؤشرات أن تضيف رتوشا بالغة

الدلالة الى صورة هذا الطالب الجديد .

ولاينبغى ان نغفل فى هذا الصدد ان عددا من طلاب هذه الجامعات ، لا يحملن اى شهادات دراسية ، ولا ان جامعة من هذا النوع تتيح فرصا ايسر للمعوقين والمحكوم عليهم بالسجن ، فضلا عن ثرائها بالبرامج النوعية والمهنية المتكاملة .

ولعله من الواضح ان المقررات الدراسية فى الجامعة الحرة ستكون غير المقررات المعهودة . ذلك ان ظروف الجامعة من اتساع قاعدتها ، الىالمركزية والمرونة فى امكانيات التغيير والتطوير ، ستتيح الفرصة لالتزام اعلى مستوى من الجودة ، فضلا عن الحداثة ، مع عدم المساس بالمستوى الاكاديمى ، عن طريق حذف وجهات نظر وتجاهل اخرى ، وفق مايتراءى لهذا او لذاك . ناهيك عن ان مثل هذه الجامعة تتيح رقابة اجتماعية حقيقيةعلى المقررات الدراسية ، وتضعها على اهون السبل المؤدية الى استخدام الاساليب والامكانيات التربوية الحديثة .

ولعله من الواضح ايضا ان بامكان الاستاذ مع الجامعة الحرة التخلص من الاعباء التكرارية التى لا تحتاج الى قدراته ، اذ يمكن ان يتحملها عنهآخرون ليتفرغ هو لما يتعذر ان يقوم به غيره . هذا كما ان الجامعة الحرة تضاعف من فعالية القدرات المتفردة لاساتذتها ، باستخدام الوسائل الجماهيرية . وذلك كله بالاضافة الى الصيغة المختلفة التى تطرحها الجامعة الحرة لعلاقة الاستاذ بالطالب .

● الجامعة الحرة ومشاكل تعليمنا ●

ولا اعتقد اننا فى حاجة بعد ما سبق الى تفصيل مدرسى للدور الذى يمكن ان تلعبه الجامعة الحرة فى التغلب على مشاكل التعليم العالى فى بلادنا . لكنه يبدو من المفيد الاشارة هنا الى قضايا من قبيل :

● الربط بين الجامعة والمجتمع .

● الاهتمام بالبحوث التطبيقيةالوثيقة الصلة بالبيئة .

● قيام الجامعة بدور بيت الخبرة لمؤسسات المجتمع .

● دور الجامعة فى التنشيط الفكرى والتنوير والتثقيف العام .

فضلا عن .

● ربع تكلفة التعليم التقليدى ●

بقى ان نشير بسرعة الى بعض الاعتبارات الهامة بصدد الجامعة الحرة. ولعل اهم هذه الاعتبارات هو تكاليفها. ونكتفى فى هذا الصدد بالاشارة الى ان متوسط تكلفة تعليم الطالب فى الجامعة الحرة البريطانية تعادلتقريبا ربع متوسط تكلفة تعليم الطالب فى الجامعة العادية .

ويجب الا يغيب عن الاذهان ان مثل هذه الجامعة تفتح الباب امام مساهمة اوساط اجتماعية مختلفة - تستفيد من خدمات الجامعة - فى مصروفاتها ، وان تكلفة تعليم الطالب فيها تقل كلما زاد عدد الطلاب ، لان الجزء الاكبر من التكاليف يذهب الى اعداد المناهج والمقررات طباعيا واذاعيا ..

ولا باس فى هذا الصدد من الاشارة الى ان الجامعة الحرة البريطانية تشغل مابدور حول ٥٠٠ ساعة من الارسال التلبفزيونى ، ومثلها من الارسال الاذاعى . ولا اعتقد ان هذا الكم يعز على امكانياتنا ..

هذا ولا يمكن ترك الموضوع دونتنويه باننا نبدأ - اذا بدانا - من نقطةمتقدمة كثيرا مقارنة ببدايات الاخرين . فلدينا شبكة ارسال تليفزيونىتغطى جلارضنا . بل ولدينا قمرا صناعيا عربيا ، يمكن جعل الجامعة الحرة معه . مشروعا قوميا بالغ الاهمية والتاثير .

وجدير بالذكر اننا لن نبدا هذه التجربة من فراغ ، فلدى وزارة التعليم العالى ووزارة الثقافة ووزارة الاعلام والاذاعة والتليفزيون تجارب عديدة ، غطت جوانب كثيرة من انشطة مثل هذه الجامعات ..



● قذيفة موجهة لانقاذ الطائرات من الحريق ●

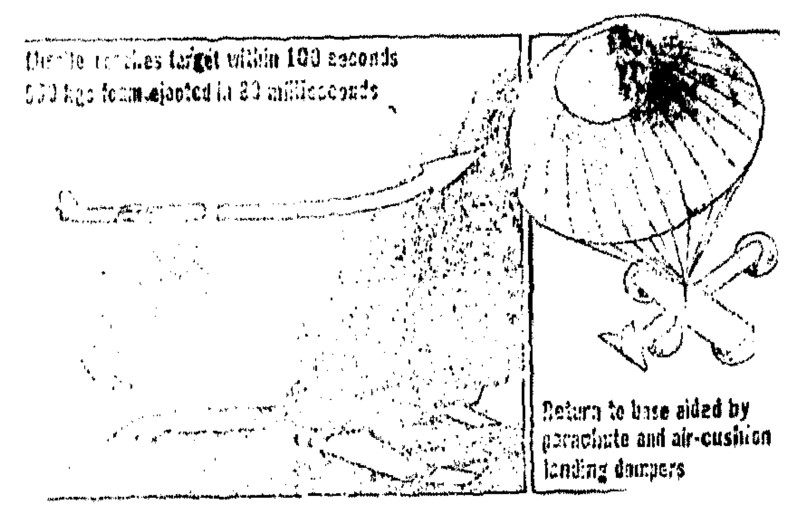
تقوم ألمانيا الغربية حاليا بتطوير قذيفة طائرة تستخدم لاطفاء الحرائق التى تندلع على متن الطائرات ، وعلى مدى خمس سنوات انفقت الشركة التى تتولى هذا المشروع ١٢,٨ مليون جنيه استرلينيا لابتكار نظام لاطفاء الحرائق التى تشتعل على الطائرات التى تطير على مسافة ٨ كيلو مترات من المطار حيث تقع ٨٠ ٪ من حوادث الحريق لأن الاقلاع والهبوط مازالا من اخطر لحظات الطيران ويتمثل النظام الجديد فى اطلاق قذيفة تزن ٥٠٠ كيلو جرام وتحمل مادة رغوية فعالة من ارض المطار أوتوماتيكا ردا على اشارة الطوارىء المنبعثة من الطائرة المشتعلة وتصل سرعة انطلاق القذيفة الى ٣٦٠ كيلو مترا فى الساعة مما يجعلها من الممكن أن تصل الى الهدف المطلوب فى حوالى مائة ثانية وهناك ثلاث رسائل تضمن وصول القذيفة إلى الهدف تتمثل فى جهاز اشارة الطوارىء ووجود رأس استكشافية تعمل بالاشعة تحت الحمراء فى القذيفة بالاضافة الى كاميرا فيديو موجهة من برج المطار . وعند إطلاق القذيفة ووصولها إلى مصدر الحريق فانها تفرغ حمولتها من المادة الرغوية فى جزء من الألف من الثانية ثم تهبط القذيفة مرة اخرى إلى الأرض عن طريق باراشوت بحيث يمكن أن تعبأ بالرغوة وتعاد إلى موقعها مرة أخرى وتعتمد القذيفة على جهاز رادار وكمبيوتر مصغر مخزن فى الذاكرة ويصل سعر القذيفة الواحدة إلى ١٢٥ ألف جنيه استرلينى .

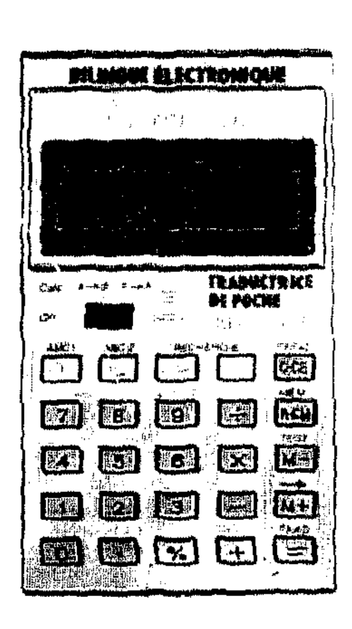
العالم غدا

● قاموس .. كومبيوتر●

احدث قاموس صدر عن دار لاروس الفرنسية هو قاموس جيب . ويعد بالفعل أول قاموس يمكن أن تضعه فى جيبك وتستعمله بسهولة ويسر . القاموس عبارة عن حاسب اليكترونى عادى خزنت فيه اربعة الاف كلمة باللغة الانجليزية ومقابلها باللغة الفرنسية وحين يضغط الطالب على حروف الكلمة التى يريدها تظهر أمامه على الفور الترجمة الانجليزية أو الفرنسية المقابلة للكلمة التى يبحث عن معناها ..

هذا القاموس سيظهر قريبا فى الاسواق العالمية الآخرى . ومن لغات عديدة إلى لغات آخرى .. وسوف يغير تماما اشكال

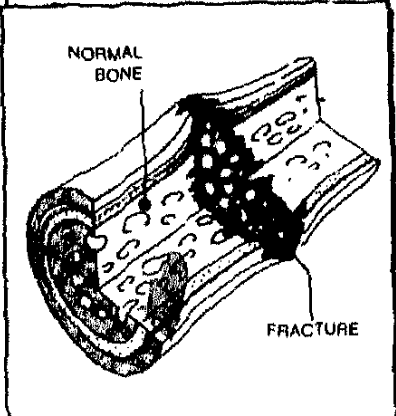


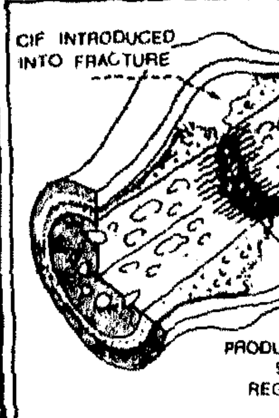


القاموس المعروفة حاليا ..
الاسم المتداول حاليا لهذا القاموس هو : «مترجم الجيب».

● أسلوب جديد وسريع لعلاج الكسور ●

هناك حالات تكون فيها العظام ضعيفة بسبب ضعف البنية المحيطة بها أو بسبب تقدم السن . لذلك فغالبا ما تحتاج عملية التئام الكسور إلى وقت طويل . توصل الباحثون مؤخرا فى الولايات المتحدة الأمريكية إلى تحديد مادة كيميائية حيوية تعمل على الاسراع من عملية إلتئام الكسور إلى جانب إعادة القوة إلى العظام التى

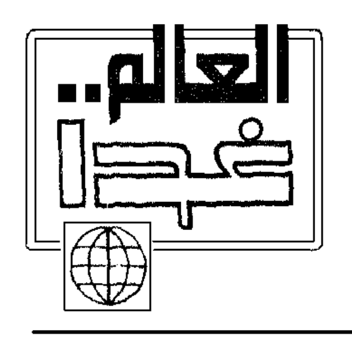




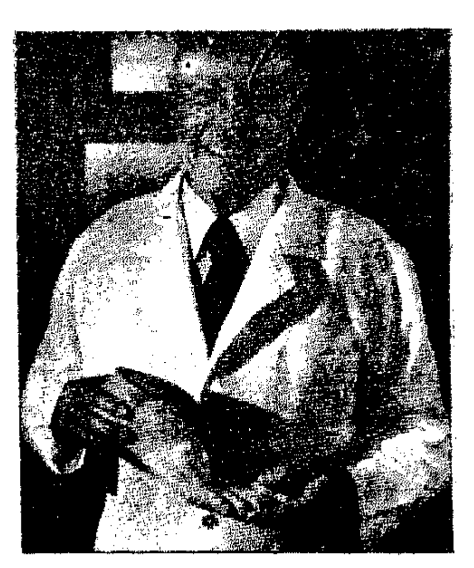
ضعفت بسبب الشيخوخة فقد قام العلماء بعزل بروتين يعمل على تحويل خلايا الانسجة المحيطة إلى الغضروف الأبيض الذى تتكون منه العظام وقد أطلق على هذا البروتين اسم العامل المكون للغضاريف وهو يوجد فى عظام الانسان والحيوان ولكن بكميات قليلة جدا لاتكفى لالتئام كسور العظام الاساسية بسرعة واستطاع العلماء مؤخرا استخلاص هذا البروتين من مسحوق عظام الحيوانات ومن المتوقع أن توافق وزارة الغذاء والدواء الأمريكية على البروتين الجديد مع عام ١٩٩٠ .

● تقنيات جديدة ضد تقدم الرياح ●

بعد الكوارث التى تعرضت لها الطائرات بسبب تغير اتجاه الرياح يخطط خبراء الأمن الجوى لتطبيق تكنولوجيا مراقبة اتجاه الرياح فى المطارات المعرضة للعواصف الجوية . ومن بين هذه التقنيات الحديثة نظام الرادار المعقد الذى أطلقوا عليه اسم «دوبلر» . وهو مزود بالكومبيوتر ولايقتصر عمله على متابعة سرعة الرياح واتجاهها فقط ، ولكنه يقوم بقياس حجمها وقوتها . وتبلغ تكاليف هذا النظام ٤ ملايين دولار وسيبدأ فى العمل خلال السنوات الست القادمة . كذلك فالولايات المتحدة الأمريكية فى طريقها إلى إنتاج نظام رادار جديد أطلقوا عليه اسم «نيكسارد» وتبلغ تكاليفه نحو بليون دولار ومن المقرر أن يبدأ عمله عام ١٩٨٨ . ويقوم النظام الجديد بتزويد برج المراقبة والطيارين بالمعلومات عن ظروف الجو وهو يستخدم أيضا نظام دوبلر . ويمثل نظام نيكسارد تقدما أساسيا نحو التغلب على عنصر الرياح كعامل أساسى فى حوادث الطائرات .



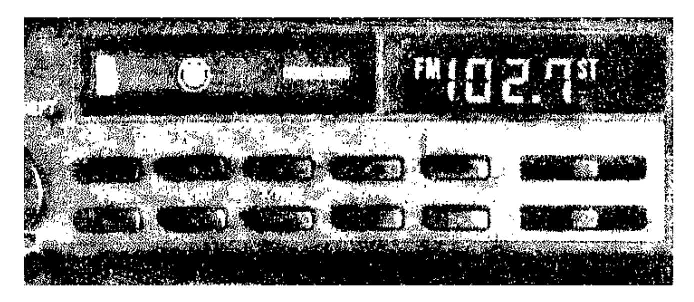
● قدم جديدة للمعوقين ●

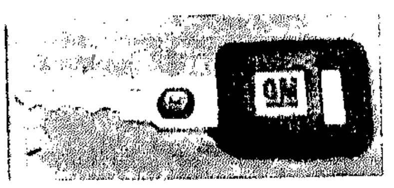


بفضل (قدم سياتل) أصبح بامكان الشخص الذى تعرضت قدمه للبتر ان يسير ويجرى ويقفز كما لو أن قدمه سليمة تماما قدم سياتل ابتكرها الأطباء بمركز ابحاث الاعضاء الصناعية التعويضية فى مدينة سياتل ، وهى عبارة عن جهاز مصنوع من البلاستيك ومغطى من الخارج بطبقة من الجلد على شكل القدم بالضبط وأهمية الجهاز البلاستيك انه يمتص قوة ثقل جسد الشخص الذى بترت قدمه ثم يعمل فى نفس الوقت مثل الزنبرك ليدفعه عن الارض . وقد تم اختبار هذه القدم على ٥٠ شخصا كان أداؤهم نموذجيا بل تمكن بعضهم من ممارسة لعبة التنس وكرة السلة وقام أحدهم بالاشتراك فى السباق حيث كان يقطع الميل فى سبع دقائق . يقوم ٥٠٠ طبيب متخصص حاليا بدراسة مكثفة على قدم سياتل تستمر شهرا ليقرروا عرض قدم سياتل فى الاسواق حيث يتوقع أن يصل سعرها الى مائة دولار .

● سيارات عام ١٩٨٦ محصنة ضد السرقة ●

بسبب ارتفاع نسبة سرقات السيارات فى كافة انحاء العالم بدأت الشركات المنتجة للسيارات تفكر فى ابتكار وسائل لحماية السيارات ضد السرقة لعل أحدثها استخدام مفاتيح اليكترونية تحمل شفرة سرية فى السيارات المنتجة خلال العام القادم ، ويشتمل كل مفتاح على كرة صغيرة من السيراميك بداخلها شفرة اليكترونية خاصة لها نموذج مشابه مثبت داخل السيارة . وعند إدخال المفتاح فى الفتحة المخصصة له يتطابق النموذجان . وعندئذ يتمكن السائق من تشغيل سيارته . أما إذا كان النموذجان غير متطابقين فلن تعمل السيارة . يصل سعر مفتاح السيارة الاليكترونية إلى ٤٠ دولار . وبجانب سرقة السيارات فان سرقة محتوياتها فى الداخل يثير اهتمام اللصوص أيضا الذين قد يكسرون السيارة لسرقة الراديو على سبيل المثال ولهذا السبب انتجت الشركة اجهزة راديو مخصصة ضد السرقة .





● عطور المستقبل تشفى من الامراض النفسية ●

تبحث إحدى الشركات الامريكية امكانية انتاج عطور مخصصة لشفاء المرضى المصابين بأمراض نفسية أو جسمانية مثل ارتفاع ضغط الدم ، والاكتئاب فمن



المعروف ان مايصل الى المخ من أجهزة الاستقبال الخاصة بحاستى الشم والتذوق يؤثر على العمليات الحيوية للمخ ، مثل التذكر والمعرفة والتكاثر والمشاعر المختلفة التى تغير بدورها من انشطة حياتنا . ومن خلال هذه النظرية توصل أحد المتخصصين فى صناعة العطور إلى ما أسماه «البيولوجيا الجديدة» للعطور .. وتقوم الشركة التى يعمل بها بدراسات لتحديد مدى تاثير الرائحة على المشاعر المختلفة كالغضب ، والقلق ، والاكتئاب ، والخوف ، ويقول المتخصصين أن العلاقة الحميمة بين الرائحة وجهاز الاعصاب تعد أداة مثالية لخفض الضغط ولذلك فسوف يطرح قريبا فى الاسواق أول عطر يعالج إرتفاع الضغط وهو يخطط على المدى الطويل لانتاج عطور تستخدم كعلاج بدون اى مخاطر جانبية .

● عبدالوهاب علـى جرس الباب ●

جرس الباب الذى بدأ ينتشر داخل البيوت الآن بسيمفونياته المتعددة سوف يدخل المكاتب ايضا مع مطلع العام الجديد ..

هذا الجرس الذى يحتوى على مختارات موسيقية من موزار وبتهوفن وخاتشاتوريان وغيرهم سوف تسمعه سكرتيرتك بدلا من الصوت التقليدى للجرس الذى تسمعه الآن .. فقد أعد المهندس سليمان فوقى من محلة مرحوم بطنطا جرسا صغيرا يطلق هذه المقطوعات الموسيقية يستعملها المدير فى النداء على سكرتيرته .. وهناك وحدة عمل منفصلة خاصة بالجرس يمكن بها ان يبلغ سكرتيرته من خلال شفرة موسيقية طلباته دون ان يتكلم منعا للاحراج . مثلا ان تعبر مقطوعة موزار عن رغبته فى مشروب لضيف أو احضار ملف له اهميته . أو أن تعتذر عن ادخال ضيوف جدد ..

المهندس سليمان فوقى يعد الآن نوعا جديدا من الاجراس المنزلية تعزف الحانا عربية بدلا من الاحان الغربية لهواة الموسيقى العربية .. من أهم الالحان التى سيقدمها «عزيزة» لعبدالوهاب . و «الديك بيدن» لسيد درويش . وسوق العبير لفريد الاطرش .. و ... ويخشى أن يسىء البعض استعمال هذه الاجراس فيتحول المنزل الى جلسة رقص عشرة بلدى ! ..

● الكومبيوتر .. مخبر شرطة ●

بعد مرور عام على الاختبار توصلت إحدى الشركات الأمريكية إلى استخدام فريد من نوعه لشرائح الكومبيوتر والذى يؤدى إلى انخفاض مذهل فى جرائم سرقة السيارات . إذ أنتجت جهازا الكترونيا لتعقب السيارات المفقودة . وهو يركب بالسيارة فى مكان يصعب الوصول إليه ويتصل بالكومبيوتر المركزى للشرطة والذى يضم الشفرة التى تساعد الجهاز على العمل وإرسال إشارات كما يضم رقم وسنة تسجيل السيارة ولونها . وعند الابلاغ عن سرقة السيارة يقوم البوليس بإرسال إشارات خاصة لتنشيط الجهاز الالكترونى فى السيارة المسروقة حتى يبدأ فى إرسال إشاراته التى تستقبلها سيارات الشرطة الموجود بها جهاز الاستقبال الخاص بالجهاز الالكترونى الجديد على لوحة أجهزة القياس لتحديد الاتجاه والمسافة النسبية للسيارة المفقودة . وعادة ماتستغرق عملية ضبط السيارة المفقودة نحو عشر دقائق فقط .

تحقيق : هبه عادل عيد

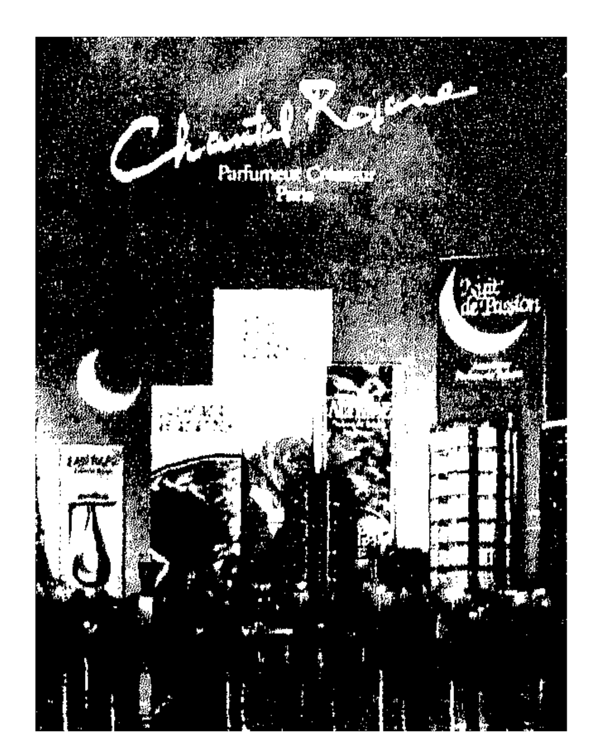
الإعلان التليفزيونى

خدمة تجارية .. أم موقع إعلامى له خطورته

الاعلانات فى التليفـزيون .. تلك الدقائق التى تقطع ثلث ساعة من افضـــل ساعات الارسال كل يوم ، يجب النظر اليها على انهـا جزء من مشكلة اكبر واخطر .. انها محاولات صيغت بذكاء شديد وتقنية متقدمة لتجعل من بعض السلع عادات استهلاكية ثابتة .. تصبح فيها بعد افكارا ثقافيـــة تسهم فى صنع اسلوب حياة بأكمله ..

ان الاسلوب المستخدم فى الاعـلان .. ونوعية السلع المعلن عنها .. تعبر الى حد كبير عن الاتجاه الاقتصـادى الذى ينتهجه المجتمـع ، وعـن نمط الانتاج والاستهلاك الـذى تتبعه .. وعندما يقوم الاعلان بترويج السـلع الكمالية المستوردة .. فهى تزيد مـن روح الاقتناء عند الفرد .. وتشـكل عقله ومزاجه ليصبـحا مستعدين لاستقبال السلعة الجديدة ..

وقد ظهرت الاعلانات عندما تعـددت السلع وأصبح المعروض منها أكثر من الطلب عليها ، وقلت الفروق بين سلعة وأخرى الى درجة كبيرة . وبزيـادة التشابه بين السلع أصبحت الحـاجة ملحة الى الاعلان ليضخم تلك الفروق ويقنع بها المستهلك ، وقد تحتم أن تكون تلك السلع المتنوعة والمتشابهة فى آن واحد سلعا كمالية .. حيث ان السلع التى تلبى الحاجات الضرورية للفـرد



لا تحتاج عادة الى الاعلان عنها !.

والاعلان من حيث هو دعاية تجارية لا يخاطب العقل بل يتجه الى اثارة العاطفة ، حتى يصبح نوعا من «الايحاء التنويمي» وخاصة عند جيل الشباب.

● الشباب ومشروعية الحلم ●

يبيع الاعلان .. الاحلام للشباب ، حيث يختار لعرضه شبابا وشابات فى غاية الاناقة والجمال..وتصبح السلعة السحرية التى يقدمها الاعلان.. وكأنها المفتاح الى العالم الذى يتمنى كل شاب ان يدخله ، ويشعر الشاب بالعجز والضآلة اذا لم يسع للوصول الى هذا العالم وهذا الحلم ..

فالاعلانات الامريكية على سبيل المثال تعطى صورة براقة عن الحياة الامريكية .. وتصور المواطنين الامريكيين كما لو كانوا جميعا من النجوم .. ويصبح الاسلوب الامريكى فى الاستهلاك مرادفا للتقدم ..

ومن هنا يحرص الكثير من الشباب على متابعة الاعلانات لمعرفة الجديد فى الاسواق ولو لمجرد التحدث عنه مع اصدقائهم وذلك فى حالة عدم استطاعتهم الحصول على ما يقدمه الاعلان لهم ..

وغالبا ما يصاب الشاب بالاحباط والشعور المتزايد بالفشل فى الحصول على هذه الكماليات الانيقة المرتفعة الثمن .. التى يمكن ان تعزز وجاهته امام اقرانه ، ويأتى هذا الشعور ممزوجا بالغضب لان هناك من يستطيع الحصول على كل ما تقدمه تلك الاعلانات ..

واخطر ما تشير اليه الاحصائيات عن اثر الاعلان على الشباب .. ان الاعلان اليوم يعتبر واحدا من الاسباب التى تدفع الشباب الى تعاطى المخدرات .. فهم يريدون البقاء فى الاحلام التى تقدمها الاعلانات .. وابسط واقصر طريق الى ذلك .. هو تغييب وعيهم.. ليعيشوا فترة أطول فى عالم الاعلانات ! ..

● ٥ ساعات اعلانات اسبوعيا ●

وقد يبدو ان فى ذلك كثيرا من المبالغة ، ولكن اذا عرفنا ان الاعلانات تقتطع خمس ساعات اسبوعيا تقريبا ، اى ٨٪ من ساعات الارسال التليفزيونى و٢٢٤ ساعة أسبوعيا من واقع «٨٤٣٠» ساعة طبقا لاحصاء الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء لعام ١٩٨٠ . فان نظرتنا الى الامور قد تتغير .

وتبدو هذه الارقام ذات اهمية خاصة اذا عرفنا ان معظم الابحاث والدراسات والاحصائيات تشير الى ان الاعلانات هى المادة التى تتمتع باكبر نسبة مشاهدة بالنسبة للاطفال والشباب على حد سواء .. اى انها المادة الاعلامية الاولى المفضلة لديهم ، وهم بذلك يحرصون على مشاهدتها لذاتها .. ليس انتظارا لما يليها .



الإعلان التليفزيوني

وكلما زاد الاقبال على مشــاهدة التليفزيون كلما زاد الاقبال على مشاهدة الاعلانات ... ويمكن اعتبار العكس صحيحا أيضا ... طالما ظل الاعلان والتليفزيون يتمتعان بشعبية كبيرة.. فالاعلان تفوق شعبيته المواد التليفزيونية الاخرى ، وكذلك يتفوق التليفزيون على غيره من وسائل الاعلام .

● تغيير العادات الغذائية الى الأســــــوأ ●

بالاضافة الى دور الاعلان في خلق فجوة حادة بين المعــايير السائدة في المجتمع .. دونما اعتبــار للاختلافات الجوهرية بين متطلبات مجتمع واخر .. يعمل الاعلان على تغيير العادات الغذائية في المجتمعــات النامية الى الاسوأ ..

واذا تتبعنا الدور الخطير الــذى يلعبه الاعلان فى نشر سوء التغذية فى امريكا اللاتينية على سبيل المثال فسوف نجد أن الاعلان فى مصر يقــوم بدور مماثل الى حد كبير ، وخاصة بالنسبة للمواطنين محدودى الدخل . ويؤكـــد الكاتبان الامريكيان ريتشارد بارنت ، ورولاند مولر فى كتابهما (الوصـــول العالمى) ذلك بقولهما :

تشترى العائلات الفقيرة فى غــرب البنجال تحت تاثير حملات الاعــلان ـ الالبان المعــلبة لاطفالهم ، فى حــين يمكنهم شراء لبن ابقار طبيعى طــازج باســعار اقل كثيرا ـ لقــد اغــرتهم الاعلانات بدعوى أن الغذاء المعلب ذو قيمة غذائية مرتفعة. وأن المذاق الحلو والملاءمة والمركز ومســايرة العصر يدعوى الحضــارة اهم من القيمــة الغذائية ...

من ذلك ما يقوله الاطباء فى قــرى الريف ـ فى انه قد صار الطبيعى أن تبيع الاسرة ما لديها من البيض القليل الذى تحــتاج اليه من اجــل شراء الكوكاكولا..بينما يذبل الاطفال لنقص البروتين ـ وهذا ماأسماه خبير التغذية (جيليف) « سوء التغذية لاســـباب تجارية » .

وهكذا يبدأ الغزو الثقافى بالاعجاب بنمط وأسلوب يستتبع التقــليد .. وينتهى بفقدان الشخصية واللغــة .. فالاعجاب بالنمط الغربى يقود حتما الى الاعجاب بالشخصية الاوروبية وبلغتها الثقافية والمنطوقة ، هذا اذا اخــذنا فى اعتبارنا ان الثقافة لغة فى نهــاية الامر .

ويقودنا هذا الى القول بأن اللغــة التى تقدم بها الاعلانات تعد عــاملا لتغريب اللغة وجعلها مسخا مشوها ، إما عن طريق الحرص على ذكر اســم السلعة بلغة اجنبية أو استخدام كلمات بالانجليزية داخل الحوار فى الاعلان.. وكأن اللغة الاجنبية مرادفة للمركــز الرفيع .. وهى لغة الثقافة الراقية ..

ان اللغة ليست كمــا قد يقال .. مجرد وسيلة للتعبير وليست غــاية لذاتها . وانها مجرد وسيلة لايصــال الفكرة .. ولا تهم الطريقة التى يتم بها ايصال الفكرة الى ذهــن متلقيها .. ولكننا رغم ان هذا القول قــد يبدو صحيحا ، لا يمكننا اغفال ان تــكرار ايصال الفكرة بلغة معينة .. انمــا يعكس تفضيلا معينا لهذه اللغة بمــا

تمثله من قيم وثقافة اجتماعية .

فاللغة ليست على هذه الدرجة من الحياد .. اذ انها يمكنها ان تعكس مدى التبعية الثقافية .. التي تبدأ عادة باللغة لتنتهي عادة بالتفكير بها ...

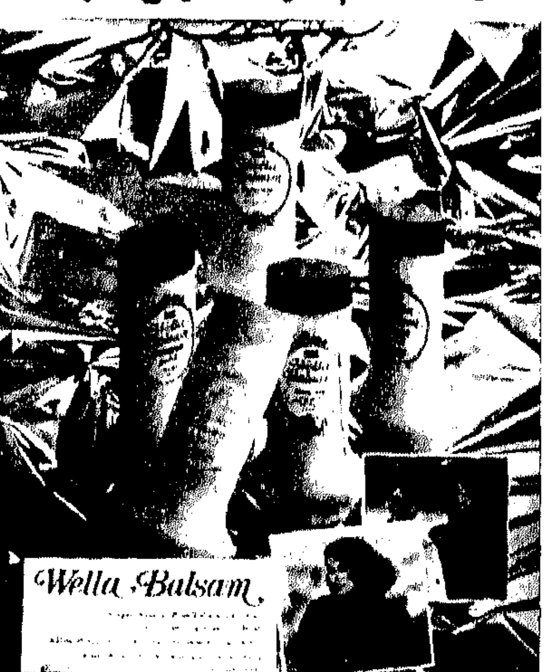
ومن هنا تنشأ الخطورة الكبرى .. وهي السعادة بتلك التبعية الفكرية .. فالشاب سرعان ما يصبح سعيداً .. مزهوا بتفكيره الغربي المتحضر، وعند هذا الحد تصبح ثقافته الوطنية مجرد فولكلور .. وتسقط الشخصية بضياع الثقافة ..

ان الغزو الثقافي الذي يبثه الاعلان .. تكمن خطورته في انه ليس موجهـا لفكر .. او منطق .. خطورته تكمـن في دقة الكلمات المختارة بعناية شديدة .. وهي مع جمال المشاهد وسلاستها تشكل تقنية متقـدمة .. لا تستـفز مقاومة ولا تدعو الى اعمـال الذهن للرفض او القبول .. انهـا تهيىء المتلقين ليكونوا متلقين جديرين .. دون استفزاز للشعور الوطني او النخوة القومية من جانبهم ، فالاعـلان يقنعـه بذكاء وتحضر .. ورقة بالغة ..

ومن ينادى بعد ذلك بحماية ثقافية يكون عرضـة لاعتبـاره حـاقدا على الغرب .. وليس متحضرا .

● المراة في الاعلان ●

ان استخدام المراة كنموذج للجمـال



في الاعلان يجعـل المراة اسيرة تـلك النظرة الاحادية القديمة ..

ولكن لن تتغير صورة المراة الا اذا ساهمت هي نفسها في ذلك .. فمنـذ عامين رفضت مجموعة من الفتيـات اليابانيات وضع صورهن على اغـفة بعض النشرات السياحية وكانت وجهة نظرهن ان الفتاة اليابانية ليست سلعة لترويج السلع والخدمات .. حتى ولو كانت هذه الخدمة خاصـــة بجذب السائحين الى بلادهم .. فالمراة اكثر من مجرد صورة حلوة ..وكلمة ناعمة وهكذا رفضت الفتاة اليابانية ان تكون مجرد سلعة تروج سلعة اخرى ..

وفي مجال المراة ايضا يعمل الاعلان على تدعيم القيم الجمالية الغربية .. فما تزال الفتاة الشقراء هي العنصر الغالب في معظم الاعلانات .. انهـا نموذج للجمال الغربي .. وهكـذا فالاعلان يؤكد على الانصياع للغـرب بالنسبة للغة .. واسلوب التفكير والشكل الجمالي ..

والسؤال الاخير هو : هل الاعلان في حد ذاته ترف واسراف لا ضرورة له ؟ ..

الجواب بالنفى .. فالاعلان نفسه ليس المشكلة ولكن ما يبثه من قيـم وافكار هـو ما ينبغى التنبـه له ، مثـله مثـل اى مادة اعلامية اخرى.. لقد اصبح الاعلان الآن علما اساسيـا للتسويق وترويج المبيعات ، وهو عامل هام لحفظ التنافس والجودة والتجديد بين مختلف السلع والخدمات ، وهو ..نافذه على الحـــركة التجاريـة في المجتمع ...

ولكن كل ما نطلبه هو النظر اليه ..على انه مادة اعلامية وثقافية .. وفكرية .. يتعـدى تأثيرها الدقائق القليلة التي يذاع فيها ..

دراسة الهلال

محنة الاقتصاد والاقتصاديين مرة أخرى!

بقلم: د. حازم الببلاوى

نشرت منذ عدة سنوات مقالا بعنوان « محنة الاقتصاديين وجناية السياسيين » . وقد حاولت فى هذا المقال أن أشير إلى التناقض الواضح بين الدور الهام الذى تحتله الأمور الاقتصادية فى حياتنا وبين التردى الذى وصلت إليه السياسات الاقتصادية فى العالم أجمع .

وليس الغرض من هذه المقالة اعادة ترديد ما أوردته فى المقال السابق ، وانما أود أن أستعير العنوان لتناول بعض هموم الاقتصاد والاقتصاديين فى مصر خلال الحقبة الأخيرة والتى تمتد الى مايقرب من ثلث القرن .

اكتشاف العالم الثالث وظهور قضية التنمية الاقتصادية :

فى كل وقت وجد الفقر والغنى كما قامت دول غنية الى جوار دول فقيرة ، ولكن الوعى بمشكلة الفروق فى مستويات المعيشة بين الشعوب والعمل على ازالة هذه الفروق لم يصبح من اهتمامات العالم الا منذ فترة وجيزة نسبيا ، ربما منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . فمنذ ذلك الوقت ظهرت على السطح قضية التنمية الاقتصادية فى الدول الفقيرة وضرورة العمل على علاجها كاحدى المشاكل الاساسية فى العلاقات الدولية .

ولم تشذ مصر عن هذا النمط العام ، فلم تحتل المشكلة الاقتصادية المكان الرئيسى من الاهتمامات العامة الا بعد الحرب وخاصة منذ الخمسينات . حقا لقد عرفت مصر ومنذ بداية الكفاح للاستقلال السياسى مع ثورة ١٩١٩ وقبلها ارهاصات للعمل من أجل الاستقلال الاقتصادى وكانت حاربة الثلاثى "الفقر والجهل

والمرض أحد أهم أهداف العمل العام . كذلك فقد كان انشاء بنك مصر وجهود طلعت حرب تعبيرا واضحا عن هذه الاتجاهات . على أن الوقت لم يسمح ببلورة فلسفة أو رأى عام حول قضية التنمية الاقتصادية ، فلم تلبث ازمة ١٩٣٠ أن أمسكت بخناق الاقتصاد المصرى شأن معظم الاقتصاديات التابعة ، فانصرفت الجهود بالضرورة الى محاولة تطويق أثار هذه الأزمة وخاصة على الملاك العقاريين ، ثم بدأت بوادر الاستعداد للحرب الثانية التى لم تلبث ان استعرت فى ١٩٣٩ على ماترتب عليها من وضع الاقتصاد المصرى برمته فى خدمة الحرب عن طريق ماعرف باسم تنظيم "منطقة الاسترليني" .

ومع ذلك فإنه سيكون من الظلم أن ننسى ان هذه الفترة قد شاهدت عدة إصلاحات أساسية للسيطرة على مقدرات الاقتصاد المصرى . فوضعت أول تعريفة جمركية مستقلة لمصر فى ١٩٣٠ وبها حصلت مصر على استقلالها الجمركى كذلك وضعت الدولة قوانين الضرائب على الدخول من ١٩٣٩ وأضيف إليها ضريبة التركات خلال الحرب ١٩٤٢ ثم الضريبة العامة للايراد فى ١٩٤٩ . كذلك تم الاتفاق على انهاء الامتيازات الاجنبية فى ١٩٣٧ وصدرت اول قوانين للعمل خلال الحرب .

● المتغيرات الدولية الجديدة ●

والاهتمام بالقضية الاقتصادية بعد الحرب العالمية الثانية لم يكن وليد الصدفة بل إنه حصيلة التغيرات على الساحة الدولية والتى أدت الى ظهور قضية التخلف والتنمية الاقتصادية على السطح كأحد أهم مشاكل العالم المعاصر . فقد أدى مزيد من الاتصال بين الشعوب خلال الحرب الى زيادة الوعى بالفروق فى مستويات المعيشة . كذلك ساعد الاستقلال السياسى لعديد من دول المستعمرات القديمة بعد انهاك دول الاستعمار القديم (انجلترا وفرنسا) الى بدء الاهتمام بتحقيق الاستقلال الاقتصادى لدعم الاستقلال السياسى . وفى نفس الوقت فقد كان الاهتمام باعادة تعمير أوربا واليابان مؤشرا للاهتمام بقضايا التنمية بصفة عامة . وساعدت التطورات التكنولوجية الحديثة فى وسائل المواصلات والاتصالات على مزيد من الربط بين اجزاء المعمورة والمعرفة بأوضاع مستويات المعيشة فى مختلف الدول والمناطق مما ساعد على اطلاق ثورة التطلعات ومحاولة تقليد انماط الحياة فى الدول الغنية . وهكذا ظهرت قضايا التنمية الاقتصادية وبدأت نظريات التنمية تتبلور كفرع اساسى جديد فى النظرية الاقتصادية .

● الفكر الاقتصادى فى قضايا التنمية ●

بدأ الاهتمام - كما ذكرنا - بقضايا التنمية منذ الحرب العالمية الثانية ومن ثم فقد بدأ يتميز فرع جديد من فروع النظرية الاقتصادية بقضايا التخلف فى الدول الفقيرة والتى تحررت حديثا من الاستعمار الغربى . ولقد عرف الاقتصاديون الأوائل آدم سميث ومن تبعه ثم كارل ماركس ومن



شايعه ـ اهتماما عاما بقضايا النمو بصفة عامة . ولكن الفارق الأساسى بين هؤلاء الكتاب وبين كتاب التنمية الاقتصادية المحدثين هو أن هؤلاء الآخرين لم يهتموا بمشكلة تطور المجتمعات ونموها الاقتصادى بصفة عامة وانما بظروف التطور الاقتصادى لدول لم تستطع أن تشارك بشكل فعال فى التقدم الاقتصادى والتكنولوجى العالمى . وغنى عن البيان ان ظروف الدول المتخلفة الآن والتى تتعرض لها نظريات التنمية لاتعانى فقط من أوضاع الفقر والتخلف بصفة عامة ولكنها تعانى بشكل خاص من وجودها فى أدنى سلم التطور فى عالم قطعت بعض اجزائه اشواطا هامة من التقدم والرقى ، ولذلك فإن أخطر مشاكل التخلف الذى تعانى منه تلك الدول هوأنها تأتى فى عالم متقدم بالفعل ومن ثم فانها تعانى من مشاكل التأخر الزمنى late comer وهى بهذا المعنى دول متأخرة ولذلك فان هذه الدول لاتعانى فقط من ظروف التخلف الاقتصادى والاجتماعى الداخليين وانما بوجه خاص من مواجهتها لهذه المشاكل فى مواجهة عالم متقدم وعلاقات دولية قائمة تعكس سيطرة هذا العالم المتقدم تكنولوجيا واقتصاديا . وهى أمور لم تعرفها الدول الصناعية فى بدء نموها الاقتصادى منذ نهاية القرن الثامن عشر وخلال القرن التاسع عشر .

ولعل الملاحظة الاولى التى ترد على الفكر الاقتصادى فى قضايا التنمية هى ان بداية وأساس هذا الفكر قد ولد فى العالم المتقدم ومن اقتصاديين من دول غربية واهم الاسماء فى هذا الصدد جاءت من غربيين ولعل اسماء « نركسه وآرثر لويس وهرشمان وموريس دوب وميردال » لخير دليل على ذلك ، ولم تبدأ المساهمات الأصيلة من ابناء دول العالم الثالث فى مناقشة قضايا التنمية إلا فى فترة متأخرة نسبيا واقتصرت بشكل عام على مساهمات من الهند وامريكا اللاتينية ، أما مساهمات المفكرين العرب أو المصريين النظرية فقد كانت محدودة ولم يلمع منهم على المستوى العالمى سوى أقل من القليل الذى يعد على اصابع اليد أو اليدين فى أحسن الأحوال

ومن الطريف أن أهم مساهمات كبار مفكرى التنمية الاقتصادية قد بدأت بمحاضرات القيت فى القاهرة فى سلسلة محاضرات البنك الاهلى (نركسه ، ارثر لويس ، هابرلر)

وقد عرفت نظريات التنمية الاقتصادية تطوراً معاكسا للتطور الذى عرفته النظرية الاقتصادية فالكتابات فى التنمية الاقتصادية قد سلكت طريقا خاصا بمزيد من الانفتاح على الاعتبارات غير الاقتصادية المؤثرة فى الظاهرة الاقتصادية من مشاكل اجتماعية أو مؤسسية أو قيم حضارية وثقافية أو قيود سياسة أو ضغوط دولية . وهكذا بدأت نظريات التنمية الاقتصادية بالاهتمام والتركيز على مشاكل نقص رأس المال ، وضعف القدرة على الادخار ونقص فرص الاستثمار ، ثم مالبثت ان توسعت لمناقشة المؤسسات الاجتماعية والقوى السياسة والتراث الثقافى والارتباطات التاريخية





طلعت حرب



جمال عبد الناصر

وعلاقات القوى الدولية . وهذا التطور فى نظريات التنمية الاقتصادية إنما يعكس موقفا أساسياً فى علاقة الفكر بالحياة وهى العلاقة بين مايمكن أن نطلق عليه الدقة أو الضبط Rigor وبين العملية أو الواقعية Relevance وعلى حين اتجهت النظرية الى مزيد من الضبط فإن الكتابات فى قضايا « التنمية » قد اهتمت بشكل اكبر بالمشاكل العملية ولو على حساب الدقة والضبط ، وهكذا انتهت الكتابات فى قضايا التنمية الاقتصادية بخليط من الأفكار المتنوعة ـ والمتعارضة احيانا ـ وبما لايمكن القول معه بأن هناك كيانا نظريا متفقاً عليه بين كتاب التنمية الاقتصادية . وجمع مفكرو التنمية الاقتصادية بين خليط غير متجانس من الافكار والاتجاهات تتفق كلها فى ضرورة تغيير أوضاع الدول الناميه ، ولكنها تختلف فيما بينها فيما يتعلق بتشخيص مشاكل التخلف كما تختلف فى اساليب العلاج المقترحة . كذلك جمع مفكرو التنمية بين خلفيات متعددة ، فهناك من يبدأ من منطلقات النظرية الاقتصادية المجردة وأساليب التحليل الاقتصادى المستقرة ، وهناك من يتجاهل هذه المنطلقات كليا ويرى فيها عقبة خطيرة ، ويفضل عليها منطلقات سياسية أو اجتماعية او ثقافية ، ولذلك فإن الأساس الفكرى لقضايا التنمية الاقتصادية أساس بالغ الثراء ، ولكنه بسبب التنوع والتعارض فى المنطلقات أدى الى كثير من التخبط والغموض ، وهكذا فإنه لايمكن القول بأن هناك كيانا نظريا متجانسا فى قضايا التنمية أو لغة مشتركة يتحدث بها اقتصاديو التنمية الاقتصادية .

● مسئوليات الاصلاح الاقتصادى ●

فى مواجهة هذا الاطار الفكرى لقضايا التنمية الاقتصادية تولت الحكومات الوطنية فى مصر مسئولية السياسة الاقتصادية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وقد حاولت الحكومات المتعاقبة بعد الحرب إعادة الحوار لاستكمال الاستقلال السياسى تجاه انجلترا وحل ذيول المشاكل الاقتصادية الناجمة عن

الحرب وخاصة مشكلة الأرصدة الاسترلينيه التى تراكمت لمصر خلال فترة الحرب . وقد تم الاتفاق على كيفيه الافراج عن الارصدة لصالح مصر عام ١٩٥١ . وكانت مصر قد أنضمت - نتيجة لمشاركتها فى الحرب - إلى كافه مؤسسات النظام العالمى الجديد (الامم المتحده ووكالاتها المتخصصة) كعضو مؤسس . وفى ١٩٥٢ قامت الثورة المصرية وبذلك ارتبطت جهود التنمية الاقتصادية فى مفهومها الحديث مع سياسات حكومات الثورة المتعاقبة . وقد أدى التوافق بين بداية الأخذ بسياسات التنمية الاقتصادية وبين قيام الثورة الى طبع التجربة بأكملها بطابع خاص وهو الهيمنة والسيطرة الساحقة للسلطة السياسية على المفاهيم والتطورات الاقتصادية .

وقد سبق أن أشرنا الى ان الاطار الفكرى الاقتصادى كان هشا فى مسائل التنمية الاقتصادية . ونضيف الى ذلك ان قيام الثورة فى ١٩٥٢ وقد قوضت اساس النظام القديم القائم على الملكية العقارية مع قانون الاصلاح الزراعى ثم تصفية النفوذ الاجنبى فى البنوك والتجارة بعد العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦ - قد أدى الى تقليص المصالح الاقتصادية القائمة واضعاف نفوذها وثقتها بنفسها . وهكذا بدأت حكومات الثورة فى مواجهة قضايا التنمية الاقتصادية وفى مواجهة فكر اقتصادى مشتت وغير متجانس ، ومصالح اقتصادية ضعيفة وغير منظمة . ومن ثم فقد كان للسلطة العسكرية السياسية الدور الكاسح فى رسم توجهات التنمية الاقتصادية . ومع ضعف والغاء الاحزاب السياسية وعدم تنظيم القوى الاجتماعية توافر للسلطة السياسية - كما مثلتها حكومات الثورة المتعاقبة - سيطرة شبه كاملة على مسار التطور الاقتصادى اللاحق . وازاء هذه الاوضاع كان دور الاقتصاديين محددا للغاية واقتصر على الجوانب التنفيذية دون أن يكون للاقتصاديين دور مؤثر فى التوجهات الاقتصادية الاساسية .

ولم يكن من الغريب فى مثل هذه الاوضاع أن نجد اقتصاديين من مشارب مختلفة ينفذون سياسات تتعارض مع افكارهم أو ميولهم . فسياسة عبد الناصر التدخليه - مثلا - قد تم تنفيذها لفترة طويلة عن طريق وزيره للاقتصاد عبد المنعم القيسونى المعروف بميوله اللبرالية . وعلى العكس فحين أعلن السادات سياسة الانفتاح الاقتصادى فى ورقة اكتوبر ١٩٧٤ كان المسئول عن الاقتصاد أحد ممثلى اليسار المعروف بميوله الاشتراكية . وهكذا نجد أن سياستنا الاقتصادية فى قضايا التنمية قد غلب عليها بشكل عام سيطرة السلطة السياسية . وساعد على ذلك سيادة شعار " أهل الثقة " لفترة طويلة مما فتح الباب لعدد من الهواه للتصدى للأمور الاقتصادية .

وقد أدت هذه السيطرة أو الهيمنة للسلطة السياسية على مقدرات التنمية الاقتصادية الى عدد من النتائج الهامة التى أثرت على مسار التجربة المصرية . ولعل وأهم هذه النتائج هو الأولوية المطلقة التى اعطيت لتدعيم واستمرار السلطة السياسية القائمة . فالنظام الجديد كان -

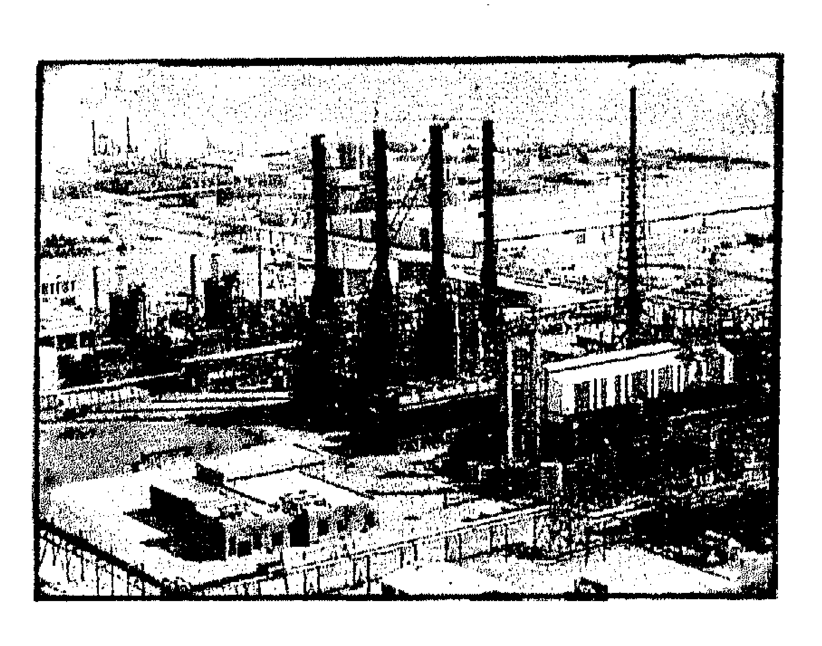
ولفترة طويلة ـ مأخوذا بفكرة الأمن والتخوف من أعداء النظام . وكذلك فان مفهوم التنمية الاقتصادية قد غلب عليه لفترات ليست بالقصيرة فكرة قوة الدولة على نحو قد لايختلف كثيراً عن مفهوم التجاريين عن ثروات الدول فى القرنين السادس والسابع عشر . وقد أدى هذا المفهوم « التجارى » لقوة الدولة الاقتصادية الى مزيد من الاهتمام بابراز مظاهر قوه الدولة فى الخارج وقبل أن تكتمل عناصر قوتها الانتاجية فى الداخل . وهذا أمر يتعارض كلية مع تجارب الدول السابقة فى مجال التنمية . فانجلترا مثلا انعزلت تماما عن حروب اوربا الدينية فى القرنين السادس والسابع عشر لكى تعود من جديد إلى ساحة العلاقات الدولية فى القرن الثامن عشر وقد تحقق لها بوادر الثورة الصناعية . والولايات المتحدة الامريكية اخذت بسياسة العزلة لبناء اقتصادها الداخلى فى القرن التاسع عشر لكى تعود الى ممارسة سيطرتها على العالم فى القرن العشرين . وسلكت اليابان سلوكا مماثلا فى القرن التاسع عشر قبل ان تقوم بدور مؤثر فى العلاقات الخارجية فى القرن العشرين .

ومع استمرار سيطرة السلطة السياسية على توجهات التطور الاقتصادى فإن ذلك لم يمنع من تناقض توجهات السياسة الاقتصادية فى مصر بشكل اساسى وخاصة فى الستينات والسبعينات ومع ذلك فقد كانت الخمسينات هى فترة الاعداد والترتيب للمرحلتين التاليتين .

الخمسينات وفترة الاعداد والترتيب

عندما واجهت حكومات الثورة فى منتصف الخمسينات المشكلة الاقتصادية كان واضحا أن الأمر يحتاج الى اعادة هيكلة الاقتصاد المصرى وترتيب العلاقات الجديدة . كان النظام القديم يعتمد على الزراعة ويسيطر الملاك العقاريين على الحياة السياسية . وكانت نسبة كبيرة من التجارة والبنوك مرتبطة بنفوذ اجنبى أو بعناصر متمصرة . وكانت بداية الصناعة المصرية الوليدة تخطو خطواتها الأولى وهى أيضا لاتخلو من سيطرة هذه العناصر المتمصرة مع وجود اساس وطنى واضح فى صناعات بنك مصر .

وقد بدأت الثورة بتصفية عناصر الملكية الزراعية السابقة لتدعيم سلطتها السياسية الجديدة ثم جاء العدوان الثلاثى فى أثر تأميم قناه السويس فمكن السلطة المصرية الجديدة من مطاردة المصالح الأجنبية والتى كان يغلب عليها المصالح الانجليزية والفرنسية . وهكذا بدأت حركه التمصير منذ ١٩٥٧ .



وفيما يتعلق باتجاه النشاط الاقتصادى ، فقد كانت الموجة السائدة بين المفكرين الاقتصاديين فى ذلك الوقت فضلا عن توصيات المنظمات الدولية ، وهى أن التصنيع هو طريق التنمية وأن الدول المتخلفة إنما تعانى من مشاكلها الاقتصادية بسبب عدم دخولها مجال التصنيع . وقد وجد هذا الاتجاه ترحيبا من السلطة السياسية الجديدة فى مصر ، والتى كانت تنظر بعينى الريبة والشك الى رجال العهد القديم وجلهم من المرتبطين بالزراعة أو النشاط التجارى . ولذلك فقد كان من الطبيعى ان تتجه الدولة الى الاهتمام بالتصنيع . فأنشئت وزارة للصناعة وتم وضع اول برنامج للتصنيع فى ١٩٥٧ .

وهذا التغيير فى توجه الاقتصاد المصرى من الزراعة الى الصناعة كان يحتاج بالضرورة الى عناصر بشرية ومؤسسية لكى تحقق هذا التغير . وقد فرضت الظروف القائمة حينذاك الاعتماد على الدولة لتحقيق هذا التغير الهيكلى . ويرجع ذلك الى اعتبارات متعددة منها : ندرة عناصر المنظمين من المواطنين الذين لهم تجربة مفيدة كذلك فقد كان هناك نوع من التشكك فى العناصر القليلة الموجودة نتيجة ارتباطاتها السابقة بطبقة الملاك العقاريين أو بالشركات اللصيقة بالنفوذ الأجنبى أو المتمصر . وهكذا واجهت الدولة فراغا فى العناصر التى يمكن ان تستند اليها فى تحقيق التطوير الاقتصادى المطلوب وكان من الضرورى الاعتماد على أجهزة الدولة لتحقيق ذلك . وينبغى الاعتراف بان هناك محاولات قد جرت لجذب اهتمام المستثمرين من القطاع العقارى والتجارى إلى الصناعة ، ولكن دون نتائج سريعة أو ملموسة .

وينبغى ان تضيف الى ماتقدم بعض الاعتبارات النظرية التى اكدت ضرورة الاعتماد على أجهزة الدولة لتحقيق التطوير الاقتصادى المطلوب ، فقد ابرز عدد من المفكرين الاقتصادين عجز جهاز السوق ودافع الربح عن ولوج الصناعات الاساسية التى تحقيق تغيير الهيكل الاقتصادى بشكل فعال . وأكد هذا الاحساس بأهمية دور الدولة فى الصناعة أن تجربة مصر المحدودة فى الصناعة والتى كان تسيطر عليها المصالح الأجنبية والشركات الصناعية المصرية المحدودة كانت دائما فى حاجة الى حماية خاصة من الدولة . وهكذا بدأت تجربة التنمية الاقتصادية فى مصر لفترة ما بعد الحرب فى حضن الادارة المصرية .

كذلك بدأت مصر فى هذه الفترة وقبل بداية الستينات فى العودة الى عادة قديمة مارستها قبل ذلك بقرن من الزمان ، وهى عادة الاقتراض من الخارج . ففى ١٩٥٨ بدأت مصر فى الاعتماد على قروض المعونة الامريكية للقمح وفقا للقانون الامريكى الشهير رقم ٤٨٠ . وفى نفس الوقت تقريبا بدأ الاقتراض من دول الكتلة الشرقية لتمويل المشروعات التنموية الكبرى فضلا عن صفقات السلاح .

وهكذا فان فتره الخمسينات تمثل مرحلة اساسية فى تاريخ مصر الاقتصادى اللاحق حيث ان معظم الاتجاهات الاقتصادية لسياسات التنمية إنما قد بذرت بذورها فى هذه الفترة .

الستينات وسياسة التدخل

بدأت الستينات بوضع الخطة الخمسية الاولى على اساس برنامج التصنيع . وقد كانت هذه التجربة أحد التجارب الرائدة فى العالم الثالث وقد استقطبت مع تجربة الهند فى التخطيط قدراً لا بأس به من الاهتمام العالمى ، وقد تضمنت هذه الخطة برنامجا طموحا للتصنيع واستندت فى تمويلها الى جانب المدخرات المحلية الى بعض القروض الخارجية من الكتلتين الشرقية والغربية على السواء . وفى بداية تنفيذ الخطة لجأت الدولة الى الاجراءات الأشتراكية المعروفة فى ١٩٦١ . وبدأ اهتمام الدولة بالجوانب المذهبية واعتناق الاشتراكية العربية أو التطبيق العربى الاشتراكى على خلاف بين المفسرين ـ يغلب على اعتبارات الكفاءة والانجاز الاقتصادى . وقد حققت هذه الفترة معدلات معقولة من النمو بلغت فى المتوسط بين سنوات ٦٠ ـ ٦٤ حوالى ٦ر٤ ٪ وهو معدل جيد ويتفق مع معدلات التنمية السائدة فى عقد الستينات بين دول العالم الثالث الأكثر نجاحا . ولذلك فأنه لايمكن التقليل من حجم الانجاز الذى تحقق فى هذه الفترة ومع ذلك فانه لايجوز ايضا التجاوز عن السلبيات التى نشأت عنها . ومن أخطرها ماواجهته هذه الخطة هى أنها وقد كانت موجهة اساساً الى « انشاء » العديد من الصناعات الجديدة فإنها لم توجه العناية الكافية للتنسيق بين هذه الصناعات من ناحية فضلا عن أن اعتبارات حسن إدارة وتيسير هذه الصناعات لم تحظ بنفس القدر من العناية من ناحية أخرى . وبعبارة أخرى فقد غلب على برامج التصنيع التى تمت فى ظل هذه الخطة الجوانب الفنية دون الاعتبارات الاقتصادية فى الربط بين العائد والتكلفة

وقد ساعد على ذلك ماساد فى هذا الوقت من أن التصنيع فى ذاته نافع للاقتصاد القومى بصرف النظر عن التكلفة وعن مراعاة المزايا النسبية التى تتطلب اختيار بعض الصناعات فقط .

وهذا هو الوقت الذى طرح فيه شعار من الابرة الى الصاروخ وهو شعار يتضمن من حسن النية والمقصد بقدر مايخفى من السذاجة وقصر النظر . وعرفت مصر عجزاً فى محصول القطن فى ٦٢ / ٦٣ وفى نفس الوقت تقريبا بدأ الانغماس فى حرب اليمن فكان أن قررت الولايات المتحدة الامريكية وقف المعونات فى ٦٤ مما أدى الى إنهيار الخطة فى سنتها الأخيرة وتدهور معدل النمو الى أقل من ٢ ٪ . وهكذا توقف عمليا استمرار النمو المرتفع الذى عرفته مصر فى بداية الخطة لكى يواجه الاقتصاد نوعا من الركود استمر منذ ١٩٦٤ وحتى حرب ١٩٦٧ المشئومة .

وجهت هزيمة ١٩٦٧ ضربة قاسمة لتجربة الستينات بكل مافيها من انجاز أو قصور ، وبدأت السلطة السياسية فى التخلى عن مسئولياتها فى التنمية الاقتصادية وتمت ادارة الاقتصاد على اساس مواجهة الاحتياجات اليوميه للشعب وبما يحقق اكبر قدر من الاستقرار



والأمن ومع استرضاء الجماهير . فخفت القيود المفروضة وتوفرت سلع الاستهلاك وبدأ التهاون فى الانضباط وانتشرت مظاهر التسيب . وكان الثمن الذى دفع لكل ذلك هو تردى معدل الاستثمار وإهمال صيانة المرافق وعناصر البنية الأساسية ودخلت مصر فى عصر من الأفول . على أن اكبر خسائر هذه الفترة هى فقد الثقة الذى عانى منه الشعب المصرى ، ثقته فى نفسه وثقته فى حكامه وثقته فى مثله . ومن هنا فقد بدأت مصر تدخل مرحلة نفسية جديدة من الانكفاء على الذات ومن الأنانية الفردية وغير ذلك من سلبيات المجتمعات المهزومة واستمر هذا الوضع حتى ١٩٧٣ حينما منحت مصر فرصة جديدة لبداية مختلفة . على أنه من الضرورى قبل أن ننتقل الى مرحلة السبعينات ان نشير الى أهم امراض مرحلة الستينات والتى لاتزال تعيش معنا حتى الأن .

مصيدة البيروقراطية وعيال الدولة

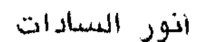
رغم ماحققته تجربة الستينات من إنجاز فانها تركت سلبيات خطيرة لاتزال تمسك بخناق الاقتصاد المصرى وتؤثر على قدرته الانتاجية . ولذلك من الضرورى الاشارة الى أخطر هذه السلبيات والتى لاتزال تعيش معنا

مع الدور المتزايد للدولة فى النشاط الاقتصادى بدأ تغلغل الاجهزه الادارية بأسمائها المختلفة - (حكومة مركزية إدارة محلية ، قطاع عام ، هيئات عامة ، جمعيات تعاونية ، نقابات ..) يسيطر على الحياة الاقتصادية . ولايتعلق الأمر هنا بالسلطة السياسية والتى تباشر مظاهر السيادة والحكم ، وإنما بأجهزتها المتعددة فى تنفيذ قراراتها ومباشرة سلطتها . والعلاقة بين الدولة بالمعنى السياسى والسيادى من ناحية وأجهزة الادارة التنفيذية التابعة لها من ناحية أخرى علاقة مركبة وبالغة التعقيد . فالادارة وأجهزتها تابعة وخاضعة للسلطة السياسية ولكنها مع الممارسة اليومية اصبحت مسيطرة على السلطة السياسية ترهنها من خلال شبكاتها المتعددة وخاصة فيما يتعلق بحجم ونوع المعلومات المتاحة للسلطة السياسية . فالسلطة السياسية العليا لم تلبث أن تصبح رهينة فى يد أجهزة الادارة والتنفيذ ، وهكذا تشعبت الاجهزة الادارية بمختلف مسمياتها تشعبا سرطانيا لم يعد من السهل السيطرة عليه

والادارة المصرية عريقه ولها جذور عميقة فى التاريخ ، ولكنها فى معظم هذا التاريخ الطويل لم تكن دائما مثالا للنزاهة والعدالة كما لم تكن أبدا عنوانا للكفاءة . وليس هنا مجال استقصاء تاريخ الادارة المصرية ، ولكن ماينبغى التأكيد عليه هو الدور الذى تباشره هذه الادارة فى التأثير فى توزيع المزايا والأعباء الاقتصادية بمقتضى قراراتها الادارية مما جعلها مصدراً وقوة اقتصادية لايستهان بها . وهذا الخطر الذى تمثله الادارة لايرجع الى طبيعة الملكية العامة بقدر مايرجع الى أسلوب الادارة الذى يستند الى اعتبارات السلطة وليس الى اعتبارات الكفاءة







انور السادات

والربط من العائد والتكلفة . فالملكية العامة لاتختلف فى طبيعتها عن الملكية الخاصة ، ولكن الادارة العامة تستند الى اللوائح والقرارات وتستمد اساسها من السلطة السياسية فى حين أن الادارة الخاصة (حتى مع الملكية العامة) تستند الى الانتاجية والكفاءة .

وأمراض البيروقراطية معروفة سواء من حيث الجمود وطول الاجراءات وتبديد الموارد وقتل الابتكار والافكار الجديدة . وقد لاحظ أحد تقارير مؤتمر الرشوة والاختلاس والانحراف الادارى للمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ظاهرة انتشار هذه الجرائم مع غلبة الحديث عن المصلحة العامة . وهو أمر طبيعى ، فمع تزايد دور البيروقراطية فى الحياه الاقتصادية يكثر بالضرورة الحديث عن المصلحة العامة . ولكن هذه الجرائم بالذات لاتجد سببا لوجودها إلا مع وجود أجهزة إدارية تستطيع بنفوذها الادارى أن تؤثر فى توزيع المزايا والأعباء الاقتصادية .

على أن خطر البيروقراطية لايقتصر على جوانب عدم الكفاءة وأحيانا عدم العدالة ولكن أخطر ماتمثله البيروقراطية هى أنها تقضى على هيبة الدولة نفسها والتى تستمد منها قوتها وسلطتها وذلك نتيجة لفقدها لفاعليتها ومصداقيتها . فلعل اكبر تناقض تخلقه البيروقراطيه والتوسع فى دور الدولة هو ان الدولة مع توسعها وتدخلها فى كل كبيرة وصغيرة فانها تصبح غير قادرة على تنفيذ قراراتها ويتجه الجميع الى تجاهلها بما فيها عمالها وموظفيها . فالدولة المتشعبة ليست دولة قوية ولكنها دولة مريضة ومترهلة . ففى خلال السنوات العشر الماضية صدر اكثر من ٧٢٠٠ قانون . فماذا كانت النتيجة . لم نعاصر وقتا امتهن فيه القانون والاجراءات الحكومية كما يحدث الأن . وهكذا فان قوة الدولة لاترتبط بحجمها وإنما بفاعليتها .

على أن مخاطر تزايد تدخل الدولة لم تقتصر فقط على عدم كفاءة الاجهزة الادارية ونموها السرطانى ، وإنما جاوزتها لم هو أخطر وهو التأثير فى اخلاقيات





العمل وحيث بدأ يتحول الافراد من منتجين مسئولين الى نوع من عيال الدولة تعولهم من المهد الى اللحد . وقد تأكد هذا المفهوم من خلال التطبيق الادارى لمفهوم الاشتراكية خلال الستينات .

فالاشتراكه فى اساسها التاريخى جزء من حركات تحرير الانسان ورفع قيمة العمل باعتبارها القيمة الأساسية . ومع ذلك فإن التطبيق الاشتراكى - ليس فى مصر وحدها - دفع الحكومات وأجهزتها الادارية الى محاربة رأس المال الخاص وتعقب احتمالات سيطرته على الحكم بأكثر مما تعمل لرفع قيمة العمل . بل أن هذه الحكومات لجأت على العكس الى تملق العمال واسترضائهم واسرفت فى بذل الدعوه ومنح الحقوق دون ان تطالبهم بتحمل مسئولية حقيقية لبذل الجهد وتحقيق النتائج .

واذا كان الاقتصاد يتعامل مع الجهد الانسانى فان المنتج الاساسى والنهائى هو الفرد ولكن الفرد لاينتج منفرداً وانما من خلال تنظيمات متعددة سواء اكانت تنظيمات انتاجية (مشروعات) أو تنظيمات سيادية (الدولة ومؤسساتها) . وهذه التنظيمات اساسية وضرورية لترشيد وتنظيم عمل الفرد المنتج ولكنها قطعا ليست بديلا عنه ، فهى فى النهاية اطاراً للنشاط الانتاجى ورقابة وتنظيما له .

ولكن يبدو أنه مع تزايد دور الدولة فى النشاط الاقتصادى ساد شعور بأن الانتاج هو مسئولية الدولة وتخلى الافراد بالتالى عن مسئولياتهم . فالدولة تضمن للافراد التعليم والصحة والخدمات الاساسية ، الدولة توفر لهم السلع بأسعار رخيصة ، والدولة تضمن للجميع حق العمل وتوفر المعاشات والتأمينات للجميع . وهكذا اصبحت مسئولية الانتاج فى يد الدولة وتخلى الافراد بالتالى عن مسئولياتهم ليصبحوا عالة على الدولة . وبذلك وجدنا تناقضا غريبا وهو انفصال العمل عن العائد من مجتمع اشتراكى يستمد مثالياته من تقديس قيمة العمل .

وفى هذا الجو غلب النفاق العام وانفصل القول عن الفعل . ومع كثرة الحديث عن المصلحة العامة غلبت المصالح الخاصة على عدد كبير من قرارات واجراءات الادارات والاجهزة الادارية . وأخيرا فقد كان « الكيف » أحد ضحايا هذه العلاقة الابوية بين الحاكم والمحكومين ، فمع رغبة الدولة فى ارضاء اكبر عدد من « العيال » فقدت قدرتها على تقديم خدماتها على نحو ومستو مقبولين . فالدولة تعد بالتعليم المجانى فى المدارس الابتدائية وحتى الجامعة ، ولكن خدمة التعليم تختفى تماما فى المدارس الحكومية ويصبح التعليم مع الدروس الخصوصية خدمة بالغة التكاليف .

عصر النفط

مع بداية السبعينات بدأت تظهر فى الأفق متغيرات جديدة وخاصة فيما يتعلق بثورة النفط وتدفق الأموال على المنطقة بشكل لم يسبق له مثيل وكان من الطبيعى

محاولة الافادة من هذا التغيير الجديد خاصة وأن سياسة التدخل السابقة فى الستينات كانت قد استغرقت حدودها منذ نهاية الخطة الخمسية الأولى وخاصة مع ١٩٦٧ وقد حاولت ورقة اكتوبر ١٩٧٤ أن تفتح صفحة جديدة فى مسار الاقتصاد المصرى مع مزيد من الاهتمام بتهيئة المناخ للاستثمارات العربية والاجنبية وافساح المجال بشكل أكبر للسوق والقطاع الخاص . وهى السياسة التى عرفت فيما بعد باسم سياسة الانفتاح الاقتصادى .

ومن المفيد أن ندرك أن عصر النفط لم يكن مجرد توافر اموال جديدة وفرص للمشاركة فى عائداتها عن طريق العاملين ، وإنما يتضمن هذا العصر منطقا خاصاً للعلاقات الاقتصادية وقواعد السلوك ولم يلبث هذا المنطق ان انعكس على الأوضاع فى مصر مما كان له أبلغ الأثر .

كلنا نعرف ان الظاهرة النفطية هى فى أساسها ظاهرة ريع بمعنى أن اصحابها حققوا دخولا نتيجة لصدفة جيولوجية وهى تواجد النفط فى باطن أرضهم فى مرحلة معينة من تطور الاقتصاد العالمى . حقيقة من الناحية النظرية فإن عائدات النفط لاتمثل دخولا بالمعنى الاقتصادى الدقيق بل هى عبارة عن تصرف فى أصول أو ثروة ولكن هذا التحليل لاقيمة له لأن المحك هو كيفية سلوك الأفراد والجماعات إزاء الظاهرة الجديدة . وقد عاملت الدول النفطيه إيراداتها من النفط باعتباره دخولا جديدة تنفق على مظاهر الاستهلاك أو صور الاستثمار المختلفة . وبذلك فقد استقر فى الاذهان ان هذه ايرادات تحققت دون ان يكون لها صلة بالعمل . وهكذا تكرست مفاهيم جديدة تفصل بين العمل والعائد . فالدخول ترتبط باشياء كثيرة ليس من بينها العمل الجاد احيانا الحظ أو الصدفة أو الخير . كذلك ادت الفجائيه التى تحققت بها زيادة اسعار النفط الى الاعتقاد بامكان تحقيق الارباح السريعة من اية استثمارات . ففى خلال الفترة من ١٦ اكتوبر ١٩٧٣ وحتى يناير ١٩٧٤ ارتفعت اسعار النفط حوالى اربعة اضعاف . وهكذا كانت صورة المستثمر النفطى الجديد وليس من الغريب ان يتوقع هذا المستثمر الوافد تحقيق ارباح كبيرة وسريعة أما ارتباط العائد بالعمل الجاد المضنى فهو أمر غير مألوف لديه لايستطيع عليه صبرا . ولذلك فقد كان ميدان المضاربات وخاصة فى العقارات اكثر المجالات اثارة لاهتمامه وكذلك مجالات السياحة والتجارة بدرجة أقل .

على أن سيطرة العقلية الريعية المصاحبة للظاهرة النفطية لم تقتصر على الاستثمارات الوافدة وإنما انعكست على سلوك اعداد كبيرة من المصريين الذين فتحت امامهم فجأة فرصة العمل فى دول الخليج بأجور ومرتبات لاصلة لها بالعمل الذى يؤدونه فالحصول على عقد عمل فى احدى دول الخليج نتيجة لوجود قريب أو صهر يعمل فى احدى هذه الدول هو الطريق الى الثروة . ولم تقتصر هذه الفرص الجديدة على عدد محدود بل أنها أصابت شرائح كثيرة من المجتمع بكل المستويات ومن كافة المناطق . ففرص الترقى والتقدم لم تعد متاحة للعمل الجاد أو الافكار المبتكرة وانما لسعيد الحظ الذى يوفق فى الحصول على عقد عمل فى



احدى هذه الدول . ومع كثرة المهاجرين لدول النفط أصيب الباقون بحالات من القنوط والاحباط وبحثوا عن فرص مماثلة للكسب السريع بكل الوسائل واستغلال كافة المنافذ لتحقيق منافع لهم لمجاراة زملائهم حسن الحظ اصحاب عقود العمل .

ولم تقتصر العقلية الريعية على فصل العلاقة الاساسية بين العمل والعائد بل أنها فجرت فوق ذلك ثورة التطلعات والشره الاستهلاكى . فانماط الاستهلاك الترفى والتفاخرى لم تعد فقط معروفة لدى شرائح محدودة من المواطنين وانما أصبحت فجأة متاحة لعدد كبير لمجرد السفر الى الخارج أو سفر أحد افراد الاسرة الى احدى الدول النفطية . وقد شكلت هذه الانطلاقة للتطلعات الاستهلاكية ومع وفرة القوة الشرائية ضغطا شديدا على انماط الاستثمار . فمع وجود سوق محلية كبيرة وشرهة لأشكال الاستهلاك الترفى أصبحت اكثر النشاطات ارباحاً هي تجارة السلع المستوردة . ومن ثم فقد اتجه النشاط الاستثمارى المتاح لخدمة هذا الطلب المتزايد .

ولم يقتصر الاتجاه الريعي على الفرص المتاحة للافراد للافادة من اموال النفط الريعية في دول الخليج بل ان الاقتصاد المصرى اتيح له عدد من مصادر التمويل الخارجية التى كادت تحوله الى اقتصاد ريعى لايعتمد على عمل ابنائه وانما على أوضاع العلاقات الدولية وظروفه المكانية . فزادت موارد الدولة من النفط بعد استرجاع حقول سيناء - ومن قناة السويس - بعد فتحها ومن القروض والمعونات الأجنبية ومن تحويلات العاملين ومن السياحه . وأصبحت هذه الدخول تمثل حوالى ٤٠ ٪ من مجموع الناتج المحلى . وهكذا واجهت مصر عصر السبعينات وقد كادت أن تصبح دولة ريعية لا تختلف عن غيرها من دول النفط الريعية .

سياسة الانفتاح

لايمكن مناقشة فترة السبعينات دون التعرض لسياسة الانفتاح الاقتصادى وقد بدأ تطبيق سياسة الانفتاح فى ظل نظام كان يغلب عليه تدخل الدولة بشكل واسع ولكنه قليل الفاعلية . فهناك دولة كبيرة ولكنها مترهلة وضعيفة وكان الغرض من سياسة الانفتاح هو تخفيف القيود الادارية والعودة للمؤشرات الاقتصادية فى الكفاءة مع فتح الباب للقطاع الخاص للمشاركة فى النشاط الاقتصادى على نحو اكثر فاعلية ، ودعوة رءوس الاموال العربية والأجنبية للاستثمار فى مصر .

وينبغى الاعتراف بأن الاقتصاد المصرى كان يعانى فى ذلك الوقت من مشكلات اساسية تحول دون إمكان الافادة القصوى من الظروف المواتية للافادة من ثورة النفط وتدفق الأموال التى صاحبها . فقد كانت هناك مدن القناة المدمرة وسكانها المشتتين فى ربوع القطر . ومع انتهاء العمليات العسكرية بعد حروب استمرت ثلاثين عاما كان هناك ضغطا سياسيا - وربما دوليا - لاعادة تسكين وتعمير هذه المناطق ، كذلك ترددت حالة

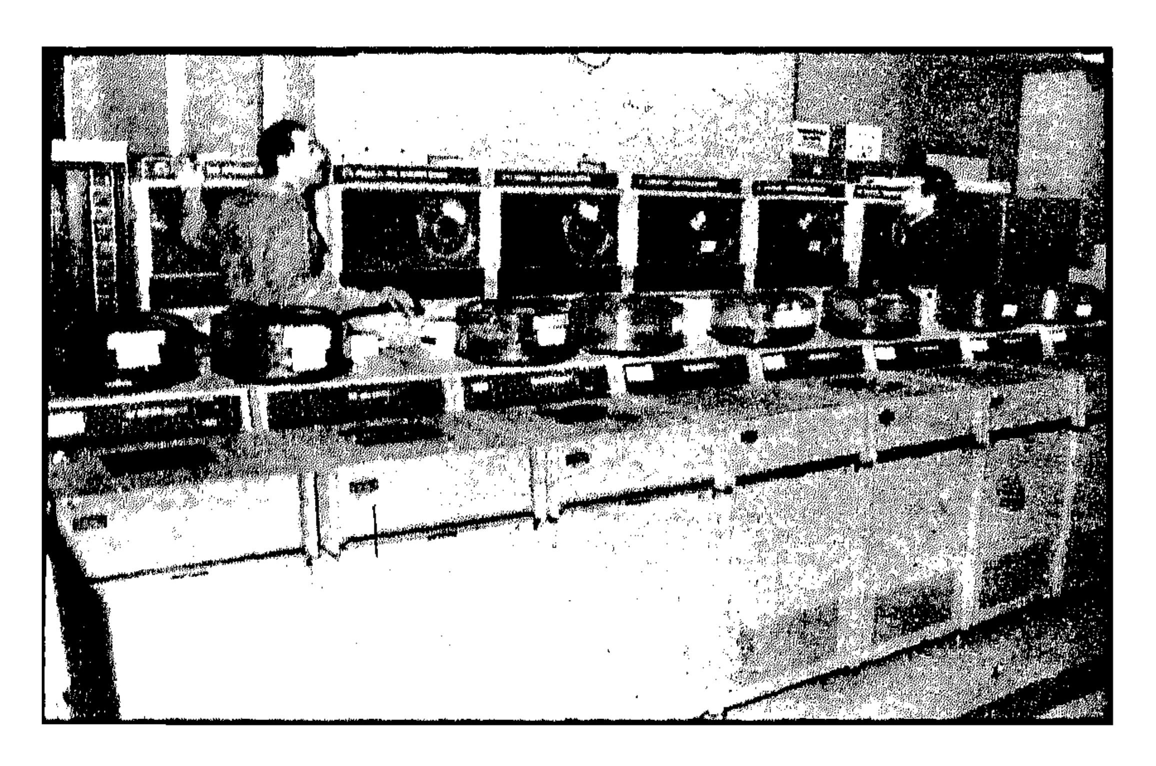
المرافق الاساسية بشكل شديد نتيجة لاهمال الصيانة لسنوات طويلة . ومن ثم فان مرافق التليفون والتلكس وشبكات الكهرباء والمواصلات بصفة عامة فضلا عن شبكات المياه والمجارى - كانت كلها فى اوضاع بالغة السوء لاتساعد على التفكير فى القيام بنشاط إنتاجى مكثف وسريع ، ولذلك فقد كان من الواجب القيام ببرنامج استثمارى سريع لتأهيل البنيات الأساسية والمرافق العامة وهو من انواع الاستمارات الأساسية والتى لاتغل عائداً مباشراً . وقد تم بالفعل إنجاز معقول فى هذا الميدان مما أدى الى تحسين العديد من المرافق الاساسية . ولكن لازالت هناك العديد من التحفظات حول أسلوب تنفيذ هذه الاستثمارات وخاصة فيما يتعلق بدور المكاتب الاستشارية وعلاقتها بأجهزة الادارة .

على أن أخطر ماواجه سياسة الانفتاح هو أسلوب تطبيقها والذى ساعد على تشويه العديد من ممارساتها . فالاساس فى سياسة الانفتاح هو مزيد من الاعتماد على المؤشرات الاقتصادية واعتبارات الكفاءة سواء بالنسبة للقطاع العام أو القطاع الخاص . وهذا مايتطلب حكومة وادارة قوية وفعالة من ناحية وادارة اقتصادية قوية وقادرة من ناحيه أخرى . وفى كثير من الاحيان كان ينقصنا الأمران فالدولة - رغم كبر حجمها وتوسع نشاطها - كانت ضعيفة وغير فعالة والادارة الاقتصادية للقطاعين العام والخاص - كان ينقصهما الكفاءة والقدرة . وليس الامران منفصلين اذ فى كثير من الاحوال كانت هناك شبهه تواطؤ بين البيروقراطية وبين ممثلى الادارة - من القطاعين العام والخاص - بحيث بدا الانفتاح كما لو كان ثغرة فتحتها البيروقراطية لكى تشارك فى المزايا الاقتصادية تحت عباءة الانفتاح الاقتصادى .

فعندما تم البدء فى تنفيذ سياسة الانفتاح لم يتم ايه اعادة نظر فى أجهزة الادارة وظلت معظم قواعدها واجراءاتها ونفوذها على ماهى عليه ، وأضيف الانفتاح بمعنى اتاحة الفرصة للقطاع الخاص الى هذا البناء القائم . ومن ثم فقد أضحى الانفتاح نوعا من السماح للنشاط الخاص فى ظل سلطان الادارة غير المنضبطة والتى لاتخلو من غموض حينا وتحكم أحيانا ، وهكذا وجدت أجهزة الادارة بأشكالها المختلفة فى الانفتاح الاقتصادى فرصة جديدة لمزاولة ومضاعفة مزاياها الاقتصادية . ولذلك فقد كانت مشاركه ممثلى القطاع العام السابقين والحاليين فى اشكال النشاط الجديد تحت اسم الانفتاح أحد العناصر الاساسية للسياسة الجديدة وقد أشارت دراسة حديثة لباحثه (ساميه حسنين) عن التحالف بين عناصر البيروقراطية والانفتاح الجديد . وأن هذه العناصر « استغلت وظائفها ومناصبها داخل الجهاز الحكومى والقطاع العام فى تجميع الثروة مسخرة جهاز الدولة لتحقيق مآربها الشخصية وهاهى الأن تواصل مسيرتها بعد أن قننت لها الفرصة فى ظل سياسة الانفتاح الاقتصادى » .

ان البيروقراطية والاجهزة الادارية التى خرجت من القمقم فى الخمسينات استولت على الاشتراكية فى الستينات وهاهى تفسد الانفتاح فى السبعينات باسم المصلحة العامة . وكم من الجرائم ارتكبت باسم المصلحة العامة .

بنك مصر ومسيرة خمس سنوات مع التطور العلمى والتكنولوجى



صالة الحاسب الآلى ببنك مصر

● اذا كانت الدول تعتمد فى تقدمها على وجود نظام مصرفى قومى يدعم الاقتصاد ويدفع بخطواته نحو التقدم . فان بنك مصر هو دعامة هذا التطور فى الاقتصاد المصرى بما يحويه من الرجال المتخصصين ذوى الكفاءة العالية ، والقيادة الواعية التى ادركت دورها فى نمو الاقتصاد الوطنى ، وبما استقدمته من اجهزة متطورة حديثة .

نشأة جهاز الحاسب الآلى :

وحتى تستمر مسيرة التقدم اتخذ مجلس ادارة البنك فى منتصف عام ١٩٧٦ قرارا بتشكيل لجنة عليا لدراسة مستقبل ميكنة حسابات البنك بعد مضى ما يقرب من ٢٢ عاماً منذ صدور اول قرار للبنك باستخدام آلات ميكانيكية عام ١٩٥٤ . وقد اصدرت اللجنة تقريرا خلاصته :

● ان عددحسابات العملاء بالبنك سوف يبلغ عام ١٩٨١ حوالى مليون حساب ، وان استخدام الالات الميكانيكية لن يؤدى الى ملاحقة التطور فى كم ونوع الخدمات المقدمة للعملاء

● ان البنك قد درج لظروف خاصة بالسياسات الاستثمارية فى الدولة الى التوسع الافقى فى عدد الالات دون التوسع

الرأسى فى طاقاتها .

وانه لابد من البحث عن وسائل جديدة لمواجهة التطورات المصرفية العالمية فضلا عن تقديم خدمة أفضل واسرع للعملاء .

وأن التوسع فى المساحات المقررة للخدمة المصرفية وعدد الموظفين لن يؤدى الى حل حاسم بعد مرور خمس سنوات من تاريخ التقرير .

وفى ١٨ اكتوبر سنة ١٩٧٧ اتخذ مجلس الادارة قراره الحاسم بادخال الحاسبات الالكترونيه فى بنك مصر وبدأ العمل فعلا فى أول يناير سنة ١٩٧٨ بعد ان اختار المجلس أحد ابناء البنك ليكون مشرفا مسئولا عن جهاز الحاسب الآلى .

ووضع الجهاز استراتيجية محددة تتلخص فى الآتـى :

- ان بنك مصـر بحجمه الكبير يجب ان يكون رائدا كعادته فى مشروع الحاسب الآلى
- انه لابد من ربط مختلف فروع البنك بـالحـاسب الآلى عن طـريق شبكـة المعلومات .
- انه لامجال لتوقف الآلة ، وبالتالى لابد من وضع خطط بديلة واختيار آلات تكفل استمرار العمل . وانه لابد من البدء بالنظم ذات الاتصال المباشر بخدمات الجمهور
- وانه لابد من الأخذ بآخر ما وصل اليه العلم فى هذا المجال والاعتماد على خبرات ابناء مصـر .
- أن يتم البدء بميكنة فروع البنك ذات الكثافة العالية من حيث عدد المتعاملين

منجزات جهاز الحاسب الآلى :

- بدأ الجهاز فى تنفيذ خطته بتدريب فئة مختارة من ابناء بنك مصر تدريباً شاقاً حتى أصبح يتوافر لدى بنك مصـر ارفع خبرات الحاسب الآلى ممثله فيما يزيد على مائه شخص فى مختلف التخصصات ... وبدا العمل الشاق وكانت أولى ثمراته ..

ـ تشغيل نظام العملة الأجنبية فى فرع مصطفى كامل فى ٢٩ /١١ /١٩٨٠ .. لتخدم ٥٠٠٠ عميل .

ـ تشغيل نظام الحسابات الجارية بالعملة المصـرية فى فرع القاهرة فى ١٩٨١/١/١ ليخدم ٥٠٫٠٠٠ عميل .

وتوالت بعد ذلك منجزات جهاز الحاسب الآلى على مر السنوات فى تشغيل الانظمة القائمة على الحاسب الآلى فى مختلف فروع البنك فكانت كما يبينها الجدول رقم (١)

الجدول رقم (١)

التاريخ	عدد الفروع	عدد العملاء		عدد المراسلين والبنوك	حسابات التوفير		عملاء الشهادات الدولارية	الكبيالات
		محلى	أجنبى		محلى	أجنبى		
١٩٨٢/٦/٣٠	٦	٦٩٧٣٠	٨٨٢٢١	٣٤٧٠	-	-	-	-
١٩٨٣/٦/٣٠	١٤	١٠٢٨٣٤	١٠١١٣٠	٤٢٢٥	-	-	-	-
١٩٨٤/٦/٣٠	٢٥	١٤٠٣٥٧	١١٣٠٨٦	٥٠٦٤	٦١١٢٤	٢٣٠٠٠	٢٣٥٦٣	
١٩٨٥/٦/٣٠	٣٦	١٨٢٤٤٣	١٣٨٢١٥	٥٨٨٩	٩١٦٧١	٣١٠٧٩	٢٩٩٧٦	
١٩٨٥/١١/٣	-	-	-	-	-	-	-	عملاء ٢٠٠ [illegible] ١٣٩ كبيالات ٦٩٤
١٩٨٥/١٢/٨	٣٨	٢٠٧٣٤٩	١٥٨٥٧٦	٦٥٥٧	٩١٥٣٤	٣١٤٥٤	٢٦٤٠٧	

● من بين ٣٨ فرعا تعمل بنظام الحاسب الآلى يعمل ١٧ فرعا بنظام التشغيل المباشر بها ٩٥ الة اتصال طرفيه ، و ٣٦ وحدة طباعة متصلة مباشرة بالحاسب الآلى . ويبين الجدول رقم (٢) تطور متوسط عدد العمليات اليومية المنفذة على الحاسب الآلى فى شهر يونيه من الأعوام

١٩٨١ : ١٩٨٥ بالنسبة للفروع المطبق فيها النظام .

الجدول رقم (٢)

الشهر	النظام	السنة				
		١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥
يونيه	نظام المجموعات BATCH	٦٠٨٠	٨٤٩٨	٦٠٠٧	١٥٤٥٠	١٧٦٦٨
	نظام التشغيل المباشر ONLINE	–	١٩٥٨	٨١٧٤	١٢٤٠٥	٢٢٨٦٢
		٦٠٨٠	١٠٤٥٦	١٤١٨١	٢٧٨٥٥	٤٠٥٣٠

وحتى يمكن بيان التطور فى حجم العمل سناخذ فرع القاهرة كاساس للقياس حيث انه هو الفرع الرئيسى للبنك حيث كان متوسط عدد الحركات اليومى سنة ١٩٨٠ ٥٤٩٦ حركة فى حين قفز هذا الرقم الى ١٤٣٢٨ حركة سنه ١٩٨٥ اى ما يقرب من ثلاثة اضعاف

ومن الطبيعى ان زيادة حجم العمل تتطلب زيادة عدد الموظفين والآلات الحاسبة المساعدة ثم زيادة المكان الذى يستوعب الموظفين والالات وذلك للمحافظة على مستوى الخدمة .

وعلى العكس من ذلك نجد ان الحاسب الآلى قد استوعب الزيادة فى حجم العمل بكفاءة أعلى وفى نفس الوقت قام بتوفير ٧٦ موظفا و ٦٠ آلة دفعة واحدة فى فرع القاهرة وحده ناهيك عن المكان .

مزايا أخرى حققها الحاسب الآلى :

● ساعد الحاسب الآلى على تقليل الوقت اللازم لخدمة العميل ، حيث قام بادخال نظام « الصراف الوحيد » « Single teller » حيث تم التخلص من نظام النحاسة وأصبح العميل يتقدم لموظف واحد ويحصل على الخدمة كاملة منه فى اقل من ثلاث دقائق .

● تحسين ظروف العمل وذلك بالتخلص من الآلات ذات الضوضاء العالية والتخلص من كشوف الحسابات المكدسة والعمل الروتيني الذى كان يستنفد وقت وجهد الموظفين .

● حساب الفوائد للعملاء اتوماتيكيا وبدقة متناهية .

● استخراج كشوف الحسابات واحتساب المصروفات اتوماتيكيا .

● استخراج الميزانيات اليومية والمركز المالى للبنك كل يوم .
● ضبط حسابات الفورع فى نفس اليوم بعد أن كان يتم بفارق ٥ أيام
● فتح الفروع الجديدة وتشغيلها بالحاسب الآلى منذ اليوم الأول مما يوفر التكلفة الاستثماريه التى كانت سوف تنفق فى شراء الآلات الميكانيكية التقليدية .

كارت مصر

وتمشيا مع اهداف جهاز الحاسب الآلى بالأخذ بأحدث ما وصل اليه العلم فى العالم وتقديم أفضل الخدمات المصرفية لعملاء بنك مصر كان من الطبيعي أن يأخذ البنك دوره الرائد ويقدم لعملائه خدمة مستمرة فى ايام الجمع والعطلات وليلا ونهارا من خلال خدمة « كارت مصر » لعملائه فى مايو سنة ١٩٨٣ . البنك الشخصى التى أنفرد بتقديمها بنك مصر لعملائه فى مايو سنة ١٩٨٣ .. قبل أن يفكر أى بنك فى مصر مجرد التفكير فى مثل هذه الخدمة .

ويسطيع عميل اى فرع من فروع البنك فى القاهرة ، والاسكندرية الحصول على هذه الخدمة المتميزة عن طريق فرعه فتفتح له ابواب كل آلات البنك الشخصى المنتشرة فى القاهرة والاسكندرية .. ويستطيع العميل الحصول على مجموعة خدمات مصرفية متكاملة من أى آلة باستخدام الكارت مع الرقم السرى الذى يستخرج من الكمبيوتر فى مظروف خاص مغلق لايعرفه الا العميل . ويمكن للعميل ان يقوم بعمليات السحب النقدى وايداع الشيكات والكمبيالات والايداع النقدى وطلب كشف الحساب ودفتر الشيكات كل ذلك من اقرب الة فى طريقة وفى الوقت الذى يحدده العميل دون التعرض لمخاطر حمل مبالغ كبيره فى جيبه .

اما عن كيفية استعمال الالة فقد روعى فى تصميم البرامج ان تقود الالة العميل عن طريق ما تعرضه من رسائل ورسومات على الشاشة عن كيفية الحصول على الخدمة ... وللبنك الآن شبكة من الات « كارت مصر » من ١٤ آلة منتشرة فى انحاء القاهرة والاسكندرية أما الكروت فتصدر من ٣٧ فرعا وقد اقبل العملاء على هذه الخدمة المتميزة فاصبح عدد العملاء الآن ١٥٫٠٠٠ عميل قاموا بتنفيذ جميع العمليات المصرفية الآتية .

السحب النقدى ١٥٩٧٠١ عمليه .
الايداع النقدى ٢٤٩٦ عمليه .
الايداع بالشيكات ٨٦٤ عمليه .
طلب كشف حساب ٥٩٠٨ عمليات .
طلب دفتر شيكات ٢٢٩١ عمليه .

والآن وبعد مرور خمس سنوات فان بنك مصر بإستخدامه لهذا الجهاز الضخم ليطوى صفحة من صفحات التخلف ويثرى الجهاز المصرفى باحدث ما وصل اليه العلم فى مجال تقديم الخدمات المصرفية ..
● إن بنك مصر بإنشائه شبكة لنقل المعلومات لأول مرة ليقدم للجهاز المصرفى ثمرة جهد وعرق وخبرة فى مجال إنشاء شبكات المعلومات .
● إن بنك مصر باستحداثه لنظام الصرف الآلى « كارت مصر البنك الشخصى » فى السوق المصرية ليؤكد دوره الرائد على الدوام فى قيادة الجهاز المصرفى فى مصر ليواكب احدث مايقدم من الخدمات المصرفية فى العالم المتقدم .
● إن بنك مصر بتكوينه لكوادر تخصصت فى هذا العلم النادر ليثرى حصيلة مصر من ابنائها القادرين على التعامل مع أحدث ماوصل الية العلم .
وأخيراً .. فإن مستقبلنا رهن بتحقيق تصوراتنا .



● رسالة من كاتب فلسطيني ●

● تحية أخوية صادقة من أعالى الجليل أبعثها اليكم لأن الهلال العزيزة علينا كلنا فى هذا العالم العربى ستظل مجلتنا ومنارة حضارتنا العربية ..

أيها الأعزاء عندما أرسلت اليكم رسالتى حول مقالة الكاتب عبدالرحمن شاكر كان هدفى واضحا ومحددا فى تزويد مجلتنا العزيزة بالحقائق .. ثم لفت انتباه أهلنا فى الهلال وكل مصر أننا نحن عرب فلسطين نرفض التقسيم المذهبى ونرى فى أبناء شعبنا العربى شعبا واحدا وأمة واحدة كما علمنا وربانا الزعيم المرحوم جمال عبدالناصر .. ولم يكن قصدى الدفاع عن أحد .. وقد فوجئت بما قرأته فى العدد الأخير من الهلال (عدد نوفمبر) مما أعتبره مسا مباشرا بى ولايرتكز على الحقائق .. وحتى يكون الأمر واضحا أؤكد :

١ ـ أننى أنا ـ نبيه القاسم ـ من كتاب الشعب العربى ـ من سكان قرية الرامة الجليلية الواقعة بين مدينتى عكا وصفد درست اللغة العربية وآدابها والتاريخ العام فى الجامعة العبرية فى القدس وأعمل مدرسا فى مدرسة الرامة (بلدتى) الثانوية .

٢ ـ أننى أصدرت حتى الآن عدة كتب أثارت اهتماما واسعا منها (واقع الدروز فى اسرائيل) ومجموعة قصص باسم (ابتسمى ياقدس) وكتاب دراسات فى القصة الفلسطينية المحلية ، وكتاب فى النصوص الأدبية دراسة تحليلية ، وكتاب دراسات نقدية ، ومذكرات سلطان باشا الأطرش .

٣ ـ أننى لا أعمل فى التلفزيون الاسرائيلي .. وحتي لا أعرف شكل البناية من الداخل .. ولا أعرف من أين استقي الكاتب عبدالرحمن شاكر هذه المعلومات غير الصحيحة .

٤ ـ أن مجلة الجديد تصدر فى حيفا منذ عام ١٩٥١ وهى مجلة يصدرها الحزب الشيوعى وكان لها الفضل فى حفظ ورعاية الحركة الثقافية العربية فى البلاد بعد عام النكبة .. وعلى صفحاتها تربت أجيال المثقفين والكتاب والشعراء أمثال راشد حسين ومحمود درويش وسميح القاسم واميل حبيبى وتوفيق زياد وغيرهم .

٥ ـ أن مقالتى حول كتاب الدكتور سليمان بشير (مقدمة فى التاريخ الآخر ـ نحو قراءة جديدة للرواية الاسلامية) نشرت فى مجلة « الجديد » الصادرة فى حيفا وكذلك أعادت نشرها مجلة « البيادر » الصادرة فى القدس العربية

وذلك لأهميتها .. وكان قصدى من ارسالها للهلال حتى تلقى ضوءا واضحا حول الكتاب .

٦ - يتهمنى الكاتب عبدالرحمن شاكر بأننى أشارك الكاتب رأيه فيما أورده من آراء فى كتابه .. وهذا غير صحيح فقد كنت الوحيد من كتاب البلاد بتناولى للكتاب بالعرض والمناقشة وفضح الزيف الذى فيه ومهاجمة كاتبه .. واذا كان أسلوبى الهادئ أسئ فهمه فليس هذا مايبرر الهجوم على واتهامى بما أنا برئ منه .

٧ - أنا أيضا كمسلم أرفض كل مايمس الرسول والقرآن والسيرة النبوية من تشويه .. وهذا ماحدانى لمناقشة الكاتب .. وهذا الحرص لم يمنعنى من رفض التوجه المذهبى المسئ لمسيرة شعبنا ولم تهمنى هوية الكاتب وانتمائه المذهبى .

٨ - كنت أتمنى لو نشرت الهلال مقالتى .. ولكن ذلك من حقكم وليس لى اعتراض عليه ..

٩ - يهمنى أن تظل الهلال المجلة التى كبرنا على قراءتها وحبها ومتابعتها .. وأن يهتم القائمون على تحريرها بتحرى الحقائق الدقيقة قبل نشرها حتى لايساء الى برئ ولايتهم مظلوم ..

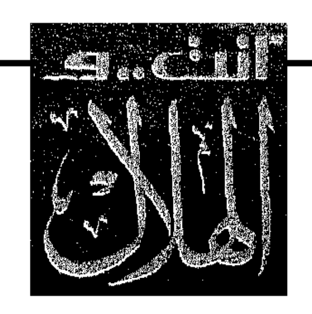
أيها الأخوة الاعزاء كل ما أطلبه هو أن تنشروا توضيحا فقط بأننى لا أعمل فى التليفزيون الاسرائيلى .. وأننى من الكتاب اليساريين الذين لايرضى عنهم القائمون على التليفزيون ومن فوقهم .. لأننى رأيت اساءة لى وتشويها لاتبرير له ...



نبيه القاسم
الرامة - الجليل الغربى

● تعليق

- مقال الأستاذ شاكر لم تمسك شخصيا . ولكنها تناولت بالتفنيد الهادئ أكاذيب وخزعبلات وجهالات الدكتور الذى تذكره ، فإن هذا الدكتور الذى يكتب فى التاريخ قد ضلله الصهيونيون حتى حولوه الى مسخ عقلى يهذى كما يهذى مختبل ينكر الحقائق البدهية . واستملى من خياله الذى مسخه الصهيونيون تاريخا جديدا لا وجود له فى صفحات التاريخ ، ولاعجب فإن سادته إو ماسخيه الصهيونيين هم أكبر المجترئين على الحقائق والتواريخ ، وهم أكبر مزيفى ومزورى الحقائق والتواريخ على امتداد تاريخ الانسانية كلها ، حتى إن هتلر وعصابته ليعتبرهم بعض الناس متواضعين قليلا فى هذا المجال إذا قيسوا بمزورى الصهيونية وعملائهم الصغار ..



● دور المثقفين الحضارى ●

● طرح الهلال فى عدد سبتمبر الماضى قضية مسئولية المثقفين عما يحدث فى مصر ، وموقفهم من قضية تخلف التطور الحضارى فى العالم العربى . وقضية الاصالة والمعاصرة ، وفتح الهلال ملفا للبحث عن الأسباب الحقيقية لازدهار الصناعة والتنمية فى التجربة اليابانية وتدهورها فى بلادنا بصورة ملحوظة ..

وقد يكون من الطبيعى ان نلقى بعضا من الضوء على تجربة التحديث فى اليابان ، فقد بدأت تجربتها فى سنة ١٨٦٦ عندما تنبهت إلى أنه لامناص من استخدام وسائل الغرب الحديث للدفاع عن كيانها ووجودها .. وكانت أعظم ثورة تحديثية استهدفت خروج اليابان من عزلتها والتحرر من جمودها الطويل باتباع كل وسائل العالم الغربى وأساليبه لاحياء المجتمع اليابانى وانهاضه ولكن دون التفريط فى هويتها الحضارية المتميزة ، وفى مدى جيل واحد تحولت اليابان تحولا عميقا من مجتمع متخلف إلى مجتمع صناعى متقدم ، وتصدرت مكان الريادة فى حركة عالمية هى حركة مقاومة الغرب الحديث باتباع أساليبه واستيراد انماط الفن الانتاجى المتقدم من أوربا بدأت ببطرس الأكبر فى روسيا والسلطان محمود الثانى فى تركيا ومحمد على فى مصر .

واسترعت التجربة اليابانية أنظار المثقفين المصريين ، فيؤلف الزعيم الوطنى مصطفى كامل فى سنة ١٩٠٤ كتاب « الشمس المشرقة » عن اليابان وقد اراد به أن يستنهض همة المصريين فى سبيل التعمير الحضارى وأن يضرب لهم المثل بهذا المجتمع الشرقى الذى لم يكن شيئا مذكورا ثم صار فى الصف الأول بين الدول القوية بفضل انتماء الانسان اليابانى إلى وطنه وامته وتضحيته فى سبيلها ..

ويقودنا الحديث عن التجربة اليابانية الى الحديث عن التجربة المصرية من خلال مشروع محمد على القومى للبناء ، وحفيده اسماعيل ، ثم المشروع القومى للتحديث فى ظل ثورة ٢٣ يوليو ، وقد لعب المثقف المصرى دورا حيويا فى محاولات التنوير وتطوير المجتمع المصرى ، ولم يقصر فى حق مجتمعه بل أنه كان يحاول قدر طاقته ومن موقعه الاجتماعى والطبقى وانتمائه الوطنى أن يساهم بجهده فى محاولات التحديث والتنمية .

إن تجربة محمد على ومشروعه القومى الحضارى وقد سبقت بها مصر اليابان تجربة تستحق الدراسة والتامل ، فقد أسقط محمد على من حساباته دور الشعب المصرى فى البناء فالمصريون فى رأيه « لايصلحون إلا لحمل الاثقال وسوق الحمير » . كما أن التجربة اهتمت بالتنمية المادية والتكنولوجية لخدمة اغراض جيوشه وأهدافه الامبراطورية . وكان كل شىء يفرض فرضا من أعلى ولم يكن فى إمكان القوى الاجتماعية الصاعدة القدرة على التأثير فى احداث التقدم .

وفى القرن العشرين كان التطور السياسى والاجتماعى المصرى وراء كل تطور مادى وتكنولوجى من دعوات لطفى السيد الى الديمقراطية والتنوير والتوجه

إلى التعليم الجامعى ، ودعوة قاسم امين إلى تحرير المرأة ، ودعوة الاستاذ الامام الى الاصلاح الدينى ، ودعوة سلامه موسى الى الاشتراكية والتصنيع والنظام الجمهورى ، ودعوة طه حسين الى مجانية التعليم والثقافة الشعبية واتخاذها سياسة رسمية من عام ١٩٥٠ ، كل هذه الدعوات التقدمية تدل على حيوية المثقفين المصريين وقادتهم فى رفع عجلة التطور الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ، إلا أن جهودهم الجبارة لم تأت بالثمرات المرجوة لاصطدامها بمقاومة الحاكم الفرد لتطلعاتهم الانسانية والتنويرية ، ولم تصل هذه الدعوات الى الانسان المصرى الفرد لتشكل حياته تشكيلا عصريا فى ظروف الأمية البغيضة ، وعليه فقد شكل المثقفون المصريون قشرة سطحية تحيط بالمجتمع المصرى بعيدة عن قلبه وأعماقه ، ومرت علاقة المثقفين بانظمة الحكم بأزمات خطيرة وكانت ومازالت علاقة تقوم على افتراض انعدام الثقة بين الطرفين ، عزز هذه العلاقة بصورتها هذه ماتعرض له قادة الرأى وكل مثقف مجتهد لألوان القهر والتعذيب . وبعد ، فإن كفاح ونضال قادة الرأى وزعماء الفكر فى مصر الحديثة ومجهوداتهم ومن ورائهم جماهير المثقفين كانت وراء البناء الحضارى الذى لن يكتمل باسلوب عصرى وحضارى إلا إذا أفسح المجال لكل مثقف لابداء رأيه ، وأعلان اجتهاده فى قضايا الوطن والانسان المصرى .

عمرو عبدالمنعم حمودة
برما - مركز طنطا -
محافظة الغربية



● أحـــببتها ●

الليل دربى والسكون مسارحى * والصمت راح تحوطنى بمناد
وحبيبتى روحٌ تهيم بعيدة * وحبيبتى فجر الهوى وسناه
وحبيبتى طيفٌ يجول بخاطرى * ويبث فى عمق الفؤاد هواه
ويمرُّ فى قلبى . ويعبث فى دمى * وبعمق احساسى يبث لقاه
مالى أرانى تائهاً . ياويلتى * ممن احب ولم انل لقياه
واحب بسمته تضىء ملامحى * واحب كل الناس حين أراه
لو لم أعش إلا لارسم قبلة * أعلى الجبين . وقبلة أدناه
لكفى فؤاداً هائماً فى حبه * ان نال مالم يستطعه سواه

حزين عمر



● رثاء قط ●

● مات قط فى منزلنا مأسوفا عليه من الجميع فقلت أرثيه

قد مت ياقطى العزيز
والموت لايدع العزيز
قدمات قلبك قيصر
وقضت ملوك الانجليز
من ذا يغالب حتفه
وبمهرب منه يفوز؟!
كم فوق صدرى قد غفوت
وليس بالزمن الوجيز
كم ذا أطعت أوامرى
وفقهت نهيا بالرموز
كم كنت عفا لاتجور
على القدور ولا الخبيز
إنى رثيتك دامعا
دمع العزيز على عزيز

أحمد قاسم أحمد
قنا ـ شارع على بن أبى طالب



● الشعر ●

أنا شاعر عزف الضياء قصيدة
فتطلعت سكرى النجوم إزائى
وتجمعت حولى العصافير التى
راحت تردد فى الوجود غنائى
الشعر أيام الحياة تجسدت
ألفاظه هبة من الكرماء

الدكتور احمد عامر
شبين القناطر

● حوار مع الأصدقاء ●

● **صلاح يوسف سلام ـ كلية العلوم ـ القاهرة :**
ـ قصيدتك « عيناك » وقصيدتك الأخرى « ياقلب » لاينقصها إلا الوزن .. فليس فى اى منهما أوزان أو تفعيلات صحيحة .. واهتم باللغة نحوا وصرفا وتعبيرا ، ولا تيأس من طول الطريق مادمت سلكت مفازة الشعر !..

● **أشرف صالح محمد ـ كلية التربية بجامعة حلوان ـ قسم اللغة العربية :**
ـ نظرنا أول مانظرنا من قصتك ، إلى اللغة ، لأنك تطلب اللغة العربية فى معهد رسمى من معاهد الدولة . فوجدناها لغة طيبة ، إلا كلمة « البرد القارص » فإن صحتها البرد القارس » ... ذلك أن « القرص » غير « القرس » .. والكلمة الأخيرة تعنى شدة البرد تقرس الجلد ، أما القصة فإنها لابأس بها فنيا ، غير أننا نشير عليك بإنضاج فنك قبل أن تخطو إلى النشر ..

● **محمد عبدالرحمن قطب ـ كلية التربية بحلوان :**
ـ قصيدتك « طفل يبكى » مقبولة منك لأنها صحيحة الأوزان ، ولكن معانيها مازالت فى دور « الطفولة الشعرية » وهذا لايعيبك لأنك مازلت فى أول الحياة ، ولاشك أنك ستثابر حتى تصبح شاعرا قوى المعانى إلى جانب صحة الأوزان .

● **عشرى عبدالرحيم عبدالغنى ـ جزيرة شندويل :**
ـ قصيدتك عن أبى القاسم الشابى ، فات أوان نشرها ، أما قصتك القصيرة جدا « الوداع المر » فتدل على أن الأفضل اقتصارك على نظم الشعر .. بشرط ألا تقف فى الشعر حيث انت الان ..

● **عادل احمد مرسى ـ نجع حمادى :**
ـ أنت تطلب النصيحة الصادقة فى قصيدتك التى أرسلتها إلينا بعنوان « تصادق عيناى الدمع » .. فهاك نصيحتنا : أطلب علم العروض وعلم القافية قبل أن تنظم الشعر عموديا أو تفعيليا ، فليس فى قصيدتك وزن مع الأسف !

● **حسين على محمد جابر ـ شارع هيبوقراط بالاسكندرية :**

● **وإلى الشعراء : خالد غازى .. محمد الستار عويس .. عماد خليفة .. عادل محمد درويش .. مصطفى ابراهيم آدم .. مجدى عبدالوهاب .. صفوت عبدالعزيز بخيت .. محمد حسنين ابراهيم عاشور .. موسى محمد هلعو .. ممدوح عبدالامام احمد .. محمد ابراهيم الفرحاتى .. أميرة محمد عوض .. إيهاب النجدى .. محمود عبدالعال محمود .. قصائدكم تبشر بموهبتكم إلا أن الأوزان فيها تحتاج الى مراجعة دقيقة ، وكذلك اللغة فى بعض قصائدكم ، ولا نشك فى أنكم عاقدون على تلافى جميع هذه النواقص إن شاء الله ..**

● **وإلى كتاب القصة والمقالة : على أبو على .. أحمد قاسم التهامى .. أيمن على دسوقى .. عبدالنبى يوسف كراويه .. عاصم فريد البرقوقى .. عوام محمد السيد .. خالد محمد محمود .. أسامة خضر الخضرى .. محمد ابراهيم على .. خالد عبداللطيف الأصمعى .. نهنئكم على الجهود التى تبذلونها فى مجالاتكم ونرجو لكم مزيدا من التوفيق ..**

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ، ١٢ عددا ، فى جمهورية مصر العربية ثلاثة جنيهات مصرية بالبريد العادى وفي بلاد اتحادى البريد العربي والأفريقي والباكستانى عشرة دولارات .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفي الخارج بشيك مصرفي لأمر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسس الموضحة اعلاه عند الطلب .

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب -

القاهرة - تليفون ٣٦٢٥٤٥٠
سبعــة خطـــوط
مجلـة الهـلال ت ٣٦٢٥٤٨١

اسعار البيع للعدد الممتاز فئة ٥٠ قرشا

سوريا	١٠٠٠	ق.س	داكار	٦٠٠	فرنك
لبنان	١٠٠٠	ق.ل	لاجوس	٨٠	بنى
الاردن	٧٠٠	فلس	اليمن الشماليه	٨	ريال
الكويت	١٠٠٠	فلس	لندن	١٢٠	بنس
العراق	١٢٠٠	فلس	اثينا	١٥٠	دراخمه
السعودية	٥	ريال	كندا	٣٠٠	سنت
السودان	١٠٠	ق.سودانى	هولندا	٥	فلورين
تونس	١٢٥٠	مليما	نيويورك	٤٠٠	سنت
المغرب	١٢٥٠	فرنكا	لوس انجلوس	٤٠٠	سنت
الجزائر	١٢٥٠	سنتا	استراليا	٥٠٠	سنت
الخليج	٨٠٠	فلس	البرازيل	٥٠٠	سنت
غزه والضفه	٥٠	سنت	عدن	١١٥	سنت
الصومال	٩٦	شلن			

الهلال

فبراير
سنة ١٩٨٦

الثمن
٣٠ قرشا

■ شيعة وسنة .. إلى متى؟!
■ البطل فى الأسطورة الشعبية

الذكرى المئوية لمىّ زيادة
جزء خاص



من روائع الفن الإسلامي

هذه لوحة بديعة تزين ديوان «خمسة نظامي» للشاعر الاذربيجاني ابن يوسف نظامي ١١٤١ ـ ١٢٠٩ والذى يضم مجموعة أعماله الشعرية الخمس مثل ليلى والمجنون واسكندرنامه وخسرو وشيرين .

وكان الشرق أول من زين الكتب وأحسن أخراجها ، ويزين هذا الديوان لوحات رومانسية مستوحاة من قصائد الشاعر نظامى

واللوحة لمجلس فيه كل عناصر الطرف فى العصور الوسطى العود الشرقى والراقصة والمغنية تعبر عن مشهد من قصيدته خسرو وشيرين .

اللوحات التى يضمها المخطوط يضمها متحف حيدر أباد فى الهند ..

الهلال

السنة الثالثة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها جورجى زيدان سنة ١٨٩٢ ـ أول فبراير سنة ١٩٨٦ ـ ٢٢ جمادى الأولى ١٤٠٦

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المدير الفنى
عادل ثابت

سكرتير التحرير
عاطف مصطفى

سكرتير التحرير الفنى
عيسى دياب



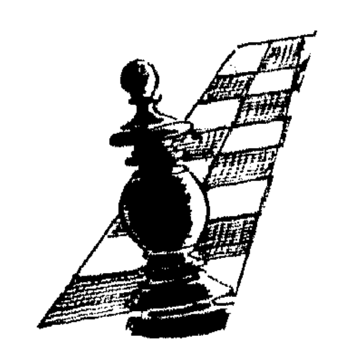
جزء خاص عن مى زيادة فى ذكرى ميلادها المئوى ص ٦٨



الرقابة على شاشة الذاكرة ص ١٠٢

فى هذا العدد

● فكر وثقافة ●



قصة العباقرة الفائزين ببطولة العالم فى الشطرنج
ص ٤٤

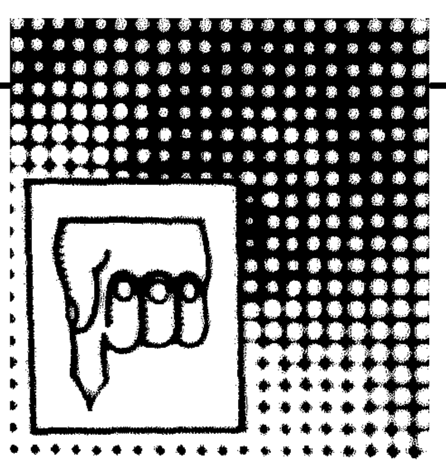


دار ابن لقمان شاهد على
الانتصار على لويس التاسع ص ١٢٧





الفتوحات العثمانية
ص ٣٤



عزيزى القارىء

بعد ان افسدت السياسة العديد من جوانب الحياة العربية بقي الامل معقودا على الثقافة ، على أمل أن يلتقى عنـسدها القارىء العربى فى كل مكان ، فتحت هذه الراية تشهد القاهرة معرض الكتاب العربى الثامن عشر • ويلتقى فى هذا المهرجان الثقافى الدول العربية جميعا ، ويلتقى القارىء بأحدث ما انتجته المطابع العربية من كتب ، انه مؤتمر « قمة » ثقافى بـالغ الدلالة ••

وتعكس كتب المعرض حالة العقل العربى الراهنة ، وسط ظروف قاسية تحاصر الوطن العربى كله ، ويتعلق الجمـيع بأمل أن يتمكن الفكر العربى من الخروج من هذا الحصار ، ويعد صدور كتاب جديد يحمـل افكارا جديدة حدثا هاما جديرا بالاحتفـال •

لهذا المنطق نحتفي بمعرض الكتاب • باعتباره يحمل ظاهرة ثقافية عميقة الدلالة ، ويوفر للقارىء الكتب العديدة التى تنشر فى الوطن العربى والعالم ••

فى زمن تباعدت فيه المسافات بين اطراف الجسد ، وحفرت الخنادق فى أرجاء الوطن الواحد ، واشهرت المدافع بين الاشقاء،

وجاء الكتاب يخترق هذه الحواجز ويعلى من جديد نور الفكر والعقل ٠

ومن جانب آخر يقام هذا المعرض والكتاب يتعرض لاكبر محنة ، بعد أن انصرف عنه القراء ، حينا امام مصاعب نشره، وحينا أمام ارتفاع أسعاره ، وحينا آخر عندما حل محله التليفزيون والفيديو ٠٠

ومازالت الثقافة التى يعبر عنها الكتاب العربى ، كما تدل الاحصاءات تتجه الى الادب بمعنى القصة والشعر ، وتخاطب الوجدان ، وغابت او قلت الكتابات النقدية التى تخاطب المستقبل وتجدد الحياة ، وغابت ايضا الكتب العلمية التى تزخر بها المكتبة الاجنبية ، وخاصة تلك التى تقدم فلسفة العلوم الكفيلة بتغيير المفاهيم وشيوع الفكر العلمى بدلا من الخرافة ! ٠٠

وكان اقصى ما تعرض له الكتاب العربى عملية تبيس الفكر ، والذى لم يصبح مقتصرا على استخدام الاعلام لصالح السياسات القائمة ، بل تجاوز ذلك الى دس الدعاية السياسية فى كل جوانب الحياة ، مما يقلل امكانية الحوار واعمال العقل ٠٠

ولكن أمام هذا اللقاء الثقافى نغض الطرف عن كل ذلك ، فمجرد اقامة هذا المهرجان الثقافى قيمة يجب ان نتمسك بها ، بعد أن تمزقت الامة العربية ، واصبحنا نبحث عن ارض مشتركة للحوار وللتفاعل ٠٠ مما يجعل هذا المعرض هدفا فى ذاته ، وعلى أمل أن يصل أهل الثقافة والنشر ما قطعه أهل السياسة ٠



السنة والشيعة
والحاجة إلى حوار جديد

بقلم: د. أحمد كمال أبو المجد

لا اعرف احدا من المعاصرين تعرض من قريب او بعيد لقضية انقسام المسلمين الى اهل سنة وشيعة ، الا أصابه من ذلك ما لا يحب وتناوشته ـ في غضب وثورة ـ سهام الاتهام من هنا ومن هناك ..

لا يشفع له عند احد انه كتب ما كتب او قال ما قال ليراب الصدع ، ويؤلف القلوب .. ويضيق دائرة الخلاف .. ورغم ذلك فقد غالبت كل هواجس التردد ، ومشاعر الاشفاق على النفس ، ودواعى ايثار السلامة بالبعد عن مواطن الخلاف .. ايمانا بان الحق احق ان يقال (وأن مصلحة القراء وهم الكثرة الغالبة اولى بالرعاية واجدر بالاعتبار من مصلحة الكتاب والنقاد وهم القلة القليلة) .. وايمانا ـ فوق ذلك ـ بان مانعانيه اليوم من اثار هذا الانقسام الذى بدأ مبكرا فى تاريخ الاسلام والمسلمين يرجع ـ فى جانب منه على الاقل ـ الى الجهل المتبادل بين الفريقين اكثر مما يرجع الى التفاوت الحقيقي فى الرأى حول مواطن الخلاف ..

وبعد ذلك كله فنحن المسلمين والعرب نعيش مرحلة تمزق وتفرق أخشى أن نكون بها على أبواب فتن لا آخر لها .. نستخرج فيها كل ما ضمه تاريخنا القريب والبعيد من أسباب الفرقة والاختلاف فنبث فيه الحياة من جديد . ونتخذه محورا لصراعات فكرية وسياسية ، تستنفد الجهد ، وتستغرق الطاقة .. وتغتال ـ فى غير رحمة ـ فرصتنا الباقية فى اللحاق بالآخرين وممارسة دورنا الحضارى الذى نتحدث عنه كثيرا .. ولا نكاد نعمل من أجله شيئا على الاطلاق ..

ويحتاج القارىء غير المتخصص الى ملاحظة عدد من الحقائق التى تتصل بالشيعة والتشيع ، قبل أن يتخذ موقفا أو يكون رأيا فى موضوع هذا الحوار .

١ ـ رأول هذه الحقائق أن الشيعة يعرفون عن عقائد أهل السنة والجماعة ما لا يعرفه أكثر أهل السنة عن عقائد الشيعة ومذهبهم وراء علمائهم وعامتهم ·· (وهذه المعرفة ليست قاصرة على علماء الشيعة وخاصتهم انما يشترك فيها ـ بأقدار متفاوتة ـ عامتهم وغير المشتغلين بالعلم الدينى منهم) · بينما لا يكاد أكثر المثقفين غير المتخصصين من أهل السنة يعرفون عن الشيعة الا انهمطائفة اسرفت فى التشيع لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه وترى انه كان أولى بالخلافة من أبى بكر وعمر ·· وأنهم ـ فوق ذلك ـ أصحاب بدع يخالفون بها مذهب أهل السنة ، ويخرج بها المتطرفون منهم عن دائرة الاسلام الصحيح ··

٢ ـ الحقيقة الثانية أن الشيعة ليسوا طائفة واحدة ·· وليسوا سواء فى مظاهر مخالفتهم لمذهب اهل السنة والجماعة ·· واشهرهم فى أيامنا هذه ـ وعلى امتداد التاريخ ـ الشيعةالزيدية المستقرون فى اليمن··والشيعة الامامية (أو الاثنا عشرية) المنتشرون اليوم فى ايران والعراق وسائر دول الخليج وباكستان حول مذهب هذه الطائفة الاخيرة يدور اليوم اكثر حديثنا··اما بعض الطوائف المحسوبة على التشيع والتى تدين بعقائد لاسبيل الى التوفيق بينها وبين الاسلام ، كالقول بالوهية على كرم الله وجهه ، او نبوته ، او أن محمد (ص) ليس آخر الانبياء فهذه لا يمكن نسبتها اليوم الى الشيعة حتى ولو كانظهورها تاريخيا مرتبطا باحدى فرق الشيعة المتعدلة ·· ومن هذا الطوائف السبأية (نسبة الى عبد الله ابن سبأ وهو شخصية غامضة لعبت دورا فى الترويج لكثير من العقائد الفاسدة ، وينكر عامة الشيعة كل صلة بها ، بل يذهب بعضهم الى انكار وجود ابن سبأ اصلا) والخطابية والغرابية والقرامطة والبابية والبهائية وفى ذلك يقول مؤلف كتاب « اصل الشيعة واصولها » : ان الشيعة الامامية : « يبرءون من تلك الفرق براءة التحريم» ·· ويبرءون من مقالاتها « ويعدونها من اشنع الكفر والضلالات » · (أصل الشيعة واصولها · للامام محمد الحسين ال كاشف الغطاء ص ١٠٣)·

٣ ـ أن القضايا الخلافية التى فجرها ظهور الحركة الشيعية ظلت على امتداد التاريخ الاسلامى محور جدل طويل ومتشعب بين علماء أهل السنة والجماعة وعلماء الشيعة ·· وهو جدل موثق فى مؤلفات عديد من العلماء من الفريقين ·· جرت خلاله مساجلات طويلة ·· محصت فيها الأدلة ، وحققت النصوص ، بحيث لم تبق حجة يحتج بها أو دليل يستند اليه الا وقد أوسعه العلماء تحليلا ونقدا ·· ومع ذلك بقى كل فريق على رأيه ومذهبه ·· لذلك يكون من الاسراف فى تبسيط الامور أن يتصور الداخل اليوم الى ساحة هذا الجدل أن فى وسعه حسم القضية وتصفية الخلاف واقناع محاوره بخطأ ما هو عليه · ·

ان علينا جميعا ـ بدلا من ذلك ـ أن ندرك جيدا أن الخلافات ذات الجذور التاريخية الضاربة فى الارض لا يلغيها أو يمحوها جهد فرد ، ولا يمكن ـ مع ذلك ـ القفز عليها بغير مخاطر هائلة ·· وأن مواجهتها تحتاج الى جهد متصل وصدر متسع وصبر طويل ··

●●●●●●●●●●●●●●

السنة والشيعة

٤ ـ أن الجدل التاريخي المتصل بين أهل السنة وبين الشيعة قد ظل خلال المئات الاخيرة من السنين محصورا في الدائرة الاعتقادية والفكرية •• وان « الاستقطاب » الاجتماعي والسياسي ظل في حالة هدوء واستقرار عند نقطة محددة •• لم يهبط عنها بحيث تتحقق الوحـــدة النفسية والاجتماعية الواجبة بين المسلمين •• ولم يرتفع عنها كثيرا بحيث يتحول الى نذير بفتنة طائفية جديدة ذات ابعاد سياسية واجتماعية ••

غير أن قيام الثورة في ايران عام ١٩٧٦ ، وتولى رجال الدين قيادتها ، وقيادة الدولة كلها بعد نجاحها •• وسعيهم الى نشر مبادئها خارج حـــدود ايران •• ثم اندلاع الحرب ـ بعد ذلك ـ بين العراق وايران •• وامتـداد آثارها الى دول عربية مسلمة مجاورة يتوزع أهلها المذهب الشيعي الى جانب مذهب أهل السنة والجماعة •• كل ذلك قد فتح الباب على مصراعيه امام مخاطر استقطاب عقائدي وسياسي جديد محوره ذلك الانشقاق التاريخي •• ومصدره ـ فوق ذلك ـ ما نؤمن به أشد الايمان من وجود حرص واع لدى بعض الدوائر غير العربية وغير الاسلامية على تأجيج كل صور الانقسامات العقائدية والسياسية في هذه المنطقة من العـالم ••

لذلك لم يعد أمامنا خيار •• فقد صارت الحاجة ماسة الى حوار جديد ـ بدلا من ترك ظاهرة الاستقطاب تنمو وتتطـــور في الخفـــاء •• ونحن نغمض اعيننـا عنها ، ونزعم انها ليست هنـــاك لاننا نتمنى لها الا تكون هنـاك ••

غير أن الحوار الذي نحتاج اليه يجب أن يظل محكوما بهدف واحـد لا يتجـاوزه ولا يعدوه •• وليس ذلك محاولة للحجر على حرية أحد في البحث والحوار ، وانما هو دعوة تأخذ في حسبانها أن الحوار حين يبدأ وســط توترات قائمة ومشاعر متأججة قد يزيد الامر اشتعالا • ويزيد الخـلاف حدة والقضية تعقيدا والهدف المحدد الذي نريد له ان يحكم هذا الحوار هو زيادة المعرفة المتبادلة والاستبصار الهـادىء المنصف لموقف الاخرين ، والتأمل ـ من جديد ـ في مواضع الخلاف ، والبحث الدءوب في الوسائل والصيغ التي يمكن أن يتراضى عليها الفريقان بتجاوز تلك المواضع دون تصفيتها بالغـاء موقف فريق منهما •• وذلك كله رجاء أن يتعاون المسلمون فيما اتفقوا فيه• وهو الكثرة الغالبة التي تشـــمل أساسيات العقيدة كما تشمل الجـزء الاكبر من فرعياتها •• وأن يعذر بعض المسلمين بعضا فيما اختلفوا فيـه ، أو يجـدوا لهم ـ على الاقل ـ سعة لا تحول دون المؤاخاة والتواصل ، وتقطع الطريق على الساعين الى ايقاظ فتنة نائمة •• أو خلق فتنة جديدة •••

والحق أن الحديث في أمر العقـــائد والمذاهب والمواقف التاريخية ـ خصوصا حين تكون محلا للخـلاف الشـديد ـ لا يصلح له الايجـاز

والاجمال ·· ومع ذلك لسنحاول ـ وفاء بحق هذا الهدف الذي حددناه ·· أن نضغط آلاف الصفحات في سطور ·· وأن نجمل تراثا فكريا متراكما في عبارات وجيزة ·· وأن نشرح قضايا فكرية وفقهية معقدة في كلمات واضحة·· وأن نلخص حركة تاريخ حي طويل ·· سالت فيه دماء ·· وسقط شهداء ·· وتخلقت خلاله معالم الوجدان الجمعي للشيعة في هذا المقال القصير ··) وقد يكون أرفق السبل لبلوغ هذا المرام الصعب أن نصوغ القضية في شكل أسئلة محددة نلتمس لها الجواب ·· من الزاد العلمي الغزير الذي تركه لنا المؤرخون وعلماء الفقه والفلسفة وأصول الدين ·· على جانبي الحوار ··

أولا : متى ظهر مذهب الشيعة ؟

وليس لهذا السؤال جواب واحد ·· لان التشيع قد اتخذ منذ بدايته الى اكتمال نموه ·· ثم بعد هذا الاكتمال ·· صورا متعددة ·· ظهر كل منها في مرحلة أعقبتها مراحل أخرى ··

(أ) فاذا كان المقصود بالتشيع مجرد حب على كرم الله وجهه والانحياز العاطفي اليه ·· فقد ظهر ذلك على نحو فردى في عهد النبى (ص) اذ أن علماء الحديث من أهل السنة والجماعة يوافقون الشيعة في القول بصحة كثير من الاحاديث الدالة على فضل على كرم الله وجهه والدالة فوق ذلك على منزلته العالية من نفس النبى (ص) ·· فهو كرم الله وجهه أول من آمن من الصبيان ·· وهو خليفته في فراشه يوم هجرته ·· وأخوه بعد الهجرة يوم آخى بين المهاجرين والانصار ·· وهو حامل راية المسلمين في يوم خيبر ··وهو ـ فوق ذلك ابن عمه وزوج ابنته التى هى قطعة منه ـ وأكثر علماء الشيعة قديما وحديثا يحرصون أشد الحرص على رد أصل التشيع الى عهد النبى (ص) ليمنحوه بذلك شهادة الشرعية والصدق وليجعلوا منه مذهبا اسلاميا خالصا وليبعدوا عنه ما اتهمهم به الناقدون من تأثرهم بآراء اليهود والنصارى في كثير مما قالوا به · وهم فوق ذلك يحرصون على هذا الاثبات لانه وحده المتفق مع مذهبهم في أن النبى (ص) قد أوصى لعلى بالامامة من بعده ·· فكأن بذرة التشيع قد وضعها النبى بنفسه قبل أن يلحق بالرفيق الاعلى ·



(ب) أما اذا كان المقصود بالتشيع القول بأفضلية على كرم الله وجهه واستحقاقه للامامة بعد وفاة النبى (ص) ·· وللاعتراض ـ بسبب ذلك ـ على خلافة أبى بكر وعمر وعثمان ·· فان هذا القول قد ظهر في أعقاب وفاة النبى (ص) وازداد وضوحا بعد أن تمت البيعة لابى بكر رضى الله عنه في سقيفة بنى ساعدة ·· اذ تخلف عن تلك البيعة عدد من الصحابة قالوا بأحقية على بن أبى طالب منهم العباس بن عبد المطلب وابنه الفضل والزبير بن العوام والمقداد بن عمرو وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفارى وعمار بن ياسر ·· ولذلك يحتل هؤلاء جميعا ، وخصوصا سلمان وأبو ذر وعمار مكانة خاصة في الوجدان الشيعي والادب الشيعي الى يومنا هذا · على أن من الضرورى أن ننبه هنا الى أن أحدا من هؤلاء جميعا لم يحمل معالم العقيدة الشيعية التى تكونت بعد ذلك وتحددت فكريا ونفسيا في أعقاب حوادث ومواقف تاريخية لاحقة على يوم السقيفة أو متأخرة عنه أعواما كثيرة ·· اذ لم يكن تشيع هؤلاء

النفر من كرام الصحابة ، الا موقفا سياسيا وفكريا معبرا عن تقديرهم لعلى كرم الله وجهه ، واعتقادهم بأفضليته لمنصب الخلافة ..

(جـ) وأما الانحياز الجماعى المتمثل فى قيام « حزب سياسى » ممالىء لعلى رضى الله فقد ظهر واضحا فى أعقاب واقعة التحكيم وما انتهت اليه من خذلان الحق الذى يمثله الامام كرم الله وجهه .. وربما كان هذا الانحياز موقفا طبيعيا لمواجهة الانحياز المعاكس الذى تمثل فى ظهور « الخوارج » وانشقاقهم على على رضى الله عنه ثم قتلهم اياه ، واسرافهم فى الانكار عليه الى حد تكفيره .. فكان طبيعيا أن ينحاز الموالون له الى « حزب » يسرد عليهم ، ويواجه تهمة « التكفير » بالجنوح الى المبالغة » فى تقرير الحق الثابت للأئمة من آل بيت النبى (ص) ، وفى نفى هذا الحق عمن سواهم .. وابتداء من واقعة التحكيم بدأ ظهور نظرية الشيعة فى الامامة وأنها تثبت بالنص عن النبى (ص) ، وأن اقامتها بهذه الطريقة ، ومتابعة الامام الذى يتولاها ركن من أركان الاسلام يضاف الى أركانه المسلم بها من المسلمين كافة .

والحق أن عليا رضى الله عنه قد وضع بنفسه أساس التمييز السياسى للشيعة ، فى مواجهة الخوارج (وهو فيما نرى تميز لاهل السنة والجماعة وكذلك فى مواجهة الخوارج) حين رد على الخوارج قولهم « لا حكم الا لله حيث خطب قائلا : « كلمة حق يراد بها باطل . نعم انه لا حكم لله ولكن هؤلاء يقولون : لا امرة الا الله ، وانه لابد من أمير او فاجر ، ويعمل فى امرته المؤمن ويستمتع بها الفاجر ، ويبلغ الله فيها الاجل ويجمع به الفىء ويقاتل به العدو وتؤمن به السبل ... » ...

(د) أما الاساس النفسى الثابت للمذهب الشيعى ، والذى لازمه الى يومنا هذا ، وجعل من الشيعة مذهبا متميزا عن مذهب أهل السنة والجماعة ، وأدى — فوق ذلك — الى تحديد سائر معالمه الاعتقادية فى الامامة وغيرها ، فقد نشأ فى أعقاب الفاجعة التى ألمت بآل بيت النبى (ص) فى كربلاء والتى استشهد فيها الحسين رضى الله عنه وعدد كبير من آل بيت النبى (ص) ، فبعد هذه الفاجعة التى قدم فيها ابن بنت رسول الله (ص) مثلا فريدا فى الاستشهاد من أجل المبدأ ترسبت فى الفكر والوجدان الشيعى أمور ثلاثة :

الاول : الاحساس بفقدان جولة حاسمة فى الصراع السياسى من أجل بقاء الامامة فى آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم .. ولذلك اتجه الشيعة بعد هذه المعركة اتجاها انعزاليا وانشقاقيا عن سائر جماعة المسلمين .

الثانى : الاحساس الدفين بالظلم ، والرغبة المكبوتة فى الثار من هذا الظلم والشعور بالمرارة الشديدة تجاه كل من تسببوا فيه و الاحساس القاهر بالحزن المستغرق المستولى على الكيان، وهو حزن عبر عنه بعد ذلك الامام على بن الحسين (زين العابدين) حين كلمه بعض الناس فى أمر ذلك الحزن فقال : ان يعقوب عليه السلام بكى حتى ابيضت عيناه على يوسف ولم يعلم

انه مات ، وانى رايت بضعة عشر من اهل بيتى يذبحون فى غداه يوم واحد اقترون حزنهم يذهب من قلبى ؟ » (١) ٠

الثالث : الاحساس بالحاجة الى المداراة عن اظهار الخصومة في مراجهة من يملكون تصفيتهم أو ايقاع الاذى الشديد بهم ، وهو ما عرف بعد ذلك بمبـدأ « التقية » ٠

ولذلك كله نقول مع القائلين ان دماء الحسين رضى الله عنه كانت ابعد اثرا من دماء علي رضي الله عنه في نمو الحركة الشيعية وازدياد انصارها، ويؤكد ذلك ما نلاحظه اليوم من احتلال الحسين رضى الله عنه مكانه في الوجدان الشيعي تقارب مكانه علي كرم الله وجهه بل تعلوها احيانا حين يذكر التاريخ الشيعي أو يعدد المظالم التي وقعت على آل بيت النبي (ص) ٠

وبقى أن نضيف أن كثيرا من المعالم الفكرية والآراء الفقهية للتشيع الاثنا عشرى انما تحددت واكتملت في عهد الامام جعفر الصادق رضى الله عنه (وهو الامام السادس المتوفى سنة ١٤٨ هـ) ولعل ذلك يرجع الى شخصيته العلمية الفذة ، فقد أخذ عنه العـــلم الامامان الجليلان ابو حنيفة ومالك بن أنس ٠

● منصب الهى

● ثانيا : ما هى معالم العقيدة الشيعية ، وفى أى شىء يختلف مذهب الشيعة الامامية عن مذهب أهل السنة والجماعة ؟

١ ـ الامامة منصب الهى يثبت لصاحبه بالنص عليه من النبى صلى الله عليه وسلم :

فبينما يذهب أهل السنة والجماعة الى أن الامامة أو الخلافة هى رئاسة عامة ـ فى أمر الدين والدنيا خلافة عن النبى صلى الله عليه وسلم ٠٠ وأن المسلمين فى كل عصر يختارون خليفتهم بمبايعة من يرونه أصلح لرئاستهم ، بعد أن يختاره أهل الحل والعقد فيهم ـ يذهب الشيعة الى أن الامامه منصب الهى لا يعقل ان يترك امر اختياره للناس وانما يختاره الله بوحى يوحيه الى نبيه فينص على شخص الامام ٠٠ ويدللون على رأيهم بأدلة عقلية ونقلية يضيق المقام عن مناقشتها بما تستحقه من تفصيل ومن الايات التى يسوقونها لتأييد مذهبهم فى الامامة قوله تعالى : « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة » وقوله تعالى : « وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار » وقوله سبحانه لابراهيم عليه السلام « انى جاعلك للناس اماما » فهو وحده سبحانه الذى يختار للمسلمين امامهم ٠ ولقد لخص راى الشيعة الامامية فى طبيعة منصب الامامة العلامة محمد الحسين آل كاشف الغطاء فى كتابه « أصل الشـــيعة وأصولها » فقال ان الشيعة زادوا فى اركان الاسلام ركنا هو « الاعتقـــاد بالامامة يعنى أن يعتقد ان الامامة منصب الهى كالنبوة ، فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيده بالمعجزة ، فكذلك يختار للامامة من يشاء ، ويامر نبيه بالنص عليه وأن ينصبه اماما للناس من بعده

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٩ ، ص ١٠٧ ٠

للقيام بالوظائف التي كان على النبي أن يقوم بها ، سوى أن الامام لا يوحى اليه كالنبي وانما يتلقى الاحكام مع تسديد الهى (١) ٠٠ومنصب الامام ـ بهذا المعنى ـ ليس واجبا على المسلمين فحسب ، ولكنه واجب على الله سبحانه حتى تستقيم الامة بعد النبى على الحق وحتى يقوم أمرها كله على الرشد ٠

والامامة متسلسلة عند الشيعة الامامية فى اثنى عشر اماما كل سابق منهم ينص على اللاحق ٠ وهم على التسلسل :

على رضى الله عنه ـ ثم الحسن بن على ـ ثم الحسين بن على ـ ثم على بن الحسين (زين العابدين) ـ ثم محمد بن على (الباقر) ـ ثم جعفر ابن محمد (الصادق) ـ ثم موسى (الكاظم) ـ ثم على (الرضا) ثم محمد (الجواد) ـ ثم على الهادى ثم الحسن العسكرى واخيرا ابنه محمد (المهدى) وهو الامام المستور الغائب الذى ينتظر الشيعة خروجه فى آخر الزمان ٠

● عصمة الامام

ويتصل بنظرية الشيعة فى الامامة قولهم بعصمة الامام ، ويلفت النظر فى هذا المقام أن علماء المسلمين من أهل السنة والشيعة لم يخوضوا كثيرا فى قضية عصمة الانبياء بقدر ما خاض الشيعة فى أمر عصمة الامام ٠٠

وليس من العسير تعليل هذه الظاهرة فقد كان الشيعة فى أشد الحاجة الى القبول بعصمة الائمة ليثبتوا استحالة الوصول الى هذا المنصب الالهى بالاختيار ٠٠ وليمنعوا انقياد الناس لخصومهم من الخلفاء المغتصبين لهذا المنصب الالهى ٠٠ وللعصمة عند علماء الشيعة تعريفات عديدة ، لعل أوضحها تعريف الطوسى لها بانها : ما يمتنع المكلف معه من المعصية متمكنا منها ولعل أقربها الى رأى أهل السنة والجماعة قول الامام على بن الحسين (زين العابدين) حين سئل عن معنى المعصوم فقال : هو من اعتصم بحبل الله المتين أى القرآن فلا يفترق الامام عن القرآن الى يوم القيامة » (٢) ٠

---

(١) أصل الشيعة وأصولها ـ طبعة المطبعة المصرية ، بالقاهرة ١٩٥٨ ص ١٥٨ ٠

(٢) انظر هذه التعريفات وغيرها فى مؤلف الدكتور أحمد محمود صبحى « نظرية الامامة عند الشيعة الاثنى عشرية ـ دار المعارف ـ ص ١٠٦ وما بعدها » ٠

● وسنواصل الحديث العدد القادم ●

أقوال معاصرة


حسنى مبارك

● لست نبيا ، ولى طاقة البشر وحدوده ، اعمل ليل نهار ، وابذل كل ما استطيع ، ولا انعم حتى بالقدر الضئيل من الحرية الذى يتمتع به المواطن العادى ، ولا افعل شيئا لحسابى ، ولا افعل شيئا لأنال المجد او الشهرة ، وفى تصورى ان الوطنية المصرية سوف تكون حافزنا على عمل الجميع من اجل مصر ..

حسنى مبارك


مارك شاجال

● . الفن العظيم يلتقط من حيث تنتهى الطبيعة .

مارك شاجال

● . فى الطائرة لاتوجد سوى عاطفتين .. الضجر والرعب .

اورسون ويلز


اورسون ويلز

● . نحن ولدنا لنتذكر ومن اجل ذلك نحن هنا .

هاينريش بل

● . الكلام بصراحة قوة مطهرة .

يوفتيشينكو الشاعر السوفييتى

● . شالوم لبنان .. الوداع الى الابد .

لافتة على دبابة اسرائيلية منسحبة من لبنان

● . لا احب الاشياء العابرة ، وانما احب الأشياء التى لها صفة الدوام .

لورا أشلى مصممة ازياء انجليزية

● . نموت عشر مرات يوميا .

جمال ميرى من الميليشيا المسلحة فى بيروت

التمـز علــى



الأشواك

الأدبـاء فى انتعـاش والأدب فى انكماش!

● للأدباء رب رحيم ، فبعد ان اغلقت الصحافة المصرية أبوابها امامهم ، إيماناً بأن أهل الدار أحق بخيرات الدار ، وجدوا أبواباً أخرى مفتحة على رزق وفير ، ومع أن المورد العذب كثير الزحام ، فقد كانت الموارد فى هذه الحالة أكثر من الواردين .

فى العالم العربى اليوم قرابة ثلاثين مجلة ثقافية ، بين شهرية وفصلية واسبوعية ، غير عدد من « السلاسل » وان كانت كلها « سلاسل » كلها تصدرها وزارات الثقافة والإعلام فى عالمنا العربى السعيد جدا ، الغنى جدا ، المثقف جدا . وكلها سمينة انيقة ، وكلها تدفع بسخاء .

لم تعد « حرفة الآداب » تعنى البؤس والضياع . فى إمكانك أن تجلس فى دارك وتدبج كل يوم مقالة أو قصة أو قصيدة ، وتضعها فى ظرف وتكتب عليه عنواناً من هذه العناوين ، واذا احببت أن تنوع نشاطك فتكتب مرة تعليقاً ومرة تمليقاً ومرة تشليقاً ، ومرة نكتة ومرة حكاية ، فامامك الصحافة « المدعومة » بين يومية واسبوعية ، وهى اضعاف ماذكرت . ومعظمها يدفع بسخاء ايضا ، ومعظمها يرحب بالكتاب المصريين ، بصرف النظر عما تنشره أحياناً عن مصر والمصريين .

عليك فقط أن تراعى شيئاً واحداً : وهو أن هذه الصحافة أو هذه الثقافة ـ ولا أستثنى بلداً واحداً حتى ولامصر ـ مريضة بالسكر وضغط الدم ، على حد تعبير صديق عربى همس فى اذنى بهذه الكلمات ، فهى لاتتحمل الحلو ولا المالح ولا الحراق .

فإذا استطعت أن تراعى « الرجيم » فى كتاباتك فابشر بالخير العميم ، واسرع بفتح حساب فى أحد البنوك المشتركة بالاسترلينى والدولار ، واستعد منذ الآن للمساهمة فى جلب الرخاء لمصر المستقبل بعدد من المشاريع الاستثمارية . اما إن كنت فاسد الطبع ، سقيم المزاج ، محباً للعناد ، عاشقاً للفقر ، فليس امامك إلا « الماستر » .

بقلم: د. شكرى محمد عياد

انى لأزعم ان ادباء العربية لم يعرفوا منذ عصر الدولة الفاطمية وملوك الطوائف عصراً أحفل ولا اجمل ولا ازهى ولا ابهى من هذا العصر الذى نعيش فيه نعم لقد كانوا دائماً يقصدون إلى قصور الخلفاء والأمراء، ويلقون بين ايديهم القصائد العصماء أو يهدون إليهم الكتب الجليلة. ولكن الدولة الفاطمية فى مصر سنت للأدب سنة حميدة عم خيرها كل شاعر وناثر، إذ كانت هذه الدولة تؤمن بقيمة الدعاية، فملأت ديوان الإنشاء بالكتاب، وجعلت للشعراء ديواناً آخر خاصاً بهم يقبضون منه رواتب فى أول كل شهر، ولا يطلب منهم إلا أن يلقوا قصائدهم أيام الاحتفالات الرسمية (وماأكثرها!) بين يدى الوزير الأول. ومن الدلائل على رواج الحال ان الإنتاج الشعرى تضخم حتى كان يطلب إلى الشعراء ان يسرعوا فى إلقاء قصائدهم حتى يتسع الوقت لسماع جميع الشعراء المهمين، ولاشك أن كثيراً منهم كانوا يضطرون إلى الاكتفاء بإيداع قصائدهم فى الديوان، وإن كنا لانملك - حسب علمى - دليلاً قاطعا على هذا، فقد ذهب الديوان بما حواه كما ذهبت معظم القصائد التى انشدت أنفاساً فى الهواء. وقرانا عن بعض ملوك الطوائف فى الأندلس أنهم جعلوا للشعراء وظائف ثابتة فى دواوينهم - ولعلهم أخذوا هذا النظام عن الفاطميين، فلم يشغلهم عن بر أهل الأدب والعناية بهم، جهادهم فى حرب الأسبان، ولا اضطرارهم إلى إنفاق الأموال الجزيلة على قصورهم، بما حوت من الرياش والتحف والجوارى والمغنين، حتى يحتفظوا بمظهر الهيبة والسلطان ويعظموا فى عيون الرسل والوفود القادمين من بلاد الأعداء

ونحن نعيش الآن فى عصر الورق، والميكروفيلم، والميكروفيش، ودور الكتب، وبنوك المعلومات، فليس من المستغرب ان يبقى إبداع ادباء عصرنا على مر الزمان، حتى يقراه احد مؤرخى المستقبل ولو انه قلما يقرا الآن.

ومن الذى يمكنه أن يحل هذه المعادلة الصعبة: كثرة عدد الكتاب مع قلة عدد القراء؟ آلاف الصفحات تنشر كل شهر، ولااحد يجد وقتا للقراءة: الكبار مستهلكون فى السعى لطلب الرزق، والصغار مستهلكون فى الحفظ والدروس الخصوصية لأنهم يخافون ألا يحصلوا على مجموع فى الثانوية العامة. ماأشبه هذه المشكلة - ومعذرة للأدب والأدباء - بمشكلة المجارى: الماء ينزل من الصنابير بكمية أكبر من الكمية التى يمكن أن تستوعبها المواسير. وهكذا يحدث الطفح. فى المجارى وفى الثقافة على حد سواء. ولكن الأدباء لم يعد يهمهم - فيما يظهر - أن يوجد لهم قراء. والدليل على ذلك أنهم لم يعودوا

يهتمون بأن يكتبوا كلاماً مفهوماً . بل أصبح الإبداع والفهم عندهم نقيضين لايلتقيان ولايمكن أن يلتقيا .

اللهم جنبنا الزلل . وألهمنا الصواب ، فأنا لاأكتب هذا كيداً في أحد ، أو طلباً لمرضاة أحد ، أو رغبة في قطع أرزاق العباد . بل إنني لاأنكر أن هذه الحركة كانت ـ في أولها ـ خيراً وبركة على الكتاب والقراء جميعاً ، كما أنني لا أحقد على الدولة الفاطمية التي آثرت أن تستخدم سلاح الدعاية بدلاً من سلاح القهر والإرهاب ، ولعله ليس من المصادفات أن الحركة انطلقت من مصر حديثا كما انطلقت منها قديما . عندما بدأ مشروع الألف كتاب ، وصدرت مجلة « المجلة »، وانطلقت إذاعة البرنامج الثاني ، وأسست الدار القومية برعاية مصلحة الاستعلامات ، رحب جمهور الأدب والثقافة من منتجين ومستهلكين بهذه المشروعات كلها ، وأقبلوا عليها بحسن نية ، إيمانا بأن الثقافة « خدمة » تتولاها الدولة مثل التعليم والصحة ، وليست سلعة يقصد بها الربح ويحكمها نشاط التاجر ومزاج المستهلك . ولكن هذا المفهوم لم يكن مستقراً في جميع الأذهان ، فقد نافسه مفهومان آخران : أحدهما لم يكن مصرحاً به ، ولكنه كان صاحب السلطان الأعظم في أكثر الأحيان : وهو أن تكون الكلمة دائماً في خدمة الحكم وفلسفة الحكم ـ إن كانت له فلسفة ـ وإلا فلتكن كلمة محايدة لاتضر ولاتنفع . وإن أظهرت أن هناك ثقافة . وهكذا بدأ طوفان كان شعاره « كتاب كل ست ساعات » وشعر الكتاب أن أفكارهم تعتقل داخل سجون من الورق الذي يرمى في المخازن ، أو إذاعة البرنامج الثاني التي لاتتسمع خارج القاهرة . أما المفهوم الثاني فهو أن « صناعة الكتاب » صناعة مؤممة كصناعة الخزف والبسكويت ، فيجب أن تدر أرباحاً وإلا فلتنخفض المصروفات ولتنقص الاعتمادات . وهكذا شهدنا عصراً أوقفت فيه مجلات وزارة الثقافة ـ كلها دون تمييز ـ بدعوى أنها تكلف الدولة أموالاً طائلة ، والحقيقة أنها لم تكن تكلف أكثر مما تكلفه مدرسة متوسطة عادية ، ولكنها كانت ـ فيما يظهر ـ قد استنفدت أغراضها . فقد تم ترويض المثقفين ، وأصبحوا موظفين في الدولة .

في الوقت نفسة كانت الدول البترولية قد أخذت تحسب حسابا للمد الثقافي الذي يأتي من مصر ، ولاسيما أن هذا المد كان يحمل أفكاراً لاترضى عنها . وهكذا بدأ طوفان آخر من المجلات الثقافية ذات الورق المصقول والطباعة الفاخرة ، وأيضاً ذات الأجور العالية التي جعلت أجور المجلات المصرية تتوارى حياء ، وجعلت الكتاب المصريين « يهاجرون بأقلامهم » كما يقال ، ولهم العذر مرتين : مرة لأنهم ينشرون هناك أشياء شبيهة بما ينشرونه هنا ، كله كلام بلا فكر ولا موقف ، ومرة لأن البائع إذا استطاع أن يبيع البضاعة نفسها بعشرة أضعاف الثمن الذي كان يدفعه الزبون القديم ، فمن الغباء أن يترك الزبون الجديد .

وهكذا أقبلت الدنيا على كتابنا صغاراً وكباراً . وأصبح الكاتب العربي العادي ـ ولا أبالغ ـ يربح أكثر مما يربحه نظيره في أوربا وأمريكا . ولكن الشيء الذي يحير العقول هو أن هؤلاء الكتاب العرب كثيراً

مايسودون صفحات المجلات التي يكتبون فيها بمقالات وأحاديث عن « أزمة الأدب » ولا أحد يجرؤ على القول إنها أزمة فرط إنتاج من جهة ، وأزمة حرية من جهة أخرى .

فلأول مرة لم يعد النشر مشكلة عندنا ، حتى بالنسبة للكاتب الناشيء ، وذلك بشرط واحد ، وهو أن يسير في الصف ولكن هذه السهولة نفسها تعني انحدار المستويات . كل المستويات : انحدار المستويات الفنية ، فلم يعد مطلوباً من الكاتب أن يجود ، حتى اللغة أصبحت ـ فوق ركاكتها وعجمتها ـ قوالب مكررة . وكلما ادعى الكاتب أنه « حديث » و « عصري » كان أشد تورطاً في هذه القوالب . وقد أصبحت النزعات ، أو « الصراعات » الحديثة ترد علينا ـ مشوهة مبتورة ـ من الغرب بمعدل مرة كل عشر سنين ، وسمعنا أن أحد مشايخي « الحداثة » في عالمنا العربي وقف مرة في محاضرة عامة ، يفسر ، عدداً من القصائد لشعراء مدرسة بإحالة بعضها على بعض ، زاعماً أن هذا الشعر قد أصبحت له « لغته » المميزة ، بدلاً من أن يلاحظ ، كما يلاحظ كل إنسان ، أن هؤلاء الشعراء ينقل بعضهم عن بعض . ومنذ أكثر من ثلاثين سنة صرح الناقد الفرنسي الكبير الذي يفخر صاحبنا بأنه من شيعته ، أن البلاء الأكبر الذي يهدد كل حركة أدبية جديدة هو أن مبتكراتها لاتلبث أن تصبح تقليداً يتبع .

على أن الآفة الكبرى في نظري هي انحدار المستوى الخلقي . ولا أزعم أن الأدباء أو الكتاب كانوا دائماً من فضلاء الناس ، ولكنهم كانوا ـ عادة ـ مخلصين صادقين حين يمسكون بالقلم . وكان هذا ـ ولايزال ـ هو الشرط الضروري لكتابة أدب جيد . أما حين يكتب الكاتب ليسود ورقاً ويأخذ عليه أجراً فمن أين تأتيه الإجادة لايكون الكاتب كاتباً حقاً إلا إذا ظن ـ ولو خطأ ـ أنه يكتب ليبلغ إلى قارئه رسالة معينة ، ولوكانت رسالة التسلية أو الإضحاك . فهو إذا سلّى فإنما يسلي عن هموم الدنيا ، وإذا أضحك فإنما يضحك من سخافات البشر ، وهذه أو تلك « رسالة » جديرة بكل احترام . أما الكاتب الذي يسود الورق ليأخذ الأجر فقلما يفكر في « رسالة » من أي نوع . وحينما يتذكر أنه كاتب وأنه ـ على كل حال ـ مقيد مع قارئه في سلسلة واحدة فقد تراه يرقص في السلاسل ، أو يقفز ـ مثلي ـ على الأشواك . ولكن هذه لحظات نادرة ، تعجز عن تبديد الظلام الذي يخيم على كلماتنا ـ ظلام الكذب .

ومادمت أحاول أن أكون صادقاً معك أيها القارىء فأرجوك ألا تسألني عن حل لهذه المعضلة . فأنا لاأعرف لها حلاً . ليس من السهل أن يقال للدولة ـ لأي دولة في العالم العربي ـ ارفعي يدك عن الثقافة ، لأن الثقافة ، مثل التعليم ، مرفق عام ، لايمكن أن يقوم بجهود الأفراد وحدهم . وهل المتاحف ودور الكتب ـ مثلاً ـ أقل شأناً في حياة الأمة من المدارس والكليات ؟ ولكن المشكلة ـ أمّ المشاكل كلها ـ هي أن العلاقة بين « الدولة » و « الأمة » في عالمنا العربي لاتزال علاقة مبهمة ، تنتظر الفيلسوف الذي يسوغ نظريتها كي تستقيم العلاقة بينهما في الحاضر والمستقبل .. ولايزال بعض رؤساء الدول يقومون بوظيفة الفيلسوف لدولهم ، بل للعالم العربي على امتداده ، بل للعالم كله إن أمكن ، ولكني أظن أن معظمهم سئم هذه الشغلة ، ولم يتقدم غيرهم لملئها ، لأنها شغلة بلا مكسب . فإلى أن تبرز حضارتنا الروحية

مفكرا واحدا يقبل القيام بهذه المهمة . كما ابرزت حضارة الغرب المادية مفكرين من هذا النوع ، فستظل العلاقة بين الأمة والحكومة متوقفة على المصالح الوقتية القريبة لكلا الفريقين .

واحسبك تسأل : وماعلاقة الثقافة بهذا الموضوع الطويل العريض ؟ فأذكرك بالمفاهيم الثلاثة التى سبق أن قلت إن كلا منها كان له دور فى تدبير أمور الثقافة فى مصر : فمفهوم أن الثقافة خدمة تقوم بها الدولة مرتبط بما يسمى دولة الرفاهية أو دولة الخدمات . ومفهوم أن الدولة تتولى توجيه الفكر والفن هو جزء من مفهوم الدولة الشمولية . ومفهوم أن الدولة تحتكر الإنتاج الثقافى كما تحتكر سائر أنواع الإنتاج المهمة راجع إلى مفهوم أوسع وهو مايطلقون عليه اسم رأسمالية الدولة . وهذه كلها مفاهيم سياسية واخذناها عن الغرب كما نأخذ السلع المصنعة : لم نسأل انفسنا عن قيمة كل منها عملياً بالنسبة إلينا ، ولاعن إمكان الجمع بينها أو ضرورة اختيار واحدة منها وعلى أى اساس يكون الاختيار .

وهكذا أصبح الإنتاج الثقافى - مع انه يبدو مشكلة ثانوية ، بل أقل من ثانوية ، بين المشاكل الضخمة التى تواجه الدولة والشعب - اشبه بنموذج كامل يمثل هذه المشاكل كلها ، وقد يصبح حله - ولنكن متفائلين - مفتاحاً لحل جميع المشاكل الأخرى .

● كلمات عاشت ●

● ... وانى لمعترف بفضل هذا الوطن العزيز علىّ . فقد نشأت فى ظله ، وتقلبت فى مهده ، وتربيت فى حجر كفالته وتعهده ، حتى صرت من ابنائه المعدودين ، ورجاله المعروفين ، وتمتعت ، صغيرا وكبيرا ، بكثير من خيراته وثمراته ، ولا ازال متنعما بطيباته . فاجدنى ، وان استوفيت الجهد ، وقضيت العمر فى خدمته ، لم اقم بعشر معشار ما علىّ من واجباته وحقوقه .

ولكن عرفانى لذلك واعترافى به لايمنعنى من بذل جهد المقل ، والانتهاء لغاية الاستطاعة .. ولهذا التزمت ، فى كل ما تقلدت من الاعمال ، وجميع ما تقلبت فيه من الاحوال ، ان اخدم وطنى بكل ماتناله يدى وبلغه امكانى ، مما اراه يعود عليه بالفائدة والنفع ، قل او جل ، كالسعى فى استكثار المكاتب والمدارس .. وتعميم التربية والتعليم .. ونشر الكتب المفيدة ، اما بالاشتغال فى تاليفها بنفسى او الحث والتحريض عليها لمن ارى فيه أهلية القيام بها ...

● على (باشا) مبارك ●

لغويات




بيرم التونسى




زكريا احمد

فيروز

● يخلط بعض الناشئين الذين يرسلون إلينا محاولاتهم الشعرية بين كلمتى « عذل » بالذال .. و« عزل » بالزاى فاما « عذل » فتقول « عذلت فلانا فى الحب فاعتذل » أى « لمته فى انسياقه للهوى فعدل عنه » .. وتقول « عزلته فاعتزل » .. اى « نحيته عن شيء من الاشياء أو عمل من الأعمال فتنحى عنه » .. والفرق ـ كما ترى ـ هو الفرق بين حرفى الذال والزاى . ولم يكن هذا الفرق يخفى على الكاتبين باللغة العربية قديما ..

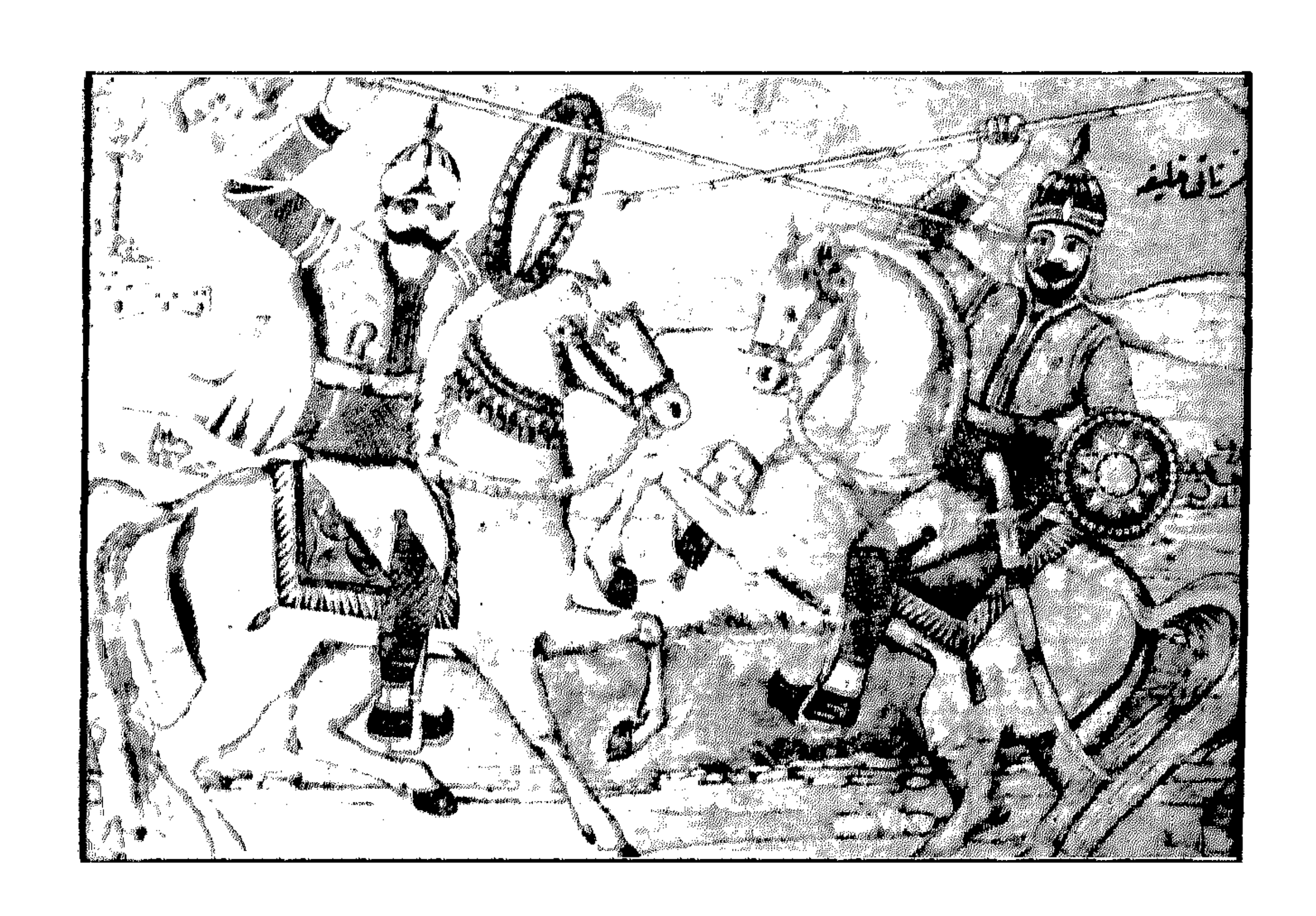
● عندما نشبت حرب اليمن فى أوائل الستينات اشتهر اسم مدينة « صعدة » اليمانية . واصر بعض الصحفيين على تسميتها « صاعدة » ظنا منهم ان العامة يحرفون هذا الاسم الى « صعدة » كعادتهم فى خطف الألف فى مثل هذه الكلمة . ولكن هؤلاء . الزملاء اخطأوا ـ واستمروا على الخطأ ـ حتى تساءل الناس : أهى « صعدة » ام « صاعدة » ؟! والصواب ـ كما قلنا ـ « صعدة » .. وهى الرمح المستقيمة .. يقال : قناة صعدة .. اى رمح مستقيمة . وبها سميت مدينة « صعدة » ..

● فى مصـر يقول العامة : « سنكر الباب » .. اى أغلق الباب . وفى الشام يقول العامة : « سكو الباب » .. بفتح السين وتشديد الكاف المفتوحة .. والصواب قول العامة الشاميين ، وهو من الفصيح .. وللمطربة فيروز اغنية مشهورة عن بيروت تقول فيها : « سنكروا الشوارع » .. « اى اغلقوها » ..

● تشتهر بين العامة كلمتا « الطرشى » و« المخلل » لكثرة استعمالهم هذا اللون من الاكل كفاتح للشهية .. وكلمة « الطرشى » دارجة ، وكلمة « المخلل » فصيحة ..

● يقول العامة : فلان يشرب القازوزة .. ويظن بعضهم أن القازوزة كلمة غير صحيحة ، ولكنها صحيحة ، وهى من المعرب الذى صار عربيا .

● يحرص بعض المتكلمين على ان ينطقوا كلمة « الدلالة » بكسر الدال المشددة ، وهى مصدر « دل .. يدل » ويظنون ان ذلك افصح من قولهم « الدلالة » بفتح الدال المشددة .. والحقيقة ان فتح الدال هو الأفصح .. وهناك كلمات كثيرة على وزن « فعال » بكسر الفاء ، فيها لغتان ، اى الفتح والكسر .. مثل : جهاز ومخاض ورضاع و« وفاء » و« وثاق » وحصاد وقطاف ... الخ .



ايزيس والبطل في الأساطير والملاحم الشعبية

بقلم: د. عبد الحميد يونس

● مهما اختلفنا في تحديدنا لمفهوم الاسطورة فاننا لا نستطيع ان ننكر اهميتها في دراسة الفولكلور او المأثور الشعبي ، وكل من يعرض لمقومات السلوك الانساني مطالب بمحاولة المواجهة العلمية الواقعية للاسطورة. ودرج الكثيرون على أن يقولوا ان الاسطورة هي كل شيء يناقض الواقع او بتعبير آخر مالا وجود له في الواقع ●

والراجح ان هذا الاستعمال انما جاء من اجتهاد المترجمين فى اوائل النهضة عندما جعلوا الاسطورة ترجمة لكلمة كانت تعني ما يناقض الواقع واكد هذا الاستعمال الدلالة التقليدية لاساطير الاولين التى كانت تتعلق باخبار السلف وما يتصل به . واختلفت اراء المفكرين والدارسين حتى فى العصر اليونانى القديم حول جدوى الافادة من الاساطير فى الابداع الادبى والفنى . واذا كانت الياذة هوميروس تعد من الروائع العالمية فى الادب الشعبى ، فاننا نذكر اعتراض فلاسفة الاغريق على تجاوز الشاعر هوميروس للواقع وعدوا ما اورده من اساطير عبارة عن وهم وخيال .. ومع هذا كله فاننا نذكر ان البعض اخذ يحتكم الى العقل فى تفسير الاساطير ، ويذهبون الى ان الالهة كانت فى اصلها طائفة من الملوك بلغت من القوة والتاثير شأوا عظيما جعل الناس يتجاوزون بها عالم الواقع الى عالم الخوارق ثم يؤلهونها . ولهذا الاتجاه اهميته ، ذلك لانه حمل الاساطير واقعا تاريخيا ، ولعل الاصح ان يقال ان الاساطير قد اصبح لها بفضل هذا الاتجاه واقع فيما قبل التاريخ ، وهو ما يؤكد ان البطل هو المحور الرئيسى للاسطورة فى الوجدان الشعبى .

ولا يتناقض هذا التصور مع المسار الحضارى للمجتمعات على اختلافها . فالاسطورة وان كانت تحكى المبالغة فى الخيال فانها تساير التطور من مرحلة حضارية الى اخرى ، والدلالات والرموز فى اللغة الفنية لها علاقتها الوثيقة بالاسطورة ونستطيع ان نقول ان المجتمعات الانسانية ظلت تتصور التاريخ ممتزجا بالخيال والمبالغة . ومهما اختلفت وجهات النظر فاننا يمكن ان نقول ان الاسطورة تروى تاريخا له قداسته وتسرد حدثا وقع فى عصور ممعنة فى القدم . واذا اردنا ان نحدد مجال الاسطورة فاننا نشير الى انها حكاية اله او شبه اله كائن خارق تفسر بمنطق الانسان البدائى ظواهر الحياة والطبيعة والكون والنظام الاجتماعى واوليات المعرفة وهى تنزع فى تفسيرها الى التشخيص والتمثيل والتحليل ، وتستوعب الكلمة والحركة والاشارة والايقاع ، وقد تستوعب تشكيل المادة وهى عند الانسان البدائى عقيدة لها طقوسها ، فاذا تعرض المجتمع الذى تتفاعل معه الاسطورة لعوامل التغيير تطورت الاسطورة بتطوره وقد تبدد تحت وطأة عناصر ثقافية اقوى فتنفرط عقدتها وتنحدر الى مسفح الكيان الاجتماعى او ترسب فى اللاشعور وتظل على الحالين عقيدة او ضربا من ضروب السحر او ممارسة غير معقولة او شعيرة اجتماعية . وكثيرا ما تتحول الى محاور رئيسية تعاد صياغتها فى حكايات شعبية .

والاسطورة تعد مادة للعلم المتخصص فى دراستها ، وهو علم الاساطير او « الميثولوجيا » وهذا العلم انما يعنى بها وهى حية فعالة تقوم على العقيدة والشعيرة والشكل التمثيلى ، فاذا تحولت الى عقيدة ثانوية او ارتبطت بالشعائر الاجتماعية او اصبحت حكاية شعبية فانها تخرج من اطار علم الاساطير وتصبح مادة رئيسية من مواد علم الفولكلور و المأثورات الشعبية .

ومنذ ايام قليلة احتفلنا فى القاهرة بترميم المسرح القومى ، واعيد افتتاحه بتمثيل مسرحية ايزيس للاستاذ الكبير « توفيق الحكيم » وهو ما يثبت قيمة الاسطورة ، لا فى تفسير الظواهر الطبيعية والاجتماعية فحسب ، ولكن فى استلهامها لتكون رائعة من روائع



أدبنا المصرى والقومى .

وتعنى الاسطورة دائما بنشـــأة أبطالها ، ونجد الشاهد على ذلك فى اقتران هذا الظهور بتفسير الظـواهر الطبيعية والكونية . ومن المشـــهور ما رواه بلوتارخوس من المرحلة الاولى لهذه الاسطورة ، وهو ان الهة السماء نوت خانت زوجها رع مع اله الارض سب ، وعلم اله الارض رع بهـــذه الخيانة فغضب وصب عليها لعنتـــه وقضى بالا تتخلص من حملها فى أى شهر من شهور السنة . وتوسل الاله توت بالحيلة لانقاذ حبيبته نوت واستطاع أن يأخذ من القمر الجزء الثـــانى والسبعين من كل يوم فوفر بذلك خمسة ايام كاملة أضافها الى السنة المصرية القديمة التى تتألف من ثلاثمائة وستين يوما فقط . وهذا هو الاصل الاسطورى الذى يفسر ظاهرة أيام النسىء الخمسة التى تضـــاف كل عام الى التقـــويم المصرى حتى يساير التقويم الشمسى . وهكذا استنقذت نوت من لعنـــة رع وانجبت فى اليوم الاول من ايام النسىء أوزيريس وفى الثانى حورس الـكبير وفى الثالث ست وفى الرابع ايـزيس وفى الخـــامس نفتيس ، وتزوج أوزيريس من أخته ايزيس كما تـزوج ست من أخته نفتيس . وتذهب الاسطوره الى ان الفضل فى تحول المصريين من حيـــاة البداوة الى الاســـتقرار انما يعود الى أوزيريس الذى علمهم زراعة القمح والشعير والذرة فأعجب به الشعب وأحبه وجعله بطلا اسطوريا يرتفع الى مقام الالهة .

ولابد أن نتأمل فى حكاية هـــذه الاسطورة وشعبيتها لاننا نجد الصراع هو المحور الرئيسى فيها ، ويقوم ذلك على ان الاخ « ست » الذى يمثـــل الشر قد حقد عليه لانه أدرك ان الشعب احب اوزيريس وجعل له مكانة سامية فى الحياة والمجتمع ، وكاد له مـــع جمع من معاونيه وصنع له تابوتا نفيسا على قد جسمه ثم أقام حفلا دعا اليه أصدقاءه المتآمرين معه واستدرج بعد ذلك أخاه الى هذا الحفل ومد الطعام والشراب . وبينما كان الجميع يقصفون أحضر ست التابوت النفيس وأعلن أنه من نصيب الذى يكون على قده وتبارى الحضور فى قياس أجســـامهم الى التابوت بالرقاد فيه ، وأخيرا جـــاء دور أوزيريس الذى تقدم بعد الصـــاح ورقد فى هذا التـــابوت واذا بالمتآمرين يسرعون باحكام غطائه ثم القـــوا بالتابوت الذى رقد فيـه أوزيريس فى نهر النيل .

وعرفت ايزيس أن شرا مســـتطيرا قد حاق بزوجها فذهبت مولولة تبحث عنه وانتهى بها المطـــاف الى مدينة ببلوس واكتشـــفت أن التابوت الذى يضم جسم زوجها قد حملته المياه الى تلك المدينة حيث برزت شجرة رائعـــة من « الاثل » أو « السرخس » وضـــمت التابوت بما يحمل فى اطوائه . وشاهد ملك الاقاليم تلك الشجرة فراعـــــه حسنها وامر بقطعها وصنع منهـــــا عمودا لقصره دون ان يدور بخلـــده ان فى باطنها تـــابوت أوزيريس . واحتالت ايزيس حتى حصلت عـــلى هذا العامود واستخرجت منه التابوت وانطلقت بكنزها الثمين عـــائدة الى مصر .

ووضعت التابوت على تربتهــــا وراحت تبحث عن ولدهـــا حورس فى مدينة بوتو . وأصر « ست » على تتبع أوزيريس ونجح فى العثور عليـــه وتعرف على جثمانه ومزقه أربعة عشر شلوا فرقها علم الاقـــاليم . وعلمت

ايزيس بما حل بجثمان زوجها فأخذت تبحث عن الاشلاء متوسلة بزورق من البردى تجوس به المستنقعات . ويقال ان هذا هو السبب فى ان التماسيح لا تتعرض لركاب الزوارق المجدولة من البردى . ولا نريد أن نطيل فى عرض هذه الاسطورة وحسبنا أن نذكر أن ايزيس رفرفت بجناحيها فبعثت زوجها أوزيريس الى الحياة وأصبح منذ ذلك يرقى سفينة الملايين أى الشمس يراقب فعال الناس وذلك فى رواية أو اصبح ملكا على الموتى فى العالم الاخر واتخذ هناك عدة ألقاب منها اله العالم الاخر ورب الخلود وعالم الموتى . ويرأس فى قاعة الحقيقتين محكمة الارواح يعاونه اثنان واربعون مساعدا يمثلون اقاليم مصر الرئيسية ، فتوزن أمامه قلوب الموتى بميزان العدالة ويحكم عليها اما بالخلود واما بالقصاص المناسب لخطاياها ، وذلك فى رواية أخرى .

والناظر فى أدب الشعب يجد ملامح أسطورية فى الملاحم والحكايات وفى ترديد ما يرتبط بالعلاقات الاجتماعية والمواسم الطبيعية من غناء وطقوس ، والشعب المصرى يرى مصداق تلك واضحا فى النزوع الى التوحد .. يجده فى هذه الاسطورة التى تمثل بتلخيصها والتى جعلت من اوزيريس رمزا للخير والعلم والنفع وجعلته ينتقل الى خارج حدود مصر اشارة لامتداد الرسالة الحضرية المصرية الى مدى أبعد من حدود الوطن المصرى .

● الملحمة الشعبية تطوير للاسطورة ●

وفى الادب الشعبى الذى لا يزال حيا فى قلوب الناس وعقولهم ، ولايزال مرددا على ألسنتهم ، ملحمة عربية اخذها الشعب المصرى كما يأخذ الفنان موضوعا بارزا من موضوعات التاريخ او الواقعة عظيمة من وقائع الابطال ، ولاءم بينها وبين مطالب حياته الوجدانية . وسوف يروعك ان تعلم أن هذه الملحمة فى صدق أخذ نزوع الشعب المصرى الى التوحد بفعل نيله العظيم .. انها الملحمة التى كان يحفظها أبناء الجيل الماضى من المثقفين وغير المثقفين على السواء ، والتى لايزال الشعب يطلق أسماء ابطالها على بنيه وبناته انها ملحمة بنى هلال فبطلتها اسمها « الجازية » ولسنا فى مقام التوفيق بين هذا الاسم وبين « ايزيس » فقد يكون ذلك تعسفا لاغناء فيه ، وحسبنا أن نذكر أن الجازية هى التى تجمع متفرقات هذه الملحمة ، وهى شريانها الاكبر ، وهى رمز الوفاء للزوج والولد والعشيرة والوطن، ولا أظن انها المصادفة وحدها هى التى جعلت تلك الكتلة الخشبية الكبيرة التى تجمع بين « الصغير » وبين « الكبير » فى « الساقية » المصرية وترمز بذلك الى وحدة الجهاز كله ، تسمى هى الاخرى بالجازية .

والملحمة من اعرق الاجناس الادبية وفيها ملامح أسطورية بارزة ، وهى من الناحية اللغوية العظيمة فى الحرب والقتال ، ثم اصبحت تدل على الشعر المطول فى واقعة أو مجموعة من الوقائع تقترن ببطل او اكثر برز فى فنون الحرب وانتصر على عدوه .

والملحمة اصطلاحا جنس أدبى يقوم على مطولة من الشعر وتحكى عجائب الاحداث التى تتجاوز الواقع الى الخيال المحض فى الغرابة وتتركز حول شخصية البطل أو الابطال . واذا كان البطل فى الاسطورة كائنا خارقا فانه فى الملحمة انسان ، ولكن الخيال الشعبى يسبغ عليه المبالغة فى القوة والسلوك ، لانه يعبر عن الصراع بين الشعب وبين أعدائه ، ولابد من أن ينتصر عليهم اخر الامر . وابطال السير الشعبية يحولون الكثير



من الوقائع والمواقف الى حديث مباشر يعبر به البطل عن نفسه . والشعبية فى الملحمة تستوعب الوقائع والاحداث التى تخرج أحيانا عن مجال المحاور الرئيسية لها ، ووجه الشبه بين البطل فى الاسطورة وبينه فى الملحمة ان الاخير يشخص ايضا الفضائل والمزايا التى تؤكد المثل والقيم العليا كما يصورها الوجدان الشعبى فى بيئته الاجتماعية ، وان كانت الخوارق التى توجد فى الملاحم الشعبية لا تتناقض عند المتذوقين لها فى التاريخ .

ومن أهم الصفات التى تشبث الشعب بها هى « السمرة » فى البطل لان الحرب كانت دفاعا عن العروبة فى وجه الصليبيين ، ومن هنا نجد أن السمرة تعد ميزة عند العربى أمام اصحاب البشرة البيضاء والصفراء . لقد كان عنترة بن شداد بفطرته اسود اللون لانه كان فى الروايات العربية ابن أمة حبشية ، وان كان الوجدان الشعبى جعله ابن أميرة حبشية ليسبغ عليه المكانة والشرف وواجه موقفا دراميا لانه كان ينزع الى ان يتخلص من العبودية واصبحت سيرته تقوم على تحرير نفسه بتحرير مجتمعه ، فلما برز فى الفروسية وتغلب على خصومه حرره ابوه ، ومن ثم نجد ارتباط السمرة للمحافظة على استقلال الارض وحرية الشعب .

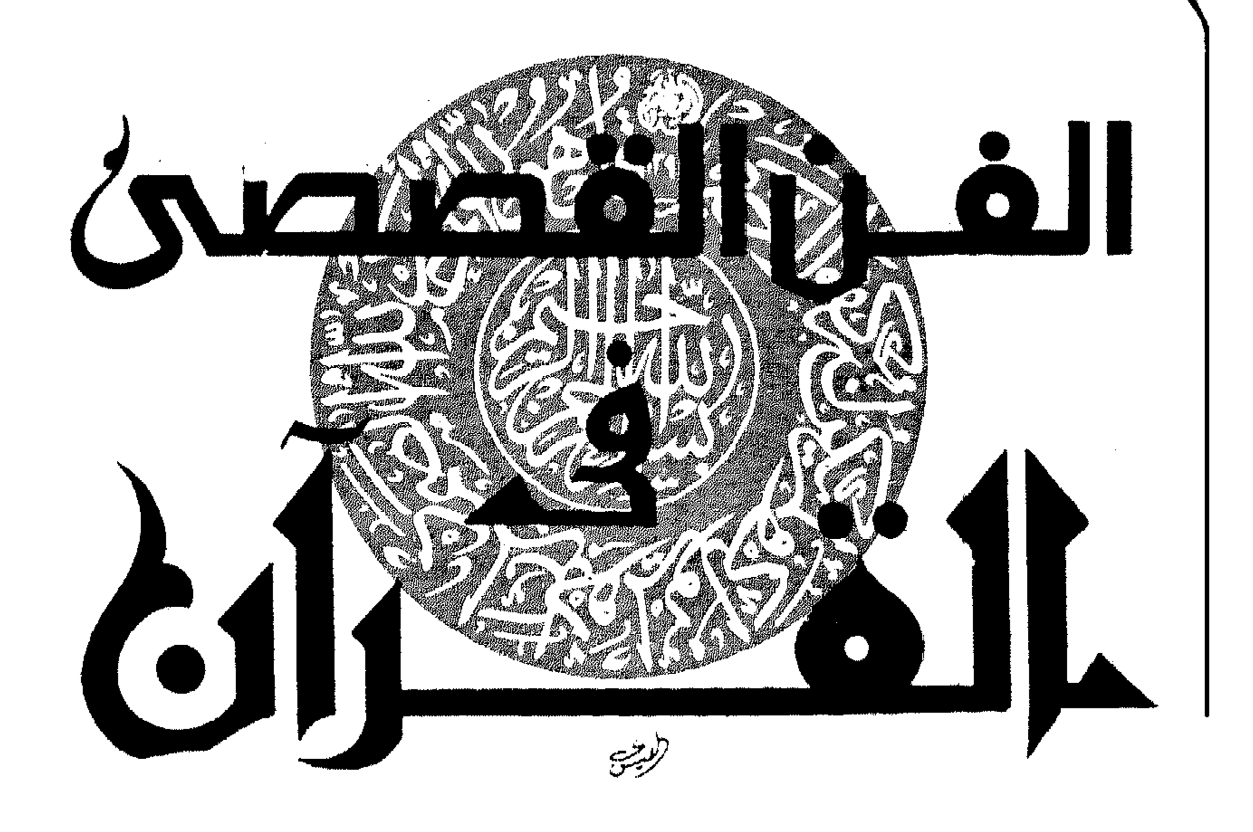
وهذا يقودنا الى الحديث عن أحد الابطال المشهورين فى الوجدان الشعبى فى السيرة التى لا يزال الشعب يحفظها ويرددها وهى « سيرة بنى هلال » وكان التحول من الحلقة الاولى فيها والتى تحكى تاريخ الاباء الى الحلقة الثانية التى تروى بالتفصيل سير الابطال ، مثلا رائعا من الناحيتين الانسانية والقومية وهذا التحول لا يفسر موقف العرب من ذوى البشرة البيضاء الذين غلبوهم على الحكم . ومن ثم جاءت بعض الاحداث والظواهر وكأنها تفسير نفسى وفنى يذكى هذا الموقف ، فقد أوردت السيرة الهلالية بالتفصيل الظروف والملابسات التى خرج فيها ابو زيد الى الحياة وجسم المنشئون للملحمة لهفة العربى على المولد ،فرووا أن رزقا تزوج الى عشر نساء ، ولم يكن يجمع بطبيعة الحال الا بين أربع منهن فقط كما يقضى بذلك الشرع الحنيف . ومما آلمه وحز فى نفسه انه أنجب من زوجاته العشر ابنتين ، كما اتت احدى نسائه بصبى ولدته مشوها ، وقبيل هذا الحادث غير السعيد تزوج رزق زوجته الحادية عشرة ، وهى « خضرة » ابنة شريف مكة » ومن ثم عرفت بالشريفة وأثلج صدره ما رآه من امارات الحمل عليها ، اذ كان يتوقع أن يأتى له بغلام سوى يجمع الشرف الهاشمى الى الدم الهلالى ، فبعث الى الامير غانم رأس بنى زغبة يدعوه ورجاله ليشاركوه الحفل بولادة ابنة من بنات الاشراف ، فاستجابوا لدعوته واصبحوا ضيوفا ينتظرون واياه الحادث السعيد .

واتفق للسيدة خضرة أن تخرج مع الاميرة « شمة » احدى زوجات سرحان فى جمع من العقائل ، فرأت طائرا أسود ينقض على مجموع من الطير مختلف الالوان والانواع فيغلب عليه ويقتل الجانب الاكبر منه ، فاعجبت به ورفعت وجهها الى السماء تدعو الله أن يريها غلاما على شاكلته ولو كان فاحم اللون ، واستجاب الله لها .. وغضب الامير رزق ولم يكن يصدق

ان الغلام ولده ، ولكنه ابقى زوجتــه لكلفه بها ، وابى على نفسه أن يـرى الغلام بعينيه ، واكتفى بما سمع من المرأة التي أبلغت النبأ ، وحـــال بين الجمع وبين رؤيته الى ان جاء اليـوم السابع فمد السماط واحضر الغــلام الضيوف ـ كما تقضي بذلك العــادة المتبعة ـ تحمله جارية على محمــل من الفضة تغطيه غلالة لاتبين منــه شيئا والتى الســادة عليه النقوط ، من ذهب وفضة ، ورفع احدهم الغلالة فهاله أن يرى الغلام أسود فاحمــا ٠ وكان الامير رزق أثناء هذا كلــه عند باب خيمته ، فلما دخل الســار عليه معظم اصحابه أن يخلي بينــه وبين زوجه هذه ، وشككوه في خلقها واعلنوا ان بقاءه عليها يجر العــار عليه وعلى قومه جميعا ، فاذعن كارها وأرسلها وابنها الى أبيها في مكة ٠

ورأت « خضرة » أن تنزل واديا في الطريق والا تعود الى أبيها متهمة في عرضها حتى لقيها الامير « فضل بن بيسم » رأس قبيلة الزحلان وعــرف خبرها فاحترمها واكرم وفادتهــا وطلب الى زوجه أن تتلقاهــا ، وتبنى ولدها ونشأه مع ابنيه « مفعم ونعيم » واكن بركات ـ وقد أصبح هذا اسمه يزاترانه في القوة والشجاعة ٠ ولـم يكن البطل متفوقا في الفروسية وفنون النزال وحدهما وانما كان يتســم بالنبوغ في العلم ٠٠ فما أن بلــغ أبو زيد الحادية عشرة من عمره حتى كان قد ثقف معارف الدين والدنيــا مما كان يدرس في جزيرة العــرب بما فيها من علوم اللسان العــربي وغير العرب والرياضيات والتنجيــم والسحر والكيمياء ، ونجــد ملامح اسطورية في المبالغة ورفع الحــاجز بين الخيال والواقع ، وتحكى السيرة أن الامير رزق اعتزل قبيلته بعــد ما غادرته زوجته وعاش في خيمة من الشعر الاسود واصــطحب معه عبدا واحدا يقوم بحــوائجه ، ولم يمض طويل وقت حتى اجتاح نجوع بني هلال جدب قاحل استمر امدا فرأى سرحان والاشياخ من الهلالية ان يهاجــروا الى نجوع بني الزحلان ، ولما بلــغ سرحان وقومه مقفهم تصدى لهم بركات والحق بهم هزيمة منكرة ٠ فارســل سرحان يستنجد بالامير رزق فاجابه الى سؤاله وذكر له اســم بركات في الطــريق ، وكاد يعرف أنه ولده ، وتساءل بينه وبين نفسه اذا صــح ما توقعه ، فلماذا سمي بهذا الاسـم وقد سماه عند ولادته أبا زيد ولما بلغ موضع الهلالية المندحرين حمل عليــه بركات وقد أخذته ثــورة الغضب ، عندما عرف اسم منازله ، وذكــر أنه واتره في أبيه ٠ وسوف رزق ما وسعه التسويف ، وكاد الابن أن يقضى على أبيه لولا أن نهته أمه ونلفت اليــه بجلية الخبر ، فاقر الاب ابنه واسترد زوجه واعترف « بنو هلال » جميعــا بمكان بركات من أبيه ومنهم ٠واستمرت الملحمة في الريادة والتعرية لــكى تؤكد صفة العروبة وتواجه الموجــات التي تريد أن تجتاح الوطن العــربي الكبير ٠

وجميع الاداب اتخذت الاســاطير والملاحم حافزا على تحقيق المثل العليا عند الفرد وعند الجماعة كما عملت على رفع الروح المعنــوية وخلقت الظروف التي تعين على مواجهــة الاعداء ، بيد اننا يجب أن نســجل ضرورة معاونة الوجدان الشعبي على مسايرة التطور وبخاصة في المرحــلة التي نكرر انها اصــبحت اقرب الى الطفرة منها الى الخطوات حتى ولو كانت متزايدة السرعة ٠٠ ومســتقل الاساطير والملاحم من الــروائع التي تحفز الاديب والفنان الى استلهامها ٠



بقلم : محمد سيد كيلانى

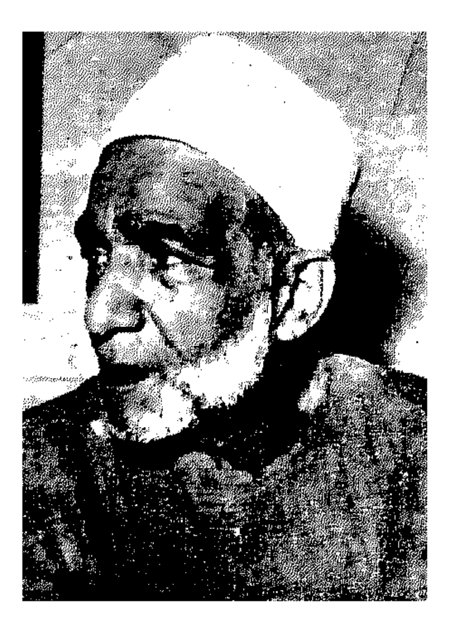
نشرت صحيفة الأهالى حديثا للدكتور محمد أحمد خلف الله تحت عنوان « أنا لا أخاف السلفية » جاء فيه :

« أن ضجة قد حدثت حول هذه الرسالة استغلت فيه بعض الجماعات الدينية وانتقلت هذه الضجة الى الصحف . وكنت قد تعرفت فى هذه الفترة على الشيخ حسن البنا عن طريق أصدقاء سوريين والتقيت به وقال : لاتهتم بهذه الضجة ، إن الاخوان ليسوا ضد رسالتك » .

فالمعترضون على رسالتى لم يقرءوا الأصول الأولى التى اعتمدت عليها فى الرسالة فاكتشفت أن من السهل تحديهم ومواجهتهم . ومنذ ذلك الحين أعود للمصادر الأولى للقرآن والثقافة الاسلامية والرازى وماشابه ذلك لمواجهة الجمود فى الفكر الدينى . وهكذا ساعدنى جهل الآخرين على مزيد من الدراسة ، وكان هذا الجهل يملؤنى إيمانا بأننى على حق »

هذا ملخص مانشرته الاهالى وإنها لجراة عجيبة من الدكتور محمد أحمد خلف الله . فإن رسالته قد رفضت بإجماع أعضاء لجنة المناقشة ، الأمر الذى دعاه الى رفع شكوى الى وزير المعارف الذى أحال الرسالة إلى الشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء فى ذلك الوقت






د . محمد احمد خلف الله

الشيخ محمود شلتوت

فوضع تقريرا جاء فيه :

« يذكر المؤلف أن الذى دفعه الى هذا بحث ماراه من

١ ـ أن المستشرقين يطعنون على القرآن فيما جاء به من قصص وأخبار يرون أنها لاتتفق والواقع التاريخى الذين يعلمون ، وأنها تدل على جهل محمد بالتاريخ .

٢ ـ وأن المسلمين منذ عهد النفر الأول الذين عاصروا النبى صلى الله عليه وسلم قد استقبلوا كل ماذكر فى القرآن على انه تعبيرات جادة ، يراد بها معانيها فيما جاءت به وتأثرت عقليتهم بما جاء من الآيات الدالة على أنه يقص أنباء الغيب التى لم يكونوا يعرفونها ، فقالوا بأن أخبار الأولين آية صدق النبى ودليل على إعجاز القرآن »

« ثم يجمع بين هؤلاء المسلمين وأولئك المستشرقين فى حكم واحد اذ يقول :

« وليس من شك عندى فى أن مصدر الخطأ فيما ذهب اليه من آمن بهذه الأشياء وصدق كل مافيها من تاريخ ، أو من أنكرها وادعى أنها اخطاء تاريخية أو قصص ملفقة ، جهل أولئك وهؤلاء أو تجاهلهم لما بين الأدب والتاريخ من علاقات »

هذا هو أهم مادعاه الى أن يسلك سبيلا آخر فى فهم القرآن سماه « الفن القصصى » ورأيه فى ذلك يتلخص فى أن القصص القرآنى نمط من أنماط القصة الفنية التى لايلتزم الفنان فيها الصدق وتحرى الواقع ، وإنما يعطى نفسه من الحرية مايغير به ويبدل ، ويزيد ويخترع »

الفن القصصي في القرآن

« ولايقف بهذا عند قصة أو قصص بعينها ولكنه يطرد هذا الشأن في كل ماقصه القرآن سواء في ذلك ماجاء عن الانبياء والرسل والأمم وماجاء عن غيرهم . فيذكر قصة آدم وإبليس ، وقصة الخليقة والملائكة وقصة كلام عيسى في المهد ونجاته من اليهود وأنهم لم يصلبوه ولم يقتلوه وقصة ناقة صالح الى غير ذلك »

ثم لايقف عند القصص القرآني ، بل يطرد هذا الحكم ايضا على غيره مما جاء في الكتاب الكريم من أوصاف ونسب ماضية كانت أو مستقبلة . فيذكر سؤال الله لعيسى يوم القيامة (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله) ويذكر مثل قوله تعالى (ان الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون) يذكر ذلك وأمثاله في مجال مايقرره من أن القرآن ليس فيه مايدل على أن حوادث هذه القصص تلتئم مع الواقع الفعلي أو لاتلتئم ، وأن هذه النسب والأوصاف تصدق أو لاتصدق . وإنما هو اسلوب قصد به غرس فكرة وراء ماتدل عليه الألفاظ بمعانيها اللغوية المعروفة أو مشايعة الواقع النفسي الذي كان سائدا عند المعاصرين ، استغلالا لمعلوماتهم وإن لم تكن صحيحة في سبيل تأييد الدعوة التي جاء بها . وقد زعم أن هذا تأويل للآيات وخاصة آيات القصص التي هي عنده من المتشابه ، يجري فيها مذهب السلف ومذهب الخلف من التسليم أو التأويل »

« ويستند الى ماعرف عن العرب من التمثيل وماجاء في بعض تمثيلات القرآن وتشبيهاته على هذا الأسلوب الذي لاينظر الى الواقع وانما يجرى الكلام فيه على ماألفه العرب في هذا الباب كما زعم أن بعض المفسرين يقولون بمثل هذا ايحاء او تصريحا . وقد ذكر منهم الامام الرازي والامام محمد عبده .

هذه خلاصة فكرته وأهم عناصرها وعواملها .

ولاريب أن هذه الأسس التي بنى عليها الكاتب بحثه أسس فاسدة . ولننظر بعد هذا فيما يرمي به المسلمين منذ العهد الأول ، عهد المعاصرة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وعهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن عباس وابن مسعود ومن اليهم من أصحاب النبي وأهل اللسان العربي ، وقد سمعوا من رسول الله وتلقوا منه هذا الكتاب الكريم وفهموا معانيه التي يدل عليها بمقتضى أساليب اللغة العربية ، وقد طبعوا عليها ورضعوا لبابها ، واستمر هذا الشأن على جميع عصور المسلمين وعهودهم مدى أربعة عشر قرنا . ننظر فيما رمى هؤلاء جميعا به من جهل أو تجاهل أوتأثر بما يخالف الواقع أوقعهم في فهم القرآن على غير وجهه الذي فطن اليه

واحوال مستقبلة كالبعث والحشر والحساب والجنة والنار ونحو ذلك . وانفتح لكل إنسان ان يقول فى كل هذا : ليس له مدلول ولاواقع يدل عليه ولكنه سبق لمجرد بعث الرغبة أو الرهبة أو العظة او تقويم النفس واصلاح المجتمعات .

سبحانك هذا بهتان عظيم .. إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين .

ذلك هو الرأى فى هذه الرسالة وفيما تجرأ به مؤلفها على كتاب الله وإنها لشر مستطير من شأنه ان يفتح ابوابا من الفتن اذا مكن لها اجتاحت الدين والعقيدة والقرآن فكانت هى الحالقة .

وكنا نحب أن نسمع رأى الدكتورة عائشة عبد الرحمن فى رسالة « الفن القصصى فى القرآن » ورأيها فى شيخها الذى اشرف على تلك الرسالة وكان موجها للطالب فيها . ولكنها لم تفعل بينما هى تعرضت لآراء كثيرين من الذين حاولوا أن يفسروا القرآن الكريم تفسيرا يختلف عما ذهب اليه القدماء ومن العجيب أن تبلغ الجرأة بالدكتور خلف الله أن ينسب الى الشيخ حسن البنا مانسبه اليه وهاهم الاخوان المسلمون موجودون ، وفى استطاعتهم أن يردوا عليه .

إن الرجوع الى الحق فضيلة ، فمن الخير له أن يعترف بخطئه ثم يعلن توبته وبراءته مما وقع فيه من الخطأ والله غفور رحيم .



د . بنت الشاطىء



حسن البنا

الاستاذ وأمثاله ممن يتناولون القرآن الكريم بمثل هذه الدراسات وقد ختم الشيخ شلتوت تقريره قائلا

« وإن القرآن اذا استقبلت دراسته على هذا النحو من الخلط والخبط فقد اقتحمت قدسيته وزالت عن النفوس روعة الحق فيه ، وزلزلت قضاياه فى كل ماتناوله من عقائد وتشريع وأخبار



بقلم : يحى حقى



لغتنا الجميلة

● اللهم اهدنا بحق نبيك : وضوح الرؤية ، وسداد المنطق ، فلا نتحدث عن الثمرة المعطوبة قبل الشجرة العليلة ، ولا نطنب الى حد الاملال فى التأسى على حال الكتاب قبل تأمل أوضاع المطبعة •• ومشكلاتها ، كانت لنا مطبعة لها المجد والحمد كله « مطبعة بولاق » اسمها على الكتاب ضمان وامتياز لا يسمو اليها كتاب آخر ، الاحرف بينه ، والتشابك بينها مريح للنظر، فى آخر الكتاب نشارك رجلا يسمى نفسه « بالعبد الفقير » دعاؤه بأن يكون ثوابه عند الله لا بين الناس • هو الذى قام بتحقيق الكتاب ، وتصحيح طباعته ، ليس فى الكتاب كله غلطة مطبعية واحدة شأن الكتب الاجنبية التى كنا نقرؤها ••

ثم بدأ الهبوط وان استمر احترام القارىء • فى آخر اغلب الكتب التى دب فيها الفساد قائمة ببيان الاغلاط المطبعية ومكانها فى السطر والصفحة ، ثم أصبح الهبوط دحرجة ، واختفى احترام القارىء •

تلقى فى وجوهنا اغلب الكتب مملوءة باغلاط مطبعية شنيعة دون التنبيه اليها •

كتبت مرة مقدمة لمجموعة قصصية بقلم الاستاذ سمير ندى ، « أين

هو الآن ؟ » اشدت فيها بالدمائة فـــاذا هذه الكلمة الحلوة انقلبت الى دمامة ، والغريب ان بعض أصدقائي قالوا لي انها اجمل مقالة كتبتها ..

ثم بـدأ استيرادنا لانمــاط غريبة في الطباعة من قولة « لينوتيب » وما تلاها سريعا من أنماط أخرى متطورة ، يطبــع فيها النص سطرا سطرا لا حرفا حرفا فتصحيح حرف واحد بتطلب اعادة صب السطر كله .. واجدني اميل الى الاعتقاد بأن سبب الورطة التي تعانيها المطبعة العربية هي أننـــا استوردنا تكنولوجيا لطباعة لغــة بأحرف منفصلة لتطبيقها لطباعة لغـــة باحــرف متصــلة .

ولا ينقطع لي سؤال .. من الذى رسم مشق الاحرف الحديثة وهو يتصف بلا جـدال بالدمامة لا بالدمائة .. هل هو اجنبي ؟

فاني لم أسمع عن استشارة واحــد من أعلام الخطاطين عنــدنا وهم كثرة بحمــد الله ..

انني اناشد مجمع اللغة العربية ، ان يستخرج من الادراج ، دراساته السابقة عن اختصار أحرف الطباعة التى اشترك فيها الاستاذ « شوقى امين » ويسأل ماذا تم فيها .. هل اهملت ؟ ولماذا ؟

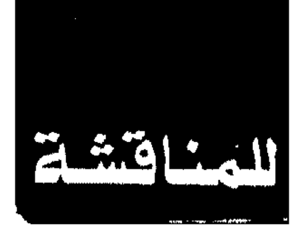
واميل للاعتقاد بأن الحلول المقترحة ستتخبط في حبائل الانماط الحديثة للطباعة في أوروبا ، والى الاعتقاد بألا مفر من ان اجدد الدعوة التى ســبق لى ان ناديت بها مرارا دون أن تجد أى سامع . بأن نطبع اللغة العربيـــة بأحرف منفصلة ، وأن نستبقى الاحرف المتصلة لخط اليد ، كما هو حـــادث عند الغربيين ، فلربما أمكن بذلك وضــع تشكيل على الحروف .

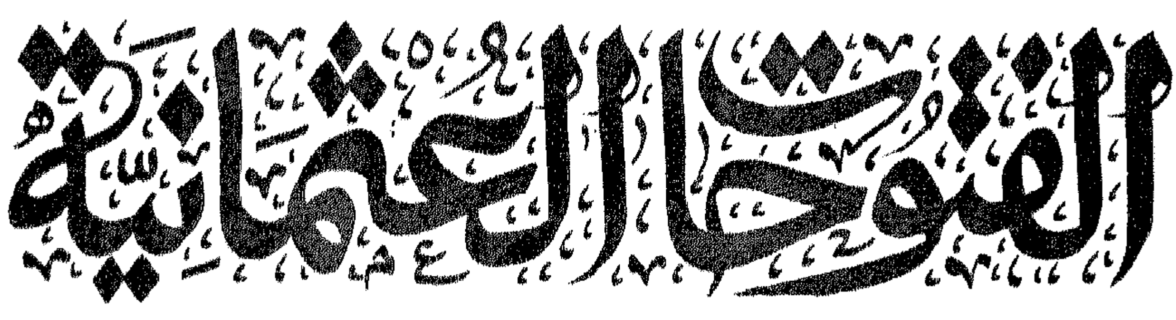
فاللغة العربية تلاقى صعوبة كبيرة في التحول من لغــة منطوقة الى لغــة مكتــوبة ، وبالاخص في أوقات هبوط مستوى الالمام بهذه اللغـــة واترحم على الخليل بن أحمد الذى تنبأ بمأساة بما سوف تعانيه اللغـــة المكتوبة فابتــدع لنــا علامات التشكيل .

ولا أطالب بتشكيل كل حرف فلا حاجة الى تشكيل كل حرف مطبــوع بحرف علة ، ولكنى اصر على ضرورة تشكيل الحرف الاول في الفعل المبنى للمجهول ، وعين مضارع الثلاثي الذى يحتمل الفتح والكسر والضم ، ويبقى باب واسع لا ضابط له وهو قولهم بالسماع ..

انني لا أجزم بأن رأيى هو الصواب ، ولكن قصدى أن افتح ملف قضية ، ان القى بحجر في البحيرة الراكدة ، وينبغى ان نستمع لكل الاراء لعـل وعسى أن نصل الى طباعة كتب تحترم القارىء وتيسر له نطقا صحيحا حين يقرأ ، فاذا استقام النطق استقام الفهم ، وخف ولا أقول انقطع التواء السنة العرب حين ينطقون لغــة العرب ...







العثمانيون فى مواجهة "دار الحرب"

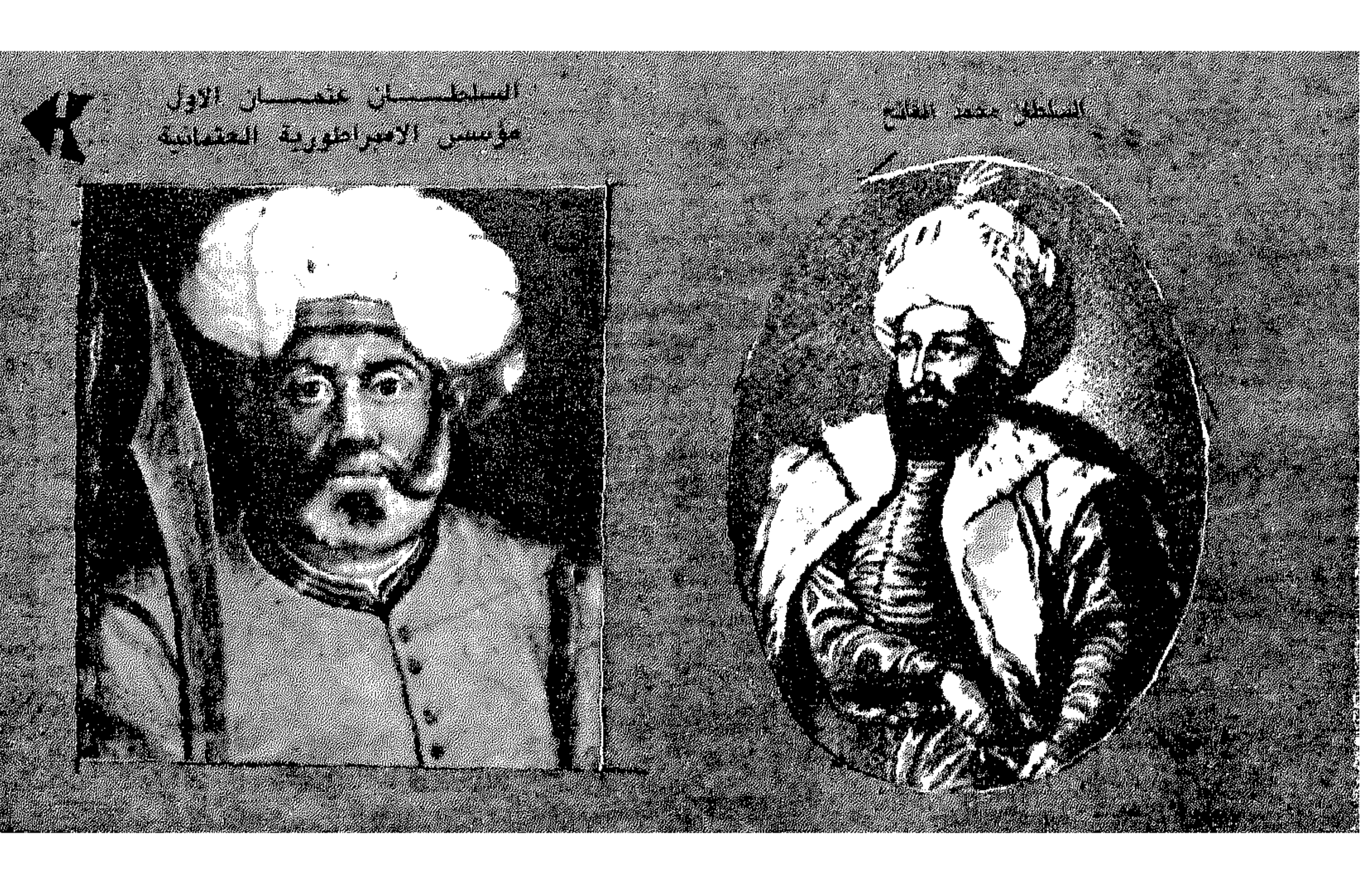
بقلم: د. أحمد صدقى الدجانى

عهد الىّ "الهلال" ان اكتب فى "تفسير تحول الدولة العثمانية من التوسع غرباً إلى التوسع شرقاً فى مطلع القرن السادس عشر الميلادى ، وذلك ضمن طرحه "تقويم الدولة العثمانية" كقضية للمناقشة . وكاتب هذا السطور يحمد لمجلتنا العريقة طرح هذه القضية الهامة ، ويرى ان هذا الطرح يقع ضمن توفير وضوح الرؤية التاريخية امام جيل جديد من أبناء امتنا يحملون مسئولية متابعة انبعاث أمتهم الحضارى فى هذه المرحلة من تاريخنا العربى . ووضوح الرؤية التاريخية عامل أساسى فى صنع التقدم . وهو لا يتحقق إلا بتداول فن التاريخ ـ على حد تعبير شيخنا ابن خلدون ـ واكتساب الوعى التاريخى . كما ان وضوح الرؤية التاريخية يعنى ان تكون لنا نحن العرب رؤيتنا التى بلورناها بجهدنا . وقد عانينا الكثير على مدى القرن الماضى من تحكم "رؤية" الآخرين لنا ولتاريخنا وتراثنا فى "نظرة" "المستغربين" من مثقفينا لأمتهم وتاريخها وتراثها . ولنا ان نشير كامثلة على ذلك الى نظرة هؤلاء الى ادبنا وشعرنا وعلومنا وخصائص امتنا ورؤية "الآخر" ، واعتبار كل ماهو "غربى" "عالميا" ، وحصر صفة "العالمية" بالغرب . وكم نحن بحاجة الى طرح ذلك كله للمناقشة والبحث الموضوعى ، من موقع فهمنا للظروف التى احاطت بهؤلاء المثقفين وادراكنا انهم فُصلوا عن تراثهم فى مرحلة فرض فيها المستعمر الأوربى علينا مفاهيمه بالقوة ، فعرفوا كل شىء عنه ، وقامت بينهم وبين مفاهيم حضارتنا العربية الإسلامية فجوة مازلنا نعانى من وجودها ، ولا بديل لنا عن ردمها .

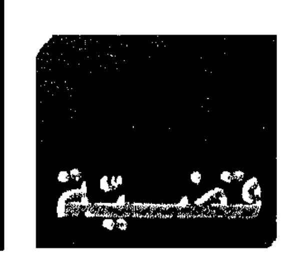
●●

في تناولنا موضـوع توسع الدولة العثمانية غربا وشرقا نلاحظ بداية مع الدكتور عبد العزيز الشناوى في كتابه « الدولة العثمانية دولة اسـلامية مفترى عليها » ان هذه الدولة شغلت حيزا كبيرا للغاية في التاريخ ـ سواء تاريخ العالم الاسلامي او تاريخ العالم الاوربي المسيحي • وقد امتدت فتوحاتها في ثلاث قارات هي أسـيا واوروبا وافريقيا •• فعبرت جيوشها البحر من الاناضول الى اوربا عـام ١٣٥٦م في عهد السلطان اورخان ثاني السلاطين العثمانيين ، ومضـت في زحفها فاستولت على بلاد اليونان بما فيها شبه جزيرة المورة ، وعلى بلغاريا ورومانيا والصرب والمجر وترنسلفانيا واليوسنة والهرسك والبانيا والجبـل الاسود ، وبلغت مشارف فينا عاصمة النمسا في أواسط اوروبا • كما نلاحظ مع المرحوم العلامة سـاطع الحصرى في كتابه « البلاد العربيـة والدولة العثمانية » ان الدولة العثمـانية لم تلبث ان استولت على معظم البـلاد العربية خلال القرن السادس عشـر الميلادى في مدة لا تتجـاوز الاربعين عاما ، ولم يبق من البـلاد العربية خارج حدود السلطنة العثمانيـة الا المغرب الاقصى من جهة ، وقلب الجزيرة العربية من جهة اخرى وقد اسـتمرت هذه الدولة ستة قرون منذ نشاتها في مطلع القرن الرابع عشر الميلادى حتى نهايتها في الربـع الاول من القـرن العشرين الميلادى •

كيف سار خط الفتوحات العثمانية في القرون الاربعة الاولى من عمـر الدولة العثمانية ؟ وما هي العـوامل التي حكمته والظـروف التي احاطت به اثناء سيرة ؟


السلطان عثمان الاول مؤسس الامبراطورية العثمانية

السلطان محمد الفاتح





نشأت الدولة العثمانية « امارة جهاد » صغيرة اسسها السلطان عثمان بن ارطغرل عام ١٢٩٩م • وكان عثمان ينتسب الى عشيرة تركية اسمها « قابي خان » تعيش على مقاطعة تابعة لدولة سلاجقة الروم • وقد تولى رئاسة العشيرة بعد وفاة والده ، ثم نال رتبة الامارة من السلطان السلجوقي علاء الدين منقباد • وكانت عشيرته قد نزحت مع عشائر تركية اخرى من موطنها الاصلي تركستان متجهة نحو الغرب ، وذلك ضمن ظاهرة متكررة رصدها علماء الجغرافيا السياسية ، وهي ظاهرة خروج جماعات من السهول تسيح غربا وشرقا وجنوبا ويلاحظ جمال حمدان ان غارات الاستبس لم تتوقف خلال العصور الوسطى بل ربما زادت عنفا وتخريبا ، وانتقل مركز ثقل الموجات «الاستبسية » الى حد ما من الطريق الشمالي السهلي المؤدى لاوربا الى الطريق الجنوبي الهضبي المؤدى الى الوطن العربي • وقد هربت هذه العشيرة من القلاقل التي احدثتها غارات جنكيز خان •

كانت هذه الامارة الصغيرة عند نشأتها واحدة من امارات عدة تفوقها مساحة وقوة مثل امارات صاروخان وقرميان وقرمان • ولكنها تميزت بالموقع الذى احتلته على تخوم الدولة البيزنطية التي كانت انذاك في حالة انحلال عام • ويصف اكثر من مؤرخ اختيار السلطان السلجوقي لذلك الموقع الاستراتيجي على الطريق بين بروسية ونيقية كي يقطعه لعثمان ، بانه من حسن حظ آل عثمان •

وجه هذا الموقع انظار العثمانيين الى فتح الاقاليم البيزنطية المجاورة له وادخالها في حوزة دولة الاسلام • وكان الصراع محتدما بين الدولة الاسلامية والدولة البيزنطية ، وساد بفعل هذا الصراع مفهوم دار الاسلام ودار الحرب • وارتفعت راية الجهاد عالية للدفاع عن دار الاسلام التي تعرضت على مدى قرنين للغزوات الفرنجية الاوربية • وقد كان من حسن سياسة العثمانيين انهم اتجهوا بفتوحاتهم غربا نحو الدولة البيزنطية كما يقول استاذى الدكتور محمد انيس في كتابه « الدولة العثمانية والشرق العربي » حيث مكنهم ذلك من النفاذ الى اوروبا وبسط نفوذهم فيها •

بدأ توسع الامارة العثمانية في مطلع القرن الرابع عشر ، فقد حدث اول التقاء بين العثمانيين والبيزنطيين عام ١٣٠١ بجوار نيقوميديا ، ولم تسفر الموقعة عن نتائج حاسمة • ولكن عام ١٣٠١ بجوار نيقوميديا ولم تسفر للامارة العثمانية على حساب الدولة البيزنطية حيث استولى عثمان على قلعة عك حصار ، واطل العثمانيون على البوسفور • وقد توفي عثمان عام ١٣٢٦ والعثمانيون يدخلون مدينة بروسة ، فتولى ابنه اورخان الذى استهل عهده بالاستيلاء على نيقية ونيقوميديا • ويلاحظ ان المغول كانوا منهمكين انذاك في القضاء على سلاجقة قونيه ، فلم يعكروا على العثمانيين صفوهم في اقصى الشمال الغربي من اسية الصغرى •

قام اورخان بتنظيم الادارة العثمانية فضرب السكة ، ونسق اللباس ، ونظم الجيش وقد اشتهر التنظيم العسكرى الذى اوجده اورخان والذى اعتمد على

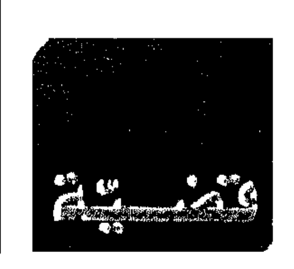
تجنيد فتيان الروم في «القوة الجديدة» او « النظام الجديد » « الينى شرى » وفق طريقة تضمن تكوين جيش دائم. وقام هذا النظام الجديد على ادخال هؤلاء الفتيان في الاسلام بعد اخذهم من عائلاتهم وتدريبهم ليتفرغوا تفرغا كاملا للحياة العسكرية • ويختلف المؤرخون اختلافا كثيرا في تقويمهم لهذا النظام وفي عرضهم لردود افعال الناس عليه • وتستحق هذه الجزئية حديثا خاصا ليس مجاله هنا •

اتجه خط الفتوحات العثمانية في عهد مراد ابن اورخان الذى تولى عام ١٣٦٢ الى البلقان ، متابعا السير غربا وتوافرت للعثمانيين القاعدة التي ينطلقون منها والعقيدة التي يعتنقونها والقوة العسكرية المناسبة والقيادة ، فانطلقوا في فتوحاتهم • وما اسرع ما اكملوا فتح بلاد البلقان •

ولا يكتمل تعليلنا لعوامل نجاح التغلغل العثماني في اوروبا الا بالاشارة الى الضعف الذى كانت تعاني منه الدولة البيزنطية هناك • ويشير الدكتور محمد انيس الى ثلاثة احداث نزلت بالعالم المسيحى الشرقى بين عامى ١٣٤٨ و ١٣٥٣ فعلت فعلها في اضعافه • وهى اولا ظهور وباء في اوروبا نشر الرعب في نفوس الناس وشغلهم عما اصاب الدولة البيزنطية وثانيا حدوث نزاع تجارى بين جنوة والبندقية تطور الى حرب انتصرت فيها البندقية عام ١٣٥٣ ، وتحالفت فيها جنوة مع العثمانيين • وثالثا تجدد النزاع بين الحكام البيزنطيين على الصرب وبلغاريا ، واستعانة بعضهم بالعثمانيين • وقد تحدث جيبون في كتابه الشهير « اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها » بحسرة عن تحالف الجنويين مع العثمانيين واتهمهم بانهم نقلوا مرادا الى اوروبا، وانهم هم الذين اظهروه على اختراع البارود • وذكر ان الامل الوحيد الذى كان باقيا لانقاذ الامبراطورية اليونانية والممالك المجاورة هو اختراع سلاح قوى يستخدمونه وقد تلاشى هذا الامل حين استخدم العثمانيون البارود، وكان الامتياز لهم لانهم اعتمدوا سياسة الهجوم •

سارت فتوحات العثمانيين بسرعة حتى عهد السلطان الرابع بايزيد الاول (١٣٨٩ ـ ١٤٠٢) ثم اعتراها التوقف مدة من الزمن بسبب الحرب التي قامت بين الدولة وتيمورلنك •فقد تهددها الخطر المغولى من الشرق بظهور تيمورلنك الذى وصل اسيا الصغرى وهزم بايزيد سنة ١٤٠٢ وأسره ثم يمم وجهه قبل المشرق من جديد • ونلاحظ هنا مع عدد من المؤرخين ان غارة تيمورلنك التي أوقفت فتوحات العثمانيين في اوربا لفترة لم تخرب قلب الدولة الذى بقي سليما • الامر الذى مكنها من متابعة فتوحاتها بعد انتهاء فترة الركود هذه التي اسماها المؤرخون العثمانيون « فاصلة السلطنة » والتي نشب اثناءها النزاع بين اولاد بايزيد على العرش •

انتهت هذه الفترة بتولى السلطان محمد الاول ١٤٠٢ ـ ١٤٢١ • وبدأ عهد جديد من الفتوحات تغلغل خلاله العثمانيون في شبه جزيرة البلقان حتى اتموا فتح جميع اقسامها في عهد السلطان مراد الثانى ١٤٢١ ـ ١٤٥١• كما فتحوا القسطنطينية وقضوا بصورة نهائية على الدولة البيزنطية عام ١٤٥٣ م في عهد السلطان محمد الثانى الفاتح (١٤٥١ ـ ١٤٨١) وكان لهذا الفتح صداه الهائل في العالم القديم شرقا وغربا • ولم تلبث الدولة العثمانية ان عانت بعد وفاة محمد





الفاتح من شرور النزاع بين الاخوة من ابنائه • وقد نشبت الحرب بين جم وبايزيد وانتهت بانتصار بايزيد الثانى (١٤٨١ ـ ١٥١٢) كما نشبت الحرب بين اولاد هذا السلطان ، وكانت حربا شرسة ، وانتهت بانتصار ابنه الاصغر سليم الاول الملقب « ياووز سلطان » اى « السلطان المهول » لميوله العسكرية ،على اخيه احمد الذى قتل عام ١٥١٣ ، وفر ابنه مراد الى بلاد فارس • واشتهر السلطان سليم الاول بانه اتجه بفتوحات الدولة الى الوطن العربى •

لنا بعد هذا العرض لحركة سير الفتوحات العثمانية فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ،وقبل ان نعرض لحركة سيرها فى القرن السادس عشر الميلادى ، ان نسجل بعض النتائج التى يمكن التوصل اليها فى معرض اجابتنا عن السؤال الذى طرحناه •

● اهتمام بالاسلام ●

مثلت الامارة العثمانية فى القرن الرابع عشر الميلادى « قوة رعاة وفرسان » • وتميزت بالموقع الاستراتيجى الهام،وبايمان العثمانيين شعبا وقيادة بالاسلام وتهوضهم بفريضة الجهاد •

اختار العثمانيون الوجهة الصحيحة المناسبة لفتوحاتهم ، فتوجهوا بجهادهم الى الدولة البيزنطية والى اوروبا التى لم تفتأ ترسل الغزوات الى « دار الاسلام » • ووجهوا جل طاقاتهم الى « دار الحرب » ولم ينشغلوا الا قليلا وعند الضرورة بالنزاعات داخل دار الاسلام •

اقام العثمانيون نظاما عسكريا جديدا لبى متطلبات دولتهم فى تلك الفترة • كما اقاموا نظاما اداريا تكامل معه •

تميز التوسع العثمانى فى اسيا الصغرى واوروبا بما يسميه جمال حمدان فى كتابه « استراتيجية الاستعمار والتحرير » ظاهرة القفز الضفدعية ، بمعنى انه لم يكن متصلا، وانما تحرك من منطقة الى اخرى متخطيا منطقة بينهما يعود اليها فيما بعد فقد قفز الى البلقان قبل ان يستكمل السيطرة على الاناضول ، ووصل الدانوب قبل ان يستكمل سيطرته على البلقان ، واقام فى البلقان قرابة قرن قبل ان يستولى على القسطنطينية •

احاطت بالتوسع العثمانى فى اوروبا ظروف حكمت العالم المسيحى والدولة البيزنطية اضعفت من قوة المواجهة فى « دار الحرب » •وقد عانت البلقان من وجود فراغ فيها على الصعيد السياسى بسبب اضمحلال الدولة البيزنطية وكان لاستراتيجية الهجوم التى اعتمدها العثمانيون دور حاسم فى تحقيق انتصاراتهم المتتالية •

ما الذى جد فى مطلع القرن السادس عشر الميلادى ، فحول انظار العثمانيين الى ما يجرى فى « دار الاسلام » واتجه ببعض فتوحاتهم الى الاراضى العربية ؟

نلاحظ بداية بين يدى الاجابة عن هذا السؤال ان انشغال العثمانيين باوروبا « دار الحرب » لم يتوقف • فبعد ان انشغل سليم بمواجهة الصفويين وانتصر عليهم فى جالديران عام ١٥١٤ ، ثم فتح بلاد الشام بعد انتصاره على السلطان المملوكى قونصوه الغورى فى معركة مرج دابق عام ١٥١٦ ، وانتقل الى فتح مصر عام ١٥١٧ ، نجد انه رجع الى ادرنه عام ١٥١٨ وتهيأ لقتال فرسان القديس

يوحنا فى رودس ، ولكن المنية عاجلته عام ١٥٢٠ • وقد تابع سليمان(١٥٢٠ ـ ١٥٦٦ التغلغل فى اوروبا وتمكن من احتلال بلغراد عام ١٥٢١ ، ثم احتل رودس عام ١٥٢٢ ، واستانف الحرب ضد المجر منذ عام ١٥٢٦ على فترات وتفرغ لها بعد ان رتب امور « دار الاسلام » فى شمال افريقيا، حتى توفى اثناء حملة مجرية عام ١٥٦٦ وهو على ابواب سكتوار • واستمر انشغال خلفائه باوروبا فحارب سليم الثانى عام ١٥٦٦ ـ ١٥٧٤ البندقية التى تنازلت له عن قبرص سنة ١٥٧٣ • وعزز مراد (١٥٧٤ ـ ١٥٩٥) النفوذ العثمانى فى جنوب روسيا اثناء انشغاله بالحرب ضد فارس ، كما حارب فى البوسنة • وقد احتل العثمانيون فى القرن السابع عشر الميلادى أقريطش ـ جزيرة كريت ـ عام ١٦٦٩ • كما تابعوا حروبهم ضد المجر ووصلوا الى مشارف فيينا وحاصروها عام ١٦٨٣ ثم لم يلبثوا ان ارتدوا عنها • وكانت تلك ذروة خط فتوحاتهم فى « دار الحرب » •

واضح من هذا العرض انه لم يحدث تحول كامل فى اتجاه مسار فتوحات العثمانيين من « الغرب » حيث « دار الحرب » ، الى الشرق حيث « دار الاسلام » • وواضح ايضا ان طابع الدولة العثمانية « الجهادى» استمر خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين • وواضح اخيرا ان الدولة العثمانية انشغلت خلال تلك الفترة بما يجرى فى « دار الاسلام » وضمت اليها اجزاء كبيرة من ديار المسلمين ، وذلك بعد ان جدت أمور • فما الذى جد ؟

● خطر البرتغاليين ●

يمكننا ان نشير الى امرين جداء، لاحدهما علاقة بدار الحرب والاخر نابع من دار الاسلام نفسها •

فاما الامر الاول فهو بروز الخطر البرتغالى فى المحيط الهندى والبحر الاحمر والخليج ، واشتداد هجمات الاسبان على ديار الاسلام فى شمالى افريقيا • وقد اعتبر المؤرخ العزاوى مجيىء البرتغاليين عبر طريق رأس الرجاء الصالح من « الحوادث الفادحة •• وقد كثروا وصاروا يقطعون الطريق

د . محمد انيس



د . جمال حمدان







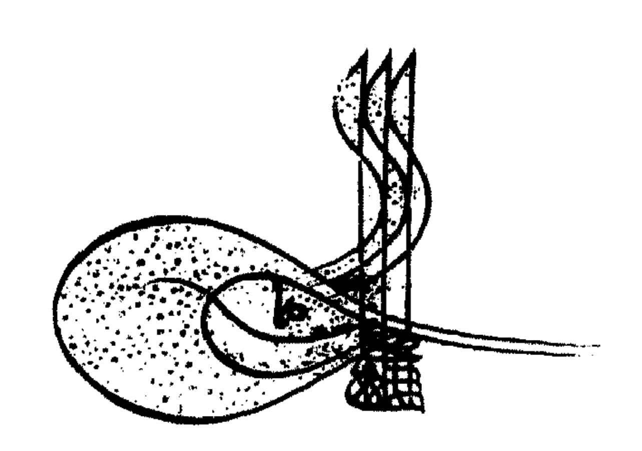
على المسلمين اسرا ونهبا » ويداوا يعتدون على دولة المماليك • ثم احتلوا سوقطرة عام ١٥٠٦ واحكموا السيطرة على باب المندب ، واصبحت جدة خرابا « بسبب عبث الافرنج فى بحر الهند » وكم حزن السلطان الغورى لحالها حين زارها وهو فى طريقه الى الحج عام ١٥١٤ •ودخل البرتغاليون الخليج، ومثلوا فى وجودهم « فك كماشة » احاط بدار الاسلام من ناحية الجنوب الشرقى واحاط « فك الكماشة » الاخر بدار الاسلام من ناحية الغرب بعد ان قوى فى اسبانيا والمانيا • فقد احتلت ايزابيلا ملكة قشطالة غرناطة اخر معقل للعرب المسلمين فى الاندلس سنة ١٤٩٢ • وانطلق اسطول شارل حفيدها فى البحر المتوسط فاحتل وهران بالجزائر سنة ١٥١٠ ، واحتل تونس وطرابلس فى العام نفسه ، واحتل طنجه • وهكذا تفاقم الخطر الاوروبى على دار الاسلام •

اما الامر الثانى النابع من دار الاسلام نفسها فتمثل فى تحرك الدولة الصفوية غربا من ايران لبسط نفوذها على العراق وبلاد الشام واسية الصغرى ، ومحاولتها نشر مذهبها الشيعى • وقد كان فى دار الاسلام انذاك ثلاث دول اسلامية كبيرة هى الدولة العثمانية والدولة الصفوية ودولة المماليك • وكانت الاولى والثانية تعيشان عهد الفتوة والنشاط بينما عاشت الثالثة طور الوقوف والخمول• وقد نجح اسماعيل الصفوى فى دخول بغداد عام ١٥٠٨ بعد ان اعلن نفسه فى تبريز عام ١٥٠٢ حاميا للمذهب الشيعى ، واخضع البصرة والموصل ، وبدأ بالنفاذ الى بلاد الشام واسيا الصغرى •

● تفهم الوضع الدولى ●

واجه السلطان سليم الاول هذين الامرين اللذين برزا معا بحزم •واتخذ قرارات حاسمة « استراتيجية » عبرت عن فهمه للاوضاع الدوليه التى سادت انذاك • ويقول استاذى الدكتور عبد الكريم غرايبة فى كتابه « تاريخ العرب الحديث » كان السلطان العثمانى اكثر تفهما للوضع الدولى واخطاره من الشاه والسلطان المملوكى وادرك سليم الخطر الكبير الذى يهدده اذا ما انطبق فكا الكماشة الاوربية على دار الاسلام وقد غدا الفكان قويين وقادرين على الانطباق • فكان عليه ان يبذل جهدا مستميتا لمنع انطباقهما •• وادرك سليم ان لا سبيل لحماية البلاد العربية ومنع فكى الكماشة من الانطباق الا بالاستيلاء على البلاد العربية واحتلال المراكز الاستراتيجية الضرورية » •

استشعر سليم قبل توليه عظم خطر التحرك الصفوى القادم من الشرق على الدولة العثمانية فاجل حال توليه انشغالاته فى البلقان وتحول الى الانشغال بشئون دار الاسلام ومقاومة نفوذ الصفويين فى بلاد الشام• وهكذا تحرك الى الشرق ونازلهم وانتصر عليهم فى جالديران عام ١٥١٤ ثم تحرك الى الجنوب لمحاربة المماليك وانتصر عام ١٥١٦ فى مرج دابق ثم فى الريدانية عام ١٥١٧ وضم الشام ومصر الى الدولة العثمانية • ولم يلبث سليمان ان فتح العراق وضمه وسيطرت الدولة العثمانية على البصرة واتخذتها قاعدة بحرية فى حربها ضد البرتغال • ولو لم تصبح البصرة عثمانية لباتت حصنا برتغاليا كما يقول استاذى الدكتور غرايبة وفتح العثمانيون الجزيرة العربية،وانطلقوا



من مصر والعراق والجزيرة العربية لقتال البرتغاليين على مدى سنوات طويلة • ويلاحظ انهم لم يستطيعوا الاحتفاظ باكثر اجزاء الجزيرة العربية فقد ثبتوا وجودهم في مكة وجدة ولكن نفوذهم في حضرموت كان اسميا ، وجابهوا ثورة مستمرة في اليمن ، وفشلت محاولاتهم لاخراج البرتغاليين من الخليج • وحين ضعف شأن البرتغاليين بعد ضم بلادهم الى اسبانيا عام ١٥٨٠ كان العثمانيون بدورهم قد وهنوا • ودخل ميدان النزاع في الخليج كل من هولندا وانجلترا •

لقد تم فتح العثمانيين لسوريا والحجاز ومصر بسهولة خلال سنتين كما يلاحظ ساطع الحصري وكانت نظرة الناس اليهم في هذه الديار ودية بسبب ما عرف عنهم من الجهاد في سبيل نشر الاسلام • ولم تلبث ديار المسلمين في الجزائر وتونس وليبيا ان دخلت في الحكم العثماني وتم ذلك بدون حرب وبمحض ارادة اهلها ، كي توقف الدولة العثمانية الهجمات الاسبانية على ديارهم وتدفع عنهم اخطار اطباق فك الكماشة الغربي الاوروبي عليهم • وهكذا حكمت الدولة العثمانية جل اقطار الوطن العربي • وجاء ذلك حين قاربت دولتهم ذروة مجدها •

وبعد •• فانه يمكننا ان نخرج من تاملنا في تاريخ الدولة العثمانية في القرون الاربعة الاولى من عمرها بالافكار التالية •

الاولى هي ان هذه الدولة هي حلقة من سلسلة الدول التي قامت في مدار الاسلام ـ استمرار للدولة العربية الاسلامية الاولى • وقد جاء قيامها بعد حدوث الصحوة العربية الاسلامية في القرن الثاني عشر الميلادي في بداية القرن الثاني للغزو الفرنجي لديارنا، تلك الصحوة التي عبر عنها عماد الدين ونور الدين محمود زنكي وصلاح الدين والايوبيون والجيل الاول من المماليك وقامت الدولة العثمانية « دولة جهاد » دفعت حركة الصحوة دفعا قويا وبلغت بها ذروة لم تبلغها دار الاسلام في أوروبا من قبل • وقد توافر لها الموقع الاستراتيجي والعقيدة والنظام والقيادة عند قيامها فانطلقت وحققت الكثير

الثانية هي ان هذه الدولة مرت شانها شان كل دولة في اطوار وعرفت اجيالا تتالت فيها • وقد عاشت في القرون الاربعة الاولى من عمرها طور الفترة ثم طور النضج • ولم تلبث ان عاشت في القرن السادس من عمرها طور الشيخوخة، « وتلك الايام نداولها بين الناس » ورحم الله شيخنا ابن خلدون الذي تحدث عن الاجيال الثلاثة في الدولة عموما •

الثالثة هي ان الانشغال الرئيسي للدولة كان في « دار الحرب » وقد فرضت ظروف جدت في مطلع القرن السادس عشر على صعيد المواجهة مع الاوربيين ، وعلى صعيد احوال ديار المسلمين ان تنشغل الدولة بامور «دار الاسلام » ، لتعود مرة اخرى الى انشغالها الرئيسي •

صافي ناز كاظم

وثريان

سناء تنسج مجد الاستشهاد

● «تحية للصبية التى قامت بالعملية الاستشهادية فى لبنان ضد قوات الاحتلال الصهيونى ١٩٨٥/٤/٩ ، تحية كُتبت فى حينها لكنها تنشر لأول مرة بين يدى قراء الهلال ، تذكرة لبطولات لاترتبط بمكان او زمان ، فهى راياتنا على الدوام» ●

سناء

سناء محى دلّة .
سناء مهيدلّة .
ايهما يكون لقبك ؟
لانعرف ولايهم .
تجاوزت بسنائك الالقاب جميعها ،
والأسماء كلها وصرت علما يعانق ،
فى زمن المسلمين الصعب ،
خولة بنت الأزور وام حرام .

لحظة ان انطلقت سناء بسيارة الحب المتفجرة نحو الاستشهاد ، كان الحزن فى قلبى جرحا ينز مادة الخزى الصفراء وعبثا تجففها ايلم الجفاف .

كم كان عمرك يوم أن زوّروا باسمنا التاريخ ومنعونا البكاء ؟
كنت فى ظهر ابيك غيبا إسلاميا :
يختزن البشارة ،
ويكتنز الألق ،
ويهدينا المسرّة .



تركت كلَّ شيء ،
لتعطى كل شيء :
لتنبثقى من بين سيقلن ياسنا ،
نوارة امل دائم الاخضرار :
تنسجين مجد الاستشهاد ،
فاه من وطاة الفرح المخضل بالمحنة !
وآه من التماع البهجة المطلة على اسراب المعصوبة اعينهم ، والمقيدة سواعدهم يساقون من وطن محتل إلى وطن محتل والغضب فى النفوس المهزومة داجن اجرد !

آه يا ابنة الإمهات اللاتى يلدن للسكين !
آه ياسناء عُلِّمنا كيف يضاء الكبرياء من زيت «الشهادة» المشتعل :
استجاشة وتوقا !
آه ياعروس الاسلام :
سنكتب عنك الشعر ، فلا تعذرينا ، فلقد خططت المنهج وعرفنا منك ان الشعر لايكتب فلا تعذرينا !
ولاتعذرى الذين تقيحوا فى مازرهم ، وتجصصوا خلف نوافذهم يندبون صباك .

آه يا توشيحة النواح الممتدة من «غرناطة» حتى «طشقند» و «سمرقند» :
تجددى فوق «كابول» وتعالى صوب «القدس» واجلدى النوّم الهاجعين وسط القتلة !

دبابلتُهم تحاصر القرى ،
ونفيرهم يُرغم الرجال على الخروج عزّلا ،
وليالي الذل بالاندلس تنهمر علينا رُغاماً
اسود يَمْسَخُ الوجوه ، والسيف لايزال مصلتا :
«الردة عن الاسلام أو الموت» !
ـ وآه من إجابة هى صِنوُ الابادة ! ـ
حتى اتيت سناء ،
مندفعة بالرد العزيز ،
وبالقيادة :
بل عليكم سوف ينهمر الرغام ،
عليكم سوف ينهمر الرغام !



معارك الشطرنج والسياسة

قصّة العباقرة الذين فازوا ببطولة العالم

بقلم : فتحى غانم

●● مع كل عدد جديد من الهلال . تستضيف صفحاته قلما مصريا او عربيا او عالميا جديدا . وفى هذا العدد يكتب الروائى الكبير فتحى غانم . للهلال . ومايكتبه ليس قصة قصيرة وليس فصلا من رواية ولكنه مقال عن . الشطرنج . وفتحى غانم ليس لاعب شطرنج دولى فقط ولكنه يعتمد فى رؤياه الفنية والروائية على اصول وقواعد لعبة الشطرنج ويتجلى ذلك بوضوح فى رائعته . زينب والعرش .

● انتزع شاب صغير لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره بطولة العالم فى الشطرنج ، فى شهر نوفمبر الماضى ، عندما تغلب جارى كاسباروف على اناتولى كاربوف ـ ٣٤ سنة ـ بطل العالم السابق والذى احتفظ باللقب منذ عام ١٩٧٤ .

وكلا اللاعبين من الاتحاد السوفييتي ، كاسباروف من مواليد باكو عاصمة جمهورية أذربيجان التى تقع على شبه جزيرة فى بحر قزوين وبها أشهر آبار البترول فى الاتحاد السوفييتي . ولقد كانت فى الماضى من أراضى الامبراطورية الفارسية الاسلامية ●

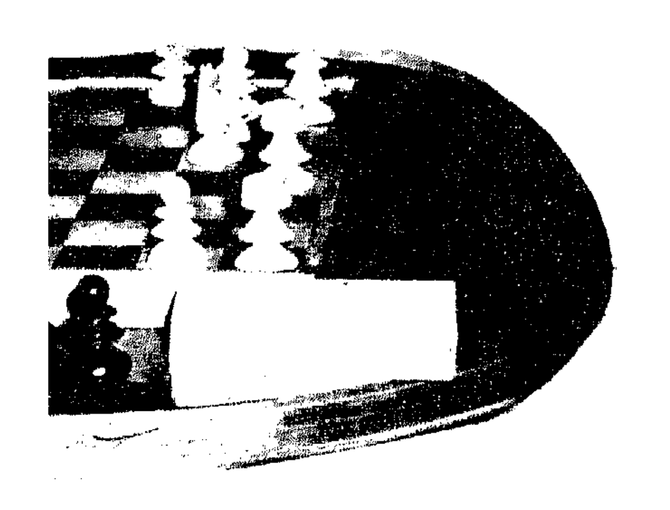
أما كاربوف فهو من مواليد قرية زلاتوست بجبال الأورال . ولقد التقى الأثنان فى مباراة البطولة التى اقيمت فى مسرح تشايكوفسكى فى موسكو الممتلىء على أخره بالمتفرجين وأمام عشرات من كاميرات التليفزيون والسينما تسجل كل حركة أو نقلة على رقعة الشطرنج وتنقلها وكالات الأنباء للملايين الذين يتابعون المعركة باهتمام متزايد بلغ حد الإثارة الذى حركته بمهارة الدعاية والمناورات السياسية عندما ألحت صحافة الغرب ومحطاته التليفزيونية على تصوير المباراة على أنها صراع حاد داخل الاتحاد السوفييتى بين تيارين متعارضين .

قالوا أن كاربوف ،عضو فى منظمة الشباب بالحزب الشيوعى ، وأن سلطات الحزب تؤيده ضد كاسباروف .

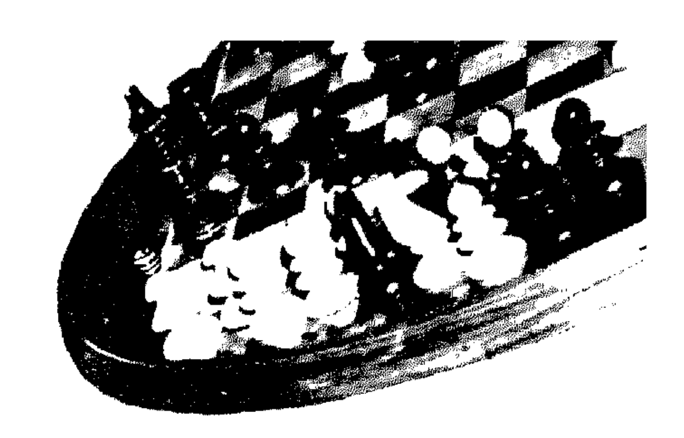
قالوا إن كاربوف يرأس لجنة حقوق الانسان فى الاتحاد السوفييتى . وهى لجنة لاتؤدى واجباتها كما يجب ..

وفى نفس الوقت رحبوا بكاسباروف شابا يافعا ثائرا يتحدى كاربوف رجل الحزب وقالوا ان أمه يهودية وأنه يمثل عنصرا معارضا وتيارا جديدا فى الاتحاد السوفييتى .

ولاشك أن هذا الكلام فيه كثير من المبالغة ، ولقد قابلت كاربوف وكاسباروف فى أولمبياد الشطرنج الذى أقيم فى مدينة لوسرن بسويسرا علم ١٩٨٢ . وكان الإثنان يلعبان فى فريق واحد والعلاقة بينهما عادية . بل رايت كاسباروف وهو يواجه موقفا صعبا عندما جلس ليلعب ضد لاعب هرب من الاتحاد السوفييتى عام ١٩٧٥ وهو المهندس فيكتور كورتشنوى . الذى كان يسعى للفوز ببطولة العالم ، وخلع كاربوف عن عرشه ، ورايت كورتشنوى الذى بلغ الخمسين من عمره وهو يرفض أمامنا مصافحة الشاب كاسباروف الذى كان فى



التاسعة عشرة من عمره ونحن واقفون على بعد خطوات من المنضدة التى يجلسان اليها . وكان كورتشنوى يلعب لفريق سويسرا ، ولم يجلس على مقعده واكتفى بأن ينقل الفرس فوق الرقعة ويدير ظهره لكاسباروف ويخرج من القاعة ، معلنا عدم اكتراثه بهذا الشاب . بعد حوالى نصف ساعة كان الموقف قد تغير تماما ، فقد جلس



قصة العباقرة

كورتشنوى مسمرا الى مقعده يفكر فى المعضلات التى اقامها له خصمه الشاب . بينما يتمشى كاسباروف مرحا ، فى عينيه السوداوين بريق حاد ، وكان جمهور المتفرجين يحبس انفاسه أمام الجمهور الصاعق الذى يواجهه كورتشنوى ، ولم يمض وقت طويل حتى استسلم كورتشنوى والتففنا حول كاسباروف نهنئه بثبات أعصابه وليشرح لنا خطته فى المعركة ، وسمعته يقول :

ـ الدور ملىء بالأخطاء من جانبى .

كان فوزه الكبير فى نظرنا ، مجموعة من الأخطاء فى نظره !

وعندما سمعت مايتردد انه يصارع كاربوف لأسباب غير الشطرنج تذكرت لقاءه بكورتشنوى ، فى ذلك الوقت كان متهما بانه يمثل الجانب الشرير ، وكورتشنوى الذى هرب من الاتحاد السوفييتى هو الذى يمثل الجانب الطيب . أما الآن وقد اصبح الصراع بين اثنين من الاتحاد السوفييتى ، فكان لابد من صنع معركة سياسة او الايهام بها . وليس هذا غريبا على مباريات بطولة العالم فى الشطرنج منذ ان قامت كما سنرى فيما بعد .

واذكر انى سألت ذات مرة احد السياسيين فى الاتحاد السوفييتى ، عن لاعبى الشطرنج ، أو اساتذة الشطرنج كما تعودوا أن يلقبونهم وطلبت منه ان يقول لى بصراحة إذا كان اكثرهم من اليهود . فقال لى .

ـ ثق انه حتى لو كان الواحد منهم اصله يهودى ، فهذا عند غالبيتهم العظمى أمر لايذكره ولايهتم به .

ولكن ها هى صحافة الغرب تردد من جديد أن ام كاسباروف يهودية . وان هناك مؤامرات ضده حتى لايتربع على عرش العالم فى الشطرنج ، ولقد انتهت هذه الاشاعات بمجرد اعلان فوز كاسباروف بالبطولة . وإن بقيت معركة اخرى إذ يريد كاربوف ان يلعب مباراة ثارية خلال شهر فبراير ، ولكن كاسباروف يقول إن المباراة على البطولة لاتقام إلاّ كل ثلاث سنوات وهو مصر على ان يتمتع باللقب وحده طوال هذه الفترة .

وبطولة العالم فى الشطرنج لم تبدأ إلاّ فى منتصف القرن التاسع عشر فى اوربا . وقبل ذلك كان هناك دائما من يزعم انه احسن من يلعب الشطرنج فى العالم بغير منازع ، وتاريخ العرب به قصص وطرائف كثيرة عن مهارة هارون الرشيد أو عمر الخيام او حصة بن داهر ، او عنان جارية الناطقى ، وكيف انهم كانوا رجالا او نساء بارعين فى لعبة الشطرنج ، ولكن احدا لم يدخل فى مباراة او مسابقة رسمية يشترك فيها المرشحون للفوز باللقب كما يحدث الآن .

وعندما انتقل الشطرنج مع العرب الى اسبانيا تركوا هناك مدرسة للشطرنج نقلت او اذاعت أسرار اللعبة فى اوربا كلها . ومن اوائل من وصلتنا اخباره كبطل للشطرنج لايجاريه احد قس اسبانى اسمه « روى لوبيز » وقد سافر الى روما فى عام ١٥٦٠ م ، حيث تبارى مع اشهر اللاعبين الايطاليين وفاز عليهم وعندما عاد الى اسبانيا الف كتابا عن الشطرنج . ثم سافر من روما لاعب الشطرنج جيوفانى ليوناردو

دى بونا وهو من مقاطعة كالابريا ليلعب مباراة ثارية مع القس لوبيز . واقيمت المباراة فى قصر الملك فيليب الثانى وانتصر اللاعب الايطالى .

وفى القرن السابع عشر اشتهر اسم اللاعب جياكيمو جريكو وتحدثت عنه مخطوطات شطرنجية يرجع تاريخها إلى عام ١٦٢٥ م .

وفى القرن الثامن عشر برز اسم اللاعب فرانسوا اندريه فيليدور الذى ولد عام ١٧٢٦ وهو فرنسى وكان موسيقيا بارعا . وألف كتابا فى الشطرنج وعمره الثانية والعشرين ـ نفس سن كاسباروف الآن ـ واسم كتابه « تحليلات شطرنجية » وقد مات بعد نشوب الثورة الفرنسية بعامين ومن بعده ظلت باريس عاصمة للشطرنج فى أوربا الغربية . واشهر مباراة فى النصف الأول للقرن التاسع عشر ، تلك التى انتصر فيها اللاعب الفرنسى لابوردونيه على اللاعب الايرلندى الكسندر مكدونيل . وكان ذلك عام ١٨٣٤ وقد فرحت باريس بل فرنسا كلها بانتصار لابوردونيه ، واعتبروه ثأرا لهزيمة الجيش الفرنسى بقيادة نابليون بونابرت فى معركة وترلو والتى انتصر فيها القائد الانجليزى ولنجتون عام ١٨١٥ وكتب الشاعر الفرنسى ميرى قصيدة انتشرت بين الفرنسيين عنوانها « الثأر لواترلو » وصف فيها احداث المعركة على رقعة الشطرنج وجاء فى القصيدة .

« ادرك الجنرال الفرنسى »
« أن الأسود وقع فى الفخ »
« وسوف يموت ! »
« عرف الأسود أنه يموت »
« يموت ميتة يستنكرها » .

وواضح فى هذه الأبيات تشفى الشاعر وسروره بموت الملك الأسود على رقعة الشطرنج الذى كان يمثل جانب الانجليز . وهكذا أصبحت معركة شطرنج . نصرا قومياً وسياسيا من الدرجة الأولى فى فرنسا

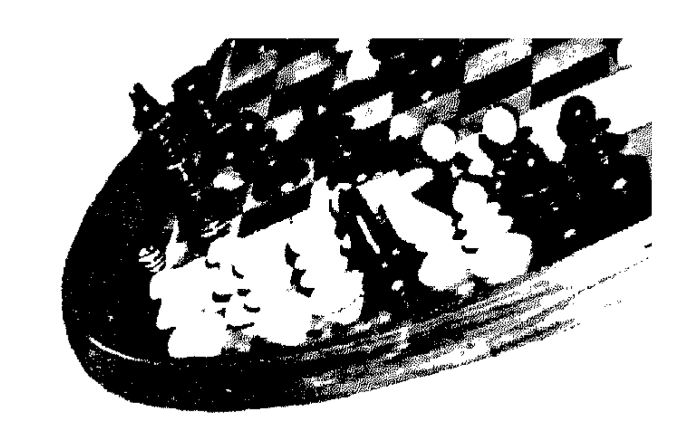
غير أن زعامة الشطرنج انتقلت الى لاعب انجليزى اسمه « هوارد ستونتون » . وقد شاع أنه ابن غير شرعى لأحد نبلاء انجلترا وهو ايرل اوف كارليل الخامس وكان ستونتون ممثلا . ثم تحول الى النقد المسرحى ، وتخصص فى نقد مسرحيات شكسبير وكان حجة فيها وعندما انتصر ستونتون على لاعب فرنسا « سانت امانت عام ١٨٤٣ ، أعلن أنه الآن اقوى لاعب شطرنج فى العالم وكان فى الثلاثين من عمره .

واستغل ستونتون كتابته فى الصحافة ليكتب عن نفسه ، ثم أصدر أول مجلة للشطرنج فى انجلترا . وقد نشر ستونتون كتابا عن الشطرنج يحتوى على الأدوار الهامة التى لعبها ويعتز بها .

وحدث أن قرأ هذا الكتاب صبى فى الخامسة عشر من عمره اسمه « بول مورفى » يعيش فى امريكا ، وبعد أن قرأ الصبى الكتاب أضاف بقلمه الى العنوان الذى كان « صديق لاعب الشطرنج الكلمات الآتية » والعاب شيطانية رديئة » .

وكان الغرور قد ركب رأس ستونتون ، فأعلن عن مباراة دولية فى عام ١٨٥١ ليثبت تفوقه على أى لاعب فى العالم فأصيب بصدمة مزعجة عندما جاء من المانيا مدرس حساب فى مدرسة صغيرة بمدينة برسلاو ، وهزمه . وكان اسم المدرس « ادولف أندرسن » وكان فى الثالثة والثلاثين من عمره .

واستشاط ستونتون غضبا ، وقال إنه كان مشغولا بتنظيم المباراة وانه يتحدى اندرسن مرة أخرى ويراهنه بمبلغ مائة وخمسين جنيها . ولكن مدرس الحساب كان لايستطيع ان يترك عمله . وكان لايستطيع أن يوفر نفقات رحلة أخرى الى انجلترا ويدفع قيمة الرهان .



قصة العباقرة

ثم ظهر صبى قادم من امريكا اسمه بول مورفى يريد أن يلعب مع ستونتون فرفض ولعله خاف ان يهزمه صبى فى العشرين من عمره .

وفى دراسة قام بها استاذ علم النفس « أرنست جونز » بعنوان « مشكلة بدل مورفى » نراه يحلل اسباب مرض مورفى بجنون الاضطهاد « البارانونيا » عندما رفض ستونتون ان يلاعبه . ولكن المرض لم يظهر فى الحال . فقد تغلب مورفى على جميع لاعبى امريكا واوربا وهزم اندرسن الألمانى ، الذى فاز من قبل على ستونتون . وتحول مورفى الى ظاهرة سياسية بين الجماهير الأمريكية . لأنه بانتصاراته اثبت أن العقل الأمريكى قادر على ان يتفوق على العقل الأوربى . وكانت اوربا فى القرن التاسع عشر مازالت تنظر الى امريكا على اعتبار انها كانت مستعمرة اوربية موزعة بين انجلترا وفرنسا واسبانيا حتى وقت قريب . وكانت أوربا هى مصدر الثقافة والحضارة فلما فاز مورفى فى مبارياته باوربا قوبل عند عودته مقابلة الغزاة الفاتحين ، ودعته الجامعات الامريكية ليزورها وقام بجولة فى ربوع الولايات المتحدة ، وكانت كل جامعة تقدم له الجوائز وشهادات التقدير ومن بين هذه الجوائز رقعة شطرنج من العاج والابنوس مرصعة بلؤلؤة نادرة . وقطع الشطرنج من الفضة البيضاء والذهب الاصفر . ولكن مورفى كان ابن قاض ومن عائلة كبيرة فى الجنوب . ورفض ان يقال عنه انه مجرد لاعب شطرنج وهو الذى تخرج فى كلية الحقوق . وهو يلعب الشطرنج لانها لعبة المثقف أو المفكر الفيلسوف ولتزجية الفراغ اثناء راحته من العمل .

فلما فوجىء بالشهرة والاهتمام الشعبى يحيط به لانه لاعب شطرنج ، لا لأنه فيلسوف أو استاذ فى القانون ، انهار واختلت القيم فى نفسه ، وكان رفض ستونتون للعب معه ، اشبه برفض الاب لابنه ، أو عدم الاعتراف بشرعيته ، ومن هنا فقد مورفى توازنه . ولم يتحمل الضجة التى اقامتها امريكا لانتصاره ولم يتحمل مسئوليات هذا الانتصار وتبعاته فانهار واصيب بالبارانويا ! تحول الاهتمام به كقائد أو رمز للتفوق الامريكى على اوربا الى اضطهاد لايحتمله ودعوه الى طموح فوق قدراته . وظهرت عليه علامات الجنون فاتهم زوج شقيقته بانه يسرق ميراثه من ابيه ، وانه يدس له السم فى الطعام ليتخلص منه ، وكان يمشى فى شرفة بيته جيئة وذهابا يردد كلمات غريبة ويصيح « سنرفع علم كاستيل على جدران مدريد ، استولينا على المدينة ، وسوف يتوارى الملك الصغير خجلا »

ولم يعرف احد ما الذى تعنيه هذه الكلمات التى يتفوه بها احد العبقريات فى الشطرنج لم تعرف مثلها امريكا ، حتى ظهر « بوبى فيشر » عبقرية القرن العشرين .

وفى نهاية القرن التاسع عشر ، ظهر استاذ فى الرياضيات زميل لالبرت اينشتين كبطل عالمى للشطرنج عندما فاز على مدرس يهودى لمادة الحساب هاجر الى امريكا وكان يتغلب على كل من ينافسه . كانت المباراة فى امريكا بين ايمانويل لاسكر وشتاينتز عام ١٨٩٤ . وعندما فاز لاسكى ، اصيب شتاينتز بعدها بثلاث سنوات بالجنون ولكنه ارسل الى صديق له فى

النمسا من المصحة التي يقيم فيها يقول له : « انا مثل كل المجانين هنا أعتقد ان الاطباء أكثر جنونا مني ! »

كان لاسكر ـ ١٨٦٨ ـ ١٩٤١ حاصلا على الدكتوراه في الرياضيات من جامعة ايرلانجي عام ١٩٠٠ . وكان مهتما بالفلسفة . ولما بلغ السادسة والخمسين عام ١٩٢٤ كان مازال يحصل على بطولات وتزوج كاتبة المانية عام ١٩٠٨ . وقال انه عندما تزوجها أصبح في الحال زوجا وابا وجدا . لأن زوجته كانت تكبره في السن وكانت أما لأولاد متزوجين ولها احفاد . فصاروا أولاده وأحفاده. وألف لاسكر كتابا في الشطرنج بعنوان « كفاحي » مثل هتلر وكتب اينشتين مقدمة للكتاب عن تاريخ حياة إيمانويل لاسكر ، ذكر فيها مناقشاته الطويلة مع لاسكر حول نظرية النسبية وكان لاسكر يقول لاينشتين .

ـ أنت لم تثبت بعد في تجربة عملية ان سرعة الضوء في الفراغ هي سرعة لانهائية . ان هذا الفرض الذى هو حجر الزاوية في نظرية النسبية يجب أن يثبت عمليا .. وليس من حقك أن تقول انك اكتشفت نظرية قبل أن تقدم البراهين والتجارب التي تثبت صحة الفرض النظرى أو تدحضه .

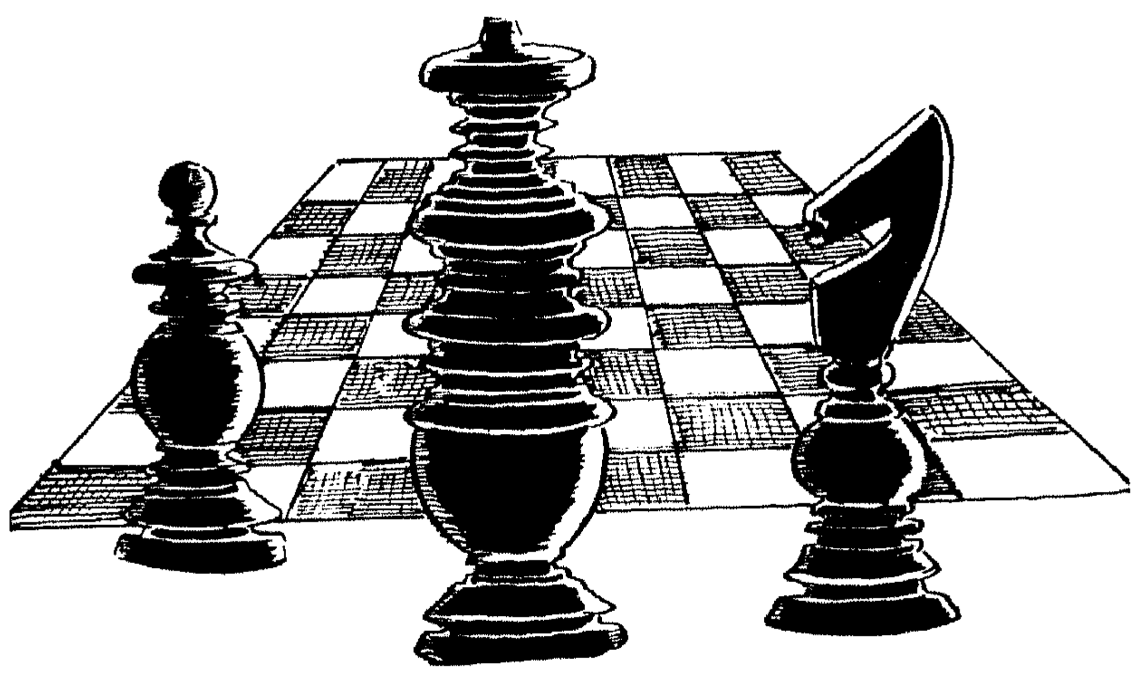
وكان اينشتين يجيب لاسكر قائلا

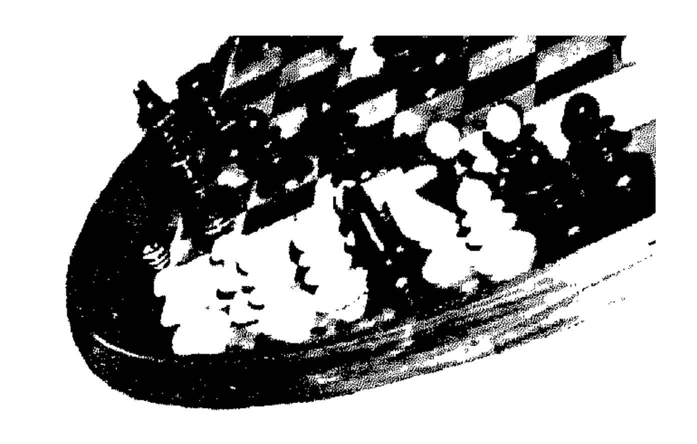
ـ لاتوجد وسيلة عملية لاجراء تجربة من هذا النوع .. ولن انتظر الى مالانهاية حتى اثبت صحة الفرض !

وقال اينشتين معقبا على هذا الحوار . ان اصرار لاسكر على رأيه مصدره مزاجه الشطرنجي ، فهو يريد ان يثبت الفروض النظرية عمليا ، كما لو كان يجربها على رقعة الشطرنج !

واذا كانت ابحاث اينشتين قد ادت الى اكتشاف القنبلة الذرية ، فقد اخترع صديقه لاسكر في الحرب العالمية الأولى دبابة المانية وعندما توفي لاسكر كتب اينشتين رثاء له ، كزميل له وصديق ، وفيلسوف يعشق الموسيقى واستاذ كبير في الرياضيات .

ولقد انتزع بطولة الشطرنج من لاسكر ، دبلوماسى من جزيرة كوبا اسمه - كابا بلانكا ، علم ١٩٢١ . وكان كابا عبقرية فذة . ولد في هافانا عاصمة كوبا عام ١٨٨٨ وكان في الخامسة من عمره عندما فوجىء والده وهو يلعب الشطرنج مع صديق له. والطفل كابا يبدى ملاحظات على نقل القطع فوق الرقعة تدل على أنه فهم طبيعة اللعبة ، دون أن يخبره احد بها ، وبمجرد ملاحظته عن بعد ولعدة ايام مايفعله والده





قصة العباقرة

وصديقه ، وهما يحركان القطع فوق الرقعة .

واهتم الأب بموهبة ابنه ، فعلمه الشطرنج ، وتفوق بسرعة على اللاعبين في نادى هافانا للشطرنج ، ولما ذهب كابا الى امريكا ليدرس فى جامعة كولومبيا استطاع أن يهزم فرانك مارشال بطل امريكا وهو مازال طالبا في الجامعة . ولما انتصر على لاسكر عام ١٩٢١ عينته كوبا سفيرا متجولا لها في العالم . وكان يلعب ببساطة واتقان ، حتى وصفوه بانه آلة حاسبة لاتخطىء . حتى تحداه روسى أبيض ابن مليونير روسى هارب من الشيوعية ، ويعيش في باريس . اسمه الدكتور الكسندر اليخين . وهو حاصل على الدكتوراه في القانون من السوربون في باريس .

● استراتيجية مقنعة ●

كان اليخين عبقرية من نوع آخر . فهو مهاجم شرس ، وكان يعيش مع أمه التى انفصلت عن زوجها الذى يخسر الملايين فى كازينوهات القمار فى مونت كارلو . وكان اليخين يتمتع بخيال خصب ، وقدرة على اكتشاف وسائل للهجوم واختراق التحصينات ، والاهتمام باحتلال مساحة اكبر من رقعة الشطرنج ، ووضع قواته في مواقع يسهل الانتقال منها الى حيث تتطلب ظروف المعركة الانتقال . ادخل اليخين فنون الاستراتيجية والتاكتيك بصورة مقنعة وحاسمة فى لعبة الشطرنج ، وكانت دراساته من العمق بحيث يحسده عليها اكبر خبراء الاستراتيجية في فنون الحرب .

واستطاع اليخين ان ينتزع البطولة من كابا بلانكا عام ١٩٢٨ . ومنذ أن حصل عليها رفض فى عجرفة ان يتيح لكابا بلانكا فرصة للعب مباراة ثارية . وركب الغرور راس اليخين وافرط فى شرب الخمر ، وقبل تحديا من استاذ هولندى فى الرياضيات اسمه « ماكس اوفى » عام ١٩٣٥ . فانهزم اليخين وكان يظهر على المسرح ليلعب وهو سكران ، ووقف ذات مرة اثناء اللعب ، ليتبول أمام الجماهير .

وافاق اليخين على الهزيمة ، فعالج نفسه ، واستعد للثار ، فاستعاد البطولة بعد عامين ، عام ١٩٣٧ واحتفظ بها حتى مات بالسكتة القلبية في حجرته بفندق في لشبونة بالبرتغال يوم ٢٤ مارس ١٩٤٦ . فقد فتح خادم الفندق الباب عليه ، ليجده جالسا ساقط الراس امام رقعة الشطرنج وبجواره طعام العشاء ووجدوا في فمه قطعة من لحم لم يكمل مضغها عندما هاجمته النوبة القلبية .

كان الاتحاد السوفييتى يتهم اليخين بمعاداته للشيوعية ، وكان اليهود يتهمونه بالنازية ، فقد عاش ايام الحرب العالمية الثانية ، متنقلا بين المانيا واسبانيا والبرتغال وهى ديكتاتوريات منحازة للنازية ، ولكن عبقرية اليخين فرضت على الاتحاد السوفييتى ان يعترف به بعد وفاته ، وان يقيموا له مباراة دورية باسمه توزع فيها الجوائز احتفالا بذكرى اليخين وماكان السوفييت ليفرطوا في عبقريته او يتنكروا لها حتى لو كان من اسرة غنية هربت من روسيا الشيوعية .

بعد وفاة اليخين ، بدا اتحاد الشطرنج الدولى يتدخل لاول مرة لتنظيم مسابقة رسمية لبطولة العالم تحت اشرافه ، ولم

تعد البطولة مجرد تحديات فرديه . وتصريحات من احد اللاعبين بأنه اقوى لاعب في العالم . ومن يرفض هذا التصريح فعليه أن يقبل التحدى على رهان يتفقان عليه .

واقيمت أول مباراة رسمية لبطولة العالم ينظمها اتحاد الشطرنج في هولندا يوم ٢ مارس ١٩٤٨ فى لاهاى بمسرح البلدية . واشترك في المباراة ثلاثة من الاتحاد السوفييتي هم بوتفنيك وكيريس وسميسلوف . واشترك من الولايات المتحدة بطلها ، سام ريشفسكى ، وهو من اصل بولندى . واشترك من هولنده ، ماكس اوفى ، الذى سبق وحاز بطولة العالم بانتصاره المؤقت على اليخين بين عامى ١٩٣٥ و١٩٣٧ .

وكسب المباراة ، ميخائيل بوتفنيك ، وكانت قاعة مسرح تشايكوفسكى فى موسكو المكان الذى انتهت فيه المباريات التى بدأت فى هولندا .

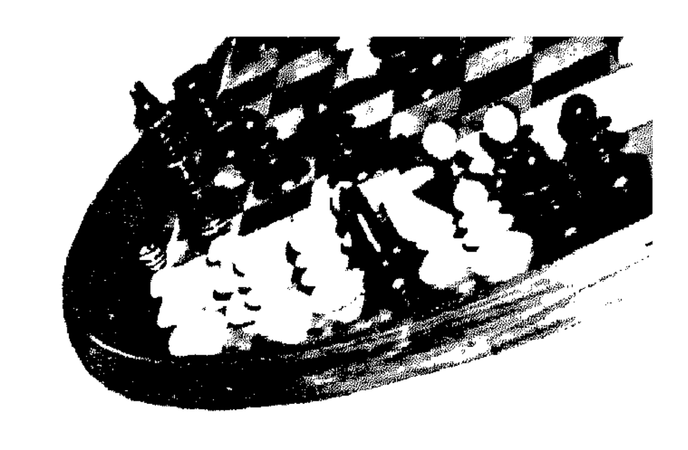
● عصر جديد ●

وبدأ مع بوتفنيك عصر جديد لمباريات الشطرنج . فها هو استاذ فى الفيزياء يخرج من الاتحاد السوفييتي بأفكار جديدة ، اكدت أن خطة مدروسة قد أعدت لتعليم الصغار الشطرنج فى المدارس وأن أعدادا كبيرة من الأولاد سوف يدخلون عالم الشطرنج فى جماعات كبيرة كاسحة تحت تنظيم دقيق وخطة علمية مدروسة للاعداد والتدريب . وانطلقت صيحات فى الغرب تحذر مما يحدث فى الاتحاد السوفييتي ، وانه يريد أن يتنزع عرش الشطرنج ليثبت للعالم أن لعبة العقل والاستراتيجية والتكتيك لعبة الشطرنج التى لاتعتمد على الحظ مثل الألعاب الأخرى ، أصبحت تحت سيطرة الاتحاد السوفييتي بكل ماتحمله هذه السيطرة من دلالات .

وصحت مخلوف الغرب ، وأمريكا بالذات . فقد استمر بوتفنيك بطلا للعالم ولم يتنازل عن البطولة إلا لفترة قصيرة ، عام واحد . لاستاذ روسى ايضا هو فاسيلى سيميسلوف ، وهو مغنى أوبرا من طبقة تينور ، وكان يندم احيانا لانه لم يستمر فى الغناء وانشغل عنه بالشطرنج وكان يقول

ـ إذا كسبت مسابقة في الغناء فى الأوبرا فلن اتعرض لفقدها فى العام التالى ، كما حدث لى عندما كسبت بطولة العالم فى الشطرنج من بوتفنيك عام ١٩٥٧ وفقدتها عندما استردها منى عام ١٩٥٨ !

وانتظر بوتفنيك حتى عام ١٩٦٠ ليفقد عرشه امام لاعب من جمهورية لاتفيا السوفييتية اسمه ميخائيل تال مولود فى ريجا عام ١٩٣٦ ويصغر بوتفنيك بستة وعشرين عاما . وقد رايت تال وهو فى السادسة والاربعين من عمره فى سويسرا وكان مازال يلعب الشطرنج كبطل سابق للعالم ، وقد تميز بقدراته غير العادية على اكتشاف خطط للهجوم ، ولكن صحته المعتلة لم تسعفه ، وقد لاحظت أن يده ليست كاملة الأصابع فهو يمسك السيجارة التى يدخنها بشراهة بأصبعين من ثلاثة فى يده . وهو يعانى من ازمات مستمرة فى الكلى ، لذلك لم تطل مدة بطولته ، وجاء من بعده اللاعب القادم من جمهورية أرمينيا بالاتحاد السوفييتي ، يتجران بتروسيان ، وكانت له شخصيته الهادئة ، وقالوا أنه يلعب كالنمر الذى يختبىء فى الغابة لينقض على فريسته ، ولكنه كان احد تلاميذ المدرسة السوفييتية والتخطيط البعيد المدى لاعداد أجيال بعد أجيال من لاعبى الشطرنج على مستوى يصعب على بقية اللاعبين فى العالم التصدى له . ومن بعد بتروسيان ، ظهر بوريس سباسكى وكان قد حصل على بطولة العالم فى الشطرنج للشباب ، وهو آخر مجموعة ابطال العالم السوفييت ، الذين انتهى عصرهم بظهور الأمريكى ، بوبى فيشر ، .



قصة العباقرة

كانت الولايات المتحدة بكل ثقلها وراء فيشر . فقد كان أمرا أشبه بالفضيحة ان ينتزع السوفييت بطولة الشطرنج هذه السنوات الطوال منذ عام ١٩٤٨ بعد نهاية الحرب العالمية الثانية . والآن جاءت فرصة لظهور عبقرية امريكية حقيقية ممثلة في « بوبى » الذى فاز ببطولة الولايات المتحدة وهو في الرابعة عشرة من عمرة .

ولد فيشر في ٩ مارس في شيكاغو عام ١٩٤٣ وتعلم الشطرنج من شقيقته جوان وهو في السادسة من عمره . وصعد بسرعة خارقة في المباريات الدولية . وكسب بطولة العالم للمرشحين لتحدى بطل العالم بوريس سپاسكى . واقام اتحاد الشطرنج مزادا عالميا بين الدول ليقيم مباراة القرن العشرين بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة في الشطرنج . وكانت الدولة التى تقدم جوائز اكبر هى التى تفوز بالحدث الكبير بما يتبعه من دعاية سياحية واعلامية لها . وانتهى الاتفاق على اختيار « ريكجافيك » عاصمة ايسلنده بعد مشاكل كثيرة اثارها فيشر حول المكافاة المالية التى سيحصل عليها . وقد تدخل مليونير أمريكي اسمه جيمس سلاتر رئيس مجلس إدارة شركة قابضة لعدة شركات . فاعلن انه سيدفع مبلغ مائة وخمسة وعشرين الف دولار جائزة اضافية لفيشر ليلعب ضد سپاسكى ، وحتى لايخيب امل الامريكيين عندما ينسحب فيشر من المعركة ، ولكن فيشر واصل اثارة الأزمات ، فامتنع عن حضور حفل الافتتاح ولم يهتم كثيرا بان شركة امريكية للمقاعد اعدت له مقعدا يجلس عليه ليريح عضلات جسمه واعصابه اثناء الساعات، الطوال التى يقضيها امام رقعة الشطرنج وقد تكلف المقعد ربع مليون دولار واعترض فيشر على وجود مصورى الصحافة والتليفزيون ، ولم يهتم عندما قالوا له انه وقع على عقد مع التليفزيون ليذيع المباراة وانه لو رفض التصوير فسيدفع تعويضا قد يصل الى مليون دولار ، واعتذر فيشر عن الحضور في الموعد المحدد لأول مباراة . وكان المفروض ان يعتبر مهزوما بالانسحاب . ولكن سپاسكى تصرف كبطل للعالم ورفض أن يكسب هذه النقطة وسمح باعادة اللعب مرة اخرى . وكان هنرى كسينجر قد اتصل تليفونيا بفيشر من واشنجتون وطلب منه ان يقبل رجاءه بألا يثير المزيد من العقبات ويلعب ، وصرح كيسنجر في مؤتمر صحفى انه اطلع الرئيس نيكسون على المكالمة التى اجراها مع فيشر وان الرئيس مسرور من النتائج التى توصل اليها كيسنجر .

● أغرب مباراة شطرنج ●

كانت موافقة فيشر للعب . انتصارا آخر من انتصارات كيسنجر الدبلوماسية . ولكن فيشر خسر المباراة الاولى . وارسل يحتج بانه لن يلعب حتى يقرر الحكم عدم السماح بدخول المصورين قاعة اللعب . ولكن الحكم رفض طلبه ، لان فيشر وقع عقود التصوير وحصل على مقابل مادى . وانسحب فيشر وخسر المباراة الثانية . وهكذا بدا فيشر المباراة بخسارة نقطتين ثمينتين . واخيرا قرر الحكم ان تجرى المباراة في حجرة صغيرة بعيدا عن

الضجة وأن تنقل المباراة على شاشة تليفزيون ضخمة للمتفرجين . ومنذ تلك اللحظة توالت انتصارات فيشر وانهارت مقاومة سباسكي . وتربع بوبي فيشر الأمريكي على بطولة العالم لأول مرة بعد مورفي ! واتهم بعض السوفييت الامريكيين بوضع اجهزة خاصة ترسل اشعاعات تؤثر على تفكير سباسكي الذى انهار بلا مبرر من وجهة نظرهم . وجاءت لجان للتحقيق وفحص الكهرباء ومصابيح الاضاءة والمقعد الخاص لفيشر ولم يعثروا على شيء . وتحولت هذه الحكايات الى نوادر وطرائف لأغرب مباراة شطرنج في القرن العشرين .

ولكن فيشر عاد ورفض أن يلعب مدافعا عن لقبه ضد كاربوف عام ١٩٧٥ ، لأنه يستحق من وجهة نظره مكافأة لاتقل عن المليون جنيه ليلعب ، ولأنه لايعتقد أن هناك لاعبا للشطرنج أفضل منه . فخصم فيشر هو فيشر نفسه . وهكذا قرر اتحاد الشطرنج تصعيد كاربوف بطلا للعالم دون مباراة على البطولة مع فيشر الذى انسحب واعتزل الشطرنج .

وكان فيكتور كورتشنوى هو المنافس لكاربوف ، فلما هزم كاربوف ، شعر كورتشنوى أن فرصته فى كسب بطولة العالم سوف تضيع أمام موجات اللاعبين الجدد في الاتحاد السوفييتي . فانتهز فرصة ذهاب الفريق السوفييتي الى هولندا ليشترك في مباراة دولية ، ولجأ الى السلطات الهولندية وأعلن عدم رغبته في العودة الى الاتحاد السوفييتي . وذلك حتى يلعب في الغرب ، ويحصل على فرصة أخرى ليمثل الغرب فى منافسة جديدة على بطولة العالم ضد كاربوف .

واتيحت الفرصة بالفعل لكورتشنوى أن يلعب ضد كاربوف على بطولة العالم فى باجيو عاصمة الفلبين عام ١٩٧٨ ولما توالت هزائم كورتشنوى ، أعلن أن كاربوف جاء معه طبيب نفساني اسمه زخارى يجلس في القاعة ويرسل اشعاعات خاصة للتشويش على أفكاره . وقررت لجنة الحكام إبعاد الدكتور زخارى الى الصفوف الاخيرة من القاعة ، ثم أعلن كورتشنوى انه سيستعين بحرس خاص لحمايته من مؤامرات السوفييت وان هذا الحرس يتكون من مجموعة من الفتوات من خريجي السجون فى الفلبين ، ولابد أن هذا التصريح ازعج كاربوف فقد بدأ يخسر . فبعد أن كان فائزا بخمسة ادوار ضد دور واحد ولم يبق له الا الدور السادس ليكسب البطولة . توالت انتصارات كورتشنوى حتى تعادل مع كاربوف . وطار وزير الشباب والرياضة فى الاتحاد السوفييتي الى الفلبين ، وطلب اجازة لكاربوف وأخذه معه في طائرته ليشاهد مباراة لكرة السلة التي يهواها . وبعد أن اطمأن الى انه استعاد هدوءه ، عاد به الى المباراة فكسبها كاربوف .

ولكن كورتشنوى اعاد الكرّة وكسب كل بطولات الغرب ليواجه كاربوف مرة أخرى فى موانو بجبال الألب الايطالية عام ١٩٨٢ . واستطاع كاربوف أن يفوز عليه بسهولة . وكان قد تقدم فى السن . وهكذا احتفظ كاربوف ببطولة العالم . حتى انتزعها منه جارى كاسباروف الشاب الصغير القادم من اذربيجان بينما الغرب مازال يبحث عن عبقرى آخر يواجه السوفييت . وهناك اصوات ارتفعت اخيرا تقول إن ظهور كاسباروف ، سوف يشجع فيشر على العودة الى ساحة المعركة . وأن مباراة بين جارى كاسباروف ، وبوبى فيشر ستكون حقا معركة نهاية القرن العشرين بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة . ومعركة ساحتها رقعة الشطرنج أفضل مليون مرة من معركة ساحتها الفضاء تنطلق فيه الصواريخ النووية بين الكواكب .

قصة قصيرة

عازف الكمان

بقلم : محمد حافظ رجب • ريشة : عادل ثابت

تعود رواد المشرب رؤيته كل مساء حينما يدخل عليهم بخطواته البطيئة ، ونظارته السوداء ، يقوده كلبه الصغير ، وبيده كمانه العتيق ·

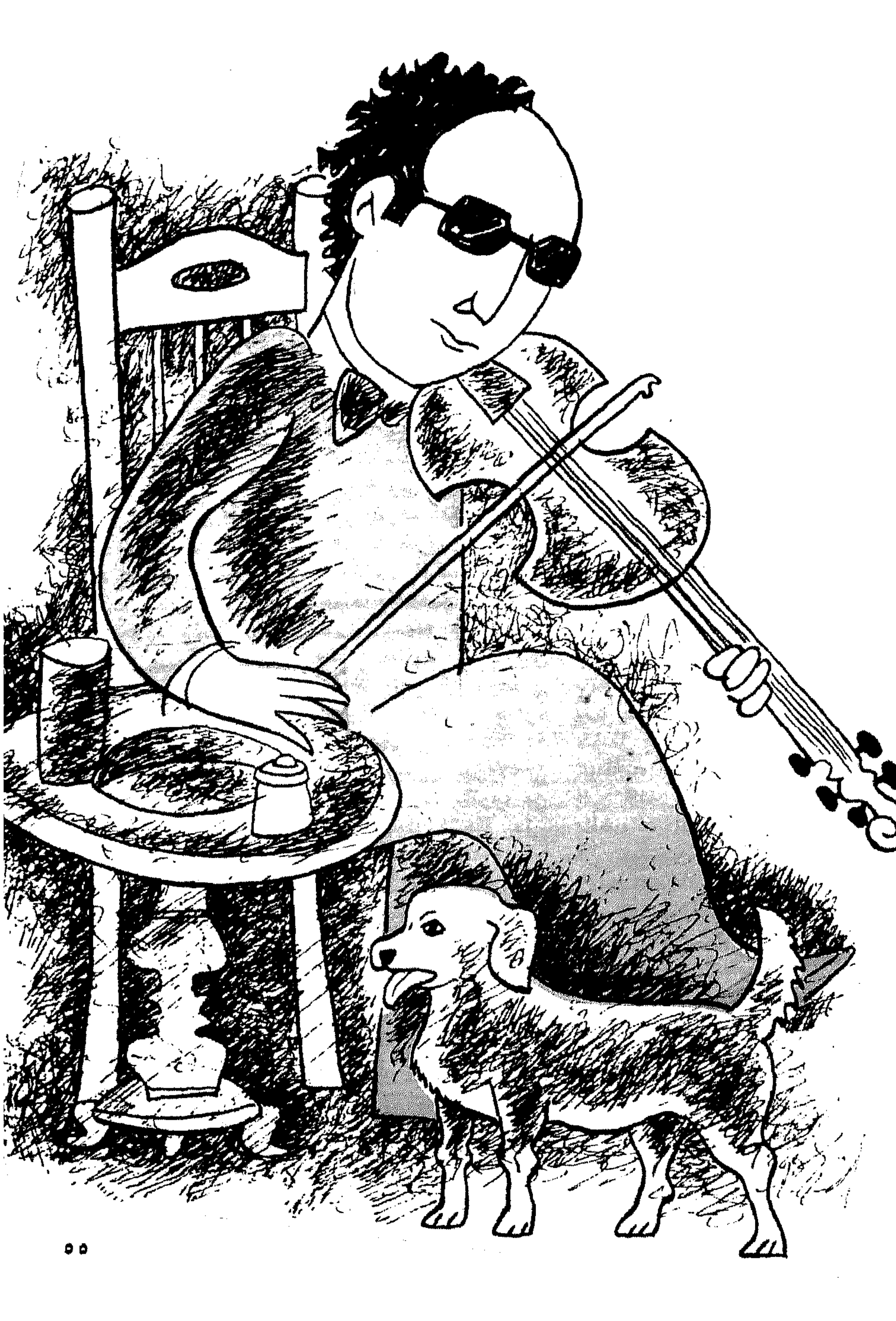
وفي وسط ضجيج السكارى ، ورنين الكئوس ، وصياح المخمورين · تنبعث الالحان من كمانه فسرعان ما يسود السكون والصمت انحاء المشرب الهائج ، ويتطلع الكل في نشوة حالمة الى تلك اليد السحرية التى تنقلهم الى عالم حلو جميل يعيشون فيه لحظات ، حتى ينتهى من عزفه فيرجعون الى عالمهم ويدوى المشرب بالهتاف والتصفيق ·· وفي هذه اللحظات يدرك الكلب أن هذا وقته فينهض ويقترب منه فلما يحس به صاحبه الذى يكون قد وضع الكمان في كيسه البالى ، يمد يده الخالية ويلتقط رباطه ، ويترك للكلب الصديق أن يقوده ، فيقف به عند كل مائدة ، ويمد كل سكير يده بما تجود به نفسه ، أو قد يدعوه احد المعجبين للجلوس معه ، ويطلب له كاسا مع عشاء شهى ، ولا يحرم الكلب من رزقه فيلقى اليه ببقايا المائدة !

وينتهى عمل اليوم ، فيعود الكلب الى صاحبه، ويغادران المشرب وعازف الكمان يلقى تحية المساء على كل من يصطدم به ·

لم يكن احد يدرى عنه شيئا ·· فهو يقيم هناك حيث يعيش من هم على هامش الحياة ولم يكن يزامله في دنياه الا كمانه وكلبه الذى لم يكن من العسير تبين مقدار الود الذى يربطه بصاحبه

وكان الحظ قد ساقه الى ذلك المشرب مساء يوم ، وما ان بدا العزف حتى صاح فيه الجرسون ناهرا اياه ·· فاسودت الدنيا في خياله اكثر من سوادها وهم بالرحيل الا ان صاحب المشرب اشفق عليه وسمح له بالعزف ، ومن يومها وهو يذهب الى ذلك المكان الذى يقع في منتصف المدينة حيث يعيش الاحياء ·

وفي هذه الليلة كانت المدينة تعيش في ضجيج الاحتفال بعيد الميلاد ، وكان المشرب حافلا برواد من كل جنس ·· من الذين وفدوا على المدينة للاحتفال بعيد الميلاد ، حينما دخل



عازف الكمان



الكلب وخلفه صاحبه ، واسترعي هذا المنظر انتباه الغرباء الذين لم يروه من قبل ، فتعالت ضحكاتهم وقبع الكلب بجوار مائدة ، وتأهب الأعمى للعزف على كمانه ، وبدا اللحن يفسح لنفسه مكانا وسط الصخب والضجيج •

وتطلع مخمور يجلس بين أصحابه الى عازف الكمان ، ثم الى كلبه الذي يرقد في هدوء وحلا له أن يلفت الانظار اليه فتقدم مترنحا منه ورفع قدمه وضربه ، فتطلع اليه الكلب بعتاب وعاد الى جلسته ، وغاظه عدم اهتمامه فرفع قدمه وركله بقوة ، فعوى الكلب بالم ، وعلى الفور توقفت الموسيقى الساحرة ، وتطلع الناس الى عازف الكمان الذي قال بهدوء :

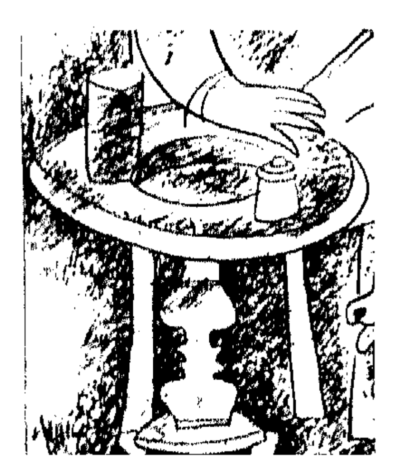
– أرجو من السيد الذي ضرب الكلب ألا يضربه ثانية •

وعادت يده تعزف من جديد •

واستبد الطيش بالمخمور فقام من مكانه متثاقلا واستجمع كل قوته وركل الكلب ركلة قاسية فعلا عواؤه •• وهنا توقف الاعمى عن العزف وقال بصوت فيه رنة الغضب :

– أرجو من السيد الذي ضرب الكلب أن يكف عن ضربه •

وكانت الخمر قد عملت بالمخمور عملها فراح يقهقه عاليا وشرع يطارد الكلب بين الموائد التي كان يحتمي فيهامنه ، والاعمى يدعوه الى المجيء اليه •• وحال المخمور بين الاعمى وكلبه ثم اخذ يقترب من الكلب شيئا فشيئا حتى امسك به من ذيله وصار يدور به ويدور وهو يقهقه بجنون ، والكلب يعوى • ويعوى •



واستطاع الكلب أن يفلت منه اخيرا ، وقبل أن يدركه الاعمى غادر المشرب هاربا لا يلوي على شيء وصاح الاعمى وهو يصطدم بالموائد الحافلة:

– اين كلبي ؟ أين كلبي

وأسرع يتحسس طريقه الى الخارج بين الموائد حتى خرج الى الشارع ووقف كالتائه في عالم مجنون غير عالمه ، وقد أحس بالظلام الكثيف يقبض على روحه بقيود سوداء والناس تصطدم به فتزحزحه عن مكانه •

وانتابته مشاعر كثيرة كلها الم ، ويأس ، وضباب ، وفجأة أحس بأنفاس ساخنة تداعب يده بحنان ، ولسانا خشنا يمسح أصابعه في غبطة ، فقفزت الفرحة الى قلبه وعنقه وشعر بالضباب الكثيف ينقشع من حوله وتمتم بانفعال:

– أهو أنت ؟ •• حسبتك قد تركتني يا صديقي كما تركتني من قبل نور عيني ؟

وانحنى يبحث عن رباطه حتى التقطه والكلب يحرك ذيله في سرور وغبطة ، ثم قال

– هيا بنا •• أحسبنا سنبيت على الطوى الليلة والدنيا في عيد ، ولكن لا يهم يكفينا أننا معا •

هل انكشف سر المتنبى؟

بقلم الفنان : عبد السميع عبد الله

هذا هو الجزء الأخير من مقالة فقيد الفن والأدب الأستاذ عبد السميع عبدالله عن شاعر العربية الأكبر ابى الطيب المتنبى وهذا الجزء هو آخر ما كتبه الفقيد العزيز الذى استأثرت به رحمة الله فى الشهر الماضى ، تاركا فراغا لايسده سواه فى الفن التشكيلى والقصة والمقالة الادبية والتأليف المسرحى ..

لقد كان عبدالسميع موهوبا متعدد الجوانب ، فهو رسام كاريكاتير له اسلوب متميز ورائد ، وله تاريخ فى هذا الفن يمتد اربعين عاما ، وكاتب قصة من طراز متميز ، فضلا عن جهد بارز فى الكتابة للمسرح ..

اما البحث الادبى .. فكان المتنبى بالذات موضوعا لبحوث دقيقة اجراها خلال كتابته مسرحية عنه ، ونقدم الجزء الأخير ، ذاكرين فضله على الفن والأدب ، غير ناسين ماعاناه الفقيد فى حياته من جحود لمواهبه احيانا ومن محاربة جاهلة لعمله احيانا اخرى ، وهو فى هذا كله يمثل جيله الذى توزعته صروف الزمن الذى عاشه . وبخاصة من يعمل مهتديا بضميره ..

إن عبد السميع عبدالله هو الفنان الأديب الذى عاش حياته يخاطب الشعب بريشته وقلمه ، وأخذ يرسم ويكتب حتى آخر يوم فى حياته ..

وقد شاء له علو همته أن يجعل المتنبى ملهما فى الفن والأدب ، وشاءت الاقدار أن تكون هذه الصفحات هى آخر لقاء بين عبدالسميع والمتنبى ، واخر لقاء بينه وبين الحياة !

● الهلال ●



الفنان الراحل عبد السميع عبدالله

هل اكتشفنا سر المتنبي؟

التامل يفهم دائما من التنبى ما يريدان يقوله . وما يريد اخفاءه ايضا ... والمحقق فى نسب يكتنفه الغموض يرجع الى الف عام قد شوهته الاكاذيب يكون حريصا على ان يمسك خيطا فى هذا الموضوع . ثم يرى الى اين ينتهى به .. وقد كانت بداية الخيط هو هذا البيت من شعر التنبى :

مت ان لم تأخذوا بدمى ... يالقحطـــانى ويعربيه

وقد حدث ابن جنى فقال – اخبرنى بعض اصحابى قال : جىء بالمتنبى الى ابى بكر محمد بن الحسن بن دريد فقيل انه شاعر . فقال انشدنا يا فتى شيئا من شعرك فانشده المتنبى هذا البيت – فمسح ابن دريد على راسه بيده وقال .. بل ناخذ بدمك .. هذا البيت لم يرد فى ديوان المتنبى لكنه ورد فى مجمــوعة اوراق لابن جنى باسم « كتاب مجموع فى علم البلاغة » وقد ذكرت هذه البيانات فى كتـــاب المتنبى للاستاذ محمود شاكر . هامش الصفحة ٨٧ ... فى هذا البيت يقول المتنبى وهو ما زال فتى تفور فيه دماء الشباب ان له ثارا يملأ عليه نفسه وقلبه جميعا .. وانه سيذوق كاس المنون هما ان لم يؤخذ له بهذا الثار .. وهو يستنجد بعشيرته لمساعدته فى اخــذ هذا الثار .. فيقول مستنفرا : يا لقحطانى ويعربيه

اى ان ثاره هو ثار القحطانيين . كان هذا البيت هو بداية اتجاه تفكيرى الى ان المتنبى ينتمى الى قبيلة كنده القحطانية . فقد ولد فى ربع كنده فى الكوفة . وقد فخر باليمانيين حين قال :

ومجدى يدل بنى خندف ... على ان كل كريم يمــــانى

وقد كان انتماء المتنبى الى كنده معروف فى عصره . وتامل قول ابى فراس الحمدانى الشاعر وابن عم سيف الدولة حين سمع المتنبى ينشد اخر قصائده فى حضرة الامير – وهى قصيدة – واحر قلباه – وحين صاح متحديا الامير وحاشيته :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا ... باننى خير من تسعى به قــدم

تامل رد ابى فراس على هذا البيت – لقد قال .. ومن انت يا دعى كنده ؟ .. فكان انتساب المتنبى الى كنده كان معروفا وكان معروفا ايضا ان هذا الانتساب مشكوك فيه .. او هــذا ما اراد ابو فـــراس ان يســتقر فى اذهان الحـــاضرين ... وكلمة دعى كنده توضــــح المعنى الذى قصده ابو فراس .. ومعنى ذلك انه كان معروفا ان المتنبى ينتمى الى كنده لكنه لايستطيع ان يجهر بذلك .. فقد كان حريا بالمتنبى ان يرد على ابى فراس حين تساءل ساخرا .. ومن انت يا دعى كندة ؟ كان يستطيع ان يقول انا فلان ابن فلان . ابن فلان حتى ينتهى الى من يرضى من اعلام كنده .. لكن المتنبى كان حريصا كما قـــال من قبل .

انما يذكر الجــدود لهم ... من نفروه وانفــدوا حيله

لكنى لا تنفد لى حيلة فى ستر نسبى هذا حتى لا اقع عند ذكره فى المهالك كما يرجو الاعداء وانت اولهم يا ابا فراس .

● كبرياء الشاعر ●

كذلك كان رد المتنبى عليه مليئا بالدهاء والكبرياء فى نفس الوقت حيث قال مجيبا على تساؤل ابى فراس :

انا الذى نظر الاعمى الى ادبى ... واسمعت كلماتى من به صمم

وقد نقل المفــاخرة مسرعا الى اعتداده بمواهبه وليس بنسبة – وثمة بيت آخر من الشعر يشير الى ان المتنبى ينتمى الى كنده هو ..

أمشي السكون وحضرموتا × ووالدتي وكندة والسبيعا

انه هنا يقرن والدته بكنده وكأنما يقول لنا ولمن قبلنا ممن اهتم بتحقيق نسبه ان هناك علاقة حميمة تربط امه بقبيلة كنده .. لكن الاستاذ محمود شاكر يقول في كتابه « المتنبي » انه لم يذكر امه ابدا في اشعاره ... وانه يقصد جدته حين يذكر كلمة الام .. وانا أوافق الاستاذ شاكر على انه كان يقصد جدته كلما تحدث عن امه .. لكن المتنبي كان كما قلت شديد الدقة في انتقاء الفاظه يسددها من قوس أفكاره الى صفاء الثغرة التي يريدها بالضبط .. فهو في هذا البيت يقول « ووالدتي » ومعنى الوالدة بالتحديد هي الام التي ولدته وليس الجدة التي كفلته .. هذه الجدة التي نعرف جميعا انها تنتمي الى همدان .

وقد علمت كما علمت مثلك ان المتنبي كان جادا في اخفاء نسبه فكيف يستقيم هذا الامر اذا كان انتماؤه الى كنده معروفا ؟.. وأي شيء يحرص على اخفائه من هذا النسب الذي يعلم به الجميع ؟.. ان المتنبي كان يخفي تسلسل نسبه في كنده وليس انتماءه اليها . لان تسلسل النسب كان قمينا أن يوقعه في الخطر الذي حذرته منه جدته ..

نحن نعرف انه استنصر قحطان للاخذ بثاره فلماذا .. لماذا لم يستنصر قبيلة كنده وهي قبيلة ابيه التي سفك دم واحد منها .. لماذا قفز هذه القفزة الهائلة حين استنصر قحطان ولم يستنصر كنده .. وكما قلت وكررت القول حتى اخالك قد مللت ان الشاعر دقيق جدا في اختيار الفاظه ليخبر من يريد ان يفهم اين يوجد ثاره .. اين هم القتلة الذين سفكوا دماء رجل معروف من كنده ينتمي اليه الشاعر ويطالب بدمه ..

● محاولة اخفاء السر ●

واني أدعوك ياعزيزي القارىء الى رحلة بحث عن قتيل من قبيلة كنده . له مواصفات خاصة . أولها انه شخص معروف . لم يتساءل عنه « ابن دريد » حين استمع الى المتنبي يطالب بالثار له .. وثانيا : أن يكون على علاقة بذلك الشيء الذي يهم المتنبي نفسه ويمينه في طلب المجد الذي ورد كثيرا في شعره .

وثالثها : ان يكون قتلته من العدنانيين .

لقد اخفى المتنبي نسبه حتى لا يضطر لافشاء السر الذي يتعلق بثاره والذي اوصته جدته بكتمانه .. لاسيما وهو يعلم علم اليقين ان هذا الثار يستقر في هذا القسم من عدنان وهم العلويون الاقوياء .. اي سادة الكوفة الذين ناصبهم المتنبي العداء طوال حياته ولم يمدح منهم مختارا الا الاشتر النقيب الذي قيل عنه انه اخو المتنبي في الرضاع والذي اسدى الكثير من المعروف للشاعر .. فلماذا نتهم العلويين من دون العدنانيين بسفك دم جد المتنبي من قبيلة كنده ؟..

يقول ابن خلدون في كتابه « تاريخ العبر » مخالفا لكتب الشيعة — ان من العرب من ساق الامامة بعد علي وابنيه السبطين الى اخيهما محمد بن الحنفية .. ثم انتقلت بعده الى ولده ابي هاشم .. ويقول «الشهرستاني» مؤيدا هذا الرأي انه بعد ابي هاشم انقسموا الى خمس فرق قالت فرقة منهم ان آبا هاشم اوصى بها الى « عبدالله بن عمرو بن حرب الكندي » الذي تحولت روح ابي هاشم وحلت فيه .. وان هذا الكندي قد قتل لخياناته كما قيل .. ومن ثم عادت الامامة الى علي زين العابدين والى العلويين .. لكن الشيعة ينكرون ذلك كله ويذكرن هذه الاحداث ذكرا. ليقولوا ان محمد بن الحنفية سلم الامامة الى علي زين العابدين مباشرة بعد استشهاد الحسين ..

● الثار .. لماذا ؟ ●

وانا ارجح ترجيحا يقرب من اليقين ان « عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي » هو الجد البعيد للمتنبي .. وان المتنبي يرث الامامة عنه .. لان الامامة لاتعود القهقرى وانما تكون في اكبر الابناء («كتاب الاسماعيلية» دكتور مصطفى غالب .. وان قتل هذا الكندي وازاحته من الامامة بواسطة العلويين هو « ثار المتنبي » الذي أضرم في صدره كل

هــل انـكشـف سـر المتـنبى ؟



هذه الحفيظة على العلويين . والذى أنطقه هذين البيتين وهو فتى صغير فى كتاب العلويين حين استحسن احد رفاقه لمته التى كانت تغطى شحمتى أذنيه .. قال معبرا عما يشعر به من الضغينة ..

لا تحسن اللمة حتى ترى
منشورة الضفرين يوم القتال
على فتى معتقل صعده
يعلها من كل وافى السبال

الفتى الصغير يضطرم حقدا على اعدائه الذين وتروه لكنه لايستطيع أن يحدد هؤلاء الاعداء فى شعره عملا بنصيحة جدته الحازمة .. فهم لن يسكتوا ان علموا انه عرف بقصده ثار كنده .. لكن الفتى يضيف سببا آخر لحقده الطاغى على شيوخ العلويين . سببا غير ثاره الذى يطالب به .. سببا ذكره صراحة فى شعره حين قال :

سآخذ حقى بالقنا ومشايخ
كأنهمو من طول ماالتثموا مرد

الحق المغتصب .. حقه فى وراثة الامامة عن جده الاعلى عبد الله بن عمرو بن حرب الكندى . والا فلماذا يدعو العلويين بالادعياء.

وكانت جدة المتنبى الحازمة قد نشأته على مكارم الاخلاق لتعده اعدادا خاصا لاستلام حقه فى الامامة . وكانت تعلم تماما أن هذا الحق دونه خرط القتاد فاوصت حفيدها بكتمان هذا الامر حتى لا يصيبه مكروه .. وقد امتثل الصبى لامر جدته فكتم أمره مضطرا حتى لاحت له الفرصة فى سلمية أو نظن ذلك فقام بثورته هناك .. فأحيط به وسجنه العلويون .. ولم يخرج من السجن حتى استتابوه فتاب وكذب ما ادعاه من انتمائه الى امام معصوم . هو عبدالله بن عمرو بن حرب الكندى .. وأصبح لايستطيع ذكر هذا الامر والا تعرض لعقاب شديد ..

قد خلصنا من ذلك الى ان المتنبى من كنده وان نسبه ينتهى الى ذلك الكندى الذى قتله العلويون لاسترداد الامامة وان أبا المتنبى عندما تزوج امه تحدث بهذا السر ونمى هذا الامر الى العلويين فهددوه ثم تخلصوا من الرجل بقتله لقطع النسب ولكنهم لم يعلموا ان أم المتنبى حامل فيه ، حينئذ عمل شيوخ الكوفة من العلويين على استرشاء الجدة حتى تسكن ولما وضعت ابنتها طفلا هو المتنبى ثم قضت نحبها ربما حزنا على زوجها الذى قتل ظلما وعدوانا بادر العلويون بارضاع الطفل من احدى نسائهم . ثم ادخلوه من بعد كتاب أولاد اشراف الكوفة . واستمر الصبى حتى بلغ السن التى تسمح بالافضاء له بسر خطير . فاخبرته جدته بالامر بعد ان أوصته بالكتمان .. وقد التزم الصبى بما وعد به جدته غير انه كانت تصدر منه بين الحين والحين تلك الاشعار الملتهبة التى تفضح مايضطرم داخل صدره الصغير من نيران الحقد .. فعلموا انه يعلم الامر وان جدته قد أخبرته به . لم يعد فى الامر خفاء وانما عداء صريح بين العلويين وشاعرنا المتنبى وجدته حتى لقد قال عند موتها :

لئن لذ يوم الشامتين بموتها .. لقد ولدت مني لانافهم رغمـا

وهذا البيت يعني بوضوح وبسـاطة ان ميلاده تم رغم آناف شـيوخ الكوفة من العلويين . وان وجوده ذاته فيه تحد لهؤلاء الشيوخ الذين حاول كثير من المؤرخين الصاق نسبه بهم عنوة واعتسافا .

فمثلا يقول الاستاذ جاسم عبود في مقدمة كتابه « التطلع القومي عند المتنبي » يطلق الاهالي على الضريح الموجود ببلدة النعمانية في محافظة وسط « أبو سوره » ويعتقدون ان المدفون فيه هو « سيد أحمد المتنبي » ابن الامام موسى الكاظم ــ انتهى كلام الاستاذ جاسم عبود .. وهو ان دل على شيء فانما يدل على انه حدث خطأ في نسبة هذا الضريح الى « سيد احمد المتنبي » ابن الامام موسى الكاظم لتشابه اسمه مع ابي الطيب احمد المتنبي . شاعرنا .. ويدل أيضا على أن كلمة المتنبي التي نبذ بها ابو الطيب كانت تطلق على من يتحنف ويلتزم بمكارم الاخلاق .. وكان شاعرنا كذلك .. ويستطرد الاستاذ جاسم عبود فيروى ان الشيخ عبد الزهراء الصغير قد شافهه في ١٤-٣-٧٤ واذن له بتسجيل رأيه في المتنبي وابيــه كالاتي : واعتقادي بأن والد المتنبي هو نقيب العلويين بالكوفة .. وكان في ذلك الوقت هو الشاعر الحماني علي بن جعفر بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب » ــ ديوان الحماني وانا أرجح ان علاقة المتنبي بكلمة النقيب جاءت من لقب المشطب الذى ذكره ابن ماكولا في كتابه الاكمال هكذا ــ الاشتر « النقيب » أبو الحسين محمد بن عبد الله العلوى المعروف بالمشطب . وان هذا الاشقر النقيب قيل انه أخو المتنبي بالرضاع ..

ويؤيد الاستاذ سعيد الملاح في كتـــابه « المتنبي يسترد اباه » الرأى الذى يقول بانتساب المتنبي الى العلويين ويلحق باب منهم كان اماما معصوما .

● انتسابه للعلويين ●

وقد حام هؤلاء المؤرخون حول الحقيقة لكنهم لم يصلوا اليها .. فقد نسبوه الى امام معصوم كما توحي بذلك اشعاره في الفخـــر على امير الحمدانيين وهو من تغلب من نزار من عدنان وليس هناك سبيل لفخر المتنبي هذا الا أن يكون له شرف يعلو على شرف الامير ولن يتيسر له ذلك الا بانتسابه الى امام معصوم .. ولم يكن امام هؤلاء الباحثين الا طريق واحد يوصله الى الائمة المعصـــومين هو انتسابه الى العلويين .

لكن الامر كان له وجه آخر هو علاقة كنده بالامامة كما قال بذلك الشــهرستاني لذلك اصبح انتماء المتنبي الى كنده يساند الحقيقة ويدعم صلته بالامامة في نفس الوقت . وابن رشيق يقول في كتابه «العمدة» « ذلك أن ابا تمام والبحترى ينتميان الى طيء كابي الطيب وهي قبيلة عربية جنوبية وكانت تسيطر على ابي الطيب طول حياته فكرة تفوق العرب على بقية البشر . وتفوق عرب الجنوب شرفا ونبلا على من سواهم وكان يعتقد كاكثر معاصريه ان العبقرية الشعرية وقف على اليمنيين » انتهى كلام ابن رشيق .

ولنعود الى حكاية ثاره فنقول ان هـــذا الثار وقد مضى عليه اكثر من مائتي سنة وتحول فيه القتيل الى عظام نخرة ما كان ليبعث في شعر المتنبي مثل هذه الحرارة وهو يستغيث بقحطان .. ولابد ان هذا الثار قد تجـدد بحدث قريب اجج النيران المختبئة تحت الرماد ونكا الجراح القديمة .. هذا الحدث هو قتل ابيه ثم امه قهرا وحزنا .. أمه التي حرم ثديها وحنانها لوفاتها اسى على قتل زوجهـا تنفيذا لحكم شيوخ العلويين العتاة .. هاهم اعداؤه العلويون يعودون ليشـــيروه مرة أخرى : فليصطلوا بعداوته طول العمر

وفي شرح الواحدى يقول المؤلف ان المتنبي عوقب في عدم مدح اهل البيت .

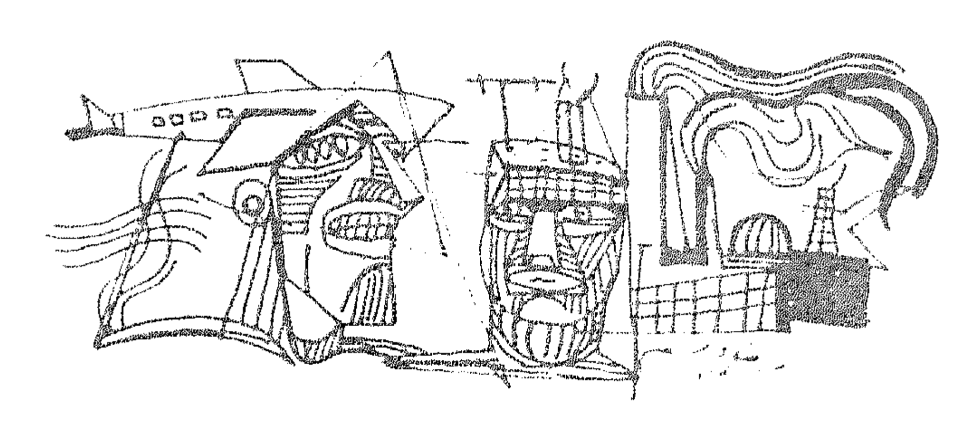
فانت ترى ياعزيزى القارىء ان مفتاح سر المتنبي جاء من ناحية انتماء ابيه الى امام معصوم .. ليس من العلويين كما تبادر الى ذهن كل الباحثين الذين تصدوا لجلاء نسبه من منطق جلال هذا النسب .. ولهم عذر في ذلك .. ولكنه من قبيلة كنده التي شرحت آنفا علاقاتها بالائمة المعصومين .. وهـــذه المعلومة لم يتعرض لها باحث من قبل ..

الى الصناعة

مهداة الى شقيقة البعير العربى من المحيط الى الخليج

للشاعر اللبنانى : سليم الرافعى

هى الصناعة تحيينا .. هو الخلق
فلا تهينوا تراثا اهله سبقوا
عشنا من الدهر جيلا غير جيلهم
حمى ازدواج هما التقليد والنزق
يا ايها العرب الاحرار قد نبضت
لكم حياة وقد حياكم الفلق
يا ايها الوراثون الصيد ارثكم
هياكل الامس فى اعطافها عبق
لستم ضفادع هذا العصر يجمعكم
مستنقع طحلبى العشب او نفق
ان الحياة بمصراعى حضارتها
لكم وللنشء والامال تاتلق
الحقد والفخر ما اشقاهما مثلا
لنهضة يعتريها الجهل والملق
غاليتم . . وتراخيتم .. بمجتمع
على ذراعيه محروم ومنسحق
ما الذات؟ ما الروح فى جوع وفى ظما
ما النفس فى مازق الاضغان ما الخلق؟



هى الصناعة فلاقوام تجمعهم
هى المداخن كالاعلام تنطلق
لكل عصر من التاريخ آلته
بها التفوق .. فالتاريخ مفترق
كانوا اذا خطبوا هزوا مشاعره
واليوم بالطائرات الصم قد نطقوا
بالمركبات الى بحر الفيوم مضوا
ما اروع النسر بالفولاذ يخترق !
عبء على الارض من يحيا بلا عمل
عار على الحقل جذع ما به ورق
الريح تجتاحهم .. ليست مؤامرة
تلك الرياح اذا دوى بها الافق
سر الصناعة ان الشعب مجتمع
على عطاء يعيه الجهد والعرق
فى كل جارحة مجد اذا عملت
فهو انتماء من الاعماق منبثق
هذا الدخان يغطى الشمس غيثكم
حقل خصيب لكم بالرزق يندفق
فالكون متضح بالعلم منفتح
والكون منبهم بالجهل منغلق
لا تحجب الشمس عن شعب مصانعه
ان الصناعة شمس ليس تنمحق

مصــر
فى الشعــر الســودانى

بقلم : مصطفى عوض الله بشارة

لايزعم احد ، مهما اوتى من قدرة على اســتقراء التاريــخ ، ان باســتطاعته تحديد الفترة الزمنيــة او العوامــل التاريخيــة التى نشات من جرائهــا العروة الوثقى بين شــعبى وادى النيل : مصر والسودان .


كامل الباقر

● انهــا صلات ازلية حميمة نمت وشــائجها وترعرعت اواصرها في قلوب ابناء الوادى منذ بدء الخليقة ، اوجدها الخالق عزوجل ، ورعاها بعنايته وجعــل النيل الخالد لهذين الشعبين الشــقيقين مصدر خير وبركة ومنبع مجد وازدهار ، ودافع فكر والهام ونهضة ، ورقى ، واباء ... وكم من عدو غاصــب .. اراد ان يفرض سلطانه وجبروته على اهل الوادى ، يفرق الشمل بين ابنائه فى شماله وجنوبه حتى ارتدت اليه سهامه مدحورة خاسئة ولم ينل من جراء اطماعه وطغيانه الا الذل والهوان ، ولاذ بالفرار خشيه الموت والدمار .. انها عناية الله عزوجل وارادة ابنــاء الوادى القاهرة العاتيه ، الجبــاره ..

وبما اننا ، بصـــدد الابانة عن بعض الجوانب الشعرية المتعلقة بذكر « مصر » الحبيبة الىالقلوب،والتى عشقتهاافئدة الشعراء السودانيين تماما مثلما احترقت فى مجامرها ، وفى آتون محبتها قلوب أشقائنا من شعراء مصر ٠٠ وهى كما نعـلم ، قلب العروبة النابض ، وأرض النور والحضارة والازدهار و « أدخلوها بسلام آمنين » ٠٠

وها هو ذا شاعرنا الكبير ، دكتـــور عبدالله الطيب يقول عن مصر ، فى قصيدة له عن اللغة العربية ، كتبها عام ١٩٤٦م فى ديوانه : « سقط الزند الجديد » الصادر عندار التاليف والترجمة والنشربجامعة الخرطوم ، عام ١٩٧٦ م :

سقى الحيـا مصر انها وطن الـ
عـــلم ومجنى الاداب من كثب
والشيخ طه شيخ العـــروبة با
نى النقد فى الشرق حجة الادب
وشيخ اسوان انه بطـــل
هزبر غاب متى يشا يثب
والرافعى الذىثوى ، فهمت
عليه همـــالة من الهضب
ولو أعد الاسماء ادركنى
عن حصرها مدرك منالتعب
متسع لجها ، وينبع منه
كل بحر بالعلم مصطخب
الشعر والنثر والرواية والاخبا
ر من موروث ومكتسب

وشاعرنا ، العالم ، دكتور كامل الباقر ، أنشأ قصيدة بعنوان « ياعيد » ونشرها فى مجلة « السودان » الصـــــادرة بتاريخ ١٩ يناير عام ١٩٤٥ ، وكان ذلك ابان اقامته بأرض الكنانة مصر ، وهو يتلقى العلم فى ذلك الحين ، وجاء فى قصيدته :

قومى ، وما فى مصر الا فتيـــة
غر نمتهم للعـلا احســـاب
قوم تركنا ارضــهم فاذا بهم
اخوان صدق خلص وصـحاب
يسدون للضيف الجميل، فما
ذكرنا اننا فى دارهم اغـراب

النيـل روانا ووحـــد بيننـا
والدين والاخـلاق والاداب

ومن قصيدة اخرى للدكتور كامل الباقر، كان قد ألقاها فى محطة « مصر » بالقاهرة عند استقبال وفد السودان برئاسة الزعيم الراحل ، السيد اسماعيل الازهرى ، وقد نشرت هذه القصيدة فى ديوان الشـاعر ، وفي مجلة « السودان » الصادرة بتاريخ ٧ ابريل عام ١٩٤٦ م ، واخترت منهاالابيات التالية :

بنى النيل ، أن النيل شعب موحد
فلا الملحت ايد تريد له فصما
تعـــالوا نوحدها جهـــودا فتيـة
ولا نتخذ غير الكفـــاح لنا همـا
فلم أر كالمستعمر الغمر غاصبـا
ولم ار غرا مثله يعشق الهـدما

والشاعر الكبير احمد محمدصالح ـ طيب الله ثراه ـ وهب مصر حبه ، وأهداها من رفيع نظمه باقات أشعاره ، واصـفا اياها بزعيمة الشرق ، ومنهل المجد التليد ، ومنبع الود والوفاء ، وفى قصيدته «يومالتحرير» التى القاها بنـــادى الجيش بالزمالك فى يوليو سنة ١٩٥٣ م ، اخترت لكم الابيات التالية :

وزعيمة الشرق المفـــدى
فى الجهاد وفى الجهــود
هى موئل للمستجير
ومنهـــل عذب الورود
امجادها منقوشـــة بالتبر
فى ســـفر الخـلود
وعلى جنوب النيـــل كم
فاضت أياديهـا بجود
جئنـــا وبين ضـــلوعنا
شوق العميد الى العميـد
لنثيب مصر واهلهـــا
ودا على الود الاكيـــد
يامصر سودى فى الحيـاة
فان حقك أن تســودى
زيدى على الايام عـــزا
فـــوق عزك لم زيدى

مصر
فى الشعر السودانى


مبارك المغربى

واستقبل العهد الجديد
بطالع اليمن السعيد ..

وشاعرنا المبدع الناصر قريب الله عبر عن عميق سعادته وعن مودته الصادقة وهو يستقبل بكل الحفاوة والترحيب وفد الكنانة الذى زار السودان فى عام ١٩٣٦ م ، وغرد الشاعر « الناصر قريب الله » بأبيات من الشعر ، جاء فيها :

مرحبا بالنجوم تسعى الينا
فى جلابيب من عفاف وطهر
وبها فاضت البلاد شعاعا
وبدت كلها مطالع فجر
يا شباب الكنانة اليوم عيد
عاد فى حلتى سرور وبشر
عادنا والقلوب ملأى اشتياقا
لم يدع شوقها مكانا لصبر
لمساعيكم التى غمرتنا
لم تعادل لدى ثناء بشكر
جعلت حبنا الكنانة فرضا
شأن كف الندى بقلب الحر
وبمصر لنا قلوب ألامت
اتمسونها بانحاء مصر
فالمسوا السن الثلاث انا
اخوة فى الهنا ومس الضر
عصمة الدين وحدتنا ، وما عن
عصمة الدين وحدها من مفر

وأما شاعرنا ، الراحل المقيم ، مبارك المغربى » فقد كتب قصيدة بعنوان« تحية بطل » أهداها الى اللواء محمد نجيب ـ طيب الله ثراه ـ وقد وصفه الشاعر بأنه منقذ مصر .. وكانت بمثابة التهنئة القلبية بمناسبة نجاح الثورة فى عام ١٩٥٢ م ، قال « المغربى » :

أهديك من طيب الجنوب
تحية الوائق الخصيب
واسوق اعجابى بما احدثت
من نبأ عجيب
هز البلاد باسرها
وغدا احاديث الشعوب
لما طلعت على الطغاة
تذود عن شعب حبيب
لجوا الثبات مكمسلا
فى وجهك السمح المهيب
لم ترهب الملك العتيد ،
ولم تخف دس الرييب
وخطوت خطوة ضيغم
حر تهيأ للوثوب
انقذت يا ابن النيل
شعب النيل من ذل معيب
وغمرت مصر وأهلها
بالسعد من بعد الكروب

وأما شاعرنا المعروف مختار محمد مختار ، فقد نظم قصيدة عصماء أسماها « مصر المجاهدة » قال فيها :

الا فاسلمى رغم النوائب يامصر
لك العز والمجد المؤثل والفخر
فصبرا ، فان الظلم ليل مجنح
سيسطع من الثناء ظلماته الفجر
سيكشفه يامصر عنك ضراغم
لقد حلفوا : اما الممات او النصر

ان النماذج الشعرية عديدة ، تلك التى عبر من خلالها الشعراء السودانيون عن حبهم الكبير لمصر الشقيقة ، فهى محبة ـ بحق ـ كامنة فى اعماق قلوب أبناء الشعبين الشقيقين .

الذكرى المئوية لميلاد مىّ زيادة

جزء خاص













● تمر بنا فى هذه الايام الذكرى المئوية لميلاد الاديبة العربية الكبيرة "الانسة مى" التى ملات دنيا الادب والادباء المصريين والعرب فى العشرينيات والثلاثينيات ، وتمثلت فى ادبها الرفيع عبقرية كاتبة عربية عاشت بين فلسطين ولبنان ومصر ، وغمرت شهرتها الادبية مابين المحيط والخليج ، فكانت رسالة الى الشعوب العربية المغلوبة على امرها فى ذلك العصر ، وارهاصا بنهضة هذه الشعوب وانعتاقها المامول .. فإن نبوغ اديبة من طراز مى ، لايحدث الا فى امة ناهضة ، او فى سبيلها الى النهوض ، وقد كان مستحيلا ظهور مى فى عصر المماليك العثمانيين - مثلا - لان النبوغ فى الادب والفن لايتم بمعزل عن حالة المجتمع ، صعودا وهبوطا ، وقد كان ابن خلدون يقول قديما ان المغنى لاينبغ مع تدهور العمران ، وانحسار قوة المجتمع ، فكيف بالاديب ؟ !.. وكيف بالاديبة التى يعتبر نبوغها امرا عظيما حتى فى أعظم المجتمعات الناهضة ؟!.. ●

كانت مصر ، عندما استقرت بها "مى" فى أوائل القرن العشرين ، تنهض من كبوتها بعد الثورة العرابية ، وكان فيها من الزعماء الوطنيين والأدباء والشعراء والمفكرين عدد لم يجتمع مثله فى تاريخها كله قبل تلك الأيام ..

ولم ينقض العقد الأول من القرن العشرين حتى جاءت ثورة ١٩١٩ الوطنية فى آخر العقد الثانى ، ثم اقبلت النهضة الاقتصادية فى أعقابها ، فعاصرت مى أعظم الأسماء التى لمعت فى العصر الممتد بين أوائل القرن العشرين وأوائل الثلاثينيات ، وتضوأ اسمها بجوار اسماء احمد شوقى وحافظ ابراهيم واسماعيل صبرى ولطفى السيد وسلامة موسى وعباس العقاد ومصطفى صادق الرافعى وعشرات من أهل الأدب والفن ..

وارتفعت قامة "مى" فوق قامات من عاصرنها من الأديبات ، فلا يمكن أن نقارن بها أديبة أو شاعرة اخرى .. ان اكبر الشاعرات قبل ظهور مى كانت عائشة التيمورية .. وبعد ظهور مى كانت باحثة البادية ونبوية موسى وأسماء اخرى قليلة خافتة من المنتسبات الى الأدب والفكر ، عاصرن "مى" ولكن اسمها لبث طوال حياتها أرفع الأسماء .

لقد كانت "مى" رمز نبوغ المراة فى عصر النهضة المصرية الذى كان طليعة النهضة العربية ، وساعدتها ظروف نشأتها الخاصة على أن تكون أيضا رمز تحرر المرأة العربية وانتصارها على قيود الأنثى المحجوبة بالأستار ، فالمراة المصرية التى لم تكن حينذاك تجرؤ على مجرد التفكير فى الظهور على المسرح ـ مثلا ـ كانت لاتجرؤ ايضا على الظهور بين أهل الأدب والعلم والفكر .. وعندما اتيح لعائشة التيمورية ان تكتب شعرا ، كان ذلك من وراء الحجاب ، وكذلك باحثة البادية ، وحتى نبوية موسى التى خرجت الى الحياة العامة واشتغلت بالتدريس ثم صارت صاحبة مدارس "بنات الأشراف" كانت تعتصم بحجابها ، بل ان النهضة النسائية التى قادتها هدى شعراوى ، كانت من وراء حجاب فى بدايتها ، وكانت تهتف بمطالبها على استحياء .. وكانت المراة المتعلمة بوجه عام "عثمانية" أو "آلا توركا" كما كانوا يسمون السيدات المحافظات فى تلك الأيام ..

أما المراة البرزة التى تختلط بالرجال ، او تتخفف من الحجاب ، فكانوا يسمونها "آلا فرانكا" أو "متفرنجة" ..

ثم انقسم المجتمع النسائى المتعلم بين أغلبية "آلا توركا" .. وأقلية "آلا فرانكا" ..

وقد نشأت "مى" فى هذا المجتمع ، ومصر يومئذ لم تخرج بعد من رابطة الخلافة العثمانية مع وجود الاحتلال البريطانى ، وكانت مى القادمة من "الشام" هى الفتاة الوحيدة التى استطاعت ان تحرر فكرها وحياتها من طريقة الحياة السائدة فى عصرها ، وأن تجمع فى ثقة واناقة بين تحرر فتاة عصرية "الافرانكا" .. ومهابة فتاة وقور رزينة "آلا توركا" .. فاجتمع حولها فى صالونها الأدبى كبار مفكرى وادباء عصرها ، وخفقت قلوبهم جميعا بحبها ، على تفاوت بينهم فى درجة الخفقان ، ولكن هذا الحب ظل "شفويا" .. فإن تحول الى حب "تحريرى" لم يتعد الرسائل المهذبة المتحفظة كما رأينا فى رسائل العقاد ولطفى السيد وانطون الجميل وغيرهم ... اليها .. اما جنون الحب الذى كان فى رسائل الرافعى وكتبه ، فهذه حالة نفسية خاصة ، لم تتعد الصفحات التى كتب فيها الرافعى الشاعر رسائله الغرامية التى لامثيل لها فى الأدب العربى ، وحسب مى فضلا على الادب العربى انها كانت ملهمة الرافعى فى هذا العمل الادبى الفريد ..

لقد كانت "مى" إيماءة الى المستقبل ،

على كونها علامة بارزة ، وشارة مجسمة للعصر الذى عاشت فيه .. كان ظهورها فى صالون أدبى يؤمه الرجال وهى الفتاة الوحيدة بينهم . ايماءة الى مستقبل المرأة المصرية والعربية التى سوف يحررها التطور . وكان ظهورها من العلامات الخاصة لعصرها . لأن ذلك العصر كان يقصر ظهور المرأة فى الأعمال الأدبية والفنية على فتيات الشام المهاجرات الى مصر هربا من الطغيان العثمانى .. ولهذا لم يكن بروز مى فى صالونها الأدبى مستنكرا ، بل كان عند معاصريها تتمة لعمل المرأة الشامية فى المسرح والغناء والفنون الأخرى . فكانت المرأة الشامية المتمصرة طليعة للنهضة النسائية فى مصر وفى كل الأقطار العربية ، ومن هنا ظفرت "مى" بمكانتها الخاصة فى الوطن العربى ، ومازالت هى الأديبة العربية الأولى هنا وهنالم برغم ظهور عدد كبير من الأديبات بعدها على امتداد خمسين عاما .. ومازالت القيمة الفكرية لأدبها أعظم من كل ماجاء بعده من آداب النساء العربيات ، ومازال أسلوبها لغة وبيانا أرقى من كل أساليبهن .. بل ان "مى" كانت ومازالت ـ فى الحقيقة ـ أكبر كاتبة فى الأدب العربى كله .

لقد حالت النظم الاجتماعية القديمة دون ظهور أديبة عربية تؤلف وتكتب على غرار "مى" أو على مستواها ، ثم جاءت دول المماليك والعثمانيين ، فانقطع الأدب العربى ، حتى جاءت نهضة الأمة العربية فى أواخر القرن التاسع عشر ، فكان من ارهاصات تقدمها وتطورها ظهور كبار الشعراء الذين ردوا أساليب الشعر الى ذوق العرب ولسانهم ، بزعامة محمود سامى البارودى ، وظهور الكتاب الذين تركوا السجع والمحسنات الفارغة وأشهرهم الشيخ محمد عبده .. وكانت عائشة التيمورية تمهيدا لظهور فتيات أكثر تطورا فى صناعة الأدب ، ولم تلبث "مى" أن كانت أول الفتيات فى هذا المضمار ..

وهكذا كانت مى ـ أولا وأخرا ـ رمزا للعصر العربى الذى ورث العصر العثمانى فى الأرض الممتدة بين المغرب والعراق ..

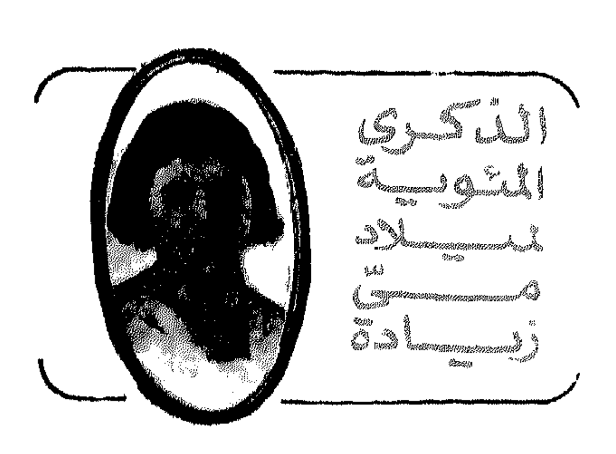
وبعد .. فإن أشهر مابقى فى ذاكرة بعض الناس من ذكريات "مى" أنها كانت صاحبة صالون أدبى ، وقد افتتن بعض الفتيات والسيدات بفكرة الصالون الأدبى فى عصرنا وخيل اليهن أن المجد الأدبى لايجىء الا من طريق هذا الصالون ..

ولكن ينبغى أن تتذكر هؤلاء الأخوات أن صالون مى كان رمزا لمرحلة فى تاريخ الأدب والمجتمع ، وأن محاولة بعثه الآن تشبه أن تكون محاولة لاعادة العقدين الأول والثانى من القرن العشرين الى الحياة فى العقد التاسع ..

لقد صارت الحياة كلها صالونا كبيرا لأدب المرأة وأدب الرجل .. ولم يعد المجتمع منقسما الى "الاتوركا" و"الافرانكا" .. لقد انطوت مرحلة تاريخية كاملة منذ ذلك الزمن الى اليوم ، وانقضت الظروف الاجتماعية التى كانت مى رمزا لها ، ومضت مائة سنة على ميلاد "مى" وبضع وأربعون سنة على وفاتها .. وخير تحية تقدمها أديبات عصرنا الى رائدتهن العظيمة مى ، هى أن يضفن جديدا الى أدبها ، وينشئن أعمالا عظيمة تقارن بأعمالها ..

وهذا هو "المعنى" الذى أراده "الهلال" من احتفاله بالذكرى المئوية لمى .. فإن "مى" التى صارت أعمالها الأدبية العظيمة نماذج كلاسيكية فى أدب المرأة المصرية ، مازالت أقرب الى روح عصرنا الحاضر من كثيرات أو قليلات يغمسن أقلامهن فى المداد الآن ، أو يكتبن بأقلام حبر جاف !..

● الهلال ●



مىّ زيادة
الخطيبة الأولى فى العالم العربى

بقلم: د. محمد رجب البيومى

● سيتحدثون عن مىّ ، ويطيلون الحديث عن ندوتها الأدبية التى تلالأت فى سمائها نجومُ الأدب والفكر فى مصر . إذ كانت مىّ هى البدر المتالق بين النجوم ، وماسطعت هذا السطوع بين أعلام الأدب إلا لسموها الفكرى ، ونظرها الموضوعى ، وقيادة الحوار المتشعب إلى حيث لا يجد مجالاً للاصطدام ، ولن تبلغ هذه المنزلة غير أديبة ممتازة تدسست إلى أهواء النفوس ، فرصدت الخلجات الدفينة ، واستنطقت الاحاسيس الصامتة ، وشهدت مسار العواطف فى نبضاتها البعيدة طىّ العروق ، وبهذه القدرة الفائقة صارت مىّ خطيبة الشرق الأولى ، لأن أول خصائص الخطيب المحلق ، أن يعرف أهواء سامعيه ، وأن يضرب على أوتار قلوبهم بما تتحرك له المشاعر النائمة فتهب من رقدتها على صوت النذير ، هكذا كانت تقف مىّ الشابة الصغيرة فى المحفل الجهير ●

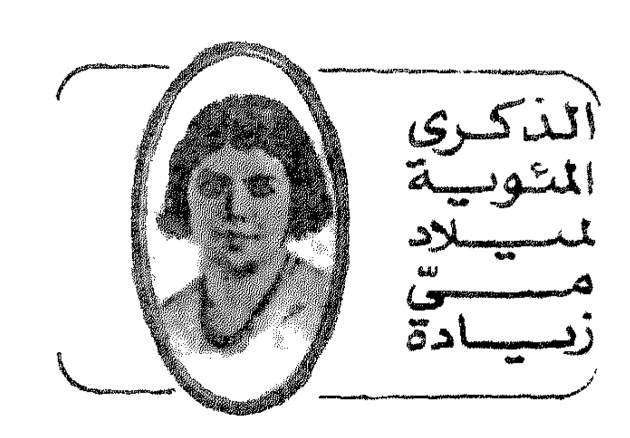
وقد تقدمها أعلام النثر والشعر من الكهول الوعاة، فتنسى من تقدم، ويُسدل الستار على من تأخر، ويخرج المستمعون ليتحدثوا عن ميّ وحدها الم تكن ميّ بدعاً في جمالها الجسمي، حتى يقال أن أريج حواء قد عطر الأفق بعبيرها فقد رأينا من تماثل ميّ في جمال الصورة، ثم تتحدث في الجمع، أو تكتب في الصحيفة، أو تؤلف الكتاب فلا تجد معشار ماتبلغه خطبة واحدة من خطب ميّ، لأن شعاع الحسن الذي تلألأ في عينها، وطافت هالته الوضيئة بمحياها الأسمر الشفيف، قد ماثل شعاعاً ثالثا في روحها المتألقة ذات الشفافية الرفّافة، وشعاعاً ثالثاً في عقلها المكتمل الذي يتعمق المعضلة المظلمة تعمقاً يحاصرها بالضوء الكاسح حتى تنجلي بينةً ساطعة، وبهذه المواهب المجتمعة كانت ميّ ساحرة البيان في عصر يزدحم بأمراء البيان، ولو كان المجال خالياً لقلنا إنها وحدها كانت فارسة الحلبة، فكسبت الرهان، ولكن الحلبة صاخبة، والفرسان متزاحمون.

● شهادة صريحة ●

وقد يتعاظم أبناء هذا الجيل ما نقرر من هذه الحقيقة، فيظنون أن المبالغة قد عرفت سبيلها إلى هذا القلم، ولكني استشهد بسواي، وإذا كان المستشهد به هو الدكتور طه حسين، فقد بطل الظن، لأن الناقد الكبير لا يغلو في الثناء، وقد عرفناه شديد المحاسبة في مجال النقد، فاذا افصح عن كل ماأريده في وضوح ساطع، وإذا جاء هذا الإفصاح بعد رحيل ميّ بعشر سنوات، حين بدأ يكتب الجزء الثالث من الأيام في مقالات نشرت بمجلة آخر ساعة قبل أن تجمع في كتابه، إذا أفصح الدكتور طه حسين عن تأثير ميّ الخطابي بما لا بيان بعده، فكل مايقال عن تفردها الأدبي، وسموها الخطابي حق صريح.

أخذت ميَ تنشر مقالاتها الرقيقة في صحيفة والدها، لتترك صدى محدودا في نفوس القارئين، ولكن مناسبة جهيرة فسحت لها الطريق إلى الذيوع الرنان، حين قامت الدولة بتكريم الشاعر الكبير خليل مطران في حفل رسمي تحت رعاية الخديوي عباس، إذ رأس الحفل شقيق الخديوي نيابة عنه، وحضر العلية من الوزراء ورجال الأدب والصحافة والقضاء، وفريق من وجهاء الشام وشعرائه. وقد بعث الكاتب المهجري جبران خليل جبران بكلمة كان من حظه الباسم أن تلقيها الآنسة ميّ، وأن تضيف إليها تعليقاً خاصاً بها، يحمل تقديرها لمطران، ولثاني مرة بعد موقف باحثة البادية في المؤتمر الرسمي بمصر، يرى الجمهور فتاة نابغة تنطق الفصحى في روعة خالبة، وتؤدي حق الإلقاء إيماء وإثارة، وخفوتاً وجهرا، وتمهلا وإسراعا وفق مقتضيات السياق، مع صباحة الوجه وموسيقى الصوت، ورشاقة القامة، فإذا انتهت كلمة جبران، ومضت في إلقاء كلمتها فقد بادهت السامعين بنموذج من التصوير الأدبي الفاتن كاد أن يحمل حديث جبران! وقد وقف طه حسين بإزائه موقف الحائر الداهش، وإنه ليصدق التعبير عن نفسه حين يقول:

كان شقيق الخديوي الأمير محمد على رئيسا للاحتفال، وقد آثر الفتى - أي طه حسين - شهود ذلك الحفل، وفيه سمع كثيراً من الشعر، وكثيرا من الخطب، فلم يحفل بشيء مما سمع، لم يعجبه حافظ في ذلك المقام، ولم تعجبه قصيدة مطران. لم يرض الفتى عن شيء مما سمع، إلا صوتا واحدا، سمعه فاضطرب اضطرابا شديدا، وأرق له ليلته تلك، كان الصوت نحيلا ضئيلا، وكان عذبا رائعا، وكان لا يبلغ السمع حتى ينفذ في خفة إلى القلب فيفعل



به الأفاعيل ، ولم يفهم الفتى من حديث ذلك الصوت العذب شيئا ، شغله الصوت عما كان يحمل من الحديث ، كان صوت الآنسة مى التى تتحدث إلى جمهور من الناس للمرة الأولى ، ولم يستطع الفتى حين أصبح من ليلته أن يمتنع عن السعى إلى مدير الجريدة - احمد لطفى السيد - وقد جلس إليه ، فقال له ، وسمع منه ، ثم لايزال يدور بحديثه حتى انتهى إلى حفل مطران ، وحتى انتهى إلى ذكر الفتاة التى تحدثت فيه ، والتى لم يسمع الفتى عنها قبل يومه ذاك ، وقد سأله مدير الجريدة عما قالت الفتاة ، فلم يحسن ردا ، وإنما لجلج القول . واثنى الأستاذ على مىّ ، وانبأ الفتى بأنه سيقدمها إليه فى وقت ، وابتهج الفتى بهذا الوعد ، وان لم يعرب عن ابتهاجه ، وظل يرقب البر به ، ولكن الأستاذ نسيه واستحيا الفتى أن يذكره ، فحمل نفسه على المكروه ، وأعرض عن ذكر مىّ .

● من كلمة مىّ فى مطران ●

تتحدث مىّ فى محافلها الادبية بلغة الشاعر المصور ، وهذا موضع الإبداع فى حديثها ، إذ الف الجمهور ان تكون الخطبة تقريرية تلجأ إلى الإقناع بذكر الحقائق مع توشية بلاغية للفكرة تحيل بها إلى الاستمتاع مع الإقناع ، اما ان يكون الخطيب شاعراً عالى السبْح ، بعيد الخيال ، رنان الموسيقى ، فتلك مأثرة انفردت بها مىّ لعهدها ، وعرفها الأدباء عنها ، فهم يترقبونها فى المحافل شاعرة دون قافية وبحر ، وهى تعرف مجال التاثير فى نفوس احبت الخطبة الشاعرة ، وكرهت القصيدة الخطيبة ، وقد صدق طه حسين حين قال إنه لم يفهم عنها ، لأن طرافة منحاها قد فاجاه بما لم يكن يتوقع ! كان يتوقع أن تتحدث مىّ الخطيبة عن مجالى السبق فى شعر مطران ، تعبيراً وتصويرا وفكرة ولكنها علقت على كلمة جبران ، وهى ايضا من منحى مىّ ، تعليق الناقد المصور ، قائلة إن حديثه التصويرى مازال يرن على ابواب فؤادها ، منبها فى اعماقه قوة اكتفت بالإصغاء اولا ثم بالهمس ثانيا ثم بالترنم ثالثا ثم استحالت إلى صوت إنسى ينقل إلى عالم السمع سرائر التاثيرات الوجدانية .

ان النبوغ شعلة الهية تضىء الظلمات ، غير أن تلك القوة السامية تذبل وتجف ، وتموت ان لم تجد التاييد ، وينعشها ارباب البلاد ، تنطفىء ان لم تلق نسيم استحسان تتغذى من عنصره السرى ، وتنمو بجوهره النارى فإذا لم تتح لتلك الشعلة قوة ذاتية تغذيها وتنميها الى حين فهى لا تلبث حتى تحرق نفسها بنفسها محلقة - لهيبها بدموعها ، مبيدة حياتها بياسها ، وكانت الشعوب هى الخاسرة .

ايها الشاعر العذب ، كم من ليلة غادرت العالم الحسى لاطير معك إلى تلك العوالم البعيدة ، المملوءة نورا وطربا ، كم ليلة قضيتها منحنية على كلومك الشعرية ارقب دماء احزانك السائلة انغاما ، واستنشق رائحة دموعك ، واحلل الوان اشجانك ، ولاشجانك الوان بديعة ساحرة ، كالوان الشروق والغروب ، ولدموعك اريج عطر مسكر كارواح الزنبق والفل والياسمين .

لقد فاجأت ميّ سامعيها بهذا الشعر المنثور سنة ١٩١٣ فرنّ وتر جديد لا يشابه أوتار الخطباء ، ومازال وترها يرن فى نمطه المنفرد رنينا مشجيا دفع الشاعر الكبير أحمد محرم أن يقول عنه متسائلا

من أى جنس أنت ياطير الربى
إن الطيور كثيرة الأجناس ؟
دنيا من الآداب لم تر مثلها
دنيا أمية أو بنى العباس

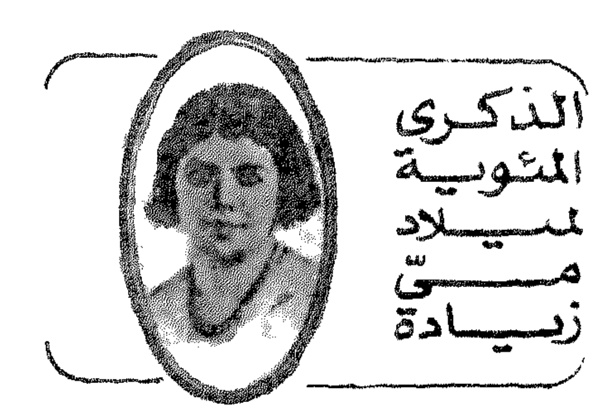
● خصائص خطابية ●

رفرفت روح الخطابة التصويرية فى أكثر إنتاج ميّ ، رفرفت فى المقالة الأدبية ، والمقالة النقدية ، بل ظهرت فى بعض مانشرت بالهلال والمقتطف من أقاصيص ، لأن الشجرة الفارغة البالغة التى أسقطت هذه الثمار نبتت فى أرض واحدة ، وسقيت بماء واحد ، وأنا حين أقرأ مقالاتها الأدبية أتصور أنها كانت تكتبها بصوت مسموع ، وكانت تعيد قراءة السطر بعد السطر ، كما يعيد الشاعر بيته ساعة النظم لتجعل من أذنها الموسيقية ميزانا دقيق الإيقاع ، وهكذا جاء بيان ميّ ، عذب التلوين ، شجى الإيقاع ، هذا إلى توهج انفعاله البارز أحيانا ، والمستتر حينا آخر بحيث لا يغيب عن وعى القارىء الفاحص ، مهما تكدس الرماد فوق اللهيب .

لقد تحدث مؤرخو ميّ عن أسلوبها الخطابى ، وهو أسلوب تتدرج تحته المحاضرات التى ألقتها فى شتى الأندية إذ أن الذاتية دائما تطفو على الموضوعية فى أكثر ما تتعرض له من بحوث ، وقد تستنكر ذلك من نظير البحث الموضوعى حجارة يرصف بعضها فوق بعض حتى ينهض بناء يتصف بالمتانة ، وأن بعدت عنه معانى الجمال ، ولئن جاز ذلك فى البحوث الخاصة بالعلوم البحتة ، إذ ان الدراسات الأنسانية تخبر كاتبها الحساس على أن يفصح عن ذات نفسه ، بحيث ينبع الكثير من آرائه متدفقا من تأمله الوجدانى ، ومسايرا تأمله العقلى ، ومن هنا ينفرد الباحث بلون لا يتماثل ، وهو فى هذا المجال باحث فنان ، وكذلك كانت ميّ ، أجل لقد تحدث مؤرخو ميّ عن أسلوبها الخطابى فأعطوه قسطه من الإيضاح ، فالدكتور منصور فهمى يقول عن ميّ :

« لا أعدو الحق إذا قلت إنها كانت خطيبة ومحاضرة من أرقى طراز ، ولعل أسبابا اصطلحت على تفوقها فى ذلك الميدان ، فقد كان لها فى عذوبة صوتها ، وحسن أدائها ، وحلاوة إلقائها ، ووسامتها وحسن سماتها معين على ذلك ، وكانت تميزها حين تقف للخطابة فى حفل ، أو للمحاضرة فى جمع ، ثقة فى نفسها ، واعتداد بشخصيتها ، فما عرفت أنها تهيبت منبرا ، أو خشيت موقفا ، أو غشيتها سحابة من جبن ، أو جللتها غمامة من خوف ، بل كانت دائما الواثقة بنفسها »

وقد نقلت الأديبة الباحثة وداد سكاكينى كلام الدكتور منصور فهمى وزادت فقالت : على أن أستاذنا المرحوم الدكتور منصور لم يذكر من أسباب تفوقها براعتها فى اختيار الموضوع الموافق لوعى المستمعين لها ، ولا ثقافتها الواسعة التى يحتويها موضوعها ، لقد كانت ميّ فى خطابها تعرف كيف تتكلم ، وكيف تنتهى من كلامها ، فلا يمل سامعها ، بل يتطلب فى سره المزيد ، أما صوتها الرخيم المنغوم ، وفى لهجتها المصرية العذبة . فكان ذا سحر يجتذب الأسماع والقلوب ، وكم من خطيب أو محاضر ، أوتى خصائص الفكر والكلام ، ولكنه إذا تصدى للخطابة أو المحاضرة ، تسلل الحذر إلى الأذهان ، ودب الضجر فى النفوس .



ولعل الشاعر الكبير خليل مطران كان اسدّ بيانا وأدق تحديدا حين قال عن أسلوب ميّ .

أين ذاك الصوت الذى يملك الأسما
عَ في كل موقف تقفينا ؟
فهواناً يبث بثاً رقيقاً
يملأ النفس رحمة وحنينا
وهواناً يثور ثورة حر
عاصفاً عصفة تدك الحصونا
بكلام حوى الطريفين تنغيما
كما يستحب أو تلوينا
قدرته لفظاً ولحظاً وإيماءً
بما ودت المنى أن يكونا !

وكيف ننسى قول العقاد :

أين فى المحفل ميّ ياصحاب
عودتنا هاهنا فصل الخطاب
عرشها المنبر مرفوع الجناب
مستجيب حين يدعى مستجاب

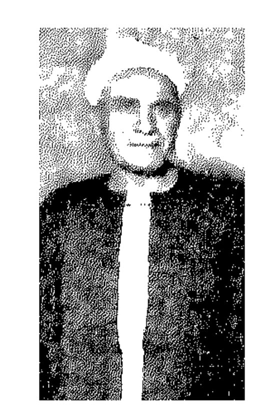
● الموضوعات المطروقة ●

يضطر الكاتب فى أحيان ما أن يتحدث فى موضوع كتب فيه من قبل ، وليس لديه الجديد بشانه ، فيعمد إلى بعض التكرار ، وقد لا يستطيع الاعتذار لظروف تلجئه إلى الحديث ، بل قد يكون الأمر من الصعوبة بالغا حده حين يكون قارئه غير مختلف ، او يكون الموضوع نفسه مما لا يتحمل الترداد ، لوضوح اغراضه، وشيوع معانيه ، وهذا امر معهود نلمسه وفى كل حين ، وهو فى الوقت نفسه موضع البراعة لدى قلم متجدد ، تنفسح الآفاق أمامه ليتراءى إلى أوج جديد ، وقد قدر للآنسة ميّ أن تخطب فى الجمعيات الخيرية لتتحدث فى موضوع واحد هو الإحسان ! ولا اظن حديثا كررته الألسنة ، ولاكته الأقلام كهذا الموضوع ، والخطيب المسئول يقع فى حرج ، حين يطالع سامعيه فى احتفال عام بكلام ساقه من قبل ، ولكن الآنسة ميّ قد استطاعت ان تجعل من هذا الموضوع المنبرى رافدا جديدا للنظر ، فلها خطب كثيرة سيقت هذا المساق ، إذ كانت تسرع لإجابة الداعى دون تلبث ، إذ ان جماعات البر فى طنطا والقاهرة وسوريا اهابت بها ان تتكلم بل ان بعض هذه الجماعات اهابت بها أن تكرر الكلام فى مناسبات متتالية ، وهنا يرى السامع عجبا اى عجب ، فى استحداث الطريف الرائع فى موضوع تليد !

فهى فى خطبة أولى ترى الرحمة بالضعيف مجال التقدير الخلقى ، ومناط الارتقاء النفسى ، وترد فى قوة على من يقولون إن الأشياء العظيمة تنحدر من الاعالى ، لأن فى هذا القول تملقا للكبار ، وازدراء للصغار .

فهناك اشياء رائعة آتية من الاعماق لا من القمم ، وهل من محيط ادنى مستوى وأعمق قرارا من البحر ، والبحر مستودع اللآلىء والعجائب ، وهو مرضع الينابيع والانهار ثم هو ينبوع تمتص منه الشمس وما تعقده فى الجو غيوما ، لتهطله على الأرض بركة وخيرا .

فبنت الفاقه ، وبنت الالم لن تكونا ضعيفتين لانهما فى اسفل المحيط ، بل هما البحر الإنسانى وفى اعماقهما المجهولة



مصطفى عبد الرازق



أحمد حسن الزيات

كثير من الكنوز ، ولابد أن نرعاهما ، ولئن ضاعت دموع كثيرة تسكبها الإنسانية في الظلام تحت لواحظ الكواكب الصامتة فلن تضيع دموع عرفتها نفوس خيرة فهبت للإنقاذ .

وهي في خطبة ثانية تدعو إلى ترابط الأقلية مع الأكثرية ، فلابد لذوى الثراء أن يفيضوا بخيرهم على الضعفاء ، ثم تلجأ الى التصوير البارع فتتساءل :

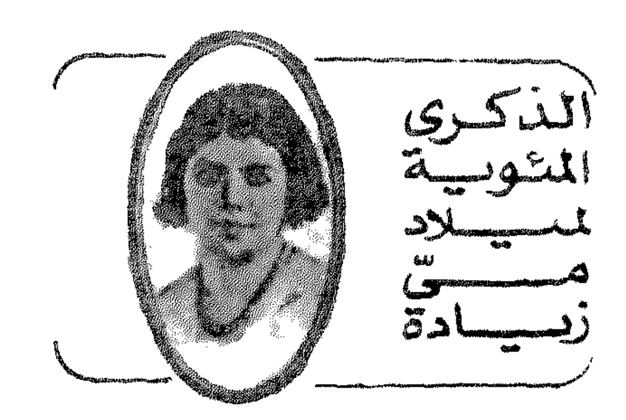
ماهو النهر أيها السادة ، لن يكون النهر نهرا إذا انبثق من مصدره ، وانصب في البحر دفعة واحدة ، إنما يتفجر ينبوع النهر من أعالي الجبال ، فيهرول مقهقها على الصخور ، ويتدفق وسط الشواجن الخضراء ، ويجري في الصحاري لتعود رياضا وجنات ! يرضع الأشجار بتغلغله في صدر الأرض الملتهب، ويغذى الأثمار بالنمير العذب ، وكلما وزع من مياهه زاد اتساعاً وحركة وهديرا ، فيتابع السير الى مداه في عطاءٍ وكرم ، حتى إذا جلب النفع للكائنات وملأ الديار خيرا وجمالا ، رأى البحر منبسطا لاحتضانه فشهق شهقة الرضى ، وانصب في صدر البحر مهللا مكبرا ، كذلك عاطفة الأخوة لا تكون حقيقية إلا إذا خرجت من حيز القول إلى العمل ، تنفجر عذوبتها على الذرى ، وتجرى نهرا كريما بين طبقات المجتمع ، ترفع المسكين من بؤس الفاقة وتنشر ضياء الرجاء لعيون أظلمتها أحداث الليالي ، فكم من درة في أعماق البحر لم تسر بها النواظر ، كم من زهرة سطعت في القفر فضاع عبيرها جزافا في الخلاء » .

وهي في خطبة ثالثة تدعو إلى الأخذ بيد الضعيف فتقول في لهفة :

« لقد مرت ملايين الأعوام ، وألوف الدهور ، والطبيعة صماء ، لاتلين لصراخ الضعفاء ، وزفير المتوجعين ونبضات قلبها الكبير لا تضرب إلا على وفق نبضات القلوب المنتصرة ، وكأن أصواتها الكثيرة ، تهتف للصاعد في سلم الغلبة ، وتشجعه فيدوس أعناق المندحرين متخذا من جماجمهم تراقي يصل بها إلى القمة المنشودة ، هذا هو ناموس تنازع البقاء ، ناموس جائر إلا انه قاهر ، ألا سكبت عليك البركات ياقلوبا سمت بكرمها ، فأدركت أن فوق نظام الظلم نظام الرحمة ، وأسبغت عليك النعم ، بأيدى الشفقة والإحسان ، لأنك تكونين الحلقة الإنسانية الذهبية المتعالية على جور الطبيعة ، طموحا الى عظمة الألوهية ! » هذه شذرات من خطب ثلاث في موضوع واحد !! شذرات تنبع من عاطفة ثرة لا ينضب لها معين ، بل يظل ينبوعها يجيش ويتدفق ويهدر ، لأنه يفيض من قلب نبيل ! ينبوع له صفاء البدر ، ونفاسة اللؤلؤ ، ودفء الشمس ، ونفح العبير .

● الشفق الغارب ●

وأعني بالشفق الغارب آخر محاضرة ألقتها ميّ في جمع حاشد من أعيان لبنان بالجامعة الأمريكية هناك ، بعد أن مضت محنتها الدامية متهمة بالجنون ، وبعد أن



شربت المرّ من كأس القريب ، وجفاء الصديق ، وحياد الزميل ، وإن شنيعا كل الشناعة ان ترمى بالجنون قدما متوحشا من قطاع الطريق ، وهو عاقل واع ، فكيف ترمى به إنسانة شاعرة بلغت أرق ما تبلغه النسمة العاطرة من لطف شفاف ، لقد كان من نكبات العبقرية ان تحتجز ميّ فى مستشفى العصفورية وهى متقدة الشعور قوية الإحساس ، متيقظة التفكير ، تفطن إلى مدب الزر فوق حذائها ، فكيف لا تفدحها الكارثة المزعومة وقد الصقت بعقلها المنير .

لقد شاءت ان تثبت للملأ فداحة ما اتهمت به فالقت محاضرة عن رسالة الاديب فى الحياة العربية ، واتسع لها المجال قرابة ساعتين لتتحدث فى قوة دافعة ، ومقدرة ساطية عن رسالة الأدب فى الحياة وعن ذخائر التوراة والانجيل والقرآن من نفائس الافكار ، فرسالة الاديب في رأى المحاضرة النابغة تعلمنا ان الحضارة الميكانيكية ادوات نستعبدها ونستخدمها ، وانه لا يكفى ان نضغط على الزر الكهربائى لننال سحرى النتائج . ولا يكفى ان نمتطى الطائرة لنبلغ ابعد الأماد فى ساعات ، لان الحضارة الآلية التى الفناها تحتاج إلى رسالة ادبية تدعمها تستند إلى الشعور الحى والوجدان المتيقظ ، وترعى تراث الادباء ، باحثين عن الكمال ، نازعين إلى الحس الادبى ، والجمال الروحى مناجين المتطور وغير المتطور لنجعل من حياتنا المتناثرة حياة متناسقة متماسكة ! .

● خاطرة من مصطفى عبد الرازق ●

ظهرت مجلة السفور الادبية اثناء الحرب العالمية الأولى ، وكان محمد حسين هيكل ومنصور فهمى وطه حسين ومصطفى عبد الرازق واحمد حسن الزيات وعبد الحميد حمدى من صفوة كتابها ، وقد تحدثت عنها حينئذ الانسة ميّ فقالت : أما السفور فجريدة حرية بكل اهتمام ، ينشر فيها مقالات شائعة كاتبان هما خيرة كتابنا ومن ادقهم فكرا واعمقهم نفسا .

قالت ذلك ميّ ، فدفعت الأستاذ مصطفى عبد الرازق إلى ان يقول : كل من له صلة بالسفور قد اغتبط بشهادة الآنسة الفاضلة ، ولكن الذى تنازعوا فيه هو تلك الزهرات التى نثرتها يد الانسة على رأسى كاتبين لم تعنيهما .

لقد خفت ان تقع الشحناء بين محررى السفور فياخذ بعضهم بخناق بعض تسابقا الى ذلك الفضل العظيم ، فضل الثناء من انسة مجلة المحروسة .

إن الثناء من الانسة جدير ان يرسل الخيلاء إلى اشد الناس تواضعا ، واكثرهم ورعا ، وجدير بان يتدافع إليه بالراح من لا يتزاحمون على جزاء من الناس ! .

تلك خاطرة صادقة تبرز قيمة ميّ لدى اعلام الفكر فى الأدب المعاصر ، كما ابرز رحيلها العاجل حسرة اليمة لدى من يعرفون معدنها الاصيل .

● عصر السرعة ■

● خلال تناول طعام الغداء ذات يوم شكوت لمدير المستخدمين فى شركتنا لان الطابق الذى أعمل فيه ليس به فتيات جميلات . وبعد ظهر نفس اليوم جاءتنى فتاة ساحرة الجمال وهى تحمل مظروفا كتب عليه «عاجل جدا» وفي الداخل وجدت رسالة فيها هذه الكلمات «مارايك فيها ؟»

● بقية الكلام ●

● كان الزوج يقود السيارة ولما وصل الى تقاطع الطريق خفف السرعة ، وسأل زوجته أن تنظر الى جهة اليمين لترى ان كانت هناك سيارات قادمة من تلك الجهة فالتفتت الزوجة ، وقالت : كلا .. وسكتت قليلا .

وانطلق الزوج بسيارته فاذا بالزوجه تكمل جوابها : ولكن توجد سيارة شحن واحدة

● اجرة سفر ●

● دخل رجل مطعما وطلب دجاجة - فسالة الجرسون هل تريد دجاجة بلدية ام مستورة فسال الزبون : وما هو الفرق ؟ فاجاب الجرسون : الدجاجة المستوردة تكلف مائة قرش اكثر فرد الزبون : اريد دجاجة بلدية .. لماذا ادفع سفر الدجاجة الاخرى الى بلادنا .

● ميزة ●

● أشتهر احد السقاة فى احد مطاعم ميلووكى باعجاب زبائنه من الجنس اللطيف فى امسيات الصيف الحارة .. ففى الوقت الذى يجلسن فيه لارتشاف المشروبات المرطبة للتغلب على الحر يقوم هو بتبريد احذيتهن داخل ثلاجته .

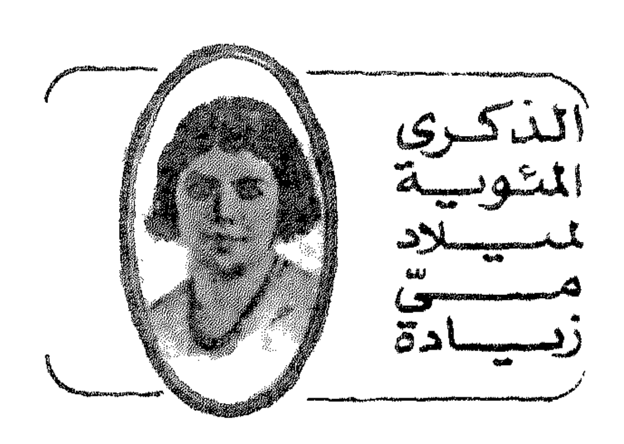
● رابطة ●

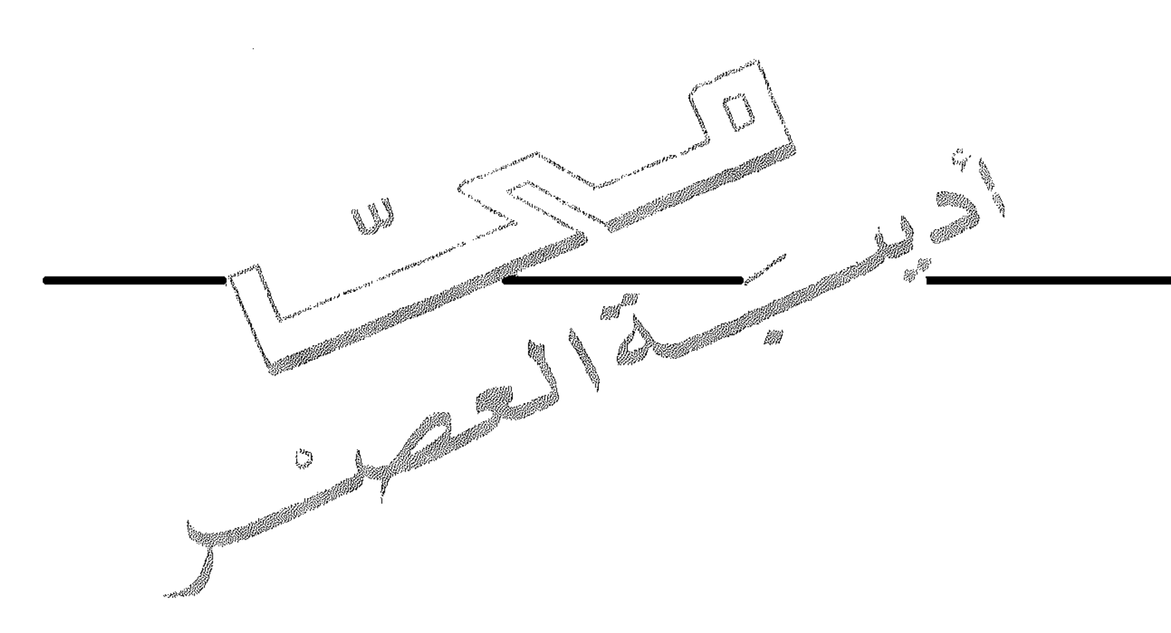
● يحكى الفنان الشعبى جاسبر جونز انه عندما اقام معرضه الأول فى ولاية ساوث كارولينا « مسقط رأسه » .. سمع سيدة تقول بصوت مسموع :

- هذه لوحة جميلة حقا .

وهنا التفتت السيدة التى إلى جوارها وقالت :

- وهل انت أيضا من أقاربه ؟ !





بقلم : د. محمد عبدالمنعم خفاجي

أكتوبر الشهر الحزين ، شهر الدموع والالم في التاسع منه فقدنا كامل كيلاني ، وفي الرابع عشر منه فقدنا أمير الشعراء احمد شوقي ،وفي التاسع عشر منه فقدنا أديبة العصر مي زيادة ، على اختلاف الاعوام بين هذه الاحداث في حياتنا الادبية .

وقرأت نعي مي في الاهرام ، التي اصدرت عددا خاصا بها يوم وفاتها وذلك في عدد ٢٠ اكتوبر ١٩٤١ ، ثم اصدرت في الثامن والعشرين من نوفمبر عام ١٩٤١ عددا خاصا عنها في ذكرى الاربعين ، والحرب العالمية الثانية مشتعلة الاوار ..

ولا انسى حدثا آخر ، حدثا مؤثرا ، كان بعد ذلك بسنوات ، ففي خان الخليلي جلست الى مكتبة لاشترى منها بعض الكتب فوجئت بمكتبة مي ، او بما بقي منها من كتب المكتبة مع اشياء اخرى من تحف مي ، فبكيت ، لان حياة الادباء رخيصة في مجتمعنا وذخائرهم التي كان يجب ان يضمها متحف تصير [illegible] موزعا في كل مكان .

وكلما ذهبت الى ندوتنا في رابطة الادب الحديث في مساء كل ثلاثاء اتذكر مي زيادة وندوتها الاسبوعية

التي كانت تعقد مساء كل ثلاثاء ايضا وكانت صالونا ادبيا رفيعا ، يجتمع فيه اعلام الفكر والادب في مصر ، من امثال : اسماعيل صبري ، واحمد لطفي السيد ، وانطون الجميل ،وداود بركات ، وخليل مطران ، وطه حسين. وولي الدين يكن ، ومصطفى صادق الرافعي ، وسواهم ، وقد استمر هذا الصالون الادبي ، الذى خلف صالون الاميرة نازلي ، منذ اوائل الحرب العالمية الاولى حتى اواخر عام ١٩٣٦

وكانت مي بنت لبنان ، قد شهدت فجر حياتها فى الناصرة بفلسطين ، حيث كان والدها زيادة مدرسا في احدى مدارسها ، وكانت والدتها فلسطينية من بيت مشهور فى الناصرة وولدت له مريم أو مارى او مي حيث هو مقيم هناك •

وفي مدرسة عنطورة بلبنان اخذت مى تتذوق الادب ، وتنظم الشعر بالفرنسية ، حتى اجتمع لها منه جزء سمته « ازهار الحلم » ونشرته بامضاء « ايزيس كوبيا » سنة ١٩١١ في مصر بعد هجرتها مع والدها الى الى ارض النيل ، وكانت تكتبه فصولا في جريدة يصدرها والدها في القاهرة باسم « المحروسة » •

وفي مصر اقبلت على الادب العربي، وترجمت من الفرنسية الى العربية رواية « رجوع الموجة » بأسلوب بليغ ثم ترجمت رواية « هجرة الفرنسيين الى امريكا » وطبعتها بعنوان « الحب في العذاب » ، وعن الالمانية ترجمت رواية « غرام الماني » وطبعتها بعنوان « ابتسامات ودموع » •

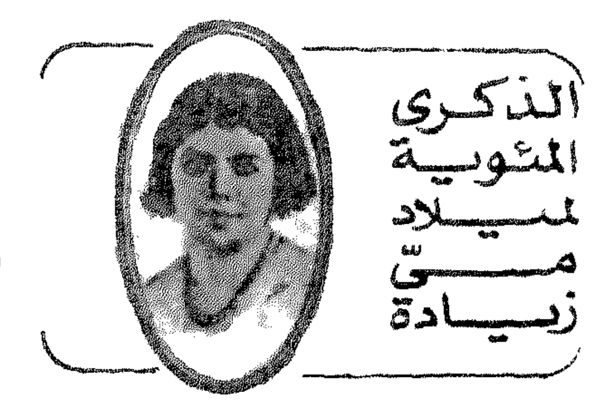
وعرفت مى في الوسط الادبي في القاهرة ، وفي عام ١٩١٤ عقدت صالونها الادبي ، وكان احمد لطفي السيد من رواده ، ونصحها احمد لطفى السيد بتلاوة القرآن الكريم لتقتبس من فصاحة اسلوبه وبلاغته

واثناء الحرب العالمية الاولى انتسبت الى الجامعة المصرية القديمة. وبعد وفاة باحثة البادية ملك حفنى ناصف اصدرت عنها كتابا بعنوان « باحثة البادية » عام ١٩٢٠ ، وكانت وفاة اخوتها ثم والدها عام ١٩٢٩ ثم والدتها بعد ذلك بسنوات ذات صدى عميق فى نفسها ، وبعد صدور الرسالة صارت من كبار كتابها •

وانتهى الامر بهذه العبقرية الرائدة الى مستشفى الامراض العقلية في العصفورية بلبنان عام ١٩٣٦ الى ان القت بها الايام ثانية في مصر عام

الانسة مي زيادة
في العشرين من عمرها





١٩٣٩ ، وفى التاسع عشر من اكتوبر عام ١٩٤١ ودعت مى الحيساة الى الابد ، وبكاها الادباء والشعراء بكاء مريرا ٠

كانت مى أديبة موهوبة حقا، وكانت مقالاتها الجميلة دررا تحلى صدر الصحف والمجلات ، وكان الادباء يعدون لقاءها حظا عظيما من حظوظ حياتهم ٠

وكانت مى حقا صاحبة موهبة ادبية عالية ، وشخصية انسانية رفيعة

● مى وجبران ●

كان جبران خليل جبران قبل وفاته عام ١٩٣١ بزمن طويل يراسلها من نيويورك ، وكانت رسائله اليها مملوءة بالشجن والحب العنيف ٠

فى عام ١٩١٣ أرسل جبران اليها كتابه « الاجنحة المنكسرة » وقرأته ثم كتبت اليه تناقشه فى فكرة «الخيانة الزوجية » التى حبذها جبران فى روايته ، وتوالت الرسائل والمكاتب بينهما ، ولما صدر كتاب « المواكب » لجبران عام ١٩١٩ واهداه اليها كتبت عنه ناقدة ٠

وكتب جبران اليها عام ١٩٢٠ يقول من رسالة له : ماذا أقول عن قلب يضعه الله بين سراجين ، ماذا أقول عن هذا الرجل ؟ لا أدرى ولكنى اسألك : هل تريدين ان يبقى غريبا عنك ؟ لست وحدك ، نحن اثنان ، انا اعرف من انت ٠

وفى رسالة اخرى منه لها يقول فيها : متى يا ترى تتفتح الابواب الدهرية ، هل تعلمين ؟ هل تعلمين متى تتفتح الابواب الدهرية ؟

وعرض جبران عليها ان تسافر اليه فى نيويورك ليتزوجا ولكن كيف تترك ابويها الشيخين وتذهب الى نيويورك وعرضت عليه الحضور للقاهرة ولكن جبران مات وماتت احلامه الوردية معه ، وانتهت قصة حب عنيفة اشتعل فى قلبيهما فترة طويلة من الزمان ٠٠

● مى واحمد لطفى السيد ●

وتعرف احمد لطفى السيد « بمى» فى لبنان اثناء اصطيافه فيها عام ١٩١١ وكان واسطة التعارف خليل سركيس صديقه ، ثم اهدته مى فى القاهرة كتابها « ابتسامات ودموع» ثم اخذ يقرأ لها يومياتها فى « المحروسة » بعنوان « يوميات فتاة » وبتوجيه لطفى السيد لها الى بلاغة الاسلوب والى القرآن الكريم ، اخذ اسلوبها يتطور يوما بعد يوم الى ان يصبح قريبا من اساليب كبار الادباء ٠

وملأ حب هذه الفتاة قلب أحمد لطفى السيد ، وبخاصة ما بين عامى ١٩١١ و ١٩٢١ ٠

وكتب اليها من الاسكندرية رسالة عام ١٩١٣ يقول فيها : اننى اذكرك دائما كلما هبت نسمات البحر ،وكلما تجلى علينا البدر ٠٠ »

فردت عليه ، ثم كتب لها رسالة ثانية يقول فيها : يسرنى ان اظن ان اكتب لك ، طول وقتى ، فلا تنفد مادة انت ينبوعها العذب ٠

وكتب لها رسالة فى ١٦ نوفمبر ١٩١٣ من برقين بلدته يقول : مازال طيفك يسرى معى وكلانا تغمره اشعة القمر الباهتة ٠

ولولى الدين يكن كذلك مع مى قصة

حب تبدو لنا فى رسائله العديدة اليها.
فمن رسالة له اليها يقول فيها : سيدتى ملكة الالهام . عندى قبلة هى اجمل زهرة فى ربيع الامل اشمها تحت قدميك ، ان تقبليها تزيدى كرما ، وان ترديها فقصاراى الاستقلال .

● مى والرافعى ●

وكتب مصطفى صادق الرافعى فى حبه العذرى لـ «مى» رسائل « احزان الورد »

وكتب اليها فى ٧ يوليو ١٩٢٣رسالة جاء فيها : لم اتطفل على احسن قبلك ، ولن اتطفل عليك مرتين ، تقول الشمس والقمر والنجوم ، فاذا انت تريدين ان تراك من مرصد فلكى ..

وكتب اليها ابياتا فى مناسبة عزيزة عليها يقول فيها :

يعز علينا ان تكونى بموسم
ولا نلتقى فيه سلاما ولاردا
فان كان هذا الغصن انبت شوكه
فما ذاك الا انه انبت الوردا

● مى وانطوان الجميل ●

ولانطون الجميل صلات مع مى واية صلات ؟

فى جريدة المحروسة لوالد مى التقى الجميل بمى ، ونشرا لهما « يوميات فتاة »التى كانت تكتبها فيها واشتعل قلبه حبا لهذه الفتاة الجميلة الوديعة « مارى زيادة » وبعث لها برسائل كثيرة سجلت هذا الحب الذى دام طويلا ، كتب لها فى ١٢ يونيو ١٩٢٦ يقول :

يلذ لى ان اخاطبك ــ يا مى ياسمك مجردا من الوصف واللقب ، لان كل وصف قليل اذا ما قيس بصفاتك

وكتب اليها من الاسكندرية رسالة يقول فيها : بلغت البحر مازودتنى له من سلام وتحيات حارة .. استودعك الله ــ يا حبيبى ــ على امل لقائك بشوق .

وامين الريحانى هو الاخر له قصة حب مع مى وكان من اصدقائها المعجبين المحبين

اهدته كتابيها : « اشعة وظلال » و « الصحائف » ، عام ١٩٢٤ فبعث اليها برسالة طويلة جاء منها :

اشكر الله انك صديقتى فتذكريننى مع من تذكرين .

والتقى الريحانى بها عام ١٩٣٨ على اثر خروجها من مستشفى « العصفورية » ، حيث استضافها فى داره قبل عودتها الى القاهرة ، وقبل عودته هو الى نيويورك فكتب بعد ذلك لها يقول : صديقتى الغالية : وقفت فى الرواق الشرقى لبيتى فان ذلك البيت لا يعرف غير طيف واحد فى حياته كلها، هو الطيف الذى اشرقت فيه شمس مى، ونورت فيه ازاهر مى ، وعادت فيه الى الاشجار ثمار الحب مى

● مى والعقاد ●

والعقاد الخالد له هو كذلك مع مى قصص لا تنسى ، ورسائل كثيرة تعبق بعطر الحب وشذاه ..

فى عام ١٩٢٥ كانت مى فى زيارة لالمانيا وايطاليا فكتبت اليه رسالة من روما رد عليها برسالة يقول فيها :

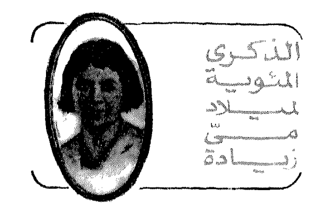
ال روما لكمو منى الولاء
وثناء عاطر بعد ثناء
فى حماكم كعبة ترمقها
مهج منا واتاق ظماء
ارقب البدر اذا الليل سجا
فلنا فيه على البعد لقاء .

وفى مى كتب قصيدة يقول فيها :

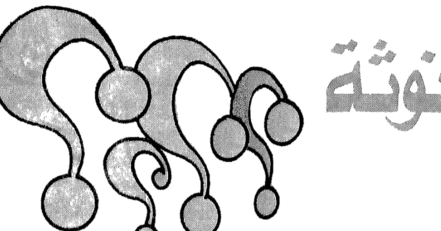
ولد الحب لنا عاش الوليد .
وحماه الله من كيد الحسود .

وكتب فيها قصيدة اخرى عنوانها « موت الحب بداها بقوله :

ولد الحب لنا ، وافرحتاه
وقضى فى مهده ، واأسفاه ..

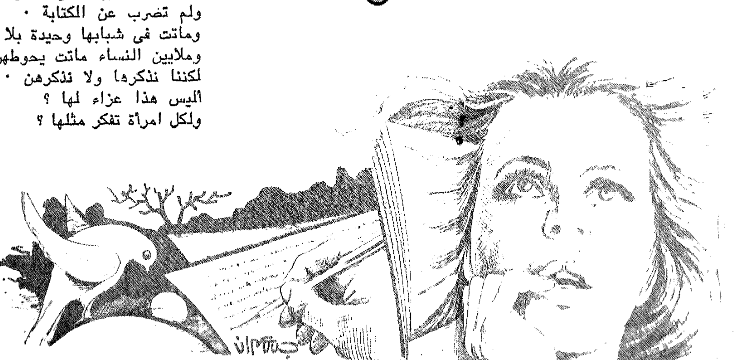


هل يفسد العقل الأنوثة





عاشت تكتب · وكان هذا غريبا فى عصرها ·
فالمرأة كانت للاحساس وليس للتفكير ·
وكانت جميلة · وهذا أيضا غريب ·
فالجميلة لا تمسك القلم ·
الا لتلون شفتيها ·
وكانت أيضا ذكية · وهذا هو الأغرب ·
فالعقل يفسد الأنوثة ·
وهى كما تبدو لهم أنثى ·
وكل ثلاثاء يذهبون اليها ·
ويحدث الجدل والنقاش ·
كان غرامها الجدل ·
وكان غرامهم المرأة بغير جدل ·
القد المشوق بغير جدل ·



عيون المها وبياض الحور بغير جدل ·
لم يستطع واحد منهم أن يراها كما رأت نفسها ·
وفشل الجميع فى حبها ·
لم تكن مصرية حسب قانون الجنسية ·
أمها من فلسطين وأبوها من لبنان ·
لكنها تجاوزت القانون والأرض والمكان ·
واحبت مصر · وماتت ودفنت فى مصر ·
رأت الوطن فى عقلها قبل أن تطأه بقدمها ·
الوطن عندها كان الانسان بأى مكان ·
حيث الحب وحيث العدل ·
كانت سابقة لزمانها · وكانوا سجناء عصرهم ·
لا يرون الوطن الا مسقط رأس ·
أو قطعة أرض كامرأة تمتلك ·
كانت فى العشرين من عمرها · وكانوا كهولا ذوق القمة
لكن شبابها كان أنضج من كهولتهم ·
أرادت أن تكون كما هى
وأرادوها مثل كل نساء عصرها ·
وظلت تدافع عن كيانها كعقل ·
فاتهموها بفقدان العقل ·
ووضعوها فى مستشفى كالسجن ·
فقاومت وأضربت عن الأكل
ولم تضرب عن الكتابة ·
وماتت فى شبابها وحيدة بلا أهل ·
وملايين النساء ماتت يحوطهن الأهل
لكننا نذكرها ولا نذكرهن ·
أليس هذا عزاء لها ؟
ولكل امرأة تفكر مثلها ؟



بقلم : أحمد حسين الطماوى

غرام مىّ وجبران .. بين الحقيقة والخيال


مى زيادة


جبران خليل جبران

تواترت الكتابات فى حب مى لجبران خليل جبران ، وعشق جبران لمى . وكاد يقسم الكتاب على صحه هذا الغرام ، واثره البعيدة فى نفس كل منهما ، حتى ان بعض الاحداث التى جرت فى حياة الاثنين تم تفسيرها فى ضوء هذه العلاقة الغرامية ، فقيل ان من بين اسباب ازمة مى النفسية موت جبران عام ١٩٣١ .

وقد شغلت قصة الحب هذه عددا كبيرا من الكتاب لدرجة اننا نجد كتبا بكاملها لاتتعدى هذا الموضوع ولا تغير الحديث فيه الى سواه مثل كتاب « مى وجبران لجميل جبر واهم ما استند اليه الادباء فى هذا تلك الرسائل المتبادلة بين الاثنين وما تخللهـا من تعبيرات رقيقة وكلمات ناعمة حالمة . ولايداخلنا شك فى صحة المراسلات بين الصديقين ولا فى مادتهـا او اسلوبها الشفيف المعبر عن اشواق كل منهما للاخر .

ولكن هل كان هذا الحب عميقا شديدا فى القلوب على نحو ما جاء فى الرسائل وفى وصف الكتاب والمترجمين لمى وجبران ؟ او ان الامر صار قصة غرامية تستريح الاذن فيها على اسلوب انيق خيالى وعبارة موسيقية لطيفة الايقاع . وكلمات حافلة بالشوق والحنين ، تستسلم النفس فيها حزنا على هذين العشيقين الذى مات كل منهما دون ان يقضى وطره من الاخر ؟

ان هذه القصة يجب ان تثار من جديد ، ونحكم فيها العقل قبل الهوى ، ونتساءل : الم يكن فى حياة جبران غير « مى » تؤنسه بصورتها فى وحدته ، ويقول لها فى احلامه ما لم يستطع ان يقوله لها فى رسائله ؟ وهل لم يكن فى خيال « مى » وواقعها غير جبران الذى لم تره الا فى الصور من خلال ما يسطره ؟ ان الاجابة على هذين السؤالين قد تفيد من يستهدف الحقيقة ، وينشد الصدق دون مبالغة أو غلواء .

وقبل الاجابة والاينسال فى القضية نتساءل ايضا : ماذا يقول أى انسان بغض النظر عن كونه من رجال الفكر — فى رجل يبعث برسائل العشق الحارقة ، وكلمات الغرام الالاهبة لعدة فتيات أو سيدات ؟ وماذا يقال فى انثى تفعل نفس الشيء بالنسبة للرجال ؟

اتكون كل هذه الرسائل صادقة ؟

أتكون كل هذه الخطابات عبارة عن شقشقة كلامية ومهارة أسلوبية ، وبخاصة من أناس يجيدون هذه الصنعة ؟

الذكرى المئوية لميلاد مي زيادة

واقع الامر أن فى حياة جبران الذى اقام فى امريكا اكثر من امرأة حبر لها الرسائل الغرامية وصرح لها بالحب من خلال كلمات لا تقبل اللبس . وفى حياة « مى » التى أقامت فى القاهرة اكثر من رجل سهرت الليالى من أجله تدبج له خطابات طافحة بالعشق ، وتظهر عاطفة أنضجتها نيران الشوق.

● غراميات جبران ●

لقد تحدثت الكتب التى ترجمت لجبران بعد وفاته عن علاقات نسائية فى باريس وبوسطن ونيويورك . وكان من بين هؤلاء النسوة اللائى عرفهن سيدة تدعى « مارى هاسكل » فقد رآها فى بوسطن وتعلق بها وتعلقت به . وأرسلته الى باريس على نفقتها ليصقل موهبته الفنية فى مجال الرسم والتصوير . وهى السيدة التى شجعته على الكتابة باللغة الانجليزية ، وكانت تراجع له ما يخطه بالانجليزية قبل أن يدفع به الى المطبعة كما تقول بعض الروايات . وقد اعترف جبران بجميلها فكان يهديها بعض كتبه ومقالاته العربية (قبل أن يتحول الى الانجليزية) التى كان ينشرها ، فرفع الى M.E.H (أى مارى ... هاسكل) مقالته « رجوع الى الحبيب » ومقالة « ايها الفن » (١) ولم نعرف أن جبران أهدى كتابا أو مقالة الى « مى » طيلة معرفته بها .

وكانت هذه السيدة الامريكية تروق لجبران « جماليا وجسديا وحسيا » ويورد طنى زكا فى كتابه « بين نعيمة وجبران » نصا من كتاب « أضواء جديدة » يوضح لنا فيه مدى اعجاب جبران بجسد مارى هاسكل يقول : « فى خريف ١٩١٤ يحادث (أى جبران) مارى عن الاجساد الجميلة ويقول لها ان جسدها مناسب التقاطيع بشكل جميل ، وأن النسب فيها بديعة جدا ، ويقول لها أن بنيانها خارق لأنها خارقة جدا من ناحية جسدية . ونراه فى سنة ١٩٢٢ يأخذ عليها أمنيتها بأن يكون ردفاها أصغر حجما مما هما فعلا ، ويقول لها ان ردفيها لهما بالحجم الصحيح تماما . وأن عليها أن تكون شكورة عليهما ، وانهما متناسبة التركيب فى جسدها كله بدون استثناء » انتهى النص كما ورد فى المصدر المشار اليه .

وكانت مى على صلة بجبران عن طريق الرسائل منذ ١٩١٢ وحتى موته. فترى هل أحل جبران «ميا» فى قلبه بعد أن سحره قوام مارى هاسكل الفاتن ؟ وهل كانت « مى » قادرة برسائلها الانشائية أن تفك عن جبران الاجساد العارية المتعانقة .

بل نتساءل : أكان جبران يتذكر « ميا » وهو مستو على مكتبه يسطر رسائل الحب لمارى هاسكل حينما كان يكتب لها : « اقبل يدك بجفنى يا أم قلبى العزيزة » وحينما يقول لها أيضا: « والان دعينى أصرخ بكل ما فى حنجرتى من صوت انى أحبك » .

ولم تكن مارى الامريكية اقل اعجابا بالحبيب الفنان كانت تقول له : « يا أعز تجليات الله يا معلمى » بل كانت تحدثه بكلمات فيها جنس

وعبودية فى وقت واحد • تقول : « آه يا رمانتى ، ويا زهرة الرمان ، أنت حريقى ، وربى الذى يفهم كل شيء » (٢)

ونوع العلاقة بين جبران ومارى هاسكل واضح من وصفه لجسدها لكيف رآه ، ومن كلامها عن حريتها معه ، فأية حرية يمكن ان نتخيلها بين رجل وامرأة • ترى كيف يطالع القارىء كلمات جبران ، وكيف يتمثلها ، وبماذا يحكم على عواطفه الخفاقة ؟

وهذا غير ما قيل فى علاقة جبران بميشيلين الفرنسية ، وهيلدا اليهودية كما وردت فى كتاب « سبعون » لميخائيل نعيمة •

واثناء علاقات جبران بهؤلاء الغربيات الشقراوات كان على صلة بمى زيادة ، يبعث لها بالرسائل المفعمة بالهوى على نحو ما نقرأ فى كتاب « الشعلة الزرقاء » لسلمى الحفار الكزبرى ، ورسائل جبران لمى التى قام بجمعها جميل جبر • فمع من نكون عواطف جبران ، أتكون مع ميشيلين أم مارى هاسكل أم هيلدا أم « مى » •

طاهر الطناحى



وهذا ما أمكن الكشف عنه ، والله أعلم بما حجبته الايام ، وطوته الليالى فيما طوت من أخبار وأسرار •

● غراميات مى ●

أما « مى » فلم تكن أقل من جبران فى هذا المجال •

فقد كان صالونها الادبى يجمعها بالرجال حيث تتحدث اليهم فى شئون الادب ، وتعزف لهم الموسيقى ، وتقوم بالغناء وكان من جراء ذلك أن تعلق بها معظم الذين ترددوا عليها وأفصحوا لها عن غرامهم بالتلميح او التصريح فى رسائلهم وأشعارهم • وكانت تبدو سعيدة بتنافس كل هؤلاء الافذاذ عليها • وكم سمعزوار صالونها اشعار ولى الدين يكن فيها وهى تلقيه جهرا عليهم (٣) ولا تجد حرجا فى ذلك لان ولى الدين يكن رجل مريض انهك الربو قواه ، وكان يكبرها سنا ، ولكنها كانت تخفى أشعار العقاد فيها مثلا • لان العقاد شاب فى ذلك الوقت، ودونها فى السن ، وقد تحوم حولهما الشبهات • انها تعرف ماذا تظهر وماذا تخبىء •

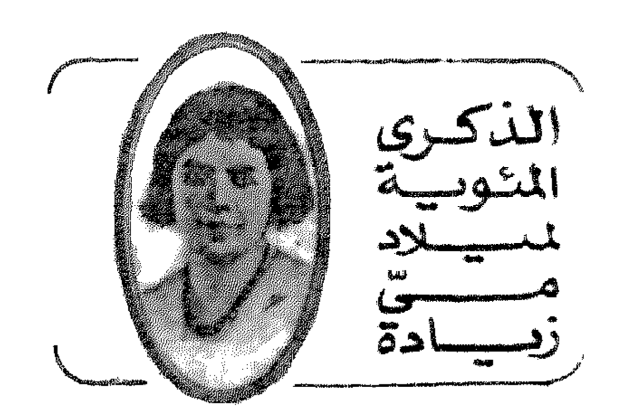
كانت « مى » معشوقة من قبل الجميع على وجه التقريب • أما هى فقد كانت تخص بعضهم بعلاقاتخاصة، ولها رسائل غرامية تكشف شيئا من هذا الجانب فى حياتها •

وقد أورد الاستاذ محمد عبد الغنى حسن (٤) رسالة غرامية بعثت بها الى مصطفى صادق الرافعى •

وتقول فيها :

« اتذكر اذ التقينا وليس بيننا شابكة ، فجلسنا مع الجالسين لم تقل شيئا فى أساليب الحديث • غير أننا قلنا ما شئنا بالاسلوب الخاص باثنين فيما بين قلبيهما •

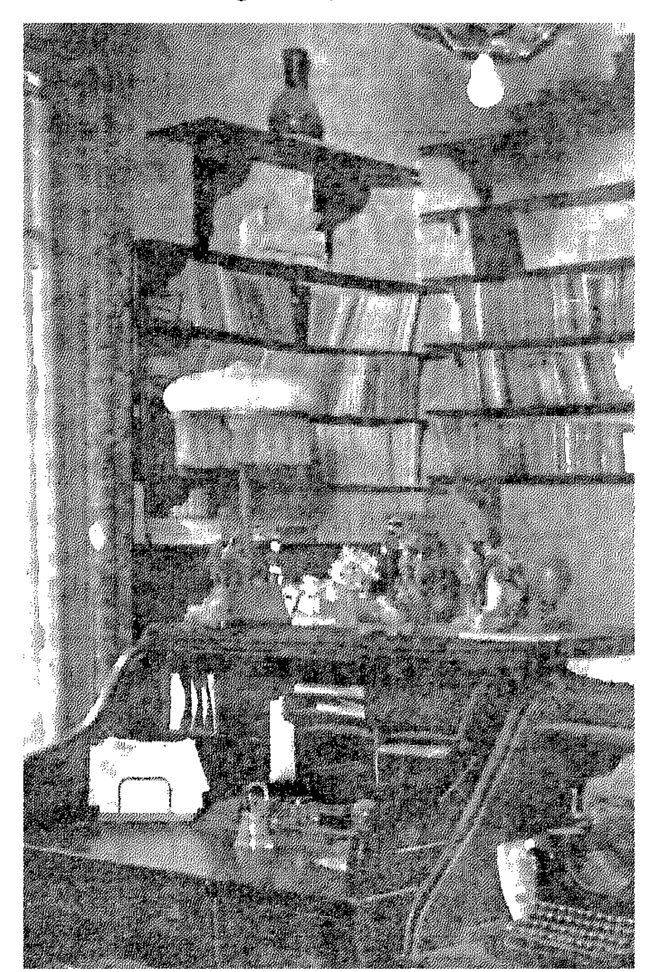
وشعرنا أول اللقاء بما لا يكون مثله الا فى التلاقى بعد فراق طويل



كان في كلينا قلبا ينتظر قلبا من زمن بعيد • ولم تكد العين تكتمل بالعين حتى أخذت كلتاهما أسلحتها ، واثبت اللقاء بشذوذه انه لقاء حب « وقلت لي بعينيك : انا ••• وقلت لك بعيني : انا ••• وتكاشفنا بان تكاتمنا •

« وتعارفنا بأحزاننا كأن كلينا شكوى تهم أن تفيض ببثها ،

مكتبة مى . والمكتب التى كتبت عليه روائع الادب النسائى العربى الحديث



وجدتني سحنتك الفكرية النبيلة التى تضيء الحزن فى نفس من يراها •• فاذا هو اعجاب •• فاذا هو اكبار •• فاذا هو الحب ••

، وعودت عيني من تلك الساعة كيف تنظران اليك ؟ وجعلت اراك تشعر بما حولك شعورا مضاعفا كأن فيه زيادة لم تزد •• وكان الجو جو قلبينا •

« وتكاشفنا مرة ثانية بأن تكاتمنا مرة ثانية » •

● مى والرافعى ●

وقد علق الاستاذ محمد عبد المغنى حسن على هذه الرسالة قائلا : ولعل فى هذه الرسالة ابلغ رد على من ينكرون تبادل الحب بين مى والرافعى ماذا يمكن ان تقوله امرأة فى التصريح بالحب من جانبها اكثر من هذا ، انتهى •

ان « ميا » لا تبالى وهى تودع رسالتها أسرار قلبها ، وتكتم الحب باللسان ، لتكشفه بالعيون • وهو وما يتناسب مع رجل أصم مثل الرافعى • وفى مثل هذه الاحوال يغنى التلذذ بالنظر عن الاستمتاع بالحديث ومثل هذا الكلام يفعل بالقلوب، مالا يفعله اى شيء اخر حتى السحر بل ان كل عاشق يتمنى لو تصله رسالة لفرط بلاغتها ، وقوة دلالتها •

وقد تناقض القول فى حب الرافعى ومى • فمن الادباء من أقره ، ومنهم من أنكره ، حتى هذه الرسالة تشكك السيدة وداد السكاكينى فى نسبتها الى « مى » فى دراستها عنها •

واذا كانت علاقة مى بالرافعى فيها بعض الشكوك ، فان علاقة مى بالعقاد ليس فيها ما يدعو الى عدم التصديق لكثرة الاحداث وتنوعهما ، ووفرة الشواهد والمواقف فيها •

فمما رواه الاستاذ طاهر الطناحى

عن علاقة العقاد بمى والتأكيد عليها بالادلة والوثائق ، فقد أثبت فى كتابه « أطياف من حياة مى » رسالة بعثت بها أديبتنا الى العقاد من برلين فى ٣٠ من أغسطس سنة ١٩٢٥ تقول له فيها ردا على قصيدة بعث بها اليها :

« .. اننى لا استطيع أن أصف لك شعورى حين قرأت هذه القصيدة وحسبى أن اقول لك ان ما تشعر به نحوى هو نفس ما شعرت به نحوك منذ أول رسالة كتبتها اليك وأنت فى بلدتك التاريخية اسوان .

« بل اننى خشيت ان افاتحك بشعورى نحوك منذ زمن بعيد ــ منذ أول مرة رأيتك فيها بدار جريدة المحروسة . ان الحياء منعنى . وقد ظننت أن اختلاطى بالزملاء يثير حمية الغضب عندك . والان عرفت شعورك . وعرفت لماذا لا تميل الى جبران خليل جبران »(٥) .

وتكاد تتنصل من علاقتها بجبران او تقلل من عمق هذه العلاقة فتقول :

« .. لا تحسب أننى اتهمك بالغيرة من جبران فانه فى نيويورك لم يرنى ولعله لن يرانى ، كما أنى لم أره الا فى تلك الصور التى تنشرها الصحف .

« ساعود قريبا الى مصر وستضمنا زيارات وجلسات أقضى فيها لك بما تدخره نفسى ، ويضمه وجدانى . فعندى اشياء كثيرة ساقولها لك فى خلوة من خلوات مصر الجديدة .... »

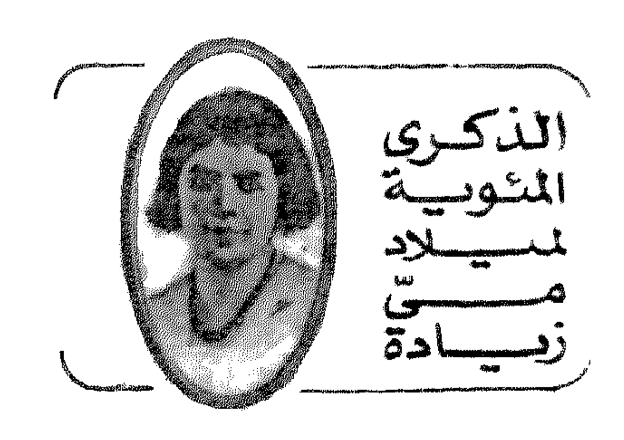
واذا كان تاريخ هذه الرسالة هو عام ١٩٢٥ فان شعورها الدافىء نحو العقاد يرجع الى زمن سابق على نحو ما تصرح به فى أول رسالتها الا ان الحياء منعها من مكاشفته بوقوعها فى شباك غرامه ، وهذا يعنى انها بدأت تتعلق بالعقاد بعد معرفتها بجبران ومع ذلك استمرت رسائل الغرام بينها وبين جبران وبينها وبين العقاد .

ولم يعد العقاد يذهب الى « مى » يوم الثلاثاء بل كان لقاؤه معها يوم الاحد من كل اسبوع . ويذهبان فى بعض الاحيان الى كنيسة الظاهر حين تعلن عن أفلام الفانوس السحرى وفى هذه الاثناء التى كانت « مى » هائمة فيها مع العقاد فى صحراء مصر الجديدة ، وكنيسة الظاهر ، وجلسات يوم الاحد . كانت تبعث الى جبران بالرسائل العاطفية ، ففى يناير ١٩٢٤ تقول لجبران « ولتحمل اليك رقعتى انى اخاف الحب » ، وفى يناير ١٩٢٥ تقول لجبران « ولتحمل اليك رقعتى هذه عواطفى فتخفض من كآبتك ان كنت كئيبا ، وتواسيك ان كنت فى حاجة الى المؤاساة » .

واستمرت بعد هذا التاريخ فى صحبة العقاد تستدفىء باشواقه المتدفقة فى اشعاره ، وفى نفس الوقت لا تتوقف عن مراسلة جبران الذى كان بدوره لا يمل النظر الى جسد مارى هاسكل وبدانه الخارق .

اين فاين التوحد فى الحب والوفاء للحبيب ؟ يقول ابن حزم : « واول مراتب الوفاء أن يفى الانسان لمن يفى له ، وهذا فرض لازم ، وحق واجب على المحب والمحبوب لا يحول عنه الا خبيث المحتد لاخلاق له ولا خير عنده » والانسة مى لا تلعب مع الحبيب الدور الاوحد منساقة فى ذلك بمشاعرها مدفوعة بارادتها ، مستجيبة لطبيعتها ، وانما تخاطب هذا وتخالط ذاك مستندة فى ذلك الى أن هذا لا يعرف من أمر ذاك شيئا ، وهل هذا هو الحب حتى فى أدنى معانيه ؟ او انه من جنى الادب ، وفيض القريحة ، ومجاز الشعراء والكتاب .

وواضح من رسائل مى وجبران ان كلا منهما يهوى الآخر على مهل ، فيبعث



احدهما برسالة وينتظر مـن الاخـر الرد عليها ، وكان الحالة بينهما تسلية ظريفة ، وتقوم بدور الفضفضة عما ران على نفسيهما من آلام الحياة وأوجاعها .

أما « الوله » وهي أشد حالات الحب ، حيث يذهب صواب المحب ، فاغلب الظن لم تكن بينهما ، والا كان اندفع احدهما الى الآخر دون حساب لتقاليد او اعراف ، فالعاشق عندما يجمح به العشق لا يتبين الغي من الرشد ، ولا يميز بين الغلط والصح ، والحب ليس كلاما جميلا ، وانما هو قدرات نفسية تدفع قدرات نفسية لتنفعل معها ، وقوة روحية تؤازر قوة روحية لتتعانق معها في وحدة واحدة ، وانفعالات جسدية تحرك انفعالات جسدية وتتلاقى الابدان في رباط مقدس لا تنفصم عراه .

وما جرى بين مى وجبران لم يتجاوز حد الكلام والسلام والشوق والوئام دون أن يحاول أى منهما أن يطوى المسافات التى تفصل بينهما .

وهل كانت « مى » تعتقد فى قرارة نفسها أن جبران يحبها حقا ؟ لقد دعته الى لقائها فى أوربا فلم يستجب ، وأرسلت اليه ليزور مصر فلم يلب النداء . ألم تقرأ كلام جبران عن الحب فى كتاب النبى :

« فلتكن هناك فسحات تفصلكم بعضكم عن بعض فى حياتكم المشتركة، ولتدعوا رياح السموات تتراقص فيما بينكم .. أجل فليحب أحدكم الآخر . ولكن لا تقيدوا الحب بالقيود . بل ليكن الحب بحرا متموجا بين شواطىء نفوسكم » .

فالحب عنده ليس اتحادا أو فناء كل حبيب فى الآخر ، وانما الحب يحيا بعيدا عن التضام . وأية فتاة فى الشرق تقبل الحب من خلال هذا المفهوم .

والخلاصة أن جبران لم يكن له واحدة فقط هى « مى » مثلا يعشقها ويهيم بها .

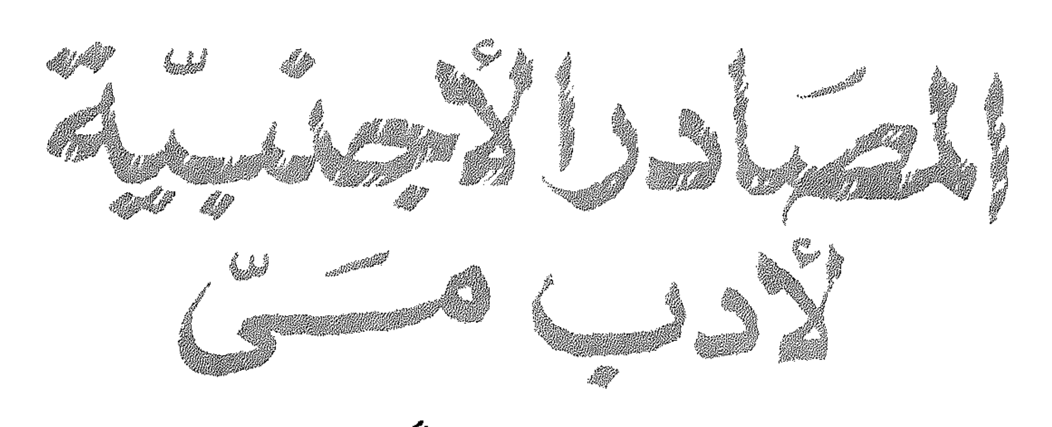
و « مى » لم تنفرد بواحد فقط هو « جبران » مثلا تحبه وتتوق اليه .

وان تقرير شيىء فى هذه القضية - والحالة هذه - فيه صعوبة ، والاحرى ان نتساءل عمن كان أرفع منزلة فى عينى كل منهما بدلا من حسم الكلام والقول بأن « جبران ومى » كان كل منهم يذوب حبا فى هوى الاخر .

هوامش

(١) انظر مجلة الزهور لانطـونة الجميل .
(٢) انظر كتاب « بين نعيمة وجبران » لطنى فركا . مكتبة المعارف بيروت .
(٣) انظر كتـاب « مى زيادة فى حياتها وآثارها » لوداد سكاكينى .
(٤) انظر كتاب « مى اديبة الشرق والعروبة » لمحمد عبد الغنى حسن .
(٥) انتقد العقاد قصيدة المواكب لجبران فى جريدة الاهالى « لعبد القادر حمزة » ثم ضمن النقد فى كتابه « الفصول » .





بقلم: د. الطاهر أحمد مكى

● تتيح حياة مى ونشاطها الأدبى جوانب عديدة لمن يهوى البحث ، ويرغب فى الدرس ، ويتحمل معاناته وأهواله ●

ثمة جانب لايقل أهمية فى حياة مىّ ، وأعنى به المصادر الأجنبية لأدب مىّ وثقافتها ، ماذا عرفت من لغات ، وإلى أى حد أجادتها ، وأين يتجلى ذلك فى كتاباتها ، وفى هذا الجانب ـ ولاأعرف أحدا عرض له من قبل ـ أحاول أن أسهم بشىء يجىء خطوة أولى على الطريق .

● ● ●

● نبوغ مبكر ●

كان أول لقاء لمىّ مع اللغات الأجنبية فى سن مبكرة جدا ، ولانعرف متى بدأت تتعلم الفرنسية ، ولكنها تذكر لنا أنها قرأت للمرة الأولى وهى فى العاشرة من عمرها قصة « أبرص بلدة أووستا » باللغة الفرنسية ، بقلم كزافييه دى ميستر ، وأعجبت بها ، واستمرت فى دراستها لها حتى أدخلها أبواها ، وهى فى الثالثة عشرة من عمرها ، داخليا مدرسة راهبات الزيارة فى عين طورة فى لبنان ، حيث قضت أربع سنوات ، ١٨٩٩ ـ ١٩٠٣ـ ، وانتقلت بعدها إلى مدرسة الراهبات اللعازريات فى بيروت ، وأمضت بها عاما واحدا عادت بعده إلى الناصرة فى فلسطين حيث يقيم أبواها .

ولايحتاج المرء إلى جهد كبير ليدرك أن لغة

المصادر الأجنبية لأدب مَيّ

التعليم في كلتا المدرستين كانت الفرنسية لجميع المواد ، ماعدا العربية بالطبع ، وأن التلاميذ كانوا يدرسون إلى جوارها شيئا من اللاتينية ، ثم الإيطالية أو الإسبانية ، أو هما معا . فقد كانت سوريا إذ ذاك منطقة نفوذ فرنسية في المجال الثقافي ، وكانت مدارس الإرساليات الكاثوليكية ، وتدين بالولاء المباشر للفاتيكان في روما . تعنى بلغات كبريات البلاد الكاثوليكيةفى أوربا : فرنسا وإيطاليا وإسبانيا على الترتيب .

ويضم كتاب « سوانح فتاة » لميّ ونشرته عام ١٩٢٢ ، مجموعة من المقالات نشرتها فى صحف مختلفة ، ومن بينها مقالة بعنوان « عائدة تتذكر » ، وعائدة هو الاسم المستعار الذى كانت توقع به مقالاتها أحيانا ، وهى عن ذكرياتها تلميذة فى مدرسة راهبات الزيارة ، ونعرف منه أنها كانت تحب الجرى واللعب والضحك ، ولكنها وحيدة الروح ، كثيرا ماتنزح إلى أطراف الساحة ، تنظر إلى البحر البعيد ، وتتأمل زرقته الفيحاء ، واستدارة الأفق المخيم عليها تتمتع بجمال الطبيعة ، وتحس نحوها بالهيبة والجلال .

وأنها كانت تحسن ركوب الخيل على حداثة سنها ، وقطعت على ظهر الجواد سهولا وجبالا ، بين الأشجار ، وعلى الصخور ، وحول القمم .

وأن صداقة حارة تكونت بينها وبين إحدى الراهبات على مرور الأيام ، ذكاها غزارة العاطفة وحدة الذكاء عند كليهما ، وكانت هذه الراهبة وحيدة بين لداتها وحدة عائدة بين التلميذات .

وأنها كانت تعمل فى المدرسة مرغمة ، تحت مراقبة راهبة لاتحبها ، تجهل أساليب التعليم ، وكل فضائلها أنها ابنة مارشال فرنسى ، وكانت « عائدة » توجه إليها كل كلمة حواها كتاب الصلاة فى هجو الشيطان واحتقاره .

وفى الدير ، خلال أعياد الميلاد ، ترحل الفتيات إلى أهاليهن ماعداها ، فتقضى وقتها فى غرفة الموسيقى المنفردة ، فى أطراف الحديقة ، تخيم عليها الأشجار ذات الغصون العارية ، تعزف على البيانو .

غير أنها لم تقدم لنا ولالمحة واحدة عما درست أو قرأت ، أو أحبت أو كرهت ، من مواد تعليمها .

وفى عام ١٩٠٥ عادت إلى الناصرة ، وخطبت لابن عمها ، وتكشفت عن شغف بالعلم لاحد له ، وبدأت تنظم أشعارا باللغة الفرنسية .

وبعد ذلك بعامين ، فى ١٩٠٧ ، تنزح الأسرة إلى مصر ، وكانت فى تلك الفترة الباكرة من يقظة العالم العربى مهبط المفكرين ، وموئل المناضلين ، وملاذ المضطهدين والخائفين ، وغاية الذين ضاقت بهم فى بلادهم سبل العيش والحياة .

وفى القاهرة بدأت ميّ تدرس اللغة الفرنسية لبعض بنات العائلات ، إذ كانت لغة الطبقة العالية ، والاقبال عليها بينهم كبير ، رغم الاحتلال البريطانى الجاثم على العقول والقلوب ، لأن المزاج المصرى ، فيما يرى يحيى حقى ، كان فى ذلك العهد لايحس بالغربة إذا اتصل بفرنسا ، كما يحس بها إذا اتصل بإنجلترا ، وهو أثر من تقارب التيارات الثقافية بين شعوب البحر الأبيض المتوسط ، وساعد عليه أن بعض كتاب فرنسا لعبوا أدوارا سياسية فى حياة بلادهم ، وأصبح اسمهم رمزا للحركات التحررية ، فذاع صيتهم فى مصر ، مثل فيكتور هيجو ، وترجم له حافظ إبراهيم البؤساء ، أما المنفلوطى فلم ينقل إلّا عن الأدب الفرنسى .

يتجلى تمكنها من اللغة الفرنسية وأدبها فى باكورة إنتاجها ، إذ كان ديوانها الأول « زهرات

حلم » « FLeurs De rêve » باللغة الفرنسية ، وصدر في القاهرة عام ١٩١١ . وهي في الخامسة والعشرين من عمرها ، وكان بتوقيع إيزيس كوبيا ، وإيزيس آلهة الخصب والأمومه عند المصريين القدماء ، وكوبيا كلمة لاتينية تعنى الغزارة والوفرة .

تغلب على ديوان « زهرات حلم » نزعة رومانسية حادة ، تتجلى في الشغف بالطبيعة ، وسيطرة الكآبة والحزن على قصائده . وصوّرت فيه انطباعها عن الطبيعة والحياة ، والكون وأسراره ، بما يتلاءم ومشاعر فتاة يافعة ، في بساطة متناهية ، وسذاجة حلوة .

يتجلى تأثر ميّ واضحا في ديوانها باثنين من كبار شعراء الرومانسية الفرنسية ، أولهما لامرتين (١٧٩٠ - ١٨٦٩) ، وكان ذا طبيعة مثالية ، رقيقة ونبيلة ، صلب العود ، رجلا بمعنى الكلمة ، بعيدا عن العواطف المتدنية ، وأمضى حياته من أجل الجمال والخير ، وله من دواوين الشعر « التأملات » و « الأنغام » و« جوسلان » ، ويتميز إبداعه بالضبابية والغموض ، وهما صفتان يتيحان للانفعالات أن تعبر عن نفسها في حرية أكثر ، وأهدت ميّ ديوانها إليه ، وفيما بعد سوف تقوم مثله برحلة إلى إيطاليا ، وسوف تؤخذ بما أُوخذ به ، من روعة الضياء ، وسحر المياه المتدفقة ، ووشوشة النوافير في الميادين ، وسوف تكتب مقالها : « نشيد إلى ينابيع روما » ، وتنشره في مجلة الهلال [جـ ٣٤ ، أول يناير ١٩٢٦] .

وكان الثاني ألفرد موسيه (١٨١٠ - ١٨٥٧) وكان متقد الذكاء ، خياليا ساحرا ، سار في الاتجاه الرومانسي فترة قصيرة ، ثم فجع في غرامه ، فأخذ يكتب أشعارا حزينة رائعة ، وكان القانون الوحيد الذي يلتزمه في إبداعه أن يخلص لمشاعره ، ومن ثم فهو يزدري الصنعة في الفن مهما كانت عالية . وعاش طفلا مدلّلا قبل أن يكابد ألم العشق الذي جعله أكثر رزانة ، دون أن يغير من طبعه ، ومرهف الحس محبا لنفسه ، وعلى استعداد للحب ، وشديد النهم أن يكون محبوبا ، متقلبا في هواه ، شديد الحماسة ، يطيب له أن يتمتع بالحياة ، ولايرتوى من الملذّات قط .

أما الآخران فهما اللورد بايرون (١٧٨٨ - ١٨٢٤) وشيلي (١٧٩٢ - ١٨٢٢) ، وهما من أعلام الرومانسية الانجليزية ، وأتصور أن تأثرها بهما في هذه المرحلة من حياتها ، كان عن طريق قراءة أشعارهما مترجمة إلى الفرنسية ، إذ لاأتصور أن دراستها للغة الانجليزية بعد وصولها إلى مصر كانت كافية ، لضيق الوقت ، أن تتعلمها وتجيدها ، وتقرأ بها شعرا ، ويترك في أعماقها وإبداعها صدى .

يبدو تأثر ميّ بهذه الباقة من الرومانسيين واضحا في اندماجها مع الطبيعة ، وهروبها إليها ، وجموح خيالها ، وسيطرة الأحلام على مشاعرها ، وتغنيها بمرابع طفولتها في الناصرة ، ومهابط صباها في جبال لبنان وأوديته وغاباته وشطآنه ، وخطاها على سفح المقطم وفوق صفحة النيل في مصر ، وجاءت القصائد في أوزان الشعر الفرنسي الكلاسي ، أما المقطوعات فكانت ضربا من النثر المشعور .

أحيط الديوان عند صدروه بهالة من الترحيب والتبجيل ، فقرظه أنطون الجميل في مجلة الزهور ، والدكتور شبلي الشميل في مجلة المقتطف ، وأهدى لها خليل مطران بمناسبة قصيدته : « إلى ميّ » .

وفيما بين عامى ١٩٢٣ و١٩٢٥ نشرت مجلتا الهلال والمقتطف عددا من هذه القصائد مترجما إلى اللغة العربية ، وقد تكون له ترجمات أخرى لماّ تكتشف ، وفي عام ١٩٥٢ قام الدكتور جميل جبر بترجمة بعض قصائد الديوان ، وضم إليها مانشرته الهلال والمقتطف ، وأعطاها عنوان : « أزاهير حلم » ، تأليف ميّ زيادة ، ولكن مانشره ليس

المصادر الأجنبية لأدب ميّ

كل قصائد الديوان ، ولاحتى جله ، إذ بقى جانب من قصائده لم يترجم بعد .

وبعد هذا الديوان لم تعد ميّ تكتب باللغة الفرنسية ، إلا بعض المقالات والتعليقات بين حين وآخر ، وإنما اتخذت من العربية أداتها ، فالأديب يبدع ليقرأه الناس ، والقارئون بالفرنسية فى مصر والعالم العربى قلّة ، أماّ قراء العربية فهم الكثرة الغالبة ، ومن المؤكد أنها لوقصرت نشاطها على اللغات الأجنبية لما بلغت هذا القدر الذى حققته من الشهرة والخلود .

ولكن ميّ بعد أن تركت الفرنسية لغة اداء لم تتخل عنها مصدر تثقيف ، فنجدها معجبة أشد الاعجاب بالكاتب القصاص الفرنسى بيير لوتى (١٨٥٠ - ١٩٢٣) ، وطالما عاشت فى الصفحات الجميلة من كتبه ، فيما تقول ، وطالما استسلمت لسحر بيانه ، وذات يوم حملت كتابه « موت أنس الوجود » وطالعت بعضا من فصوله فى المتحف المصرى ، على مقربة من قاعة الموميات ، بهدوء وتأمل ، وهذا الكتاب كتبه لوتى عام ١٩٠٧ وأهداه إلى مصطفى كامل ، وكان مثله ابنا روحيا لمدام جوليييت آدم ، وحبذت الدعوة التى ارتآرها على أيامها بعض الكتاب من تعريب الكتاب ، وبقية مؤلفات لوتى الأخرى عن الشرق الأدنى . ومع أنها تراه صديق الشرق ، لاترى شبيبتنا فى حاجة إليه ، وإنما هم أحوج إلى كتب أساتذة أقوياء ، يكيّفونها ويستحثونها على الرجاء ، ويبثون فى نفسها اليقين . فترجمة كتبه خطيرة لمن لايعرف أن يتسلى بسحر لوتى تسلية ، ويعجب ببيانه دون أن يحسب قوله درسا وأمثولة .

فهى تقرؤه بإعجاب ، ولكنها لاتتردد فى الحكم عليه بأنه كثير النواح والشكوى والتذمّر ، يؤذى من لا إلمام له بآداب الغربيين ، أو من كان قليل الالمام بها ، كما كان قبله روسو ، ناصب المناحات الكبرى ببلاغته العميقة الملتهبة ، وشكاواه الحزينة المؤثرة (مجلة المحروسة ، عدد الثلاثاء ، ٢٦ يونية ١٩٢٣) .

غير أن الحق ليس مع ميّ ، وكل ماهنا لك أن بيير لوتى لم يكن رومانسيا خالصا ، وإنما احتفظ بأفضل مافى الأدب الواقعى من عناصر ، وحلّق فوق المذهب الطبيعى ، ويراه قومه من كبار المصورين فى الأدب الفرنسى ، ويضعونه إلى جانب شاتوبريان ، وإنتاجه ضخم جدا ، يملأ ثلاثة وسبعين مجلدا ، من القصص والخواطر والرحلات ، فقرأته ميّ وهى رومانسية الشعور والباطن ، وإن لم تؤمن بها نظرية وإتجاها ، فلم تر فيه إلا هذا الجانب البكائى الحزين .

● إلهام وتوافق ●

وفيما بعد سوف يحتفى طه حسين بلوتى احتفاء شديدا ، وأراه وقع على اسمه فى منتدى ميّ بدءا ، إذ كان بالغ الذكاء فى التقاط مادته وثقافته من أى مكان يرده ، ومن أى كلمة تصك سمعه ، ثم مضى مع فكر الكاتب الفرنسى سائحا حين تمكن من الفرنسية وأجادها .

كذلك تأثرت ميّ فى كتابة الرسائل ، وماأكثر ما كانت تكتب منها بمدام دى سفينييه (١٦٢٦ - ١٦٩٦) ، وكانت هذه أحد ثلاثة شهروا بكتابة هذا النوع الأدبى ، شيشرون فى القديم ، وهى وفولتير فى عصرنا الحديث . ونشرت ميّ عنها دراسة فى مجلة المقتطف ، يولية ١٩١٨ ، أتت فيها على حياتها وأدبها وعصرها ، لأنها لاتذكر إلا ويذكر معها القرن السابع عشر ، وفيما أرى أنها اختارت هذه السيدة لأوجه شبه كثيرة كانت بينهما ، ليس

من الضرورى أن تجىء وليدة درس وبحث ، وإنما قد تنبثق عفوا من الاعماق إلهاما ورضى .

ذلك القرن شهد عظماء الفكر والأدب الفرنسى ، إنه عصر لويس الرابع عشر ، وعرف صالون دى رمبوليه ، سيدة عظيمة كانت على جانب عظيم من العلم والذكاء ، تستقبل زائريها من كبار القواد ، وأعاظم الاشراف ، ومشاهير الشعراء والكتاب ، فى غرفة دخلت التاريخ تحت اسم « الغرفة الزرقاء » وفيها كانت تدور المباحثات حول موضوعات أدبية ولغوية واجتماعية ، وإلى جانبها صالونات أخرى شهيرة ، مثل صالون مدام دى ستال وصالون مدام جوفرن .

أليس هذا هو ماكان يحدث فى منتدى ميّ ؟

كانت مدام دى سفينييه تختلط بالأعيان والأشراف ، وتراقص الملك ، وتلتقى بكثيرين من مدعوى البلاط ، ولكنها دخلت التاريخ بالعديد من رسائلها البليغة ، تخطها لابنتها بقلمها الرشيق ، أو إلى أصدقائها العديدين ، تصف لهم كل مايجرى فى الصالون أو فى باريس .

ولاتقف ميّ عند حد الاعجاب بها ، وإنما تقارن بين شيشرون وفولتير ومدام سفينييه ، وترى الأول مشرعا وخطيبا ، والثانى باحثا ومفكرا ، والثالثة امرأة لم تكن متفوقة فى فكرها ، بل فى شعورها ، وذلك يقول البعض أعظم نبوغ وأفضل عبقرية .

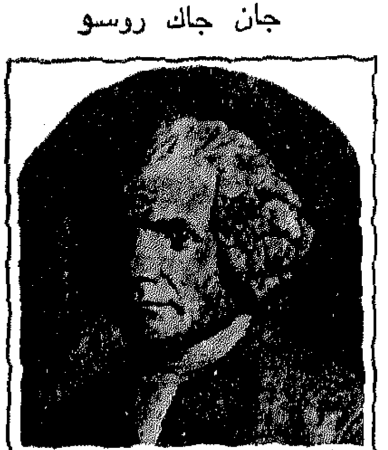
إن ميّ هنا تصف نفسها !

وقد قرأت كتاب التأملات لفيكتور هيجو (١٨٠٢ ـ ١٨٨٥) ، وتنقل عنه قوله : « إن الكلمة كائن حى » ، وأوجزت حكايته : « إمبير حلوا : رمز الشبيبة المعذبة » ، وعرضتها فى مجلة الرسالة (العدد ٩٩ ، ١٧ مايو ١٩٣٥) مع أنها أقل كتاباته ذيوعا ، لأنها رأتها أكثر ماتكون انطباقا على حالة طائفة من الشبان فى عصرها ، وفى بلادنا ، مع اختلاف نوع الحافز لانعدام الغرام .

وحين درست عائشة تيمور شاعرة الطليعة ، أرادت أن تقدم وصفا للحياة فى قاهرة القرن التاسع عشر حيث عاشت الشاعرة ، وهى أيام لم تعشها ميّ ، إذ صدر كتابها عام ١٩٢٦ ، وكانت هناك أشياء كثيرة قد تبدلت ، نقلت لها وصفا دقيقا مفصلا عن كتاب اكزافييه مرنييه « من القسطنطينية إلى القاهرة » ، وكتب رحلته هذه عام ١٨٤٥ ـ ١٨٤٦ ، وكان عضوا فى الأكاديمية الفرنسية

وإذا أرادت أن تصف بيت عائشة التيمورية من الداخل اعتمدت على وصف منازل الطبقة العليا فى ذلك العهد وحتى أوائل القرن العشرين ، كما تقدمه نية سليمة NIYA SALIMA ، وهو الاسم المستعار الذى


فولتير


جان جاك روسو

ديكارت

المصادر الأجنبية لأدب مَيّ

كانت تكتب به زوجة حسين رشدى الفرنسية ، أحد رؤساء الوزارات فى تلك الأيام . ولها كتابان باللغة الفرنسية ، أولهما : « حريم مصر ونساؤها المسلمات » والآخر رواية حملت اسم « المطلقات » ، وطبعا فى مصر عام ١٩٠٧ . وكانت هدى شعراوى أعارتها الكتابين ، وأطرتهما : إنهما أصدق ماقرات من نوع هذه الكتب فى وصف العادات المصرية ، وأكثر إنصافا ، وأقربها إلى الواقع .

وهى تعرف المستشرق الفرنسى كليمان وار (١٨٥٤ - ١٩٢٦) ، وكتابه « تاريخ الأدب العربى » ، وصدرت طبعته الأولى فى باريس عام ١٩٠٢ ، وكانت تملك الطبعة الثانية منه . وصدرت عام ١٩١٢ ، وهو سفر جامع لتاريخ الأدب العربى منذ الجاهلية حتى أيام المؤلف . ولما يترجم إلى العربية ، ولكن أحمد حسن الزيات أتكأ عليه كلية فى كتابه « تاريخ الأدب العربى » . وقد التقطت مىّ خاتمته لتبدأ بها تعليقا جيدا على كتاب « حضارة مصر اليوم » . ونشرد قسم الخدمة العامة فى الجامعة الأمريكية فى القاهرة ، وجاء تعليقها عليه فى مقالين متتابعين نشرتهما فى مجلة المقتطف . [جزء ٨٣ يولية ١٩٣٣] وجاء فى هذه الخاتمة : « أما مانود أن تأخذ به اللغة العربية فى المستقبل فهو جلاء التعبير ، وبساطة الأسلوب ، فإذا يوم يحقق هذه الأمنية استطعنا التنبؤ بعهد زاهر للآداب العربية »

وهى حين تورد قوله هذا تلمح إلى ما فى قائمة الصحف والمجلات التى صدرت فى القرن التاسع عشر ، وأوردها المستشرق فى نهاية كتابه ، من خطأ فى نسبة بعض الصحف إلى غير أصحابها . وفى التاريخ الذى عينه لصدور صحف غيرها .

وعبر كتاباتها ، فى أمكنة مختلفة منها ، نلتقى بأسماء فولتير ، وروسو ، وديكارت ، ومارمونتل ، وغيرهم من أعلام الفكر الفرنسى ، وترجمت عن الفرنسية رواية « رجوع الموجة » ، ولكنى لم أهتد إلى مؤلفها ، ولم تشر هى إليه ، فيما قرأت لها .

● إجادة تامة للانجليزية ●

كان الرافد الثانى فى ثقافة مىّ الأجنبية هو اللغة الانجليزية ، وبدأت فى دراستها بعد وصولها إلى مصر ، وساعدها على التمكن منها فى وقت قليل الجو السائد فى مصر يومئذ ، وفى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ أعلنوا عليها الحماية ، وحكموها مباشرة ، وبدأت اللغة الانجليزية تأخذ مكانها فى مناهج التعليم ، والادارة ، والحياة العامة ، وذلك إلى جانب الاستعداد الفطرى عند مىّ نفسها ، ونلتقى بها متمكنة فى هذه اللغة ، تكتب بها المقالات فى جريدة الاجيبشيان ميل اليومية ، بتوقيع خالد رأفت ، وفيها دخلت فى مناقشة حامية وطويلة ، شغلت عدة مقالات بين أخذ ورد حول المجمع اللغوى والحاجة إليه ، ومهمته ، واللغة العربية ورقيها ، لزمت فيها جانب الدفاع عن العربية فى مواجهة سبيروبك ، وكان إنجليزيا من دعاة العامية فى مصر ، ويرى العربية عقبة صعبة فى طريق تطور مصر حضارة وفكرا .

ومن الواضح أن إجادتها اللغة الانجليزية لم تقف عند حد القراءة فحسب ، وإنما تجاوزتها إلى القراءة بها ، ففى الحفل الذى أقامه طلبة قسم الآداب الانجليزية فى الجامعة المصرية ، فى فندق شبرد ، فى إبريل من عام ١٩١٨ ، تكريما لأستاذهم ، أسهمت فيه ، وكانت طالبة بالجامعة يومها ، بكلمة ألقتها باللغة الانجليزية ، ونشرت ترجمتها إلى اللغة العربية فيما بعد .

وكان الشاعر الانجليزى تنيسون (١٨٠٩ - ١٨٨٢) من أقرب الشعراء الانجليز إلى قلبها فيما بعد ، وإلى كل ادباء عصرها فى مصر فى الحقيقة ، وكان قد انتهى به الحال فى وطنه إلى أن ينعت بأنه أكبر شاعر فى وطنه وفى عصره ، كما كان يقال عنه « عند الخروج من المدرسة التصويرية أو الشعورية يبدو تنيسون رائعا ، وكل الأشكال والأفكار التى ذبلت عادت إلى الظهور معه ، مصفاة ، ومعتدلة ، وتلبس ثوبا لغويا مذهبا . ويتجلى ذلك واضحا فيما تنقل عنه عبر كتابها ، فهى تأخذ قوله « إن قضية المرأة هى قضية الرجل ، وأن هذا وتلك عامودا العائلة ، فإن مال أحدهما وقصر واختل وضعه ، تداعى سقف الأسرة ، وانهار صرح الاجتماع القائم على دعائم العائلة .

وكانت على وعى جيد بأن اللغة الانجليزية لها آداب أربعة : الانجليزية ، والاسكتلندية ، والايرلندية ، والأمريكية ، وأن لكل واحد من هذه الآداب روحه الخاص ومزاياه ، ونقلت عن الانجليزية رواية « اللاجئون » للكاتب الاسكتلندى أرثركونن دويل ، ١٨٥٩ - ١٩٣٠ ، وكان طبيبا وكاتب قصة بوليسية ، وغيرت عنوانها فأسمتها « الحب فى العذاب » ، وهى رواية أدبية تاريخية حدثت فى عهد لويس الرابع عشر ، ونشرتها عام ١٩١٧ ، ولكن أحدا لم يوفق فى العثور على نسخة منها حتى الآن ، كما لم يوفق أحد فى جمع فصول رواية كتبتها بالانجليزية ونشرتها فى مجلة « سفانكس » التى كانت تصدر فى القاهرة عام ١٩١٧ ، بعنوان « ظل على الصخر « Shadow on the Roc » وجاء ذلك فى حديث أجراه معها نقولا باز ، ونشر فى مجلة الفجر البيروتية عام ١٩٢٣ .

● إتقان للايطالية ●

المصدر الثالث ، ولايقل أهمية عن المصدرين السابقين ، هو الأدب الايطالى وأرجح أنها كانت تعرف الايطالية بقدر كاف لأن من يدرس اللاتينية ، ويجيد الفرنسية ، لايحتاج إلى كبير عناء لكى يقرأ الايطالية ويتمثل ادبها ، وأرجح أنها درستها فى مدرسة الراهبات ، إذا كانت الارساليات الكاثوليكية بعامة تدرس الايطالية إلى جانب الفرنسية ، كما ألمحنا بدءاً ، وكانت تقرأ بها أدبا عاليا ، فهى تقص علينا فى مقال لها بعنوان : « تكلموا لغتكم » ، أنها دخلت مكتبة صغيرة فى القاهرة لبيع الكتب الايطالية ، لتشترى منها بعض أعمال جبرائيل دانزنتزيو ، فإذا بصاحب المكتبة يقدم لها مؤلفاته بالفرنسية ، وكان يكتب فيها إبداعه أحيانا ثم يترجمه إلى الايطالية ، فردتها وطلبت منه مؤلفاته الايطالية الاصيلة لا المنقولة ، فسألها عما إذا كانت تريدها لنفسها أم لغيرها ، فأجابته بل أريدها لنفسى ، فسألها : إذن تعرفين الايطالية ، فردت عليه : نعم .

لم يكن جبرائيل دانزنتزيو (١٨٦٣ - ١٩٣٨) أديبا إيطاليا عاديا ، كان جنديا طيارا ومحاربا ، وشاعرا وروائيا ، وصاحب أسلوب لامع وجذاب ونال شهرة مستفيضة فى النصف الأول من هذا القرن .

وتعرف شاعرا إيطاليا آخر كان معاصرا لجبرائيل ، وهو كاردوتشى ١٨٣٦ - ١٩٠٧ ، تعمقت فى أدبه ، وتتبعت مراحل تطوره ، ووصفته فى دقة بأنه صاحب موهبة شعرية ونقدية ، وأنه كان يزدرى شاعرية المرأة ، وله فيها رأى صار مضرب المثل : « اثنان عليهما ألا يعالجا الشعر : الكاهن المسيحى والمرأة » ، ولكنها فيما ترى عدل عن رأيه أخيرا ، بعد أن قرأ أشعار إليزابيث براوننج الانجليزية ، وأنى فيفانتى الايطالية ومدام ديبور فالمور الفرنسية .

والعجيب أننا نجد صدى رأى كاردوتشى فى فكر العقاد ، ففى دراسة له عن عائشة التيمورية ، وجاءت بعد دراسة مىّ ، نجده يقول : « فالمرأة قد تحسن كتابة القصص ، وقد تحسن التمثيل ، وقد تحسن الرقص الفنى

المصادر الأجنبية لأدب مَيّ

من ضروب الفنون الجميلة ، ولكنها لاتحسن الشعر ، ولما يشتمل تاريخ الدنياكله بعد على شاعرة عظيمة » ولاأرى العقاد هنا . إلا صدى لميّ ، فلم يكن كاتبنا الكبير يحسن من الايطالية شيئا .

وكانت ميّ فيما يذكر توفيق الحكيم فى كتابه « وثائق من كواليس الأدباء » ونشره فى القاهرة عام ١٩٧٧ ، ويضم ماوجده عنده من رسائل تلقاها من كبار الكتاب ، ووثائق احتفظ بها من الضياع ، أول من اكتشف فى رسالة بليغة وجهتها إليه فى ١١ / ٧ / ١٩٣٤ ، بمناسبة صدور مسرحيته أهل الكهف الصلة الفنية والفكرية التى تربطه بالكاتب المسرحى بيرانديللو (١٨٦٧ ـ ١٩٣٦) ومن أخصب الكتاب الايطاليين إنتاجا ، وحاز جائزة نوبل للآداب عام ١٩٣٤ ، وظل يعتبر لفترة غير قصيرة مجدد المسرح الغربى بأجمعه ، ولعل ماشدها إليه فى هذه الفترة من عمرها ، أن حياته كانت كحياتها ملأتها عواصف عائلية مؤلمة .

● كتاب بالألمانية ●

ثمة أدبان أوربيان آخران كان إلمامها بهما خفيفا ، وهما الأدب الألمانى والأدب الاسبانى .

أما اللغة الألمانية فقد بدأت بتعلمها فى القاهرة شتاء عام ١٩١٠ ـ ١٩١١ ، على يد سيدة بروسية ، والألمانية ليست طيعة فى تعلمها كبقية اللغات الأخرى ، ومع ذلك كانت ميّ عنيدة فى دراستها ، وربما شدها إلى اللغة الألمانية أنها حفلت على امتداد القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بجمهرة من خيرة المستشرقين ، وليس من قبيل الصدفة البحتة أن الرواية الوحيدة التى اختارت أن تترجمها من الأدب الألمانى الى اللغة العربية ، لمستشرق يعرفه دارسوا اللغات الشرقية ،، ومن بينها العربية ، وهو مكس موللر (١٨٢٣ ـ ١٩٠٠) ، وعرفته ميّ فى سن مبكرة ، حتى قبل أن تجيء إلى القاهرة ، وقبل أن تعرف الألمانية ، ونشرت عنه مقالا فى مجلة المقتطف نوفمبر سنة ١٩٠٠ .

وفيما بعد ، وهي فى طريقها لتصطاف فى ضهور الشوير بلبنان ، وصيف عام ١٩١١ ، وكانت أمضت بضعة شهور فى دراسة اللغة الألمانية ، حملت معها كتاب « الحب الألمانى » لمكس موللر ، أوصتها به مدرّستها .

وأضيف إلى هذا أنه صادف فى أعماقها نفسا ومزاجا رومانسيا من جانب ، وأنها بدأت تتمرس بالألمانية عن طريق الترجمة من جانب آخر ، ومع أن مفرداتها الألمانية كانت محدودة ، وحظها من التعبير بالعربية لما يزل متواضعا ، ولم يكن لديها معجم ألمانى، كانت تكتفى بأن تحيط بالمعنى العام ، ولو فاتها من المفردات كثير ، فلما أكملت الترجمة عادت تقرؤه مرات ومرات من جديد ، ورأته ليس حبا ألمانيا فحسب ، وإنما خلاصة بسمات الانسان وعبراته ، فسمته حين نشرته عام ١٩١٢ « دموع وابتسامات »

وقد نفد الكتاب فى زمن وجيز نسبيا ، ولم تر إعادة طبعه ثانيا ، لأنها لم تكن راضية عن الترجمة ، فلما تمكنت فى الألمانية ، وملكت زمام العربية ، أعادت ترجمته ، متقيدة بالأصل معنى وتعبيرا ، وحاولت إبرازه إلى العربية بصيغته الشعرية البسيطة ، خالية من الاستعارات الغريبة ، والتنميق الشرقى ، مما حفلت به الطبعة الأولى ، وصدرت هذه الطبعة الثانية عن مطبعة الهلال عام ١٩٢١ .

أما علاقتها باللغة الاسبانية ، فكانت متواضعة فيما أرى ، وكان حظها من الأدب الاسبانى كذلك ، وقليلا مانقع فى أعمالها على اسم لكاتب أو شاعر إسبانى ، باستثناء أستيبان منويل دى فييجاس (١٥٩٥ ـ ١٦٦٩) .

وتقارن خلال دراستها شعر عائشة التيمورية فى الغزل والأخلاق والدين وبين مارية تيريسا دى أبلة الاسبانية (١٥١٥ - ١٥٨٢) وكانت شاعرة عظيمة ، وتقية متصوفة ، ونظمت فى لغتها الاسبانية ابتهالات دينية رائعة ، وتورد من شعرها فقرة ترجو الله فيها أن يمن عليها بالموت لتتجرد من ثواب التراب ، فتراه حينئذ وجها لوجه ، وتترجم هذه الفقرة إلى العربية :

« أحيا دون أن أحيا فى نفسى ، وأنتظر حياة هكذا رفيعة .

حتى إنى أموت لأموت لأنى لاأموت .

وإنى ليزيد فى كلفى .

أن أرى إلهى لدى سجينا .

حتى أنى لأموت لأنى لاأموت .

أنظر كيف أذوب شوقا إلى رؤياك ، ولاطاقة لى على الحياة بدونك .

حتى أنى لأموت لأنى لاأموت .

فمتى يتيسر لى ، ياإلهى ، أن أقول القول الفصل :

بأنى أموت ، لأنى لاأموت » .

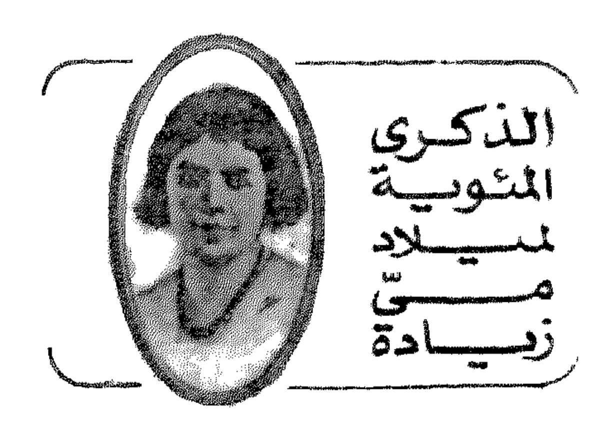
ولانلمح أى صدى للأدب الروسى فى كتاباتها ، ولو عن طريق قراءته فى لغات أخرى ، رغم أنها كتبت عن المساواة والاشتراكية بألوانها ، فابية وثورية ، وتعرضت للبلشفية ، والثورة الشيوعية ، بقدر ماكانت تسمح به القوانين يومها ، ربما لأن ما كان رائجا منه على أيامها ، ومحببا إلى المثقفين المصريين ، هو القصة والراوية ، واتسما بالواقعية ، وكانت هى مندفعة بطبيعتها إلى جوانب أخرى من النثر ، تتسم بالرومانسية ، وتتجه الى الطبيعة ، وتغرق فى الذات ، وكل ذلك رغم أنها كانت عالمية الثقافة ، وعرضت لعديد من المذاهب والاتجاهات فى السياسة والأدب والنقد والاقتصاد فى الفلسفة ، مما لايعرفه إلا الباحثون المتعمقون ، فهى تعرض للاقطاع وتطوره ، وأسباب نشأته ، والفوضوية ، والعدمية ، وفنون الشعر عند العرب واليونان ، وغير ذلك كثيرا .

ولاأود أن أمر عجلا بظاهرة تبينت لى . هى أن مىّ أهملت تماما ثلاث أوربيات معاصرات لها ، وكن على أيامها ، وبعدها ، ملء السمع والبصر ، فلم تعرض لهن من قريب أو بعيد .

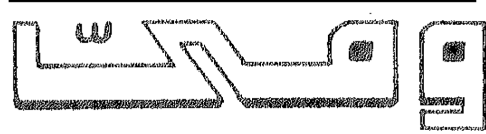
أما أولاهن فهى أنا دى نواى (١٨٧٦ - ١٩٣٣) وكانت شاعرة رقيقة ، وأعرف لها ديوانين من الشعر العذب هما : « القلب الذى لاحصار له » والثانى « الانبهارات » ، والثانية هى : مارى بشخير تسيف (١٨٦٠ - ١٨٨٤) ، وكانت كاتبة ورسامة ، ودرست فى باريس ، وبعد موتها نشرت أسرتها يومياتهاالعاطفية عام ١٨٩٠ ، فجاءت وثيقة إنسانية بارزة .

ومن الواضح أن لكل منهن صدى فيما كتبت مىّ ، فى رسائلها وحين ركزت على الطبيعة فى التقاط صورها الأدبية ، وفيما صاغت من نثر شعرى ، ومع ذلك لاتأتى على اسم واحدة منهن أبدا ، واشك كثيرا فى أنها كانت تجهلهن ، وربما كانت تغار منهن ، ولايدفع هذا أنها أول من وقفت جهدها فى عصرنا الحديث على دراسة شاعرتين عربيتين محدثتين : عائشة التيمورية وباحثة البادية ، لأن فى حديثها عنهما لونا من الدفاع عن نفسها ، وبنات جنسها ، قبل أن يكون تعريفا بهاتين الشاعرتين وإنصافا لهما .

وتبقى كلمة ، تتصل بتقويم أعمال مىّ فى جملتها ، ولن يبلغ بنا الاعجاب حد الثناء بلا حساب ، ولن يقعد بنا الجحود حد التقليل أو الانكار ، وإنما أراها فى ظروف عصرها ، وتمتد من أواخر القرن الماضى حتى الثلث الأول من هذا القرن ، جديرة بكل ماقيل عنها من ثناء ، وصاغه مواطنوها والمعجبون بها من إعجاب وإطراء ، ولكن حين ننظر اليها الآن ، من أية زاوية شئت ، نجد الزمن تجاوز الفترة برمتها ، وأن عشرات من الفتيات العربيات تجاوزنها ، ويكتبن خيرا من مىّ ، وإن مئات منهن لسن دونها ، فى الفكر واللغة والأسلوب .







عطاء متبادل

تعد مي زيادة احدى ابرز الكاتبات اللاتي ارتبطن بمجلة الهلال منذ نشأتها انها علاقة عطاء متبادل .. تكتب مي حبا وايمانا .. وتتصدر المجلة كلماتها الرقيقة الحامية .. فقد كتبت مي عن الديمقراطية وعن اوضاع المرأة والادب العربي . وعن المستقبل . وقد نشرت القصة والقصيدة المسرحية بالاضافة الى الدراسة الادبية . والاستفتاءات الصحفية .

فى حديثها عن تابين سعد زغلول تقول : « ستقولون ان المرأة لا تفهم معاني التابين كما يفهمها الرجل فاجيب اننا اهتممنا بالخطب والقصائد اهتماما عظيما واستعملنا عند قراءتها ملكتي النقد والاستحسان وهذا ينم عن استعداد فينا غير قليل لتجاهلونه عمدا او تجهلونه سهوا واهمالا » « اول يناير ١٩٢٤ ص ٣٦١ .

وفى رسالتها « الى كل فتاة مصرية » تقول : « الحياة امامك ، ايتها المصرية الصغيرة ، ولك ان تكوني فيها ملكة او عبدة » .

« عبدة بالكسل ، والتواكل والغضب ، والثرثرة ، والاغتياب والتطفل ، والتبذل ، وملكة بالاجتهاد ، والترتيب ، وحفظ اللسان والصدق ، وطهار القلب والفكر ، والعفاف والعمل المتواصل » فبراير ١٩٢٤ ص ٤٩٦ .

وتتحدث عن حاجتنا الى ثقافة اجتماعية » قائلة انه « ما اعظم ما تقدمه السينما فى ايامنا وما ابعد تاثيرها ! انها تاخذ شيئا فشيئا . بالموضوعات الجادة المجدية متجردة بطبيعة تقدمها من السخافات التافهة . وكم كانت الوزارة موفقة فى تنظيم الاذاعات المدرسية ! قد تفوتني اذاعات المحطات مرات ، ولكن لا تفوتني اذاعة مدرسية مرة واحدة لانى اجدها مليئة حياة » .

« تنشيط الثقافة الاجتماعية وتعميم الروح الاجتماعي اصبح الان فرضا على كل ذى نفوذ فى اية ناحية من نواحي المجتمع

فيساعد كل بما عنده ، فرضا على الاغنياء ، فرضا على الاقوياء ، على المدرسين ، على على كل رجال الحكومة ، على كل من المثقفين ، على المشرعين ، على رجال الدين ، يتلفظ بكلمة الوطنية » فبراير ١٩٤٠ ص ٣٧٣ .

وترجه تحيتها الى المجلة فى عيدها الفضى قائلة : « فى عمر يشبه الحلم عرفتك . ايها الهلال الفضى ، وليس لدى من تذكار مطبعى اقدم منك ، لذا يختلط ذكرك فى حافظتى بخيالات جبال الطور وفرعون والكرمل ، وخضرة مرج ابن عامر الواسع ، وانفاس الليمون ، والصعتر والياسمين المنبعثة من تلك الارض التاريخية ، ارض الجليل الجميلة ..

« ... وما اقدر الهلال على ارسال النور مهما يكن الليل غرافيا ! هلالا نجمع كيانك الروح الفتاة العاملة فيك بيدها وفكرها تحت رعاية الروح الكبرى التى تنظر اليك غير منظورة ، وتخيم عليك باهتمامها وحبها نافخة فيك وحيا ونشاطا» اكتوبر ١٩١٧ ص ٩ ، ١٠ .

وفى تساؤلها « اين وطنى » تنظم :

« عندما ذاعت اسماء الوطنيات

كتبت اسم وطنى ووضعت عليه شفتى

القبله ،

واحصيت الامة مفاخرة بان كى كذوى

الاوطان وطنا

ثم جاء دور الشرح والتفصيل فالبحث

بالمشاكل التى لا تحل

وحنيت جبهتى ، وانشات افكر

وما لبث ان انقلب التفكر فى شعورا ،

فشعرت بانسحاق عميق يذلنى

لانى ، دون سواى ، تلك التى لا وطن

لها » اكتوبر ١٩٢٢ ص ١٢ .

وفى حديث اجرته المجلة مع الآنسة مى تتحدث عن كيف بدأت فى الكتابة قائلة : « لما كنت تلميذة فى مدرسة الراهبات بعينطورة كنا نكلف بالقاء خطب تنشئها لنا المعلمات ونمثل احيانا بعض القصص الصغيرة فكان هذا يستفزنى الى التاليف والخطابة حتى اشتهرت فى المدرسة بجودة الالقاء فى الفرنسية والعربية وظفرت بالجائزة الاولى فى الانشاء فى هاتين اللغتين . ولما جئنا مصر وتسلم ابى تحرير المحروسة اخذت انشر فيها بعض المقالات وشرعت من ذلك الوقت فى درس اللغة وقام فى ذهنى ان اكون كاتبة » .

وعن الادب المصرى فى نفس الحديث قالت انه ينزع ثلاث وجهات « فهو ينزع نحو السياسة والقومية وهذه النزعة عامة لجميع الكتاب . فالكاتب يكتب عن اى موضوع ووراء ذهنه هم هو هم الوطن فهو اذا كتب عن العلم او الادب او الاجتماع التفت الى مصر ولم يقنع بالوصف التقريرى كما يجرى فى اوروبا مثلا . والنزعة الثانية هى الرغبة فى ثقافة عالمية وهذه النزعة محصورة فى فئة راقية من الكتاب . فالكاتب من هذه الفئة يرغب فى استيعاب الثقافة العالمية واحيانا لفرط رغبته فى هذه الثقافة يكاد يناقض نفسه عندما تنزع به النزعة الاولى الوطنية . اما النزعة الثالثة فهى الرغبة فى الاصلاح الاجتماعى وهى تشمل كل الكتاب تقريبا » ابريل ١٩٢٨ ص ٦٦٠ .

وقد كتبت مجلة الهلال العديد من الدراسات حول مى . من ابرزها ذلك المقال الذى كتبه سلامة موسى بعنوان « مى » عام ١٩٤٢ . اما ابرز هذه المقالات فهى تلك التى نشرها طاهر الطناحى عن « غراميات مى » فى سلسلة متتابعة من المقالات بداها فى العدد الصادر فى اول يناير ١٩٦٢ . تحدث فيها عن رسائلها المتبادلة مع ادباء مثل عباس العقاد واحمد لطفى السيد وجبران خليل جبران وانطون الجميل وامين الريحانى .

وقد اختتم عباس العقاد هذه المقالات بدراسة نشر فيها عام ١٩٦٣ رسائلها المتبادلة .. وبعد وفاة العقاد بثلاثة اشهر « يوليو ١٩٦٤ » نشر الطناحى مقالا مطولا عن « ربيع الحب » بين مى والعقاد ..

الرقابة

على شاشة الذاكرة

بقلم : مصطفى درويش



أول كتاب من تأليف رقيب أتيحت لىّ فرصة قراءته كان بقلم « چون تريڤيليان » رئيس الرقابة على الافلام فى انجلترا على مدى ثلاثة عشر عاما من عمر الزمن .

رأيت الكتاب فى واجهة إحدى مكتبات لندن .

وما كاد بصرى يلمح عنوانه « ماشاهده الرقيب » حتى وجدتنى أدخل المكتبة مندفعا ، وفى ثوان أخرج بشرائه سعيدا ، متطلعا إلى قراءة تجربة صاحبه مع الرقابة على الأفلام ، تلك التجربة الفريدة التى كانت حديث جميع المهتمين بصراع الفن السابع ضد الرقابة .



كان ذلك منذ اثنى عشر عاما (١٩٧٣) ، أى بعد خمسة أعوام من قيام وزير الثقافة باصدار قرار يلغى بموجبه ندبى لوظيفة مدير عام للرقابة على المصنفات الفنية ، فإذا بى مرة أخرى فى مجلس الدولة ، أعود إليه سالما ، معززا مكرما باحد عشر اتهاما .

أما ثانى كتاب أقرؤه بقلم رقيب ، فهو « مذكرات رقيبة سينما ـ ٣٠ عاما » لصاحبته السيدة / « اعتدال ممتاز »

« الشيطان يضحك »

كان ذلك قريبا من نهاية ١٩٨٥ ، حينما تفضلت المؤلفة بإهداء كتابها لصاحب هذه السطور رغم انه « قد رخص بمجموعة من الأفلام أثناء وبعد النكسة أثارت مجلس الشعب (تقصد مجلس الامة) ومجلس الوزراء والرأى العام ، واعتبرت من أشدّ الأفلام جرأة سواء فى موضوعاتها الجنسية المكشوفة أو فى حوارها الفاضح أو مناظرها الخارجة .

ولم يسبق فى تاريخ الرقابة أن اجازت افلاما مثلها ، حتى أننى عندما سألت مدير المصنفات الفنية فيما اذا كان يصرح بهذه الافلام والموضوعات من تلقاء نفسه أم أن هناك توجيها ما صدر إليه ، كان يطلق ضحكاته العالية مقهقها ويقول « لقد رخصت الرقابة بما لم ترخص به قبلى ، ولن ترخص به بعدى "

والى الآن لم أعرف حقيقة الدوافع التى دعته الى ذلك ، وانما كل ما تأكدت منه انى انا شخصيا التى تحملت نتائج عمله دون ما ذنب جنيت .

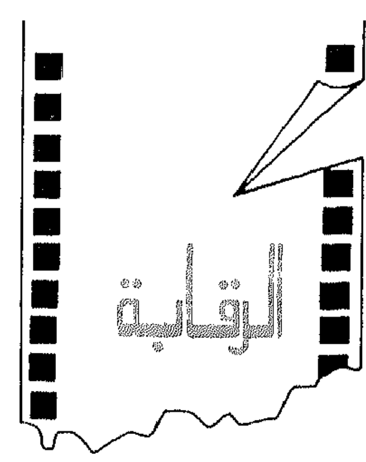
وألغى ندب مدير المصنفات الفنية وقمت بأعمال المدير العام دون صدور قرار .

وبقلم عاصف ، صدرت الىّ التعليمات باعادة مراقبة جميع الأفلام التى ترخص بها فى تلك الفترة ، ماعرض منها بالأسواق ، وما لم يعرض بعد ، على ان احذف منها كل ما يعتبر ماسا بالآداب العامة وخارجا على المجتمع والتقاليد .

يالها من مهمة شاقة وقاسية للغاية » (ص ١١٨ ، ١١٩) وعلى كل ـ ومع رجاء قبول الاعتذار عن هذا المقتطف الطويل ـ فما أن وصلت فى القراءة إلى نهاية مذكرات الرقيبة الفاضلة ذات الهمة ، حتى وجدتنى باحثا عن كتاب « ترفيليان » منكبا على قراءته مرة ثانية ، مستزيدا مما رأى وسمع أثناء قيامه بواجب الرقابة حماية للمجتمع الانجليزى من رجس الأفلام ، محاولا القياس بين ما انتهى إليه من صواب فيما يجوز ولا يجوز فى حكم الرقابة ، ماذا يحلّ للجمهور أن يبصره ، وماذا يحرّم عليه ، وبين ما انتهت إليه صاحبة المذكرات فى الربع الرابع من القرن العشرين .

● الميتة الصغرى ●

وهنا ، وقبل ان اعرض لما قد يكون بينهما



من خلف كبير وليد الفارق العظيم بين التقدم والتخلف واليقظة والنوم العميق ، أرى من المناسب أن أذكر أن كليهما كان متخوفا على قيم المجتمع من أن يجرفها تيار العنف والجنس ، مستهدفا حماية النظام العام وحسن الآداب .

ولكن هنالك تخوفا وتخوفا .

فهنالك التخوف من منطلق رؤية واحدة تجمع بين الفهم لمصالح الدولة العليا وبين الوعى بحركة التاريخ أى بتغيّر الأزمنة وحتمية ان نتغيّر معها ، وكل ذلك بدافع من همة وثابة طموح .

وهنالك كذلك تخوف من منطلق رؤى متعددة متعارضة للمجتمع المحيط بنا ، تؤدى بصاحبها إلى تهيّب مجازفة التجربة والوقوع فى الخطأ تشل حركته ، تنتهى به إلى الجمود .

ولعل الطراز الثانى من التخوف هو السائد عندنا ، ولعله دليل على انعدام الثقة بالنفس .

● شروق وغروب ●

واضرب مثلا على ذلك بفيلم اشترك صاحبا الكتابين فى الاشارة إليه وهو «شقة العازب» للمخرج « بيتر كولينسون » .

فماذا قالا .. وماذا فعلا ؟

قال أولهما « تريڤيليان » فيما قال : أن الرقيب الذى شاهد الفيلم تقدم إليه بتقرير ضمنه رأيه الذى يخلص فى أنه «عمل فنى يختلط فيه الواقع بالخيال ، تدور أحداثه فى شقة حيث يغتصب رجلان فتاة فى حجرة النوم ، وفى حضور حبيبها بحجرة مجاورة أسيرا مقيدا .

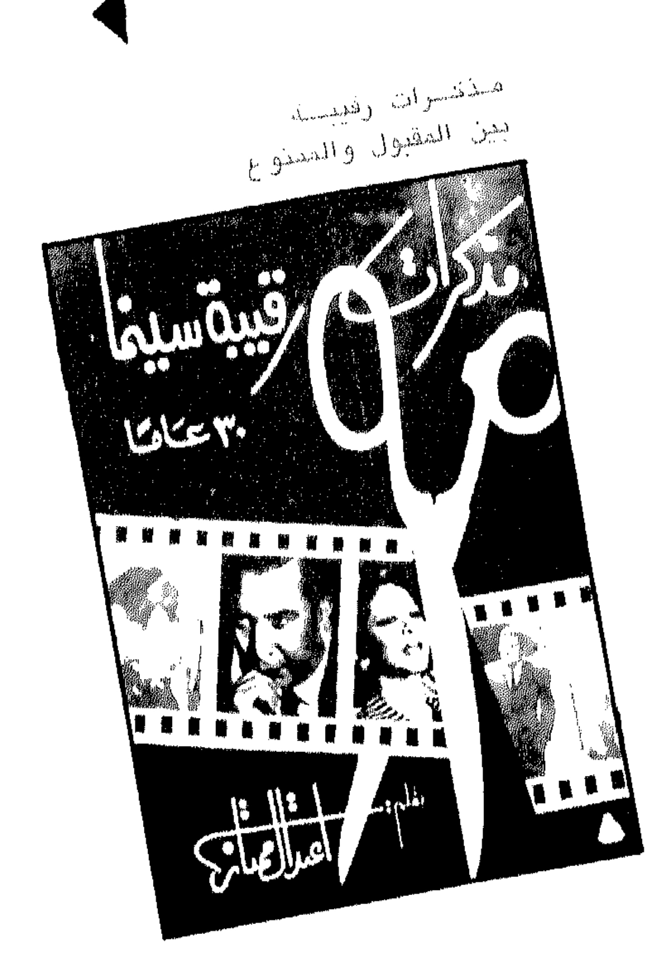
وإنه من المستحسن أن تزداد جرعة الخيال وذلك لأنه وقد انتهى الاغتصاب بالفتاة إلى الاستمتاع بالواقعة فمن المحتمل ، والحالة هذه أن يكون الفيلم باعثا على التقليد ، دافعا البعض الى الاعتقاد بأن الجنس بالاكراه قد يؤدى إلى هذه النتيجة .

حقا استطاع « كولينسون » أن ينجز الكثير ، ومع ذلك فالجانب الخيالى غاب عن عدد كبير من المشاهدين بل إننى اتذكر ان واحدا من النقاد كتب قائلا انه لم يتبين له ان الفيلم محض خيال إلا بعد ان قطع فى مشاهدته شوطا اقترب من نصفه على الاقل .

وعلى كل حال فأملى ألا يكون هذا الفيلم قد تسبب فى الاضرار بأحد (ص ١١٢)

كليوباترا .. الملكة التى عادت مع التطبيع ◄

مذكرات رقيبة بين المقبول والممنوع



وواضح من هذه السياحة القصيرة مع « شقة العازب » أن حماس الرقيب الانجليزى له ، كان فاترا ، فضلا عن انه كان متوجسا منه خيفة .

ورغم ذلك لم يشأ ان يعامل الجمهور معاملة طفل محجور عليه .

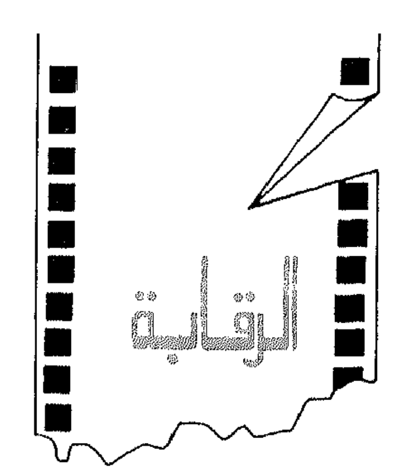
وثقة منه فى ملكة الفهم لدى هذا الجمهور صرح بعرض الفيلم كاملا غير منقوص .

فاذا ما انتقلنا الى سياحة صاحبة المذكرات مع ذات الفيلم ، لوجدنا انفسنا فى عالم كل ما فيه لمما يدخل فى باب العجب العجاب .

فالرقباء قد اجمعوا على أن « الفيلم على مستوى فنى جيد ، وطالبوا بعرضه على الكبار فقط مع حذف منظرين ، الا أن مدير الرقابة على المصنفات الفنية وقتها وافق على العرض دون حذف » .

فلما ألغى ندب هذا المدير ، اذا بصاحبة





المذكرات تعيد مراقبة الفيلم .. كيف ؟

« حذفت مشهدا كاملا اعتبرته خارجا على الآداب العامة وجرى العرف على حذف أمثاله بالرقابة » .

أما المشهد الثانى فقمت بحذف أغلبه ، ولم يبق منه الا ما يشير إلى الحدث نفسه دون تبذل أو خدش للحياء .

● الحمار والبردعة ●

وكان وزير التربية (دكتور حلمى مراد) يقوم بحملة واسعة ضد الافلام التى رخص بها مدير المصنفات من قبل ونزلت الاسواق .

واتصل بى تليفونيا وزير الثقافة وسألنى عما فعلت بالفيلم ، وكان سبق له ان شاهده فى عرض خاص وذكرّنى انه رأى منظرا مخلا ، فقصصت عليه ما فعلته به ، وانتهى الامر مع الوزير واقتنع بقولى .

وبعد قليل اتصل بى وكيل الوزارة تليفونيا ايضا ثم جاء مكتبى وأفهمنى بان وزير التربية غاضب ويشكو من أن بالفيلم مناظر مخلّة ، ولا بدّ من حذفها ، ولم أقتنع بما سمعت لأنى أنا التى قمت بنفسى بعملية الحذف والمونتاچ ، وحاولت الدفاع عن كيان الفيلم دون جدوى وسحبته من دار العرض مغلوبة على أمرى ، وشعرت وكأننى مخلب قط ، وأنا اقوم بما لا ارضى عنه ، ولن اغفره لنفسى ابدا ، (ص ١٢٠ ، ١٢١)

والآن وبعد الاعتذار عن الاضطرار إلى اقتطاف هذا الفاصل الطويل ، اعود مرة اخرى الى موقف صاحبى الكتابين من النظام العام وحسن الآداب .

● التوحد والتفرق ●

الامر اللافت للنظر فيما سجله « تريفيليان » ، وهو يستعيد ذكريات ما كان من أمره فى دنيا الرقابة .

أنه لم يحاول ، ولو بكلمة واحدة عابرة ، أن يفصح عن ضيق بأى وجه من أوجه نظام الحكم فى انجلترا ، ان يصدر أحكاما سليمة أو غير سليمة على السياسات التى تحكمت فى صياغة أحداث تاريخ بلده وتياراته .

ولا غرابة فى هذا فهو بحكم وظيفته كرقيب ، كان لزاما عليه أن يكون متلائما مع الدولة ومصالحها العليا ، متجانسا مع خطها السياسى العام ، أى باختصار متوحدا مع نظامها العام ، ساهرا على حمايته .

ولكن صاحبة المذكرات انتهجت ، وهى تروى حكايتها على مدى ثلاثين عاما مع الرقابة قضى معظمها على ارض وطن يرفرف عليه علم الجمهورية العربية المتحدة ، يتصارع ابناؤه صراع حياة او موت مع عدو صهيونى لايرحم ، انتهجت نهجا مخالفا .

● مصر .. اولا ●

فلقد أثرت الكلام ، عبرت عن ضيقها بالجمهورية العربية المتحدة قائلة بل قل باكية ان فترة تلك الجمهورية « كانت من أقسى فترات حياتى العملية وأشدها مرارة لانه كان لزاما علينا كرقباء شطب اسم مصر الحبيب من كل المصنفات الفنية المختلفة السابق اجازتها واللاحقة .

كيف يمكن ان يكون هذا ؟ وكيف يلغى من الوجود هذا اللفظ الحبيب وبأيدينا واختيارنا كنت اترك مكتبى وأنزل إلى الطابق الذى يليه

وأدخل حجرة الحذف وأغلق بابها على وقد أظلمت الحجرة تماما .. وأمسك بالفيلم وعلى ضوء الجهاز الخافت أحدد المكان وأمسك بمقص الرقيب وقد سالت دموعى .. وأبكى ماشاء الله لى ان أفعل .. واستبعد الجزء الذى يحمل الاسم الحبيب مصر .. واشعر وكأنى طعنت كل ابنائى واهلى وعشيرتى ..» (٣٠١)

ثم افصحت عن فرحتها بالسلام مع اسرائيل صائحة « وتركت الرقابة . وكانت المبادرة التاريخية الشجاعة فى احلال السلام بين البلدين المتحاربين وتوقعت ان اليوم الذى سيشاهد فيه جمهور الشرق الأوسط هذا الفيلم (تقصد كليو باطرة) لن يكون بعيدا » (ص٩٩)

ومرة ثالثة فليغفر لى القارىء هذا الانجراف فى الاقتطاف .

وختاما فبعد أن انتهى « تريفيليان » من استعادة الذكريات حتى عام اعتزاله العمل الرقابى ، رأى ان يضيف فصلا هادئا يتحدث فيه بلسان المفكر الاجتماعى عن مستقبل الرقابة فى بلده .

وهو فى هذا الفصل يقول :

« لا أظن أن الرقابة على الفيلم متعين الغاؤها ولكنى أظن أنه قد يكون من اللازم المبادرة الى تعديلها .

وفى ظنى أن ثمة ضرورة تستوجب حماية الأطفال والصغار على الدوام ، وان فى ذلك ارضاء للضمير الاجتماعى العام .

ولكن فى ظنى كذلك ان الاوان قد آن كى نعامل الراشدين كراشدين : فنطلق لهم الحرية فى مشاهدة الفيلم من عدمه .

هنالك بعض أفلام قد تلحق الاذى ببعض الناس ولكن هذه المخاطرة ليست من الجسامة بحيث تبرر استمرار الحدّ من حرية الراشدين .

وهنالك أفلام تمنع بمقولة أنها تؤذى شعور البعض .

لا أعتقد أن ذلك له أهمية لأن البعض الذى قد يتعرض شعوره للايذاء ، عليه هو أن يمتنع عن الذهاب إلى السينما . فهنالك معلومات متوفرة دوما عن طبيعة الأفلام الجارى عرضها » (ص ٢٢٩)

◉ اغنية البجعة ◉

ثم يختتم الفصل ومعه الكتاب بتغريدة « أحببت الافلام طول حياتى ، وأمل ان تواصل صناعة السينما إمدادنا بمستوى راق من الترفيه لسنوات كثيرة قادمة .

اعتقد ان المزيد من الحرية سيفيد صناعة الفيلم والجمهور معا ، وسيكفل أن يتحول ذلك من مجرد حلم إلى واقع » (ص ٢٣١) .

والعجيب حقا ان كل هذا ليس له ادنى تأثير على صاحبة المذكرات ، فالرقابة عندها خالدة تتحدى الزمان ، والرقيب او الرقيبة خزّان من الحكمة يحمى المجتمع من الطوفان .

ومن المحزن والمؤسف انها لاتفرق بين الصغار والكبار ، فلا احد راشد ، ولا احد من حقه ان يرى بلا وصاية رقيب .

◉ اسطوانه مشروخة ◉

وأعجب مافى الامر انها على وعى بالشلل الذى اصاب فن السينما من جراء تشدد الرقابة ، وتدرك بوضوح كيف ان مقص الرقيب يشوه الابداع ويعطله ، ومع ذلك فانها لم تحاول معالجة القضية من منطلق انتقاد مبدأ الرقابة واقتراح الحلول التى تحدّ من غلو المقص .

وانما كتبت تقول لابدّ ان تبقى الرقابة كاملة على الراشدين .

ومن هنا الاحساس بعد الانتهاء من قراءة المذكرات ـ بالاحباط احساس من رأى فيلما قديما مكررا ، او من سمع اسطوانة مستهلكة ومشروخة تعيد وتزيد .

الأدب العربى المكتوب بلغات أوربيـــة

المنفى.. المهجر.. الانتماء..

هاجر العرب الى العالم الجديد - مثلما هاجرت القوميات الاخرى - مع أوائل هذا القرن - وصنعوا لانفســـهم أدبهم الخاص بسماته وهويته على المستويين العالمى والمحلى . وها نحن على مقربة من نهاية القرن العشرين نرى كيف ابتعد الاحفاد عن وطنهم الاصلى وذابوا مع القوميات الاخرى داخل ثقافة جديدة عرفت بالامريكانية . واذا كان هذا هو حال أهل المهجر وادبائه فى العالم الجديد فان ادب مهجر اخر بدأ يولد مع حالات الهجرة العربية المكثفة الى جنوب اوروبا. وخاصة القادمين من شمال افريقيا . وبدا ان هذا الادب الجديد يتسم بسمات جديدة . ليس فقط بالنسبة لابنائه . بل بالنسبة لابناء الوطن الذى رحل المهاجرون اليه .

ونبدأ بالحديث عن السمات العامة لهذا الادب الجديد . فحسبما جاء فى كتاب «المسلمين فى فرنسا» - الذى قدمته آنى كريجيه كرينكى عام ١٩٨٥ - أن الجالية الاسلامية تزداد عددا وتأثيرا فى فرنسا وبعض البلاد الاوربية مثل المانيا وايطاليا قادمة من شمال افريقيا وتركيا وباكستان. وان المسلمين قد بلغ تعدادهم فى فرنسا وحدها مليونين ونصف المليون نسمة . دفع هذا الامر السلطات الفرنسية - كما جاء فى جريدة الاهرام ٤ يناير ١٩٨٦ - الى أن تصبح اللغة العربية هى اللغة الثانية فى المدارس الفرنسية . أما كريجيه فقد ذكرت فى كتابها أن المناضلين الذين اشتركوا فى حرب الجزائر ضد فرنسا قد سعوا اليها وهم يعلنون « لقد كسبنا الحرب » ليعملوا ويقيموا بها . ويبدو ان القادمين من شمال افريقيا قد أرادوا أن يردوا الصاع لفرنسا فسعوا لاستعمارها مثلما استعمرتهم !

بدات حركة الهجرة مكثفة بعد أن رحلت القوات الفرنسية من الجزائر . ووصل عدد الجزائريين هناك الان الى ١.٨ مليون نسمة . والان وبعد أكثر من عشرين عاما ظهرت ثلاثة أجيال من المهـــاجرين . يعملون فى مختلف المهن . ويسعون للتجنس بالجنسية الفرنسية من جانب مع احتفاظهم بهويتهم من جانب اخر . لان حصولهم

بقلم : محمود قاسم

على الجنسية ليس نفيا جديدا بقدر ماهو سعى للحصول على الكثير من الحقوق التى يحصل عليها الفرنسى كالتصويت فى الانتخاب .

● أدب عربى منفى في لغة أجنبية ●

يقول أحد الشباب الذاهبين حديثا الى فرنسا : « نتلقى ثلاثة أنماط من التعليم . تعليم من آبائنا . وآخر من مدرسينا . وثالث من الحياة . وهذه الانماط تتضارب » . فهؤلاء الاطفال الذين رحلوا فى النصف الاول من الستينات قد بلغوا الان العشرين من العمر . وتقول كريبجيه أن العرب يعملون فى مهن عديدة لكن عيونهم على الفنون .. وقد جاءت هذه الفنون مختلفة .. فهى لا تدعوا الى الذوبان داخل المجتمع الجديد ولكن تنادى بالارتباط بالوطن الام من ناحية . او العودة اليه ثانية حتى لا تنقطع الروابط بين المرء ووطنه فى حالة طول الغياب .

هذه هى اذن السمة الاولى من سمات ادب المهجر الجديد . فالكاتب بن جولون يصرح فى كتابه « الكاتب الشعبى » ـ الذى نشرته دار سوى ١٩٨٣ ـ أنه منذ أن هاجر من المغرب فى أوائل السبعينات وهو لا ينقطع عن زيارة بلده . لدرجة أثارت حيرته . فهو لم يعد يعرف ماهو الوطن الاول . أو الثانى بالنسبة له . لانه دائم التنقل بين الوطنين .

أما السمة الثانية المترتبة على الاولى فان هم الكاتب لاينحصر فى الانبهار بهذا العالم الجديد الوافد اليه . رغم وعيه بالتباين بين العالمين . لكن المهجر قريب منه . واذا كان البعض يرى أنه منفى اختيارى . فان أدب المهجر يتحدث عن التباين الذى تراءى له فى هذا المجتمع الذى يعامله على أنه « عربى » أو مواطن من الهوية الثانية . فلا يسعى الى انكار هذه الكينونة . بل ويؤكدها ويسعى الى تطوير صورتها . ولذا فان أغلب الادب العربى المكتوب باللغة الفرنسية هو بالفعل أدب « عربى » مهاجر داخل لغة أوربية . وقد أقر بذلك المسئولون فى دار نشر « سوى » فى مقدمة رواية « نديمة » لكاتب ياسين . فأغلب الادب العربى المكتوب بالفرنسية ليس شاهدا على وضع



الأدب العربى

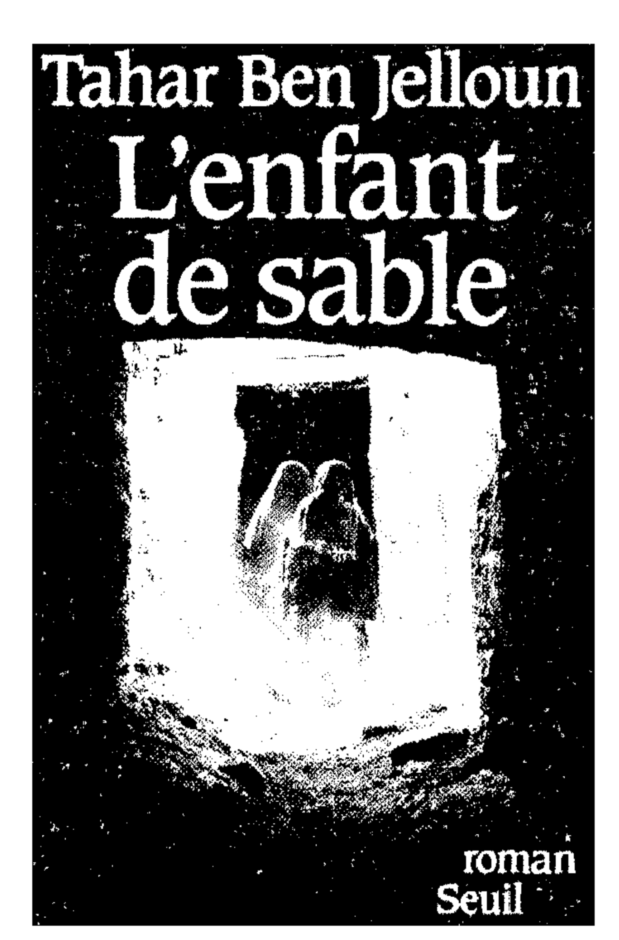
المهاجرين فى المهجر بقدر ماهو شاهد على وضع العرب فى بلادهم . كاتب ياسين يكتب عن الجزائر واندريه شديد والبير قصيرى عن مصر . وطاهر بن جولون عن المغرب .. فتحس أن أقدامهم تطأ فى أديم بلادهم اكثر من تفاعل رءوسهم مع قضايا هذه البلاد التى هاجروا عنهـا وعن لغتها .

والسؤال الآن : لماذا الهجرة الى لغة اخرى .. السبب الاول يرجع الى اللغة الاولى التى تعلمها واستطاع أن يعبر بها. فاندريه شديد وقصيرى وجورج شحاده قد تعلموا فى المدارس الفرنسية فى مصر وعاشوا داخل اسر تتكلم الفرنسية فى البيوت . اما بن جولون وياسين واسيا جبار فقد تعلموا الفرنسية حتى النخاع.. وهم يحفظون ويعون مفردات هذه اللغة اكثر من العربية وهـذه حقيقة لايمكن انكارها على طريقة ادفن رأس النعامة فى الرمل .. ورغم المحاولات التى تبذل لتعليم اللغة العربية الا أن هناك الكثير من الشباب يكتبون بلغات غير عربية فى شـمال افريقيا . وقد عبر كاتب ياسين عن خطورة هذا الموقف فى حديثه الذى ادلى به لجريدة لوموند فى ١٢ اغسطس ١٩٨٥ . حيث يرى ان هناك اسبابا عديدة للهجرة الى اللغة الفرنسية منها أن هذه اللغة أوسـع انتشارا ويقرؤها العرب انفسهم . فضلا عن سبب اخر فى منتهى الاهميـة وهو افتقاد الديمقراطية فى البلاد العربية . « اذا كتبت اليوم كتابا بالفرنسية وحاولت نشره فى الجزائر . فان الامل ضئيل فى هذا . لاننى اذا كتبت كتابا فيجب أن أمس نقاطا ساخنة . وحساسة وأضـع أصابعى فوق مواطن الجراح . واذا نشرته فى فرنسا فان هذا فشلا » ليس لى ولكن للجزائر . ونجد انفسنا نطرق — من جديد — باب فرنسا . وكأننا لم نتقدم . واذا استمر الحـال هكذا . فعلى أن أستمر فى ممارسته .

● الكاميرا .. تتكلم عربى ●

والسمة الثالثة ان هذا اللون من الادب ليس منفيا بنفس المفهوم الذى يعبر عنه كتاب العصر الذين هاجروا من بلادهم الى عالم جديد .. خاصة اليهود الذين رحلوا عن الاتحاد السوفييتى وبولندا لاسباب سياسية وعنصرية . ووجدوا انفسهم يكتبون بلغات انجليزية وفرنسية مثـل حالات بيرسى كوسينسـكى وسولجنتسين ونابوكوف وبيللو . فالمنفى يختلف هنا . هو مهجر الى بلد قريب . والرابطة قوية بين المهاجر ووطنه .. وهو على اتصال دائم بها .. وتنظـر الحكومات العربية — خاصة فى شمال افريقيا — الى المهاجرين بعين الارتياح خاصة وهى تراهم يحققون انجازات طيبة فى مجالات عديدة خاصـة فى مجالى الادب والسينما . لقد أصبحوا فى أماكن مرموقة فى الصحف والتليفزيون وشركات الانتاج السـينمائى .. وتبث الجزائر مثلا اذاعة خاصة لابنائها المهاجرين كى يستمعوا منها الى القرآن الكـريم والسنة النبوية وبعض التعاليم الدينية التى يجب أن يحافظ المسلم عليهـا فى غربته وحثهم على اتباع تعاليم دينهـم وشرقيتهم . ولذا فان العربى ما ان يعود الى داره — الفرنسية — حتى يحس انه فى بيئة شرقية . لانه افترشه على طرازه العربى . الجدران والاثاث . اللغـة عربية احيانا . ولذا فان الحنين أقل حدة من أدب اخر منفى .. أو مهاجر ويظهر التقارب بين هذه الحيوات الثلاث التى يتعلمها العربى هنا .. ومن هنا يكتسب الادب سمته الثالثة .

وقد رأى الفنانون العرب — كسمة رابعة — فى المهجر ان الفنون الجماهيرية اكثر أولوية من الادب المكتوب . واذا وجد الادب نفسه أمام مشكلة اللغة الملحة



غلاف رواية « طفل الرمل »
لطاهـــر بـــن جولـــون

عليه خاصة فيما يتعلق بالنشر . فان السينما تختلف . يمكن أن يقدم الفيلم باللغة العربية . بل وباللهجة المحلية . ثم تتم الترجمة الى اللغة التى يتم تصدير الفيلم اليها . وقد شهدت السينما المهاجرة اهتماما كبيرا لان الاشخاص الذين يتكلمون فى الفيلم يفعلون ذلك بنفس الطريقة التى يمارسها الاباء . وتجسد البهجة متنفسا . وقد وعى المثقف العربي المهاجر الى غير لغته هذه الحقيقة بعد المناداة بالتعريب خاصة تعريب الادب .

واذا اخترنا أن نتناول ماقالته آسيا جبار فلانها اعتقدت – كما كتبت لالا خفاجة فى مجلة أوراق – : « ان بامكانها ان تصبح كاتبة عربية « أى أن نترك الكتابة بالفرنسية » واجهت مشكلات كبيرة فى التكيف . وكان عليها أن تمضى فترة طويلة فى التجارب الصعبة » .

« فجأة اكتشفت ان الكتابة بالكاميرا قد تكون الاكثر تأثيرا . فالامية المتفشية تجعل الاعمال المكتوبة قصرا على مجموعة محدودة ، هذا فضلا عن الاقبال العربي على المطالعة محدود بشكل عام . السينما هى البديل . البديل الرائع » .

والاعمال السينمائية التى قدمت تنادي فى غالبها بالعودة الى الوطن او الارتباط به مثل « ظل الارض » للطيب الوحيشي . و « الارض والدم » لمولود فرعون . ثم الفيلم الذى يصوره الان الاخضر حامينا تحت عنوان « الصورة الاخيرة » . أما المسرح فهو ناطق باللغة العربية حينا وباللغة الفرنسية أحيانا أخرى . وسمي هذا النوع من الفن بـ «سينما المهاجرين» أو « مسرح المهاجرين » . وهناك حالات استثناء فى هذه الامور . فقد نشر مهدى شرف روايته « الشاي فى حريم أرشي أحمد » عام ١٩٨٣ ثم قام بنفسه – بعد عام ونصف – باخراجها بالفرنسية للسينما ويتناول فيها أوضاع المهاجرين العرب فى جنوب فرنسا . وغير عنوانها الى « أرشميدس » بدلا من أرشي أحمد ، كى تكون أقرب الى مسامع الجمهور الاوربى .. ويسعدنا أن نقتطف لتعبير المؤلف عن شخصيته الرئيسية فيقول : « أب لابوين من المهاجرين تتنازعه ثقافتان وتاريخان ولغتان . فلا يجد مناصا من أن يخترع جذوره ويبتكر صلاته » .

ويسعى الكاتب المهاجر الى أن يوسع دائرة انتشاره . ويخاطبهم على قدر مفاهيمهم . وأذواقهم . وحول هذه النقطة تحدثت آنى كريجيه ان التلاميذ العرب يسعون الى تغيير أسمائهم العربية الى أسماء أخرى أوربية . وان هذه الظاهرة بدات تتضح فى الاونة الاخيرة . لان المراهقين يشعرون انهم فى حاجة الى الجماعة . كي يذوبوا فى داخلها ويخشون ان يبدوا مختلفين عنها . أى أن حالة الذوبان التى حدثت للمهاجرين الى الامريكتين قد بدات تجد « بعض » افرادها لكن ليس الكل .

الأدب العربى

فى مقاله الشهير حول وضعية الثقافة العربية قال بن جولون فى جريدة لوموند ـ أول اغسطس ١٩٨٥ ـ : « اليوم . نلاحظ أن ابرز كتاب أمريكا اللاتينية هم من ذوى الاصول العربية ومن بينهم البرازيلى رضوان نصار وجميل المنصور حداد . وكارلوس نجار وخوان خوسيه صابر وجريجوريو منصورو .. » اذن هل هم عرب فى المهجر . ام انهم امريكيون يحملون أسماء عربية تم تحريفها مثلما حرفت هويتهم الى الهوية اللاتينية ؟..

اما السمة الخامسة . فان هؤلاء الادباء يكتبون كل الوان الكتابة .. مثلما يحدث فى كل الدول العربية . كأن تجد الواحد منهم يكتب الرواية والاقصوصة والمسرحية والقصيدة بالاضافة الى عمله الصحفى أو النقد السينمائى والادبى . نرى هذه السمة عند اندريه شديد وبن جولون وكاتب ياسين . اما قصيرى فانه لايكتب سوى الرواية .

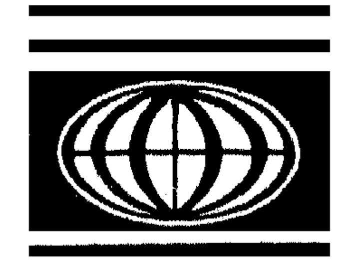


لم تعد توجد فواصل بين ألوان الكتابة طالما أنها تحقق انتشارا لاسم الكاتب ـ وهو يسعى دائما الى ذلك ـ ويشكل هؤلاء الادباء جذوة لاتنطفىء من العطاء فى هذه المجالات . فهم موجودون دائما فى كل المحافل الادبية والفنية خاصة تلك التى تنتمى الى القضايا العربية .

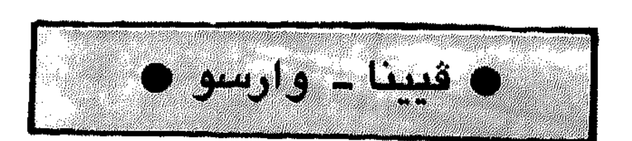
وتنحصر السمة السادسة فى الاجابة على سؤال مثل : هل يعد هذا الادب عبئا على اللغات المكتوب بها أم اضافة لها ؟.
لقد خصصت الحكومة الفرنسية فى عام ١٩٧٧ مبلغ عشرة الاف فرنك لكل مهاجر يعود الى بلده . ففرنسا تسعى اذن الى التخلص من « بعض » المهاجرين وليس كلهم . لانها استفادت من هذه العمالة على كافة المستويات مثلما قال عبد الله بو حميدى فى مجلة رسالة اليونسكو ـ العدد ٢٩٢ ـ : « ان ماقدمه المهاجرون الى الثقافة العربية لم يكن يستهان به فى خاتمة المطاف . فبفضل رحلاتهم المتعددة بين شاطىء البحر المتوسط شمالا وجنوبا أصبحوا يشكلون رابطة عضوية بين فرنسا والمغرب العربى ويسهمون بذلك فى التقاء الثقافتين » .

هذه الثقافة الفرنسية ـ الجديدة اصبحت أكثر وعيا بتعدد مقومات هويتها. وعرفت تلك الهوية على حقيقتها ووقفت على مصادر ثرائها . واذا تصفحنا صفحات الكتب فى المجلات والصحف الفرنسية . لراينا الى اى حد تزخر بكتب العرب المهاجرين ومدى تنوع وجدية ونشاط هؤلاء الكتاب والفنانين . فهم لا يتوقفون عند ستاتيكية ثابتة . بل يتحركون . ولا تتوقف المطابع عن تصدير كتاباتهم . فهو ـ باعتراف النقاد ـ ليس أدبا هامشيا بالمرة . بل انه ادب جاد واع لمشاكله وعالمه يفرض نفسه على مجتمع متحضر يتذوق الفن جيدا ولا يمكن أن يغفر لكاتب اقل موهبة ..

هذه هى بعض السمات العامة للادب العربى المهاجر داخل لغات اخرى .. وفى مقالات قادمة سوف تتناول أبرز هؤلاء الكتاب فى مقالات منفصلة .



العالم فى سطور



ليم : أحسن كاتب فى أوروبا

يتوجه الكاتب البولندى ستانيسلاف ليم مع مطلع شهر مارس الى فيينا لحضور حفل التكريم الخاص به بمناسبة حصوله على جائزة أحسن كاتب أوروبى التى منحتها له وزارة التعليم والفنون والرياضة بالنمسا •

يعد ليم أحد أبرز أدباء الخيال العلمى • ليس فى أوروبا الشرقية وحدها بل فى العالم أجمع • وقد قدم لادب النوع مجموعة من الروايات الهامة مثل « قاهرو الفضاء » ١٩٥١ التى تدور حول بعثة استكشافية الى كوكب الزهرة مخدرة من عواقب الحرب الذرية أما روايته « سوبرمان » ١٩٥٥ فتدور حول عالم اسطورى للانسان الآلى تصنع فيه الآليات البالغة الذكاء آلات اخرى • وفى هذه الرواية يقدم ليم للآلات البشرية كمخلوقات من الدرجة الاولى • أما الادميون فهم مخلوقات متردية متلصصة •

وفى رواية « ايدن » نتحدث عن مغامرات اقرب الى عالم روبنسون كروزو فى الكون الخارجى • فهناك عالم طوبوى يحكمه ديكتاتور مجهول قاسى الطباع تتم فى عهده الاعدامات الجماعية •

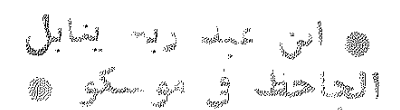
وعن تأثره باسطورة سيزيف صاغ ليم روايته « سولاريس » أشهر أعماله على الاطلاق والتى اخرجها للسينما عام ١٩٧١ المخرج الروسى المعروف تاركوفسكى • وفى هذه الراوية يتناول الكاتب حكاية الدكتور كريس عالم النفس الذى يرحل الى احدى المحطات الفضائية كى يقوم بعلاج بعض الحالات المرضية • وهناك يشاهد بعض ضحايا التطور العلمى والتقنى • يسمع أحد المرضى يردد : « لقد عذبنا الفضاء • نحن نصعد اليه دوما ثم ننزل بدون جدوى ولذا فان كريس يرفض تكملة مهمته العلمية التى سافر من أجلها الى الفضاء الخارجى فيقرر العودة الى الارض • وقد اقتنع ان العلم يحمل فى طياته شرورا بنفس القدر الذى يحمل به خبرات • ويردد : « لقد فشلنا فى الفضاء • ونحن نحتاج الى مرآة لنعرف أنفسنا » •

الجائزة التى منحت لستانيسلاف ليم سبق أن منحت فى الاعوام السابقة لادباء معروفين مثل فردريك درينمات ودرويس ليسنج والايطالى فولفيو توميتسا •



العالم في سطور

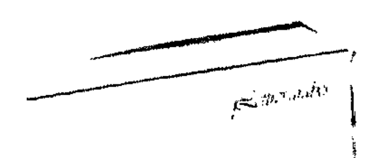


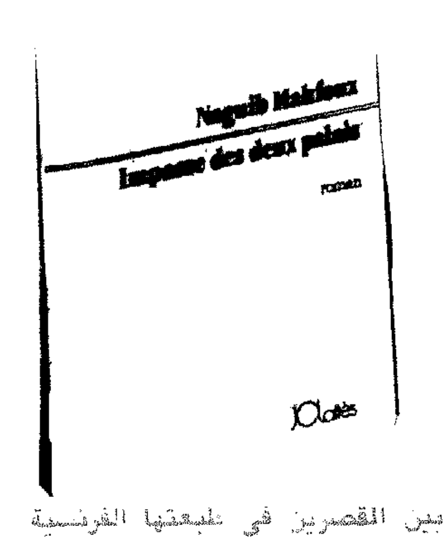


في اواخر ديسمبر ١٩٨٥ شـهدت موسكو حدثا ثقافيا هاما ـ على حد تعبير وسائل الاعلام السوفييتية ـ وهو صدور طبعة جديدة باللغة الروسية من بخلاء الجاحظ وصدور الطبعة الاولى من العقد الفريد لابن عبد ربه ٠

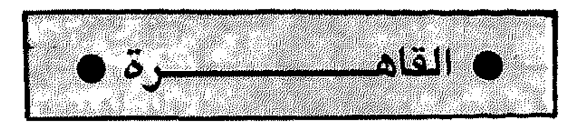
يقــول المستشرق بارانوف مترجم البخلاء ان الكاتب مكسيم جوركي قد طالب في العشرينات بترجمة مؤلفـات رواد الادب العالمي الى اللغة الروسية فاختار البخلاء لسببين : أن الجاحظ كان أغزر رجـــال عصره علما وانه ارسى اسس الأدب النثرى عند العرب٠ فمؤلفاته مادة غنية لاستيعاب حياة ومعيشة سكان المدن الكبرى في عصره ويرسم المؤلف شـخوصه من الطبيعة ويكشف عن عيوبهم أمام الملأ للتنديد بهم والسخرية منهم ٠ فيبدى في ذلك مقدرة وتمكنا لسبر نفسية البخـلاء وميولهم وفلسفتهم في الحياة ٠

أما المستشرق سفيرفار المتخصص في أدب العرب خلال العصر العباسي والذى قدم عدة ابحـــاث عن تلك الحقبة عن « الأدب الاندلسى » و « بحث في الثقافة العربية ـ الاسلامية » و « ابو العـلاء المعرى » ٠٠ فقد ترجم « العقد الفريد » عن النسخة التى طبعت في القاهرة عام ١٩١٣ ٠ ويرى المستشرق الباحث أن الكاتب قد اختار بالفعل لالي الكلام الفريد ونظمها على نسق نظام صـــارم حيث يرى ان كل شخص متعلم يجب ان يلم باسس الادب والتاريخ والشـــعر والاخلاق وأن يعــرف كيف يتصرف بكياسة في المجتمع ٠





بين القصرين في طبعتها الفرنسية



● اورويل ٠٠ وتولستوى
٠٠ من مصر ●

قد لا تبدو حـركة ترجمة الأدب العربي المعاصر الى اللغات الاخرى مهمة الا بدرجة تفاعل هذا الأدب ـ بعد ترجمته ـ مع القارىء الوافد اليه هذا الأدب ٠ ومع حركة النقد الأدبى الذى يعتبر المرآة في أى مجتمع يتعامل مع الفكر الراقى ٠

والروايات التى صدرت فى العام الماضى من اللغة العربية الى اللغات الحية وقد وجدت قارئها وناقدها من خلال منافذ عديدة • فبعض هذا الأدب المترجم قد قبع فى ركن النسيان فكأنه لم يخرج من داره حتى الآن • ولكن آدابا أخرى استطاعت أن تومض وأن تجد قسطا طيبا للغاية من الاهتمام لدى القارىء والناقد معا • مثلما أطلقت الصحافة الأدبية الفرنسية لقب « أوروبل المصرى » على الكاتب الروائى جمال الغيطانى •

لكن كيف قابلت أوربا روايات الكاتب نجيب محفوظ •• لقد وجدت أكثر اعماله طريقها الى القارىء العالمى • وبدأ يعاملها كشوامخ الفكر العالمى ويهمنا هنا أن نقتطف بعضا مما كتب عن رواية « بين القصرين » التى تتداول الآن بين أيدى القارىء الاوربى •

فجريدة لوموند تكتب : أن « بين القصرين » تنتمى الى عالم لا يصنعه سوى بلزاك وتولستوى » • أما جريدة لوفيجاروا فانها تقول : « انه مسرح الواقع فى كل بساطته وتعقيده » • وتتحدث جريدة « بلجيكا الحرة » أن هذا الكتاب « يقرأ كأنك تشرب نبيذ بلاده المستخرج من فاكهته وأرضه • وينساب متدفقا » • وتقول جريدة « ليبراسيون » أن « محفوظ قد أدخل الواقع بشكل رومانسى فى الأدب العربى » •

وتتحدث لونوفيل أوبسر فاتور قائلة: « محفوظ كاتب انطباعى وسوف تعرف ذلك فى كثير من الروايات التى تقرؤها كأنك تشاهد لوحة فنية » •

• طوكيو •

• هوية فنون بلاد الشمس المشرقة •

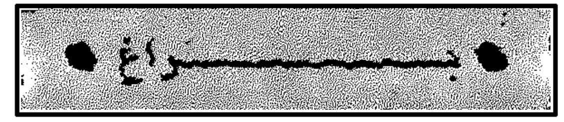
أقيم احدث معرض عن الفن التشكيلى فى اليابان خلال الاسبوع الاول من ديسمبر الماضى تحت « العالم فى عيون اليابانيين » حول رحلة الفنان اليابانى الى أوكار الفن فى العالم خلال قرن من الزمان تضمن المعرض مجموعة من ابرز لوحات الفنانين اليابانيين مثل لوحة « الليل فى باريس » لناكا نيشى المرسومة عام ١٩٢٦ • « أرصفة السين » لشيكانو سوك اوكا المرسومة عام ١٩٢٧ • وقد بدا الى حد كبير مدى تأثر الفنان اليابانى بالاتجاهات الاوربية • فى الفن التشكيلى كما تأثر أوكا بالفنان روسو • ووضع أوتريللو بصماته على لوحات تونشى باندو ، وبدا مدى شغف الفنان اليابانى المعاصر بمظاهر الحياة الاوربية والميادين التى يغرق فيها الفنان تسكره خمرة اللون وروائح الجواش •

هناك سؤال طرحه العالم فى سطور من قبل حول هوية الفكر اليابانى المعاصر • يؤكد هذا المعرض الرؤية اليابانية الخاصة التى افتقدتها فنون التعبير القادمة من بلاد الشمس أخيرا فأصبح اليابان الذى يصدر للعالم تقنياته يستورد منه فنونه •

أرصفة نهر السين للفنان توشيو







● شاعر .. نعم .. سياسي .. لا ●



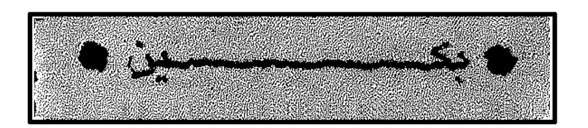
ياروسلاف سيفيرت

ياروسلاف سيفيرت هو اول اسم كبير تنقل وكالات الانباء خبر وفاته مع مطلع عام ١٩٨٦ .. سيفيرت الذى كان حديث الناس منذ نيف من الشهور عندما حصل عام ١٩٨٤ .. على جائزة نوبل فى الادب .. كثرت الاقاويل حول الشاعر العجوز (٨٥ عاما) دالبعض يرى انه قد منح الجائزة لانه مجرد منشق على الشمولية ، ويرى البعض الآخر ان شعره قد وصل الى الطبقات الكادحة التى اهداها دواوينه اكثر من مرة .

إتسم شعر سيفيرت بقدرته على التعبير المتدفق العفوى الذى امتزج بتلقائية السرياليين .. ولذا رفض ان تكون قصائده « ملتزمة » استطاع فيها ان ينتقد سياسة بلاده .. من اهم دواوينه « تفاحة صدرك » ١٩٣٣ .. « ربيع مع الله » ١٩٣٧ .. تولى عام ١٩٦٨ .. رئاسة اتحاد الكتاب التشكيين .. وهاجم دخول القوات السوفيتية الى براغ فى نفس العام فمنعت اعماله من النشر حتى أواخر السبعينات الى ان سمحت السلطات باعادة نشرها مرة اخرى .. وفى تلك الآونة بدا العالم يقرا اشعاره مترجمة لاول مرة .. يقول فى حديثه الذى نشرته مجلة تايم فى ١٧ ديسمبر ١٩٨٤ .

« ليس من السهل فهم شعرى رغم انه يبدو سهلا .. ففى بداياتى كشاعر كان يتضمن بعض الايقاعات وتقرؤه كانك تنشده .. اما الآن ، فهو شعر حر التفعيلة .. وان كان لايخلو من ايقاعية ».

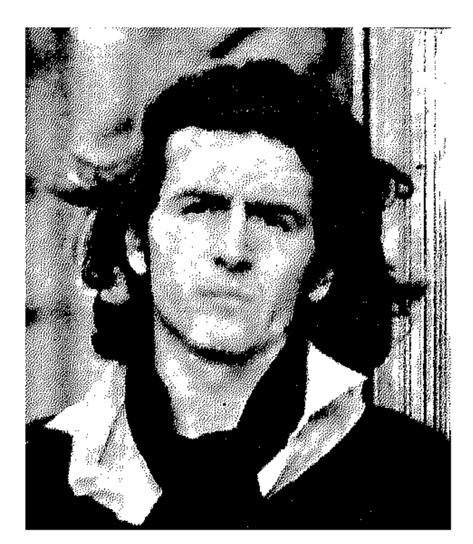
خيب سيفيرت آمال الكثيرين حين رد على سؤال حول ممارسته للسياسة قائلا : انا شاعر فحسب .. أما السياسة فهى شىء هامشى بالنسبة لى .. لانها تفسد الاحاسيس الجياشة .. ورغم هذا فانا صاحب مواقف محددة ».



● الشرق ومنظور الفلسفة الجديدة ●

« هل مات زمن الفلسفة ؟ وهل الفلسفة اختراع حضارى أوروبى فقط ؟

أثير هذا التساؤل من جديد مع رحيل الفيلسوف فرانسوا شاتليه فى الاسبوع الاخير من عام ١٩٨٥ ..



برنار هنرى ليفى

وبصــدور كتاب « مشاعر اســيا » لبرنار هنرى ليفى رحــل شاتليه فى الستين من عمره أما ليفى فلم يتجاوز الخامسة والثلاثين. ومع ذلك يعتبرونه فيلسوف العصر • أو بالاحرى فيلسوف العالم الغربى •

تم اعداد ليفى ليكون نموذجا جديدا من ســارتر الذى رحل منذ خمس سنوات • وهناك أوجه شبه عديدة بين الاثنين خاصة فى خصالهما •• فكلاهما من اصل يهودى مزج الفلسفة بالسياسة بالابداع الأدبى بالدين • وأعــلن كل منهما موقفه المتشدد من النظم الشمولية ومن هنا جاءت شــهرة ليفى فى كل العالم الغربى •

ليفى هو احد أبرز الفلاسفة الجدد الذين أسسوا « الفلســفة الجديدة » والتى اعلن سارتر عن ايمانه بها قبل رحيله بقليل • وأتت الشــهرة ليفى وهو فى الخامسة والعشرين من عمره مع كتــابه « من الهمجية الى الوجــه الانســانى » عام ١٩٧٧ ضد النظــم الشمولية ثم توالت كتبه التى من أهمها « وصــية الله » • وفى عام ١٩٨٤ فاز بجائزة مدســيس عن روايته الاولى « الشيطان فى الرأس »

من أبرز أنشطة ليفى فى السنوات الاخيرة قيامه برحلات الى بعض دول العالم الثالث ليعلن فيها تمرده على الاوضاع السياسية والاجتماعية هناك وعاد ليقدم كتابا عنها • كما سافر الى أفغانستان فى نفس العام •

وقد رحل عام ١٩٨١ الى كمبوديا

أحدث رحلة قام بها ليفى فى العام الماضى كانت الى بكين باحثا عن وجه أسيا الحقيقى كما يقول بوجهة نظر رجل فخور بهويته • بذاكرته وثقافته متجهــا نحو الشرق • وبهذه الهوية الكاذبة التى أنكرها يوما فى مقدمة كتابه « وصية الله » غاص فى المدن الصينية • مدينة تلو اخرى • ثم رحل الى طوكيــو وسيول • وبمنظــوره الايديولوجى تحــدث عن الشرق فهو لا يعترف بأديانه • وينظر الى عقائده بسخرية مفلسفة كمــا يســعى الى الهجوم على النظم الشــمولية ـ من جديد ـ من خلال حملته على ماوتسى تونج • ويطرح أسئلته على غرار : « هــل ســعى الى تغييــــر طبيعة الانسان الصينى فعلا ؟ » •• يقول أن هونج كونج ـ التى قد عرفت لغة الارقام فتفوقت وأصبحت المدينة الحقيقية الوحيدة فى الصين • وانه بينما فقدت تايوان أحاسيسها وأصبحت كونج يرضع من ثــدى أمه فإن هونج كونج ـ التى ستعود الى الصين بعــد أعوام ـ تعانى الآن من أنفاســها التى تختنق شيئا فشيئا •

وكتــاب ليفى ضخم يلزم أن يقوم أصحاب الشــأن بالرد عليه • ليس فقط فيما يتعلق بأيديولوجية الشــرق وفكره • بل وبعقــائده التى يقلل من قدسيتها القادمين من الغرب •

كتاب
الشهر



مصر
عبد الناصر والسادات
الاقتصاد السياسى فى عهدين

تأليف: جون ووتربرى
عرض: د. أمين العيوطى

الكتاب الذى بين أيدينا اليوم يحاول أن يقدم كشف حساب عن ثلاثين سنة فى التجربة الناصرية والساداتية . والكاتب يستعرض فى الحالين الاختيارات المتاحة لصانعى القرار المصريين فى محاولتهم التوفيق بين الاصلاح وتوفير الأموال اللازمة فى ظل ضغوط المجتمعات المتقدمة صناعيا . وهو يرجع فشل التجربة فى الحالين الى فشل القطاع العام فى توفير الرأسمال اللازم للتنمية لكنه يقلل الى أبعد حد من دور الضغوط الخارجية التى كانت ومازالت تعمل على إفشال التجربة المصرية ورغم ذلك يظل الكتاب واحدا من الكتب التى تستحق منا أن نتابعها .

عندما تولى عبد الناصر السلطة كانت أهداف الثورة القضاء على الاستعمار والاقطاع والاحتكارات واقامة الديمقراطية والعدالة الاجتماعية وبناء جيش ، قوى كان تحقيق الأهداف الثلاثة الأولى كفيلا بتحقيق الأهداف الثلاثة الثانية . وكان تحقيق الأهداف العسكرية والسياسية يتطلب اقتصادا متنوعا يقوم على قطاع صناعة ثقيلة يؤدى بدوره الى مزيد من التصنيع والتحديث الزراعى وكان الهدف الأسمى من هذا كله استعادة القوة الوطنية المصرية والازدهار الاقتصادى .

وقد تحرك مجلس قيادة الثورة على عدة جبهات : برنامج الاصلاح الزراعى ، كهربة خزان أسوان ، بداية التفكير فى وضع السد العالى موضع التنفيذ ، وانشاء مصنع كيما للسماد ومجمع الحديد والصلب . وعن طريق اضفاء صفة الملكية العامة على هذه المشروعات وضع المجلس أساس القطاع العام . وحاول النظام تشجيع الاستثمارات الجديدة خارج نطاق الزراعة بثلاث وسائل : تحطيم الملاك الزراعيين الذين كانوا يديرون السياسة فيما بين ١٩١٩ ـ ١٩٥٢ ، اعادة توزيع الملكية الزراعية ، تشجيع الرأسمالية الزراعية على استخدام ما يحصلون عليه من بيع أراضيهم والسندات التى تلقوها تعويضا عن الأراضى المصادرة فى قطاع الصناعة ، غير أن الاجراء الثانى أوجد فجوة بين القطاع الخاص والعام ، خاصة بعد حل البرلمان والأحزاب ووقف العمل بالدستور ، والحقيقة أن عبد الناصر كان عميق الشك فى القطاع الخاص البرجوازى مما جعل الدولة تأخذ على عاتقها ادارة الاقتصاد والعمل بمبدأ الملكية العامة . كان على صانعى القرار ان يواجهوا مشكلة تمويل المشروعات الصناعية من خلال عدة

وسائل من بينها مصادرة الممتلكات الخاصة وتحويلها الى ملكية عامة ، وفى عام ١٩٥٥ صادرت الدولة مصانع تكرير سكر أحمد عبود وكسرت بهذا احتكاره لهذا القطاع .

غير أن الوثبة الكبرى فى هذا جاءت نتيجة الحظر الذى فرضته الدول الغربية على تصدير السلاح للدول العربية وسحب أمريكا لعرضها فى بناء السد العالى . هكذا جاء قرار عبد الناصر بتأميم قناة السويس وأدى فشل حملة السويس لا الى تأميم القناة فقط ، ولكن الى الاستيلاء على كل البنوك التجارية وشركات التأمين والوكالات التجارية التابعة لانجلترا وفرنسا ووجدت الدولة نفسها مالكة لمؤسسات ضخمة وأصبحت قوة اقتصادية خاصة بعد سيطرتها على القطاع المصرفى . وبين ١٩٥٧ ـ ١٩٦٠ كان لدى الحكومة من البنوك والجمعيات التعاونية الزراعية ما يمكنها من البدء فى التخطيط للاستثمار القومى . وفى ١٩٦٠ أمم بنك مصر وشركاته والبنك الأهلى بهدف كسر أى أحتكارات قادرة على استخدام ثقلها لتعويق سياسة التنمية العامة كذلك أمم البنك البلجيكى بسبب أزمة الكونغو ، والبنوك الخاصة وشركات التأمين والشحن ومؤسسات الصناعات الأساسية والثقيلة ، وامتد التأميم ليشمل مصانع الأدوية والمؤسسات الانشائية الكبرى .

وهكذا أصبح فى يد الدولة كل الأعمال المصرفية وشركات التامين . وكل النقل الجوى ومعظم النقل البحرى وكل المنافع العامة فى مجالات المواصلات والاسكان ومتاجر وفنادق ودور سينما ومسارح وصحف ودور نشر وكل الأراضى المستصلحة والأسمدة والتقاوى والمبيدات الحشرية وكل شركات التعمير : والسد العالى وقناة السويس وكل الموانى الجوية والبحرية .

وفى عام ١٩٦١ ألغى عزيز صدقى وزير الصناعة المؤسسات العامة الثلاث القائمة وأحل محلها ٣٩ مؤسسة عامة تضم ٤٣٨ شركة مقسمة الى قطاعات يتبع كل قطاع منها احدى الوزارات كل حسب طبيعته . كذلك حدد لكل بنك دورا قطاعيا بحيث تخصص البنك الأهلى فى عمليات التجارة الخارجية ، وبنك مصر لتمويل التجارة الداخلية الزراعية وبنك الاسكندرية لتمويل الصناعات والحرف اليدوية وبنك القاهرة لتمويل قطاع الخدمات وقد خلق بهذا سلسلة من القطاعات المتوازية تحتكر تقريبا السيطرة على مجالاتها الانتاجية .

وفى عام ١٩٦٥ كان القطاع العام قد وصل الى أقصى مدى له ، وتطور الاقتصاد المصرى بمعدلات عالية ، وشهدت المرحلة ١٩٦٠ ـ ١٩٦٥ مرحلة ديناميكية شديدة فى إنشاء الصناعات المتوسطة والثقيلة وكان من الممكن أن يجنى النظام ثمرات هذا فى الخطة الخمسية الثانية ١٩٦٥ ـ ١٩٧٠ ، ولولا فشل المدخرات المحلية فى الوفاء باحتياجات المشروعات والاعتماد على

القروض الأجنبية وفشل الصادرات فى الحصول على النقد الأجنبى وحرب ١٩٦٧ وقد أدت كل هذه العوامل الى أزمة أقتصادية أساسية .

● القطاع العام فى أزمة ●

على الرغم من التوسع الصناعى ، وارتفاع الانتاج ، الا أنه كان أكثر ميلا فى نهاية الخطة الخمسية الاولى الى انتاج السلع الاستهلاكية من جلود وأثاث وملابس توفر الاحتياجات المحلية وتحقق الحد من الاستيراد . وعلى الرغم من مستوى أداء أطيب فى انتاج السلع المتوسطة إلا أن الكثير كان يعتمد على قدرة القطاع الصناعى على ايجاد أسواق لمنتجاته . فلم تحقق هذه السلع سوى ٦ ملايين جنيه وفرا من قيمة الواردات وفى ١٩٦٥ انتهى الأمر بمصر الى استيراد ماقيمته ٤١٣ مليون جنيه فى مقابل ٢٢٩ مليون جنيه فى ١٩٥٧ ، دون تحقيق موازنة فى ميزان المدفوعات كما كان من المتوقع فى نهاية الخطة .

كان من أهم أسباب هذه النتائج تزايد .. حجم العمالة فى مدة الخطة بمعدل ٢٢ ٪ فى قطاعات الزراعة والصناعة والخدمات . فقد أدى التزام الدولة بايجاد عمل لكل قادر بهدف الوصول الى اعادة توزيع الدخل الى فرض زيادة فى العمالة تشكل عبئا على الكفاءة الاقتصادية ، بما تمتصه من أجور ومكافآت دون أن تؤدى الى نمو الانتاج ، بل ان الانتاجية العمالية تدنت بعد ١٩٦٢ حتى فى قطاع النسيج .

وقد أدى هذا ، بالاضافة الى تدهور محصول القطن ، ودفع قيمة الممتلكات المؤممة لانجلترا (٢٥ مليونا) وتعويضات حملة أسهم قناة السويس (٢٧٫٥ مليونا) ودفع ١٥ مليونا للسودان لاعادة توطين النوبيين أدى كل هذا إلى أزمة فى ميزان المدفوعات فى ١٩٦٢ .

كان التصدير هو العامل الأول فى الأزمة فحتى بعد التغلب على فشل محصول القطن ، ظل ميزان المدفوعات يتدهور حتى الى ١٤٧ مليون جنيه فى ١٩٦٣ مما أدى الى نقص احتياطى النقد الأجنبى . وكانت النتيجة تخفيض قيمة الجنيه المصرى وتضاعف تكاليف الاستيراد دون أن يتحمل المستهلك أى زيادة نتيجة للدعم . ولم تؤد موازنة ١٩٦٢ الى حل المشكلة ، بل تفاقمت الأزمة فى ١٩٦٤ .

أدى العجز فى ميزان المدفوعات الى موجة تضخم زاد من حدتها قرار الولايات المتحدة وقف شحنات القمح ، مما أدى بمصر الى دفع مايستورد من الحبوب من احتياطى النقد الأجنبى وأدى نقص المواد الغذائية إلى زيادة أسعارها . فزادت قيمة القمح والدقيق المستورد عن قيمة الصادرات المصرية الى الأسواق الأوربية . وفى مواجهة احتياجاتها من الاستيراد عجزت مصر عن الوفاء بالتزاماتها المادية ازاء الدين التجارى الخارجى .

جاءت أزمة المدفوعات الجديدة فى وقت تم فيه وضع الخطة الخمسية الثانية . ولهذا لجأت مصر الى تقليص الاستيراد والآلات والمواد الخام . وأدى ذلك الى اغلاق عدة مصانع وكان الانكماش والتقشف هما الخياران الوحيدان ، وكان لابد أيضا من تقليص ◀

الاستهلاك ، وزيادة المدخرات والغاء المكافآت وفرض ضريبة دفاع على الدخل وارتفاع ضرائب الدمغة وجمارك السيارات وأجهزة التليفزيون وأسعار تذاكر السينما والمسرح واطارات السيارات والزيت .

كانت الأزمة ترجع فى حقيقتها الى عدم كفاءة القطاع العام الذى كان يطلب منه أن يبيع المنتجات بسعر التكلفة أو بخسارة ، وأن يستخدم عمالة لاعلاقة لها بحاجات الانتاج وأن يدر عائدا من النقد الاجنبى وأن يلبى الاحتياجات المحلية . كانت ترجع ايضا الى اهمال القطاع الزراعى وعدم تمكينه من أن يصبح أداة تنمية فى حد ذاته .

كذلك لم تكن الأرباح والخسائر تعنى كثيرا فى قياس نجاح الشركات والادارة ، وأصبحت المساومة على مصادر التمويل مهارة إدارية أكثر منها كفاءة فى مواجهة معايير الانتاج وعلاوة على ذلك لم يكن أى حافز يشجع على تقويم الأداء تقويما أمينا . وكان لابد من التغطية على كل أسباب الفشل باسم حماية سمعة الاشتراكية ومكانة مصر الدولية ولم يكن بإمكان مديرى القطاعات أن يضاعفوا دخولهم بطريقة قانونية . كان هذا ممكنا فقط من خلال الفساد : صفقات مع مقاولى القطاع الخاص ، التعامل فى السوق السوداء ، والرشاوى من المتعاملين الاجانب .

بعد ١٩٦٦ بدأ نموذج الاحتمالات القطاعية والتخطيط الشامل يتحلل وفى ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ تخلى نظام السادات عن هذا النموذج تماما وأصبحت أهداف المرحلة الجديدة شبيهة بأهداف الفترة ما بين ١٩٥٧ ـ ١٩٦٠ إذ كان المفروض أن يقوم المدراء بعمليات تتسم بالكفاءة وأن يحققوا أموالا لا لأنفسهم ولكن لخزينة الدولة وللبنك الاستثمارى الوطنى . غير أن إمكانيات التوسع الشخصى تزايدت بشكل هائل مع بعث القطاع الخاص المحلى وفتح الأبواب للرأسمال الأجنبى . ومنذ ١٩٧٤ دخلت مصر رسميا مرحلة الانفتاح على العالم الخارجى .

● الانفتاح ●

أملت العوامل الاقتصادية الداخلية والسياسية الخارجية سياسة الباب المفتوح وكان الهدف الأول من الانفتاح المزاوجة بين الرأسمال العربى والتكنولوجيا الاوربية . وكانت حرب ١٩٧٣ تهدف فى جانب منها الى وصل الجسور مع امريكا وإعداد مصر للانفتاح من خلال توفير حوافز مغرية للرأسمال العربى والأجنبى . من بين هذه الحوافز كان اصدار قانون ٤٣ لعام ١٩٧٤ الذى أعتبر أى مشروع جزءا من القطاع الخاص حتى لو كان الشريك المصرى قطاعا عاما كان هذا يعنى أن كل المشروعات الاستثمارية الخاصة لاتخضع لقوانين العمل ولا لشروط تمثيل العمال فى مجلس الادارات أو المشاركة فى الارباح ، ولا لشروط الحد الأقصى للمرتبات الذى يطبق على القطاع العام .

وحدد القانون أولويات الاستثمار




جمال عبد الناصر



أنور السادات

بمشروعات تتمتع باكتفاء ذاتي من النقد الأجنبي وتؤدى الى زيادة الصادرات ومشروعات تأتى بتكنولوجيا وأساليب ادارية متقدمة ، وصناعات تغنى عن الاستيراد . كما مكن القانون المستثمرين الأجانب من تقاضى نسب أرباح عالية كذلك وضع القانون حدا لاحتكار القطاع العام للبنوك نص على منح المشروعات المقامة داخل مصر إعفاءات ضريبية لمدة خمس إلى ست سنوات من بداية العمل ، واستيراد المواد الخام والأجهزة دون ضرائب ومنح المستثمرين العرب حق امتلاك عقارات .

غير أن هذا القانون لم يجتذب المستثمرين الأجانب فأعيد النظر فيه فى ١٩٧٧ بحيث أصبحت تحويلات الرأسمال والأرباح بأعلى معدل سائد ، ولم يشترط أن تكون المشروعات متعلقة بالصناعات الأساسية كما سمح بشراء العملة الأجنبية بالعملة المحلية ، وبيع المنتجات المحلية بالنقد الأجنبى وشراء العملة الصعبة فى السوق الموازى .

وما أن صدر القانون حتى بدأ الهجوم على القطاع العام والاشتراكية والمطالبة بالغاء كل القوانين المعوقة للقطاع الخاص وتصفية القطاع العام ، ومراجعة قوانين العمل للتخلص من العمالة الزائدة . وفى يوليو ١٩٧٧ صدر قانون بتصفية شركات القطاع العام الضعيفة وطرح الشركات الباقية للمساهمة وبات من المتوقع تصفية القطاع العام خاصة بعد أن تآكل بسبب ضغط المستثمرين والبنوك وخبراء صندوق النقد الدولى والبنك الدولى ، ولأن بعض عناصر القطاع العام وجدوا فرصة للازدهار من خلال المشروعات المشتركة ولظهور فئة جديدة من رجال الأعمال تتطلع الى قطاع الاستثمار الأجنبى كمصدر لأعمالها وعقودها وعمولاتها وهكذا طرحت فكرة توسيع رأسمال القطاع العام من خلال اشتراك حملة اسهم من المواطنين على أن تعتبر الأعمال التجارية جزءا من القطاع الخاص ، وفى خلال طرح عقارات القطاع العام الثابتة مقابل الدخول فى مشروعات مشتركة كما حدث فى حالات شركة نصر للسيارات واطارات نصر وشركة ايديال .



ومع صدور القانون تحسن مناخ الاستثمار فى مجالات السياحة والاستثمار والبنوك والسماح لبعض البنوك الأجنبية بالتعامل فى حسابات بالعملة المحلية ولبعضها الآخر بالتعامل فى النقد الأجنبى والاستثمار المحلى ومنح القروض. كما ألغى تخصص بنوك القطاع العام لتستفيد من امتيازات البنوك الخاصة.

غير أن قطاع البنوك الأجنبية اجتذب ودائع النقد الأجنبى من المصريين ثم قام بتحويلها إلى الخارج ولم يستغل الا ٤٢ ٪ من جملة الودائع والارصدة فى مشروعات محلية، رغم أنه كان يمتلك أكثر من ٨٠ ٪ من جملة أرصدة النقد الأجنبى، وحتى. بنوك القطاع العام اتجهت الى تحويل أرصدتها من النقد الاجنبى الى الخارج. ولكن مع انخفاض قيمة الجنيه المصرى فى مواجهة الدولار بدأ الاتجاه الى الحد من حرية البنوك فى تحويل النقد الاجنبى الى الخارج.

كذلك أدى سوء استغلال الانفتاح الى طرد الانتاج المحلى فى مجال استيراد السلع الكمالية وطالب الشركاء الأجانب فى المشروعات المشتركة (الجرارات والاطارات) باحتكار السوق المحلى، أو باستيراد الأجهزة اللازمة للصناعة اجهزة ضغط الغاز والهواء فى الثلاجات والمكيفات من الخارج كما أن الشركات الاجنبية قامت بتقدير ممتلكات الشريك المصرى تقديرا مجحفا، وظهرت أيضا مشروعات تتهدد تراث مصر التاريخى (هضبة الهرم) أو مشروعات لاتقوم على تقدير دقيق لمتطلبات السوق المصرية أو لامكانيات التصدير (مشروع مجمع الاميرية) ومع كميات النقد الهائلة المتداولة ظهرت فئات من المستغلين والمنتفعين اضرت بالاقتصاد المصرى.

● منافسة القطاع الخاص ●

كانت الثورة المصرية قد تركت قطاعا من صغار الصناع والتجار اعتبرته رأسمالية غير مستغلة. وقد تمكن هذا القطاع من المحافظة على انتاجه الصناعى وسيطرته على تجارة الجملة والقطاعى وفى ظل الانفتاح اتجهت السياسة الى تشجيع نشاط هذا القطاع الخاص، ومد حوافز الاستثمار الممنوحة للأجانب لتشمله وتوفير النقد الأجنبى له، وتشجيعه على التعامل فى التصدير والاستيراد.

كانت شركات الاستيراد المستفيدة الأساسية فى المرحلة الاقتصادية الجديدة. فمن خلال استغلال الحاجات الاستهلاكية واستقطاب مدخرات النقد الأجنبى للمصريين العاملين فى الخارج كون المستوردون ثروات هائلة من استيراد السلع المعمرة والملابس والأطعمة الفاخرة والكماليات رغم أن ما يستوردونه ينافس صناعات القطاع الخاص.

كذلك يعتمد رجال الصناعة الجدد على مدخرات المصريين فى الخارج لمواجهة متطلبات الاستيراد من النقد الأجنبى وبالاضافة الى هؤلاء هناك قطاع الانشاءات التقليدية حيث تعتمد

مجموعات المقاولات والتعمير على حجم العمل الضخم الذى تقوم به الدولة كما أفاد آخرون من التحكم فى السوق السوداء لتوفير احتياجات الطبقة الوسطى ومن بين . هذه القطاعات يبدو أن رجال الصناعة الجدد الذين تقوم البنوك بتمويلهم هم الوحيدون الذين يقومون بنشاطهم بعيدا عن الدولة وما لم يتوفر لهم اكتفاء ذاتيا من النقد الأجنبى فسوف ينتهى بهم الأمر الى العمل مع المستثمرين الأجانب .

● عدالة التوزيع والطبقات ●

على الرغم من أن برجوازية الدولة قد ضعفت ماتزال القوة السائدة فى الاقتصاد . وفى حين أن مصالح القطاع الخاص البرجوازى الصغير تتزايد قوة إلا انها ما تزال ضعيفة ومنقسمة بين الانفتاحيين وبين قطاع صناعى يكافح ضد ما يتعرض له من تهديد الواردات الاستهلاكية والامتيازات الممنوحة لمشروعات القانون ٤٣ ومن ناحية أخرى لم تكتسب الطبقات المطحونة أى قوة بل أصبحت مطحونة أكثر بفعل التضخم أما الحرفيون والعمال المهرة فإنهم يستفيدون أكثر من الانفتاح ومن اتجاه الطبقة الوسطى الى الاستهلاك . وأكثر الفئات شعورا بالضغط هى فئة موظفى الدولة الذين يعيشون على مرتبات ثابتة وإعانات الغلاء والاشتغال بوظيفتين .

مجمل هذا كله انه لاتوجد فى مصر طبقة سائدة جديدة . وربما أدى ادماج الانفتاحيين وأصحاب الصناعات الخاصة والمزارعين التجاريين والمستفيدين السابقين من رأسمالية الدولة الى تشكيل مثل هذه الطبقة مما يؤدى الى أن تصبح الدولة تابعة لها . ولكن ربما يفشل الاستثمار الأجنبى فى أحداث أثر ملموس وربما ظلت أسواق أوروبا مغلقة دون مصر ، وربما شهد منتصف الثمانينات أزمات ميزان مدفوعات جديدة . وفى هذه الحالة سوف يؤدى هذا الى اعادة بعث قطاع الصناعة الوطنى وتأكيد التكامل على مستوى المنطقة وعودة الدفء الى العلاقات المصرية السوفيتية . وسوف يؤدى هذا الى تقليص دور برجوازية القطاع الخاص الوليدة . وسوف يظل القطاع العام القناة الأساسية للاستثمار والملك الأكبر للصناعات الاستراتيجية ، ولكن مع تشجيعه على الدخول فى مشروعات مشتركة مع القطاعات الخاصة الاجنبية والمحلية وسوف تستمر الطبقة الوسطى الزراعية فى السيطرة على الأسواق فى مجال الانتاج الزراعى والحيوانى وفتح مجالات تصدير الى اوربا .

● مصر والقوتان الاعظم ●

قامت تجربة مصر الاشتراكية وتجربتها الليبرالية على أساس الاعتماد على القوتين الأعظم ، ويميل أنصار تحليل اعتماد دولة على أخرى الى الأخذ بفكرة أنه ما أن تقوم دولة نامية بإحداث تغييرات أساسية فى استراتيجية التنمية فإن المصالح التى تضار من هذه التغييرات تحاول زعزعة النظام من خلال قطع القروض والمعونات عنها واغلاق الاسواق فى وجهها .

مصر
عبد الناصر والسادات

وقد قامت مصر بإحداث تغييرات سياسية أضرت بمصالح القوتين الأعظم ولكن ليس هناك ما يدل على أن أيا منها حاول زعزعة حكم الصفوة المصرية فعلى الرغم من قرارات ١٩٦١ الاشتراكية الا أن مبيعات القمح الأمريكية استمرت وخلال المرحلة الاشتراكية ظلت مصر تحصل على قروض من البنوك الغربية ، رغم حرب السويس وتجميد أرصدة مصر فى الخارج فى ١٩٥٦ ومنع شحنات القمح الأمريكية فى ١٩٦٦ . ولم ينتج عن طرد الخبراء السوفييت ، واتجاه مصر الى الغرب ، ووقف سداد دين مصر للاتحاد السوفييتى الى أى شىء سوى وقف شحنات قطع الغيار العسكرية . ولم تكن الولايات المتحدة هى التى وضعت حدا للتحول الاشتراكى فى مصر ، بل عدم كفاءة قطاع الدولة ، ولم يكن هناك ما يستطيع الاتحاد السوفييتى أن يفعله لوقف التحول بعيدا عن الاشتراكية ، وليست المؤسسات المتعددة الجنسيات مسئولة عن التحولات الاقتصادية الاساسية فى مصر منذ ١٩٥٦ .

وقد مرت مصر بتجربة تأسيس اعتمادها الخارجى بالتعاون مع الاتحاد السوفييتى وحتى ١٩٦٦ كانت الولايات المتحدة الأمريكية تسهم فى هذه العلاقة من خلال شحنات القمح ولكن منذ ١٩٦٧ ـ ١٩٧٢ كان اعتماد مصر على الاتحاد السوفييتى كاملا . ومنذ زيارة نيكسون لمصر فى ١٩٧٤ عادت مصر الى الغرب والى الدول العربية المصدرة للبترول لبعض الوقت . ولم يكن أى من دائنى مصر سعيدا بسياساتها وأدائها الاقتصادى على امتداد العشرين سنة الأخيرة . وفى حين أنه كانت هناك شروط للمعونات والمساعدات الا أنها لم تنقطع

ولعل اكثر أوجه اعتماد مصر على الخارج حدة هو قوة العمالة المهاجرة التى تبلغ أكثر من مليون عامل . وهذه مشكلة حساسة بمعنى مزدوج لأن مكاسبهم تساعد على دعم ميزان المدفوعات ، ولأن وجودهم فى الخارج يحرم قوة العمالة المحلية من أمهر عمالها . ولهذا فإن وجودهم فى الخارج عامل ذو حدين .

وعلى الرغم من مدخراتهم ، وعلى الرغم من عوائد مبيعات البترول والسياحة ، فإن اقتصاد مصر الآن يشبه الى حد بعيد ما كان عليه فى عام ١٩٦٧ . فقد أدى التضخم الى زيادة دخل الفرد ، ولكن تعداد السكان زاد عشرين مليون مولود جديد ، وربما استطاعت مصر أن تعيش الى أجل غير مسمى على المنح والمساعدات الخارجية بسبب أهميتها الجغرافية السياسية . لكن أموال الدعم ، وعدم كفاءة رأسمالية الدولة لايمكنها أن تخفى محدودية المصادر وزيادة السكان ، وهو ما يشكل أزمة حادة فى مجتمع فوق ما يطيق أكثر من غيره من المجتمعات على مر العصور .

والملاحظ بوجه عام أن الكتاب يركز على طول الخط على سلبيات التجربتين وخاصة سلبيات القطاع العام . ولعلنا لهذا السبب نحظى برد عليه من جانب أحد المتخصصين فى الاقتصاد السياسى .

دار ابن لقمان

وأحد أهم انتصارات مصر

كيف انتصر المصريون على أعتى ملوك أوربا ؟

تحقيق : عاطف مصطفى

●● في وسط مدينة المنصورة عروس الدلتا ، وبالقرب من نيل مصر العظيم يطل مبنى صغير ، يتكون من دورين في الدور الأول غرفتان صغيرتان ، تعلوهما غرفة شهدت أسر لويس التاسع ملك فرنسا ، ذلك الملك المغرور الذى استسلم في خضوع ، بعد معركة فارسكور فى ١٦ ابريل ١٢٥٠ لتكون نهاية واحد من أكبر ملوك أوربا الذين ظنوا أن مصر فريسة سهلة ، وحيث استهان الملك المغرور بالمقاتل المصرى الذى نسج خيوط مجد بلاده من دمه ، وأباد من جيش الغزاة ٣٠ ألف قتيل ، من بينهم الكونت دارتوا شقيق لويس التاسع ●●

وبيت ابن لقمان هو الأثر الوحيد الباقي ، والمشاهد الحى على هزيمة لويس التاسع ، حيث أسر لمدة شهر كامل إبتداء من ٧ أبريل حتى ٧ مايو ١٢٥٠ م ، بعد أن انتهت المفاوضات بأن يدفع لويس التاسع فدية قدرها ١٨٠ ألف دينار بيزنطى من الذهب ، والجلاء فورا عن دمياط دون قيد أو شرط ، وقبل الملك الحزين هذه الشروط لادراكه التام بعدم جدوى المقاومة . وحملته سفينته الحربية عائدا إلى بلادد وفى رأسه صورة الشعب المصرى المنتصر ، وصورة مصرع شقيقه الكونت « دارتوا » الذى قتل فى شوارع مدينة المنصورة ، فى ملحمة بطولية ، كانت أروع ملاحم الفداء الشعبية لأبناء مصر ، وصورة دار ابن لقمان التى سجن فيها مع شقيقه « الكونت دانجو » و « الكونت بواتييه » والعديد من نبلاء فرنسا .

حينما تصل إلى مسامعنا قصص الفداء والبطولة ، التى أبلاها أبناء مصر لصد تلك الحملة والحملات السابقة ، نتصور أن رمز الانتصار يحظى باهتمام المسئولين . ولكن



للأسف الشديد ، حينما شاهدت دار ابن لقمان احسست بالأسى والحسرة ، فلم يتبق من تلك الدار التى أنشئت قبل مجيء حملة لويس التاسع بثلاثين عاما على مساحة ٢٠٠٠ متر ، سوى أربعين مترا مربعا فقط . ومن حولها العمارات الشاهقة ، وحتى السلم الذى يوصل إلى الغرفة التى أسر فيها الطاغية ، والذى كان يعد اشهر ملوك العالم منذ ٧٣٦ عاما - بدأت بعض أجزاء منه تنهار كذلك تشققت جدران الغرفة العليا ، بسبب أعمال البناء لعمارة هائلة ، هى خير دليل على عصر الانفتاح والرخاء ! ..

دون أن ندرى اهمية الأثر التاريخى الهام ، أو نصدر قرارا جريئا بالمحافظة عليه ، ليظل الشاهد على عظمة شعب مصر ، واستعداده الدائم للبذل والفداء .. ولاشك أن هناك تعقيدات إدارية وروتينية تحول دون الحفاظ على دار ابن لقمان ، وتحتاج إلى قرار من محافظ الدقهلية اللواء سعد الشربينى بحماية دار ابن لقمان ، دون الانتظار إلى عون مصلحة الآثار أو غيرها ! .

وما يجعلنا نتفاءل هو إقامة الجزء الحديث ضمن متحف المنصورة القومى الذى يضم دار القاضى فخر الدين ابراهيم ابن لقمان كاتب ديوان الانشاء فى عهد الصالح نجم الدين .. وهو عبارة عن قاعة تضم عددا من اللوحات والتماثيل استوحاها كبار فنانينا التشكيليين ، وترمز إلى كفاح الشعب المصرى ، ووقوف أبناء مصر فى وجه الطغاة ، وقد قام الفنانون بعمل التماثيل ورسم اللوحات ، بعد أن استلهموا تاريخ مصر العظيم وألموا بكل دقائق المعارك ، وبطولات ابناء المنصورة ومن ابرز مايضمه المبنى الأثرى الغرفة التى أسر فيها لويس التاسع ويوجد بداخلها « كنبة » أثرية كان يستعملها كسرير ، كرسى من الخشب الأرابيسك دواليب فى الحائط كان يضع فيها لويس التاسع ملابسه ، بالاضافة إلى مكتبة خشبية من الأرابيسك ، و « مسرجة » علقت بسقف الغرفة ، كانت توقد بالزيت الذى كان يستخدم فى ذلك الوقت .

وسقف الغرفة مغطى بالخشب ، وبها شباك من الأرابيسك مازال يحتفظ بالطراز القديم ، فلا توجد به مفصلات ثابتة . ويوجد فى صحن دار ابن لقمان « زير » من الرخام « الألبستر » مكون من ثلاث قطع . اما الباب الخارجى للدار فمازال كما هو لم يتغير .

والصالة الحديثة بمتحف المنصورة القومى انشئت عام ١٩٦٠ وافتتحها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، ثم أصابها التصدع بسبب عمارة شاهقة بنيت ملاصقة لها ، وأغلقت لفترة إلى أن تم تجديدها مؤخرا ، وتضم مجموعة من الأسلحة التى تخلفت عن المعركة ، من بينها سيوف فرنسية نقش الصليب على مقبضها ، وكذلك بعض الأسلحة التى استخدمها الجيش المصرى والشعب مثل القوس والرمح والخناجر الشعبية .

كما تضم الصالة تماثيل لتوران شاد وشجرة الدر ، ولويس التاسع بالاضافة إلى لوحات للمقاومة الشعبية وللمعارك الشهيرة التى ابلى فيها الجيش المصرى بلاء حسنا فى معارك البحر الصغير وفارسكور والمنصورة .

وقد تبارى الفنانون فى إبراز الهزيمة من خلال تماثيلهم ولوحاتهم فقد صنع الفنان الراحل عبد الحميد حمدى تمثالا من الجبس للويس التاسع جسد فيه كيف واجه الأسر .. هزيلا .. ضعيفا يفكر فى

المصير الذى ساقه إلى مصر فى المعركة التى نتج عنها قتل واصابة ٥٠ الفا من جنود الغزو الصليبى على مدى ١٢ شهرا من أول يونيو ١٢٤٩ إلى ٨ مايو ١٢٥٠ يوم خروجهم من دمياط . وفى هذه الفترة انجبت مارجريت زوجة لويس التاسع ابنا بمدينة دمياط سموه « طفل الأحزان » !

كما توجد لوحة للفنان الحسين فوزى يجسد فيها أسر لويس بدار ابن لقمان ، كما تعبر إحدى اللوحات عن الأسى والحزن يكسوان وجهه . ونراه كما لو أنه بلغ عامه السبعين بسبب الهزيمة الثقيلة التى لقيها على أيدى المصريين .

لقد قبض على لويس بعد هزيمته وهو يحاول الفرار ببيت الخولى عبد الله وكبل بالحديد ، وظل سائرا على قدميه لمدة يوم كامل ، حتى وصل إلى دار ابن لقمان ، ولم ينس الفنان التشكيلى أن يصور هذا المشهد .. لويس مكبلا بالحديد وجموع الشعب من حوله ، يحملون أعلام النصر ، والفرحة تغمرهم ، لما حققوه بفضل بسالتهم وشجاعتهم التى ابلوها فى الحرب ضد الصليبيين .

وكانت معركة البحر الصغير ، من المعارك التى شهدت بسالة المحارب المصرى وشجاعته ، فى هذه المعركة انقض الجيش المصرى على مؤخرة قوات لويس ، بعد أن نسى أن يتلف القنطرة التى بناها على البحر الصغير لعبور قواته .

لويس التاسع يدخل المنصورة مكبلا بالأغلال

وكان الجيش المصرى بالمرصاد ، وقد امتلأ البحر بجثث القوات الفرنسية ، وأبرز سبل المقاومة التى شهدتها تلك المعركة أن الفرد العادى كان يضع بطيخة على رأسه ويعوم فى مياه البحر الصغير ويتصور الجنود الفرنسيون أنها بطيخة تعوم فى مياه النهر ، وينزل جندى للحصول عليها ، فيفاجأ بمن يقتله ، أو يسحبه ناحية القوات المصرية ليوضع فى الأسر ، وماأكثر الصور الفدائية التى قام بها شعب المنصورة ودمياط فى المعارك التى انتهت بالانتصار .

● حملات صليبية وهزائم ! ●

إن استلهام التاريخ والعودة إلى الماضى ، يجعلنا فى شوق دائما لكى نعرف الحقيقة التى لم تغب عن أحد ، وهى أن كفاح العالم العربى ضد الغزو الصليبى اخذ سمة واضحة فى عهد صلاح الدين الأيوبى ، إذ رأى ببصره الثاقب أنه لا سبيل إلى القضاء على الاستعمار الصليبى ، إلا بتوحيد قوى العرب وتكتلهم ضد القوى المستعمرة ، واجتماع كلمتهم على الجهاد فى سبيل الوطن وتطهيره من الصليبيين ، فضم مصر وشمال افريقيا وبلاد النوبة واليمن وبلاد الشام وشمال العراق فى دولة واحدة تحت إمرته ، وبهذه الدولة الموحدة واجه الصليبيين وطوق إمارتهم ، وحصد قواتهم بالجيوش العربية موحدة القيادة ، من الشمال والشرق والجنوب ، فكان النصر له لكن ماهى الأسباب الحقيقية لفكرة الحروب الصليبية ؟ .

تذكر كتب التاريخ أن القرن الحادى عشر الميلادى قد شهد صراعا عنيفا بين أوربا والشرق الاسلامى . الهدف منه هو استعمار الشرق الأدنى ، وتعرف هذه الحملات فى التاريخ السياسى بالحروب الصليبية .



نسبة إلى الصليب الذى اتخذته أوربا شعارا لها فى هذه الحروب ، كما أرادت الكنيسة الغربية أن تبسط سيطرتها على الكنيسة الشرقية . وكانت الدعوة لهذه الحملات تقوم على أساس تخليص بيت المقدس من أيدى السلاجقة المسلمين .

ولكن المطامع الاستعمارية تغلبت على الطابع الدينى الذى اتسمت به هذه الحروب . وظهر الحقد الفرنسى والجشع بالنسبة للشرق العربى .

ففى عام ١٠٩٧ م نجحت الحملة الصليبية الأولى فى الاستيلاء على بيت المقدس وتأسيس إمارات صليبية فى الشام وشمال العراق . وتم ذلك فى ظل تفكك العرب . وحينما جاء صلاح الدين الأيوبى جمع شمل المسلمين وانتصر فى موقعة حطين عام ١١٨٧ م . وتوج انتصاره بدخول بيت المقدس مما أثار أوربا ، وجعلها تجهز حملات أخرى انتقامية بعد أن أدركت أن مصر أصبحت قاعدة الهجوم ضدهم ، وأنها رأس الحربة الموجهة ضد بقائهم فى هذه المنطقة .

وقد صدت الدقهلية حملة جان دى برين التى أتت لغزو مصر فى يونيه ١٢١٧ م بعد كفاح بطولى من المقاومة البطولية فى دمياط والمنصورة بقيادة الملك الكامل ، والذى أسس مدينة المنصورة ، وأطلق عليها هذا الاسم تيمنا بنصره على جحافل الصليبيين .

وبالرغم من الهزيمة الساحقة التى لحقت بحملة جان دى برين وبجيشه الذى زاد على ٧٠ ألف فارس و ٤٠ ألفا من المشاة ، جردت الحملة الصليبية المعروفة بالسابعة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا ، لتحقيق غرض الصليبيين فى القضاء على مصر ، ولتلقى نفس المصير الذى لاقته حملة جان دى برين .

وقد ظل لويس التاسع يستعد لهذه الحملة طوال ثلاث سنوات ووعد كل من يحمل الصليب بغفران ذنوبه . وأوفد البابا « انسنت » بناء على طلب الملك لويس مندوبا عنه للتبشير بالحملة فى فرنسا ، كما أرسل دعاة آخرين للطواف بباقى بلدان أوربا ، ولكن جهودهم لم تلق تأييدا كافيا ، ولذلك اتسمت هذه الحملة دون غيرها من الحملات السابقة بالطابع الفرنسى .

ولم تكن الفكرة من أجل الجهاد ، بل طمعا فى أن تتهيأ الفرصة لتكوين مستعمرات فى مصر وإحالتها إلى إقطاعيات وإمارات كما فعل أسلافهم فى الشام .

● صد الغزاة ●

كما استعد الصليبيون للغزو فاجأهم المصريون بما لم يتصوروه من استعداد وشجاعة منقطعة النظير ولقنوا الملك المغرور وجيشه درسا لم ينسوه وبرغم مرض الملك الصالح الا أنه أعطى أوامره فى ابريل ١٢٤٩ بالاستعداد فشحنت دمياط بالأسلحة ، واستعد الجنود ، كما أعطى أمرا بإعداد قطع الأسطول فى دار صناعة السفن فى الفسطاط وتزويده بالمقاتلين .

وفى ٤ يونيو ١٢٤٩ وصلت سفن الحملة الصليبية إلى دمياط ، وكانت الجيوش المصرية تقف على الشاطىء بكامل عدتها ، ويصف جوانفيل مؤرخ الحملة الفرنسية هذا المشهد قائلا : "وصل الملك أمام دمياط ووجدنا هناك كل جيوش السلطان تقف على الشاطىء كتائب تسر الناظرين ، ذلك أن أسلحة السلطان قد صنعت من ذهب ، فكانت الشمس تشرق على هذه الأسلحة فتزيدها بريقا ولمعانا ، وكانت جلبتهم التى يأتونها بصنوجهم وأبواقهم الشرقية تدخل

الرعب فى أفئدة السامعين" وفوجىء لويس وجنوده بالألوف المحتشدة من الجنود المصريين ، وقد فت ذلك فى عضد الجند الفرنسيين الذين قضوا حوالى ثمانية أشهر فى قبرص ، قبل مجيئهم إلى دمياط ، وكان لذلك أثره السيىء على نفسيتهم . ويذكر المقريزى فى نص الانذار الذى أرسله لويس التاسع إلى الملك الصالح "أما بعد فانه لم يخف عنك أنى امين الأمة العيسوية ، كما انى اقول إنك أمين الأمة المحمدية ، وانه غير خاف عنك أن اهل جزائر الأندلس يحملون إلينا الأموال والهدايا ، ونحن نسوقهم سوق البقر ونقتل منهم الرجال ونرمل النساء ونستأسر البنات والصبيان ونخلى منهم الديار ، وقد أبديت لك مافيه الكفاية وبذلت لك النصح إلى النهاية ، فلو حلفت لى بكل الأيمان ، ودخلت على القسوس والرهبان

لوحات انتصار شعب المنصورة داخل قاعة متحف المنصورة القومى





وحملت قدامى الشمع طاعة للصلبان . ماردنى ذلك عن الوصول اليك وقتالك فى أعز البقاع عليك ، فإن كانت البلاد لى فياهدية حصلت فى يدى ، وإن كانت البلاد لك والغلبة علىّ فيدك العليا ممتدة إلىّ وقد عرفتك وحذرتك من عساكر قد حضرت فى طاعتى تملأ السهل والجبل كعدد الحصى وهم مرسلون اليك بأسياف القضا" .

ويبدو من نص هذا الإنذار صلف المعتدى وإصراره على محاربة مصر بالذات لاستخلاص بيت المقدس واسترداد فلسطين وذلك عن طريق التخلص من مصر التى يعدها العقبة الكئود أمامه ، ويؤيد هذا الراى جوانفيل مؤرخ الحملة ، إذ ذكر أن الكونت « دارتوا » أخا الملك لويس أشار بالزحف على القاهرة دون غيرها من بلاد مصر ، وذلك على حد قوله "اذا أردت أن تقتل الحية فهشم رأسها أولا" .

لم يجزع الملك الصالح من انذار لويس ملك فرنسا ، ورد عليه بكتاب شديد اللهجة بخط القاضى بهاء الدين زهير بن محمد كاتب الانشاء وقد ذكر المقريزى نص هذا الرد "أما بعد فإنه وصل كتابك وأنت تهدد بكثرة جيوشك وعدد ابطالك ، فنحن أرباب السيوف وماقتل منا قرن إلا جددناه ، ولا بغى علينا باغ الا دمرناه ، فلو رأت عيناك أيها المغرور حد سيوفنا وعظم حروبنا وفتحنا منكم الحصون والسواحل وإخرابنا منكم ديار الأواخر والأوائل ، لكان لك أن تعض على أناملك بالندم ، ولابد أن تزل بك القدم فى يوم أوله لنا وآخره عليك ، فهنالك تسىء بك الظنون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ، فإذا قرأت كتابى هذا فكن فيه على أول سورة النحل : "أتى أمر الله فلا تستعجلوه" وكن على آخر سورة ص .. "ولتعلمن نبأه بعد حين" ونعود إلى قول الله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين : "كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين" وإلى قول الحكماء : إن الباغى له مصرع وبغيك يصرعك وإلى البلاء يقلبك والسلام ..."

● صراع من أجل النصر ●

نزل الصليبيون إلى البر الغربى لدمياط فى ٥ يونيه ١٢٤٩ م ، وقاومت المدينة ببسالة ، ورغم حدوث أخطاء أدت إلى انسحاب القوات المدافعة عن المدينة ، وكعادة الفرنسيين حولوا مسجد المدينة إلى كنيسة أطلقوا عليها اسم كنيسة مريم العذراء .

ويذكر جوانفيل أن الأهالى عمدوا إلى إشعال النيران فى سوق المدينة قبل تركها حتى لا ينتفع الصليبيون بما فيه من غالى المتاع والذخيرة ، كما يذكر العينى فى كتاب عقد الجمان "إن الحراشفة كانوا يقدمون إلى معسكر الفرنجة ، يتخطفون منهم فلقوا منهم أذى عظيما" .

كما أخذ السلطان فى تشجيع حركة المقاومة بمنح قطعة ذهبية عن كل رأس من رءوس الأعداء ، وتوالت الهجمات الليلية على معسكر الفرنسيين .

وكان لسقوط دمياط صدى فى دمشق إذ شن أهلها الحرب على الفرنج وقاتلوهم واستولوا على مدينة صيدا بعد حصار وقتال ، وذلك ردا وانتقاما على سقوط مدينة دمياط فى أيدى الفرنسيين ، غضب الملك الصالح لما حدث فى دمياط وبرغم مرضه نزل بقصره فى المنصورة ليكون بالقرب من المعارك ، وليرفع من عزيمة رجاله ويحضهم على الجهاد .

توقفت أعمال الصليبيين الحربية لمدة ستة أشهر وأتاح ذلك للمصريين تقوية



الأثر المتبقى من دار ابن لقمان يحتاج لرعاية واهتمام بعيدا عن التعقيدات والروتين !

مواقعهم الدفاعية ، كما أتاح الفرصة لأفراد المقاومة الشعبية لتصيد الفرنسيين حتى دب الرعب فى نفوسهم وبالرغم من سقوط مدينة دمياط ، لم يتوقف استعداد المصريين ، وأثناء الحملة توفى الملك الصالح فأخفت زوجته شجرة الدر النبأ حتى لا يفت ذلك فى عضد المقاتلين ، وسيرت أمور الحكم حتى وصل توران شاه فى ٢٤ فبراير ١٢٥٠ ليحقق نصرا كبيرا على لويس التاسع فى معركة فارسكور .

● معركة المنصورة ●

فى ٨ فبراير ١٢٥٠ اقتحم الكونت« دارتوا » شقيق الملك لويس التاسع بفرسانه أسوار مدينة المنصورة وانتشرت فى أزقتها المستقيمة والمسدودة بحثا عن الأسلاب ، وخرجت عليه قوات الفرسان المصرية من كمائنها خلف أسوار القصر الملكى بقيادة الظاهر بيبرس تبيد كل من أمامها من فرسان الصليبيين ، ومن خارج المنصورة التقت الفرقة الثانية من الناحية الأخرى ، وكانت مفاجأة للقوات الفرنسية أن خرج الشعب المنصورى ، الرجال والنساء والشبان يهاجمون فى ضراوة قوات العدو الهاربة فى الأزقة بالحجارة والطوب والأوانى النحاسية من فوق أسطح المنازل حتى افترشت الأرض بأجسادهم الممزقة ، وسقط الكونت « دارتوا » شقيق لويس التاسع قتيلا ومعه ١٨٠٠ فارس .

وفى ثلاثة أيام استطاع الملك المذعور لويس التاسع تنظيم صفوف جيشه فوضع على ميمنته شقيقه الكونت « دانجو » وعلى ميسرته شقيقه الثانى الكونت « دى بواتييه » وفى القلب الملك لويس نفسه بفرقة الخيالة الملكية . ومن أمامهم اصطف جيش المسلمين المنظم حيث تقام معركة البحر الصغير العسكرية والتى استخدمت فيها النار الاغريقية . وانتهت المعركة بإبادة صفوة الجيوش الصليبية وقتل فى المعركة ١٠ آلاف من القوات الفرنسية

ويذكر جوانفيل أحد قادة الفرق ومؤرخ

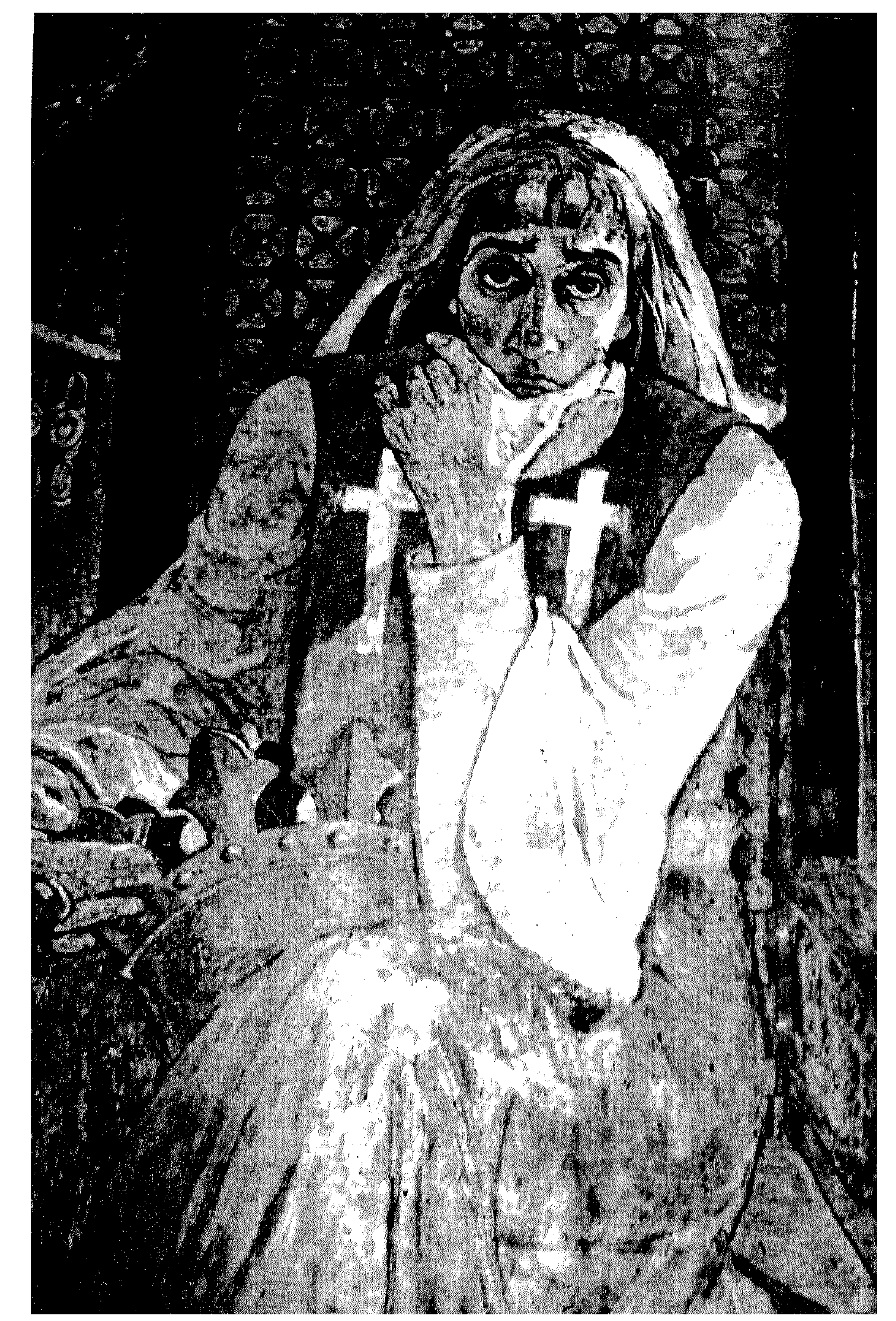


تمثال يمثل آثار الهزيمة على وجه لويس ملك فرنسا

الحملة الفرنسية فى مذكراته أن البحر الصغير امتلأ بجثث القتلى الفرنسيين إلى أن انتشر الوباء فى الجيش الفرنسى وطفت جثث القتلى تغطى سطح الماء فى بحر اشمون طناح ، ففكر لويس فى الانسحاب إلى دمياط لينظم صفوفه ثم يعود للاستيلاء على المنصورة مرة أخرى .

وفى ١٦ ابريل ١٢٥٠ كان النصر الأخير على الصليبيين فى معركة فارسكور ، وفيها انتهت اسطورة لويس واصبح قائدا بلا جيش ووقع رجاله فى ايدى المصريين بين

الغرفة التى أسر بها لويس التاسع وعلى الصفحة المقابلة صورة تخيلها الرسام للويس يفكر مهموما بعد أن هزمه شعب مصر





أسير وقتيل وجريح وأجمع المؤرخون على أن عدد قتلى الصليبيين المعتدين فى هذه المعركة وصل ٣٠ ألفا .. وهرب الملك لويس من ميدان المعركة . خوفا من قتله ، ولجأ إلى تل قونه "بيت الخولى عبد الله" واختبأ هناك ولحق به شقيقاه وعدد كبير من كبار البارونات وتمكن الجيش والشعب من القبض عليه ، ثم يساق الملك المهزوم مشيا على الأقدام على مدى يوم كامل ليصل إلى المنصورة فى ٧ ابريل ١٢٥٠ .. ولم يدخل لويس المنصورة التى أراد اخضاعها الا وهو مكبل بالسلاسل ...

وقد فكر المصريون فى قتل لويس التاسع فور اسره ، ولكن البعض اثر أسره والاستفادة من الفدية التى يدفعها لتعويض خسائر الحرب ، وفرض شروط بألا يعاود الهجوم مرة أخرى على مصر وخلال المحادثات التى تمت اسر لويس بدار ابن لقمان مع شقيقيه وعدد من النبلاء ، وكان أسره فى بيت ابن لقمان نوعا من التكريم ، حيث كان هذا البيت يلى قصر السلطان مباشرة فى المكانة فى ذلك الوقت ..

وكل ما استطاعت أوربا أن تقدمه للملك المهزوم جمع الفدية لإطلاق سراحه ، وعودته يجر أذيال الهزيمة الساحقة .

● موكب النصر ●

فى ٧ ابريل خرج شعب المنصورة فى موكب النصر يزف الملك لويس لإيداعه دار ابن لقمان ، وكان يسير على قدميه بلا كبرياء ، رأسه يكاد يلامس الأرض ، وعيناه تتابع الأقدام التى كانت تبحث لها عن مكان وسط موكب الشعب وأبطال جيش مصر الذين كانوا يحيطون به فى فخر وخيلاء وهو ذليل مستسلم خاضع ..

وكانت نهاية واحد من اكبر ملوك أوربا الذين ظنوا أن مصر فريسة سهلة ، سرعان ماتستسلم ، صاغرة بين أنيابهم واستهان لويس بالمقاتل المصرى الذى نسج خيوط مجد بلاده من دمه ، وتحطمت على يديه غزوات متتالية عبر التاريخ ، وهو قادر فى كل عصر على تحقيق النصر على أعدائه ، مهما كانت قوتهم .

ويقول شاعر مصر جمال الدين بن مطروح مودعا الغزاة الفرنسيين بعد هزيمتهم من أبناء المنصورة :

قل للفرنسيس اذا جئته
مقال نصح من قؤول فصيح
آجرك الله على ماجرى
من قتل عباد يسوع المسيح
أتيت مصر تبتغى ملكها
تحسب أن الزمر ياطبل ريح

إلى أن قال :

وقل لهم إن أزمعوا عودة
لأخذ ثأر أو لفعل قبيح
دار ابن لقمان على حالها
والقيد باق والطواشى صبيح

× × ×

وإذا كانت دار ابن لقمان هى الأثر الوحيد لانتصار الحق على الباطل ، وقدرتنا على سحق العدوان ، فلابد من العناية الكاملة بها مهما كلفنا ذلك ، وكما حدثنى الأستاذ عبد الرازق السيسى مدير عام المتاحف بالوجه البحرى بأنها المكان السياحى الوحيد والمزار رقم واحد بالدقهلية بل إنها فى مقدمة المتاحف القومية بالنسبة لعدد زوارها ...

لذلك كان الاهتمام بها واجبا قوميا ، على أن تلحق بها مكتبة تضم كل ماكتب عن الحملات التى تصدى لها أبناء الدقهلية وفى اعتقادى كواحد من ابناء المنصورة أن شعب الدقهلية قادر على أن يحافظ على رمز الانتصار والإرادة ، بدلا من الدخول فى متاهات الروتين والقول المأثور .. "مفيش ميزانية" !!


كتاب الهلال
يقدم :
رحلاتى حول العالم
بقلم : الدكتورة نوال السعداوى
يصدر
٥ فبراير
١٩٨٦
روايات الهلال
بنت من شبرا
بقلم : فتحى غانم
تصدر فى
١٥ فبراير ١٩٨٦



ابتسامات

الزواج والصداقة

■ على مقربة من مكتب تراخيص الزواج فى احدى المدن الفرنسية ، وضع احدهم لافتة كتب عليها : عندما يحتاج الانسان الى صديق ، قد يخطىء أحيـــانا ، ويحصل على زوجة .

حافظة نقوده !

■ فسخت احـــدى نجوم هووليود الناشئات خطبتها من احد الاثرياء ، وقالت تشرح السبب لصديقتها : لقد رأيته فى ثياب الاستحمام ، فبدا شـــكله مختلفا تماما ، بدون حافظة نقوده !

تنبؤات

■ قالت السيدة الامريكية لصديقتها:
ــ فى العام الماضى ، ذهبت ابنتى الى احدى العرافات فتنبأت لها بأنها ستقابل شابا أشقر واسع الثراء ، وأنه سيتزوجها وسترزق منـــه بتوأمين .. وقد تحققت النبوءة كلها ،
ــ كلهـــا ؟
ــ كلها .. فيما عدا الزواج ..!

لا أكاد أرى ..

■ استقل احد الاشخاص سيارة اجرة ولاحظ السائق انه يضع سماعة على اذنه، فقال له : لاشك أن ضعف الســـمع يضايقك كثيرا ، وعلى أية حال فان كل منا لديه شىء يضايقه ، فانا مثلا لا أكاد ارى الا بصعوبة !

حاجة خفيفة !

■ غنى الانفتاح لصاحب المكتبة : انا اريد ان تختار لى كتابا من عندكم
صاحب المكتبة : حاجة خفيفة ؟
غنى الانفتاح : لا يهم أنا معى السيارة!

حفل زفاف

■ كان لاعب الكرة المشهور بين المدعوين الى حفلة الزفاف ، واقترب منه احـد الاشخاص وسأله : هل انت العريس ؟ فهز اللاعب رأسه وقال : كلا ، فقـــد استبعدت فى المباراة قبل النهائية !

ذكاء

■ قليلون من الناس لهم ذكاء ذلك العاشق الذى كان يتنزه مع صـــديقته وأمها فى قارب .. سألته الام :
ــ اذا انقلب هذا القارب .. فاينـــا تنقذ ؟
فاجاب على الفور :
ــ أنقذك بغير شك .. واموت معها !

أعلام
معاصرون

حامد ندا
بين الفن والجذور

بقلم : أحمد فؤاد سليم

لوحة الزفاف - زيت على خشب ٨٠ × ١٥٠سم - ١٩٧٧



● ينحدر حامد ندا من أسرة ذات سلالة عريقة في أصول العقيدة والتقاليد فجدوده السبعة لأبيه المعروفة أسماؤهم بالفعل هم علماء أصوليون في الدين ، وفي تفسير القرآن الكريم ، والحديث وشيوخ كذلك في علم الترتيل القرآني من بين أولئك جده السادس المعروف بـ " سيدى الشيخ عبد السلام القليني " أما الجد الخامس فهو المعروف أيضا بـ " سيدى الشيخ احمد عبد السلام القليني [1] " الذى كان من أوائل من وضعوا الأساس العلمي لمناهج الترتيل القرآني ، ثم إنه كان شيخا مناضلا ، وثوريا من الطراز الأول حين اشترك في اتون الثورة العرابية ، ودعمها بالمال والسلاح وبسط حمايته على ثوارها في مواجهة الخديوى ، غير أنه سقط شهيدا عندما اغتاله رجال الخديوى حين تعاظمت الثورة العرابية ●

أما أبوه ، فقد كان شيخاً وإماماً للمذهب الشافعي ، ومؤذنا ذائع الصيت لمسجد " السيدة زينب " رضى الله عنها ، الى أن وافته المنية في الخامس من فبراير من عام ١٩٥٩ .

من تلك الروافد المتعاظمة في الخيال والتقديس تربى منبع الادراك الفني عند حامد ندا . وظل فنه منذ بدأ والى الآن ، رهناً ، يروح ويجيء بين المعتقد والموروث والبحث في الظواهر الكائنة والخافية ، متمثلا في الصورة الكلية للصوفية الدينية ، وبين النقيض الآخر متمثلا في التجريب والاجتهاد والجدل ونقد العقل والقياس الوضعي منذ اقترابه للروافد الاجتهادية في مذهب الأمام الشافعي .

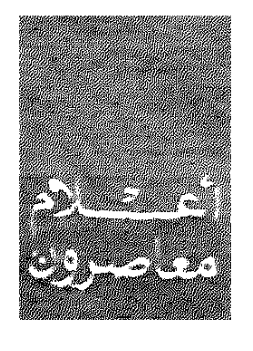
كانت الظواهر جميعاً عند حامد ندا ـ الفنان ـ تلتقى عنده في بؤرة الادراك ، ولكنها تساق الى كيانه من رافدين . وكان ينام وهو طفل صغير في حي القلعة فلا يشغله عن الاستغراق في نوم الأطفال الا صياح الديكة . فإن السيدة العجوز في حوش الدار قد قالت له يوما : " ان صياح الديكة هي صلاتهم لخالق الكون في كل فجر " ـ على حين قال له أبوه : " يصيح الديك ليوم جديد ، فحين يرى انبلاج الشمس في الأفق يصيح " .

● حياة تلقائية ●

في تلك الأحياء القديمة المعبقة بالأنفاس لاتكون الشوارع والحوارى ، الا ممرات ضيقة ، فلا تخجل امرأة عارية أمام طفل صغير الا بأقل مما تخجل أمام الماعز أو الديكة . رأى ندا الثنيات والبطون والظهور ، والشعور المسدلة حتى الأفخاذ ، وكان يتجول داخل البيوت في وقته الضائع يلعب ملاعب الاطفال ، هو « طفل » لايستر النساء عوراتهن من عيونه ، بل يختلن أمامه أحيانا « بحمام الصباح » ويتلذذن أمام نقص المعرفة كما لو كن قد أنجزن مرادهن الدفين وتحررن من حرمانهن .

● ● ● ●

ومن الغريب أن اسم " ندا " هو لقب من أسماء الشهرة ، فلا توجد لحامد ندا أصول



ابويه تحمل هذا الأسم ، بل أنه كان اللقب الذى تحمله جدته الخامسة لأمه ، كانت تلقب بـ " قطر الندى " .

. وعندما استشهد زوجها (٢) إبان الثورة العرابية ، هربت " قطر الندى " بأبنائها من مركز المحلة الى القاهرة ، حيث خلعت على اسماء أبنائها لقبها هى نفسها (ندا) ، حتى لايواصل رجال الخاصة الخديوية مطاردة أبناء الشيخ الشهيد ، كانوا اذن ينادون الطفل الصغير بـ " ندا " ، ولكنه فى المدرسة كان

• المرأة والقط والديك (١٩٧٩) - وفى الصفحة المقابلة بلادى وطنى وحبى - ١٠٠ × ١٣٠سم - زيت واكريلك على خشب ١٩٨٣



" حامد محمد حامد احمد احمد عبد السلام القلينى محيى الدين " " الشريف " (٣)

وحين شب عن الطوق انفك امام عقله معجم الألغاز ، وزال اللبس ، ولكن المطبوع ظل مطبوعاً على حاله .

ليس من سبب ـ هنا ـ يدعونا الى تذكر بابلو بيكاسو (١٨٨١ ـ ١٩٧٣) ، سوى ان بيكاسو اختار ان يحمل اسم عائلة الأم « بيكاسو » بدلا من اسم عائلة الأب « رويز » ـ وعلى حين ان بيكاسو اختار ذلك بإرادته الواعية ، فإن ندا لم يجد أمامه الا اختيار الجبر حين ولد ومعه اسم شهرته . وعندما مرت السنوات صار ذلك الجبر اختياراً كاملا .

● حامد ندا وجماعة الفن المعاصر ●

بدأ حامد ندا (١٩٢٤) صنع الفن فى منتصف الاربعينيات جنبا الى جنب مع سمير رافع (١٩٢٦) ، وابراهيم مسعوده (١٩٢٥) وعبد الهادى الجزار (١٩٢٦ ـ ١٩٦٥) وماهر رائف (١٩٢٦)

وهى المجموعة التى عرفت ـ علىْ نطاق واسع ـ " بجماعة الفن المعاصر " حتى أواخر الخمسينيات .

كانت القضية : كيف يمكن التعويل على الموروث الشعبى فى مسألة التعبير الفنى وكانت الاشكالية الخاصة بمقولة « الشخصية المصرية فى الفن » قد طرحت مرادها فى مواجهة عاملين أساسيين :

اولهما : المفاهيم الملكية التى يتبناها القصر لتكريس احترام مغال فيه لقليل من الفنانين المصريين ، وغالبية من الفنانين الأجانب .

ثانيهما : الاستناد على تدعيم وتشجيع الطبقات العالية والغنية لطرح مفاهيم المدرسة الغربية ، وربما بسبب ذلك كان انتشار المدرسة السوريالية بين عامى ١٩٤٢ ـ ١٩٥٠ ، دون سند أو علة تبرران التجاهل الفنى شبه المتعمد فى مواجهة حركة وطنية عارمة ، ومظاهرات لافتة للنظر ، وانهيارات سياسية مشينة تحت السيطرة والرعاية البريطانية .

فى مواجهة هذين العاملين قامت جماعة الفن المعاصر وكان حامد ندا " بالذات " واحدا من تلك الركائز الاساسية التى حفرت بأظافرها فى قاع المجتمع المصرى ، واستخرجت ذخائره الكامنة ، وقامت باختيار ، وانتقاء ، بل وشطر مفرداته المشبعة بالفن الشعبى ، وبالقديم وبالموروث .

لقد اشتركوا جميعا فى التعبير عن سمات رئيسية بغض النظر الآن عن التناول التقنى ، ونوع القضايا ، ووجهات النظر ، والمنهج الفلسفى ، ومنابع الانتماء والنسيج الفكرى لكل واحد من تلك الجماعة على حدة .

كانت هذه السمات الرئيسية تتمثل فى ثلاثة مصادر هامة للغاية :

● حالة من الحس " الميتافيزيقى " المحزن تجاه مجهول كونى ، تشع فى جميع انحاء العمل الفنى وتصبغه بطابع ملحمى .

● فكرة " الوجود والعدم " التى تلح على

(٢) الشيخ احمد عبدالسلام القلينى .
(٣) الشريف لقب يطلق على السلالة النبوية . ويرجع نسب ندا إلى "الحسن" رضى الله عنه .

تأكيد البعد التراجيدى باقوى من تكريس الفعل الجمالى للانطباع .

● ظهور المرأة ـ والرجل أحيانا ـ فى حالة بدائية قاسية ، وخشنة ، وغالباً منفرة

● ● ●

ولعل اقدم عمل فى هذا السبيل هى لوحة (الاخصاب) التى انجزها سمير رافع عام ١٩٤٥ ، ثم لوحة (مصباح الظلام) لحامد ندا عام ١٩٤٦ ، ثم لوحة (استقبال العذراء) لابراهيم مسعوده عام ١٩٤٧ ، ثم لوحة (دورة الحياة) لماهر رائف عام ١٩٤٨ ، ثم اخيرا (درس فى العالم الروحى) لعبد الهادى الجزار عام ١٩٤٩ .

● حامد ندا ، وعبد الهادى الجزار ●

إن قسطا من التأمل الدقيق لأعمال أولئك الفنانين الخمسة فى الفترة من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٤٩ ، هام للغاية حين يتعلق الحال بالطرح المميز الذى قدمه حامد ندا بالذات فبرغم اشتراكهم جميعا على نحو أو أخر فى ابراز " المرأة " ، ورسمها بصورة تبدو فيه بدائية وفجة وربما مثيرة للاشئمزاز ، الا أن ذلك النطاق ليس هو مجال تعرضنا للكشف الآن ، بل اننا نكرس تعرضنا بطريقة أساسية لنوع « الفعلية » الدرامية التى جاء عليها النسق التصويرى عند هؤلاء الفنانين ، عندما استخدموا مفردات شعبية ، وغيبية ، وربما صوفية أيضا فى العمل الفنى المطروح أمامنا .

ثمة رموز شجية مثل السمكة ، والدرويش ، وعين الحسد ، ويد " فاطمة " والوداع ، والرمل ، و " الكوتشينة " ، والزير ، والجرة ، والسبحة ، والشمعة ، والديك ، والعصفور ، والقط ، والتميمة والرسوم الجدارية العفوية ، فضلا عن الاشكال الآدمية شديدة التهوس ، والولع بالاحزان ، وتجسيد البؤس الروحى .

ومع أنه كان قد أستقر فى الاذهان ـ على نحو دعائى بحت ـ مقولة فحواها أن الفنان الراحل عبد الهادى الجزار هو الذى بدأ بفتح ذلك الباب الغنى على مصراعيه ، الا أن المصادر المتوفرة .. . . . ـ بين أيدينا تدحض هذه المقولة بصورة قوية وفعالة .

وفى هذا النطاق ، فإن **ندا يسبق الجزار بثلاث سنوات كاملة ، فضلا على أنه ـ أى ندا ـ هو صاحب الكشف بطريقة قاطعة فى إبراز هذا النـوع الفنى من السمات التصويرية المميزة .**

ولعله من المفيد أن نقدم هنا تقريرا وصفيا لواحدة من بين أوائل اللوحات التى أنجزها حامد ندا « مصباح الظلام »

« من مجموعة چورچ حتين ـ باريس ١٩٤٦ ـ » ، وتتلخص مفرداتها الأمامية فى « مصباح الكيروسين ذى الشعلة » ، شمعة مرتكزة فوق « قبقاب » ، وعائلة مكونة من رجل وامرأة وطفل واقفون ثلاثتهم فى حالة متعبدة مع التأكيد على الطابع المنفر فى شكل المرأة ـ ثم نرى فى خلفية العمل « زير » ، وامرأة عارية ، ومقبرة . ورسوم حائطية ذات طبيعة سياقية « طوطمية » ـ ، واللوحة بكاملها مرسومة بالأحبـار الصينية على الـورق (٣٥ × ٥٠ سم) .

ويلاحظ هنا ـ فضلا عن ذلك ـ اهتمام الفنان الواضح بتحديد الاشكال عن طريق استخدام الخط الخارجى بدلا من الاعتماد على الظل والنور ، وكذلك تكريس اهتمام أقل من الناحية التقنية للبعد الثالث (التجسيم) .

فى المقابل ، فإنه من بين اللوحات الأولى التى انجزها الجزار (١٩٤٩ / ١٩٥٠) ـ أى بعد ما يقرب من ثلاث سنوات على لوحة ندا ـ لوحة (درس فى عالم الروح) ، حيث نلاحظ



فى الأمامية انية من الأوانى التى تخصص عادة للبخور ، وقد خرج منها ثعبان ، ثم رجل وامرأتان على نفس النسق الوصفى السابق شرحه . وقد جلست احداهما على اريكة خشبية ، ـ ثم هنا لك رسوم حائطية فى خلفية العمل يبرز من بينها شكل قريب إلى الفأر وبين يديه رأس ادمية . ثم يلاحظ بالاضافة إلى ذلك الاهتمام الواضح ليس فقط باستخدام

ـ الحقل ٦٠ × ٩٠سم زيت على خشب ١٩٧٤

الخط الخارجى لتحديد الشكل ، وإنما أيضا تكريس واقع جمالى لعوامل الظل والنور والتأكيد على فعاليات البعد الثالث بصفة أساسية .

ثم إننا نصادف بعد ذلك - فى أعمال ندا - ابتداء من الأعوام ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ ، أى قبل إنجاز الجزار للوحته السابقة (درس فى عالم الروح ١٩٤٩/١٩٥٠) - ، الاستخدام المتعمد للرموز الشعبية المحملة بألوان تراثية مثل السمكة ، والديك ، والسحلية والثعبان ، وأم الخلول ، وفرس النبى ، والطائر ، إلى غير ذلك من المحمولات الغيبية البحتة .

وبرغم تشابه غير خاف فى المعالجات البنائية للشكل ، والطرح المتعمد لكلا الفنانين فى تلك المرحلة الزمانية ، إلا أن التفريق الهام بينهما ينحصر فى - اعتقادنا - فى تلك الشحنات غير الموقوتة الخاصة بكل فنان على حدة . إذ أنه على حين كان ندا غنائيا ، ورومانسيا ، وملونا ، وحزينا ، ومتفائلا فى نفس الوقت ، ... فإن الجزار كان على نقيض ذلك بصورة واضحة ، فقد كان فعاليا على شكل « درامى » قوى ، وتشاؤميا الى حد بالغ .

ثمة بعد ذلك .. أولئك الذين قد لا يرون أهمية ذات بال فيما سقناه من توضيح وتفريق وتوصيف ، ذلك ان كلا الفنانين - أيا كان الأمر - مؤثران ورائدان حقيقيان ليس فقط فى محيط « الفعلية » الفنية . وإنما - وهذا هو المهم - فى كونهما طرقا مجالا غير مسبوق على مثل الأوصاف التى اوضحناها .

غير أننا بقدر إيماننا بالقيمة العالية للفن الرفيع ، نؤمن - بنفس المقدار - بأهمية التاريخ الذى تقوم على صنعه وترتيبه أحداث ومبادرات لايمكن التقليل من شأنها عندما نضرب بمجاديفنا فى بحار العلم .

● ندا بين الفن ، والجذور ●

عندما قلنا فى البداية أن حامد ندا قد نهل من رافدين أساسيين منذ أخذ يتهيأ لقضية التعبير الفنى ، فإننا كنا نقصد إلى قدر انتمائه القوى لفكرة « العلم » ، وفكرة « الدين » . أى لخاصية « التفكير » من ناحية ، ثم لـ « خاصية الايمان » بعالم غيبى وقدسى من ناحية أخرى . يعنى لطبيعة « ظاهرية » تخضع لبرامج « التجريب » ، وفى نفس الوقت لطبيعة « جوانية » لاتخضع إلا لكوامن عميقة وغامضة .

وتزداد أهمية هذه المقولة كلما كان ذلك له مساس لايمكن تجاهله فى صياغة فنه . ومن اللافت للنظر أن حامد ندا قد استطاع أن يهضم الروافد ، ويعيد صياغتها فى معظم انتاجه منذ بدأ بشكل مبكر منذ منتصف الأربعينيات حتى اليوم . فمع أنه اخذ يرسم المرأة فى معرضه الأخير [٤] (١٩٨٥ - ١٩٨٦) ، وقد بدت فى حالة عابثة ، ولاهية بعض الشىء إلا أنه قبل ذلك ، كان قد قدمها على صورة « مقززة » انتصارا لفكرة « الفضيلة » على ما يبدو فى الاربعينيات ، ثم عاد والبسها ثيابها وجعلها « أما » شقية وحزينة فى الخمسينيات ، ثم معادلا لفكرة « الخصوبة » والوطن فى نهاية الخمسينيات ، ثم عاملة تمتلىء بالعافية وهى تجمع الحصاد وتروى الأرض فى

---

(٤) معرض حامد ندا فى قاعه إخناتون - مجمع الفنون ديسمبر - يناير ١٩٨٥/١٩٨٦



الستينيات - ثم جردها من ثيابها مرة أخرى في السبعينيات وجعل منها امرأة متناسقة التقاطيع ولكنها مبتذلة وليلية الشجون

وبنفس المقدار رسم حامد ندا « الديك » فحين بدأ فنه المبكر كان الديك العجيب يذبح كل مرة ، فلعله كان كذلك معادلا لفكرة « الرذيلة » ، وفى الخمسينيات الأولى صار الديك معادلا للفحولة والرجولة ، وفى النصف الثاني من الخمسينيات تحول الديك إلى رمز للآمال البعيدة ، وللثورة ، فهو يقف صائحا فوق كل المفردات والأشكال فى المساحة اللونية . ثم هو يقف بعد ذلك فوق « المذياع القديم » ، وفوق « الزير » ، وفوق مساحات الحقول ، ويتقمص شكل الصقر مرة ، وشكل النسر مرة ، ونجده فوق كتف المرأة ، وعلى رأسها ، ويدها ، وجسدها ، ثم إنه أخيرا رسمه كالهيكل المعبود على الحوائط القديمة أقرب مايكون إلى « التميمة » .

ومن مثل ذلك رسم ندا القطة ، والجواد ، والسمكة ، والطوطم ، والتميمة ، والمهرج ، والدرويش ، والشيخ ، وقارئة البخت ، ومشاهد القبور ، وطيور مخلقة ، وحيوانات أسطورية ، وزواحف عجيبة ، وأبطال ملاحم ، وأرائك معلقة ، وعربات يد ، واسطوانات موسيقية ، وعازفين مأساويين ، ثم أناس منتشرين لا يكلم بعضهم بعضا كما لو كانوا في يوم القيامة .

وفى النصف الثانى من الخمسينيات كان ندا قد استكمل « صيغته » على صورة وضعته بالانتخاب الطبيعى فى مقدمة أولئك الصناع الذين يقدمون للناس فنا رفيعا . وفى تلك الفترة ، فإن نوعا من الظلام المكين كان يغطى لوحاته طولا وعرضا . فإن فنه من ذلك النوع الذى يحتاج إلى مجموعات متواترة من رقائق اللون المنبسط بعضها فوق بعض بحيث تحل فى كثير من أغلب أعماقها ضوءا دفينا هو من أسباب ذلك السحر الروحى المشع أمام مشاهديه .

فى ذلك الزمان ، كان ندا يعتمد محور ارتكاز أساسى واحد فى منتصف العمل ، بحيث يبدأ النظر منها ثم ينتقل الى مختلف جوانبه

غير أن التغيير الذى طرأ على أعمال ندا في السنوات العشر الأخيرة ، وفى معرضه الأخير بالذات (١٩٨٥ / ١٩٨٦) ، هو اعتماده مجموعات « بؤرية » على مساحة كلية موحدة الضوء تقريبا . وبالضرورة فإن كل مجموعة بؤرية تبدأ من محور وسطى يضمن توازنها البنائى .

ثمة هنا ما يدعو المشاهد إلى أن يتنقل بحرية فى جميع أرجاء العمل دون أى انصياع لمحور واحد فقط فى اشكالية التوازن ، بل إن المشاهد قد يكون قادرا على أن يحتفظ بصريا وجماليا بجزء بؤرى مستقل من بين مؤلفات العمل - ذلك العمل الذى ألغى فيه ندا فكرة الالتزام برسم مفردات ثانوية حول بطل مفرد شكلى لمجرد تلبية الحاجات الجمالية .

وأغلب الظن ، أن هذا النهج الجديد عند حامد ندا قد استتبع تكريسا مماثلا لمحاولات تكسير الضوء ، وتحليله . فإن ألوان ندا المشبعة بالظلام قد انقشع عنها ظلامها ، وتحللت إلى عناصر تكوينها الأولى . ولعل ذلك كان من احد الأسباب الرئيسية التى جعلتنا نرى أعماله فى معرضه الأخير بالذات وقد انسحب منها الظلام برغم احتفاظها بمساحة دافئة لنفس ذات الأحزان القديمة

• إعداد: سناء حنفي •

كيف تتجنب الأزمات القلبية ؟



الاشـــخاص الذين يتراوح عمرهم ٣٥ و ٤٥ سنة علـى وجه الخصوص اذ بلغت نحو ٥٠ ٪

هناك ما يقرب من مليـون امريكى يموتون سـنـويا لاصـابتهم بأمراض القلب والاوعية الدموية وهـو نفس عـدد الوفيات بالامراض الاخرى مجتمعـة وفى نفس الوقت الذى تصل فيه معدلات الوفيات الى درجة تبعث على الخوف تظهر اتجاهات مشجعة .. فخلال العشرين عامـا الماضية هبطت نسبة الوفيات نتيجة الاصابة بالازمات القلبية الى ٣٧ ٪ فقط وقـد كان انخفاضها شـديداً بين

ويرى الخبراء أن الاحصـائيات المشجعة ترجع جزئيا الى تحسن العناية فى المستشفيات والتدخـل الجراحى وخدمات الاسـعاف . والاهم من ذلك تزايد قدرتنا على تجنب العوامل التى تؤدى الى هذه الازمات ..

ويرجع الكثير من المعلومات حـول عوامل الخطورة الى المشروع المستمر المعروف باسم دراسات فرامينجهـام



للقلب • ومنذ عام ١٩٤٩ والمسئولون عن الصحة العامة يتتبعون العادات البيئية والتاريخ الطبى لنحو ٥ آلاف من المقيمين فى ضاحية بوسطن • وعلى مر السنين وجدوا ثلاثة عوامل تلازم مرض القلب وهى تدخين السجائر وارتفاع ضغط الدم وارتفاع نسبة الكولسترول •

وقد حددت دراسات فرامينجهام والدراسات المشابهة الاسباب الاخرى والتى يمكن السيطرة عليها وتتضمن الاجهاد والبدانة والبول السكرى وقلة أداء التمرينات الرياضية • وهناك ظروف متعددة أيضا لا يمكن التحكم فيها وتزيد من احتمال الاصابة بالازمة القلبية ومنها :

● السن : اذ تقع أربع من كل خمس حالات للوفيات بسبب الازمة القلبية بعد سن ٦٥ •

● الجنس : تحت سن الستين يصاب الرجال بنسبة تبلغ ضعف السيدات بالازمة القلبية بالرغم من ان هذه النسبة تقل بعد الستين •

● الوراثة : يقدر دكتور « جان برسلو » عالم الوراثة « بجامعة روكفيللر » أن نسبة تتراوح بين ٥ ٪ الى ١٠٪ من السكان معرضين للاصابة بمرض القلب بدرجة كبيرة نتيجة للعامل الوراثى وكذلك هناك نسبة مساوية لمن يملكون قدرة كبيرة على المقاومة • وحالات مرض القلب الخلقى يصعب التغلب عليها الا فيما ندر •

ومع ذلك ففى التعامل مع المخاطر التى يمكن التحكم فيها حدث الكثير من التقدم خلال العشرين سنة الماضية ومن المتوقع تحقيق المزيد فيه •

وفيما يلى سنعرض بعض هذه المخاطر التى تصيب القلب وما يمكن القيام به لتجنبها •

● الكولسترول : يجب التقليل من تناول لحم الخنزير والبيض والزبد واللحوم • فالعناصر الرئيسية للوجبة الغذائية مثل منتجات الالبان ذات النسبة المرتفعة من الدهون واللحوم هى المصادر الاساسية للدهون المشبعة والكولسترول فى الغذاء • ويمكنهما رفع الكولسترول فى الدم الى معدلات زائدة تساعد على تصلب شرايين القلب ـ أكثر أمراض القلب شيوعا ـ وتزيد من خطر التعرض للازمة القلبية•

وتصلب الشرايين عبارة عن ترسيبات على طول الجدار الداخلى للشرايين من مادة مكونة من الدهون والكولسترول والكالسيوم وبالتالى تصبح جدران الاوعين صلبة وسميكة لدرجة يتحرك معها الدم بصعوبة خلال قنوات ضيقة وهذا يمكن ان يسبب آلاما فى الصدر أو أزمة قلبية • وعلى الرغم من أن العملية الدقيقة التى يحدث بها تصلب الشرايين لم تفهم جيدا، الا أنه ليس هناك شك انه بدون الكولسترول لن يحدث التصلب ، ونتيجة ذلك يعتبر

الاطباء حاليا النسب المرتفعة من الكولسترول فى الدم أحد أكثر العوامل القاتلة ٠

وفى اليابان حيث تشيع عادة التدخين كما فى الولايات المتحدة الامريكية وحيث يعتاد ارتفاع ضغط الدم تصل نسبة الاصابة بالازمات القلبية الى نحو ثمن المواطنين ٠ والاختلاف الواضح بين الشعبين هو معدلات الكولسترول لكل منهما ٠ وقد اظهرت دراسات قام بها أحد اليابانيين الذى هاجر الى هاواى وكاليفورنيا واتبع اساليب الحياة الامريكية وعاداتها الغذائية أن معدلات الكولسترول قد زادت بين الامريكيين وكذلك نسبة اصابتهم بالازمات القلبية٠

وفى العام الماضى أصدر أحد معاهد القلب والرئة والدم دراسة استغرقت عشر سنوات حول الكولسترول ٠ ويرى د٠ ويليام كاستيللى مدير معهد فرامينجهام لدراسات القلب أن هذه الدراسة تشكل تقدما هائلا فقد أوضحت بما لا يدعو للشك أنه اذا ارتفع معدل الكولسترول فى الدم ففى مقابل تخفيض هذه النسبة ١ ٪ تقل فرص الاصابة بالازمة القلبية ٢ ٪ ٠

وتتراوح درجة كولسترول الدم عند الامريكى العادى بين ٢١٠ الى ٢٢٠ ميللجرام لكل عشر لترات وتبعا لعلماء المعاهد القومية للصحة فيجب للشخص فوق سن الثلاثين أن تقل نسبة الكولسترول فى دمه عن ٢٠٠ ميللجرام

وقد توصل العالم رويرت ليفى الى أن التعديل فى النظام الغذائى وحده يمكن أن يقلل من المعدلات المرتفعة للكولسترول فى الدم بنسبة تتراوح بين ١٠ الى ١٥ ٪ وبالتالى يقل عدد الموتى نتيجة الاصابة بالازمات القلبية فى الولايات المتحدة الامريكية بنسبة ٢٠ الى ٣٠ ٪ ٠

وصحيح ان العقاقير التى تساعد على خفض معدلات الكولسترول متاحة الا أن بعضها غالى الثمن وغير مستساغ والبعض الاخر ذو فائدة محدودة ، وحتى مع توقع توفر العقاقير الفعالة لخفض الكولسترول خلال العقد الحالى الا أنه بالنسبة للغالبية فسوف تكون التعديلات فى النظام الغذائى هى أساس كل الجهود المبذولة فى هذا الصدد ٠

● التدخين : ـ يرجع السبب فى وفاة ما يقرب من ١٧٠ الفا من المصابين بالازمات القلبية سنويا الى تدخين السجائر وهو ما يعادل نحو ٣٠ ٪ من كل الوفيات بامراض القلب ٠ وتوضح الدراسات أن المدخنين يتعرضون لخطر الموت بنسبة تزيد عن غير المدخنين بنحو ٧٠ ٪ وتزداد نسبة الخطورة الى ٢٠٠ ٪ للشخص الذى يدخن علبتين من السجائر فى اليوم الواحد ٠

وفى الوقت الذى يبدو فيه أن تدخين السجائر التى تحتوى على نسب ضئيلة من القار والنيكوتين يساعد على تقليل نسبة الاصابة بسرطان الرئة بدرجة ضئيلة الا انه لا يبدو انه يقلل من خطر الاصابة بالامراض القلبية ٠

والتدخين يسزيد من التصلب فى شرايين القلب خاصة فى شريان الاورطى الذى يعد الوعاء الدموى الاساسى فى الجسم ٠ كذلك يحل اكسيد الكربون الاحادى محل الاكسجين فى خلايا الدم الحمراء فى حين يعمل النيكوتين على تقلص الاوعية الدموية٠ وقد أوضحت الدراسات التى أجريت على الحيوانات أن تدخين السجائر يمكن أن يضعف من الانقباض العضلى للبطين وهو ما يحدث عدم التوازن الكهربى فى عضلة القلب الذى يؤدى

كيف تتجنب الأزمات القلبيّة ؟



الى الموت المفاجيء ·

وبالرغم من أنه مازال هناك ٥٠ مليون مدخن في الولايات المتحدة الا أن انتشار تدخين السجائر قد انحسر خلال العشرين سنة الماضية ويعتقد الكثير من الخبراء أن ذلك احد اسباب انخفاض الوفيات الناتجة عن الامراض القلبية· وقد ذكر د· جون هو لبروك رئيس اللجنة الفرعية للجمعية الامريكية لمرض القلب عن التدخين ان النصيحة التي يوجهها لمرضاه انهم اذا اقلعوا عن التدخين لمدة من أسابيع الى شهور قليلة فان نسبة الاصابة بالازمة القلبية تنخفض بنسبة النصف ·

● ارتفاع ضغط الدم : يصيب ارتفاع ضغط الدم نحو ٥٥ مليونا الى ٦٠ مليون أمريكي · ولكن اكثر من نصفهم بقليل يعلمون باصابتهم به واقل من الخمس يعالجون منه بنجاح وذلك تبعا لدكتور « ارام شوبانيان » مدير معهد القلب التابع لكلية الطب بجامعة بوسطن · ويؤدى ارتفاع ضغط الدم الى اصابة الكثير من ٥ر١ مليون بالازمات القلبية سنويا وهو السبب المباشر للسكتة احد أشكال مرض القلب ـ التي يموت بها نحو ١٥٤ الف مواطن امريكي سنويا وذلك بانغلاق او انفجار الاوعية الدموية التى تقوم بمد المخ بالاكسجين·

والضغط المرتفع عند الانسان هو الذى يزيد عن ١٤٠ على ٩٠ ويمكن أن يؤدى الضغط المتزايد على جدار الاوعية الدموية الى جرحها والاصابة بتصلب الشرايين وتضخم القلب ، ولم تعرف بعد أسباب ارتفاع ضغط الدم فى معظم الحالات ولكن وزن الجسم والنظام الغذائى ربما يلعبان دورا هاما · فقد وجد أن المواطنين الذين يكثرون فى أغذيتهم من بعض العناصر الغذائية مثل البوتاسيوم والكالسيوم والدهون غير المشبعة ومعدلات قليلة من الصوديوم يعانون من انخفاض ضغط الدم ·

ومع ذلك فالعلاقة بين الاملاح وارتفاع ضغط الدم ليست محسومة، اذ يفترض احد التحليلات الحديثة لجامعة أوريجون لعلوم الصحة أن النسب القليلة من الكالسيوم والعناصر الغذائية الاخرى ، والافراط فى الصوديوم ربما تكون احد اسباب ارتفاع ضغط الدم · ويعتقد بعض الخبراء أن علاقة الاملاح من المحتمل ان تتأثر وراثيا وربما يكون ٢٥ الى ٥٠ ٪ من الاشخاص الذين يعانون من الضغط المرتفع للدم ذوى حساسية للملح ·

ومهما تكن الاسباب فارتفاع ضغط الدم هو أحد اكثر العوامل التى تؤدى الى الاصابة بالازمات القلبية والاكثر سهولة فى العلاج · وهناك العديد من العقاقير المتاحة لعلاجه ·

● فوائد الرياضة البدنية ●

● عدم ممارسة التمرينات الرياضية بدرجة كافية ، كان الدكتور « كينيث كوبر » يعتقد ان التمرينات الرياضية

يمكن ان تقضى على كل المخاطر ولكنه اعترف بخطئه الان وذكر انه على مر السنين كان الاشخاص الذين يقومون بأداء التمرينات الرياضية كما يصفها تماما ويتجاهلون وزن الجسم والنظام الغذائي وعادات التدخين يموتـــون بالازمات القلبية فى الخمسينات مـــن العمر • ولكن مع ذلك لا يمكن تجاهل فوائد التمرينات • فيمكن ان تشـــكل التمرينات العنيفة خطورة على الافراد الذين يعانون بالفعل من مرض القـلب ولكن التمرينات بصفة عامة تساعد على وقاية الاشخاص من الازمات القلبية • وقد بينت احدى الدراسات الحديثة أن نسبة الاصابة بتوقف القلب بين الرجال الذين يقومون بأداء تمرينات رياضية عنيفة لمدة ٢٠ دقيقة مرة واحدة فى الاسبوع تصل الى ٤٠ ٪ من تلك التى يصاب بها الرجـال الذين يميلون الى الجلوس لفترات طويلة وعدم الحركة• وقد استجاب لتوصيات التمرينـــات الرياضية وأوضح استطلاع للـــرأى أن ٥٩ ٪ من المواطنين يمارســـون التمرينات الرياضية بانتظام بالمقارنـة بـ ٢٤ ٪ فقط عام ١٩٦١ •

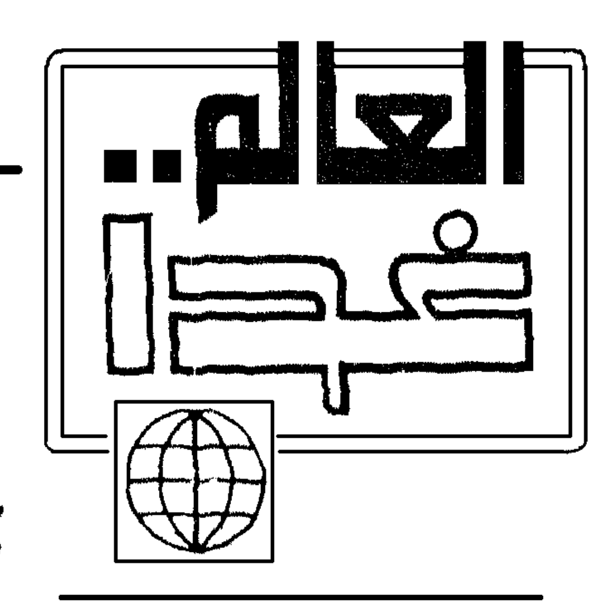
● **نوع السلوك : والمثال التقليدى له هو الانسان الذى لا يتحلى بصفة الصبر بدرجة غيـر عـادية وينزع الى العدوانية بسهولة • وقد فسر الدكتور « ميار فريدمان » أن نمـــط السلوك « أ » هو الصراع الذى يقوم به الشخص عند محـــاربته للوقت والاشـــخاص الاخرين • وفى الوقت الذى حدد فيه فريدمان وطبيب القلب راى روزينمان عام ١٩٥٩ نمط السلوك اوضــحت الدراسات ان نمط الانسان « أ » أكثر عرضة للاصابة بالازمات القلبية عن النمط « ب » الذين يتميزون بالصبر وقلة العدوانية • وبالرغم من أن بعض السلطات لا توافق على هذه النتائج يعتقـــد فريدمان أن عوامل الخطورة الثلاثة نتيجة للنمـــط « أ » للسلوك • وقد ذكر أنه يعتقد أن مدخن السجائر بكثرة يكاد ينضم الى النمط « أ » وهو يرى انه من الصعب الاصـــابة بضـــغط الدم المرتفع دون أن يكون الانسان من النمط « أ » • كـــذلك الانسان الذى يصل معدل الكولسترول فى دمه الى ٢٧٥ او اكثر يشابه النمط « أ » وفى الواقع تستخدم معـــدلات الكولسترول كمؤشر لمدى القدرة على تقليل وجود نمط السلوك « أ » •**

● ذكر فريدمان أنه من الصعب أن ندفع النمر الارقط الى تغيير البقـــع التى يتميز بها جلده ولكن بالنسـبة لاشخاص النمط « أ » فتغيير السـلوك هو المفتاح لتجنب الازمات القلبية •

وبالنسبة للكثير من الخبـراء فان فوائد التحـــكم فى عوامل الخطورة واضحة لدرجة تثير دهشتهم حـــول السبب فى عدم اعتبار الطب لها كأهم قضية •

وقد ذكر مدير برامينجهام « اننـــا نقوم باجراء جراحات الشرايين القلبية كما أننا نعالجها بالليزر ونقوم بزراعة قلوب صناعية ونقل القلب وغيرها من العمليات المتخصصة بدلا مما يجب أن نقوم به • نحن لا نحـــاول أن نقوم بأسهل الاشياء بل نحاول اداء اصعب الاشياء » •

ومع ذلك فالمستقبل مشرق وسوف تكون الجراحات القلبية اقل شـــيوعا خلال الثلاثين عاما القادمة • وهنـــا يكمن هدف الطب للعقد القـــادم وهو تقدم وسائل مرض القلب بدرجة اكبـر من معالجته فى مراحله المتقدمة



جسر البحرين والمخاوف المتبادلة

كان من المفترض أن يفتتح جسر البحرين الذى يربط جزيرة البحرين بالجزيرة العربية يوم ٢٠ يناير الحالى ، والذى تأجل استخدامه الى العام القادم .

ويعتبر هذا الجسر من اهم المشروعات التى تمثل ترجمة حقيقية للتعاون العربى والوحدة العربية ، ويبلغ طوله حوالى ٢٢ كيلو مترا ، والذى يتكون من خمسة جسور يبلغ طولها ١٢ كيلو مترا . تصل بينها سبع ردميات يبلغ طولها عشر كيلو مترات . ويمر على جزيرة ام النعسان . ويبدأ من قرية الجسرة البحرانية حتى العزيزية السعودية التى تبعد حوالى ستة كيلو مترات من مدينة الخبر ..

وتكلف هذا الجسر مايزيد على بليون دولار تحملتها السعودية كاملة ..والذى سيجعل ساكن البحرين يخرج بسيارته من البحرين ويصل بها الى آية عاصمة اوربية ..

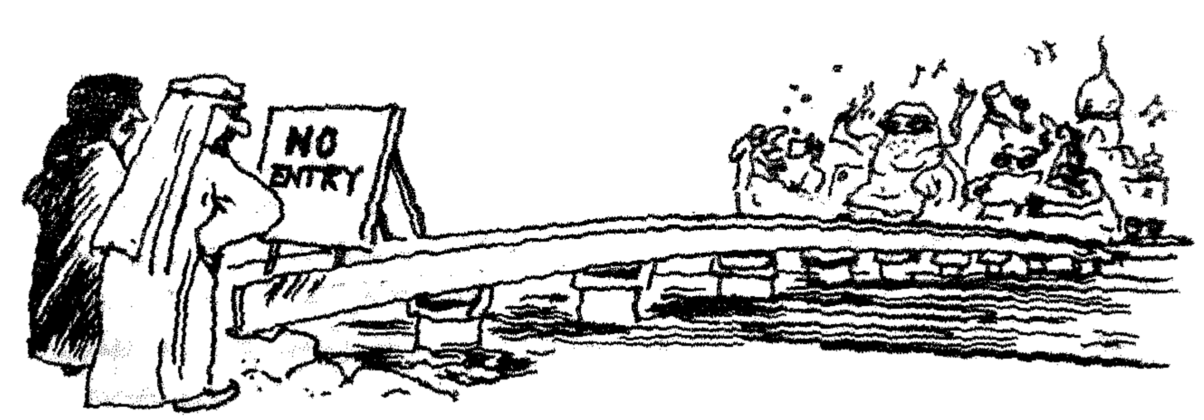
ولكن المخاوف المتبادلة اخلت المشروع. فالبحرين جزيرة صغيرة يتمتع اهلها بقدر من الحرية الاجتماعية ،والسعودية بلد تملك ثراء نقديا هائلا .

وتساءل أهالى البحرين : كيف تصبح الحياة على الجزيرة الوادعة مع تزايد عدد السيارات التى يمكن أن تدخل الجزيرة عبر الجسر .. ؟! وما اثر حرية التنقل وسهولته على حياة البحرين .. ويتذكر اهل البحرين كيف كانت مدينة البصرة قبل الحرب العراقية الايرانية ، عندما تدفق عليها الخليجيون ، لمجرد انه يمكن أن يتمتعوا فى حاناتها ونواديها الليلية . !

علاوة على المخاوف على طبيعة اقتصاديات البحرين ..

ونجحت هذه المخاوف مؤخرا فى تأجيل افتتاح الجسر حتى العام القادم بحجة تنظيم مداخل ومخارج الجسر ..

ومنعت المخاوف المتبادلة من جديد تأجيل الاستفادة من هذا المشروع الكبير!



البكترين .. سماد مصرى جديد

« البكترين » احدث سماد ميكروبى مصرى تم تحضيره واعداده بالمركز القومى للبحوث بعد دراسات وابحاث استمرت عشر سنوات .. السماد الجديد يحتوى على مجموعة من ميكروبات التربة التى توفر عناصر غذائية للنبات والتى تفتقر اليها التربة المصرية فى الوقت الحالى . ويقول الدكتور محمد صابر استاذ ميكروبولوجيا الاراضى بالمركز القومى للبحوث ان السماد الجديد تم تجربته على نطاق واسع فى محافظات الاسماعيلية والفيوم والشرقية ومديرية التحرير وقد ثبت نجاحه فى امداد المحاصيل البقولية ، وبعض محاصيل الخضر بالازوت . وهناك اتجاه للتعاون بين المركز ووزارة الزراعة لانتاج السماد على مستوى تجارى وتعميم الاستفادة منه .

ابو الهول يحير العلماء

مازالت الاثار المصرية مبعث حيرة علماء الاثار فى العالم . فقد ظهر فى الولايات المتحدة الامريكية اتجاه جديد يرجع وجود ابى الهول الى فترة تتراوح بين عامى ١٥٠٠٠ و ١٠٠٠٠ قبل الميلاد لكى يكون ذلك الاثر الذى استمر بعد تعرض مصر للفيضان الكبير انذاك . واذا صحت هذه النظرية فسوف يكون على العلماء اعادة كتابة تاريخ مصر من جديد .

والنظرية الجديدة التى ينتهجها العالم الامريكى « انتونى ديست » تشكك



فى تاريخ بناء ابى الهول . فكما هو معروف ان خفرع قام ببنائه فى نفس الفترة التى بنى فيها الهرم الثانى عام ٢٧٠٠ قبل الميلاد الا ان ابا الهول تبدو عليه آثار الزمن والقدم اكثر من هرم خفرع ويدل على ذلك التآكل الواضح فى جداره والذى يرجع انه نتج عن فعل الماء اكثر من الرياح

الا ان جامعة « لويز فيل » الامريكية قد عارضت هذه النظرية على اساس ان ما حدث لابى الهول قد نتج عن تعرضه لندى الصباح والذى يتبخر مع شروق الشمس تاركا وراءه الاملاح وهى تخلق بدورها ضغطا يعمل على تحليل صخور التماثيل .

ماك - ٢٥ طائرة المستقبل

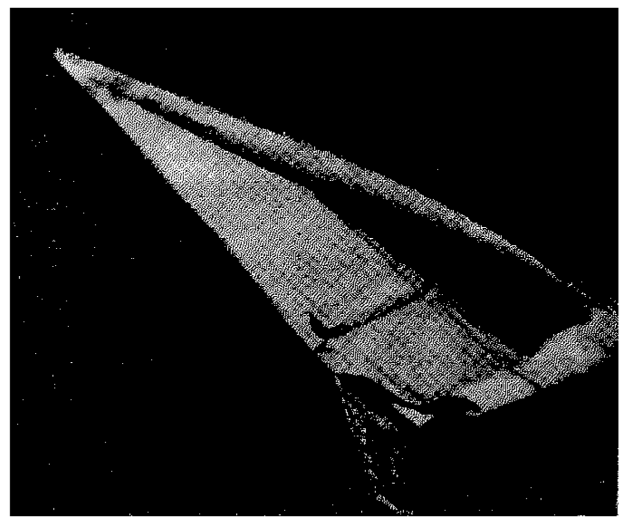
فى القرن الحادى والعشرين يمكنك الانتقال من لوس انجلوس الامريكية الى طوكيو اليابانية فى ساعتين فقط ، فالولايات المتحدة الامريكية فى طريقها لانتاج طائرة تبلغ سرعتها ضعف سرعة الصوت خمس مرات ويطلق عليها اسم « ماك - ٢٥ » لذلك يستغنى فيها عن وجود نوافذ كما هو الحال فى الطائرات العادية لانها تضعف من قدرة



يعكف قسم العقاقير الان على دراسة كيفيه عودة الناس الى الاستفادة من النباتات الطبيعيه المنتشرة فى حدائق المدن - وليس فقط عند العطار - مثل أعشاب الخلة والكوليا والدنيكا • وهذه النباتات مزروعة فى الحدائق العامة مثل حديقة الحيوان وحديقة البرج بكميات كبيرة • .

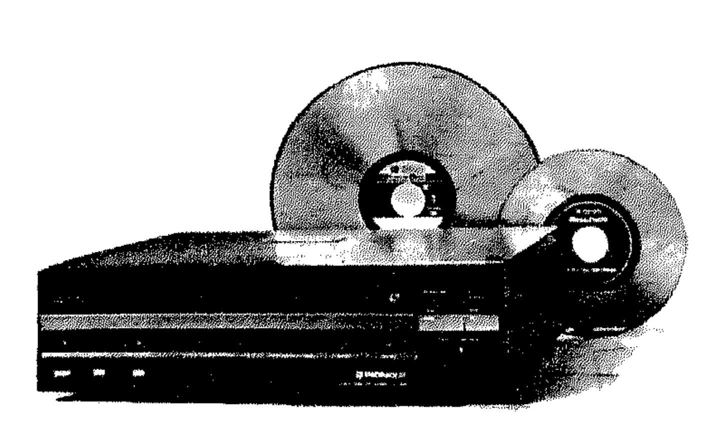
يرى الدكتور محمد مصطفى العزيزى رئيس القسم ان المواطن العادى يمكنه استحضار مستخلصات أو منقوع من هذه النباتات لعلاج امراض عديدة مثل نبات السكوليا الذى يحتوى على مادتى الكوكولين والكوكولتين اللتان تعملان على خفض ضغط الدم •

اما نبات الخلة فقد أمكن استخراج مادة الخلين التي يستعمل منقوعها فى علاج أمراض الكلى والتقلصات المعوية والبهاق •



الطائرة على تحمل الضغط فى مثل هذه السرعة الفائقة ، ويمكن لماك - ٢٨ ان تقطع اكثر من ١٧ الف ميل فى الساعة. والطائرة الجديدة سوف تقلع من نفس المطارات التقليدية الى الفضاء الخارجى ويمكن أن تكون بديلا اقل تكلفة للمكوك الفضائى كما يمكن استخدامها عسكريا فى مهاجمة قاذفات القنابل للاعداء . وتقوم وزارة الدفاع الامريكية ووكالة ناسا الفضائية بتمويل المشروع الذى يستمر ٣ سنوات .

● اسطوانات الفيديو ●



تمكنت شركة اليكترونيات عالمية من انتاج اول اسطوانات تسجيل خاصة بجهاز الفيديو .. يصل قطر الاسطوانة لحوالى ثمانى بوصات واقصى مدة تسجيل تصل الى ١٥ دقيقة . يمكن للاسطوانة أن تسجل وتحتفظ بحوالى ٢٤ الف صورة ثابتة أو متحركة ويمكن استرجاع اى منها على الفور فى اقل من ثانية • تسجل اسطوانات الفيديو

● العلاج فى حديقة حيوان الجيزة ●

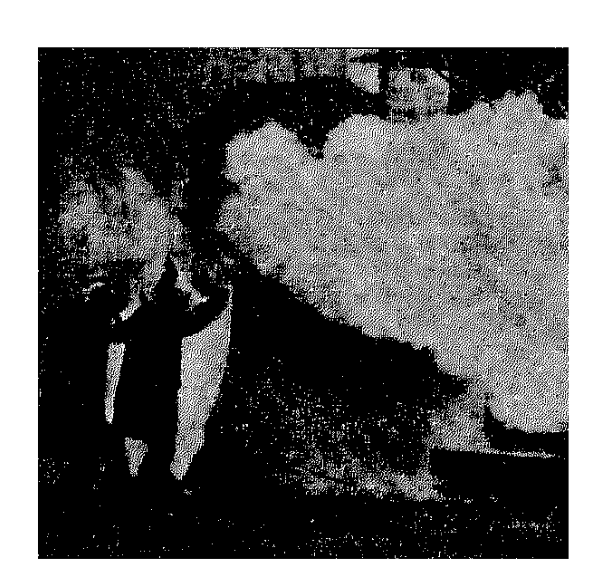
الاعشاب ادوية

ذلك الموضوع التقليدى القديم تنظر اليه كلية الصيدلة بجامعة الازهر بمنظور تطبيقى يجب تنفيذه بدلا من استمرار الحديث عنه ..

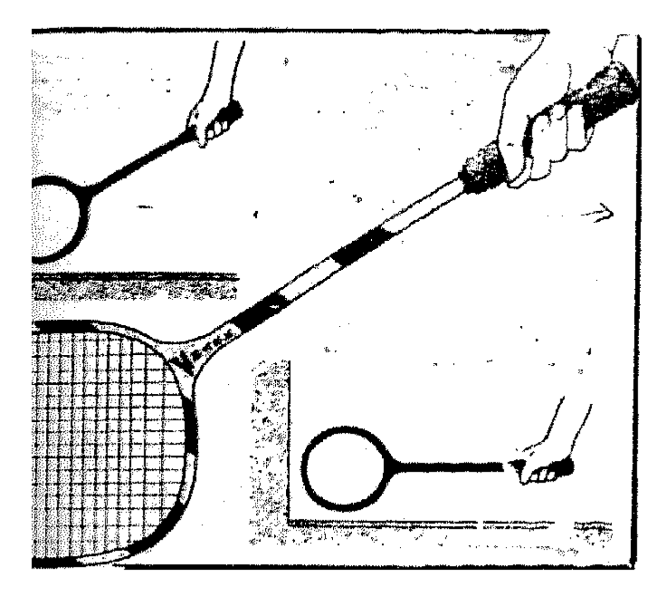
الجديدة بالالوان او بالابيض والاسود • يعيب استخدام أسطوآنات الفيديو امران اولهما ارتفاع سعر الجهاز الخاص بالاسطوانات وثانيهما عدم امكانيةالتسجيل على الاسطوانة اكثر من مرة واحدة •

● نسيج جديد مقاوم للاشتعال ●

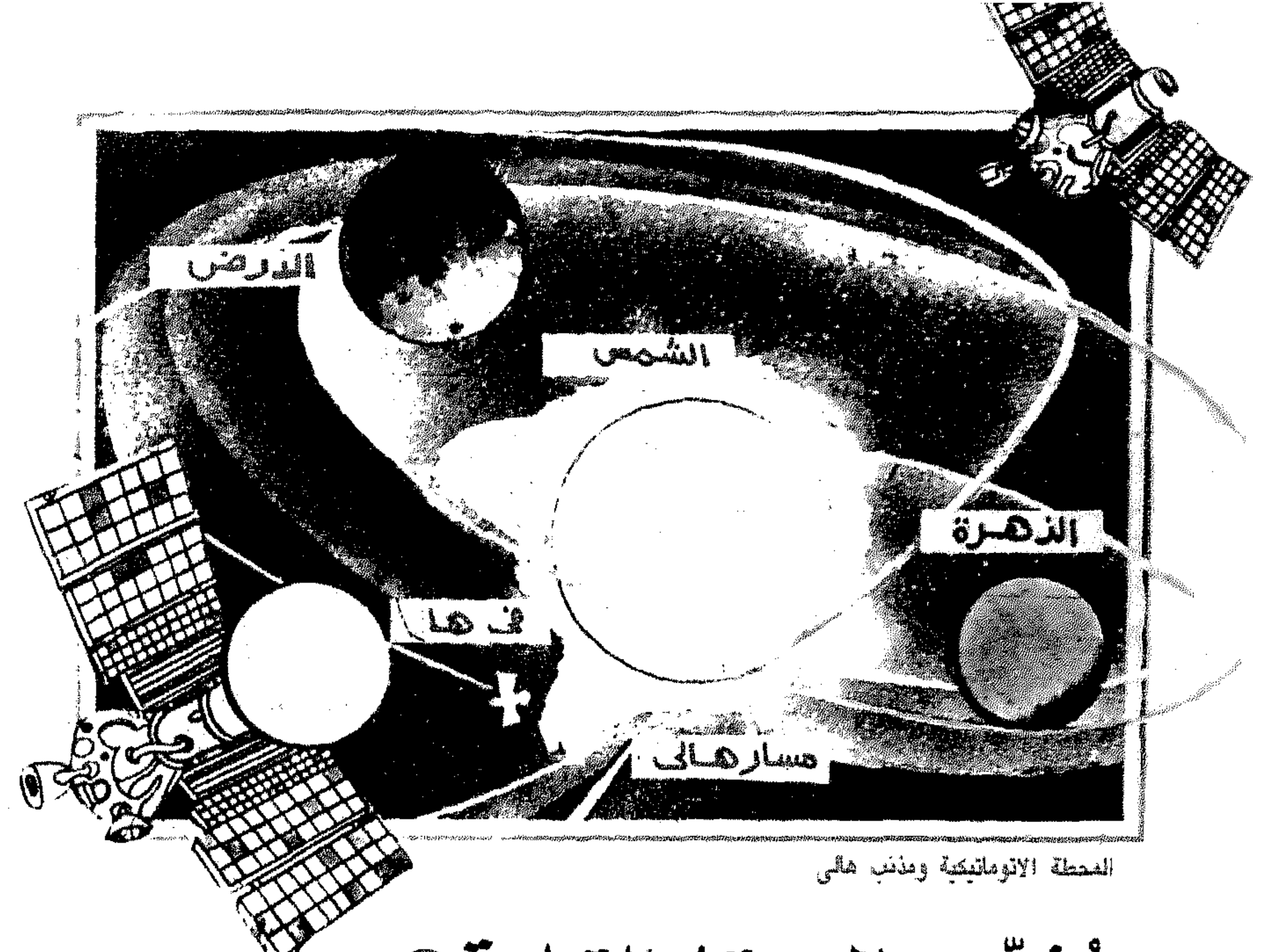
أنتجت الولايات المتحدة الامريكية نسيجا جديدا مقاوما للنيران وهو لايساعد فقط على حماية الانسان من الحريق ولكنه يلعب الدور الاكبر في العلاج من الحروق ايضا • والنسيج الجديد الذى يصنع منه اغطية وملابس ضد الحريق عبارة عن نسيج صوفى معامل بمادة الجيل المستخلصة من الزيوت الطبيعية للنباتات والخضراوات وتحتوى هذه الزيوت على عوامل ضد البكتريا التى تساعد على قتل البكتريا الموجودة في الجو والبكتريا داخل الجسم التى يمكن أن تسبب العدوى في الجروح المكشوفة للحروق • ويمكن للاغطية مقاومة الحرارة حتى ٣٨٠٠ درجة فهرنهايت • وهى تقوم بتخليص الجسم المصاب بالحروق من الحرارة عن طريق مادة الجيل التى تنقلها بدورها من خلال الغطاء الى الخارج وبمجرد رفع الغطاء يمكن ازالة الجيل من البشرة باستخدام المياه العادية •



● مضرب جديد للاعب التنس والاسكواش ●



يعرف لاعبو الاسكواش والتنس الاسلوب النظرى الصحيح لامكانية صد الكرات المنخفضة الشاردة التى تنطلق على بعد ياردات قليلة خارج حدود الملعب بسرعة تكاد تساوى سرعة الضوء فعليهم أن يصدوا الكرة بضربة افقية تكون فيها خيوط المضرب في وضع الزاوية القائمة على أرض الملعب • ولكن عند تطبيق هذه النظرية بشكل عملى غالبا مايجد اللاعبون حتى المحترفون منهم صعوبة في اللحاق بهذه الكرات • لذلك توصل لاعب التنس والمصمم الانجليزى جيرى ايفندن الى ابتكار مضرب تنس جديد في شكله فحول شكل المضرب البيضاوى الى مربع مع تركيب الذراع في احد الاركان وبهذا تمكن من انتاج مضرب اسكواش وتنس متميز في تصميمه وصناعته واكتشف اللاعبون المحترفون أن الشكل الرباعى للمضرب يساعدهم على اقتناص الكرات التى تسقط في الزوايا الضيقة • سيتم انتاج هذا المضرب بشكل موسع خلال العام القادم ويطلق عليه اسم « شارلا » •



المحطة الاتوماتيكية ومذنب هالى

● مُذنّب هالى وقيام القيامة ●

يَد الإنسان تتحسّس شَعر هالى بحثاً عن أسرار الكواكب والحياة

بقلم: محمد فتحى

● خلال الزيارة السابقة التى قام بها المذنب هالى لمجموعتنا الشمسية (عام ١٩١٠) كان البشر يهرعون موجات إثر موجات إلى المنجمين ، مستطلعين ماوراء هذه الزيارة من مآس وكوارث ..

ولم يتردد الدجالون عن بيع الناس البلابيع والحبوب التى تقيهم شر ما يجلبه المذنب معه من خبيث الأمراض ! ويومها بلغ الخلط والجهل والخوف مبلغا أكد معه بعض مدعى العلم أن القيامة قائمة لامحالة ..

لم تقم القيامة طبعا . ومرت ٧٦ سنة ، وحل موعد زيارة المذنب هالى لمجموعتنا الشمسية من جديد

لكن سبحان مغير الأحوال .. كم اختلفت صورة اللقاء !! ؟

لم تنحسر مظاهر الجهل والخرافة والخوف فقط ، بل وبلغت الجسارة حدا بالانسان جعله يفكر فى ملاحقة هذا الجرم السماوى الغريب ، فى مهرجان علمى عالمى نادر الحدوث .. يصنع حلقة بارزة فى سلسلة محاولات كشف الانسان ليس فقط عن أسرار نشأة المجموعة الشمسية ، بل ومرة واحدة ـ وبالغرور الانسان ـ عن أسرار نشأة الكون والحياة !!

كان وجود الانسان البدائى يخضع ، إلى حد كبير ، لما يحيط به من ظروف طبيعية . وشغل هذا الانسان كثيرا بالتطلع إلى السماء ، التى انطوت دوما على ما يمارس تأثيرا حاسما على أنشطته .

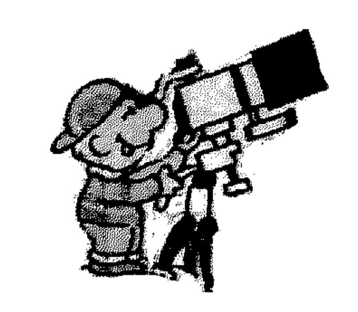
لم يكن هذا الانسان قد امتلك ساعة أو تقويما بعد ، ولذلك اتكأ على ما يجرى بصفحة السماء من تغيرات ، فى معرفة فصول الصيد والقنص والغرس والحصاد .. وهكذا اعتاد الانسان ربط شئون حياته

بما يجرى على صفحة السماء .

ولما كانت حياة الانسان لا تخلو ، مثلها مثل صفحة السماء ، من ظروف استثنائية كالحروب والزلازل والأوبئة فقد جرى الانسان على ما اعتاده وصار يربط بين ظروف حياته الطارئة وبين ما يستجد على صفحة السماء مما لم يعتده ، بالذات وقد كانت هناك علاقات سببية واضحة فى بعض الأحيان لمثل هذا الربط .

من هنا ظهر الارتباط بين ما يشهده مسرح الحياة من كوارث ومآس وبين ظهور أكثر الأجسام السماوية تفردا وغرابة فى السلوك ، التى اصطلح على تسميتها بالمذنبات ..

تطلع الناس إلى هذه الاجسام الغريبة فى دهشة ، ورأى بعضهم فيها نجوما بذيول (ومن هنا جاءت تسمية : المذنب فى اللغة العربية) ، بينما رآها البعض نجوما بشعر متهدل (ومن هنا تسمية : " كوميت " فى



● مُذنّب هالى وقيام القيامة ●

اللغات الأوربية) ، كما راها أخرون وجوها بلحية ، وغيرهم ...

لكن هذا التوصيف المظهرى لم يمنع كل مشاهد من ان يغلف رؤيته بما يتماشى مع ما يملأ عليه حياته . وطالما وقر فى الاذهان ان المذنبات نذير شؤم ، فلم يعدم أىٌ من المتربصين كوارثا يرصدها مع مجىء هذا المذنب أو ذاك ..

● كل يناجى ليلاه ●

هكذا نسج البشر اساطيرهم وخرافاتهم حول المذنبات . وللأهمية التى كانت تضفى على هذه الأجسام الغريبة ، والرهبة التى كانت تحيط بها وجدت المذنبات طريقها إلى كثير من سجلات تطور الجنس البشرى ..

فقارىء إلياذة هوميروس (٧٥٠ سنة قبل الميلاد) سيجد وصفا للمذنب على انه النجم المتهدل الشعر ، الذى يمطر الأرض بالأوبئة والجرب (!) هذا كما سيجد القارىء صورا عديدة من تطير الناس نتيجة لظهوره مثل ماجاء فى كتاب الكامل لابن الأثير (٨٣٨م) : " .. فهال الناس ذلك ـ ظهور المذنب ـ وعظم عليهم الأمر » ، وفى كتابات ابن أياس (١٤٥٦م) : " .. وزاد الكلام السىء بسببه .. "

وليت الأمر وقف عند هذه العموميات فسرعان ماراح كل يناجى « ليلاه » فى شخص المذنب . فرأى الصينيون ظهوره علامة على غضب السماء من إمبراطورهم . بينما رأه الرومان تعبيرا عن حزن الآلهة على مصرع يوليوس قيصر (١٢ ق . م) ، وراه المؤرخ اليهودى (٦٦م) نذيرا بالكوارث التى حلت بمدينة القدس فيما بعد ، وراه الانجلوسكسون (١٠٦٦م) نذيرا مشئوما لملكهم هارولد الذى اغتيل فيما بعد ، وراه الأمريكيون (١٦٠٧ م) نذيرا بأهوال الصراع بين المهاجرين والهنود الحمر ..

وهكذا ما إن كان أحد المذنبات يطل من عليائه فى صفحة السماء حتى يهرع الناس إلـى المنجمين والـعـرافين مستطلـعين مستفسرين عما يمكن أن يلحق بهم فى اتصال بهذا الظهور .

وحلت أزمنة ترعرعت فيها الخرافات حتى جاهر الأساقفة فى الكنائس بأن خطايا الانسان تصعد إلى السماء ، وتتجمع هناك مكونة تلك المذنبات ، كنذير بالشؤم واللعنة . ولم يكن غريبا أمام تصورات كهذه أن يدعو الاوربيون (١٤٦٦ م) فى صلواتهم قائلين : " إنقذنا يارب من براثن الشيطان والأتراك ، ومن شرور المذنب الذى يتهددنا فى السماء "

وذلك كله ناهيك عن فضائح من قبيل سعى مواطنى أوكلاهاما (١٩١٠ م) إلى تقديم عذراء قربانا للمذنب ، توقيا للشرور التى يمكن أن يجرها عليهم ..

● بعيدا عن الخرافة ●

لكن النشاط الانسانى لم يكن مقصورا على الخرافة فقد واصل الانسان ملاحظـاته وتسجيلاته الحيادية ، حتى فى أكثر الحقب إظلاما ..

وهكذا رسم الفنان جيوتودى بوندون (١٣٠١ م) المذنب على سقف أحد الكنائس الإيطالية ، بشكل بليغ فى صدقه وتسجيليته .

وفى عام ١٧٠٥م استخدم العالم أدموند هالى نظرية نيوتن الخاصة بالجاذبية ، وكانت

احد المستحدثات الثورية فى حينه ، استخدمها فى حساب مدارات ٢٤ من المذنبات التى رصدها الانسان فى سماء مجموعتنا الشمسية ..

ولاحظ هالى أن المذنبات التى زارت المجموعة الشمسية فى أعوام ١٦٨٢ و ١٦٠٧ و ١٥٣٠ لها مدارات متشابهة . واستنتج بعد كدح ذهنى مرهق ، وأخذ ورد طويلين مع نفسه ، أنها مذنب واحد يدور حول الشمس ، كل ٧٦ سنة تقريبا ، وعلى ذلك فانه سيعاود الظهور عام ١٧٥٨ ..

لم يمتد عمر الرجل حتى يتحقق من صحة توقعه . لكن الأوساط العلمية تذكرت العالم الفطن وهى تتابع المذنب ، فى الوقت الذى حدده . وكرمته هذه الأوساط باطلاق اسمه على المذنب ..

وكشفت الدراسات التى أجريت بأثر رجعى أن المذنب الذى حمل اسم هالى ، لم يفلت من رقابة وتسجيل الانسان المتطلع إلى السماء منذ عام ٢٤٠ قبل الميلاد ولم يكن ذلك بالأمر الغريب ، لأن المذنب من النوع الذى يمكن رؤيته بالعين المجردة ، فهو يقترب كثيرا من كوكبنا ، ناهيك عن أنه ليس من المذنبات الصغيرة ..

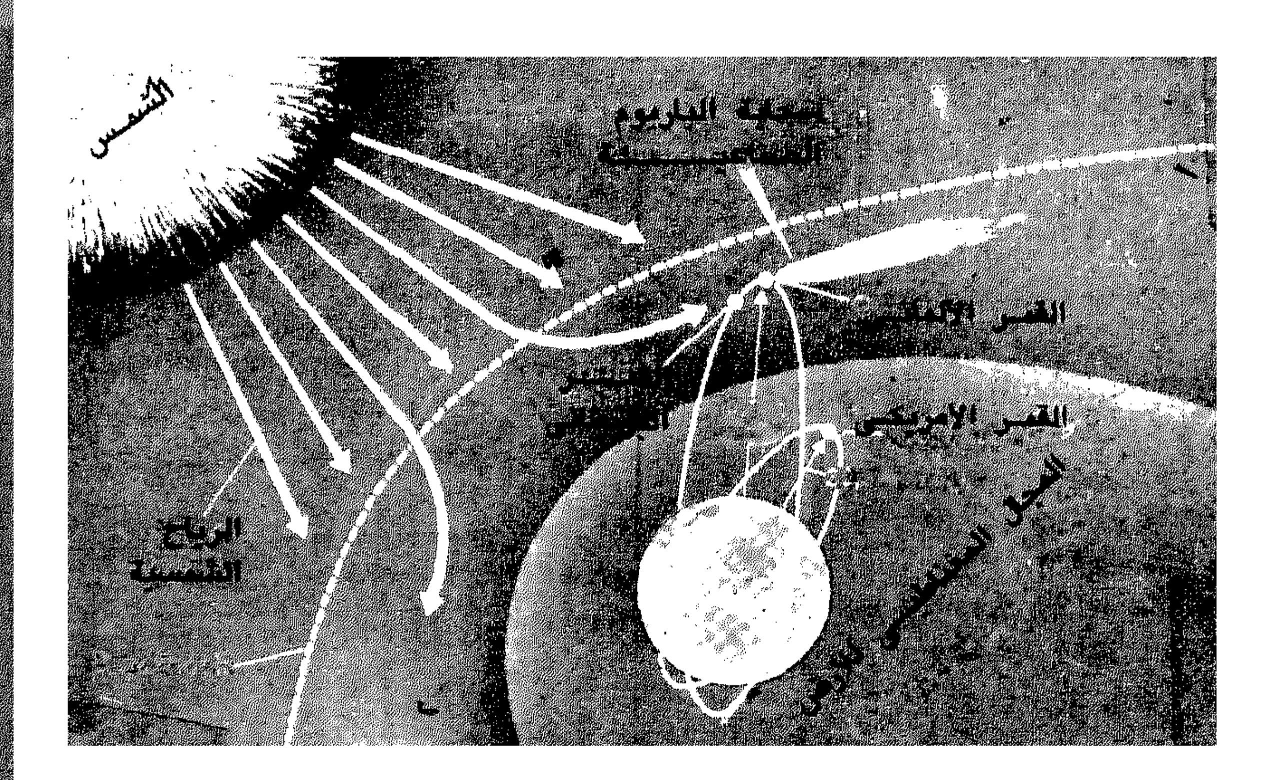
وبدد التقدم العلمى المطرد هالة الخرافة التى أحاطت بالمذنبات فقد ظهر مع صنع التلسكوبات الكبيرة أنها ـ المذنبات ـ لاتعد بتلك الآحاد التى يراها الانسان بعينه المجردة ، أو بالعدسات المقربة ، وإنما بالمئات والالوف ..

هكذا اتسعت حركة التسجيل والدرس

ومع استطلاع المواد المكونة للمذنب بواسطة تحليل طيف الأضواء الصادرة عنه . صار مفهوما أن المذنب عبارة عن كتل من الجليد والأتربة الكونية والأبخرة المتجمدة . يقدر قطرها بالكيلومترات ..

ومع تتبع التحولات الديناميكية التى تطرأ عليه فى مداره ، وجد أن الجليد يأخذ فى

مذنب اصطناعى لدراسة الرياح الشمسية والمغناطيسية الارضية





● مُذنب هالى وقيام القيامة ●

التبخر حين يقترب المذنب من الشمس ، لتتحرر الغازات والأتربة ، مكونة غلافا هائلا يقدر بآلاف الكيلومترات ، يتألق رغم شفافيته ، لطبيعة تكوينه من جانب ، ولانعكاس أشعة الشمس عن مكوناته من الجانب الآخر .

ونظرا لأن كتلة المذنب المركزة فى مادته تعجز عن الاحتفاظ بغازات وغبار الغلاف ، لضعف جاذبيتها النسبى ، فان هذه الغازات تتباعد مع الرياح الشمسية مكونة ذيلا للمذنب يقدر طوله بملايين الكيلومترات :

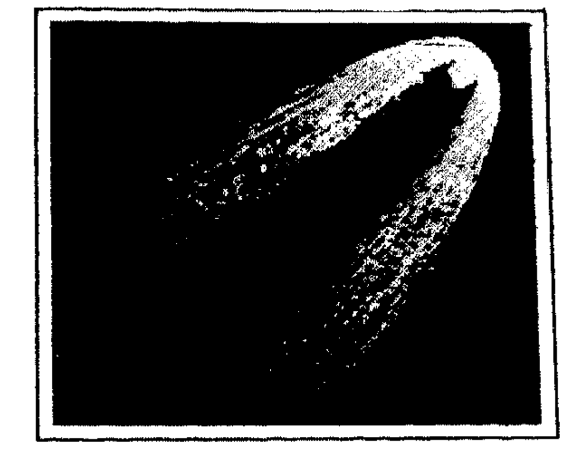
ومن هنا الشكل المذهل الرهيب الغريب ، الذى يراه من يتطلع إلى المذنب من كوكبنا .

ومن هنا التقسيم الذى اصطلح عليه لشكل المذنب ، بين نواة وغلاف وذيل .

● الكثير مازال مجهولا ●

لقد كان كل مافى حوزة الانسان حتى المرة

هالى سنة ١٩١٠



الأخيرة التى زار فيها المذنب مجموعتنا الشمسية (١٩١٠ م) أجهزة تتيح للدارس ان يتأمل المذنب ويكدح ذهنه ، دون مغادرة سطح الأرض .

وعلى الرغم من أن هذه الأجهزة قد مكنت من التوصل إلى كثير من المعلومات المفيدة عن المذنبات وأبعادها وتكوينها ... إلا أن كثيرا مما يشغل العلماء ظل بلا جواب ..

فعلى سبيل المثال مازالت التساؤلات قائمة حول ما إذا كانت نواة المذنب كتلة واحده أم عدة كتل ، وحول سر تغير درجة وميض المذنب فى دورة تتكرر كل ٢٤ ساعة ، وحول التركيب الدقيق لمكونات المذنب ، والتغيرات التى تطرأ عليها ، والكم الذى تتناقص به كتلته مع كل دورة حول الشمس ، والمآل الذى سيؤول اليه المذنب حتما : الموت ، ومتى سيحدث ذلك .. وماذا يمكن أن يصيب الأرض من ذلك كله ؟

باختصار مازال المعروف عن المذنبات ذا طبيعة وصفية واحتمالية ، فى أغلبه . ومازالت الحاجة ماسة إلى معرفة الكثير من العلاقات السببية التى تربط بين ما يحيط المذنبات من ظواهر ..

● إمكانيات عصر الفضاء ●

ومع تسلح الانسان بعتاد علمى جديد وباهر ، ينتمى إلى عصر الفضاء ، صارت الفرصة متاحة لأن يمد الانسان يده مئات الملايين من الكيلومترات ، للقاء هالى وتحسسه عن قرب .

وهكذا أطلق الاتحاد السوفييتى محطتين أوتوماتيكيتين ، تحملان أجهزة شاركت فى صنعها مايقرب من عشر دول ، بينها فرنسا ، لتلتقيا مع هالى على بعد ١٥٠ مليون كيلومتر من الأرض ، فى نقطة تبعد عن نواته ١٠ ـ ٣٠ الف كيلومتر ، لترسلا صورا مقربة أو مكبرة للمذنب إلى الأرض ، فضلا عن تحليل أتربته ..

كما أطلقت اليابان قمرين صناعيين لرصد

المذنب على مسافة مائة ألف كيلومتر ودراسة الرياح الشمسية التى تعصف بهالة المذنب ، صانعة له ذيلا يقدر طوله بملايين الكيلومترات ..

وأطلقت الدول الأوربية مجتمعة محطة أوتوماتيكية ، أطلقت عليها اسم الفنان الذى رسم المذنب (١٣٠١ م) : جيوتو ، تكريما له على ماأداه للعلم من خدمات . لتقوم - المحطة - ناهيك عن القياسات البعيدة بمهمة انتحارية ، تقترب وفقها لمسافة ٥٠٠ كيلومتر من نواة المذنب ، للحصول على أكبر قدر من المعلومات عنه ، قبل أن تلقى حتفها ..

هذا وقد وقفت ميزانية أبحاث الفضاء فى الولايات المتحدة الأمريكية حجر عثرة أمام تنفيذ برنامج أمريكى للقاء هالى . لكن الولايات المتحدة راجعت أوراقها القديمة ، ووجهت قمرا صناعيا كانت قد أطلقته عام ١٩٧٨ لدراسة الرياح الشمسية ، وجهته إلى مذنب آخر (جاكوبينى زينر) زار مجموعتنا الشمسية خلال أغسطس وسبتمبر ١٩٨٥ ، لرصده عن قرب والمساهمة بذلك فى الدراسة الجارية للمذنبات بوجه عام .

واصدر العلماء الأمريكيون أوامرهم أيضا إلى محطة أوتوماتيكية أخرى (بيونير) ، تدور فى الأصل حول الزهرة ، لالقاء نظرة عن قرب على المذنب هالى ، أثناء مروره بين الزهرة والشمس ، وحدث ذلك بالفعل خلال ديسمبر ١٩٨٥ ..

وشاركت أمريكا بريطانيا والمانيا الغربية فى تجربة تمت بثلاثة أقمار صناعية أطلقت بصاروخ واحد ، صنع أحدها (الألمانى الغربى) مذنبا إصطناعيا بينما قام القمران الأمريكى والبريطانى برصد هذا المذنب من ارتفاعات مختلفة ، لدراسة تأثيرات الرياح الشمسية ومغناطيسية الأرض .

وهذا كله فضلا عن استطلاع المذنب وتصويره من خارج الغلاف الجوى لكوكبنا ، خلال رحلات مكوك الفضاء الأمريكى

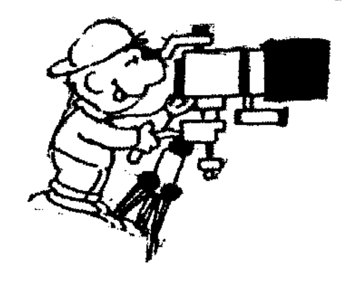
● أولاد العم فى مواجهة الغريب ●

هذا ولا يمكن ترك الحديث فى هذا الصدد دون إشارة إلى أن هذه الجهود لاتجرى متفرقة ، خبط عشواء ، إذ أن أطرافها قد جمعت فى إطار برنامج عالمى موحد لمراقبة مذنب هالى ، تشارك فيه كل الدول التى تملك معدات فلكية حديثة ، تحت تنسيق أحد المعامل العلمية فى باسيدنا بكاليفورنيا .

وهذه واحدة من المرات النادرة التى يلتقى فيها الفرقاء لتنسيق أنشطتهم فى مواجهة ظاهرة كونية ، تواجه الكوكب بمجموعه ، دون تفرقة بين من يقتتلون عليه .

ولاتقتصر الفائدة المنتظرة من هذا البرنامج العالمى على المعارف الخاصة بطبيعة المذنبات ، فطموحات الانسان - وأوهامه - تمضى إلى حدود ابعد إذ يوجد افتراض بأن مادة المذنب هى نفسها المادة التى تكون منها كوكبنا ، مع غيره من كواكب مجموعتنا الشمسية ، قبل ٤ر٦ مليار سنة . ومن هنا الاعتقاد بأن المذنبات تنطوى على معلومات لاتقدر بثمن ، عن المرحلة الابتدائية للسحابة التى ولدت الكواكب من رحمها .

كما أن هناك افتراض بأن التغيير الكيميائى الحادث داخل المذنب هو السبب وراء ظهور المادة العضوية فى جو أرضنا ، وأن المذنبات على وجه التحديد هى التى صحبت مادة الحياة إلى كوكبنا . حين مسح الذيل الهائل لأحد المذنبات سطح الأرض ..



دراسة الهلال

الوفد و٤ فبراير

بقلم : د. محمد أنيس

● يكتسب الحديث عن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ اهمية اليوم ، ليس لاننا فى الذكرى الرابعة والاربعين على هذا الحدث التاريخي الهام ، ولكن لانه يسهم بالتأكيد فى الوعى بقضية تثار هذه الايام من جانب أحزاب المعارضة، والحزب الحاكم فى مصر ، واقصد بها قضية التبعية لدولة كبرى ، الامر الذى يجعل الاستقلال الوطنى امرا ناقصا ، او مهزوزا . ●

ومازلت اذكر حين كان فؤاد سراج الدين وعبد الفتاح حسن وابراهيم فرج يفكرون فى احياء حزب الوفد من جديد فى عام ١٩٧٧ - ١٩٧٨ - وكنا معهم - قدر الفزع الذى اصاب حزب مصر (الحزب الوطنى الديمقراطى سابقا) من عودة حزب الوفد حتى أن صحف الحزب الحاكم ظهرت وتتصدرها عناوين تحمل قدرا كبيرا من القلق والجزع . فقد كان المانشيت الرئيسى (عودة حزب ٤ فبراير) يومها تعجبت كثيرا ففيم كانت المحاولات الكثيرة لتبرئة الوفد وبالذات مصطفى النحاس من الاشتراك فى تدبير حادث ٤ فبراير مع السلطات البريطانية فى القاهرة انذاك او حتى علمه بما كانت تعتزمه هذه السلطات مع الملك فاروق . فقد بدا واضحا رغم كل هذه الدراسات التى تستند بعضها على الوثائق البريطانية انها لم تنجح فى ازالة الاتهام عن الوفد . ومازالت قطاعات واسعة من الطبقة الوسطى المصرية تعتقد اعتقادا جازما بأن الوفد شريك مع السلطات البريطانية فى محاصرة







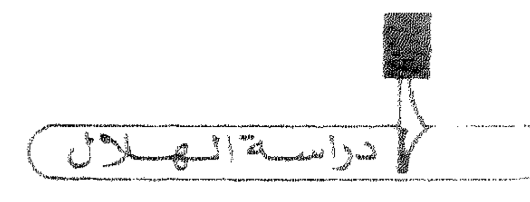
مصطفى النحاس



محمد حسنين هيكل

قصر عابدين بالدبابات واجبار الملك فاروق على تكليف مصطفى النحاس بتشكيل الوزارة وان هذه الجريمة لا يمكن أن تغتفر فى حق الوطن واستقلاله •

والحقيقة اننى حين كتبت كتاب ٤ فبراير فى التاريخ المصرى لم يكن هدفى تبرئة الوفد او مصطفى النحاس بالذات من المشاركة فى تدبير الحادث أو العلم المسبق بما يعتزمه الانجليز فى ٤ فبراير ، فهذه التبرئة جاءت مع نشر الوثائق الانجليزية التى امكن الاطلاع عليها فى اوائل السبعينات وكتبت وكتب غيرى انذاك بعض المقالات استنادا على هذه الوثائق وهى دون جدال تؤكد ان الوفد ـ او مصطفى النحاس بالذات ـ لم يكن على دراية بما يعتزمه الانجليز • غير ان فكرتى الرئيسية فى كتابى (٤فبراير فى التاريخ المصرى) كانت مختلفة تماما بل عكسية تماما ـ فقد كنت اسعى لاثبات أن الوفد كان مشتركا فى تهديد القصر فقد كنت ـ ومازلت ـ ارى الموقف انذاك على النحو التالى هناك صراع عالمى بين جبهتين : الجبهة الفاشية المشكلة من المانيا النازية وايطاليا الفاشستية واليابان العسكرية ضد الجبهة الديمقراطية التى تتكون بصفة اساسية من انجلترا وفرنسا والاتحاد السوفيتى (لم تكن الولايات المتحدة الامريكية قد دخلت الحرب بعد) ـ فى ظل هذا الاطار الدولى ماذا يستطيع الشعب المصرى أن يفعله او ماذا يجب على الحركة الوطنية بقيادة الوفد ان تفعله ـ الخيارات واضحة : اما أن تستمر فى عدائها للانجليز وبالتالى تعاون الجبهة الفاشية فى العالم او تقف موقف الحياد واللامبالاة وهو موقف يساعد ـ بدرجة ما ـ المعسكر الفاشى او أن تقف حتى نهاية الحرب فى



جانب الجبهة الديمقراطية ثم تسعى الى تسوية حساباتها مع بريطانيا بعد نهاية الحرب ؟ فاذا عرفنا الى جانب ذلك انه كان هناك صراع داخل مصر بين القصر من ناحية والوفد من ناحية اخرى حول قضية الديمقراطية بالذات واذا عرفنا ان القصر كان ممالئا للمعسكر الفاشى فقد كان من الطبيعى والمنطقى جدا ان يقف الوفد مع قضية الديمقراطية العالمية لنصرتها عالميا وبهذا يكون الوفد قد أسهم فى النظام العالمى بعد الحرب العالمية الثانية • وكنت اسال نفسى : ماذا يمكن ان تكون صورة العالم اذا انتصرت الفاشية العالمية ؟ بالتاكيد سيحكم مصر جبهة من القصر ومصر الفتاة والاخوان • هل هذا مقبول •

هذا التصور من جانبى كان يتطلب بداهة ان تكون قيادة الوفد على وعى بطبيعة ما يحدث عالميا •• ورحت أبحث فى صحافة الوفد عن تصريح أو مقال يشير الى هذا الادراك ولم اجد غير مقالين لعزيز فهمى - ابرز عناصر الطليعة الوفدية - يهاجم فيهما النازية العالمية ويدافع بحرارة عن قضية الديموقراطيات العالمية وتحمست لما كتب عزيز فهمى وكتبت فى معنى ان قيادة الوفد كانت تدرك طبيعة المعركة الدولية ومن المنطقى تماما ان تقف الى جانب قضية الديمقراطية لاسيما وان القصر يقف سرا وعلانية الى جانب الفاشية الدولية وعلى صلة سرية بها •

ولازلت اذكر اننى حين طرحت قصة ٤ فبراير بهذا المفهم فى عدة مقالات فى صحيفة الاهرام ان الاستاذ محمد حسنين هيكل رئيس التحرير الذى طلب منى نشر هذا البحث فى جريدته فى فبراير ١٩٦٧ بمناسبة مرور ٢٥ عاما على الحادث لم يكن مسرورا او راضيا بوجهة نظرى • واذكر ان الاستاذ هيكل قال لى : اذن انت تقر بأن الوفد - أو قيادته - كان ضالعا فى الحادث أو على الاقل على علم بما ينويه الانجليز • وكانت اجابتى : نعم كان مشاركا ويعلم وهذا لا يقلل من وطنيته بل هو أمر طبيعى جدا نظرا للصراع الدولى بين النازية والديمقراطية وكما قلت لم يكن هيكل مسرورا بما قلته ولكنى اشهد انه كان على قدر من الديمقراطية بحيث نشر كافة ما كتبت فى جريدته دون حذف كلمة واحدة •

لكن هذه المقالات فى فبراير ١٩٦٧ جلبت للاستاذ هيكل المتاعب من زاوية اخرى : لان احد مصادرى كتاب كان قد كتبه ضابط فى المخابرات البريطانية فى مصر ابان الحرب العالمية الثانية والكتاب تحت عنوان spy on the spies وروى المؤلف بشىء من التفصيل كيف تمكن من اكتشاف صلة الراقصة حكمت فهمى برجلين من رجال المخابرات الالمانية فى عوامتها على النيل وكان معهما جهاز لاسلكى وجىء بالرئيس المصرى السابق انور السادات - الضابط انذاك فى سلاح الاشارة لاصلاح العطب الذى



الوزارة التى شكلها مصطفى النحاس فى ٤ فبراير ١٩٤٢

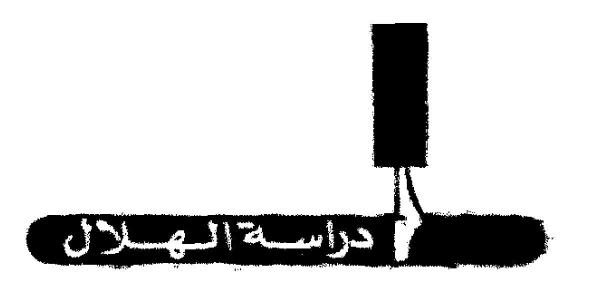
اصاب الجهاز • وتوقف المؤلف كثيرا عند علاقة انور السادات بالالمان وحكمت فهمي وتوقفت معه بعض الشيء في مقالاتي حول هذه العلاقة • اظن ان هذه النقطة بالذات هي التي جلبت لهيكل بعض المتاعب – وقد فهمت ان السادات شكا لعبد الناصر مما ينشر في الاهرام واعتقد ان عبد الناصر اتصل بهيكل يسأله في قلق متى تنتهي هذه المقالات • وكان هيكل يريد ان يفتح بهذه المقالات نقاشا واسعا جادا حول حادث ٤ فبراير ولكن اشارة عبد الناصر لهيكل انهت فكرة المناقشة بنهاية المقالات •

وما كان يعني الاستاذ محمد حسنين هيكل وبعض الطبقة المتوسطة المصرية: هو تورط حزب الوفد وقياداته في الحادث • وما كان يعنيني ان تكون قيادة الوفد على وعي بالدور الذي قامت به بصرف النظر عن اشتراكها بل ربما يكون اشتراكها مبررا كافيا من وجهة نظري للدفاع عن الوفد لان وعيه بالصراع الدولي يجعل لقبوله الوزارة معنى وكنت اخشى ان لا تكون قيادة الوفد واعية بذلك فيكون وصول الوفد الى الحكم لمجرد انه يريد ان يحكم بعد فترة طويلة من الابتعاد عن الحكم •

فيما بعد وحين فتحت ملفات الخارجية البريطانية عن الحرب العالمية الثانية وقدر لنا الاطلاع عليها عدت الى الكتابة في الاهرام ايضا حول هذا الموضوع عام ١٩٧١ – ١٩٧٢ ولم اكن سعيدا لان الوثائق البريطانية كانت حاسمة في قولها ان مصطفى النحاس لم يكن يعلم بما تدبره انجلترا ضد الملك صاحب التوجهات النازية •

كان هذا المجهود سواء من جانبي او من جانب الاخوة المؤرخين او المثقفين ، ضاع هباء فيما يبدو – فلازال حادث ٤ فبراير في نظر شرائح كثيرة من الطبقة الوسطى المصرية جريمة وطنية لا تغتفر في حق الوفد ويبدو ان القضية سوف تبقى على هذا النحو : اختلاف حاد في وجهة النظر حول تقويمها وستظل تفتقد الى اجماع موحد •





اذ كيف يمكن تفسير المنطق الذى يقف وراء هذا الاتهام بمثل هذا الاصرار ؟ رغم ان مصطفى النحاس اقدم فيما بعد على اعظم خطوة فى حياته ضد الانجليز بالغائه معاهدة ١٩٣٦ فى وزارته الاخيرة وهكذا اقدم النحاس على الخطوة التى كان من شانها ان تطيح بحكمه وتتسبب فى حريق القاهرة وعودة العمل بمعاهدة ١٩٣٦ حتى الغاها عبد الناصر فى ١٩٥٤ ؟

كثير من الذينيتخذون من حادث ٤ فبراير مبررا لادانة الوفد يرون فى محاصرة الجيش البريطانى بالدبابات لقصر عابدين واجبار الملك على استدعاء مصطفى النحاس لتشكيل الوزارة اعتداء على السيادة المصرية حتى ولو كان الملك فاروق موضع كراهية الشعب المصرى ، الا انه يظل رمزا للسيادة المصرية واشتراك الوفد ـ كما يعتقدون ـ فى تدبير هذا الحادث معناه أن الوفد قد ساهم فى تخريق هذه السيادة • وكانت اكثر قطاعات الشعب المصرى استنفارا لهذا الحادث هى ضباط الجيش المصرى • ويروى لنا التاريخ أن عددا من ضباط الجيش ، منهم عبد اللطيف البغدادى ـ خصم عبد الناصر البارز كما تدل على ذلك مذكراته ـ توجه فى اليوم التالى على الحادث الى قصر عابدين وقابلوا رئيس الديوان الملكى وعبروا عن استيائهم لما حدث واستعدادهم لعمل ما يريد صاحب الجلالة • وكان احمد حسنين يدرك طبعا حجم هذه المظاهرة الفارغة فصرفهم بعد ان طيب خاطرهم •

كذلك لعب الشعور العدائى لانجلترا ـ باعتبارها الدولة المحتلة منذ ١٨٨٢ ـ دورا كبيرا فى تصعيد هذا الحادث والحقيقة أنه من الناحية العاطفية البحتة فقد كان من الطبيعى أن تجتاح جماهير الشعب المصرى المفرحة لهزيمة انجلترا بصرف النظر عن طبيعة المنتصر ، وكانت لدعاية المحور القوية من اذاعة « بارى » الايطالية اثر كبير فى تاجيج مشاعر المصريين كما كان لموقف هتلر من يهود المانيا فى اوربا اثر ضخم جدا بين الشعوب العربية عامة فى التعاطف مع المحور بسبب القضية الفلسطينية • وصحيح ايضا ان بعض مظاهرات الطلبة فى صعيد مصر كانت تهتف «الى الامام ياروميل» حينما كانت المعارك فى الصحراء الغربية فى صالح جيوش المحور وحين كان روميل يتقدم بسرعة نحو الاسكندرية واصبح من المتوقع دخول الالمان الدلتا والقاهرة ووقتها طرح الانجليز مشروع اغراق الدلتا لتعويق سير الجيش الالمانى لولا اعتراض رئيس الوزراء مصطفى النحاس ووقتها ايضا بدأت بعض الادارات البريطانية المسئولة فى مصر تغادر القاهرة فى طريقها الى السودان وكان الجميع يتوقع سقوط الاسكندرية •

وصحيح ايضا انه وسط الفرحة العربية بهزيمة دولة بريطانيا قامت الثورة فى العراق وكان احد اجنحتها

الشيخ امين الحسيني الزعيم الفلسطيني المعروف .

لكن المعاصرين لهذه الاحداث يذكرون جيدا ان الاحساس باقتراب خطر الاحتلال الالماني لمصر اخرج الكثير من المصريين من حالة الشماتة في الانجليز الى حالة الاحساس بالخطر الحقيقي ..

والغريب انه على الرغم ـ ليس فقط من الدراسات المتعددة التي برات الوفد من حادث ٤ فبراير او بررت موقف الوفد ـ بل وان الوفد بتعاونه مع الحلفاء قد جعل من السهل على مصر دخول الامم المتحدة بعد ذلك ، بل وعلى الرغم من الصراع بين الوفد والانجليز بعد ذلك في وزارة النحاس الاخيرة التي الغى فيها معاهدة ١٩٣٦ ورفض الدخول في الاحلاف الاستعمارية كحلف شرقي البحر المتوسط وعلى الرغم من كراهية المصريين للملك فاروق فمازالت شرائح كثيرة تنظر الى حزب الوفد نظرة اتهام واضح لانه « حزب ٤ فبراير » كما طلعت علينا صحافة الحزب الحاكم .

فما هي مدى الصحة في هذا الادعاء ؟ هل حقيقة ان حزب الوفد الجديد هو حزب ٤ فبراير القديم ؟ الحقيقة تقول لا . فالوفد الراهن ليس هو حزب الوفد القديم ولكنه حزب العهد القديم (قبل ١٩٥٢) بشكل ايجابياته وسلبياته بل ربما يكون الوفد الراهن اكثر تمثيلا لسلبيات العهد القديم من ايجابيات ذلك العهد ـ فاذا كانت ايجابيات العهد القديم تتمثل في وجود حزب شعبي على راسه مصطفى النحاس وسلبيات ذلك العهد تتمثل في الاحزاب القديمة الاخرى والقوى المؤيدة للملكية فان الوفد الجديد دون جدال اكثر تمثيلا لسلبيات العهد القديم وهذه الحقيقة تفسر عدة ظواهر : في مقدمتها ان قيادة الوفد الراهنة تمثل الجناح اليميني الشرس في الوفد القديم ، ومنها تجمع كافة العناصر المعادية لثورة ٢٣ يوليو ولعبد الناصر في حزب الوفد الجديد مع ان بعضها كان من اشد المعارضين لحزب الوفد القديم ولمصطفى النحاس بالذات ، ومنها ذلك التحالف بين الوفد الجديد وجماعة الاخوان المسلمين وهو امر لم يكن يخطر مطلقا على بال مصطفى النحاس ومنها في الاخير رفض الوفد الجديد للتيار العلماني الذي عاش عليه الوفد منذ ظهوره في ١٩١٩ . ان الوفد الجديد منبت الصلة بالوفد القديم : الوفد الحقيقي لذلك يكون من الخطا البين تسميته بحزب ٤ فبراير .

ان ٤ فبراير من المسائل التي يجب ان تحسب لمصطفى النحاس لا عليه ، والاقرب الى الصواب ان يسمى حزب الوفد الجديد بحزب النظام القديم . هكذا تستقيم الامور .

ومع ذلك فهذا الحزب فيما يبدو يعد نفسه لتولي السلطة في مصر في اوائل التسعينات . الا ان الشعارات التي يرفعها تجد قبولا لدى شرائح متعددة في المجتمع سواء تلك التي تقف شامتة في ثورة ١٩٥٢ بعد هزيمتها في ١٩٦٧ او تلك التي خاب ظنها في الكثير من توجهات السلطة المصرية ابان حكم الرئيس السابق محمد انور السادات .

قصة كفاح عمرها ٣٥ عاماً

نظارات فودة .. التى بدأ صاحبها العمل بمائة قرش فى الشهر



الحاج / محمد ابراهيم فودة صاحب شركة فودة للنظارات

في المنصورة . عروس النيل . وفي أهم شوارعها التجارية (شارع الثورة) تطل عليك واجهة شركة فودة للنظارات . وصاحبها محمد إبراهيم فودة هو صاحب قصة الكفاح الطويلة التى توجها الله بالنجاح . والتى بدأها سنة ١٩٥٠ عندما كان طالباً بالمرحلة الأبتدائية . وقد إستهوته صناعة وتجهيز النظارات والتى كان يعشق دراستها .

وتحول ظروفه الإجتماعيه عن تكملة دراسته . فالتحق صبى بمحل لتجهيز النظارات حتى يشبع هوايته . ويتعلم صناعة احبها . وكان أجره الشهرى مائة قرش . وبالممارسة إكتسب الخبرة والتفوق واظهر نبوغاً ملحوظاً فى هذه الصناعة .

وأخذ يواصل العمل ويقبل عليه بكل الحب والإهتمام ويعطيه بلا حدود . حتى حظى بإهتمام كل من عمل معهم . فوصل أجره إلى ثلاثة جنيهات .

ويقول الحاج محمد فوده . لقد أحببت هذا العمل وأعطيته كل جهدى ولم أبخل عليه بوقتى وعرقى . وكنت دائما أبحث عن

كل جديد ومتطور .

وفى سنة ١٩٥٥ إنتقلت من محل إلى أخر أعمل صانع تجهيز وزاد أجرى إلى ٦ جنيهات . وقد حظيت بحب الساده العملاء والأطباء ورضاهم عن عملى .

وفى سنة ١٩٧٠ حيث كنت أعمل فى محل واحد لمدة ١٥ سنة . جاء إبنى وكان عمره ٦ سنوات وسألنى هوه ده محل مين يابابا ؟ . ولما أشرت له إلى صاحب المحل . قال يعنى ده مش محلك . ومن تلك اللحظة فكرت فى أن يكون لىّ محل خاص يحمل إسمى ويستمر أبنائى من بعدى فى أداء هذه المهنة الشريفة .

وفعلاً بدأت فى البحث عن محل لأبدا فيه نشاطى وقد وفقنى الله .

ويشاء العلى القدير . أن يكون هو نفس المحل الذى بدأت فيه صبياً بعد أن أزيل المبنى واقيم آخر جديد بدلاً منه . هو الآن الذى يضم شركة فودة . والتى بدأت نشاطها سنة ١٩٧٣ . وحصلت على اول ترخيص من محافظة الدقهلية يحمل رقم (١) من مديرية الشئون الصحية لمزاولة المهنة .

ويضيف الحاج محمد فوده . لقد دعوت الله أن يوفق أبنائى ويستمرون مثلى فى هذه المهنة . وقد من الله علىّ بالولد الصالح والتحق إبنى الأكبر بمعهد البصريات . أما الآخر فهو بالثانوية العامة وأتمنى أن يلتحق بعد نجاحه بهذا المعهد حتى تستمر الشركة وتنهض بجهودها .

هذه هى الرحلة التى بداتها بأجر ١٠٠ قرش فى الشهر . والآن اصبحت شركة فودة للنظارات من أكبر شركات النظارات بالدقهلية .

● وكان لنا أن نسأل الحاج محمد فوده صاحب خبرة ٣٥ سنه فى مجال تجهيز النظارات وصاحب شركة فودة بعض الأسئلة التى تهم الجماهير عن النظارات .

● نظراً لأن الإبصار نعمة من المولى عز وجل ولأهميته بالنسبة للإنسان فهو يحتاج إلى الكثير من العناية والرعاية فما هى البلاد التى تتقدم فيها صناعة العدسات . وماهى الماركات العالمية التى تتوفر لدى شركتكم ؟

● البلاد التى تقدمت كثيراً فى صناعة العدسات هى المانيا حيث تتعامل مع العدسات الزايس والتيتال المضغوطة حيث تمتاز بدقة كبيرة . كذلك فرنسا حيث تتعامل مع العدسات الفرنسية الفوتو براون والفوتو جراى والبنى والأبيض السوفريل والسوبر قلنت .

● هناك دعوى الآن لاستعمال العدسات اللاصقة . فهل يقتصر صرفها على السادة الأطباء . ام يتم صرفها للأطباء والجمهور على السواء ؟

● يقتصر صرف العدسات اللاصقة للسادة أطباء الرمد المتخصصين .

● مارأى سيادتكم فى العدسات التى تتلون مع الضوء ومالفرق بينها وبين العدسات الشفافة (البيضاء) ؟

● العدسات التى تتلون مع الضوء تعفى صاحبها من شراء نظارتين واحدة للنهار وأخرى أثناء الليل . أما العدسات الشفافة البيضاء فهى دائما مطلوبة لنظارات القراءة وغير مكلفة .

● ماهى الماركات التى تقوم الشركة بترويجها فى مجال الإطارات (الشنابر) ؟

● هى كثيرة ومتعددة الجنسيات مثل الإيطالى والفرنسى والألمانى وكذا شنابر هابى المحلية وكل نوع منها له مزاياه وإستعماله وشركتنا ليس لها فروع أخرى بالدقهلية ومقرها ٢٣ شارع الثورة بالمنصورة وبعد فهذه قصة كفاح مختصره لإبن من أبناء الدقهلية بداها من ٣٥ عاماً وأصبحت شركة فوده للنظارات علماً على هذا الكفاح وثمرة من ثماره .

أعداد : سامى الميهى



● الدولة العثمانية وتاريخها ●

● قضية للمناقشة (تقويم الدولة العثمانية) هل هي فردوس مفقود ؟ ام صورة للاستبداد والتخلف ؟) رئيس تحرير مجلة الهلال ·
(ان فتح مجلة الهلال صفحاتها قضية للمناقشة لاعادة تقويم الدولة العثمانية ، والتى يشكل تاريخها جزءا هاما من التاريخ العربى ويكفى ان المنطقة العربية مازالت تعيش نتائج تداعيات سقوط تلك الدولة فليس بعيدا عن تلك التداعيات ما يجرى على أرض فلسطين ولا الحرب العراقية الإيرانية ولا الحرب الاهلية فى لبنان ··
اذن ليس مقصد الهلال معالجة قضية قديمة ، نكتفى منها بمجرد زيارة احد متاحف التاريخ ، أو هى مجرد حنين الى الماضى ·· بل نهدف الى تأمل أحداث الماضى التى تمس الحاضر وتخاطب المستقبل ·
ففى تونس مثلا بذل الولاة العثمانيون من العناية فى سبيل تقدم القطر التونسى ولم يظهر تأثيره الا فى زمن الدولة الحسينية ، ولقد عنى أفراد من امراء هذه الاسرة واعيان رجالها بالاكثار من عدد المدارس والكتاتيب ونشر المعارف فجلبوا المعلمين من انحاء البلاد واجروا عليهم النفقات فلم ببطىء الزمان حتى ظهرت مبادىء حركة علمية ادبية مناسبة لحالة ذلك العصر وذوقه ونبغ بفضلها كتاب نالوا منزلة رفيعة فى الدولة وتحلت بهم دواوين الحكومة وواصلهم الامراء والكبراء بالجوائز السنية والعطايا اما مباهاة او تنشيطا لهم ·
ففى سنة ١٨٦٨ م أخذ المصلح خير الدين التونسى الشركسى الاصل بزمام اللجنة المالية فى جد وحزم ووطد الصلة بين تونس والدولة العثمانية ، ان الدولة العثمانية دار الخلافة الإسلامية ·
كتاب الشهر : من ذخائر الفكر فى حديث الذكريات بقلم : د· محمد عبد المنعم خفاجى وبعد مطالعتى لهذا الحديث وجدت فيه بعض الاخطاء التاريخية وهى كما يلى :
١ ـ حسن حسنى عبد الوهاب (١٩٦٩ م) والصحيح هو ان حسن حسنى عبد الوهاب توفى يوم السبت ٤ نوفمبر سنة ١٩٦٨ م وأما تعيينه عضوا دائما فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة فكان فى سنة ١٩٣٢

٢ ـ محمد الفاضل ابن عاشور توفى (١٩٧١ م) والصحيح هو ان محمد الفاضل ابن عاشور توفى يوم الاثنين ٢٠ ابريل سنة ١٩٧٠ م ٠

٣ ـ محمد الحبيب بن الخوجة (١٩٧٣ م) والصحيح ان محمد الحبيب بن الخوجة كان مفتى الديار التونسية وانتقل الان يعمل كامين عام لمنظمة رابطة الدول الاسلامية بالمملكة العربية السعودية ٠

محمد العائش الفوتى ـ تونس

●●●●●●● بين الخطا والصواب

محمد سيد كيلانى

على ما اعتقد فان شهر يناير بالنسبة للاستاذ العلامة محمد سيد كيلانى هو شهر كشف المستور والقاء الاتهامات ! بمعنى انه فى شهر يناير ١٩٥٩ اصدر كتابا اسماه « فصول ممتعة » ضم بين صفحاته كل من « طه حسين بين الكفر والايمان والشيخ « على عبد الرازق » ومنصور فهمى » و « وامين الخولى » كل هؤلاء بين الكفر والايمان : ويأتى دور العقاد فى شهر يناير ١٩٨٦ ٠ على صفحات الهلال : ؟ العقاد الكاتب الاسلامى بين الكفر والايمان وظننت من عنوان المقال ان الاستاذ صاحب المقال قد وضع يديه على مستند يجعل من العقاد « زنديق » « وملحد » « وفقير معدم « وشعره مجرد من العاطفة » كل هذه الاتهامات من خلال ذلك المقال اتهامات لا تقف على قدم ولا تنسب للحقيقة فى شىء من بعيد او قريب ٠ ولكنه قدر العقاد ٠

ولى ان اسأل كاتب المقال لماذا لم تتهم العقاد بالالحاد حين دافع عن كتاب « فى الشعر الجاهلى لطه حسين ولم تذكر هذه الواقعة مجرد سؤال ؟ هل لان العقاد وقلمه سوط ينهال على اجساد المتطفلين على الادب ؟ ولى ان انكره بشىء لعل الذكرى تنفع يقول صلاح الدين البستانى فى السطر السابع عشر من مقدمة الناشر « وقد اخالف مؤلف هذا الكتاب محمد سيد كيلانى فى اكثر من رأى ولكن الانسانية تقضى على بأن احترم رأيه ، فلكل حريته فى التعبير عن ادائه » وان دلت هذه السطور على شىء فانما تدل على ان الاتهامات التى وجهت لاشخاص كتابه « فصول ممتعة » اتهامات واهية ٠ وقد كتب الناشر هذه السطور لانه يدرك ان هذا لا يمت للحقيقة بشىء : ولكن يخلو من مسئولية التسرع !

ونأتى للعقاد بين الكفر والايمان، هل سمعتم او قرأتم يوما ان الفقر عار على صاحبه : وكيف يفوت على محمد سيد كيلانى ان محمدا نبى الانسانية ورسول الله عاش ومات فقيرا ؟ والكفر والايمان فى ميزان



محمد سيد كيلانى يمتد الى الشعر شعر العقاد بأنه خال من العاطفة وجاء بقصيدة لاحمد شوقى للمقارنة ، اقول له ان لكل انسان أن يتذوق ما يريد ويقرأ ما يشاء فليس هناك فرض لشاعر على محبى الشعر .

وأحب أن اقول لكاتب المقال اذا اراد العقاد ان يكون من الاثرياء لفعل ذلك ، ولكنه اعتز بالعقاد الاديب ، خيرا من العقاد الباشا او اى لقب اخر . واود ان أشير لمثل عامى يقول « من شب على شىء شاب عليه » فما بال كاتب المقال حين يعرف أن العقاد قد نشأ بين أبوين شديدى التمسك بالدين وقد فتح عينيه على الدنيا فوجد أباه يستيقظ قبل الفجر ليؤدى الصلاة ويبتهل الى الله بالدعاء : كيف يعقل ان تكون مثل هذه البيئة الدينية ويخرج من بينها ملحد او كافر ؟ ولا اجد شيئا اختم به هذا الموضوع خيرا من سطور للاستاذ والكاتب الاسلامى عباس محمود العقاد « رحمه الله » حين قال « أيه يا خفافيش الادب : اغثيتم نفوسنا أغثى الله نفوسكم الضئيلة

ابراهيم محمد طنطاوى
مصر الجديدة

● رثاء القرش ●

ابكيك يا قرشى الفقيد
وضحية السوق العنيد
انى رأيتك غائبا
عن مسرح الطلب المديد
قد كنت قبل مقدما
يشرى بقيمتك العديد
قد كنت منحة والد
ترضى الوليدة والوليد
كم كنت تشبع فاتكا
فى حجم شيطان مريد
واليوم صرت مؤخرا
وعجزت عن ثمن الزهيد



هيهـــات يـرضى أن ينـــا
لـك سـائل وجـع شـــريد
كـــانت لنـــــا موءودة
فشـفعتها ··· صـرت الوئيـــد
أبكيـــك يـا قرشي الشـــهيد
وغـــدا ســـنبكى مـا يزيـــد

أحمد قاسم احمد ـ قنا

● ماذا قال دورينمات ؟ ●

● في البرنامج التليفزيوني « نادى المسرح » الذى تقدمه السيدة سميحة غالب قال الكاتب العالمي « دورينمات » « أن » المسرح فن بـدأ يندثر وانه سيصبح فنا متحفيا ·· بعدها في جريدة « الاهرام » كتب الاستاذ د· مصطفى ماهر أن « دورينمات لم ، يقل هـذا » ثم كتبت السيدة سميحة غالب تدعو كل ، أساتذة اللغة الالمانية ، وادابهـا ليضعوا لنا النقط فوق الحروف في هذا الموضوع ·· والان نريد أن، نعرف ماذا قال دورينمات فاذا كان قال هذا فهناك قضية هامة ، فى حاجة الى مناقشة ، واذا كان العكس فهناك ايضا قضية هامة فى حاجة الى مناقشة وفى كلتا الحالتين سوف نستفيد فكريا وادبيا ·

عاصم مزيد البرقوقى ـ الاسكندرية

● سراب الاغتراب ●

سـلاما دار دنيـانا ، سـلاما
متى تهـبين احـلامى الفطـاما ؟!
كثيـرا مـا حلمـت ، وفى كثيـر
مـن الاحـلام جافيـت المنـاما
ومـا شىء تحقــق لى ، وانى
وجدت جميـع أحـلامى كـلاما !
وقيل لى : (اغترب) ، فشددت رحلى
وودعــت العشـيرة ، والمقـاما
وبين جـوانحى اتقـــدت أمـان
رأيــت بلوغهـا أمسى لـزاما
حشـدت لها ، ولم اتـرك سـبيلا





مهـذبة ، ومـا خنـت النظـاما
وبعـد كفـاح أعـوام •• أراها
قـرونا •• عـدت مطحونا ، تماما
صحيح •• قـد رجعـت بمـا تأتى
متـاعا مسـتغلا ، أو حطـاما
ولـكن •• أين أحـلامى ؟! تلاشـت
وعدت أقـول : يا دنيا ، سـلاما !!

رمضان ابو غالية
وكيل مدرسة قويسنا الثانوية

● تعليقات وملاحظات ● ●●●●●●●●●●●●●●●

● **أيمن على دسـوقى ـ طالب بالمعهد التجارى بالروضة :**

ــ قصيدتك « لهفى عـلى الاسلام » والقصيدة الأخرى « جرح الليـالى » تدلان على موهبتك الطيبة فى الشعر الموزون المقفى •• ان أوزانـكم صحيحة ، ولغتـكم أيضا •• ماعدا هنات قليلة فيهـا •• نرجـو أن تستمر والا تنقطـع رسائلكم عنا •

● **عبد الرحيم الماسخ ـ نجع الماسخ بسوهاج :**

ــ قصيدتكم الغزلية التى تقول فيها : « يا عزتى فى رضاك •• يا ذلتى فى جفـاك » •• موزونـة مقفـاة ، لكنها تفتقـر الى الروح الشعرى الذى ينبع من صدق الاحساس والتجربة والتمرس بأداء المعـانى ••

● **أحمـد حسن صـادق ـ محاسـب :**

ــ قصيدتكم التفعيلية التى عنوانها « شرقية » تهاجمون فيها المرأة الشرقية ، وتقولون : « مظلومة •• مضطهدة •• وفية •• شـقية •• تبحث عن قيد •• تبحث عن حرية •• أحزانك سـيدتى •• تبحث عن عنـوان ••ولدى مكان •• هناك بمملكة النسيان » ••

ان الهجوم على المرأة التى نسميها « المرأة الشرقية » انما هـو « موضة » فات أوانها وتفسخت المعانى التى لهج بها فى هـذا المقـام شعراء من أمثـال نزار قبـانى •• حاول أن تجد طريقا الى الافكار الصحيحة ••

● **رفعـت محمـد روبى ـ سـوهاج :**

ــ قصيدتكم « عذابات شاعر » •• تدل على تقدمكم فى نظم الشعر

موزونا مقفى .. نرجو الاستمرار ، وتمنياتنا لكم ..

● **عبد القادر القادرى ـ قاض مستشار بوزارة العدل المغربية :**

ـــ الاستاذ محمد سيد كيلانى ليس من حفدة عبد القادر الكيلانى مؤسس الطريقة القادرية .. وليس كل من اسمه « كيلانى » يكون من أحفاد الشيخ الكيلانى .. أما اعتقادكم أن اللورد كتشنر قد غرق فى البحر لكى تظهر فى موته كرامة الامام المهدى السودانى ، فهذا اعتقادكم لا نجادلكم فيه ولا نقاسمكم أياه .. وأما اقتراحاتكم بشأن كتب الهلال فنشكركم عليها ..

● **سمير رمزى المنزلاوى ـ منية المرشد ـ مركز مطوبس :**

ـــ قصتكم « مرثية طائر مهاجر » خليط من الشعر المنثور المحلق فى الفضاء ، والحكاية اليومية العادية المتداولة بين الناس فى أحاديثهم .. لا نعارض مزج القصة بالشعر أحيانا اذا اقتضى الامر ، ولكن على كاتب القصة أن يعرف تماما فرق ما بين الشعر والقصة .. ومع ذلك فكتابتكم تدل على موهبة نرجو لها النماء .

● **ابراهيم على حسن بوخشيم ـ المنيا :**

ـــ نحييكم على جهدكم الذى تبذلونه فى التعلم فى « منازلكم » حتى بلغتم مرحلة الدراسة الثانوية دون أن تتلقوا تعليما فى أية مدرسة .. وأما قصتكم التى أرسلتموها بعنوان « حصان » فينقصها الكثير فى الحقيقة ، مثل اللغة الصحيحة بلا أغلاط نحوية ولغوية وتعبيرية ، فضلا عن فن القصة وما يقتضيه .. وسيتم ذلك لكم ان شاء الله خطوة بعد خطوة ، فلا تتعجلوا والله معكم ..

● **محمد سعيد رشاد ـ الاسماعيلية :**

ـــ لا تتوهم أن رسائلك لا تلقى اهتماما ، فهذا التوهم يسيطر احيانا على بعض المتأدبين الشبان .. نحن نهتم بكل رسالة مهما كان المستوى الادبى فيها .. أما قصيدتكم التى عنوانها « ستقول عنى » ففيها هفوات غير قليلة فى الوزن واللغة والنحو ، ولكن استمرارك فى هذا الفن سيبلغك مرادك ان شاء الله ..

● **السادة : عبد الله عبد الله أحمد .. سيد أحمد محمود .. جمال عبد الباسط :**

ـــ أرسلتم الينا أزجالا عامية فى موضوعات مختلفة .. نرجو أن نلفت عنايتكم الى أن الهلال هى مجلة الادب العربى الاولى فى البلاد العربية ، ولم تنشر موضوعات بالعامية منذ صدورها قبل تسعين عاما ، ومازالت على هذا المبدأ ، فهى سجل الادب العربى الفصيح المكتوب باللغة القومية التى يفهمها كل العرب .. أما انتاجكم الزجلى فلعلكم تتمكنون من نشره فى بعض الصحف اليومية او الاسبوعية . ونشكركم ونعتذر اليكم ..

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى . ١٢ عددا . فى جمهورية مصر العربية ثلاثة جنيهات مصرية بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والأفريقى والباكستانى عشرة دولارات .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعـ الموضحة اعلاه عند الطلب .

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب -

القاهرة ـ تليفون ٣٦٢٥٤٥٠
سبعــة خطـــوط
مجلـة الهـلال ت ٣٦٢٥٤٨١

اسعار البيع للعدد الممتاز فئة ٣٠ قرشا

سوريا	٥٠٠ ق . س	اديس ابابا	٤٥٠ سنتا
لبنان	٥٠٠ ق . ل	باريس	١٢ فرنكا
الأردن	٤٠٠ فلس	لندن	١٠٠ بنس
الكويت	٥٠٠ فلس	ايطاليا	١٥٠٠ ليرة
العراق	١٠٠٠ فلس	سويسرا	٣,٥ فرنك
السعودية	٥ ريالات	اثينا	١٠٠ دراخمه
السودان	١٠٠ ق سودانى	فيينا	٣٥ شلنا
تونس	٦٥٠ مليما	فرانكفورت	٤ ماركات
المغرب	٨٠٠ فرنك	كوبنهاجن	١٠ كرونات
الجزائر	٦٥٠ سنتا	ستوكهولم	١٤ كرونه
الخليج	٤٥٠ فلسا	كندا	٢٥٠ سنتا
غزة والضفة	٤٠ سنتا	البرازيل	٣٥٠ سنتا
الصومال	٥٠ بنى	نيويورك	٣٠٠ سنت
داكار	٤٠٠ فرنك	لوس انجلوس	٣٠٠ سنت
لاجوس	٦٠ بنى	استراليا	٤٠٠ سنت
اسمره	٤٥٠ سنتا	هولندا	٤ فلورينات
اليمن الشمالية	٦ ريالات	عدن	٢٥٠٠ فلسا
بلجيكا	١٠٠ فرنك	اسبانيا	٢٥٠ بيزيتا


الهلال
مارس
سنة ١٩٨٦
الثمن
٣٠ قرشا
ملف خاص
العرب والسينما
أهل الذمة .. رأى جديد
الجريمة فى أدب عبد الرحمن الشرقاوى



من روائع الفن الإسلامي

أحدى اللوحات الفنية التى تزين ديوان "خمسة نظامى" للشاعر يوسف نظامى وللوحة تشير إلى مغنية تشدو بإحدى قصائد الشاعر، وقد استغرقها الغناء، حيث اندمجت فى أدائها المتقن المعبر وهذا المخطوط الفريد يوجد فى حيدر اباد بالهند

الهلال

السنة الثالثة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال أسسها جورجى زيدان سنة ١٨٩٢ - أول مارس سنة ١٩٨٦ - ٢٠ جمادى الثانى ١٤٠٦



● جزء خاص عن السينما والعرب ص ١٠٢



● مصريون فى بلاد العرب ص ٤٢

فى هذا العـــدد

● فكر وثقافة ●



● حول كارثة مكوك الفضاء تشالينجر ص ٩٢



● ثروة نجيب الريحانى الفنية ص ١٤٦



● العقاد مؤمنا لاكافرا ص ٨٦

● جزء خاص .. العرب والسينما ●

● شعر وقصة ●

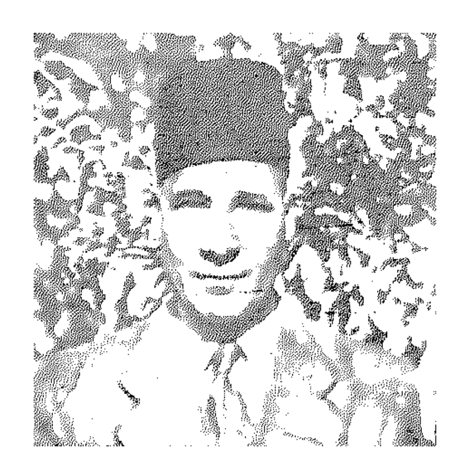
● الأبواب الثابتة ●



عزيزى القارئ

رحل عن دنيانا منذ أسابيع قلائل المؤرخ العربى الاسلامى الكبير الاستاذ محمد عبد الله عنان ٠٠ استأثرت به رحمة الله بعد عمر حافل بالعطاء فى المجال الذى خصه هذا الكاتب العظيم بعنايته ، وأوشك أن ينقطع له طوال عمره انقطاع الزهاد ، أو انقطاع الرهبان ، فجاءت مؤلفاته فى فى التاريخ الاسلامى نسيج وحدها ، منهجا وأسلوبا وفكرا وتوثيقا وتحقيقا ٠٠ واستكمل بها هذا التاريخ نقصا ظل يعتوره طويلا ، وبخاصة تاريخ الأندلس الذى أسدل الدهر عليه الستار ، ونسيه العرب والمسلمون كأنه لم يكن جزءا غاليا من حياة أمتهم ثمانمائة عام ، وكأنما كان هذا الامد الذى لا يحصيه الا الله ، حلما من الاحلام ! ٠٠

بدأ محمد عبد الله عنان اهتمامه بالمجتمع والسياسة والأدب والتاريخ فى سن مبكرة ، فكان اسمه بين الاسماء القليلة التى عرفتها مصر لدعاة الاشتراكية قبل ستين عاما ٠٠ وقد لبث عمره من دعاة المساواة والحرية ، ولكنه انتزع نفسه من عمله الذى يعيش منه ، ليبحث فى التاريخ العربى والاسلامى ،ويحقق بوجه خاص تاريخ الأندلس وعصوره المتتابعة التى تساقطت كحبات العقد حتى انقطعت بسقوط غرناطة سنة ١٤٩٢ ثم طرد بقايا العرب الذين عرفوا باسم « الموريسكس » أو «الموريسكسيين» الى مياه البحر الابيض، المتوسط ليلجأوا يائسين محطمين الى شواطىء البلاد العربية الافريقية حيث تلقفت الكثيرين منهم عصابات قطاع الطرق وتجار الرقيق الذين كانوا — مع أسف التاريخ والمؤرخين — عربا ومسلمين ، وأبناء عمومة وخئولة للموريسكيين البائسين !! ٠٠

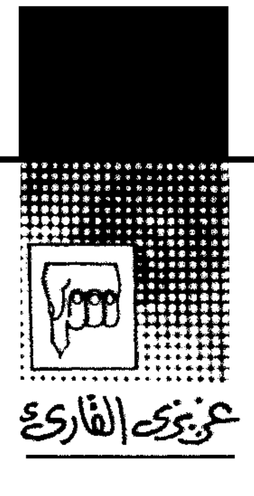


محمد عبدالله عنان

ان محمد عبد الله عنان هو المؤرخ العربى المعاصر الوحيد الذى أنفق عمره يشد الرحال الى بلاد العالم للتحقيق والبحث واستكمال المصادر والوثائق لكتبه التاريخية .. وقد قام - مثلا - باكثر من عشر رحلات دراسية فى أسبانيا والبرتغال ، وعاين هناك الآثار والاطلال والنقوش الاندلسية ، وكان لذلك أعمق الاثر فى نفسه وفى امداده بكثير من الآراء والافكار المتعلقة بتاريخ الاندلس والامة الاندلسية ..

ولما أراد أن يكتب العصر الرابع من كتاب دولة الاسلام فى الاندلس وهو : « نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين » - الموريسكيين - عن عناية فائقة بالتجول فى مملكة غرناطة العربية القديمة التى كانت مسرحا لهذا الفصل الاخير من تاريخ العرب والمسلمين فى الاندلس .. قال رحمه الله فى مقدمة هذا الكتاب : « زرت مدينة غرناطة ذاتها ست مرات ، وشهدت فى بسائطها ونجودها وأحيائها كثيرا من الاماكن التى كانت مسرحا لكثير من الحوادث والوقائع الشهيرة ، وتجولت فى مرجها الشهير ، وعلى ضفاف نهرها القديم - شنيل - وصعدت الى جبال سييرانفادا ذات الآكام الناصعة ، وشهدت بمدينة غرناطة التى مازال قصرها المنيف عنوانا لمجد غرناطة الاسلامية .. سائر الاماكن التى اختتمت بها المأساة الاندلسية المسيحية » !

بهذه الرحلات وما أتيح له من دراسات فى دور المحفوظات الاندلسية استمرت طويلا ، وما اجتمع له من فيض وثائقى زاخر انفرد بين المؤرخين جميعا بالاطلاع عليه ، كتب محمد عبد الله عنان بقلمه البليغ ، الفخم الرنين،



الصادق اللهجة ، أوثق نص تاريخى فى اللغة العربية وفي سائر اللغات ، عن نهاية الاندلس العربية ونهاية العروبة فيها والاسلام ! ..

قرأ - رحمه الله - الوف الوثائق بالعربية ذات الحروف الاندلسية والمغربية ، وبالقشتالية « الاسبانية » القديمة ، وبالانجليزية والفرنسية والايطالية ، فجمع التحقيق الوثيق من أطرافه ، وانقلب كل من يكتب في هذا الباب عيالا عليه وان كانوا من ذوى الاقدار والاخطار ، لا نستثنى من ذلك أحدا من مؤلفى عصرنا عربا وغربيين ! ..

ان محمد عبد الله عنان قد أفرغ كتبه كلها فى هذا القالب الذهبى النفيس .. وعاش يكتب فى التاريخ والادب والسياسة والاجتماع ، بكل التواضع وانكار الذات والتفرغ للعلم وحده ، دون أدنى تفكير فى الاضواء خارج صومعة العلم ، حتى كاد يخفى وهو الطود الشامخ ، وتأخر اسمه وهو أرفع الاسماء ، وتخطته الالقاب والجوائز والمناصب وهى جميعا دون سن قلمه ، والتبس أمر مؤلفاته على القراء وهى التى أزالت بتحقيقها ودقتها وشمولها كل لبس فيما تصدت له من شئون تاريخنا وشجونه ! ..

لقد كان محمد عبد الله عنان - رحمه الله - موسوعة حية هائلة زاخرة بالعلم والفكر الحى، وان حديثنا هنا ليضائل من هذا الرجل العظيم اذ نجترىء بعض مؤلفاته عن الاندلس ، ولكنا فى الحقيقة تعمدنا ذلك ، معتذرين اليه ، لان فى هذه الكتب عبرة بالغة لنا نحن العرب فى مرحلتنا التاريخية الراهنة التى تشبه من وجوه كثيرة موقف الامة العربية فى الاندلس عندما أخذت تنهار وتتساقط وينحل عقدها حتى قال شاعرها يناديها ببلاهة :

يا اهــل اندلس شـدوا رحـالكم
فما المقــام بها الا مــن الغــلط

فها نحن هؤلاء - أخيرا - يشد بعض الخائرين من أمتنا رحاله من أرضه هنا وهناك هربا من الغزو والقتل والسبى والابادة ، فنقع فى الغلطة

التى وقع فيها أسلافنا الاندلسيون حين رأوا سعة العالم العربى وترامى أطرافه فراحـــوا يتقهقـــرون وينســـحبون من الاندلس قطعة بعـــد قطعة حتى لم يبق لهم أثر فيه .. ثم جئنا نحن على آثارهم فقمنا على قبر هذا الماضى « المجيد » الذى لا عودة له ، نندبه ونقول فيه المراثى !.. ثم نكرر نفس أخطائهم ! ..

لقد ذهب محمد عبد الله عنان الى لقاء ربه دون أن تشعر به أمته العربية والاسلامية ، وكيف تشعر به فى موته وقد غفلت عنه فى حياته ؟!.

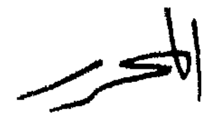
ولكنه ـ رحمه الله ـ لم يقنط من رحمة ربه حين أحاطت به غفلة أمتـه من جميع الجهات ، ولم يحطم قلمه ، ولم يطو صفحات التاريخ وهى تتواثب بين يديه قائلا كما يقول بعض قومنا الآن فى غفلة لهوهم :

ما مضى فـــات والمؤمـل غيـب
ولك الســـاعة التى أنت فيهـــا

لقد لبث الرجل يكتب تاريخ هذه الامة صارخا فى البرية . يحاول ايقاظ النيـــام ، وتحريك الموتى ، ثم لحق بالرفيق الاعلى ، وصمت قلمه ، ولكن كتبـــه الرفيعة الشأن تواصل من بعده تبيان التاريخ ومغزاه لمن عجـــزوا عن فهم مغزى التاريخ ، وتعظ ذوى الغفلة كاشفة لهم عقبى الغافلين ...

وعسى ألا يكون محمد عبد الله عنان ، وكتبـــه من بعده ، أشبه بالراهب القديم الطيب الساذج الذى كان يقف على شاطىء البحر يعظ الاسماك ويدعوها الى سواء السبيل ، فلا تسمعه الحيتان العظيمة ولا الاسماك الصغيرة التى ابتلعتها بطون الحيتـــان ..

وسلام عليـــك أيها الراحل فى الخالدين ! ..



بقلم : فتحى رضوان

الأوبك واليونسكو في مواجهة التحديات !!

ما أبعد الواحدة عن الأخرى ، ولكنهما معا مؤسستان دوليتان أولا : تسودهما أغلبية من دول فقيرة ومتوسطة ومنتسبة للشرق . ثانيا : هما معا ضحية كراهية عنصرية . ثالثا : وهما الآن هدف جملة من دول الغرب . رابعا : ولاتمنع وجوه الشبه هذه من أنهما مختلفتان غاية الاختلاف . أولهما تشرف على شئون النفط المتدفق من آبار المنطقة العربية ، فى الأغلب الأعم ، ثم من مواقع اسلامية ، وأخيرا من أمريكا الجنوبية ، أى أمريكا الفقيرة التى غزتها عمليات التحرر والتطور .

وظهور مؤسسات لاتخضع للغرب ، ولاتطيعه وتنفذ أوامره ، وتفكر على الأقل لنفسها ، وتنحو فى أكثر الأمور ، نحوا لايصطبغ بصبغة الغرب وعقليته ومناهجه ، أمر جديد على تاريخ الانسانية ، على الأقل فى مراحلها الحديثة التى تبدأ فى مفتتح القرن التاسع عشر والتى استمرت حتى اليوم أى حتى نهاية القرن العشرين .





واحد من الاجتماعات الأخيرة لوزراء الأوبك

والأوبك ظهر بظهور مادة جديدة سمع عنها الانسان من أبعد العصور وهى النفط ، ولكنها كانت مادة متواضعة ومتوارية ولاتشغل بالا لأنها لاتحرك آلة ، ولا تدر مالا ، ولاتؤثر على شئون حياة البشر . ولكن فى منتصف العقد الرابع من القرن العشرين ، وأمور الدنيا تتأزم ، وتحتقن ، وتتهيأ لحرب لم تسمع عن مثلها الأمم ، يتحارب فيها الناس بأسلحة لم ترد على خاطر ، ولم يتصورها لاعالم ولاعاقل .

بدأت هذه المادة تتفيض ، وتواصل فيضها حتى أصبحت مادة الحياة كلها ،

الأوبك واليونسكو

فهى تستعمل فى الصناعة والطباعة ، والتجارة والزراعة . وتزود آلات الحرب والهلاك ، وأدوات التعمير والبناء ، وبذلك أصبحت الانسانية كلها ، عالة على هذا السائل الأسود الثقيل ، لاتستغنى عنه ، ولايمكن أن تعيش بدونه ، وبذلك أصبح هذا السائل مصدرا لايبارى للغنى والثراء . غنى للافراد ، وغنى للدول ، وشاءت ارادة الله أن يكون موطن هذا السائل بالدرجة الأولى فى المنطقة العربية وعلى وجه أخص فى المملكة العربية السعودية والعراق والكويت ثم الدول التى تطل على خليج العرب الذى ضم سبع امارات ولا أحسب أن هناك انتاجا من الطبيعة ، فعل فى الناس وفى شئون السياسة والمال وعلاقات الدول الكبيرة بالصغيرة وبواعث الاتفاق والاختلاف وقواعد المجتمع ، واصول المعاملات الانسانية ، ما فعله البترول ، ولو أقتصر الأمر على بروز دول كانت تعوزها الثروة القومية كدول الخليج وماحولها ، لهان شأن التغيير الطارىء ، ولكن أصبح البترول ، وسيلة لايرد لها أمر من وسائل الضغط السياسى ، ولذلك كان لابد أن تنشأ للدول المتحكمة فى هذا السائل ، منظمة تضمهم ، وتنسق سياستهم ، وتنسقهم تحت مظلة واحدة تحميهم من الأفراط والتفريط ، وتكشف ظهورهم لهجمات الأقوياء ، وتهديد المتمردين بشئون السياسة ، وقد كانت ، فقد ظهرت (الأوبك) وهو لفظ يمثل الحروف الأولى من اسم هذه الجماعة وهم اسم نصه منظمة الدول المصدره للبترول .

لكن تدفق البترول فى بلاد فقيرة ولم يكن لها دور فى توجيه السياسة الدولية أو الاقتصادية ، لم يصاحبه فى الحال ميلاد (منظمة الأوبك) بل مرت السنوات وعرش الهيمنة على استخراج البترول ، وتسويقه ، بعد تكريره تشغله سبع شركات كبرى هى الشركات الشقيقة كان اكثرها امريكية مثل استاندارد أو نيوجرسى ، ثم بريتش بتروليم ، وشل ... الخ .

وقد بقيت هذه الشركات تفعل فى مجال البترول ماتشاء ، وقد بقيت الدول المنتجة للبترول صابرة على تحمل سياسات الشركات الكبرى التى وضعت امام ناظريها أهدافا اهمها تخفيض أرباح هذه الدول ، والحيلولة دون تحولها الى قوة مؤثرة في سوق البترول أولا ، ثم فى مجال الاقتصاد وأخيرا السياسة ، حتى وافت سنة ١٩٦٠ ، وفى شهر اغسطس من هذه السنة فخفضت تلك الشركات سعر البترول ، تخفيضا فاض على أثره غضب الدول المنتجة للبترول ، فأحست تلك الدول أنها محتاجة الى انشاء تكتل يقيها عدوان الشركات المتجبرة وقد تزعم هذه الحركة الشيخ عبدالله الطريقى المسعودى مع زميله بيريز الفونسو الفنزويلى ، فتمت الدعوة الى مؤتمر بغداد الشهير ، وقد أسفر انعقاد المؤتمر عن ميلاد منظمة الأوبك وهى اختصار لعبارة منظمة الدول المصدرة للبترول .

ولم تهتز الشركات الكبرى صاحبة السيادة البترولية بميلاد هذه المنظمة ، وقد ساندت هذه الشركات في موقفها الحكومات الغربية التى كانت تنتمى اليها ، تلك الشركات الكبرى ، وقد عبرت الشركات عن هزئها بالأوبك فرفضت أول الأمر الاعتراف بها كطرف صالح للتفاوض الجماعى ، وراحت تتعامل مع الدول المصدرة للبترول (فرادى) ولم تكن المنظمة قادرة على الرد بسبب حداثتها وعدم توافر جهاز تخطيطي وإدارى ذى كفاية وتجربة ، وقد كانت أهداف المنظمة في البداية متواضعة لاتزيد عن ..

● العمل على تحقيق أكبر قدر من الربح ، وتحسين شروط التعامل مع الشركات المشترية للبترول .

● التحكم فى البترول المعروض ، صيانة لمخزون البترول عند الدول البائعة من الاستنزاف .

والحق أن (الاوبك) كانت محقة فى تحديد هذين الهدفين ، فقد كان سعر برميل البترول عند ميلادها أقل من دولارين فى حين أن المستهلك فى أوربا الغربية كان يشترى البرميل بعشرة دولارات . ولذلك فقد عقدت الأوبك مؤتمرها الأول فى كراكاس سنة ١٩٧٠ ، وقد اعانتها الظروف الدولية انذاك لأن تدهور انتاج نيجيريا (وهى عضو فى الأوبك) بسبب حرب بيافرا أدى الى انخفاض المعروض من البترول ، وبهذا تمكنت الأوبك من رفع سعر البرميل بنسبة ٢٨ ٪ وقد تقرر رفع النسبة الى هذا الحد ، فى مؤتمر طهران الذى عقد سنة ١٩٧١ .

وعلى الرغم من نجاح الأوبك فى تحقيق هذه الزيادة الا ان ميزان القوى بين الاطراف الثلاثة فى عملية بيع وشراء البترول ، وتوزيع الانتاج بقى على ماهو عليه عند توزيع الانصبة من الارباح كما يلى :

٥٢ ٪ للحكومات فى شكل ضرائب تؤديها الشركات على اعمالها

٤٢ ٪ للشركات المنتجة .

ويبقى الباقى القليل وقدره ٦ ٪ يذهب الى جيب الدول المنتجة للبترول والمصدرة له .

ولكن ارهاصات تغيير أو تعديل ميزان القوى قد توالت ، فالدول المنتجة زادت قوتها ونفوذها فى المجال الدولى سياسيا واقتصاديا ، وحكومات الغرب ، والشركات المنتجة لهذه الحكومات ، والمشمولة برعايتها ، تعلم جيدا فلسفة الأمر الواقع ، ولاتتحداها أو تتجاهلها ، ومن ثم فإن النسبة السابقة تعدلت بحيث زاد نصيب الحكومات الغربية ، فقد أصبح ٥٧ ٪ على حساب الشركات التى انخفض نصيبها الى ٣٧ ٪ (بعد ٤٢ ٪) أما نصيب الأوبك فقد ارتفع ارتفاعا هزيلا إذ أصبح ٧ ٪ بعد أن كان ٦ ٪ ، ولكن مالبثت حرب سنة ١٩٧٣ أن شبت ، وانتصرت مصر فى العبور ، وبددت اسطورة أن اسرائيل قوة لاتغلب وبالتالى فإن العرب سيبقون دائما مهزومين ، ولانسمع لهم كلمة تسمع ولانفوذ يحس به ، وفى ظل هذا التغيير الضخم وغير المتوقع ، هبط نصيب الحكومات الى ٤٥ ٪ لبعد ٥٢ ٪ وارتفع نصيب الدول المنتجة للنفط الى ٣٠ ٪ (بعد ٧ ٪) أما الشركات الأجنبية فقد تدنى نصيبها الى ٢٥ ٪

وفى هذه الفترة ذاتها زاد نصيب دول الخليج العربى من جملة انتاج العالم من البترول الى ٣٠ ٪ وبعبارة أخرى زاد من



الأوبك واليونسكو

٦٧٩ مليون طن عام ١٩٦٠ الى مايزيد المليار بنحو مائة مليون تقريبا .

وتتضمن هذه الاحصائية وجها آخر . فدول الغرب ، عملت اقصى مافي وسعها لتنفيذ خطة جديدة تواجه بها نفوذ اعضاء الأوبك ـ وبالذات الدول العربية من هؤلاء الأعضاء ، وذلك باستنباط مصادر أخرى للطاقة ، حتى يتم الاستعاضة تدريجيا عن البترول ، أو على الأقل لاضعاف نفوذه ، ولكن تطورات سنة ١٩٧٣ وما بعدها قضى على هذه المحاولة ولو مؤقتا ، فقد بقي البترول على رأس قائمة مصادر الطاقة مستأثرا بنسبة ٦٥ ٪ وكان على الفحم سيد مصادر الطاقة قبل مزاحمة البترول وبعد البترول .

ولكن اذا القينا نظرة أكثر تعمقا ، لألفينا ان زيادة اسعار النفط الذى تبيعه أوبك لأمريكا ، على الرغم من ضخامتها ، الا أنها لم تكن خسارة مطلقة للولايات المتحدة ، فان دول أوربا واليابان ، بعد هذه الزيادة بسبب حظر بيع البترول بوصف هذا الخطر سلاحا من اسلحة العرب فى معركتهم ضد اسرائيل ، ربيبة وعميلة الولايـات المتحدة ، محسـور بالحاجة الى حماية الولايات المتحدة فتوقفت مساعيهم التى بدأوها قبل حرب ٧٣ ، التى تهدف الى ان تحقق أوربا قدرا أكبر من الاستقلال ، وقد أحسن وزير خارجية الولايات المتحدة هنرى كيسنجر استغلال هذه الحالة عند أوربا ، وراح يطوف على دول الغرب ، داعيا الى الوحدة فى ظل الزعامة الامريكية مبشرا بحرب ضد دول الخليج اذا هى لجأت الى تهديد أمريكا ودول الغرب بحرمانها من بترول الخليج بخاصة وبترول العرب بعامة ، وبهذا يكون كيسنجر اليهودى ، قد تولى قيادة حرب صليبية ضد بترول العرب ، مما يرفع قدر الدولة التى ينتمى اليها ويحارب بسيفها ولكن كل هذا لم يمنع من انفجار اسعار البترول فبعد أن كان فى أخريات سنة ١٩٧٣ ثلاثة دولارات للبرميل الواحد وصل الى ١٥ دولار فى منتصف سنة ٧٥ ، وواصل ارتفاعه بعد ذلك حتى وصل الى ٤٠ دولارا . وانتقلت عدوى الزيادة الى باقى المواد الخام ، مما زاد من سعر المنتجات الأوربية الامريكية التى يشتريها العالم الثالث ، وبالتالى زيادة ديونه ، ونجم عن ذلك حالة كساد دولية

فرأت الدول الصناعية ان تعقد مؤتمرا ومظاهرة فى الوقت نفسه قبلت الدعوة لها اكثر من عشرين دولة صناعية ورأسمالية فى شهر فبراير ١٩٧٤ فى عاصمة الولايات المتحدة ، وكانت الداعى الى هذا المؤتمر هو هنرى كيسنجر بعينه ، وقد أثمر هذا المؤتمر ، ميلاد وكالة الطاقة الدولية التى اريد لها ان تكون تكتلا غربيا صناعيا رأسماليا ، يقف فى وجه الأوبك ويمنع نشاطها الذى يؤدى الى زيادة اسعار البترول من وجهة وزيادة مكانته كمصدر للطاقة من جهة آخرى وقد أخذت هذه الوكالة على عاتقها تنفيذ سياسة أشرنا الى اهدافها فيما سبق وهى تقليل استهلاك البترول لتوفير ما ينفق فى سبيل

الحصول عليه ، ثم تقليل اللجوء الى البترول ، بالاعتماد على مصدر آخر للطاقة ، وقد حققت هذه الوكالة مع الظروف الدولية والاقتصادية السائدة فى العالم النزول بنصيب الاوبك من مبيعات البترول الى ٤ ٪ عام ٨١ و ٣٥ ٪ فى عام ٨٣ ذلك بعد ان كان هذا النصيب ٦٣ ٪ وقد زاد الطين بلة اكتشاف مواقع جديدة لانتاج البترول كبترول بحر الشمال ، اى بترول بريطانيا والنرويج . وقد بات الأمل يساور دول الغرب فى إمكان الاستغناء عن بترول العرب بالاعتماد على بترول المثلث الغربى : بحر الشمال ، المكسيك ، كندا .

فى جو الأزمة تفككت علاقات أعضاء الأوبك من الداخل ، فان حالة الركود فى سوق البترول التى أدت الى تدنى اسعاره جعل من الصعب حفظ النظام داخل المنظمة التى كانت تقوم به على وجه حسن السعودية ، بفضل انتاجها الضخم الذى لايطاوله انتاج آخر بين الدول المنتجة فى الشرق والغرب وبعد أن نجحت منظمة الأوبك فى فرض حدين على اعضائها حد الانتاج المسموح به كليا للمنظمة ، والمسموح به لكل عضو من اعضائها أو ما يوصف بأنها حصة العضو . ولكن لما واصلت اسعار المنظمة فى الهبوط ، وأشتدت حاجة بعض الأعضاء الى مصادر (دولارية) حذفت هذه الدول هذين الحدين أو هذين السقفين كما يعبر عنهما باللغات الاجنبية من خلف ظهر بقية الاعضاء بسعر أقل التماسا للعميل الراغب فى الشراء وبعضها باع أكثر بشدة الضغوط الاقتصادية عليها إما لظروفها الداخلية كنيجيريا وأما لاحتياجات الحرب كالعراق وقد ضاعف من هذه الضغوط التنافس من الخارج أى تنافس كل من بريطانيا والنرويج والمكسيك مع الأوبك ، وهو تنافس كانت غايته القريبة تحقيق الأرباح ، وغايته البعيدة ، نسف منظمة الأوبك نهائيا . بعد أن عاشت طويلا منظمة يحسب لقراراتها الحساب عند اعضائها وعند المنافسين فى سوق البترول

ولذلك آضطرت المنظمة فى آخر اجتماع لمجلسها فى جنيف الى اعتماد صيغة جديدة ، هى تحقيق النصيب العادل للأوبك من ارباح السوق . ويرى بعض المتشائمين أن هذا القرار هو ايذان بانهيار قدرة الأوبك على تحقيق الضبط والربط داخلها، ولو تحقق تصور المتشائمين ، يكون الغرب قد حقق مأربه ، وقضى على منظمة استطاعت لفترة غير قصيرة أن تقف ندا للغر فى مجال البترول ممثلا فى شركاته الكبرى ، وحكوماته ذات النفوذ .

● مأساة آخرى ●

أما اليونسكو فهى الجانب الآخر من المأساة . فبعد أن قضى الغرب على منظمة الأوبك ، فى مجال الاقتصاد والتجارة الدولية ، أراد أن ينسف منظمة اليونسكو ، باعتبارها منظمة يسودها ـ كما سبق القول ـ النفوذ أو الأغلبية المنتسبة الى العالم الثالث .

والثقافة تهم الغرب ، ربما بأكثر مما يهمه الاقتصاد ، لأن الثقافة تتيح للغرب ، تغلغلا فى العالم الثالث ، أعمق من جهة وأبقى من جهة ثانية ، فاليونسكو ، تصنع الأفكار ، وتصوغ العقول ، والحروب كما يقول شعار اليونسكو المكتوب على مقرها



الأوبك واليونسكو

فى باريس ، تثبت فى الافكار . ولهذا فقد ضاقت الولايات المتحدة بالنشاط الذى تمارسه اليونسكو فى عالم الصحافة والاعلام بصفة عامة ، وربما كانت البداية بعض قرارات أدانت نشاط اسرائيل ووصفتها بمالا تطيقه أو تحتمله الولايات المتحدة ، وتوالت بعد ذلك قرارات فى شأن الأنباء ، ووكالاتها ، وطرق توزيعها . فقد بدا للولايات المتحدة أن اليونسكو تتبنى اساليب اليسار ومناهجه فى هذا السبيل ، فاتهمتها الولايات المتحدة بأنها منحازة للشرق ، وضد الغرب ثم ركزت هجومها على الأمين العام (مختارامبو) واعتبرته المسئول عن كل هذه الاتجاهات ، واضافت الى هذه الاتهامات العامة ، أن أسلوب الانفاق فى اليونسكو متسم بالتبذير ، وأن العناية بمقر اليونسكو فى باريس زاد عن الحد المعقول .

وقد اشتدت حملة الولايات المتحدة ، على اليونسكو ، وتصاعدت ثم انتهت الى التهديد بانسحابها فى أخر السنة الماضية ان لم تعدل اليونسكو عن الأخطاء التى نسبتها الولايات المتحدة لها وقد نفذت الولايات المتحدة تهديدها ، وهى تعلم اهمية بقائها فى اليونسكو على الأقل من الناحية المالية التى تحب الولايات المتحدة فى التلويح بها واستغلالها ، فان الولايات المتحدة تعلم انها تساهم فى موارد اليونسكو بالربع وان حرمانها من هذا القدر غير القليل مع تزايد النفقات لاحتياجات الشعوب الفقيرة المتفانية فى مجال الثقافة والاعلام ، ولارتفاع اسعار كل السلع بما فيها الأوراق والاحبار والافلام وأشرطة التسجيل ونفقات الطبع وتكاليف البريد .

ولم تكتف الولايات المتحدة بتنفيذ تهديدها ، بل فتخطت على شريكها فى حلف الاطلسى بريطانيا ، لتحذو حذوها ، وقد أوفدت الولايات المتحدة مندوبين عن حكومتها الى لندن ليتولوا تنظيم حملة ضد اليونسكو ، وقد أثمرت هذه الحملة ، فقد نشرت صحف بريطانيا أكثر من عشرين مقالا ، وبحوثا وتحقيقات تتضمن كلها الحملة على اليونسكو ، وسوء مسلكها . وعلى الرغم من ان جميع امناء اللجنة القومية البريطانية لليونسكو لم يوافقوا على هذه الحملة ولا على الانسحاب من اليونسكو .

وقد وضعت حكومة مستر تاتشر فى سبيلها ـ تضامنا مع امريكا .

فهل تسقط (اليونسكو) أم انها ستصمد امام هذه الحملات المغرضة لتؤدى رسالتها الانسانية .

إن أغنياء العالم الثالث والاتحاد السوفيتى ، يملكون الرد . فلننتظر ماذا يفعلون ؟!

أقوال معاصرة


ياسر عرفات

● ان اعتراف منظمة التحرير بالقرار ٢٤٢ ، هو تذكرة المرور الوحيدة الى المؤتمر الدولى ، وللاسف فان الضغوط التى تمارس على منظمة التحرير الفلسطينية ليست أمريكية فقط !

ياسر عرفات
رئيس منظمة التحرير الفلسطينية

● من الافضل للمرء أن يعيش أسدا يوما واحدا ، من أن يعيش نكرة فى قطيع الاغنام مئات الاعوام ٠

المخرج الامريكى « أرسون ويلز »


ارسون ويلز

● الرجال بدون ماض ، رجال بلا مستقبل ، وأحد لا يهتم برجال فقدوا المستقبل ٠

الاديب الامريكى اسحق سنجر

● اذا لم يسترجع العسكريون فصائلهم فان عاجلا أو اجلا سيتحولون الى مدنيين يحملون غدارات ٠

جنرال ابراهيم بابا نجيد
رئيس جمهورية نيجيريا

● لو سارت الامور فى الفلبين حسب التوقعات « فماركوس » يفرض نفسه ، ومن بعده « ماركس » ٠

الجارديان الانجليزية

● الاقتصاد الامريكى الان معجزة بالنسبة للاغنياء ولكنه كارثة بالنسبة للفقراء ٠

جيمس رستون ــ صحفى بالنيويورك تايمز

هؤلاء العائدون

ماذا يحملون وماذا أعددنا لهم ..؟

الفوج الاول جاء من ليبيا ، ولان عددهم كان كبيرا ، ولان « صاحب ليبيا » أراد ان يحول المسألة الى مظاهرة سياسية ، فقد اثار قدومهم ضجة غير عادية • ولكن العائدين يتوافدون باعداد اقل ، ومن مختلف الاقطار البترولية • معظمهم الان عمال غير مهرة لم يعد لهم مكان هناك بعد أن تمت البنية الاساسية • بعد قليل سوف يرجع العمال المهرة والفنيون والمهندسون والاطباء ، فوجا بعد فوج • السذج من الوعاظ والسماسرة يتعرضون ايضا للافتاء في مسائل العمالة والمشكلات السكانية ، يحرمون تحديد النسل ولا تزعجهم الاعداد الكبيرة من العمال والفنيين والمهنيين الذين يرجعون الى بلد يعاني اصلا من اختلال الموازين بين القوى العاملة وفرص العمل ، فهم يقولون له : افريقيا محتاجة الى مهندسينا ومعلمينا وأطبائنا وعمالنا ، كأنهم ما سمعوا بأن افريقيا تضيق بسكانها الذين يموت منهم الملايين جوعا ، وتحتاج الى الغذاء اكثر من حاجتها الى المعلمين ، والى ادارة عليا ورءوس اموال قبل حاجتها الى مهندسين وعمال •

الذين يعيشون في جنة البلهاء لايبصرون ولا يسمعون ولكن ما بال جامعاتنا ؟ ما بال مراكز البحث الاجتماعي عندنا ، وهي معروفة ولا احتاج أن اسميها ؟ هل بدأت تدرس احوال هؤلاء العائدين ، ولتوجهاتهم نحو المستقبل ، والمصاعب

بقلم: د. شكرى محمد عياد

التى تواجههم فى اعادة التكيف مع بيئة ابتعدوا عنها سنوات ، وهم قد تغيرت أحوالهم ، وهذه البيئة نفسها قد تغيرت ؟

ونحن نأخذ منذ سنين طويلة بسياسة التخطيط الاقتصادى. وليس فى وسعى أن أناقش هذه السياسة ، على الاقل لن احاول ذلك فى الوقت الحاضر . فسأفترض انها سياسة اقتصادية حكيمة ، تقوم على فلسفة واضحة وتعتمد على دراسات علمية ، ولكننى اتساءل : هل ادخل المخططون الاقتصاديون فى حساباتهم هذا الكم الهائل ـ والمجهول ـ من القوى العاملة ورءوس الاموال المحتملة ؟ أغلب ظنى انهم لم يفعلوا . والامر لا يحتاج الى دليل اكثر من هذا الدليل : « شركات توظيف الامـوال » التى نبتت فى كل مكان كما ينبت الفطر فى الصحراء ولم تملك المؤسسات المالية الرسمية ازاءها الا التحذير والانذار ، ولاتزال هذه الشركات ماضية فى طريقها ، معتمدة ـ كما هو واضح على مدخرات المصريين العائدين ، او الذين لايزالون يعملون فى الخارج ، وسيعودون فى وقت غير بعيد .

قرأنا عن مؤتمرات المغتربين،والشركة القابضة التى أنشئت بجهود وزارة الهجرة وتحت رعايتها ، ولكن الحقيقة التى نحاول اخفاءها هى ان الناس ـ حتى فى اعلى المستويات الثقافية والاجتماعية ـ يتعاملون مع الحكومة طبقا لمبدأ « الحكومة تضحك علينا ، ونحن نضحك على الحكومة » ، وكثير ممن حضروا هذه المؤتمرات لم يشتركوا فيها الا ليحصلوا على تخفيض ٥٠٪ من ثمن تذاكر الطائرة ، وجلسوا طوال المؤتمر واضعين ايديهم على قلوبهم خشية ان تورطهم الحكومة فى تسليم بعض دولاراتهم .

لذلك اقول ان المشكلة تجب ان تبحث على ارض الواقع ، بعيدا عن الرسميات ، وكلما كانت هيئات البحث مستقلة عن الحكومة كان ذلك أدعى لاطمئنان الافراد اليها ، وتعاونهم معها ولا يمكن ان يكون البحث اجتماعيا صرفا ولا اقتصاديا صرفا ، بل يجب ان يشترك فيه خبراء فى الاقتصاد والاجتماع وعلم النفس ايضا ، والى جانبهم مفكرون ينظرون الى كل مسألة تثار من جوانبها المختلفة التى قد لا يلتفت اليها اهل الاختصاص .

فالمغترب العائد ليس مجرد شخص رجع من الخارج بمقدار من المال ولكن شخص اكتسب عادات استهلاكية جديدة بفضل الزيادة التى طرأت على

الـقـمـنـزعـسى

الأشتوالك

دخله ، ولديه فائض ادخره بهـــدف معين ، قد لا يتجاوز المحافظة على هذه العادات الاستهلاكية · هـــذا تعريف تقريبي للمغترب بوصفه وحــــدة اقتصادية في عصر سمته الاساسية هي التوسع المستمر في الاســــتهلاك · والاستهلاك ليس رذيلة دائما فهـــو الذى يضـــمن سوقا للانتـــاج ، وبذلك يكون عنصرا اساسيا في التنمية وانما نشكو الان من زيادة الاستهلاك لانها لا تقابل زيادة في الانتاج · وقد صاحبت هذه الظاهرة زيادة عـــدد العاملين في الخارج ففي خلال الاثنتي عشرة سنة الاخيرة كان قسم كبير من القوى العاملة المصرية ـ بل من افضلها ـ يبيعون قوة عملهم ـ سواء في قطاع الانتاج او في قطاع الخدمات ـ خارج البلاد ، مقابل اجور يستهلكون قســما منها في شراء سلع منتجة ـ غالبـا ـ في الدول الراسمالية الكبرى ، ويصب قسم اخر في الاسـتهلاك الداخلي الذى اصبح ـ هو ايضا ـ معتمـدا على الاستيراد نتيجة لشيوع هذا النمط في نمو الراسمالية الوطنية الحديثـة ، والباقي يتحـول غالبا الى ودائـــع مجمدة لدى المصـارف الوطنيـة أو الاجنبية · هذه الودائـع هي ـ بدون ادنى شك ـ ملك لاصحابها بكل معاني الملكية ، ومن الحكمة الا تضـع الدولة قيوداً على الجهـــاز المصرفي تمنـع اصحابها من التصرف فيها ، لان النتيجة الطبيعية لذلك هي ان تهرب من البلاد الى حجر المستثمر الاجنبي ·

العـــائدون من الخــارج ليسوا راسماليين كبارا ولا صغارا ـ الا فيما ندر ـ ولكنهم اساسا قوة عمـــل ، تتفاوت بين الخبرة العالية والمتوسطة والعمالة الماهرة وغير الماهرة · ولكنهم أصبحوا ـ على غير انتظار ـ مالكين لقدار من « السيولة » يســمح لهــم بالدخول في سوق الانتاج · ومهمـــا نسيء الظن بالطبيعة البشـــرية فان الاغلبية الساحقة منهم تود ايضـا ان يكون سعيها في سبيل الرخاء الفردى اسهاما في رخاء الوطن ، الذى يعنى مستقبلا افضل لابنائهم واحفـــادهم فالمتوقع اذن ان هؤلاء العـــائدين الذين يجيئون هذه المرة مختـارين او مضطرين للاستقرار في حضن الوطن الام ، لا يحملون معهم مسجلا واجهزة فيديو فقط ، ولا يشحنون في امتعتهـم ثلاجات وافرانا فقط ، ولا يتربعون في سيارات فاخرة فقط ، ولكنهم يحملون ايضا ـ كل بحســب قدراته ـ افكارا ومشروعات · اى انهم ليسوا مجــرد خامات يشكلها المخططون الرسميون ، ولا وارثين اغرار يلتقطهـــم بعض المغامرين ، ولكنهم افراد لهم تجاربهم وطموحاتهم ، ولهم ايضا اراؤهـم في مستقبل بلادهم ، وقد خـرج الكثيرون منهم فرارا من حكم الراى الواحد وهم أحرياء ان يكونوا في عودتهم دعـامة « للصـــحوة الكبرى » في عهـــد ديموقراطى · كثير منهم لا يريدون من الدولة الا ان تسهل لهم الاجـــراءات الرسمية وتظلهم بالحماية المشـروعة التي تمنحهـــا كل دولة لصناعاتهـــا الناشئة · لا احد يطعن في كفـاءة أى



وزارة من الوزارات ولا في قيمة الابحاث التي تجريها ، ولكن الوزارة هي جهاز تنفيذي اولا ، ولا قوة لها الا بقوة المؤسسات العلمية والاقتصادية والسياسية خارج الجهاز التنفيذي . ولان هذه المؤسسات لا تزال ضعيفة جدا ، فان صورة « الحكومة » لدى المواطن العادي تجعله مترددا وشكاكا وربما اغرته بشيء من الحرص ، او حتى الخداع . لذلك كان شعار الحرية في الوقت الحاضر ، هو الشعار الذي يلقى اعظم استجابة من الجماهير .

ان المغتربين العائدين ، بامكانياتهم المتميزة نسبيا ، وطموحهم الذي دفعهم اصلا الى البحث عن فرص حياة افضل خارج الوطن ، يجب الا ينظر اليهم على انهم غنيمة تفك ازمة ، ولا على انهم عبء يزيد مشاكلنا تعقيدا . انهم في مناخ الحرية والديمقراطية امل كبير ، ودعامة مهمة . بعض الناس يمكن ان يشموا من هذا الكلام رائحة الليبرالية والحرية الاقتصادية ، وبستنيرون للدفاع عن « المكاسب الاشتراكية » . وعبارة « المكاسب الاشتراكية » هي بالفعل تعبير جيد عن عهد من المذاهب السياسية والاقتصادية المبهمة او المحرفة والفوضى الادارية التي يحاول فيها كل فريق ، بل وكل فرد ، ان يحصل على اكثر ما يمكن من « المكاسب » لنفسه ، مرة تحت اسم «الاشتراكية » واخرى تحت اسم « الانفتاح » .

ومصر تحاول الان ان تخرج من فوضى الاسماء والاهواء الى شيء من الجدية والالتزام . ولابد لها من ذلك فان الاخطار المحدقة بها كثيرة جدا ، والاضرار لن تنزل بفريق دون فريق . وقد بدأت الدولة تراجع دورها ، وتتجه الى الشعب مطالبة اياه بالتصدي لمواجهة مشكلاته . ومعنى ذلك انها وجدت من المستحيل ان تستمر في محاولة احكام قبضتها على كل نشاط سياسي او اقتصادي او فكري في هذه البلاد . ولكن القوى الشعبية ، خارج اطار الدولة ، لم تستأنف نشاطها الطبيعي بعد ، ولا تزال ، على المستوى السياسي ، تتوجس شرا من اعدائها الحقيقيين او الموهومين ، اما على المستوى الاقتصادي والفكري فان الصورة لم تتضح بعد . ويخيل الى ان « العائدين » مرجوون ومؤهلون ، اكثر من غيرهم ، لتوضيح معالم هذه الصورة .

ليس من المنتظر ان يدخلوا في جهاز الدولة ، المثقل بمن فيه . المرجح انهم سيكونون اكثر رغبة في ممارسة نوع من النشاط الخاص . وحسنا فعلت الدولة بتخطيط « المجتمعات الجديدة » في هذا الوقت بالذات ، فانها يمكن ان تصبح مركزا لنشاط اقتصادي مهم . ومن الواضح ان عملية انشاء المجتمعات الجديدة لا تنتهي بمجرد التخطيط ، بل ان مهام الدولة سوف تزيد بنمو هذه المجتمعات ، ولكن عصب الحياة فيها سيكون مواطنا مصريا من نوع جديد ، نوع ايجابي طموح كفء نشيط لديه الشجاعة والمقدرة على تجاوز الطرق المألوفة في العمل والحياة .

ان كتاب المقالات امثالنا لا يرسمون سياسة ولا يقترحون سياسة . انهم

يكتبون عن خبرات الناس وامالهــم ، ليضعوها بين ايدى الخبـراء ورجال السياســـة ، كي لا ينســـوها وهم يخططـــون وينفذون · والمغتـربون العائدون الذين يستأنفون حياتهم على ارض الوطن يشعرون بأنهم فى حاجـة الى ان يكتشفوا هذا الوطن اولا ، ان المشروعات التى تولتها الدولة خـلال الثلاثين سنة الاخيـــرة ـ ولا تزال تتولى معظمها ـ تعنى ان لدىاجهزتها المختلفة خبرات متراكمة يجب الانتفاع بها فى كل مشروع جـديد · مديرية التحرير مثـلا · ان الدولة فى الوقت الحاضر تحل اهداف التنمية الزراعية والامن الغـذائى فى المكان الاول من اهتماماتها ، وتشـجع المغتـربين والعائدين ـ بالذات على الاستثمار فى الاراضى الزراعية المستصـلحة ونصف المستصلحة، فهل نشرت على النــاس نتائج خبراتها فى مديرية التحرير ؟هل بدات حـــوارا بينها وبين هـــؤلاء المستثمرين المحتملين حـــول امكانيات الاستثمار فى كل منطقة من المنــاطق الجديدة المستصلحة ، او المرشـــحة للاستصلاح ؟ واين دور وزارة البحث العلمى ، واكاديمية البحث العلمى ، فضلا عن كليات الزراعة واقســـام الجغرافيا ومعهد الصحراء وادارات البحوث فى وزارة الزراعـــة ـ اين دورهم جميعا فى هذه المشروعـات ؟

تحضرنى بهذه المناسبة واقعتـان : الواقعة الاولى اخبرنى بها المرحـــوم الدكتور عبد الفتاح اسماعيل وكيـــل وزارة التعليم العالى ســابقا · وهى انه قام مع مجموعة من الخبراء بمسح شامل لشبه جزيرةسيناء بهدفاكتشاف امكانيات تعميرها لتكون بكثافتهـــا السكانية درعا للوادى من جهة الشرق وكان ذلك قبل حرب ١٩٦٧ · وقال لى الرجل بحزن ان المشروع طوى ، ولو بدىء تنفيذه فى وقته لكان من الجائز ان تتغير نتيجة هذه الحرب ·

اما الواقعة الثانية فلا يزال الناس يذكرونها · وهى ان مغتربا مصـــريا انعم الله عليه ، فعاد الى مصر وافتتح مكتبا واعلن عن مشـــروع ســماه « مشروع مصر المستقبل » ·وخلاصته ان مصر يمكن ان تزرع عشرين مليون فدان بدلا من ستة ، ونشر الرجـل فى الصحف اليومية اعلانات ضـــخمة مدفوعة الاجر ، ذكر فيها تفاصـــيل المشروع واورد اسماء عـــدة شركات من شركات الخبرة العالمية شـــهدت بسلامة الفكرة وصلاحيتها للتنفيـــذ · ولكن الوزير المختص لم يكن مقتنعـــا ولعل الوزير كان على صواب ، او لعل الوزارة بأجهزتها الفنيـــة كانت على صواب ولكن السؤال المحير هـــو : كيف تاتى ان يظل الحوار منحصرا بين الوزير وصاحب المشروع ؟ اين العلماء والخبراء ؟ ام ان الحاكم يجب انيبقى هو العالم ايضا ، وهو الموجه ، وهـــو الحاكم كذلك ؟

ان المغتربين يعودون بأشياء كثيرة، ليس اقلها حلمهم بمصر المستقبل ،كما يســـتطيع كل منهم ان يراها · فلا تجعلوهم يهربون !

لغويات

● يقول الادباء : « فلان يتململ في فراشه » .. أى يتقلب فيه كأنه يتقلب على شىء ساخن او حار او حارق .. والاصل فى قولهم «يتململ» « الملة » .. بفتح الميم ، موضع يتم فيه انضاج الخبز ، كالفرن مثلا .. ومن الادباء من يقول « يتملل » بدلا من « يتململ » وقولهم هذا هو الاصل ولكن جرى الكلام على ابدال « الميم من احدى اللامين ..

● ويقال : « خرجنا نتنزه » ... اذا خرج القائلون الى الحدائق .. وقد حكم بعض اللغويين قديما بغلط هذا التعبير ، وقالوا : انما التنزه التباعد عن المياه والريف ، ومنه يقال : « فلان يتنزه على الاقذار » .. اى يباعد نفسه عنها ، « فلان نزيه كريم » .. اذا كان بعيدا عن اللؤم والعيب .. وقد اقر اللغويون المحدثون قول الناس « خرجنا نتنزه » وحكموا بصحته ..

● يخلط بعض الكتاب بين « الاعجمى » و « العجمى » .. أما الاعجمى فهو غير الفصيح اللسان وان كان نازلا فى البادية .. أما العجمى ، فهو المنسوب الى العجم وان كان فصيحا .. والاعرابى هو البدوى وان كان نازلا بالمدن ، والعربى هو المنسوب الى العرب وان لم يكن بدويا ..

● بعض العامة يقولون : «علوان» اذا ارادوا « عنوان » .. وهو صواب .. وتستطيع ان تقول : عنوان « بضم العين » وعنوان « بكسر العين » وعلوان ـ بضم العين ـ وعنيان « بضم العين » .. ولكن الافضل ان تستعمل الكلمة الشائعة ، لان استعمال الكلمات المهجورة يدخل فى باب الحذلقة ..

● يخطىء بعض الكتاب أحيانا حين يريدون جمع يوم من الايام كالسبت والاحد والاثنين .. قال أهل اللغة : جمع السبت : السبوت ، والاسبت .. والاحد : الاحاد .. والاثنان لا يثنى لانه مثنى فى الاصل ، وجمعه اثانين .. وجمع ثلاثاء : ثلاثاوات .. وجمع أربعاء : أربعاوات .. وجمع خميس : أخمساء وأخمسة .. وجمع « الجمعة » : الجمعات والجمع ..

● بعض الاذاعيين ـ فى غير مصر ـ ينطقون كلمة « القوى » ـ جمع قوة ـ بكسرة تحت القاف ، وفى اللغة كلمات من أوزان مختلفة تنطق بالكسر والضم ، فتقول : « القوى » بضم القاف وكسرها ، وتقول « عيون » بضم العين وكسرها .. وتقول « ملوك » بضم الميم وكسرها الخ ..

السنة والشيعة
والحاجة إلى حوار جديد

بقلم: د. أحمد كمال أبو المجد

● فى الجزء الاول من هذا البحث دعونا أهل السنة وعلمائهم إلى التعرف الهادىء على معالم الفكر الشيعى . وأخذنا فى استعراض تلك المعالم عند الشيعة الإمامية (الاثنى عشرية) . بادئين بمذهبهم فى "الإمامة" وأنها عندهم منصب إلهى يثبت بالنص . ولايجوز أن يكون فيه دخل للاختيار . وأن الإمام - فوق ذلك - معصوم من الذنوب . وذلك حتى يكتمل فيه معنى الكمال الذى يوجب طاعته والانقياد له . والذى يتناسب مع اختيار الحق تعالى له . ●

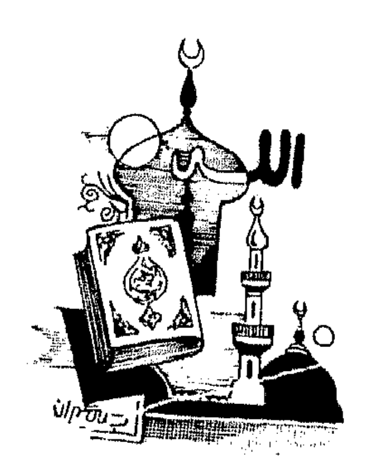
والشـــيعة بما يقررون من عصمة الأئمة يختلفون عن أهل السنة الذين لا يرون لاحد غير الانبياء عصمة عن الذنوب ، بل يذهب بعضـــهم الى أن الذنوب جائزة على الرسل الا التقصير فى التبليغ ، ويذهب آخــرون الى ان الانبياء معصومون فى زمان النبوة عن الكبائر والصغائر بالعمد اما على سبيل السهو فهو جائز وهو المشار اليه فى قوله تعالى لنبيه (ص) : « ليغفــر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخــر » ويقول الرازى فى هذه الاية وغيرها مما ورد فى القرآن عن ذنوب الانبياء بانها اما ان تكون على سبيل النســـيان

كمعصية ادم واما على سبيل ترك الاولى (١) •

ولا نريد هنا أن نتوقف طويلا عند آراء الشيعة فى عصمة الائمة اذ ان ذلك مرتبط ـ فيما نرى ـ بمدى حاجتهم الى اثبات تلك العصمة فى مواجهة مغتصبى الامامة من غير آل بيت النبى (ص) ، ولذلك لا نستغرب أن يميل المحدثون منهم الى الاقتراب فى شأنها من رأى علماء أهل السنة ، فيقول واحد منهم « ان الامامية لم يجيزوا السهو والنسيان على أئمتهم فيما يؤدونه عن الله فأما ما سواه فقد جوزوا عليهم أن ينسوا وأن يسهوا ما لم يؤد ذلك الى اخلال العقل ••• ومن نسب غير ذلك الى الامامية فقد ظن فاسدا ••• » (٢) ويلخص العلامة كاشف الغطاء نظرة الشيعة الامامية للامام بقوله « فالامام فى الكمالات دون النبى وفوق البشر » •

وحين يسرف بعض علماء الشيعة في بيان الحاجة الى عصمة الامام حتى تسلم الجماعة من الزلل يجيبهم علماء السنة بأن العصمة من الخطأ ثابتة لمجموع الامة » •• وان عصمة الامام لا يمكن أن تؤدى وظيفتها المدعاة فى غيبة الامام وهو الحاصل بعد الامام الثانى عشر ويلخص هذا الموقف كله تقى الدين بن تيمية وهو أكثر علماء أهل السنة نقدا للشيعة وردا لادلتهم فيقول عن عصمة مجموع الامة أو مجموع علمائها « هذا هو الواقع المعلوم الذى أغنى الله به عن واحد معدوم » •

ولقد بذل علماء الشيعة بعد ذلك جهدا هائلا فى اثبات الامامة لعلى كرم الله وجهه بوصية صريحة من النبى (ص) وقد حشدوا فى هذا الجهد عشرات من الادلة النقلية والعقلية أسرفوا خلالها فى تأويل آيات القرآن وصرف ألفاظها وتراكيبها عن دلالاتها ومعانيها المتبادرة الى دلالات ومعان بعيدة تتجه كلها الى اثبات الوصية لعلى كرم الله وجهه (٣)



كذلك تعلقوا فى اثبات الامامة له رضى الله عنه بالحديث الذى يروونه عن النبى (ص) وهو الحديث المعروف بحديث غدير خم: وخلاصته أن النبى (ص) لما أحس بدنو أجله جمع الناس بعد الحج الاكبر فى حجة الوداع ،

---

(١) انظر نص عبارته فيما نقله عنه الدكتور أحمد محمود صبحى ـ المرجع السابق ص ١١٣ •

(٢) محمد جواد مغنية ـ مع الشيعة الامامية ص ١٤ •

(٣) انظر استعراضا مفصلا لهذه الآيات ومناقشة هادئة لآراء الشيعة فى تفسيرها فى مؤلف الدكتور احمد محمود صبحى السابق ذكره ص ١٧٥ وما بعدها بعنوان : هل يشير القرآن الى امامة علي ؟ » •

وقد انزل الله عليه قوله تعالى : « يايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » .
المائدة ٦٧

فوقف (ص) يخطب الناس ثم قال : يايها الناس ان الله مولاى وانا مولى المؤمنين وانا اولى بهم من انفسهم فمن كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله ... »
وقد وقع ذلك منه (ص) فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجة من السنة العاشرة من الهجرة ويضيف الشيعة أنه بعد ان بلغ النبى (ص) الرسالة كما امره ربه نزلت آخر آية فى القرآن : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » ..

وكثير من علماء المسلمين ومحدثيهم يرون صحة هذا الحديث ولكنهم يروونه بالفاظ مختلفة ، كما يحملون « الموالاة فيه » على غير معنى الامامة الذى يعرفه الشيعة ، ويقول الرازى فى ذلك ان الامة تثبت بهذا الحديث فضيلة على اما الشيعة فتثبت به امامته » ..

وفى تقديرنا ان بعض تفسيرات الشيعة للنصوص القرآنية فى هذا المقام تبتعد بها ابتعادا كبيرا عن معانيها المتبادرة مما يفتح الباب واسعا لسؤال كبير : ذلك انه اذا كانت الامامة ـ بمعناها المقصود عند الشيعة ـ ركنا من أركان الدين ، واذا كان تعيين الامام المعصوم واجبا على الله تعالى ولطفا منه بعباده ، فكيف يتفق بعد ذلك أن تاتى النصوص الدالة على ذلك محتاجة الى هذا القدر الهائل من التأويل » . وكيف يتاتى بعد ذلك أن يدور الجدل الطويل بين الصحابة بعد وفاة النبى (ص) فلا يحتج خلاله على كرم الله وجهه بوصية النبى له .. وباشارات القرآن الى هذه الوصية وكيف لم يتجدد ذلك بعد وفاة أبى بكر وبعد طعن عمر رضى الله فى مسجد الرسول (ص) .. نعم ان لعلماء الشيعة كلاما مفصلا فى الرد على هذه المطاعن .. ولكن السؤال يبقى ـ مع ذلك ـ عندنا قائما بغير جواب مقنع ..

● غيبة الامام ، وانتظار المهدى ●

يرى الشيعة الامامية ان الامام الثانى عشر هو محمد بن الحسن العسكرى قد استتر عن الناس واختفى ولكنه لا يزال حيا ، وأن غيبته قد مرت بمرحلتين : الاولى غيبة صغرى قام خلالها أربعة وكلاء بالنقل عنه الى عامة الناس ، واولهم عثمان بن سعيد ثم ابنه محمد بن عثمان، ثم الحسين بن روح ، ثم على السمرى فلما مات هؤلاء الوكلاء انقطع اتصال الامام الغائب بالناس وصارت الغيبة غيبة كبرى ..

وهذا الجزء من عقيدة الامامية هو بغير شك ـ اكثرها غموضا ، فهم لا يذكرون شيئا محددا عن حياة الامام الثانى عشر وصورته وسيرته فى الناس ، كما لا يذكرون طبيعة اختفائه والحكمة منها ولا يروون شيئا واضحا

فى شأنه منقولا عن وكلائه الاربعة وانما يكتفون بالتوجه الى الله أن يعجل بظهوره ومع هذا الغموض فان علماء الشيعة لا يتحاشون الخوض فى قضية المهدى ٠٠ بل يتجاوزون ذلك الى الرد على من يشككون فى أمره فيقولون ان غيبته أكثر من ألف عام ليست أمرا غريبا فى نواميس الكون فنوح عليه السلام لبث فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما وذلك بنص القرآن الكريم ٠٠ وكثير من علماء السنة يرون أن الخضر عليه السلام حى موجود ٠٠٠ أما حين يصل الامر الى التساؤل عن الحكمة والمصلحة فى بقائه مع غيبته فان عالما ومجادلا شيعيا قوى العارضة مثل محمد الحسين آل كاشف الغطاء لا يزيد على أن يقول : « **ليت شعرى هل يريد أولئك القوم أن يصلوا الى جميع الحكم الربانية والمصالح الالهية** » ٠

وبقى أن نلاحظ أن المهدوية رغم ارتباطها بالتشيع وبغياب الامام الثانى عشر فانها قائمة فى الفكر الدينى كله وقائمة كذلك فى الفكر الاسلامى السنى ٠ تشهد لها أحاديث نبوية خرجها المحدثون فى كتبهم ٠٠ وهى فى مجموعها ـ وبعيدا عن النصوص التى يحتج بها المحتجون ـ تعبير عن الاحتجاج على الواقع الظالم ، وعن التطلع الى مرحلة يجدر خلالها اصلاح ذلك الواقع ومحو الظلم القائم فيه ويلفت النظر ونحن نقارن بين آراء أهل السنة وآراء الشيعة أن ابن تيمية وهو حنبلى سلفى متشدد يقبل أحاديث المهدى بينما يرفضها الزيدية وهم من الشيعة ٠

والتقية ـ فى معناها العام ـ أن يضمر المسلم غير ما يعلن دفاعا عن نفسه واتقاء لخطر لا يقدر على دفعه اذ قد أجازت شريعة الاسلام المقدسة للمسلم فى مواطن الخوف على نفسه أو عرضه اخفاء الحق والعمل به سرا ريثما تنتصر دولة الحق وتغلب على الباطل كما اشار اليه جل شأنه (**الا أن تتقوا فهم تقاه » وقوله « الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان »** ٠

والحق أن هذا المسلك الدفاعى فى مواجهة الخطر الداهم ليس مما ينفرد به الشيعة ؛ ولكنهم لجأوا اليه لما تعرضوا له منذ بداية الحكم الاموى من اضطهاد وتضييق وأذى وقد لخص ذلك العلاقة محمد الحسين آل كاشف كاشف الغطاء بقوله :

والتعيير بالتقية ليس على الشيعة بل على من سلبهم موهبة الحرية والجاهم الى العمل بالتقية » ٠

كما أنه من التجنى أن يصور مسلك الشيعة فى عمومه بأنه مسلك يعتمد التقية ويركن اليها ٠٠ اذ معلوم أن الحسين رضى الله عنه قد آثر أن يجود بنفسه على أن يرضى بجور الحكم الاموى أو ان يمالئه على ما كان فيه من عوج ٠

وانما تمثلت التقية فى مسلك الحسن رضى الله عنه حين تنازل عن الخلافة لمعاوية ، قائلا لاصحابه حين دعوه بعد ذلك الى الخروج على معاوية : « أنتم شيعتنا وأهل مودتنا ، فارضوا بقضاء الله وسلموا الامر والزموا بيوتكم وكفوا أيديكم حتى يستريح بر او يستراح من فاجر » ٠

● ولاية الفقيه ٠ ٠ والحكومة الاسلامية ●

لا يتحدث علماء الشيعة الاوائل عما يتحدث عنه المحدثون منهم فى شأن « ولاية الفقيه » ٠ ذلك أن قضية الحكم والسلطة السياسية كانت قد

حسمت فى الفكر الشيعى على أساس « ثنائية » فرض التاريخ السياسى للمسلمين على الشيعة ان يقبلوها : فامام العصر أو الامام الشرعى يجرى اختياره بمشيئة الهية بالنص عليه من جانب سلفه ٠٠ والله سبحانه لا يخلى الارض من حجة على العباد من نبى أو وصى ظاهر مشهور أو نائب مستور»(١)٠ وهذا الامام الشرعى هو المعصوم الذى تجب على الامة طاعته وموالاته ٠٠٠ أما الذى يتولى رئاسة المسلمين من غير الأئمة فهو فى نظر الشيعة حاكم مغتصب ولكن طاعته قد تجب على الناس وجوبا واقعيا وهى طاعة قد تجيز السكوت عليه درءا للخطر عن الشيعة الذين يدخل سكوتهم عندئذ فى باب « التقية » ٠٠ وهذا السكوت قد يشارك فيه امام العصر كما فعل الحسن رضى الله عنه حين تنازل عن منصب الرئاسة لمعاوية ٠٠ وقد يرى الامام أن يختار الجهاد والخروج على الحاكم الجائر على نحو ما فعل الحسين رضى الله عنه حين خرج على يزيد بن معاوية ٠

وقد كان يمكن لهذه الثنائية أن تكون حلا لمشكلة السلطة السياسية فى وجود امام العصر ٠٠ ظاهرا كان أو مستورا ٠٠ أما بعد غيبة الامام الثانى عشر غيبة كبرى ، واختفاء وكلائه ٠٠ وانتظار رجعته وخروجه ٠٠ فقد كان من الضرورى ايجاد مخرج عملى يستقيم به أمر الجماعة فى قضية « الحكومة » ٠ والصيغة التى قدمها الفكر الشيعى لهذه الحكومة (١) ٠٠ تقترب ـ فى نظرنا ـ مما انتهى اليه علماء السنة ٠٠ ولا نجد تعبيرا عن هذه الصيغة الشيعية الجديدة أوضح مما قرره الامام الخمينى فى محاضراته المنشورة بعد الثورة الايرانية بعنوان : « الحكومة الاسلامية ٠٠ ولاية الفقيه » وخلاصة هذه الفكرة أن الفقهاء يجب أن يضطلعوا بنفس المسئولية التى تحمل أعباءها الانبياء عليهم السلام فى التنفيذ والتطبيق ٠ ولما كان النبى صلى الله عليه وسلم قد أقام حكومة اسلامية تاخذ الناس بأحكام القانون الاسلامى ، فان على الفقهاء متابعته فى هذا المسلك ٠٠٠ ويلجأ الخمينى فى عرض نظريته فى ولاية الفقيه الى منهج معاصر يؤكد بداية انفصال الفكر الشيعى ـ فى جانبه السياسى على الاقل ـ عن اطاره التاريخى الذى حصرته فيه الحوارات التى دارت على امتداد التاريخ بين المتكلمين والفلاسفة من

---

(١) أصل الشيعة واصولها ص ١٣٦ ٠

(٢) الواقع ـ مع ذلك ـ أن الفكر الشيعى تأخر كثيرا فى تقديم هذه الصيغة ، ويشير بعض المعاصرين الى أن أول من قدمها فى شكل محدد هو محمد بن مكى الجزينى المتوفى ٧٦٨ هـ ـ ١٣٦٦ م ٠ وهو من أهل جزين بلبنان الذى شرح أراءه فى كتابه « اللمعة الدمشقية » ـ ويلفت النظر كذلك أن الفكرة لم تظهر فى المركزين الرئيسيين للشيعة فى ايران والعراق الا متأخرة كثيرة عن كتابات ابن مكى ٠

اهل السنة وبين الشيعة ·· فهو يتحدث عن فساد القول بفصل الدين عن السياسة مؤكداً ان الاسلام حكومة ودولة » ، وان وضع القانون الاسلامي لا يكفي وحده بل لابد ان يكون هناك « ضامن اجرائي » تقيم به الامة حكومة تنفذ هذا القانون « فان لم تفعل فما بلغت رسالته » (١) ·

ثم يوضح الخميني جوهر القضية كلها حين يقول : « اننا في عصر الغيبة الكبرى وقد طال الامد اكثر عن الف ومائتين عاما وربما تطول أحقابا من الدهر قبل أن تتحقق الظروف المناسبة لظهور الحجة المنتظر - عجل الله فرجه - فهل تترك وتهمل الاحكام الاسلامية وقوانين الشريعة الى زمان الظهور ليبقى الناس في فترة الغيبة طويلة الامد بلا تكليف ؟ » (٢) ويجيب بلا تردد : « كلا ثم كلا ·· ان الاسلام تصدى لعلاج الامر بانجع علاج : انه فوض تولى أمور المسلمين الى الفقهاء العدول - من يجتمع فيه العلم والعدالة وهذا هو الشرط المعتبر توافره في ولي الامر على الاطلاق (٣) ··

وهكذا يحل الخميني معضلة المفارقة بين مثالية المذهب الشيعي وغيبيته في قضية « الامامة » وبين الحاجة الى « ولي أمر » يطبق الشريعة ويسوس الناس ·· لينتهي الى انه لا شك « في ضرورة تشكيل الحكومة الاسلامية في عصر الغيبة كما كانت ضرورية قبلها» ·· وهو في سياق كلامه يحافظ على نظرية الامامة محافظة شكلية خالصة ··· حين يستدرجه المقام الى التصريح بأن سائر الخصوصيات التي اختص بها « الامام » من المعرفة بالمغيب - لو صح لغير الله - والعلم بأوصاف الملائكة وصفات الخالق تعالى وما أشبه فغير دخيل في مسالة الخلافة ·· » وانما الامر المهم الذي تسالم عليه الصحابة والتابعون لهم باحسان ومن بعدهم من العلماء والفقهاء هو لزوم توافر شرطين في الخليفة وفي زعيم المسلمين على الاطلاق : العلم والعدالة ·· هذا هو الامر الذي يتوافق العقل والشرع عليه ·· » ·

ثم يزيد الخميني الامر وضوحا وتحديدا فيقول في صراحة : لو قام بالامر - (في عصر الغيبة) فقيه عادل ذو كفاءة ودراية ونهض بأعباء ولاية أمور المسلمين عن جدارة وليـاقة كان له من الزعامة الكبرى ما كان للنبي (ص) وللامام (علي) وله نفس الامتياز الذي كان لهما في اطار الحكم والولاية وعلى عامة المسلمين طاعته والانقياد تحت قيادته الحكيمة (٤) ·

وفي محاولة ذكية للتوفيق بين نظريته في ولاية الفقيه ، وبين النظرة الشيعية الثابتة « للامامة » من انها منصب الهي ، يقول الخميني : « ان ولاية

---

(١) الحكومة الاسلامية للخميني - طبعة دار القدس بيروت مع مقدمة للشيخ جعفر المهاجر ص ٣٠ ·

(٢) الحكومة الاسلامية ص ٤١ ·
(٣) الحكومة الاسلامية ص ٤٢ ·
(٤) الحكومة الاسلامية ص ٥٥ ·



الفقيه شأن من شئون المجتمع الاعتبارية وليس لها واقعية ذاتية سوى المواضعة الالهية الشرعية بالجعل والتقدير والاعتبار (١) ٠٠

ولا نريد أن نتوقف اكثر من ذلك عند تفاصيل نظرية « ولاية الفقيه » عند الخمينى ، ولا عندما تحمله من بذور الانفراد بالسلطة وافتراض التنزه والارتفاع فوق الرغبات الشخصية لدى الزعيم الفقيه ٠٠٠ ففى تصورنا أنه كان يصوغ نظرية سياسية تفسر ما يعتزمه من عمل سياسى ، وتضفى عليه شرعية اسلامية دون التزام حقيقى بكثير من الاصول الشيعية ٠٠ وانما نتوقف عند أمر واحد ٠٠ هو أن الفكر الشيعى قد بدأ ـ تحت ضغط الواقع التاريخى ـ يتخلى عن بعض صيغه القديمة ليقترب من مذهب أهل السنة والجماعة فى بعض جوانب الفكر السياسى على الاقل ٠ وذلك بغض النظر عن المثالب والمآخذ التى تحيط بفكرة ولاية الفقيه من الزاوية السياسية الخالصة وانها تقيم « حكومة دينية » ، يتولى السلطة فيها « رجال الدين » مع ما يحمله ذلك من مخاطر لا تخفى على الحكم وعلى الرعية على السواء ٠

ونخلص من هذا العرض كله الى أن ندعو الى أمرين من عدة أمور مبتعدين تماما عن واقع الصراع السياسى والعسكرى الدائر فى منطقتنا والذى تلعب فيه « حكومة الفقهاء » دورا لا يخفى ، ولابد أن تتحمل بسببه مسئوليتها عن كثير مما يدور ٠٠٠

١ ـ ندعو علماء السنة ـ والمثقفين منهم بصفة عامة ـ أن يعرفوا عن

---

(١) ليس هذا عرضا شاملا لمعالم الفكر الشيعى للامامية الاثنى عشرية، وانما اخترت منه هذه المعالم لاتصالها بما نريد الوصول اليه من خدمة الحوار فى أمور بدأ النظر فيها يتقارب بين علماء السنة وعلماء الشيعة ٠٠ ـ وحسبنا أن نشير الى مواضع اخرى للاختلاف لا نعرض لها هنا ٠٠ من أهمها أن علماء الشيعة لا يقبلون الاحاديث النبوية ، الا اذا رواها آل البيت عن آل البيت ، ومنها أنهم يقولون باخراج الخمس من الغنائم والكنز والمعادن وأرباح المكاسب الى الامام ان كان ظاهرا ، والى نائبه ان كان غائبا ، وبذلك وفر الشيعة لعلمائهم موردا ماليا يضعهم موضع الاستقلال فى مواجهة الحكومات ٠ وأنهم يرون مشروعية زواج المتعة وهى عندهم لا تختلف عن الزواج المعروف الا فى شرط التأبيد ويضيق المقام عن مناقشة ذلك كله وان كان الحوار حوله مبسوطا وموثقا فى كثير من المؤلفات المتاحة للمرء ٠

التشيع اكثر مما يعرفون ·· وان يتفهموا الابعـاد النفسية والاجتماعيـة والسياسية التى احاطت بنشاة التشيع ووجهت مساره وحددت كثيرا من معالمه ·· فليس أمر المسلمين كله أمر مقابلة نصوص بنصوص ومقارعة حجج عقلية بحجج عقلية اخرى ·· فتلك كلها أسلحة يستخدمها البشر فى تحقيق مقاصدهم وتسوية حساباتهم وادارة صراعاتهم ··· ولو فعــل علمـاء اهل السنة ذلك لقطعوا نصف الطريق الى « تعايش اسلامى شامل » ولقطعـوا الطريق على دعاة الفتنة الطائفية الذين يقبعون كالقناصة على جانبى الطريق ينتظرون الفرصة لاشعال نيران التعصب والانحياز والانقسام ··

٢ ـ أن يساعدوا ـ من جانبهم ـ على انهاء العزلة النفسية التى فرضها الشيعة على أنفسهم فى ظروف تاريخية بالغة التعقيد ·· وذلك بأن يتقبلوا الفقه الشيعى فى الفروع تقبلهم آراء المدارس الفقهية الاربعة ·· ومعـلوم أن بين الفقه الجعفرى (المنسوب الى جعفر الصادق رضى الله عنه وبين فقه المدارس الفقهية السنية نسب عريق وصلة وثيقة ، وتقارب عظيم ·

أما علماء الشيعة فان عليهم واجبا اكبر يحتاجون معه الى مغالبة الرواسب النفسية المتراكمة عبر تاريخ الشيعة الطويل فلم يعد « الفكر الشيعى » بحاجة الى أن يتستر وراء نظرية الامامة ، والامام المعصوم ،والتقية ، لينزع الشرعية عن أحد من الحكام المغتصبين ·· ولم يعد الشيعة جميعا بحاجة الى مواصلة اجترار مشاعر الحزن والاسى المكبوت لتظل جذوة الرغبة فى الانتصار للامام المظلوم ·· حية فى النفوس ·· بل ان الشيعة لم يعـودوا بحاجة الى مواصلة « الانقسام » الذى بدأ فى تاريخهم بعد كربلاء ·· فالهموم التاريخية كلها قد مضى عليها زمان طويل ·· « وهموم الحاضر » لها لون خاص ومذاق ـ على مرارتـه ـ جـديد ···

والامام المعصوم ـ فى عقيدتهم ـ غائب طويل الغيبة ، لا يعلم أمره أحد الا الله ··

أما الحاضر الوحيد فهو « أمة المسلمين » ··· فهل نذهل عن مصالح الامة ··· ونتفرغ لمأساة الامام ؟؟

ان تذويب الرواسب التاريخية أمر بالغ العسر ·· متعـذر على كثير من النفوس ·· ومن الحكمة التسليم بانه يحتـاج الى جهود سنوات لمحـو آثـار ما صنعته القرون ··· ولكن ذلك وحده هو الطريق ·· ولم يعد أمامنا ـ نحن المسلمين ـ خيار ·· اما ان يتسابق علماؤنا الى الافق الذى تدعـوهم اليه مسئوليتهم امام الله ·· وهم عند اهل السنة وعند الشيعة ـ على السواء « ورثـة الانبيـاء » فيتقوا الله فى الامة كلها ، ويتوجهوا الى معالجة امور الحاضر والمستقبل فى اطار من « مصالح المسلمين » متوقفين عن اجترار الماضى واغراق العامة فى مآسيه ·· والا فنحن فى انتظار مأساة هائلة تحل بنا جميعا ، تهون الى جوارها فاجعة كربلاء وسيكون الشهيد فيها هذه المرة فيها ·· الامة كلها ·· وليس الامام ·



عن أهل الذمة رأى جديد

بقلم: د. محمد عمارة

« الذمة » ـ فى مبحثنا هذا ـ هى : العهد والأمان والكفالة ... و « أهل الذمة » : هم المعاهدون ، من أهل الكتاب ومن جرى مجراهم ... والذمّى : هو المعاهد ، الذى أعطى عهدا يأمن به على ماله وعرضه ودينه ...

وعقد الذمة ، وتنظيم شئونها ، والأثر المالى المترتب عليه ـ وهو الجزية ـ .. مكانها جميعا فى علوم الإسلام وحضارته : « فقه المعاملات » ... وليس « علم الكلام » .. فهى ، إذن ، من الفروع المتعلقة بالسياسة .. وليست « أصلا » ولا « ركنا » من أصول الدين وأركانه .. مقصدها « ثابت » من « الثوابت » لكن شكلها ووجودها وأحكامها من « المتغيرات » ..



ان ((الذمة)) ، فى جوهرها : عقد مع الغير .. فلابد من وجود ((الغيرية)) حتى يقوم الداعى المبرر لعقد الذمة بين الدولة الاسلامية وبين هذا الغير ، الذى تنطبق عليه شروط أهل الذمة ، اذا هو قبلها وارتضاها ورغب فيها .. انها تفترض الثنائية ، فالمسلمون يعطون عهدها للمغايرين ، لا للمماثلين .

وهنا يثور سؤال : ماهو العامل الاساسى والاول والحاسم الذى يجعل هذه « الغيرية » مبررا لعقد « الذمة » دون الاخرى من عوامل « المغايرة » .. فالدولة الاسلامية قد تضم — وهى قد ضمت تاريخيا — رعية بينها الوان من « الوحدة » وأنواع من « المغايرة » .. فهى قد ضمت جماعات تغايرت فى « النسب » و « القبيلة » و « الجنس » و « اللون » و « المذهب » و « الدين » و « اللغة » .. الخ .. فما هو « عامل المغايرة » الذى انفرد باستدعائه عقد الذمة من بين هذه العوامل ؟!..

قد يتبادر الى الذهن أن « المغايرة فى الدين » هى هذا العامل .. وهذا هو الشائع فى « العقل الاسلامى العام » !.. فكثيرون يتصورون أن المغايرة فى المعتقد الدينى هى الفيصل الداعى لاقامة نظام الذمة وعقدها ، وتحصيل الجزية من هؤلاء المخالفين فى الدين ، والتمييز بينهم وبين المسلمين فى بعض الحقوق والواجبات .. ولقد عرف هذا الراى فى تراثنا الفقهى بأنه راى الذين قالوا : ان الجزية — وهى أهم سمات عقد الذمة — هى مقابل الخلاف فى المعتقد الدينى ، ولقاء السماح لغير المسلمين ببقائهم على عقائدهم المخالفة للاسلام ، يتمتعون بحماية دولته وذمة امته ..

لكن هذا الراى الذى ارتآه المالكية فى سبب « المغايرة » ، المستوجبة للذمة وجزيتها ، قد خالفه وراى غيره الفقهاء الاخرون ، الذين قالوا ان الجزية قد وجبت على أهل الذمة ((**بدلا عن النصر والجهاد**)) .. فالمغايرة بين طرفى عقد الذمة ، التى استوجبت عقد الذمة ، وفرض الجزية — على هذا الراى — ليست الخلاف فى الدين ، **وانما هى غيبة الولاء ((للدولة)) الاسلامية ، لغيبة الانتماء اليها ، حتى أن هذه ((الدولة)) لا تأمن لهذا ((الغير)) ، غير الموالى وغير المنتمى ، لا تأمن له فتسلحه وتقبله جنديا فى جيشها ينهض بمهمة الجهاد دفاعا عنها وحماية لمقوماتها الفكرية والمادية .. فالعلة التى تدور معها الذمة** واحكامها ، امام اجتهادين فى فقه المعاملات الاسلامى :
فى ((الولاء والانتماء)) للدولة الاسلامية ..

اذن ، فنحن ، فى تعليل وتحديد طبيعة « الغيرية » المستوجبة لعقد الذمة وأحكامها ، أمام اجتهادين فى فقه المعاملات الاسلامى .

● أحدهما يرى أن الغيرية هى الاختلاف فى الدين .. وطالما بقى هذا الاختلاف فى الدين فالغيرية قائمة ، وعقد الذمة وأحكامه هو الصيغة الابدية الحاكمة علاقة الجماعة المسلمة ودولتها الاسلامية بهؤلاء الاغيار ..

● وثانيهما يرى أن الغيرية مصدرها غيبة الولاء للدولة الاسلامية والانتماء لنظامها ، فاذا قام هذا الولاء وتحقق هذا الانتماء ، حتى مع بقاء الاختلاف فى الدين ، كان باستطاعة الدولة الاسلامية أن تدمج غير المسلمين ممن ولاؤهم لها وانتماؤهم لنظامها فى جيشها ، ينهضون بنصيبهم فى « النصر والجهاد »



عن أهل الذمة

مع المسلمين على قدم المساواة .. وفى هذه الحالة لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، تسقط عنهم الجزية ـ وهى المظهر المادى الرئيسى المميز لاهل الذمة فى الاقتصاد والاموال ..

وعند هذا الحد من تبيان جذور القضية ـ قضية « الذمة » ، وماهية سبب « المغايرة » ـ نود ان نقول : ان للرأى الثانى الحظ الاوفر من القوة ، والنصيب الاعظم من عوامل الاتساق مع منطق الفكر الاسلامى ، وله تشهد جميع الوقائع والاحداث والوثائق فى عصر صدر الاسلام !..

فلو كانت علة الجزية هى المغايرة فى الدين ، دونما نظر الى الولاء للدولة والانتماء لنظامها ، لوجبت على كل المخالفين فى الدين ، بينما الامر فيها ليس كذلك ، فهى لاتجب الا على القادرين على القتال من الرجال ، أما الشيوخ والاطفال والنساء والعجزة والمرضى ، من غير المسلمين ، فهم ، مع خلافهم واختلافهم فى الدين ، لا جزية عليهم .. بل ان أكثر الناس خلافا واختلافا فى الدين ، وهم الاحبار والرهبان ، لا تجب عليهم الجزية ؟!.. فهى ، اذن ، « بدل جندية » يدفعها القادر على حمل السلاح ، عندما تفتقد الدولة الاسلامية ولاءه لها وانتماءه لنظامها ، فيصبح ، فى مقام « الرعية السياسية » ، « غيرا » ، بحيث لا تأمنه الدولة على الانخراط فى قوة جهادها وجيشها الحامى لبيضتها ومقوماتها وفكريتها .. ومع هذا الانتماء والولاء تدور « الغيرية » وجودا وعدما ، وبقيام « الغيرية » أو اختفائها تظهر الحاجة الى عقد « الذمة » وجزيته ، أو تحل محله وحدة الامة ، كرعية سياسية ، يوحدها الولاء والانتماء للدولة الاسلامية ومقوماتها الفكرية والقانونية ، مع بقاء التعددية فى الدين !..

ومع « شهادة المنطق » هذه ، كانت « شهادة وقائع تاريخ الدولة الاسلامية » فى صدر الاسلام ..

● ففى دولة المدينة ، على عهد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وجدت « الغيرية » فى الدين بين رعية هذه الدولة ، ومع ذلك قامت « وحدة الرعية السياسية » ، فكانت « أمة واحدة » ، بالمعنى القومى ، اذ تألفت الرعية السياسية والقومية الواحدة من العرب المسلمين ، مهاجرين وأنصارا ، ومن القطاعات العربية التى كانت على يهوديتها من قبائل المدينة .. فالجميع عرب ـ بالمعنى الحضارى ، لا العرقى ، ساوت العروبة بهذا المعنى بين من ولدوا من أصلاب عربية الجنس وبين سلمان الفارسى وبلال الحبشى وصهيب الرومى ، لانهم قد تعربوا باللسان والولاء والانتماء .. والجميع ، مع المغايرة الدينية ـ مسلمون ويهود ـ جمعهم الولاء للدولة الواحدة والانتماء للسلطة الجديدة.. فانتفى مبرر عقد الذمة ـ وما يترتب عليه من جزية ـ بانتفاء « الغيرية » الداعية اليه ، الغيرية فى الانتماء والولاء السياسى والقومى والحضارى ، فلقد رضى العرب المتهودون دستور الدولة الاسلامية وقانونها .. ونص هذا

الدستور (الذى أسماه المؤرخون : « الصحيفة » و « الكتاب ») ــ نص على وحدة الامة ، بالمعنى السياسى والقومى ، رغم المغايرة الدينية .. فقال : « المؤمنون والمسلمون ، من قريش ويثرب ، ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم ، أمة واحدة من دون الناس » .. وبعد أن عدد القطاعات العربية المتهودة من قبائل المدينة : يهود بنى عوف ، وبنى الحارث ، وبنى ساعدة ، وبنى جشم ، وبنى النجار ، وبنى الاوس .. الخ .. تحدث هذا الدستور عن قيام أمة واحدة تضمهم والمؤمنين ، فقال : « **وان اليهود امة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم .. وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ..** »

فرغم المغايرة فى المعتقد الدينى ، قامت الوحدة القومية ــ العربية ــ للرعية السياسية ، فكانت « أمة واحدة » ، بالمعنى القومى ، ورعية سياسية واحدة ، حاربوا معا ضد أعداء الدولة ودستورها وقانونها وقيادتها ومقوماتها الفكرية ، وتحملوا معا نفقات هذه الحرب ، اقتسموا مغانمها .. فكانت وحدة الولاء والانتماء ، وكان النهوض معا بتحمل اعباء وتبعات فريضة « النصر والجهاد » ، الموحد للامة ، قوميا وسياسيا ، والنافى للغيرية والمغايرة ، ومن ثم انتفى داعى « الذمة » وموجب « الجزية » فى الدولة الاسلامية الاولى .

● لكن البعض قد يعترض ــ وهذا حقه ــ فيقول : ان الاستدلال بهذا الدليل لا يثمر هذه النتيجة كاملة ، فلم تكن « الجزية » قد فرضت بعد بنص القرآن .. فالاية الوحيدة التى فرضت الجزية ، وهى قول الله سبحانه : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ، ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون »(1) .. هذه الاية قد نزلت بعد قول الله « ياأيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ، وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله أن شاء ان الله عليم حكيم »(2) .. وهو مانزل فى موسم حج السنة التاسعة من الهجرة ، عندما حج أبو بكر بالناس ، ولقد شرع الله فى هذه الاية الاخيرة منع المشركين من الحج الى بيته الحرام ، وكانوا يجلبون الى مكة ، أثناء حجهم ، التجارة والرواج المالى ، فتوقع أهلها الفاقة والعيلة ، فوعدهم الله بالغنى ، وحدثهم عنه فى الاية التالية .. آية « الجزية » (3) .. فهى ــ آية الجزية ــ قد نزلت ، اذن ، عقب موسم حج السنة التاسعة من الهجرة ، والحج يكون فى ذى الحجة ، أى أنها قد نزلت فى السنة العاشرة للهجرة ، كما يقول قتادة بن دعامة السدوسى « ٦١ ــ ١١٨هـ ٦٧٩ ــ ٧٣٦ م » .. والمفسرون يقولون عن رأيه هذا : انه « هو الصحيح الذى يقتضيه مقتضى اللفظ .. » فلم تكن الجزية قد فرضت يوم تألفت الرعية الواحدة للدولة الاسلامية الاولى ، ولم تقدح فى وحدتها القومية والسياسية « المغايرة » فى المعتقد الدينى ..

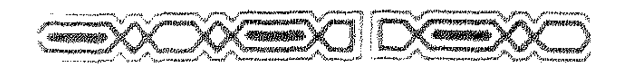
من حق المعترض ان يقدم هذا الاعتراض !..

لكن استمرار توالى الوقائع التاريخية والممارسات السياسية ، فى دولة

---

(1) **التوبة : ٢٩ .**
(2) **التوبة : ٢٨ .**
(3) **« الجامع لاحكام القرآن » جـ ٨ ص ١٠٩ .**





عن أهل الذمة

النبوة والخلافة الراشدة ، يشهد لاستمرارية المعيار الذى قلنا ان الاسلام قد حكمه فى « الاتفاق والوحدة » أو « المغايرة والاختلاف والتعددية » فى هـذا الموضوع ..

أ ـ فآية الجزية قد فرضتها والمسلمون يستعدون لغزو الروم فى موقعة « تبوك » ـ وكانت آخر غزوات الرسول ، صلى الله عليه وسلم ـ ولم يحدث فيها قتال ـ ولم تفرض فيها جزية من الناحية العملية والتطبيقية .. **والروم « غير » بالمعنى القومى والحضارى ..**

ب ـ وعندما فتح المسلمون ، فى عهد الخلافة الراشدة ، البلاد الجديدة والكثيرة لم يكن معيار فرض الجزية أو التنازل عنها وجود « الغيرية الدينية » بل ولا « الغيرية القومية » ، وانما كان المعيار هو قيام أو غياب « الغيرية فى الولاء والانتماء » للدولة الواحدة .. فعندما كان القـادرون على « النصر والجهاد » ـ من الرجال الذين هم فى سن القتال ـ يسهمون فى تحمل تبعاته ، كانت تسقط عنهم الجزية ، تعبيرا عن انتفاء الغيرية فى الولاء والانتماء ، وقيام الوحدة فى المواطنة والرعية السياسية ، رغم المغايرة فى المعتقد الدينى ..

حدث ذلك فى « جرجان » ، ونصت معاهدة القائد المسلم سويد بن مقرن مع أهلها عليه ، اذ جاء فيها : « ومن استعنا به منكم فله جزاؤه فى معونته عوضا من جزائه » ..(1)

وحدث ذلك مع أهل « أذربيجان » ، ونصت عليه معاهدة القائد المسلم عقبة بن فرقد ـ عامل عمر بن الخطاب ـ مع أهلها ، اذ جاء فيها : « ومن حشر ـ « أى استدعى للقتال » ـ منهم فى سنة وضع عنه جزاء ـ « جزية » ـ تلك السنة .. » ..

وحدث أيضا مع أهل « أرمينية » ، ونصت عليه معاهدة القائد المسلم سراقة بن عمرو ـ عامل عمر بن الخطاب ـ مع أهلها ، اذ جاء فيها : « .. على أن يوضع ـ « الجزية » ـ عمن أجاب الى ذلك الحشر » ـ « الحشد للقتال » ـ ، والحشر عوض من جزائهم ـ « جزيتهم » ـ ومن استغنى عنه منهم ، وقعد ، فعليه مثل ما على أهل أذربيجان من الجزاء ـ « الجزية » .. »(2)

وحدث ذلك أيضا مع الجراجمة ، سكان « الجرجومة » »، فى شمالى سورية، بالقرب من انطاكية ، عندما حاربوا ، وهم على نصرانيتهم ، ومعهم حلفاؤهم واتباعهم ، فى جيش المسلمين تحت قيادة حبيب بن مسلمة الفهرى ..

وكذلك مع نصارى « حمص » ، عندما حاربوا فى صفوف جيش أبى عبيدة بن

(1) محمد حميد الله الحيدر آبادى « مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة » ص ٣٢٦ . طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م .

الجراح فى موقعة « اليرموك » ، ضد الروم البيزنطيين(١) .. الخ ..
وعندما فتح القائد المسلم امارة « الباب » ، قال له ملكها « شهر براز » : « انا اليوم منكم ، ويدى مع أيديكم ، وصغوى — « ميلى وتوجهى وولائى » — معكم .. فلا تذلونا بالجزية ..! » .. تشاور المسلمون ، واستقر الرأى على اسقاط الجزية عنهم — رغم المغايرة الدينية والقومية — فهم فرس — لقيام الوحدة فى الولاء والانتماء للسلطة والدولة الواحدة — واصبح هذا الموقف سنة متبعة .. وبعبارة الطبرى : « وصار ذلك سنة فيمن كان يحارب العدو من المشركين .. » !..

ولذلك ، فلقد كان طبيعيا اسقاط عمر بن الخطاب الجزية عن نصارى عرب تغلب ، عندما قيل له : « ان بنى تغلب قوم عرب ، يأنفون من الجزية !.. »(٢) .. وفرضت عليهم ، بدلا منها ، ضريبة تقابل الزكاة التى يؤديها المسلمون .. فهنا انتفت الغيرية القومية — فهم « قوم عرب » — وغيرية الولاء والانتماء للدولة الواحدة ، مع وجود الغيرية فى الاعتقاد الدينى ..

فنحن ، اذن ، امام حقيقة اسلامية هامة تقول : ان « الذمة » عهد وعقد لا تقوم الا بين طرفين ، فالمغايرة شرطها وداعيتها .. وهذه المغايرة الداعية للذمة وعقدها وعهدها وجزيتها هى المغايرة فى الولاء والانتماء للدولة والسلطة، فلو قام هذا الولاء والانتماء ، وعبر عن نفسه بالاشتراك ، على قدم المساواة فى النهوض باعباء ضريبة « النصر والجهاد » ، انتفت الغيرية والثنائية ، وقامت مقامها وحدة الرعية سياسيا ..

وهذه الحقيقة قد عرفتها تطبيقات الدولة الاسلامية الاولى وفكرها السياسى ومعاهداتها مع البلاد التى فتحها المسلمون .. فلقد انتفت الغيرية ، احيانا بالولاء والانتماء السياسى للدولة الواحدة .. وانتفت أكثر لاتفاق فى الهوية القومية — كما كان الحال مع الرعية العربية لدولة النبى فى المدينة .. ومع العرب النصارى من بنى تغلب — فاذا نحن نهجنا هذا النهج الاسلامى ، ورأينا فى ضوئه واقع امتنا العربية الاسلامية ، وهى الان « قوم واحد » ، تجمع ابناءها وحدة الولاء لقومية واحدة ، والانتماء لامة واحدة — ومن ثم الولاء للدولة الواحدة — على المستوى القطرى — او القومى عند وجودها — اذا نحن رأينا واقعنا « كقوم واحد » ، يجمعهم الولاء الواحد والانتماء الواحد ، فسنحكم ، اسلاميا ، بانتفاء الغيرية والثنائية التى تستدعى عقد الذمة وعهدها وجزيتها .. فالمسلمون ، حيال غير المسلمين من العرب ، ليسوا بازاء « قوم آخر » ، بل الجميع « قوم واحد » و « قومية واحدة » ، رغم المغايرة فى شرائع الدين و « الوحدة .. والمساواة » فى حقوق المواطنة وواجباتها ، هى المعيار ، حيث انتفت « الغيرية » فى الولاء والانتماء .

ولم يكن هناك بد من التقديم بين يدى فكر المودودى عن « اهل الذمة »

---

(١) ابو يوسف « كتاب الخراج » ص ١٣٨ ، ١٣٩ . طبعة القاهرة سنة ١٣٥٢هـ . والبلاذرى « فتوح البلدان » ص ١٨٩ . تحقيق : د. صلاح الدين المنجد . طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م .

(٢) ابو عبيد القاسم بن سلام «الاموال» ص ٤٠ . طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م . وأبو يوسف « كتاب الخراج » ص ١٢٠ . طبعة القاهرة سنة ١٣٥٢هـ .



عن أهل الذمة

بهذا الحديث .. ذلك اهل الذمة ، فى ذهن الرجل وفى فكره هم « اقوام آخرون » ، بالمعنى القومى والحضارى .. ومن ثم فان التنظيم الذى وضعه لعلاقتهم « بالدولة » الاسلامية ، وسلطات « الحكم والتوجيه » فيها علاقات بين قوميات متغايرة حضاريا .. والذين ينقلون فكر المودودى وتصوراته فى هذا الموضوع ليوظفوه فى اطار الامة العربية الواحدة ، والمتحدة قوميا انما يستعيرون أسلحة فتاكة بوحدة الامة العربية ، لانهم ، بدلا من وحدة الامة القومية يتصورونها تعددية فى الامم والقوميات .. وبدلا من الدولة القومية الواحدة ، يتصورونها تعددية تشبه « دولا داخل الدولة العربية الاسلامية » .. وماساة هؤلاء المقلدين لفكر الاستاذ المودودى أنهم قد حسبوا أن « المغايرة » مصدرها الوحيد هو اختلاف المعتقد الدينى .. ولم يبصروا أن اسلامنا قد اعتمد ، فى هذا المقام ، معيارا اخر ، هو « الولاء والانتماء » .. ولم يبصروا ان حديث المودودى عن أهل الذمة انما كان حديثا عن « اقوام آخرين » غير القومية الاسلامية فى الهند ، وبين هؤلاء « الاقوام » وبين القومية الاسلامية مغايرة « قومية — حضارية » ، وليس مجرد مغايرة فى الدين !.. فالاديان ، فى شبه القارة الهندية ، كانت قوميات حضارية متمايزة ، ولم تكن مجرد اختلاف فى الشرائع الدينية داخل قومية حضارية واحدة ، كما هو حالنا فى واقع الامة العربية ..

والان .. فلقد أصبح من الميسور أن نعرض لفكر الاستاذ المودودى حول « أهل الذمة » فى عدد من النقاط :

● لقد كانت الهندوسية — وهى ابرز الديانات الاخرى ، التى تواجه القومية الاسلامية — ليست مجرد دين مغاير للاسلام .. فهى « نظام دولة وأسرة وقانون .. ولم تعد دينا بحتا ، بل غدت مجموعة ثقافية تشمل التدين والحضارة والعادات والتقاليد والسلوكيات الخاصة بشعب الهندوس .. فى مواجهة الاسلام .. »(1)

فهى ليست — كما هو حال المسيحية العربية والشرقية — مجرد رسالة روحية توحد أهلها مع العرب المسلمين قوميا — وانماهى حضارة مختلفة ، وقومية أخرى غير القومية الاسلامية ..

وسواء أكان الامر ، فى الواقع الذى اثمر فكر المودودى عن أهل الذمة ، هو الهند — قبل التقسيم — أم باكستان ، فان الاخرين — أهل الذمة — الذين كانوا فى ذهن المودودى ، كانوا قوميات أخرى ، و « قوما » آخرين .. وليسوا مجرد متدينين بديانات أخرى ، تجمعهم والمسلمين قومية حضارية

---

(1) د. رءوف شلبى « الاديان القديمة فى الشرق » ص ٢٣١ ، ٧٩ . طبعة القاهرة سنة ١٩٨٣م .

واحدة .. فحتى فى باكستان ــ ووفق احصاء سنة ١٩٦٣م ــ فان غير المسلمين هم من الهنــــدوك والسيخ أساسا ، ونسبتهم لتعداد السكان ١٤٪ .. (١) فالديانات هناك قوميات حضارية متميزة ، والحديث عن « أهل الذمة » حديث عن « قوم » اخرين ، تتعدد هويتهم الحضارية بتعدد قوميات هــذه الديانات !.. والاستاذ المودودى لايقف بأهل الذمة عند المسيحيين واليهود والمجوس ، كما هو شهير فى كتب الفقه الاسلامى ، وانما هو يقيس عليهم ، ويدخل فى عدادهم ديانات اسيا والشرق الاقصى : الهندوكية .. والبوذية.. والكنفشيوسية .. والسيخ .. الخ .. ويقول : « .. فنحن نؤمن بكل من عسى أن يكون جاء من رسل الله ، الى **بلاد الهند والصين وايران ومصر وافريقية واوربا** ، وسائر نواحى الارض وأرجائها ، ولكننا لانستطيع أن نقول عن فلان منهم بالضبط : أنه كان أو لم يكن رسولا من الله ، وذلك أننا لم نخبر عن ذلك بشىء . غير **أنه لايجوز لنا بحال من الاحوال ان نذم أو نذكر بالسوء أحدا من الذين يتبعهم رجال مختلف الديانات فى الارض ، وما أدرانا ان كانوا من رسل الله حقا** ، ثم بدل **الناس دينهم من بعدهم ، كما بدل أتباع موسى وعيسى ، عليهما السلام ، دينهما الحق من بعدهما** ، وان كان لنا رأى نظهره ، فليكن عن طقوس دياناتهم ورسومهم فى وضعها الحاضر ، ولنسكت سكوتا تاما عمن أسسوا هذه الديانات ، لئلا يصدر عنا شىء يخالف الادب فى شأن رسول من رسل الله ..(٢) » !.

لقد فتح المودودى ، بهذا النص المتسامح ، باب « الدين » ــ عمــوم « الدين » ــ « للديانات ــ القوميات » ــ التى كانت تواجه « قومية الاسلام » فى شبه القارة الهندية .. فهى ، عنده ، ليست مجرد ديانات أرضية مدعاة ، بل لابد من افتراض كونها ديانات سماوية ، ومن افتراض أن قادتها الاول من رسل الله ، وأن خلافها واختلافها عن الاسلام قد جاء ثمرة « لتحــــريف الاتباع » .. فهم « أهل ذمة » بالمصطلح الاسلامى ..

● واهل هذه الديانات ، الذين عناهم المودودى عند حديثه عن « أهل الذمة » ــ كما قلنا ــ « قوم » و « قوميات » أخرى ، غير القومية الاسلامية ، خلافهم مع المسلمين خلاف « قومى ــ حضارى » ، وليس مجرد اختلاف فى شرائع الدين .. فهو يتحدث عنهم باعتبارهم **« الاقوام غير المسلمة »** .. ويرى أن مايجمعهم بالمسلمين هى « البشرية والأدمية » ، أما الحضــــارة والقومية الحضارية فهى فاصل يفرق بينهم وبين المسلمين ، على النحــو الذى يجعلنا ــ والحديث بعبارة المودودى ــ **« لا نجتمع واياهم فى أى وحدة مادية ودنيوية تجعلنا سويا قوما واحدا ..(٣) » ؟!** .. فالانفصال القومى

---

(١) احمد عطية الله « القاموس السياسى » مادة « باكستان » . طبعة القاهرة سنة ١٩٨٠م .

(٢) المودودى « مبادىء الاسلام » ص ٨٦ ، ٨٧ . طبعة دار الانصـــار . القاهرة . بدون تاريخ .

(٣) المودودى « الحكومة الاسلامية » ص ١٥٣ ــ « هامش » ــ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧م .



عن أهل الذمة

بينهم وبين القومية الاسلامية قائم وتام ..

● ولذلك ، فلقد تصور المودودي علاقة هؤلاء « الاقوام » الاخرين ، عندما يكونون أقليات عددية ، بالدولة الاسلامية على النحو الذى يجعلهم شبه مستقلين ، كقوميات مغايرة ، فى اطار الدولة الاسلامية الواحدة .. فلكل قومية من هذه القوميات الاخرى وضع شبيه بـ « دولة داخل الدولة الام » !! .. فيشملهم والمسلمين :

قانون جنائي واحد .. وقانون مدني واحد .. ونظام ضرائبى واحد .. ونظام تعليمى واحد — فيما عدا التعليم الدينى ، فيستقل به كل فريق — ومساواة فى ميادين الكسب المالية ، زراعة وتجارة وصناعة وحرفا مختلفة .. ومساواة فى الوظائف غير الرئاسية والتوجيهية .. والاشتراك معا فى المجالس البلدية والمحلية ..

فى هذه الامور والميادين يتساوى الجميع ، جميع الاقوام ° القومية الاسلامية مع القوميات الاخرى — « أهل الذمة » — أما مجالات الاختلاف وميادينها .. فأهمهـا :

انفراد المسلمين بالهيئة الحاكمة ، أى « المناصب الرئيسية » ذات المنزلة الخطيرة فى نظام الاسلام المدنى .. مثل الخدمات التى تتعلق بوضع الخطط العملية وتوجيه دوائر الحكومة المختلفة .. فلا يحق لغير المسلمين أن يتولوا رئاسة الحكومة ، أو عضوية مجلس الشورى ، كما لايجوز لهم الاشتراك فى انتخاب أعضاء هذه المناصب ..

وفى مقابل مجلس الشورى ، ذى التكوين الاسلامى الخالص ، يكون من حق كل « قوم غير مسلمين » أن يكون لهم مجلسهم النيابى الخاص .. فيجوز أن يؤلف للطوائف غير المسلمة مجلس نيابى مستقل ، حتى يتمكنوا بواسطته من قضاء حاجاتهم الاجتماعية ، ومن عرض وجهة نظرهم فى شئون الدولة الادارية ، وهذا المجلس ستكون عضويته وحق التصويت فيه خالصة لغير المسلمين ، وتكون لهم فيه « الحرية الكاملة » على نحو يساوى بينهم وبين المسلمين حتى فى حرية ، ليس نقد الحكومة ورئيسها فحسب ، بل « سيكون لهم من الحق فى انتقاد الدين الاسلامى مثل ما للمسلمين من الحق فى نقد مذاهبهم ونحلهم » !.. فلهم ما للمسلمين من « حرية الخطابة والكتابة والرأى والتفكير » ..

وكما يستقل كل « قوم » بمجلس نيابى خاص .. كذلك يكون الاستقلال فى الاحوال الشخصية ، تقنينا وقضاء وتنفيذا .. وفى الشعائر والعبادات ..

وفى التعليم الدينى .. وتكون عليهم الجزية مقابل الخدمة العسكرية - اى مناصبها التوجيهية - ..

تلك هى صورة « الوجود القومى » للاقوام الاخرين ، غير المسلمين ، فى اطار القومية الاسلامية ، وتحت حاكمية دولتها .. تمايز قومى ، ووضع يشبه « دولا داخل الدولة الاسلامية » .. ينفرد المسلمون بـ « الجماعة الحاكمة » ، حفاظا على « اسلامية الحاكمية » ، وتتعدد التنظيمات الكافلة بالمحافظة على التمايز القومى ، وتتحد فى الميادين التى لا تضر فيها الوحدة بهذا التمايز ..

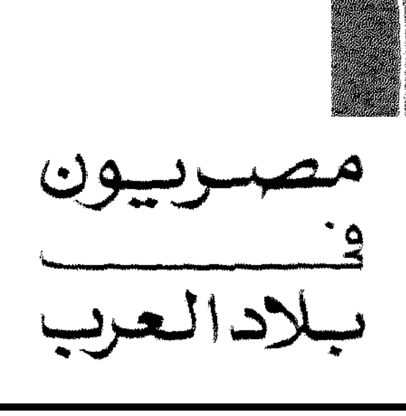
على أن المودودى - وتلك قضية هامة - يفتح الباب لغير المسلمين كى يشتركوا فى المناصب العليا والرئيسية والتوجيهية ، اى يعمم المساواة بينهم وبين المسلمين فى « الجماعة الحاكمة » ومناصب « الحاكمية » ، ان هم وافقوا على الدستور الاسلامى والقانون الاسلامى ، وكان ولاؤهم للمقومات الفكرية للدولة الاسلامية ، مع بقائهم على معتقداتهم الدينية الخاصة .. « فاذا رضوا بمبادىء الاسلام وقبلوها .. يفتح لهم باب الدخول فى الجماعة الحاكمة .. » ؟! .. فلو رضى غير المسلمين بحاكمية الشريعة الاسلامية لانتفى مبرر التمييز فى الجماعة الحاكمة بينهم وبين المسلمين (١) .. حتى فى رأى المودودى ؟! ..

تلك هى صورة وضع « اهل الذمة » فى فكر الاستاذ المودودى : أقوام آخرون ، مغايرون للقومية الاسلامية فى السمات الحضارية التى تمايز بين القوميات .. لا يجمعهم بالمسلمين « اى وحدة مادية ودنيوية تجعلهم سويا قوما واحدا .. » وهى ، كما رأينا ونرى ، خصوصية تميز بها الواقع الذى فكر له المودودى وصاغ لمشكلاته الحلول الاسلامية المناسبة لخصوصياته .. **ولا وجه للشبه بين هذه الخصوصية المتميزة « بالتعددية القومية » ، وبين حال الامة العربية ، التى وحدتها سمات وقسمات القومية العربية ، مع تمايز الاعتقاد الدينى ، كما ربطت وشائج الاسلام اغلبيتها المسلمة بالاقليات القومية غير العربية ، من مثل البربر والاكراد .. فنحن هنا بازاء قومية واحدة ، تمثل الحضارة الاسلامية رباطها الجامع ، والقانون الاسلامى شريعتها المدنية ، ولا أثر للتعددية فى العقائد الروحية لدى المسيحيين العرب على وحدة الامة الكاملة فى شئون الدنيا والدولة والعمران ..**

ومرة أخرى ، تجب قراءة فكر الاستاذ المودودى عن « أهل الذمة » فى ضوء خصوصيته القومية ، وتميز واقعه عن الواقع القومى للامة العربية .. فلقد كان غياب هذه البديهة مصدرا لكثير من الخلط والبلبلة ، زرعهما الذين ينتزعون النصوص دون دراية ، ويتعبدون بها - وهى فكر سياسى لا قداسة له ولا عموم - فى واقع عربى مخالف للواقع الهندى ، فى هذه القضية ، تمام الاختلاف ! .

---

(١) « حقوق اهل الذمة فى الدولة الاسلامية » ص ٣٤١ ، ٣٤٣ - ٣٥٠ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٩ - ٣٦١ ، ٣٣٢ طبعة بيروت - ضمن مجموعة عنوانها نظرية الاسلام وهديه فى السياسة والقانون » - سنة ١٩٦٩ م .



الحرب في البرّ الغربي

صالح حرب

والجهاد في صفوف الليبيّين

بقلم : مصطفى نبيل

هذه صفحات مطوية من التاريخ ، ما أحوجنا أن نسترجعها ..

أبطالها عدد من الشخصيات المصرية ، التى ساهمت فى الأحداث التاريخية العربية الكبرى ، عندما إنتقلوا إلى مواقع الأحداث ، وخاضوا معارك الأقطار العربية ضد الغزاة ، وساهموا مع أبنائها فى تحديثها وتطويرها ..

وتضم هذه القائمة فى مطلع هذا القرن شخصيات مثل عزيز المصرى وعبدالرحمن عزام وصالح حرب والإمام محمد عبده ومصطفى الوكيل وحافظ وهبه ، وفى مرحلة لاحقة زكي مبارك وعبدالرزاق السنهورى ..

وتقدم الهلال تباعاً هذه الشخصيات وتلقى الضوء على الأدوار التى قاموا بها .



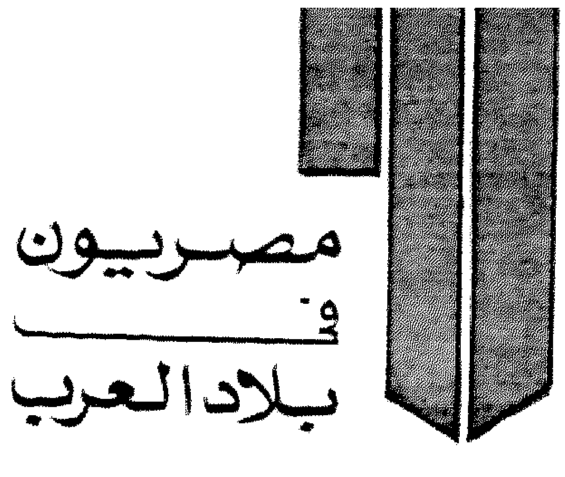


صالـــح حـــرب
شغل منصــب
وزيـــر الدفـــاع
وكـــان رئيســـا
لجمعيـات الشبان
المسلمين

صالح حرب ، ضابط شرطة شاب ، إنضم فى ظروف بالغة الصعوبة إلى المجاهدين الليبيين . وخاض المعارك على رأس قواته مهاجماً البريطانيين فى مصر والإيطاليين فى ليبيا ، فى مرحلة إختلط فيها الخيط الأبيض بالخيط الأسود ، وتعرضت البلدان العربية إلى هجمة الغرب الاستعمارية ، وخذلت العرب دولة الخلافة التى مزقتها المنازعات وأقعدها العجز وعوامل الانحلال ..

ولعل كلمات جان جاك روسو تقدم التفسير الصادق لما قام به صالح حرب .. تقول هذه الكلمات : « إذا كانوا ألفاً فسأكون واحدا منهم ، وإذا كانوا مائة فسأكون واحدا منهم ، وإذا كانوا عشرة فسأكون واحدا منهم ، وإذا كانوا واحدا فسأكون هذا الواحد .. » .

وكان صالح حرب هو الواحد الذى تقدم بشجاعة نادرة مستجيبا لنداء الواجب ..



ولنبدأ القصة من أولها . ليلة ٢٥ نوفمبر عام ١٩١٥ . يقف النقيب صالح حرب في ليلة ظلماء وسط صمت الصحراء العميق . لايشعر ببرد الصحراء من حوله ويتأمل النجوم فى سماء الصحراء الصافية . فأخيرا يشعر بالارتياح بعد أن إتخذ قراره .

إنه قومندان مرسى مطروح والسلوم . دوره الحفاظ على البوابة الغربية لمصر . يقف بين قوتين متصارعتين . إحداهما القوات البريطانية التى تحتل بلاده . وقوات المجاهدين الذين يقاتلون القوات الإيطالية الغازية . أخذت تنهال عليه التعليمات التى تنكرها نفسه . ومطلوب منه أن يمنع وصول شحنات الغلال والأدوية إلى المجاهدين . وهم فى أشد الحاجة إليها . وأن يحول دون دخول هؤلاء المجاهدين الأراضى المصرية ..

وأخذت وتيرة الأحداث فى المدة الأخيرة تتلاحق . مما حمله على اتخاذ قراره . فجمع قواته المنتشرة فى صحراء تمتد بين مرسى مطروح والسلوم وسيدى برانى وحتى القرى القريبة من واحة سيوة . وكانت هذه القوات لاتزيد عن خمسة وأربعين جنديا وأربعة ضباط وباشكاتب

● شجاعة ودهاء ●

وقاد قواته . وكان عليه أن يمر خلال معسكرات القوات البريطانية . وهو يعرف أن الإنجليز لايميلون إليه . ولكنهم يحترمونه ويقدرون مواهبه . فهو أكفأ رجال الشرطة . ويتجنب إبلاغهم عن خططه وتحركاته . ووصل إلى نقطة الحدود الهامة وقد سبقته سمعته أيام كان يعمل فى أسوان . وقضى على أحد المجرمين العتاة . والذى كان يدعى ياسين . وساهمت فى شهرته تلك الأغنية التى ترددت على طول الوادى والتى تقول كلماتها .. « يابهية خبرينى ع اللى قتل ياسين .. ؟ » وكان الشرطى صالح حرب هو الذى قتل ياسين بعد أن طارده فى الجبال وتمكن منه فى أحد الكهوف ..

قال البريطانيون : لعله يعتزم القيام بجولة إستطلاعية . فاتجه مسرعاً إلى ناحية السلوم .

وكانت كلمات « سيسيل سنو » محافظ الغربية لايزال يتردد صداها . عندما وقف يتحدث وسط عدد من الجنود البريطانيين . ويطلب سحب الآليات من سيدى برانى وبقبق . ويسألونه .. وماذا بشأن القوات المصرية . هل نتركها بلا أية حماية .. فقال : « إنهم مسلمون والأتراك مسلمون . وليفعلوا فى بعضهم مايحلو لهم . ! »

وسرعان ما انتشرت هذه الكلمات وعرف بها كل جندى يقف على الحدود .
وقد اثارت عليه كلمات المحافظ الإنجليزى مع أى جانب عليه أن يقاتل
واخذ يلتقى فى طريقه بعمد ومشايخ السلوم الذين يعرفونه ويقدرونه .
وأخذ يدعوهم إلى الإنضمام إلى قواته ، وكانت قواته ماعدا ضابطا واحدا يعرفون حقيقة هدفه .

وعند الفجر وصل الجميع إلى « دوار » عائلة العاصى من قبيلة الفنيشات ، وهناك تحدث صالح حرب إلى الجنود والمشايخ والعمد قائلا : « نقف الآن بين معسكرين - أحدهما معسكر العرب والترك الذين يقولون أنهم جاءوا من أجل تخليص الدول العربية من نير الإستعمار الأجنبى وقد اقنعنى ضميرى وواجبى بعدم الوقوف فى صفوف الإنجليز ... ، ... ومن كان منكم يحرص على حياته ، أو لديه مسئوليات ، فله أن يعود إلى مرسى مطروح ، ولن أحول بينه وبين ذلك ، على أن يترك مامعه من سلاح ومئونة » .

وأكد الجميع تصميمهم على البقاء إلى جانب قائدهم . « يعيشون معاً ، ويموتون معاً . » ، ووجد إستجابة وتاييدا من قبيلة أولاد على التى تمتد بين مصر وليبيا . وتعاهدوا جميعا على الجهاد ضد المستعمرين ..

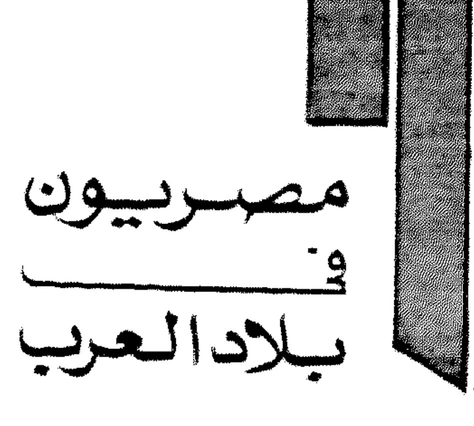
وبدأ مع رجاله رحلة جهاد طويلة شاقة قاسية . ضد الإنجليز والإيطاليين .

لقد ولد صالح حرب فى أسوان جنوب مصر عام ١٨٨٦ ، أى عقب هزيمة عرابى واحتلال بريطانيا لمصر بأربع سنوات ، وكان والده ضابطا فى الجيش ، وتربى بين أسرة تشعر بالحزن العميق بعد سقوط حلم عرابى فى وطن متحرر تسوده العدالة والمساواة . وتعلم فى كتاب سيدنا الشيخ أبو زهران الذى كان يروى لهم هزيمة عرابى على أمل أن يظهر بين صفوف الأطفال من يثأر يوما للوطن ولثورته ، والتحق فى القاهرة بمدرسة العباسية الثانوية عندما كانت تموج بالتمرد والغضب ، ويعرف الشباب بسيطرة اللورد كرومر على الحياة السياسية وكبار المشتغلين بالحياة العامة ، ويشاهدون أمامهم رموز التورد تتساقط واحدا وراء الآخر ، وأصبحت العسكرية حلم صالح حرب فهى التى ستقدم له المدفع والبارود والتى تمكنه من الثأر من الإنجليز ، وتخرج عام ١٩٠٣ فى مدرسة السواحل قبل عام من الاتفاق الودى بين بريطانيا وفرنسا ، وتخلت فرنسا عن تأييدها للحركة الوطنية ، واخذ يقرأ مع ابناء جيله مقالات مصطفى كامل التى تندد بهذا الاتفاق على صفحات جريدة اللواء ، والتى يطالب فيها الشعب بقبول التحدى والإعتماد على الذات ، من أجل تحقيق الاستقلال ، ثم وهو يرى مصطفى كامل يقيم الدنيا ويقعدها على الأحداث الدامية فى دنشواى ، ويراه يقف وحيدا بعد إنحياز عدد كبير من السياسيين للانجليز باسم الواقعية ! .



● رجل الشرطة يقود الجهاد ! ●

فكيف إنتقل رجل الشرطة وأصبح أحد قادة الجهاد ، وهو الذى مهمته منع وصول المساعدات الى المجاهدين .. ؟ وما الذى جعله ينتقل فى وثبة واحدة من النقيض الى النقيض ؟ ..



لعل فى ظروف الحرب العالمية الاولى . وماشهدته مصر خلالها من تغييرات عنيفة ، هو ما احدث ذلك القدر من تصادم الولاءات . بين الدولة القومية الناشئة ، والدولة العالمية الاسلامية . والتحدى الاستعمارى من جهة أخرى .. ففى هذه الفترة اسفرت بريطانيا عن وجهها . فقد هاجمت مصر بحجة القضاء على التمرد ـ الثورة العرابية ـ وتثبيت الخديو الحاكم الشرعى . وظلت مصر جزءا من الدولة العثمانية . ومع بشائر الحرب أعلنت الحماية على مصر ، وأعقبها إعلان الأحكام العرفية ، وعبثت بالشرعية بمنعها الخديو عباس من العودة الى مصر . وعينت حسين كامل سلطانا بدلاً منه ، وتغيير وضع مصر السياسى من دولة تنتسب إلى دولة الخلافة إلى دولة تحت الحماية البريطانية !.

وكان صالح حرب خلال عزلته فى الصحراء يتابع الأحداث ويرى إشتداد العواصف والانواء ، وتوزع القوى الوطنية وتنازعها ، وضياع الدرب واختلاط الحق بالباطل ، واخذ الكثيرون يتساءلون أين هى المصلحة الوطنية وما هو الطريق لتحقيقها .. ؟ .

وفى حياة الأمم والأفراد ، يقع فجأة حدث فيتحول ـ بلغة الطبيعة ـ الى الدرجة المئوية التى تصل بالماء إلى درجة الغليان ، أو يصطدم الشعاع بما يحوله عن مساره فى انكسار واضح ..

ولعل تراكم الاحداث وتلاحقها هو الذى نقله من التراكم الكمى إلى التحول الكيفى .. فأخذ يبحث عن طريق الخلاص ويفكر فى السؤال الخالد « ما العمل .. ؟ ! » وهو يرى بريطانيا تنقل إلى مصر قوات هندية واسترالية ونيوزيلندية ، ويرى الموظفون البريطانيون يمسكون كل خيوط الحياة فى مصر ، يتابع السلطان الجديد الذى لم يكتف بالموافقة على الحماية البريطانية ، بل إنتقل إلى داعية لها ، واخذ يمتدح الدولة الحامية ، ويصف الإنجليز بأنهم « بركة » مصر وسبب سعادتها ورخائها ، وهى مدينة لبريطانيا بالكثير !.

ويعرف محاولات الإنجليز إغلاق الأزهر الشريف ، ولكن ألأزهر جامع وجامعة ، تؤدى فيه الصلاة ولايمكن إغلاقه ، ويعود الإنجليز مطالبين بفصل الطلبة الذين عرفوا بعدائهم لبريطانيا ، وتصدر مشيخة الأزهر منشوراً يحظر على الطلبة الخروج من بيوتهم بعد السادسة مساءً . .. « تلفت مشيخة الجامع الأزهر نظر الطلاب بمناسبة الأحكام العرفية إلى وجوب التفرغ لدروسهم ، وعدم الخوض فى الأمور السياسية ، وأن يكونوا بمعزل عن المجتمعات ، وأن

لايتكلموا فى الأحوال الحاضرة ، وأن يلزموا بيوتهم بعد الغروب ، وأن يكونوا قدوة داخل الأزهر وخارجه

● تشتت الحركة الوطنية ●

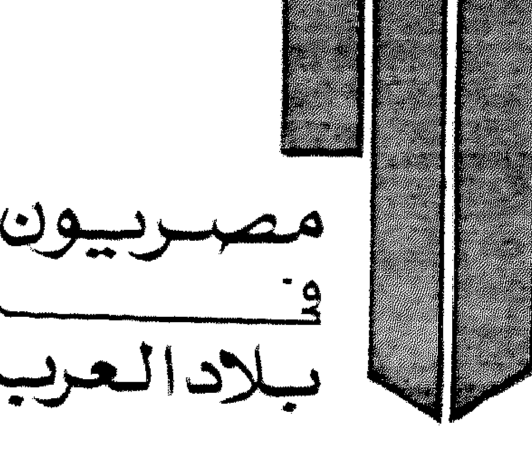
ونجح جورستا المندوب السامى البريطانى ، فى إضعاف الحزب الوطنى الذى كان يمثل وعاء الحركة الوطنية ، باستخدام اللعبة الدائمة « فرق تسد .. » ، وأصبحت القيادة الوطنية التى يمثلها محمد فريد مطاردة تعيش خارج البلاد ، كما تمت إعتقالات واسعة للعناصر الوطنية ، حتى لقد تم نفى الشاعر أحمد شوقى باعتباره أحد رجال الخديو عباس ، وأخذت قوات الاحتلال تأخذ الرجال قسراً للعمل فى المنشات العسكرية ، وجمعت الدواب من القرى .. ! .

وتعلق الأمل بالحملة العثمانية الزاحفة على مصر من الشرق والتى ستخلصهم من الاستعمار البريطانى ، ولكن سرعان ماتكشف للأهالى أنها سحابة صيف ، بعد أن واجهت فشلا ذريعا ..

أما ماكان يدور على الجانب الآخر من حدود مصر الغربية .. فكان التنافس محتدما بين الدول الإستعمارية على وراثة واقتسام الدولة العثمانية ، فبعد

صورة نادرة وتاريخية للملك إدريس السنوسى بزيه العسكرى عام ١٩١٦





مصريون في بلاد العرب

احتلال فرنسا لكل من الجزائر وتونس ، واحتلال بريطانيا لمصر وقبرص . عملت إيطاليا على إحتلال ليبيا . ورغم مقولة الجورنالى ديتاليا : « إن الحصول على ليبيا ليس أكثر من الحصول على قطعة من العظم العارية من اللحم » إلا أن الخطط وضعت للاستيلاء على ماتبقى من الدولة العثمانية وبدأت الخطط كالعادة - بفتح فرع للبنك الإيطالى فى طرابلس .

وبعد وصول قوة العثمانيين إلى ليبيا فى أقل من خمسة آلاف جندى عام ١٩١١ بعد سحب معظم القوات العثمانية ونقلها الى اليمن ، أرسلت إيطاليا إنذاراً شبيها بذلك الانذار بعثت به إنجلترا وفرنسا لمصر عام ١٩٥٦ ..

وتتناقل كتب التاريخ كيف سلم السفير الايطالى فى الأستانة الإنذار إلى الصدر الأعظم بينما كان يلعب البريدج مع حسناء إيطالية ، فتسلمه ولم يقرأه لانهماكه فى اللعب !

ويطلب الإنذار جوابا خلال ٢٤ ساعة ، والا ستضطر القوات الايطالية لاحتلال طرابلس ، وأعقب الإنذار هجوم القوات الايطالية على الأراضى الليبية ، مما أحدث هزة عنيفة فى بلاد العرب ، وظهر شعور عميق بضرورة مساعدة الدولة العثمانية فى محنتها والتكاتف من أجل مواجهة الخطر الأجنبى ، وكان المصريون أسبق الجميع فى تقديم المساعدة ، وأصبحت الحرب الايطالية الليبية هى شغل مصر الشاغل ..

● اللجنة العليا ●

وتأسست اللجنة العليا بعد أيام قليلة من بدء الهجوم الايطالى فى يوم ٤ أكتوبر عام ١٩١١ ، برئاسة الامير عمر طوسون ، وأنشأت فروعاً لها فى سائر أنحاء البلاد ، وتدفقت التبرعات بعشرات الآلاف من الجنيهات الذهبية . وتألفت جمعية الهلال الأحمر برئاسة الشيخ على يوسف ، والتى أرسلت الأطباء والأدوية إلى أرض المعركة ، وسافرت أولى البعثات فى ٧ نوفمبر من ذات العام ، وساهم الحزب الوطنى بعدد من أعضائه الأطباء منهم حافظ عفيفى ونصر فهمى وسيد شكرى . وتوالى إرسال البعثات والتى ضمت كل من محجوب ثابت وعلى إبراهيم .

أما موقف بريطانيا فقد إدعى الحياد ، ولكن مارواه أحمد شفيق باشا يكشف حقيقة موقف بريطانيا عندما يروى إجابات اللورد كيتشنر على طالبى التطوع يقول .. « ذهب وفد مع بداية الحرب من كبار المسلمين الى اللورد كيتشنر ،

وطلبوا منه إرسال بعض فرق من الجيش المصرى لمساعدة الأتراك ، فأجابهم هذه فكرة صائبة ، ولكن من الصعب أن نجد جنودا آخرين ليحلوا محل المطلوب سفرهم ، وساضطر إلى جنود من الانجليز ، وبعدها ذهب جماعة من الضباط المصريين وطلبوا السماح لهم بالتطوع لقتال الغزاة ، فقال . أنبه مقدماً أنه إذا سافرتم فمن الضرورى ملء مراكزكم من الجيش بصغار الضباط ، وعند عودتكم تجدون أنفسكم فى كشف الإستيداع ، ثم جاء وفد من مشايخ العربان واستاذنوه فى جمع المتطوعين لكى ينضموا للمجاهدين فقال لهم : إنه يهنئهم على هذه الشجاعة ، ولكن حرام أن تفقد مصر رجالا مثلهم ذوى شجاعة وستضطر الحكومة أن تطبق عليهم قانون القرعة العسكرية المعافين منه ! » .

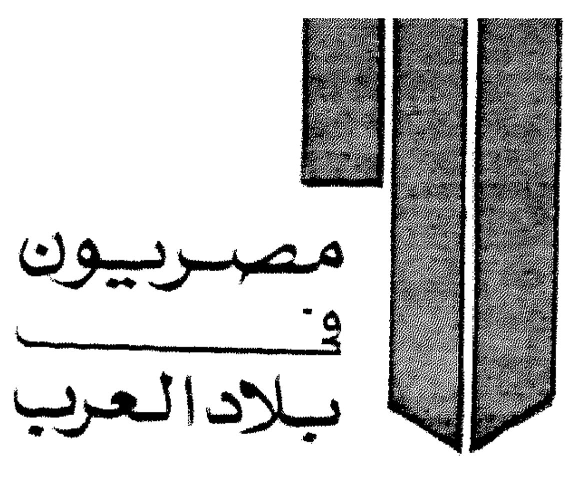
وتحكى قصة الهجوم الصحف المصرية التى نقلت الكثير من الحوادث التى تثير مشاعر الاهالى ، ومنها ذلك المنشور الذى وزعته ايطاليا ، والذى يعامل السكان كمجموعة من السذج والدراويش ، وهو مايمارس حتى اليوم ، فقد توعد المنشور كل من يقاوم أو يثور على العناية الإلهية التى أرسلت إيطاليا ، ... ويقول ... إذكروا أن الله قال فى كتابه العزيز « ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين » . ويقول : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله .. » فقد قضت إرادة الله أن تحتل إيطاليا هذه البلاد ، لأنه لايجرى فى ملكه إلا مايريده فهو مالك الملك ، ومن أراد أن يظهر فى الكون غير ما أظهر مالك



انـــور باشـــا فـــى حفـــل زفافـــه



صالـح حرب يستقبل ابراهيم إيتاس
زعيم المسلمين بإفريقيا الغربية



الملك . فقد جمع الجهل بانواعه . فإيطاليا تريد السلام . وتريد ان تبقى بلادكم إسلامية تحت حماية إيطالية وملكها المعظم ..... ! ! .

● اغلاق الصحف ! ●

وكلما إستمر القتال ، بذلت السلطات البريطانية فى مصر جهوداً متزايدة لمواجهة الحركة الشعبية المؤيدة للمجاهدين الليبيين ، فأغلقت الصحف المؤيدة للمجاهدين . وعطلت صحيفة « العلم » لسان الحزب الوطنى لأنها إنتقدت الانجليز واتهمتهم بأنهم أوعزوا للحكومة بالامتناع عن إيصال البرقية التى كانت القوة التركية المحاربة فى طرابلس قد ارسلتها إلى الأستانة عن طريق مصر .

وكان الاعتقاد السائد فى البداية أن الجيش التركى سيتمكن من دفع الاعتداء الايطالى ، وعندما ظهر ضعف الدولة العثمانية ، وبعد ضرب الأسطول الإيطالى للموانىء العثمانية على البحر الأحمر مثل الصليف والقنفدة والشيخ سعيد والحديده ، بدأ المصريون يتصدرون المتطوعين للقتال فى صفوف المجاهدين .

ويكشف الكاتب الأمريكى ستودارد العديد من التفاصيل عن تكوين الجيش التركى بقيادة أنور بك فى ليبيا ، والذى تسلل اليها من مصر ، وأنشأ جيشا كبيرا من السكان وأخذ يقود المقاومة . والذى تولى الدفاع عن برقة ، وأدهم باشا الحلبى تركزت قواته شرقى برقة ، ومقر قيادة أنور بك جنوبى درنة يساعده مصطفى كمال (أتاتورك فيما بعد) ، وتولى عزيز على المصرى الدفاع عن بنى غازى .

ويروى ستودارد خلال لقاء مع أحد الضباط الأتراك هو أشرف بك ، أن الضباط الذين تسللوا من الحدود المصرية واجهوا بعض الصعوبات نتيجة الإجراءات التى إتخذها الإنجليز ، وكشف الضابط التركى الدور الفعال الذى قام به صالح حرب فى مساعدة المتسللين عندما تمكن حوالى مائة وسبعة من الضباط ، وعدد يتراوح مابين ثلاثمائة وأربعمائة جندى وصف ضابط من الدخول إلى برقة بمساعدته .

ورأس المتطوعين المصريين عبدالرحمن عزام - أول أمين عام للجامعة العربية - ورأس المتطوعين من الشام الأمير شكيب أرسلان ، كما رأس نجيب السعد المتطوعين من إربد .

ويروى أنور باشا فى مذكراته عن هذه الفترة المحاولات التى بذلها الشرق لكى يفلت من الخضوع للاستعمار الغربى ، وقرر عدد من رجال الإتحاد والترقى إقامة تنظيم سرى يسمى « تشكيلاتى مخصوصة » لكى يكون أداة مواجهته إنهيار الدولة العثمانية ، ولم يكشف سوى عن النذر اليسير منه ، وقام بتاسيسه أنور باشا وجعفر العسكرى ، على ان تكون مهمة التنظيم محاربة التسلط الاستعمارى الروسى والفرنسى والبريطانى والايطالى على المناطق الاسلامية ، ويذكر انور باشا فى مذكراته : « أن الحرب الطرابلسية ماهى سوى شكل جديد من الحروب الصليبية ضد الإسلام فى القرن العشرين ... » .

وأنتهى عملياً دور الجيش التركى فى ليبيا عندما وقعت الدولة العثمانية وايطاليا إتفاقية أوشى/لوزان عام ١٩١٢ ، وتسليمها لإيطاليا بانسحاب قواتها من ليبيا . وأرسل أحمد الشريف السنوسى قائد المجاهدين رسالة لأنور يقول فيها : « نحن والصلح على طرفى نقيض ، ولا نقبل صلحاً إذا كان ثمنه تسليم البلاد إلى العدو ... » .

وكان من نتائج هذه الاتفاقية مع بداية حرب القرم أن غادر انور بك ميدان القتال سراً وسلم القيادة الى عزيز المصرى .

ووصف ساطع الحصرى هذا الاتفاق بأن معناه « تسليم ليبيا للطليان ... » .

● أهداف الأتراك الخاصة ! . ●

مع قيام الحرب العالمية الأولى وتحالف الأتراك مع الألمان ، أرسل العثمانيون بعثة برئاسة نورى بك شقيق أنور باشا ومعه القائد العراقى جعفر العسكرى تحملهم غواصة المانية ومزودين بالمال والسلاح ، وقد برزت أهداف خاصة للأتراك ، منها الهجوم على الحدود الشرقية لمصر ، لا من أجل تحريرها ، بل لتعطيل القوات البريطانية المتمركزة فى مصر ، ولم تكن مساعدتهم للمجاهدين الليبيين سوى لذات الغرض ...

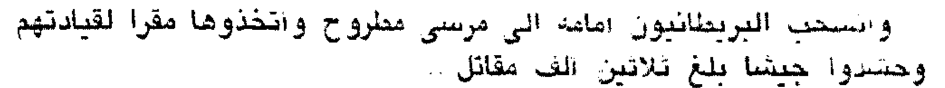


وفى لقاء أجراه ستودارد مع صالح حرب ذكر فيه : « أن جعفر العسكرى كاد ييأس من إقناع أحمد الشريف بجدوى الهجوم على القوات البريطانية فى مصر ، إلا أنه نجح أخيرا .. » ، وبدأ هجوما مباغتا على حدود مصر الغربية ، تقهقرت أمامه القوات البريطانية ، واستولى المجاهدون على سيدى برانى واقتربوا من مرسى مطروح ، بعد أن تقرر القيام بعمليتين فى وقت واحد .

● تحريك الثورة ضد إيطاليا والتى بدأت فى أغسطس عام ١٩١٥ .
● مهاجمة القوات البريطانية على حدود مصر الغربية .

وفى هذه الفترة برز دور صالح حرب وقتاله للقوات التى تحتل بلاده ، وقاد صالح حرب خمسة آلاف من المجاهدين وبعض القوات التركية ، ووصل الى السلوم وسيدى برانى المناطق التى يعرف شعابها واهلها . وتوغل بقواته حتى وصل إلى زاوية أم الوخم غربى مرسى مطروح ..

وانسحب البريطانيون امامه الى مرسى مطروح واتخذوها مقرا لقيادتهم وحشدوا جيشا بلغ ثلاثين الف مقاتل ..



وخلال هذه الفترة عقد السيد احمد الشريف السنوسى مجلسا حربيا حضره نورى بك وجعفر العسكرى وعدد من الضباط الاتراك وشهده صالح حرب ، الذى رأى تغيير أسلوب القتال واعتماد حرب العصابات والضرب خلف خطوط البريطانيين ، واعتماد اسلوب الكر والفر . أما الضباط الأتراك فقد أصروا على الزحف نحو الدلتا على الشريط الساحلى ..

وانتهى هذا الإجتماع بتقسيم القوة إلى فريقين :

● فريق يذهب إلى الجنوب لاحتلال الواحات . يتألف من ثلاثة الاف وخمسمائة جندى بقيادة صالح حرب .

● وفريق آخر يقاتل فى الشمال بقيادة جعفر العسكرى وعدده ستة آلاف جندى .

وتمكنت قوات الإحتلال البريطانى من الوصل إلى السلوم فى ١٤ مارس عام ١٩١٦ ، واستولوا غلى معسكر كان فريق من المجاهدين يرابطون فيه .

أما القوة الثانية التى كانت تحت قيادة صالح حرب فقد تحركت نحو سيوة واتجهت إلى الواحات البحرية والفرافرة والداخلة وانضم اليها جميع من كان بهذه الواحات من الموظفين المصريين ، ونجحت فى الاستيلاء على هذه الواحات . واستمرت حرب العصابات التى يقودها صالح حرب طوال عام ١٩١٦ وحتى أوائل عام ١٩١٧ ، وأخذ البريطانيون يشنون على هذه القوات هجمات متلاحقة من الواحات الخارجة .

ودارت سلسلة من المعارك لم تكن حاسمة وقعت إحداها عند « بير ماجدة » فى ٢٥ ديسمبر ، وانتهى عام ١٩١٥ والإنجليز مشغولون بدفع هذا الزحف من الغرب ، وهزم المهاجمون فى ٢٦ فبراير عام ١٩١٦ فى معركة « العقاقير » وأسر الإنجليز فى هذه المعركة جعفر العسكرى ، ولكن مالبث أن تفاهموا معه ، وانتقل الى القتال فى صفوف الشريف حسين وأخذ يقاتل ضد الأتراك ، ولعب دوراً هاما فى التاريخ السياسى للعراق .

وفى هذه الفترة تركزت قيادة صالح حرب فى وادى ماجد على مسافة عشرة كيلو مترات الى الجنوب الغربى من مرسى مطروح ، ويقول حرب فى مذكراته : « استولينا على واحة سيوة والبحرية والداخلة . أما الخارجة فقد سبقنا الانجليز واحتلوها ، لوصول السكك الحديدية إليها » ، كما إنتشرت الثورة فى أنحاء العقيبة وهى المنطقة الممتدة من الحجاج غربى محطة فوكة إلى مريوط

وفوجيء الإنجليز بهذه الحركة ، ودارت معارك عنيفة مع القوات البريطانية . وفي موقعة وادى ماجد الثانية في ديسمبر ١٩١٥ ، لقى البريطانيون الهزيمة ، وتقدمت قوات صالح حرب الى الزرقاء في الجنوب الشرقي من مرسى مطروح ، وتبادل الفريقان الهزيمة والانتصار .

وواصلت قوات الاحتلال البريطاني تقدمها على ساحل البحر الأبيض واحتلوا السلوم ، واخذوا يهاجمون منها واحات الفرافرة والداخلة وسيوة ...

وانسحبت القوات التى يقودها صالح حرب الى الجفرة ، وفيها تلقى صالح حرب رسالة من نورى بك يرجوه إقناع السيد أحمد شريف السنوسى بأن تتجه قواته إلى سرت لمحاربة الإيطاليين ، وهاهو القائد التركى يضغط من أجل أن يتحول القتال إلى الإيطاليين ! .

لقد استخدم العثمانيون المشاعر الوطنية العربية وتطلع العرب للتحرر وقتال الغزاة لتحقيق أهدافهم على حساب أهداف الحركة الوطنية .

وكما بدأت هذه الحملة على ظهر غواصة ألمانية ، إنتهت على ظهر غواصة ألمانية حملت أحمد الشريف السنوسى ومعه صالح حرب فى أغسطس عام ١٩١٨ ، ونقلهم من ميناء العقيلة إلى ميناء بولا النمساوى ثم سافرا إلى فيينا ومنها إلى اسطنبول ، وأقام صالح حرب في قصر « طوب كابى » ، وبقى فى تركيا حتى قيام مصطفى كمال بثورته ..

وتغيرت قيادة المجاهدين لصالح التفاهم مع بريطانيا ، وظهرت قيادة ادريس السنوسى ـ الملك فيما بعد ـ والذى انسحب إلى مصر للعلاج ..

وفي مصر حكم على المجاهد صالح حرب بالاعدام ، عندما كان بعيدا عنها ، وقامت ثورة عارمة قادها الزعيم سعد زغلول ، وفى عام ١٩٢٥ صدر عفو شامل على المحكوم عليهم لأسباب سياسية ، وعاد صالح حرب الى ارض الوطن ...

وعمل فى الحياة السياسية المصرية ، ورشح نفسه للنيابة عن دائرة اسوان ، ودخل مجلس النواب عام ١٩٢٦ ، وعين مديرا لمصلحة خفر السواحل عام ١٩٣٦ .

واشترك فى وزارة على ماهر باشا عام ١٩٣٦ وزيرا للدفاع ، وأنشأ فى هذه الفترة « قوات المرابطين » ـ الحرس الوطنى فيما بعد ـ وقدمت الوزارة إستقالتها بعد عشرة شهور وسبعة أيام فى ٢٣ يونيو سنة ١٩٤٠ .

وأصبح رئيسا لجمعية الشبان المسلمين حيث أمضى فى هذه الجمعية ٢٨ عاما ، واختارته لجنة وحدة وادى النيل للقيام بدور فى إنقاذ فلسطين ، فقام بجولة فى البلاد العربية لتقريب وجهات النظر والإشراف على معسكرات التطوع فسافر الى دمشق وبيروت وعمان ، وأشرف على معسكرات المتطوعين المصريين والليبيين فى ألماظة ..

وحافظ طوال حياته السياسية بعلاقات وثيقة مع الحركة الوطنية فى ليبيا ، وقال إدريس السنوسى فى آخر لقاء معه :

« ياولدى لقد شاركتنا حربنا ، ولا يمكن أن ننسى ماقمت به مع إخوانك من المصريين ، ولولاكم ماقامت حرب ، وما إنتظم جهاد ، ولا وصل من اسطنبول ضابط ولا سلاح ولا عتاد » .

ويمضى التاريخ ....



للمناقشة

الأتراك عند نهاية الدولة العثمانية

بقلم: د. محمّد أنيس

اذا كانت الدولة العثمانية قد تكونت كامارة فتية فى القرن ١٣ فانها طوال القرن التاسع عشر وبعد فتوحاتها المذهلة فى أوربا والعــالم طوال القرون ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، اضحت فى نظر الاوربيين منذ القرن ١٩ « رجل أوربا المريض»

ومــع مطلع التاســع عشر بدأت المتاعب الداخلية الممثــلة فى تخلخل مؤسسات الدولة وفى مقدمتها نظــام الانكشارية وديكتاتورية السلطة العليا ثم المتاعب المتمثلة فى الثــورات ذات الطابع القــومى فى أوربا والتى أدت الى انسلاخ اجــزاء هامة من الدولة العثمانية وانسحابها تدريجيــا من المسرح الاوروبى وظهور الدول الاوربية فى البلقــان بدءا من اليونان حتى بلغاريا والصرب والجبــل الاسود وانسحب الاتراك حتى ادرنة . واخذ سلاطين الدولة العثمانية مع هــذا الانسحاب من اوربا يركــزون على

ايالات العالم العربى وتأكيدا لهـذا التركيز اعادوا تنشيط فكرة الخـلافة الاسلامية العثمانية ومحاولة التوسع فى المناطق العـربية التى كان يبدو النفوذ العثمانى فيها مهزوزا او غير مؤكد كمنطقة الخليج العربى وجنوب شبه الجزيرة وهو التوسع الذى تصدت له انجلترا بدعوى معاهدات الحماية على الخليج التى عقدتها بريطانيا مع شيوخ القبائل العربية هذه ٠

● محاولة اذلال ●

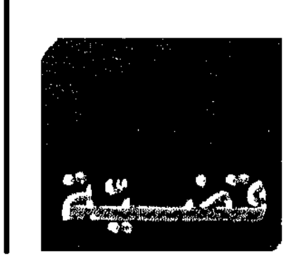
لكن الدول الاوربية التى سـاعدت الشعوب البلقانية على الانسـلاخ من الدولة العثمانية رفعت سـياسة « المحافظة على تكامل الدولة العثمانية وهو المبدأ الذى يلتصق بانجلترا على وجـه خاص وببالمرستون - رئيس وزرائها - على وجه أخص وهو ايضا المبدأ الذى دفع الدول الاوربيـة فى الوقوف فى وجه مشروعات محمد على فى بناء امبراطورية عربية او اسلامية فى منطقة الشرق الاوسط ٠

ولقد ظلت الدول الاوربية تتبع هذه السياسة - مع اذلال الدولة العثمانية - حتى ظهرت المانيا كدولة موحـدة فتية وهزمت فرنسا فى معركة سيدان وانشأت سلسلة التحالفات التيوتونية لعزل فرنسا عن بقية أوربا ٠ وهنـا اسرعت الدولة العثمانية للتحالف مع هذه الدولة الاوربية الفتية - المانيا - والتى اصبحت اكبر دولة اوربيـة واكثرها تفوقا عسكريا وصـناعيا - والاعتقاد بين المؤرخين بان التوجـه العثمانى نحو المانيا هو الذى دفـع انجلترا وفرنسا وغيرهما الى التخلى عن سياسة « تكامل الدولة العثمانية» فبدأت هذه الدول بدورها تقتطـع من من الممتلكات العربية النائيـة للدولة العثمانية واكثر الامثلة وضوحا على ذلك فى اواخر القرن التاسع عشـر وأوائل العشرين يتمثل فى اسـتيلاء فرنسا على تونس ١٨٨١ وانجلترا على مصر ١٨٨٢ وايطاليا على طـرابلس (ليبيا) ١٩١١ ٠

◄


محمد على


السلطان عبدالحميد





هكذا كان على الدولة العثمنيسة منذ اوائل القرن ١٩ مواجهة هـذه الاخطار : الخطر القومى فى البلقـن واخطار الاطماع الاوروبيـة فى الارض العربية التابعة للدولة العثمانية ٠

ازاء هذا كله كانت الدولة العثمانية تامل فى وقوف الشعوب العربيـة الى جانبها فى مواجهة هذه الاخطار ٠لكن عند منحنى القرن ١٩ والسنوات الاولى من القرن العشرين امتدت عـدوى القومية الى الشعوب العربية فبدأت الحركة القومية العربية تعبر عن نفسها فى شكل جمعيات مثل « القحطانيـة » و « اللامركزية » و « العهد » وها هو العالم العربى يتمـرد بدوره على التبعية العثمانية ٠

وازاء هذه المتاعب سواء من البلقان أو الدول الاوربية او الحركة القوميـة العربية ماذا كان شعـور الاتراك وهم يرون امبراطوريتهم التى سببت لهـم من الحروب اكثر من السـلام والتى جعلت الاتراك جنسا مكروها من الجميع؟ فى الحقيقة لم يكن الاتراك أواخـر الدولة العثمانية ـ سعداء بهذا الوضع كان يحدوهم الشعور بالمرارة نحـو الموقف العربى والغضب نحو الشعوب البلقانية والاحساس بالمهانة ازاء الدول الاوربية الكبرى والاحساس بالاحبـاط ازاء فشل حركة الاصلاح سواء فى ذلك « التنظيمات العثمانية » او حـركة الاتحاد والترقى ٠ هنا أخـذ الاتراك يهربون الى تراثهم التركى القديم وكان هذا الهروب هو ارهاصات الحـركة الوطنية التركية ٠

● تأثر بالادب الاوروبى ●

وظهرت هذه الظاهرة اول ما ظهرت فى الادب ٠ فبدلا من النماذج الفارسية والعربية ظهر اتجاه نحو تقليد النماذج الاوربية عامة والفرنسية خاصة فكانت الحركة الرومانتيكية فى الادب التركى ٠ ومع ان هذه الحركة لم تكن لها قوة كبيرة ولم تترك اثرا بعيدا الا ان اهميتها تأتى من انها كانت لازمة الضـمير التركى ازاء الدولة الهرمة كما انهـا ساعدت فى نفس الوقت على تقـوية الاتصال بانماط الحيـاة الثقافيـة الغربية فظهرت فى كتـابات الاتراك تعبيرات جديدة « كالحـرية الفردية » و « الدستور » و الحيـاة النيابية وغيرها ٠

ولما كان من الواضح ان مثـل هذه الحركة لا تستطيع ان تعيش فى ايالات الدولة العثمانية بسبب الخـوف من استبداد السـلاطين العثمـانيين وكراهيتهم لكافة الاتجاهات التحررية فقد عاشت الحركة فى المهجر واتخذت لها مقرا فى لندن وباريس حوالى عام ١٨٦٠ وفى عام ١٨٦٤ ظهرت أول جريدة معبرة عن اتجاهات الاحـرار الاتراك وكانت تسمى « الحرية » كمـا كان رئيس تحريرها رفعت بك ٠

ثم تحولت هذه الحركة من ادبيـة الى سياسية ٠ ففى هذه الاثناء ظهرت مسرحية (الوطن) للكـاتب التركى نامق كمال التى كان لها دور هائل فى اوسـاط المثقفين الاتراك ٠ وكان فى مقدمة احرار المهجر ثلاثة : اولهـم خليل غانم وهو مسـيحى عربى من بيروت وكان نائبا فى مجلس المبعوثان (١٨٧٨) عن احدى مناطق سـورية فلما عطل السلطان عبد الحميد البرلمان

فر هذا الى اوربا وانشا جريدة « تركيا الفتاة » وكان قبل ذلك قد اسس جريدة فى جنيف تحت اسم « الهلال » ومن هؤلاء احمد رضا الذى وصل الى باريس عام ١٨٨٩ : تلقى تعليمه هناك وكان يجيد الفرنسية اجادة تامة ولم يكن هناك شك فى رغبته فى الاصلاح لكنه كان مثاليا لذلك لم يكن محبوبا فى دوائر الحركة بسبب صرامته • وكانت اتجاهاته المتحررة قد دفعته الى اعتزال الخدمة كمدير للتعليم العام وسافر الى اوربا ليحمل على السلطان عبد الحميد واستبداده مع زملائه الاتراك الاحرار كما اشترك احمد رضا فى تنظيم الاتراك الاحرار فى باريس وتولى بالاشتراك مع خليل غانم تحرير جريدة (مشاورات) التى اتخذت لسان حال هذه الحركةمنذ ١٨٩٥ ـ اما الشخصية الثالثة الهامة فى نشاط الاتراك الاحرار فى باريس فكان مراد بك • ومراد هذا كان مدرسا للتاريخ فى « الكلية المدنية » فر بدوره من وجه السلطان عبد الحميد ولجأ الى مصر وكانت مصر انذاك تحت الاحتلال البريطانى الذى كان يشجع انذاك كافة الحركات المعادية للسلطان عبد الحميد وسياسته الاسلامية • وفى مصر أسس مراد بك جريدة « الميزان » •

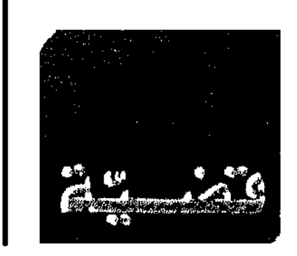
وارتبطتحركة تركيا الفتاة بالطريقة الصوفية البكتاشية التى تضم بصفة اساسية الفلاحين الاتراك والجنود كما تضم ايضا عددا كبيرا من الطبقة المتوسطة وفى البكتاشية رغم نزعاتها الدينية اتجاهات وطنية تركية فهى تستخدم اللغة التركية والاساليب التركية فى الادب ولذلك ساهم الادب البكتاشى مساهمة فعالة فى احياء الثقافة التركية الوطنية •

والحق ان الاتراك الجدد كانوا أصحاب ميول استعمارية كالاتراك القدامى والفارق الوحيد بين الفريقين يكمن فى ان الاتراك الجدد كانوا يتخذون اساليب اقوى للاحتفاظ بامبراطوريتهم • لكن الحرب البلقانية الثانية (١٩١٢ ـ ١٩١٣) شهدت اتجاها جديدا فى الحركة الوطنية التركية• هذا الاتجاه يتمثل فى الحركة الطورانية • فقد كان استيلاء الاتراك فى اواخر هذه الحرب على ادرنة اول عاصمة تركية فى اوربا فى يوليو ١٩١٣ قد اثار ذكريات الانتصارات التركية القديمة ومجد الاتراك الغابر • ولقد قدر لهذا التيار الطورانى ان تخرج منه الوطنية التركية الحديثة بل والجمهورية التركية المعاصرة بعد انهيار الامبراطورية •

والحركة الطورانية فى صميمها اتجاه الى احياء امجاد الاتراك الاوائل وربط الاتراك المحدثين بتراثهم الحضارى القديم ، كما يهدف الى تخليص الفكر التركى وادبه من المؤثرات الفارسية والعربية •

والطريف ان بداية هذا الاتجاه جاء اول الامر من مصدر غير تركى : من كتابات الروائى الفرنسى الشهير ليون كاهون الذى خطر له انيتخذ كموضوع لمؤلفاته القصصية المغول الكبار مثل جنكيز خان وتيمور لنك فصورهم فى فىصورة الابطال العظام ـ فلماترجمت هذه القصص الى التركية ظهر لها اثر بعيد المدى فى نفوس الاتراك •

والحقيقة ان كتابات كاهون جاءت فى وقت شعر فيه الاتراك بنقص فيما يتعلق بتراثهم الحضارىامام القوميات البلقانية والقومية العربية وانتهى الكثير من الاتراك بعد حروب البلقان الى نتيجة واحدة وهى ان الجماهير التركية وحدها هى التى يقوم على اكتافها اعباء الابقاء على تلك الامبراطورية الهرمة وانهم وحدهم







لقطة من اسطنبول القديمة

العنصر الذى تستطيع ان تعتمد الدولة العثمانية عليه فى بقائها ومن ثم فيجب طرح فكرة الجامعة الاسلامية جانبا لان العرب ليسوا حريصين على بقاء الدولة العثمانية وطرح الجامعة العثمانية جانبا ايضا ـ لان الشعوب البلقانية ليست بدورها حريصة على الدولة العثمانية : لا العرب ولا شعوب البلقان ـ راضون على بقاء هذه الدولة فلماذا يتحمل الاتراك وحدهم اعباء المحافظة عليها وحدهم ـ وظهرت هذه الاتجاهات فى كتابات رجل مثل اديب ومسرحيته (تركيا تواجه الغرب) حيث ظهرت الشخصية التركية (اسمها اسود العينين) كشخصية رئيسية فى المسرحية ـ بل تطرف بعض الكتاب من امثال عبد الله افندى فى كتابه (تنيم جديد) فدعا الى ازالة اسماء الخلفاء الراشدين من على الجوامع ووضع اسماء السلطان سليم وغيره من السلاطين الاتراك بدلهم .

كما كان هناك جانب آخر فى الحركة الطورانية وهو الدعوة الى تخليص التراث التركى الحضارى من المؤثرات الفارسية والعربية وقد تمخض هذا الاتجاه عن تأسيس الاكاديمية التركية فى عام ١٩١٣ وهذا الاتجاه هو الذى انتهى كذلك الى ترجمة القرآن الكريم الى التركية بعد ذلك ـ كما دعت الحركة الطورانية الى تقوية الرابطة بين الاتراك العثمانيين والفروع التركية الجنسية فى البلاد الاخرى خارج الدولة العثمانية وكان من مظاهر هذا الاتجاه الاخير ما فعله مؤتمر تركيا الفتاة فى عام ١٩١١ حين قرر توسيع الهجرة لاتراك تركستان والقوقاز الى الدولة العثمانية . هكذا بانت اتجاهات الحركة الطورانية فى ثلاثة خيوط : اولا تخليص التراث التركى الحضارى من المؤثرات الفارسية والعربية ثانيا ـ خلق صلة حميمة وقوية ودائمة بين اتراك الدولة العثمانية والاتراك خارج الدولة ثالثا ـ اعلاء العنصر التركى والايمان بتفوقه على غيره داخل الدولة وخارجها .

هكذا لم يكن الاتراك سعداء بالاعباء التى تحملها الدولة العثمانية وبتحملهم وحدهم مسئولية البقاء عليها كما لم يتباكوا كثيرا على ضياعها واعتمد الاتراك الحركة الوطنية التركية او الشوفينية التركية كنقطة ارتكاز لهم وهو الامر الذى بنى عليه مصطفى كمال اتاتورك له حركته فى بناء تركيا الراهنة .



كتاب الهلال
يقدم :
رحلاتى حول العالم
بقلم : الدكتورة نوال السعداوى
(الجزء الثانى)
يصدر
٥ مارس
١٩٨٦
روايات الهلال
تقدم
لو حدث في الغد
بقلم : سيدنى شيلدون
ترجمة : محمود مسعود
تصدر فى
١٥ مارس ١٩٨٦

محاولة سداد ديون مصر في القرن التاسع عشر

بقلم : د. وليم سليمان قلاده

ليست هذه اول مرة يحاول فيها ابناء مصر المشاركة في سداد ديونها ، لقد ترك سعيد باشا مصر مدينة بحوالى احد عشر مليونا من الجنيهات ، وهو مبلغ ليس بالقليل اذا نسب الى ميزانية مصر وقتئذ . وتولى اسماعيل الحكم عام ١٨٦٣ . وفى السنة التالية اقترض من بيت فرولينج وجوشن الانجليزى ٢٠٠ر٧٠٤ر٥ جنيه وفى عام ١٨٦٥ اقترض من بنك الانجلو ٣٠٠ر٣٨٧ر٣ جنيه .. وفى بداية عام ١٨٦٦ استدان من بنك اوبنهايم ثلاثة ملايين ... ومازال اسماعيل وقتها محتاجا الى المزيد .

وكانت الزراعة المصرية قد حققت فى سنوات الحرب الاهلية الامريكية التى انتهت عام ١٨٦٥ ازدهارا كبيرا ، الامر الذى اغراه على أن يتجه الى ملاك الاراضى ليحصل منهم على الاموال .

ثم انه كان يعد العدة لاعلان استقلال مصر عن الدولة العثمانية ، ولذلك فهو يحتاج الى التأييد الشعبى .

يضاف الى ذلك انه كان بحاجة الى هذا التأييد لمواجهة ضغوط بيوت المال الذين تؤيدهم حكوماتهم .

لهذه الاسباب ، ولانه كانت قد نشأت فى داخل المجتمع المصرى طبقة لا يمكن تجاهل وجودها تتكون من الملاك الزراعيين ، نتيجة للتغيرات التى حدثت فى المجتمع منذ أيام محمد علي وخصوصا أثناء حكم سعيد ـ هكذا اضطر اسماعيل فى عام ١٨٦٦ الى انشاء « مجلس شورى النواب » ليضم الاعيان وكبار الملاك الزراعيين وممثلين لمكونات الجماعة المصرية .



رفاعة الطهطاوى

« تخليص الابريز فى تلخيص باريز » يعود رفاعة رافع الطهطاوى فيصدر ، بعد ثلاث سنوات من انشاء مجلس شورى النواب « مناهج الألباب المصرية فى مباهج الألباب العصرية » .

لقد وجد لأول مرة تحقيقا للتوجيهات التي كان يحاول تسريبها الى الحكام ـ وعلى الخصوص الى « المحكومين » فى كتابه الأول . فعلى الرغم من أن قرارات المجلس استشارية الا أنها بداية صالحة لطريق لابد أن يتواصل احتفى بها هذا المفكر الدستورى . ومن هنا توجيهه النواب الى واجبهم نحو وطنهم ، ومسئوليتهم فى مراكزهم التى يجلس فيها المصريون لأول مرة .

ضمن هذا المثقف المصرى الرائد مؤلفه وبدون اجراء مواجهة صريحة مع الحاكم ، أى اسلوب معلمه الشيخ حسن العطار ضمنه نقدا لسياسة اسماعيل ، وبرنامج عمل شامل لمجلس شورى النواب . وفى نفس الوقت مواجهة للمشروع الاستعمارى والرجعى بتعبئة امكانيات الرعية وبانحياز كامل لها وثقة فى قدراتها ـ فهى التى بجهدها ستتم زيادة الدخل القومى .

ان نقطة البداية فى تفكير الطهطاوى سجلها فى مقدمة كتابه التى وضع لها عنوانا « فى ذكر هذا الوطن وما قاله فى شأنه اصحاب الفطن » ، يقول : « وارادة التمدن للوطن لا تنشأ الا عن حبه من أهل الفطن ، كما رغب فيه الشارع ـ ففى الحديث : « حب الوطن

وفى هذا المجلس ستجرى محاولات سداد ديون مصر . وهى جهود يمتزج فيها الكفاح الوطنى ضد الاجانب ، بالصراع الدستورى لتقييد سلطات الحاكم المطلق ، بالمصلحة الطبقية لملاك الاراضى .

● تفكير ذكى ●

وكان فى مصر وقتئذ صعيدى ذكى ، نافذ الرؤية حصيف حذر . وجد الفرصة سانحة ليقدم اجتهاده من أجل تغيير أسلوب الحكم فى البلاد . لقد استطال عمره فعاصر النهضة المصرية منذ محمد على ، وعانى نكستها أيام عباس ـ ليعود الى موقعه يرصد ويرشد . فبعد أن كتب أيام محمد على

كان يا ما كان

من الايمان » ... « لا سيما اذا كان الوطن منبت العز والسعادة ، والفخار والمجادة ، كديار مصر ـ فهى أعز الاوطان لبنيها ، ومستحقة لبرها منهم بالسعى لبلوغ أمانيها ... » ويؤكد شيخنا هذا ويكرره فى مختلف مؤلفاته .

وهكذا يواصل الطهطاوى التقليد الالفى الذى بداه المؤرخ الاول عبد الرحمن بن عبد الحكم وتابعه فيه المؤرخون الذين جاءوا بعده ، حين كانوا يفتتحون ما يكتبون بفصل : فى ذكر فضائل مصر » . يواصل الطهطاوى هذا التقليد فى صياغة واضحة تبين النتائج العملية التى تترتب على الانتماء للوطن والالتصاق به .

ثم يسجل الخطوة الهامة التى اتخذها الخديو بانشاء مجلس شورى النواب ، وينبه الأعضاء الى واجباتهم . « ولو لم يكن له من المآثر الا كونه حمل الاهالى على أن يستنيبوا عنهم نوابا ذو فكرة المبعة ، ليتذاكروا فى شأن مصالحهم المرعية ـ لكفاه شرفا ومجدا وعزا وسعدا . حيث صار مستوليا على أمة حرة الرأى باستشارتها فى حقائق التراتيب والتنظيمات التى يراد تجديدها لأجلهم » ويؤكد هذا الفقيه الدستورى أهمية الحرية : فبهذه الوسيلة القوية يتمكن من أداء ما وجب عليه فى حق الرعايا مع كونه يمتدح بالحكم على رعايا أحرار يتمتعون بحقوقهم ويحظون بمزاياهم » .

هنا فى بردة من المدح ـ تنبيه واضح للحاكم الى أهمية حرية المواطنين .

ويبدو أن الرجل كان يحس بخطر النفوذ الاجنبى الوافد مع استمرار سياسة الاستدانة ، ولهذا نجده فى الفصل الأول من الباب الأول ، وفى حذر وحنكة ـ واذ يتحدث عن منشآت الخير يستطرد : « وهذا كله انفاق ممدوح وعلامة القبول عليه تلوح ، بخلاف من يحمل نفسه ولو فى الصدقات فوق ما يطيق ، فيعلوه الدين الذى لا يعرف له جهة وفاء ، فيدخل نفسه فى رقبة الضيق ويعدم الحميم والصديق » ويورد الاحاديث النبوية واقوال الحكماء والعامة ويسخر ممن يستدين حتى لعمل الخير « مع أنه بمعزل عن الحزم والاستقامة، معتمدا على قضاء دينه الذى استدانه بدون باعث شرعى ولا مقتضى سياسى. ومعولا على « سوف » و « عسى » و « لعل » . فهذا هو المديان الذى يتراكم عليه الدين ، ودين الدين ، لا الى نهاية ولا الى اجل بل ربما لا ينقضى وان انقضى الأجل » (١) .

ولكن ما هو بديل الاستدانة للحصول على الأموال اللازمة ؟

تأتى اجابة الطهطاوى : « المنافع العمومية التى تعود بالثروة والغنى وتحسين الحال وتنعيم البال على عموم

(١) رفاعة الطهطاوى ، الاعمال الكاملة، طبعة محمد عمارة ، الجزء الاول ، ص٢٨٣

الجمعية ... » والتمدن لديه أصلان . معنوى وهو التمدن فى الأخلاق والعوائد والآداب . والثانى تمدن مادى وهو التقدم فى المنافع العمومية كالزراعة والتجارة والصناعة . ويقدم فى كتابه برنامجا شاملا للتنمية فى جميع هذه المجالات ويورد بخبرة العارف بما فى بلده من الامكانيات انواعا من المشروعات تستطيع بها أن تنمى دخلها وتستغنى عن الاستدانة .

لقد بدأ المجلس عمله كمجرد هيئة استشارية رأيها غير ملزم . ولكن لن تمضى أقل من ثلاثة عشرة سنة الا ويجد الخديو أن من مصلحته أن يكون رأى المجلس ملزما ، لأن هذه الهيئة بصفتها التمثيلية ومن ورائها جموع المحكومين هم القوة الحقيقية التى تحميه وتحمى الدولة والمجتمع فى مواجهة الاغتصاب الذى تمارسه القوى الاوربية والذى لا تستطيع الخلافة العثمانية دفعه ـ بل انها تخضع لسطوته وتتواطأ معه .

اننا الآن فى فترة مفعمة بالحيوية. كان الصراع حادا بين أصحاب المصالح الموجودين فى الساحة ، ونستطيع أن نتبين ثلاثة أطراف ـ كانت المعارك بينهم سجالا ، تتغير فيها التحالفات ويتبادلون النصر والهزيمة :

والأطراف الثلاثة هم الخديو والقوى المالية والسياسية فالعسكرية الاوربية ـ ثم المصريون .

● الوعى بحقوق المواطنين ●

بسبب الديون التى اغرق الخديو مصر فيها اصبح للقوى المالية والسياسية الاجنبية نفوذ كبير فى الحكومة المصرية . وفرضوا على الخديو أن يتنازل عن سلطاته المطلقة لوزارة يشاركون فى اهم مناصبها وتحكم مصر لصالح الأجانب .

ونتيجة للتطور الداخلى للمجتمع المصرى منذ أيام محمد على وخاصة ايام سعيد نشأت فى مصر طبقة من ملاك الاراضى ، صارت لهم مصالحهم التى يعملون على حمايتها . وازداد الوعى بحقوق المواطنين الذين تعلموا فى مدرسة الطهطاوى وتلاميذه وزملائه ولم يستطع الخديو وان كان حاكما مطلقا أن يتجاهلهم ، فأنشأ لنوابهم مجلسا له رأى استشارى . جهد لزيادة سلطاته ثم وجد الخديو أن هذه هذه الطبقة والمجلس الذى يمثلها هى السند الحقيقى له . وهكذا انشأ التحالف بينهما ، وتنازل الخديو عن سلطاته مرة أخرى ولكن للمصريين وممثليهم . ووقف الحاكم والمحكوم فى مواجهة الزحف الأجنبى ، وامتزجت المصلحة الطبقية بالوطنية وتعهد المصريون بسداد ديون بلادهم من اموالهم .

الا أن القوى الأوربية لم تهدأ ـ فوجهت ضربتها الاولى الى رمز التحالف الجديد ، الخديو نفسه . وتواطأ معها فى ذلك السلطان العثمانى .

ثم جاءت الضربة الثانية ـ حين استطاعت أن تحدث الانقسام فى الصف المصرى . وصار ثمة تناقض

كان يا ما كان

بين المصلحة الطبقية والوطنية لدى الشريحة العليا من طبقة الملاك الذين انضموا للخديو الجديد توفيق •

وان لم يكن الخراب المالى لاخضاع الارادة المصرية كان حتما التدخل العسكرى البريطانى ، يتخذ من الخديو الخائن رأس حربة ومبررا ، ومعه أعوانه •

وتتصدى قوى الشعب الأخرى لهذا التحالف القبيح ، وتقف مع جيشها بقيادة أحمد عرابى تدافع عن مصر • ويعلن السلطان العثمانى مرة أخرى عصيان عرابى • وتحدث الهزيمة •

لتبدأ مصر مرحلة جديدة من كفاحها المتواصل •

● جولات الصراع ●

لقد مضى « المديان » فى طريقه ، اقترض فى سنة ١٨٦٨ من بنك اوبنهايم مبلغ ١١ر٨٩٠ر٠٠٠ جنيه واستدان سنة ١٨٧٠ من البنك الفرنساوى المصرى ٧ر١٤٢ر٨٦٠ جنيه • وبلغت الديون السائرة فى ١٨٧٣ مبلغ ٢٥ مليون جنيه • وفى سنة ١٨٧٣ اقترض من بنك اوبنهايم ٣ ملايين جنيه • وبلغ دين الرزنامة سنة ١٨٧٤ مبلغ ٣ر٣٣٧ر٠٠٠ جنيه • وبلغت المطلوبات من الحكومة للتجار والمقاولين ••• الخ مبلغ ٦ر٢٧٦ر٠٠٠ جنيه • هذا كله فضلا عن تراكم الفوائد الفاحشة •••

وبدأ زحف الدائنين الأوربيين تساندهم حكوماتهم :

فلما أن ساءت حالة الخزانة المصرية حضرت الى مصر فى ديسمبر ١٨٧٥ ، بناء على دعوة الخديو لجنة انجليزية ، برئاسة المستر كيف ، لدراسة الحالة المالية ويعاون الحكومة على اصلاح الخلل فيها • واقترحت لذلك أن تخضع للمشورة الأوربية من خلال مصلحة للرقابة على ماليتها •

ومضت الضائقة فى طريقها وبسبب عجز الحكومة عن الوفاء أصدر الخديو مرسوما فى ٦ أبريل سنة ١٨٧٦ بتأجيل دفع السندات والأقساط المستحقة على الحكومة فى أبريل ومايو ثلاثة أشهر• ولاسترضاء الدائنين أصدر مرسوما فى ٢ مايو ١٩٧٦ بانشاء « صندوق الدين » ليكون خزانة فرعية للخزانة العامة تتولى تسلم المبالغ المخصصة للديون من المصالح المحلية • فكان هذا الصندوق أول هيئة رسمية أوربية لغرض التدخل الاجنبى •

ولكن الحكومة الانجليزية لم تقتنع بذلك ، ونسقت مواقفها مع الحكومة الفرنسية – وهكذا حضر الى مصر جوشن الانجليزى ثم جوبير الفرنسى فى اكتوبر ١٨٧٦ ، وبناء على ما ارتياه أصدر الخديو مرسوم ١٨ نوفمبر ١٩٧٦ بفرض رقابة أجنبية أشد – يتولاها مراقبان أحدهما انجليزى لمراقبة الايرادات والثانى فرنسى لمراقبة المصروفات •

الا أن أحوال الحكومة المالية سارت الى الأسوأ ، وازداد ارتباكها وعجزها فاتفق الرقيبان وصندوق الدين على تأليف لجنة تحقيق أوربية قدمت توصياتها – وكان من بينها أن يحدث


الخديوى عباس

الخديو تغييرا فى نظام الحكم وينزل عن سلطته المطلقة .

وهكـــذا أصدر اسماعيل فى ٢٨ اغسطس ١٨٧٨ أمره بانشاء مجلس النظار وتخويله مسئولية الحكم وعهد الى نوبار باشا بتاليف الوزارة . وتضمن خطاب تكليفه نزول الحاكم عن سلطاته المطلقة . يقول :

والشيء اللافت للنظر فى التاريخ الدستورى المصرى ، أن تقييد سلطة الحاكم تم بناء على توصية من قوى اجنبية ، ولتحقيق مصالحها . على أن المصريين ممثلين فى نوابهم سرعان ما استردوا زمام الموقف . وكان هذا التحول فى مسار الصراع وفى أطرافه أبرع الانجازات الوطنية والدستورية فى الربع الاخير من القرن التاسع عشر .

ولقد ضمت وزارة نوبار وزيرين أوربيين أحدهما انجليزى لوزارة المالية هو السير ريفرس ويلسون ، والثانى فرنسى للأشغال . على أن يحل النظام الجديد محل الرقابة الثنائية .

وفى السنوات التالية سيدور الصراع بين مجلس شورى النواب وبين هذه الوزارة . وستمتزج فى هذه المواجهة الحركة الوطنية مع الحركة الدستورية، بحيث أن تقييد سلطة الحاكم سيكون مرتبطا بازاحة الوجود الاجنبى فى مؤسسة الحكم .

● انجازات الحركة الدستورية ●

اجتمع مجلس شورى النواب فى ٢ يناير ١٨٧٩ وكانت خطبة العرش اقل خطب الخديو ، ذكر فيها أن سبب الاجتماع هو ان الوزراء سيناقشون مع النواب « بعض مسائل مالية وأشغال داخلية » .

ولقد سجل المجلس فى رده الوارد فى مضبطة المجلس جلسة ٦يناير ١٨٧٩ ما حققته الحركة الدستورية من انجازات :

أولا ـ وجود هيئة مقصود بها تمثيل المحكومين . يقول المجلس : « نحن نواب الأمة المصرية ووكلاؤها ، المدافعون عن حقوقها ، الطالبون لمصلحتها ، التى هى فى نفس الأمر مصلحة الحكومة ،

ثانيا ـ تسجيل مبدأ الحكم من خلال وزارة مسئولة أمام المجلس . جاء فى الرد : « ونكرر الشكر لهذه الحضرة الجليلة (الخديو) حيث شكلت مجلس وزارة جعلته مسئولا كافلا أمام الأمة تأييدا لمجلس النواب وتتميما له » .

كان يا ما كان

واستغل المجلس ما ورد فى خطبة الخديو البالغة الايجاز ليؤكد حقه الدستورى ، فقال : « ولذلك حينما تعلقت ارادتها (الحضرة الخديوية) بأن ينظر الوزراء فى أمور المالية والاشغال الداخلية ، دعت نواب الأمة ليتداولوا معهم فى ذلك ، حفظا لحقوق الرعية ومصلحة الحكومة » .

وبدأ المجلس فى مناقشة هذه المسائل ، فطلب من وزيرى المالية والاشغال ارسال ما يخصهما من المسائل . فاستجاب لذلك الوزير الفرنسى ، أما وزير المالية الانجليزى ريفرس ويلسون فرفض . بل صدر مرسوم فى ٦ يناير ١٨٧٩ يتحدى مجلس النواب ، ويقضى بأن القوانين المتعلقة بالشئون المالية تصدر وتصبح نافذة بعد اقرارها من مجلس الوزراء والتصديق عليها من الخديو ـ أى دون اشتراط موافقة مجلس شورى النواب عليها .

اعترض المجلس على ذلك وأصدر بيانا سجل فيه حقه فى مناقشة هذه القوانين قال فيه : « ولم نر لمجلس النواب فى هذا الدكريتو اسما ولا خبرا ، مع أن سائر ما يختص بالادارة العمومية من تحصيل أموال وفرض ضرائب ووضع لوائح أو قوانين لذلك، وما كان من هذا القبيل انما يقصد به الأهالى لا غير ، وكل ما يقصد به الأهالى لابد أولا من عرضه عليهم ورضاهم به عن طيب خاطر منهم قبل وضعه وتكليفهم به .وحيث أنهم أنابوا عن أنفسهم نوابا منهم منوطين بالمدافعة عنهم ، والمحاماة عن حقوقهم ، والنظر فى شئونهم بعين المصلحة فمن الواجب أن يعرض جميع ما يتعلق بالأهالى على نوابهم لينظروا فيه ويتدبروه .»

وصمم المجلس على ضرورة حضور وزير المالية لمناقشته ، ولكنه أصر على الرفض وحضر بدلا منه نوبار نفسه الذى حاول استرضاء المجلس دون جدوى . ثم أتت ثورة الضباط وتبرم الموظفين الى سقوط وزارة نوبار فى ٩ فبراير ١٨٧٩ وتأليف وزارة برياسة توفيق باشا استبقى فيها الوزيرين الأجنبيين .

ووصلت المواجهة الوطنية الدستورية الى ذروتها حين اعتزمت القوى الأوربية من خلال هذه الوزارة التخلص من مجلس النواب . وهنا نصل الى أحد المواقف المجيدة فى تاريخ الشعب المصرى :

حضر رياض باشا الى المجلس فى ٢٧ مارس سنة ١٨٧٩ وتلا قرار فض المجلس لانتهاء مدته . ولكن أعضاء المجلس رفضوا ذلك مصرين على مناقشة المسائل المالية .. وقال النائب محمد راضى انه مضت ثلاثة شهور دون أن ترد هذه المسائل الى المجلس ـ فلا يمكن فى هذه الحالة القول بأن مدة المجلس انتهت . وقال النائب باخوم لطف الله : « أن توجهنا الى البلاد بهذه الكيفية ربما يحصل منه زعزعة للأهالى بناء على الوعد السابق حصوله من حضرات النظار بسبب التشكى الذى

حصـــل من الأهالى ـ وقيل لهم بأن نوابكم موجودون للنظر فى راحتكم ».

وكانت فوائد دين ١٨٦٤ تستحق فى أول ابريل ١٨٧٩ ، ولم يكن فى الخزانة ما يكفى لدفعهــا . فأعد وزير المالية السير ريفرس ويلسون مرسوما كان أحد بنوده تأجيل الســـداد . ولكن اسماعيل رفض التوقيع عليه ، ذلك أن معنى هذا الاجراء هو اشهار افلاس مصر ، الامر الذى كان الخديو يكافح طوال عهده لتفاديه .

وفى ٢٩ مارس ١٨٧٩ قدم النواب عريضة الى الخديو اعترضوا فيهــا على مسلك الوزارة فى امتهانها حقوق المجلس ، واحتجــوا على المشروع المالى الذى أعدته وكانت فى ســبيل اصــداره ، يعلن فيه أن الحــكومة المصرية فى حالة افلاس . وطلبوا من الخديو أن يتدارك الموقف .

● تحالف ضد الاجنبى ●

وهكذا نشأ التحــالف بين الخديو والنواب المصريين فى مواجهة القوى الأجنبية . ومن الواضح أن الحاكم الآن ليس كما كان يوم أن تولى الحكم . ان زمام الأمور الآن أصبح فى يد مجلس النواب ، وأصــبحت لديه قدرة أكبر على توجيـــه الحياة السياســـية فى البلاد .

وتردد صدى المواجهة بين الوزارة والمجلس بين صفوف الشعب ، فأخذ صــفوة المجتمع وأصـــحاب الرأى يجتمعون ويتشاورون لانقاذ البلاد .

واجتمع الأحـــرار فى دار السيد على البكرى نقيب الأشراف ثم فى منزل اســماعيل راغب باشا وزير المــالية السابق ورئيس مجلس شورى النواب فى أول نشأته ، وعقدوا بداره « جمعية وطنية » تضـــم صفوة كبراء البــلاد وأصحاب الرأى فيها ، واتفقوا على وضـــع بيان بما استقر عليه رأيهم ، ويتضمن مشروع تسوية مالية يعارضون بهمشروع ريفرس ويلسون ويجعل البلاد قادرة بضمانتهم وكفالتهم على وفــاء ديونها ، والمطالبة بتأليف وزارة وطنية مستقلة ، واقصاء الوزيرين الأوربيين عنها ، وتقرير نظـــام دستورى للبلاد قوامه جعل الوزارة مسئولة أمام مجلس النواب » .

وقــالت « الجمعية الوطنية » فى بيانهــا المؤرخ ٢ ابريل ١٨٧٩ والذى سمى « اللائحة الوطنية » انها تقــدم مشروعاتها حفاظا لحقوق الامة داخــلا وخارجا ، وانه لم يتم تحـــريره ، الا بعد حصـــول علم اليقين لدينـــا بأن ايرادات مصر هى كافية لسداد الديون المطلوبة من الحكومة حسبما هو موضح بالمشروع المذكور » **ثم ختمت** ا بالتعهد التالى :

« **فلأجل ذلك نحن عن أنفسنا ونيابة عن أبناء وطننا صممنا جزما على بذل كل مجهودنا فى تأدية ديــون الحكومة وبذل كافة ما وسعنا وطاقتنا فى اجراء ذلك . وبذا صـــار ختم هذا اعلانا بتصديق ذلك . وبأننا متحدون اتحادا تاما قولا وفعلا فى الاجراء** » .

وفي شأن سلطات المجلس والحكم من خلال مجلس للوزراء يكون مسئولا أمام البرلمان قالت « اللائحة الوطنية » : « قد تحرر هذا المشروع ببيان مفصلات ما هو مقتضى اجراؤه في تسوية ايرادات الحكومة وتسوية تسديدات ديونها ومصاريفها على وجه ما توضح . بحيث أن الحضرة الخديوية تمنح شورى النواب الحرية التامة وجميع الحقوق في كافة الامور المالية والداخلية .. ويكون مجلس النظار مفوضا تفويضا تاما في جميع اجراءاته ومسئولا أمام مجلس النواب في جميع اجراءاته المختصة بالداخلية والمالية ... »

ووقع على البيان ستون من أعضاء مجلس شورى النواب ، وستون من العلماء والهيئات الدينية وفي مقدمتهم شيخ الاسلام وبطريرك الأقباط وحاخام اليهود و٤٢ من الاعيان والنجباء و ٧٢ من الموظفين و ٩٣ من الضباط .

ووافق الخديو على « اللائحة الوطنية » وأرسلها الى قناصل الدول وأعلن عزمه على تأليف وزارة وطنية ليس فيها أعضاء أوربيون وتكون مسئولة أمام مجلس النواب ينتخب على نظام جديد .

واحتج الوزيران الأوربيان على « اللائحة الوطنية » وعلى قبول الخديو لها ولكن الخديو عهد الى شريف باشا بتأليف الوزارة الجديدة .

وابتهج الناس لقبول الخديو



الخديوي توفيق

« اللائحة الوطنية » وتأليف الوزارة الجديدة ، واجتمع يوم الثلاثاء ٨ أبريل بدار السيد البكري جمع كبير من علماء الديار المصرية والأعيان والتجار وتوجهوا الى سراي عابدين لتقديم واجب الشكر للخديو ، فاستقبل أولا العلماء ومعهم بطريرك الاقباط كيرلس الخامس ، وتلقاهم بالرعاية والاكرام ، وحثهم على التضافر والتعاون . وألقى السيد البكري خطبة

وأقيمت الحفلات والأفراح ابتهاجا بالعهد الجديد ، واقام السيد البكري في داره مأدبة كبرى يوم الاربعاء ١٩ ابريل ١٨٧٩ حضرها الكبراء والعلماء وفيهم بطريرك الاقباط وممثلو طبقات الأمة ووجوه البلد وأعيانه . واشترك

فيهـــا الخديو اســـماعيل اذ حضرها ليلا · واقام الكبراء والتجار الزينات امام منازلهم (٢) ·

وكان من أول أعمال وزارة شريف باشا اقرارها استمرار انعقاد مجلس شـورى النواب · وقـدمت الوزارة للمجلس مشروع الدســتور ولائحـة الانتخـاب وذلك طبقا لما تضـمنته « اللائحة الوطنية » · وشكل المجلس لجنة لدراسة مشروع الدستور ·

● من اجل سداد ديون مصر ●

ونستطيع أن نضع أيدينا هنا على نقطـة البداية فى تاريخ الحـركة الدستورية المصرية ، التى اذا كان قد أتيح لها ان تتطـور من خـلال تفـاعل القوى المحلية ، ودون اجهـاض من الخارج ، لصار لمصر نظام دسـتورى راسخ الأركان :

نعم ان المجموعة التى قادت المواجهة مع القوى المالية والسـياسية الأوربية كانت تعمل لتاكيد مصـالحها الطبقية كملاك للأراضى ـ ومن هنا اعتراضهم على الغـاء قانون المقـابلة وزيادة الضرائب على الملكيات الكبيرة · ولكن الحركات الدستورية الكبرى كانت لها بداية مماثلة : فالماجناكارتا الانجليزية عام ١٢١٥ ومجلس الطبقات الفرنسى عام ١٣٠٢ لم يكونا الا للدفـاع عن حقوق الطبقـات العليا ـ وتواصل الكفاح والتطور هناك لتحصل طبقات وشرائح جـديدة على حقـوقها الدستورية (٣) ·

ثم ان هذه الطبقة التزمت بسداد ديون مصر من أموالها كما وضح ذلك من الوثيقة التي أورد الرافعى نصها على النحو السالف ذكره · وهذا الموقف بالذات كان سيفرض عليهـا قرارات كبيـرة · ولقد اضطر الخـديو الى التنازل عن أمواله وسلطاته من أجل سداد الديون · ولابد أن قرارات مماثلة كانت تنتظـر النواب ومن يمثلونهم لتحقيق الخلاص الوطنى لو مضى الى مـداه الطبيعى · ولابد انهـا كانت ستحقق برنامجا شاملا للتنمية تحشد فيه كل الامكـانيات المادية والبشرية المصرية ، وهو ما كان يوجههـا اليه رفاعة الطهطاوى العظيم فى كتـابه الذى كتبه لهذا الغرض ·

ومن ناحية أخرى فان المواجهة الحادة بينها وبين القوى الأوربية كانت قائمة ومن هنـا فالضرورة كانت ستفرض عليها ابقاء التناسـق والامتزاج بين المصلحة والوطنية ، فتكون الثانية عامل هداية وترشيد للأولى ·

وليس من شك فى أن القوى الأوربية كانت مدركة لذلك كله ـ وهى تعلم من

---

(٢) هذا كله نقلا عن عبد الرحمن الرافعى عصر اسماعيل ، *الجزء الثانى ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٨ ، ص ١٨٠ وما بعدها

(٣) لويس عوض ، تاريخ الفكر الحديث فى عصر اسماعيل الى ثورة ١٩١٩ الى الجزء الثانى ، ص ٢٣ وما بعدها

كان يا ما كان

واقع تاريخها الدستورى ـ كما ذكرنا ـ ان مسار التطور واضح • وأن نجاح الحركة الدستورية يعنى فى نفس الوقت زوال النفوذ الأجنبى فى مصر •

نعم ـ ان الخديو كان يعمل لمصلحته وهو يحرض النواب ومختلف القوى المصرية على أن تقف فى مواجهة الاجانب (٤) • فلقد كان محاصرا بين الدولة العثمانية التى يجهد الخديو لتحقيق الاستقلال عنها ، بين القوى الأوربية التى ترغمه على التنازل عن كل شيء فلم يعد له من سند الا الشعب المصرى • ولقد ارغم مرة على التنازل عن أملاكه وسلطاته لصالح الاجانب فاصبح الآن وهو يتنازل مرة ثانية عن سلطاته الى المؤسسة المصرية مجرد رمز • ومن الحتمى أن المصلحة الطبقية والنضال الوطنى كانا سيبقيانه حيث انتهى اليه وضعه • وما كان من الممكن قط أن يعود لممارسة الحكم المطلق ، بل نظام الملكية الدستورية كان يتخلق جنينا فى الواقع المصرى •

ثم أن المارد الكبير ـ جماهير المثقفين والموظفين والفلاحين والعمال، أخذت تظهر على الساحة تطالب بالاعتراف بوجودها فى الحياة الدستورية ، مستعدة للمشاركة فى الكفاح الوطنى • ففى هذا الوقت قدم « الشبان المصريون » عريضة للخديو يطالبون فيها بتوسيع قاعدة الناخبين فلا يكون هؤلاء وحسب هم عمد البلاد ومشايخها فى المديريات وجماعة الاعيان فى القاهرة والاسكندرية ودمياط ـ كما هو الشأن فى مجلس شورى النواب ، بل يكون المبدأ الاساسى هو الاقتراع العام « لانه الوحيد المنطقى العادل » (٥)

ثم ان الطهطاوى بدأ يرسى فى « المناهج » الاسس العلمية لنظرة اجتماعية عادلة شاملة ، اذ كان يدعو الى مواصلة بذل الجهد بإعتبار أن العمل هو منبع السعادة الاولى •

كان الرجل يحشد المجتمع لمواجهة الكارثة الاقتصادية المقبلة والتى بدأت نذرها تظهر ـ فقد كان يكتب هذا الكلام قبل عام ١٨٦٩ • انه يدعو الملاك الى الاهتمام بالمشروعات الزراعية والتجارية والصناعية • ويحذرهم من التمادى فى الحرص على مصالحهم الطبقية وتجاهل مطالب العدل والعلم الاجتماعى •

وهو يريد ايضا أن يحقق العدل للكادحين الذين ليس أهم مصدر الدخل سوى عملهم وفى نفس الوقت يحفزهم على العمل والكد ومزاولة الخدمة •

وهكذا ـ ومن خلال التفاعل بين

---

(٤) الكسندر شولسن ، مصر للمصريين ـ أزمة مصر الأجتماعية والسياسية ١٨٧٨ ـ ١٨٨٢ ، ترجمة رؤوف عباس حامد ، ص ١١٤ وما بعدها .

(٥) انور عبد الملك ، نهضة مصر ، ص ٢٩٥

مكونات الجماعة المصرية ـ فانه ستتكون الجبهة الداخلية الوطنية التى تواجه صفا واحدا العدو المشترك ، ولكن القوى الأوربية لم تقف ساكتة ازاء هذا الموقف المصرى غير المسبوق • وتتابعت مناوراتها وضرباتها :

فأولا ـ وجهت كل جهدها ضد من أصبح رمزا لهذا الموقف الوطنى : لقد كانت الخطيئة العظمى لاسماعيل فى نظرها أنه ـ تحت وطأة الحصار الذى احاط به ـ استطاع أن يحرك كتلة المحكومين وممثليهم لتقف موقفا صلدا أمام المشروع الاستعمارى ، ولتبطل مفعول القوة الضاربة لهذا المشروع بتعهدها بسداد الديون •

ولهذا كان لابد من التخلص منه وذلك لاجهاض هذا المشروع الشعبى المضاد الوطنى الذى لم تعرفه مصر من قبل حتى أيام محمد على الذى كان ينفذ مشروعه دون مشاركة شعبية حرة وواعية • وهكذا أخذت تضع العراقيل أمام الوزارة الجديدة ، وبذلت جهودها لدى السلطان العثمانى فاصدر فى ٢٦ يونيو سنة ١٨٧٩ « ارادة » بخلع اسماعيل ويبدو أن السلطان خشى لو نجحت الحركة الدستورية المصرية أن ينتقل تأثيرها الى الدولة العثمانية نفسها •

وهكذا جاء هذا الاجراء ضد اسماعيل ليكون أيضا ـ درسا لمن يأتى بعده •

وقد استفاد الخائن توفيق من الدرس

ثانيا ـ ولكن هذه الضربة الموجهة الى الحاكم الذى فرضت عليه الظروف أن يحكم بالدستور ـ لا تكفى • فالقوة الحقيقية التى استطاع اسماعيل بمناوراته تكوينها وصارت مصدر تدعيم له هى التأييد الشعبى بقيادة طبقة الملاك الكبار وممثليهم •

ولذلك كان لابد كسر هذه القوة الشعبية لاحداث الانقسام فى طبقة الملاك • وحين جاءت اللحظة الحاسمة للاختيار فاما المصلحة أو الوطنية ، وضح ، من خلال تتابع أحداث الثورة العرابية ، أن من بين من وقفوا عام ١٨٧٩ ضد التغلغل الاوربى فى الحكومة ستظهر عام ١٨٨٢ شريحة تناصر الخيانة والاحتلال •

ليبدأ المصريون مرحلة جديدة من الكفاح الوطنى الدستورى والاجتماعى وصار على القوى المصرية المخلصة ـ ليس وحسب أن تسدد ديون مصر ، بالاضافة الى ذلك ـ ان تزيح الاحتلال العسكرى ومؤيديه •

لتبدأ مصر بعد ذلك مشروعها الوطنى الاجتماعى القومى ، ثم تواصل تحقيقه فى مراحل متعاقبة ومستمرة

ويبقى الدرس المستفاد ، هو نفسه نقطة البداية فى التجربة المصرية : ان طريق النجاة لبلادنا هو فى الاقتناع بأن المصلحة الخاصة لكل فئة ولكل فرد المصلحة الحقيقية والمشروعة والدائمة تتحقق بقدر ارتباط هذه المصلحة بالكفاح الوطنى الاجتماعى وبالحركة الدستورية •

من يتناسى لغته مصيره الزوال!

بقلم: عبد الرحمن شاكر


سعد زغلول


مصطفى فهمى

في مقالي للهلال عدد يناير الماضي ، ناقشت "النظرية" التي صاغتها الكاتبة الأمريكية كلوديا رايث ، عن وراثة الولايات المتحدة الأمريكية ، للوضع الامبراطوري للدولة العثمانية في المنطقة العربية أو مايسمى "بلغتهم" الشرق الأوسط ! متخطية بذلك الامبراطوريتين المؤقتتين في المنطقة ـ البريطانية أساسا ثم الفرنسية ، ومستخدمة الدولة الصهيونية الحديثة التكوين باعتبارها "الانكشارية" الجديدة التي تعتمد عليها في الحفاظ على سلطانها في المنطقة .



ولقد كان من "مساخر" الحركة الوطنية فى مصر ، فى أواسط الأربعينات من هذا القرن . والحركات الوطنية ـ مثل كل نشاط إنسانى ـ قد تكون لها مساخرها ، إلى جانب جوانبها الجادة الايجابية .. اقوال كان من بين تلك المساخر ، أن أبدى الطلبة ، على سبيل الاحتجاج واظهار البغضاء للاحتلال الانجليزى ، رغبتهم فى الكف عن تلقى دروس اللغة الانجليزية ، وقرروا فى بعض مظاهراتهم أن يجمعوا كتب اللغة الانجليزية ويحرقوها تعبيرا عن هذا الاحتجاج والسخط .. وربما أقدم بعضهم على تنفيذ ذلك القصد ، ولكن الغالبية منهم ـ على ماأذكر ـ أحجمت عن تلك الفعلة ، حينما جاءتهم "فتوى" ، من أحد زعماء المظاهرات المتدينين فى الجامعة فى ذلك الحين ، بانه ليس علينا ـ نحن جموع الطلبة فى ذلك الحين أيضا ـ أن نحرق الكتب الانجليزية ، وإنما نكتفى باعلان أننا لانتعلم الانجليزية ، وإنما نتعلم الأمريكية "

كان ذلك فى وقت لم يكن ينظر فيه إلى الولايات المتحدة الأمريكية كقوة استعمارية مثلها مثل بريطانيا العظمى أو فرنسا ، بل أكثر من ذلك كانت تعتبر عند بعض الساسة قوة عاملة على تحرير شعوب المستعمرات ، ولم يكن التاريخ قد كشف بعد عن نواياها فى العمل على تقويض الامبراطوريات التقليدية لحسابها الخاص ، على نحو مافعلت فى منطقتنا ، بدعمها للدولة الصهيونية حتى تصبح هى القوة العسكرية المهيمنة لحسابها ، أى لحساب الامبراطورية الأمريكية فى المنطقة ، والوريث الدائم للوضع العثمانى التقليدى فيها .

★★★

ويبدو أن الامبراطوريات لاتحتاج إلى قوة عسكرية فحسب ، لتبقى ، وتحكم ، وإنما تحتاج فى ذلك أيضا ، إلى لغة ، رسمية أو شبه رسمية ، المهم أن تكون غالبة مسيطرة لكى تستطيع الاستمرار فى إدارة شئون الحكم فى الممتلكات والبلدان التابعة

فإذا عدنا إلى المقارنة مع الدولة العثمانية ، فلقد كانت اللغة التركية ، هى التى تصدر بها الفرمانات الهمايونية ، أى السلطانية ، وكانت هى لغة الدواوين ، والصحف الرسمية ، مثل الوقائع المصرية مثلا حينما أنشئت فى عهد محمد على ، إذ كانت تصدر باللغة التركية إلى جوار اللغة العربية ، كان ذلك الوضع قائما ، بالرغم من كون « المتروبوليتان الامبراطورى » أى قاعدة الامبراطورية وهى تركيا ، قد اعتنقت الاسلام ، وباسمه حكمت المنطقة ، حتى اتخذ السلاطين العثمانيون لقب الخلفاء ، ومن طبيعة الأمور أو من طبيعة الاسلام ، أن تدخل معه العربية ، لغة القرآن الكريم ، ولغة العبادة ، ثم لغة الثقافة المتفرعة عن علوم الدين ، والتى كان من شأنها ، أن تغزو اللغات الأصلية للشعوب غير العربية التى اعتنقت الاسلام ، فدخلت كثير من ألفاظ العربية .. اللغات التركية والفارسية والهندية ، وأصبحت تلك اللغات تكتب بالحروف العربية ، ومازالت تكتب بها الفارسية حتى الآن ، وتوقف الاتراك عن الكتابة بتلك الحروف بعد انقلاب أتاتورك على الخلافة ، واقتصرت الكتابة بها فى لغة الهنود ، على الأردية لغة المسلمين فى باكستان وبنجلاديش .

وقد اقترن مصرع الامبراطورية العثمانية فى المنطقة العربية ، بمحاولات القوميين الأتراك الجدد ، فى أواخر عهد الدولة ، فرض التتريك على المنطقة العربية ، وخاصة فى ربوع الشام ، بمعنى الاقتصار على استخدام اللغة التركية فى الدواوين ودور العلم ، واستبعاد العربية ، وعلق شهداء الدفاع عن العربية فى مشانق جمال باشا السفاح ، بمن فيهم بعض

من يتناسى لغته مصيره الزوال!

البارزين من نصارى الشام العرب ، وكانت مصر بمنأى عن تلك التجربة الأليمة ، لأنه كان لها مع الاستعمار البريطاني فى مصر قصة أخرى !

★★★

أما الامبراطورية الأمريكية ، فلم تكن لها مع اللغة المسيطرة مشكلة بالمرة ، فمن "حسن طالعها" ، وهى الوريث الأكبر للامبراطورية البريطانية الغاربة .. أنها كانت كبرى بنات تلك الامبراطورية ، وهى التى مهدت لها الطريق فى المنطقة العربية بسيطرتها عليها قبلها ، وفرض سطوة اللغة الانجليزية ، التى تنطق بها الأمتان أو الامبراطوريتان على الاصح ! وربما كان الاستثناء الوحيد هو المنافسة من جانب اللغة الفرنسية فى بعض أجزاء المنطقة العربية . ولكنه وضع صائر إلى زوال ، ولايحول دون انتشار واستكمال سطوة اللغة الانجليزية ، باعتبارها لغة التعامل الدولى ، ولغة التحصيل العلمى والتكنولوجى ، والاتصال بالثقافة العالمية .. الخ

ولا بأس أيضا من العودة إلى بعض "الذكريات" فى هذا الصدد : من ذلك أذكر أنه فى أعقاب ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ مباشرة . انتشرت فى مصر حمى التعريب ، فى شكل إزالة اللافتات المكتوبة بلغة غير العربية ، من الشوارع والميادين ، وأسماء المؤسسات والمحلات التجارية .. الخ وكان ذلك بقرار سياسى من مجلس قيادة الثورة .. وعليك أن تقارن الآن لتعرف مقدار التراجع !

أما عن التعليم : فأول صفة وطنية اكتسبها المغفور له سعد زغلول باشا ، أو أول بطولة وطنية له على الأصح ، كانت يوم أستطاع فى ذروة سيطرة الاحتلال البريطانى على مصر ، حينما كان وزيرا للمعارف العمومية ، فى وزارة مصطفى فهمى باشا فى أوائل هذا القرن ، أن يفرض أن يكون التعليم كله فى المدارس الأميرية باللغة العربية ، بأستثناء دروس اللغتين الأجنبيتين بالطبع ، وهما الانجليزية والفرنسية ، بعد أن كانت جميع المواد تدرس - بأستثناء دروس اللغة العربية - باللغة الانجليزية !

وعليك أن تقارن الآن ، وبعد الثورة أيضا ، وبعد إقرار مجانية التعليم ، وجعله كالماء والهواء - على حد تعبير المرحوم الدكتور طه حسين - والتوسع فى إنشاء المدارس .. وأكثر من ذلك ، بعد أتهام جمال عبد الناصر ، بأنه كان يسعى إلى إنشاء امبراطورية عربية قاعدتها مصر ! عليك أن تقارن وضع اللغة العربية إلى جانب اللغة الانجليزية فى دور العلم ، المدارس الأميرية باقية على حالها ، تعلم بالعربية ، ولكن الأولاد لايتعلمون فيها شيئا أو لايكادون يتعلمون ، لابالعربية ولابسواها . المستوى الأفضل ، المختار ، عند "أولاد الناس" هى مدارس اللغات .. الانجليزية أساسا ، وأكثر من ذلك لقد أصبح لدينا الآن دور حضانة لغات ، تحرص على أن يكون تعليم الأولاد البدائى جدا فيها ، ولا أقول الابتدائى ، باللهجة الأمريكية على وجه الخصوص ..

بسم الله ماشاء الله !!

ثم نتحدث بعد ذلك عن الوطنية وأستقلال الارادة .. الخ !

★★★

لقد أفاض كثير من الأدباء والكتاب فى موضوع إهمال اللغة العربية والاستخفاف بها ، على جميع المستويات الرسمية والاعلامية والثقافية والتعليمية ، بما لا أحتاج إلى الاضافة إليه ، وقد لا أستطيع

أن أبلغ مبلغهم لو حاولت .. هذا بالرغم من كوننا نجحنا ـ اسم الله علينا مرة أخرى ـ فى فرض أن تكون العربية إحدى اللغات الرسمية فى الأمم المتحدة !

ولكنى أبادر إلى ذكر أن هناك حمى جديدة تجتاح أقطارنا العربية الآن ، ربما يكون بعضها بحسن نيه ، اسمها حمى التراث الشعبى والفولكلور . قد لاتزعج أحدا على المستوى المحلى ، وليست جديرة بأن تزعجه ، ولكن النظر إليها على الصعيد القومى يبدو مخيفا أشد التخويف ، حينما نرى صحفا ومجلات خاصة تصدر أحداها فى الخليج ، والأخرى فى المغرب ، وهلم جرا ، وكل واحدة منها تحرص على أن تكون وعاء لما يسمى بالتراث الشعبى فى منطقة عربية بذاتها ، أو تصورها على أنها هى الثقافة الحقيقية لتلك المنطقة ، دون سائر اتصالها من خلال الفصحى بالثقافة العربية فى مجموعها . وتعجب أشد العجب ، حينما تسمع عن شاعر مثقف ، أى تعلم فى المدارس ويعرف الفصحى ربما أكثر منى ومنك ، ويكتب لنا شعره بالعامية ـ وهذا من حقه بالطبع ـ ولكن لا أحسبه صادقا فى دعواه بعد ذلك أنه من دعاة الوحدة العربية !!

أيها الناس ، على طريقة الخطباء ، لن تبقى لنا عروبة ولاوحدة ولايحزنون لوضاعت اللغة العربية ، بمعنى الفصحى ، بمعنى لغة القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف ، وملايين الكتب العربية فى كل علم وفن ، بما فى ذلك ترجمة الآداب العالمية ، وأربعة عشر قرنا من التراث الثقافى تحسدنا عليه الأمم ، وتضحك منا فى أكمامها ونحن نتفنن فى الزراية عليه وتضييعه ، عن طريق التراخى فى تعليم أولادنا العربية ، وبالعربية ، حتى يسيطروا عليه ويشعروا بالشخصية التاريخية لأمتهم .

بالطبع لم أدع أحدا يتعامل أو يتعلم أو يعلم أولاده بالانجليزية ، إلى طرح ذلك ، وأنا نفسى لا أستطيع ، ولكننى أدعو فحسب إلى إعطاء العربية حقها بأعتبارها لغة قومية ، أما الانجليزية فهى لغة قوم لو عرفناها فقد نأمن شرهم كما كان يقال فى الماضى ، ولكن ليس إلى حد أن نجلب على أنفسنا شر نسيان لغتنا ..

ثم أعود إلى قصة الامبراطورية ، وإنكشاريتها الجديدة :

الامبراطورية الأمريكية مستريحة تماما إلى سيطرة الانجليزية ، وتخريب الثقافة العربية ، على النحو الذى أعترف بأننى كنت شديد العجلة فى تفصيله ، والانكشارية الجديدة العاملة فى خدمة الامبراطورية لاتقل عنا فى قدرتها ـ بل تزيد بالطبع ـ على استخدام اللغة الانجليزية عند الضرورة .

ولكن اللغة الميتة التى بعثتها الدولة الصهيونية من مرقدها ، وأعنى بها اللغة العبرية ، تلقى احتراما داخل تلك الدولة ، لاتلاقيه العربية فى سائر بلادنا ، حيث يتعين على جميع اليهود ، وربما غير اليهود من سكان تلك الدولة ، أن يتعلموها ويتقنوها حتى يستطيعوا العيش داخلها .

على أن العربية تمثل سلاحا ماضيا فى أيدينا لو أحسنا أستخدامه فى الصراع التاريخى حول السيطرة على المنطقة ، وتحضرنى فى ذلك الكلمة التى حررها الزميل الأستاذ محمود قاسم فى عدد ديسمبر من العام الماضى ، على صفحات الهلال فى باب "العالم فى سطور" ، بعنوان "أيها العرب أتحدوا" ! لخص فيها قصة كاتب يهودى مغربى الأصل يعيش فى اسرائيل ، أصدر كتابا يصف فيه نفسه بأنه عربى فى الدرجة الأولى ، وأن المواجهة الحقيقية تجمع بينه وبين سائر العرب ، هو وكافة اليهود والشرقيين ـ إزاء اليهود الأشكناز القادمين من أوربا ، ويشعرون

من يتناسى لغته مصيره الزوال!

بأنهم من جنس أرقى من سائر سكان المنطقة الأصليين ، بما فى ذلك السفارديم ، أى اليهود الشرقيين !

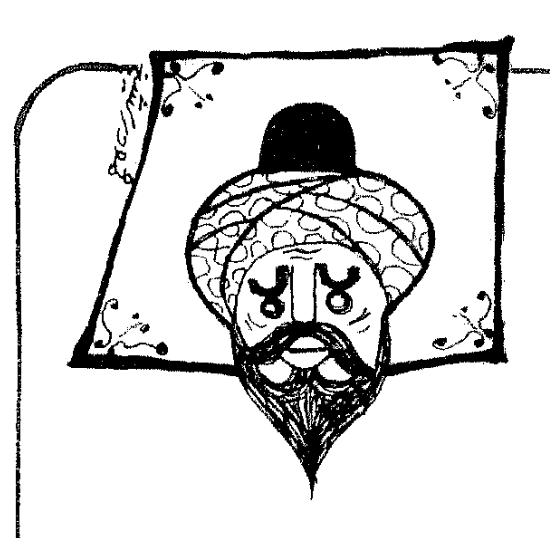
هل كان لهذه الصورة أن تقوم لها قائمة لو لم يكن ذلك اليهودى المغربى فى اسرائيل ، يشاركنا نحن العرب ذات اللغة التى نتكلمها وهى العربية ؟!

هل العروبة بهذا المعنى تعنى شيئا أكثر من التحدث بذات اللغة ؟ إننا نذكر اللغة العربية ، بأعتبارها واحدا من عناصر القومية العربية ، وهى توشك أن تكون جماع تلك العناصر وخلاصتها .

وبدهى أن إعطاء اللهجات العامية فضلا عن اللغات الأجنبية ، فوق ماتستحق من قدرها إزاء اللهجة الفصحى ، الجامعة لنا فى كل مكان يوصف بأنه عربى ، معناه اهدار المقوم الرئيسى لوجودنا كأمة تواجه مخاطر العدوان من كل جانب ، وتفتيت الارادة العربية هو سلاح رئيسى لهذا العدوان .

قد يصح القول أو لايصح بأن من تعلم لغة قوم أمن شرهم ، ولكن من المؤكد أن من ينس أو يتناسى لغة قومه إنما يرشحهد للزوال ..

ونحن أولى الجميع بأن نعتبر !



البادى أظلم

دخل ((شريك بن الاعور » على معاوية فى خلافته • وكان « شريك» دميما قبيح الوجه ، فقال له معاوية:

ـ انك دميم ، والجميل خير من الدميم • وانك شريك ، ومالله من شريك• وان اباك الاعور، والصحيح خير من آلا ور • فكيف سدت قومك؟ فقال له ((شريك » :

ـ وانك معاوية ، ومامعـــاوية (الاكلبة عوت فاستعوت الآلاب • وانك ابن صخر ، والسهل خير من الصخر• وانك ابن حرب ، والسلم خير من الحرب • وانك ابن امية ، وما امية الا امة فصغرت ، فكيف صرت اميرا للمؤمنين ؟

فقال معاوية : « حسبك ياشريك • واحدة بواحدة والبادى اظلم ! ..



"شقة للإيجار"

● علق أحد أصحاب المنازل على بيته لافتة كتب عليها "هنا مسكن للايجار ، ولكنه لا يؤجر الا لشخص واحد عزب ، أو لزوجين ليس لهما اطفال" . وبعد قليل جاء الى صاحب المنزل صبى فى الخامسة من عمره ، وقال له بعد أن حياه : "أريد أن أستأجر هذا المسكن الخالى ، وليس عندى اولاد ، فانا عزب وأسرتى تتألف منى ومن شخصين كبيرين هما والداى !" ثم هرع نحو الباب واشار الى والديه بالدخول وقدمهما لصاحب البيت . فلم يسعه الا ان يؤجر لهم المسكن !

اللحوم والورق

● مرت على مدينة لندن خلال الحرب العالمية الثانية فترة من الزمن عانت فيها ازمة شديدة فى كل انواع الورق . وكانت أكثر متاجر اللحوم هناك تضع على واجهاتها لافتات كتب عليها : "نرجو من حضرات الزبائن احضار أوراق للف مشتراوتهم" . وقد انعكست الآية بعد الحرب فقلت اللحوم فى العاصمة البريطانية الى درجة كبيرة تبعا لقلة الوارد منها فى حين زالت ازمة الورق . فأعلن احد الجزارين الظرفاء لافتة على متجره كتب عليها : "لدينا الآن مقادير وفيرة من اوراق اللف . نرجو من حضرات الزبائن أن يحضروا معهم اللحوم !"

كـــذب

● تقضى التقاليد عند بعض الطوائف الهندية بتحريم الكذب الا فى حالتين إطراء المرأة ، أو إنقاذ حياة !

الخطر بعيد

● نزل احد الصيادين الاجانب ضيفا ذات ليلة على احد زنوج اواسط افريقيا . فلما إصبح سأل مضيفه : "هل من خوف على امتعتى اذا تركتها فى فناء الكوخ ؟" فاجابه :

ـ اطمئن تماما على كل ما تتركه هنا ، فبيننا وبين أقرب رجل ابيض مالا يقل عن مائة ميل !

منعا للظنون

● دعى قروى من الاثرياء هو وزوجته الى حفل زفاف بالمدينة . واتفق ان جلس فى الحفلة بين زوجته وسيدة من حسان المدينة الفاتنات .. فلاحظت زوجته أنه يختلس النظر الى جارته فى اعجاب شديد ، ولكنه لايجرؤ على التحدث اليها . وكظمت الزوجة الريفية غيظها منه ، ثم همست فى أذنه قائلة :

ـ تكلم معها ولو كلمة واحدة .. والا ظنوها زوجتك !



فى أدب عبد الرحمن الشرقاوى

بقلم : عبد المنعم الجداوى

•• سوف تبقى رواية ((الارض)) التى كتبها عبدالرحمن الشرقاوى فى مرحلة فتوته الادبية . تحتوى احشاؤها على جرائم عديدة . شغله عنها حين كتابتها ، الهدف الذى كان يسعى اليه محاولا ابرازه ، والتركيز عليه . متجاوزا فى الوصول اليه . كل ما يعترض طريقه .. فقد سيطر عليه ، وأضاء جوانحه . يلقى بنفسه على ما حوله ، ينتقل منه الى اشخاص روايته وأبطالها ، يكشف عن خفايا ودقائق حياتهم ، ويضعهم امام حقائق تعز عن مفاهيمهم ، وتجل عن ادراكهم .. فقد كان القلم فى يده قويا حادا كالفاس فى يد الفلاح .. يدفعه فى الارض فيقلب عاليها سافلها . يكشف عن الاعماق الطيبة التى غطاها التراب ، وعفت عليها الشوائب ، واقدام الادميين ، والحيوانات . فيتعرض بطن الارض للشمس والهواء .. ويتهيا لاستقبال البذور القليلة ، ليعيدها خيرا كثيرا ، وقلم الشرقاوى ازداد بعد ذلك قدرة ، واقتدارا ، ولكنه اصبح كالمبضع فى يد الجراح .. وشتان بين الفاس والمبضع ..!

• جريمة قتل « خضرة » فى الأرض سوف تظل بلا مجرم الى الأبد .. !

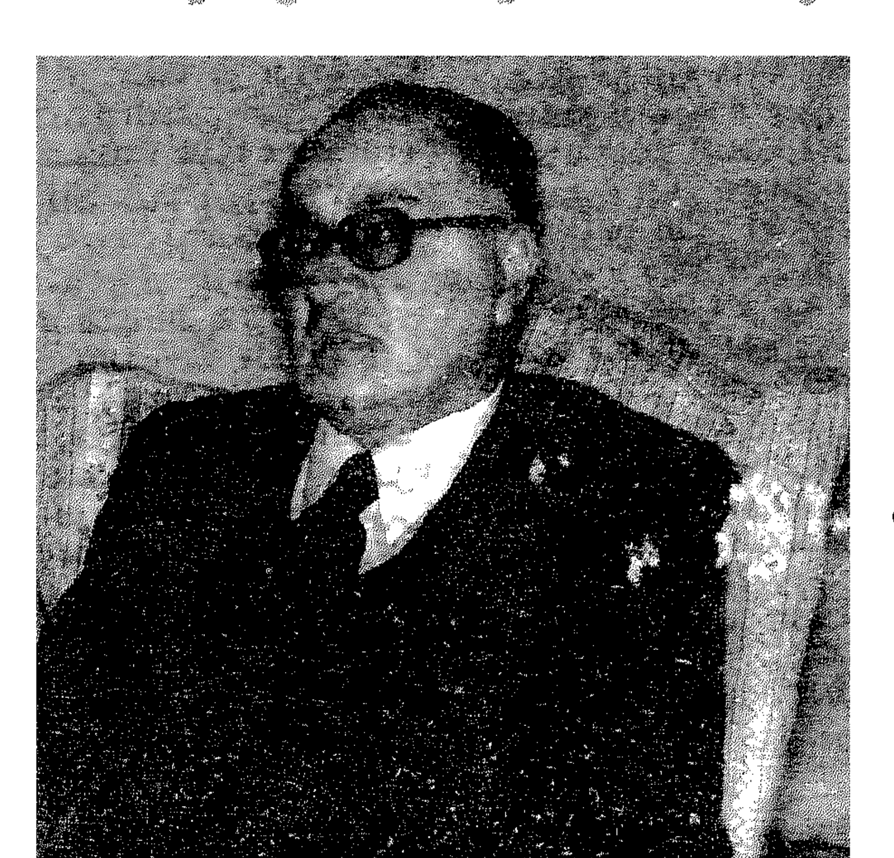
ومن هذه المساحه ، وهذا الفـرق ، جاءت الجريمه في روايه « الارض » على مستويين . المستوى العام ، وهي الجريمه العامه التي يرتكبها الذين لهم قدره فاعلة تربط بينهم مصالح مشتركه . ضد جماعة مستضعفه . بحكم وضعها الاقتصادي والاجتماعي . ضيقة الرزق ، والعقل ، والفهم ، وهي جريمه لهـا صفة الاستمرار . لا زمان لها ولا مكان .. فكما شهدها « الشرقاوى » في قريته في الثلاثينات . شهدناها جميعا ..وشاهدها الاجداد ، والاباء ، وقد يشهدها الاحفاد. طالما في الوجود فئة لا تعـرف سوى العمل في الارض ، واخرى تتفنن في استغلال ما عليها من آدميين ، ودواب..!

« فمحمود بك » ابن انجه هانم . مجرم يمارس من خلال وجوده ، وضحاياه هم أهل القرية جميعا ، بلا تمييز ، وجريمته مدعومة بمعاونة الحكومة التي جاءت عقب انتخابات زيفت بمختلف الطرق ، واكره الناس فيها على انتخاب حزب الشعب ، والعمدة مجرم عـريق الاجرام . أدمن طاعة الحكومة ، والانصياع للسلطة ، وتنفيذ أوامر من يشغلون المناصب العليا ، وهي بالضرورة ضـد الذين يعملون في الارض ، وادمانه هذا جعله يمضي المدة يكره الفلاحين ، وكرهه الفلاحون ، وحرض الخفراء لانهم أدواته على كراهية الفلاحين . لكن بعضهم عجز عن كراهية الفلاحين لانهم اهـله . اخواله ، واعمامه .. فكره نفسه ، وعاش في صراع ..

● جريمة مظاومة يقبلها مظاليم ●

ويسوق « الشرقاوى » الجريمة الكبرى ضد الفلاحين ، ويعين المجـرمين الذين قاموا بارتكابها ، ويدمغهم طوال الرواية،

● القرية كلها اشتركت في قتل « خضرة » حية وميتة ..!!



عبد الرحمن الشرقـاوى

الجريمة

فى أدب عبد الرحمن الشرقاوى

ويشير اليهم ، لكن لا يلقى القبض عليهم ، لانهم يمارسون الجريمة بشكل قانونى رخيص . فالعمدة يستخدم المدرس الالزامى « محمد افندى » ، والشيخ « الشناوى » فى جمع الاختام من الفلاحين . يوقع بها على شكوى يوهمهم « محمود بك » انها لتنظيم ايام الرى فى الترعة ، وهى فى الحقيقة موافقة منهم على مد الزراعية التى ستربط قصر الباشا بالطريق السريع ، وتاخذ من اراضيهم ماتاخذ .. رغم انها تتلوى كالثعبان حتى لا تمس ارض العمدة او بقية الحكام .. ! وتتداخل جريمة جمع الاختام ، استغلال جهل الفلاحين ، وتتصاعد مع كل صفحة من الرواية ..!

وعلى المستوى الشخصى تجىء جريمة قتل تذهب ضحيتها « خضرة » تلك المرأة التى وجدت ذات صباح ، ووجهها مدفون فى طين الترعة .. ولم تدهش القرية . لم يحزن احد . لم تذرف دمعة عليها من عين .. لم تصب القرية برجفة .. ولا حتى احست بالذنب .. الكل يقول ماتت خضرة .. وجدت مقتولة ، ووجهها فى الطين .. وقال العمدة لابد ان النوبات التى كانت تفاجئها فاجأتها وهى تغسل وجهها من الترعة .. فسقطت وانغرس وجهها فى الطين فماتت ..! هكذا سقطت « خضرة » من وجود القرية ، وهى التى كانت تملأ حواريها ، وأزقتها بوجودها . فهى ترقص فى الافراح دون دعوة ، وتبكى فى الجنازات بكاء حارا . كانها تبكى على حياتها .. فهى نبات شيطانى . كل ماكان لها فى القرية من اهل هى خالة . تركتها فى العاشرة ، واختفت من القرية على اثر فضيحة .. وعاشت الفتاة تعمل فى الحقول اياما ، وفى البيوت اياما اخرى .. ولكن بين البيوت والحقول كبرت ، واستدار جسدها ، ولم يمهلها المراهقون ، والرجال ، والشيوخ ايضا . حتى تكتمل. فاقتنصها منهم من استطاع اقتناصها ، وحملوها هى كل الوزر فهم يصدونها عن بيوتهم ، وعن الكلام مع بناتهم ، ونسائهم ، ولكن الحريم لا يشبعن من كلامها وهزلها ، يقلن عنها انها بنت حظ ، « وضاربة الدنيا صرمة » .. مع ان الدنيا هى التى تضربها كل لحظة الف « صرمة » .. !!

والان ((فخضرة)) الى الرواية جريمة الماضى ، والحاضر ، والمستقبل .. فاهل القرية جميعا اشتركوا فى قتلها . الظلمة والمظلومون . حتى الشيخ ((الشناوى)) عريف الكتاب الذى يقرأ ((عدية)) يس للمظلومين ضد الظلمة ، و ((محمد ابو سويلم)) كبير المظلومين ، و ((عبد الهادى)) قوة المظلومين ، والشيخ يوسف . طالب الازهر الذى شارك فى ثورة ١٩١٩ ثم طرد من التعليم، وافتتح ((بقاله)) يسرق من حلالها اهل العزبة باسم التجارة ، و ((محمد افندى)) المعلم الالزامى ، بل هو كان من اوائل الذين أهدروا آدميتها، وكذلك شقيقه ((دياب)) .. كل القرية شاركت فى قتل ((خضرة)) حية قبل أن يعثر عليها ميتة فى الطين .. !

ان المصير الذى لاقته « خضرة » . كان يمكن أن يكون مصير خالتها . لولا أن الخالة هربت الى « القاهرة » ، وبعد سنوات . عرف بعض اهل القرية مكانها ، وقالوا انها صاحبة « بار » فى شارع كلوت بك ، وانها أصبحت تلعب بالفلوس ، وتحمل الذهب فى كل أعضاء جسدها الظاهرة .. وحاولت « خضرة » أن تلحق بخالتها .. لكن الذى كان



وصيفة وعبد الهادى
الحوار فوق الأرض

● قرية المظلومين ..
كانت أيضا قرية ظالمة .. !

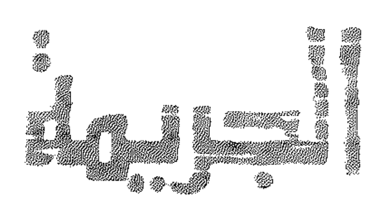
ينقصها هو اجرة القطار الى القاهرة ، ولمن ملابس عليها القيمة تصلح لغزو القاهرة .. ولكنها قتلت قبل أن تدخر اجرة القطار أو تشتري الفستان ..! بعد أن تحولت تحت سمع اهل القرية ، وبصرهم ، وبمعرفتهم الى « بغى » ..!

جرى ذلك امامهم ، وشاركوا فيه . دون أن تتحرك في أحدهم نخوة! وتظهر عليه ذرة شهامة .. كأنهم لطول عشرتهم للظلم ووطأة الظالمين على رقابهم . نسوا العدالة ، وخلعوا عنهم كل المشاعر النبيلة ، وفقدوا آدميتهم المهيضة ..!

القرية ضالعة في الجريمة ، ورغم ذلك فهى مجنى عليها من « محمود بك » ومن « العمدة » ، ومن « الحكومة » .. لكن بواعث الجريمة هنا ودوافعها .. تختلف تماما عن البواعث ، والدوافع هناك .. لكن الجريمة هي الجريمة ..!

ان قاتل « خضرة » تغافل عنه المؤلف. كما تغافل عنه أهل القرية ، وهو لابد ان يكون صاحب مصلحة في أن تموت « خضرة » وأى مصلحة سوف تكون لدى « خضرة » . لاى ضائع من الضياع الذين نعرفهم . انها تتعامل مع الضياع منذ أن أصبحت انثى ، ولم يحدث أن قتلها أحد .. لكن هذه المرة اذا سرنا مع الغرض الجنائى . فهى لابد أن تكون تعاملت مع أحد الذين لهم في القرية من مكانة يخاف عليها ، هددته أو خشى ان تتباهى بصلتها به وهي لا تهدد بطبعها . فقتلها أو استأجر من يقتلها له . لتظل مكانته حيث يريدها عند أهل القرية .. !

« لعبد الهادى » ، و « محمد افندى » ، و « دياب » شقيقه ، وحتى « محمد ابو سويلم » ، « والشيخ يوسف » صاحب الحانوت .. الجميع



في أدب عبد الرحمن الشرقاوي

ربطت الاشاعات بينهم وبين « خضرة » فهل يمكن ان يكون الجاني « أحدهم ..!

ام انه « شعبان » المجذوب .. الذى يستخدمه « العمدة » فى استعمالات شتى ، هو الذى قتلها ..!؟ وهو شخصية مشبوهة .. سبق له أن اتهم بالقتل .. وهرب ، ولم يحقق معه .. ثم اختفى عدة سنوات ، وعاد وعلى رأسه عمامة « خضراء » .. يهذى بكلمات كالدراويش .. لكنه يبدو عاقلا عند اللزوم .. وقد دفع به « العمدة » الى صفوف القرية . ليكون عينه على كل الرجال الذين يناصبونه العداء،ويحطمون أوامر الحكومة ، ويعصونه علنا . لا يستهدفون سوى اسقاط هيبته ، والسخرية منه ، واستطاع هذا الدرويش المزيف ، لا ان ينقل « للعمدة » كل شىء فحسب ، بل نجح فى أن يمشى بالنميمة بين اكبر رأسين دوخا « العمدة » هما « محمد ابو سويلم » و « والشيخ حسونة » حضرة الناظر . الذى جاء القرية ليعاونها فى معركتها ضد الحكومة ليوقف الزراعية التى سوف تجتاح ارضهم . ولكي يساهم فى تنظيم ايام الرى من الترعة .. لولا انهما اكتشفا الخدعة فى اللحظة الاخرة ..

ورغم أن « شعبان » ، عرف عنه انه يكمن فى الاذرة . حتى اذا ماراى امرأة وحيدة . هاجمها ، وجرها الى داخل الحقل ، واعتدى عليها ، واللواتى هربن من يده ، وقاومنه أذعن ذلك عنه ،

وقد يكون اغراه ماسمعه من « خضرة » بأن يهاجمها . لقاومته لخنقها فقتلها ، الا ان القرية لم تجرؤ على توجيه التهمة اليه ، ولا حتى من باب الاشتباه .! لماذا ..!؟ لانهم يعرفون جميعا أنه فى حماية العمدة ..!

غير ان « العمدة » عندما دس «شعبان» على القرية يمتص اسرارها بالتصاقه بهم ، وافتعل صداقة مع « علوانى » العرباوى . فاعترف له الاخير انه هو الذى سرق غلال العمدة من مخازنه ، وباعها للشيخ « يوسف » .. أضمر العمدة الشر « لعلوانى » ، والقى عليه القبض بتهمة قتل « خضرة » ، ولم يفتح « الشيخ يوسف » فمه لا هو ، ولا غيره من كبار المظلومين فى القرية .. لكن النيابة أفرجت عن « العلوانى » بعد أيام .. وعاد الى القرية ..!

وهنا يقفز السؤال الذى يطرح نفسه فى مثل هذا الموقف .. هل من حق المظلوم ان يظلم الاخرين ..؟ وهل العبارة التى تقول ((المساواة فى الظلم عدل » عبارة سليمة المعنى ، والمغزى . ؟ لا اعتقد أبدا أن زيادة رقعة المظلومين تصبح عدلا . لكن العكس هو الصحيح. وان قليلا من العدل يمكن أن يرفع بعض العبء عن الاعناق التى احناها الظلم ، ولم يغفر لاهل القرية انهم ظلموا ((خضرة)) . لانهم لم يعرفوا طوال حياتهم لحظة عدل ..! بل كان اجدر بهم وقد ذاقوا طعم الظلم ومرارته الا يذيقوه لغيرهم .. كسكوتهم على ظلم ((العلوانى » مثلا .. ؟

أما ((يوسف)) البقال . فهو رغم بدايته الازهرية الطيبة . الا أن ممارسته للتجارة ووجوده فى القرية . حوله الى لص . يحمل فى جوانحه نية السرقة لجمهور القرية بصفة مستمرة ، ولا يهمه سوى أن يضع القرش على القرش ، والجنيه على الجنيه . لعله يسترد ارضه التى رهنها عند « محمد أفندى » . و «محمد أفندي » يحمل نفسية طماع . نهم الى

● الظلم أفقد المظلومين آدميتهم وانسانيتهم . فظلموا بعضهم بعضا .. !!

المال ، والى النساء . لا تسلم امـــراة من نظراته الوقحة سوى أمه ، وقبـــل ان يختتم « الشرقاوى » الرواية يحـــوله الى انسان . يتصرف نحو المحبوسين فى حجرة التليفون بكل نبل ، واخـــلاص ، وكذلك يقف من « وصيفة » وأمها الموقف الذى يجعل الجميع يثنون عليه .. وهى يقظه عاجلته بعد فجيعته فى أحـــــلامه التى كان قد بناها على « محمود بك » ابن « انجه هانم » وبعد القبض عـــلى شقيقه مع « محمد أبو سويلم » ؛ و « عبد الهادى » ، و « علوانى » عقب اعتدائهم على « الصول » ،وهم يحاولون مساعدة « أبو سويلم » فى جمع قطنه . قبـــل ان تدهمه فئوس عمال المقـــاول الذين يمهدون للزراعية ، وقد نزهـــت ملكيته ..!

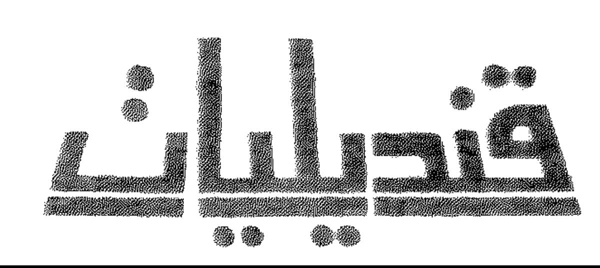
فجاة شعر « محمد افندى » بانه ينبغى ان يصحح مساره .. فهو سواء رضى أو لم يرض . مرتبط بأهل قريته،أعمامه، وأخواله . أما « محمود بك » فهـــو شخص لا يخلص الا لمصلحته فقط ويكفيه منه انه ورطه فى جريمة جمع الاختـــام لتوقيع العريضة ، وحتى يستعيد بعض احترامه لنفسه الذى نقده ، ولتجفف من أعماقه الشعور بالذنب الذى تضطرب به .. فانحاز الى الخير ، وكان هـــذا الموقف الاخير ..!

وتبقى بعد هذا كله . شـــــخصية « شعبان » التى أرسلها « الشرقاوى » وتركها تهرب من القرية مرة أخرى . بعد ان انكشفت جرائمه ليلة القـــــاء حديد الزراعية فى الترعة .. دون ان يلقى الجزاء الذى يجب ان يلقاه مثله ، فهو ليس مجرما . فقط ، بل هو جريمـــة مستمرة تسير على قدمين . هارب من احكام . يكسب عيشه بكافة الوسائل غير الشريفة . يترصد بالنساء ، ويهاجمهن ماوجد الى ذلك سبيلا ..!

اعتزله الناس ، وعزلوه عنهم ، رفضته القرية فهرب منها منذ سنوات ، ولكن ظل وحيدا مرفوضا حتى من الناس الذين ذهب اليهم . وضاق بالوحدة . أحس أنه احتال على القانون ، وافلت مـــن العقاب . لكنه . سجن داخل نفسه . فترك « شعبان » القديم ، وارتدى ملابس « درويش » مزيف . هربا من الوحدة . لكنه فى عودته الى القرية .. أحس بالعزلة من جديد .. فقد كان الشـــر مازال يسكن أعماقه ، ولعله بعـــد ان خرج من الترعة بعد ان القاه فيهـــا « عبد الهادى » .. مضى فى الظلام الى قريه أخرى .. يبيع فيها دروشـــته ، ونصبه على آخرين لا يعرفون ماضيه ..!

وظلت جريمه مقتل « خضرة » بلا فاعل يقبض عليه ، وينال الجزاء الذى يستحقه مثله .. القرية كلها سكتت ، والعمدة سكت ثم مات ، والمركز كان مشغولا فى استقبال وزارة حزب الشعب ، والقرية برجالها مشغولة فى حكاية الزراعيـــة ، والمؤلف شغل بالاحيـــاء عن القتيلة ، وضاعت دماء « خضرة » هدرا ، وسوف تبقى جريمة « خضرة » بلا مجـــرم الى الابد .. !!





بقلم : يحى حقى

الزى الشعبى

اشتهى للشباب المثقف الذى يحب وطنه ويتلهف على الاحاطة بتاريخه وبالاخص فى العصر الحديث الذى ينتمى اليه ان يشغف بهواية اتعشقها، انئى اتجاوز كلام المؤرخين واجرى وراء البحث عن صور فوتوجرافية تسجل وتشهد بما ترى على امتنا العربية ، من اثر وقوع ظلال من الحضارة الغربية عليها ، ابتداء من عصر محمد على .

أحب ان اتامل الصور التى رسمت لبعض أطباء القاهرة كما كانت قديمة : قصر عابدين قبل ان يقام له سور حديد سيحطم أحد مصابيحه ذات يو مشئوم .. حديقة الازبكية أيام زمان .. شارع عدلى « المناخ سابقا » وقد حفت به الاشجار على الجانبين .. الزمالك وليس به بيت يعلو عن طابقين أو ثلاثة ، ولكن غاية متعتى ان اعثر على صور الناس الذين كانوا يعيشون يوم ذاك لاتامل ما طرأ على زى الشعب .

فنتامل عمامة محمد على ، وطربوش ابراهيم ثم سعيد واسماعيل وطربوش نوبار باشا ، ثم طربوش توفيق الحكيم الذى كان يلبسه بجانبى بمدرسة الحقوق « قصير جدا » .

كم عدد العمائم التى حضرت حفلة افتتاح قناة السويس ، تدل احدى الصور على ان الاغلبية العظمى كانت للطرابيش ثم توالى انحسار العمامة لصالح الطربوش وطغت على طلبة دار العلوم ، ثم بقية المعاهد الازهرية.

اما زى الناس فى الشوارع فكان خليطا لا حد له ، الزى الغالب طبعا هو الجلابية مقلمة أو غير مقلمة ، وعلى الراس طاقية من نفس قماش الجلابية مستديرة أو على شكل قمع ، وقد تكون بيضاء ، وهى تدل اذا كانت مزهرة على مدى حرص الزوجة على كرامة زوجها ، وطاقية من الشبيكة وهذه الطاقية تتردد فى اغانينا الشعبية الى اليوم من قولة : «الغاوى ينقط بطقيته»و«يا ابو الطاقية مزهرة » .. دع عنك طاقية الاخفاء .

وعلى الجلابية احيانا « زاكيت » او معطف من القماش ثم يجىء دور القفطان الازهرى ، وفوق الراس

عمامة او أحيانا طربوش ولا اعــرف الا رجلين اثنين لبسا البرنيطة همـــا محمود عزمى الســياسى العظيم الذى كان يمثلنا في الامم المتحدة وكانت له مساهمة جليلة فى تقنين بعض مبادئها، وشاب اخر من عـــائلة الشريعى كان يجلس معنا فى قهوة فينكس بعمـــاد الدين .

ثم بعد ثـورة ١٩١٩م والبحث عن الذات صار سؤال .. هل لنـــا زى قومى ؟ أو لماذا لا يكون لنا زى قومى كبقية الشعوب ؟

اننا نرى اهل برمة يجوسون خلال اوروبا وهم يلبسون شيئا اشبه بفوطه الحمام ولا يخجلون ، وذهب غـــاندى الى بلاط « سان جيمس » وهو يلف على بدنه ملاية سرير ، فلماذا نخجـل نحن من العمامة والجبة والقفطــــان او من الطربوش .

وتركز الاهتمـــام على الطربوش فتمســـك به بعض المصريين وهم قلة نادرة اذا سافروا الى أوروبا بلبسه ، كما تمسك به الملك فؤاد فى رحـــلاته الرسمية ، وهذا ما لم يفعـــله الملك فاروق من بعده .

اما بقية ابناء المدارس فاثـروا أن يلبسوا البرنيطة وهم فى اوروبا ، بل هذا ما فعله رجال الوفد المصـرى الى باريس للمطالبة بضرورة الاعتـــراف بحق الشعب المصرى فى الـــــوجود متميزا عن غيره .

لم اعثر مع الاسف على صـــورة للافغانى ومحمد عبده فى باريس أيام « العروة الوثقى » ولكن الشيخ محمد عبده تعرض للتشـنيع ذات يوم واتهم بانه لبس البرنيطة وهو على ظهـــر سفينة .

ثم قامت ثورة يوليو سنة ١٩٥٢م فقضت بعد قليل على مطلب « الــزى القومى بالغاء غطاء الراس واصــبح الجميع حاسرى الرءوس ولا ادرى هل كانت الثورة متاثرة بما فعله مصطفى كمال . بالغاء الطربوش بل باصدار قانون يقضى باعدام كل من يلبســـه وقد اعدم بالفعل رجل فى قلب الاناضول لانه اصر على لبس الطربوش .

واصبح الزى الغالب على ابنائنـا أولاد المدارس بنطلونا وقميصا اغلب السنة بنصف كم والراس عـــــار ، والغريب اننا حينما اصبحت رءوسنا حاسرة ، وذهبنا الى اوربا وجدناهـا قد سبقتنا ، فقد إختفت القبعـــة من الشوارع بعد أن كان غطاء الـــراس دليلا على الطبقة الإجتماعية ، والعمال يلبسون الكاسكيت ، ويانف لبسها من هم أعلى منهم درجة كأنها وصمة ..

اما الطبقة الوسطى فتلبس برنيطـة من الجوخ ولهم انواع اخـــرى من القبعات يلبسونها فى بعض المناسبات كالقبعة الشـــــامة التى تلبس مع السموكن ، والقبعة العالية التى تلبس مع الفراك وقبعة عالية تطوى كالمنفاخ عند الذهاب الى الاوبرا .

كرنفال فى مصر ، وكرنفـــال فى اوربا ثم طوية صفحته ولا ادرى هل كسبنا توحدا ام خسرنا متعة التفرج على هذا الكرنفال ..

كم اتمنى ان ينشأ عنــدنا متحف للازياء يخدم الحركة الثقافيـــــة والمسرحية ودراسة التاريخ كما هـــو حادث بمعظم البلاد المتمدنيه ..



بقلم : د. محمد وجيه الصاوى

طالعتنا مجلة ((الهلال)) الغراء بمقال تحت عنوان ((العقاد بين الكفر والايمان)) بقلم الاستاذ / محمد سيد كيلاني - في عدد يناير ١٩٨٦ .

ولقد جاء في المقال عبارات واحكام ينبغي ان نرد عليها احقاقا للحق من منطلق الامانة العلمية والموضوعية حتى لا يصبح رجال الفكر والادب ، ومن هم في ذمة التاريخ، موضع هجوم وتجن ، تعصف بهم الاقلام ، وتنبش قبورهم بالفاظ لا يصح ان نلصقها بمفكري الاسلام ، وخاصة العملاق عباس محمود العقاد .

فاذا سمحتم لي أن أرد على ما جاء في المقال - حيث انني من المهتمين بكتاباته ، وحفيد في مدرسة العقاد ، صناعتي ليست الادب والنقد ، ولكنها التربية وفلسفتها .

بدأ الاستاذ محمد الكيلاني مقاله بعبارة (كان العقاد في مطلع حياته ملحدا زنديقا يقول بالتعطيل ، وينكر النبوات ..).

فماذا يعني الكاتب بكلمة تعطيل ؟.

هي في لسان العرب بمعنى تفريغ، وتعطيل الحدود : الا تقام على من وجبت عليه .

فما اظن أن النصوص التي أوردها الكاتب - على لسان العقاد - تعني انه اراد تعطيل حدود الله ، والصورة التي قدم بها الكاتب مقاله . ودعم فيها فكرته ، معظمها هجوم على العقاد . أخلاقه وأدبه ، ففي ثناياها اتهام للعقاد بأنه ليس مخلصا وليس عنده وفاء لمن يقدم له العون والمساعدة ، حين قال : « وكان محمد فريد وجدي يعطف على العقاد الذي كان يعاني الفقر وسوء الحال ، وقد أصدر « محمد فريد وجدي » دائرة معارفه وخصصه لاثبات وجود الله . فانبرى العقاد للرد على « وجدي » وتسفيه ارادته .. » .

وفي موضع آخر يقول : « كان العقاد يحرر في صحيفة « الدستور » لصاحبها « محمد فريد وجدي » وكان من الطبيعي بعد أن كتب هذا المقال أن يطرده صاحب هذه الصحيفة فاصبح متشردا لا يجد ما يمسك الرمق .

فاراد ان يتصل بلطفي السيد رئيس تحرير « الجريدة » ، وكان هذا ملحدا يأوي اليه الملحدون ، واخذ يتقرب اليه بالمقالات الالحادية » .

اولا : فليعلم الكاتب أن العقاد لم يكن طيلة حياته أسير المادة ، او متملقا لأحد فهو أسير كرامته وكبريائه ، لا ينافق ، يعتز برأيه ويدافع عن حرية الكلمة ، فما كتبه العقاد ليس الا ما يمليه عليه فكره الحر ، دون أن « يعض » اليد التي امتدت لمساعدته .

ثانيا : كلمة أصبح « متشردا » لم ترد في لسان العرب ، وأرفض وصف العقاد « بالتشرد » فالمعنى في لسان العرب : شريدا ، طريد لا يؤوى - والتشرد : الطرد ، وشرد الجمل شرودا : ذهب مطرودا ، وأشرده ، وشرده ، طرده ، فمن أين اتت كلمة متشرد اذن ؟.

وهل يصح أن نصف العقاد بشيء ليس فيه ؟.

ثالثا : لم يطرد محمد فريد وجدي -

العقاد مؤمنا لا كافرا !

رئيس تحرير الدستور ـ العقاد بسبب كتاباته واليك الدليل .

« كتب العقاد فى « الدستور » حتى العدد الاخير منه .. وقد اضطرت الصحيفة الى التوقف بسبب العجز المالى ، ولقد عم الصحفـجو من الكساد والكآبة اثر صدور قانون المطبوعات الجائر عام ١٩٠٩ » .

ويقول العقاد : « بقيت فى تحرير « الدستور » حتى فرغنا من كتابة الكلمة الاخيرة فى عدده الاخير ، وقد مضت علينا قبل احتجابه اشهر ونحن نعلم اننا نكتب الاعداد الاخيرة ، وان كنا لا نعلم ايهما يكون الاخير الذى ليس بعده اخير .. وابت المروءة على صاحب الصحيفة ان يماطل احدا من أصحاب الديون عليها أو اصحاب الاجور فيهما بدرهم واحد » .

وفى « الدستور » كانت للعقاد سلطة شبه مطلقة فى عمله على الرغم من انه كان فى الثامنة عشر من العمر ، وقد وضع نصب عينيه أن ينتهز هذه الفرصة ليكتسب سمعة بين الادباء وليبنى مكانه بين الصحفيين . ولم يحاول محمد فريد وجدى قط أن يفرض على العقاد رأيا فى قضية من قضاياها بغير الاقناع أو السكوت ، وكانت مخالفة العقاد لفريد وجدى اكثر من موافقته له فى القضايا الفكرية والسياسية ، ومع ذلك فان « فريد وجدى » لم يغير كلمة كتبها العقاد لمخالفته لرأيه ولو كان الخلاف على مسألة من مسائل الاصول . هذه هى الحقيقة .

فمتى طرد فريد وجدى العقاد من « الدستور » ؟ .

رابعا : والعقاد بعد أن أغلقت جريدة الدستور ـ كما ذكرنا ـ لم يذهب الى لطفى السيد صاحب « الجريدة » كما قال الكاتب .

كان العقاد فى نحو العشرين من عمره فاخذ يبيع كتبه على دفعات ، يقتات من ثمنها ، وفى غمرة اليأس هذه ، توقع العقاد الموت او حتى رجاه ، ووضع كل امله فى نشر اول كتبه « خلاصة اليومية عام ١٩١١ » الذى قام « جورجى زيدان » بنشره . ولكن يبدو أن النجاح الذى لم يتوقعه لهذا الكتاب ـ حيث نفدت طبعته فى اقل من ستة شهور .. قد كفلت له اجتياز تلك الازمة . وقضى العقاد بالاسكندرية شهرين ثم عاد بعدها الى القاهرة يكتب بالاجر بعض فصول الكتب المترجمة وبعض المجلات من مجلة « البيان » ويتلقى بعض المعونة من أهله (١) .

ومن حسن الحظ ان الانتظار لم يطل به هذه المرة ، فقد تم تعيينه فى ديوان الاوقاف عام ١٩١٢ ، واستمر عمله فى الديوان حتى عام ١٩١٤ ، . حين انتقل الى « المؤيد » لكى يشرف على تحرير الصفحة الادبية بها (٢) . وكان « المؤيد» يزدهر أبان نشاط صاحبه «على يوسف» الذى أصابته نكبة قاسية ، وتراكمت عليه المشكلات حتى ترك « المؤيد » وما لبث ان استقال العقاد من العمل « بالمؤيد » فى عام ١٩١٤ م . ليعود الى أسوان يؤلف الكتب الاتية :

« ساعات بين الكتب » ، « داورن» ، ومذهب « نيتشه » فى السوبرمان ، و « الانسان الثانى » ورسالة « مجمع الاحياء » ثم يعود الى القاهرة للعمل بالتدريس ، ثم يلتحق بالعمل فى جريدة « الاهالى » بالاسكندرية ، ثم يكتب فى الاهرام .

فلا أعتقد أن اتصال العقاد بلطفى السيد من أجل استجداء المال أو حل المشكلة المادية على حساب مبادىء العقاد وكرامته ، وسلوكياته ، وما ذكرته يوضح

كيف عالج العقاد أزمته المالية بكل كرامة .

خامسا : ان اتهام العقاد بالزندقة والالحاد ذنب ، فلا يصح أن نكفر مسلما، مهما كانت كتاباته في زمن مضى ، فان مسالة العقيدة والايمان هي علاقة بين الانسان وربه ، وليس لبشر أن يحكم على الاخر بهذه الفرية التي يتحمل وزرها والعقاد ـ كمفكر وباحث فيلسوف ـ لم يخل من رشاش هذا الاتهام يوجهه الناس ظلما اليه ، كما وجهوا مثله الى سائر المفكرين المعاصرين كالدكتور مصطفى محمود والفلاسفة السابقين كالامام ، ابي حامد الغزالي ، « وقد تاثر الكثيرون بما ذاع عن فتور في عقيدة العقاد الدينية » (٣) .

وربما يجد بعض الناس العذر في اصدارهم هذا الحكم اذا ذكروا أن الدعوات الدينية لم تجد طريقها سهلا الى قلوب ذوى الادمغة الكبيرة ، لانهم بطبيعة جنوحهم الى جانب العقل لا يصدرون حكما ، ولا يعتنقون مذهبا الا بعد تقليب اوجه الرأى فيه وتناوله من كافة نواحيه، وهم يؤثرون الترقب والانتظار حتى يصدر عن روية تامة .

ومن قبل هذا ما يعزى الى عمرو بن العاص من انه « آمن » بعد أن « أسلم» الناس ، وكان هو وخالد من ابطا الملبين للدعوة المحمدية الجديدة ، ثم كان لهما بعد ذلك اكبر الاثر في نشرها ودعمها في مختلف الامصار .

ولكن عدالة الله تابى ان يظل العقاد في قفص الاتهام لفترة تطول او تقصر . فقد توالت آثاره الادبية والتاريخية وذاعت ابحاثه في الشئون الدينية ناشرة الوية اليقين الصافى الدال على ايمان عميق يستند الى فهم سليم لا تشوبه شائبة لاصول العقيدة وأسس الدين الحنيف (٤) .

سادسا : اما عن مساندة العقاد لطه حسين في قضية كتاب « الشعر الجاهلى » وكونها دليلا على ان العقاد يناصر النزعات الالحادية ويؤيد ما جاء بالكتاب فهذا يجانبه الصواب .

لم يكن دفاع العقاد عن طه حسين مؤداه انه يوافق على ما جاء به ، بل كان دفاعا عن حرية الكلمة ووقوفه بجانب حرية الراى ، وحرية الفكر .

« كان العقاد يعتقد ان هزيمة الفكر في هذه الازمة هى هزيمة منكرة سيعقبها افتئات اصحاب الحكم على رجال الاقلام».

لم يكن العقاد وحده من بين الكتاب والمفكرين الذين وقفوا بجانب طه حسين « فيذهب هيكل الى أن حرية القلم هى المظهر الاسمى لحرية الانسان فى أسمى صورها ، وحرية القلم انما تكون حيث يمسك القلم رب من اربابه لا عامل من عماله » .

ويتفق هيكل مع طه حسين فى تأييد حرية البحث في الادب على أنه أثر اجتماعي ونفسانى له قيمته العلمية العظيمة فى فهم تاريخ الانسانية .

وقف أيضا زكي مبارك بجانب طه حسين « انزعج طه من حملة الاهرام لارائه فى الشعر الجاهلى ، أشد الانزعاج ، ولم يعرف كيف يجيب ، مع انه من أقدر الناس على اللجاجة والجدال .. وظهر مقالى فى صدر الاهرام وراى فيه طه حسين انتصافا من خصمه العنيد وشكر صنيعى بكلمات تدل على مبلغ ارتياحه لدفع مقالة السوء عن مركزه المهدد فى ذلك الحين .. وكذلك قررت أن ادفع عنه شر خصومه في جريدة المقطم (٥) .

وهذا سعد زغلول الموقف عندما ألقى خطابا فى احدى المظاهرات التى قامت تطالب براس طه حسين قال فيه : « ان مسالة كهذه لا يمكن ان تؤثر فى هذه الامة المتماسكة بدينها ، هبوا ان رجلا مجنونا يهذى فى الطريق فهل يضير العقلاء شيئا من ذلك ، ان هذا الدين متين » (٦) .

فهل كل من وقف مع طه حسين كان يؤيد الالحاد ؟. او كانوا يلحدون ؟.

العقاد

مؤمناً لا كافراً !

سابعا : خرج الكاتب عن موضوع مقاله الذى يظله بعنوان « العقاد بين الكفر والايمان » الى ميدان آخر ، عندما كتب مستشهدا ببيتين من شعر العقاد ذاكرا كان العقاد الفقير المعدم يواسى نفسه بمثل قوله :

لا تحسدن غنيا فى تنعمه
قد يكثر المال مقرونا به الكدر
تصفو العيون اذا قلت مواردها
والماء عند ازدياد النيل يعتكر

ويواصل الكاتب تعليقه فيقول : «هذا الشعر اشبه بكلام الوعاظ فى خطب الجمعة وليس مما يحرك الوجدان ، ويثير العواطف ، وقوله : « قد يكثر » اضعف المعنى بل زادته ضعفا وبرودا ، وقوله : « ازدياد النيل » فانه خصص النيل دون سائر الانهار وهذا ضعف ايضا .

ولكننا نعقب فنقول :

ان الكاتب فى اول المقال دافع عن الاسلام والمسلمين ثم ما لبث أن تهكم على الائمة والوعاظ بالمساجد ووصفهم بلا استثناء بان كلامهم لا يحرك الوجدان ولا يثير العاطفة عند تعليقه على تأثير أبيات العقاد .

وبهذا نقول لم يحالف الكاتب التوفيق .

اقول لكاتب المقال : وان كان لا يعجبك كلام الوعاظ ، فاننى ارى أن ما جاء فى البيتين يفيد الوعظ ومواساة النفس ، وبذلك حققت الابيات الغرض منها .

وكلمة ((قد يكثر)) التى لا تعجب الكاتب هى اساس الموضوعية والواقعية فليس كل من لديهم المال الكثير مصابون بكدر ، ونكد ، فكان العقاد حكيمـا وحريصا اذا جاء بكلمة ((قد)) للاحتمال لكى لا يطلق الحكم على عواهنه فيقع فى الخطا الذى وقع فيه الكاتب بحكمه على كل الوعاظ بالمساجد .

وكلمة « ازدياد النيل » يراها الكاتب ضعيفة وباردة لان العقاد خصص نهر النيل دون انهار العالم .

ولا اجد فى هذا شيئا من الضعف فانها صورة تقرب المعنى وتجسده فى البيئة المصرية من فيضان النيل ، يصحب هذا الفيضان تعكر المياه ، وهى صورة ناطقة حية قريبة لتصور اى مستمع .

فهل كان الكاتب يريد من العقاد أن يذكر اسماء الانهار الاخرى فى العالم ؟. لا ادرى !!

الشعر موهبة وتذوق تختلف فيه وجهات النظر من حيث التذوق ، فربما تكون هذه نظرة فردية للكاتب ، فعند النقد ((اذا قلت : هذا خطا او هذا ركيك فى الاسلوب وهذه الكلمة ضعيفة)) ينبغى أن تقدم البديل ذلك هو النقد البناء يثرى الفكر والادب .

ومما يؤكد أن الكاتب كان مهاجما للعقاد منذ بداية المقال حتى نهايته ان الكلمات التى جاءت به مثل « زنديق — ملحد — متشرد — فقير — معدم » وعن شعر العقاد يصفه « ضعيف المعنى — ازداد برودا — لا يثير العاطفة — هو كموضوع تعبير يكتبه تلميذ مبتدىء » .

كلها عبارات لا يصح أن تكتب عن العقاد ، والكاتب كان غير منصف حين اختار قصيدة للربيع للعقاد وقارنها بقصيدة لشوقى فاقول : ان لكل مقام مقال وهذه أبيات لبشار بن برد — مع مكانته السامية فى الشعر يقول :

ربابة ربة البيت
تصب الخل فى الزيت
ولها عشر دجاجات
وديك حسن الصوت

لقد تناسى الكاتب دواوين العقاد العشرة التى تضم ٨٨٧ قصيدة تشتمل على ١٢٤٠٠ بيت مما يدل على ثراء قريحة العقاد وتمكنه من القريض ففى شعره قصائد ترتفع الى القمة وتتدرج وفق موضوع القصيدة .

اخيرا :

مع احترامى الشديد لمقال سيادتكم القيم ارى انه يمكن تقسيمه الى جزاين بحيث يكون عنوان الجزء الثانى « راى العقاد فى القصة - والشعر » ..

نامل عند الحديث عن الشخصيات القمم ان نتعرض لها بحياد وموضوعية ونذكر المحاسن والمثالب ، وان نعطى لكل ذى حق حقه ، وان نتخير عند الحديث كلمات تتناسب مع قدر العظماء امثال العقاد الذى ستظل كتاباته زادا لمن يريد ان يستزيد .

هوامش

---

(١) - محمد المويلحى « العقاد كما عرفته » المجلة - ديسمبر ١٩٦٢ ، ص٤

(٢) - اقرأ تفاصيل القصة واسباب خروجه من المؤيد ، حياة قلم - ص ٩٤ - ٩٧ .

(٣) - محمود صالح عثمان - «العقاد والعقيدة الدينية » العقاد دراسة وتحية » .. القاهرة - الانجلو المصرية ١٩٦٤ .

(٤) كتب العقاد فى الاسلاميات من الكتب ما يلى :

عبقرية محمد ١٩٤٢ - عبقرية عمر ١٩٤٢ - عبقرية الصديق ١٩٤٢ - عبقرية الامام ١٩٤٣ . الصديقة بنت الصديق ١٩٤٣ - عمرو بن العاص ١٩٤٤ - ابو الشهداء الحسين بن على ١٩٤٥ . عبقرية خالد ١٩٤٥ - الله ١٩٤٧ - الفلسفة القرآنية ١٩٤٧ - الديمقراطية فى الاسلام ١٩٥٢ - ابو الانبياء الخليل ابراهيم ١٩٥٣ - عبقرية المسيح ١٩٥٣ - فاطمة الزهراء والفاطميون ١٩٥٤ . - الاسلام فى القرن العشرين ١٩٥٤ - ذو النورين عثمان بن عفان ١٩٥٤ - مطلع النور والبعثة المحمدية ١٩٥٥ - معاوية بن ابى سفيان فى الميزان ١٩٥٦ - حقائق الاسلام واباطيل خصومه ١٩٥٧ - ابليس ١٩٥٨ - المراة فى القرآن ١٩٦٠ - الانسان فى القرآن ١٩٦١ - التفكير فريضة اسلامية ١٩٦١ - الاسلام دعوة عالمية (جمع بعد وفاته ١٩٧٠) - الاسلام والحضارة الانسانية .

(٥) - زكى مبارك - الرسالة ١٦/ ١٢/١٩٤٠ - انظر زكى مبارك ناقدا - مطبوعات الشعب ص ٥٨ - ٥٩ .

(٦) - محمد سيد كيلانى - فصول ممتعة . انظر ايضا عبد العزيز شرف ، محمد حسين فى ذكراه ص ١٨٨ .

العراف الحكيم

● تنبأ احد العرافين بموت سيدة كان يحبها لويس الرابع عشر حبا ملك عليه قلبه ، فى حادث . وقد تحققت النبوءة بعد فترة قصيرة ، فخيل للملك ان تنبؤ العراف كان السبب فى وفاتها .. فارسل فى طلبه واعتزم ان يعدمه عقابا له .. وحين مثل العراف بين يديه قال له الملك ساخرا : ((اذا كان فى وسعك ان تقرا المستقبل حقا . فخبرنى ماذا سيكون مصيرك ؟ » وفطن المنجم لما ينويه الملك ، ففكر قليلا ثم اجاب « انبأ باننى ساموت .. ولكن قبل جلالتك بثلاثة ايام ! » . وصدق الملك كلامه ، ولم يكتف بان عدل عن قراره ، وانما امر بالعناية بصحة العراف والاهتمام به !!

• حول كارثة مكوك الفضاء •



بقلم : محمد فتحى

● لا جدال فى ان الناس سيحسون يوم يكشف النقاب عن السجل الحقيقي للانشطة الفضائية ، بعيدا عن اعتبارات الحرب الباردة والتجارة والدعاية والهوس الاعلامي . لا جدال فى انهم سيحسون بمرارة الفقد لسلسلة التضحيات ، التى لن يكون ابطال المكوك « شالنجر » السبعة سوى حلقة واحدة من سلسلتها الطويلة ..

لكن الناس سيحسون على نحو اكبر بنشوة الرضاء ومشاعر السعادة والفخر ، لان بشرا – مثلهم على اية حال – كانوا على هذا القدر من الجسارة والطموح وطالت اكتافهم الانجازات التى بلغت فى عملقتها حدودا فلكية .

ولعل الجهد الجبار والتضحيات الكامنة وراء المشاهد الاستعراضية المسرحة التى تطالعنا على واجهات التلفاز والصحف .. لعلها مما يستحق ان يطرح على الرأى العام العربى ، الامر الذى لابد وان يقود المرء الى سؤال: ولماذا كل هذا الجهد وكل هذه التضحيات ؟

ولعل الموقف يدفعنا الى ادراك ان وراء الاكمة ما وراءها ، مما يتصل بمصائر امتنا اوثق الارتباط .. ●

الوجه الآخر لمشاهد
الأنشطة الفضائية المسرحة



قبل سنوات (عام ١٩٧٤) ميض لى أن أتابع بعض رواد الفضاء • وكان هذا التدريب غساية من حيث العنف والقسوة والغرابة ، يتطرق الى مجالات قد تبدو بعيدة تماما عن أنشطة الفضاء (اختراق نيران حرائق هائلة•• عيش الملاح وحيدا وسط مخاطر جمسة بين الاحراش والادغال •••) •

ويومها لم يملك أحد رواد الفضاء نفسه وصرخ : « لست أدرى من هو (المجنون) الذى أعد مثل هذه التدريبات » • أن هذا « المهفوف » كان بين من يتابعونه عن بعد، وأنه كان معه على الخط لاسلكيا ، فرد عليه للتو « أتمنى ألا ترى اليوم الذى تلهج فيه بالشكر لهذا « المهفوف » •

كان الرجل يقصد أنه يتمنى ألا يتعرض ملاح الفضاء لحالة من حالات الطوارىء ، التى لابد وأن يأخذها التدريب فى الحسبان • لكن رغم التمنيات لا ولن يخلو – للأسف – نشاط فضائى ، أو أى نشاط انسانى بوجه عام ، من مثل حالات الطوارىء هذه •

● عصر بيزنيس الفضاء ●

هذا ويحضرنى مشهدا آخر أكثر قربا من الناحية الزمانية (عام ١٩٨١) فعلى اثر أول رحلة لمكوك الفضاء الامريكى سئل ملاحا المرحلة عن أهمية الانجاز الذى قاما به ، فأجاب جون يونج المنبهر المنفعل ، اجابة أقرب الى الشاعرية : « لقد قربنا المكوك خطوة من النجوم » • وعندئذ عاجله الملاح الآخر روبرت كريبين، فى شبه استنكار وتأنيب للخروج على النص : « نستطيع أن نقول أن عصر (بيزنيس) الفضاء قد أوشك على البدء » •

وبالطبع لقى قول كريبين ترحيبا وابرازا وتأكيدا من القائمين على برنامج المكوك، فالدعاية والاعلان والتجارة لها متطلباتها ••

مشهدان متباعدان بينهما مساحة شاسعة هى المساحة التى وقعت فيها كارثة « شالنجر » مكوك الفضاء الامريكى قبل اسابيع ، وهى مساحة نادرا ما يتطرق الحديث اليها ، فلا الامريكيون ولا السوفييت يسمحون – فى الحالات غير الاضطرارية –

باعلان ما لا يريدون ، وكل منهما يريد اشياء يحددها سلفا ، مبتعدا كثيرا عن الواقع الذى لابد للرأى العام العربى أن يعيه ـ كما يعى ما وراءه ـ عن عالم الفضاء الأسر ، رغم هول التضحيات ، حتى لا تظل السطور التى تخصنا فى سجل اكتشاف الفضاء من قبيل أخبار الاسرة العربية التى حجزت ثلاث تذاكر قيمتها ١٥٦ الف دولار فى أول رحلة فضائية سياحية عام ١٩٩٢

ولا بأس هنا من بعض مشاهد تلك المساحة التى تفصل بين الواقع والاستعراضات المسرحة •

وسط ضجة اعلامية ودعائية خاصة انطلقت سفينة الفضاء « سويوز » وعلى متنها ملاحان أحدهما سوفييتى والثانى بلغارى •• ورغم التحفظ الاعلامى السوفييتى المعهود فى تغطية الانشطة الفضائية كان كل قريب من هذا المجال يعلم أن وجهة السفينة كانت الالتحام مع المحطة الفضائية «ساليوت» التى تدور حول الارض • وأن ذلك يحدث عادة بعد يوم واحد تقضيه السفينة فى مناورات تغيير مدارها ، لتصل الى مدار المحطة، ويتم الالتحام• مضى اليوم ولم يعلن عن اتمام الالتحام •• ثم أعلن عن عودة ملاحى السفينة الى الارض سالمين •• وظهر فيما بعد أن خللا قد أصاب احد المحركات الرئيسية للسفينة ، وأدى الى انهاء الرحلة على نحو استثنائى •

وللقارىء أن يدرك مدى المعاناة التى احاطت بالموقف اذا عرف أنه كان على السفينة ، بعد العطب ، أن تعود دون محرك بطريقة خاصة ـ أقرب الى الطيران الشرعى ـ يتهددها الاحتراق عند دخول الغلاف الجوى (كالشهاب) ان دخلته بسرعة تزيد بعض الشىء عن السرعة المفروضة •• ويتهددها الضياع ـ بمن فيها والى الابد ـ فى الفضاء الرحب ، ان قلت السرعة بعض الشىء عن السرعة المفروضة لدخول الغلاف الجوى ••

للقارىء أن يدرك مدى المعاناة التى احاطت بهذه الرحلة •• سواء بالنسبة لطاقم السفينة المعنية ، او بالنسبة لمركز التابعة الارضية ، ولطاقم المحطة المدارية الذى كان ينتظر طاقم السفينة ولكل من تمكنه معارفه من ادراك طبيعة الموقف ••

ولا يبقى لنا قبل الانتقال من هذا المشهد سوى الاشارة الى أن الهبوط ، حتى بالطريقة التى تم بها ، كان يمضى وفق أحد الاحتمالات المحسوبة (١) ـ رغم أنها كانت المرة الاولى ـ التى تم التدريب عليها •• أى اننا حتى مع هذا الوضع المؤسى ، لم ندخل فى باب الطوارىء بعد ••

● ستةأشهر شاقةفى الفضاء ●

والمشهد الثانى خاص بواحد من أطقم «ساليوت» محطة الفضاء التى تدور حول الارض • كان ملاحا الطاقم قد قضيا على متن المحطة ما يقرب من الستة شهور ، انجزا خلالها برنامج عمل مكثف ، استنفد كل ما لديهما من طاقة بدنية ونفسية ، وباتت كل مشاعرهما مرتبطة بالارض والوطن والاسرة ، واللقاء المرتقب بعد طول غياب ••

كان للمحطة المدارية التى عاشا على متنها وصلتا التحام (كل منهما عاشقة ومعشوق تقريبا) ترتبط بأحديهما السفينة التى صعدا بها الى الفضاء ، والتى سيعودان بها الى الارض ، بينما



رواد الفضاء فى طريقهم الى المرحلة الاخيرة

● أبلغت محطة الفضاء الأرض عن الأطباق الطائرة التى تلاحقها فساد القلق وتكهرب جو الرحلة أياما ●

تستقبل الوصلة الثانية «وابور التموين» (سفينة بدون ملاحين) الذى يمد المحطة ، على نحو متواتر ، بما تحتاجه من وقود وغذاء ومعدات ، بل وجرائد ورسائل وهدايا للملاحين من ذويهم على الارض ·· كما تستقبل نفس الوصلة ، بعد تفريغ « الوابور » والتخلص منه ، السفن الفضائية التى تحمل « الضيوف » ، الذين يحلون على ساكنى المحطة فى مهام عمل سريعة ··

كان الملاحان قد قاما خلال تحليقهما ببعض التجارب مستخدمين تلسكوبا اقاماه على متن المحطة · وعند تخلصهما منه بعد اتمام تجاربهما التف الهوائى الخاص به ، ليغطى وصلة الالتحام الخالية ··

وكان مأزقا لا يحسد عليه الطاقم الذى أعد « حقائبه » للعودة بعد برنامج عمل مكثف مرهق ، فقد كان الامر يعنى الهبوط بامكانيات المحطة الى النصف بالحسابات البسيطة ، وان كان يمكن

• حول كارثة مكوك الفضاء •

أن يحولها الى « خردة » وفق حسابات الفضاء المعقدة ..

وجاء صوت مدير التحليق من المركز الأرضي قاصدا فاليرى ريومين مهندس المتن : « الارض ممتنة جدا لما بذلته من جهد ولا ترى أن من الممكن أن تطلب منك المزيد .. الا أنك تدرك ابعاد المشقة ، ولك مطلق الحرية في تقدير الموقف بصورة شخصية ، ولن يكون لاحد أدنى تعليق ـ ناهيك عن اللوم ـ بصدد أى قرار تتخذه ... » .

كان المطلوب أن ينحى الملاح حقائبه وحالته النفسية جانبا ، ويعبىء طاقاته ويخرج من السفينة ـ بدلا من العودة الى احبائه ـ الى الفضاء الرهيب الرحب ، ثم التحرك فيه الى موضع الالتحام ليقوم بقص معدن الهوائى وازالته .. عمل رهيب يتطلب جهدا نفسيا هائلا تركت له الارض فرصة ومسئولية القيام به أو الاحجام عنه..

وكان أن خرج ريومين الى الفضاء .. وكان أن قص الهوائى وازاله ، واستغرق ذلك منه وقتا لم يكن متاحا له في معظمه الاتصال بمركز ادارة التحليق على الارض لطلب المشورة أو المشاركة فى الرأى ، أو حتى مجرد الدعم النفسى ..

والطريف والمثير والمبهر ـ ويجب الا ننسى العبء والجهد والعرق والتضحيات لانها ما نتحدث عنه أصلا ـ ان نفس الملاح كان بطلا لموقف آخر.. فبعد ستة شهور « أشغالا شاقة » فى الفضاء لم يكد يقضى أياما عنى

ملاحا فضاء يستعيدان على اثر هبوط اضطرارى في المحيط



الارض ، حتى ترك دفء احضان أسرته متطوعا ، وعاد الى الفضاء يؤدى مهمة جديدة لم يكن مفروضا عليه أن يقوم بها ، استمرت ستة شهور أخرى .. أى انه قضى ما يقرب من السنة ـ وان تخللتها أجازة قصيرة ـ محلقا فى الفضاء ، وحتى ندرك حجم هذه التضحية لا بأس من مشهد أخير ..

● أغنية حب تصيب بالاكتئاب ●

كانت المرة الاولى التى يتم فيهما حل مشكلة الاتصال التليفزيونى المتبادل بين محطة الفضاء ومركز ادارة التحليق على الارض ..

حتى تلك اللحظة كان بامكان الارض متابعة أفراد الطاقم على متن المحطة تليفزيونيا لكن كل ما كان ممكنا بالنسبة للملاحين هو سماع صوت الارض دون صورة .

وبعد حل المشاكل الفنية للقاء التليفزيونى المتبادل ، وبعد مجموعة لقاءات للملاحين مع زملائهم وأسرهم، تقرر أن ينقل التليفزيون ـ عبر برنامج علمى ـ واحدا من لقاءات الدعم النفسى الذى تنظم للملاحين ..

استمتع المشاهدون بلقاء نجوم الفكاهة مع الملاحين ، والنمر التى قدموها وفقا لطلبهم .. ولست أدرى لسوء حظ الملاحين أم لحسنه ، أم لاى حكمة أخرى ، حلت فقرة جديدة .. لقاء مع نجمة غناء باهرة الجمال اختارت أن تغنى خصيصا لهم واحدة من أشهر تحفها : أغنية حب (بيستنيا ليوبفى) ..

احتفلت ولم تخطىء عيوننا ـ المشاهدين ـ حالة الاكتئاب التى حطت على الملاحين ، اللذين قضيا شهورا بعيدا عن الارض ، لا يفتح كل منهما عينيه الا على وجه زميله يداعبه :

« قم أيها (السيد البطل) نكم من (المهام العظيمة) تنتظركم »

يومها لم يخطىء المسئول الطبى عن انشطة الفضاء حالة الاكتئاب . بل لعله اكثر الناس احساسا بها ، فقال تهدئة للموقف : « لا أدرى حين سنعود الى شريط رسم القلب الخاص بهذه الدقائق كم سنرى من قفزات فى ايقاع قلبى (البطلين) ..

ولعل القارىء يتصور بعد ذلك البروفيلات أو الوجوه الكثيرة للمعاناة التى يحسها انسان يعمل ستة شهور ـ ناهيك عن عام كامل ـ فى الفضاء دون أن يرى أحدا !!

وليت الامر يقتصر على مثل ماسقناه فى المشاهد السابقة ، فكثيرا ماتصادف الانشطة الفضائية مواقف تراجيكوميدية طريفة ورهيبة ، تكاد تميت الناس خوفا وضحكا فى نفس الوقت ..

على سبيل المثال لاحظ ملاحو أحد محطات الفضاء وهم يطلون من النافذة يوما ، طبقا طائرا يلاحق محطتهم .. وأبلغوا الامر الى الارض فأسقط فى يدها ، ولم تجد ما تنصحهم به الا مواصلة متابعة الموقف .. واستمرت المتابعة أياما تفاقم الموقف بعدها ، اذ صار الطبق طبقين !

للقارىء أن يتوقع الحال التى صار اليها أفراد الطاقم ، بل وكل مطلع على الموقف .. لكن لم تمر أيام أخرى حتى كاد الجميع أن يموتوا ، ولكن من الضحك هذه المرة ..

فعلى متن محطة الفضاء أكياس قمامة يجمع فيها الملاحون بقايا المحطة، ويلقوا بها الى الفضاء كل بضعة أيام .. ولم يكن الطبق الطائر الاول فالثانى

• حول كارثة مكوك الفضاء •

سوى بعض اكياس القمامة وقد اتخذت اشكالا غريبة وهي تدور وراء المحطة بعد القائها ، وتبرق مصدرة اشعاعات غريبة عند تعرضه للشمس ••

وحتى تكتمل الصورة لا بأس من مشهد اخر •

ذات صباح كان المفروض ان يستيقظ الملاحون في الثامنة تماما •• وعبثا حاول مركز ادارة التحليق على الارض أن يسمع منهما ردا على تحيته : « صباح الخير » • لم يكن هناك سوى الصمت القاتل • وازداد المركز عصبية والدقائق المتبقية للمحطة في مجال الاتصال مع الارض تذوب ••

عاش المركز مهموما ما يقرب من الساعة ، حتى عادت المحطة في دورانها الى المجال الذى يمكن منه معاودة الاتصال •

وللقارىء أن يتصور هموم هذه الساعة وما اتخذ خلالها من احتياطات لمواجهة الطوارىء المحتملة ، فقد كان المتوقع ان الطاقم قد اصيب بمكروه ، فالعوامل القاتلة تحيط بالملاحين من كل جانب (خلل في تركيب ما يتنفسونه

احد افراد الطاقم [illegible] الفضاء



من هواء او نى ضغطه او جرعة هينة من الاشعة الكونية أو حريق ٠٠ وكل ذلك سبق وأن حدث بالفعل ، وما يمكن أن يحدث أكثر هولا بما لا يقاس) ٠

لكن حين وصلت المحطة مجال الاتصال من جديد كان اللاهسان يتصايحان وبراءةالاطفال فى صوتيهما: « وفيها أية أليس من حقنا أن تسروح علينا نومة يوما كل مائة يوم » ٠

ولن أخوض فيما يتصل بالتكاليف المالية حيث يمكن الاكتفاء بمؤشرات مثل :

* وصول تكلفة وجبة الافطار فى بعض الاحيان ٢٠٠٠ دولار ٠

* وصول تكاليف المحاولات السبع لاطلاق المكوك « كولومبيا » (يناير ٨٦) الى ١ر٢ مليون دولار٠

* أن تكاليف صنع المكوك «شالنجر» بلغت ١ر٢ مليار دولار ، ويحتاج صنعه من جديد الى ضعف هذا المبلغ ٠

وللقارىء بعد ذلك أن يتخيل تكاليف اعلان حالة الطوارىء فى مجمع الانشطة الفضائية ـ على مستوى العالم ـ نتيجة لخطأ بسيط بدى فيه كيس القمامة طبقا طائرا ، أو لان ملاحا راحت عليه نومة ٠ أو تكاليف غير ذلك مما تطرقنا اليه ، أو تكاليف الانشطة الفضائية عامة ٠

● شاءوا وشاءت الاقدار ●

هذا هو الوجه الاخر لما تطالعنا به صفحة التلفاز ، والذى كان مقدرا لرحلة « شالنجر » المنكودة أن تقوم بدور أساسى فى اشاعته وتاكيده ، فقد كان بين أفراد طاقمهاأول مواطنة عادية، اجتهدوا أن تكون مدرسة للاجيال التى يمكن أن ترفد جيش العمل فى الفضاء. واحاطوها بحملة اعلاميةهائلة، مركزين على ما تؤديه من اقوال مثل : « أن قيادة مكوك الفضاء أكثر امنا من قيادة سيارة ٠٠ ولا يجب لاحد أن ينظر لمكوك الفضاء بشىء من الخوف لانه لا يمكن تصور (!) أن يتعرض المكوك لحادث طريق (!) (كانت الوحيدة التى أمنت على حياتها قبل الاقلاع بمليون دولار)

هذا وكانت الرحلة قد نظمت بحيث تتمكن المدرسة كريستا ماكوليف من توجيه درسين وهى محلقة فى الفضاء، مباشرة الى ٥ر٢ مليون تلميذ ربطت حجراتهم الدراسية بدوائر اتصال تليفزيونى مع المكوك ، وكان فحوى الدرسين اللذين أعدا على الارض « كم تنطوى حياة الفضاء على مثيرات ، وكيف أصبحت روتينا ٠٠٠ » ٠

وبالطبع لامجال لان نتطرق هنا الى جوانب اخرى للحملة الاعلامية من قبيل ما أكده رئيس موظفى البيت الابيض للصحفيين قبل الكارثة من أن رسالة الاتحاد ـ التى كان الرئيس سيلقيها بعد اطلاق المكوك « شالنجر » مباشرة لن تكون كسابقتها ٠ فقد كانت النية تتجه الى استغلال المناسبة فى اقامة عرس لنجاح الرئيس السياسى ٠٠٠

لكن الاقدار شاءت شيئا آخر ٠٠

ولعلى أكون قد أفلحت فى أن أدفع القارىء الى أن يسأل: «ولماذا كل هذه التضحيات ، وكل هذا الجهد ، وكل هذه التكاليف ؟ » ليدرك أن وراء الاكمة ما وراءها ، ولعل الاهم من ذلك كله أن نعى حاجتنا نحن العرب ، أكثر من غيرنا ، الى هذا النشاط . وذلك موضوع مقالنا القادم باذن الله ٠

الدماء

شعر: أحمد فضل شبلول

هذا انا ..
وهذه الخيوط قطرة من الدماء
انه دمى
يجرى على قمصانكم
رأيته .. يسيل من لعابكم
ينز فى وجوهكم
رأيتكم
تعلقونه على رفوفكم
تقايضون فى الطريق باسمه
وفى الفضاء تلعنونه
فى ساحة القضاء ترجمونه
هذا دمى ..
معلق على نوافذ المتاجر
وفى تصاعد الدولار

فى ملاعب الغروب
فى فساتين المساء
فى التماع هذه الاضواء
فى اظافر النساء
فى المساحيق السعيدة
رأيته .. ..
تفجرت عروقه
احدودبت دوائر النهار فى احمراره
رأيته ..
يسابق الظلام
انه يقاوم التجلط الاخير
طهروا قلوبكم به
فانه ..
دمى



سينما عربيّة وأوبرا وأشياء أخرى

بقلم: مصطفى درويش

لو ألقينا نظرة طائرة على ما يجرى حولنا على امتداد الوطن العربى من المحيط إلى الخليج فى الربع الرابع من القرن العشرين الذى نراه منسحبا منحسرا من عمر الزمان .

لو ألقيناها وحاولنا أن نتذكر ملتفتين إلى الوراء قليلا ، لوجدنا شيئا من التشابه بين مايجرى الآن وبين وقائع جرت بطول وعرض شبه الجزيرة الإيطالية فى الربع الثالث من القرن التاسع عشر ، ولذهب بنا الظن مذهب القائلين بأن التاريخ مولع بإعادة نفسه .

من المعروف أنه إثر ثورات سنة ١٨٤٨ التى اصطلح على تسمية فترتها القصيرة الزاهرة بربيع الشعوب ، تطورت الأمة الايطالية فى جهد مضن يمتد من حروب استقلال ووحدة ضد الامبراطوريتين النمساوية والفرنسية والكنيسة البابا وية ، تحت زعامة رجال معتدلين ومتطرفين امثال "مازينى" و"كافور" ومحاربين بواسل أبطال "كجار بيالدى" ، عَبّر مئات الهزائم والخيانات والانقلابات وآلاف القتلى والضحايا والشهداء ، حتى انتهى الأمر بها إلى الصيغة المشتهاة ، أن تكون أمة لها كلمة واحدة ودولة واحدة من أقصى الشمال حيث جبال الالب بثلوج قممها الشامخة تناطح السماء ، إلى أقصى الجنوب على أطلال مملكة صقلية حيث



"المخدوعون"

الشمس مشرقة ابدا لا تفقد حرارتها صيفا أو شتاء .

● الحلم .. الأمل ●

وهنا قد يكون من المفيد الاشارة إلى أن موقع مملكة "بيدمونت - ساردينيا" فى الشمال الملتصق بسهل لومبارديا حيث "ميلانو" المركز الصناعى والثقافى الهام .

وفوق هذا تمتع تلك المملكة بنوع من الاستقلال تحت حكم آل سافوى سبقت به غيرها من ممالك شبه الجزيرة إلى دخول العصر الحديث ، وذلك بفضل صراع المصالح بين ملوك فرنسا من "البوربون" وأباطرة النمسا من "الهابسبورج" كل ذلك قد هيأها لأن تكون نواة الوحدة الايطالية .

وقد تفاعلت مع هذه العوامل فى تكوين دور مملكة "بيدمونت" الايطالى ، الثقافة التى هى روح الامة ، ولعبت الاوبرا فى هذا الشأن دورا واى دور .

ولكن ما علاقة كل هذا . لاسيما الاوبرا بالسينما العربية ، وما قد يكون لها من تاثير على سير الاحداث فى الوطن العربى صعودا نحو تحقيق الحلم ـ الأمل .. الوحدة ؟

ظهر فن الاوبرا أول ما ظهر فى شمال إيطاليا وبالتحديد فى فلورنسا عاصمة توسكانيا (أوبرا اوريديس سنة ١٦٠٠) ، ومنها انتشر إلى جميع مدن ايطاليا .

● صوت من الغيب ●

ومع مدّ الوحدة أصبح للاوبرا دور بارز فى الهاب حماس جماهير الطبقة المتوسطة المهيأة للكفاح من أجل الاستقلال والوحدة ، وأصبحت مملكة بيد مونت بالتالى منطقة جذب للابداع الاوبرالى .

فليس صدفة أن يسمع صوت حنجرة "چيسبى فيردى" (١٨١٣/ ١٩٠١) لأول مرة فى قرية "لورونكول" من أعمال ولاية "بياشينزا" التابعة لتلك المملكة .

وليس صدفة أن تكون "نابوكو" أول أوبرا من إبداعه يتحمس لها الايطاليون وأن يكون هذا الحماس أول عهده بالشهرة ، فتلحينه لها نابع من الأسى لشعبه المغلوب على أمره . المنهوبة خيراته كيما تتمتع بها أقلية ثرية مرفهة فى فيينا .

وطبعا لم يكن فى إمكان الأعمال الأوبرالية الاخرى لغيره من الموسيقين ان ترتفع إلى مستوى "نابوكو" أو غيرها مما أبدعته عبقريته ، وكانت سببا فى وصوله إلى قمة الأوليمب .

فمعظم أعمال هذا الغير كان ميلودراميا تافها ، قاصرا عن بلوغ الحكمة المختزنة فى عقل وقلب الشعب .

والأكيد أنها ذهبت جفاء ولن يسمع بها احد فى مستقبل الايام .

ومع ذلك فهذه الاعمال فى مجموعها ـ وبحكم أنها ناطقة باللسان الايطالى ـ قد أسهمت بشكل أو بآخر فى خلق الظروف المؤاتية للوحدة .

● أول الغيث ●

فإذا ما انتقلنا بعد هذه السياحة فى القرن التاسع عشر مع الأوبرا والوحدة الايطالية إلى السينما والوطن العربى ، لما وجدنا فارقا كبيرا ، وذلك رغم اختلاف الأمكنة والأزمنة .

ظهر فن السينما فى الوطن العربى أول ما ظهر على أرض مصر سنة ١٩١٢ .

أما الانتاج السينمائى الروائى الطويل فيؤرخ له بالخامس من مايو سنة ١٩٢٧ ،





صلاح أبو سيف

وهو اليوم الذى عرض فيه فيلم "قبلة فى الصحراء" بمدينة الاسكندرية .

قبل ذلك - وخلال سنة ١٩٢٦ - شاءت الاقدار أن يصل إلى عروس البحر الابيض شابان فلسطينيان - ابراهيم وبدر لاما - كانا فى طريقهما من شيلى الى فلسطين ، ومعهما معدات للتصوير السينمائى بغرض انشاء صناعة للسينما على ارض الآباء .

غير أنهما - وبعدأن لمسا النشاط الفنى الذى كانت تذخر به مدينة الاسكندرية وقتذاك - استقر بهما الرأى على البقاء فيها حيث ساهما فى تأسيس شركة " مينا فيلم " ، وكانت باكورة إنتاجهما " قبلة فى الصحراء " الذى يعتبر بحق أول فيلم عربى روائى طويل .

بعد ذلك بخمسة شهور ، وبالتحديد فى ١٦ من نوفمبر سنة ١٩٢٧ ، عرض فى القاهرة - ولأول مرة - فيلم "ليلى" إخراج "ستفان روستى" وانتاج وتمثيل "عزيزة أمير" وهو فى رأى نفر من مؤرخى السينما الفيلم الذى بدأ به إنتاج الإفلام الروائية الطويلة على أرض مصر ، وذلك باعتبار أن منتجته ونجمته تحمل الجنسية المصرية !!

● مصر .. لماذا ؟ ●

وسواء أكان أى من هذين الفيلمين ، هو الأول أم الثانى ، فمن المتيقن أن الانتاج السينمائى بدأ فى الوطن العربى انطلاقا من أرض مصر .. لماذا ؟

أولا : لانها كانت تتمتع بنوع من الاستقلال تحت حكم أسرة محمد على .

ثانيا:لأنها مرآة الوطن العربى كما يقول بحق فؤاد عجمى فى كتابه المأزق العربى .. الفكر السياسى والممارسة العربية منذ ١٩٦٧ .

وثالثا: لأنها قادت الوطن العربى الى عصر البرجوازية ابان القرن الماضى .

ولا غرابة فى هذا ، فوضعها الجغرافى المركزى يجعلها بمثابة القلب من الوطن الكبير .

وتأكيدا لهذا الوضع المتميز يقول "فؤاد عجمى" فى كتابه المشار اليه أن التقدم النسبى لاقتصاد مصر ، ومتعة مدنها الكبرى المشعة ثقافة وبهجة ، هذا إلى تعرضها لتأثير الافكار الحرة السائدة فى أوربا ، كل ذلك أهّلها لأن تكون قاعدة وطليعة للوطن العربى ، لتتقدم على باقى اجزائه بأكثر من عقد ، وبالتالى جعل نتاجها الادبى والثقافى اكثر تفوقا على انجازات سائر العرب (ص ٧٩ ـ ٨٠)

● صمت وصوت ●

ولم تكن الفترة الصامتة من حياة السينما العربية طويلة .

فبعد فيلم الأخوين لاما بخمس سنوات او يزيد ، وبالتحديد يوم ١٤ من مارس سنة ١٩٣٢ عرض أول فيلم عربى ناطق "أولاد الذوات" لصاحبه المخرج "محمد كريم" وممثله الأول "يوسف وهبى"

وفى هذا اليوم التاريخى اكتشف جمهور حفلة الافتتاح أن الفيلم نصفان الأول ناطق عربى اللسان ، والثانى أخرس لا ينطق حرفا واحدا .

ولم يكن لهذا الاستهتار من سبب سوى رغبة منتجى الفيلم فى الحد من تكاليف جعله ناطقا بالكامل ، وهى تكاليف باهظة لا قبل لهم بتحمل أعبائها .

وهكذا ولدت السينما المتكلمة مريضة بداء "الاستسهال" والتسطيح والجرى وراء المكسب السريع ، وهو داء يرجع إلى الخطيئة الأولى ، وهى ميلاد السينما العربية أصلا على أرض مصر ، فى وقت كان الوطن العربى فيما عدا المملكة السعودية وامامة اليمن ينن من الاحتلال . ترفرف على جنّاته اعلام الاستعمار الانجليزى والفرنسى والايطالى والاسبانى .

وكان الحكم فى وادى النيل يتقاسمه حكام من الانجليز والسراى واحزاب اقلية مع شراذم من المغامرين والافاقين الاجانب .

ولقد ادى هذا الداء إلى الانحدار بافلام تلك السينما إلى درجة أن جيدها اصبح جدّ ضئيل بالمقارنة مع رديئها الذى هو كم كثير . بل وكثير جدا إلى حد الشذوذ

كما أدى إلى انصراف السينمائيين لا فى مصر وحدها ، بل فى أقطار عربية أخرى كسوريا ولبنان عن تناول أى موضوع جاد يؤدى إلى صحوة وطنية أو نهضة فكرية بل العجب أن يكون الأمر على خلاف ذلك فى ظل احتلال اجنبى ليس له هدف سوى حجب المعرفة عن الأمة العربية ، بمزيد من التشدّد فى الرقابة على حرية الفكر ، وبالذات حرية التعبير بلغة الفن السابع .

● أشعة فى الغمام ●

ورغم ذلك فبمثل هذه الأفلام التى خاطبت أفئدة وقلوب الناس فى الوطن



العربى الفسيح ، لمجرد أنها كانت تتكلم وتغنى بلغة الضاد ، بمثلها وتحت تأثيرها بدأت أسوار القُطْرية والقبلية تنهار .

وبطبيعة الحال لم تكن جميع الافلام من نوع الميلودراما الغالب على السينما عندنا ، والمتسم بالهبوط والانحدار .

كان ثمة أفلام من نوع آخر ، من ذلك النوع الذى يحطم الأصنام ويعيد تقويم المقاييس السينمائية ، من ذلك النوع فى الفن الذى صفق له قلب ناسك الشخروب عندما اكتشف عباس محمود العقاد وابراهيم عبد القادر المازنى فى الأدب فاندفع بحرارة وايمان لا يعرف الحدود قائلا "الا بارك الله فى مصر" فما كل ما تنثره ثرثرة ، ولا كل ما تنظمه بهرجة ، وقد كنت أحسبها وثنية تعبد زخرف الكلام ، وتؤلّه رصف القوافى .

فكم زمرت لبهلوان وطبلت لمشعوذ ، وطيبت لسكران !

غير أنى عرفت اليوم بالحس ما كنت اعرفه أمس بالأمل .

عرفت أن مصر مصران لا واحدة ،

[illegible] فى "عمر قتلته الرجولة"

مصر ترى البعوضة جملا ، والمدّرة جبلا ، ومصر ترى البعوضة بعوضة ، والمدرة مدرة . " (ص ٢٠٩ من سبعون المرحلة الثانية لميخائيل نعيمة)

كان هناك "الفتوة" لصلاح ابو سيف و"الحرام" لهنرى بركات والثلاثية "صراع الابطال" و"المتمردون" و"المخدوعون" لتوفيق صالح و"المومياء أو ليلة حساب السنين" لشادى عبد السلام ، و"البرىء" لعاطف الطيب ، و"للحب قصة أخيرة" لرافت الميهى ، إلى غير ذلك من أفلام دوى لها جو الوطن العربى بالرعد والبرق .

● إحتكار أم حصر ●



وهناك من يعيبون على السينما العربية عمر واحلامه التافهة فى ارض المليون شهيد

تمركزها شبه الاحتكارى فى مصر ، مع إجداب بعض اجزاء الوطن كالسودان والصومال وأرض الجزيرة العربية من الابداع السينمائى وفى ظنى أن هذا التمركز لا يشكل أزمة للفن السابع فى ربوع الوطن الواحد .

فليس مطلوبا ان يكون لكل جزء من الوطن الذى تمتد خريطته من المحيط الهندى إلى المحيط الأطلسى سينما خاصة به ، ذلك أن السينما هى اكثر الكائنات قدرة على السفر والرحيل .

وليس بوسع السينما العربية أن تنعزل بين جدران اقليمية ضيقة الأفق .

المطلوب وسط الحضارة الطموح التى نعيش بين أحضانها أن تصب جميع الروافد السينمائية العربية فى تيار سينمائى واحد جارف ، تيار يعكس أزمات المواطن العربى الخاصة ، أزماته الواقعية ، ما اتصل منها بصراعه ضد الاستعمار قديمه وجديده وضد الاستيطان الصهيونى لأرض من الوطن فى فلسطين وما يتصل بكفاحه اليومى من أجل الرغيف والمسكن والعلم .

● فجر جديد ●

وعلى كل فالثابت ورغم العقبات ، أن ثمة سينما تتفجر أصالة وحيوية ، بعض أفلامها آت من مغرب الوطن ، وبخاصة الجزائر عقب انتزاعها الاستقلال من

براثن الاستعمار ، والبعض الآخر أت من مشرقه لا سيما الجزء المطل منه على البحر المتوسط ، وهى مع سينما القاهرة تكوّن تيار السينما العربية بجميع أبعاده وتناقضاته .

وغنى عن البيان أن غلبة تيار سينما القاهرة ، أو كما يحلو للبعض أن يسميها "هوليوود العرب" ليس مدعاة لإغفال ذكر التيارات أو الروافد العربية الاخرى ، ومن ثم الانتهاء إلى حصر السينما العربية فى التيار الاقوى وبالتنكر لأى تيار أخر مهما كان صغيرا .

ففضلا عن أن هذه النظرة تخالف ما يحدث فى حلبة السينما العربية ، فانها لا ترى من واقع تلك السينما الا ظاهرة دون الغوص فى اعماقه بحثا عن التأثير الجدلى المتبادل بين التيارات المتصارعة داخله .

● الفيلم الوليمة ●

ففيلم "كعمر قتلته الرجولة" لصاحبه "مرزاق علواش" - وهو مخرج من الجزائر - عندما يعرض لأزمة الشباب معاناة وضياعا على أرض المليون شهيد ، إنما يعرض لها فى حقيقة الأمر ، من منطلق عربى عام يتجاوز الحدود ، كل الحدود .

وبيانا لذلك أقف عند فيلم "علواش" قليلا ، أعرض له تفصيلا .

بطله ، وهو من الطبقة المتوسطة الصغيرة ، تلك الطبقة التى تفرز حكام معظم أقطار الوطن الكبير ، قد عرّى تمام وبلا هوادة .

والفيلم يبدأ به - واسمه عمر - جالسا فوق سريره يعرفنا فى حوار مباشر مع الكاميرا بنفسه وبأفراد أسرته التى يقيم معها فى منزل متواضع بضواحى الجزائر العاصمة .

● ضياع وعزلة ●

ومن حواره مع الكاميرا نعرف أنه شاب ضائع ذو أحلام تافهة ، فهو موظف له صفة الضبطية القضائية ، ليس له مهمة فى الحياة سوى أن يذهب صباح كل يوم إلى المصلحة حيث يظل حبيس المكتب مع زملاء لا حديث لهم إلا عن النساء والكرة ، وما إلى ذلك من اهتمامات فقيرة ، لا تترك وراءها ثمرا ولا أثرا ، أو أن يخرج مع هؤلاء الزملاء وراء أحد الرؤساء فى زفة لضبط الغش التجارى فى محلات المجوهرات والبطش بتجار الذهب فى السوق السوداء .

والغريب فى أمر هذا الشاب أن الصلة بينه وبين المجتمع منقطعة ، وأنه يسعى إلى اعادتها فلا يجد سبيلا إلى ذلك الا فى اقتناء جهاز تسجيل يعيش من خلاله مع الوهم مخدرا باغان هندية ، وأخرى شبه شعبية "لعبد القادر الشاوى" أحد

مطربى الجزائر أرض المعارك والشهداء

وجهاز التسجيل فى البناء الدرامى لقصة "عمر" . بل قل مأساته - الفيلم كوميدى - يلعب دورا محوريا .

● فقر وفحولة ●

فبفضله استطاع المخرج - وهو كاتب السيناريو - أن يكشف عما بنفوسنا من هزال نحاول أن نعوّضه بالانبهار بما اخترعه الغرب من لعب تستلبنا ، تشيئنا ، تفقدنا حرارة الحياة .

وعمر فى حواره المباشر مع الكاميرا يحاول ان يتسامى بوجوده .. ان يظهر حياته على غير حقيقتها (الفحولة من الصفات التى يدعى التحلى بها)

ولكن المخرج يتلصص على بطله . يذهب بنا الى ما وراء الديكور والطلاء ليرينا الهوة السحيقة بين تطلعات عمر وبين الحياة التى يعيشها .. حياة ضاعت فى جهود مجدبة لا تغنى صاحبها .. بل تزيده فقرا على فقر .

إنه يعيش على الهامش ، خارج التاريخ ، حياته خواء ، يحاول أن يملأها بنفر من الزملاء كلهم وبلا استثناء من صنف الرجال ، وبالموسيقى وأشرطة التسجيل وكرة القدم والسينما الهندية .

ومشاكل المجتمع الذى هو جزء منه لا تهمه ، فهو لا يتساءل أبدا عن أسبابها ، ولا يحاول أبدا أن يشارك فى إيجاد حلّ لها .

فأزمة المساكن ، والمواصلات المزدحمة ، والسوق السوداء ، وغير ذلك من المشاكل التى تعانيها الجزائر المعاصرة لا يهتم لها ولا يهتز ، فهى عنده وكأنها مشاكل بلد آخر .

وفجأة ، وبينما هو عائد من عرس سجل فيه للمطرب "عبد القادر الشاوى" ، فى طريقه الى منزله عبر حىّ القصبة ، إذا بعصابة تنقض عليه وتسلبه أعز ما يملك .

ولا تطول المأساة ، فواحد من أصدقائه يجمع بين الوظيفة والتهريب ، استطاع أن يوفر له مسجلا جديدا بالتقسيط المريح .

ولم يكتف بذلك ، بل أهداه شريطا فارغا يعيد فيه تسجيل الاغانى المحببة إلى قلبه .

● ملك الفؤاد ●

ولدى تجربة الشريط يفاجأ بسماع صوت نسائى مسجل يتحدث فى عذوبة ورقة عن آلام الوحدة ومرارة الفراق والحرمان .

ويستفسر من صديقه الموظف المهرب عن صاحبة هذا الصوت الساحر الذى ملك الفؤاد .

وإزاء إلحاحه يخبره باسمها "سلمى" ويعطيه رقم هاتفها فى المصلحة التى تعمل بها .

وفى مشهد سينمائى رائع يتصل عمر بها هاتفيا .. واثناء الحديث معها يرسل نفسه على سجيّتها ، فيعبّر عن حبه لصوتها حبا صريحا حرّا ، ويتفق معها على موعد للتلاقى فإذا ما حلّ الموعد ، ورأى - وهو على الجانب الآخر من الطريق - "سلمى" تنتظره قريبا من مدخل المصلحة خانته شجاعته ، فظل واقفا فى مكانه لا يتحرك ، معلقا بين اليأس والرجاء وكأن ثمة قوة خفية تقطع كل سبب بينه وبين صاحبة الصوت الساحر حتى انصرفت يائسة .

وبعد هذا المشهد الدامغ لأخلاقيات المجتمعات التى تقوم على الفصل بين الجنسين ، ينتقل بنا إلى فجر يوم جديد فى حياة عمر ، فنراه ، وهو يستعد للذهاب إلى العمل ، ونسمعه وهو يحدث نفسه قائلا "هذا الصباح سأكلم سلمى" .

ثم - ينتهى الفيلم الذى أراد المخرج أن يصور من خلاله قطاعا مهماً من الشباب فى الوطن العربى ، يراه عبدا للاشياء ، منفصلا عن الواقع ، معلقا لا يدرى ماذا يريد ، ولا أين يمضى .

تعديل لابد منه

● كان من عادة ((تيودور روزفلت)) ان يملى رسـائله على سكرتيرته الخاصة ، فتكتبها بطريقة الاختزال ، ثم تنقلها على الآلة الكاتبة وتقدمها له يوقعها . وبرغم انها كانت تتوخى الدقة ، فانه كان دائما يضيف عبارات جديدة بخط يده او يبدل بقلمه كلمة باخرى . وحدث أن كتبت احدى هذه الرسائل مرة اخرى بعد ان أدرجت فيها اضافاته وتصحيحاته . ثم قدمتها ليوقعها ، فقال لها : ((لا تفعلى ذلك مرة اخرى .. اننى اتعمـد اجـراء هذه التعديلات بخط يدى حتى تحمل الرسالة طابع الاهتمـام ويعظم اثرها فى نفس المرسل اليه ! .

لحظات الكبرياء في السينما العربية

بقلم: كمال رمزي

هل هي مجرد مصادفة ان تلتقي ذاكرة السينما العربية حول حدث تاريخي واحد ، وقع في مصر ، وترك اثره القوي في انحاء الامة العربية .. وان تقدمه ثلاثة افلام من عيون السينما العربية ، خارج مصر ، على نحو بالغ الاعزاز ؟

الحادث الكبير هو حرب السويس ١٩٥٦، مقدماتها ووقائعها ونتائجها، والافلام الثلاثة تاتي من العراق حيث قدم محمد شكري جميل فيلمه ((الاسوار))، ومن لبنان حيث حقق برهان علويه ((كفر قاسم)) ومن سوريا حيث حقق محمد ملص فيلمه ((احلام المدينة)) .



لقطة من فيلم أحلام المدينة

والافلام الثلاثة ذات نزعة واقعية ، تلتقي في اهتمامها بالحياة اليومية للمواطن العادي ، فالاسوار يدور في أحد أزقة الناصرية ، ويقدم هموم سكان الزقاق وآمالهم ، ويهتم بنضالهم ، سواء من أجل لقمة العيش او من أجل وطن متحرر من أغلال الاحلاف العسكرية الاستعمارية والسلطة العميلة .

ومن خلال مقهى قرية « كفر قاسم » ومدرستها وبيوتها ومزارعها وحواريها يهب علينا نسيم فلسطين .

وفي أحد شوارع دمشق الجانبية ، بدكان الكواء والجزار والمتسكعين وتلاميذ المدارس والاملين والمظلومين تكاد نحس بانفاس سوريا .

والافلام الثلاثة تدور أحداثها في الشهور السابقة للمواجهة الدامية بين مصر والقوى الاستعمارية ممثلة في انجلترا وفرنسا واسرائيل .. وتتحول المواجهة الكبيرة الى أمر شخصي ، بالغ الخصوصية ، يمس أبطال الافلام الثلاثة، عراقيين وفلسطينيين وسوريين .

عن رواية « القمر والاسوار » لعبد الرحمن الربيعي أعد صبري موسى سيناريو فيلم « الاسوار » ، وتتعرض الرواية للواقع العراقي في الفترة التي

تسبق مباشرة حرب ١٩٤٨ ، الى ما بعد ثورة ١٩٥٢ المصرية ، ويرصد الروائي ، من خلال تطور وعي أبطاله ازدياد الشعور المعادي للاحلاف التي تتبناها طغمة الحكام الذين لايستطيعون البقاء على عروشهم ، وفي مناصبهم ، الا في حماية الاستعمار.. ان الرواية تتابع فهم الجماهير العراقية العريضة لما دار في أرض فلسطين حيث تم تشريد ومطاردة شعب ، بينما يمد ملك العراق يده ليتحالف مع نفس الذين ساهموا في كارثة اقامة دولة اسرائيل . وتتصاعد مقاومة الشعب العراقي ، وتزداد قوة وصلابة وأملا عندما ترد أخبار القاهرة القائلة بأن الشعب قد خلع الملك وسينازل الاستعمار .. « القمر والاسوار » بقدر ماتوغل في احراش زقاق صغير في مدينة الناصرة ، بقدر ما تحلق في آفاق الوطن العربي ، تتلمس رياح التغيير التي تعتمل هنا وهناك وتقدم شخصيات تتشكل وتتكون وتكتمل في ظل مقاومة حكام ظالمين وسلطة باطشة وحشية .

اعتمد الفيلم على روح الرواية ، وشخصياتها الاساسية ، ولكنه اختزال المساحة الزمنية التي تستغرقها أحداث الرواية ، وتقدم بها عدة أعوام ليبدأ بمقدمات العدوان الثلاثي على مصر ، ويوفق الفيلم تماما في اختياره للزمن ، فالفترة التي يتعرض لها ، كما يصفها الكاتب الانجليزى باتريك سيل « فترة تصفية حسابات قاسية اذ انشغل نورى السعيد بانقاذ عرش فيصل من مد مياه أمواج السويس » وهو — أى نورى — قد لجأ الى أبشع وسائل الارهاب : الاغتيالات والاعتقالات الجماعية ، واطلاق الرصاص على المتظاهرين .

ان الفيلم الذى يدور قبل عامين من الثورة العراقية ١٩٥٨ ، يعبر عن عناء الشعب وتضحيته وقوته في ذات الوقت الذى يعبر فيه عن مأزق نظام مهلهل متداع ، يدافع عن وجوده واستمراره بأحط الطرق ، لذلك فان الثائر « محسن الحلاق » الذي تنتهي به الرواية وهو لايزال يفجر الوعي في نفوس الاخرين يلقى مصرعه على يد السلطة الوحشية الجريحة في الفيلم ، ولكن بعد أن يظهر عشرات اخرين من طراز محسن الحلاق .

● الصراع وتفاصيل دقيقة ●

وعلى الرغم من الطابع الملحمي للاسوار المتمثل في الصراع بين قوى الثورة من جهة والقوى المحافظة من جهة أخرى ، الا انه اهتم بعشرات التفاصيل الدقيقة ، الصغيرة ، التي منحت الفيلم دفئا خاصا .. فهو يتتبع مشاعر الحب الاول ، الرقيق ، لاحد طلبته ، ويرصد طرفا من حياة تاجر شره داخل أسرته ، ويتعقب المسيرة المشينة لرجل بوليس فاسد ومرتش في احدى دورياته ويسجل أحاديث نساء الزقاق التي تعبر عن العديد من الطموحات والانتماءات ، المتوافقة أحيانا ، والمتناقضة احيانا اخرى .. ان هذه التفاصيل الفنية قد انقذت الفيلم من جفاف وعمومية الطابع الملحمي ليصبح الفيلم نابضا بدفء الحياة الواقعية .. اليومية .

قدم برهان علوية فيلمه قبل محمد شكرى جميل بخمسة أعوام ، أى في سنة ١٩٧٤ ، ويبدأ كفر قاسم بالمحاكمة الصورية للكولونيل عيسا شاد شادومى ، الذى أصدر أوامره لجنوده بقتل سكان قرية كفر قاسم العائدين الى بيوتهم قبل أن يعلموا بقرار الحكومة الاسرائيلية الخاص بحظر التجول والذى صدر من نصف ساعة فقط .. وتنتهى المحاكمة باصدار حكم بالغ الدلالة ، فالكولونيل



القاتل ، الذى صرع مع عصابته ٤٨ فلسطينيا وفلسطينية ، عليه أن يدفع غرامة قدرها قرشا اسرائيليا ، وأن ينفذ الحكم قبل ان يعين مسئولا عن الشئون العربية فى مدينة تحت الحكم الاسرائيلى. اذن فمذبحة « كفر قاسم » لم تحدث بسبب كولونيل مجنون ، متعطش للدماء، ولكنها تعبر عن فلسفة وأسلوب نظام عنصرى ، يرى أن دم ٤٨ فلسطينيا لا يستحق أكثر من قرش واحد . ان المحكمة لا تدين الكولونيل بقدر ما تفضح نظاما .

وبعد المحكمة التى تدور بعد عامين من المجزرة ، يرتد الفيلم الى الاسابيع القليلة التى سبقت الاعتداء الثلاثى ، ويكشف الفيلم عن الظروف القاسية التى يعيشها الفلسطينى فى الارض المحتلة ، على نحو بالغ التأثير ، ولعل من اكثر المواقف التى تمس شغاف القلب فى ((كفر قاسم)) ، موقف السيدة العجوز التى تنتظر امام بيت المختار أو العمدة لكى تسجل حديثا فى برنامج ((نحن بخير)) الذى تقدمه الاذاعة العبرية .. وتبدو العجوز حزينة لوفاة زوجها الذى رحل عن الدنيا وهو يتمنى ان يرى ابنسه الوحيد الذى حمل بارودة ذات صباح واختفى ، وعاد مرة واحدة لياخذ طعاما لاصحابه ولم يعد .. وتهدى العجوز سلامها لابنها وتقول وهى تجهش بالبكاء ((ابوك مات يا اسعد)) ، وفى مشهد لاحق ، على الطريق الزراعى يستمع الفلاحون الى البرنامج الذى سجلته بعثة الاذاعة فى قريتهم ، وتعلق امرأة تعليقا يهزنا تماما : ماذا لو عرفت ان ابنها أسعد قد مات ؟.

وفى القرية نعايش مأزق ذلك العجوز الذى يصله خطاب بالعبرية يخبره باستيلاء الدولة على أرضه بحجة انه تركها بلا زراعة فاصبحت بورا ، وتظهر فاشية النظام واضحة عندما يؤكد الفيلم بأن وزارة الدفاع سبق ووضعت يدها على أرض الرجل « لاسباب امنية » بعد أن طردته منها ، وها هى السلطة تطبق قانونها الجائر بالاستيلاء على الارض البور !.

ويقدم الفيلم نماذج تمثل القوى السياسية المتباينة الاتجاهات ، والتى ينتمى اليها رجال القرية ، ابتداء من « الناصريين » و « الماركسيين » حتى « اللامباليين » والعملاء .. وهو لا يقدمهم على نحو فكرى جاف ، ولكنه يضعهم فى معترك الحياة ، ويجعل لكل منهم نوعا من الخصوصية الفردية ، فهم جميعا ، مبدئيا ، بشر من لحم ودم ومشاعر ، وكلهم .. يقتربون من لحظة المذبحة الدامية .

● رؤية شاعرية ●

ويتعرض « احلام المدينة » الى ذات الفترة التى يتعرض لها فيلم « الاسوار» ١٩٥٣ ــ ١٩٥٨ ، ولكن فيلم محمد ملص ١٩٨٤ ، يقدم رؤيته الشاعرية الرقيقة، التى تجمع بين نفاذ البصيرة وشمولها ، من خلال عينى فتى لم يتجاوز العاشرة من العمر.. والفيلم يبدأ مع ظلام الليل، فالاوتوبيس يحمل أسرة صغيرة : أم فى شرخ الشباب ، مات زوجها حديثا ، وها هى فى الطريق الى منزل والدها مع طفليها ، وهاهى تصدم ــ ونصدم معها ــ بوالدها الجلف البخيل ، الذى يرفض ان يفتح لها الباب ، ولكن ، بعد تدخل أحد الجيران ، يقبل استقبال « لحمه» على مضض .

وتعيش الام ، مع ولديها أياما ناسية فى رعاية والدها الذى لا يرحم .. لكن محمد ملص ينتبه الى ان الايام الضنينة لا تخلو من لحظات بهجة ، الامر الذى جعل لفيلمه مذاقا بالغ الصدق والعذوبة ، ان الام الشابة ، الممثلة العظيمة « ياسمين خلاط » تشترى مذياعا يدخل السعادة الى قلبها الحزين ، ويستريب والدها الشرس فى مصدر ثمن المذياع ، ويتهمها فى شرفها ، وتضطر ، فى مشهد عاصف الى لطم خديها دفاعا عن سمعتها .. وفى مشهد لاحق تهدأ ثورتها ، وهاهي تحمم طفليها مستمتعة بصوت سيدة الغناء أم كلثوم ، وبعد ان تغتسل من همومها تمشط شعرها الشامى الطويل امام المرآة ، وتغنى مستمسكة بأهداب أمل ما « المغنى حياة الروح ، يسمعها العليل تشفيه » .

وتنساب السياسة فى نسيج الفيلم بنعومة ، فالطفل يتسمع ، مع من يتسمع ، الى محطة « صوت العرب » ، ويتابع سلسلة الانقلابات التى تبدو كما لو كانت لن تنتهى ، ويشهد مظاهرات تلاميذ المدارس ، ويردد ، دون وعى كامل ، الشعارات التى يرددونها .. ويتعرض لموجة عاتية من العذاب عندما تتزوج والدته ، وتخفت احزانه بعد عودتها ، ومن موقعه فى ذلك الشارع الجانبى يعايش ، مع السوريين جميعا ، تلك الاحداث الكبيرة التى تعيشها مصر .

الاحداث الكبيرة التى تعيشها مصر ١٩٥٦ هى محور الافلام الثلاثة .. توضع فى موضع القلب فى الاعمال الثلاثة .

● توازن فريد ●

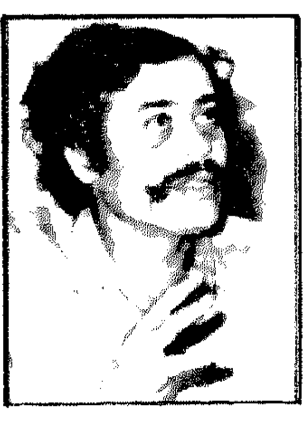
ويبدأ ابنها « باسل الابيض » اكتشاف العالم الخارجى ، ففى اليوم التالى لوصوله العاصمة يذهب لمشاهدة استعراضات الجيش احتفالا بعيد الجلاء ، وتهرول والدته بحثا عنه ، وبهدف المساعدة فى نفقات الاسرة الصغيرة ينخرط فى العمل كصبى للكواء ، ويتعرف على شباب الشارع ورجاله : الحالم بالسفر الى احدى دول الخليج ، الجزار الذى يهتف باسم كل رئيس جديد ، السياسى الذى لا يعلم — ولا نعلم — انتماءاته والذى يضرب سياسيا آخر لانه يحرض الناس على شىء ما ، الضرير الذى يأمل فى السفر الى موسكو لاجراء عملية تعيد له بصره ، الشاب الذى اعتقل وخرج معلنا بأنه تعلم كثيرا داخل المعتقل ، وصاحب دكان حياكة ينازعه شقيقه وتندلع بينهما معركة وحشية تنتهى بأحدهما وقد طعن شقيقه بالمقص .. ويخفق قلب الطفل ، لاول مرة ، بنوع برىء من الحب تجاه فتاة رقيقة بقوم بكى حزام مريلتها .

يستعين الفيلم العراقى بالعديد من الاشرطة التسجيلية ، يجدلها محمد شكرى جميل بمهارة فى نسيج عمله ، تأتى فى مكانها الملائم تماما ، وتحدث نوعا من التوازن الفريد ، فثمة مشاهد ارشيفية لوصول اسلحة امريكية لاحد الموانىء العراقية ، مع تعليق ، من خارج الكادر ، حول حلف بغداد الذى يدور فى فلك الاستعمار .. وفى المقابل ، يطالعنا عبد الناصر وهو فى عنفوان قوته ، المستمدة من ارادة التحرر عند الجماهير العربية ، معلنا فى الاسكندرية تأميم الشركة العالمية لقناة السويس شركة مساهمة مصرية .. هنا ، فى هذه اللحظات التاريخية العظيمة ، والتى تثير عند مشاهدتها على الشاشة ، عشرات المشاعر النبيلة ، تكتسب « الاسوار » قيمة مضاعفة . فهى تأتى كرد حاسم على محاولات الاستعمار لتكبيل المنطقة بأغلال الاحلاف والمعاهدات ، ثم تتأكد قيمتها ودلالتها فى المشاهد





المخرج محمد ملص



برهان علوية

الروائية التالية ، والتي تظهر الى تأميم القناة على الشارع العراقي .. فالرجال الذين يتهيئون للثورة ، يعتبرون أن هذا التاميم ، في جوهره ، نصر للقوى الوطنية العراقية ، بقدر ما هو انتصار للثورة المصرية .

ومرة اخرى يقدم « الاسوار » طرفا من خطاب عبد الناصر الشهير في ميدان الازهر ، عندما بدأ الاعتداء الثلاثي ، وعندما اعلن الرئيس ، وسط جماهير امتلأت بروح الفداء وعشق الوطن «سأحارب معكم الى آخر قطرة من دمي» .. وسرعان ما تتدفق المظاهرات في شوارع بغداد ، ليس من اجل العراق فحسب ، ولكن من أجل مشاركة شعب مصر في النضال ضد الغزاة .

وفي « كفر قاسم » ، بعد مشهد المحاكمة الصورية للكولونيل المجرم ، يقدم الفيلم رجال القرية مجتمعين في المقهى ، ينتظرون خطاب عبد الناصر وبعد أن تذاع اغنية وطنية يبدأ خطاب التاميم الذى القى في ٢٦ يوليو ١٩٥٦ .. ويلاحظ الناقد السورى صلاح ذهنى أن فقرات الخطاب الواردة في « كفر قاسم » كانت طويلة الى حد كبير ، ولكنى أميل الى رأى الناقد المصرى هاشم النحاس الذى يرى أن تحليل فقرات الخطاب تؤكد أهميته ، فضلا عن دوره المحورى بالنسبة لبقية الاحداث التالية ، فعبد الناصر في خطابه يهاجم حلف الاطلنطي وامريكا .. يفخر بزحف القومية العربية وتقدمها ، يشيد ويؤازر ثورة الجزائر ويتوقع هزيمة القوات الفرنسية التي أعدوها لمواجهة الاتحاد السوفييتي ثم نقلوها الى الجزائر لقمع الثوار ، ويتكلم عن حقوق شعب فلسطين ، ويخطر الجماهير بحصوله على السلاح من الاتحاد السوفييتي ، وأن السلاح ، مهما كانت جهة انتاجه ، يصبح عربيا عندما تحمله يد عربية .. ثم ها هو يعلن تأميم قناة السويس .

وكما رصد محمد شكرى جميل حماس الجماهير العراقية للنصر المصرى ، يرصد برهان علويه رد فعل سكان كفر قاسم تجاه الخطاب . حقا ان النساء تزغردن، والنشوة تعم الجميع ، ولكن ثمة شيء ينذر بالخطر يشعرنا به الفيلم عندما نستمع قبل الخطاب ، الى مقرىء يتلو من القرآن « اقتربت الساعة وانشق القمر » ، ثم نتأكد منه عندما نرى بعض الشباب مستسلما لنوع من الاطمئنان الخادع فيقول أحدهم « الضربة الثانية فلسطين » بينما يعلن آخر « أبو خالد عمل كل شيء .. نغمض عين ونفتح عين فنجدها محررة » يقول قوله هذا وهو لا يعلم أن المذبحة على الابواب .

اما في « احلام المدينة » فان خطاب التاميم – ذات المشاهد التسجيلية التى وردت فى الاسوار – تأتى في سياق واقع مختلف .. فالانقلابات ، والانقلابات المضادة كانت السمة الغالبة على الحياة السياسية ، ومع كل انقلاب يستمع

الناس الى ذات البيانات التي تهاجم السلطة السابقة وتعد الجماهير بحياة جديدة .. وعندما يعلن عبد الناصر عن التأميم يصبح رمزا للفصل الوطني ، ومعبرا عن احلام القوى الوطنية ، ليس في مصر فحسب ، ولكن في الوطن العربي كله .. ان « احلام المدينة » يجسد ، على نحو غني بالدلالات ، الفرح السوري بالنصر المصري .

واذا كان « أحلام المدينة » يعكس وقائع من حرب السويس على وعي الصبي ، حيث نشهد التماعة خطاب عبد الناصر في ميدان الازهر ، خاصة تلك الجملة التي يقول فيها « لن نستسلم ، لقد فرض علينا القتال ولن يفرض علينا الاستسلام ، ساقاتل معكم الى آخر قطرة من دمي » - فان فيلم « الاسوار » يعكس وقائع معارك بور سعيد على مشاعر القوى الوطنية العراقية التي لا تحتل الشوارع فحسب ، بل وتلود داخل جدران المعتقلات ، ان المشاهد التسجيلية للغارات الاستعمارية ضد مصر وانزال قوات المظلات فوق بور سعيد تتلاحم مع المشاهد الروائية التالية والتي تعبر عن تأجج المشاعر والمواقف العراقية ضد السلطة العميلة والاحلاف العسكرية .

وتتباين نهايات الافلام الثلاثة وان كانت تلتقي مع بعضها على نحو ما ، ففي الوقت الذي تتصاعد فيه ثورة الجماهير العراقية ، والتي لم تحسم المعركة بعد ، يبدو مشوار النضال طويلا امام اهالي « كفر قاسم » .. كيف ؟

جنود العدو يأخذون مواقعهم عند مدخل القرية ، وببرود يستعدون للمذبحة ، وهاهي طلائع سكان القرية تعود من حقولها ، وتبدأ الاغتيالات الجبانة ، بلا انذار او تردد .. ان الرصاصات الغادرة تستقبل اول العائدين ، ثم الثاني ، ثم الثالث راكب الدراجة ، ثم تقترب شاحنة بها بعض النسوة ، يوقفها الجنود وينزلون من بها ، ويطلقون الرصاصات ، ومع تساقط الشهداء يكتب المخرج الاسم والسن : على نمر فريج ١٧ سنة - عبد الله عبد الجاسر بدير ٢٥ سنة . آمنة طه ٥٠ سنة - خميسة عامر ٣٠ سنة .. ويتنبه « كفر قاسم » الى ان المجزرة ليست النهاية ، فهاهو احد الجرحى الذين تمكنوا من النجاة يبعث لنا برسالته المنتقاة من أشعار محمود درويش :

انني عدت من الموت لاحيا
واغني
انني مندوب جرح لا يساوم
علمتني ضربة الجلاد ان أمشي على جرحي
ثم امشي
ثم امشي ، واقاوم ..

ويجدل برهان علوية شريط الصوت الجماعي الذي يردد المقطع الاخير من الانشودة مع صور قبور الشهداء التي تنقلها الكاميرا.. ونلمح على احد الحوائط تقول « عاش جمال عبد الناصر » ..وهي نهاية تؤكد - شأنها شأن نهاية الاسوار - أن مشوار النضال لا يزال طويلا .. شاقا .. قاسيا .

اما نهاية ((أحلام المدينة)) فتترك في نفس المشاهد احساسا يمتزج فيه الفرح بالاسى ، والبهجة بالحزن .. فنشوة الوحدة بين سوريا ومصر ، والايمان بها ، يعبر عنها أحد رجال الشارع عندما يضع يده حول الصبي ويدعوه لان ينظر للقمر المكتمل ، المتألق ، في سماء صافية ، ويقول بيقين ((انظر .. حتى القمر يحتفل بالوحدة . ان الله مع الوحدة)) .. وبالطبع ، يعلم المتفرج تماما كيف تهشمت الوحدة لاحقا .. تهشمت ، لكن الحلم لا يزال حيا .. ان ((أحلام المدينة)) ، مثله مثل الاسوار وكفر قاسم ، وهذه هي ميزتهم الكبيرة ، يجسدون ، على نحو بديع اخاذ ، لحظات الكبرياء العظيمة .. في الايام الخوالي ..

عندما تهاجر السينما العربية إلى لغات أجنبية

بقلم : محمود قاسم

شكلت اللغة التي يقدم بها الفنان العربي أعماله في المهجر عقبة مع المجتمع الذى ينتمي اليه • أو ذلك الوافد تجاهه • فالفنان العربي الذى هاجر الى أوربا واتقن التعبير بلغاتها أصبح يجد نفسه بين هوتين لا يمكنه بسهولة أن يوفق فيما بينهما •

وقد ظلت مشكلة اللغة تطارد الفنان العربي المهاجر • خاصة القادم من شمال افريقيا الى فرنسا التي بلغ عدد المهاجرين بها مليونين ونصف يتكلمون باللغة الفرنسية • وكما ظل الفنان يقاوم رغبته في أن يعبر في آدابه وفنونه بلغات أجنبية • لكن السؤال المطروح أمامه ، ترى ما هي اللغة الاجنبية بالنسبة له • هل هي الفرنسية التي يجيدها تماما أم العربية التي ينأى في كتابتها والحديث بها ؟

بلاشك فان الفنان المهاجر يشعر بعروبته متاصلة بداخله من الدرجة الاولي . والا ما سمعناه يردد ويعبر عن الهوية المزدوجة التي يعاني منها دائما .. وعليه فان الفن المهاجر الى لغة أخرى هو فن عربى بالدرجة الاولى • خاصة فى الادب والفن التشكيلى والمسرح • لكن الامر يختلف فى السينما • فاذا كان الفيلم يحمل اسم صاحبه المخرج • فانه يحمل هوية البلد الممول ماديا .. ولان المشكلة ازلية بين المنتج الذى يملك المال ، والمخرج الذى يصوغ العمل فان هذا الاخير قد ينصاع فى أحيان كثيرة لبعض شروط صاحب المال ، وعليه فقد بدأت مقاومة الفنان العربى تقل بصورة ملحوظة مع المنح المالية التى تقدمها وزارة الثقافة الفرنسية للمخرجين السينمائيين خاصة للمهاجرين أو لهؤلاء الذين ينتمون الى البلاد الناطقة بالفرنسية في أفريقيا •

وفى السنوات الثلاث الماضية ظهرت مجموعة أفلام يخرجها العرب لكنها ناطقة بالفرنسية وتسمى باسم فرنسا ، والغريب أن بعض المخرجين الذين اتجهوا

الى التعبير .. بلغة غير عربية قد سبق لهم ان قدموا أفلاما بلغة الفساد . والبعض الاخر بقبل على تجربة الاخراج للمرة الاولى ..

تطرح آني كريجيه‌كرنيكي تساؤلا في كتابها « المسلمون في فرنسا » الذى‌نشرته في العام الماضي . هل يمكن لثقافة مهاجرة حقيقية أن تتولد فعلا؟ لقد بدأ المهاجرون في صناعة سينما خاصة بهم تسمى‌بسينما المهاجرين . وبدأ يظهر مسرح جديد به الكثير من أصالة البلاد التى جاءوا منها لكنه يختلف .

وقد وجد هذا المهاجر الفنان نفسه اخيرا أمام تمويل البلاد والتى هاجر اليها . فأقبل على التجربة مفتوح الصدر غير متردد . ولم يحدث هذا للمهاجر وحده . فاذا كانت الشخصية الفرنسية قد تكلمت باللغة العربية في فيلم « جميلة بوحريد » ــ تمويل الممثلة ماجدة ، فان هذه الشخصية تنطق باللغة الفرنسية في فيلم « الوداع يابونابرت » . وقد لا تكون هذه‌الظاهرة جديدة على السينما عامة . لكنها جديدة على السينما العربية : ففيما سبق رأينا المخرجين الذين تلقوا تعليمهم في فرنسا يعودون الى بلادهم ليخرجوا أفلاما «عربية» تماما خاصة في اللغة ــ وهي النقطة التى تهمنا هنا . فان ظاهرة جديدة بدأت تظهر .

يقول طاهر بن جولون في لوموند ــ أول اغسطس ١٩٨٥ ــ : « وربما بتنا في السينما» خلال السنوات الخمس الاخيرة، نعثر على تفتح العديد من ضروب ومجالات الابداع.. أما أسياجبارفترى أن‌السينما هي البديل الرائع عن الكتابة . لان الشخصية تظهر بمختلف أبعادها، تماما كما هو الفرق بين الرسم والنحت .

واغلب السينما العربية المهاجرة‌عربية الانتاج واللغة تمولها بلادها في المغرب العربى لكن ظاهرة هجرة بعض هذه السينما الى اللغة الفرنسية بدأت‌تتضح في فيلم « شاى بالنعناع » لمخرج يعمل لاول مرة هو عبد الكريم بهلول . وفى نفس العام ١٩٨٣ نشر شاب من العمال المهاجرين يدعى مهدى شرف‌روايته الاولى الشاب في مخدع ارشى أحمده في دار نشر « مركور » ولم تلفت اليها الانظار كثيرة .

● رحلة الى المكان واللغة والثقافة ●

وقد لعبت المصادفة دورا هاما في‌تاريخ هذه الرواية عندما قرأت المنتجة ميشيل راى مقالا كتبه الناقد جول روى في‌مجلة لونوفيل اوبسرفاتور فبحثت عن الرواية وقررت انتاجها ، وهنا بدأت مرحلة انتقال السينما العربية الى اللغة الفرنسية . فمهدى شرف قد نشر روايته بالفرنسية . ولم يكن يطمع مثل عشرات الروائيين الذين يكتبون‌بالفرنسية أن تقدم روايته الى السينما . خاصة اننا لا يمكن أن نعتبر تجربة اخراج « شحاذين ومتكابرين » لالبير قصيرى عربية لان مخرجا فرنسيا قدمها في أوائل الستينات .

تقول ميشيل راى : « لن ننسى أن زوجى كوستاجافراس مهاجر » وقد قرر أن يجمع كل المعلومات التى تتعلق بالجيل الثانى من المهاجرين » من الاطفال الذين وصلوا الى فرنسا في نهاية الستينات وما بعدها .

الجيل الثانى الذى تقصده ميشيل هو ذلك الجيل الذى وصل الى فرنسا بعد استقلال الجزائر . أى انه قد تجاوز العشرين عاما من العمر . والذى يردد أحدهم : « نحن نتلقى ثلاثة انماط من التعليم . تعليم من آبائنا . وآخر من مدرسينا وثالث من الحياة. وتتضارب



مروان الاخضر حامينا مع مينيل بو جناح في فيلم "الصورة الاخيرة"

هذه الانماط الثلاثة فيما بينها ومن أبرز أبناء هذا الجيل الروائية ليلى صباد التي لا تعرف من اللغة العربية سوى كلمات متناثرة .

وتتناول رواية مهدى شرف نفس الموضوع الذى يلح على الانسان العربى فى المهجر . انه يتحدث من الهجرة . فمهدى عامل بسيط استطاع أن يكافح فى حياته . يعيش فى دائرة الاختلاف بين الثقافة العربية التى جاء منهسا والفرنسية التى ذهب اليها . عمل فى البناء ، واعتاد أن يسمع عمال البناء يغنون ملء أشداقهم وعيونهم . وتدور الرؤية حول عمال البناء فى العديد من المدن الفرنسية . ويتحدث الكاتب فى الرواية انه لم يكن يستطيع التلفظ بكلمة « أرشميدس الا اذا فكها الى « ارشى .. أحمد » ، لكنه عندما اندمج داخل اللغة الفرنسية بدأ ينطقها بطريقة طبيعية . فالرحلة الى فرنسا هى داخل المكان واللغة والثقافة : « لقد كتبت الكتاب كى أنشره .. ولم يبع الكتاب لفترة طويلة ... فبدأت أفكر فى تحويله الى سيناريو » « لوموند ٢ مايو ١٩٨٥ » .

والسؤال من الفيلم الان – بعد أن عرض فى مهرجان كان العام الماضى . ومهرجان القاهرة الاخير : هل هو فيلم فرنسى أم عربى ناطق بالفرنسية . ففى

المهرجانين حمل الفيلم الجنسية الفرنسية . رغم ان صانعه عربى . ويناقش موضوعا عن العرب . ويقوم ببطولته ممثلون من العرب . ويجد المفكر العربى نفسه يذوب فى لغة جديدة . وفى هوية جديدة ..

● حكاية حقيقية عند بوابة الصحراء ●

واذا كان هذا هو حال مهدى شرف فى فرنسا . فان هناك حالة مخالفة تماما فى المانيا الديمقراطية متمثلة فى العديد من المخرجين القادمين من الشرق مثل الايرانى صهراب شهيد والعربى هارون الفاروقى الذى بدأ باخراج أفلام من العرب فى المهجر فى أواخر الستينات لكن هذه الموضوعات أصبحت بالنسبة له « انماطا » خارجة عن دائرة اهتمامه فبدأ يذوب تماما فى أفلامه الاخيرة حيث قدم فيلمه « أشياء حقيقية » ١٩٨٤ حول قصة حب رقيقة تدور فى فيتنام ابان الحرب .



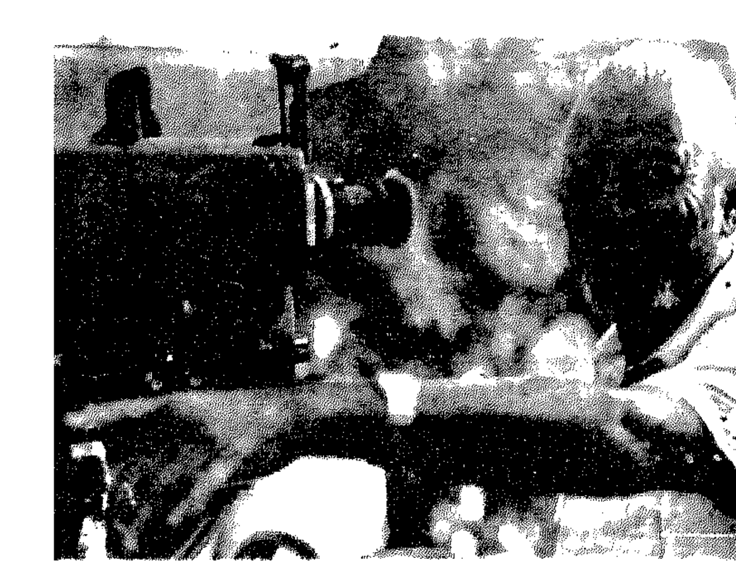
مهدى شرف ـ على الحسار ـ اثناء اخراج فيلم الحريم فى جناح ارشميدس

أما التجربة التى تنتظر الحكم عليها الان فهى تجربة الاخضر حامينا الذى انتهى فى الشهر الماضى من اخراج فيلمه « الصورة الاخيرة » باللغة الفرنسية ويقول جان ميشيل كلونى فى موسوعة السينمائيين العرب أن جامينا قد أدخل صناعة السينما الى الجزائر . وحسب البيان الفيلمى للمخرج حتى عام ١٩٧٥، فان كل أفلامه قدتم انتاجها فى الجزائر على نفقة مؤسسة السينما الجزائرية التى يعمل بها . وهذه الافلام عربية ناطقة باللهجة الجزائرية . وقد قام ببطولتها ممثلون من الجزائر .

لكن ما الذى دفع حامينا الى أن يقدم فيلما ناطقا باللغة الفرنسية . لقد أسند بطولة فيلمه الى مجموعة من الممثلين الفرنسيين على رأسهم ترونيك جانو وميشيل بو جناح ـ وهم يهودى فرنسى من أصل جزائرى لمع أخيرا فى السينما والمسرح ـ أما من الجزائر فقد استعان بولديه الصغيرين ماليك ومروان .

تدور أحداث الفيلم فى قرية أبوسعادة التى تقع على مسافة ثلاثمائة كيلو مترا من مدينة الجزائر ويسمونها بوابة الصحراء . كما تدور أحداث أخرى من الفيلم فى قرية ميسلا التى ولد بها المخرج عام ١٩٤٣ .

اذن فالفيلم عربى رغم أن لغة الفيلم غير عربية . وبينما نرى الكثير من الدول تقوم بجعل الافلام الاجنبية تنطق بلغتها مثل فرنسا وايطاليا والولايات المتحدة فان العرب يجعلون بعض أفلامهم التى يصنعونها تنطق بلغات المستعمر الذى حاربوه سنوات طويلة . و الفيلم تجربة ذاتية شهدها المخرج عام ١٩٣٩ ، «احكى



محمد الاخضر حامينا

قصة كليربوابيه من خلال منظر طفل يدعى مولود يقوم بدوره ابنى الاصغر مراون » .

فى هذا المكان تعيش مدرسة فرنسية ابان سنوات الاحتلال الفرنسى للجزائر فى حياة هادئة وهى لا تعتبر نفسهامغربية ولكن هناك بعض « الخصوم » الذين لا يحبونها .. وهناك رجل يحب العرب ولكنه لا يميل الى اليهود .. ونخشىأن يكون هذا الرجل صورة من هتلر مع بداية الحرب . لذا فهو يرى كل امرأة داعرة . هناك نماذج أخرى يقدمها الفيلم ــ الذى لم يعرض بعد ونستمد مادتنا عنه من مجلة برويير يناير ١٩٨٦ ــ مثل بعض سكان القرية . والمدرسات وناظر المدرسة . وأما الصغير ماليك فانه يميل الى المدرسة كانتى . ويلعب ميشيل بو ضاع دور سيمون اليهودى الجزائرى الذى يصبح فرنسيا ويعامله البعض معاملة سيئة .. وهو انسان بسيط ، يتسم بطيبة وتلقائية .

ويقول الاخضر حامينا فى فى نفس العدد من المجلة أن فرنسا قد اشتركت فى تمويل الفيلم بثلاثة عشر مليون فرنك .. وانه مع ذلك يعتبر فيلمه «جزائرى» .. ويعلن أن المركز القومى للسينما الجزائرية قد قام بانتاج ثلاثة وعشرين فيلما بين عامى ١٩٨١ و ١٩٨٤ . بينها فيلم « الحفل » لايتورى سكولا .وان هذا المركز قد اشترك من قبل فى اخراج افلام أخرى منها « معركة الجزائر » و « زد » .

كانت أول نتيجة لهذه الهجرة العربية الى اللغة الفرنسية ما نشرته الصحف الفرنسية أخيرا ضمن ترشيحات جوائز سيزار السنوية . فقد تم ولاول مرة فى تاريخ هذه الجوائز ترشيح اثنين من السينمائيين العرب . الاول هو قادر بو حنف الذى قام ببطولة ((الشاى)).. كأحسن ممثل مساعد ، والثانى مهدى شرف لجائزة أحسن عمل أول كمخرج .. ومثل هذا الترشيح ــ فى حد ذاته ــ انتقال جديد بهذه السينما الى آفاق أخرى قد تدفع بسينمائيين جدد الى الاقبال على نفس التجربة .

فمما لا شك فيه أن ظاهرة الهجرة الى لغات أوروبية سوف تتسع مع اتساع نشاط الهجرة ، ومع كثرة الابداعالفنى المكتوب بلغة فرنسية ، ورغممااتتضمنه مثل هذه الظاهرة من ايجابيات . فلاشك انبها سلبيات عديدة خاصة علىالمستوى الزمنى .. ويبقى السؤال : هل هاجر العرب الى جنوب القارة لتأسيس حضارة عربية . أم للذوبان البطنى داخل معالم هذه الحضارة . أملعمل مزيج مختلف بين الحضارتين .

الملامح التقليدية للشخصية العربية في السينما العالمية

حينما نناقش دور السينما العالمية فى تجسيد ملامح الشخصية العربية .. وحينما نقول ان هذه السينما قد اكدت منذ نهاية القرن الماضى وحتى الآن انها لم تستطع ان تلتقى بالآمال العربية .. بل بعثت الشك والريبة فى النفوس العربية تجاه العالم الغربى .. وافسدت على الانسانية بشكل عام املا عزيزا فى ان يسود التعاون والتفاهم مختلف الاجناس .. نكون قد حددنا رؤية عامة وشاملة لمئات الافلام التى تؤصل لملامح الشخصية العربية فى السينما العالمية .. دون الوقوع تحت تأثير ردود الفعل الوقتية التى تصيبنا بين فترة واخرى .. كلما شاهدنا فيلما يهاجم العرب وحضارتهم .. او كلما كان لنا موقفا مضادا للسياسات الغربية فى الشرق العربى!

لقد حددت السينما العالمية عدة ملامح تقليدية للاجواء التى نقدم من خلالها الشخصية العربية .. وكلها ملامح ليس لها على الدوام ميزة التغلب على التميز والتعصب لطغيان عدة عناصر عليها لعل اهمها :

اولا : ان هذه السينما غالبا ما تنتج فى بلدان لها أهدافها السياسية والاستعمارية مما يدفعها الى ابراز ضروب الصراع المعروف بين القديم والجديد والى دأب الغرب على اثارها عند تصوير ما يحدث فى بلدان الشرق العربى .. او فى سلوك الشخصية العربية عندما تحاول التلاؤم مع البيئة الغربية .

بقلم : أحمد رأفت بهجت

ثانيا : ان الفكر اليهودى كان دائما خلف هذه الافلام بكل ثقله ،فى كل مجال من مجالات صناعة الفيلم السينمائى .. مما أدى وبشكل تلقائى الى مساندة الالتقاء بين المصالح الاستعمارية والصهيونية

ثالثا : ان محصلة التزاوج بين عناصر الثقافة والاعلام الغربى أفرزت على حد تعبير المفكر الأمريكى والعربى الاصل ادوارد سعيد ــ شبكة عنكبوتية من العرقية .. والتنميط الثقافى والامبريالية السياسية .. والعقائدية التى تقضى على انسانية الانسان .. وتأسر العربى أو المسلم فى دواماتها .. وتتحكم على كل مصادر الثقافة والاعلام فى العالم الغربى .. مما أدى الى وضع السينما الروائية فى مقدمة الوسائل الفعالة التى تساند هذا الاعلام فى خطوات متوازية ومحسوبة بدقة وعناية .

● الجوارى والسود ●

ولقد كانت علاقة العرب بالجوارى والعبيد من أكثر الموضوعات اثارة للزيف فى الافلام العالمية .. ويتجه هذا الزيف الى ناحيتين .. أخلاقية وسياسية .. فبعض الافلام تأخذ على العرب انصرافهم

دوجلاس فيربانكس الأب فى فيلم "لص بغداد" ١٩٢٤



الى الايغال فى اقتناء الجوارى ومايرتبط بهن من عوامل الجنس والعنف ..بينما تستغل افلاما اخرى هذه الموضوعات لارتياد بعض الجوانب السياسية التى تحاول أن تضفي شكلا موضوعيا على احداثها لمهاجمة العرب .

وفى الافلام التى صورت قصص «ألف ليلة وليلة » او الاحداث ذات الطابع التاريخى أو المرتبطة بالقبائل العربية نراها تتمسك بتصوير الرق والجوارى والتقاليد والعقائد الجامدة الفاسدة التى تفصل بين الطبقات فى المجتمع العربى كقضايا مسلم بها .. ومنذ نهاية القرن التاسع عشر .. ومع ظهور الفيلم الفرنسى الصامت « بيع جوارى الحريم » ١٨٩٨ لجورج ميلييس .. نرى عرض الجوارى فى أسواق النخاسة العربية هو البداية التقليدية لظهور البطلة العربية أو الاوربية .. والغريب ان السينما الفرنسية صورت خلال بداية هذا القرن أكثر من ثلاثين فيلما كلها تدور حول اجواء الجوارى ومنها : « ابن الليل » ١٩٢٣ ، « ابنة البشوات» ١٩٢٦ ، « والجارية البيضاء » ١٩٢٧ « تحت سماء الشرق » ١٩٢٧ ، « فى ظل الحريم » .. وخلال الاربعينات والخمسينات دخلت السينما الامريكية حلبة المنافسة عندما وجدت أن الفرصة موائية لاستحواذ اعجاب الجمهور من خلال اجواء المغامرات والاثارة داخل « الحريم العربى » وظهرت الشخصيات العربية وهى تلعب دورا بطوليا فىتحرير المرأة من جحيم الرق والعبودية فى أفلام مثل « الجوارى » ١٩٤٧ ، « يانكيباشا» ١٩٥٤ « حاجى بابا » ١٩٥٥ .. وخلال السنوات الاخيرة عادت السينما الامريكية والعالمية لتقديم نفس الموضوع بكلملامحه الدعائية فى أفلام مثل « الطوارق » « بترول .. بترول » « حريم » « الرياح والاسد » .

وبنفس المنطق الذى عولج به موضوع الجوارى قدمت السينما موضوع السود وعلاقتهم بالعرب .. ومن خلاله اكتفت بترديد الدعاوى الكاذبةوالمتناقضة فى آن واحد .. فهى تحاول العزف على نغمة أن السود كانوا دائما ضحايا لتجار الرقيق العرب فى حين كان الابيض هو منقذهم من مخالب هؤلاء التجار .. ثم يأتى التناقض عندما تدعى نفس هذه الافلام بأن البرابرة والسود العرب يعكسان قمة الهمجية فى التاريخ الانسانى !!

وفى الوقت الذى كانت فيه السينما الانجليزية تتبنى الفكر العنصرىالمعارض للزواج والتساوى الاجتماعى بينالاوروبيين والزنوج .. كانت فى نفس الوقت ترفع راية محاربة الرقيق الاسود ولصق تهمة النخاسة على الشخصيات العربية دون غيرها .. وقد وصل هذا الاتهام الى ذروته فى أفلام مثل « الغروب » ١٩٤١ ، « غرب زنجبار » ١٩٥٤ ، « الخرطوم » ١٩٦٥ .

وفى السينما الفرنسية ظهرت اتجاهات متباينة فى مجال تصوير العلاقة بين الفرنسيين والعرب السود .. وكانت فى جوهرها ترتبط بما سمى بالمدرسة العنصرية اللاتينية .. وهى تسمح بالزواج بين البيض والملونين .. وبعض نواحى التقدم .. وتعمد فى الأساس الى امتصاص الوجود الفرنسى فى عشرات المستعمرات الافريقية .

وتبدو أدوار الممثل الاسود « حبيب بنجليا » ـ الذى يعتبره النقاد أهمممثل أسود ظهر فى السينما الفرنسية ـ وكأنها نموذج لطبيعة الادوار السوداء فى السينما الفرنسية .. ففى فيلم «ياسمين» ١٩٢٦ يلعب دور حارس الحريم، وفى « المفقود » ١٩٣٠ يؤدى شخصية



خادم أسود ينقله فتاة عربية اختطفتها عصابة من اللصوص فى جنوب مراكش ، وفى فيلم « قصة فارس السباهى » يلعب دور والد خادمة زنجية صغيرة .. وفى « الرياح » ١٩٢٢ يعمل فى خدمة الصيادين العرب .. ويكرر دور الخادم فى فيلم « المرأة والمندليب » ١٩٣٥ .. ثم يصبح الخصى الذى يساند أحد ضباط الجيش الاسبانى لمحاربة أجواء الحريم العربى فى فيلم « المرتد » ١٩٤٧ .

وكانت شخصية تاجر العبيد العربى .. من الشخصيات التى دابت السينما على تقديمها بشكل يدعو الى الاستفزاز .. وعلى الاخص عندما تقدم من خلال ممثلين لهم قدرتهم على تجسيد الادوار الكاريكاتورية مثل ((الانجليزى)) هارى اندروز فى فيلم « ليزا » ١٩٦٢ والالمانى بيترلورى ((٥ أسابيع فى بالون)) ١٩٦٣، او الروسى الاصل بيتر اوستينوف فى ((اشانتى)) ١٩٧٩ .

والسينمائيون الذين ادعوا ان العربى لم يحسن غير متاجرة العبيدواذلالهم.. هم انفسهم الذين هاجموا الشخصيات السوداء عندما أصبحت تنتمى الى الامة العربية .. وانكروا كل فضل للسود على الحضارة الانسانية ..

ومنذ عام ١٩٥٢ ومع ظهور فيلم « على بابا والاربعين حرامى » للمخرج الفرنسى فرناندوبكا والسينما العالمية لا تمل من تقديم حكايات ألف ليلة وليلة .. وشخصياتها الشهيرة : « شهرزاد ، على بابا ، علاء الدين ، لص بغداد ، السندباد ، معروف الاسكافى .. الخ وقد قدمت جميعها فى أكثر من مائة فيلم رغم تباين امكانياتها . وتتشابه أحداثها ولا تختلف الا فى التفاصيل .. فعوالم السحر والصراع الازلى بين الاخيار والاشرار تجد مجالها الخصب



ڤالنتينو فى "الشيخ"

فى احداثها وترسم مصائر أبطالها وكأنهم محكومون بقدر لا فكاك منه .. وفى مجموعها كانت شديدة الوقعوالتأثير على المتفرج العربى وتساير فى جوهرها الرؤية الغربية الاستعمارية تجاه العالم العربى .

ولقد ظهرت أفلام « ألف ليلة » .. كجرعات هروبية تقدم لشعوب العالم مع نوعيات سينمائية متشابهة فى فترة الصراعات الدولية والحروب الباردة..

فالهروبية والحنين الى الاجواء الخيالية جعلت من ألف ليلة معينا وافرا لاينضب .. ظهر الجزء الاكبر منها فى الفتــرة التى بدأت بقيام الحرب العالمية الثانية مثل « لص بغداد » ١٩٤٠ ، « الليالى العربية » ١٩٤٢ ، « على بابا والاربعين حرامى » ١٩٤٤ ، « الف ليلة وليلة » ١٩٤٢ ، « أغنية شهرزاد » ١٩٤٧ ، « البحار سندباد » .. ثم انحسرت لتظهر مع بداية الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقى والغربى خلال الخمسينات .. واختفت تدريجيا خلال الستينات وعلى الاخص فى السينما الامريكية بحجة أن الناس يرغبون فى متابعة ما يحدث فى الفضاء وعلى سطح القمر وليس الذهاب الى مدن الف ليلة .. ولكن مع السبعينات عاودت الظهور بنفس التوليفة التى قــدمت بها من قبل وبرغبة أكيدة فى مواصلة الهجوم على الشخصية العربية باسلوب لا يحمل اى جديد ولو من منطلق الرؤية السياسية .

● شيخ الصحراء ●

وكانت الحياة العربية موردا خصبا للافلام العالمية .. التى لا تبحث عن صميم العلاقات الانسانية والاجتماعيــة فى الحياة العربية بقدر ما تدور حــول العلاقات المشبوبة بين المرأة الاوروبية والشاب العربى الذى يوقظ عواطفهـــا بعد أن تتجاهله وتذله . ومع ظهــور فيلم « العرب » ١٩١٥ اخراج سيسيل دى ميل .. أصبحت الصفة الرومانسية لهذه الافلام تحمل خليطا غريبــا .. فالشاب العربى لايعقد العزم على الانتقام من الفتاة الاوروبية التى أهانته فى بداية رؤيتها له فحسب .. وانما يســعى جاهدا لكى يجعلها ترضخ له بكل الوسائل الوحشية واللاانسانية .

وقد حاولت أفلام مثل « الشيخ » ١٩٢١ لفالنتينو ، « بيللا دونا » ١٩٢٣ ،



مارلين ديتزش في دور الجارية في فيلد قسمت

« المتمرد » ١٩٢٧ ، « الهمجى » ١٩٢٣ استغلال أسلوب الاثارة من خلال مواقف لا تمل من تكرارها .. فهى تدفع العربى الى اذلال الفتاة الاوروبية ثم اثـــارة غرائزها الجنسية مما يدفع الفتــاة الاوروبية الى الاعتقـــــاد بأنهـــا تعيش قصة حب مشبوبة بالرغبة .. ولكن النتيجة تأتى لتؤكد أن هذا الحب المزعوم لا يمكن أن يثمر علاقة ســوية لانها بين أطراف متناقضــــة .. فاذا استسلمت المرأة البيضاء حتى نهاية

القصة لنزواتها مع العربى .. فلابد ان تفقد كبرياءها .. وتعرض نفسها للادانة والتحقير من ابناء جلدتها .. اما اذا كانت هذه العلاقة مجرد تجربة تعي من خلالها الفرق بين التمدن والبدائية فهى بذلك تصبح نموذجا مثاليا لكشف أوهام الغربيين تجاه الشرق ورومانسياته المزعومة ! ..

ومرة اخرى شهدت السنوات الاخيرة عودة لهذه الرومانسيات الزائفة من خلال افلام صهيونية مثل صحارى الذى أنتجه المنتج الاسرائيلى مناحم جولان .

● الاوروبى ●

ولا يختلف الامر كثيرا بالنسبة للمغامر الاوروبى عندما يجد نفسه فى ارض الشرق .. سواء كان جنديا او سائحا او عميلا سريا او أثريا .. فالشاب الاوروبى أو الامريكى عندما يستسلم فى الصحراء العربية لفتاته العربية الحسناء .. فانه يبقى مخلصا امينا لعقيدته من أن الاوربيين والامريكيين رغم انهم فى حاجة الى ان يقبلوا روتين حياتهم راسا على عقب .. وفى حاجة الى ان يفعلوا كل شيء غير متوقع الحدوث .. وأن يسافروا ويرحلوا وان يبحثوا او ان يحظى شغفهم بحب الجمال والاثارة والمغامرة ومساعدة الشعوب المتخلفة .. بمزيد من الارضاء .. الا انه يجب عليهم ايضا فى نهاية الامر ان يتهكموا على حياة الصحراء . . وأن لا يستسلموا لها .. الا اذا كانت هذه الحياة ستكون مع حبيبة القلب الاوروبية أو الفتاة العربية ذات الاصل الاوروبى!!

ومن خلال مغامرات الاوروبى فى الشرق العربى نتعرف على نماذج متباينة من النساء العربيات اللاتى تدمتهن السينما الغربية .. لمنهن الزوجة الخائنة التى تحاول التخلص من القيود الاجتماعية المجحفة التى تكبل انطلاقها ورغبتها فى الحياة .. وقد ظهر هذا النموذج فى السينما منذ عام ١٩٢٢ فى فيلم « دماء الله » ثم تتابع ظهوره فى عشرات الافلام ومنها « جحا » ، « موت أميرة »

وكان للمؤلفات التى عالجت شخصيات من النساء العرب مثل رواية «عائشة» للانجليزى سير رايدر هاجارد ، « الاطلنطيد » لبير بينوا نصيبا وافرا فى الافلام الاوربية .. حيث بلغ عدد الافلام التى صورت عن شخصيته و « انتينيا » بطلة الاطلنطيد ذات الاصل العربى أكثر من عشرين فيلما من جنسيات مختلفة .

والفتاة العربية المخلطة اى التى أنجبت من اب عربى وام اجنبية او العكس قدمتها السينما الاوروبية فى انماط كثيرة .. فهى اما متمردة على واقعها وتحاول تعويض ما ضاع من عمرها مع رجل اوروبى يرمز لمصدر الحياة والرقة « الرياح » ١٩٣٣ .. واما انها تحاول الاستمرار فى الانتماء الاوروبى « فيلق الصحراء » ١٩٥٣ .. أو على الاقل ترتبط بأكثر الرجال ايجابية وشرفا من بين ابناء قومها « الصقر » ١٩٤٩

وهكذا تتلاعب السينما بنمط المرأة العربية التى تحاول التخلص من قيودها .. بحيث اصبحت فى النهاية نمطا وليست فردا بحجة ان المجتمع الذى تعيش فيه لا يسمح لها بالتطور كفرد عادى .

وعموما هذه بعض الملامح التقليدية التى دابت السينما العالمية على تقديمها عند تصوير الشخصية العربية .. هناك ملامح اخرى استجدت تحاول ان تقدم العربى بشكل أكثر عصرية .. قد يكون فيها مثقفا او ثوريا او رجل اعمال ولكنها فى جوهرها لا تختلف كثيرا عما قدمت الافلام ذات الملامح التقليدية ..

لطالما الاهداف ثابتة .. فالتغيير غير وارد !!

النوايا الطيبة لاتصنع الأفلام !

بقلم : على أبوشادى

يظل الحلم الدائم لدى عشاق السينما .. ان تمتلأ دور العرض ، فى كل انحاء الوطن العربى بافلام من انتاج دول عربية اخرى لتعود السينما، مرة أخرى كما كانت فى فترات ماضية من التاريخ القريب ، اداة فعالة من أدوات الوحدة الثقافية ومن ثم عامل قوى من عوامل الوحدة العربية .. ذلك الامل العظيم لدى جماهير الامة العربية .. لكن هيهات .. أن يتحقق الحلم .. حيث تغرق صالات السينما فى كل ارجاء الوطن بافلام اجنبية تسمح لها الرقابة بان تساهم فى تخدير الجماهير وان تكرس واقعا متخلفا وان تجعل من ارادة التغيير، املا مجهضا ، وتقاوم هذه الرقابات المختلفة افلاما عربية ذات مستوى فنى وفكرى ، وتشارك هذه الرقابات ، تجار السينما فى رفضهم لتسويق الفيلم العربى، وخصوصا فى مصر بحجة أن الافلام العربية ليست أفلاما تجارية ولا يقبل عليها الجمهور ،وان كان فيلم ((الحدود)) اخراج دريد لحام قد كسر هذه القاعدة ، فقد كان الفيلم مرفوضا هو الاخر لولا اقدام احدى الشركات على توزيعه بعد نجاحه فى مهرجان القاهرة السينمائى .



وفى هذه الدورة تتناول فيلمين ، لم يكن ليتاح لهما فرصة العرض على أرض عربية ، فى ظل الظروف المتردية للوطن العربى ، وفى ظل حكومات تختلف فيما بينها أكثر مما تتفق ، ويجمع بين هذين الفيلمين ، أن أحدهما من الشرق والثانى من الغرب وأن مخرجيهما ينتميان للثقافة الفرنسية ، وقد عرضا ضمن مجموعة من الأفلام العربية عرضت فى إطار برنامج مهرجان كان -- الفرنسى فى العام الماضى

● غزل البنات ●

ضمن برنامج نصف شهر المخرجين ، عرضت المخرجة اللبنانية جوسلين صعب (٣٧ سنة) فيلمها الروائى الأول غزل البنات » ، وجوسلين صعب صحفية ومصورة سينمائية ، وحاصلة على الدكتوراه فى العلوم الاقتصادية من باريس ، وهى من مواليد بيروت ، وعملت

كمال الشناوى ومديحة كامل فى لقطة من فيلم "الملائكة"

فى العديد من تليفزيونات العالم (التليفزيون الفرنسى واليابانى والسويدى والسويسرى) .

وجوسلين ، قبل هذا الفيلم ، عرفت كمخرجة للافلام التسجيلية منذ عام ١٩٧٣ ومن بين أفلامها التسجيلية فيلم « خمس موضوعات عن حرب أكتوبر »، وفيلم « كروستان » وعرضا فى عام ١٩٧٣ ، وفى عام ١٩٧٤ قدمت « النساء الفلسطينيات » وسنة ١٩٧٥ « لبنان فى العاصفة » ثم توالت افلامها « حرب الاطفال » و « بيروت لن تكون ثانية » و « جنوب لبنان » و « الصحراء ليست للبيع» و «مصر مدينة الموت » و «رسالة من بيروت » ثم « بيروت مدينتى » .

وقد عرضت معظم هذه الاعمال فى تليفزيون باريس ، وبعض التليفزيونات العربية وحققت نجاحا على المستويين الفنى والفكرى ، وتعد جوسلين صعب واحدة من أشجع المخرجات العرب اللائى اقتحمن الحرب ، وصممت على تقديم وثائق انسانية عن لبنان .. بيروت ، الارض والمدينة ، المبانى والرجال .. وتنقلت عبر الجبهات لتنقل بالصوت والصورة ملامح معبرة وانسانية عن تلك الحرب اللعينة ، وخلفياتها ونتائجها وضحاياها ، ولذا كانت ، أفلامها من ابلغ الوثائق المصورة ومن أكثرها تعبيرا عن الحرب .

وفى فيلمها الروائى الاول، شأن افلامها التسجيلية ، تعاود جوسلين صعب الحديث عن همومها وهموم وطنها الممزق لبنان ، وتحاول ان تقدم اطلالة — يمتزج فيها الجانب الروائى، بالحس التسجيلى — على ما يجرى حاليا داخل الوطن وفى أتون الحرب المشتعلة بين كل الاطراف ، وتحاول أن تنعى لبنان للجميع وان تفقأ عيوننا ومشاعرنا بما يحدث فى الوطن الشقيق .

من خلال « سمر » وهى فتاة صغيرة على عتبة المراهقة ، تعيش مع أسرتها احلك اللحظات واصعبها يوميا مع طلقات الرصاص التى تزمجر فوق رءوسهم جميعا ، وفى وسط الخطر الدائم ، تعيش سمر مع احلامها الصغيرة ، بأن تحب وتعشق ، وهى الاحلام التى تصورها لها الافلام المصرية التى تشاهدها يوميا على شاشة التليفزيون ، حيث لا وسيلة غيره منه يعرفون أخبار الدمار والخراب .. والحياة — الحلم — فى الافلام .

وتلتقى سمر بكريم ، الفنان المهزوم، الذى ينكفىء على ذاته ويعيش سجنا اختياريا داخل احد القصور المهجورة ، يرسم حروفا عربية ، لا يتقن الحديث بها وفى لقائهما — سمر — كريم — يتقابل الحلم والهزيمة ، لنشاهد مأساة قوامها عدم التواصل ، فكريم مزيج من الثقافتين العربية والفرنسية ، يحيا أحزانا خاصة به ، كمثقف سلبى ، وجد نفسه عاجزا ازاء الحرب ، فوقف يتفرج على الاحداث .. وعجز عن التواصل مع سمر ، وعبثا تحاول سمر الاقتراب منه أو من مشاعره التى تعانى الاغتراب الكامل ، حتى يموت برصاصة احد القناصة ، ويموت معه حلم سمر ، الموؤد أصلا ..

● الضياع فى الزحام ●

ان فيلم جوسلين صعب ، يحوى الكثير من النوايا الطيبة التى ضاعت فى زحام الافكار المتناثرة التى حاولت المخرجة أن تطرحها فى عملها الروائى الاول ، ورغم كل ما يقال عن اخطار العمل الاول ، الا ان الفيلم حاول أن يكون متأملا فضاع ايقاعه ، وحاول ان يفكر ، فتلعثمت افكاره ، وحاول أن يتفلسف فتهاوت مقدماته ونتائجه ، وحاول ان يطرح علاقة حميمة فجاء باردا مترهلا ، وحاول أن يتكلم عن الاغتراب ، فوقع فى الاغتراب .





لقطة من فيلم غزل البنات من إخراج جوسلين صعب

اننا فى الحقيقة نشاهد بيروت ، ولا نراها، نشاهد العلاقات ولا نستشعرها، ندرك اننا أمام محاولة ، ننحنى اجلالا لها ، وهى محاولة التصوير وسط الدمار والرصاص والطلقات الطائشة ، لكن النتيجة كانت أقل كثيرا مما نأمل ، وتأمل جوسلين صعب .

حاولت المخرجة أن توضح أن الافلام المصرية التى تشاهدها سمر ، ومعها كل اللبنانيين فى التليفسزيون ، أثرت على طريقة تفكيرهم وسلوكهم، وجعلت الشباب يتحدث بلغة الحوار السينمائى ، خاصة حوار افلام نادية الجندى « سلملى على البادنجان .. وخلافه » وعلى الصعيد النظرى ، فهذه مسالة واردة ، فاوقات الحصار طويلة ، وليس أمام المختبئين سوى مشاهدة هذه الافلام ، وعمر سمر (١٥ سنة) لا يزيد كثيرا عن عمر الحرب اللبنانية ، ولها الحق ، هى واقرانها ان يتأثرن بتلك الافلام ، لكن ما جاء على الشاشة أعطى احساسا بأن السينما المصرية هى احد أسباب ما يجرى فى لبنان ، وان افلام نادية الجندى عامل رئيسى فى الهزيمة التى لحقت بالجميع، وهى قضية قد تكون صحيحة الى حد ما ، ولكنها قضية اكبر من الفيلم ذاته الذى عجز عن توصيلها كقضية عامة ، وضيعها ذلك الاداء السطحى الذى قامت به هالة بسام فى دور سمر ، والتى ، كما اعتقد ، تمثل لاول مرة ، كذلك جاء اداء جاك ويبر (كريم) ركيكا وشابه

سوء النطق بحيث تاه في منتصف الطريق، فلم يعد فرنسيا، ولم، ولن يكون أبدا لبنانيا .

وشأن كل الأفلام العربية التي ينطق بعض أبطالها باللغة الفرنسية، يتجاهل مخرجوها ضرورة وجود ترجمة عربية على الشريط لكلمات الحوار الأجنبية، رغم أنهم يضعون ترجمة فرنسية لكلمات الحوار العربية، ولا يتعلل البعض بأن ذلك يحدث في المهرجانات حيث لا ضرورة لوجود ترجمة عربية على الشريط، فمتفرجو مهرجان كان يعرفون الفرنسية واعتقد، من جانبي، أن القضية ليست قضية من الذي يشاهد، بقدر ما هي قضية احترام اللغة العربية، واحترام أن الفيلم، لبناني - عربي، وإن ساهمت في تمويله كندا وفرنسا .. إن من حق المخرجة أن تجعل أبطالها ينطقون باللغة التي تريدها، أو هكذا واقع الحال في لبنان، الفرنسية بجوار العربية، فإننا كما أكدنا على الفرنسية واحترمنا مشاهديها، فيجب أيضا أن نحترم العربية وأن نفسح لها مكانا على الشريط .

ورغم سيناريو جيرار براخ، وتصوير

جوسلين صعب مخرجة غزل البنات





كلــود لانزو ، لو يمعنى ادق بسبب سيناريو براخ جاد الفيــلم يلاردا ، لم يشعر بما يحدث ، ولم يستطع بالطبع ، ان يجعلنا نستشعر مرارة ما يحدث .

والتعامل مع الحرب مســألة شائكة ، وخاصة اذا كانت تلك الحرب ما زالت دائرة ، وان حربا مثل حرب لبنان ، تتداخل فيها الكثير من القوى وتتشابك المصالح ، لا يمكن التعبير عنها بســهولة من خلال الســينما الروائية ، التى تحاول بطبيعتها ، فك واعادة تركيب العلاقات واعادة بناء الواقع ، وهى مسـألة عسيرة ولقد جاءت المحاولات الروائية للتعبير من الحرب مثل حروب صغيرة لمارون بغدادى ، وبيروت اللقاء لبرهان علوية ، مختلفة من حيث قدرتها ، وتوفيقها ، فى التعبير عن واقع هذه الحرب الغريبة ، لذلك فإن الآمال الطيبة والنوايا الحسنة التى حاولت جوسلين صعب ان تقدمها ولم توفق ، فى هذا الفيلم ، كفيلة بأن تتحقق فى أفلام اخرى ، ونعتقد انها قادرة على ذلك .

● الملائكة .. والبطولة المصرية ●

لآخر افلام المخرج التونسى الشاب ، رضا الباهى (٢٨ سنة) والذى شهدت

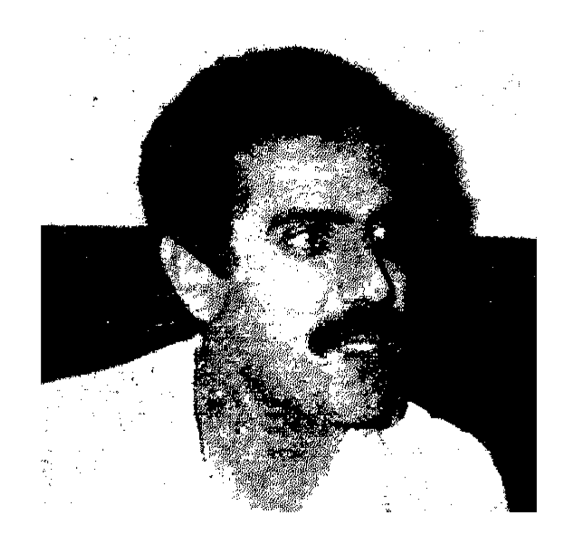
لقطة من فيلم الملائكة

له القاهرة فى مهرجاناتها السينمائيـــة فيلمه الشهير « شمس الضباع » الذى قام ببطولته الفنان الكبير محمود مرسى.

والباهى من المخرجين المقلين جدا فى انتاجهم ، فخلال ثلاثة عشر عاما لم يقدم سوى ثلاثة افلام ، أولها عتبات ممنوعة ثم شمس الضباع وآخرها الملائكة ، ذلك ان الباهى يحاول ايجاد ، أو المسـاهمة فى خلق سينما مختلفة سواء فى الشكل او فيما تطرحه من قضايا شديدة الالتصاق بالواقع التونسي بشكل خاص ، وبالواقع العربى فى دائرة اوسع .

وتأتى تجربة « الملائكة » ببطولة مصرية تقريبا ، كمال الشناوى ومديحة كامل وليلى فوزى ، وكذلك ينطق بلهجة مصرية كاملة ، حتى مع الممثلين غير المصريين ، بهدف تجربة توسيع رقعة المشاهد فى المشرق العربى الذى وحدته لهجة الفيلم المصرى اكثر من أى شيء آخر باعتبارها اكثر اللهجات شيوعا وفهما ، لدى كافة المشاهدين فى البلاد العربية .

والتجربة ، تنطلق انطلاقا نظـــريا سليما ، فتوحيد لهجة نطق الافلام ، وان كان يبعدها قليلا عن التعبير عن المحلية، فانه من الممكن ، عبر عدة سنوات ، أن تكون السينما اداة تقريب بين اللهجـات المحلية العربية ، ومن ثم توحيد هـــذه اللغة ــ اللهجة بعد ذلك وتكريسها كلهجة مشتركة تتفهمها وتفهمها جماهير الامة من المحيط الى الخليج ، لكن هذه التجـربة أيضا تحتاج الى عدة مقدمات مثل محاولة تصفية اللهجات المحليـــة من الصياغات التى قد لا تكون مفهومة فى قطر عربى آخر او الاقتراب باللهجة من اللغـــة الفصحى وهى اللغة المشتركة والاكثـــر فهما ، وغير ذلك من محاولات الحلول، لكن اللغة فى « الملائكة » لم تكن اداة



المخرج التونسى رضا الباهى

طيعة فى يد رضا الباهى ، بل ساهمت فى تغريب الموقف ، وجعلت هناك حاجزا غريبا بين الشاشة والمتلقى ، وافتقدت مشاهد الفيلم الصدق المطلوب ، ذلك ان الجمهور ، يعرف اكثر من غيره ، ان هذه الاصوات ليست هى الاصوات الحقيقية لممثليه التونسيين الذين يظهـــرون على الشاشة ، وقد هوجم الفيلم ، وهوجمت معه السينما المصرية ، بسبب ذلك فى مهرجان قرطاج الاخير .

لكن اللغة لم تكن هى العامل الوحيد الذى جعل الفيلم يبدو غريبا على العين والاذن . فالبـــاهى حاول ان يرضى من خلال فرقة مسرحية ، تعزل نفســـها باختيارها فى أحد القصور القديمة ، تقيم على ارضه البروفات لمسرحيات تمزج بين العديد من كتاب المسرح المعاصرين ، فى محاولة للبحث عن صيغ مسرحية جديدة تعبر عن أشواق وهموم المجتمع . وبطلة الفرقة سلوى (مديحة كامل) تقع فى حب دكتور يوسف (كمال الشناوى) وهو

طبيب مشهور ورجل أعمال متزوج من امرأة تحكمه وتتحكم فيه وتدير له اعماله، وتحاول جاهدة ان تخنق العلاقة بينه وبين سلوى .

ويقف على الطرف الاخر ، لطفى ، مخرج الفرقة ، الذى يحب سلوى ، هو الاخر ، لكن اسلوبه الجاد ومظهره المتزمت ينفرها منه ، فيقرر فى لحظة جنونية ان يخطف يوسف ، ويعقد له هو وفرقته ، محاكمة ، باعتباره ممثلا للبورجوازية التى تحاول أن تسرق القصر القديم ، رمز التراث ، لتهدمه وليحل محله مصنع للادوية . ترفض سلوى ما حدث ليوسف ، ويكون ذلك سببا جديدا فى توثيق العلاقة بينهما ، لكن زوجة يوسف (ليلى فوزى) ومعها اخوها ودفاعا عن مصالحها ومصالح طبقتها الاقتصادية التى قرر يوسف تدميرها بشرائه البيت القديم لحساب سلوى ، ورفضه لفكرة بناء المصنع، تقوم الزوجة باتهام زوجها بالجنون وتدفع به الى مستشفى الامراض العقلية .

ان رضا الباهى يحاول من خلال هذه القصة البسيطة التى تبدو وكأن السينما المصرية قد قدمتها عشرات المرات قبل ذلك ، عن العجوز الذى يحب فتاة صغيرة ، أو العكس ، لكن الباهى جعل عناصرها هنا مختلفة ، فهناك مجموعة المسرحيين بأحلامهم فى خلق مسرح جديد - وهم يمثلون المتعذبين فى الوطن العربى - مسرح او فن ، يلتصق بهموم مجتمعهم ، لكنهم يعجزون لانهم ايضا منعزلون بشكل كامل عن مجتمعاتهم ، بل وينظرون الى هذا المجتمع نظرة سلبية ، والباهى ، يدينهم ، بل ويسخر منهم ومن موقفهم حين يحاكمون يوسف محاكمة سياسية بعد خطفه ، وان كانت عملية الخطف ذاتها قد تمت لدوافع عاطفية (العلاقة بين سلوى ويوسف) ويمزج الباهى بين ما يحدث ليوسف على يد جماعة المسرح وبين ما حدث له فى النهاية حيث تلقى به زوجته فى مستشفى المجانين .

واستخدم الباهى اسلوبا سينمائيا اقرب الى التجريب ، من خلال ايقاع بطىء يحاول التأمل والوصف ويتسم بالبرود الشديد ، ويفشل فى خلق حالة تواصل حقيقية مع المتلقى ، ان الباهى حين ادان مجموعة المسرحيين ، داخل فيلمه بوصفهم مثقفين منعزلين ، قدم فيلما ، أشبه بمسرحياتهم ، فما كان احوجه هو نفسه الى أن يكون فيلمه أكثر دفئا يناقش منه مشكلات الشباب العربى فى علاقته بواقعه وتاريخه، ويطرح فيه رؤيته لاسلوب التغيير ، ويطرح فيه ايضا المشكلة الثقافية التى تؤرق العرب جميعا ، وهى مشكلة الاصالة والمعاصرة او الموقف من التراث ، وهو ما حاول طرحه وان لم ينجح بشكل كامل .

ان الباهى رغم هذه الملاحظات يظل لحنا جديدا ، مختلفا ومتميزا فى أنشودة السينما العربية ، ووعدا حقيقيا بسينما جديدة ومختلفة تصلح لغد جديد ، تشاركه فى هذا جوسلين صعب ، التى ستظل افلامها ، رغم كل الملاحظات ، وثيقة حب عظيم ، لوطنها ، ووثيقة ادانة لكل النظم العربية التى تشارك بقصد ، أو بغير قصد فى تدمير لبنان العظيم .

الكتابة العربية

ومحاولات البحث عن الشخصية المصرية فى الفن

بقلم : أحمد فؤاد سليم

منذ انشاء مدرسة الفنون الجميلة العليا فى مصر فى عام ١٩٠٨ ظلت مشكلة التعبير فى الفن المصرى تغلى بسبب محاولات البحث عن شخصية مميزة.

وانشغل عديد من الفنانين المصريين بالبحث عن تلك الشريان الضائع بين الفكر الغربى الذى تمثله باريس وبين الاسلوب الفنى الذى تمثله فلورنسا .. لقد كان الغرب لزمان طويل يمثل قدرا عاليا من النموذج للفنانين المصريين. وربما كان للبعثات والمنح الفنية التى كان يرعاها امراء ورجال دولة فى اوائل القرن - ثم الحكومة فيما بعد - الأثر الفعال فى تأكيد النموذج الغربى باعتباره القدوة التى لا مفر منها نحو مشكلة التعبير الفنى وبالتالى نحو اصطناع هذا المصطلح الغامض لفكرة المثالية.



الحق ـ كتلة عربية للفنان مصطفى رافع ٦٠ × ٧٥ سم ـ ١٩٧٩

● ومنذ الاربعينيات حتى بداية الخمسينات كان الفن المصرى قد ارتدى عدة أقنعة تتعارض مع بعضها فى شكل جماعات فنية ، وطفحت على السطح اتجاهات فنية بعضها وطنى الطابع وبعضها الآخر يدين بأسلوب سيزان وسوراه ومانيه ، وأخرى تدين ببابلو بيكاسو وجورج براك فى المرحلة التكعيبية ، وثالثة تدين بكالدر وجياكومتى وأرميتاج فى النحت .
ورابعة تدين بجاكسون بلوك وألبر ، ورؤشنبرج ، وخامسة تدين بموراندى بالتحديد ، وسادسة تدين بسلفادور دالى ، وماجريت ، وسابعة تدين ببول كلى وخوان ميرو ، وثامنة تدين بالمدرسة التعبيرية الالمانية ، وتاسعة تدين بمدرسة الباوهاوس الالمانية وعاشرةتدين بالواقعية المدرسية وحادية عشرة تدين بالواقعية المثالية وثانية عشرة تدين بما يول فى النحت تاره ، وهنرى مور تاره أخرى .

ومنذ الستينيات بدأت محنة التعبير الفنى تمثل ضميرا ضاغطا لدى جانب هام من الفنانين المصريين .. لقد كان الشعار هو البحث عن الشخصية المصرية . كيف ، ومن أين ، ونحو أى سبيل ؟ وتميزت فى الستينيات دعوتان يضمهما شعار واحد هو (البحث عن الشخصية المصرية فى الفن المصرى):

● أولهما : اعادة تاكيد ملامح المحلية الشعبية ، ثم اعادة تركيبها .

● ثانيهما : الفن الاسلامى باعتباره موروث أساسى للشخصية المصرية والعربية وباعتباره الوريث الشرعى للواقع التصويرى للكتابات القديمة .

ومنذ عام ١٩٦٧ تميزت الجماعة التى ترى الفن الاسلامى الشخصية النموذجية، وأخذت هذه الجماعة تخطو خطوات سريعة نحو الهدف متسلية بالفكر الفلسفى والثقافة الانسانية ومنحى التحديث ، .. وفى نفس الوقت بدأت تقدم للمشاهد المصرى الكثير من الاجابات على تساؤلات كثيرة ظلت لزمان طويل دون اجابة واضحة ، ومن هذه الزاوية الاخيرة فنحن نطرح موضوع اليوم .

● الكتابة العربية جزء من الفن الاسلامى ، لماذا ؟

لاشك أن المنطقة العربية تمثل النموذج المجسد لتلاقى أعرق الحضارات فى التاريخ الانسانى فقد عاشت منذ البدايات الاولى فى حالة اتصال عميق فيما بينها .

اتصال لم يقتصر فقط على المكان والموقع ، وانما تعدى ذلك الى اللغة واللهجات ، والمناخ والجنس، والتاريخ .. ولقد كانت منطقة سيناء على مر العصور هى المكان والموقع الذى استقبل مختلف الحضارات تلك التى كانت تهب من مصر القديمة على بلاد ما بين النهرين ، وتلك التى تهاجر من بلاد ما بين النهرين الى مصر وشمال افريقيا .

ومن ثم فليس أمامنا من سبيل ونحن نحاول الكشف عن بعض جوانب التفاعل والتقابل بين الكتابة العربية بحركاتها الصوتية وبين الاساليب الفنية للكتابة العربية ـ ليس أمامنا من سبيل

الا أن نشفع ذلك بجسانب من هسذه الخصائص الانسانية ٠

فنحن عندما نتناول التركيب الفني لاصوات اللغة العربية ولحركة الخطوط العربية المكتوبة المطابقة لها لا نستطيع أن ننزع وجودها من المكان أو الزمان، كما اننا لا نستطيع أن نرقب ذلك بمعزل عن التقاليد والثقسافات العليا بسل والفلسسفة أيضسا ـ ولعسل فكرة (الوحدانية) ـ هي واحدة مسن أهم العناصر الراسخة في تكوين الجسوهر الخاص بالشخصية العربية ، فهي التي جسدت الى حسد بعيد هسذه الصيغة القدسية للابعاد الروحية تلكالتي تتمثل في الخلاص بعقيدة «الوحدانية»، ومسن ثم التسامي والتعالي عما هو سائد بين الناس في المكان وفي الزمان ٠

ويذهب الدكتور عفيسفي بهنس في كتابه (دراسات نظرية في فن العرب) الى حد أبعد من ذلك اذ يقول : (ان التوحيد قديم في حياة العرب ـ بل هو سابق للتوحيد الابراهيمي ، بل ان الوثنية وهي صنع التمثال للعبادة عند عرب الجاهلية لم يكن الا وسيطا الى رحاب الذات العليا وجاز لنا أن نعتبره نافذة جوهرية الى الذوبان مع المطلق كل المعسانى ، ولقسد أعطت عقيسدة الوحدانية كمحتوى فلسفى مبنى علسى قناعة عليا نتاجا ذا سسمات خاصسة للغاية في الشسخصية العربية ، اذ جعلتها تتعدى الحدود المادية فيالتعبير باعتبارها واقعا عرضيا محددا، علسى حين دعتها الى السعي وراء ذات الله باعتبارها الجوهر المطلق) ٠

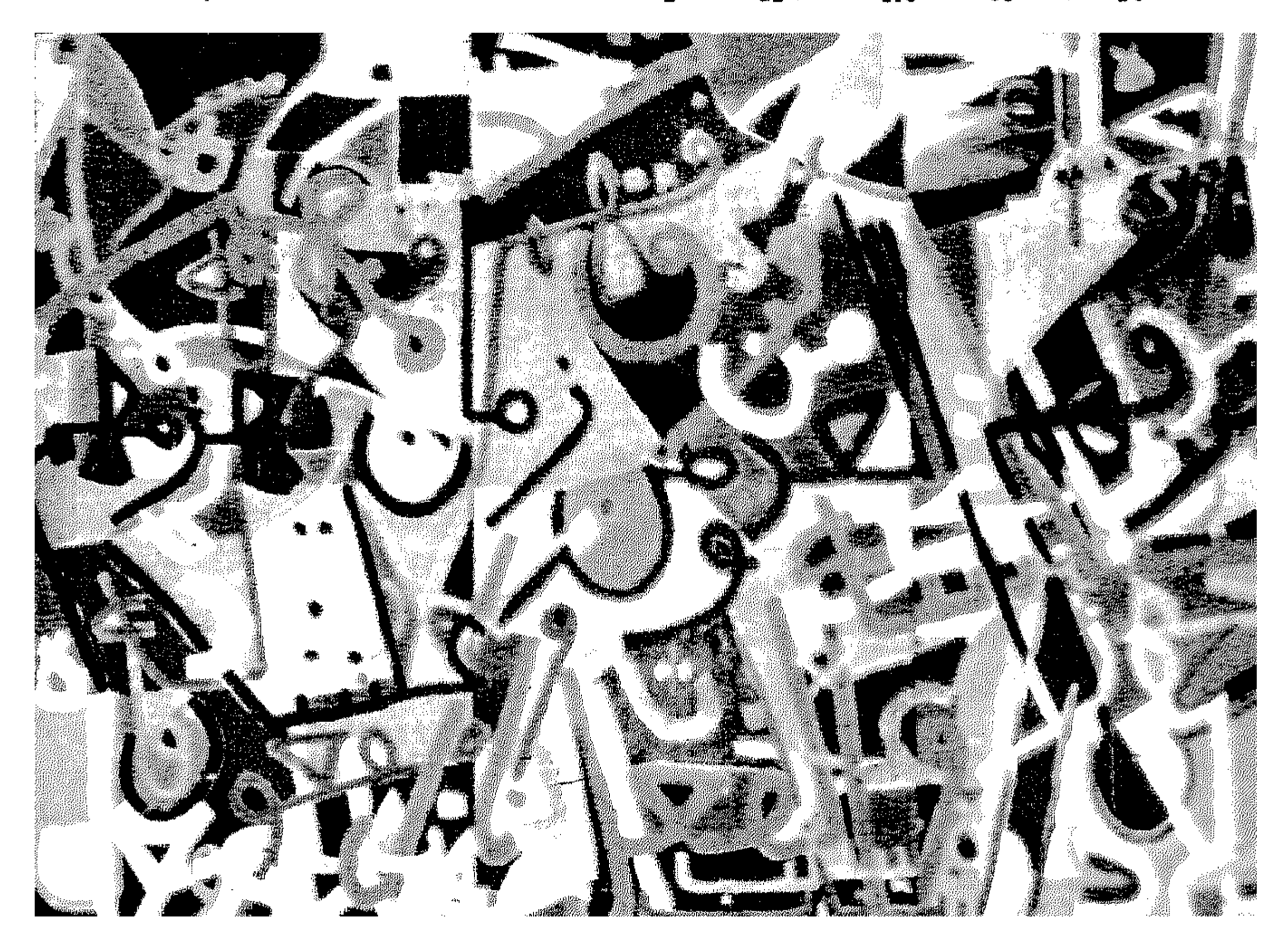
ومن ثم فلم يكن الانسان العسربى بحفل بسأن يقسيم وزنا للمحسسوس والملموس طالما أن الجوهر سيبقى دون حدوده المادية ، ولا حساجة بنسا الى البحث عن اشكالات الكمال الخالص في التعبير اذ أن الكمال موجود وازلي ، فغاية ما أخذت تصبو اليه الشخصية العربية هي الذوبان في الذات المطلقسة والخلاص فيها ٠ ان الشخصية العربيه اذن هي شخصية حدسسيه ٠ وهذ الحدس يضسع الافتراضات الغيبيسة باعتبارها حلولا نهائية بل ان الحسدث يكاد ان يكون متواضعا عضويا في الشخصسية العسربية يصل بها في أغلب الاحيسسان الى مستوى قدسي ولعسل ذلك يفسر لنسسا أيضسسا الكيفيسة التي دعسست الفنان العسربي الى تحوير الاشكال الماثلة أمام عينيه٠

● اللغة العربية والكتسابة بين التحويسر والتحسويل والتغيير والتشكيل :

اننا اذن عندما نتحدث عسن فسكرة التحوير لا نسوقها باعتبسارها عنصرا من العناصر التركيبية للشخصيةالعربية فحسب ، وانمسسا باعتبارها ضرورة واحتيساج فرضتها علسى هسذا النحو مجموعة العوامل القدسية الملحة التي ارتبطت بها الشخصيةالعربية وامتزجت فيها ، فاذا عددنا أن اللغة هي الطاقة الاساسية لصسسياغة الفكر الانساني وبأن اللغة على ما يقول ليبنتس (هي أصدق مرآه للعقل الانسسانى ، وأن التحليل الدقيق لمعانى الكلمات ـ يمكننا

خيرا من اي شيء آخر ـ من فهم عمليات العقل) ، فاننا نستطيع الزعم بأن اللغة العربية كانت واحدة من الاهداف الاساسية التي لحقت بها فكرة التصوير
اللغة العربية كحركة صوتية ، هي لغة ايقاعية بطبيعتها التشريحية والايقاع فيها يكاد ان يكون في اغلب الاحيان احتياجا بيلوجيا ـ فالحروف العربية التي تكون كلمة ما ، ترتبط الى بعضها حسب مجموعة عوامل صوتية ساكنة او ممتدة فارغة او ممتلئة ، قصيرة او طويلة ، بحيث تكاد الحركة الصوتية المنطوقة ان تكون مرادفا ذاتيا لمعنى الكلمة ويقودنا هذا الى نوع من القياس العجيب الذي تتميز بها هذه اللغة الفريدة ، اذ ان اي سواكن او مدات طارئة على ايقاعات الحروف قد تطرح علينا الكلمة بمعنى

تكوين من الحروف العربية للفنان يوسف سيده ٨٠ × ١٢٠ ســـــــــــم ـ ١٩٦٨





تكوين للفنان ضياء العزاوى

آخر يخرج عن نطاق حروفها المكتوبة.

وهذا هو ما نقصد اليه فى كلامنا عن طبيعة التحوير فى اللغة العربية. وتتميز اللغة العربية بما توصف به بعض حالات الموسيقى باصطلاح « الليجاتو » وهى كلمة لاتينية نجتهد فى ترجمتها الى « الوصول الانسيابى » وذلك على عكس معظم اللغات اللاتينية ـ حسب علمنا ـ التى تخلد الى الطابع المعروف فى لغة الموسيقى باصطلاح « الاستكاتو » وهى كلمة لاتينية أيضا نجتهد فى ترجمتها الى معنى القصير المنفصل » . والحروف العربية وهى تعتمد اعتمادا أساسيا على الطبيعة اللحنية للحركة الصوتية قادرة بمكوناتها الوراثية هذه على أن تتحول من حرف الى آخر دون أن تسبب سقوطا فارغا للايقاع المتصل بين الحروف على خلاف ما نجده فى معظم اللغات الاخرى ، وربما يفسر لنا ذلك هذه الطبيعة الاشتقاقية المبدعة التى انفردت بها اللغة العربية ليس فقط كحركة صوتية بل أيضا كلغة بلاغية بحيث ظلت بعيدة عن الوقوع فى اطار الحواجز الرياضية التى تكسب اللغات اللاتينية نوعا ما ، طابعا ميكانيكيا ، ولنضرب لذلك بعض الامثلة ونختار من العربية كلمة « فعل » لندلل على قولنا فى طبيعة التحوير والتشكيل اذ نقول افعل ، فعل ، فعله ، افعال فعال . انفعل ، تفعل ، تفاعل ، افتعل ، افتعال ، استفعل ، مفاعل ، مفعول ، ولعلنا نلحظ هنا أن الحركة الصوتية للواقع النغمى تكشف لنا عن القيم العالية للتحويل والتشكيل البلاغى كما تكشف النقاب عن هذه الطبيعة الفياضة القادرة على اختزال الاصوات اللحنية وتحويلها الى معانى مغايرة .

ولكننا فى اللغات اللاتينية بشكل عام نصطدم بواقع رياضى المفردات داخل اطار هندسى صارم ، ويؤكد ذلك ما يعرف باللواصق والبادئات فى هذه اللغات . وهى مجموعة حروف متحركة توضع فى مقدمة الكلمة أو مؤخرتها لنفيها أو للتأكيد عليها ، وهذا هو ما اضفى عليها طابعا مغايرا وربما فقيرا بعض الشىء اسميناه كما قدمنا باصطلاح « الاستكاتو » أى القصير المنفصل .

وكما تتميز اللغة العربية بالتحوير والتحويل والتشكيل ، فهى أيضا تتسم بنطاق آخر يضعها فى موقع فريد للغاية وذلك هو ما نطلق عليه صفة « التغيير » اذ أن اللغة العربية بمكوناتها الغنية هذه ، وبعناصرها الايقاعية واللحنية التى لا مندوحة عنها للتعبير عن الفكر الانسانى فى المنطقة العربية بعامة ، قادرة على تشطير نفسها عن طريق خاصياتها الاشتقاقية العديدة الى معانى مغايرة للكلمة الواحدة ، بل أيضا وهذا هو المهم ـ قادرة على ابتداع معنيين هما نقيضين تماما من خلال مفردات كلمة واحدة .

● اللغة والكتابة والتعبير الفنى:

لا شك اذن فى أن وشائج الصلة بين المنطوق والمكتوب لاسبيل الى نفيه

أو تجاهله بل ان الكتابة بمثابة المدونة الموسيقية الامينة لحركة الصوت في اللغة ، ولا غرابة اذن في تقويمنا للخط العربي باعتباره ليس فقط لغة صوتية مدونة وانما على اعتبار أنه فن قومي خالص يحمل في طياته كل المميزات التي تخالج الشخصية العربية وتشترك في بنائها الكيفي والعضوى ، اذ لم تبخل هذه الطبيعة الفياضة للغة العربية أن تصبغ المدون والمكتوب بنفس خصائصها القدسية في الالهام الفني عن طريق التحوير الخلاق لمسار الخط وترتيب النقط ، وانتظام العناصر والاشكال في حالات التطابق والتماثل والتقابل والتبادل والتباين على السواء .

غير أن الكتابة العربية وقد اصطبغت بهذه الخواص الحضارية عن طريق اللغة المنطوقة ، كانت أيضا قد اكتسبت عناصر أخرى استخلصتها من الواقع التصويرى للحضارات التى امتزجت بها ، والذى خلص فى النهاية الى هذا الاختزال العجيب وهو « الحرف »

فليس الحرف العربي فى حقيقته الا واقعا ماديا لطبيعة « تصويرية » خالصة فى الاساس – ولا سبيل أمامنا الا أن نؤكد على أساليب الكتابة المسمارية والقبطية والبابلية والاشورية، والمصرية القديمة أيضا ، لكى نبرهن على خاصية الابداع الفنى التى تميزت بها أساليب الكتابة العربية . اذ كان للعمل التصويرى آنذاك ميزتان أساسيتان، أولهما خاصية نفعية تتلخص فى تسجيل الاحداث وتدوين التاريخ .

والثانية خاصية فنية مبنية على التشكل الجمالى تكاد أن تكون فى بعض الحالات تصويرا عاليا لغايات الجمال وحده – فنحن عندما نتكلم عن الخط العربى باعتباره فنا قوميا خالصا لا يمكننا أن نهمل هذا التراث العظيم الذى امتزج فيها ومهد السبيل لمختلف اساليبها الفنية وفتح الطريق فيما بعد على مصراعيه لان يتخذه الفنانون المعاصرون مادة غنية للتعبير الفنى « المجرد » فى لغة التصوير .
ولا غرابة اذن اذا وجدنا ما يزيد على واحد وعشرين أسلوبا راسخا لفن الكتابة العربية بقواعده الجمالية الخاصة وملابسات تشكيلاته الفنية ، ولسنا هنا بسبيل الحديث عن أنواع الخط العربى من كوفى ونسخ وثلثى وتعليقى وفارسى وديوانى الى غير ذلك من الانواع ، انما نحن فقط نؤكد على هذه العلاقة الوشيجة بين اللغة العربية والكتابة العربية وبين محاولات الفنان المصرى لاستخلاص شخصية قومية فى العمل .

لقد هدفنا بهذا المقال الموجز ان نلقى الضوء على القيم التصويرية التى تتميز بها الكتابة العربية بمختلف أساليبها، والتى دعت الفنان العربى مؤخرا الى أن يستخدم مفردات تشكيلية بحتة فى استعماله للخط العربى كالكتلة والحيز واللون والظل والنور وملامس السطوح والحركة الذاتية للخطوط لكى يشارك من جديد فى بث واحد من الجوانب الهامة فى فن المنطقة العربية وحضارتها .



لأشهر رسّام عالمى

بقلم : غنيم عبده

فى حياة كل فنان صفحات مجهولة ، واوراق باهتة يعرفها وحده ويخفيها عن عشاق فنه مع سافطه ، أو سنوات فقر أمضاها شريدا وحيدا .. أو .. أو ..



لكن الفنان الكبير الممثل المخرج الكاتب نجيب الريحانى لم يترك شاردة أو واردة عن حياته لم يضمنها كتابه « مذكرات نجيب الريحانى » الذى نشر فى سلسلة كتاب الهلال عام ١٩٥٦ . أو كما يقول هو فى مقدمة مذكراته :

اليت على نفسى ان أملى الواقع مهما حاقت بى مرارته ، وأسجل الحقائق مهما كان فيها من الم ينالنى قبل ان ينال غيرى ممن جمعتنى بهم اية جامعة ، وربطتنى بهم أقل رابطة .

ولهذا كانت المفاجأة كاملة عندما وجدت معرضا لفن الكاريكاتير فى صالة المركز الثقافى الفرنسى للفنان العالمى جورج جورسا الشهير بـ « سام »



وسيقى الجاز .. الجنون الذى اجتاح اوربا فى النصف الاول من هذا القرن - وعبرت عنه فرشاة "سام"

ثروة نجيب الريحانى الفنية

يضم اربعين لوحة كتب تحت كل منها من مجموعة الفنان المصرى الكبير «نجيب الريحانى» اهداها للمعرض ابن شقيقه بديع الريحانى ٠

لم تكن مصادفة اذن ان يكون ضمن الحاضرين لحفل الافتتاح بديع الريحانى الذى يحتفظ بمعظم نصوص الريحانى والذى اهدى قصر الريحانى تمثال « كشكش بك » الشخصية التى ابتكرها الريحانى عام ١٩١٦ عمده القرية الذى كان يمثل المجتمع الزراعى التقليدى والذى عبر من خلاله الريحانى عن روح المجتمع المصرى واصبح اشهر شخصية فى تاريخ الكوميديا الى ان صار نموذجا باليا بعد قيام الحركة الوطنية عام ١٩١٩ وادرك الريحانى بحسه الاصيل ان الشخصية الرئيسية هى التى يجب ان تعبر عن المشكلات التى تواجه البلاد وقتها فابتكر « ياقوت » مدرس الابتدائى وافلاطون ٠ ملاحظ عمال رصف الطرق وبندق كاتب الحسابات وغيرها من الشخصيات التى تخدم قضية التطور وتعبر عن الوقائع الحديثة للحياة المصرية ٠

ارتباطات فكرية للريحانى

وبديع الريحانى حريص كل الحرص على تراث عمه ، وهو فنان مثقف لا يتكلم الا بمقدار وحين سالته عن سر هذه اللوحات التى اهداها للعرض فى المركز الثقافى الفرنسى لم يزد قوله عن لقد وجدت تلك اللوحات فى اوراق كنت احتفظ بها ٠٠ وجدتها منذ شهر واحد، وتاكدت ان نجيب لريحانى قد اشتراها من جاليرى « لافا بيت » فى باريس بعد عودته من رحلة البرازيل والارجنتين مع «بديعة مصابنى» ٠٠ وسوف تجد التفاصيل فى مذكرات الريحانى ٠

عدت الى المذكرات لاجد ان الريحانى كانتله منذ صغره ارتباطات فكرية وعاطفية وفنية بالناطقين بالفرنسية او ما يطلق عليه فى عصرنا الحالى « الفرانكفون » ٠

لقد غادر الريحانى مدرسة الفرير بالخرنفش فى سن السادسة عشرة بعد ان تزود بالمئونة الكافية من تعليم وخبرة، وخلال عمله فى البنك الزراعى تعرف على عزيز عيد المخرج السورى الشاب وجمعت بينهما صداقة تأصل فى ظلها حب الريحانى للمسرح وتمكنا من الحصول على وظيفتى كومبارس بدار الاوبرا حيث كانت



شخصيات "سام" من الظهر تصرخ بحقيقة الشخصية

الفرق الاجنبية تعمل فى موسم الشتاء، وبذلك اتيح للريحانى مشاهدة تمثيل مونيه سيلى وكوكلان ولوسيان جيترى وسارة برنار •

● موهبة متالقة ●

وفى فرقة عزيز عيد كما تقول د • ليلى ابو سيف فى كتابهـا « نجيب الريحانى وتطورات الكوميديا فى مصر» تلقى الريحانى تدريباته الفنية الوحيدة فى حياته ،اذ تعلم فن الاخـراج وتعرف على تكنيك الفـارس الفرنسى الذى قدر له ان يكون ذا الاثر الاكبـر على اغلب مسرحياته التالية ، واخيرا تاكد الريحانى من ان موهبته التمثيلية تتالق فى الكوميديا وذلك بعد براعتـه فى اداء دور بوشيه •

على ان الريحـانى لم يلبث ان اختلف مع عزيز عيد فى احـدى المسائل الحيـوية فقد كان يرى ان اقتباس المسرحيات الفرنسـية ينبغى ان يتمشى مع ذوق المجتمـع المصرى وعاداته ، والا تخرج هـذه المسرحيات مطابقة بصورتها الاصلية ، واتسعت هوة الخلاف بينهما حتى اضـطر الريحانى الى ترك الفـرقة فى ابريل ١٩١٦ •

ويقول الريحانى فى مذكـراته أن الاقدار قد ساقت له فتاة فرنسـية هى«لوسى دى فرنادى» صديقة له وعونا فى الشدة ، وساعدا يشد أزره ويشد عزمه ويقول على لسانه :

« لئن ذكرت فى حياتى شيئا طيبـا فانا اذكر ايام زمالتها وعهد صداقتها » وانفصمت علاقة الريحانى بالفتـاة الفرنسية « لوسى » عام ١٩٢٠ ، وقد كان الريحانى يعد هذه القطيعـة نذير شؤم ، فقد فشلت مسرحية العشرة الطيبـة التى مثلت فى مارس ١٩٢٠ والتى وصفها الريحانى انهـا كانت اول عهد « الاوبرا كوميك » والاوبريت فى مصر ، وكان قد كلف بترجمتهـا الكاتب المسرحى الكبير « محمد تيمور» عن مسرحية فرنسية بعنوان « اللحيـة الزرقاء » وعهد الى بديع خيرى بكتابة ازجالها والى الفنان الخالد « سـيد درويش » بتلحين موسيقاها ، واسند الى عزيز عيد اخراجها •

كانت العشرة الطيبة تنقسـم الى أربعة فصول وتتبع النظام الفرنسـى فى تقسيم الفصول الى مشاهد وكانت تضم فى كل مشهد اغنية واحـدة على الاقل •

لم تنجح العشرة الطيبة رغـم أنه قد أنفق عليها بسخاء وأعدها عمالقة فى مختلف فروع الفنون فى حينـه بسبب ما أشيع وقتها من أنها تسـخر



ايقاعات سريعة وحـركات صاخبة تصرخ بها لوحات الفنان الفرنسى

ثروة نجيب الريحانى الفنية

من الاتراك . وكانت تركيا قد خرجت من الحرب العالمية الاولى مهزومـــة وكانت الافكار فى مصر تعطف عليهـا وتحن اليها ، كما كانت حاقـــدة على الانجليز باعتبارهم عقبة فى ســــبيل استقلال مصر أولا ، وباعتبارهم أقوى عامل فى هزيمة تركيا ثانية .

واستغل خصوم الريحانى المـوقف ونشروا فرية مؤداها أن الغـرض من عرض رواية العشرة الطيبة هــــو تجسيم مســـاوىء الاتراك فى عين المصريين وتقريب الانجليز لقلوبهـم ولم تكن تمر ليلة الا ويقف فى احدى مقاصير كازينودى بارى فى اثنـــاء التمثيل او فى فترة الاستراحة خطيب ينادى بالويل والثبور وعظائم الامور ويهتف بسقوط الريحانى داعيـــة الانجليز وربيب نعمتهم !!

كل ذلك وهم يعرفون تمـــاما أن الريحانى كان هدفا لنقمة الانجليـــز وسلطتهم العسكرية فى مصر .

وتركت تلك الاحداث كلها أســوأ الاثر فى نفسية الريحانى ، وفى بداية الموسم الشتوى لعام ١٩٢٠ صـــحب الريحانى فرقته الى سوريا ولبنـــان فى اولى رحلاته الفنية بهدف الترويح عن النفس وتجديد النشـــاط ، ونزل فى بيروت لكن ضاعت الامـــال من الليلة الاولى وبلى الريحانى باخفـــاق لم يكن يتصوره لان أمين عطـــا الله الذى كان ممثلا قبل ذلك بسنوات فى فرقة الريحانى استطاع ان ينســـخ جميع روايات الريحانى وألف فرقـــه



لوحـــة نـادرة مـــن مجموعـة "نجيـب" الريحانى ، للفنان العالمى الفرنسى سام

من مواطنيه فى سوريا وعرض بضاعته كلها ولم ينس أن يغتصب كـــذلك اسم « كشكش بك » . واعتبر الناس أن الريحانى مقلدا لكشكش الاصـلى الذى هو أمين عطـــا الله !! . وكان الريحانى يسمع المتفرجين فى الصالة وهم يصيحون « هايدا مانه كشـــكش هايدا ، تقليد !! » .

ورغم هذا الاخفاق الا ان الريحانى لفت نظره فى أولى حفلاته ســـــيدة « تلعلع » فى أول مقصورة وقد ارتدت افخم ملابس وتحلت بأبهى زينـــة وأدهشه أن تأتى هذه السيدة لتحيتـــه وتهنئته فى حجرته بالمسرح .

كانت هذه السيدة هى « بديعـــة مصابنى » التى ذاع اســـــمها فى انحاء سوريا ولبنان كراقصـــة وانضمت بديعة فى هذه الليلة الى غرفة

الريحانى .. وعادت معه الى القاهرة.

توالت المصائب على رأس الريحانى بعد عودته وهو يصف هذه الفترة فى مذكراته بقوله « يئست من هذه الحياة التى أنكر الناس فيها الوفاء ، وباعوا الاصدقاء ، فاعتزمت أن ارحل بعيدا عن اناس اشتريتهم فباعوني،واخلصت لهم فانكروني ، ثم فكرت أن اجد فى الزواج تعزية أو شبه تعزية ، فكان قرانى ببديعة مصابنى ، وامتلأ رأسى بفكرة النزوح عن الوطن .

وبالفعل فى اواخر عام ١٩٢٤ ابحر الريحانى وبديعة والممثلان محمود التونى وفريد صبرى وجوجو ابنة بديعة الى البرازيل على ظهر الباخرة « غريبا لدى » .

نجحت رحلة الريحانى وبديعة الى البرازيل والارجنتين وخلال عودته عرج على باريس كى يتفرج على الدنيا ، وامضى فى باريس خمسة عشر يوما يصفها الريحانى بقوله :

لم نزر خلالها متحفا ولا رأينا مسرحا ، بل كان همنا كله البقاء فى جاليرى لافاييت فقد كنا نقصد الى هذا المحل يوميا من التاسعة صباحا الى الثامنة مساء لنشترى كل ما طاب لنا من ملابس وما راقلنا من ادوات وكماليات . وكم مرة اتفقنا على قضاء السهرة فى دار السينما أو فى مسرح معين حتى اذا حان الحين كان التعب قد تملكنا ولا نجد الا أن نتخذ سبيلنا الى الفندق كى نستأنف فى اليوم التالى زيارتنا المعتادة لجاليرى لافاييت .

وفى ختام وصفه يقول :

ان جاليرى لافاييت التهمت كل ما كان معنا ، فقد انفتحت أنفسنا لشراء كل ما وقعت عليه انظارنا

● مجموعة نادرة ●

فى جاليرى لافاييت اذن عثر نجيب الريحانى على تلك المجموعة النادرة من اعمال اشهر فنان كاريكاتير فرنسى ظهر فى النصف الاول من القرن العشرين وهو الفنان جورج جورسا أو « سام » كما أطلق هو على نفسه احتراما لاسم « سام » العجوز اشهر رسام كاريكاتير فرنسى فى نصف القرن السابق على مولده .

كان الناس موضع اهتمام سام فى رسوماته تماما كما كانوا موضع اهتمام الريحانى فى مسرحياته ، وكان سام يكشف عن خبايا من ينظر اليهم ويتعمق فى تفاصيل الشخصيات من خلال التقاطيع ويعبر عن ذلك برسوماته التى اعتبرها الفرنسيون « اكثر حقيقة من صور أصحابها » .

كان سام يعطى اهتماما كبيرا لاجساد الشخصيات التى يرسمها فى حين ان فنانى الكاريكاتير الذين عاصروه من امثال « جيل دوميبه » كانوا يركزون أساسا على تقاطيع الوجه ويلصقونها على اجساد مضحكة او غريبة او محطمة ، اما سام فقد كان يبرز الاكتاف المقوسة او الظهور المحنية . حتى أن الشخصيات التى رسمها من ظهورها كانت تصرح بالحقيقة .

ولعل الشىء المميز فى شخصياته كما اسماه هو نفسه هى الخطوط التى تحيط بسلويت الشخصية

وقد عاش سام فى بيريجو حيث ولد عام ١٨٦٣ واتم دراسته فى مدارس الجيزويت القريبة من منزل عائلته التى كانت تتكون من تسعة أطفال واب تاجر بقالة جملة .

وكان واضحا منذ صغره براعته فى الرسم وامتلاكه لروح الدعابة والسخرية ، وبدأ يكتب ويرسم فى الصحف المحلية ، ورغم انه كان يتردد على العاصمة باريس ويزور الكباريهات الادبية حيث ملتقى أهل الفن والفكر وبصفة خاصة فى خمارة القط الاسود

ثروة نجيب الريحانى الفنية



المسرح كان عشق سام وعشق الريحانى ايضا

الا انه كان يرى انه لم ينضج بعد ولم يصبح سيدا لمهنته كى ينتقل الى العاصمة .

وفى عام ١٩٠٠ جاءت الاشارة اليه ليترك بلدته ويتجه الى باريس من خلال كلمات اشهر ناقد فرنسى وقتها « جون لودان » فى باريس أصبح سام رساما لفن البورتريه فى جريدة «بال ابيوك»وكان يصدر فى كل عام البوما يضم ما بين ٢٠ الى ٤٠ بورتريه لنجم من نجوم المجتمع وقتهـا ، الا أن اهتمامه الحقيقى كان منصبا على المسرح الذى غزته فرق موسيقى الجاز وعلى حلبة سباق الخيل .

واشتهر سام بنقده اللاذع للحياة الاجتماعية البارسيسية فى عصره وكان يتبع الفريسة حيث تكون ، فكان ينتقل وراء نجوم المجتمع البـاريسى الى « مونت كارلو » فى الشتاء ودوفيل فى الصيف وكان يقضى شهورا فى متابعة الوجه الذى يريد رسمه حتى يكتشف سره .

وقد زار « سام » الجزائر وتونس والمغرب ، وتركيا ، وكان يحب الشمس والبحر والدفء والالوان الزاهية .

وفى عام ١٩١٤ حطمت الحـرب الحياة الاجتماعية فى أوربـا وكان سام قد كبر فى السن لكن أصر على أن يكون محررا فى الجبهـة ، ومن هناك ارسل العديد من المقـالات والرسومات التى أظهرت مدى شفافيته وانسانيته وقد تم تجميعها بعد الحرب فى مجلدين اطلق عليهما « سـام والبومات الحرب » .

وبعد ما انتهت الحرب عاد سـام الى باريس وعاد قلمه وريشته يسجلان الحياة الاجتماعية لفترة ما بعد الحرب وقد أحزنه فقدان كثير من الاصدقاء والشخصيات التى رسمها وكان ينظر الى مجلدات أعماله ويقـول « ان البوماتى ما هى الا مدافن .. وجاءت نهايته هادئة عام ١٩٣٤ .

لقد اجتمعت فى الريحانى وسـام روح السخرية من واقع المجتمع اللذين يعيشان من خلاله وتصوير عيوب مجتمع كل منهما بالوسيلة الفنية التى اختار بهدف الاصلاح وكان كلاهما يتمتـع بمواهب وقدرات فذة ، ولهـذا لم يكن غريبا ان تكون ضمن مقتنيات نجيب الريحانى الذى سعى جـاهدا الى الارتقاء بالكوميديا واتخاذها منبـرا للنقد الاجتماعى لا للتهريج والاسفاف وملاعبة غرائز الجمهور .. لم يكـن غريبا ان يقتنى أعمال « سام » وان يحرص عليها .

متابعات  أدبية

بقلم: يوسف القعيد

لماذا لا نجعل معرض الكتاب منطقة حُرة؟!

يعد معرض القاهرة الدولى للكتاب اقدم مشروع ثقافى، ليس فى مصر وحدها ولكن فى الوطن العربى كله. وربما العالم الثالث ايضا.

انه الان - ثالث معرض كتاب - على مستوى العالم كله، وان كان قد اكمل عامه الثامن عشر هذا العام. فمن المفروض أن يصل الى سن الرشد بعد ثلاث سنوات من الان. وكل هذا لابد وان يدفع اى مثقف مصرى لان يعتبر قضية الحرص على هذا المعرض من الاولويات الاساسية له.

ذلك ان المعرض كائن حى من الصعب قيامه بقرار - أيا كانت السلطة التى تصدر هذا القرار - وكذلك من الصعب أن يتحول معرض عادى الى معرض خاص ومتميز وقوى بقرار من احد.

ان الاستفتاء الاساسى على اى معرض هو الكلمة الاخيرة لجمهور هذا المعرض او ذاك. وهذا الاستفتاء يزداد قوة سنة بعد أخرى.

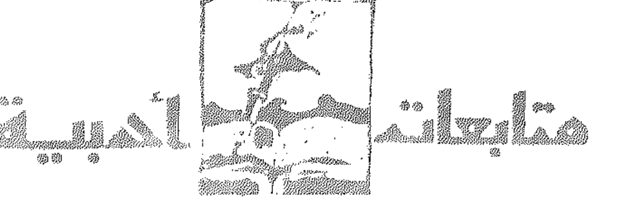
لكن هذا العام جاء يحمل معه الجديد لمعرض الكتاب، والجديد كثير هذه المرة فقد ذهب الرئيس حسنى مبارك بنفسه الى معرض الكتاب لكى يفتتحه وهى المرة الاولى فى تاريخ المعرض.

كذلك كانت المرة الاولى التى تغيب فيها اسرائيل عن المعرض وهكذا بدا هواء المعرض نقيا صافيا غير ملوث. ولان اسرائيل غابت عن المعرض جاءت اليه ١٧ دولة عربية مرة واحدة.

أيضا فهذا المعرض هو الاول فى فترة ولاية الدكتور احمد هيكل وزير الثقافة الذى لم يعد جديدا، وهو الاول فى مرحلة الدكتور سمير سرحان وتوليه لرئاسة هيئة الكتاب.

كذلك كانت المرة الاولى التى يحضر كبار كتاب مصر حفل الافتتاح. حيث كان هناك نجيب محفوظ ويوسف ادريس







د . سمير سرحان

وسعد الدين وهبه ومحمد جلال . وبذلك تحول المعرض من سوق للكتاب الى مظاهرة ثقافية . أيضا ، يمكن القول ان عدد الدول زاد ، وعدد الناشرين تضاعف . وعدد الكتب المعروضة زاد وكذلك عدد الرواد تضاعف أكثر من مرة . لدرجة ان الناشرين طلبوا من الدكتور سمير سرحان فى الايام الاخيرة للمعرض مدفترته اياما اخرى ولكن حالت بعض العقبات الروتينية دون ذلك .

كل ذلك من الامور الجميلة التى تسعد الانسان . ولكن من باب حب هذا المعرض والرغبة فى الابقاء عليه وتطويره ، لابد من محاولة القاء نظرة على الوجه الاخر من العملية كلها .

واول هذه الملاحظات تدور حول قضية الحرية المتاحة فى المعرض . والذى حدث هذا العام ان الجهات الرقابية صادرت فى الايام الاولى من المعرض اربعة كتب . هذه الكتب هى . مصر فى ١٧، ١٨ يناير لحسين عبد الرازق . وهدر الامكانية لنادر فرجانى ، وكم عمر الغضب ، للدكتور فؤاد زكريا .. ومن قتل سليمان خاطر للدكتور محمد مورو .

صحيح ان جهود الدكتور سمير سرحان قد تمكنت من اعادة هذه الكتب الاربعة . ولكن هذا الاجراء يثير أكثر من علامة استفهام . فلم لا يصبح هذا المعرض منطقة حرة ! خاصة وان فكرة المعرض قد نشأت أصلا لكى يكون منطقة حرة للكتاب العربى .

ان كل كتاب يدخل منه حوالى ٥٠ نسخة فقط . ومهما كان محتوى هذا الكتاب فلا خطر منه ابداً . فلم هذه الضجة وتلك الاجراءات كلها حول ٥٠ نسخة من كتاب . مهما كان هذا الكتاب ومهما كان ما فيه .

كذلك فقد كان فى المعرض وفى السنوات الماضية ندوة ثقافية تقام خلاله . وكان موضوع هذه الندوة فى الاعوام السابقة هو: كتب الاطفال.. ولكن الندوة اختفت هذا العام . مع ان الموضوعات التى يمكن ان تناقشها ندوات هذا المعرض يمكن أن تكون كثيرة وبدون نهاية .

أيضا كان يقام فى المعرض فى سنواته الاولى ، معرض للجديد فى أدوات وماكينات الطباعة وانواع الورق والاحبار . وهى من الامور الهامة فى عملية الكتاب . وبدونها لا يصل الكتاب الى القارىء أصلا ، ولكن هذا المعرض اختفى منذ ان نقل المعرض من أرض المعارض فى الجزيرة الى أرض المعارض فى مدينة نصر . رغم أهميته لجماهير الناشرين والمهتمين بصناعة الكتاب .

ثم ان هناك مسألة أخرى هامة وهى أن هذا المعرض — هو فى النهاية — حديقة مليئة ومفروشة بالورق المطبوع . والجماهير التى تحضر المعرض — من المفروض أن تكون فرصة نادرة لمعرفة موقف القارىء من الكتاب اى الكتب يفضل . كذلك فرصة لمعرفة أى الناس تقرأ فى هذه الايام .

ان المؤلفين يكتبون لجمهور لا يعرفون

منه الكثير من الامور ومن القضايا ، والمعرض فرصة لمعرفة جماهير الكتب من هم ؟ وأى الكتب يريدون بالتحديد ! وهذا الامر لا يتطلب أكثر من استمارة ابداء رأى توزع عند دخول المعرض وتؤخذ عند الخروج منه .

كذلك كانت هناك مسابقة لاحسن الكتب فى المعرض . ولقد نفذت هذه المسابقة سنة واحدة .. ثم جرى العدول عنها ولا أدرى السبب وربما كان السبب الحقيقى اننا نعرف جيدا كيف نبدأ الخطوة الاولى فقط . ثم تتوه باقى الخطوات منا بعد ذلك .

تبقى جماهير المعرض . وقد لفت نظرى فى السنوات الاخيرة كثرة من يذهبون الى المعرض . انهم يتعدون الآلاف فى بعض الاحيان والملايين فى أحيان أخرى . ولكن من يذهبون الى حيث الكتب القلة . وهناك من يشترون . ولكنى أشعر أن القراءة تتراجع فى حياتنا على الرغم من بعض الرواج فى عمليات البيع والشراء .

وان توقفت امام هذا الرواج أجده أولا فى كتب الجنس ثم الكتب الدينية ثم الكتب السياسية . والكتب التى تتحدث عن البخت والحظ والتنجيم والخوارق . وفى نهاية القائمة تأتى الكتب الثقافية . وأنا لا أحب ان اقول ان بعض الكتب المتقدمة فى سلم الاولويات لا تمثل بعدا ثقافيا حقيقيا .

أخشى أن أبدو فى نظر الاخرين كمن لم يجد فى الورد عيبا فقال له يا أحمر الخدين ، ولكن أكتب هذه الكلمات من شدة حبى لمعرض الكتاب . ولهيئة الكتاب ولرئيس الهيئة .

ان معرض القاهرة الدولى مشروع ثقافى ضخم وعظيم . له ماض مشرف ومتألق . وعلينا نحن أن نجعل مستقبله فى مثل عظمة وتألق ماضيه .

وتلك ليست مهمة الدكتور سمير سرحان وحده ولكن كافة المثقفين المصريين والعرب جميعا فالمعرض مشروعنا وأملنا . وصلتنا الاساسية بالقارىء . تلك الصلة التى تتجدد كل سنة ..


نجيب محفوظ


د يوسف ادريس


سعد الدين وهبة

العالم فى سطور



المسيسبى

امرأة صعيدية فى امريكا

لم ينس الامريكيون ان بلادهم كانت مقسمة يوما الى شمال وجنوب . وأن حربا طويلة قد اشتعلت بين الطرفين منذ مائة عام تقريبا. ويبدو هذا الامر واضحا عند الحديث عن كاتب قادم من الجنوب. مثل ويليام فوكنر وجيمس بولدوين ويليام ستايرون . ثم أخيرا ادورا فيلى التى صدرت لها طبعة جديدة من روايتها « الرجل المتحجر » فاثارت ـ مرة اخرى

ادورا فيلتى



ـ الحديث حول الجنوب الامريكي . خاصة بعد أن اختفى اكثر فرسانه وهاجر البعض الى المدن الكبرى فى الشمال .

و « الرجل المتحجر » عبارة عن مجموعة قديمة من القصص القصيرة التى نشرتها الكاتبة من قبل تدور وقائعها فى ريف الجنوب . أو ما يمكن تسميته بالصعيد الامريكى . وقد اعيد نشرها بمناسبة افتتاح مكتبة تحمل اسمها فى مدينة جاكسون بالمسيسبى . وقد أجرت معها مجلة الاكسبريس حديثا نشرته فى ٧ فبراير الماضى قالت فيه انها معجبة بفن القصة القصيرة وتعد نفسها امتدادا لتشيكوف وادجار الان بو وكاترين مانسفيلد. وأن القصة القصيرة تتلاءم مع طبيعتها كانسانة . « حاولت فى أعمالى أن أصور ما يجرى فى مدن الجنوب الصغيرة . حيث لايوجد امام الناس سوى الشرود بعيدا عن عائلاتهم ، انهم يبالغون . ويكسون الاحداث مأساوية . ويلقون بالتهديدات فى الهواء . ولا يؤمنون بأنفسهم . وهذا اسلوبهم فى أن تغدو حياتهم اكثر أهمية . بالتأكيد فان هذا يعكس شيئا ما عميقا . ولكن على الاقل يدفعنى ان اكتب عنهم دوما » .

وتقول ان سكان الجنوب يحتفظون بكتب فوكنر فى منازلهم الى جوار الكتب المقدسة . وقد لعب فوكنر دورا هاما فى حياة الكاتبة فدفعها الى الكتابة . وقالت ان فوكنر لم يكن يكتب لاحد سوى لسكان الجنوب. ولذا اكتسبت كتاباته صدقها وأصالتها .

● بـــــــراغ ●

مى .. على الطريقة التشيكية



ميلينا يانسكا

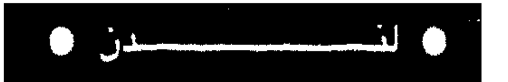
مثلما احتفلت « الهلال » فى الشـــهر الماضى بالكاتبة مى زيادة . فان هنـــاك احتفالا مشابها شهدته الاوساط الثقافية فى تشيكوسلوفاكيا والعالم احتفاء بالكاتبة ميلينا يانسكا . وقد صدرت بهـــذه المناسبة مجموعة من الكتب حيث قدمت مرجريت بوبر كتابين « ميلينا » و « منفية فى سيبيريا » حول السيرة الذاتية للكاتبة. كما صدرت مجموعة مقالات لميلينا بعنوان « عش » .. ونشرت كل مراسلاتها الى الكاتب فرانتز كافكا .

الجدير بالذكر ان ميلينا قد اكتسبت شهرتها من تلك الرسائل التى تبادلتهـــا مع كافكا . وذاعت هذه الرسائل بنفس الطريقة التى شهدتها الرسائل المتبادلة بين مى وأدباء عصرها .. وقد تعـــددت العلاقة بين ميلينا وكافكا من تبـــادل الرسائل الى العشق والجوى .. وهى التى ترجمت له كل رواياته الى اللغـــة الفرنسية لاول مرة عام ١٩٢٠ .

انخرطت الكاتبة فى الحياة الادبيـــة والسياسية خلال الثلاثينات حيث انضمت الى الحزب الشيوعى ثم انفصلت عنـــه كى تشهد كبريات أحداث العالم مثـــل الحرب الاهلية فى اسبانيا . واضطهدتها القوات النازية ابان الحرب .. وقـــد ماتت فى أحد معســـكرات الاعتقال عام ١٩٤٤ .

تقول ميلينا فى احدى مقـــالاتها : « الشىء الوحيد الذى اعرفه هو الكتابة. فالكتابة هى رسالة التواصل والحب بين الناس . وتحمل كل مقالاتى هذا المفهوم ».

اما زميلتها مرجريت بوبر فتكتب عنها فى كتابها المشار اليه : « وجدت حريتى متمثلة فى مدى التعبير عن وصية ميلينا. فكتبت كتابا حول معسكرات الاعتقال . قالت لى قبل ان تموت بقليل : أعرف انك لن تنسينى قط . وبك انت يمكن أن استمر حية . حدثى الناس عنى . وكونى القاضى الذى يحكم على فى كـل مكان » .



مذكرات ابن شكسبير

المذكرات هذه المرة تستحق كل الاهتمام الذى حظيت به . فصاحب المذكـرات اليك جنيس رجل له تاريخ طويل فـوق خشبة المسرح وعلى الشاشـة . وعاش حياة شخصية حافلة بالحكايات المثيرة .

سير اليك جنيس اذن ليس كتـــابا يوضع فوق الارفف . ولكنه مكتبة متنقلة. ولد عام ١٩١٤ . عمل فى احدى دور النشر وهو فى سن الشباب. ولع بشكسبير فمثله كله فوق خشبة المسرح . تنوعت أدواره فى السينما . من أبرز أدواره ذلك القائد الانجليزى الذى اعطى كلمة شرف لاعدائه حتى ولو اضر هذا بجيشه الذى يقوده فى « جسر على نهـــر كـواى » . أدى شخصية العربى فى «لورانس» والروسى فى « دكتور زيفاجو » وعمل فى الهند من خلال « غاندى » و « رحلة الى الهند» يقول من مذكراته : « قررت أخيرا ان أكتبها بنفسى والا اتركها لاحد يفعلهـــا



الادب .. اختيار اناني



اليك جينيس

نيابه عني . وكانت المشكلة هو ان اتخلص من اطنابي ومدحي . فحاولت أن أتخلص من سطوتي على نفسي . وجاءت النتيجة ممزوجة بأشياء عديدة » .

واليك جينيس ابن غير شرعي لم يلتق ابدا بأبيه وقد روى أنه لم ينس ابدا هذه الواقعة . « عندما كنت صغيرا لم أفكر كثيرا في هذا الامر . فالاطفال يقبلون الحياة على علاتها . ولكنني فيما بعد بدأت ابحث عن الحقيقة . وأردت ان أرى الرجل الذي احمل اسمه . عرفت أنه من ملوك البيرة . ويتمتع بثراء فاحش . ولا اعرف لماذا لم اسع بعد ذلك الى ان اراه .. لقد احسست أن شكسبير هو ابي » .

الارتباط الاول :

عنوان احدث رواية تقدمها الكاتبة الفرنسية نيقول آفريل . صدرت في الاسبوع الماضي تتناول فيها علاقة مريبة بين رجل وابنته الصغيرة . فالابنة تسعى جاهدة ان يفشل ابوها في كل الارتباطات العاطفية التي يسعى لعقدها بعد أن ماتت زوجته الاولي .

وسونيا التي تعرقل اباها تسعى من ناحيتها الى الارتباط برجل يدعى جابريبل .. انها تود ان تمتلك الرجلين في نفس الوقت . اباها . وحبيبها . وبينما يقبع الاب وحيدا في غرفته فان جابريبل يتركها حاملة جنينا تحاول جاهدة ان تتخلص منه بلا جدوى .

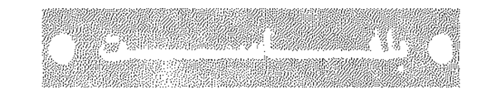
رواية متدفقة جديدة تقدمها كاتبة من جيل السبعينات في فرنسا ولدت عام ١٩٤٧ . نشرت روايتها الاولي « ناس من

نيقول افريل




ميصار » وهى فى الخامسة عشر.. عملت مدرسة للادب ، وكان عليها أن تختار بين مهنة الادب والمانيكان والتمثيل ، لكن الكتابة هى قدرها ، قابلت جان بيير الكباش الذى ينحدر من أصل عربى خلال محادثة تليفزيونية اجراها معها فتزوجا: « كان اختيارا انانيا ، فقد جمعنا الادب » ، من اهم رواياتها الاخرى « المتمردة » عام ١٩٨١ ثم « جان » عام ١٩٨٤ .

وتتسم بطلات نيقول بجنون شديد فيما يتعلق بعلاقتهن بالرجال ، فالمرأة تسعى وراء الرجل بجنون ، وتتعلق به حتى لو اضطرت ان تدفع الثمن غاليا سواء كان من دمها او دم الآخرين .





سدا شور يمثل قومي.

الاخوة كارامازوف في ايرلندا ..

لابد للكاتب ان يعود الى اهتماماته الاصلية.، مثلما عادت الكاتبة الايرلندية ايريس مردوخ الى الفلسفة تخرجها بالرواية فى كتابها الاخير((تلميذالفلسفة» ايريس ـ المولودة عام ١٩١٩ ـ قد تخصصت فى أول حياتها فى دراسة الفلسفة التحليلية ، ورغم انها قامت بتدريس الفلسفة فى الجامعة الا انها وجدت فى الرواية وسيلتها الافضل للتعبير عن نفسها، وبعيدا عن المجردات والتحليلات كتبت الرواية باسلوب انسيابى رقيق ، نشرت روايتها الاولى « تحت الشبكة » عام ١٩٥٤ ، ثم توالت اعمالها التى من اهمها ((الناقوس)) ، « راهبات وجنود » ((البحر البحر » ، الامير الاسود » ...

قبلت ايريس مردوخ ـ عن صدر رحب ان يفوز زميلها ويليام جولدنج بجائزة نوبل منذ عامين آملة ان ينالها الدور فى الاعوام القادمة ، عرفت بانها تبحث لنفسها عما يسمى بالنظرية الثالثة التى تناولتها بالتفصيل فى كتابها عن «سارتر» الذى نشرته فى اعقاب احداث الشباب باوروبا .

فى روايتها الاخيرة تتحدث عن مجموعة اشخاص لايتوافقون معالمجتمع، فيلسوف وتلميذه المخدوع فيه وراهب ونساء يتسمن بالبرود ، وذلك فى قرية ايرلندية صغيرة وطالما ان هناك فليسوف فيجب ان يطرح للنقاش موضوع ((المطلق والنسبى » فبينما نجد ان الراهب غير مؤمن بالمطلق ، فان الفليسوف يؤمن بفلسفة مجردة تدفعه الى ارتكاب جريمة قتل ، فى الوقت الذى يتم العثور على جثث مجهولة الهوية فى طبق طائر حط فى حديقة تسمى الثعالب .

يقول الناقد جاك كابو ان ايريس قد سعت الى تقديم رواية دوستويفسكية فجسدت نفس الاخوة كارماوزف فى اطار عصرى ينتمى فى اغلبه الى ايرلندا .

قصـــــة

تأليف: الكاتب الألماني
هرمان هسه
ترجمة: فـؤاد كامل



قال أبى وهو يناولنى نايا صغيرا من العاج « إليك هذا .. خذه ولاتنس والدك العجوز عندما تسرّى عن الناس بعزفك في بلاد غريبة . فلقد حان الوقت لكى تشاهد العالم وتكتسب المعرفة . ولقد أمرت بصنع هذا الناى لك لانك لاتحب عملا سواه ، ولايطيب لك إلا أن تغنى . ولكن تأكد دائما من أنك تختار الأغانى المشرقة المرحة ، وإلا ستكون الهبة التى أودعها الله فيك مدعاة للأسف .

كان أبى العزيز لايفهم عن الموسيقى إلا قليلا . فقد كان من رجال العلم وكان يعتقد ان كل ما ينبغى ان افعله هو انفخ فى الناى الصغير اللطيف ، ولايزيد الأمر على ذلك شيئا . ولم اكن اريد أن أبدد وهمه ، ومن ثم فقد شكرتـه ، ودسست الناى فى جيبى ، وشرعت فى الرحيل .

وكان وادينا مالوفا لى حتى طاحونـة المزرعـة الكبيرة ، وهكذا كان العالم بالنسبة لى يبدأ بعدها . وقد سرّنى هذا كثيرا .

واستقرت نحلة أجهدها الطواف على كمى ، فأخذتها معى حتى يكون لدى فى أول مكان استريح فيه رسول استطيع أن أرسله إلى البيت حاملا تحياتى .

ورافقتنـى الـغـابـات والمروج وانا سائر فى طريقى ، وكان النهر يجرى مرحا إلى جانبى ؛ ورأيت أن العالم لايختلف إلا قليلا عن بيتى . وكانت الأشجار والأزهار ، وسنابل القمح ، وأجام البندق المتشابكة تتحدث إلى ، فكنت أردد معها أغانيها . فتفقه عنى

كما كانت تفقه فى بيتنا :
بيد أن الغناء أيقظ تحلتى ، فزحفت متمهلة حتى بلغت كتفى ، ثم طارت ، وحلقت حولى مرتين بطنينها العذب العميق ، ثم اتجهت فى خط مستقيم ، وانطلقت كالسهم عائدة صوب البيت .

وهنا خرجت من الغابة فتاة صغيرة تحمل سلة على ذراعها وتضع على رأسها الأشقر قبعة عريضة من القش لتحميها من الشمس .

قلت لها : سبحان الله .. اين تقصدين ؟ »

فردت على قائلة وهى تسير إلى جوارى : « إننى أحمل لرجال الحصاد غداءهم . وأنت ، أين تذهب اليوم ؟ »

« أنا ذاهب إلى العالم ، كما أرسلنى أبى . فهو يعتقد أن من واجبى تقديم حفلات على الناى .. ولكننى لا أدرى حقا كيف يكون ذلك ، إذ ينبغى على أن أتعلم أولا . »

ـ « هذا حسن .. ولكن ما الذى تستطيع أن تفعله حقا ؟ على كل إنسان أن يكون قادرا على فعل شىء ، أيا كان . »

ـ لاشىء بوجه خاص .. كل ماأستطيعه هو أن أنشد الأغانى . »

ـ « وأى نوع من الأغانى هذا الذى تنشده ؟

ـ « كل انواع الأغانى ، للصباح والمساء ، ولكل الأشجار والحيوانات ، والأزهار . الآن مثلا . أستطيع ان اغنى أغنية

بريشة : سميحة حسنين







جميلة عن فتاة صغيرة خرجت من الغابات وتحمل لرجال الحصاد غداءهم . »

- « اتستطيع ذلك حقا ؟ إذن ، هيا ، انشدها على الفور ! »

- « اجل » ولكن ما اسمك ؟ »

- « بريجيت . »

- وهنا انشدت أغنية عن « بريجيت » الفاتنة بقبعتها المصنوعة من القش ، وبما تحمله فى سلتها ، وكيف أن الأزهار جميعا تحملق فيها ، وزهور اللبلاب الزرقاء فوق سور الحديقة تحاول بلوغها ، وكل تلك التفاصيل . وأرعت اهتمامها جيدا للأغنية ، ثم قالت إنها جيدة

فلما أخبرتها باننى جائع ، رفعت غطاء السلة ، ومنحتنى قطعة من الخبز ، فقضمت منها كسرة ، ثم واصلت سيرى مسرعا ، فقالت : « لاينبغى أن تجرى أثناء الأكل ، فلنأت أحدهما بعد آخر . » وهكذا جلسنا معا على العشب ، واكلت خبزى ، بينما طوقت ركبتيها بيديها السمراوين ، وجعلت تنظر إلى .

سالتنى بعد أن فرغت من اغنيتى : « ألن تغنى شيئا آخر من أجلى ؟ »

- « طبعا ، سأفعل . ترى ماذا يكون ؟ »

- « عن الفتاة هجرها حبيبها ، فهى حزينة . »

- « كلا ، لا أستطيع أن أغنى هذا . فلا أدرى ما سيكون عليه هذا الشعور ، وعلى كل حال ، لاينبغى على المرء أن يكون حزينا إلى هذا الحد ، وما ينبغى على إلا أن أغنى الأغانى المبهجة المرحة ، كما قال لى أبى . ساغنى لك عن العصفور أو عن الفراشة . »

- فسألته : إذن ، فانت لاتعرف شيئا على الاطلاق عن الحب ؟ »

- « عن الحب ؟ بلى ، أعرف عنه . أنه أجمل الأشياء جميعا . »

وبدأت فورا ، فغنيت عن اشعة الشمس الذى وقعت فى غرام زهور الخشخاش الحمراء ، وكيف اخذت تداعبهن وهى فى أوج السرور ، وعن عصفورة الحسون عندما تنتظر زوجها ، فإذا جاء ، طارت بعيدا ، وتظاهرت بأنها مذعورة . وواصلت الغناء عن الفتاة ذات العينين العسليتين ، وعن الشاب الذى اعترض طريقها ، وأخذ فى الغناء ، فكافاته بقطعة من الخبز ؛ بيد أنه الآن لايريد مزيدا من الخبز ، وإنما يريد قبلة من الفتاة ويتمنى أن ينظر فى عينيها العسليتين ، وسيمضى فى الغناء ، ولن يتوقف حتى تبتسم وتغلق فمه بشفتيها .

فانحنت بريجيت ، واغلقت فمى بشفتيها ، واغمضت عينيها ، ثم فتحتهما ثانية ، فنظرت فى تلكما النجمتين العسليتين الذهبيتين ، اللتين أبصرت فيهما نفسى وبضعة من زهور الروض البيضاء منعكسة فيهما .

قلت : « العالم فى غاية الروعة .. وقد كان أبى على حق ، تماما . والآن سأساعدك على حمل سلتك ، وسنأخذها معا إلى أهلك . »

وتناولت سلتها ، وسرنا معا ، وقد تناغمت خطواتها

مع خطواتي ، وانسجم مرحها مع مرحي ، وتهامست الغابة في لطف وانتعاش من أعالي الجبل · لم اتجول في حياتي بمثل هذا الفرح ، واستانفت الغناء مرحا حتى لم أجد بدا من التوقف نتيجة للفيض الغامر من الأغاني الذي تدفق علي : من السهل والجبل ، من العشب والنهر ومن النجم والشجر ، ومن الهمسات والحكايات جميعا .

ثم وقفت امعن الفكر : لو استطعت في وقت واحد أن أفهم هذه الآلاف من الأغاني وأن انشدها للعالم ، عن العشب والأزهار والناس والسحب ، عن كل شيء ، عن الغابات المورقة ، أشجار الصنوبر ، وعن الحيوانات جميعا ، وكذلك عن البحار البعيدة ، والجبال ، والنجوم ، والقمر ، وإذا تردد هذا كله في داخلي ، وغنى في الحال ، فسأكون كالاله القادر على كل شيء ، وستحتل كل أغنية جديدة مكانها في السماء بوصفها نجمة .

ولكن ، بينما كنت أفكر في هذا كله ، هادئا تمام الهدوء من الداخل ، تملؤني الدهشة لأن مثل هذا الخاطر لم يطرا على عقلي من قبل ، توقفت « بريچيت » وارجعتني إلى الوراء بان شدت السلة من يدها .

قالت « الآن ، ينبغي أن أصعد من هذا الطريق وقومي هناك يعملون في الحقل . وانت إلى اين تمضي ؟ هل ستاتي معي ؟ »

ـ « كلا ، لا أستطيع أن اذهب معك · ينبغي أن أخرج إلى العالم شكرا جميلا على الخبز يابريجيت ، وعلى القبلة . سأفكر فيك »

فتناولت مني سلة الغداء ، واطبقت بعينيها على مرة أخرى في ظلها العسلي ، وتشبثت شفتاها بشفتي ، وكانت قبلتها من العذوبة والحنان بحيث حزنت من فرط السعادة . ثم ودعتها مسرعا ، وهرولت منحدرا في طريقي .

وارتقت الفتاة سفح الجبل على مهل ، وتحت الأغصان المتشابكة لأشجار الخوخ عند حافة الغابة توقفت ، وشخصت ببصرها في اثري ، وعندما اشرت إليها ، ملوحا بقبعتي فوق رأسي ، أومات مرة أخرى ، ثم لم تلبث أن اختفت في ظل أشجار الخوخ ، الساكنة كأنها مرسومة في لوحة .

اما انا ، فقد مضيت في طريقي مستغرقا في أفكاري ، حتى أنعطف بي الطريق عند ركن . وهناك انتصبت امامي طاحونة . والى جانبها كان يطفو زورق على صفحة النهر ، يجلس فيه رجل متوحد يبدو عليه انه كان في انتظاري ، ذلك انني ماكدت البس قبعتي ، واهبط من الشاطىء ، حتى تحرك الزورق من فوره وانساب على صفحة الماء . وكنت أجلس وسط الزورق ، على حين كان الرجل يجلس في المؤخرة عند الدفة . ولما سألته إلى اين نقصد ، رفع رأسه ، وسدد الىّ عينين رماديتين عليهما غشاوة .

ـ قال بصوت منخفض « حيثما تشاء . مع التيار إلى المحيط ، او الى المدن العظيمة .. لك الخيار . إنها كلها ملكي » .

ـ « كلها ملكك ؟ إذن فانت الملك ؟ »

ـ قال « ربما .. وأنت شاعر ، على مايبدو .. إذن انشد لي أغنية اثناء سفرنا هذا . »

ـ فاستجمعت شتات نفسي . كان الخوف يملؤني ، من ذلك الرجل المهيب ، ولآن زورقنا ينساب بسرعة فائقة وفي هدوء على صفحة النهر . فغنيت · أغنية عن النهر الذي يحمل القوارب . ويعكس الشمس ، ويرتطم بالضفاف الصخرية . ويشعر بالسعادة حين يتم تجولاته .







- وظل وجه الرجل خليا من كل تعبير وعندما توقفت عن الغناء ، انغص برأسه صامتا كالحالم وفجاة ، ولدهشتى الشديدة

جعل هو نفسه يغنى ، وكانت اغنيته عن النهر وعن رحلة النهر عبر الوديان . وكانت اغنيته أجمل واقوى كثيرا من أغنيتى ، بيد أن كل مافيها كان مختلفا كل الاختلاف .

- وفى أثناء اغنيته عن النهر ، اندفع النهر من التلال كالمقاتل المجتاح ، قاتما شرسا ، وبأنياب بارزة قاتل الطواحين التى تقيد حركته ، والجسور ذات الاقواس ، وكانه يمقت كل زورق عليه أن يحمله ، وفى امواجه ، واعشابه الخضراء الطويلة كان يهدهد مبتسما جثث الغرقى .

- لم يبعث هذا شيئا من السرور إلى نفسى ، ومع ذلك كان صوته جميلا غامضا الى درجة أصبحت معها مضطربا تماما ، فاخلدت الى الصمت ، متلفحا بحزنى . فإذا كان هذا الذى يغنيه ذلك المنشد العجوز البارع بصوته المكتوم - حقا وصدقا ، إذن لكانت أغنياتى جميعا مجرد هراء وعبث أطفال إذن لم يكن العالم فى قرارته خيرا مشرقا كقلب الرب . بل قاتما بائسا ، وشريرا محزنا ، وعندما ينبعث حفيف الغابات ، فليس ذلك من الفرح ، وانما من العذاب .

-وواصلنا رحلتنا على حين أخذت الظلال تطول وتطول . وكلما شرعت فى الغناء ، بدا صوتى أقل ثقة بنفسه ، وازداد خفوتا وفى كل مرة كان المنشد العجوز يجاوبنى بأغنية تجعل الكون أشد إلغازاً وحزنا ، فاذا أنا أيضا كمداً واسى .

وتوجعت روحى وانتابتنى الحسرة لأننى لم امكث على الشاطىء مع الأزهار ومع « بريجيت » الجميلة . ولكى أعزى نفسى مع اقتراب الغروب ، شرعت فى الغناء مرة اخرى بصوت مرتفع ، وغنيت وسط توهج المساء الأحمر اغنية بريجيت وقبلاتها .

- وجاء الغسق ، فالتزمت الصمت ، وأخذ الرجل الممسك بالدفة ، يغنى . وكان هو أيضا يغنى عن الحب ومسرات الحب ، وعن العيون العسلية والعيون الزرق ، وعن الشفاه الحمر الندية ، وكان غناؤه الخالى من الانفعال الذى يتردد فوق التيار المعتم شجيا مؤثرا ، غير أن الحب أصبح أيضا فى اغنيته قاتما مرعبا ، وسراً قاتلا يسعى الناس الى اكتناه حقيقته ، وقد أصابهم مس من الجنون وسالت دماؤهم من التعاسة وهم يعذبون ويقتلون بعضهم بعضا .

- وأصغيت بكل سمعى ، فاستولى على الأرهاق والحيرة وكأننى قطعت رحلتى فى أعوام طوال ، ولم أسافر إلا فى الأسى والبؤس . وأحسست بتيار دائم من الحزن والقلق يزحف نحوى من ذلك الرجل الغريب ، ويتسلل الى قلبى .

- وصمت فى نهاية الأمر بمرارة : « إذن فالحياة ليست هى الأسمى والأفضل ، بل الموت .. إذن فأنا أضرع إلى أيهاالملك

الحزين ، أن تنشد لى أغنية عن الموت ! »

- وأخذ الرجل الجالس عند الدفة يغني للموت ، وكان غناؤه أجمل من أى شيء سمعته من قبل . غير أن الموت لم يكن هو أيضا اسمى الأشياء وافضلها ، وحتى فى الموت لم تكن هناك راحة . كان الموت هو الحياة ، وكانت الحياة هى الموت . فقد أوصد عليهما معا فى صراع عاشق ابدى مجنون ، وكانت هذه الكلمة النهائية ، ومعنى الكون ، ثم اتى حينئذ نور باهر ، وإشعاع ساطع يستطيع أن يمجد كل بؤس ، وجاء ظل آخر عكر صفو السرور والجمال واشتمل عليهما فى ظلام قائم . ولكن من خلال هذه الظلمات خرج الفرح أشد سطوعا ولمعانا ، وتوهج الحب توهجا أعمق وسط هذا الليل البهيم

- أصغيت ، فى سكون تام ، ولم تعد لدى إرادة سوى إرادة هذا الرجل الغريب . واستقرت نظرته هادئة على ، يشوبها شيء من العطف الحزين المتسم بالود ، وكانت عيناه الرماديتان مفعمتين بالأسى ، وبما فى الكون من جمال . وابتسم لى ، فتشجعت ، وتوسلت إليه مدفوعا بتعاستى : « دعنا نفرغ من امرك ! إننى خائف هنا فى الظلام ، وأرجو أن اعود حيث استطيع أن اجد بريجيت أو الى البيت حيث اجد والدى »

- فنهض الرجل ، واشار الى الليل ، فسطع الصباح على وجهه النحيل الممتلىء عزما « لاسبيل الى الرجوع » قال هذه العبارة فى رزانة ولطف معا . « على المرء أن يواصل السير الى الأمام إذا كان يبغى سبر أغوار العالم . ولقد حصلت على خير مايحصل عليه المرء من الفتاة ذات العينين العسليتين ، وكلما ابتعدت عنها ، كان ذلك خيرا لك ولكن ، لاباس ، أبحر حيثما تشاء . وساتخلى عن مكانى لك لتمسك بالدفة »

- كنت يائسا يأسا مميتا ، مع ذلك رأيت انه على حق ، وفكرت فى « بريجيت » وفى بيتى وفى كل شيء كان قريبا مشرقا ، أمتلكه بين يدى ، فاذا هو الآن ضائع تماما .. فكرت فى هذا كله يملؤنى الحنين ، ولكن علىّ الآن أن احتل مكان الرجل ، وأن ادير الدفة ، هذا أمر لامناص منه .

- وعلى هذا ، فقد نهضت فى صمت ، وخطوت خلال الزورق متجها صوب مقعد الربان ، وخطا الرجل نحوى صامتا ، وفى اثناء عبورنا تفرس الرجل فى وجهى وناولنى المصباح

- ولكن ، عندما جلست إلى الدفة ، ووضعت المصباح بجانبى ، كنت وحيدا فى القارب . وأدركت - وقد أخذتنى قشعريرة عميقة - أن الرجل قد اختفى

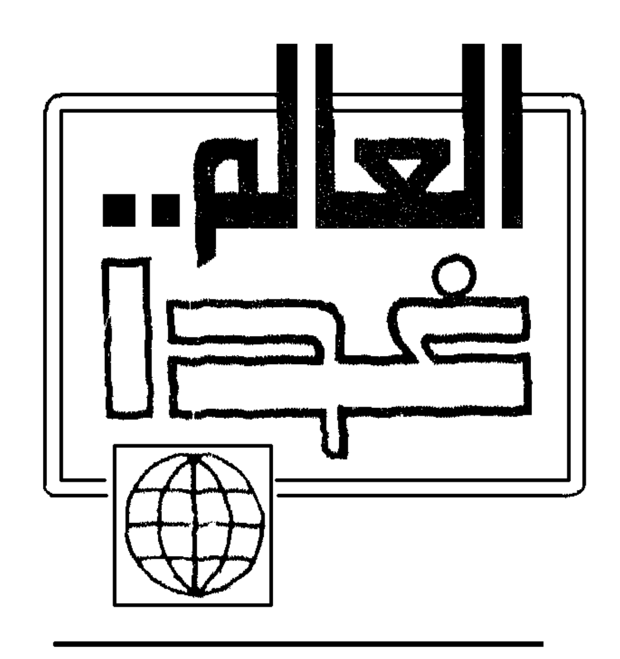
ومع ذلك لم تساورنى الدهشة ، إذ كنت اتوقع فى قرارة نفسى شيئا كهذا وخيل الىّ إن يوم التجوال

الجميل ، وبريجيت ، وابى ، ووطنى .. لم يكن هذا كله سوى احلام ، وأننى عجوز حزين ، رحلت فعلا ، وكنت راحلا دائما وأبدا على صفحة هذا النهر الليلى . »

- وكنت أعلم أنه لاينبغى على أن انادى على الرجل العجوز ، وهبطت على معرفة الحقيقة كانها رعدة

ولكى أكون على يقين مما ارتبت فيه ، فعلا ، انحنيت على الماء ، ورفعت المصباح ، ومن خلال مرآة الحياة السوداء حملق الىّ وجه ، وجه ، ذو ملامح قاسية مهيبة وعينين رماديتين ، وجه عجوز يعرفنى .. كان وجهى أنا .

ولما لم يكن ثمة سبيل للعودة ، فقد واصلت رحلتى الى الأمام فوق المياه المظلمة ، متوغلا فى قلب الليل .



● الاعتماد على الذات ●

● بعد ٥ سنوات من العمل الجاد ، تقرر أن يتم الانتهاء من خطوات العمل التنفيذية لوثيقة السياسة التكنولوجيه القومية لمصر وتحويلهـــا الى برامج ومشروعات على قطاعات الانتاج والخدمات استغرقت صياغتها ثلاث سنوات اشترك فيها اكثر من ٦٠٠ باحث وخبير من اكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا ، والمركز القومى للبحوث ، ومراكز البحوث المتخصصة والوزارات والمؤسســـات القومية . ومن المنتظر أن تقام الشبكة القومية للتنمية التكنولوجية بعـــد أن تقدمت الاكاديمية بمشروع القرار الذى يحدد خطة التنمية التكنولوجية لمصر بهدف اعتماد مصر على الذات تكنولوجيا ، وقد تضمنت المبادىء الاساسة وان يتم انشاء مركز او هيئه داخل الاكاديمية تتبعهـا وحدات قطاعية داخل الوزارات ومؤسسات الدولة ترتبط فيما بينها بعـــد أن تم الاتفاق مع كافة الوزراء على أسس ومبادىء التنمية التكنولوجية لدراســة عمليات نقل التكنولوجيا وعمليات التفاوض مع الدول المصدرة للتكنولوجيا الى مصر، وتدريب الكوادرالوطنية للتغلب علىمشكلة الشروط المجحفة التى تضـعها الدول الموردة للتكنولوجيات الحديثة. وسيصدر قريبا قانون نقل التكنولوجيـــا الـذى تقدمت به الاكاديمية ووزارة الاقتصـاد لتنظيم النواحى القانونيـة لنقـل التكنولوجيا . واصبح وشيكا أن تتحول اكاديمية البحث العلمى الى بيت خبرة وطنى للقيام بدراسات الجدوى والاعمال الاستشارية للقطاعين العام والخـاص والبنوك والوزارات ومؤسسـات الدولة نظير اجر للقضاء على ظاهرة التخبـط التى تعانيها هذه القطاعات من جـراء دراسات الجدوى والاستشارات ، وهنـاك اتجاه لاستصدار قرار جمهورى للوحدات البحثية ذات الطابع الخاص لتقـديم خبراتها وخدماتها لكافة اجهـزة الدولة نظير اجر والاعتماد على الذات فى تمويل خططها البحثية من حصيلة الاجور التى تتقاضاها .

ويقول الدكتور محمد كامل محمـود رئيس اكاديميـة البحـث العلمى والتكنولوجيا :

أن السيادة التكنولوجية تبنى اساسا على الحلول الذاتية للمشاكل علىمستوى المنشاة وليس على امتلاك خبرة جاهزة من الخارج . لقد تقدمت كوريا الجنوبية من خلال قدراتها الذاتية ولم تعتمد كثيرا على الاستثمار الاجنبى او التراخيص ، كما ان تجربة الهند لم تات من فراغ ، فقد خصصت جزءامناسبا من استثماراتها فى اقامةالبنية الاساسية للعلموالتكنولوجيا والقدرات الذاتية وحماية ذلك بوضـع سياسة تكنولوجية . ومع ان مصر تملك قاعدة علمية تكنولوجية متميزة فمـازال مجتمع العلم والتكنولوجيـا على هامش عملية التنمية القومية وان اى تغييريحدث فى المجالات الاقتصادية والخدمية أساسه تكنولوجيات مستوردة بكاملها .

● محاذير الكمبيوتر فى المدارس الأمريكية ●

فى بلادنا وفى الشرق العـربى ،

فإن الاستثمار الحقيقى والفعال من اجل المستقبل . هو الاستثمار على التعليم والتدريب ، فالثروة الحقيقيــة هى الانسان ..

ورغم أن اعداد الاجيال الجــديدة اعدادا جيدا هو المعبر الوحيد لمستقبل افضل ، الا ان خططه وبرامجه مازالت تقليدية بعيدة عن الخيال والمبـادرة تسير بخطى وئيدة لا تتناسب مع وتيرة العصر ولا احتياجات المستقبل . فمـاذا يجرى فى العالم من حولنا .. ؟

فى بريطانيا ، كان احد اسـباب نجاح حزب المحافظين ، وصـول تاتشر للحكم ، انها وعدت الناخبين بادخـال الكمبيوتر فى المدارس البريطانية .. وفى الولايات المتحدة الامريكية انتشرت اجهزة الكمبيوتر الصغيرة فى مدارسـها . باعتباره أداة مساعدة بين أيدى الطلاب ووسيلة ايضاح فى يد المعلم ..

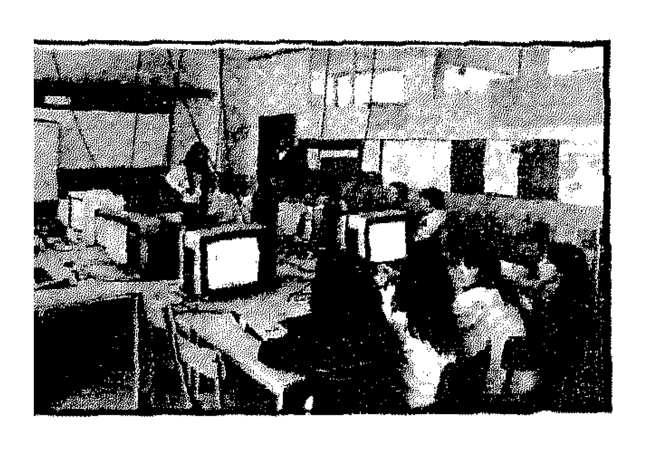
ولم يعد المثقف فى هذا العصر ، من يقرأ ويكتب ، بل أصبح من يستطيع استخدام الكمبيوتر .. واولياء الامور يعتبرونه ضروريا لكى يجد أبنـاؤهم فرص العمـل ، خاصة وقد اصبح الميكروكمبيوتر متوفرأ باسعار تصـل الى ٣٠٠ دولار مما يسهل استخدامه..

وقد صدر مؤخرا دليل يتضـمن توصيف ما يزيد على خمسة الاف برنامج تعليمى ، تشمل فلسفة فكرية وعمليـة حول أهميـة استخدام الكمبيوتر فى التعليم ..

وفكرة الاعتماد على أجهزة الكمبيوتر لكى تتحول مظاهر تربية الاطفال والشباب آلية ومثالية تستمد ليس فقـط من مخاطرات صانعى هذه الأجهزة ، ولـكن من أن لديها قدرات عقلية تسـتطيع مخاطبة التصورات لتربية الاطفـال بصورة مباشرة .

وهذه القدرات هى :

● المقدرة على اشغال التـلاميذ فى انشطة ومناقشات فكرية مرتفعـة المستوى ، وتوفير حوافز تعليميـة ، وتقديم شخصيات مؤثرة .



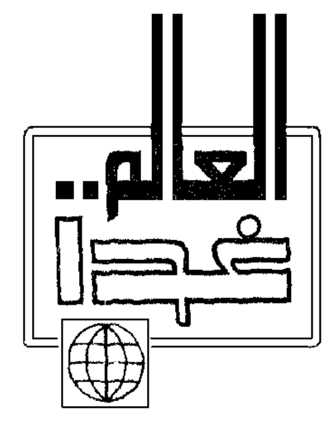
● خلق بيئات فكرية تحفز الطـلاب على اكتشاف مواضيع ليست موجـودة فى المنهج الحالى ، وربما فوق مستوى كفاءة المدرس، وهى مهمة مفيدة من اجل اعداد الطالب للمستقبل ، تخيل مثلا كيف يستطيع الطالب ابتكار قطـع موسيقية وفنية بواسطة آلة غاية فى التعقيد ، بامكانها أن تدمج التعليـم فى الظواهر الطبيعية والفسيولوجيـة وتشجع العمل الخلاق المبدع .

● تزويد كل طالب بمحتويات المكتبة وبامكانيات امين المكتبة ، وبآلة كاتبة، وبمساعد تحرير شخصى بطريقة مريحـة وسهلة لتنمية مهارات قد تكون ضرورية عند تحملهم المسئوليات فى المستقبل .

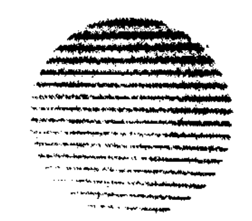
● توفير خبرات وفرص تعليمية عن طريق الاعمال الدراسـية والمواقف التمثيلية ، فالطلاب يتعلمون بطريقـة افضل بالمشاركة الفعلية بدلا من مجرد الوقوف متفرجين ، والكمبيوتر يوفـر وسيلة لهذه المشاركة دون التعرض لمخاطر المشاركة الفعلية .

وهذا يساهم فى تربية جيل من الشباب قادر على القيـام بالوظائف التحليلية وحل المسائل الصعبة ، نتيجة تلقيهم فى سن مبكرة وبصورة مستمرة مفـاهيم وأدوات معينة لحل المسائل بمسـاعدة الكمبيوتر .

ويهتم التربويون فى الولايات المتحده ، ويناقشون مسائل مثـل أثر الكمبيوتر









على القدرة الابداعية للطلاب ، وبقيت لديهم بعض التساؤلات التى لم تجد اجابتها بعد مثل :

● أيهم اجدى فى تنمية قدرات الطلاب ومهاراتهم ، هل الوسائل الشفهية والرياضية وتدريس المعارف ذات القيمة الثقافية ، أم استنفاد وقتهم امام اجهزة الكمبيوتر ؟

● لاى نوع من الطلاب ولاى جزء من المناهج يمكن استخدام الكمبيوتر كطريقة مثلى لتحسين كفاءات الطلاب ورفع مستواهم ؟

● وحتى لو افترضنا أن اجهزة الكمبيوتر افضل وسيلة تعليم من الناحية النظرية ، فهل تستطيع المدارس استعمال العدد القليل نسبيا من هذه الاجهزة؟

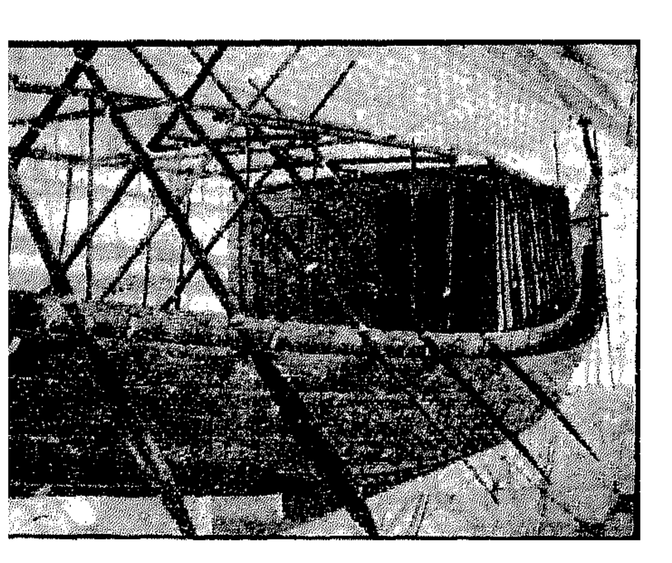
فخسارة فرصة استخدام الكمبيوتر تظهر عندما يستخدم من آجل تخريج اعداد كبيرة من الطلاب غير مؤهلين او قادرين على استخدام الكمبيوتر لما يرونه ، اذا استخدم كنظام تعليمى فقط ، دون توجيه او اعطاء التلميذ توجيهات عن كيفية عمله ، فكم تكون الخسارة ، اذا ما سخرت مهارات القراءة والكتابة من آجل تخريج اعداد كبيرة من الطلاب غير القادرين على القراءة والكتابة الحقيقية !!

● اختبار جديد للابصار ●

لم يعد اختبار قوة الابصار يقتصر على معرفة العلامات التقليدية السوداء على الخلفية البيضاء . فالاختبار المعتاد لم يكشف عن العيوب التى من المحتمل أن يصاب بها النظر مثل مرض العشاء الليلى وعدم رؤية الاشياء فى المساء او الضوء الخافت وقد توصل مؤخرا آحد الاطباء فى الولايات المتحدة الامريكية الى اختبار جديد عبارة عن مجموعة من الدوائر التى تحتوى على خطوط رمادية وبيضاء لمعرفة قدرة الانسان على الرؤية وخاصة فى الظلام والضباب . كذلك يمكن للاختبار الجديد الكشف عن المتاعب التى تسببها الاصابة بالمياه البيضاء والزرقاء وتصلب الانسجة فى العين .

● جهاز فيديو جديد يطبع الصورة ●

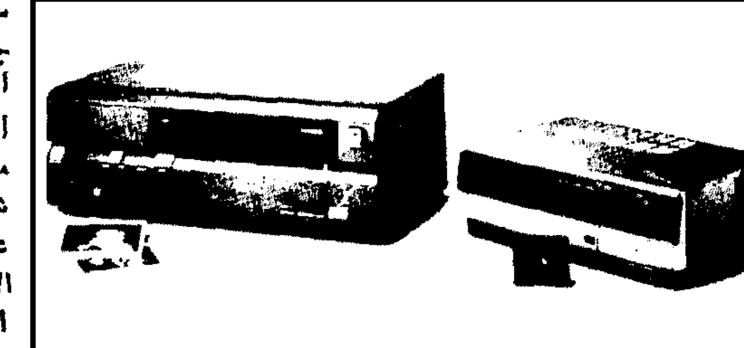
خلال السنوات العشر القادمة سوف يحل جهاز الفيديو محل جهاز البروجيكتور الذى يقوم بعرض الصور اذ انه سيصبح فى الامكان نقل صور فيلم غير محمضة ـ ٣٥ ميلليمترا ـ على اسطوانات مغناطيسية لتخزينها وعرضها على شاشة التليفزيون .. ويوجد بالجهاز الجديد نظام تسجيل مغناطيسى يمكنه تحويل موجة الاشارات الخاصة بالفيديو لتسجيلها على اسطوانة مرنة ، ثم تقوم كاميرا الفيديو بتحويل الصورة الملتقطة على الفيلم الى اشارات.



ويمكن أن تستوعب كل بوصتين من الاسطوانة ما يقرب من ٥٠ صورة وهى بذلك تفوق المعلومات التى تسجلها اسطوانات الكومبيوتر الشخصى .

ولطبع الصورة تدخل الاسطوانة الليننتسة فى الجهاز ويتم اختيار الصورة على الشاشة ثم يضغط على زر لتحديدها وقبل الطباعة يمكن ضبط اللون ودرجاته والاضاءة وبعدها يضغط على زر الطباعة فى الجهازحيث تعمل شرائح الكومبيوتر به على تحويل اشارات الفيديو من صور الى ضوء يمكن التقاطه على فيلم ملون وفى اقل من دقيقتين تتم طباعة الصورة .

ويمكن استخدام الجهاز الجديد فى اغراض التصوير الطبى وفى الفيديو المستخدم فى الامن والمراقبة والاعلان . كذلك فى حفظ الوثائق والمعلومات .



● استخدام التكنولوجيا الحديثة للبحث عن مركب شمسي جديد ●

●● يبدأ فريق عالمى من علماء الآثار والجيولوجيين والمهندسين بقيادة الدكتور فاروق الباز احد ابحاثهم الاستكشافية الدقيقة فى محاولة للكشف عن امكانية وجود مركب شمسى آخر اسوة بالمركب الذى اكتشف بالصدفة عام ١٩٥٤ فى سرداب بقاع الهرم الاكبر . ويجرى العمل فى هذا المشروع بدقة شديدة من اجل الحصول أيضا على عينة من الهواء عمرها ٤٦٠٠ عاما . وكان المركب الشمسى الاول قد اكتشف أثناء الاعداد لزيارة الملك سعود لمنطقة الاهرام وقد عثر عليه فى حالة جيدة وكان يبلغ طوله ١٣٠ قدما . البحث الجديد سيتضمن استخدام العديد من وسائل التكنولوجيا الحديثة للكشف عن حجرة مجاورة للسرداب القديم تضم مركب شمسى آخر . ويأمل العلماء فى الحصول على عينة من الهواء لان تحليلها سيساعد الاثريين والمتخصصين فى الحفاظ على الآثار القديمة من قياس نسبة الرطوبة . ودرجة الحرارة والعوامل الأخرى المطلوبة لتحديد البيئة الملائمة للحفاظ على الاخشاب والملابس والمواد العضوية الاثرية

ويقول الدكتور فاروق الباز رئيس فريق البحث ان تحليل الهواء سيساعد العلماء على التنبؤ بالتغييرات طويلة المدى التى ستحدث للغلاف الجوى المحيط بالارض فقياس معدلات ثانى اكسيد الكربون واول اكسيد الكربون سيساعدان على تحديد نسبة تركز ثانى اكسيد الكربون فى الهواء خلال العقود القادمة . بدا البحث عن اكتشاف وجود القارب باستخدام جهاز يعمل باشعة الميكرويف وكمبيوتر يعطى صورة لما تحت الارض كشف بأن الحجرة ليست خالية وسوف يتم استخدام اجهزة استشعار عن بعد لتحديد المحتويات وتصميم الحجرة قبل اختراق الصخور .



ملاحظات حول تاريخ مى

● قدمت مجلة الهلال في عدد فبراير ١٩٨٦ دراسات عن « مى زيادة » بمناسبة الذكرى المئوية لمولدها . وقد وقعت بعض الهنات والاغلاط فى مقالى الاستاذين الفاضلين د. خفاجى و د. الطاهر مكى وجدنا من الواجب الاشارة اليها تتمة للفائدة العائدة على القراء .

يقول د. خفاجى فى مقاله : « وفى عام ١٩١٤ عقدت (أى مى) صالونها الادبى » والواقع ان الصالون كان ينعقد قبل ذلك التاريخ . ولكنه أنتظم بشكله المعروف بعد أبريل ١٩١٣ .

ويقول : « وقد استمر هذا الصالون الادبى حتى أواخر عام ١٩٢٦ » .

والصحيح انه استمر الى أوائل الثلاثينيات . وفى حديث صحفى أجراه الاديب المرحوم محمد عبد الغنى حسن مع طه حسين ونشرته مجلة المقتطف فى عدد يناير ١٩٤٢ قال طه عن « مى » : « أخذ ميلها الى العزلة يظهر بعد أن فقدت أبويها .. ولكنها لم تقطع صلتها بالناس فجاة وانما قللت لقاءهم .. » فاذا عرفنا ان موت أمها كان سنة ١٩٣٢ أدركنا أن صالون « مى » أخذ فى الافول بعد هذا التاريخ ولكن المنتدى استمر بعد ذلك مع قلة رواده .

ويقول د. خفاجى عن ديوان شعرها الفرنسى « ازاهير حلم » : « كانت تكتبه فصولا فى جريدة يصدرها والدها فى القاهرة باسم المحروسة » .

والثابت ان الديوان نشر عام ١٩١٠ أو ١٩١١ ، ولم يترجم الا بعد حين . أما الخطرات النفسية الادبية التى كانت تنشرها فى المحروسة فكانت بعنوان « سوانح فتاة » .

ويقول خفاجى : ترجمت عن الفرنسية رواية « هجرة الفرنسيين الى أمريكا » وطبعت بعنوان « الحب فى العذاب » .

وقد يقع القارىء فى حيرة فبينما يقول د. مكى فى دراسته المنشورة فى « الهلال » ان ميا ترجمتها عن الانجليزية ، يقول خفاجى أنها ترجمتها عن الفرنسية والرواية للكاتب الانجليزى « دويل » وقد ترجمتها عن الانجليزية لا عن الفرنسية .

ويقول د. خفاجى : « وتعرف لطفى السيد بمى ... وكان واسطة التعارف خليل سركيس » .. والصحيح أنه سليم سركيس لا خليل سركيس ..

ويقول د. خفاجى : « كتب الرافعى فى حبه العذرى لمى رسائل أحزان الورد » .. ولا يوجد كتاب للرافعى بهذا الاسم وانما له : « رسائل الاحزان » و «أوراق الورد» .

ويقول خفاجى ان ميا أهدت الى أمين الريحانى كتاب « أشعة وظلال » .. واسم الكتاب خطأ فليس لمى كتاب بهذا العنوان وانما لها كتاب « ظلمات واشعة » ..

ومقال د. خفاجى قصير والمعلومات التى قدمها متداولة ومكررة فى الكتب التى

تناولت الانسة « مي » وبخاصة كتاب « أطياف من حياة مي » للطناحي ، ولكن الاخطاء في هذا المقال القصير كانت كثيرة ..

● أما الدكتور الطاهر مكي فيقول في دراسته بعنوان «المصادر الاجنبية لأدب مي» عن مكس موللر (١٨٢٣ ـ ١٩٠٠) ص ٩٨ : « وعرفته « مي » في سن مبكرة حتى قبل أن تجيء الى القاهرة وقبل أن تعرف الالمانية . ونشرت عنه مقالا في مجلة المقتطف نوفمبر ١٩٠٠ » .

ولاني معنى بدراسة « مي » فقد شددت الرحال الى دار الكتب المصرية ، ووقفت على عدد المقتطف الصادر في أول نوفمبر سنة تسعمئة والف الموافق ٨ من رجب ١٣١٨ . وفعلا وجدت المقالة الثانية في العدد بعنوان « العلامة اللغوى مكس ملر » ورحت أبحث عن التوقيع لتحديد اسم الكاتب فوجدت المقالة غفلا من أى توقيع ولا ذكر لى او مارى في العدد كله بما في ذلك الفهرست . وأدركت أن المقال الذى أشار اليه د. مكى من عمل المحرر . فالمقالات ألتى ترد في المجلة عاطلة من التوقيع غالبا ما تكون بقلم المحرر أو رئيس التحرير . ولا توجد هناك أدنى صلة بين مقال المقتطف عن موللر وبين « مي » لاسباب كثيرة منها :

كانت « مي » سنة ١٩٠٠ في عامها الرابع عشر ولا تستطيع أن تتعامل مع هذا اللون من الفكر الجاف ، وكانت تتلقى تعليمها باللغة الفرنسية في مدرسة راهبات الزيارة في عينطورة شمال بيروت حتى سنة ١٩٠٣ ، ولم تتقن العربية بدرجة تمكنها من الكتابة . وحينما مارست التاليف كان ذلك بالفرنسية . وقد مر بنا ذكر «ازاهير حلم » فهو من نتاج تلك الفترة وما بعدها . ومقالة المقتطف عن موللر مكتوبة بلغة عربية علمية تمكن كاتبها من لغته ومعارفه ولا قدرة لصبية على ذلك .

توفى مكس موللر في ٢٨ من اكتوبر سنة ١٩٠٠ (كما أشارت المقتطف) ونشر المقال المشار اليه في عدد أول نوفمبر ١٩٠٠ . فهل تمكنت « مي » في عدة أيام ان تعكف على كتابة مقال عن موللر وترسله من عينطورة الى القاهرة ويقتحم حجرة رئيس التحرير فيحفل به ، وينظر فيه ويصرح بنشره . هل هذا يمكن تصوره ؟ . وربما تأخر ظهور المقتطف عن موعدها عدة أيام كما يبدو لى ؟ ولكن علة تأخير صدور اية مجلة لابد وأن تكون معلومة للمحرر ، بسبب استيفاء موضوع مثلا أو علل أخرى . والسؤال هو هل كان صروف على علم مسبق بأن ميا سترسل اليه مقالة بمناسبة موت موللر فاخر صدور مجلته ؟ فيما أعرف فان ملزمة رئيس التحرير غالبا ما تكون آخر الملازم التى تدور عليها آلات الطباعة ، وعندما عرف نبا موت موللر هم صاحب المقتطف بالكتابة فكتب . ومما يؤيد هذا أن المقال الاول دبج بمناسبة موت « السرجون لوز » وهو عالم زراعى . والمقال الثانى عن « موللر » وجاء في مستهله : « لم تكد تتم السطور المتقدمة عن السرجون لوز حتى نعت الينا الصحف الاوربية عالما آخر من شيوخ العلماء ، واستاذ جليل الشأن طبقت شهرته الخافقين .. » فهل ترى يا سيدى أن « ميا » هى التى كتبت عن جون لوز ؟ فالذى كتب عن « لوز » هو الذى كتب عن موللر . والراجح انه يعقوب صروف صاحب المقتطف .

وأهم من كل ذلك أن المقال لم يمهر بتوقيع « مي » فكيف عرف د. مكى أنه من نتاجها ؟



هذا ما رايته . فاذا كان الدكتور الفاضل عنده ما يخالف هذا فليتكرم على القراء بما يعرف .
ويقول د. مكى ان رواية « الحب فى العذاب » لم يوفق احد فى العثور عليها .
والرواية مطبوعة فى دار نوفل عام ١٩٧٦ .

احمد حسين الطماوى

● الحزن النبيل ●

يايهـا الحـزن النبيـل بلا نواح
انا على درب الوفـاء لنا قلم
كى تسعد الدنيا اغاريدى الفصاح
وانا انوء بما حملت وانفصم
فاذا سقطت فماتمى بين الاقاح
بين الطيور الباكيات على القمم

الشاعر الدكتور احمد عامر

● شىء من المرارة ●

انا يا ابى ، انا يا ابى ، انا يا ابى
لا عذر اقبل يا ابى ، لا تهرب !
فى كل يوم .. ذاك يحدث مرة
او مرتين ... بمنطق مستعذب
فلتستجب يا من ولدت ، وان تكن
ـ فيما تقدم مرغما ـ بمعذب
لا تعتذر بالفقر .. لست مصدقا
شرق بهمك .. مفردا .. او غرب
فصغارك البرءاء ، ليس لديهمو
بعض التصور ، عن حقير (مرتب) !
هم يعرفون بان والدهم له
صوت ، وان يامر ابوهم يرعب
لكنهم لا يعرفون بانه
(طبل) ، وهذا الطبل جد مثقب !



رمضان ابو غالية
وكيل قويسنا الثانوية للبنين

● العقاد بين الكفر والايمان ●

● طالعت فى عدد يناير الماضى من « الهلال » مقالا للاستاذ محمد سيد كيلانى عنوانه « العقاد بين الكفر والايمان » .. وهو مقال موجه للنيل من العقاد ، فهل كان من الخطأ أن يبحث العقاد عن الادلة المؤكدة لفكره آنذاك ؟ .. وهب أنه تجاوز هذه المرحلة وأصبح متمسكا بالاسلام فهل نحاسبه على ما مضى أم نرحب به فى اسلامه ونبحث فى كتبه الاسلامية ؟! ..

رمضان الهجرسى
المنصورة

● العقاد العملاق ●

● نشرت « الهلال » مقالا عن الكاتب العملاق عباس العقاد للاستاذ محمد كيلانى ، وقد انتابنى وجوم عند قراءته اذ تذكرت ما يحدث لاعلام الفكر الاسلامى والعربى الذين خدموا العروبة والاسلام ! ..

هل كان العقاد ملحدا وهو الذى ألف مكتبة كاملة عن الاسلام .. وهل كتب محمد كيلانى فى الاسلام شيئا ؟!

ان كتب العقاد فى الاسلام مازالت تطبع بعشرات الالوف من النسخ ، وقد صدرت عنه خمسون دراسة وثلاث رسائل دكتوراه . فلا يضير العقاد أن ينكر اسلامه أحد من الناس .

رجب عبد الحكيم بيومى الخولى
كلية دار العلوم ـ القاهرة

● العقاد المسلم ●

● توقفت طويلا عند مقال « العقاد بين الكفر والايمان » بقلم الاستاذ محمد سيد كيلانى حيث اتهم عملاق الفكر العربى بانه كان فى مطلع حياته ملحدا يقول بالتعطيل وينكر النبوات ، واستدل على ذلك بما نشره العقاد ردا على محمد فريد وجدى فى جريدة الدستور وضمنه خمس قضايا عقلية وفلسفية لتسفيه رأى فريد وجدى فى اثبات وجود الله ، وهذه القضايا ليست قطعية فى الدلالة على تهمة الالحاد للاستاذ العقاد ، بل على العكس تماما تؤكد وجود الله من وجهة نظر العقاد ، ولم يذكر احد من مؤرخى الادب العربى المعاصر او من كتبوا سيرة العقاد هذه التهمة التى رماه بها الاستاذ كيلانى . فهل نقب الاستاذ الكاتب فى سيرة حياة العقاد واكتشف هذه التهمة بعد ان رحل العقاد عن دنيانا ؟ وما كتبه المرحوم العقاد فى ذاته ردا على فريد وجدى يظهر قدرته العقلية على اقتحام المعضلات المنطقية والعقلية والقضايا الفلسفية ببراهينه الدامغة وحججه القاطعة ، وهى قدرة ظلت ترافقه طوال حياته ، ولا يعاب على العقاد وهو فى بداية حياته الفكرية والادبية ان يقف موقف المفكر المتسائل ، وأن يقيم ما شاء من أبنية وأقيسة عقلية ومنطقية يقتنع بها بحثا فى العقيدة والدين توصلا الى الايمان الراسخ .



وتهمة الالحاد التى نسبها سيد كيلانى للعقاد فى مطلع حياته تتنافى مع قوة ضميره الدينى وهى قوة ورثها عن ابويه ، ويعزى تعلقه بالاسلاميات وتراجم الشخصيات الاسلامية الى وراثاته ويقول العقاد فى ذلك « ولدت لابوين من اهل السنة أبى على المذهب الشافعى وأمى على مذهب ابى حنيفة ، وفتحت عينى على الدنيا وانا اراهما يصليان ويتيقظان قبل الفجر لاداء الصلاة حاضرة .. وفتحت اذنى على عبارات الحب الشديد للنبى عليه السلام وآله » وهذا القول من العقاد عن طفولته يدفع اتهام الاستاذ كيلانى ويهدمه من اساسه ، ويؤكد العقاد تأصل ايمانه بالله ومصادره فيقول « أؤمن بالله وراثة وشعورا وبعد تفكير طويل » ويذهب الى ابعد من ذلك فى انكار الحاد الماديين فيعلن بأعلى صوته : « ما من مذهب اطلعت عليه من مذاهب الماديين الا وهو يوقع العقل فى تناقض لا ينتهى الى توفيق ، او يلجئه الى رغم لا يقوم عليه دليل » ويرتب سيد كيلانى واقعة طرد العقاد من جريدة الدستور كنتيجة مباشرة لنشره الرد على صاحبها محمد فريد وجدى ، وهذا ما يجافى الحقيقة ، فقد توقفت جريدة الدستور سنة ١٩٠٩ عندما استنفد محمد فريد وجدى ما قدر على انفاقه ، ولم ينقطع عمل العقاد فى الجريدة « الدستور » غير بضعة أسابيع لخلاف وقع بينه وبين احمد وجدى شقيق فريد وجدى ، ويودع الاستاذ محمد فريد وجدى العقاد عند توقف الدستور آسفا على الظروف التى ادت الى افتراقهما ويقول له : « ارجو ان نتعاون معا فى عمل صحفى نحن اقدر عليه واصلح من الصحافة السياسية » ، وعليه فواقعة طرد العقاد من جريدة الدستور غير صحيحة من اساسها . وقد اشاد العقاد بفضل فريد وجدى وفضائله النفسية والفكرية واثره فى شخصيته فى بداية حياته فى كتابه « رجال عرفتهم » .

ويكرر سيد كيلانى فى مقاله تهمة الالحاد ، ويلصقها باستاذ الجيل احمد لطفى السيد وتلاميذه « فهو ملحد ويأوى اليه الملحدون » وليس جديدا ان نسمع تلك التهم تكال لأعلام المفكرين التى تتراوح بين الاتهام بالشيوعية والالحاد والماسونية ، والتبشير ، وهكذا فان اى مفكر مصرى ظهر منذ اوائل هذا القرن لا اثر ولا وزن له فى تاريخنا الثقافى والفكرى من وجهة نظر بعض دعاة الفكر المحافظ ، وتكتمل هذه السلسلة باتهام العقاد ببعض هذه التهم واخطرها .

وينعى سيد كيلانى على العقاد وقفته فى مجلس النواب مدافعا عن طه حسين بسبب ازمة كتابه « فى الشعر الجاهلى » سنة ١٩٢٦ ، والحقيقة ان العقاد لم يكن يدافع عن طه حسين فى شخصه ، ولا عن الآراء التى احتواها الكتاب ، بقدر ما كان يدافع عن حرية الفكر وحرية البحث العلمى .

وعندما عرض لموقف العقاد من فن القصة وتفضيله لفن الشعر عليه ، تناسى اعتراف الادباء رواد فن القصة والرواية باستاذية العقاد لهم واشادتهم بفضله سواء كان طه حسين أو توفيق الحكيم ومن بعدهما جيل شباب الثلاثينات والاربعينات من

امثال نجيب محفوظ ومحمد عبد الحليم عبد الله ، ولم يعز على العقاد ان تسطع هذه النجوم كما يزعم الاستاذ فى مقاله ، ومن الثابت أن الاستاذ نجيب محفوظ اعترف بتأثره بأدب العقاد لا سيما برائعته « سارة » كنموذج للقصة والرواية النفسية التحليلية ، التى اغفلها الاستاذ وهو بمعرض حديثه عن تفضيل العقاد للشعر على القصة .

ولا تثريب على العقاد ان كان يفضل بيتا من الشعر على القصة ، لان بيت الشعر يركز له التجربة الانسانية أو الموقف الانسانى فى ألفاظ قليلة ووقت قصير وسريع ، وهذا التفضيل يتفق وطبيعة تكوين العقاد وطبيعة القصة .

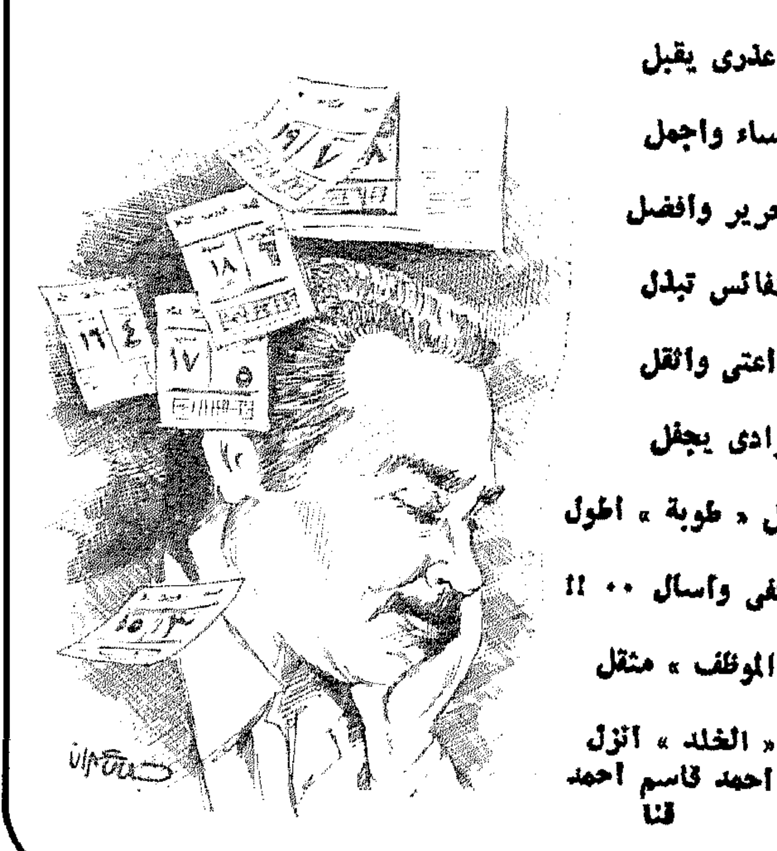
ان اجيالا واجيالا من كتاب وادباء مصر العربية تحن الى ان تلد مصر الولود مثل العقاد شمسا ساطعة فى عالم الفكر والادب ، بدلا من ان نحاول النيل من كل عظمة وكل بطولة وكل عبقرية بالاباطيل والاضاليل التى سرعان ما تزول تحت شمس الفكر لا سيما وان كانت العظمة والبطولة والعبقرية فى حجم العملاق العقاد .

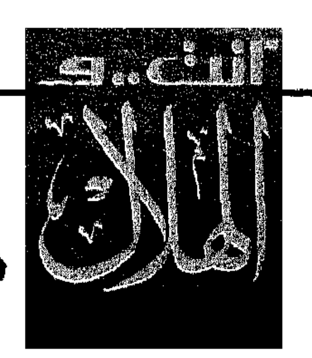
عمرو عبد المنعم حمودة
برما ـ طنطا

● يا اول الشهر ●

يا اول الشهر : اقبل
هيا الى وعجل
مطالب البيت شتى
وليس عذرى يقبل
فذاك يبغى كساء
اغلى كساء واجمل
وتلك ترجو رداء
من الحرير وافضل
والخطب خطب حذاء
فيه النفائس تبذل
وان يئن مريض
فالهم اعتى واثقل
اجر الطبيب كبير
منه فؤادى يجفل
وللدواء « بيان »
من ليل « طوبة » اطول
من شدة الضيق اخشى
امد كفى واسأل .. !!
يارب انك تدرى
ان « الموظف » مثقل
فامنحه سترا بدنيا
وجنة « الخلد » انزل

احمد قاسم احمد
قنا





● لهفى على الاسلام ●

لهفى على الاســـلام فى اشــجانه
اضحى غريبا فى حمى اوطانه
فى ارضــه يطغى عدو غاشــم
بســلاحه البتار او ثعبانه
ياشرق دع هذا السبات لكى نرى
اســلامنا يزهو على وديانه
ابليس قد وضحت لكم بغضاؤه
ويريدكم فى النار من اقرانه
شهواتــكم ونفوســكم اعــوانه
لا تعبدوا الشيطان فى اعوانه

ايمن على دسوقى
المعهد التجارى بالروضة ـ القاهرة

● دعــنى ●

دعنى اشواك ولاتسرف ★ فى الصد فإنك لاتعرف
مايحمل قلبى من شوق ★ للقائك دوما فلتنصف
من غيرك أطمع ان يسقى ★ ريحانه حبى من يعطف "
من سوف أبوح له دوما ★ بسرائر قلب يتعفف
ان يغشى سر صبابته ★ لعذول منك له موقف
فارحنى منك بتلبية ★ او قل لى حتى « متأسف »

محمد ابراهيم المجريسى
(ابو تيج)

حوار مع الاصدقاء

● عشر عسران احمد طه :

ـ قصيدتكم « غازلة الضياء » تدل على شاعريتكم · الا أنك ـ فيما يبدو ـ معجب ببعض شعراء المهجر الذين كان لهم صيت قبل خمسين عاما ، وهذا لا يعيبك ، ولكن الافضل أن تستقل بمذهبك فى الشعر مهما أعجبك غيرك من الشعراء ·

● صلاح شفيع ـ بلقاس :

ـ السطور التى ارسلتموها الينا بعنوان « آخر الانفاس » تصلح خاطرة نثرية شعرية ، ولكنها ليست « قصة » قصيرة ، ولا قصة قصيرة جدا ، فان فن القصة شىء آخر ، وان كنا لا نقول بالتزام القوالب فى هذا الفن ·

● ابراهيم على حسن بوخشيم ـ المنيا :

ـ انك تعود الى القول الشائع بان الادباء الكبار فى السن يحجبون الادباء الصغار،

وهو قول غير صحيح ، وقد أثبتت الحيـــاة أنه خطـــا ، ولو عددت ما ينشره الادباء والشعراء الشبان من مطبوعات الآن لوجدته أضعاف ما ينشره الشيوخ .. ونحن معك

فى أنه ينبغى تدعيم الحرية الفكرية للادباء جميعـــا .. واخيرا نرجو أن تكتب بخط حسن واضح ، أو تكتب على الآلة الكاتبة ان كنت لا تستطيع تحسين الخط. ومعذرة !

● **محمد ابراهيم الفرحاتي ـ كلية الهندسة بالمنصورة :**

ـ تقول فى مطلع قصيدتك : « قل للذى بالحب اغراني .. انت الحبيب وانت .. انت الجانى » .. والشطران من وزنين مختلفين .. أما بقية قصيدتك ففيها أشـــطار موزونة واخرى تحتاج الى اعادة النظر .. أما الاقصوصة التى كتبتموها بعنوان :«وغاب عن الوعى » فانها خطرات شعرية مكتوبة نثرا ، وليس من العدل فى حق فن القصة ، أن نلحق به فن الخواطر الشعرية المنثورة .

● **رمضان الهجرسي :**

ـ قصيدتكم التفعيلية التى تبدأونها بقولكم : « الحب الساكن روحي واحشـائى » تدل على شاعريتكم ، ولكن الاوزان تحتاج الى مراجعة فى هذه القصيدة مع أن معظم التفعيلات لا غبار عليه ..

● **محمد أحمد أبو جابر ـ كفر قاسم ـ « فلسطين » :**

ـ شعرك يفتقر كثيرا الى اللغة الصحيحة والى الوزن ، ولكنك معذور لصغر سنك كما يبدو من صورتك ، ولان اللغة العربية لابد أن تموت فى ظل الحـــكم الاسرائيلى الذى يحاول محو العرب ولغتهم وكل ما له شأن بهم .. وليست مذبحة كفر قاسـم بعيدة عن أذهان العالم كله ! ..

● **محمد عبد العزيز عبد الله :**

ـ أرسلتم الينا شعرا عاميا « زجلا » .. ونحن « متخصصـــــون » فى نشر الشعر باللغة الفصيحة ، وقد سبق أن قلنا ذلك فى الاعداد الماضية .. نعتذر اليكم ، وننصح بارسال أزجالكم الى الصحف اليومية والاسبوعية .

● **محمد العائش القوتى ـ تونس :**

ـ قصيدتكم التى عنوانها « المسافر » شعر منثور أكثر منها شعرا موزونا ، فليس فيها وزن الا فى بعض سطورها .. ولم نفهم ماذا تعنى هذه الاســـــطر التى عنوانها « المسافر » .. ونشكركم على كلماتكم الطيبة عن مجلة الهلال ..

● **احمد عبد المولى سليمان :**

ـ قصيدتك التى عنوانها « رثاء أم كلثوم » تزعج أم كلثوم فى قبرها ، فهى خليط مدهش من الاغلاط اللغوية والنحوية والعروضية لا يجتمع مثله فى شعر شاعر حتى فى عصرنا هذا الاعجمى الذى انهار فيه الشـــــعر العربى واللغة العربية .. يابنى : اترك هذا كله ، وحاول أن تتعلم اللغة من البداية .

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ، ١٢ عددا ، فى جمهورية مصر العربية ثلاثة جنيهات مصرية بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والأفريقى والباكستانى عشرة دولارات .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسع الموضحة اعلاه عند الطلب .

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب -

القاهرة - تليفون ٣٦٢٥٤٥٠
سبعة خطوط
مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

اسعار البيع للعدد الممتاز فئة ٣٠ قرشا

سوريا	٥٠٠ ق . س	اديس ابابا	٤٥٠ سنتا
لبنان	٥٠٠ ق . ل	باريس	١٢ فرنكا
الأردن	٤٠٠ فلس	لندن	١٠٠ بنس
الكويت	٥٠٠ فلس	ايطاليا	١٥٠٠ ليرة
العراق	١٠٠٠ فلس	سويسرا	٣,٥ فرنك
السعودية	٥ ريالات	اثينا	١٠٠ دراخمه
السودان	١٠٠ ق سودانى	فيينا	٣٥ شلنا
تونس	٦٥٠ مليما	فرانكفورت	٤ ماركات
المغرب	٨٠٠ فرنك	كوبنهاجن	١٠ كرونات
الجزائر	٦٥٠ سنتا	ستوكهولم	١٤ كرونه
الخليج	٤٥٠ فلسا	كندا	٢٥٠ سنتا
غزة والضفة	٤٠ سنتا	البرازيل	٣٥٠ سنتا
الصومال	٥٠ بنى	نيويورك	٣٠٠ سنت
داكار	٤٠٠ فرنك	لوس انجلوس	٣٠٠ سنت
لاجوس	٦٠ بنى	استراليا	٤٠٠ سنت
اسمره	٤٥٠ سنتا	هولندا	٤ فلورينات
اليمن الشمالية	٦ ريالات	عدن	٢٥٠٠ فلسا
بلجيكا	١٠٠ فرنك	اسبانيا	٢٥٠ بيزيتا

ايديال
IDEAL

تلبية لرغبة السادة العملاء ...

يسرنا استمرار فتح باب الحجز "بالجنيه المصري"

لإنتاجنا الجديد من الثلاجات "ببابين"

فخر الصناعة المصرية

الثلاجة ١٢ قدما ببابين تبريد * * * *

"أبيض فقط"

* إذابة الثلج أوتوماتيكيا
* بالفريزر رف
* أرفف متحركة
* كابينة متسعة

٣٧٥ جم + م. بالنقل والضمان أو ٢٧٥ دولارا

الثلاجة ٤ و١٠ قدم تبريد * *

٢٨٠ لترا

* فريزر بحجم ٧٠ لترا يمثل ٢/٥ ضعف الفريزر العادي
* إذابة الثلج داخل الكابينة أوتوماتيكيا
* فراغ متسع لحفظ المأكولات

٢٩٠ جم + م بالنقل والضمان أو ٢٢٥ دولارا



مع التمتع بالمزايا الآتية:

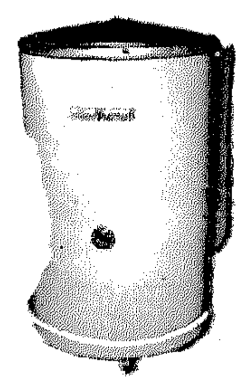
• تسليم الثلاجة ٤ و ١٠ قدم ببابين. أبيض أو ملونه للحاجزين بالعملة الأجنبية بدون سداد فارق سعر الملون.

• التسليم بأولوية الحجز لمقار إقامة العملاء بسيارات الشركة مع أسبقية خاصة للتسليم للحاجزين بالعملة الأجنبية.

• ضمان ٣ سنوات للثلاجات.

وضمان للغسالات مع توافر مراكز الخدمة المتخصصة.

وللتسليم الفوري
غسالة مطورة بالتايمر



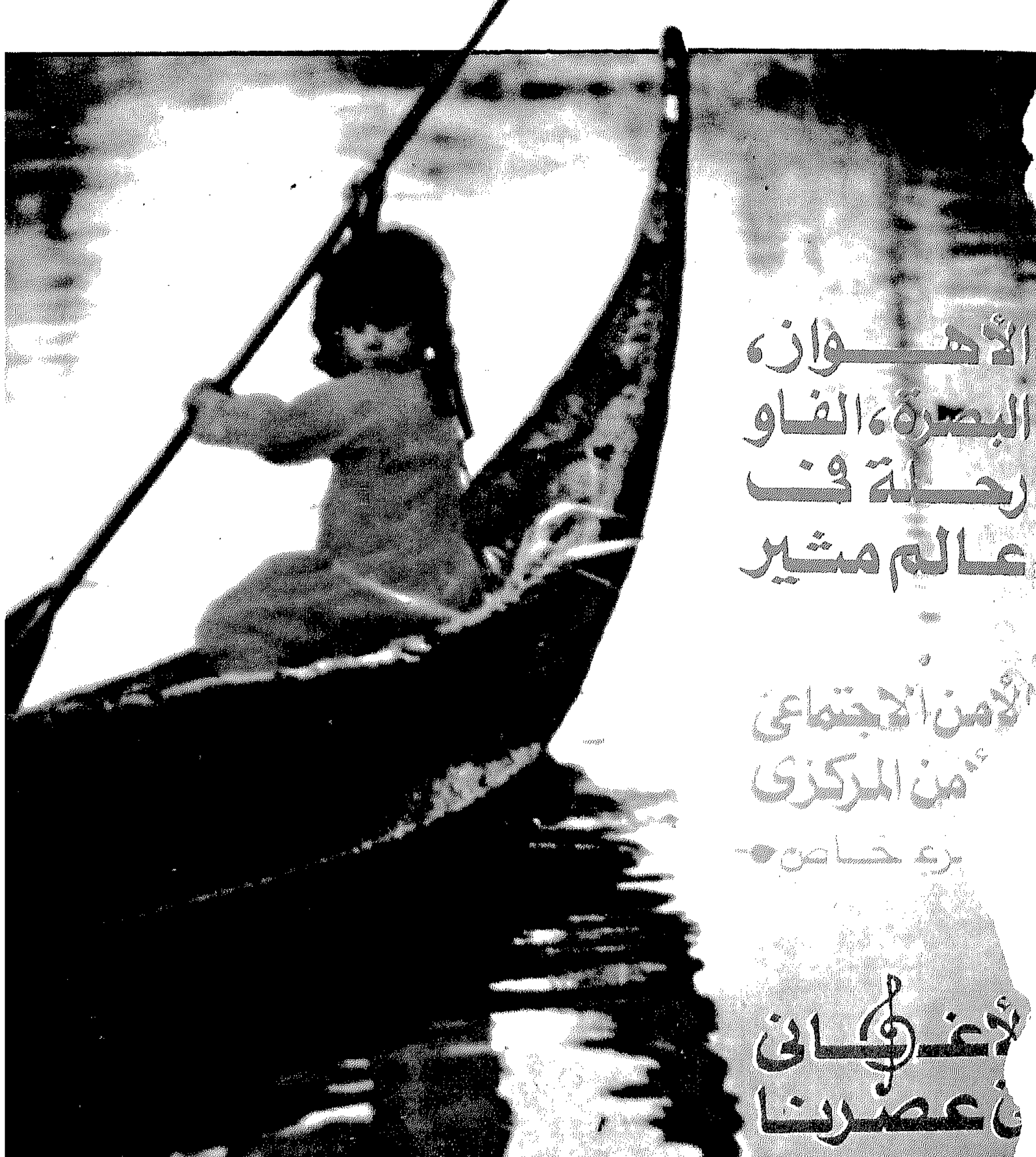
أو عادية ملونه
٩٥ جم أو ٧٥ دولارا

الحجز بالعملة المحلية، فروع ومعارض الشركة.
والاستعلام بالعملة الأجنبية، بنك الاسكندرية / قصر النيل بالقاهرة وفروعه وممثلونا بالدول العربية وبالخارج

الهلال

ابريل
سنة ١٩٨٦

الثمن
٥٠ قرشا





من روائع الفن الإسلامي

● لوحة بديعة من الفن الاســــلامي التركي ، في المناطق التركية التي أصبحت جزءا من الاتحاد السوفيتي

وحتى عهد قريب لم يكن يعرف سوى القليل عن الفن الاسلامي التــركي ، وقال الباحثون أن كل هــــذه اللوحات من أعمال فنانين فرس خاصة عندمـــا كانت اللغة الفارسية هي لغــة الثقافة في العهد العثماني

وسرعان ما تبين ثـــراء الفن الاســلامي التركي .. في التعبير عن حضــــارة الشرق برؤيته الفنيـــــة الخاصة .

وهذه اللوحة نمـــوذج فريد للخطوط الانسيابيــة والالوان ، والتي تمثــــل حياة الشرق ●

الهلال

السنة الثالثة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال أسسها جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ - أول ابـــريل سنـــة ١٩٨٦ - ٢٢ رجـــــب ١٤٠٦



العنف مشكلة العالم
جـــزء خاص ص ٦٩



رسالة العـــــراق
ص ١٢٨

في هذا
العدد

● فكر وثقافة ●


حنا مينه وثلاثيــــة "حكاية بحار" ص ١٦


المراة بين نولسنوى وتشيكـــوف ص ١٢٣


ثلاثــــــة معارض فى القاهــرة ص ١٣٦

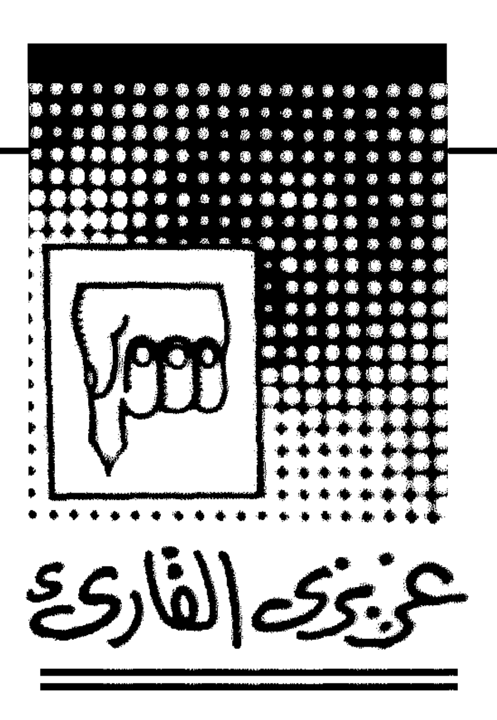
● جزء خاص .. العنف مشكلة العالم ●

● دراسة الهلال ●

● فن تشكيلى ●

● شعر وقصة ●

● الأبواب الثابتة ●



محاكم تفتيش أدبية فنية !

● يتحدثون بحرارة فى هذه الايام عن النهوض بالاغنية المصرية نصا ولحنا وصوتا ، ويقول الغيورون على فن الغناء : لقد تدهورت الاغنية المصرية التى كانت تتلألأ فى السماء قبل عشر سنوات ، ولابد من العمل السريع الناجز لاعادة النجوم الغنائية الى مكانهــا المتلألىء فى كبد السماء ، لان مصر التى هى ((ام الدنيا)) هي ايضا ((ام الغناء)) ولا يصح ان ينتقل فن الغناء من ارض الكنانة الى اية ارض اخرى بين المحيط والخليج ، ولا ينبغى ان ينظــر الناس الى الفضاء الاعلى فيجدوا فيه شيئا غير سفن الفضـــاء ، والمذنب هالى ، ونجوم الغناء المصرى ! •



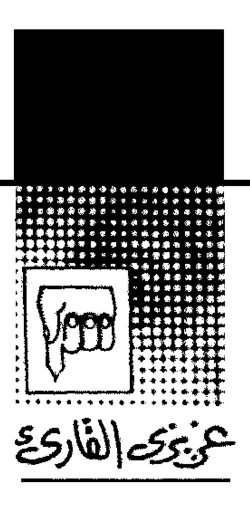
ابـن خلدون

امنية طيبة جميلة بلا ريب ، وغيرة مشكورة بلا جدال ، يتلقاهما فن الغناء المصرى فى الوقت المناسب ، فالحقيقة أن هذا الفن أوشك أن ينقطع عن أسماعنا فى مصر ، وأوشكت بلادنا المصرية العريقة فى الغناء والتلحين أن تصبح ((مســتوردة)) للالحان والاغـانى والاصوات من هذا البلد العربى أو ذاك ، فضلا عن ((أغانى الزار)) التى يذيعها علينا برنامج ((العالم يغنى)) فى التليفزيون فيحشد على الشاشة اقبح الاصوات والا لحان الاوربية والامريكية فيمـا يسميه ((أغانى الشباب)) •• وما هى فى الحقيقة الا صورة أوربا وامريكا اللتين بلغتا مرحلة الشيخوخة الحضارية ، وعادتنا القهقرى فى فن الغناء الى مثل ما كنا نحن عليه قبل ثمانين عاما ، عنـدما كانت ((أغانى الشباب)) الراقصة المجنونة تدور رحاها كل ليلـة فى مقاهى وملاهى وحانات وشوارع حى الازبكية القديم ! •• على اننا كنا حينذاك ارقى فنا وسلوكا من هؤلاء المتحضرين ••



نعم •• أوشك فن الغناء أن ينقطــع فى مصر •• وقديما قال ابن خلدون فى مقدمته ان أول ما ينقطع من العمران عند تراجع الحضارات هو فن الغناء ! ••

وهذه القاعدة التى صاغها ابن خلدون ، برهنت على تمام صدقها طوال القرون الستة التى انقضت بعد تأليفه لمقدمته الخالدة ، فان الغناء انقطع عن بغداد والدولة العباسية منذ بداية تراجع قوتها وعمرانها ، ولم يزدهر فى مصر غناء عربى متقن بعد سقوط بغداد وانتقال الخلافة العباسية الى القاهرة ، لان انتقــال الخـلافة الى القاهرة كان صوريا، ومجرد رمز، اما الخلافة نفسها والدولة ذاتها



فكأننا قد دخلنا فى ذمة التاريخ ! ..

ولم ينفض الغناء العربى المتقن الغبار عن كاهله ويعود الى فتوته القديمة ، ويتطور الى الاحسن الا فى عصرنا الحديث ، وبخاصة بعد استقلال مصر فى الثلاثينات ، وعلى الاخص بعد أن أصبح هذا الاستقلال حقيقيا فى الخمسينيات ، ثم ارتبط بحركة التحرر العربى وحركة التحرر الوطنى فى العالم كله بعد ذلك ..

ان فن الغناء لا يتعلق فى الفضاء ، بل ينبت فوق الارض ، فاذا اردنا ان نصد موجة الانحلال والتفاهة الغنائية ، فلابد من تمهيد الارض لفن غنائى حقيقى ، وانما الارض هى المجتمع والناس الذين يعيشون فيه ويفكرون ويعملون وتقوم فيما بينهم العلاقات الانسانية ، أو علاقات الغابة !..

ومثل ذلك يقال عن فن كتابة الاغنية ، فان انحدار الشعر والزجل اللذين ينطلقان الان من حناجر أدعياء الغناء رجالا ونساء يرجع سببه الى ما يرجع اليه سبب انحطاط الاغنية ! .. ان الشعر لا يتنزل على أصحابه من عل ، بل يخرج من وجدانهم الذى هو بين صدروهم وملء قلوبهم ! ..

ونظرية ابن خلدون تعطينا أملا فى عودة الغناء وكلام الغناء الى المستوى الرفيع ، اذا توافرت لهذين الفنين العظيمين عوامل النماء والبقاء ..

ولكن وزارة الثقافة فيما يبدو لا تؤمن بابن خلدون ولا نظرياته .

فالوزارة قررت ـ فيما قرأنا ـ أن تعالج انحطاط الغناء وكلام الغناء بطريقتها الخاصة ، التى تتلخص فى منع جميع شعراء وزجالى البلد من ايصال انتاجهم الى مستمعى الغناء ، الا اذا مر بثلاث مراحل من ((الرقابة)) على الاقل فيعرض الشاعر او

الزجال انتاجه على ما يسمى ((لجنة الشعر)) وعلى ما يسـمى ((لجنة الاستماع)) فاذا كان يتعلق بالتراث فعلى ((لجنة التراث ، •• ويجب على المؤلف قبل ذلك وبعد ذلك أن يكون عضـوا فى ((اتحاد الكتاب)) فاذا لم يكن عضوا فى هذا الاتحاد فلا يجوز له ان يؤلف الاغانى لا بالشعر ولا بالزجل ! ••

وهذه أول مرة فى تاريخ الامة العربية وجميع امم الارض تشترط فيها الحكومة أن يكون الشاعر عضوا فى اتحاد أو نقابة ، والا فلا حق له فى قول الشعر تصريحا أو تلميحا ! •

تصور ـ يا عزيزى القارىء ـ أن النهوض بفن الغنـاء الذى سقط على ركبتيه ، يجىء عن طريق اقامة ثلاث رقابات فى طريقه ، وربما أربع رقابات أو أكثر ، فضلا عن العقبات الكثيرة الاخرى •

أيها السادة هواة الرقابة ••

صحيح أن الغناء قـد تدهور وانحط وانهار وصار خزيا فنيا بعد ان كان فنا رفيعا •

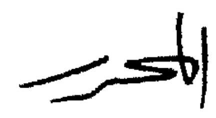
وصحيح أن مقولة ابن خلدون عن انقطاع فن الغناء قد صدقت كل الصدق ، مع الاسف ••

ولكن ابن خلدون ـ رحمه الله ـ لو بعث حيا لاضـاف الى أسباب انقطاع فن الغناء وزواله فى مصر ، مجموعة الاسـباب الاخرى المبتكرة التى تتمثل فى سلسلة رقاباتكم ومحاكم تفتيشكم الفنية الادبية التى انفردتم بها دون العالم اجمع •

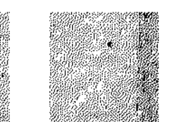
ويا أيها الرقباء الاوصياء الفضلاء ••

ارفعوا أيديكم عن فن الغناء المسكين ، فانه سينهض ذات يوم بقوته الذاتية عندما تتوافر له عوامل النهوض الطبيعية فى المجتمع بعد انقطاعها ••

وسينقطع الامل الى الابد فى نهوضه اذا اصررتم على انهاضـه تحت رعاية محاكم تفتيشكم الفنية الادبية التى حدثتنـا عنهـا الصحف ونرجو ألا يكون ذلك صحيحا ••



الفتـــزعـــلى



الأشواك

مـن أيـن نبْـدأ ؟

● ترى هل آن لنا ان نسال انفسنا هذا السؤال ؟ فمن الواضح اننا لايمكننـــا ان نسال : من اين نبـدا ؟ الا اذا كنا قد قررنا قبل ذلك اننا يجب أن نعمل ، ومثل هذا القـرار ليس مجـرد كلمة تفال أو امر يصدر ، وانما هو اقتناع وعــزم يستقر في نفوس الجماهير اذا كنا نصفق للديمقراطية فلأن الجماهير لتى تقتنع اقتناع الواعي وتعزم عـزم الحر هي الاقدر على العمل المثمر .. فهل قررنا ؟ ●

والقرار الذى تتخذه الجماهير يكون عادة قرارا هادئا ولكنه مصمم ، لايعلن عن نفسه بالصوت الجهير ولكنه يصهر في بوتقة الفكر وتظهر آثاره بالعمـــل المثابر . وعندما تتراكم هـــذه الاثار تحدث الطفرة ، وينتقل المجتمع من حال الى حال . تاريخنا الحديث يثبت ان نظام الحكم لم تكن له الا أهمية ثانوية . مطامع محمد على حطمتها السياســـة الاوربية ، وفخفخة اسماعيل لم تنفـع الفلاح والعامل بل تركت البلد غارقا فى الديون . وعندما قامت ثـورة ١٩ بعد اربعين سنة من الاحتلال البريطانى الصريح ، كانت هي الطفـــرة التى اثمرتها جهود شعبية في مجال الفكـر والتعليم والاقتصاد ، تواصلت بصبر وثبات بينما كان « الحكم » مشـغولا بامور أخرى . ولكننا اصبحنا اكثـر اعتمادا على « الحكومة » كلمـا زادت سلطتها في اتخاذ القـــرار المستقل ،

بقلم: د. شكري محمد عياد

بعيدا عن الهيمنة الخارجية • ونسينا ان قرار الحكومة وحدها لا يحل أى مشكلة ان لم تسنده ارادة الشعب •

وجربنا ديمقراطية عرجاء ، ثم دكتاتورية سافرة واخرى مقنعة ،وبقيت مشاكلنا كما هي بل زادت تعقيدا • وها هى حكومتنا اليوم تطالب الشعب بأن يتحرك ويعمل • فهل آن الاوان لنسأل انفسنا : من اين نبدأ ؟

مشكلتنا الاساسية ، التى تظل راسخة وراء كل العواصف الوقتية ، اطلق عليها فى الاربعينات اسم «مثلث « الفقر والجهل والمرض » ، وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية وقيام الامم المتحدة وحد الاسم فاصبح « التخلف » ، وعمم على مستوى العالم فدخلنا في زمرة الشعوب المتخلفة ، ونظرا للتقدم العالمى السريع فى الطب بقسميه الوقائي والعلاجى فقد اصبح لكل داء ــ تقريبا ــ دواء يستطب به الا الحماقة اعيت من يداويها ، والا الفقر فلو كان رجلا لقتله الامام على كرم الله وجهه • بعبارة اخرى لم يعد المرض مشكلة كبيرة حتى بالنسبة للشعوب المتخلفة ، ما لم يكن ناشئا عن الجوع او سوء التغذية،وانحصرت مشكلتنا فى قطبين اثنين بدلا من اقانيم ثلاثة : الجهل (وهو الحماقة ايضا) والفقر (أى انحطاط مستوى المعيشة تبعا لانحطاط مستوى الانتاج) وانا افضل هذين الاسمين الصريحين على كلمة « التخلف » التى تضعنى دائما فى موضع مقارنة قد لا اكون مستعدا لها ، وتضع امامى نموذجا للتقدم قد لا اقبله ، وتشعرنى بمهانة لا يخفف منها ذلك المرادف الاخر الذى ابتكروه فى الامم المتحدة ، اعنى النمو، واى عزاء هناك فى ان نسمى «شعوبا نامية » اذا كان المقابل دائما « شعوبا صناعية » او « شعوبا متقدمة » ؟

منذ حصلنا على استقلالنا الكامل، منذ امتلكت حكوماتنا الوطنية سلطة اتخاذ القرار ، وهي تعمل جاهدة للخروج بنا من طوق التخلف • ولا ادرى ، ولا يعنينى ان أدرى ، مدى التقدم الذى بلغناه بمعايير الامم المتحدة • لان التخلف ومعاييره ، أو التقدم ومعاييره ، ادخلتنى فى متاهات بحيث صعب على الحكم • هل وجود تليفزيون ملون ، واحيانا فيديو ، فى منزل فلاح عادى ، او فى عشة فوق

الاشتراكية

السطوح ، او في مسكن بين المقابر ، ظاهرة تدخل في حساب الحسابين عندما يقيسون انجازاتنا في محاربة « التخلف » ؟ هل وقوف الاف السيارات امام كليات الجامعة (التي لا تحصل على اى رسوم دراسية من الطلاب سوى ما يجمعه الاساتذة انفسهم من اثمان مؤلفاتهم)وعلى جوانب الشوارع الصغيرة وحتى الحوارى ، دليل ينبغي ادخاله في المؤشرات الكمية على درجة « التقدم » ؟

اعترف لكم انى اشعر نحو كلمتى « التقدم » و « التخلف » بما يشبه مرض الحساسية ، ويمتلىء قلبى عطفا والما لحال اولئك الذين يمثلوننا في المحافل الدولية ، ووجوههم تنطق بانهم اتون من بلاد مختلفة ، وان كانت ثيابهم الفاخرة مشتراة من ارقى المتاجر ، وسياراتهم المنتظرة في الخارج بسائقيها الرسميين مختارة بعناية من افخر الماركات • فقوقهم تلك الهالة اللعينة التي تقول ، دون حاجة الى لافتات ، انهم يمثلون تلك البلاد المتخلفة الحديثة الاستقلال في افريقيا او اسيا او امريكا اللاتينية •

يخيل الى ان تاريخ العالم في الستينات يبدا من هنا • يخرج ممثلونا السياسيون من هذه الاجتماعات وهم يضغطون على اسنانهم من الغيظ لم ينلهم اذى في اشخاصهم ولكن كرامتهم الوطنية قد جرحت • لم نذكر بلادهم او حكوماتهم بأى كلمة مهينة فيردوا الصاع صاعين ، ولكنهم يفهمون ما تعنيه النظرات واللفتات وهذه تملؤهم بالغيظ ولكنهم لا يمكنهم الرد عليها لانها اشبه بحركات النساء يخرجون وقد صمموا على الانتقام يعودون الى بلادهم ويهاجمون الاستعمار بعنف لانه حرص على ان تبقى البلاد متخلفة ، والان وقد تحررت فسيبدا الانطلاق العظيم • وبما ان قدرة الناس على الانطلاق ليست عظيمة بالدرجة الكافية ، فالحل هو ان تنهض الدولة نفسها بالمشروعات الكبرى •

وهكذا يظهر نوع جديد من الاشتراكية يمكننا ان نطلق عليه اسم اشتراكية العالم الثالث • وترجمتها العملية قطاع صناعى كبير تملكه الدولة • والقاعدة العامة هي ان القرارات التى تتخذ لانشاء هذا القطاع وادارته هى قرارات « سياسية » ، اى ان الاعتبارات الاقتصادية ليس لها المحل الاول ، وقد يضرب بها عرض الحائط • والنتيجة التى نعرفها جميعا ولا نزال ندور حولها منذ سنين ، مع انها حدثت لناس قبلنا وبعدنا سلكوا نفس الطريق ، حدثت للبرازيل والارجنتين كما حدثت لتنزانيا والكونغو وتحدث الان للجزائر ، هى اننا اكتسبنا بعض الوجاهة بعض الوقت ، ومزيدا من الفقر طوال الوقت •

والسبب واضح : وهو ان هذه المصانع عبارة عن سلع راسمالية ، اشتريت كلها بالعملات الصعبة من

بلاد صناعية (في الشرق او في الغرب سيان) واحتاج تشغيلها والاشراف عليها الى خبرة اجنبية (ولو لمدة معينة) ولا بد لها لتبقى عاملة من سلع وسيطة (مصنعة) تستورد ايضا من




محمد على


الخديوى اسماعيل

الخارج • وهذا كله يعني ان مدخرات الشعب تدفع للبائع ، ولكى يتعادل الميزان التجارى - ولو الى حد ما - يجب علينا ان نبيعه خاماتنا (القطن مثلا) وبالسعر الذى يحدده ايضا وبما ان السلع الراسمالية باهظة الثمن والتكاليف فلا بد ان يكون البائع كريما معنا ، ويقبل منا الدفع بالتقسيط ،ولا باس بفترة سماح ايضا •

هكذا كانت الديون تتراكم ،والانتاج الذى يخرج من مصانعنا الجديدة يعجز عن منافسة الانتاج الجيد في الاسواق العالمية ، بل وفي السوق المحلية ايضا ، فيتراكم بدوره في المخازن • لم نكن نشعر بذلك في الستينات، فقد كانت الدورة في اولها، وكنا نتزعم العالم الثالث ، ويجيئنا ممثلو حركات التحرير من كل مكان

ويهمس في اذاننا بعض اخواننا العرب وكانهم يقدرون فينا العلم بادق الاسرار صحيح ان مصر ستطلق قمرا صناعيا؟

كيف انسى تلك الايام وقد بليت اثناءها بالعمل سنين في احدى سفاراتنا في امريكا الجنوبية وفوجئنا يوما ببرقية وزيارة غير منتظرة ولا مرتبة من احد وزرائنا ، جاء ومعه وفد من الوزراء والنقابة لحضور مؤتمر تعليمى لا اهمية له ، وعندما كان في المطار استأذن صحفي عربي ليأخذ منه حديثا ، واذكر من هذا الحديث سؤالا واحدا : « هل ترون ان مصر اصبحت بالفعل دولة صناعيه ؟ فنفخ الوزير صدره ومد قامته بقدر المستطاع (وكان القصر من عرفت من الرجال) وقال : « من الابرة الى الصاروخ ! » •

وقد اصبح القطاع العام الان موضوع خلاف ، المدافعون عنه يزعمون انهم يدافعون عن « الاشتراكية » و « مكاسب العمال » ، والذين يهاجمون يقولون أنه عبء على الميزانية،ويلمحون الى ان اصلاحه مستحيل ، وربما اشاروا ببيعه الى القطاع الخاص ، وما اظن ان ممولا من القطاع الخاص يمكن ان يشترى مصنعا بهذه الحالة الا اذا دفع فيه اوكس الاثمان • القطاع العام بصورته التي وصفناها - لم يبدا بداية صحيحه ، على الاقل من الناحية الاقتصادية ، اى انه لم يكن موجها من الاصل لمعالجة مشكلتنا الكبرى مشكلة الفقر • ولو قيلت في امره كلمة حق ، بعيدا عن الاكلشيهات الايداوجية ، والمنازعات الحزبية ، والمصالح الفئوية او الشخصية ، لقيل انه يحب



ان يقسم قسمين : فالصناعات الاستراتيجية - واخص الصناعات التعدينية والحربية - تبقى على حالها تحت ادارة مباشرة من الدولة ، مع اشراف دقيق تتولاه اجهزة الاشراف العليا • وما عدا ذلك من مصانع أممتها الدولة أو انشأتها انشاء لانتاج سلع استهلاكية فالاولى ان يحول الى شركات مساهمة او تعاونية يملك العاملون فيها من اداريين ومهندسين وعمال القسم الاكبر من راسمالها فهؤلاء هم اعرف الناس بعيوبها وما يصلحها •

ما لي اتوقف فجاة ؟ انني اخشى ان تكون انت الذى توقفت ايها القارىء ، ان كنت بلغت الى هذا الحد • فهل تراك عجبت لامر هذا الكاتب الذى يقحم نفسه في السياسة الاقتصادية وما هو من اهل الاقتصاد ، وما عرفته - ان كنت عرفته - الا ناقدا او كاتب قصة ؟ فاسمح لي ان اعجب من عجبك فكل الكتاب يكتبون المقالات ، لان المقالة هي اقدم انواع الكتابة ، ولا لوم على احد ان رجع الى الاصل • ثم انهم يكتبون عن السياسة التي يتخبط الجميع فيها ، حتى مخططوها الكبار :يكتبون عن اصوات المغنين والمغنيات •ينظمون اغاني غزل يومية في الحرية • وأنت تعرف بدون شك انهم ليسوا من اهل الموسيقى ولم يحرقوا اصبعا في سبيل الحرية يوما ، وان احرقوا اصابعهم كلها في سبيل اشياء اخرى • فلماذا تريد ان تحرم على الكلام في الاقتصاد ، وما رماني عليه الا الفقر ؟ •

تعال نتخيل معا ان الصحف اليومية اختصرت صفحتي الرياضة الى نصف صفحة ، واستغنت بالكلمة عن آخر اخبار فلان وآخر مناسبة شوهدت فيها علانة ، واعطتنا صفحتين كاملتين - مثلا - عن اوضاع صناعة النسيج او صناعة الجلود العلمية ، او عن امكانيات تعمير سيناء كما اظهرت الدراسات العلمية ، او عن التاريخ الحقيقي (والمسرى !) لمشروع الوادى الجديد ، والمصاعب والامكانيات التى تواجه ملاك الاقطاعيات الصغيرة في مديرية التحرير الخ • الخ

لا شك ان معظم القراء سيرمون الجريدة من ايديهم في قرف ، كما اخشى ان تفعل بمقالتى الان • ولكن اين ميثاق الصحافة ، بل اين فن الصحافة؟ اين عين المصور وقلم الكاتب ، تشعرك بنبض الحياة في بلادك ، من النوبة الى العريش الى السلوم ؟

فمن هنا ، يا صديقى ، سوف نبدأ ! من الاهتمام الايجابي ، على مستوى الشعب كله ، من هنا يبدأ العمل • «حسن» بل حسن جدا ان تشمر الدولة عن ساعديها للقضاء على الفساد ، ولكن الفساد ما كان ليضرب بجذوره لو كانت التربة سليمة ، ولو كان صاحب الارض الذى يفلحها يفتشها كل يوم لينزع كل نبت طفيلى يمد راسه بين العيدان البريئة •

دعنى اعود بك مرة اخرى الى تلك





مصطفى كامل   طلعت حرب

الايام العقليمة ، ربع قرن لا يزيد بين هزيمة الثورة العرابية وقيام ثـورة ١٩١٩ .

الحكومة المصرية تعمل تحت امرة الانجليز . الاحزاب اما غير موجودة ، واما افكار تفتقر الى تنظيمات (الحزب الوطني لم يعلن قيامه رسميا الا سنة ١٩٠٨ ، السنة التي توفي فيها مصطفى كامل) . ولكن الشعب كان يعلمنفسه قامت الجمعيات الخيرية بانشـاء المدارس الوطنية بعيدا عن سـيطرة دنلوب مفتش التعليم البريطـاني . انشئت الجامعة المصرية (الاهليـة) لتخرج مثقفين وطنين (لا مجرد حملة شهادات تقدم لوزارة القوى العاملة). واخيرا بدأ نشاط اقتصادى حر، تبلور اخيرا في بنك مصر وشركاته ، بفضل رجل اسمه طلعت حرب ، سمى في تلك الايام « زعيم مصر الاقتصادى » .

ومـــع ان ثورة ١٩ لم تحقق كل اهدافها : فقد استمر الوعى الوطني لدى مختلف طوائف الشعب مدركا ان العلم والاقتصاد هما دعامتا الاستقلال السياسى . وكان النـاس يرددون بيت شوقي .

بالعلم والمال يبنى الناس ملكهمو
لم يبن ملك علي جهل واقـلال .

وفي اواخر العشرينات او اوائـل الثلاثينات قامت حركة قوية لمقاطعـة البضائع الاجنبية (ومعظمها انجليزية بطبيعة الحال) . واقام شباب المدارس « حفلات» في الميادين العامة القوا فيها ملابسهم المصنوعة من الصـوف الانجليزى الى النيران .

لقد تغيرت امور كثيرة خلال هـذه السنين التى قاربت السـتين تعقدت السياسة وتعقد الاقتصاد،ولكن القاعدة التى لم تتخلف ، ولا يمكن ان تتخلف، هى ان الشعب يظل صاحب السلطان الحقيقى في كل زمان ومكـان ، وان الذين ينجحون احيانا في سلب هـذا السلطان منه ، انما يسلبونه بالخداع والتنويم .

ليس امامنا الا مشكلتان : الجهـل والفقر ، وكل المشاكل الاخرى فانمـا تنبع من هاتين . وعلي الشـعب ان نتصدى بنفسه لحلهما . الشعب:فقيه وعماله ، باغنيائه وفقرائه ، بشيوخه وشبابه ، بنسائه ورجاله ، وعنـدما يدرك الشـعب ان الدولة ما هى الا جهازه الاقوى لتحقيق اهدافه ، وحشد قواه عند الضرورة ، ولكنهـا ليست الجهاز الاوحد ، ولا هى الجهاز الاهم او الافعل في جميع الظروف ـ عندئذ يصبح للديمقراطية معنى ويصـبح للحرية معنى .

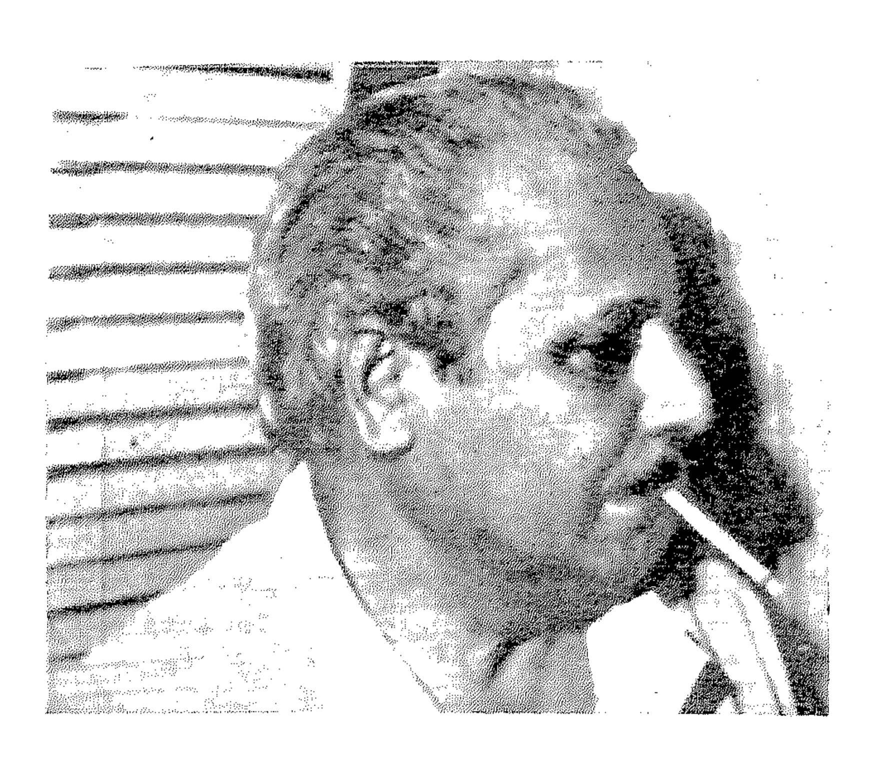
ويصبح الشعب ـ حقا وصدقا ـ هو القائد .

عن الرواية الفريدة

ثلاثية "حكاية بحار" أو ثلاثية "الإبن الأبدى"

بقلم : فاروق عبد القادر

حنا مينه ((المولود فى ١٩٢٤)) هو الاخ الاكبر للروائيين والقاصين فى سوريا ، واحد اهم الروائيين العرب فى جيله . كانت روايته الاولى ((المصابيح الزرق ١٩٥٤)) على ما شابها من اوجه ضعف وقصور ـ حدثا هاما فى الرواية السورية ، وحين صدرت روايته الثانية ((الشراع والعاصفة كتبت فى ١٩٥٨ ونشرت فى ١٩٦٣)) اكد حنا وجوده الروائى ، ولعل اهم ما قدمت انها تركت الارض الى البحر ، وحكت لنا حكاية بحار عربى ، تجسدت بطولته فى مواجهة البحر والعاصفة والانتصار عليهما ، وكان هذا جوهر وجوده . بعدها نشر حنا ((الثلج ياتى من النافذة ، ١٩٦٩)) و ((الشمس فى يوم غانم ، ١٩٧٣ و ((الياطر ١٩٧٥)) وعملين من ادب السيرة الذاتية هما ((بقايا صور ، ١٩٧٥)) و ((المستنقع ، ١٩٧٧)) .



ومع بداية الثمانينات صدرت الاجزاء المتتالية من « حكاية بحار الاول بالعنوان نفسه فى ١٩٨١ والثانى بعنوان « النقل » ـ أى الصارى الكبير فى المركب الشراعى ـ فى ١٩٨٢، ثم « المرفأ البعيد » فى ١٩٨٣ . بعد هذه الثلاثية ـ وقد تجاوزت صفحاتها الالف صفحة .. نشر حنا رواية جديدة هى « ربيع وخريف ، ١٩٨٤ » ، هى اخر اعماله ، فيما أعرف .

ومن تابع هذه الاعمال كلهـا يستطيع ان يحدس اهمية الثلاثيـة بينها ، لقد ظل حنا سنوات طـويلة يفكر فيها ويخطط لها ويحدث اصدقاءه عنها ، وهى ـ على مسـتوى من مستويات القراءة ـ جماع أعمـاله ، او تلك البلورة التى تعكس وجوههـا المتعددة أهم هواجسه ، حتى لتـكاد شخصياتها وأحداثها وأماكنها وخواطر أبطالها أن ترتد الى أدبه كله ، وهى عندى ـ على مستوى أعمـق من مستويات الفهم والتفسير ـ أكمـل تعبير وأكثره تفصيلا عن هذا المـوقف المثلث الذى يتردد فى تلك الاعمـال

أعنى الموقف « الاوديبى » المشهور ـ لو أحببت هذا التعبير ـ الذى يتخبط فيه الابن بين أبيه وأمه » بكل الصور والتجليات والصور والبـدائل التى يتخذها القبطان ، « بكل أشكال الصراع والتمرد والاستخذاء والتمـاهى . الصريحة والمضمرة ، التى يتخذهـا الابن فى هذا الاتون الذى لا ينطفىء أواره ، ولاتفلح السنون والتجارب فى تهدئته ، بل انه ـ فى هذه الثلاثيـة ، وعلى طول الالف صفحة ـ يكاد يشغل معظم الساحة الروائية ، فلا يتـرك لشىء غيره مكانا ، ويصيب شـكل الرواية فيـكاد يفجره تفجيـرا ويسوق الى فحش فى التصور وعرى فى اللفظ لم يسبق اليه الكاتب من قبل ، ويلح على المشاعر الحاحا قد يدفـع القارىء المتعجل للتوقف عن القـراءة دع الان الثرثرة والتزيد والاطنـاب والاسهاب وتسلل الكاتب وراء أبطاله، فهذا من مألوف ما يعتـاده قارىء حنا مينه ، وان اختلفت حظـوظه من عمل لاخر .

ثلاثية "حكاية بحار" أو ثلاثية "الابن الابدي"

هذا سعيد حزوم ، البحار الذي تجاوز الخمسين يتذكر . والرواية كلها هي هذه الذكريات . بعبارة أخرى اننا نتلقى العمل من خلال بطل واحد ، يحدد وعيه مساره ، لا نرى الكون الا بعينيه ، ولا نرى الاخرين الا بمنظار حبه او كرهه ، شبقه أو بغضه ، والاهم من هذه العواطف موقفه منه : بالاستخذاء أو التمرد القبول او الرفض . ولا شيء يحدث الا غير ما يتذكره سعيد : طفولته وصباه في مرسيني شبابه في اسكندرونة ، ثم رجولته في اللاذقية هو وحده دائما : في طفولته ليس ثم ير صورة الاب ، مضخمة مكبرة والام ، خانعة ومستسلمة . أما الاخوة والاخوات فهم مغيبون لا نرى منهم أحدا أو نعرف أحدا الا في كلمات قليلة عابرة . هم - بالمنطق النفسي - زائدون عن الحاجة ، منافسون محتملون في التوحد بالاب والبحث عن بدائله والتمرد على الام والبحث عن بدائلها ، ومن ثم يستعبدهم بضربة واحدة ، كي يبقى - وقد جاوز الخمسين - ابنا الى الابد . ولكي يظل هذا الابن الابدي تحتم ألا يصبح ابا ، لهذا يسوق الينا - في سطر واحد - هذه المعلومة : « وحين تزوج لم ينجب اطفالا ، كانت زوجه عاقرا ، ولم يقيض له أن يرى ابنا من صلبه يوما .. » (١ ، ص ٦٠) ولانها ذكرى مخاتلة يعود فيرويها مرة أخرى على نحو اخر : وزواجه كان عقيما فلم ينجب بسبب ما اصابه من امراض جنسية خلال تجواله الطويل .. (٣ ، ص ٣٤٣) .

وعلى نحو احتفالي غنائي يتقدم الاب في وعي الابن : .. حين تقول صالح حزوم فكأنك تقول عريس البحر الشجاع ، انه تتوج بزهور القاع البيضاء ، واستوى على متن الموج كملك عن جدارة .. » (١ ، ص١٤٣) ، وتروح كل الفضائل تتكرس على رأسه : الرجولة ، الشهامة ، النخوة ، القوة الهرقلية ، الزعامة الشعبية ، مناصرة الضعيف وكراهة الظلم ، التضامن مع أهل الحي والمدينة ، البطولة في الصراع : ضد الطبيعة ، وفي الصراع القومي والوطني والطبقي في مرسيني حيث كان الصراع بين الاتراك والعرب دخل الاب السجن اثر صدام بين الجانبين » ، وخاض صراعا اخر ضد النهر حين نزل وسط السيل والعاصفة كي يقطع الحبل الذي يربط السفن الصغيرة الى خشبة المرفأ وينقذها من الغرق . هو ذات الصراع الذي خاضه الطروسي من قبل في « الشراع والعاصفة » ، على هذا النحو ختم حياته في النهر ختاما رائعا وانطلق الى البحر . وبعد الحرب العالمية الاولى وقيام حكم الملك فيصل في سوريا رجع الاب مع من رجع ليقيم في اسكندرونة . وحين جاءت سنوات الثلاثينات بالجوع والبطالة اسفر الاب عن وجه البطل الشعبي الذي كان في مرسيني ، يحمل هموم البحارة الجياع ويخوض الصراع ضد فرنسا ، ويلتقط حنا مينه حدثا عابرا من « الشراع والعاصفة » ، كان بطله بحارا اسمه فؤاد المرسيني ، كي يجعله اللحن الاساسي في « حكاية بحار » . هذا ما جاء عن المرسيني « نزل الى السفينة الغارقة قرب الميناء ، يسبح ويغطس وينزع صفائح

الكاز من جوفها ، فيعومها ويعطيها للبحارة الفقراء يبيعونها ويفرجون ضائقتهم . لقد نزل فؤاد الى قاع السفينة الغارقة مرة ولم يستطع الصعود ، اضاع الطريق وهو تحت الماء فمات مختنقا ، ولما اخرجوه في اليوم التالي بكى جميع البحرة ، وشيعوه وهم يتحسرون .. « (الشراع والعاصفة ، ص ٢٥٧) . الفرق يتسق والقراءة التى نقدمها لهذا العمل . ان صالح حزوم ـ الاب الكلى القدرة ـ لا يموت ، نزل الى قاع السفينة ولم يخرج ، ونزل الابن يبحث عن جثة ابيه فلم يجدها ، ورجع بجثة اخرى وبقى صالح حزوم حيا لا يموت وبقى الابن الابدى يبحث عن أبيه ، حتى الصفحات الاخيرة من الثلاثية . ـ وقد انقضى حوالى الاربعين سنة ، فنحن فى أوائل السبعينات (حين حدثت « حركة التصحيح » فى سوريا!) ـ يقول سعيد « بصوت حاسم النبرات « والدى حى .. وأنا ذاهب للبحث عنه .. » (٣ ، ص ٤٠٧) .

● صورة متواترة ●

هذا الاب الاسطورى بحاجة لامراة اسطورية كذلك . امراة جديرة بفيض الرجولة الذى كان . هنا تتقدم كاترين الحلوة كى تصبح محور العمل **وبؤرة خواطر البطل الواحد . استجمع حنا مينه كل قدراته ـ التى يحركها اشتهاء غليف للمراة واحتقار عميق لها فى الوقت ذاته ـ ليرسم صورتها ، ولتبقى ـ حتى الصفحات الاخيرة كذلك ـ محط اشواقه الجامحة وشهواته الداعرة ، وموضوع نجواه التى لا تتوقف ، فى صحوه وسكره فى حله وسفره ، على ظهر سفينة فى البحر او على مقهى فى الميناء . هى المراة ـ بالالف واللام ـ وكل امراة اخرى تقارن بها وتنسب اليها . وكل الاحداث الخارجية لا تعنى سعيد حزوم كثيرا ، ما اسرع ما يعبرها سريعا كى يبلغ مركزى الجذب فى عالمه :الاب وكاترين .**

كاترين كانت عشيقة الاب وكانت عاهرة كذلك . ولنقف لحظة هنا لنشير الى ان هذه صورة متواترة فى عالم حنا مينه ، يكفى أن نذكر أن عشيقة الطروسى فى « الشراع والعاصفة » كانت عاهرة ، وامرأة القبو فى « الشمس فى يوم غائم » ـ وهى الجائزة التى سيحصل عليها الابن فى النهاية ـ كانت كذلك ، وعلى مستوى أدب السيرة الذاتية ـ أعنى فى « بقايا صور » ـ كانت زنوبة ـ عشيقة الاب الموضوعى ـ عاهرة أيضا . وليس هذا وجها من وجوه التغنى بفضائل العواهر ، لكنه وجه من وجوه تعهير المراة ، كما سنرى تقابلصورةالعاهرة صورةالامالموضوعية وهى دائما مستسلمة متضامنة فى ظل الاب ـ الرجل ـ الذكر مثل « دجاجة متبلة » ، وهذا وصف حنا مينه للام فى « الشمس فى يوم غائم » ، التى لا تختلف عن صورتها فى جزئى السيرة الذاتية .

ونحن نعرف من أدبيات التحليل النفسى ـ بتبسيط وايجاز ـ صورة « الام العاهرة » من حيث هو ميكانيزم لحل الموقف الاوديبى : بأن تتجه عواطف المحبة الخالصة والتقديس نحو الام ـ العذراء ، وينفصل الجانب الجنسى والدنسى عنها ، ليتجه نحو العاهرة .

نجد أن الجديد المدهش الذى يقدمه سعيد حزوم أنه يقيم علاقة جنسية مع كاترين ذاتها . وهى علاقة سعى اليها الطرفان ، واستمرا على ممارستها ، وان ظلت قيادة هذه العلاقة ، وصلها أو قطعها ، بيد كاترين ، لا يهم الان تلك الاسباب الملفقة التى تبقى على كاترين فى



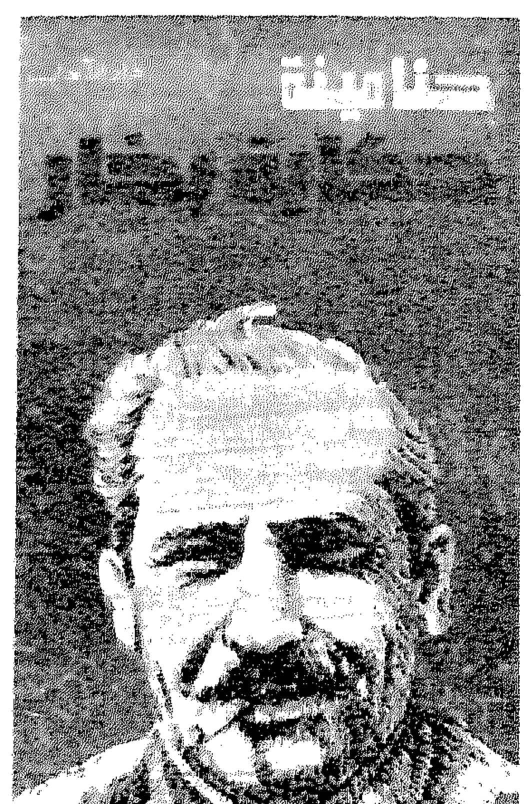
ثلاثية "حكاية بحار" أو ثلاثية "الابن الأبدى"

اللاذقية وعلى اتصال بعائلة صالح حزوم ، المهم أن سعيدا يلتقي بهـا وهى زوجة الريس عبدوش الذى سيعمل سعيد بحارا تحت امرته ، وانها تعطيه كوفية أبيه كى يعتمر بهـا وتكشف عن فخذها لتغريه ، وها هو يعترف بعد خروجه من بيتها : لايمكن مقارنة كاترين بأية امرأة أخرى ، نوع خاص من النســاء ، فريد ، نادر هذه هى اللؤلؤة التى يغوص عليهـا البحارة .. (...) وســواء كان انكشاف الفخذ مصادفة أم تعبيرا ، فان الحادث بذاته لا يعنى انها ترغب فى..

هذا الاعتراف المدهش فى مباشرته وفجاجته ليس سوى دفعة لا شعورية استطاعت ان تجتاز عقبة الرقابة ورغم محاولة الابن ـ الذى تخطى حاجز المحارم ، بالنية ثم بالفعل ـ أن يطرح عنه الشعور الفادح بالذنب ، عن طريق « اسقاطه » عليها هى ، بمعنى أن الرغبة جاءت من جانبها هى ، الا أنه لا يفلح فى محوه ، فينبثق فى هذا النشيد النثرى الركيك ـ الذى يفتتح به الفصل التالى : « رهبت اكتشـاف السر .. ـ وانقضت بكارتة هى الا تلعنها انن ، بل تمسك العن .. العن نفسك يا سـعيد .. الخ » ويتخايل له السفر على مركب الريس عبدوش خلاصا من هذا الشعور والريس متشكك فى العلاقة بين امرأته وسعيد (رغم اننا لا نجد بـادرة واحدة تبرر هذا التشكك ، لـكنه يتسق مع قانون اللاشعور : الرغبة تساوى الفعل) ، وحين يسافر معـه تتعرض المركب لاعصار يحطمهـا ويهبـط ركابها جميعا الى قـوارب الانقاذ ، ولا يبقى وسط اللجة غيـر الريس وسعيد ، ويصر الريس على ان يهبط سعيد قبله ، وحين صار سعيد فى منتصف الطريق الى قارب النجـاة قطع عبدوش الحبل ، « وهو يفـح كافحى : لنغرق معا يا سعيد ، أنت فى البحر وأنا على ظهر المركب .. هكذا لا تكون كاترين الحلوة لك ولا لى . وتتحقق العدالة بيننا .. »(٢ ، ـ ص ٢٢٣) .

على هذا النحو ينتهى الجزء الثانى من الثلاثية ليبدأ الثالث مباشـرة بهذه الكلمات : انـى لم أمت فى تلك العاصفة يا بحر .. ضاجعت المـوت على فراشك وتقـرير مصير كاترين الحلوة : انها لى ، لعنة أبوة أبد الدهر وتبدأ دورة ثانية تـكرر الاولى على نحو لا يعرف سوى أسرى عصـاب القهر : تتزوج كاتـرين من الريس زيدان ، ويدعى سعيد للعمـل على مركبه . ومرة ثانية لا تهتـم تلك الاسباب الملفقة التى تؤدى لخلق هذا الموقف ، المهم أن سعيدا يعـود ليصبح عشيقها وعاملا على مـركب زوجها ، ومرة ثانية أيضا يسـقط الرغبة عنه اليها .

وليست كاترين وحدهـا هى التى ينصرف اليها تعهير المـرأة فى رواية سعيد حزوم ، هى فقـط التى تحظى بالنصيب الاوفى ، فثمة ايضـا تلك الحادثة التى يرويها عن اغتصـابه امرأة اسيوية فى أحد محلات التحف بميناء « بلد اسيوى نال اسـتقلاله غير نظامه منذ عشرين عاما أو أقل » ـ نفهم من قرائن متعددة ، خاصـة فى ضوء روايته التالية « ربيـع وخريف » ـ أنه يعنى الصينى حين يدخل سعيد ـ الذى يهـوى التحف القديمة وينفق ماله فى شرائها ـ المحل الوحيد الذى يجده مفتوحا فى يـوم



عيد ، ويهدد المرأة الوحيدة التي يجدها بخنجر ثم يغتصبها . أسوأ من واقعة الاغتصاب ذاتها ما يليها « وحين عدنا من تلك الغيبوبة الرائعة كنا أقرب الى بعضنا ، وقد زال الحقد من العيون .. » ، ليس هذا فقط ، بل هي أيضا « فتحت الصندوق وتناولت هذا الخاتم الذي في يدها والبستنيه وهي تنظر في وجهي نظرة معبرة ، نظرة تقول : هذا تذكار مني !» ، وبعد أن نال مكافأته على الاغتصاب راح ، منتفشا مزهوا يتغنى : « كانت السعادة التي غمرتني وأنا على الباخرة غير عادية ، أحسست أنني ولدت من جديد ، وأن عمرا اضافيا قد كتب لي ، وأن الدنيا جميلة رائعة من حولي ، والبحر في المدى البعيد خارج المرفأ يبتسم لي ، وأن حظا طيبا قد واتاني هذا اليوم .

(واقعة الاغتصاب هذه مروية ، حتى أدق التفاصيل ، في فصل كامل يستغرق ستا وثلاثين صفحة ، وسعيد يرويها لجمع من الرجال والنساء . ١ ، ص ـ ص ١٠٦ ـ ١٤٢) .

يكتب الاستاذ جورج طرابيشي تعليقا على هذه الواقعة : ان الفعل الاغتصابي ، الذي هو فعل اعتداء من انسان على انسان في لحم لحمه ، يخالف قدنونا اساسيا من قوانين البطولة .. فالبطولة في التعريف ما هو خارق للانسانية ، لا ما هو معاد لها ، وفعلة كالاغتصاب مذلة للنصف المؤنث من الانسانية في لحم لحمها ، ومؤسسة لعلاقة القوة والعنف المطلق في قلب علاقة الحب ، تحبط سلفا أي عملية تماه مع البطل ، المغتصب .. وتنصب حاجزا منيعا بين القارىء وبين التعاطف معه .. » . غير ان هذا النمط الاغتصابي هو ما يميز نظرة سعيد حزوم ـ ونظرة صاحبه وخالقه ـ الى العلاقة الانسانية بين الرجل والمرأة وقد اختزلت تماما الى علاقة بين ذكر وانثى وما هذا الغزل المتكرر سوى دليل على تدخل الرغبات النفسية ـ الجنسية تدخلا يؤدي لتشويه الكائن الانساني وهذا مثال يتكرر : « البحار امرأة أخرى فخذها جميل ابيض مستدير مثل ناب الفيل ورغم علاقته بكاترين فما اكثر ما يتصور ان يغتصبها ، ويمعن في العبث العنيف بجسدها ، وهذا ايضا مثال يتكرر : الآن .. لا يوجد أحد بالبيت .. على ان الاطفها ، اذا رضيت ملكتها ، قطعت رحمها ، جعلت جسدها ازرقا عضضت شفتيها حتى الادماء ..واذا ظلت مغاضبة استفززتها وضربتها .. (٣ ، ص ١٦٧) .

هذا الاختزال والتشويه لدلالة الكائن الانساني يعكسه حنا مينه في العلاقة المفتعلة والهشة التي يجعلها لبطله سعيد حزوم بامرأة أخرى : امرأة رآته فوق سطح القبو الذي يسكنه في



ثلاثية "حكاية بحار"
أو ثلاثية "الإبن الأبدي"

اللاذقية عارى الجذع ، فهامت به واحبته على رغمها ، وارسلت صبيا فى خدمتها يقوده الى فراشها ، وجاء اللقاء الجنسي بينهما مشهدا فاحشا آخر (٢ ، ص ١٦٨ ـ ١٧٤)
ثم هو لا يكتفى بهذا اللقاء المجانى الذى يأتيه دون أى جهد يبذله من جانبه ، فيدخل معها فى معركة تحت جنسى ويهزم فيها ، وحين تحاول ان تأسو جرحه يصل ذروة الموقف الذى يهواه ، ويفرق ـ لا شعوريا لتحقيقه: وبصوت أبح متهدج ينطوى على رغبة قاتلة بالاهانة ورغبته فى قهر ذلك الجسد الواهى بالكلام بعد ان عجز عن قهره بالفعل ، قال لها: « يا عاهرة». وكان جوابها صاعقا باردا ملاه عبرت عنه برفسة من قدمها فى صدره وهى تقول له : « قم ·· انت لست برجل ·»، وللفور رنت صفعة على خدها ،صفعة مدوية ·· » (٢ ، ص ١٩٧) ·

ان هذا مشهد نموذجى لرجل لايرى فى العلاقة بين الرجل والمرأة غير علاقة قهر من جانب واستخذاء من الجانب الاخر ، وان عجز الرجل عن قهر المرأة بجسده فليقهرها بالصفعات المدوية والسباب الفاحش · ومن عجب انه يروح ـ بعد ذلك ـ يسم هذه المرأة بالطهر ، ويسم كاترين بالعهر ، ويرى نفسه فى صراع بين الطهر والعهر ·

هكذا يبلغ حنا مينه ببطله سعيد حزوم··المشحون بطاقة نرجسية هائلة ـ اقصى درجات تحقير المرأة وتعهيرها

اذا كان هذا حال المرأة ، فما حال الرجل فى « حكاية بحار » ؟

سنرى الميكانيزم نفسه « هو يعمل الاب ، كلى القدرة ، الذى يحوز كل الفضائل ، الذى يفيض وجوده فلا يترك لابنه المتطلع اليه سوى أن يتخذ منه موقف الخضوع والاستسلام ، ثم التمرد على هذا الموقف ذاته ، الاب ينقسم فى هذه الثلاثية الى صورتيه النموذجيتين : الرئيس وصاحب العمل من ناحية ، والمعلم ـ المناضل من الناحية الاخرى · فى الفئة الاولى يتوالى الريس عبدوش الذى غرق والريس زيدان الذى قتل ، وفى المرتين نجا سعيد وفى المرتين كان الموقف المثلث مكتملا ، فهو عشيق لامرأة الريس ، حتى خرج فى باخرة يقودها ريس ايطالى ، كان لابد للابن ـ الذكر أن يتحداه ، ويوقع به الهزيمة أيضا ، فبعد أن ينجح القبطان أرتورا فى مواجهة الاعصار والانتصار عليه يتحداه سعيد ويهزمه : « وانتهت الحلقة لهذا اليوم ، وقد فهم الجميع أن الفائز فيها هو سعيد ، وأن أرتورا نال نصيبه من الاهانة·· » (٣ ص ٣٠٠) ، غير ان الابن المتشوق للتماهى لا يمكن أن يترك الامر مع الاب ينتهى الى القطيعة ، فيجعل القبطان يسعى لمصالحته ، ويشرب معه ، ويطلب منه أن يحدثه عن كاترين ! ·

الفئة الثانية يمثلون « المعلمين و « المناضلين » الذين يتحولون ـ مباشرة ـ الى « أبواق » للمؤلف كل مهمتهم أن يقدموا التقارير عن الاوضاع السياسية فى سوريا والعالم، واهم هذين اثنان : قاسم فى الجزء الثانى ، وينضم اليه سيد فى الجزء الثالث (فالاب يقوم بهذا الدور ـ بطبيعة الحال ـ فى الجزء الاول) ، ونحن لا نعرف أيا منهما معرفة حقيقية كل ما نعرفه عنهما هو تلك التحليلات السياسية العويصة ، والتى تنتمى مباشرة لوعى المؤلف ، فبعد انتزاع أرض اللواء وتولى رجال الكتلة

الوطنية المحكم فى سوريا يستدعى المؤلف قاسما كي يقدم لنه التحليل السياسى التالى : « ومن هى الكتلة الوطنية ؟ مجموعة من زعماء الاقطاع والبورجوازية ، وليست الكتلة حزبا سياسيا ذا برنامج أو عقيدة وطنية محددة ·· نحن معهم ضد الاحتلال الفرنسى ، ولاجل جلاء تام ، ولكن حذار من المساومة ·· ثم أن الكتلة بمفردها لن تستطيع شيئا ، وعليها أن تتعاون مع الاحزاب الاخرى العقائدية خاصة ·· لقد ان الاوان لطرح موضوع العدالة الاجتماعية على بساط البحث ·· الخ ·· (٢ ، ص ٢٠٧) ، ويظل قاسم موجودا تحت الطلب ، يقدم تحليلاته السياسية الجافة لاحداث الحرب العالمية وما بعدها ، الطريف هنا ان الكاتب يقدمه لنا فى صورة



لا تختلف كثيرا عن « المتشرد صاحب القضية » ، فهو متجول أبدا على الشاطىء وفى المقهى ، فى ثياب رثة ، بلا زوجة ولا عمل ولا اولاد ولا سكن · وسعيد يريد أن يلوذ به ويشكو له همومه ذات الطابع الجنسى ، غير أن هذا الاخير « قلبه حجر ، قطعة حديد ، لا يعرف المشاعر ولا يقدرها ، انه يصدر احكامه ببرود قاتل ، وأحكامه صدئة كالنحاس» (٣ ، ص ٦٢) ، ونحن لا نقترب أبدا من هذا المناضل ، الذى يكشف لسعيد عن هويته بأنه « من حزب العمال والفلاحين ، » ٢ ، ص ٦٢ ولا نعرفه ، ولا نرى فعلا ولا مسلكا كل ما نسمعه منه ، طق حنك « يحلل فيه الاوضاع السياسية المحلية والدولية ، بل ويحاول كذلك أن يشرح لسعيد قوانين تطور المجتمع الانسانى « منذ كان الانسان يعيش على الثمار البرية ·· حتى قامت دولة «المسكوب» التى تمنع الظلم والاستغلال ، وكذلك ستمنع الحروب فى المستقبل ·· » (٣، ص ١٨٢ وما بعدها) ، وبعد قاسم سيأتي سيد الاسكندراني يكمل الشوط على ظهر الباخرة عبر المحيط ، فيقول لسعيد أن « عمال الاسكندرية وعمال اللاذقية واحد ، قضيتهم واحدة وعدوهم واحد ·· » (٣ ص ٢٤٩) ، وماأن يقول هذه الكلمات ، ويعرف من سعيد ان « أيار » هو « مايو » وان العمال يحتفلون به هنا وهناك حتى « تصبح العلاقة بينهما اكثر من علاقة بحر ·· انها علاقة قضية ·· » ! ·

حتى حين ينهار سعيد حزوم وهو يهذى بذكرياته مع كاترين وينقل الى مستشفى للامراض العصبية ، سيجد هناك من يؤدلج » له ايضا : مريض مثقف سيروح يحدثه عن « الامبريالية» و « الصهيونية » ـ لاحظ أننا الان بعد حزيران ـ وسيقول لنا المؤلف ، من



ثلاثية "حكاية بحار" أو ثلاثية "الإبن الأبدي"

ورائه ، وبلسانه : « ان المعركة صعبة ، صعبة ، وطويلة ، بطول عمر الرجعية العربية التى تتواطأ مع امريكا أما اسرائيل التى تحتل فلسطين وترغب فى احتلال البلاد العربية فهى عدونا المباشر .. الخ .. الخ .. » (ان الثرثرة السياسية بين سعيد ووليد تشغل حوالى العشرين صفحة من الجزء الثالث (ص ٣٨٠ - ٤٠٠) .

هذا النمط من العلاقة « الاتكالية » هو ما يميز علاقات سعيد حزوم بسواه من الرجال ، فنحن لا نكاد نرى له ندا أو صديقا ، حتى عمر البحار الذى يغريه بالسفر ويصحبه والذى كان يمكن أن يكون صديقه سرعان ما يأخذ منه سعيد الموقف ذاته : « تركت لعمر أن يسيرنى كيف شاء ، أن يدير أمره وأمرى ، صرت - باحساس صادق - تابعا له ، من دونه لا أقوى على شيء ، كبر فى نظرى صدر مرشدى ونليلى (٣ ، ص ٢١٦) .

وحين خرج سعيد الى الدنيا الواسعة على ظهر الباخرة عابرة القارات ، ظل يتخبط فى حرة النفس ، لم ينس شيئا ولم يتعلم شيئا ، وهو يصف لنا بعض المرافىء التى عرفها وصفا لا خصوصية فيه ، لا يدل عليها أو يوحى بمعرفتها فهذه أثينا ، يوسع من لم يرها ان يقول عنها نفس الكلمات : « يا لكثرة البواخر .. الصوارى غابة .. البواخر تلاء .. ضجة امارنا ضجة الحياة فى المرفأ ، التحميل والتفريغ ، الرافعات ، زحمة الناس ، البائعون الشارون المكاتب البحرية ، الشاحنات السيارات الصغيرة .. الخ . (٢ ص ٢١٧) ، ولم يقل لنا عن سواها شيئا ، قضى فى الاسكندرية بضعة شهور أنفقها فى « البحث عن والده » ، ولم يذكر عنها سطرا واحدا ، ذهبت به الباخرة الى امريكا اللاتينية فلم تشهد فيها الا تلك المرأة وذهبت به الى الشرق الاقصى فلم يعد من هناك الا بواقعة الاغتصاب تلك ! . ليس فى جعبته غير كلمات انشائية مكرورة يصف بها البحر والموج ، سواء كان يسير على شاطىء اللاذقية ، او هو وسط اللجة فى المحيط : « الريح ذئب والمطر ذئب والبحر ذئب ، والبرق المشتعل فى أقصى الافق يكشف عن قطعان من الذئاب تدوى وهى ترمح بالاف الاقدام المتوقدة على ذرى امواج عالية . قال سعيد فى نفسه : « هذا ما يدعونه المحيط . المتوسط ليس هكذا ، هناك تعرف اين أنت ، ترى السماء ، النجوم ، الزبد الابيض ، وفى النهار تسطع الشمس .. » (٣ ، ص ٢٤٠) .

هذا اخر ما فى جعبة بحار يزعم لنا انه قضى اكثر من عشرين سنة على ظهر عابرة تجوب المحيطات ! .

● احكام القبضة على الشخصيات ●

قلت اننا نتلقى الرواية كلها كذكريات يستند عليها سعيد حزوم « هو يمشى على طول الشاطىء بين طرسوس واللاذقية . هذا يدنى أن الكاتب يحكم قبضته على وعى الشخصيات حتى تختنق ، ويبقى وعيه ، وحده يملأ ساحة الصفحات الالف . بعبارة أخرى : اننا لا نرى شخصيات قد اكتملت لها أسباب الحياة فهى تحياها ، قدر ما نرى « ابواقا » تردد ما يقول المؤلف

الخالق ـ العليم بكل شيء (حتى مشهد اللقاء الفاحش بين الاب وكاترين انما نتلقاه ، ـ بتفاصيله كلها ـ من ذاكرة سعيد !) ، ولذلك أيضا يعود ليذكرنا اكثر من مرة : « وسعيد لا يزال يمشي ويتذكر ·· » أو « انت الان يا سعيد على ظهر الباخرة ·· » ، لكنه يبدو سافر الوجه حين يتوقف ليهجو المرآة ـ وما اكثر ما يهجوها ! ـ او يناجي البحر والارض والسجن والسمك : ايه أيها البحر ·· » ايه أيها السمك ·· وبعدها تبدأ غنائياته الانشائيـــة المكـــرورة ، وحـين يدرك المؤلف ـ متأخرا ـ أنه قد نسي بطله الذي يقدم لنا العمل بعينيه ومن خلاله يستدرك معتذرا : « والبحار ، حتى لـــو كان متعلما مثل سعيد لا يعرف أن يحلـــل الاشياء ويرتبها على هذا النحو ··

لان البطل ـ كما أرجو ان تـكون هذه القراءة قد أوضحت ـ محـاصر بضلعي المثلث الاولى ، فان المـوقف من هذين (الاب والام بكل صورهمـا وبدائلهما) هو ما يلون وجه الحياة ويتدخل في تقييم الناس والافـكار انه ـ هذا الحصار ـ هو ما يشـكل رؤية سعيد حزوم للعالم ، وهو ـ من ثم ـ لا يبالي ان كان ما يسـتدعيه محتملا أو غير محتمل ، بمنطق الواقع أو منطق الفن ، فما اكثر الشخصيات الزائدة والمواقف المجانية والاحـداث غير الموظفة فنيا في عمل يطمـــح لان يكون ثلاثية روائية تمتـد ـ من خلال وعي بطلها ـ لاكثـر من نصف قرن (تبدأ ذكريات سعيد قبل نهـاية الحرب العالمية الاولى ، وتنتهي بعد بداية السبعينات) ·

لكن القهر العصابي الذي يتخبـط البطل في ساره هو ما يدفعه دفعـا لتكرار دورات مقفلة ، في محـاولات لا شعورية متصلة ـ مقضي عليهـا بالفشل سلفا ـ لايجاد حـل لصراع لا حل له · وعلى سبيل المثـال . ما الفرق بين الريس عبدوش والـريس زيدان ؟ وما الفـرق بين كاتـرين وعـزيزة ؟ ومـا ضرورة كل تلك الشخصيات التي يقسمها لنـا ـ في تفصيل مضجر ـ في سجن أسكندرونة؟ بل وما ضرورة خبرة السجن اصلا ، الا كي يستطيع أن يتنفنج ، بعـد ذلك بأنه سجن ، مثل أبيه ، لانه كان ضد فرنسا ! ·

ان يستبعد أهم الاحداث في سطور قليلة ، كي تتفسح الصفحات ، لثرثرة لا تنتهي الا لتبدأ ، وبوسع سعيد حزوم في وهم طفلي يرى أن رغباته حقائق ـ أن يستدعي اليه ، وهو جالس « في كسل ملوكي » على المقهى ، مناضـلا يتفلسف ويؤدلج ، ومهربا يتحـدث عن حيـاته ، وريسـا يتقدم اليـه بالتحية ، وخمارا يكيل له المـديح · ومعركة يدخلها ويخرج منها منتصرا ، وغرقا يشربه وحشيشا يدخنه ، ثم ينهي ليلته في المبغى ، ويخرج ليناجي البحر : أيها البحر ·· أين صـالح حزوم ؟ ·

وكل هذه المحن الصماء في فصـل واحد ! ·

لا يمكن ان يكون لحكاية بحـار ، يكتبها الثلاثة ، سوى قيمة « سـيكو ترابية » ·· فلعل سعيد حزوم ـ ومن ورائه صاحبه وخالقه ـ أن يـكون قد ارتاح الان ··

لكنني أزعم أنه لا يزال يوالي البحث عن أبيه ، ويحلم بكاترين الملـوثة ، ويناجيها بخواطر فاحشة ، وقد بلـغ من العمر أرذله ! ·

ان « حكاية بحار » هذا الـكم الهائل من الكلمات ، تدير ظهرها لكل انجازات الرواية العربية في هـذه السنوات الاخيرة بوجه خاص ·

افريقيا في الثقافة المصرية

بقلم : د . عبد الملك عوده

من الخطأ القطعى الدلالة القول ان النخبة المصرية لم تتعرف على اوضاع القارة الافريقية ، وان الثقافة المصرية لم يكن من بين اهتماماتها وموضوعاتها قضايا ومشكلات القارة الافريقية ـ قبل منتصف القرن العشرين .

● ويهدف هذا المقال الى كشف وتبيان موقع القارة الافريقية فى اهتمامات الثقافة المصرية منذ اوائل القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين ، اى منذ بناء الدولة المصرية الحديثة فى عهد محمد على الكبير حتى الغاء النظام الملكى فى مصر بقيام ثورة ١٩٥٢ .

والموضوع يطرح عددا من النقاط والاسئلة للنقاش على النحو التالى :

١ ـ كيف كان الوضع والمستوى المعرفى بافريقيا فى مصر مع بدايات القرن التاسع عشر ؟

٢ ـ كيف نما وتطور تدريجيا هذا الوضع المعرفى وتعمقت مستوياته وعبر عن نفسه بالتوسع وبالانتشار من خلال وسائل الاتصال والتثقيف خلال فترة الدراسة التى يتعرض لها هذا المقال ؟

٣ ـ كيف ارتبط هذا النمو والتطور باوضاع النخبة المصرية المتعلمة طبقا لمفهوم الثقافة العربية الاسلامية ، وطبقا لمفهوم ونظام التعليم الحديث والجامعى ، ثم طبقا لدور ولتاثير وسائل الاتصال والاعلام الجماهيرى وهى الصحافة والاذاعة فى الفترة الزمنية للدراسة ؟

● والنخبة المصرية المتعلمة التى تعنيها فى هذا المقال هى اولا النخبة المدنية المتخرجة فى مستويات التعليم بالجامع

الازهر أو المثقفة بالثقافة العربيةالاسلامية بدون الانتظام الرسمى فى سلك التعليم ، ثم هى المتخرجة أيضا فى المدارس العليا والجامعة المصرية والمتفاعلة مع الثقافات واللغات الاجنبية ، وهى ثانيا التجار المصريون والمتعاملون فى التبادل التجارى مع خارج الدولة المصرية ، وهى ثالثا النخبة العسكرية التى نشأت ونمت مع التنظيم الحديث للجيش المصرى وأسهمت فى حروبه جنوب مصر فى السودان والحبشة .. الخ • واعتنقت العقيدة العسكرية المصرية الخاصة باولوية واهمية المحور الجنوبى الافريقى فى مفهوم الامن القومى المصرى • وأخيرا مع التوسع فى قاعدة التعليم والثقافة والاتصال الجماهيرى أصبحت النخبة المصرية تعنى قطاعات المثقفين بوجه عام •

● والاجابة على الاسئلة المطروحة لن تقدم الصورة الكاملة للتفاصيل والمسح الاكاديمى للموضوعات المثارة ، وانما سوف تنتقى عددا من المعالم والمؤشرات الكاشفة لاثبات المقولة الاساسية التى يبدأ بها المقال •

اولا :

من الحقائق المؤكدة حاليا فى الدراسات الافريقية ـ ان المصادر العربية الاسلامية هى المصدر الوحيد لدراسة افريقيا فىالفترة من القرن الثامن الميلادى « القرن الثانى الهجرى » الى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى « القرن العاشر الهجرى » وان الاستناد الى هذه المصادر والاخذ منها والاستفادة بما فيها من معلومات عن قارة افريقيا استمر حتى ظهرت المؤلفات الاجنبية الاوربية خلال فترة الكشوف الجغرافية الاوروبية وبداية الحركة الاستعمارية وما جاء بعدها « منذ القرن السادس عشر » •

● ان هذه المصادر العربية الاسلامية تكلمت عن افريقية التى أطلقها العرب أولا على منطقة تونس الحالية ، ثم تكلمت عن افريقيا التى تعنى بلاد القارة بأجمعها ، كذلك درست وعرضت. هذه المصادر العربية الاسلامية بلادا وشعوبا لم تكن قد اعتنقت الاسلام دينا فى ذلك الوقت ، ومعنى هذا أن العلم والمعرفة فى نظر وممارسة الرحالة والجغرافيين والمؤرخين العرب لم تقتصرفقط على بلاد المسلمين فى افريقيا ، وانما امتدت الدراسات والمعلومات الى غير بلاد المسلمين الافارقة •

● ان قراءة هذه المصادر العربية الإسلامية تتطلب فهم ومعرفة المسميات والدلالات التى كانت تستخدم فى الثقافة العربية الاسلامية ، وهذا أمر طبيعى فالحدود السياسية وأسماء الدول وأسماء الشعوب والقبائل لم تكن موجودة بالشكل او بالتحديد المعروف الان فى أفريقيا ، ومن الامثلة نجد هذه المصادر تستعمل مصطلح السودان وبلاد السودان لتشير به الى جميع الاراضى والشعوب الواقعة فى المنطقة من السنغال وجامبيا غربا حتىالسودان وساحل البحر الاحمر شرقا ، وأيضا تستعمل اسم بلاد الحبشى والحبوش لتشير به الى مناطق القرن الافريقى حاليا ، وكذلك تستخدم بر الزنج وزنجبار للاشارة الى سواحل شرق افريقيا .. الخ كما تشير الدراسات العربية الاسلامية الى دول ومدن اندثرت أو مازالت قائمة حتى اليوم فى غرب افريقيا وفى شرقها ووسطها ، ومن الامثلة تشير الىمدن تمبكتو فى الغرب والى سفالة الذهب فى الشرق ، والى ممالك غانا ومالى فى الغرب ، والى مناطق ومدن فى منطقة هضبة البحيرات وشرقى حوض نهر الكونغو •

● أضف الى هذا رحلة العلم والحج ، اما رحلة العلم فقد قام بها الوف منأجيال الطلاب الراغبين فى الدراسة فى مراكزالعلم الاسلامى الكبرى فى الازهر الشريف وفى الزيتونة فى تونس وفى القيروان فىالغرب الاقصى .. وكان هذا يتم بجوار طلبالعلم فى زوايا الطرق الصوفية المنتشرة تدريجيا فى نواحى القارة الافريقية • ومن الامثلة على ذلك نظام الاروقة فى الازهر مثل رواق السنارى والتكرور والجبرته .. الخ •

ومن الطرق الصوفية زوايا القادرية والتيجانية والسنوسية والحمالية والصالحية

وأما رحلة الحج فقد كانت معروفة وما زالت عبر طرق التجارة وتتجه من غرب ووسط افريقيا أما الى سواحلالبحر الاحمر وبحر العرب والمحيط الهندى ، واما الى الشمال الافريقى عبر الاراضى المصرية الى



افريقيا في الثقافة المصرية

السويس والبحر الاحمر ، وقد اشارت هذه المصادر العربية الاسلامية الى هذه الرحلات وطرقها واشهر من حج من ملوك وزعماء الشعوب والقبائل الافريقية ، وهذا غير الطرق من الوسط الى الساحل الشرقي أو ساحل البنادر .

● ونقدم عينة من الكتب والمصادر العربية الاسلامية بدون ترتيب فيما يلي :

ابن حوقل : المسالك والممالك والمفاوز والمهالك « ومشهور باسم صورة الارض »

البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب

المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر

الادريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق

ابن بطوطة : تحفة الانظار في غرائب الامصار وعجائب الاقطار

ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر « مقدمه ابن خلدون » .

القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الانشا .

المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار .

ياقوت الحموي : معجم البلدان .

محمود كعت التنبكتي : تاريخ الفتاش في اخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس.

وبجوار هذه المؤلفات العامة نجد ان بعض الكتب والمؤلفات قد اقتصرت على منطقة معينة او شعب معين بالحديث وبالشرح مثل

المقريزي : الاعلام باخبار من بأرض الحبشة من ملوك الاسلام .

السيوطي : ازدهار العروش في اخبار الحبوش .

ابن عبد الباقي : الطراز المنقوش في محاسن الحبوش .

الجاحظ : فضل السودان على البيضان .

عرب فقيه : فتوح الحبشة .

ونشير في هذا المقام الى موضوعين لهما صلة بما نقول وهما :

الاول : ان علاقات ملوك مصر وسلاطينها مع الحبشة والسودان كانت قائمة ، وان من موضوعاتها كانت التجارة وكانت العلاقات بين الكنيسة المصرية القبطية الارثوذكسية وبين كنيسة الحبشة ، وكتابات المقريزي والقلقشندي تشير الى هذا .

الثاني : ان أول ما كتب بلغة غير عربية عن افريقيا كان مؤلف الحسن بن الوزان « المعروف باسم ليو الافريقي » وعنوانه وصف افريقيا وقد انتهى من كتابته عام ٩٣٣ هـ الموافق ١٥٢٦ ميلادية ، وطبع الكتاب لاول مرة في مدينة البندقية عام ٩٥٦هـ الموافق ١٥٥٠ ميلادية . وان هذا الكتاب كان اساسيا وتم الاعتماد عليه في مؤلفات الاوروبيين عن افريقيا ، ونشير بالذات الى كتاب مارمول كارفجال بعنوان افريقيا الصادر عام ١٥٧١ م . واستطرادا نشير الى رأى الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر التي ترجمت ونشرت الكتابين وتقول : « الف مارمول كتاب افريقيا بعد ان اطلع على كتاب وصف افريقيا للحسن الوزان ونسج على منواله، بل اقتفى اثره حذو الفعل بالفعل ، ونقل منه فصولا كثيرة حرفا بحرف » .

● متنوع المعارف ●

ثانيا :

انتشرت اخيرا كتابات ومؤلفات تتخصص في طرق التجارة القوافل الافريقية قبل وصول وسيطرة الاستعمار الاوروبي ، وتحويل الطرق التجارية من الداخل الى الموانيء والمواصم على شاطيء المحيط الاطلسي . ومن هذه الموانى يتم التصدير والاستيراد مع اوروبا منذ بدايات العصر الراسمالي حتى اكمال السيطرة والتقسيم الاول الاستعماري لافريقيا وما بعد ذلك .

الثابت ان طرق التجارة والقوافل من السودان الغربي والاوسط والشرقي » ومن شرق افريقيا ومن القرن الافريقي .. الخ كانت تنتشر وتتشعب في اتجاهها الى الشرق وسواحل البحر الاحمر وبحر العرب ، وفي اتجاهها نحو مصر ومنطقة دول المغرب العربي . والثابت في هذه

الدراسات كثرة وتنوع انواع البضائع والمصنوعات والمعاملات النقدية ، غير تجارة الرقيق التى كانت تقوم بهما شركات او جماعات افريقية عربيةمشتركة والدراسات عنها كثيرة حاليا • ومن اشهر الطرق التى عرفتهما مصر درب الاربعين من دارفور (غرب السودان) الى اسيوط « صعيدمصر » وهذا غير الطرق التى كانت تربط ليبيا وما بعدهما من دول المغرب العربى مع مصر •

* ومن الدراسات الحديثة المرتبطة بموضوع التجارة دراسات نشوء وتطور الراسمالية التجارية نتيجة لتراكم ولتوسع المبادلات التجارية فى ذلكالوقت وان اجهاض دورهذهالراسمالية الاقليمية «عربية وافريقية » انما تم على يد الاستعمار الاوروبى ونتيجة لسيطرة الراسمالية الاوروبية وما اتصفت به من مزايا نسبية فى صراعها مع القوىالاقليمية سياسيا واقتصاديا •

ان كمية المعلومات والمعارف المرتبطة بهذا الموضوع غزيرة ومتنوعة ، ليس فقط على الجانب المصرى او فى مناطق المغرب العربى ، بل فى مناطق غرب ووسط وشرق افريقيا حيث دلت الكشوف الاثرية والتنقيب والعثور على انواع منالعملات والنقوش والمخطوطات على معلومات كثيرة وجديدة حول هذا الموضوع •

* **وخلاصة القول فى هذه النقطة ان تفاعل الموروثالثقافى مع الممارسات التجاريه الواسعة اضاف الى المناخ العام والتراكم العام الثقافى معلومات جديدة ، ومعرفة دائبة عند هذه النخبة المتعلمة والتى دخلت العمل فى ادارات ومؤسسات الحكومة المصرية المركزية التى اقامتها ووسعت من سلطاتها ووظائفها الدولة الملكية المصرية . واذا اخذنا فى الاعتبار ان المجتمع المصرى ايضا بدأ يشهد دور المدرسة الحديثة منذ عهد محمد على وارسال البعوث الى اوروبا، وان المجموعات المتتالية للخريجين والمبعوثين لم يكونوا منفصلين عن جذور ومنابع الثقافة العربية الاسلامية ، امكن ان نقدر معنى ومدى انتشار هذهالمعارف عن افريقيا بين النخبة المصرية • واذا اضفنا الى هذا التفاعل الذى شهده** المجتمع المصرى فى القرن التاسع عشرمع الثقافه واللغات الاجنبيه وظهورالصحافه المصرية والاطلاع على الصحافة الاجنبية والقراءة بلغات اوروبية والترجمة عنها ، لذلك يصح القول عندئذ أن تراكم المعلومات كان يتزايد عن القضايا الافريقية بصورة نسبية خاصة ان هذه الفترة كانت هى فترة التسابق الاستعمارى لتقسيم القارة الافريقية •

ثالثا :

نتيجة للتنظيم الحديث للجيش المصرى منذ عهد محمد على الكبير بدأت النخبة العسكرية تظهر فى حياة المجتمع المصرى، وهى تختلف عما عرفه المجتمع المصرى من قبل من عسكريين أمام حكم المماليك منذ نهاية الدولة الايوبية • وهذه النخبة العسكرية هى قطاع من نخبة القوة التى سيطرت على المجتمع والدولة حتىالاحتلال البريطانى ، والذى فى ظله عاشت النخبة المدنية والنخبة العسكرية وان كانت المراكز والمستويات الاجتماعية قد تغيرت نتيجة للحكم البريطانى وتسييره امور البلاد ، وتبعية اجهزة الدولة المصريةله وهذه النخبة العسكرية لها اسهام ودور فى الحروب المصرية فى المناطق الواقعة جنوبى مصر فى السودان وفى اوغندا وفى الحبشة والقرن الافريقى ومناطق على الساحل الشرقى لافريقيا بوجه عام .وما نهتم به فى هذا المجال هو كمية ونوعية المعلومات التى تراكمت لدى هؤلاء العسكريين او لدى بعضهم عن القارة الافريقية ، والثابت هو الحقائق التالية

● **بدأت الكشوف الجغرافية المصرية باستكشاف اعالى النيل ، ابتداء منرحلة البكباشى المصرى سليم قبودان فىالفترة من ١٨٣٩ الى ١٨٤٢ ، وتوالت بعدذلك الجهود المصرية فى ظل حكم الخديو اسماعيل فى منطقة المديرية الاستوائية وهضبة البحيرات ومناطق القرنالافريقى والساحل الشرقى بوجه عام .**



افريقيا في الثقافة المصرية

● نشر تقارير الكشوف الجغرافية وأوضاع الشعوب القاطنة في هذه البلاد ورسم خرائط عسكرية وجغرافية لهذه المناطق في المجلات العسكرية وفي صحيفة الوقائع المصرية .

● المشاركة المصرية في الغاء تجارة الرقيق ومحاربتها في مناطق وسط افريقيا « غرب وجنوب السودان وأوغندا .. الخ » ونشر تقارير منوعة عن القضايا الاساسية والفرعية للموضوع .

● بداية وضع حجر الاساس في العقيدة العسكرية المصرية التي ترى اهمية وحيوية الدور المصري في هذه المناطق وارتباط مفهوم المحور الجنوبي بمفهوم الامن القومي المصري ، وظهور كتابات حول هذا الموضوع بعنوان الضمان والامن النيلي . وهذا الرافد الفكري يتفاعل مع الروافد الفكرية الاخرى التي كانت تتفاعل في داخل المجتمع المصري وفي مقدمتها القضية القومية ضد الاحتلال البريطاني بعد عام ١٨٨١ .

رابعا

بدأ المجتمع المصري والنخبة المصرية عامة في الاحساس وفي التأثر بنتائج ظهور قطاعات النخبة المصرية المتخرجة في المدارس العليا وفي الجامعة المصرية أو المتخرجين في جامعات وتعليم عال خارج مصر ، وتزامن مع هذه الفترة نمو ودور الصحافة المصرية واهتمامها بأخبار العالم الخارجي .

ايضا كانت هذه الفترة هي فترة الدعوة الى الجامعة الاسلامية وظهور الآثار ورد الفعل في مجتمعات اسلامية وفي مناطق المسلمين في افريقيا وفي غيرها . وقد اهتمت بقضايا هذه البلاد الصحافة المصرية المؤيدة لدعوة الجامعة الاسلامية ووحدة العالم الاسلامي ضد الغارة على العالم الاسلامي من جانب أوروبا .

وشهدت هذه الفترة العنف الاستعماري ضد كل ما تبقى من حركات المقاومة الافريقية دفاعا عن الاستقلال وضد السيطرة الاستعمارية ، وكان هذا في فترة التقسيم المترتب على نتائج مؤتمر برلين ٨٤ ـ ١٨٨٥ واهتمت الصحافة المصرية بأخبار افريقيا نتيجة ان بريطانيا كانت السلطة الحاكمة في مصر وكانت أيضا طرفا في هذه الحروب وهذه المقاومة العسكرية الافريقية ، واستطرادا نشير الى ان الصحافة المصرية اهتمت بوقائع وبتطورات حرب البوير في جنوب افريقيا ١٨٩٩ ـ ١٩٠٢ م . كذلك المواجهة بين العسكرية البريطانية والعسكرية الفرنسية في فاشودة بالسودان وان كانت المواجهة قد وجدت حلا سياسيا بين الدولتين .

● دور هام للصحافة ●

ان اهمية هذه الفترة في تكثيف المعرفة بافريقيا في الثقافة المصرية ترتبط بدور الصحافة وانتشار التعليم وآثار الدور الذي قامت به قطاعات النخبة المصرية الحديثة ، خاصة ان البلاد كان لها معركة قومية ضد الاحتلال البريطاني في مصر والسودان ، وان الصراع الاستعماري حول تقسيم افريقيا لم يكن قصير الامد أو سهلا فقد استمرت فترة الصراعات بين الدول الاستعمارية حول المناطق الافريقية حتى قيام الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ ، وهو صراع اشتركت فيه انجلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا .

وفي داخل المجتمع المصري كانت هناك اهتمامات ثقافية جديدة ، فقد تألقت الجمعية الجغرافية المصرية ونشرت مجلتها المتخصصة ، وفي الفترة من ١٨٧٥ حتى ١٩٢٢ نشرت مجلة الجمعية الجغرافية ٢٠٠ مقال عن موضوعات مصرية وسودانية ، ونشرت ٦٨ مقالا عن موضوعات تتعلق باجزاء ومناطق اخرى من افريقيا . ومن ناحية اخرى ازدهرت الدراسات التاريخية عن مصر الفرعونية وحضارتها التي تشير بعض الدراسات الى جذورها واصولها الافريقية .

وفى فترة اوائل القرن العشرين تم نشر كتب ومطبوعات عن القارة الافريقية من بينها مايلى : —

فى عام ١٩١٢ نشر اسماعيل رافت بك الاستاذ بالجامعة كتابا عن جغرافية افريقيا بعنوان التباين فى تخطيط البلدان ، ثم نشر الامير محمد على عام ١٩٢٤ كتابا بعنوان رحلتى فى جنوب افريقيا ، وبعد ذلك نشر الرحالة المصرى محمد ثابت كتابا بعنوان جولتى فى ربوع افريقيا عام١٩٣٥ ولما نشبت الحرب الايطالية الحبشية نشر الصحفى المصرى وعضو البرلمان المصرىمحمد لطفى جمعة كتابا عام ١٩٣٥ بعنوان بين الاسد الافريقى والنمر الايطالى .

واستطرادا أقول اننى سبق ان قمت بدراسة عن الراى العام المصرى والحرب الاثيوبية الايطالية ، وجمعت المادة من الصحافة المصرية التى كانت حافلة بالاخبار وبالتعليقات وبالتحقيقات وبالصور عامى ١٩٣٥ و ١٩٣٦ وتم نشرها فى مجلة السياسة الدولية بالقاهرة عام ١٩٦٩ .

وهذا التركيز على قضايا افريقيا العامة لايجعلنا نغفل عن قيمة المؤلفات والكتابات المنوعة والكثيرة التى اهتمت اساسا بقضيه السودان وقضايا وحدة وادى النيل على اعتبار انها كانت فى ذلك الوقت جزءا من القضية القومية ، ومن جانب آخر تشير الى ماتم من تسويات بعد الحرب العالمية الاولى فى افريقيا ، فقد تمت تصفية الاستعمار الالمانى فى القارة الافريقية وتم توزيع مستعمراته السابقة بين انجلترا وفرنسا وجنوب افريقيا باسم نظامالانتداب وقد اهتمت وسائل الاعلام الجماهيرى « صحافة واذاعة » بهذه الموضوعاتوالانباء

خامسا :

فى فترة الحربالعالمية الثانية ومابعدها حتى قيام ثورة ١٩٥٢ ، ازداد وتعمق الاهتمام بالقضايا الافريقية على مستويات منوعة فى الثقافة المصرية المطبوعة والمسموعة ، بجوار ماسبقت الاشارة اليه من اهتمامات ، تشير الى مايلى : —

● الاهتمام الشعبى والرسمى بقضايا تصفية الاستعمارالايطالى فى ليبيا وأريتريا والصومال وخاصة بعد ان ثار حولهاالجدل فى مؤتمرات وزراء خارجية الدول الكبرى وعرض القضايا فى الامم المتحدة ،واصبحت هذه القضايا قسما ثابتا فىنشاط وسائل الاعلام .

ظهور مؤلفات عن قضايا افريقيا بمعناها العام ، ومن الامثلة كتابان للاستاذ محمد كامل بعنوان العمل لمصر وبعنوان تحرير وادى النيل ، وترجمة الاستاذ عبد الغنى خلف الله لكتاب المستقبل السياسى لافريقيا ... الخ

● خطاب لرئيس وزراء مصر مصطفى النحاس باشا عام ١٩٥٠ قال فيه « مصر جزء من افريقيا .. » وما اثاره الخطاب من حوار ونقاش وتعليقات واسعة .

● غطت وسائل الاعلام ، وظهرت مطبوعات متنوعة حول ثورات المغرب العربى والحركات الوطنية هناك ، كما أشارت وسائل الاعلام الى احداث نيجيريا عام ١٩٤٩ وايضا استقبلت مصر رسميا زعيمين من نيجيريا فى طريق عودتهما من الهند عام ١٩٥٢ .. الخ

● رفضت الحكومة المصرية المشاركة فى مؤتمر دعت اليه عام ١٩٥١ الدول الاوروبية الاستعمارية فى افريقيا وانعقد فى نيروبى لبحث قضايا الدفاع عنافريقيا فى حالة نشوب حرب عالمية ثالثة .

● نمو الكفاح المصرى الشعبى ضد الاستعمار البريطانى ، وعقد صلات فكرية وتنظيمية مع حركات الكفاح الشعبى فى دول أسيوية وافريقية ، وكان هذا فى فترة تصاعد ثورة شعوب العالم الثالث لتصفية الاستعمار وللتحرر الوطنى ، وايضا تشير الى المشاركة المصرية فى الامم المتحدة ومناقشة قضايا تصفية الاستعمار فى العالم الثالث بوجه عام .

واخيرا

جاءت ثورة ١٩٥٢ ، واصدر الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٥٣ كتابفلسفة الثورة الذى تحدث فيه عنالدائرة الافريقية وتلا هذا الموقف الفكرى ، موقف جديد فى نظرة نظام الحكم تجاه قضاياافريقيا ، وفى مفهوم العلاقات المصرية الافريقية وهذا معناه ان مرحلة جديدة فى الكم والكيف قد بدات فى حياة مصر الرسمية والشعبية حول موضوع افريقيا فى الثقافة المصرية .

المؤتمر السابع والعشرون للحزب الشيوعي

تأجيل حلم تطبيق الثورة التكنولوجية

بقلم : عبد الرحمن شاكر

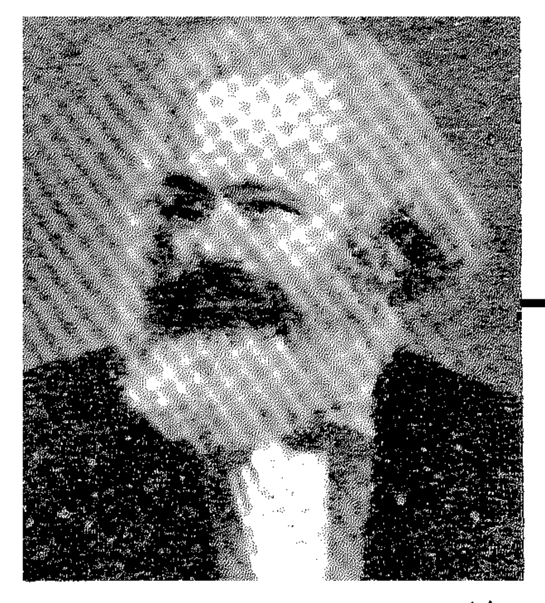
لم تكن الصياغة الجديدة لبرنامج الحزب الشيوعي السوفيتي ، التي نوقشت واقرت في المؤتمر السابع والعشرين للحزب المنعقد خلال الأسابيع الماضية ، ولا التقرير الذي القاه ميخائيل جوربا تشوف السكرتير العام للحزب أمام المؤتمر ، مجرد نقد للمرحلة السابقة من حياة المجتمع السوفيتي ، مرحلة بريجنيف ، كما ذهب كثير من المراقبين ، ولا الأسبق منها ، مرحلة خروشوف الذي صاغ البرنامج الثالث للحزب البلشفي في بداية الستينيات ، ذات البرنامج ، الذي أعيدت صياغته في المؤتمر الأخير .. وإنما جاء العمل الأساسي لهذا المؤتمر ، من خلال وثائقة الرئيسية بمثابة إعادة تقويم واسعة النطاق للأفكار الشيوعية على المستويين المحلي والدولي

أعمال هذا المؤتمر هي بداية ثورة فكرية في المجتمع السوفيتي ، سوف تتردد اصداؤها بلا جدال في الحركة الشيوعية والأشتراكية العالمية وذلك لاستيعاب ثورة واقعية بدأت ومازال مستمرة ، في الحياة الراهنة للجنس البشري وهي الثورة العلمية التكنولوجية التي تعيد تشكيل مصير الجنس الانساني على نحو لا يدرك مداه ، وكان من طبيعة الأمور الا يدرك مداه في الماضي هذا أو ذاك من المفكرين ، مهما بلغت درجة عبقريته ؟

وتتبدد الأحلام أيام الحقائق ، وينظر كل عاقل إلى موقع قدميه على خارطة الوجود الفعلي المتحرك ، وهذا ما حاوله الشيوعيون السوفيت ، بقيادة زعيمهم الجديد الشاب ميخائيل جورباتشوف في مؤتمرهم الأخير فماذا فعلوا وقالوا وماذا ينتظرهم ، أو ينتظر منهم ؟

● هل يتحول الحزب الشيوعى السوفيتى إلى اتحاد اشتراكى ؟

● "الانتلجنسيا" .. الثورة الصاعدة فى الشرق والغرب !



كارل ماركس

لم يتقدم جورباتشوف الى المؤتمر السابع والعشرين للحزب البلشفى ببرنامج جديد ، ورفض أن يتقدم به تحت اسم البرنامج الرابع للحزب ، وانما اصر على تسميته اعادة صياغة البرنامج الثالث ، الذى أقره المؤتمر الثانى والعشرون للحزب فى عام ١٩٦١ بزعامة خروشوف ·· لماذا ؟

لانه فى المراحل السابقة كان كل برنامج جديد يبنى على الذى سبقه بعد أن يتم انجازه · الا البرنامج الثالث ، فلم يتم انجازه ، ولا يبدو اتمامه فى الافق ، وانما تعين أن يلغى، ويحل محله برنامج اخر ، يحمل ذات الترتيب ·

الصياغة الاولى للبرنامج الثالث كانت تغرق المجتمع السوفييتى فى الاحلام الوردية وتصور له أنه فى الثمانينات سوف يصبح مستوى الفرد السوفييتى أعلى من نظيره الامريكى؟!

وأن بشائر المجتمع الشيوعى سوف تهل ، ممثلة فى الحصول على مزيد من الخدمات المجانية للمواطنين منها المواصلات الكهرباء والغاز الطبيعى، بل لقد نوقش أيضا فى ذلك الحين احتمال توزيع الخبز بالمجان على جميع المواطنين ! وبالطبع فان هذا المستوى من الرفاهية ، يقتضى ان يكون الاقتصاد السوفييتى قد بلغ من التطور والازدهار القدر الذى يتيح له ان يفىء على افراد المجتمع من كل ما بلغ فيه حد الوفرة الكاملة ·· كالماء والهواء ·

ولكن جورباتشوف ، وقد اصبحنا بالفعل فى منتصف الثمانينات ، يقرر فى تواضع أن الاشتراكية قد ولدت وبنيت فى بلاد ليست متقدمة ابدا من

تأجيل حلم تطبيق الثورة التكنولوجية

حيث المستوى الاقتصادى والاجتماعى انذاك • ومتباينة جدا من حيث انماط الحياة والتقاليد التاريخية والقومية وسار كل منها الى التشكيلة الجديدة بطريقه الخاص •• ولم تكن تلك الطرق ممهدة يسيره ، فالنهوض بالاقتصاد المتخلف وتعليم ملايين الناس مبادىء القراءة والكتابة ، ومنحهم المأوى والطعام والخدمات الطبية المجانية كان أمرا فى غاية الصعوبة • وان جدة المهمات الاجتماعية بحد ذاتها •• وضغط الامبريالية العسكرية والاقتصادى والسياسى والسيكولوجى المتواصل ، وضرورة بذل جهود هائلة للدفاع كل ذلك ما كان بوسعه الا أن يؤثر على سير الاحداث وطابعها ووتائر وتنفيذ البرامج والتحويلات الاقتصادية والاجتماعية ، وقد وقعت بعض الاخطاء فى السياسة ومختلف انواع الانحرافات الذاتية •

ويقرر فى نقده الصريح للصياغة السابقة للبرنامج الثالث انه « من السابق لاوانه تحويل مهام بناء الشيوعية على نطاق واسع الى مجال الاعمال الفعلية »،واذا كانت الصياغة القديمة ، صياغة خروشوف قد جعلت شعارها بناء المجتمع الشيوعى ، فان الصياغة الجديدة تقرر انهاية محاولات للتعجيل ، وادخال المبادىء الشيوعية دون مراعاة لمستوى النضوج المادى والروحى للمجتمع مصيرها الفشل !!

ومن المقارنة والتأمل يتضح أن لفظه «اعادة الصياغة » متواضعه جدا ، ومحتشمة فالواقع أن ما فعله جورباتشوف هو الغاء البرنامج الثالث واحلال اخر محله يحمل ذات الترتيب كما ذكرت من قبل •

على أن جورباتشوف لم يكن أول زعيم شيوعى ، يتخلى عن الاحلام الوردية بحكم الواقع الاقتصادى ، ولكن سبقه الى ذلك ونج سيابنج الزعيم الحالى للصين ، حينما بدأ سياسته الجديدة الانفتاح الاقتصادى ، منقلبا فى ذلك على سياسة زعيمه الراحل ماوتسى تونج ، الذى كان يحلم بتطبيق الشيوعية فى الصين ، على مستوى أدنى اقتصاديا من المستوى السوفييتى الذى أسس عليه « خروشوف » أحلامه فى صيغته الملغاة !

والان اتفق جورباتشوف . ودنج فى ذلك الموقف أيضا ، كل على مستواه أو مستوى التطور الاقتصادى فى بلاده !

● غول القرن العشرين ! ●

ليست هذه التسمية من عندى ، ولكن الوصف الذى أطلقه جورباتشوف على رأسمالية الثمانينات ! حيث قرر: « أن تقدم البشرية يرتبط ارتباطا مباشرا بالثورة العلمية التكنيكية وقد نضجت هذه الثورة بشكل غير ملحوظ وبالتدريج ، لكى تؤدى فيما بعد ، فى الربع الاخير من القرن الحالى ، الى زيادة هائلة لامكانيات الانسان المادية والروحية • وهى امكانيات ذات صيغة مزدوجه ، فامامنا طفرة نوعية فى القوى المنتجة للبترول • ولكن هناك أيضا طفرة نوعية فى وسائل التدمير ، فى الشئون العسكرية التى « منحت » الانسان لاول مرة فى التاريخ قدرة مادية لاتلاف كل ما هو حى على وجه البسيطة ويضيف :

« ان الثورة العلمية التكنيكية فى مختلف الانظمة الاجتماعية السياسيه تواجهنا بجوانبها وعواقبها المختلفة فان رأسمالية الثمانينات ، رأسمالية عصر الالكترونيات ، والمعلوماتية والكمبيوتر والروبوت ، تلقى الى قارعة الطريق بملايين جديدة من الناس ، بمن فيهم الشباب والمتعلمون وتتركز الثورة والسلطة تركزا كبيرا بايدى القليلين ، وتنتفخ بشكل مهول بفضل سباق التسلح النزعة العسكرية الطامعة فى امتلاك ركائز السلطة السياسية ايضا . وهى تغدو غول القرن العشرين الأكثر قبحا وخطرا ، وبجهودها نتحول أكثر الافكار العلمية التكنيكية تقدما الى سلاح للابادة بالجملة » .

وبغض النظر عن العبارات الانفعالية فى الجزء الاخير من هذا الكلام ، فان الحقيقة الموضوعية ، هى أن « الطفرة النوعية فى القوى المنتجة للبشرية ، قد تحققت على أوسع نطاق فى المجتمعات الرأسمالية المتقدمة ، التى حدد البرنامج الجديد ركائزها الثلاث بالولايات المتحدة الامريكية ، واليابان وغرب أوربا ، وبذلك تخطت الرأسمالية « العمر الافتراضى » الذى قدره لها كل من ماركس ولينين !

لقد ذهب كارل ماركس « فى اشتراكيته العلمية » الى أن الثورة الاشتراكية سوف تقوم فى البلدان الرأسمالية المتقدمة صناعيا ، لان علاقات الانتاج السائدة فى تلك المجتمعات سوف تكون فى تناقض حاد مع قوى الانتاج النامية فيها ، ولابد أن تتمزق تلك العلاقات وتقوم علاقات انتاج جديدة تواصل فى ظلها قوى الانتاج تقدمها .

ومات « كارل ماركس » رواصلت قوى الانتاج تقدمها ولم تتمزق علاقات الانتاج الرأسمالية ، حتى جاء لينين ، وقرر أن الرأسمالية قد استطاعت اطالة عمرها من خلال الامبريالية ، مرحلة الرأسمالية المزدهرة والمختصرة فى آن معا ، وأن ذلك العصر هو عصر الثورة الاشتراكية التى سوف تبدأ

خرتشوف



جورباتشوف



تأجيل حلم تطبيق الثورة التكنولوجية

من أضعف حلقات الرأسمالية العالمية، وكانت تلك الحلقة هي روسيا ، التي قاد فيها لينين ثورته الاشتراكية ، رغم كونها اكثر بلدان أوربا تخلفا .

ولم تتحول الى الاشتراكيه الا مجموعة من البلدان تشبه روسيا في تخلفها ، أما الرأسمالية فقد استمرت في البلدان الصناعية المتقدمة ، واكثر من ذلك ، كان لتلك البلدان النصيب الاوفى من الثورة العلمية التكنيكية التي يتحدث عنها « جورباتشوف » ، ومعنى ذلك أن علاقات الانتاج الرأسمالية لم تستنفد طاقاتها بعد في تطوير قوى الانتاج ، بل يفتح أبوابه بها بلد اشتراكي كبير مثل الصين لكي يستفيد من قدراتها في تطوير اقتصاده .

ذلك هو المدلول النظري الرئيسي في تحليل أوضاع العالم المعاصر ، والذي دعا « دنج سياو بنج » الى القول بأن كثيرا من افكار « ماركس ولينين » قد عفا عليها الزمن ، ودعا « جورباتشوف » الاكثر تحفظا الى التحذير من جمود الفكر الماركسي وضرورة استيعاب حقائق العصر عند الجيل المعاصر من الشيوعيين . فالرأسمالية الراهنة ، كما تقول مقدمة الصياغة الجديدة للبرنامج : « تختلف في جوانب كثيرة عما كانت عليه في بداية ، بل أواسط القرن العشرين »، « فمن النتائج المباشرة للتمركز والتدويل الرأسمالي للانتاج » . كما تمضي المقدمة ذاتها اشتداد سطورة الاحتكارات المتعددة القوميات التي تجني أرباحا فاحشة من استغلال العمال على الصعيد العالمي ، وهي لا تعمل على تقويض سيادة الدول الفتية فحسب ، بل وتتطاول على المصالح الوطنية للبلدان الرأسمالية المتطورة أيضا ». ثم تقول :

« بيد أن النضال الطبقي للعمال في ظروف النفوذ المتعاظم للاشتراكية العالمية ، يجبر الرأسماليين على تقديم تنازلات جزئية احيانا واجراء تحسينات معينة على ظروف العمل واجره والضمان الاجتماعي » .

لم يعد المتبطلون في رأسمالية الثمانينات هم جيش الصناعة الاحتياطي كما كان يسميهم « كارل ماركس » ، بل أصبحوا فتيانها المدللين الذي تعجز النظم الاشتراكية حتى الان عن ان تعول أمثالهم ! وكثير من « المتعطلين » في المجتمعات الرأسمالية يكتفون من العمل بشهور معدودة ريثما يتم تسجيلهم في احدى النقابات ، ثم يعيشون سنوات طويلة بعد ذلك اعتمادا على صناديق النقابات والضمان الاجتماعي ، وربما احترف بعضهم « البلطجة » سواء على الفتيات العاملات أو على المحلات التجارية كما شهدت شوارع انجلترا في السنوات الاخيرة هؤلاء هم الملايين الذين يحزن جورباتشوف القاؤهم في الشوارع ، وهم بها راضون !

أمثال هؤلاء لم يعودوا هم الطبقة الثورية التي افترض كارل ماركس أنها التي تحقق الثورة الاشتراكية بل يفرز التاريخ طبقة جديدة سوف تكون لها ذات القيمة الاقتصادية والسياسة التي كان يخلعها كارل ماركس على البروليتاريا الصناعية ،



ماوتسى تونج

وكان من طبيعة الامور أن يعترف بها « جورباتشوف » فى نظرته الواقعية الجديدة ، حتى ولو كان اعترافه محدودا !

● الانتلجنسيا ●

فى بداية الستينات ، وبالتحديد فى ٢٤/١/١٩٦٠ ادلى « بتلر » وزير الخزانة البريطانية فى ذلك الحين بحديث الى صحيفة « الصنداى تايمز » تحدث فيه عن « تكنوقراطية عصر الفضاء التى شرعت تحل محل المفهوم الماركسى للبروليتاريا » ، ويعنى بهم طبقة العلماء والفنيين الذين يتعاظم دورهم فى الانتاج والادارة ، ويزداد هذا الدور الان تعاظما بحكم الثورة العلمية التكنولوجية ، على حد تعبير « جورباتشوف » ، سواء بالقياس الى العمل اليدوى الذى تتقلص الحاجة اليه باستمرار ، او حتى بالنسبة الى « حقوق » الملاك فى البلدان الراسمالية .. ممن أصبحوا يعجزون فى واقع الامر عن ادارة املاكهم ، لو لم بشركوامعهم ـ باكثر الشروط ملاءمة ـ الذين يستطيعون ويعرفون كيف يدبرون الالة التكنولوجية الجبارة التى يفرزها العصر الحديث .

يعتبر جورباتشوف فى صياغة البرنامج الجديد ، تلك الفئة من « الانتلجنسيا » مجرد رافد جديد يضاف للطبقة العاملة ، وذلك فى قوله « ان الاستخدام المتنامى للعلم فى الانتاج يرفدصفوف هذه الطبقة بممثلى العمل الذهنى » . ولكن لما كان أحد أهداف المجتمع الشيوعى الغاء الفرق بين العمل الذهبى والعمل اليدوى،فان الطريق الى ذلك هو تقلص العمل اليدوى وازدياد نسبة العمل الذهنى ، بازدياد آلية العمل وخضوعه للنظم الاتوماتيكية التى يتيحها التطور العلمى ، وهو مايتطلع الحزب البلشفى الى استيعابه فى برنامجه الجديد .

وبالرغم من المغالطة السابقة فان الفقرة الاولى من اللائحة الجديدة للحزب الشيوعى السوفييتى تصف الحزب بانه « طليعة الشعبالسوفييتى التى توحد ... القسم الطليعى الاكثر ادراكا من الطبقة العاملة والفلأحين الكولوخوزيين والمثقفين فى الشعب السوفييتى » ، كما يتحدث جورباتشوف عن ضرورة العناية الدائمة ، « بتحالف الطبقة العاملة والفلاحين والانتلجنسيا » ، تماما كما كان « الميثاق » والاتحاد الاشتراكى العربى لدينا فى الستينات يتحدث عن تحالف قوى الشعب العاملة المكون منالطبقات الثلاث المذكورة مضافا اليها ـ لظروف خاصة ـ الجنود والراسمالية الوطنية أما الجنود فلأن « الثورة » فى مصر كانت عسكرية فى الاساس ، وأما الراسمالية الوطنية فقد اختفت تقريبا



تأجيل حلم تطبيق الثورة التكنولوجية

فى الاتحاد السوفييتى ، وان كانت عناصر جديدة منها تولد الان ، وربما كان فى مقدمتها طبقة « الميكانيكية » التى تقوم باصلاح السيارات ، اعتمادا على الجمع بين عملها الذهنى واليدوى معا ، ويتيح لها تخصصها الفريد مكاسب خاصة قد تدفعها الى التطلع الى مستوى اعلى من مجرد « الحرفيين التعاونيين » .

ان آفاق التطور الاجتماعى فى ظل الثورة العلمية التكنولوجية لم يعد لها حدود ، ولم تعد خاضعة لاى نوع كان من التكهن المسبق ، ولكن برامج الفضاء المشتركة من نوع « سيوز - أبوللو » ، التى اقدمت عليها كل من الدولتين العظميين، الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الامريكية ، تشير الى أن القوة المتعاظمة داخل كل من المعسكرين ، هى لذلك النوع من العلماء والفنيين ، ممن ينتمون الى « تكنوقراطية عصر الفضاء » ، وهى التى تستطيع التحليق فوق الصراعات المذهبية وصولا الى نظام عالمى جديد، كالذى دعا اليه البرنامج الجديد للحزب البلشفى ، يجنب البشرية خطر الدمار على أيدى طائفة من تلك التكنوقراطية ذاتها .

● الميزان الاقتصادى .. والديمقراطية ! ●

يعتمد « جورباتشوف » فى برنامجه الجديد ، من أجل تحقيق « الاشتراكية المتطورة » عن طريق استيعاب المنجزات التكنولوجية والتوسع فى تطبيقها فى كافة نواحى الاقتصاد السوفييتى ، على عاملين : الاول منهما هو الميزان الاقتصادى ، والثانى هو الديمقراطية .

أما عن الميزان الاقتصادى فهو يقرر ضرورة « جعل مستوى دخول جماعات العاملين معتمدا اعتمادا مباشرا على مردود عملها » ، و « قيام حاجز منيع فى وجه أى محاولة للحصول على دخول من الممتلكات الاجتماعية دون أداء عملى » .

و « أن حجم رصيد الاجور فى المؤسسات يجب أن يكون على صلة مباشرة بعوائد تسويق منتجاتها » .

وهكذا ، فان سياسة ربط الاجر بالانتاج ، تستلزم أن تكون المؤسسات الاقتصادية مستقلة فى ميزانياتها ومواردها ، وبالتالى فى ادارتها ، بحيث يصبح من حقها أن تبيع فائض انتاجها عن المطلوب تحقيقه فى اطار الخطة ، أو حتى ما يتبقى من خاماتها من اجل التمويل الذاتى ورفع مستوى العاملين بها ، وبالمقابل ، فان الدولة على حد تعبيره - « لا تتحمل مسئولية عن التزامات المؤسسات والاتحادات ، وهاهنا بالذات يكمن جوهر الميزان الاقتصادى » .

أما المؤسسات المختلفة ، التى تنتج « السقط » على حد تعبيره من المنتجات الصناعية التى لا يريدها أحد ، أو بعبارة اخرى تنتج « للمخزن » فيقول عنها : « لماذا يجب ان ندفع أجر عمل ينتج بضائع لا يشتريها أحد » ؟

ويرفض « جورباتشوف » ادعاء ان كل اصلاح من هذا النوع بادخال اقتصاديات السوق ، تراجعا فى الاشتراكية ، كما يدين المنظور الجامد بأن مجرد اقامه العلاقات الاشتراكية يكفل نمو قوى الانتاج تلقائيا ، دون جهود حقيقية من اجل التطور به وتحسين نوعيته • اما برنامج الحزب فيطمح فى الوصول بنوعية الانتاج الصناعى السوفييتى الى مستوى القدرة على المنافسه فى الاسواق العالمية •

وفى مواجهة من وصفهم بالكسالى والمرتشين والمغرورين والمتزلفين والبيروقراطيين وسارقى الممتلكات العامة •• وغيرها من الصور السلبية فى الادارة الانتاجية •• فيعتبر ان الديمقراطية على كافة المستويات وفتح مختلف الابواب لحرية النقد ، وتحقيق الرقابة الشعبية من أصغر وحدة انتاجية تمارسها جماعة العاملين الى أعلى مسئوليات الحكم والادارة ، هى الضمانة المثلى لتحقيق برنامجه الطموح فى تطوير الاقتصاد السوفييتى •• ويضع على اجهزة الاعلام السوفييتية مسئولية خاصة فى هذا الصدد ويدعو الاذاعة والتليفزيون الى التخلى عن « الكليشيهات المجوجة » و « الاخذ فى الحسبان بصورة أكمل تنوع اهتمامات المشاهدين والمستمعين»

يعتبر « جورباتشوف » ان التهديد بالحركة النووية وسباق التسلح ، لا يعرض البشرية لخطر الدمار الشامل فحسب ، بل يعتبره المعوق الرئيسى لوصول الاقتصاد الاشتراكى فى بلاده وفى مختلف اجزاء «المنظومة الاشتراكية » الى ما تصبو اليه ، كما أنه يعوق استفادة البلدان النامية من القوى الانتاجية الضخمة التى تملكها الدول الصناعية المتقدمة ، وحل المشكلات الحضارية التى تواجه الجنس البشرى فى مجموعة من نوع حماية البيئة ومواجهة نقص الموارد الطبيعية ، وهلم جرا •

ويعتز « جورباتشوف » فى تقريره باقتراحه من أجل تحقيق السلام والامن الدوليين عن طريق نزع السلاح النووى ، الذى يتحدى به قوى اليمين، فى الولايات المتحدة الامريكية أساسا وهى التى تسعى الى الهيمنة العالمية واستطاعت حتى الان ان تفقد كثيرا من أجزاء العالم الثالث استقلالها عن طريق السيطرة الاقتصادية واغراقها فى الديون • وترتبط مصالحها بشكل مباشر مع احتكارات صنع السلاح وتهدر فيه أعظم المنجزات العلمية للجنس الانسانى •

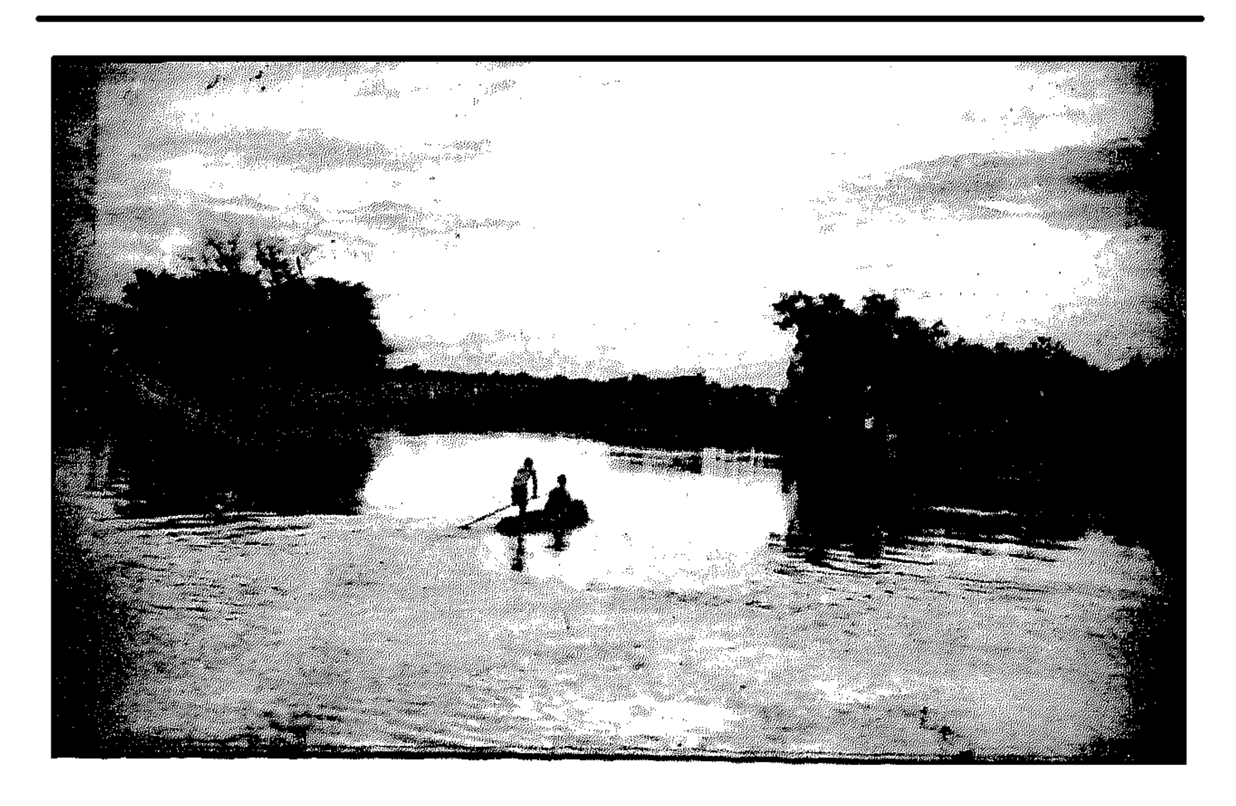
ويبدى جورباتشوف مرونة كبيرة ازاء مختلف القوى السياسية فى العالم ، بما فى ذلك استعداده للتعاون على أساس المساواة والنفع المتبادل مع الولايات المتحدة الامريكية ، التى يدعوها « بالبلد العظيم » •• رغم جميع خلافاته مع ساستها ، وبنفس القدريتحدث « بارتياح » ، عن « تحسن معين لعلاقات الاتحاد السوفييتى مع جارته « العظيمة » الصين الاشتراكية •• رغم الفروق فى المواقف وخاصة فى بعض القضايا الدولية » •

بقلم :
فتحى رضوان

ثلاثة أيام فى السودان

لابد لمن يريد ان يزور السودان ، زيارة دراسة ، وتامل ، تتضمن لقاء رجال الحكم ، ورجال السياسة، واساتذة الجامعة، وهيئات الطلاب ، واتحادات العمال والنقابات المهنية ، ان يقرر البقاء فى هذا القطر العربى الافريقى الذى هو فى واقع الامر ، قارة عظيمة ، او قل ثلاث قارات يدخل بعضها في بعض .

لابد لهذا الزائر ، أن يهيىء نفسه ، لمرحلة تدوم ثلاثة أشهر ولكنى زرته فى ثلاثة أيام فقط . حسبك أن تعلم أنمساحة السودان ، هى ٥٠٠ر٥٠٥ر٢كيلو متر ، يعنى ما يساوى ثلاثة أضعاف مساحة أوربا ، وهو يتمتع بانهار عديدة من أكبر الانهار ، منها النيل الابيض ، الاتى من بحيرات خط الاستواء ، والنيل الازرق ، النابع من بحيرة تاتا بالحبشة ، وانهار فى الجنوب ، كبحر الغزال ، واكبر بحيرات الدنيا العذبة كبحيرة فكتوريا ، ورودلف ، وابراهيم . وهو يضم السهول،و،الغابات،



منظر طبيعي من جنوب السودان

والصحارى ، والاودية الخصبة ، وفيه من الاراضي الصالحة للزراعة ، ما يقدره بعض خبراء الاغذية ، بمائتي مليون فدان ، يمكن أن تنبت لاهل وادي النيل ، وللعرب ، والعالم الثالث ، مايكفي كل الافواه فيهذه العوالم ، من القمح والحبوب ، لان الافدنة التي تقدم القمح لسكان الدنيا لا تصل الى ١٢ مليونا من الافدنة • ومع ذلك فان السودان يعاني هذه الايام من غولين هائلين لا يرحمان :

أولهما هو الجفاف ، وثانيهما هو التصحر ، وأمام هذين الغولين يسقط من أهل السودان مئات الالوف التي تصل الى الملايين ، والعالم كله بعلمه الحديث ، و « التكنولوجيا » التي تأتي بالمعجزات ، ومنظماته الدولية ، يقف يشاهد ويتحسر ، والمذبحة الرهيبة تتوالى احداثها ، وتتصاعد مآسيها •

ولكن السودان الذي دعيت لمشاهدته ، وهو السودان الذي حقق شيئا يعد فيعالم السياسة ، معجزة كاملة ، فقد قام بانتفاضة في ٦ من ابريل سنة ١٩٨٥ ، ألقى بفضله عن كاهله ، نير حكم عسكري استمر ستة عشر عاما ، اخضع خلالها كل الناس ، والهيئات ، والمنظمات ، لحكم شديد الوطأة •

ولم يحدث في العالم ، قبل ثورةايران، أن استطاع شعب فقير ، تواجهه وتتحداه ، أشد التحديات ،أن تتجمع مؤسساته الشعبية والمدنية لتسقط حكما عسكريا مدججا بالسلاح •

ولكن هذه المعجزة تمت •

وقد بدأ أول فصول هذه المعجزة فيعام ١٨٩٨ ، وندع الكلام هنا الى كتاب أصدره وفد السودان الذي ضم جميع قياداته الحديثة ، والذي وصل الى القاهرة في ١٤ من أكتوبر سنة ١٩٤٦ قالت مقدمة هذا الكتاب المعنون

« مآسي الانجليز في السودان » ••

من المفارقات العجيبة ان يبدأ هذاالحكم البغيض « حكم الانجليز في السودان » عام ١٨٩٨ مدعيا أنه أنما جاء لرفاهية

ثلاثة أيام في
السودان

السودان ، لتادية رسالة انسانية ، فى نفس العام الذى دخل فيه الامريكان جزر الفلبين ، لقد سمعنا بالامس « مايو سنة ١٩٤٦ » أصوات الابتهاج تتصاعد معلنة ميلاد الجمهورية في تلك البلاد بعد أن وصلت درجة من الرقي والحضارة تضارع اعرق البلاد حرية · واستقلالا ،ويقينا نحن والى هذا اليوم نكافح فى الداخل والخارج، بينما تنصب المحاكم كل يوم للاحرار ومازال نصف شعبنا من العراة ، وتسعة أعشاره من الاميين وجميعهم محروم من الحرية فى أبسط مظاهرها ، وما زال الامر بين حكومة أوتقراطية مستبدة تهمين على مصائرنا بالحديد والنار وتضيق علينا الخناق وتعثر فى الارزاق ، وتكمم الاصوات المنادية ولا تسمع بنقد أو توجيه ·

ومن الطريف أنه في الوقت الذى تنجح فيه جماهير شعب الفلبين فى فبراير١٩٨٦ لتسقط حكم طاغية مستبد ، كان شعب السودان قبل ذلك بنحو عام ، وبالذات فى يوم ٢٦ من مارس قد خرجت مجموعة بقيادة اتحادات العمال ، والمهن الحرة كالاطباء والمحامين والمهندسين وموظفى المصارف ، وموظفى هيئات التامين وأصدروا بيانا معنونا «الى قواعد تنظيمنا العملاق» قالوا فيه : « تعايشون هذه الايام انتفاضة شعبنا العظيم ضد كل مظاهر القهر والمعاناة ممثلة فى الارتفاع الخرافي فى تكاليف المعيشة بصورة لم يسبق لها مثيل فى سياسات. اقتصادية متخبطة أنتجت وتنتج كل يوم فقرا وكسادا وبطالة ·· »

واستمرت المظاهرات في شوارع الخرطوم وغيرها من المدن حتى ساعات الليل المتاخرة، وقد توجت هذه المسيرات الضخمة ، ببيان من القيادة العامة للقوات المسلحة التي ترددت في اقحام نفسها فى هذه الانتفاضة خشية ان تحدث انقسامات بين القوى الشعبية لتورط الجيش فى استعمال السلاح لفريق ضد فريق ، فلما تاكدت من وحدة القوى الوطنية أصدرت بيانا قال :

« ان قوات الشعب المسلحة حقنا للدماء وحفاظا على استقلال الوطن ووحدة أراضيه فقد قررت بالاجماع ان تقف الى جانبه ».

وما كاد بيان القائد العام للقوات المسلحة يذاع ، حتى تدفقت الجماهير الى شوارع السودان كشلالات بشرية كانت تحتجزها السدود ، والتشبيه للاستاذ صلاح عبد اللطيف فى كتابه المثير « عشرة أيام هزت السودان » ــ تدفقت جموع الشعب ، كانها قد تحررت من قيود ثقلت عليها سنين طويلة ثم سقطت فجاة ، وقد سجلت تلك الجماهير في فرحتها التي انبثقت من أعماق قلبها ، وراحت تحمل أغصان الشجر وهي تهتف « مبروك : حمدا لله على سلامة الشعب · الجيش جيش الشعب · والبوليس بوليس الشعب » واندفعت تلك الجماهير الى سجن كوبر وقلعت أبوابه ، وحطمت ما فيه ليخرج منه أكثر من ألف معتقل ، وكأن قصفه اقتحام سجن الباستيل فى ١٤ من يوليو سنة ١٧٨٩ فى باريس قد أعيدت من جديد ، ولكن اذا كان الشعب بعد بيان القائد العام للقوات المسلحة من حقه أن يقول ان الجيش جيش الشعب فبأى حق يهتف الشعب بأن الشرطة شرطة الشعب· فانني هنا أنقل اليك بيان تجمع ضباط الشرطة الذى أصدره هذا التجمع فى ٢٧ من مارس سنة ١٩٨٥ ، والذى كان قذيفة كبيرة وقوية وجهت الى الصرح الذى أقامه النظام الذى أسقطه الشعب فى يوم ٢٦ مارس وما تلاه جاء فى هذا البيان الطويل هذه الفقرة الختامية ··

« ونعلن منذ الان أن تجمع ضباط الشرطة سيعمل بكل قوته على عصيان أى امر باستعمال القوة ضد أبناء هذا الوطن ،

وان الشرطة ستعمل على اسقاط هذا النظام المستبد بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة التحاما وتضامنا مع الشعب وان محاولة النظام البائد لشراء ضمير الشرطة باجازته للائحة المالية للشرطة في هذه الظروف وهي اللائحة التي جمدها بمكتبه لاكثر من عام فهي محاولة مكشوفة لعزل الشرطة عن الجماهير والمساهمة في هذا التحرك التاريخي .

ولكن رجال الشرطة بما عرفوا به من صدق وطنية لن تجوز عليهم هذه الحيلة الخبيثة فقضية الشرطة لاتنفصل عن قضية الشعب السوداني من أجل سودان جديد .

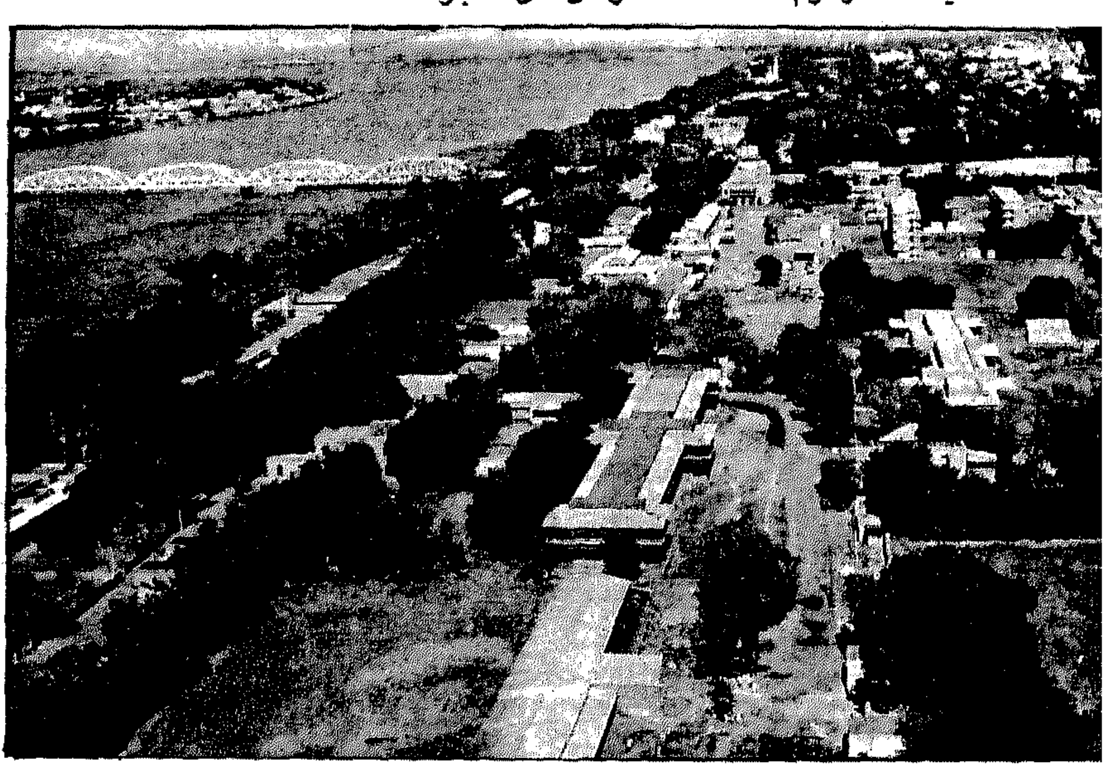
واذا الشعب يوما اراد الحياة
فلابد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل ان ينجلي
ولا بد للقيد ان ينكسر

عاشت قوات الشرطة وعاش كفاح الشعب السوداني المستقل .

هذا هو السودان الذى ذهبنا لنراه ، والذى ذهبت اليه انا لاول مرة الامر الذى لم يصدقه الاخوة في السودان ، فقد كانوا جميعا يعرفون مدى ارتباطي بهم ، وعلاقتي بوطنهم ، فلم يصدقوا أني بقيت بعيدا جسديا عن هذا الوطن الى اليوم، يوم الاحد ٢٣ من فبراير هذا العام ، حتى استقللت الطائرة الخاصة للدكتورة سعاد الصباح الشاعرة الكويتية العربية ، ضمن وفد للمنظمة العربية لحقوق الانسان ضم وزراء سابقين وأساتذة جامعيين وأدباء وصحفيين فاستقبلت جميع دوائر السودان الرسمية والشعبية والادبية والفكرية هذا الوفد وعقدت ندوات ضمت المئات وأحيانا الالوف ، لتبادل الرأى مع قادة السودان ، وأعضاء الوفد المصري ، ونوقشت جميع ما يهم القطر السوداني الشقيق بعد انتفاضته التي كانت



لقطة لمدينة الخرطوم عاصمة السودان من الجو



ثلاثة أيام في السودان

عملا نضاليا وتحريرا نموذجيا ، اثبت أن السودان يحب الحرية ، ويعرف كيف يدفع مهرها ، ويؤدي ضرائبها .

وكان أهم احداث ووقائع تحرك هـذا الوفد ، لقاءه مع السيد الفـريق أول عبد الرحمن محمد حسن سوار الذهب القائد العام للقوات المسلحة التي عرف العالم باسره أنها وقفت مع الشعب ، وتوجت جهاده وحمت نضاله . وفي هـذا اللقاء ، صرح السيد القائد العام أن القوات المسلحة السودانية ستفي بالعهد الذي قطعته على نفسها ، ومؤداه أن الانتخابات العامة ستجرى بعد عام من الانتفاضة ، أي في ٢٦ ابريل سنة ١٩٨٦ . وانه حينما سينتخب الشعب ممثليه ستكون الكلمة كلمة هؤلاء الممثلين أي كلمة الشعب . يضع أولا مبادىء الدستور ثم يقرر جميع الامور التي يثور عليها الخلاف .

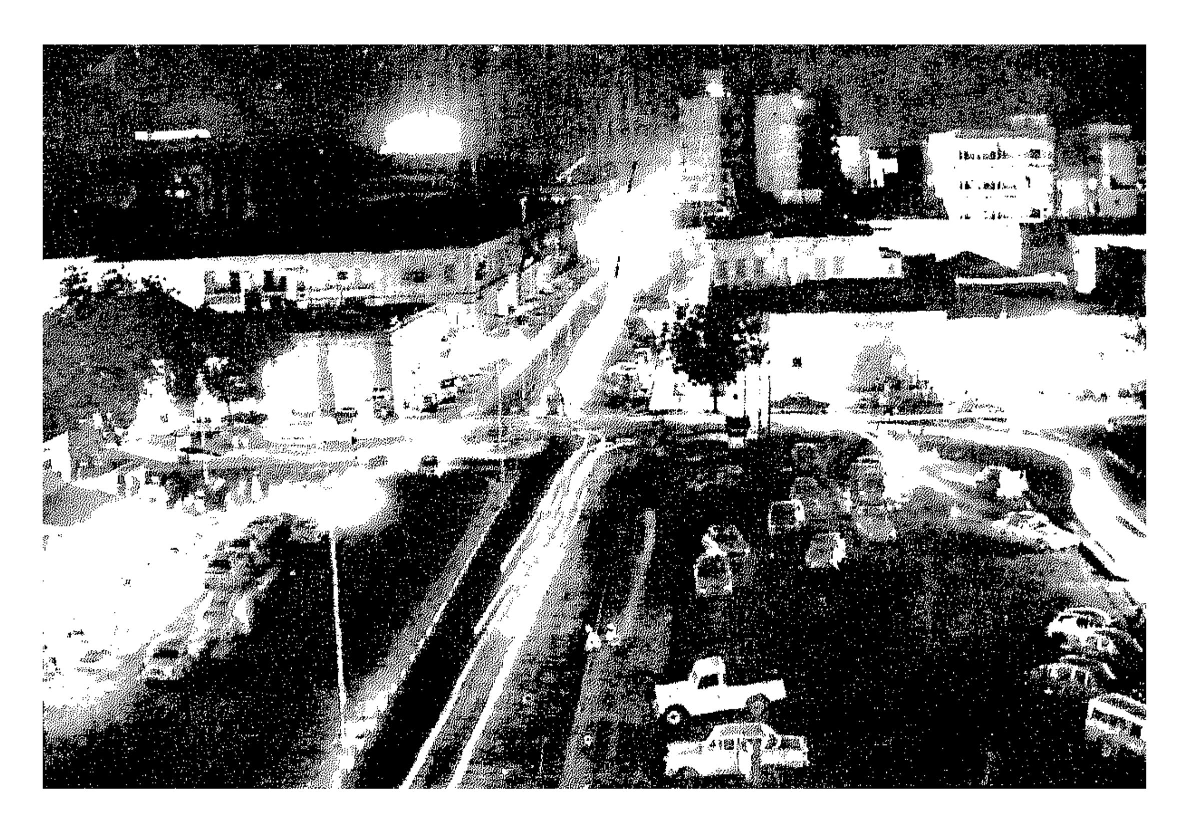
وقد عرف الوفد المصري أن الخلاف محتدم بين القوى الوطنية حول مسالة الموعد الذي ستجرى فيه الانتخابات .

صحيح أن القوات المسلحة لاتريد أن تتحلل من العهد الذي قطعته على نفسها ، ولن تطمع ولو لدقيقة واحدة في ان تطيل بقاءها في سدة السلطة والاستمتاع بها . ولكن هناك داخل المجلس العسكري المؤقت الذي يرأسه القائد العام للقوات المسلحة آراء أخرى كثيرة حول موعد الانتخابات من ذلك ما يبشر به ، ويدعو اليه نائب رئيس المجلس العسكري الانتقالي اللواء تاج الدين عبدالله فضل ويؤيد رأيه بأن القـوى الوطنية الحديثة التي نشأت في فترة الستة عشر عاما الاخيرة ، داهمتها الانتخابات ، قبل أن تحدد مواقفها من أهم مشكلات الوطن ، وانه لابد من تأجيل الانتخابات حتى نتيح الفرصة لهذه القوى ، فضلا عن أن المناطق التي تقع فيها الحرب الداخلية في الجنوب لا يمكن ان تجرى فيها انتخابات .

ومع ذلك قد جرت عملية قيد الناخبين بهمة عظيمة ونشاط كبير مما يثبت ان الشعب السوداني مقبل على الانتخابات باهتمام بالغ ، وقد بلغ عدد الاصوات التي قيدت خمسة ملايين صوت ، وهـذا قدر ضخم .

والامر الذي يستوقف النظر ان عـدد الاحزاب التي تكونت بعد الانتفاضة حتى الان كادت تبلغ الثلاثين حزبا ، وقد ناقش هذه الظاهرة الوفد المصري مع رئيس الوزراء وقد ذهب بعض أعضاء الوفد الى أن هـذه الظاهرة لاتسر ، لان الوعي السياسي الصحيح كان يجب ان يحـول بين الشعب وبين الاسراف في انشاء الاحزاب ، التي لابد ان يكون أكثرها لا يستند الى تأييد مـن الشعب ، كما يمكن ان يكون متزعمو هذه الاحزاب ممن لا ماض سياسي لهم يؤهلهم للزعامة ، وقد رد الدكتور الجزولي دفع الله الى ان هذا رد فعل طبيعي لفترة طويلة من الحرمان السياسي ، فان الشعب الذي حيل بينه وبين النشاط الحـزبي يريد الان ان يعوض ما فاته لذلك أقبـل على تاليف الاحزاب التي ستصفيها معركة الانتخابات القادمة فلن يبقى في الساحة السياسية الا عدد قليل من الاحزاب ، ستتجمع حولها الاتجاهات السياسية الكبيرة ،

وقد أصبح السودان يحـكم في فترة الانتقال بهيئتين : المجلس العسكري الانتقالي ، والتجمع الوطني الذي يضم النقـابات والاتحادات وبالتفـاوض واخذ العطاء بين هاتين الهيئتين تشكلت الوزارة السودانية برياسة نقيب الاطباء الجازولي دفع الله ، ومن وزراء مستقلين لا ينتمون الى حزب ، عددهم ١٥ وزيرا . واذا كانت قيـادة انتفاضة ٦ من ابريل سنة ١٩٨٥ قـد



العمارة الحديثة انتشرت فى ارجاء العاصمة المثلثة

استأثرت بها النقابات المهنية لا الاحزاب . كنقابة الاطباء والمحامين والمهندسين ونقابة أساتذة الجامعات ، وهل هذه هى أول مرة ، تلعب فيها النقابات هذا الدور العظيم ، لكن هذا لا يمنع من أن الاحزاب لا تزال موجودة وانها ستخوض الانتخابات فى ٢٦ ابريل . اذا انتهى الرأى الى وجـــوب اجرائها فى هذا الموعد ولم يؤخذ بالرأى الذى يدعو الى تأجيل الانتخابات وهــذه الاحزاب هى :

★ حزب الامة الذى أسسه الســيد عبد الرحمن المهدى باشا عام ١٩٤٦ والذى يتزعمه الان حفيده الصادق المهدى .

★ حزب الاتحادى الديمقراطى ويتزعمه الان الشريف زين العابدين الهندى شقيق المرحوم الشريف حسين الهندى .

★ الحزب الوطنى الاتحادى وقد تاسس سنة ١٩٤٦ برياسة الاستاذ اسماعيـــل الازهرى وكان من ابرز اعضائه مبـــارك رزق .

★ حزب العمال والمزارعين وقد أنشىء فى سنة ١٩٦٨ وهو حزب شيوعى .

★ حزب البعث العربىالاشتراكى أسس سنة ١٩٧٦ برياسة أمينه العام بدر الدين أمين .

★ الحزب الاشتراكى الاسلامى وتشكل سنة ١٩٤٩ ومن زعمائه بابكــــر كرار وميرغنى النصرى نقيب المحامين الحالى .

وقد اعتمدت فى الحقائق التى أوردتها عن الاحزاب السودانية الحالية الى كتاب الاستاذ صلاح عبد اللطيف « عشرة أيام هزت السودان » .

هذا هو السودان الجديد الذى ذهبنـا لزيارته ، حقق لنفسه انتصارا لم تشهد أمم العالم الثالث انتصارا مثله ، وهوالان يصنع مستقبله بيده حرا طليقا ، وهو يصنع هذا المستقبل فى أناة وابتعــاد ، لايتعجل ، ونظره طول الوقت على تجارب ماضيه ، مستخرجا العظة ، من كل ماجرى فى هذا الماضى ، منذ انقالية الحكمالثنائى، حتى ٦ ابريل سنة ١٩٨٥ ، يوم الانتفاضة الكبرى .



يُعَدّ الحكم العثمانى مسئولاً عن تخلف العرب؟

بقلم : د. صلاح العقاد

كانت مجرد صدفة ان يتزامن دخول معظم الاقطار العربية فى حوزة الدولة العثمانية مع بدء عصر النهضة فى اوربا . كما انه من قبيل الصدفة ايضا اكتشاف البرتغاليين لطريق رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٨ ، اى قبل الفتح العثمانى لمصر والشام والعراق باقل من عشرين عاماً .. وكانت هذه الاقطار الثلاثة تستفيد من موقعها كحلقة فى طريق التجارة بين الشرق والغرب سواء عبر الخليج او البحر الاحمر . فجاء هذا التحول فى طرق التجارة ليصيب اقتصاد هذه الأقطار بضربة قاصمة ظهرت اثارها فى العصر العثمانى .

ولاشك ان هذه المصادفات قد اغرت بعض المؤرخين فى عصرنا بأن يعزو سبب تخلف البلاد العربية الى الحكم العثمانى قائلين بأن تلك البلاد بعد خضوعها لفترة طويلة من الحكم الاجنبى سواء كان تركيا او بريطانيا او فرنسيا تحتاج الى زمن طويل حتى تنفض عنها غبار التخلف .

ونحس فى هذا التصوير التاريخى الخاطىء أو المضلل ان بعض الكتاب يبحثون عن عذر يرددون به تخلف



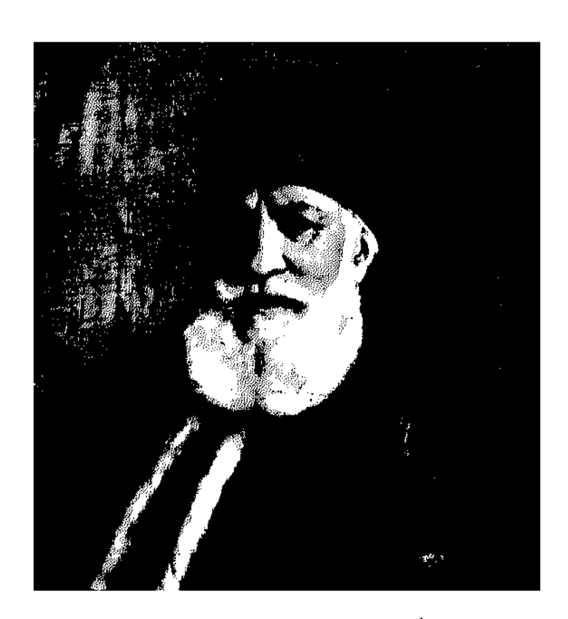
الحضارة العثمانية تمثلت فى الاهتمام بالعمارة فى كل مجالاتها

شاعت فى مجتمعاتنا العربية وانظمتنا السياسية التى هى افرازة لهـــذه المجتمعات ذاتها ٠

واذا ما عدنا الى موضـــوعنا فى الاصل فان خير وسيلة لمعالجتـــه هى طرح عدة قضايا جوهرية قبل التوصل الى نتائج واضحة ٠

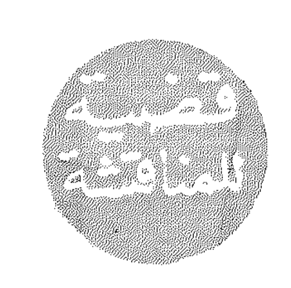
ولتكن القضية الاولى التى نطرحها هى : هل كان الاتـراك العثمـــانيون متخلفين حضـــاريا فى الوقت الذى امتدت فيه امبراطوريتهم لتشمل شبه جزيرة البلقان والمجر فى اوربا وآسيا الوسطى وشبه جزيرة العرب فى آسيا ثم تمتد فى شمال افريقيا حتى تصـل الى الجزائر غربا ٠

قد يقـــول قائل : ان الاتراك كانوا متفوقين فقط فى المجال العسكرى ، ولم تتوفر لديهم عناصر حضـــــارة انسانية ٠ وهذه مغالطة لان التفـــوق



محمد علي

جيلنا عن ركب الحضارة بحجـــة ان اسلافنا عانوا طويلا من حكم اجنبى وهكذا يبرأ هذا الجيل الحـــاضر من التقصير سواء فى تقاعســـه عن العمل الجاد والانتاج ، وانعدام شـــعوره بالانتماء الى آخر تلك العيـــوب التى



العسكرى لا يمكن ان يتحقق دون تقدم فى معرفة الرياضيات وفنون البنساء والحرف المساعدة وما اكثرها لخدمة فنون القتال .

ونشير بهذه المناسبة الى ان الكتاب البيزنطيين الذين اعتبروا من رواد النهضة الاوربية قد سجلوا باعجاب ودهشة المفاجآت الفنية الرائعة والحيل العسكرية التى استخدمها العثمانيون اثناء حصارهم للقسطنطينية سنة ١٤٥٣ ، من ذلك تركيب ممر خشبى هائل وصل ما بين احد التلال المحيطة بالمدينة وبين الميناء الداخلى للقسطنطينية والذى كانت تحميه سلسلة هائلة من الحديد تصل ما بين الشاطىء الاوربى والشاطىء الاسيوى للبسفور . وقد استخدم هذا الممر لكى تنزلق من فوقه قطع البحرية التى فكت وركبت بعد نزولها الى الماء فى سرعة فائقة اثارت دهشة مكان بيزنطة العتيدة . وما كان هذا العمل الفنى ليتحقق لولا وجود الصناع والمهندسين المهرة ، وذلك قبل ان يستولى العثمانيون على مصر بزمن طويل ، وقبل ان تتردد تلك القصة المشهورة عن تجميع العمال المهرة فى مصر وارسالهم كرها الى اسطنبول لسد حاجات الدولة من الفنيين . واذا صحت تلك القصة فدلالتها هى ان العثمانيين كانوا يقدرون الحرف والصناع حق قدرها فلم يفكروا فى استقدام الفقهاء ورجال الدين واصحاب المعارف النظرية . ونحن نشكو فى عصرنا نقص هؤلاء الفنيين المهرة ، ونعتبر ان ندرتهم هى من اسباب تخلفنا . وعلى اية حال فقد تركت الحرية لهؤلاء الصناع لكى يعودوا الى مصر اذا رغبوا .

● اسباب الجمود ●

على ان الاتراك العثمانيين لم يفتقدوا الاطلاع على المعارف النظرية السائدة فى ذلك العصر فقد احتكوا بالحضارة العربية والفارسية منذ القرن الثالث الهجرى . وتفاعلوا مع هذه الحضارة ولمعت بينهم اسماء فى علوم الفقه والتصوف مثل جلال الدين الرومى الشاعر المتصوف وابن كمال باشا الذى له اضافات مشهورة فى فقه الحنفية ، وكان يعيش فى القرن السادس عشر ومن بعده اشتهر حاجى خليفة واوليا شلبى الذى يعد من اهم الرحالة المسلمين فى عصره ، سجل مشاهداته بطريقة لا تختلف عن الرحالة الاوربيين .

ان صفة التخلف لا تنطبق على العثمانيين خلال هذه القرون التى ازدهرت فيها الدولة وانما يصدق هذا الوصف على فترة متأخرة ونتيجة المقارنة بين جمود العالم الاسلامى سواء اكان داخلا فى حوزة الباب العالى أم خارجا عنها ، فالامر لا يختلف فى فارس التى لم تخضع للعثمانيين وكذلك المغرب الاقصى البلد العربى الذى لم يستطع العثمانيون الوصول اليه .

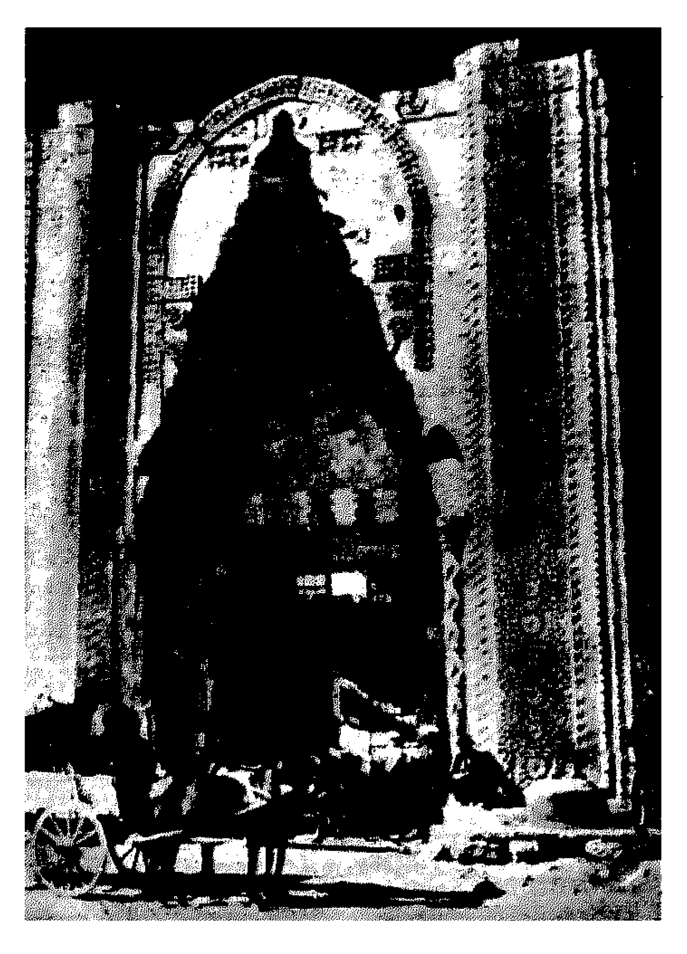
ان الجمود الذى ادى الى التخلف انما يأتى نتيجة مقارنة اوضاع العالم الاسلامى باوربا منذ نهاية القرن الثامن عشر وطوال القرن التاسع عشر ففى هذه الفترة اخذت اوربا تطبق

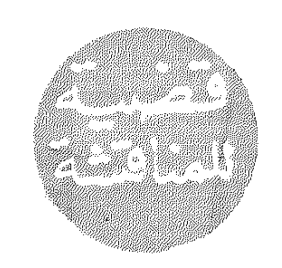
ثمرات تقدمها فى العلوم المختلفة وخاصة فى الطبيعة والكيمياء مما مكنها من التوصل الى مخترعات فى شتى المجالات • وقد كان المسلمون يحتكون باوربا فى مجال التجارة ، ويتحاربون معها أو يتصالحون ولكنهم رفضوا التعامل معهم فى المجالات الحضارية والثقافية على أساس أن هذه الامور تتصل بالدين • فلا سبيل الى الاخذ والرد مع أناس يختلفون عنهم فى الدين • وفى هذا لا يفترق العرب عن الترك •

وحينما أراد محمد على أن يقتبس من منجزات الحضارة الغربية وقف ضده عدد كبير من علماء الازهر حتى انه اضطر الى انشاء مدرسة الطب فى مكان بعيد عن القاهرة (ابو زعبل) لان علماء الازهر استنكروا التشريح واعتبروه من المحرمات • وقضية الخلاف بين أنصار التجديد وخصومه من القضايا المعروفة التى اقترنت بتاريخنا الحديث ، مرت بها اسطنبول كما مرت بها القاهرة ، وكانت هناك ازمة فى عاصمة السلطنة كما ظهرت ازمة فى دولة محمد على فى سنوات حكمه الاولى • فهل يجوز لنا أن نقول ان الازهر الشريف كان سببا من اسباب التخلف فى مصر ؟

القضية الثانية تتعلق بمفهوم الدولة وواجباتها ازاء المواطنين• فهذا المفهوم يختلف اختلاف جذريا فى عهد الدولة العثمانية عما هو معروف فى عصرنا• ففى العهود السابقة كان المألوف هو أن الدولة وجدت لخدمة الملك او السلطان، لا اختلاف فى ذلك بين العثمانيين أو ملوك وأمراء المانيا او فرنسا قبل الثورة • أما التعليم أو المشروعات العمرانية فليست الدولة مسئولة عنها فضلا عن الرعاية الصحية او توفير المؤن فلم يدر بخلد جهاز حكومى أن ينهض بها •

وقد كان التعليم فى العالم الاسلامى مكفولا بواسطة مؤسسات أهلية • والمهمة الوحيدة التى كانت ملقاة على عاتق الدولة ازاء المواطنين هى الدفاع عنهم ضد الاخطار الخارجية • فاذا تساءلنا عن دور الدولة العثمانية فى اداء تلك الوظيفة فلا جدال فى أنها أدت دورها بكفاءة عالية • ففى الوقت الذى دخلت الاقطار العربية فى حوزتها كان الخطر يتهدد العالم العربى بجناحيه المغرب والمشرق •





وفى المغرب يكاد يجمع المؤرخون على أن قدوم العثمانيين فى اوائل القرن السادس عشر انقذ الجزائر من خطر سقوط محقق فى يد الاسبان ، كما انقذ تونس من حكامها الحفصيين الذين استسلموا للغزاة الاوربيين • ولربما تغير مصير المغرب ومحيت شخصيته العربية الاسلامية كما محيت من الاندلس •

والحق ان تقييم المؤرخين المغاربة للحكم العثمانى يختلف عن تقييم الكتاب العرب فى المشرق • فالمغاربة يعتبرون العصر العثمانى عصر ازدهار بالقياس الى ما قبله • ربما لان البحرية العثمانية التحمت بالاهالى وحققت انتصارات باهرة على الاوربيين عدت انتصارات وطنية للمغاربة فى نفس الوقت •

ومع أن عديدا من الكتاب المشارقة اخذوا فى السنوات الاخيرة يعيدون النظر فى تقييمهم للعهد العثمانى ، الا ان الكتب المدرسية وغيرها مازالت متاثرة بالرأى القائل بأن الحكم العثمانى يمثل احتلالا أجنبيا ويشكل سببا من أسباب التخلف • وربما كان هذا الرأى صادرا فى الاصل عن الكتاب المسيحيين فى الشام والذين كان لهم تاثير كبير فى النهضة الثقافية العربية فى المشرق •

أما دفاع العثمانيين عن المشرق العربى فيتمثل فى تلك المواجهة التى حلت فيها أسطنبول محل القاهرة ضد البرتغاليين • وقد استطاع العثمانيون ان يطردوا البرتغاليين من البحر الاحمر سنة ١٥٣٨ ولكنهم لم يتمكنوا من متابعتهم الى أبعد من ذلك ، وتولى العرب والفرس فيما بعد مهمة انقاذ الخليج من السيطرة البرتغالية •

على اننا لا نخلى الحكم العثمانى من جميع المآخذ • واخطر ما يوجه اليه من المآخذ هو النظام المالى • وعلى حين تطورت أوربا وانتقلت من عهد الاقطاع الى الرأسمالية لم يتح النظام السائد فى الدولة العثمانية مثل هذا التطور • فبقى نظام الانتاج على أشكال مختلفة من الاقطاع الزراعى مع التسليم بوجود فرق كبير بين الاقطاع فى أوربا أيام العصور الوسطى ، وبين الاقطاع فى الدولة العثمانية • فهنا كانت الفوضى ضاربة اطنابها بصدد ملكية الارض : هل هى ملك السلطان ؟ أم ملك الزعامات المحلية من رؤساء العشائر والمذاهب فى الشام أو المماليك فى مصر؟ أم أنه من حق الدولة ان توزع هذه الاراضى على افراد ينتفعون بريعها دون ان يمتلكوها ملكية رقبة ، وهو نظام الالتزام المعروف • والذى يعنينا هنا هو ان المنتج الحقيقى أى الفلاح كان يتحمل عبئا مزدوجا من الضرائب فهناك نصيب الوسيط ، سواء أكان أميرا أم زعيم قبيلة أو مملوكا فى مصر وهناك نصيب الحكومة المركزية •

هذه الصورة السيئة للاستغلال المالى تؤدى بنا منطقيا الى طرح القضية الثالثة ، وهى مقارنة التحولات الاقتصادية والاجتماعية فى أوربا بذلك الجمود الذى استمر عليه نظام الانتاج



نابليون

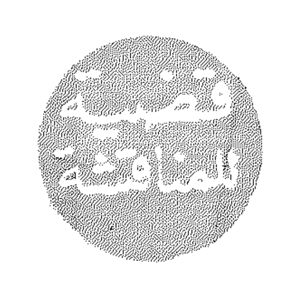
فى الدولة العثمانية فلم يسمح بنمو رأسمالية محلية تؤدى وظيفتها الاجتماعية والسياسية ، ومن المعروف أن النهضة الاوربية اقترنت بنمو الرأسمالية التجارية نتيجة الكشوف الجغرافية • وبفضل تعاظم شأن البرجوازية حدثت التغيرات الهامة فى مختلف المجالات : فى مجال الاقتصاد تكفلت الرأسمالية ببناء الصناعة الحديثة وفى مجال المجتمع أسقطت البرجوازيةالامتيازات الطبقية الموروثة •• وفى ميدان السياسة كافحت البرجوازية من أجل النظام الليبرالى، فقد كان هدفها فى الاصل الاقلال من تدخل الدولةفى نشاط الفرد اقتصاديا• ثم توسعت فى هذا المفهوم ليشمل عدم تدخل الدولة فى حرية الفرد السياسية • وهكذا نشأت الديمقراطية الغربية وترعرعت فى أوربا الغربية والولايات المتحدة فى ظل المجتمع الرأسمالى •

والذى يعنينا فى هذا الصدد هو انه لم يتح للاقطار العربية المرور بهذه المراحل التاريخية حينما بدأ احتكاكها بالحضارة الغربية ونتج عن ذلك اختلال فى التوازن وفراغ ملأه الاستعمار •

أما تجربة محمد على الفاتحة على الاقتباس من الغرب فقد أثبتت أنه بدون هذا التطور التاريخى الطبيعى أى الانتقال من مرحلة الاقطاع الى الرأسمالية تغدو الاصلاحات الزراعية والانشاءات الصناعية محدودة الاثر فلم يفد منها المجتمع المصرى الا قليلا• وقد فهمت الرأسمالية الاوربية المستنيرة أن نجاح صناعاتها لا يتأتى الا اذا توفرت قوة شرائية كبيرة ، ولهذا كان يهمها ان يعم الرخاء مختلف فئات الشعب ولكن اذا بقى سواد الشعب عاجزا عن شراء السلع الاستهلاكية ، فكيف تنهض الصناعة •

وخلاصة القول ان مصر سواء كانت بعيدة عن الحكم العثمانى أو خاضعة له ، فان النتيجة لا تختلف لان القضية اكبر من نمط التبعية السياسية ، ولان انفصال مصر عن الدولة العثمانية مبكرا لم يحل مشكلة التخلف •

القضية الرابعة تتعلق بالمتغيرات التى طرأت على المفهوم القومى • فالمؤرخ المدقق ينبغى عليه الا يطبق مقاييس العصر الذى يعيش فيه على الفترة التى يدرسها •



وانطلاقا من هذا المبدأ نقول ان العصر الذى حكم فيه العثمانيون البلاد العربية كان الناس يتميزون فيه بعضهم عن بعض بالانتماء الدينى ، ومن ثم لم يشعر المصريون بأن العثمانيين أجانب سيما وان الحكام السابقين من المماليك لم ينتموا هم أيضا الى صميم الاهالى فى البلاد ، غاية الامر ان المصريين شعروا بأن مقر الحكم قد انتقل من بلادهم الى مكان بعيد ، وتاثر البعض بهذا التحول مثل المؤرخ المصرى المعاصر ابن اياس الحنفى •

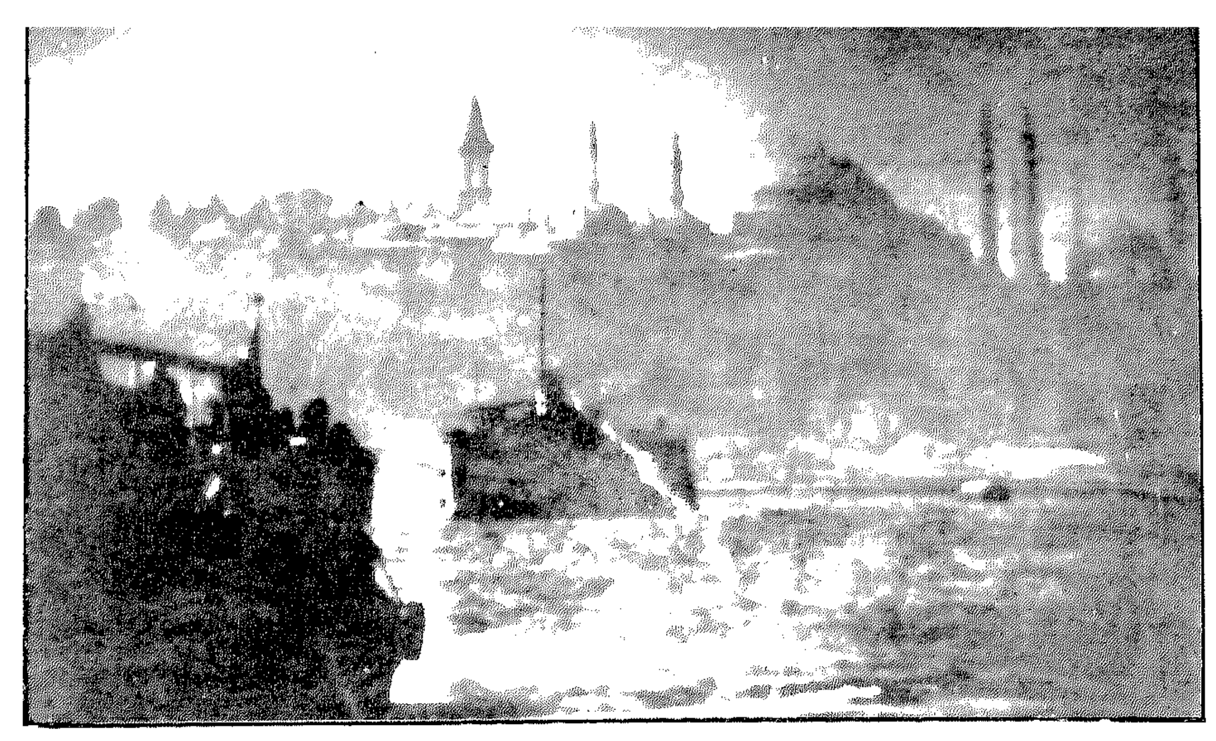
ومن ناحية أخرى لم يتعصب الاتراك العثمانيون لعنصرهم أو ثقافتهم فى هذه المرحلة فالسلطان الكبير سليمان القانونى فكر فى وقت ما أن يجعل اللغة العربية لغة رسمية للدولة • وان لم يكن قد فعل ذلك فان تعلم اللغة العربية كان يعتبر شرفا لكل من استطاع تحقيقه •

والادلة على ارتضاء الشعوب التى سكنت الشام والعراق ومصر بالانتماء الى دولة الخلافة كثيرة بحيث يضيق المقام عن سردها • ولعلنا نستطيع أن نذكر بحادثة واحدة مشهورة وقعت أيام الحملة الفرنسية • فقد ألح بونابرت على هيئة العلماء فى مصر أن تقبل تعيين قاضى قضاة جديد من بين أهل البلاد • فأبوا قائلين بأن قاضى القضاة لا يكتسب شرعية وظيفته الا اذا صدر بتعيينه فرمان من السلطان• ولم يستوعب المصريون النداءات التى وردت فى منشور الجنرال الفرنسى والتى حثهم فيها على الاهتمام باحياء الوطنية المصرية ، فالوقت لم يحن بعد لاستيعاب هذا المفهوم العصرى • ولم يكن الامر مختلفا بالنسبة للشام •

واذا كانت ولايات دمشق وصيدا قد تعرضت فى هذه الفترة لمنازعات طائفية عزاها المؤرخون خطأ الى الحكم العثمانى فيكفى ان نذكر بأن لبنان فى عهد الاستقلال قد عانى من المذابح الطائفية بشكل لم يسبق له مثيل ، لا فى العصر العثمانى أو العهد الاستعمارى الذى تلاه •

ولعل الحقبة الاخيرة من الحكم العثمانى فى الشام والتى تعود الى تولى جماعة الاتحاد والترقى السلطة فى أسطنبول سنة ١٩٠٨ هى التى خلفت فى أذهان الكتاب العرب تلك الصورة البغيضة للحكم التركى المتعصب للجنس وللغة الاجنبية المفروضة على البلاد ، ذلك ان الاتحاديين جاءوا من الغرب بالفكرة القومية التى تنهض على أساس الانتماء الى ثقافة معينة وجنس بعينه فأوجد هذا التعصب رد فعل مضاد عند الاهالى الناطقين بالعربية فى الشام والعراق• وهكذا روجوا لفكرة القومية العربية ، ومع ذلك فان الاجماع لم ينعقد حتى فى هذه الظروف على نبذ السلطة العثمانية ، واستنكر الرأى العام فى مصر أن يقوم الشريف حسين فى الحجاز (بتمرد) على العثمانيين وقت الحرب العالمية الاولى باسم الدعوة للقومية العربية •

ان من يريد ان يبحث عن اسباب تخلف المنطقة العربية ، عليه ان ينظر



استنبول وترى المآذن والعمارة الإسلامية الفريدة

الي الموضوع في اطار اشمل من تلك النظرة المحدودة بحقبة تاريخية ، فالقضية تنبثق من الاوضاع لعالمية التي شملت أوربا وآسيا وأفريقيا منذ القرن السادس عشر ، فبينما ساد التفكير العقلاني في أوربا ، استمر التفكير الغيبي مسيطرا على المنطقة العربية ، ولم يغير من هذا الأسلوب في التفكير العهد الاستعماري الذي لم يؤثر الا في بيئات محدودة ، وهو ما سمى بالنخبة ، وبقيت الجماهير العريضة بعيدة عن التحولات الهامة ، بل يمكن القول أن النخبة التى كان يعول عليها اقيادة الجماهير نحو التقدم فقدت جزءا كبيرا من فعاليتها تحت ضغط الانظمة العسكرية التى الت اليها معظم الاقطار العربية فى ظل الاستقلال .

● علم دراسة الآثار ●

● علم الآثار .. هو علم دراسة الأشياء القديمة ، وهذا العلم تطور الى درجة بحيث يستطيع الحكم على أى قطعة أثرية قديمة ، ويحدد تاريخها من خلال أشعة الليزر ، كما يسمح بتحديد ما اذا كان هذا العصر يقع فى فترة ماقبل التاريخ ، أو أنه يقع فى الفترة التى تمتد من العصر البرونزى ، حتى الاستيلاء على فرنسا القديمة عام ٥١ ق . م ، أو أن هذا العصر هو العصر الكلاسيكى (أى الفترة الجريكو رومانية) أو أنه من العصور الوسطى ، علما بأن أولى صفحات التاريخ تبدأ بالعصر الكلاسيكى .

بقلم : محمد سيد كيلانى

حمارة منيتى ..

ومعارك صحفية

محمد توفيق صاحب هذه المجلة تخرج من المدرسة الحربية ، وقد عين ضابطا بالجيش وظل به الى أن رقى الى رتبة يوزباشى . وكان ثائرا متمردا على الاوضاع التى وصلت اليها البلاد فى ظل الاحتلال . فأصدر وهو بالجيش نشرة كان يطبعها على البالوظة ويوزعها على زملائه ، وضمنها النكات الساخرة والفكاهات المضحكة فيجد فيها زملاؤه ما يخفف عنهم آلام الجو الخانق الذى يعيشون فيه .

لم تطب حياة الجندية لمحمد توفيق ، ولم يرض بالعيش فى السودان مع وجود المحتلين فترك الوظيفة غير اسف ، وعاد الى القاهرة ليعمل بالصحافة ، ويعلن حربا قلمية على الانجليز واعوانهم وعلى الخديو عباس وأفراد العائلة الخديوية ، وعلى الآفات الاجتماعية التى انتشرت فى حماية الامتيازات الأجنبية كالمخدرات والدعارة والميسر .

وكان محمد توفيق الشاعر الوحيد الذى مدح احمد عرابى حين عاد الى مصر ، وكان احمد شوقى قد هجاه بقصيدة مطلعها

صغار فى الذهاب وفى الاياب .
أهذا كل شأنك ياعرابى ؟

فرد عليه محمد توفيق بقصيدة جاء فيها :

إيابك سيدى خير الاياب ..
فأهلا مرحبا بك ياعرابى
تنظر إن رفعت بحصر طرفا ..
رجال الوقت من خير الصحاب
ومصر بالسرور تطيب نفسا ..
اذا ما قيل عاد لها عرابى

أصدر محمد توفيق مجلته الأسبوعية "حمارة منيتى" وهو اسم غريب ومضحك

قالت صحيفة المحروسة (١ ـ ١١ ـ ١٩١٦) "وهى المجلة الهزلية الشهيرة التى لاقت رواجا كبيرا ، وكانت أول صحيفة هزلية فى مصر بعد صحيفة الأرغول التى كان يصدرها الأستاذ النجار الزجال المشهور".

بعض مقالات المجلة محرر بأسلوب عربى سليم ، وبعضها الآخر كتب بأسلوب عامى دارج ، واحتوى احيانا على كلمات نابية . وكان ينظم قصائد بأسلوب عامى . وكثيرا ما طالب محمد توفيق بالغاء

مخصصات أمراء العائلة الخديوية وكانت تزيد على الثلاثمائة ألف جنيه فى السنة وهو مبلغ ضخم اذا قيس بقيمة العملة فى تلك الأيام . جاء فى مقال نشر بتاريخ (٤ - ٥ - ١٩٠٠) "هذا وقد يتساءل الناس ايضا عن الفائدة التى يجنيها الشعب المصرى من أعضاء العائلة الخديوية حتى يصرف اليهم فوق الثلاثمائة ألف جنيه فى السنة الواحدة ، ينفقونها فى متنزهات باريز وجبال سويسرا ومجتمعات لندره فى الصيف ، وفى البوديجا ودراكتوس فى الشتاء ؟ ولم لاتنفق الحكومة هذه الأموال على تخفيف الضرائب ومساعدة الفقراء ، وتدع هؤلاء الشبان يسعون كما نسعى نحن وغيرنا من كل عاقل فى تحصيل أرزاقهم بالكد والاجتهاد الزائد ؟"

وبعد استرداد السودان ازدادت قدم الاحتلال رسوخا فى مصر ، وزاد صلف المعتمد البريطانى لورد كرومر فمال عباس الى سياسة المسالمة ، ولم يصادف هذا قبولا لدى العناصر الوطنية . وقد أراد الخديوى أن يقدم دليلا على رغبته فى الحفاظ على علاقة طيبة مع الانجليز ، فشد رحاله إلى لندن . فكتب محمد توفيق معبرا عن سخطه على الخديو (٢٣ - ٤ - ١٩٠٥) «**سيسافر الجناب العالى الى بلاد الانجليز فى هذين اليومين بعد أن كانت أنواره محجوبة عنهم وعن جلالة ملكتهم بحكم الوطنية ، والوطنية - كما تعلمون - لها مع الانسان دورتان : دورة نارية ودورة ترابية . ومتى كانت وطنية المرء فى دورتها الترابية ترونه يفعل مالا يفعله وهى فى دورتها النارية . واليكم الفرق بين هذه وتلك . إنكم تعلمون ما كان يفعله سموه فى الأمس من التباغض والتناقر مع هؤلاء الانجليز ، وما يفعله اليوم معهم من التبجيل والتعزيز ، وكل ذلك لا يحط من منزلة سموه التى بلغت أرفع شأن فى قلوب المصريين . والمصريون لايزالون متعشمين فى وجهه خيرا . أما نحن فلا نتعشم فى هذا الخير الا اذا عدل سموه عن زيارة بلاد الغير**"



أحمد عرابى — قاسم امين — الشيخ محمد عبده

حمارة منيتي ..

وهو ساخط على ما تتكلفه الحكومة المصرية من نفقات سفر الخديو . ففى مقال له بتاريخ (٢٥ ـ ٥ ـ ١٩٠٠) مانصه "طلبت المعية السنية ٨٠٠ طن من الفحم الحجرى ليخت المحروسة الذى سيقل الجناب الأكرم الى لوندره . ومعلوم أن ثمن الطن الواحد يزيد على الثلاثة جنيهات ، فيكون مجموع ما تأكله النار وحدها فى هذا السفر السعيد ٢٥٠٠ جـ . م فلا حول ولاقوة ..."

● هجوم على محمد عبده ●

كان الأمير حسين كامل يتنظر على وقف قدره خمسمائة فدان ، فاستخدم عباس نفوذه واستصدر حكما من محكمة مصر الشرعية بأن تنقل نظارة الوقف الى ارشد افراد الأسرة ، أى الى الخديو ، فتوجه حسين كامل الى كرومر وشكاله مما فعله عباس . وكان رئيس المحكمة الشرعية تركيا معينا من قبل الخليفة العثمانى ، فلا يمكن عزله . ولكن كرومر حاول ان يغير من تشكيل هيئة هذه المحكمة بأن يضيف اليها قاضيين مدنيين منتدبين من محكمة الاستئناف الأهلية ، لأن محكمة مصر الشرعية كانت تأتمر بأمر الخديو . وكان من الطبيعى ان يعارض عباس فى ذلك معارضة شديدة . وفى هذا الموضوع كان الحق مع لورد كرومر ، مؤيدا من الشيخ محمد عبده . فنشأت عداوة عنيفه بين الشيخ الامام وقصر القبة . فى هذه الخصومة وقف محمد توفيق الى جانب الخديو ، ونشر فى مجلته صورة زائفة للشيخ مع نساء عاريات . فقد أحضر صورة منفردة للشيخ ووضع الى جوارها صورة لنساء فى ملابس البحر . وحملوا الصورة الى كرومر محاولين اقناعه بأن محمد عبده لاقيمه له ولا لكلامه عند المسلمين وقالوا عنه إنه زنديق .

فرفع الشيخ محمد عبده دعوى ضد صاحب المجلة ورئيس تحريرها عبد الرحمن الهندى المتمتع بالحماية البريطانية . وقد نظم ابراهيم اللقانى المحامى قصيدة جاء فيها :

مكيدة لفقوها .. بصورة مستعاره
ودبروها وكانوا .. بقبة الاستشاره
ولطخوا بعد هذا .. بالطين وجه الحماره

يعنى بقبة الاستشارة قصر القبة . وقد حكم على محمد توفيق بالحبس ثلاثة أشهر ، وعلى عبدالرحمن الهندى بالحبس شهرا ، وتقديم ضمانة من اثنين على مائة جنيه واذا عاد بعد خروجه من السجن الى خطته السابقة أو تعرض بالطعن لأحد أو تعذر عليه وجود الضمانة ، نفى من البلاد المصرية . وقد جاء فى حيثيات الحكم ان محكمة القنصلية تنظر فى هذه الدعوى نظرا ملؤه الاهتمام لعلاقتها برجل صاحب مكانة فى القطر المصرى ، وهو الأستاذ

الشيخ محمد عبده ، وهى ترغب أن يكون هذا الحكم رادعا لأمثال هذا البذىء"

معارضة قاسم أمين

وكان محمد توفيق معارضا لقاسم أمين فى دعوته الى تحرير المرأة . قال من قصيدة :

فدع التفرنج للفرنج وكن كما ..
كان الجدود وإن عدلت فتندم
هذى حمارة منيتى جاءت على ..
قدم الهدى لتريك مالم تعلم
فاقبل نصيحتها وطاوع أمرها ..
واسحب كتابك والقه بجهنم
ان الفجور بهن زاد تفاقما ..
من قبل قولك فارتجع وتحشم .

بعد أن خرج من السجن أصدر مجلة باسم "تقويم منيتى" فصادرتها الحكومة لاعتبارها هى نفس "حمارة منيتى" الملغاة ، فأصدر مجلة "الأرنب" ثم قامت الحرب العالمية الأولى وفرضت الرقابة على المطبوعات فترك العمل الصحفى وفتح مقهى بحى السيدة زينب كان منتدى للادباء والظرفاء . وأخيرا مات فى أواخر اكتوبر ١٩١٦ .

كان محمد توفيق يخصص قسما من مجلته يكتبه باللغة العامية . فمن ذلك ما كتبه منتقدا أحوال خطباء المساجد فى يوم الجمعة وهو :

"فيا حضرات خطباء المساجد وخصوصا بتوع صلاة الجمعة . قولوا لى بالله عليكم : ما الفائدة ملخطبة الطويلة العريضة دللى بتقروها علينا نهار الجمعة مع أننا ما بنفهمشى منها حاجة غير الموت ويوم المحشر وللى ماهواش محشر وابصر ايه وإيه إيه للأصناف ودللى كل واحد حافضها فضلا عن كون اللى بتقولوه النهارده بترجعوا تعيدوه بكره زى اللى ما حيلتكوش كلام غير ده تقولوه . فإذا كان الغرض منها كون الناس تعرف الحاجات دى فنقدر نقراها فى المصحف ولا الحوجه لواحد جاهل ما يعرفش طظ من عاشور يقعد يفكرنا بالموت ويهبط عزايمنا بخطبته وللى نهار ما يتشاطر ويصححها نبص تلاقى فيها كل غلطة قد مديرية طنطا

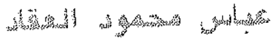
واذا كان الغرض منها قولة "أموالهم وأغنامهم وقططهم وكلابهم غنيمة للمسلمين فلا ربنا بيقبل ولا المسلمين فالحين ، لأنهم ايه الطريقة اللى حتوصلهم للأملاد ى كلها بقا مادام حضرة الخطيب بتاعهم عمال يوجع فى بطنهم أول بأول فى الموت وللى ماهواش موت مع علمه ان الكلام ده يكسر القلب ويمنع الواحد من كونه يشوف شىء أو يشتغل فى شىء غير كونه يقعد يفتكر فى الأصناف اللى زى دى ؟ معناها فاهمين على أن الأموال دى حتبقى للمسلمين بالجهجهون كده من نفسها من غير ما يشتغلوا من غير ما يتعبوا ، من غير حاجة بمجرد ما الشيخ مايكون قال الكلمتين دول ؟ طب وللى عاوز إن المسلمين يكون فى يدهم كل شىء يقوم يقرالهم فى الموت ويربى لهم الرعشة واللايوريهم الطريقة اللى توصلهم لكده"

استمر عباس فى حقده على الشيخ محمد عبده . ولما توفى الشيخ لم يجرؤ أحمد شوقى على رثائه فى حين أنه رثى من هم أقل منه شأنا وأدنى مقاما .



عبد الرحمن الرافعي





عباس محمود العقاد

زعماء مصر بين العقاد وعبد الرحمن الرافعي

بقلم : د . محمد رجب البيومي

كتب الاستاذ عبد الرحمن الرافعي تاريخ مصر الحديثة في مجلدات حافلة ، وجدت طريقها الى القراء في يسر وترحيب ، وقد ذكر المؤرخ الكبير انه لقى عناء شديدا فى تاليف هذه الموسوعة وفى طبعها، اما من حيث التأليف فقد قدر عليه ان يكتب تاريخ الاسرة الحاكمة وهي لا تزال صاحبة الامر والنهي ، وضميره العلمي لا يسمح له ان يتنازل عن تدوين الاخطاء ، فكان ذا شجاعة حاسمة في مواجهة المؤنف الدقيق ، ولم يكن كغيره ممن ملأوا جيوبهم وخسروا انفسهم،

واما من حيث الطباعة فقد ظل المؤرخ اكثر من عشرة اعوام يـقوم بالنفقات من ربحه المهني مضحيا محتسبا ، حتى اذن الله ، والتفتت مكتبة النهضة الى مكافاته فازاحت عن كاهله ما يرهقه ، وانتشرت الطبعات المتعددة لاجزائه المتتالية فكانت دليلا حاسما على مثوبة الجهاد وعاقبة الصبر ، ونحن نعلم ان الرافعي أراد بادىء ذى بدء ان يكتب تاريخ الزعيم الوطني مصطفى كامل، فبحث في الاصول الهامة لتاريخ صاحب اللواء فوجد حركته القومية تمتد بجذورها البعيدة الى عهد الحملة الفرنسية ، التى تعد المحاولة الاوربية الاولى لاحتلال مصر فلابد من متابعة هذه الجذور في نموها الطبيعي بدءا من غزوة نابليون ومرورا بمحمد على وخلفائه حتى ياتى زمان مصطفى كامل ، والرحلة شاقة عسيرة ، فلابد من التضحية بالجهد والوقت والمال حتى يصل صاحبها الى ما يبتغيه ، وقد انفرجت المساحة بعد مصطفى كامل الى حيث توالت جهود محمد فريد وزعماء الثورة المصرية وما اعقبها حتى مفتتح ثورة يوليو ، وكتب الرافعي ذائعة لامعة وليس من همنا الان ان نتحدث عن منهجها العلمي، ولكننا نمهد بما قدمناه ، لحديثنا عن وجهات النظر المختلفة احيانا ، والمتفقة حينا بين عبد الرحمن الرافعي وعباس العقاد .

والحق ان الوقوف المتئد امام مؤرخ مصطفى كامل ومؤرخ سعد زغلول مما يفسح مجال النظر الشامل للجوانب المتعددة ذات الوجوه المختلفة ، وهو فى الوقت نفسه يكشف عن طبيعة مستترة فى خلق العقاد قد تخفى على بعض دارسيه ، فقد عرف عن العقاد عنف المناظرة ، وسطوة الصيال ، حتى حسب هذا العنف خلة ذاتية لديه لا محيص عنها ، والحق أن العقاد لا يلجأ الى العنف الا حين يلمس من معارضه شططا والتواء ، فهو حينئذ يرمى بالقفاز فى وجهه ليصارعه فى ميدان النقاش صراع الاسد الجموح ، أما حين يأنس فى معارضة نزاهة القصد ، وخلوص السريرة ، واستقامة الراى فهو حينئذ يبادله الحجة فى هدوء ، ويخالفه فى سماح رحب ، بل ربما التمس له من العذر ما يقيم له وجه السداد فيما انتحاه ، ونحن نعلم مكانة سعد لدى العقاد ، ونعرف أن الرافعى قد نال من سعد بما لا يطيق ان يصبر عليه العقاد ـ كما سنلم بذلك عن قريب ـ وكان المظنون بالعقاد أن يرتفع صوته بالضجيج صاخبا ، ولكنه عرف خلوص النية لدى الرافعى ، فناقشه بالتى هى أحسن ، وقرأ الرافعى

ما كتبه صاحبه ، وآثر الصمت بعد أن كتب ربما طواه ، وحفظته أوراقه الخاصة في مكتبته ، ولعله عرف أن النشر من جانبه سيعقب الرد السريع والعقاد هو العقاد فالصمت أولى وليس معنى هذا أنه توقع الشطط من مناظره ، فقد عرف عنه الاعتدال معا في النقاش ، ولكنه أخذ بالحزم دون العزم •

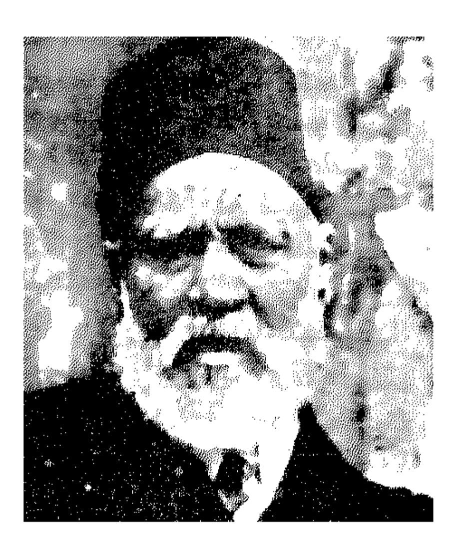
● مصطفى كامل ●

ونبدأ بالحديث عن مصطفى كامل فنذكر ان الرافعي كتب عنه مؤلفا رائعا كان انشودة حب ، ونفحة وفاء ، لان عبد الرحمن طالب مدرسة الحقوق قد اتصل بالزعيم الشاب ، وظفر بتشجيعه، ونسح له مكانا طيبا بجريدة اللواء ولن يعيب كتابه ان يصرح بمآثر مصطفى ، فلابد لمن يكتب الترجمة التاريخية أن يتغلغل الى مراقي صاحبها ، كما أن تعاطفه معه أدعى الى تفهم بواعثه ، واستشفاف مراميه ولن يصبح مصدر خطر على الحقائق الا عند من تدفعهم العاطفة الجامحة الى تناسي الحقائق ، وتلفيق الاوهام وما هكذا كان الرافعي •

وقد استقبل العقاد كتاب الرافعي عن مصطفى كامل استقبالا رصينا امينا من وجهة نظره ، فبدأ حديثه بتقدير المؤلف الكبير فهو في رأيه جدير ان يسمى بحق مؤرخ النهضة القومية الحديثة اذ تبعها في أدوارها المتتالية ، ونهجه في كتابه عن الزعيم شبيه بنهجه في الكتب السابقة من حيث الطريقة والوجهة فهو يتتبع الحقائق ، ويستقصي ما احتاج اليه من الاسانيد وينصف في الحكم على الرجال والحوادث مع ميل يسير الى تخفيف التبعات ، أو تجميل المحاسن في بعض الجوانب ، وسهولة في التعليل والتعليق لا تثقل على ذهن القارىء ، ولا تكتفي مع ذلك بالظواهر دون ما يلازمها من الاسباب والعواقب

وهذا الكلام من العقاد يدل على انصاف معتدل فالناقد الكبير حين يقرر ان الرافعي متتبع مستقص منصف لا يترك منفذا للوم ، كما انه حين قال ان الرافعي ذو سهولة في التعليل والتعليق لا تثقل على ذهن القارىء ، ولا تكتفي مع ذلك بالظواهر دون البواعث قد صدم من حاولوا أن يجعلوا من كتب الرافعي مجرد احداث جمعت من الصحف والوثائق ، لحاجة في نفوسهم لان العقاد أدرى منهم بالحكم حين يرى غير ما لا يرون ، وهو يعرف مناخ كل مؤرخ ومواضع ارتفاعه وانحداره ، وليس ذا تعسف مريض •

ولكنه قرر في وضوح أن المؤرخ لم يتحدث عن موقف مصطفى كامل من الخلافة العثمانية ، اذ كان الزعيم الشاب – وقد وصفه العقاد بانه زعيم الوطنية في عهده – من أنصار السيادة التركية ، مع الاستقلال الداخلي لمصر ، وقد كان الانصاف التاريخي يقضي ببيان هذه الحقيقة ولا يمنع المؤرخ أن يفصل أعذار المعتصمين بالسيادة العثمانية في ذلك الحين ، بل يوجب عليه ان يذكر هذه الاعذار وان يذكر معها صواب المخالفين ، ولكن الرافعي قد اغفل الموضوع كل الاغفال ، ولو تحدث عنه لاقر الحقائق في نصابها ، وأتاح للقارىء ان يلم بمعاني الحركة الوطنية



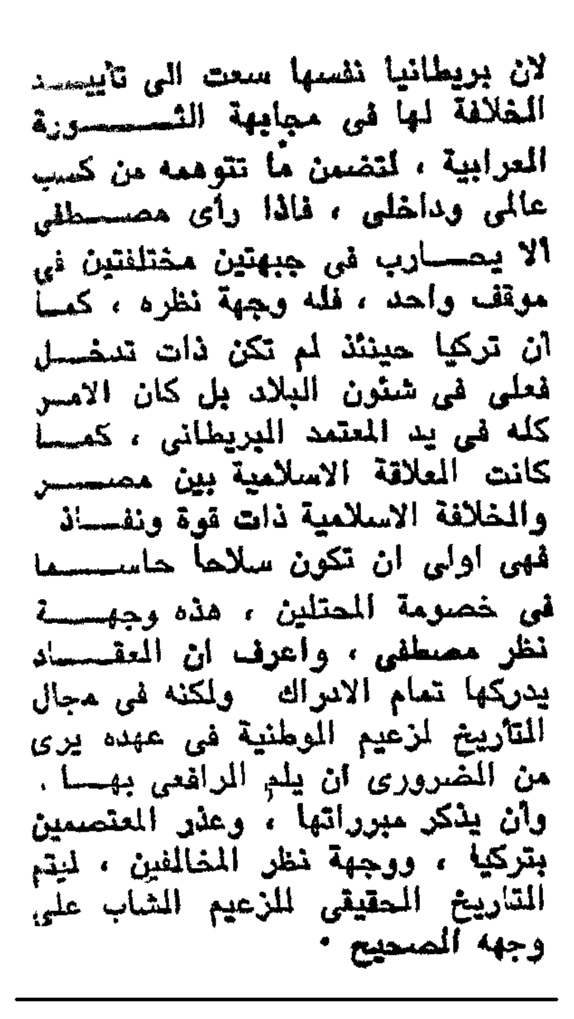
احمد عرابى



مصطفى كامل

من جميع نواحيها ، وان يستخرج العبرة المقصودة بالتاريخ من صواب او خطأ لكل فريق ، وما من فريق واحد ، لديه كل الخطأ والصواب ».

هذا ما قاله العقاد ، وحين نقرر من ناحية ثانية أن مصطفى كامل يحارب انجلترا ، ويراها العدو الاول لمصر ، مستندا الى معاهدة سنة ١٨٤٠ التى قررت حق الخديوى المثل للسيادة المصرية فى نطاق السيادة العثمانية ، وهو بذلك يريد أن يضمن تأييد الخلافة له فى مواجهة بريطانيا،



لان بريطانيا نفسها سعت الى تأييد الخلافة لها فى مجابهة الثورة العرابية ، لتضمن ما تتوهمه من كسب عالمى وداخلى ، فاذا رأى مصطفى الا يحارب فى جبهتين مختلفتين فى موقف واحد ، فله وجهة نظره ، كما أن تركيا حينئذ لم تكن ذات تدخل فعلى فى شئون البلاد بل كان الامر كله فى يد المعتمد البريطانى ، كما كانت العلاقة الاسلامية بين مصر والخلافة الاسلامية ذات قوة ونفاذ فهى اولى ان تكون سلاحا حاسما فى خصومة المحتلين ، هذه وجهة نظر مصطفى ، واعرف ان العقاد يدركها تمام الادراك ولكنه فى مجال التاريخ لزعيم الوطنية فى عهده يرى من الضرورى ان يلم الرافعى بها ، وأن يذكر مبرراتها ، وعذر المتعصبين بتركيا ، ووجهة نظر المخالفين ، ليتم التاريخ الحقيقى للزعيم الشاب على وجهه الصحيح .

● سعد زغلول ●

كان الرافعى أحد اقطاب الحزب الوطنى ، وللحزب نظرته السياسية لمن يخالفه فى الاتجاه ، ولم يكن سعد زغلول فى اكثر أحواله موضع الرضا من زعامة الحزب أيام مصطفى كامل ومحمد فريد ومن تلاهما ، وقد رحب اللواء بسعد زغلول حين تولى وزارة المعارف ، ولكن سياسته المعتدلة كانت موضع نقد لدى المتشددين ، وفى مجال التاريخ السياسى لمصطفى كامل تعرض الرافعى لسعد ليحصى عليه أشياء ، يراها العقاد بعيدة عن الصواب ، والرافعى ليس وحده لصاحب هذه النقدات ، ولكن نفرا من خصوم سعد دأبوا على نقده قبل زعامته للثورة وبعدها ، وليس

سعد العظيم فوق النقد فهو سياسى ماهر ، يخطىء ويصيب ، واذا كانت عين الرضا عن كل نقد كليلة فان عين المراقبة ولا اقول عين السخط قد دفعت الرافعى الى تسجيل وجهة نظره فى سعد حين كان ناظرا للمعارف أيام مصطفى ، وحين تزعم الثورة المصرية فى عهده الاخير .

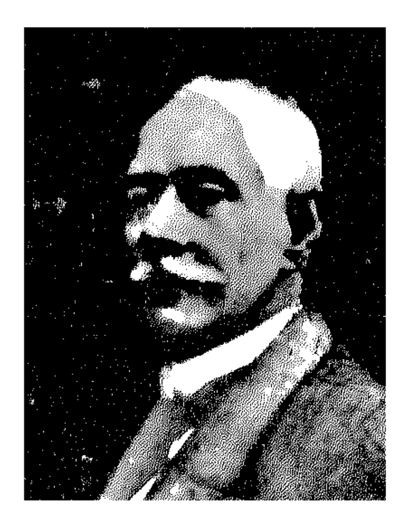
ففى عهد نظارته للمعارف اخذ عليه الرافعى فى كتابه عن مصطفى كامل أنه انسحب من رئاسة الجامعة المصرية تحقيقا لرغبة الاحتلال كى يحبط المشروع ، كما انه دافع عن سياسة الاحتلال فى التعليم حين احل اللغة الانجليزية محل اللغة العربية فى التدريس بالمدارس الاميرية .

وفى عهد زعامته للثورة المصرية ذكر الرافعى فى تاريخها ان سعدا لم يكن الحافز الدافع لها ، وانه لم يطلب الاستقلال التام فى أول الامر ، وهذه المآخذ لم تجد ارتياح العقاد فهب لتفنيدها ، وقد تحدث اكثر من مرة عن خطأ الرافعى فيما حاوله من انتقاص سعد ، وكان مقاله الصادر بجريدة الاساس ٢٨ ـ ١٢ ـ ٥١ من اجمع ما دار حول هذا النطاق ، وقد جاء بجريدة الجمهورية الصادرة فى ١٣ ـ ٢ ـ ١٩٨٦ أن الرافعى رحمه الله كتب ردا على مقال العقاد ، وجد فى مسوداته ، وقد كتب عليه « لاداعى لنشره ، واذا لم يجد الداعى للنشر فلماذا كتبه اذن ؟! لعله حذر صيال العقاد ، وهو فى هذه الناحية ذو منطق وبرهان .

يذكر العقاد بصدد النقد الاول ان ولاية سعد لوزارة المعارف لم تكن اجحافا بالجامعة بل كانت خدمة لها من الوجهة المادية والادبية ، لانه فتح لها فى الميزانية اعتمادا بعشرة الاف جنيه ، وهو مبلغ ذو قيمة انذاك ، ولولا هذه الخدمة المادية ما استقام للجامعة وجود .

اما الخدمة الادبية فهى اعتراف الحكومة بشهادات الجامعة والاهلية ولولا هذا الاعتراف لانصرف الطلاب عنها واصبح شأنها كشأن أندية المحاضرات ، واذا كان سعد قد انتقد نظام الجامعة فهو انتقاد الغيور عليها ، والحرص على كمالها ، اذ

سعد زغلول



محمد فريد



كان يريدها معهدا للمتخصصين الذين يبتكرون ولا يقلدون ٠

أما ان سعدا قد اعترض التعليم باللغة العربية فهو زعم لا أصل له لان سعدا هو الذى أوفد عشرات الطلاب الى اوربا ليعودوا الى مدارس مصر فيعلموا التلاميذ باللغة العربية ، والذى يقول ان نقل التعليم من لغة الى لغة لا يتم فى يوم واحد لا يحارب لغة بلاده ولكنه ينتظر من يستطيع التأليف باللغة العربية والتدريس بها قبل تقرير التعليم باللغة العربية ، وما نظن خبيرا يمترى فى ذلك !

أما النقد الخاص بموقف سعد من الثورة فقد عجب له العقاد ، لان فضل سعد فى ثورة ١٩١٩ لاينكره أحد بدليل معقول ، لان الامة بغير زعيمها لا تعرف كيف تتحرك ، بل انها تحار وتضطرب ما لم تتفق على زعيم يملؤها بالثقة والرجاء ، وتشعر بقيادته شعور اليقين والايمان ، وقد كان سعد هو الزعيم المنقذ ، وقد عرفت الامة المصرية ذلك فى أعماق وجدانها فكان اسم سعد على كل لسان وملء كل ضمير ٠

● احمد عرابى ●

كان مصطفى كامل قاسيا اشد القسوة حين هاجم أحمد عرابى ودمغة بالخيانة على صفحات اللواء ، ولم يكن من المنتظر ان يصدر هذا العنف الظالم من زعيم مخلص يعرف اقدار المجاهدين ، ولنفرض ان احمد عرابى قد تورط فى مدح الانجليز بعد رجوعه شيخا محطما مكدورا من منفاه ، وان الزعيم الشاب قد استاء من هذا المدح ، انما كان الاجدر به ان يتعمق البواعث النفسية التى دفعت الرجل الاعزل المضطهد الى محاولة العيش فى سلام بعد أن ذاق بلاء النفى والتشريد والمرض والشيخوخة ! واذ كان عرابى خائنا فى منطق مصطفى كامل ايكون وطنيا فى منطق الاحتلال مهما يكن من شىء فان عبد الرحمن الرافعى لم يخلص من تاثير مصطفى كامل حين تحدث عن الثورة العرابية فأخذ يبحث عن المساوىء بحث المتتبع الحريص ، وقد تكون مساوىء فى رأيه فحسب ، وقارىء ما كتبه عن احمد عرابى بالذات يلمس ما يشبه التناقض، فالرافعى فى حديثه عن مقدمات الثورة واسبابها يقول عن زعيمها الباسل انه كان فى مقدمة هذه الاسباب فهو الذى بث فى نفوس الضباط روح التضامن والاتحاد للمطالبة بحقوقهم المهضومة ، وتقدم الصفوف لعرض مطالبهم جهارا على ولاة الامور ، وكانت هذه المطالب فاتحة الثورة ، فهذه الجراة كان لها أثر كبير فى ظهور الثورة ولو لم يظهر عرابى ، ولو لم تكن له تلك الشخصية التى اجتذبت اليه صفوف الضباط، وثبت فيهم روح التضامن والاقدام لكان محتملا الا تظهر الثورة العرابية أو لظهرت فى زمان آخر ٠

فاذا انتقلنا الى ما كتبه الرافعى تحت عنوان لماذا اخفقت الثورة العرابية فاننا نجده يقول ، ولو كان على رأس الثورة قائد « كفء » لتغير مصير الوقائع الحربية بها ، ولكنها مع الاسف لم توفق الى قواد اكفاء ٠٠ ثم ينعى على الزعماء قلة البطولة والتضحية فعرابى ذاته لم يشترك فى المواقع الحربية ثم سلم نفسه للانجليز،



وكان مع زملائه قدوة سيئة فى الخضوع والاستسلام والضعف النفسى .. الى اخر ما ينحو هذا المنحى .

وقد تحدث العقاد عن الثورة العرابية فى كتابه (١١ يوليو وضرب الاسكندرية) فانصف عرابى واشاد ببطولة ، وقال ان الجيش المصرى لعهده لم يوجد به من هو اقدر منه ولا احق منه بعرض مطالبة والدفاع عنها ، وقد استمر يقاوم فى ميدان الدفاع بما عنده من وسائل المقاومة الى ما بعد ضرب الاسكندرية ، ولم يكن نجاحه فى صد الجيش الانجليزى ميئوسا منه ، بل كان نقيض ذلك أملا راجحا ، لولا الاوامر التى صدرت بمساعدة الجيش الانجليزى ، ولولا خيانة المأجورين على هداية ذلك الجيش فى دروب الصحراء ، ولولا اعلان السلطان عصيان عرابى بالمناح من الانجليز ، فمن شاء أن يلوم عرابى فليلمه لانه طلب الاصلاح وتعرض للانتقام ، أو فليلمه لانه رفض الدسائس والذرائع المختلفة من الدول الاجنبية وليقم الدليل القاطع على ان الخير فى ذلك الملام » .

هذا قول العقاد فى عرابى ! ولم يسعه فى مجال الرد على الرافعى ولكنه فى موضع اخر لم يغفل مواجهة الرافعى معارضا منحاه فى الحديث عن الثورة العرابية حين ذكر فى مقاله بجريدة الاساس أن المؤرخ الذى يعلم عواقب الحوادث بعد زمانها يجب ان يذكر أن المشتركين فيها لم يعلموها ولا يجوز لنا ان نطالبهم بعلم الغيب أو السيطرة على منافذ القضاء ، وليس للمؤرخ الذى يعيش فى القرن العشرين فضل فى القرن التاسع عشر ، فانه عاش مع أبناء القرن التاسع عشر لصنع كما صنعوا ، وتوقع الحوادث كما توقعوا !

● محمد فريد ●

جهاد الزعيم محمد فريد كان موضع الدهشة البالغة لدى كل دارس ، لان المجاهد الشهيد قد ارتفع بفدائيته الى مستوى القداسة ، وهنا نجد الرافعى والعقاد معا لا يختلفان فى تقدير قداسته الرفيعة ، واذا صار الرجل قديس الوطنية لديهما فان كل ما يقال عنه يتضاءل فى تسجيله اذا قيس بحقيقة واقعه ، وقد أصدر الرافعى مجلدا حافلا ينطق بأمجاد هذا الصابر المحتسب، الفدائى المضحى بالنفس والجاه والمال والصحة والاسرة فى سبيل مصر ، كما رثاه العقاد بقصيدتين أولاهما تعد من اعظم ماجاء فى دواوين العقاد من شعر ، بل من أعظم ما نضح به فكر العقاد شعرا ونثرا ، وقد رحب العقاد بكتاب الرافعى عن محمد فريد ، وخصه بافتتاحية فى صدر مجلة الرسالة .

وهكذا اتفق الرافعى والعقاد كل الاتفاق فى تقديرهما لفريد ، واختلفا فى تقدير غيره ، ولن تطلب الحقيقة من كاتب واحد ، ولا من كتاب واحد ، ولكنها تطلب بعد الاطلاع الشامل ، والموازنة البصيرة بين الاراء المتقابلة ، والتنزه عن الهوى ، ثم لا مانع من الاختلاف بعد ذلك كله ، فلو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين .

أقوال معاصرة

● « قوة الشعب اقوى من قوة النيران »

الجنرال « فيديل راموس »
رئيس اركان حرب الجيش الفيلبينى

● « ان الاوان للنظام ان يقرر الامر فورا باعدامى أو اطلاق سراحى »

من بيان « أكينو » المعد من قبل اغتياله فى مطار مانيلا (١٩٨٣/٨/٢١)



اولف بالم

● « لم استطع التزام الصمت ازاء ما جرى لفيتنام ورفضت الضغط كى اصمت »

اولف بالمى رئيس وزراء السويد الذى اغتيل فىاستكهولم (١٩٨٦/٢/٢٨)

● « لا تستطيع ان تنزع السلاح فى الارض وانت تسلم السماوات »

اناتولى دوبرينين سفير الاتحاد السوفييتى فى واشنطن



جورباتشوف

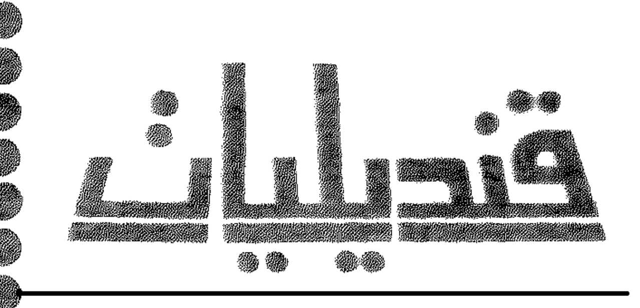
● « الوضع يتطلب التغيير ، ومع ذلك سادت حالة نفسية شاذة .. هى كيف نصلح الامور بدون تغيير اى شىء »

جورباتشوف امين عام الحزب الشيوعى السوفييتى

● « ان يوما ينقضى من دون الخروج بفكرة جديدة يشبه يوما لم تشرق فيه شمس »

ارثر فيشر مخترع لعب امريكى





بقلم : يحى حقى

... لا أقول.. ما أشبه الليلة بالبارحة

الإدراك بالفطرة والتلقين لحقيقة معنى الفن « فى كافة مجالاته ومنها الأدب طبعا » والمعاناة الذاتية وتجربة الآخرين وشهادة الواقع ، كل هذا يؤكد لى أن الفنان هيهات له أن يبدع إلا إذا تمتع بحريته كاملة دون أى ضغط ، فليست علاقة الفنان هى بالمجتمع وحده ، بل بعالم الرؤى والاحلام ، وعشق الجمال ، ولكننا فى الستينات واجهنا مغالطة وفدت علينا مع أمواج مذهب سياسى تتمثل فى قولنا :

« الفن » للمجتمع وقمنا بشن حملة على الذين يزعمون ويتمسكون بأن هناك فنا لوجه الفن وحده ، هى مغالطة لأن الفنان لا يعيش وحده أو فى فراغ ، فهو مرتبط بمجتمعه وهو متوجه إليه فى كل ما يبدعه ، وغرضه الأول أن يستعين بالفن لكى ينقل الانسان من مرتبة حيوان يأكل ويشرب الى مرتبة بنى آدم له أشواق روحية واهتمامات كونية ، رقيق الحس ، وأقول بنى آدم بهدى من القرآن الكريم ، فانظر إليه حين طلب منا ان نتزين عند كل مسجد ، لم يقل يا أيها الناس أو يا أيها المسلمون أو يا أيها المؤمنون بل قال يا بنى آدم ..

اشتدت الحملة على أصحاب هذا المذهب ، بلغت حد الارهاب بل بلغت حد الاتهام بخيانة الوطن ، وكثرت لدينا قصص هى فى صميمها مقالات سياسية واهتمامات مقصورة على طبقة دون بقية الطبقات ، وغاب عنا طيف الفن .. والغريب أننا كنا نرى رأى العين آثار هذه المغالطة فى البلد الذى اعتنق لهذا المذهب ، وجدت نعم الغذاء الروحى فى إبداع تولستوى ، ودستوفسكى وترجنيف وجوجول وبشكين وفشيكوف ثم بعد الانقلاب السياسى تحول أدب هذا البلد الى دعاية سياسية فوليته

ظهرى ، ولم أعد إليه الا مع «باسترناك ، وسولسجستين » ثم تراجع هذا الارهاب لحسن الحظ وعاد أغلب المبدعين عندنا إلى احترام رسالة الفن الأولى .

واليوم بدأت أخشى رغما منى على أن تمتد هذه الضلالة إلى ميدان العلم ، وأقول ما أشبه الليلة بالبارحة ، فانى أشهد الآن إلحاحا يكاد يبلغ حد الإرهاب على علمائنا بأن تكون أبحاثهم مقصورة على خدمة المجتمع مع أن الإدراك السليم لمعنى العلم ، يؤكد لى ان العالم هيهات له هو أيضا أن يبدع إلا إذا تمتع بحريته كاملة ، يجب أن نتركه لاستعداده الذاتى وقدرته على البحث والتجربة والحدس فللعلم مفاجأته تقع فى يد الباحث على غير انتظار منه بل قد تأتى من قبيل الصدفة ، وقد ينشغل عالم بدراسة ميكروب فى معدة ضفدعة فإذا بأبحاثه تؤدى الى اكتشاف وسيلة للقضاء على القواقع فى ترع ريفنا وهى موطن البلهارسيا .

ينبغى ان نثق بعلمائنا وبصدق حبهم لوطنهم ورغبتهم فى خدمته وحل مشاكله وبتركهم يعملون فى حرية تامة دون إلحاح عليهم أو تخويفهم أو استعجالهم أو أتهامهم بأنهم يخونون بلدهم اذا لم يخضعوا لهذا الإلحاح . وسبب خوفى هو هذا الخبر الذى قرأته فى الصحف أخيرا تحت عنوان « الارتقاء العلمى شروط التعيين بمركز البحوث » تقرر تعديل أسس تقييم الانتاج العلمى لأعضاء هيئة البحوث المرشحين للتعيين فى وظائف الاساتذة الباحثين والباحثين المساعدين بالمركز .

تضمنت أسس التقييم الجديدة أن يدخل فى تقييم الانتاج العلمى للمتقدمين للتعيين ما حققته أبحاثهم من نتائج وانجازات تخدم الارتقاء التكنولوجى لمصر وتفيد الاقتصاد القومى فى قطاعات الإنتاج والخدمات المختلفة من خلال المشروعات والأعمال التى تشارك فيها أو كلف بتنفيذها . كما وكيفا بما يتفق ومصالح الاقتصاد القومى فى مصر ويسهم فى حل بعض مشكلات التنمية .. » .

اننى أؤمن أن مهمة هذا المركز الأولى تقتصر على أن يعد لأساتذته المعامل والمراجع العلمية ، وييسر لهم الاتصال بالأبحاث العلمية فى البلاد المتحضرة ، ويكفل لهم معيشة ميسرة كريمة ، ثم يتركهم يعملون أحرارا فإنه فى هذا الجو من الحرية يصبحون اقدر على تلبية مطالب وطنهم مما لو عملوا فى جو من الإلحاح أو الإرهاق أو الإرهاب ، إننى كلما قرأت أو سمعت عن خطوة يتقدم بها العلم فى الخارج قد أجد اسم الهند فأبلع ريقى ، واسم اسرائيل فلا أبلعه وأظل أبحث عن اسم مصر وقلما وجدته ! ..

تولستوى



دستوفيسكى

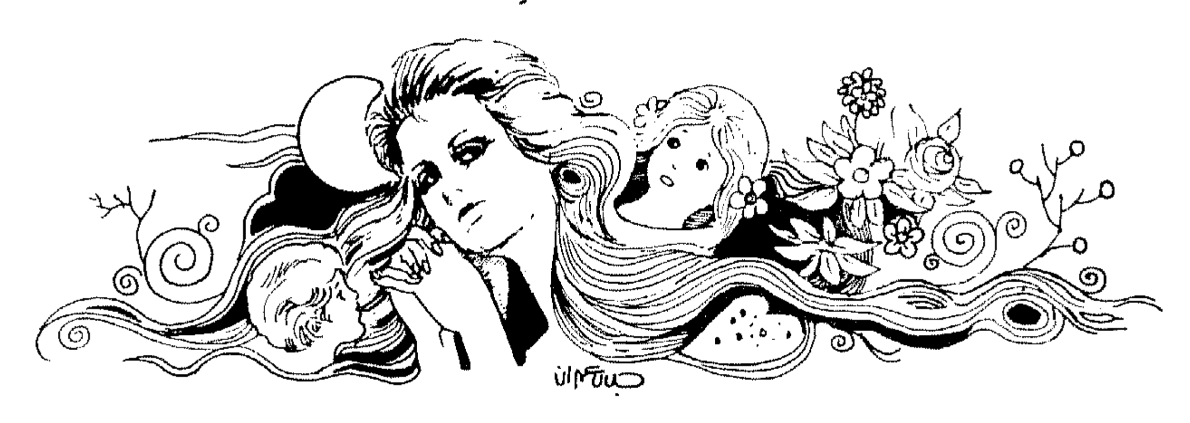


نيقولاى جوجول



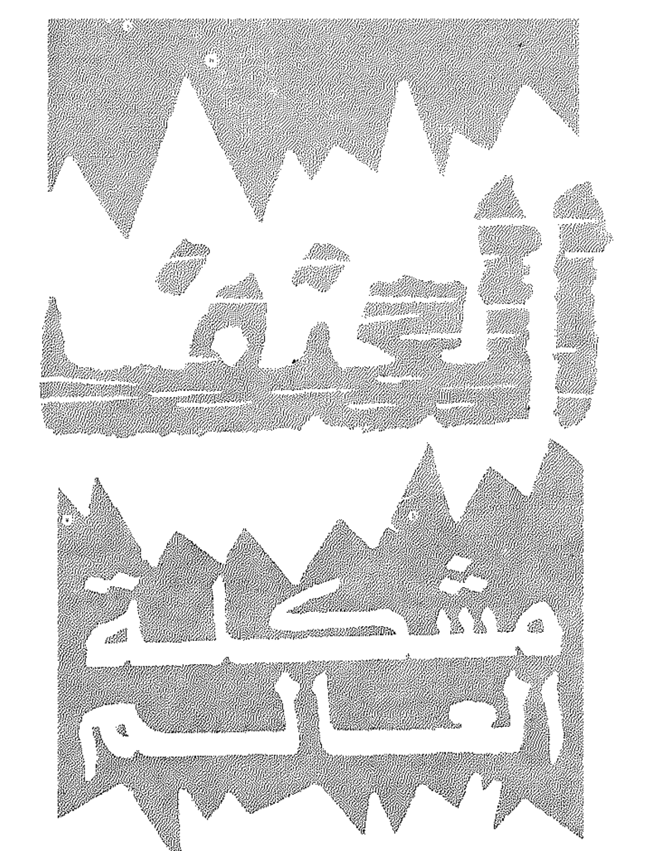
كنز الأمومة

شعر : أحمد عبد الحفيظ سلام



وتخطرت فى ثوبها الخمرى ... فى ناظريها منهل السحر
الوجه وردى ومبسمه ... نبراته فواحة العطر
عبثت أناملها الرقيقة فى ... شعر يثور كموجة البحر
وتدللت بالجيد حالمة ... كالحور فى اشراقة الفجر
دقت على قدم مجلجلة ... خطواتها تهتز بالخصر
وتبسمت كالبدر فى نغم ... متراقص من نشوة السكر
قالت : أما يكفيك من نعم ... موهوبة جلت عن الحصر
ريحانة كم أنت تقطفها ... وتضمها شوقا الى الصدر
هذا الجمال لديك تجمعه ... فى رشفة تنساب كالخمر
يا سيدا والكنز تملكه ... يمناك فاغنم منحة الدهر
قلت:الجمال بخاطرى هتفت ... صيحاته من حيث لا أدرى
لا اعشق العين الكحيلة او ... خدا بدا فى نضرة البدر
حواء أسمى أن يقال لها ... فتانة فى محفل الطهر
انى اقدس فيك موهبة ... جلت عن التقدير والقدر
يا ام أبنائى ومن وهبت ... أثمارها حييت بالشكر
ما أنت الا دوحة نثرت ... ازهارها للارض فى يسر
كنز الامومة لا يعادله ... سحر العيون ورقة الثغر

جزء
خاص



●● ماذا جرى ، هل تغيرت طبيعة الانسان المصرى ، وهل استطاع العنف أن يجد طريقه إلى سطح المجتمع وحياة الناس فى هذا البلد الطيب ؟ ●●

سر ماجرى
للدكتور/ أحمد كمال ابو المجد ص ٧٠

●● إن الاستبداد قد فقد إلى الابد دوره التاريخى فى المجتمع المصرى ، وأن الواقع يلح فى سبيل إطلاق الحريات الديمقراطية ، لتتسع هذه الحريات عن الدائرة الضيقة التى تدور فيها الآن ●●

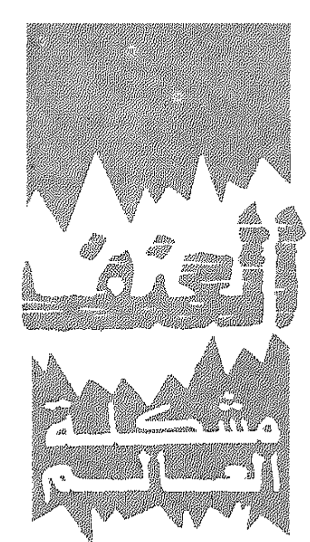
قراءة فى التاريخ والواقع
الدكتور . محمد نور فرحات ص ٧٦

●● جماعات قوات الأمن أصبحت جماعات منعزلة وغير مقبولة اجتماعيا ، وأصبح التعامل مع أعضائها يولد الشعور بالعداوة ! ●●

الأمن المركزى والأمن الاجتماعى
الدكتور سيد عويس ص ٨١

●● بعجلتى الجنس والعنف تحركت عربة هوليوود لتصل بقيم الفيلم ونجومه إلى أقاصى الأرض ●●

إعصار العنف فى السينما .. إلى أين ؟
مصطفى درويش ص ٨٩

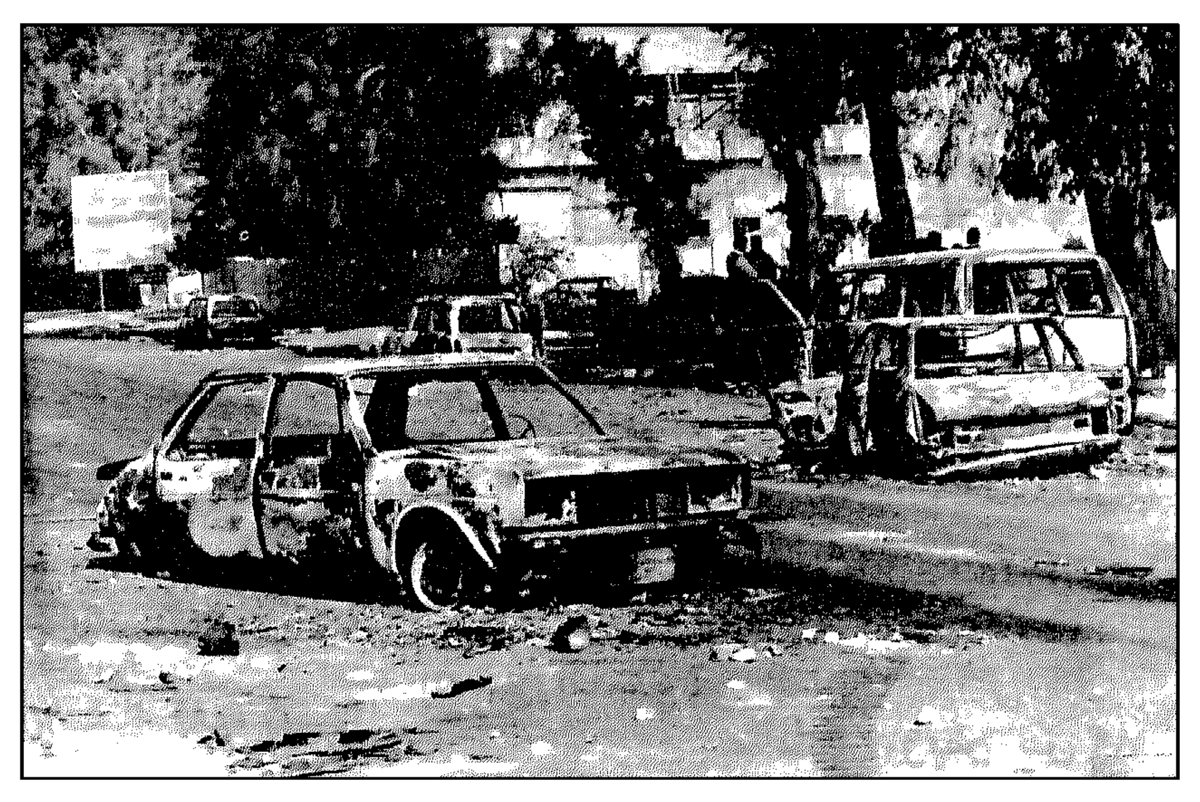


سِرّ ما جرى!

□ جذور ماشهدته مصر من أحداث .
وكيف نقضى على ظاهرة العنف الكامن ؟

بقلم : د. أحمد كمال أبو المجد

آثار العنف الذى خلفته أحداث ٢٧ ، ٢٨ فبراير



يكشف التاريخ السياسى والاجتماعى لمصر عن حقيقة مؤكدة تتعلق بالمـــزاج العام للمصريين ، وهى انهم شعب مســـالم ودود ، يميل الى الرفق ، ويجنح الى الاعتدال ، ويؤثـــر الرحمة حتى بالمعتـــدين والظالمين .. فعلى تعـددالتقلبـــات السياســـية والاجتماعية التى تبـــادل فيها الافراد والجمـــاعات مواقع القيادة والانقيـــاد فان التـــاريخ المصرى يكاد يخلو من اخبار التنكيـــل بالخصوم ، والقســـوة المفرطة فى معاملة المهزومين والعنف المتبادل بين اصحاب المصالح المتناقضة والافكار المتنافسة ، والذى يصـــل فى دول عديدة الى حـــد السعى لتصفيتهم جســـديا عن طريق اكثر الوسـائل عنفا ودموية .

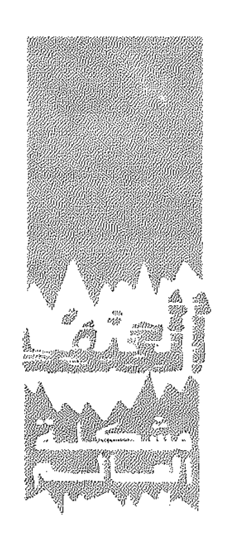
وحين وقعت أحداث القاهرة الاخيرة ، وتمردت بعض فصـائل « الامن المركزى » على النظام والقانون ، وخرجت الى «الشارع العام» تمارس تخريبا عشوائيا واعتداء على الارواح والممتلكات ، ارتفعت أصوات كثيرة تتساءل عن سر ماحدث وتقول : ماذا جرى هل تغيرت طبيعة « الانسان المصرى » ، وهل استطاع العنف أن يجد طريقه الى سطح المجتمع وحياة الناس فى هذا البلد الطيب .. واذا كان ذلك قد حدث فعلا فما هى الاسباب القوية التى استطاعت ان تزلزل طبعا مغروســـا ، وأن تغير سلوكا مطردا ومستقرا فتنقله على هذا النحو من النقيض الى النقيض .

● العنف ظاهرة انسانية ●

وبغض النظر عن تفاصـــيل ماجرى فى القاهرة مما لايزال أمره ماثلا امام جهات التحقيق القضائى فان العناصر الاساسية لما وقع من متمردى الامن المركزى ودوافع هذا الذى قاموا به قد اكتملت اكثر عناصرها أمام الباحثين والمحللين ، مما يسمح لنا - علميا - بالخوض فى بعض دلالاتها ونحن نتحدث عن العنف وأسبابه .

واول ماينبغى أن نســـتحضره قبل أن نتورط فى احكام متعجلة ان العنف ظاهرة انسانية عامة ملازمة للسلوك الانسانى منذ فجر التاريخ ، وحسب الباحث أن يسجل أخبار التعـذيب الفردى والجمـاعى الذى وقع فى السجون وفى بلاط الملوك والحكام وفى ساحات الاحتفالات الشعبية فى كثير من العواصم والمدن القديمة وفيما تمتلىء به المتاحف والمعارض العامة من تماثيل وصور لاشهر وقائع التعذيب التى سجلها التاريخ .. ولكن الذى لفت الانظار اليهـــا مؤخرا ومعها تتخذ شكل المشكلة الحادة فى هذا العصر أمور ثلاثة :

أولها : تطور ادوات ممارسة العنف .. فبعد أن كانت القوة العضلية أو وسائل التعذيب البدائية كالعصا أو السوط هى الوسائل المتاحة لممارسة العدوان على كيان



بسمة ماجري!

الانسان ، ظهرت تباعا وسائل اشد ايذاء واكثر تعبيرا عن العنف فى درجته القصوى، بحيث لم تعد مجرد أدوات للايذاء ، وانما صارت أدوات للابادة الجماعية الكاملة فى لحظات قليلة .. واذا كان اختراع البندقية او البارود هو احدى نقط التحول الحاسمة فى تاريخ « أدوات العنف » فان التطور المتلاحق والسريع لصناعة الاسلحة وبصفة خاصة الاسلحة الاوتوماتيكية ، والقنابل والمتفجرات ووسائل التحكم فيها ، وأدوات الحرب الكيميائية والعضوية .. قد سجل تطورا اخر بالغ الخطورة يتمثل فى السرعة الهائلة التى يتم الانتقال بها من «قصد العدوان» ونية ممارسة العنف ، الى اتمام النتائج التخريبية الهائلة التى تصيب الانفس والممتلكات .

ثانيا : نشأة أوضاع سياسية واجتماعية ساهمت فى خلق صور جديدة من صور « العنف الجماعى » ، فقد تبلورت فى المجتمعات النامية والمتقدمة مصالح فئوية وجماعية متميزة ومتصارعة فى كثير من الاحيان ، كما أدى التقدم الصناعى والتغيير الاجتماعى الى وجود تجمعات بشرية كبيرة يتم حشدها فى أماكن محدودة . ومن أمثلة ذلك ظاهرة تجمع أعداد هائلة من العمال فى المصانع والمناجم والموانىء ، واعداد كبيرة من الشباب فى الجامعات والمعاهد .. واعداد هائلة من المحكوم عليهم لخروجهم على القانون داخل السجون والاصلاحيات.. واعداد اخرى هائلة من الرجال فى مراكز تجمع الجيوش وقوات الامن .

ان هذه التجمعات ـ على اختلافها ـ تساعد على تحول ظاهرة العنف ـ اذا بدات بقيام اسبابها ـ الى ظاهرة ((جماعية)) يتدخل فى مسارها وفى اشكال ممارستها كل خصائص « العقل الجماعى » و «السلوك الجماعى » .. وتصل صورها احيانا بسبب ذلك الى درجات من القسوة والعنف يصعب فهمها او العثور على تفسير معقول لها ..

ويكفى أن نشير فى ذلك الى صور التعذيب الجماعى التى مارستها بعض الانظمة السياسية الديكتاتورية على خصومها ، ابتداء من النظام النازى فى المانيا الهتلرية الى بعض النظم الديكتاتورية التى قامت خلال العشرين سنة الاخيرة فى عديد من دول أمريكا الوسطى والجنوبية .. أو نشير الى صور العنف الدموى الذى صاحب بعض حركات التمرد داخل السجون الامريكية ، حيث سجل أحد المحللين منذ أعوام قليلة أن ماشاهده من صور القسوة والعنف البشرى الذى مارسه بعض المسجونين انتقاما من زملائهم الذين وشوا بهم لادارة السجن قد فاق كل صور العنف التى شاهدها خلال حرب فيتنام ...

ولقد أدى انتشار ظاهرة العنف داخل المجتمع الامريكى ، والاحداث التى وقعت فى مدينة شيكاغو عام ١٩٦٨ بين قوات الامن وجموع المتظاهرين من الشباب احتجاجا على حرب فيتنام أثناء اجتماع المؤتمر القومى للحزب الديمقراطى تم اغتيال روبرت كيندى

ومارتن لوثر الى تشـــكيل لجنة قوميـــة للبحث عن أسباب ظاهرة العنف ..

ثالثا : تطور وســـائل النشر والاعلام وتوجيهها عناية خاصة الى أخبار العنف في كل مكان ، وتسليطها الاضـــواء على أدق تفاصيلها بحيث صار المتابع لما تبثه تلك الرسائل يتصور « العالم » بؤرة واسعة لممارسة العنف والتخريب ، أو يتوهم أن العنف ظاهرة طارئة وجديدة .. كذلك فان انتقال اخبار هذا العنف ومحركاته كثيرا مايلعب دورا في اثارة تلك الاسباب في مواقع اخرى ... ولعل الاتصال الفورى الذى سهله ارتباط معسكرات الامن المركزى فى القاهرة والجيزة بشبكة لاسلكية واحدة قد كان له دوره - خلال أحداث فبراير - فى انتقال روح التمرد من معسكر الى اخر ومن موقع الى موقع ..

هذه بعض الحقائق والملاحظـــات العامة عن ظاهرة العنف نرجو أن نستحضرها قبل التطوع بتقديم تفســـيرات متعجلة لبعض ظواهره فى مجتمعنا المصرى المعاصر ...

● تحت عباءة واحدة ! ●

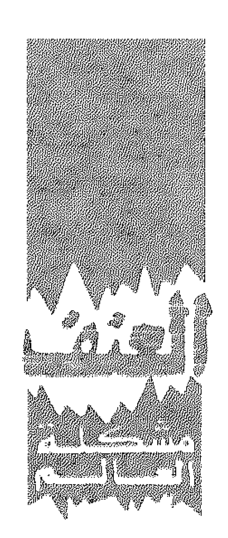
ونلاحظ بعد ذلك ان حوادث التمرد أو الشغب او الاعتداء الفردي او الجماعي التي نتحدث عنها تضم تحت عباءة واحدة عددا من الظواهر المتداخلة التي يحسن التمييز بينها : فهي تضم عنصر « العنف » بمعناه الضيق اى استخدام للقوة المادية لايذاء الغير أو الاضرار بمصالحه وممتلكاته .. وهي تضم فوق ذلك عنصر « التخريب » اى اتلاف الاشياء وتعطيل أدائها لوظائفها وقطع منفعتها .. كما تضم فى النهـــاية عنصر « التمرد » أى الخروج المتعمد على الانظمة والقوانين ورفض الانصياع لها .. ومن المؤكد أن هذه المكونات الثلاثة على تداخلها تظل متميزة فى أسبابها وجذورها النفسية ودلالاتها الســـلوكية .. وغاية مانفعله هنا أن نستحضر حقيقة هذا التميز ونحن نتأمل ماوقع في مصر أخيرا محاولين فهمه واكتشاف دلالاته السياسية والاجتماعية

١ - أن ماوقع فى مصر اخيرا لايبلغ فى جسامته مابلغته ظواهر العنف التي تصلنا اخبارها كل يوم من انحاء العالم .. وهو - فى تقـــديرنا - ادخل فى دائرة التمرد والتخريب الاجتماعى منه في دائرة العنف بمعناه الحقيقى .. اذ لم تسجل خلال تلك الحوادث وقائع عنف شديد تستوقف النظر لا من جانب الذين اشتركوا فى أعمـــال التخريب ، ولا من جانب القوات النظامية من القوات المسلحة والشرطة التى تصدت للمتمردين وقضت على تمردهم ..

٢ - أن ماوقع اخيرا يكشف عن حقيقة هامة ، وهى أن طبيعة الشعب المصرى التى تحدثنا عنها ليست أمرا متقضيا لازما يعصم من العنف حين تقوم أسبابه ... ولذلك لايجوز الاسراف في الاعتماد على تلك الطبيعة الملازمة على نحو يصرف عن توقى أسباب العنف ومنع قيامها ...

ولقد بدأت مصر فى أعقاب الحرب العالمية الثانية تشهد صـــورا من العنف الطارىء على تلك الطبيعة المســالمة .. وذلك فى ميـــدانين مختلفين : أحدهما .. ميـــدان « العنف المتبادل » بين الحكومة وبين بعض الجماعات السياسية ، والاخر ميدان « التمرد الاجتماعى » القائم على أسباب ومحركات اقتصادية واجتماعية ..

أ - وقد بدأت سلسلة العنف المتبادل بين الحكومة وبعض الناس فى النصف الثانى من الاربعينات فى أعقاب حل الحكومة لجماعة الاخوان المسلمين وما اعقب ذلك من اغتيال النقراشى باشا رحمه الله ، ثم قيام جهاز تابع للحكومة باغتيال الاستاذ حسن البنا عليه رحمة الله ، مرشد الاخوان المسلمين ، ثم اعتقال الالاف من أعضاء الجماعة ومحاولة الحكومة تصفيتها عن طريق تعريض أعضائها المعتقلين لصور عديدة من صـــور الايذاء والقهر والتعذيب وقد بدات هذه المواجهة فى أعقاب عدد من حوادث العنف الفردى من جانب بعض أعضاء الجماعة المنتمين الى تنظيمها السرى شبه العسكرى ، وتكررت هذه الصـــورة من صـــور العنف المتبادل بحذافيرها عام ١٩٥٤ « لاسباب سياسية



سر ماجرى!

هذه المرة » كما تكررت مرة ثالثة عام ١٩٦٥ واذا لم يكن من أهداف هذه الدراسة أن تصدر حكما تاريخيا على هذه المواجهات الثلاث أو أن تحدد المسئولين عنها ، فان من المفيد ـ مع ذلك ـ أن تسجل في شأنها عددا من الملاحظات الهامة ..

الملاحظة الاولى : ان الذين مارسوا العنف من أعضاء الجماعة لم يكونوا معبرين عن تيارها العام الذي ضم الاكثرية الساحقة بين أعضائها، فقد كان هذا التيار العام سويا متواصلا مع المجتمع مشتغلا بالعمل السياسي والاجتماعي بأشكاله الطبيعية المشروعة .. وانما كان الذين مارسوا العنف متأثرين بجو العزلة النفسية والفكرية الذي وضعتهم فيه صيغة « العمل السرى » القائم على الجندية الصارمة والطاعة المطلقة للقيادات شبه العسكرية .. و « الانحياز النفسي والشعورى » بعيدا عن « الشارع الاجتماعي » اذا جاز هذا التعبير .. كما ساعد عليه احساس شديد الخطأ بالقوة الذاتية والقدرة على تغيير المجتمع عن طريق الوسائل المفاجئة وغير الطبيعية .. وهو احساس يتولد بسهولة غريبة داخل جميع التنظيمات التحتية « على اختلاف منطلقاتها الفكرية » حين ينفصل اعضاؤها عن واقع المجتمع ، ويفقدون لذلك تدريجيا سلامة النظر الى الواقع والقدرة على رؤية الاحجام النسبية للظواهر والاحداث والاشخاص ..

الملاحظة الثانية : ان القرار الحكومي تجاه الجماعة ، وظواهر العنف العارض فى شاطها كان خاضعا لرؤية أمنية قصيرة النظر تصورت أن استعمال « جرعة زائدة » من العنف والقسوة هو الحل الجذرى القادر على تصفية الجماعة، وعلى استئصال ظاهرة « العنف » من المجتمع كله .. فاذا بالعنف لا يولد الا عنفا مضادا، واذا بالشعور بالظلم يتحول الى سبب جديد لممارسة العنف .. واذا بالتاريخ اللاحق لهذه الحوادث يسجل فى تاريخ الحركات الاسلامية فى مصر وخارج مصر « عقدة » شبيهة بعقدة «كربلاء» التى ولدتها فاجعة مصارع ال بيت النبى « ص » على أيدى الامويين ، والتى تركت فى الفكر والوجدان الشيعى أثارا عجزت مئات السنين عن محوها ..

الملاحظة الثالثة : أن الظاهرة قد التقطت لنفسها أسبابا جديدة بعد أن طويت صفحة «التنظيم السرى الخاص» داخل الجماعة وصار تيارها العام « والوحيد » تيارا بالغ الاعتدال ، نافرا نفورا حقيقيا من العنف ، رافضا للوسائل الانقلابية ، ومتواصلا ـ على نحو مطرد ومتزايد ـ مع الشارعين السياسى والاجتماعي فى البلاد .. فقد ظهرت جماعات أسلامية صغيرة العدد نسبيا ، ولكن بعض أفرادها أو روافدها تتجه الى العنف وتستسيغه ، لاسباب متعددة بعضها اجتماعى وسياسى تشترك فيه سائر جماعات الرفض والاحتجاج التى ولدتها التطورات السياسية والاجتماعية فى مصر خلال فترة الستينات والسبعينات .. وبعضها «يجتر» وقائع العنف الحكومى ، والاضطهاد الذى تعرض له كثير من أعضاء « الجماعات الاسلامية » .. فيجتمع لهم من هذه الاسباب

كلها مبرر « داخلى على الاقل » للسير فى طريق العنف الغريب على الحياة السياسية والاجتماعية فى مصر ..

ومن الضرورى أن نسجل هنا ان الحكومة قد عدلت اسلوب تعاملها مع ظاهرة « الميل الى العنف » داخل بعض الجماعات الدينية وادركت خطأ الاعتماد على « العنف الحكومى » وحده ، وفتحت أبوابا واسعة للحوار مع أعضاء هذه الجماعات ومع الشباب بصفة عامة بقصد تصفية الجذور الفكرية للعنف .. وان لم يكن بين أيدينا مايسمح لنا بتقويم نتائج تلك السياسة الجديدة ومدى استقرارها .. وما اذا كانت ظاهرة « العنف » فى هذا الميدان بالذات قد تراجعت تراجعا حقيقيا .. أم أنها لاتزال كامنة متشبثة ببعض المواقع ..

العنف والمستقبل !

ب ـ أما المكمن الاخر لاخطار العنف فى هذه المرحلة فهو مكمن الاستفزاز الاجتماعى والاحساس بغياب العدل والمساواة فى الفرص وامام القانون ، وتراكم الشعور بالاحباط وعدم جدوى « الالتزام » و « اداء الواجب » وفقدان الامل الواضح فى المستقبل القريب .. وهو شـــعور تصنع جانبا منه الظروف الموضوعية المصاحبة للضائقة الاقتصـــادية القائمة ، كما يصنع جانبا اخر منه نقص الثقة فى كفاءة وكفاية الجهد المبذول للخروج من هذه الضائقة ، وغياب صـــيغة قوميه واضحة للعمل السياسى والاجتمـاعى توفر للمجتمع الموارد اللازمة للتنمية من الداخل والخارج على السواء ، دون ان تضحى بمصالح الفئات التى تحملت كثيرا من المعاناة فى عصر راسمالية الدولة وعصر الانفتاح على السواء ..

ان الاحساس المرهف بمعاناة الناس الذين يكاد يقتلهم الكدح اليومى طلبـــا لتوفير أثمان ضروريات الحياة .. ثم يرون الملايين تجرى فى أيد لم يطهر بعضها العمل المنتج الحلال .. هذا الاحساس المرهف هو فى تقديرنا مفتاح الموقف كله وهو صمام الامان للمجتمع فى مواجهة احتمالات العنف الذى تحركه مثل هذه الاســـــباب الاجتماعية والاقتصادية ..

ان حـوادث فبراير الماضى فى القـاهرة وبعض المدن الاخرى هى النذير المبكر الذى ينبغى أن يفتح عيوننا على حقيقة كبيرة .. هى أن المجتمـع مليء بالتوترات المـسكبوتة والضغوط النفسية المحتبسة فى الصـــدور .. وفى ظل هذه التوترات والضغوط يمكن أن تؤدى شرارة صغيرة الى نار عظيمة .. واذا كان البعض لايزالون عاجزين عن رؤية هذه الحقيقة الكبيرة ، فان الحكومة ـ وجميع العقلاء المبصرين ـ يرونها رأى العين .. ولذلك ينبغى عليهم أن يعالجوا الموقف ـ حتى بعد اخماد الفتنة وعودة الهدوء الى الشارع المصرى ـ على انه موقف ملتهب .. ولابد ـ لذلك ـ ان يكون على رأس اولويات العمل الحكومى والشعبى اتخاذ سلسلة من الاجراءات والقـرارات السريعة الـكفيلة بتخفيض مستوى التوتر والضغط المكبوت .. الى أن ينتشر تنفيذ سياسات أطول مدى وأثبت أثرا ، تعالج أسباب التوتر علاجا جذريا يعصم المجتمع عصـــمة حقيقية من التعرض لظواهر العنف .

ان الخطأ الذى لايغتفر ان تمضى هذه الحوادث بغير عبرة نعتبرها أو أن تذوب حرارة العمل السريع لتخفيض درجـــة التوتر الاجتماعى تحت تأثير الهدوء الذى أعقب انتهاء الشكل الخارجى للتمـــرد .. أو نقع جميعـــا تحت تأثير الرؤية الضيقة والنظر القصير لبعض من يتحـكم فساد بصائرهم فى سلامة ابصارهم ..

العنف مشكلة العالم

قراءة.. فى التاريخ والواقع

- حان الوقت لمراجعة بعض المسلمات التاريخية
- الذعر والحرافيش ودورهم فى احداث العنف

بقلم : د. محمد نور فرحات

المقدمة الضرورية لفهم مجتمعنا المصرى بواقعه وتفاعلاته لاتكون الا بالتخلى عن الافكار المسبقة التى اعتدنا ترديدها عن مجتمعنا باعتبارها خصائص تلازمه ملازمة الظل . وهذه الافكار والخصائص المزعومة كثيرة ، داب المفكرون والعامة عندنا على ترديدها بلا وعى دون ان يعباوا بتقديم دليل عليها او برهان على صحتها كأنها حقائق ساطعة ثابتة بذاتها وهى فى واقع الامر ابعد ماتكون عن ذلك .

من ذلك قولهم أن الفلاح المصرى مستقر فى الارض عاشق لترابها لا يفارقه الا بمفارقته الحياة ، حتى أنه يسمى فى أدبيات الريف « بالفلاح القرارى » اشارة الى قراره فى الارض . ومن ذلك قولهم أن المصريين لا يميلون الىتخطى أطر الشرعية بل يتعاملون مع هذه الأطر بالخضوع لها تارة وبالحيلة تارة اخرى تحسبا لفعل الزمان الذى هو أمضى من فعل الانسان . ومن ذلك قولهم بأن المصريين قوم مسالمون لا يميلون الى العنف بل يجنحون الى اللين والسماحة والوداعة والفكاهة لما حباهم به النيل من رغد العيش ووفر الرزق ولما انتجته الطبيعة فى وجدانهم من اعتدال المزاج .

● زمان عجيب ! ●

وهذه كلها تقريرات ليست مطلقة بل هى نسبية مشروطة مقيدة . وتاريخنا القديم والوسيط والحديث يشير الى ما يخالف هذه الحقائق وغيرها فى أكثر من موضع . وانما يرددها المرددون فى زماننا هذا لكى يبينوا لنا أن ما نعايشه من واقع هو مخالف لاصول الاشياء ولنواميس الطبيعة التى جبل عليها المصريون فليس علينا اذن الا أن نفغر أفواهنا دهشة من هذا الزمان العجيب الحافل بالنوادر والاعاجيب ثم نمضى مطمئنين الى أن كل شىء سيعود الى حاله ، فليس علينا بعد ذلك أن نتساءل أو نستفسر ، وهل يستفسر الانسان عن الصواعق والبراكين والسيول ؟ أم يتقبلها تقبل الاحداث الفريدة ؟.

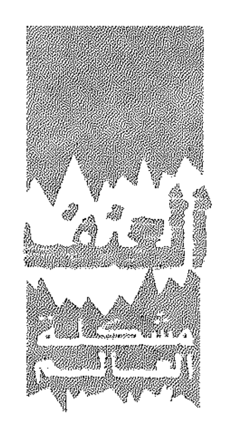
اقول ، ان مطالعة التاريخ الاجتماعى المصرى سرعان ما تدفعنا الى اعادة تقليب هذه الحقائق وغيرها من التى يطلب منا البعض أن ناخذها ماخذ المسلمات وماهى بالمسلمات على اطلاقها .

فظاهرة فرار الفلاحين المصريين من الارض ظاهرة متكررة فى التاريخ المصرى نلحظها فى العصور الاقطاعية الفرعونية وخاصة بعد انهيار الدولة القديمة ، كما نلحظها ولاحظها المؤرخون فى عصور الظلم البطلمى والرومانى ، كما يرصدها الباحثون كظاهرة مطردة فى العصر العثمانى حين عم الظلم الاجتماعى ربوع البلاد وشح القوت والرزق فى أيدى الفقراء .

● عنف وثورة ●

وفى المقابل يحفل التاريخ الاجتماعى بمظاهر العنف والثورة وأول ما نطالعه فى هذا الشأن حديث ايبور مؤرخ أول ثورة مصرية فى عصر الدولة القديمة الذى يخبرنا أن المصريين قد هاجموا دور العدالة وداسوا وثائقها ومراسيمها بالاقدام ، وانه نتيجة لهذه الثورة أصبحت النبيلات يلبسن الأثمال وتلبس الفقيرات الحرير وناعم الثياب .

وبالمثل ، يحدثنا الجبرتى عن الثورة الشعبية المصرية فى أواخر العصر المملوكى ، تلك الثورة التى كان من المفروض أن تنتهى الى ما يشبه الماجنا كارتا فى انجلترا لولا غيبة التنظيم والاصرار الشعبيين . وهذه الحركة التى تزعمها الشيخ الشرقاوى احتجاجا على ظلم أمراء المماليك وتعسفهم وتعديهم على الأموال والارواح . اذ يحكى الجبرتى أنه فى عام ١٢٠٩ هـ هاجت العامة وأرباب الطوائف « وذهبوا الى الجامع الأزهر وقفلوا أبوابه . وأرسلوا مندوبهم لزعيم المماليك يقولون له « نريد العدل ورفع الظلم والجور واقامة الشرع وابطال الحوادث . والمكوسات التى ابتدعتموها وأحدثتموها . فقال : لا يمكن الاجابة الى هذا كله فاننا ان فعلنا ضاقت علينا المعايش والنفقات ، فقيل له : هذا ليس بعذر عند الله ولا عند الناس ، وما الباعث على اكثار النفقات وشراء المماليك والامير يكون اميرا بالعطاء لا بالاخذ » .. « ودار الكلام بينهم وطال الحديث وانحط الأمر على أنهم تابوا ورجعوا والتزموا بما شرطه العلماء عليهم .. وفرح الناس وظنوا صحته وفتحت الاسواق وسكن الحال على ذلك نحو شهر ثم عاد



كل ما كان مما ذكر وزيادة » (الجبرتى ، عجائب الاثار ، طبعة بيروت ، حـ٢ ، ص ١٦٦ - ١٦٨) .

وتحفل صفحات التاريخ المصرى بأحداث العنف ترصدها تفصيلا ثم ترصد أيضا كيف أن التمرد قد عاد الى حاله فى حياة المصريين دون أن يغير عنفهم شيئا من واقعهم وهى الظاهرة التى رصدها الجبرتى بقوله « **ثم عاد كل ما كان مما ذكر وزيادة** » ، والامثلة على ذلك كثيرة نذكر منها أحداث ١١٣٤هـ عندما شح النيل وارتفعت اسعار القمح فقامت جماعات الرعية « وضربت السناجق وهم طالعين الى الديوان .. ونهبت جميع الرقع التى فى البلد فامتنع الجالب وصار القمح لا يوجد » ومنها أحداث ١١٣٧ هـ « حين قامت الرعيـة وقفلت حوانيت المدينة ونهبت أسواق القاهرة وهجمت على الجامع الازهر والعلماء فى الدروس . ووقع الضرب فى الجامع مع الرعية وهربت العلماء الى بيوتهم، ولم يبق فى الجامع الا المغاربة و «المجاورين» فضربوا الرعية بالبندق والنبابيت..» (احمد شلبى بن عبد الغنى ، أوضح الاشارات ، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص ٤٣٣) وغير ذلك الكثير مما تحفل به وثائق التاريخ .

● الجند ومظاهر العنف ●

بل ان الجند أو افراد الحاميات العسكرية فى التاريخ المصرى لم يكونوا أبدا بعيدين عن مظاهر العنف والاحتجاج . وهذا ما يخالف ما ذهب اليه د. يوسف ادريس فى حديثه المذاع صبيحة أحداث الشغب المركزى من قوله ما يعنى ان تمرد الجند ظاهرة تاريخية غريبة على البناء الاجتماعى المصرى . ويكفى أن نشير فى هذا الى ما يحدثنا به هولت فى كتابه عن (مصر والهلال الخصيب ، ص ٧١) أن الفترة من ١٥٨٦ - ١٦٠١ قد حفلت بمظاهر تمرد الجند فى مصر وانتفاضهم . ففى عام ١٥٨٦ تمرد الجند مطالبين برواتبهم . وفى عام ١٦٠١ تجرأ الجند على مخازن الغلال فى مصر فاقتحموها ونهبوا ما بها من غلة البلاد . وبعد ذلك يحكى الجبرتى عن أحداث ١٠٨٦ هـ - ١٦٧٥ م أثناء ولاية احمد باشا الدفتردار ، ويقول « أشيع عنه بأن قصده احداث مظالم على البيوت والدكاكين والطوافين مثل الشام ويفتش على الجوامك وغيرها ، فاجتمع العسكر فى خامس الحجة بالرميلة وقاموا قومة واحدة وقطعوا عبدالفتاح أفندى الشعراوى كاتب الغلال وهو نازل من الديوان » (الجزء الاول ، ص ١٤٩ - ١٥٠) .

اذن فليست ظاهرة عنف الرعية أو تمرد الجند على أطر القانون والنظام والشرعية بالظواهر الغريبة فى الحياة الاجتماعية المصرية . وعلى هذا فان مظاهر العنف المعاصر : تمثلت فى حرائق يناير ١٩٥٢ أو تمثلت فيما كان يسمى فى السبعينات بالأحداث المؤسفة ، أو فيما تلاها من أحداث العنف الطائفى ، او فيما تبعها من انتفاضة الجياع عام ١٩٧٧ أو فيما شهدناه منذ أيام من تمرد وعصيان وشغب جند الامن المركزى ، هذه المظاهر جميعها يجب أن تفهم فى

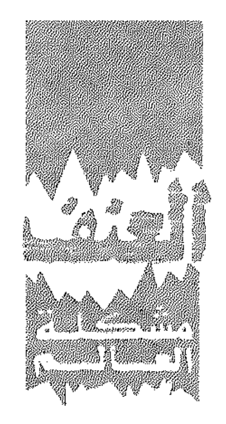
سياقها التاريخي الاجتماعي باعتبارها جميعا وجها واحدا لظاهرة اجتماعية واحدة علينا أن نبحث عن أصولها في أغوار المجتمع المصرى واعماقه مستلهمين عظة التاريخ ومتغيرات واقعنا المعاصر . ولنا في ذلك مجموعة من الملاحظات نوردها فيما يلى :

اولها : ان أحداث العنف العشوائى هذه لابد لنا حتى نفهمها فى موضعها الصحيح ان نميزها عن الحركة الثورية المصرية . فالاخيرة هى حركة منظمة تهدف الى احداث تغييرات جذرية فى المجتمع المصرى ، يساهم فى لحمتها ونسيجها أساسا فقراء مصر ومثقفوها وكل قواها الوطنية ، وتستخدم تكنيكات محددة قد يكون العنف من بينها وقد لا يكون . وان كان العنف من بين وسائلها فهو عنف محسوب هادف يكفى مع غيره من الوسائل للتاثير والتغيير ، والامثلة على ذلك نجدها فى ثورات القاهرة ضد الاحتلال الفرنسى ، وفى ثورات عرابى وثورة ١٩ وثورة ٥٢ وغيرها من الانتفاضات والتحركات الاجتماعية الهادفة . أما العنف الذى نتحدث عنه الان ونضرب له الأمثلة فهو هذا العنف العشوائى الذى ينفجر فجاة كفوهة بركان ثم يتوقف فجاة كما يتوقف السيل العرم بعد أن يحطم بعض الجسور دون ان يخط طريقا جديدا للحياة . اذ يعود بعد هدوئه « كل شىء الى مثل ما كان عليه وزيادة » .

ثانيا : ان المتامل فى الظروف الاجتماعية التى تحيط بأحداث العنف العشوائى هذه سواء فى التاريخ المادى أو فى الواقع المعاصر ، سرعان ما سيلحظ بوضوح وثبات واطراد ارتباطها اللازم بمظاهر الظلم الاجتماعى التى تخرج عن أى حدود مقبولة لرضاء الفقراء والمعدمين بها ، وفى هذا المقام فاننى ارصد مع كثير من الباحثين حقيقتين تاريخيتين تعتبران علامتان بارزتان فى الحياة الاجتماعية المصرية ومجتمعات الشرق على وجه العموم :

أولهما الغيبة التاريخية لمفهوم المشاركة الشعبية فى الحكم واتخاذ القرار السياسى . فعلى حين شهدت الدولة الرومانية والدويلات اليونانية وحكم الانجلو سكسون والنورمان صورا من مشاركة المجالس ، غاب هذا المفهوم تماما فى مجتمعات الشرق ومنها مصر ، ولم يشرق – مفهوم المشاركة الشعبية – على العقل المصرى الا فى أواخر القرن التاسع عشر ، حتى أصبح الاستبداد والانفراد بالسلطة حقيقة تاريخية يعيها المحكومون ولا يطلبون فى مقابلها الا قدرا من العدل والحدب على المصلحة الاجتماعية للفقراء .

وثانيهما أنه حتى فى ظل هذا التراث التاريخى الاستبدادى فان العدل المطلق من الحكام وانحيازهم الكامل لمصالح الفقراء لم يكن متوقعا من قبل هؤلاء الفقراء . ومن هنا حدث نوع من التعايش التاريخى لفقراء المجتمع مع الاستبداد ومع قدر محسوب من الظلم لا يصل الى حد مصادرة حقهم فى الوجود المادى ذاته . أما عندما يتعدى الظلم الاجتماعى هذه الحدود ، هنا يكون العنف العشوائى فى أوج غضبه ، لا باعتباره عملا واعيا يهدف الى التغيير وانما باعتباره مظهرا عشوائيا للاحتجاج والدفاع الالى المنعكس فى سبيل البقاء . لا بديل عنه فى غياب أى قنوات ديموقراطية للاحتجاج . وقد رصد جيبه وبودين هذه الظاهرة فى كتابهما المجتمع الاسلامى والغرب (حـ ١ ، لندن ١٩٦٩ ، ص ٢٠٥) بقولهما : « ثمة قيود معترف بها ضمنا على ممارسة الطغيان والظلم . أولها ما يمكن ان يسمى بمعيار حدود الظلم المباح أو الجور المعترف به ، وهو المعيار الذى يقر لسراة القوم بقدر من مزايا السلطة لا يحسن تجاوزه . وثانيها أن الرأى العام يشترط لكى يتغاضى عن الظلم من قبل ممارسى السلطة ان يحوزوا خصائص أخرى كالتحرر أو الاريحية أو الشجاعة أو النخوة أو الشهامة . فاذا انعدمت هذه الصفات أو عندما ينتهك ممثلو السلطة القانون



قراءة.. في التاريخ والواقع

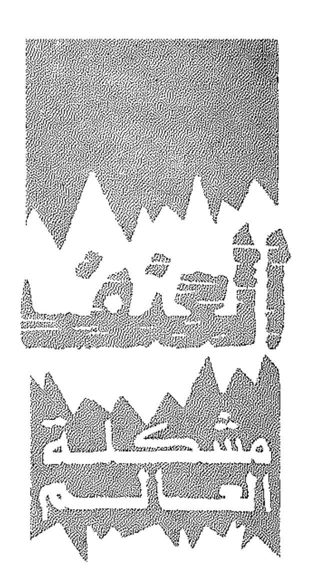
فير المكتوب لتحمل الجور يصل الصبر الاجتماعى الى منتهاه ويحل أوان الضجر والعصيان والتمرد .

● جماعات السلطان ●

ثالثا : أنه من السمات المميزة لفترات الظلم الاجتماعى فى التاريخ المصرى هو أن اسلوب الانتاج لاغراقه فى الاستبداد من ناحية ، ولافتقاده الى الكفاءة والقدرة على التشغيل الكامل للعمالة من ناحية ثانية ، يصبح مؤهلا تماما لافراز اكبر عدد من الفئات الهامشية فى المجتمع . والهامشيون هؤلاء هم جماعات من السكان يقعون خارج عملية الانتاج الاجتماعى تماما ، ويهربون منه لافراطه فى قسوته وظلمه واستبداده ، ويعملون على التعيش على فتاته وتخريبه كلما حانت فرصة لذلك ، وهؤلاء هم من تطلق عليهم كتب التاريخ المصرى ووثائقه اسماء مثل الحرافيش والجعيدية والزعر والهباشة ، وهم جميعا فئات رافضة غاضبة تعيش فى الطرقات كالطيور والهوام ويقيمون عادة فى الاحياء الفقيرة التى فى أطراف المدن . **وما يهمنا هنا القول أن هؤلاء الهامشيون رافضون للتنظيم الاجتماعى برمته ، فقد كانوا عبر مراحل التاريخ المختلفة اقرب فئات المجتمع ميلا الى العنف غير المنظم الذى لا يهدف الى الى مجرد اقتناص القوت والرزق . وقد كان هؤلاء طوال التاريخ المصرى وقودا تشتعل به حركات العنف الهادف وغير الهادف فى المجتمع المصرى وتزداد به هذه الحركات اضطراما وقسوة .**

رابعا : أن العنف العسكرى غير المنظم فى التاريخ المصرى ، او التمردات العنيفة العشوائية للعسكر والجند ، دائما كانت تحدث من هؤلاء الجند الذين ينشغلون بالدفاع عن الحاكم . وهؤلاء فى التاريخ العثمانى هم الينكرجية والعزبان والمستحفظان ، لهؤلاء وأولئك شئنا أم ابينا ، يخفت أو يتلاشى لديهم الاحساس بالوطن ، وهو الاحساس الذى تتقد جذوته المقدسة لدى الجنود المحاربين المدافعين عن حدود الوطن والمحررين لترابه .

لنرفع عيوننا اذن عن أضابير التاريخ ، وهى خير معلم فى مجتمعاتنا طويلة الأمد ، ولنتأمل ما عاناه مجتمعنا من أحداث شغب الامن المركزى . وهى أحداث لا تخرج في ظنى عن سياق ظاهرة العنف العفوى فى التاريخ الاجتماعى المصرى. وأن معالجة هذه الفوارق بسياسة اقتصادية رشيدة اصبحت أمرا تحتمه اعتبارات أمن المجتمع نفسه أكثر مما تحتمه اختيارات الايديولوجيا . والحقيقة التى تعلن عن نفسها أن أسلوب انتاجنا اليوم ، الذى لا يضمر أى احترام لقيمة العمل قد أصبح يفرز كل عام زرافات من فئات الجعيدية والزعر الذين تزدحم بهم طرقات مصر ويغذون كل أعمال العنف فيها ، والحقيقة التى اصبحت تفرض نفسها أن الاستبداد قد فقد الى الأبد دوره التاريخى فى المجتمع المصرى ، وان الواقع يلح فى سبيل اطلاق الحريات الديموقراطية ، لتتسع هذه الحريات عن الدائرة الضيقة التى تدور فيها الان ، ولتنتقل من مجتمع الصفوة لتتخذ من جموع الشعب فى كل ربوع مصر قاعدة حقيقية لها .



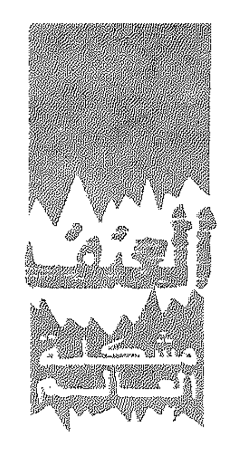
الأمن المركزى.. والأمن الاجتماعى

بقلم : د. سيد عويس

ستقتصر هذه الدراسة على محاولة دراسة مفهوم ((العنف)) دراسة علمية بقصد فهمه فهما موضوعيا اى محاولة التعرف على معناه وعلى انماطه وعلى بعض صور التعبير عنه بعامة وفى المجتمع المصرى المعاصر بخاصة .

ومفهوم العنف ، لغة بضم العين ضد الرفق تقول عنف عليه بالضم عنفا وعنف به ايضا . والملاحظ ان العنف غير التعنيف اى التعبير واللوم .

والملاحظ ان مفهوم العنف فى هذه الدراسة يقصدبه ((العنف الانسانى)) اى الذى يصدر عن البشر من بنى الانسان ، وفى محيط البشر يلاحظ ان العنف يحدث على مستوى الافراد وعلى مستوى الجماهير . وقد يكون تلقائيا، اى لم يخطط او ينظم له من قبل. وذلك على عكس ما يصدر من سلوك العنف عن بعض الجماعات او التنظيمات الاجتماعيه او الثقافية او الدينية او السياسية المنظمة ، كالجماعات والاحزاب والتنظيمات المهنية .



الأمن المركزي.. والأمن الاجتماعي

وفي ضوء تعدد انماط العنف تتعدد تعاريفه أيضا . ومهما يكن من الامر فهو سلوك عدواني ، اى هو وليد الشعور بالعداوة . ومحاولة تعريف الشعور بالعداوة ليست أمرا سهلا . وهي تحتاج الى أن نلاحظ واقعنا الاجتماعي ونحن نعيش فيه كأشخاص أو كأعضاء في جماعات . واذا كان مفهوم العنف صورا وانماطا فالشعور بالعداوة صور وانماط أيضا . والملاحظ أن الشعور بالعداوة في احد انماطه ، النمط الفردي أو الشخصي ، ما هو الا انفعال يندفع من شخص معين ضد شخص آخر . وقد يكون هذا لشعور بغضا مقنعا ، أو يكون فعلا بغيضا موجها ضد شخص ، وما الفعل البغيض الموجه ضد شخص الا تعبيرا ظاهرا عن الشعور بالعداوة ضده . نحن نلاحظ بوضوح أن تهديد اى شخص بالقيام بفعل بغيض أو توجيه هذا الفعل البغيض ضده ، يثير عادة انواعا متباينة من الاستجابات في نفسه قد يكون الشعور بالعداوة أحدها . والمقصود بالتهديد هنا هو الخوف الحقيقي أو حتى الوهمي من أمور بغيضة مثل الاذى أو الضرر أو التحقير أو حرمان الذات حرمانا على مستوى معين . وقد يتحقق هذا التهديد أيضا عند اعاقة شخص معين من فرصة فهم نفسه حق الفهم ، أو من توقع هذا الشخص تحقيره أو تقييده وقد يتحقق هذا التهديد كذلك اذا خشى الشخص من رفض الاعتراف بحاجاته المشروعة أو رفض الاعتراف بحقوقه كعضو في جماعة معينة .

● ضعف القيم ●

واذا كنا نجد الشعور بالعداوة في محيط بعض تصرفات الأشخاص ، كذلك نجده في محيط بعض تصرفات الجماعات في المجتمع الواحد ، مع الاخذ في الاعتبار وجود بعض التعقيدات الأخرى التى تنبثق من تباين أعضاء الجماعة وتعدد علاقاتهم فضلا عن وضوح الجماعة أو الجماعات . ويبرز هذا الوضوح أمران :

الأمر الاول : هو المظهر المادى للجماعة أو الجماعات ويتضمن اللون وملامح الوجه والملبس .. الخ .

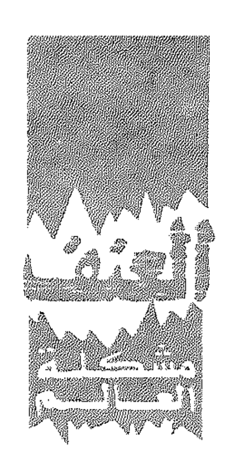
أما الامر الثانى : فيحققه التعريف الاجتماعي للجماعة أو الجماعات ويتضمن بالضرورة الدعاية التى تبرز الفوارق وتؤكدها . والملاحظ ان أيسر الظروف التى تؤدى الى الصراع بين الجماعات يتضمن الاحتكاك بعضها ببعض ووضوحها، ماديا أو اجتماعيا فضلا عن التنافس بينها . وكلما ضعفت قيم هذه المتغيرات ادى هذا الضعف في بعض الحالات الى التقليل من وقوع الصراع . ونجد في بعض الظروف أن الطريق الى الصراع يبدو ميسرا بقليل من الاحتكاك غير الشخصى أو الاحتكاك غير المباشر ، وسرعان ما يكبت هذا الصراع عن طريق الاحتكاك الشخصى الوثيق . والملاحظ أيضا أنه عندما يتيح المجتمع فرصة وجود الطبقات الاجتماعية أو حتى بعض الفئات الاجتماعية المعينة فيه ، نجد في مجالات العلاقات الاجتماعية ظهور درجة من التحيز المعادى اذا بدأ وضوح هذه الطبقات الاجتماعية او هذه الفئات الاجتماعية جليا ، كما بدأت المنافسة بينهما ونحن لا نرى مايراه « ماكرون Mac. Crone, I.D.» من أن العوامل

الانتصادية لكي يكون لها تأثير فعال على خلق التحيز الجماعى ، **يجب ان** يفترض سلفا وجود تقسيم نفسى معين للجماعات بين موالية أو غير موالية « In - and - out groups » ، وأن اليهود أو اليابانيين ، كما يقول : لا يثيرون الشعور بالعداوة بسبب منافستهم الاقتصادية فحسب ولكن لانهم يهود او يابانيون أصبحت منافستهم تعتبر غير عادلة أو غير مشروعة أو مجرد اساءة لمن ليسوا يهودا أو يابانيين . ولا جدال فى أن هذا التفسير جزئى ولا يمكن ان يكون صحيحا ، **والأولى أن يقال ان العوامل الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية التى تنبثق عنها** ، وفى ضوءالظروف الاجتماعية القائمة ، هى التى تخلق هذا التقسيم النفسى بصرف النظر عن القائين بالمنافسة الاقتصادية نفسها . فاذا كانت العلاقات الاجتماعية المنبثقة هى، علاقات استغلالية فلا يتوقع الا ان يتكون الشعور بالعداوة عند المستغلين ، يهودا كانوا أو يابانيين أو غيرهم ، ضد من يستغلونهم ، يهودا كانوا كذلك او يابانيين أو غيرهم . صحيح أن مفهوم « اليهود » أكثر من مفهوم « اليابانيين » قد يعطى صورة ذهنية معينة ، اى صورة ذهنية تاريخية معينة ضد اليهود عند شعوب العالم ، كلها أو بعضها . ولكن هذه الصورة الذهنية التاريخية عن اليهود **لم تتكون من لاشىء** . ان مرجع تكوينها كان ولا يزال يعود الى الظروف الاجتماعية التى عاشتها معهم هذه الشعوب ، تلك الظروف الاجتماعية التى انبثقت عنها ولا تزال تنبثق عنها ، بالضرورة ، علاقات اجتماعية معينة هى التى حددت ولا تزال تحدد هذا المفهوم .

● ظاهرة الجماعة ●

ويلاحظ أن الجماعة هى احدى قوى الحياة البشرية . وان ظاهرة وجودها ظاهرة عامة وضرورية . فالناس ينتظمون فى جماعات لأن لديهم حاجات أساسية لا يمكن اشباعها الا عن طريق علاقاتهم بغيرهم من الناس . والشخص منا لا يتحقق له الحب مثلا أو القبول الا اذا وجد آخرين يحبونه ويتقبلونه . والشخص منا أيضا لا يستطيع أن تكون له مكانة اجتماعية معينة ، ولا يستطيع أن يحس بأهميته وقيمته او يتحقق عنده الشعور بالانتماء ، الا اذا وجد أشخاصا آخرين يستجيبون لهذه الحاجات وييسرونها له . واذا حرم الشخص منا من تحقيق هذه الحاجات الأساسية ، أو حرم من تحقيق بعضها ، **فان الشعور بالعداوة يتسرب الى قلبه** ، والشعور بأنه غير مرغوب فيه يملك عليه نفسه ، ويحس بالعزلة الاجتماعية القاتلة ، وربما أصبح سلوكه سلوكا غير اجتماعى .

واذا كان الشخص « العادى » يبدأ حياته أول ما يبدأ (عند ولادته) فى اسرة ، أى فى جماعة ، فانه منذ ذلك الحين حتى يصير شخصا بالغا يصبح بالضرورة عضوا فى العديد من الجماعات الأخرى . وفى كل جماعة من الجماعات يتعلم الشخص منا كيف يسلك السلوك الذى يحقق له أكبر مقدار **من الشعور بالامن الاجتماعى** . وكل جماعة جديدة يمارس الشخص الحياة الجديدة فيها ، تعتبر له تحديا جديدا . فهو يحاول أن يوفق فى خلال عملية ممارسة الحياة الجديدة بين تحقيق حاجاته الشخصية الأساسية وبين كسب ثقة الجماعة الجديدة وموافقتها . ويعتبر هذا الكسب فى ذاته حاجة من حاجات الشخص . وقد تتعارض هذه الحاجة الأخيرة عند الشخص مع غيرها من الحاجات الاخرى . ومع ذلك فان نمو شخصية معينة يعنى وجود هذا التعارض **أو هذا الصراع** ، كما يعنى وجود محاولات التوفيق بين الحاجات الشخصية وبين كسب ثقة الجماعات . وينتج عن هذه الصراعات ومحاولات التوفيق وجود خبرات ، وتراكم هذه الخبرات . ومن الخبرات الكلية ، حلوها ومرها ، يتكون نموذج



الأمن المركزى.. والأمن الاجتماعى

معين للشخصية ، ونماذج الشخصيات مختلفة ، لأن الاشخاص مختلفون ، ولان خبراتهم الكلية حلوها ومرها أيضا مختلفة .

ويلاحظ ان الجماعة ليست أداة سحرية ، اى انها لا تصنع آليا عجائب التوافق عند أعضائها . فالناس قد ينتظمون فى جماعة لانهم خائفون ، أو لان الحقد يجمعهم أو التعصب الدينى أو العنصرى . وهم ينتظمون ، بنفس اليسر، فى جماعة لانهم أصدقاء ، أو لان اهتماماتهم موحدة .

واذا تركت الجماعة وحدها قد تصبح **جماعة منعزلة** ، أو جماعة غير مقبولة اجتماعيا ، أو جماعة تميل الى التعصب بنوعيه أو بأحدهما ، اى التعصب الدينى أو العنصرى ، أو **جماعة تميل الى الاعتداء على الاخرين او تميل الى الجناح** . ونحن نلاحظ بعض هذه الجماعات الأخيرة أحيانا نلاحظها فى الشوارع، كعصابات الاحداث الجانحين ، أو عصابات البالغين الجانحين ، حيث تزداد مكانة عضو العصابة ارتفاعا كلما ازدادت مهارته فى استخدام المدية .. يعتدى بها على الاخرين ، ويحطم بها الأشياء ، أو يكره عن طريقها ضحاياه الذين يسرقهم. ان الجماعة تستطيع أن تعزز فى أعضائها كل الاحتمالات ، وكل الامكانات . مهما كانت هذه الاحتمالات والامكانات . **فهى قد تعزز فيهم روح الديمقراطية او روح الخضوع**. وهى قد تعزز فيهم تقبل الاخرين أو الشعور بالعداوة نحوهم. وهى قد تعزز فيهم روح الفهم والتفاهم أو روح التعصب . هى قد تعزز فيهم الجهود البناءة أو الجهود الهدامة . ومع ذلك فانه لابد أن نلاحظ **أن الجماعات فى تغير مستمر** ، وأن أعضاء الجماعات **فى تغير مستمر كذلك** . وانه اذا كانت الجماعة تصنع الأعضاء ، فان أعضاء الجماعة يصنعون الجماعة كذلك . فما يقدمه الاعضاء فى الجماعة من قدرات وآراء ومشاعر يحدد بالضرورة مدى حيوية الجماعة ومدى تحقيق اهدافها . وما تقدمه الجماعة للأعضاء يعتمد بالضرورة على مستوى قيمة التجربة أو التجارب التى يصنعها الأعضاء معا ، كفريق ، داخل الجماعة .

● الشعور بالعداوة ●

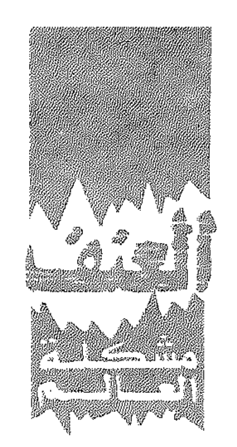
واذا كنا نجد الشعور بالعداوة فى محيط بعض تصرفات الأشخاص وفى محيط بعض تصرفات الجماعات فى المجتمع الواحد ، كذلك نجده فى محيط المجتمعات المختلفة . وهو يوجد أيضا فى مختلف الأوقات . وقد تزداد نسبة الشعور بالمداوة فى مجتمع معين أو فى زمن معين وقد تنقص هذه النسبة وتضعف . اى أن الشعور بالعداوة قد يكون **فرديا أو شخصيا ، وقد يكون شعورا جماعيا ، أو بين مجتمع معين ضد مجتمع آخر ، وقد يكون قويا أوضعيفا . وتختلف نسبته قوة أو ضعفا من مجتمع الى آخر ومن زمان الى زمان اخر** . وبالاضافة الى ذلك نلاحظ أن الشعور بالمداوة **قد يكون موجها او غير موجه ، علنيا أو غير علنى ، مباشرا أو غير مباشر** . والملاحظ أن أساليب التعبير عن الشعور بالمداوة عديدة ومتباينة . لأن الناس ككائنات حية مختلفون ومتباينون ، ولانهم

يعيشون فى ظل مناخات ثقافية اجتماعية مختلفة ومتباينة كذلك . ويبدو الشعور بالعداوة واضحا فى مجالات عديدة . فهو يبدو فى المجالات المادية مثل حالات الحروب بين الدول ، وهى اقصى حالات العنف ، ومثل جرائم القتل بانواعها، فضلا عن المشاكسات التى تحدث بين الجيران . كما يبدو الشعور بالعداوة فى المجالات غير المادية كالمجالات النفسية مثل حالات الاحلام ا.

واذا كنا نلاحظ فى الحياة الانسانية أن الشعور بالعداوة يوجد كما يوجد الشعور بالمحبة ، فاننا نلاحظ ايضا أن هذين النوعين من الشعور الانسانى فى صراع مستمر . فهما فى الواقع سمتان من سمات هذه الحياة ، والصراع بينهما هو فى الحقيقة سنة هذه الحياة . وكلنا يعلم ان الشعور بالمحبة ، محبة الناس بعضهم لبعض ، فى ضوء تراثنا الثقافى المصرى ، هو هدف كل الأهداف . والشعور بالمحبة ، محبة الناس بعضهم لبعض ، فى ضوء قيم المجتمع المصرى المعاصر ومبادئه ومثله العليا هو « ايضا » غاية كل الغايات .

مجموعة من مثيرى الشغب بعد القبض عليهم





وفضلا عن ذلك ، وربما مع كل ذلك فهو فى ضوء التراث الثقافى الانسانى ، أمل كل الامال . واذا كان الشعور بالعداوة والشعور بالمحبة يتصارعان ، فاننا نجد أن الدعوة الى العنف الانسانى والدعوة الى السلام فى محيط البشر يتصارعان كذلك . ومفهوم الصراع مثل المفاهيم الانسانية الاخرى له معان عديدة ، وهو يعنى فى الدراسة الحالية :

« عملية اجتماعية وموقف يحاول فيه اثنان أو أكثر من الكائنات البشرية أو الجماعات الاجتماعية أن يحقق كل أغراضه وأهدافه ومصالحه ، ومنع الاخر من تحقيق ذلك لو اقتضى الامر القضاء عليه وتحطيمه » .

ويرتبط الصراع جوهريا بوجود حدود لمصادر الاشباع المختلفة ، وفى معناه السوسيولوجى يتضمن بالضرورة كائنات انسانية . وهو ذو درجات مختلفة من الشدة والانتشار تبعا لأهداف وأغراض أطراف الصراع . ويعد الصراع ظاهرة عامة تلحظ فى مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية ، فى الاقتصاد والسياسة واللغة والدين والمعايير الاخلاقية وبين الطبقات . وقد يكون داخل الجماعات الاجتماعية أو بينها . واذا اعتبرنا الصراع نوعا من التفاعل الاجتماعى بمعنى أنه عملية من العمليات الاجتماعية ، فانه يجب التمييز بينه وبين « المنافسة » وقد يرى البعض أن الصراع نوع من التنافس ، يحاول المتنافس أن ينظم فيه جهوده وقوته أملا فى الفوز . ولذلك يرون انه أقسى عملية بين العمليات الاجتماعية أو أنه نوع عنيف من التنافس . ومع ذلك فهناك فارق بين المنافسة والصراع . فالوعى شرط ضرورى للصراع فى حين ان هذا الوعى ليس ضروريا بالنسبة للمنافسة بل أن هناك أنواعا من المنافسة تكون لا شعورية . هذا ويعتبر كل من الصراع والمنافسة أشكالا للنضال أو الكفاح « Struggle » . واذا كان الشعور بالعداوة ، كما سبق أن أوضحنا ، يكون أحيانا علنيا او غير علنى ، ومباشرا أو غير مباشر ، فان الصراع قد يكون واضحا أو ضمنيا كامنا ، مباشرا أو غير مباشر . وانه قد يكون وظيفيا حيث يساعد فى التغير والوحدة والتضامن وقد يكون معوقا وظيفيا .

● ظاهرة ارتكاب الجـــرائم ●

ويبدو الصراع بين الأفراد وبين الجماعات فى مجتمعنا المصرى المعاصر واضحا فى ارتكاب الجرائم . وهو صراع ينتصر فيه الشعور بالعداوة عادة . وقد يتسم بالعنف الشديد كما نجد ذلك فى الجنايات التى ترتكب وبخاصة جنايات القتل، والضرب الذى أفضى الى موت ، والضرب الذى أحدث عاهة ، وجنايات الحريق العمد ، اذا كانت هذه الجنايات يرتكبها أفراد . وفى حالة جنايات مقاومة السلطات والتجمهر نلاحظ أن العنف الذى يتضمنها يكون عادة عنفا جماعيا وجماهيريا ضد ممثلى السلطة . وهو فى هذه الحالة يكون عادة سلوكا عدوانيا ايجابيا ، كما يكون بدنيا ماديا ضد بعض ممثلى السلطة . وهو فى العادة عنف موجه من بعض أعضاء المجتمع على أساس انتمائهم لجماعات معينة ، او

دناعهم عن قيم معينة تتعارض مع قيم المجتمع ككل بوجه عام ، أو تتعارض مع القيم التى يرعاها ممثلو السلطة الذين وقع عليهم العدوان .

● اليد القوية ●

وفى ضوء كل ما سبق يتضح أن ما قمت به مجرد دراسة علمية ولم يكن بحثا علميا . اى أنها دراسة بنيت فى ضوء نتائج بعض البحوث التى اشتركت فى بعضها . والملاحظ ان مفهوم الدراسة غير مفهوم البحث . وذلك لان المفهوم الاخير يحتاج الى معلومات واقعية اذا كنا نبغى أن نعلم شيئا او أشياء عن عوامل حوادث العنف التى جرت فى مجتمعنا فى خلال يومى ٢٥ و ٢٦ من شهر فبراير عام ١٩٨٦ . ومن ثم فاننى لا يمكن ان ادعى معـــرفة ذلك ، ولكنى أستطيع أن اصل الى بعض النتائج التى يمكن أن تلقى الضوء او بعضه على هذه الحوادث .

١ ـ ان قوات الامن المركزى منذ انشائها كانت اليد القوية لاصحاب السلطة والسلطان فى الدولة . وقد اختير أعضاؤها ودربوا لكى ينفذوا الاوامر فى ظل شعار ((النقمة تعم والنعمة تخص)) وقد بدأ انشاء هذه القوات منذ عام ١٩٦٩ باعداد ظلت تتزايد على مر الايام حتى بلغ عددها فى الوقت الراهن حوالى ٣٠٠,٠٠٠ عضو .

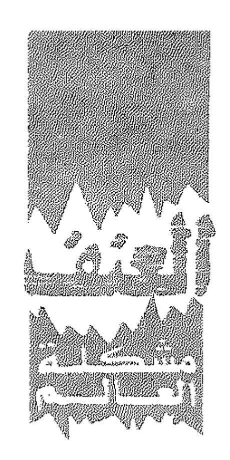
٢ ـ ان وجود هذه القوات يعنى وجود جماعات او تنظيمات مهنية جديدة فى مجتمعنا المعاصر . وقد اتسم أعضاء هذه الجماعات بسمات انسانية معينة . منها بل وربما تكون أهمها أنهم فى مستوى عقلى معين وانهم فى سن المراهقة المتاخرة . أى السن التى يكون المرء منا فيها أكثر حساسية واقل نضجا . اى السن التى لم تتكون فيها المحـــددات التكوينيـــة والثقافية الاجتماعيـــة والنفسية والعقلية لعضو هذه الجماعات ، أى السن التى لم تتكون فيهـــا شخصيته الاجتماعية .

٣ ـ ويلاحظ ان وضوح تباين هذه الجماعات عن غيرها من جماعات المجتمع الاخرى يرجع الى مظهر أعضائها المادى (الملابس مثلا) فضلا عن آثار سلوك هؤلاء الاعضاء على أعضاء الجماعات الاخرى فى المجتمع ، وهى اثار كانت فى الاغلب الاعم سلبية ويراها ويسمع عنها اعضاء المجتمع المصرى افرادا أو جماعات. وكان من هذه الاثار السلبية ميل اعضاء هذه القوات الى الاعتداء على الاخرين حيث تزداد مكانة العضو فيها ارتفاعا كلما ازدادت مهارته فى استخدام الاسلحة المختلفة يعتدى بها على الاخرين ويحطم بها الاشياء .

٤ ـ ومن ثم فان جماعات قوات الامن أصبحت جماعات منعزلة وغير مقبولة اجتماعيا . واصبح التعامل مع أعضائها يولد الشعور بالعداوة بينهم وبين غيرهم من أعضاء المجتمع المصرى الاسوياء وغير الاسوياء على السواء .

٥ ـ واذا كان اعضاء المجتمع المصرى لم يبلغ شعورهم بالعداوة مستوى يجعلهم يستعملون العنف ضدهم ، فان اعضاء هذه القوات عاشوا فى قلق مرضى وفى حيرة من أمرهم فهم قبل كل شيء من ابناء الوطن المفدى ، هذا الوطن الذى يتعطر مناخه الثقافى الاجتماعى ، فى ضوء تراثه ، بالسلام وبالقيم الاجتماعية العديدة ذات الاهداف الايجابية التى منها الشعور بالمحبة ، محبة الناس بعضهم لبعض ، والتعاون على البر ، والايمان الخالص ، وبذل النفس والنفيس فى سبيل شرف الوطن والتضحية من أجله .. الخ .

٦ ـ واذا كان اعضاء قوات الامن المركزى فى خلال الفترة الأخيرة قد ارتكبوا جنايات عديدة تتسم بالعنف الشديد ، فان هذه الجنايات كانت فى الاغلب الاعم جنايات مقاومة السلطات والتجمهر . أى أنها جنايات يرتكبها عادة جمـاعات ولا يرتكبها افراد . والملاحظ أنه اذا صدر العنف عن الجماعات او التنظيمات



الأمن المركزى.. والأمن الاجتماعى

الاجتماعية أو الثقافية أو المدنية أو السياسية المنظمة كالجامعات والاحزاب والتنظيمات المهنية (الملاحظ أن قوات الامن المركزى تنظيم مهنى) يكون هذا العنف عادة مخططا له من قبل .

٧ ـ وفى ظل بعض ألوان القهر التى يعيش فى ظلها أعضاء المجتمع المصرى المعاصر ، وجد أن بعض هؤلاء الاعضاء قد اشتركوا فى ارتكاب الجنايات التى ارتكبها أعضاء قوات الأمن المركزى . ولكن يلاحظ أن الاغلبية الساحقة من أعضاء هذا المجتمع وقفت موقف المتفرج . ولعل هذا الموقف أن يكون متوقعا . وكون بعض ساكنى حى الهرم وغيرهم من سكان العمارات التى حول حديقة الحيوانات قد تبرعوا لجنود الجيش المصرى وضباطه بالشاى الساخن وبعض الحلوى والكعك ، فان هذا يعتبر استثناء .

٨ ـ ولعل كون أعضاء قوات الامن المركزى من الشبان الذكور الذين تقع أعمارهم فى مرحلة سن المراهقة المتأخرة والذين فى ضوء مستواهم العقلى سريعو الاستجابة للايحاء . ولعل أنواع العمل التى يطلب منهم القيام بها ، ولعل التفاوت الجسيم بين ما يتقاضونه من مرتبات وبدلات وبين ما يتقاضاه غيرهم من الاقارب وغير الاقارب ـ الذين يتسمون بنفس سماتهم ولكنهم يختلفون فى مواقع العمل ـ من أجور ومرتبات ، فضلا عن استمرار التهديد الذى يعيشون فى ظله فى معسكراتهم ، الذى يعنى أقصد هذا التهديد فى الدراسة الحالية الخوف الحقيقى أو حتى الوهمى من أمور بغيضة مثل الاذى أو الضرر أو التحقير أو حرمان الذات حرمانا معينا . لعل كل أولئك ان تكون عوامل العنف الذى صدر عنهم أوبعض عوامله ، هذا العنف الذى كان بالضرورة مخططا له من قبل .

٩ ـ وارجو ملاحظة المكان الذى بدأ فيه العنف وتوقيت حدوثه . فالمكان كان سياحيا والتوقيت كان فى الموسم السياحى حيث يكثر الأجانب من الجنسيات المختلفة وهم خير وسيلة اعلامية خارج حدود مصرنا الخالدة للنيل من النظام الذى يعيش أعضاء مجتمعها تحت رايته .

١٠ ـ وقد اتخذت صور عنف المتمردين من أعضاء قوات الأمن المركزى ، وبخاصة منطقة القاهرة الكبرى ، صورا عديدة . وكانت تهدف هذه الصور فى الأغلب الاعم الى ما يملكه ذوو اليسار من أبناء الوطن ، واحراق الملاهى الليلية (الكاباريهات) والفنادق والمطاعم . وقد يرجع ذلك الى شدة صور العنف الذى حدث وليس بالضرورة الى تدين هؤلاء الأعضاء المتمردين وان اتخذ التدين فى هذه الاحوال أحيانا ذريعة .

* اشترك الكاتب مع تسعة آخرين من طلبة الدراسات العليا بجامعة بوستن فى دراسة عن ((الشعور بالعداوة)) ، وقد وصل الدارسون الى ثلاثة وعشرين اسلوبا من أساليب التعبير عن الشعور بالعداوة .



العنف

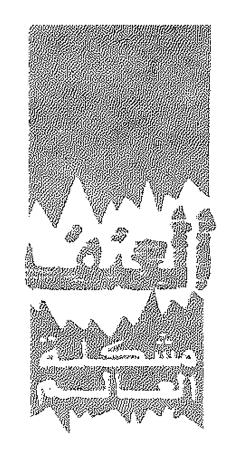
مشكلة العالم

إعصار العنف في السينما.. إلى أين؟!

بقلم : مصطفى درويش

سارت سفينة الحيــاة به فى بحر ساكن لا موج فيه ، حتى قارب الستين هنا فاجاه شيء لم يكن فى الحسبان كان خارجا من السينما بعد الانتهـاء من مشاهدة فيلم ((الاخوة موزار)) عائدا مع شريكة حياته الى المنزل سيرا على الاقدام ، واذا به ـ ودون مقدمات ـ على الثلج ملقى يقترب من عالم الاموات ، يصبح ماضيا جميلاً لايبقى منه سوى ذكريات .

العنف على الطريقة الأمريكية



إعصار العنف في السينما.. إلى أين ؟!

من القاتل ؟

فمن هو ذلك الرجل الذى دارت به الايام دورتها ليجد نفسه وجها لوجه أمام عنف عنيف يعترض سبيله برصاصات واين ؟.

فى بلد هادىء وجد حلا لبعض مشاكله بالبعد عن الحروب لا يشارك فيها منذ بونابرت وايامه السود .

انه اول رئيس وزراء لدولة اوروبية عريقة فى الديموقراطية يغتال — وهو فى السلطة — منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، انه ذلك الرجل الذى انفرد بشخصية متميزة جعلت منه سياسيا شجاعا لا يهاب بأس واشنطن ، لا يتردد — وهو رئيس وزراء — فى أن يدين العدوان على فيتنام ، يصف قصف «هانوى» بالصواريخ والنابالم بالبربرية ، يصم استخدام أسلحة الابادة الكيمائية ضد الشعب الفيتنامى بالنازية .

ولعله ليس صدفة — بعد ذلك — أن يكون آخر ما كتبه بخط يده ، قبل أن تجيئه الطعنة القاتلة من حيث لم يكن يتوقع — وهنا ضعفه — هو التوقيع باسمه « أولف بالم » على نداء سلام يدعو الى وقف التجارب النووية .

وليس من شك ان اختفاء رئيس وزراء السويد بهذا الاسلوب الدموى ، قد كشف عن حقائق عديدة من بينها ان استمرار بقاء العالم على شفا الهاوية مهدد بالفناء الذرى كما يشكل تربة خصبة تستنبت فيها كل ضروب العنف وتزدهر ، وان احدا ليس بمنجاة من العنف يعصف أعصاره بالاخضر واليابس ، لا يقف شىء أمام دوامته التى تحمل الموت والدمار .

التكامل

وبعد هذا كله فما علاقة الفن السابع بهذا الاعصار ومنجل الموت الذى يحمله، هل ثمة مغازلة بينهما .. ولماذا ؟.

من الملحوظ أن العنف مرتبط بالسينما ، موجود فيها منذ وجودها ، متصاعد مع صعودها .

فهو اذن ليس بدعا وافدا عليها .

ان له أصولا قديمة ترجع الى أيام ان كانت السينما خرساء لاتستطيع الكلام، اى منذ مائة عام الا قليلا ، وقت ان كان الجمهور يقف مشدوها فى الاسواق كى يشاهد لقطة لراس ملكة سكوتلاندا ، وهى تفصل بالمقصلة عن جسدها ، فتسقط متدحرجة على الارض .

وبعد العنف جاء دور الجنس انطلاقا من قبلة بين رجل وامراة تظهر على الشاشة البيضاء لأول مرة بفضل جراة نفر من رواد السينما فى مملكة صغيرة أو جزيرة منعزلة اسمها الدنمرك .

وبعجلتى الجنس والعنف تحركت عربة هوليوود لتصل بقيم الفيلم ونجومه الى اقاصى الارض ، فلا تلبث أن تؤثر بالغ الاثر فى التفكير ، وفى نهج الحياة الاجتماعية والسياسية .

اللقطة الرصاصة

وفى الحق فلو اردنا أن تؤرخ للمنف فى السينما فلابد ان نبدأ بالفيلم الامريكى « سرقة القطار الكبرى » (١٩٠٣) لماذا ؟.

لانه اول فيلم عظيم ، والمقصود بالعظمة هنا انه كان أول عمل سينمائى يأسر الوعى ، يبقى أثره مترسبا فى تلافيف العقل الباطن الامريكى ودهاليزه .

ولا ريب فى أن اللقطة التى ينتهى بها كان لها دور فاصل فى احداث هذا الامر .

ففيها نرى الشاشة ، وقد احتلها شخص ذو ذقن عريض مشقوق ، وشنب كث ، تغطى راسه قبعة راعى بقر كبيرة ، نبصره يستل غدارته ، يصوب فوهتها نحونا ، يشد الزناد ، فتنطلق رصاصة منها متوجهة الينا ، تصرعنا جميعا ، بلا استثناء !!

وابتداء من هذه اللقطة الاخيرة المهلكة ، اصبح من تراث السينما الامريكية ان يصوب مخرجوها فوهات البنادق الى المتفرجين ، أن يشدوا الأزندة اثارة وأبهارا .

وطبعا كل هذا كان قبل اكتشاف أرض الميعاد فى هوليوود ، قبل ان يتحولوا بها الى كعبة السينما وخير وارث للعنف ، تعتبره نعمة لا نقمة ، شيئا عاديا كارتشاف قدح قهوة .

ومن حسنات العنف على السينما الامريكية - اذا كان له حسنات - انه جعل منها سينما زاخرة بالتوتر والحرارة ، بالعنفوان والحركة .

صوت العالم

وهذا كان مؤداه النجاح والاكتساح ، ان تفرض هوليوود نمطها ، بل قل اسلوبها على جميع صانعى الافلام فى العالم مهما اختلفت البيئات والثقافات .

وعلى كل ففى خضم الازمة العالمية وما تلاها من انتصار النازية واندلاع نيران الحرب العالمية الثانية ، فى ذلك الخضم الهسائل ، المتلاطم بشتى الاهواء والشهوات والنزوات والتيارات ، اخذ الجنس والعنف فى التصاعد ، واعتاد جمهور السينما على مشاهدة الحب والعنف من القبلات الى الكلمات كما تصورها هوليوود داخل اطار رقابى انحدر فى نفاقه الى حد حظر ظهور الرجل والمراة معا بالكامل فى مخدع واحد ، حتى ولو كان مخدع الزوجية .

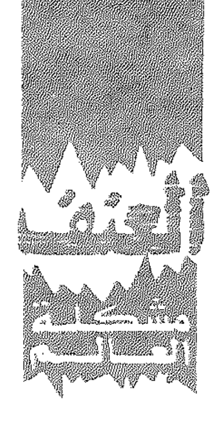
افعال فاضحة

وظل الحال كذلك حتى اقتراب الخمسينات من النهاية ، فتحت تأثير الفيلم الفرنسى ، وبخاصة المد الفنى الذى اتى بالموجة الجديدة ، اخذت الجسور الرقابية فى الانهيار .

ولعل فيلم « العشاق » للمخرج الفرنسى « لويس مال » أحد الاعمال السينمائية القليلة التى لعبت دورا ايجابيا هاما فى تحرير الفن السابع من القيود الرقابية فى مجال الجنس .

فقد استطاع صاحبه أن يتغلب على كل العقبات الرقابية وذلك رغم جراة الموضوع الذى يدور حول حب محرم من خلال مشاهد عارية اخاذة لعاشقين يتبادلان الحب بمصاحبة أنغام احدى رباعيات « براهمز » تحلق بالمتفرج الى اقصى سماء .

وبفضل نجاح الفيلم فنيا وتجاريا خرجت من أحضان عاشقيه مشاهد أخرى من الحب لا تنسى فى روائع « لأنطونيونى » و « ريتشاردسون » و « برنويل » وغيرهم كثير ، وفى نفس الوقت خرجت منها مشاهد جنسية سوقية فى أفلام لا عد لها ولا حصر ازدحمت دور العرض بطوفانها المبتذل .



إعصار العنف في السينما.. إلى أين ؟!

ومع انهيار الكثير من الجسور الرقابية الى حد أدى الى الترخيص بعرض أفلام الجنس الفاضح المسماة بالزرقاء ، بل والى الغاء الرقابة تماما على جميع الفنون بما في ذلك السينما ، كما هو الحال الان فى مملكة الدنمرك وبعض دول أوروبا وآسيا والامريكتين ، مع هذا الانهيار بدأ اقبال الجمهور على أفلام الجنس فى الانحسار .

مرحلة تنتهي

وكان لابد من البحث عن بديل ناجح للجنس . وسرعان ما وجد تجار السينما ضالتهم المنشودة فى العنف والتصعيد له .

وهنا قد يكون من المفيد ان أسرد حكاية السينما مع العنف فى مرحلة مابعد انهيار الرقابة ، لا من البداية وانما من النهاية .

منذ عام أو يزيد ، وضمن جدران احدى دور السينما بمدينة نيويورك ، صاحت شابة فى العتمة غاضبة «يا للبشاعة» .

هذه الصيحة تبعتها صيحات متفرجين آخرين داخل قاعة العرض أثار اشمئزازهم ما يجرى أمام بصرهم من مشاهد منبتة الصلة بالذوق السليم .

كان من بين المشاهد محل الاستنكار ، منظر مائدة عشاء عامرة بالطيبات ، صفت عليها جماجم محشوة بامخاخ قردة تتصاعد منها الابخرة ، اناء كبير ملىء بحساء يغلى تقفز منه كرات أعين تشع فزعا ، تنين مزقت احشاؤه لتخرج منها حيات صغيرة تسعى .

هذا المنظر ، مع مناظر اخرى شبيهة فى الفظاعة والبشاعة من بينها لقطة لقلب ينبض بالحياة ، نراه ينتزع من صدر انسان ، تكون بعضا من تسالى قنبلة موسم ١٩٨٥/٨٤ « انديانا جونز والمعبد الملعون » لساحر هوليوود وصانع معجزاتها « ستيفن سبيلبرج » صاحب « الفك المفترس » فيلم الرعب الشهير .

الان ، وبعد هذه النهاية المفزعة ، فقد آن الاوان للارتداد الى الوقائع القديمة التى بدأت بها حكاية ما بعد الانهيار .

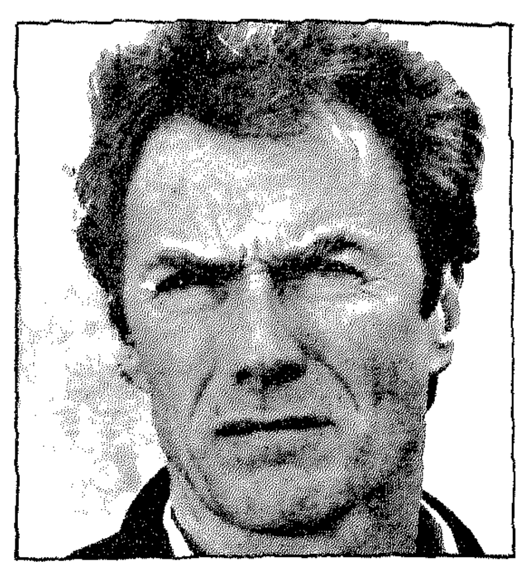
محرر العبيد

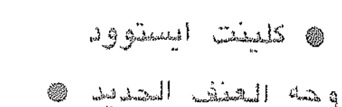
لعلى لست بعيدا عن الصواب اذا ما قلت ان اشارة البدء بتصعيد العنف هى أفلام «بكلنت ايستوود» فى مرحلتها الايطالية وذلك بما أدخلته على أفلام « رعاة البقر » من عنف بدائى ساذج ورخيص .

فنجاح تلك الافلام وولع الجمهور « بكلنت ايستوود » لوجهه القاسى الحاد التقاطيع نبه منتجى السينما الى اهمية العنف وضرورة الاسراع بتصعيده جلبا لمزيد من الربح .

والأدهى والادهش أنه فى الدعاية لفيلمه الاخير « الفارس الشاحب » (١٩٨٥) - وهو من اخراجه وتمثيله - أفردت صفحات وصفحات فى كبرى المجلات لعقد مقارنات بينه وبين الرئيس « رونالد ريجان » فى مدى الشعبية وبينه وبين رئيس آخر « ابراهام لينكولن » فى مدى تشابه ملامح الوجهين .

وكعهدنا بكل اتجاه جديد فى السينما خرج من العنف المتصاعد تياران :





● كلينت ايستوود
وجه العنف الجديد ●



● البرتقالة الآلية .. ازمة لوزير الداخلية ●

تيار غير فنى سائد يستغل العنف بغير هدف سوى الربح ، وآخر فنى يتناول العنف دراميا بهدف الدمغ والكشف له .

فارس الاوهام

ومن عجب أن الرقابة وفريقا من الساسة والنقاد خلط بين التيارين على وجه انتهى الى تقبل الافلام غير الفنية التى تسيل دما طالما انها تعرض للعنف بخفة واستهتار وكأنه نكتة تثار .

والى الاعتراض على الافلام الفنية التى تطرح قضية العنف فى المجتمع بجدية تحمل الاتهام له فى مختلف صوره واشكاله .

ففى الوقت الذى ارتاح فيه ضمير بعض الرقباء والساسة والنقاد الى افلام صعدت العنف ، ولا هدف لها سوى ان تتخذ من ذلك وسيلة للاثارة المدرة للربح كافلام « الطيب والشرير والقبيح » و « الفجر الاحمر » و « رامبو » **هذا الفيلم الذى يمجد العنف وسفك الدماء بلا حساب ، والذى اشاد به « ريجان » عند استقباله لرهائن الطائرة الامريكية المختطفة فى بيروت ، قائلا « لقد شاهدت فيلم (رامبو) واصبحت اعرف كيف اتصرف فى المرات القادمة » .**

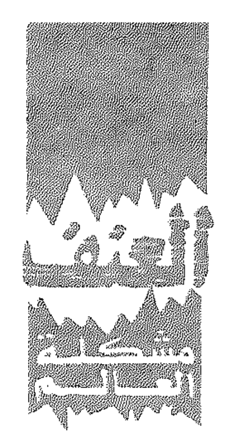
فى هذا الوقت بالذات استيقظ الضمير فجأة ضد روائع « كالقطيع المتوحش » لسام بيكينباه و « أندريه روبليف » لأندريه تاركوفسكى لما فيها من عنف جامح لم تألفه عين ، وصعت به بعض المشاهد بغرض احداث تأثير درامي يجنح بالمتفرج الى استنكار العنف والايمان بعدم جدواه وسيلة للحياة .

صدمة عنيفة

ومما زاد من حدة هذا الاضطراب فى الحكم الرقابى ، وهذا الاهتزاز فى الميزان النقدى هجمة لمجموعة من الافلام ذات المستوى الفنى الرفيع ، ومع ذلك فيها من العنف الشىء الكثير .

وعند فيلمين من هذه المجموعة اقف قليلا :

أولهما « كلاب قش » لصاحبه « سام بيكنباه » وبطله « داستن هوفمان » الذى يمثل دور أستاذ رياضيات أمريكى وديع ، آثر الاقامة مع زوجته الانجليزية



إعصار العنف في السينما.. إلى أين؟!

« سوزان جورج » في قريتها الهادئة على ساحل « كورنوول » بانجلترا بعيدا عن فوضى العنف بالولايات المتحدة ، آملا في أن يتفرغ للبحث العلمي عاما كاملا، غير أنه غاب عنه أن العنف لا فكاك منه في عالم يسوده العنف .

ففي هذه القرية التي تبدو هادئة رجال يطمعون في زوجته ، ويدفعهم هذا الهوى الطائش الى الاغتصاب والتعرض لحق الاستاذ في أن يكون سيدا في بيته .

وفي لحظة استفزاز ، وبعد أن فاض اناء الصبر ، يقول الاستاذ « هذا بيتي .. ولن أسمح بارتكاب العنف ضد بيتي » وتنشب المعركة بينه وبين عصابة المشاغبين المهاجمين لتنتهي بافرادها جميعا مقتولين .

أما الفيلم الثاني وهو « البرتقالة الالية » فمن اخراج « ستانلي كوبريك » صاحب « لوليتا » و « سبارتاكوس » و « أوديسة الفضاء » و « باري ليندون » .

وفيه يتناول من خلال رؤياه الساخرة القاتمة مشاكل مجتمع المستقبل القريب .

القطعان والطوفان

ووفقا لهذه الرؤية تتنازع شوارع لندن قطعان من الفتيان تائهة في اللـــــدة : يتحكم فيها هوى الخروج على القانون بالاغتصاب والسرقة والقتل بما الى ذلك من الوان الانحراف .

اما السلطة ففي يد حكومة فاسدة يستبد بها وزير داخلية يحاول بوسائل التكنولوجيا الحديثة ان يروض زعماء هؤلاء الفتيان .. ان يجعل منهم آلات طيعة مجندة لتحقيق اطماعه السياسية .

فاذا ما انتقلنا الى المعارضة وجدناها متمثلة في صحفي مضلل يتشدق بألفاظ جوفاء عن الحرية ، يصف الشعب بهذه العبارة « الشعب قطيع يساق .. يقاد .. يدفع »

ومن مهازل القدر ان يلقى عرض هذين الفيلمين من الجمهور والرقابة التاييد كل التاييد ، في حين لا يلقى الفيلم الاول من النقاد سوى الاعتراض ولا يلقى الفيلم الثاني من وزير داخلية انجلترا سوى الامتعاض .

صحوة رقابة

فالجمهور أقبل على مشاهدة « العنف » بكبناه » و « كوبريك » مستمتعـــا بداستن هوفمان وهو يقتـــل المعتدين على كوخه دفاعا عن شرفه ، معبرا عن اغتباطه بنجاح الاستاذ في ابادة القطيع الهاجم بالصياح « حسنا فعلت »

مندمجا مع « ملكولم ماكدوول » بطل « البرتقالة الالية » حين يتغلب على غسل المخ ويعود سيرته الاولى متمتعا بمتعتنا الثلاث .

ومدير هيئة الرقابة على السينما في انجلترا يدافع عن قرار اباحة عرض « كلاب قش » قائلا لمراسلة « السنداي تايمز » لقد شاهدت الفيلم ثلاث مرات .. وما أزال انتفض من تاثيره حتى الآن .. انه يحاول ان يقول شيئا ما بامانة .. ونحن لم نشعر ان العنف في الفيلم جاء اعتباطا وبلا مسوغ .. ربما يحمل

النقاد له كراهية شديدة ، ولكنني لا اظن ان احدا منهم عاب فى اخراجه او قال عنه انه غير رائع .

يقال لنا دائما ان الحروب والعنف وسيلتان لفض المنازعات .. ولكنك لايمكن ان تشاهدى . هذا الفيلم ثم تخرجى من السينما وانت مؤمنة بان العنف يصلح وسيلة لحل اية مشكلة .

ان الرقابة لايجب ان تحول بين الناس وبين مشاهدة كل ما هو ماجل وهام حتى ولو نجم عن ذلك بعض معاناة » .

غباء وغضب

اما النقاد فأرسلوا خطابا غاضبا الى جريدة « التايمز » هاجموا فيه « كلاب قش» عابوا على الرقيب «ستيفن موررفى» تناقض احكامه الرقابية وتضاربها وضربوا مثلا على ذلك بقرار منع عرض فيلم « عفاشة » لصاحبه « اندريه وارهول » الذى يعرض فيه لمأساة تعاطى المخدرات .

ولقد انعكست سورة الغضب هذه على « ديليز باول » حين كتبت مقالتها الاسبوعية فى « السنداى تايمز » لتقول وهى جزعة « لاول مرة فى حياتى اجدنى احس بالقلق على مستقبل السينما »

والظاهر ان اهتمام وزير الداخلية بالعنف فى السينما اقتصر على «البرتقالة الالية» .

فلاول مرة فى تاريخ انجلترا يتوجه الوزير بنفسه لمشاهدة فيلم مسبق وان اجازته الرقابة ليتأكد مما اذا كان عرضه يتهدد القانون والنظام العام .

واغلب الظن أن ما حدا به الى اعادة مراقبة الفيلم خروجا على التقاليد هو انطواؤه على سخرية مريرة بدولة الغد العصرية ذات الطبيعة البوليسية . وكشف لوسائلها الفاشية فى القضاء على ملكة الذكاء ، واحالة المواطن الى لامق حذاء .

ومهما يكن من امر هذه الازمة التى فجرها تصعيد العنف فى الافلام . فان ازمة السينما المعاصرة انما ترجع فى جوهرها الى اسباب اكثر عمقا واتساعا .

ومن بين هذه الاسباب تحكم الغرباء فى السينما على وجه يضطر معه صانعو الافلام الى البحث عن وسائل للاثارة حتى ولو ادى الامر الى التضحية بالفن السابع وبحرية التعبير من خلاله .

وارتفاع المستوى الثقافى لجمهور السينما ــ على عكس جمهور التليفزيون ــ الامر الذى أثار التساؤل حول مصير الرقابة هل استمرارها لازم ام اختفاؤها هو اللازم .

فمن المعروف ان الرقابة تقوم اساسا على فكرة مضمونها وصاية من يعرفون « الرقباء » على من لا يعرفون « الجمهور » ، وهى وصاية تستهدف حماية الجمهور من مخاطر مشاهدة ماقد يضره ، وذلك بافتراض أن الرقباء لا يتأثرون بما يشاهدون مهما كانت درجة خطورته لانهم محصنون ضد جرثومة الافساد .

وان الجمهور ضعيف وبالتالى لايمكن أن تمنح له حرية مشاهدة كل ما شاهده الرقباء ، لان مثل هذه الحرية المسرفة فى الثقة به ، لابد وان تؤدى الى انحرافه على وجه ضار بالصالح العام .

وغنى عن البيان ان هذا المنطق المتعالى لا حجة فيه ، آية ذلك الاتجاه العام ــ رغم خطر العنف المتزايد فى الافلام ــ الى الغاء الرقابة على السينما بالنسبة للكبار او تخفيف احكامها فى كثير من الدول التى للراى العام فيها وزن واحترام يسمح للمواطن باسترداد كل او بعض حرياته السلبية فى مجال الاستمتاع بالفن السابع ابداعا وتلقيا بلا رقيب او حسيب .

بقلم : محمد العزب موسى

الفرق والطوائف



البهرة... الظاهر والباطن

ترددت كلمة ((البهرة)) فى مصر خلال السنوات الاخيرة عندما قامت الطائفة التى تعرف بهذا الاسم باهداء المقصورة الفضية لضريح سيدنا الحسين ، وكذلك تجديد جامع الحاكم بامر الله بباب الفتوح ، وعرف الناس ان هذه الطائفة تنتمى الى الشيعة الاسماعيلية الذين كانوا يحكمون مصر زمن الدولة الفاطمية ، ولكن تاريخ هذه الطائفة المقيمة حاليا فى الهند ظل غامضا ومشوشا فى اذهان الناس . وهناك بالتحديد نوع من الخلط بينها وبين اتباع اغاخان مع انهما ينتميان الى فرعين متنافسين فى الحركة الاسماعيلية الى حد القطيعة والعداء .



مقصورة الحسين الفضية التي اهدتها جماعة البهرة

وفيما يلي بعض النقاط التي تجلو شيئا من تاريخ البهرة واصل نشأتهم وعقائدهم بقدر ما تسمح هذه المساحة المحدودة .

● **ينتمي البهرة الى الجناح الاسماعيلي من الحركة الشيعية الكبرى التي تمثل الانقسام الاكبر في تاريخ الاسلام . وقد نشطت الاسماعيلية كحركة دينية سياسية من القرن التاسع الى القرن الثالث عشر الميلاديين .**

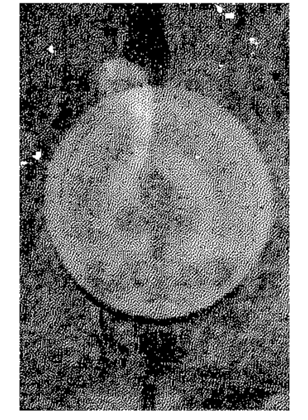
ظهرت حركة « الشيعة » او شيعة علي ، اثناء الفتنة الكبرى التي اعقبت وفاة الخليفة الثالث « عثمان بن عفان » . وكانت في أول الامر اقرب الى مجرد حزب سياسي يناصر احد المرشحين للخلافة بلا ادنى فروق دينية أو عقائدية تميزها عن جمهور المسلمين ، ثم اخذت هذه الحركة تتحول شيئا فشيئا الى فرقة دينية لها سمات عقيدية خاصة ابرزها الايمان بالامامة ، أي أن ورثاء السلطة النبوية الشرعيين الوحيدين هم نسل علي بن ابي طالب .

وبعد وفاة الامام جعفر بن محمد « الصادق » سنة ٧٦٥ م وهو الامام السادس للشيعة حدث انقسام في الفرقة ، فالذين قبلوا امامة ابنه موسى الكاظم باعتباره الامام السابع واعترفوا بخلفائه من بعده حتى الامام الثاني عشر عرفوا باسم الشيعة الاثنى عشرية ، وهم محافظون ، مسالمون ، يؤثرون التقية ، وهم في نفس الوقت اغلبية الشيعة ، ومذهبهم هو السائد الان في ايران .

ولكن بعض العناصر الاكثر ثورية من الشيعة رفضت الاعتراف بامامة موسى الكاظم ، وهؤلاء توقفوا عند اسماعيل الابن الاكبر لجعفر الصادق ، وقالوا أنه الامام السابع والاخير ، وعرفوا « بالوقفية » او « السبعية » وفيما بعد بالاسماعيلية .

وقال هؤلاء السبعية انه ليس هناك امام ظاهر بعد اسماعيل ، وان ابنه محمد التام هو المهدي المنتظر الذي اختفى وسيظهر في نهاية العالم ليعيد العدل ويمحق الظلم .

وتطورت النظرية الاسماعيلية خلال



البهرة... الظاهر والباطن

اواخر القرن الثامن والقرن التاسع الميلاديين ، وكانت تركز على الطبيعة الثنائية لتفسير القرآن ، أى أن كلام الله له ظاهر وباطن وهم أهل الباطن ، ولذا أسموا أيضا « بالباطنية » وكانوا يفرقون بين المسلم العادى الذى يلتزم بظاهر النصوص والاسماعيلى الذى يتلقى المعانى الباطنية بالتعليم عن طريق استاذه. وهذه التعاليم السرية الباطنية لا يمكن الاطلاع عليها الا خلال منظمة متعددة الدرجات تنتهى الى الداعى الاكبر وهو الذى يحل محل الامام الغائب • ويشرف الداعى الاكبر على تنظيم متدرج من الدعاة او المبشرين الذين يقودون المؤمنين بالعقيدة عبر درجات المعرفة حتى يصل البعض منهم الى المرتبة العليا وهى مرتبة الصفوة .

● نشاط فى منطقة الخليج ●

وقدم الاسماعيليون مساهمات بارزة فى الفكر الفلسفى فى الاسلام منها « رسائل اخوان الصفا » وهى دائرة معارف دينية وفلسفية متأثرة بالافكار الافلاطونية الجديدة وضعتها خلال القرن العاشر الميلادى جماعة سرية من الاخوة الاسماعيليين .

ونشط الاسماعيليون فى النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى فى منطقة الخليج وجنوب العراق تحت زعامة حمدان قرمط. وتمكن هذا الفرع من الطائفة الذى عرف أنصاره بالقرامطة من تثبيت اقدامهم فى العراق واليمن وخاصة فى البحرين ، وظلوا يناوئون الخلافة العباسية السنية حتى القرن الحادى عشر الميلادى .

وفى عام ٩٠٩ م تمكن زعيم اسماعيلى يدعى عبيد الله من اعلان نفسه كأول خليفة فاطمي فى تونس مدعيا أنه حفيد سلسلة من الائمة المستترين يتصلون بمحمد التام بن أسماعيل ، ومنه يتصل نسبه بفاطمه الزهراء بنت النبي ، ومنها جاء اسم هذه الأسرة المالكة في تونس .

وفي عام ٩٦٩ م فتح الفاطميون مصر حيث بنوا مدينة القاهره والجامع الازهر، وبالرغم من انهم لم يتمكنوا من تحويل الشعب المصرى الى العقيدة الاسماعيلية الا أنهم اتخذوا من مصر قاعدة لبناء امبراطورية تمتد لتشمل شمال افريقيا والشام والحجاز ، كما انشأوا شبكة واسعة من الدعاة فى كل انحاء العالم الاسلامى تمكنت من اجتذاب كثير من المؤيدين وخاصة فى سوريا وايران .

وفى أوائل القرن الحادى عشر حدث ثانى انشقاق فى الاسماعيلية بعد حركة القرامطة ، وقام به المؤمنون بقداسة الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمى الذى اختفى فى ظروف مجهولة اثناء تجسواله فى جبل المقطم ، وتبع هؤلاء داع يسمى « الترزى » ، وهم يقيمون حاليا فى جنوب لبنان ويعرفون بالدروز ، وكونوا ديانة مغلقة خاصة بهم .

ولكن الانشقاق العميق الاكبر فى الحركة الاسماعيلية حدث بعد وفاة الخليفة الفاطمى المستنصر عام ١٠٩٤ م وهو الانشقاق الذى ادى الى ظهور طائفة البهرة من جانب ، وطائفة الحشاشين من جانب آخر .

● بداية الشقاق ●

● دب الشقاق بين صفوف الشيعة الاسماعيلية فى داخل مصر وخارجها حول خلافة المستنصر ، فالاسماعيليون فى مصر اعترفوا بابنه المستعلى كخليفة ، ولكن اسماعيلية ايران وسوريا دافعوا عن حق ابنه الاكبر نزار فى الخلافة ، وهكذا ظهر فرعان فى الاسماعيلية هما : المستعليون والنزاريون .

فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى دب الضعف فى الدولة الفاطمية ، وتضاءلت قبضة الخلفاء ، وتزايدت سلطة العسكريين ، فاستدعى الخليفة المستنصر فى عام ١٠٧٤ م القائد

بدر الجمالي حاكم عكا العسكرى للحضور الى مصر بقواته ليأخذوا بزمام الامور .

وسرعان ما أصبح بدر الجمالي السيد الفعلى للبلاد يحمل الالقاب الثلاثة التى منحها له الخليفة : أمير الجيوش ، وداعى الدعاة ، والوزير ، دلالة على سيطرته على فروع الحكم الثلاثة : العسكرى والدينى والادارى ، غير أنه اصبح يعرف عادة باللقب الاول .

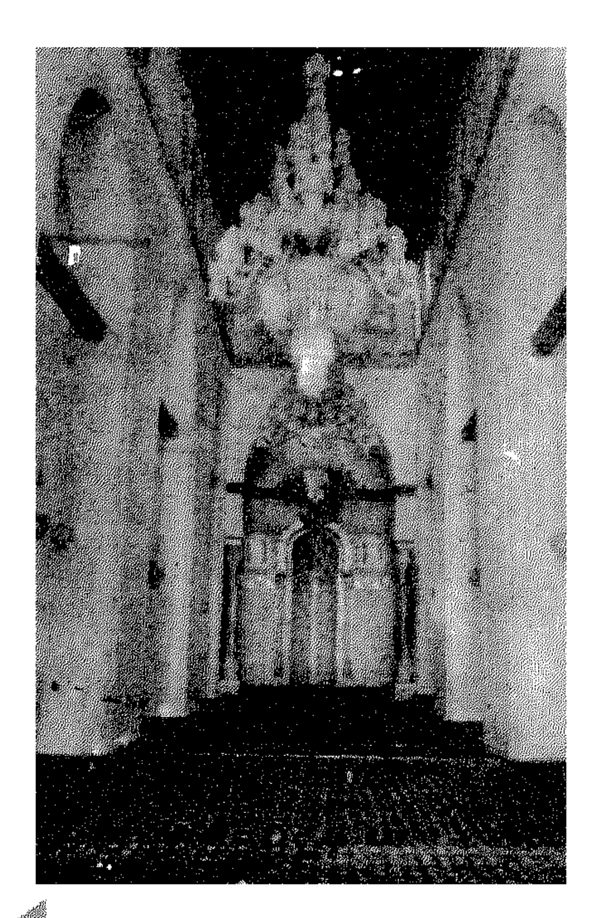
ولا تزال آثار سلطة بدر الجمالى باقية حتى الان ، فاليه ينتمى حى « الجمالية » الذى أسمى باسمه ، وكذلك حى «مرجوش» اى أمير الجيوش، وهما من الاحياء العتيقة بالقاهرة الفاطمية القديمة .

وبعد وفاة بدر الجمالى خلفه فى منصبه وسلطاته ابنه ، ثم حفيده من بعده . وهكذا سقطت البلاد فى قبضة سلسلة متتابعة من الحكام العسكريين الذين يحكمون بأسلوب دكتاتورى . وكانت هذه اشارة النهاية للأسرة الحاكمة الفاطمية .

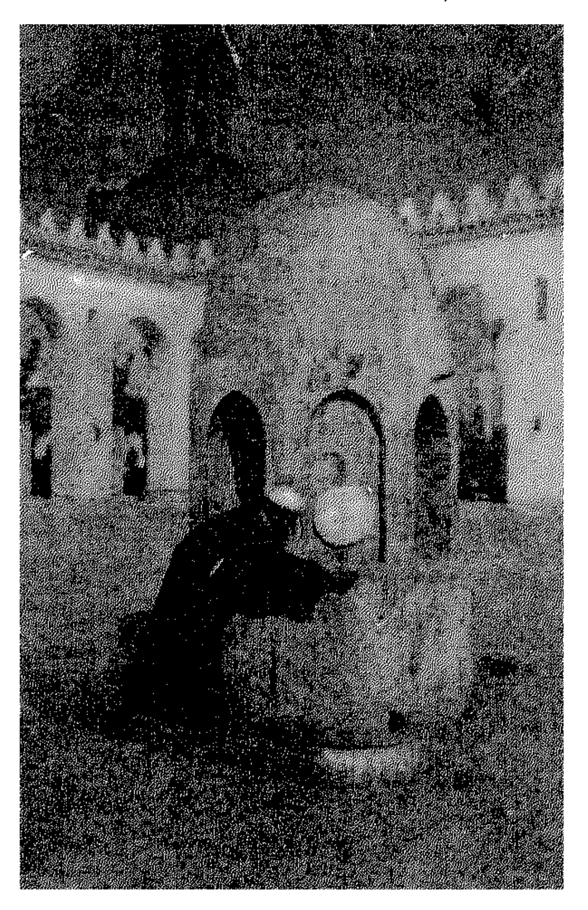
ولكن هذا الانحطاط السياسى الذى اصاب الدولة آثار السخط والمعارضة من جانب العناصر الاكثر نضالية من اعضاء الفرقة الاسماعيلية ، وتجمعت هذه العناصر وراء نزار الابن الأكبر للخليفة المستنصر وولى عهده الرسمى الذى ارتضاه رجال الفرقة ، وكان نزار شابا ناضجا ميوله مع الثوار ، ولكن عندما مات المستنصر فى عام ١٠٩٤م رفض أمير الجيوش الافضل الذى خلف أباه بدر الجمالى فى وضعه كدكتاتور عسكرى أن ينصب « نزار » ، واجلس اخاه الاصغر « المستعلى » على عرش أبيه ،وهذا المستعلى كان شابا ضعيف الشخصية لا يخشى خطره ، وفوق ذلك كان زوجا لابنه الافضل الذى دبر هذا الزواج عن عمد استعدادا لهذه اللحظة ، حتى يكون الخليفة الجديد طوعا لبنانه .

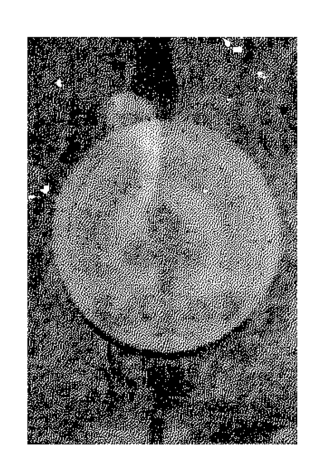
وفر نزار الى الاسكندرية مع مجموعة من انصاره ، وهناك هب فى ثورة محلية أحرزت نجاحا مبدئيا ، ولكنه لم يلبث أن هزم وأسر وقتل فى سجنه بعد ذلك .

وأدت هذه الاحداث الى انقسام الفرقة الاسماعيلية من الراس الى القدم، فالذين



التجديدات داخل جامع الحاكم بأمر الله





البهرة... الظاهر والباطن

جامع الحاكم بأمر الله
قامت البهرة بتجديده وترميمه

كانوا يناصرون نزار ، ومعظمهم من اسماعيلية الشرق فى سوريا وفارس ، رفضوا الاعتراف بخلافة المستعلى، وقطعوا علاقتهم بالمؤسسة الفاطمية الواهنة فى القاهرة . وهؤلاء تزعمهم حسن الصباح على الفور وانشأ بهم فرقة ثورية جديدة عرفت فيما بعد « بالحشاشين » ولعبت دورا متزايد الاهمية فى سياسات المنطقة.

ولم يمض وقت طويل حتى كان الاسماعيليون الذين قبلوا المستعلى كخليفة قد قطعوا علاقتهم كذلك بالنظام القائم فى القاهرة . ففى عام ١١٣٠ اغتيل «الآمر» ابن المستعلى وخليفته بأيدى النزاريين، ورفض اتباعه ان يعترفوا بالخليفة الجديد ، ونمت بينهم عقيدة بأن ثمة ابن طفل ضائع للآمر يدعى « الطيب » هو الامام المخفى والمنتظر ، ولن يكون هناك ائمة بعده .

وعندما قضى القائد الكردي صلاح الدين

« الأيوبى » على الخلافة الفاطمية فى مصر عام ١١٧٢ غادر اتباع المستعلى البلاد ، وذهبوا الى اليمن ثم الهند حيث جنحوا الى الهدوء والركود ، وأصبحوا يسمون « بالبهرة » .

● ورث البهرة ((المستعليون)) العقائد التقليدية فى الفكر الاسماعيلى مثل فكرة الامامة والتفسير الباطنى للقرآن .. الخ فهم محافظون على ((الدعوة القديمة)) بعكس النزاريين ((الحشاشين)) الذين حوروا فى هذه العقائد وأسموا انفسهم أصحاب ((الدعوة الجديدة)) .

● محورية الامامة ●

ويرتكز النظام الاسماعيلى ، فكرا وتطبيقا ، حول فكرة محورية هى « الامامة » .

فهم يؤمنون أنه بعد أن تم خلق العالم نتيجة فعل « العقل الكونى » فى « الروح الكونية » دخل التاريخ البشرى فى سلسلة من الحقب أو الدوائر ، على رأس كل منها امام « ناطق » وهو النبى المرسل من الله ، ويتتابع بعده ائمة « صامتون » وهؤلاء الائمة يكونون احيانا « مستترين » ، وأحيانا « ظاهرين » تبعا لفترات اختباء العقيدة او ظهورها .

ويقولون ان الامام الناطق للدورة الحالية هو النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، ويتلوه الائمة الصامتون « الظاهرون والمستترون » من نسل على وفاطمة عبر اسماعيل .

والامام الناطق او النبى يعلن الشريعة ، ولكن الامام الصامت يضمر « الحقيقة » ، ولذلك فان مقام الامام يكون احيانا أعلى من مقام النبى !.

والامام هو ينبوع المعرفة والسلطة معا ، لانه مطلع بالتلقين اللدنى على الحقائق المخفية عن الاخرين ، ولذا فان أوامره تقتضى الطاعة التامة التى لا تناقش ، وهو الذى يعلم اتباعه ومريديه ، وليس هناك مصدر آخر للعلم سواه . ولذا أسموا أحيانا « بالتعليمية » لان مذهبهم يدعو الى ابطال الراى ، وابطال تصرف العقول ، ودعوة الخلق الى التعلم من الامام المعصوم « فضائح الباطنية للغزالى تقديم عبد الرحمن بدوى » .

وعلى ذلك ، فان الائمة فى الفكر الاسماعيلى معصومون من الخطأ وموحى اليهم ، اى انهم فى الحقيقة مقدسون لا تجوز مخالفتهم او مساءلتهم فى شىء مهما بدا غريبا فى اعين البعض .

ويرون ان القرآن الكريم له ظاهر وباطن ، والامام هو القادر على « تأويل الباطن » اى التفسير الرمزى للقرآن ، ومن ذلك اشتق تعبير « الباطنية » الذى عرفت به الفرقة احيانا .

وقد فتح هذا المجال أمام بعض فروع الفرقة لانتهاج تعاليم مناقضة ترجع الى اقصى التطرف الالحادى والصوفى الذى عرفه الاسلام ، الى حد ان قالوا ان حرفية الشريعة تلغى بالنسبة للاسماعيلى المؤمن .

● بهرة الهند ●

عندما غادرت طائفة المستعلية مصر نقلت مركزها الدينى الى اليمن حيث كانت قد اكتسبت لنفسها موطأ قدم هناك عن طريق الدعاة فى القرن الحادى عشر . وقصد بعضهم الهند حيث اشتغلوا بالتجارة فى جوجارات ، فعرفوا بالبهرة ومعناها بلغة جوجاراتى « التجار » .

وفى عام ١٥٣٩ ، وكانت طائفة البهرة قد قويت فى الهند ، انتقلت القيادة من اليمن الى سيدهبور بالهند . ولكن لم يلبث أن حدث انشقاق فى الطائفة عام ١٥٨٨ بين أتباع داود بن قطب شاه وأتباع سليمان ، وكل منهما كان يدعى لنفسه الأحقية فى الزعامة على الطائفة .

ولا يزال الداوديون والسليمانيون هم اكبر مجموعتين داخل طائفة البهرة الى اليوم ، وليست بينهم اختلافات عقائدية كبيرة . ويقيم داعى الداوديين فى بومباى ، وزعيم السليمانيين فى اليمن . والداوديون هم الذين اهدونا مقصورة الحسين الفضية ورمموا جامع الحاكم بأمر الله .

أما الخلاف العقائدى بين البهرة وأتباع أغاخان ، وهم أحفاد النزاريين ، فكبير ، بالرغم من أن الفريقين يدعيان بالاسماعيلية ، فالبهرة يعتقدون فى وجود امام مستتر ، أما أغا خان فهو فى اعين أتباعه امام ظاهر ، وهذا ما يعطيه قداسة ترفعه عن مستوى البشر .



السّياسة المصريّة فى عهد: السادات

تأليف : ريموند ا. هينبوش
عرض : د. أمين العيوطى

هذا كتاب يحاول أن يجيب على أسئلة كثيرة : كيف استطاع السادات أن يقوض الكثير مما فعله عبدالناصر فى فترة وجيزة ؟ كيف أمكنه أن يقوم بهذا دون إجماع شعبى على شخصه أو سجله ؟ هل جاء التغيير نتيجة ضغوط قوى اجتماعية داخلية ، أو قوى سياسية خارجية ، من الذى كسب من التغيير ومن الذى دفع الثمن ؟

وبداية فإن الكتاب ينطلق من مفهوم أنه على الرغم من الانفصال بين المرحلتين ، الا انهما فيما بينهما تشكلان مرحلتين فى عملية تكوين الدولة المصرية الحديثة التى وضع عبدالناصر قواعد مؤسساتها ، وأوجد لها مكانا بين النظم الاقليمية الدولية ، فى حين أكد السادات هذه الدولة الجديدة من خلال مصالحتها مع القوى السائدة فى بيئتها .

بدأ المشوار منذ أن أشعل القضاء على الملكية صراعا على السلطة شاركت فيه قوى اجتماعية عديدة . غير أن الضباط الأحرار قرروا ألايتقاسموا السلطة مع أحد ولاحتى باسم الديموقراطية ، خشية أن يؤدى التقاسم إلى تهديد حلمهم بالتحديث والاصلاح وانشاء دولة قوية . وادت المعارضة المدنية التى لقيها الحكم العسكرى الى تصفية كل القوى السياسية المعارضة . وكان على النظام أن يخرج من عزلته السياسية بتكوين قاعدة جماهيرية . وقد ساعدت شخصية عبدالناصر الفذة على تقبل الجماهير له بطلا شعبيا يمكنها أن تثق فيه ، وخاصة بعد انتصاراته السياسية مع الاستعمار والاحلاف الغربية بالمنطقة وحظر بيع السلاح لمصر وتأميم قناة السويس وتحديه للعدوان الثلاثى والوحدة مع سوريا وإحياء الروح القومية واستعادة الكرامة المصرية . أطلق كل هذا يد عبدالناصر فى تغيير مصر بإحساس أن الشعب قد أوكل إليه وصاية شعبية . لكنه فى الوقت نفسه دعم ميول الضباط الاحرار الدكتاتورية واهمالهم خلق مؤسسات سياسية .

● دولة دكتاتورية - بيروقراطية ●

كون هذا النظام دولة تقوم على الدكتاتورية والبيروقراطية على قمة الدولة كان الرئيس يسيطر على النظام ، ويسخر الرئاسة فى خدمة رؤياه للصالح العام . وكان عبدالناصر يتمتع بالنزاهة والشرف ، والتوحد مع الجماهير ، والحافز ، وقوة الاحتمال ، وبهذا جعل الرئاسة مصدر المسئولية الأول فى النظام ، وركز المبادرات فى الرئاسة على حساب المؤسسات السياسية الأخرى .

حول عبدالناصر كانت هناك صفوة من العسكريين وحفنة من المدنيين خارج حدود هذه الدائرة ، كانت الصفوة الحاكمة تتألف من محترفى السياسة والتكنوقراط يشغلون وزارات اقل أهمية سياسيا ، مع وجود وكلاء وزارات ومحافظين من الضباط كهمزات وصل أمينة سياسية بين القيادة ومواقع العمل ، كان العسكريون المنتشرون فى قمة جهاز الدولة يقومون بتنفيذ سياسات النظام ، والخبراء المدنيون يوفرون لهم الكفاءة التقنية اللازمة .

ولم يتقاسم عبدالناصر السلطة مع أحد ، كان المسئول الأول عن المبادرات السياسية التى كانت تناقش فى اجتماعات مجلس قيادة الثورة ، أو داخل الوزارة ، وان كان يسمح أحيانا لمجلس الشعب والصحافة أو أصحاب المصالح بابداء الرأى ، وكان تركيز السلطة فى يده عاملا هاما فى احداث تغييرات أساسية سريعة ، وان كانت القرارات الخاصة بهذه التغييرات تتجاهل العقلانية التقنية ووجهات نظر أصحاب المصالح .

فيما دون هذا المستوى كان كبار البيروقراطيين والوزراء وقادة الجيش يديرون الوزارات والقطاع العام والقوات المسلحة . وقد جاء معظمهم إما من النظام القديم ، أو من تكنوقراطى الطبقة الوسطى الكبرى ، أو من أبناء الطبقة الوسطى والوسطى الصغرى الذين أتاح لهم توسع التعليم فرصة الصعود الاجتماعى ، وكان أحد أهداف النظام الجديد رفع كفاءة البيروقراطية وتوسيع وظائفها ، غير أن التوسع البيروقراطى سرعان ما أثبت أنه عقبة فى سبيل التنمية لانعدام كفاءته وفاعليته واحساسه بأخلاقيات العمل والاحساس بالواجب . هذا بالاضافة إلى سوء معاملة الجمهور واستغلال الموقع . رغم ذلك لم يكن

السادات

هناك بديل للبيروقراطية لتنفيذ برامج النظام من الاصلاح الزراعى الى توسيع الخدمات الاجتماعية .

كان نظام عبدالناصر سلطويا بيروقراطيا ، لكنه لم يستغن عن بناء سياسى تحتى للتحكم فى المعارضة ، واقامة قاعدة شعبية ، وتوفير قناة اتصال بين الصفوة والجماهير . لكن مثل هذه الابنية لم تحقق استقلالا ذاتيا ، وكانت المؤسسات التنفيذية ترجح المجالس النيابية ، كذلك كانت الوزارة مسئولة أمام رئيس الجمهورية ، لاأمام المجلس النيابى . وكان من سلطات الرئيس التشريع بمرسوم ، وحل المجلس النيابى .

كذلك أسس النظام حزبا واحدا لم يكن له هو الآخر استقلال ذاتى . كان يضم اسميا كل السكان بغض النظر عن التزاماتهم السياسية ، وبالتالى انضمت اليه عناصر معادية للنظام . على قمة الحزب كان الضباط الاحرار ، يليهم البيروقراطيون ، يليهم المسئولون المحليون أو الشخصيات البارزة . لكنه لم يكن مسموحا له بوضع سياسات بديلة . ولما كان ينقصه التماسك العقائدى والهيكل التنظيمى فقد فشل فى تعبئة الجماهير وتنفيذ السياسة . هكذا فشلت الناصرية فى ان تؤسس نفسها من خلال حزب عقائدى يضمن استمرارها .

وبالمثل كانت نقابات العمال تحت وصاية الدولة ، تستخدم للمحافظة على النظام فى المهن المختلفة وحظر الاضرابات . أما وسائل الاعلام فكانت أداة لتكوين الرأى العام ، ونقل وجهات النظر الحكومية . ورغم السماح لها بالنقد والمناقشة ، إلا أنها لم يكن يسمح لها بمعارضة سياسات النظام . فى كل الحالات فشل النظام فى تأسيس مشاركة سياسية فعالة .

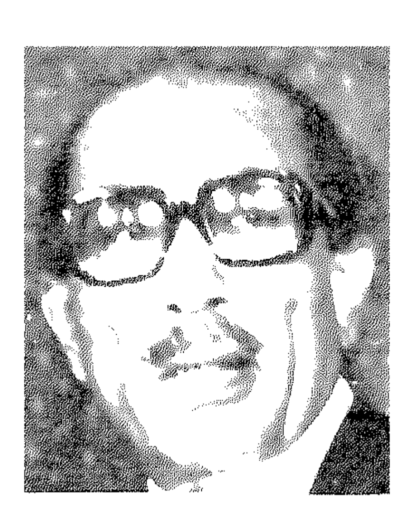
● تحلل الدولة الناصرية ●

كان اتساع التناقضات بين السياسة الاشتراكية وبين شرائح البرجوازية السائدة فى قاعدة النظام الاجتماعية العامل النهائى فى تقويض الناصرية . فقد سمحت استراتيجية التنمية لفئة الراسمالية الوطنية بالعمل فى مجالات الانشاءات والزراعة والتجارة ، فأكثروا من احتكارات تجارة الجملة ، والتعامل فى السوق السوداء . وفى الريف حول ملاك الأراضى سياسة التنمية الزراعية لصالحهم كذلك استغل المقاولون والتجار الدولة وأخفوا أموالهم بدلا من استغلالها وكان كثير من المشرفين على تخطيط الاقتصاد الاشتراكى وادارته ليبراليين غير متعاطفين مع الاشتراكية ، شأنهم شأن مديرى القطاع العام الذين جاءوا من صفوف ملاك سابقين أو من مؤسسات مؤممة . حتى العناصر التى اجتذبها النظام من أبناء الطبقة الوسطى الريفية ووصلت إلى مراكز عليا مالبثت أن التقت أهدافها مع أهداف الفئات السابقة . بل وإن بعض الضباط الأحرار أنفسهم مالبثوا أن «تبرجزوا» بزواجهم من العائلات القديمة ، وانفصالهم عن أصولهم ، ودخولهم فى تحالفات مع برجوازية القطاع الخاص ، وفقدان الاهتمام بدفع الثورة . كان الاعتماد على عناصر معادية لتنفيذ الاشتراكية هو ما قوض الجهد كله . كان عبدالناصر يحاول بناء اشتراكية بدون اشتراكيين ، وبدون حزب قوى فعال ، وبدون نشر وعى سياسى حقيقى فى الشارع المصرى . وبدون مؤسسات سياسية ذات مصلحة يمكنها الدفاع عن النظام .

وقد قوضت هزيمة ١٩٦٧ الناصرية كسياسة خارجية ، ودمرت مصداقية القومية العربية ، ووضعت حدا لتحدى عبدالناصر للدول البترولية المحافظة . كذلك أدى فشل الاتحاد السوفيتى فى حماية حلفائه فى المنطقة الى تقوية العناصر



جمال عبدالناصر



انور السادات

المناوئة لموسكو والموالية للغرب . وجاء قبول عبدالناصر بخطة روجرز اعترافا منه بالدور الذى يمكن أن تقوم به أمريكا .

ولدت الهزيمة أيضا أزمة اقتصادية استنزفت النظام من الداخل لانقطاع دخل قناة السويس وحقول بترول سيناء والسياحة . كذلك فرضت على الدولة أعباء إعادة إنشاء القوات المسلحة وتوطين اللاجئين مما ترك أثره على جهود التنمية والركود الاقتصادى .

وفى الداخل ولدت الهزيمة عدم ثقة الجماهير بالنظام . ومع اليأس والسلبية لم تكن هناك أية مقاومة لمن كانوا ينشدون تقويض ماقام به الزعيم ، ومن داخل النظام كان اليسار يدعو الى تعميق الثورة ، وتعبئة الجماهير لحرب شعبية ، والتقشف . وكان اليمين يدعو الى تحرير الاقتصاد والاتجاه للغرب . وأدى هذا الى حل « منظمة الشباب الاشتراكى » ، واهمال الجمعيات الزراعية ، وعودة الأثرياء الى مجلس الشعب ، والسماح باستيراد الكماليات لارضاء البرجوازية ، مع فرض ضرائب جديدة على رواتب العمال وضروريات الحياة . وأدى عدم توزيع الأعباء توزيعا عادلا الى مزيد من الهجوم على الاشتراكية بعد تولى السادات .

● صنع مصر السادات ●

فى الفترة ما بين ١٩٧٠ ـ ١٩٧٣ كان السادات يكافح ليؤكد وضعه كرئيس جديد ضد منافسيه من الجناح اليسارى فى مجلس قيادة الثورة ، وهو الصراع الذى كشف عن وضع الجناح اليسارى الهش داخل مؤسسات الدولة العسكرية والسياسية ، وعجزه عن تحريك الجماهير لصالحه ، وانتهى بالقبض على معارضى السادات وشغل مواقعهم بشخصيات موالية له ، هكذا انتهى الضباط الأحرار كقوة سياسية تسيطر من موقع القوة ، مما ترك السادات حرا فى توجيه مصر الى اليمين .

كان هم السادات الأول إيجاد طريقة لانهاء احتلال سيناء ، ليكسب شرعيته كرئيس . وكان حل الموقف العسكرى يعنى حل الموقف الاقتصادى المترتب على اغلاق القناة وتكاليف الجيش عند ضفة القناة . ومنذ البداية أبدى السادات استعداده لاقرار المشكلة ولو جزئيا من خلال المفاوضات غير أن الولايات المتحدة كانت مصممة على إبقاء اسرائيل قوية ، فى حين راحت تلوح للسادات بامكانية الحل السلمى تحت رعايتها . ولم يكن السوفيت على استعداد لاعطاء مصر العتاد العسكرى اللازم للهجوم لتشككهم فى جدية مصر فى الاعداد

السادات

للحرب ، وخوفهم من أن ينتهى نفس نهاية ١٩٦٧ مما قد يؤدى الى مواجهة مع الولايات المتحدة ، خاصة من أجل نظام تخلص من الجناح اليسارى فيه وأبدى استعداده للتوجه غربا .. وكان أن طرد السادات المستشارين العسكريين السوفيت فى ١٩٧٢ . غير أن مناورات السادات بين القوتين الأعظم أدت الى حصوله على كميات هائلة من السلاح الروسى كافية لتحقيق عبور القناة ، فى حين كانت الدبلوماسية المصرية تناور فى واشنطن لحل الأزمة سلميا . لكن الوسائل الدبلوماسية لم تكن كافية لاقناع الأمريكيين ، مما دفع السادات الى اشعال حرب محدودة لاحرب شاملة . كانت الحرب تعنى فى النهاية خطوة نحو سلام جزئى ، وتخلى مصر عن التزاماتها العربية وموقفها ضد الامبريالية .

● السادات يعيد توجيه مصر ●

اكتسب السادات شرعيته باعتباره « بطل العبور » واستغل مكتسبات الحرب لتغيير سياسة مصر الخارجية واستراتيجيتها الاقتصادية . وهكذا قاد ثورة مضادة أدت الى استعادة البرجوازية لمكانتها والى الانفتاح على الغرب . وكان هذا يعنى تغيير سياسة عبدالناصر الخارجية القومية فالانفتاح يقابله التخلى عن عدم الانحياز ، والوحدة العربية يحل محلها شبكة علاقات اقتصادية ودبلوماسية بين مصر والعرب ، وتقويض العلاقات المصرية السوفيتية . وانسحاب مصر من الصراع العسكرى .

وقد أدركت الولايات المتحدة أن مصر كانت مستعدة لاتفاقية سلام ، وأن وساطتها ستمكنها من حماية مصالحها وتقليص النفوذ الروسى فى المنطقة . لكن اتفاقية السلام حرمت المنطقة من تسوية شاملة ، واضعفت اختيار الحرب خاصة بعد موافقة السادات على سحب الصواريخ من ضفة القناة وعلى وجود قوات رمزية فى سيناء . وبفقدان هذا الاختيار راهن السادات على الوساطة الأمريكية بمكانته ، وأضعف العلاقات المصرية السوفيتية . وبحرمان مصر من الدعم العسكرى السوفيتى تدهورت قدرة مصر العسكرية ، وقدرتها على المساومة .

وقد أدى الانفتاح إلى تحديد اتجاه جديد فى السياسة الاقتصادية . فقد أدى إحياء القطاع الخاص واجتذاب رءوس الأموال العربية والعالمية الى قلب الاقتصاد الناصرى وربط مصر بالنظام الرأسمالى العالمى . وساعد على دعم هذا الاتجاه الكساد الاقتصادى والديون الخارجية وغياب الدعم السوفيتى المادى والتكنولوجى ، وانعدام الثقة فى القطاع العام ، والتطلع نحو الدعم المتاح من الغرب ، وتزايد السكان ، واعتماد مصر على فائض الطعام فى الغرب . وأدى هذا المسار الى تزايد طلب المستثمرين الأجانب والعرب التخلص من السياسات الناصرية فى صالح السوق الغربى . وعلى المستوى المحلى استعادت برجوازية القطاع الخاص سيطرتها الاقتصادية ونفوذها السياسى ، وراحت تطالب بتحرير الاقتصاد وفتح فرص جديدة مع الشركات الغربية وعيونها على فرص الثراء والعمولات والوظائف المجزية فى الشركات الأجنبية . وكان السادات يشاطر البرجوازية الرأى فى أن اشتراكية عبدالناصر قد وصلت الى طريق مسدود ويشعر بالحاجة الى تدعيم مكانته وسط البرجوازية الجديدة ، وباركت الولايات المتحدة هذا الحلف بين السادات والبرجوازية .

● كشف حساب ●

وصلت سياسة السادات الخارجية الى قمتها فى أواخر السبعينات بتضحية مصر

بمكانتها فى العالم العربى فى مقابل سلام منفرد مع اسرائيل . بل ان السادات اكتشف فى كامب ديفيد كم كان فى امكان الضغط الأمريكى أن يجلب له فى غيبة أى تهديد عسكرى حقيقى لاسرائيل . ولم تقدم اسرائيل تنازلا كبيرا فيما يتعلق بالحكم الذاتى للضفة الغربية ، أو تقليل بترتيب اتفاق مشابه مع سوريا بشأن الجولان . وكان على السادات أن يعترف بفشله وأن يخسر مكانته « كبطل السلام » ، أو أن يقبل صلحا منفردا . **وربما صدقت التأكيدات الأمريكية بأن كامب ديفيد سوف تؤدى الى تنازلات اسرائيلية جديدة . والحقيقة انه هو الذى أعطى تنازلات أبعد حين تنازل عن الربط بين السلام والتطبيع وبين الحكم الذاتى للفلسطينيين** . بل ان بنود المعاهدة ذاتها أضعفت من سيادة مصر على سيناء . ولم تكن عزلة مصر عن العالم العربى تعنى فقدان السوق العربية والاستثمارات العربية ، لكنها تعنى أيضا فقدان المستثمرين الأجانب الذين كانوا يريدون مصر قاعدة لعملياتهم فى الشرق الأوسط . وفى مقابل حرق كل سفنه مع الاتحاد السوفيتى تزايد اعتماد السادات على المساعدات والدبلوماسية الأمريكية . وقد تزايد ظن السادات أن اقناع أمريكا بأن تلعب مصر دور اسرائيل فى المنطقة قد يضعف قيمة اسرائيل بالنسبة لأمريكا . هكذا جاءت مساعداته العسكرية للسودان وزائير ، وحرب الحدود مع ليبيا ، ومنح القوات الأمريكية تسهيلات فى مصر . وكان كل ما حصلت عليه مصر من أمريكا أسلحة لا تسمح لها بالتفوق على اسرائيل ، وبليون دولار مساعدة اقتصادية .

● السادات والمعارضة ●

أدى الانفتاح الى انتعاش المقاولين والمضاربين فى العقارات والتجار والمستوردين ووكلاء الشركات الأجنبية ووكالات السياحة والبرجوازية الزراعية وبرجوازية الدول العاملة فى المشروعات المشتركة والمسئولين الذين يحصلون على عمولات من إبرام عقود الدولة والبرجوازية الطفيلية . ومن ناحية أخرى تحملت الطبقة الوسطى الصغرى والطبقات الدنيا تكاليف الانفتاح ، وزاد التضخم والبطالة ، وزادت الفروق بين الطبقات . لكن المصادر الجديدة ، والدخول المتزايدة ودعم المواد الغذائية وتصدير العمالة ساعدت على تخفيف حدة الصراع الطبقى .

لكن السادات واجهه فى ١٩٧٦ رد فعل متزايد ضد سياساته فى اليمين واليسار معا ، وصل إلى قمته فى انتفاضة يناير ١٩٧٧ ، التى كانت ضربة موجعة لسلطته وهيبته ، وكانت مناسبة لأول هجوم مكشوف قام به على عبدالناصر والاشتراكية واليسار ، وفى صيف نفس العام جاءت الضربة التالية من الجماعات الاسلامية التى كان النظام يشجعها من قبل والتى تحولت ضد السادات بعد اتجاهه للغرب ، وقد حاول احتواء هذا التيار بتحريك المؤسسة الاسلامية الرسمية ضدها ، وعن طريق تبنى سلوك ورع محافظ . وفى ١٩٧٨ ظهرت موجة من النقد تركزت حول المشاكل الاقتصادية والفساد وبيع هضبة الهرم وأسلوب السادات الشخصى فى الحياة المرفهة وأنشطة معاونيه . وبعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد فى سبتمبر ١٩٧٨ أعاد السادات تشكيل « وزارة سلام » هدفها الديموقراطية والسلام والرخاء ، غير أن الرخاء لم يأت ، وبدت آثار عزلة مصر عن العالم العربى وخيبة الظن فى رخاء السلام تبدو فى معارضة سياسة الانفتاح وانعدام الديموقراطية وديكتاتورية الحكم ، وفى انضمام الجماعات الاسلامية الى صفوف المعارضة خاصة بعد نجاح ثورة الخمينى ، مما أدى الى عزل السادات عن حلفائه السابقين . وقد حاول تلطيف معارضة الجماهير بتخفيض الأسعار وفرض الرقابة عليها ليحول المعارضة

المتزايدة لعلاقاته مع الغرب واسرائيل ، لكنه لم يلبث أن لجأ الى سياسة القمع فى ١٩٨١ مما أدى الى مصرعه فى أكتوبر من نفس العام .

● حكم السادات : ملكية رئاسية ●

فى ظل حكم السادات ظل تركيز السلطة فى يد الرئيس ، لكن قواعد السلطة وتوجيهها أصبحت اقرب إلى « ملكية رئاسية » فى ميله الى التعامل مع الدولة كما لو كانت ملكية خاصة ، ومع المواطنين على أنهم أتباع سياسيون . كما أنه اعتمد على استخدام أسلوب الحكم التقليدى « فرق تسد » ، واحتمال الفساد . وخلق شبكة عائلية فى مواقع استراتيجية . كما أصبحت سلطة السادات تقوم على رموز الحكم الدينى والأبوى (كبير العائلة) ، وأصبحت السلطة فى يده وسيلة للمحافظة على نظام ما بعد الثورة وتثبيته .

وفى عهد السادات اختفت رموز الثورة ، بل أصبحت موضع هجوم لم تسلم منه الاشتراكية ايضا . فى مقابل هذا دعا السادات الى مجتمع يقوم على العائلة والدين وجد له مجتمعا نموذجيا فى مجتمع القرية الذى يتسيده كبير العائلة ، وتنبع منه قيم العيب ، ويتناغم فيه الفقير والثرى ، ويختفى منه الحقد الطبقى ، وتسوده قيم التحمل والارادة والتسامح والتماسك ، ويستمد مصادر طاقته من الدين الذى يحميه من الالحاد الماركسى والمادية الفردية

كانت هذه النغمة تعكس محاولة لتخدير الصراع الاجتماعى لم تنخدع بها الصفوة المثقفة ، لكن الفئات الدينية والملاك الزراعيين المحافظين رأوا فيها عودة إلى القيم التقليدية الأصيلة .

وقد استمر خط دكتاتورية الرئاسة خاصة فى تصورات أبوية الحكم . لكن الصفوة أصرت على أن مصر كانت تتحرك فى ظل السادات من الشرعية الثورية الى الشرعية الدستورية ، بعد إحلال حكم القانون محل الحكم الشخصى ، واحلال تعدد الأحزاب محل الحزب الواحد . ورغم ذلك فإن السادات كان يرى أن الديموقراطية تجلب معها أخطارها خاصة مع جماهير اعتادت الديكتاتورية بحيث تنساق الى الفوضى والتمرد إذا منحت حريتها بسرعة كبيرة ، وكان بعض أفراد الصفوة الحاكمة يرون أن الجماهير ينقصها الاحساس بالمسئولية التى تتمشى مع حقوقها السياسية .

● الجماهير والمشاركة السياسية ●

ظلت مصر فى عهد السادات دولة دكتاتورية بيروقراطية بلا مؤسسات فعالة قادرة على تعبئة الجماهير فى المشاركة السياسية ، رغم أن تغير الظروف الموضوعية قد جعل المصريين أكثر ميلا الى التعبئة السياسية . فقد أدى تحول مصر من مجتمع زراعى الى مجتمع طبقى إلى خلق وعى سياسى ذاتى كبير . وقد أسهم التعليم ووسائل الاعلام فى توسيع القاعدة الاجتماعية للمشاركة السياسية ويشهد بهذا النشاط السياسى فى الجامعة والمصنع والشارع .

وقد كان ربط الجماهير بالصفوة الحاكمة فى ظل عبدالناصر والسادات يهدف الى احتواء المطالب الجماهيرية والسيطرة على المعارضة حتى يتوافر النظام على متابعة السياسات التى يعتقد أنها الأفضل . لكن عبدالناصر كان يخشى النشاط



حسنى مبارك

السياسى للطبقات المتعلمة والبرجوازية والمثقفين ، أما السادات فقد كان يرى فى البرجوازية قوى صديقة ويتيح لها المجال فى المشاركة السياسية فى حين كان يخشى الجماهير ويخشى تسييسها .

وكان نظام السادات مرتبطا بالمجتمع من خلال الحزب الحاكم ، المجلس النيابى ، النقابات ، المجالس المحلية ، كقنوات لاستيعاب متطلبات المشاركة وتعبئة دعم الناس للنظام . غير أن كفاءة هذه الأجهزة لم تتضح إلا فى حالة المتعلمين الذين يملكون . وكانت البيروقراطية رابطة هامة اذ كانت تضم آلاف المواطنين وتتغلغل أبنيتها فى أوساط الناس . وكان السادات نفسه يلعب دور الراعى الأول وهو يوزع الأراضى المستصلحة والمساكن الجديدة على سكان الأحياء الفقيرة ، أو فى منح مكافآت لموظفى الدولة فى المناسبات . وكان الوزراء يربطون ما بين الناس والحزب . كما كان السادات يستخدم المؤسسة الدينية لعقد صلات مع الطبقات الدنيا ، ولاضفاء المشروعية على السياسات الحكومية ، أو استنكار المعارضة . وكانت وسائل الاعلام وسائل ربط أخرى . وفى حالة فشل كل هذه الوسائل كان السادات يلجأ الى جهاز القمع لمواجهة أى محاولة لتحدى النظام . وفى أواخر السبعينات لجأ الى توسيع قوات الأمن ضد أى معارضة نشطة .

ولما كان السادات قد أسس حكمه على دعم البرجوازية ، فقد أصبح المجلس النيابى والنقابات المهنية وسائل فعالة للتعبير عن مصالح البرجوازية ، فى حين أن أية محاولة لاستخدام اتحادات الطلبة أو الجوامع أو نقابات العمال كقنوات للتعبير عن مصالح أخرى لم تكن تلقى نفس التسامح ، وهو ما يعنى أن المشاركة السياسية كانت مقصورة على أصحاب المصالح الاقتصادية التى تتمشى مع سياسة الانفتاح .

● ما بعد السادات ●

بعد أربع سنوات من وفاة السادات ظل النظام الجديد الذى أسسه متماسكا ، وظلت بنية الدول السلطوية البيروقراطية قوية . ويشهد بذلك تولى الرئيس مبارك السلطة فى هدوء على خلاف ما حدث عند تولى السادات نفسه السلطة . وتدل سرعة ممارسة الرئيس مبارك لكامل سلطاته على اكتساب منصب الرئاسة صفته الدستورية ، ومدى سيطرة الشرعية القانونية . وقد أعاد الرئيس مبارك بعث الليبرالية التى أوقفها السادات فى ١٩٨١ ، فسمح بصحافة المعارضة وأحزابها بممارسة نشاطها من جديد . وقد أدت محاكمات الفساد الى اعادة ثقة الجماهير فى النظام . كان هذا دليلا على القوة والمرونة .

وقد طرحت آراء حول اصلاح الانفتاح ، لاعن التخلص منه . ذلك أن السادات قد خلف وراءه بناء سياسيا متماسكا يضرب بجذوره فى تربة القوى الاجتماعية السائدة ، قادرا على الصمود أمام أى تغيير . وسوف يؤدى استمرار الانفتاح الى مزيد من توسيع قاعدة الليبرالية .

قصة

المقابلة

بقلم : حسين عيد

« لقد كان الموعد ظهرا .. فلماذا لم يظهر حتى الان ؟! »

كانت الشمس تصلى الواقفين نارا حامية . احس بها تلهب راسه . تذكر البرقية حاول ان يخترق الجموع المحتشدة امامه .. بصعوبة شديدة امكنه ان يتقدم . وصل الى البوابة الضخمة وجد رجال الامن امامها ، يوقفون تقدم اى شخص ..

اقترب من احدهم . اخرج له البرقية: لقد قال لى ان نقابله هنا .. فهل سياتى اليوم ؟!

ازاحه رجل الامن للوراء بقسوة ـ : لا تحاول ان تتقدم .. ارجع للوراء فورا ..

ـ ولكنى فقط ..

ـ قلت لا تحاول ..

كان الى جواره عجوز يرتدى جلبابا .. وعمامة بيضاء ضخمة على راسه .. اندفع للامام محاولا اختراق البوابة، وتجاوز رجال الامن ، الذين سرعان ما احضروه .. فاخرج لهم برقيته ايضا . نشرها امامهم . انتزعها احدهم، مزقها قذفها الى اعلى فتناثرت مزقها فى الهواء .. وبسرعة دفعوه للخلف . اجبروه على التراجع ..

كان الرجل يرقب العجوز صامتا .كور البرقية فى يده . اندس بين صفوف الواقفين بهدوء ..

قال الرجل لمرافقه : حتى السؤال فشلت محاولته ..

ـ لننتظر .. فالبرقية تؤكد مجيئه..

ـ الى متى يمكن ان نحتمل ؟!

بدا الرجل يجفف عرقه .. كانت الشمس الحمراء تطارده الان : تكاد تفجر راسه .. جذب مرافقه من يده : لننزو فى مكان ظليل ..

انقاد له الاخر ، تحركا بين جموع المحتشدين . وجدا مكانا قريبا على حافة الرصيف فى الظل . جلسا فيه . تطلع الرجل حوله .. كان المكان مزدحما .راى ـ بجواره مباشرة ـ بعض الرجال جالسين وآخرين ممددين على الارض . وقد توسد بعضا منهم متاعه . بينما انهمك بعضهم الاخر فى تناول طعامهم او شرابهم بنهم . كان هناك بعض الاطفال الصغار يلهون حول المكان .. سمع اصوات الحاضرين وقد امتزجت بنداءات الباعة الجائلين . وارتفعت بينها اصوات غناء انبعثت من مسجلات مع بعض الاشخاص ، من اماكن متفرقة .. والى يمينه . كان هناك صفان من المبانى ، ذات الطابق الواحد ، مقسمة ، ربما لتكون محلات .. ومن بعيد ، وراءالجميع كان يرتفع حائط السور ، رهيبا ، ممتدا حتى الافق .. ومن خلفه بدت بناية ضخمة ، كقصر . وبجوارها رافعتان من الحجم العملاق ..

تنحنح المرافق : اشعر بالعطش ..



بريشة : حامد صقر

المقابلة

ساشتري زجاجتي مثلجات ، لعلهمـــــا تساعد ..

اومـا له الرجـــل موافقـــا . ثم قال : ينبغي ان ناكل ايضا مادمنـــا سننتظر .. فلتشتر بعض الساندويتشات

ــ سافعل فعربات الساندوتشـــات كثيرة .. ومنتشرة هنا ..

عند الغروب .. كان قرص الشمس الذهبي يتدحرج عبر الافق بهدوء ،بجوار مدخنة ضخمة ــ وراء السور ــ انتشر دخانها الاسود في السماء الباهتة اللون، التي عبرتها عندئذ بعض الســـحب الرمادية المتفرقة .. بينما بدا القمـــر المحاق ، في الجانب الاخر ــ يبزغ برفق .. نهض الرجل مع مرافقه . تجـــولا عبر المكان . اتجها بعيـدا عن زحـام البشر ، مسترشدين بالسور . حيث انتشرت مساحات من الارض بها ميـــاه راكده . تخللتها بعض الاعشاب والنباتات الشيطانية .. اراضي قفر ، لا اثر فيها لانسان ..

من باب جانبي صغير في السور ،شاهدا شابا يخرج منه ، ثم يغلقه وراءه .كان يحمل حقيبة رقيقة مطوية في يده .اندفعا اليه . تبادلا معه تحية سريعة . قال الرجل بعدها : نحن هنا منذ الصـــــباح .. ننتظر ..

اضاف المرافق : كل ما نطـمع فيـه ان نسال سؤالا واحدا .. لكن لا احـد يستجيب لنا ..

هز الشاب راسه متفهما .. اخـــرج الرجل برقية . ناوله اياها : لقد اورد في البرقية ان نقابله هنا . .

وحدد اليوم موعدا .. فهل تعتقـــد اننا سنقابله اليوم ؟

قال الشاب بعد ان قرا البرقية : ان كلماته محددة .. موعده اليوم .. وهنا فعلا ..

اعاد البرقية للرجل : فلننتظر قليلا .. اذا كان قد حدد هذا الموعـد .. فقطعا سياتي ..

قال الرجل : ولكـن الا يمكـن ان تفيدنا قليلا ؟

ــ انني لا استطيع . فعملي في مجال اخر .. ولا افهم في هذه الاشـياء ..

هز الرجل راسه . حملق في البرقية ثانية ، بينما مشى الشاب امامهمـــا بشبات مبتعدا .

« انتصف الليل منذ قليل .. واصبح الجو باردا .. »

وضع الرجل يديه فيجيبي بنطلونه ، محاولا ان يدفئهمـا .. تفرقت ــ الان ــ جموع الحاضرين .. تجمعت في حلقات . كان لدى البعض منهم مواقد كيروسين اشعلوها . تحلقوا حولها . يتسـامرون مع اكواب الشاي الداكن اللـــون . انتشرت بعض الانوار هنا وهناك . وان لم يخف الازدحام حول البوابة القائمـة في صدر المكان .. بينما كان القمـــر المحاق بطل من عل .

قال الرجل : اشتد البرد ..

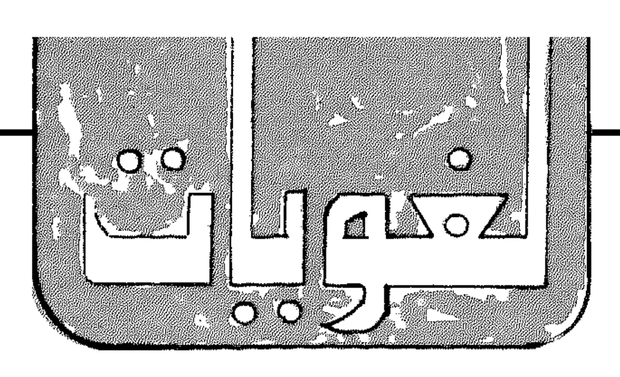
رد مرافقه : لقد تعشينا منذ فترة .. وتناولنا الشاي ايضا .. على امل ان نحتمل ..

ــ لقد كرر في خطاباته السابقة انه سياتي اليوم .. وحدد هذا المكان .. ثم اكد الامر بالبرقية ..

فلماذا لم يات حتى الان ؟

ــ فلننتظر .. وهل نملك الا الانتظار؟

رفع الرجل راسه .. نظر حوله .. كان المكان غارقا بين النور والظلمة.لفحت اذنيه ضوضاء طاغية .. بينما كان السور هو الشيء الوحيد الواضح امامه . الان هز راسه بعدم اقتناع ، ولم يجب .



● يقال فى العربية الفصيحة : خطر البعير بذنبه أو بذيله « والمصدر خطرا .. بتسكين الطاء .. وخطرانا .. بفتح الطاء » .. وهذا اصل قولهم : خطر الشيء ببال فلان « والمصدر هنا : خطورا » .. وخطر الرجل فى مشيته .. يخطر . خطرا ـ بسكون الطاء ـ وخطرانا .. اى يتبختر وكأنه يهز ذيله كالبعير ..

● من الالفاظ التى يتوهمها بعض الادباء عامية : زاغ .. كع .. خنس . وهى الفاظ أو افعال فصيحة .. يقال : زاغ عن الشيء زياغة .. وكع عن الشيء كاعة . وخنس ايضا .. ومعناها : احجم عن الشيء ونكص عنه ..

● من اغلاط الكتابة فى الصحف الان ، انهم اذا كتبوا : « كان فلان نسيج وحده » .. اخطاوا فظنوا انها تكتب هكذا : « كان فلان نسيجا وحده » .. باعتبار « نسيجا » خبر كان .. وهذا من ضعف المعرفة بالكلام العربى ، لان « نسيج وحده » مضاف ومضاف اليه فى جميع الحالات فاذا كانت منصوبة لم تنون الجيم وكذلك فى حالتى الضم والكسر ، اما « وحده » فان الدال فيها مكسورة فى جميع الحالات .. وعكس « نسيج وحده » .. قولهم : « جحيش وحده » بضم الجيم وفتح الحاء .. وقولهم: « عيير وحده » بضم العين وفتح الياء الاولى وتسكين الثانية .. ولا يستعمل الكتاب هذين التعبيرين الان

● من اغلاط الصحف المتكررة يوميا قولهم : « رزق فلان بمولودين توام » .. والصواب « توامين » لان كلا منهما توام الاخر .. والتوام واحد . فاذا اردت الاثنين معا قلت : التوامين ! ..

● « السبب » هو مايتوسل به المرء من عمل أو سعى للوصول الى مرامه .. واصل كلمة « السبب » فى اللغة قطعة صغيرة من حبل كان العربى يصل بها الحبل الطويل اذا قصر ، حتى يبلغ ماء البئر ، ثم اطلقت هذه الكلمة على كل عمل يتسبب به المرء الى مقصوده ..

● يحرص مذيعو نشرات الاخبار فى هذه الايام على نطق كلمة « الشغب » بتسكين حرف الغين ، كانما هو النطق الوحيد الصحيح .. ولكن نطق هذه الكلمة بفتح الغين ، صواب ايضا ، وهو الشائع على الالسنة ، فالنطق به افضل واخف على الاسماع ! ..

● « السفلة » بفتح وتشديد السين وكسر الفاء وفتح اللام . وكذلك بكسر وتشديد السين وتسكين الفاء وايضا بكسر وتشديد السين وكسر الفاء .. وتستعمل كلمة « السفلة » بهذه الصور الثلاث . للجمع والمفرد فيقال : هؤلاء سفلة ، ويقال : هذا سفلة .. قال عمرو بن العاص : « موت مائة من العلية خير من ارتفاع سفلة واحد » .. ويقال ايضا فى الجمع : « الاسافل » .. قال ابن دريد اللغوى العالم الشاعر :

ارى زمنا حمقاه اسعد اهله ... ولكنما يشقى به كل عاقل
مشت فوقه رجلاه والراس تحته ... فكب الاعالى بارتفاع الاسافل



متحف اللوفر

رسالة باريس • نجوى صالح

كانت تلك هى زيارتى التاسعة لمتحف اللوفر .. ذلك المتحف الذى قلما يمر زائر بفرنسا .. ولو بشكل عابر الا ويكون ضمن برنامجه زيارة لمتحف اللوفر ، الذى يضم داخل جدرانه كتابا مرئيا لتاريخ الفن .. ذلك الصرح الحضارى ، والثقافى ، والفنى .

فى كل زيارة له أخرج وفى ذهنى انطباع جديد تاريخيا أو فنيا . فهو يوقظ فى نفسى إحساسا خاصا بالحنين الى الماضى والتواصل به ، وقررت أن أشرك القارىء معى فى هذا التواصل مع ماضى متحف اللوفر ، ومغزى بنائه ، وتطور تفكير ملوك فرنسا بشأنه ..

وقصة تطور اللوفر قصة شائقة .. فهذا المبنى لم يكن المقصود به ان يكون متحفا على الاطلاق .. بل كان قصرا لسكنى الملوك الفرنسيين .. وقد تحول على مدى أربعة قرون الى أكبر متحف فى العالم .

والطريف فى هذه القصة ليس قصة بناء اللوفر فحسب ولكن كيف استجلب اللوفر كل هذه الأعمال التى ليست بفرنسية .. ولم تنجز بأيد فرنسية بل إن ثلاثة أرباع المعروضات فى اللوفر من صنع فنانيين غير فرنسيين .. وأكثر من ذلك فهذه الأعمال الفنية تظهر حضارة بأكملها مثل الحضارة الفرعونية .. وهذا الفن ، أو تلك الحضارة التى انتقلت الى متحف اللوفر .. إنما جيء بهما فى فترة الحملة الفرنسية على مصر وقد فعلوا ذات الشيء مع الحضارة الأشورية .. حقا أنها ليست بذات الكم الذى عليه الآثار الفرعونية التى تحتل ثلثى « اللوفر » ولكنها تحتل جناحا واحدا منه .. حتى أن المرء ليتصور أنه من وفرة الحس الثقافى عند الفرنسيين - وخاصة ملوكهم - تجاه قيمة التاريخ ومعرفتهم بقيمة الفن القديم جعلتهم يشنون تلك الحملات السريعة على البلاد ذات التراث الفنى ، وأن الاستيلاء على تلك الثروات التاريخية كان هدفهم الأول !

وقد اطلقوا على فرانسوا الأول لقب « الملك ذو العقل الناهض » إشارة الى اهتمامه بعصر النهضة فى ايطاليا . ولم يكن اهتمام فرانسوا الأول منصبا على اللوحات فقط . ولكنه اقبل على جمع التحف المختلفة وتلاه فى تلك الهواية « الدوق دى بيرى » الذى اهتم بجمع الاعمال الفنية المختلفة على نطاق أوسع ، مثل اللوحات الفنية والسجاد ، و « المنياتير » وهى رسوم بالزيت أو الحفر تنفذ على مساحات صغيرة .. لايزيد حجم الواحدة منها عن حجم الريال القديم أو العشرة قروش الفضية ! وكذلك جمع المنمنمات الفارسية وقطع الأقمشة الشرقية وقطع النقود المعدنية .

وفى سنة ١٩٣٨ .. ظهر فى القاموس الفرنسى لأول مرة تفسير كلمة « انكيكوايروس » اللاتينية ، ومعناها « رجل يهتم بالاشياء القديمة » ومن قبلها أدرجت ولأول مرة أيضا كلمة « آنتيكات » فى القاموس الفرنسى ، فى القرن الخامس عشر وكانت اللوحات التى استجلبها فرنسوا الأول من ايطاليا ، توضع فى احدى ممرات قصره الصغير « فونتبلو » .. بجانب حدائق التويليرى ..

قصة اللوفر

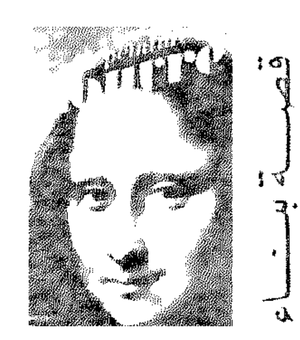
فى بداية القرن الخامس عشر أظهر فرانسوا الأول ، ملك فرنسا اهتماما بالفن ، القادم من الجنوب .. من ايطاليا رائدة الفن فى عصر النهضة .. وبدأ فى استجلاب وجمع اللوحات الايطالية لفنانى ذلك العصر عن طريق سفرائه لدى ايطاليا .

كانت تلك هى البداية .. بداية اهتمام الملوك والأمراء الفرنسيين بالفن وتقديرهم له ، وقد دفعهم حسهم الثقافى المتذوق الى اقتناء تلك اللوحات ووضعها فى قصورهم !

● التأثير الإيطالى ●

وقرر الملك فرنسوا أن يضاعف مساحة قصره حتى يتسنى له وضع جميع لوحاته بشكل لائق ، فهذا القصر الضيق لايتيح له الافق اللازم لتأمل مقتنياته كما يهوى !

كانت ايطاليا فى ذلك الوقت هى منارة النهضة والفن ، وكان الفرنسيون يأخذون منها كل ماهو جديد على أنه « موضة » يحتذونها ولم يعد تأثير الذوق الايطالى مقصورا على الفن فقط بل بدأ يغزو الرجل الفرنسى فى عاداته اليومية ، حتى الطعام



متحف اللوفر

الايطالى وطريقة طهيه بدأت تدخل المطبخ الفرنسى .. ووصلت الى الموائد الملكية فى الحفلات الرسمية

ولم تكن الحروب حائلا دون هذا التواصل الثقافى بين الجارتين والعرفان بتفوق الذوق الايطالى فقد عمد هذا الملك المثقف بعد انتصاره فى معركة « مارينو » ضد الايطاليين فى ١٤ سبتمبر ١٥١٥ م وبعد أن تم الصلح رأى طلب الفنان « ليوناردو دافنشى » للحضور الى فرنسا لاخذ مشورته الفنية والمعروف عن ذلك الفنان أنه كان مهندسا معماريا وعالما فلكيا . كما كان بارعا فى اخراج الاعياد والحفلات الملكية فى قالب فنى بديع ..

حيث كان يتدخل فى اختيار نوع الازياء واشكالها التى سوف يرتديها المدعوون والمدعوات حتى تصبح جميعها سيمفونية واحدة منسجمة تجمع الجسم البشرى ، المتحرك والديكور المحيط به ! وبالاضافة الى ذلك كان رساما مبدعا ، ولكن فى النهاية كان من أشد الناس تمسكا بأهداب دينه .

بعد تردد طويل قبل « ليوناردو دافنشى » الحضور الى فرنسا . لما سمع عن فرانسوا الأول ، وحبه للعدل ، والدين ، والفن .

ونزل « ليوناردو دافنشى » فى ضيافة الملك فى بيت صغير ملحق بقصر « بالامبواز » ـ وهو جزء من اللوفر حاليا ـ ولكن « ليوناردو » كان يعانى فى ذلك الوقت من شلل فى يده لم يعد قادرا على الامساك بالفرشاة .. ولكنه لم يبخل على الملك بنصائحه المختلفة فى الهندسة والبناء .. وكان الملك بدوره يود أن ينجز بناء يضاهى فى جماله وأبهته الأبنية الأيطالية . ويدخل الفن الأيطالى فى كل جزء من قصره الذى شرع يقيم فيه جناحا جديدا .. وحتى يغير شكل القلعة الكئيب الذى كان عليه من قبل واتفق على بنائه بشكل مربع أى بأربعة أجنحة وعلى أن يترك بداخله فناء مربعا كبيرا .. وامام مدخله حديقة التويليرى الرائعة .

● قصة إقتناء الچيوكندا ●

بدأ دافنشى يمارس حياته العادية فى فرنسا .. من اشراف على البناء .. إلى تبادل الزيارات مع اكبر رجالات الدولة .. وقد كان صديقا حميما « للكاردينال دى آراجون » .

وحضر هذا الاخير لرد الزيارة « ليوناردو » فى منزله فى مساء ١٠ اكتوبر سنة ١٥١٧ .. واخبره « ليوناردو » أنه احضر من ايطاليا لوحتين يعتز بهما كثيرا ، وهما لوحة « سانت چان بابتيست » ولوحة « سانت أن » وهى وجه أوبورتريه لامرأة .. هى التى سميت فيما بعد « الچيوكندا »

حينما وصل خبر هاتين اللوحتين الى فرانسوا الاول .. طلب رؤيتهما واشتراهما من دافنشى دون أدنى تردد وضمت هاتان اللوحتان الى مجموعة التاج ـ كما أطلقوا على مجموعة اللوحات التى يملكها الملك ..

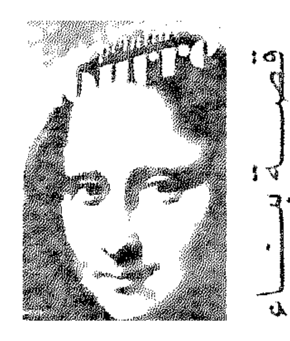
وقد كتب الأب « دان » فيما بعد ، سنة ١٦٤٢ .. ان الملك « فرانسوا الاول » دفع أربعة الاف قطعة ذهبية ثمنا « للچيوكندا » وحدها وبعد ان وافت المنية دافنشى سنة ١٥١٨ بعث فرانسوا الاول فى طلب بعض الفنانين من ايطاليا مثل « اندريادل ساردى » حتى يضموا لوحتين من أعمال كل منهم إلى مجموعة التاج . وجاءت بعض اللوحات على صورة هدايا دبلوماسية من قبل الجمهورية الفينيسية بواسطة لورنت الثانى دى ميديسيس حاكم فينسيا مثل لوحة العائلة المقدسة الكبيرة وسانت ميشيل من رسم رفائيل وهما مؤرختان بتاريخ ١٥١٧ ـ ١٥١٨ .

وقد اهديتا الى الأب ليون الخامس .. وقد تم كل هذا ولم يكن قصر اللوفر قد اكتمل بناؤه .. فقد أنجز جزء صغير جدا منه فحسب فى حياة « ليوناردو دافنشى » وكان على فرانسوا الاول نقل مهمة البناء والديكور الى مهندسين فرنسيين تلقوا العلم فى ايطاليا ..

● ● ●

ثم بدأ الملك فى بناء القصر فى « غابة البيرة » وهو تكملة لقصر « الفونتبلو » الذى بناه « فيليب أوجست » . وأوكل هذه المهمة للمهندس الفرنسى « جيل لبروتون » ، الذى بناه على طراز « الروستيك » وهو يميل إلى الشكل القروى الفاسى .. وأعطاه شكل القصر أكثر من شكل « الجاليرى » أى الاجنحة كما كان متفقا عليه من قبل ، وبنى بداخله ولأول مرة حمامين من ماء الذهب الخالص ، وأرسل فى احضار الودع والمحار من إيطاليا ، وقرر أن يضعه فى ممرات حديقة القصر !!

وقد ، أنتهى فرانسوا الأول من البناء عام ١٥٤٢ .. ثم بدأ يحس بالشيخوخة والوهن .. ولم يكن تنفيذ القصر قد جاء كما كان يتمناه هو ، وكما وضع رسمه « ليوناردو



متحف اللوفر

دافنشى » .. كما أن مساحته لو تكن كافية لاستيعاب اللوحات التى كان يقتنيها .

● لبنة الحضارة ●

ثم جاءت المرحلة التالية فى بناء هذا الصرح الذى يعتبر بداية للنهضة الفرنسية .. فـ « اللوفر » فى نظر الرجل الفرنسى . هو اللبنة الأولى التى وضعته على طريق الحضارة فهو الذى يعبر من الناحية الهندسية عن جمال المعمار الفرنسى الكلاسيكى .

بوفاة « الملك فرانسوا الأول » واضع لبنة الفن واللوفر معا فى ١٤ أغسطس ١٥٤٧ ، توقف العمل فى هذا الصرح إلى حد ما .. فقد بدأت الملكة « كاترين دى مديسيس » تطلب بناء قصر صغير لها فى حديقة « التويليرى » بواسطة مهندسها المفضل « فيلبرت دى لورم » الذى بناه لها فى وسط حديقة التويليرى فى الجانب الغربى للوفر .. فجاء ذلك بمثابة ضلع ثالث ولكنه غير ملتصق باللوفر ، أو بالقصر الاساسى الذى بناه فرنسوا الأول .. ولكن كاترين التى تنتمى إلى عائلة مديسيس الايطالية الأصيلة نقلت الفن الفلورنسى الى ذلك القصر ... وبدأت فى إنجازه سنة ١٥٦٤ ..

وقد تم تأثيث هذا القصر سنة ١٥٧٤ .. أى أن الديكور الداخلى له قد استغرق عشر سنوات !

وجاء هنرى الرابع الى الحكم .. واصبح مشروع بناء اللوفر هو شغله الشاغل ، وأعد المهندسون الفرنسيون رسما سمى « بالرسم العظيم » لأنه يتضمن الرؤيا الأولى لدى فرنسوا الأول والفنان الايطالى « ليوناردو دافنشى » مع بعض التعديل .. فقد جد على الرسم القديم قيام القصر الصيفى للملكة « كاترين دى مديسيس » وهو يعد من أجمل القصور الفرنسية من الوجهة المعمارية بعد قصر « فرساى » الشهير . وكان عليهم ضم هذا القصر إلى الضلعين الآخرين ثم بناء ضلع رابع .. وهو المطل على شارع « ريفولى » حاليا ـ حتى يصلوا إلى الشكل « المربع » الذى اتفق عليه من قبل .

وبدأ تنفيذ « الرسم العظيم » فى عهد هنرى الرابع .. الذى ورث حب الفن من والده فرانسوا الأول .. خاصة الفن الايطالى ولكنه فى نفس الوقت شجع الفنانين الفرنسيين على إنجاز أعمالهم الفنية الأصيلة .. وشجعهم على تنفيذها فى البناء من الخارج .. والداخل على السواء .

وقد بدأ يغزو فرنسا فى ذلك الوقت كل من الفن الألمانى ، والفنلندى وقد استوحى الفرنسيون منهما الكثير .. واستمر البناء فى عهد هنرى الرابع ، وشارل التاسع ـ وهنرى الثالث . وكل منهم لايخرج عن الرسم المقرر للوفر ..

واستمر البناء يتقدم ببطء حتى لقد استغرق ثلاثة قرون كاملة .. وكل فترة حكم فى تلك الحقب تعطى هذا البناء .. من روحها واحساسها الخاص .. حتى أن الحالة الاقتصادية للبلد كانت تنعكس على تنفيذ هذا البناء المعمارى الضخم .

ففى عصر الملكة كاترين مثلا .. حينما بنت قصرها فى التويليرى كان يتسم بالبذخ الايطالى .. فقد جعلت الفنانين يرسمون لشخصها أكثر من اثنين وثلاثين لوحة .. وقد علقت على جدران من خشب الورد واختيرت أطرها من « الليموج »

الصينى الفرنسى الفاخر وفى قاعة المرايا المجاورة لهذه القاعة وضعت مائة وتسع عشرة مراة فينيسية ، وهى أرقى أنواع المرايا فى العالم .

مثال اخر .. حينما تولى هنرى الرابع الحكم كانت البلاد تمر بأزمة اقتصادية من ناحية .. ومن ناحية اخرى دارت راحى الحرب الاهلية ، وبحكمة هذا الملك عدات البلاد الى استقرارها .. وكان من سياسته الحيمة أنه .. خاطب الشعب عن اهمية الفن فى الحياة .. وشجعة الفرنسيين على الانتاج الفنى ، واشترى هذا الانتاج ، وقد يعود الى هنرى الربع الفضل فى دخول عديد من الفنانيين الفرنسيين الى اللوفر . أو الى قصر فنونتبلو مقر أقامة الملك وهو احد أبنيه اللوفر ، وقد قام فى عصره بمد البناء سنة ١٥٩٥ بمساحة ٤٤٢ مترا حتى يلتصق قصر كاترين مديسيس فى التويليرى باللوفر حاليا .. وهو ماكان مخطط بشكل مسبق فى (الرسم العظيم) لقصر اللوفر .

وقد استجلب فى ١٦٠٦ بعد اكتمال البناء عددا كبير من الحرفيين الفرنسيين .

● فى الطريق إلى المتحف ●

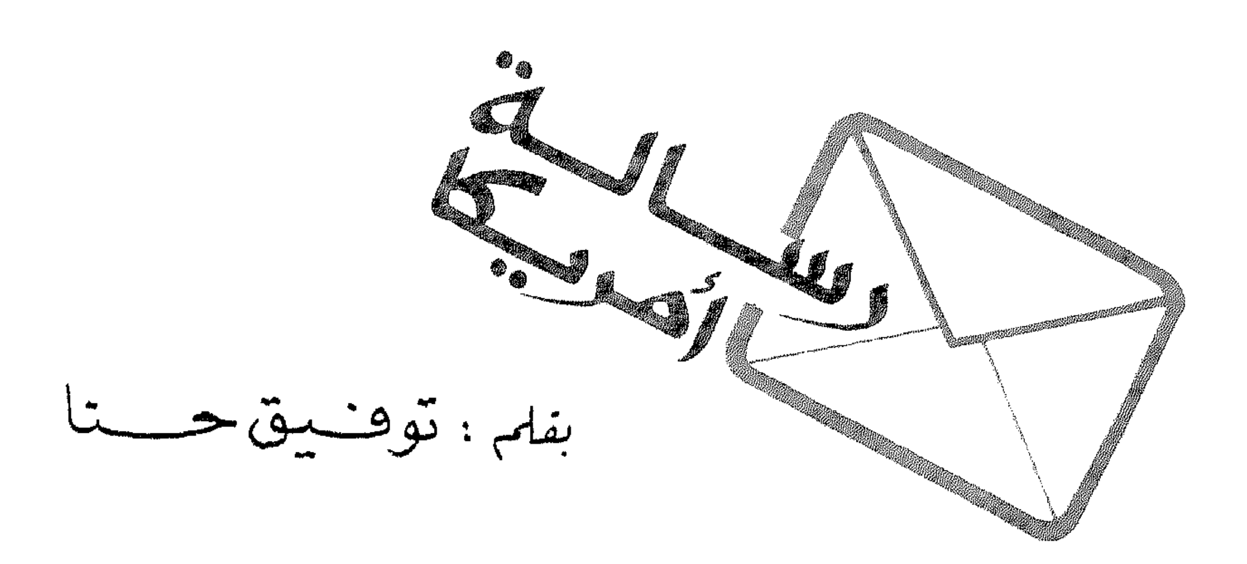
وقد استمر هؤلاء الفنانون والعمال فى العمل داخل اللوفر حتى عصر الامبراطورية الأولى (نابليون) ، وقد كان من أهداف هنرى الرابع إيجاد نوع من الاندماج بين الفنانين العظام فى اللوفر .. وكبار رجال المملكة حتى تستمر حلقة الاتصال بين الأرستقراطية والفنون الجميلة . وحتى ينتشر التذوق الفنى فى البلاد .. وتتسع دائرته حتى تصل فى يوم ما إلى رجل الشارع .

وقد كتب الاب (دان) سنة ١٦٤٢ .. كتبه (عجائب الكنوز فى القصر الملكى فونتبلو) وفيه يصف هذه الكنوز وصفا دقيقا كما يذكر عددها وخصائصها وتلاه فى ذلك ايطالى يدعى (كاسيو نورديل بوزو) الذى وصف القصر فونتبلو بانه جوهرة اوربا الفريدة .

عندما تولى لويس الثالث عشر الحكم فكر فى تكملة متحف اللوفر بنفس المنظر الذى رأه أسلافه من الملوك .. وعرض عليه مشروع اكتمال البناء بحيث تكون المساحة مربعة .. وقد تطوع لهذا العمل بعض المهندسين .. لكن مالبث أحدهم أن أعتذر لظروف مرض زوجته فاثر لويس أن يترك المشروع .. فاعتبر انه أحدى النقاط السوداء فى تاريخ متحف اللوفر .. خاصة أن زوجة لويس الثالث عشر لم تكن متحمسة لاحضار أى لوحات فنية من بلادها أسبانيا .

وعندما تولى لويس الرابع عشر الحكم أعاد للمتحف عصره الذهبى .. حيث اقام علاقاته الدبلوماسية مع الدول المجاورة ، وسعى للتبادل الثقافى والفنى مع هذه البلدان .. فجاءته الهدايا ـ واغلبها مقتنيات فنية ـ فشهد عصره الأعمال الفنية النادرة .. ولكنه مالبث ان فكر فى أن يجعل من اللوفر مقرا رسميا للملك .

وعندما تولى لويس الخامس عشر مقاليد السلطة دفع اثمانا خيالية لكل المقتنيات التى استهوته .. وخاصة لوحات رمبرانت وروبنز ودافنشى .. وقد أشتهر عن الملك ذوقه الفنى الرفيع .. فكان يقوم بتنسيق اللوحات وأوصى بتحويل قصره الى متحف .. وقد حدث هذا فعلا بعد ان قامت الثورة الفرنسية .. فأمر نابليون بتعيين فيفيان دونان مديرا للمتحف الذى اهتم باحضار الفن النادر الى اللوفر وكان نابليون يفكر فى احضار مقتنيات البلاد التى يغزوها خاصة من الشرق وساعده دونان فى ذلك الذى عمل مستشارا عسكريا لفترة فى جيش الامبراطور .. والذى أمر بافتتاح المتحف رسميا فى ٢٥ يوليو عام ١٨١٤ ..



بقلم : توفيق حنا

● تمثال الحرية ●

هذا التمثال الذى يرفع عاليا شعلة الحرية من اهم معالم مدينة نيويورك ٠

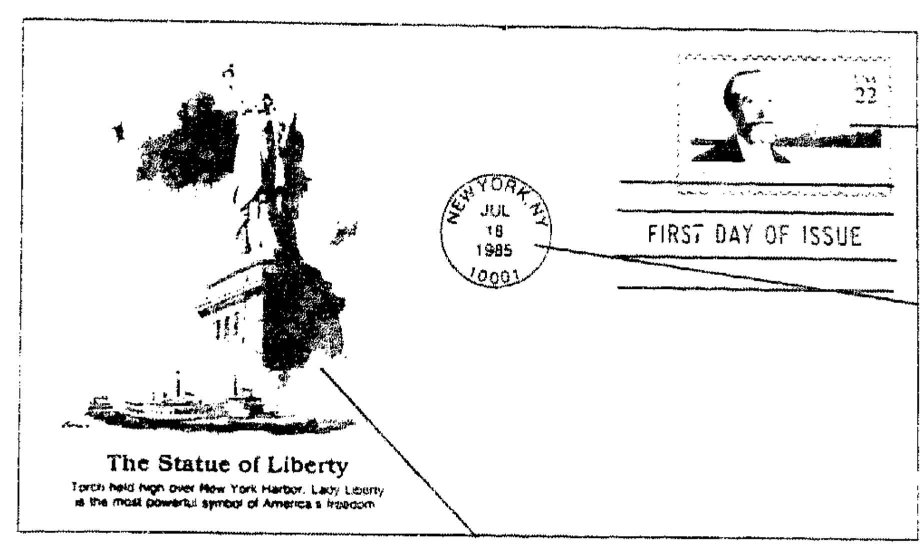
« ان كنت تؤمن بى – لاتزال – فانقذني عليك ان تعمل على دوام شعلة الحرية » هذه العبارات نجدها فى كل النداءات والاعلانات التى تدعو الشعب الامريكى للاسهام فى انقاذ هذا التمثال من التصدع والانهيار ٠

ولهذا اخرج كين بيرنز فيلما تسجيليا عن هذا التمثال هذا العام ١٩٨٥ ٠٠ وايضا لان الولايات المتحدة الامريكية تحتفل العام القادم ١٩٨٦ بمرور مائة عام على اقامة تمثال الحرية فى نيويورك ٠

يقوم الممثل الامريكى جبريلى ايرنز بدور المثال الفرنسى فردريك اوجست بارتولدى الذى انشأ هذا التمثال ٠

ويروى لنا ماك كلالا رحلة هذا العمل الفنى منذ مولده فى فرنسا حتى اقامته فى نيويورك عام ١٨٨٦ ، وتصحب روايته الصور واللوحات والوثائق التى توضح مراحل هذه الرحلة الطويلة ٠

ويقدم لنا الراوى تعليقاته وقراءاته



أصدار أول ألبوم لطابع بريدى بمناسبة الاحتفال بالعام الامريكى لتمثال الحرية

التى تتصل بقيمة الحسـرية والقيم الانسانية الاخرى لتى ترتبط بهـ .

وسنسمع فى هذا الفيلم الوثـائقى الى قراءات من ميلوش فورمان (مخرج فيلم « اماديوس ») والكاتب المسرحى ارثر ميللر وديريك جـاكوبى ويـول روتلنج .. توضح عـلاقة الفرد الامريكى فى حياته وسلوكه بقيمـة الحرية .

ويحاول هذا الفيلم ان يجيب عـلى هذا السؤال « ما هى الحرية ؟ »

وفى لقاءات مـع حاكم نيويورك ماريو كويومو والكاتب جيمس بلدوين والشـاعر اندريه لودريسكو والكاتب جيرزى كوسينسكى والموسـيقى راى تشارلس .. نجد محاولات للاجابة على هذا السؤال .

والفيلم رغم جـديته وموضوعيته يحوى شيئا من الدعابة والسخرية اذ يعرض لتجارب شارلى شابلن وجوزيه فيرر وتشارلتون هيستون مع الحرية .

ولا تخلو مجلة او جريدة امريكيـة من صفحة عن هذا التمثال ومعـه اعلان من الاعلانات التجارية .. ولقد احتج كثيرون على استغلال هذا العمل الفنى فى محنتـه هـذا الاسـتغلال التجارى .. وهذا يشبه ما يحـدث فى بلادنا عندما تفرد صـفحات كاملة فى صحفنا فى المناسبات القوميـة والاعياد .

هذا الفيـلم الوثائقى الملون الذى يستغرق عرضه سـاعة كاملة والذى يشترك فى الحملة الداعية لتـرميم تمثال الحرية وعلاجه من هـذه الشيخوخة المبكرة يتصادف عرضه مع هذه الاحتفالات والتحقيقـات فى كـل اجهزة الاتصـال الجمـاهيرية من تليفزيون وصحف ومجـلات واذاعة بمناسبة مرور اربعين عاما على قنبلة هيروشيما وعلى انشاء هيئـة الامـم المتحدة .. وبمناسبة مرور عشـر سنوات على خروج امريكا مهزومة من سايجون (هوشى منه الان) فى حـرب فيتنام .. عام ١٩٧٥ .

وتستعد الولايات المتحدة الامريكية من الان للاحتفال فى عام ١٩٨٧ بمرور قرنين من الزمان على صدور الدستور الامريكى ، ليتنا نعمس جميعا فى ذل ارجاء هذا العالم المنكسر المنقسم على ذاته على ترميم قيمة الحـرية التى تعانى فى هذا العصر كل الوان القهر والكبت .

وهذا التمثال الذى يرفع شـعلة الحرية عالية وكأنه يقود مظـاهرة انسانية تشمل كل شعوب هذا العالم . اقيم رمزا للصداقة بين فرنسا وامريكا

وفى شـهر يوليو من هذا العام (١٩٨٥) صدر طابع لهذا التمثـال يحمل صورة الفنـان الفرنسى فردريك بارتولدى الذى ابدعه بمناسبة مـرور ١٥٠ سنة على مولده ..

قام الفنـان الامريكى شـانون استيرتفايس بتصميم هذا الطابع ..

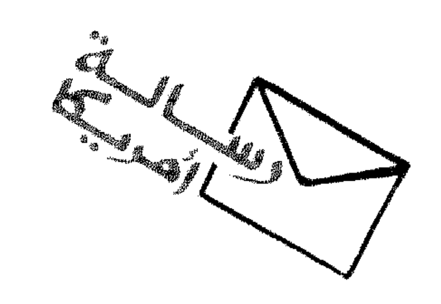
***

ترى هل يكون لقاء القمة فى جنيف بين ريجان وجورباتشوف بداية صادقة لطريق جديد .. تتحقق فيه الوحـدة الانسانية على هذا الكوكب ؟!

ايكون هذا اللقاء الخطـوة الاولى لبناء عالم جديد يخلو من كل الوان الارهاب والخصومات والانقسـامات والاغتيالات وحوادث خطف الطائرات والسفن .. عالم جديد تسوده الحرية ويحكمه العدل ويعمه السلام ؟!!

ليس هذا مجرد تساؤل .. بل هـو دعوة للعمل حتى يتحقق هذا الحلم





● طيور وزهور ●

قام الفنان الامريكي أرثر سنجر بالاشتراك مع ابنه الان بتصميم طوابع بريدية يحمل كل طابع تذكارى منهـا طائر وزهرة يميزان كل ولاية من ولايات أمريكا الخمسين ·· ولقد صدر اليوم لهواة جمع طوابع البريد يحوى هـذه المجموعة الفريدة ·

ومن اشهر الطيور الامريكية طـائر الكردينال الذى اتخذته سبع ولايات امريكية رمزا لها ·· اطلق عليه هذا الاسم بسبب لونه الذى يشبه ملابس الكاردينال - رجل الدين المسيحى - (لون جسمه احمر ولون منقاره اسود) ولانه طائر يبدو عليه الوقار والاتزان والتأمل ·· وهو يختلف كثيـرا فى سلوكه عن طائر آخر هـو رمز ولاية تينسى التى عشت خريف هذا العام (١٩٨٥) فى احدى مدنهما الصغيرة وهى مدينة نوكسفيل - هذا الطـائر يطلق عليه موكنج بيرد (الطـائر الساخر) ·· لانه يقوم بدور المهرج فى عالم الطيور ·· لانه يملك موهبـة تقليد الطيور الاخرى ·· واتخـذته خمس ولايات رمزا لها ·· ويمتاز كذلك بسرعة الحركة التى تعبر عن لون من ألوان القلق فى عالم الطيـور ·· والموكنج بيرد يتخـذ فى كل ولاية وضعا خاصا ·· فهو فى ولاية تينسى نجده فى حركة تأهب للتحليق والطيران ومنقاره الصغير ·· بينما نجده فى ولاية مسيسيبى يجلس هادئا على فرع شجرة فاتحا منقاره للغناء ·· وكأنه يستريح من جولاته وانطـلاقاته فى سماء الولاية ·· وفى ولاية اركانساس نجده فى اللحظة التى تسبق الاستعداد للطيران قبل ان يفرد جناحيه ··

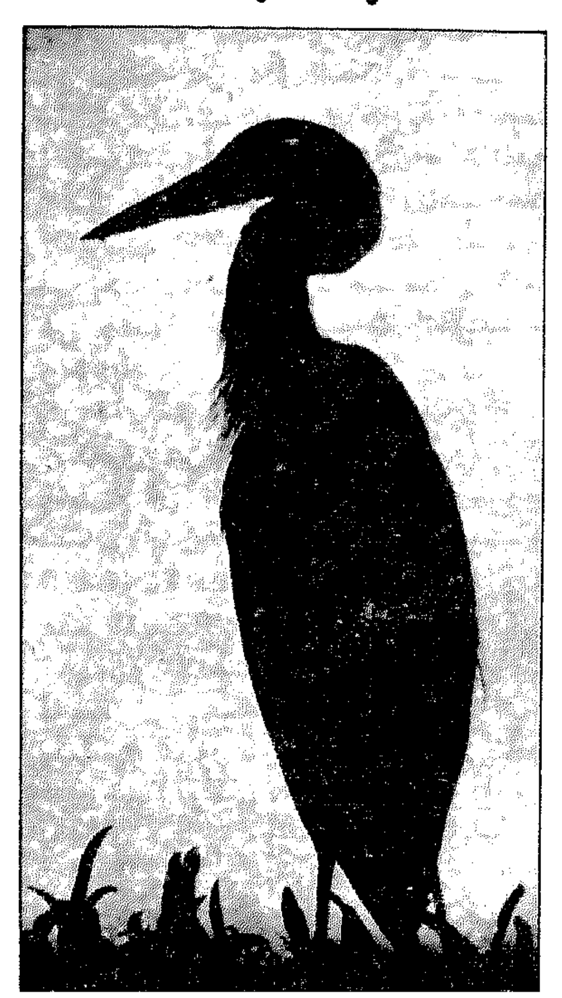
والزهرة التى ترمـز الى ولاية تينيس مع طائر الموكنج بيرد هى زهرة ايريس (قوس قزح) ··

وزهرة البنفسج ترمز الى اكثر من ولاية امريكية ·

اما نيويورك فطائرها هو ايسترن بلوبيرد (الطائر الشـرقى الازرق) وزهرتها هى الوردة ·

ولا ادرى لماذا لايقوم فنان مصرى بتصوير طيور مصر وزهورها وتقـوم هيئة البريد باصدار طـوابع تذكارية لها حتى يعرف كل مصرى زهـور بلاده وطيورها ·

الطائر المسافر .. شامخا ..



المرأة
بين: تولستوى وتشيكوف

بقلم: د. مكارم الغمرى

((ان دور المراة يجب ان يظل دائما من خلال اولادها))
تولستوى
((ان سعى المراة الى التعليم والمساواة فى الجنس ، اتفهمه كسعى تجاه العدالة))
تشيخوف

بهاتين العبارتين المتجادلتين استهل الكتابة فى موضوع المرأة عند تولستوى وتشيخوف ، وموقف الاديبين الكبيرين من قضية تحرير المراة دون سواها من الموضوعات الخاصة بالمراة فى انتاجهما.

ان المقارنة بين موقفى أديبى روسيا الكبيرين تولستوى وتشيخوف من قضية تحرير المراة جديرة بالتامل ، فهذان الاديبان اللذان ملأت شهرتهما الاذان كانا معاصرين لفترة زمنية حاسمة بالنسبة لقضية تحرير المراة فى بلادهما « الثلث الاخير من القرن الماضى » ، وقد كانا ينتميان الى تيار ادبى واحد ، فهما من أكبر ممثلى الواقعية النقدية ، بالاضافة الى ذلك فقد اتسمت كتاباتهما بالتفاعل الشديد مع الواقع ورد الفعل المرهف على احداث هذا الواقع ومشاكله. وقد برزت قضية تحرير المراة كأحد اهم مشاكل ذلك الواقع آنذاك ، حيث اكتسبت هذه القضية حيوية خاصة فى الثلث الاخير من القرن الماضى بفعل المرحلة التاريخية الانتقالية التى كانت تعيشها روسيا حيث بدأت تتفتت القيم السائدة المرتبطة بالنظام الاقطاعى الزائل وبدأت تشكيل علاقات وقيم جديدة ترتبط بالتحول الرأسمالى الجديد .

● حسم قضية المراة ●

ومن المعروف أن عام ١٨٨٦ فى روسيا كان بمثابة عام حاسم بالنسبة لقضية تحرير المراة ، فقد نالت الحركة النسائية فى ذلك العام ضربة قوية ، حين

المرأة
بين : تولستوى وتشيكوف

اقفلت جامعـــات موسكو وبطرسبرج « لينينجراد حاليا » وكييف وكازان باب الدراسة العالية أمام الشابات ، وقد ادى هذا الاجراء الى حدوث ردود فعل حادة ، واحتدم الجدل فى الصحافة حول هذا الاجراء الذى فجر بقوة قضية تعليم المراة وعملها ، وانقسمت الاقلام بين معارض لهذه القضية ومناصر لها .

وعلى قمة المعارضين كان يقف ممثلو الطبقة الاقطاعية الذين كانوا يهاجمون خروج المراة الى العمل ، لان البيت - فى رأيهم - هو المكان المناسب للمراة ، اما دورها فى الحياة فهو تربية أولادها ، اما حق المراة فى التعليم التخصصى فقد راوا فيه شيئا غير ضرورى وزائدا عن الحاجة .

اما رواد الحركة الديمقراطية من امثال تشرنيشفسكى ودبرولوبوف ، فعلى النقيض كانوا ينادون بحق المراة فى التعليم والعمل ، وكانوا يهاجمون الاوضاع القائمة للمراة فى ظل المجتمع الاقطاعى .

كيف كان - اذن - موقف كل من تولستوى وتشيخوف من دائرة الجدل هذه ؟

● فكرة المساواة ●

فى احدى مؤلفاته المبكرة « السعادة العائلية » - ١٨٥٣ - أعطى تولستوى صورة لزوجة شابة « ماشا » كانت تعيش «حياة عائلية هادئة »مع زوج يكبرها باعوام كثيرة . كانت حياتهما تمر فى رتابة هى زوجة تعيش فقط (من اجل زوجها) . « ولاجل ان تكون فى عين زوجها » . «تلك التى كان يريدها» وفى ظل هذه الحياة كانت ماشا تشعر بنفسها .. تماما كالطفل الذى لا يجرؤ على اظهار ارادته ، اما زوجها فقد كان له عالمه الخاص .. الذى لا يسمح لزوجته بالنفاذ اليه ، فهى فى نظره « طفلة » ، وتمر الاعوام ، ثم يأتى الوقت الذى تشعر فيه الزوجة بانها تريد الخروج من هذه الحياة الرتيبة المملة الى حياة أكثر رحابة حيث تستشعر « القلق والمخاطر » ، فقد كانت تجد بداخلها فائضا للقوى لا يجد له مكانا فى حياتهما الهادئة . وكانت تشعر بانها تملك « الشباب» والحاجة الى الحركة التى تناديها بأن .. تتقدم الى الامام مع كل يوم ، ومع كل ساعة ، كانت تريد الجديد، اما هو فقد كان يريدها التوقف وان توقف عليه ، لماذا لا تخرج الى الحياة ؟ لماذا لا تكون - مساوية فى الحياة مع زوجها ؟ ، الحت عليها هذه الفكرة مما جعلها تصر على ضرورة الخروج الى المجتمعات ، فيجيبها زوجها على طلبها على مضض .

ان خروج ماشا الى المجتمعات يغير من حياتهما ويطيح بأمن الاسرة وبسكنتها .. فقد خلق حاجزا بينها وبين زوجها، وصار من الواضح انه « كما لو كان كلاهما يحس بوجوده هوة فى مكان ما تفرق بينهما وانهما كانا يخافا الاقتراب منها وبات لكل منهما عالمه الخاص الغريب عن الاخر » ان حياتهما المحبة تصبح بعد خروج الزوجة « باردة » ، وبدأ ابتعاد زوجها التدريجى عنها .

ان تولستوى يحطم مساعى بطلته فى الخروج عن حياتها الضيقة وذلك حين يجعلها « تخطىء » حين تخرج الى المجتمع لتقرر بعد ذلك العودة الى بيتهما طواعية لتعيش من جديد « بالضبط هكذا ، كما كان يريد زوجها » .وذلك بعد أن بدأت تستشعر فقدان « ثقة وحب واحترام » زوجها ويمعن تولستوى فى ابراز هزيمة بطلته حين يجعلها تلوم زوجها على اعطائها الحرية التى « لن تحسن استخدامها » وانه كان بالاحرى **به ان يستخدم سلطته وبربطها « ان خروج المراة فى راى تولستوى هو«هراء»**



تولستوى



تشيكوف

اما عودتها الى البيت فهو بمثـــابة العودة الى الحياة نفسها. أما «الشيء الاخر» ، فمن المستحيل تصديقه .

وكذلك لم يصدق تولستوى ايضا نشاط بطلته ناتاشا فى روايته الشهيرة «الحرب والسلام» « ١٨٦٩ » فبعد ان كان فى بداية الرواية يبدى اعجابه بحيـــوية ناتاشا وايجابيتها ويثنى على نشاطهـــا فى المقاومة الشعبية ابان الحـــرب ، فجاة وبعد أن تزوجت بطلته يخمد بهـــا كل نشاطها الاجتماعى ولم يعد يرى بها سوى المرأة الام : «لقد كان من الصعب التعرف فى هذه الام القوية على ناتاشا السابقـة الدقيقة والمتغيرة» كما بات الشـــاغل الوحيد لناتاشا بعد الزواج « هـــو العائلة ، أى الزوج الذى كانت تحب المحافظة عليه بدرجة تستطيع ان تجعله ملكا لا يتجزأ لها وللبيت ، وايضـــا الاطفال الذين كانت تحب ان تحمل بهم وان تلدهم وتربيهم » . ومن خـــلال بطلته « ناتاشا » حاول تولســـتوى ان يجادل بل ويعارض الاصوات التى كانت تنادى بتحرير المراة ، فتولستوى يروى فى ارتياح كيف أن الاقوال والمناقشـــات عن حقوق المراة « لم تكن فقط غيرمثيرة لاهتمام ناتاشا ، بل لم تكن ايضـــا تفهمها » .

● الهجوم على المجتمع ●

اما فى رواية « البعث » « ١٨٩٩» فقد اهتم تولستوى اهتماما كبيرا بتجسيد ماساة بطلته كاتيوشا : الفلاحة البسيطة التى حرمها الاقطاعى من شرفها . ولان الرواية كانت تحمل اتجاها ناقدا للاوضاع الاجتماعية القائمة انذاك فقد اتخـــذ تولستوى من بطلته سندا للهجوم ضـــد المجتمع ومن ثم حاول تصوير البطـــلة كضحية للمجتمع والظروف الاجتماعية، تلك الظروف التى تحول دون ان تكسب المراة فى ظلهـــا لقمة العيش الشريفة . غير ان دفاع تولستوى عن البطلة التى عانت فى سبيل لقمة العيش لم يـــكن دفاعا عن حق المراة فى العمل بل كان دفاعا عن العدالة الاجتماعيـــة بشكـــل عام ، ذلك لان تولستوى لم يكن يجـد ثمة ضرورة فى ان تخرج المرأة لتتكسب رزقها ، فقد كان نموذج المراة الحقيقية يرتبط عنده بالمراة الزوجة والام ، ولذا لم يكن من قبيل الصدفة أن يســـتقبل تولستوى قصة تشيخوف « الحبيبة » بحماس منقطع النظير ويخلع عليها كبير الثناء وعظيم التقدير .

● مثال يحتذى ●

فى قصة « الحبيبة » يرسم تشيخوف صورة لامراة تتميز بالوداعة الشـــديدة والمسالمة التى لا تخلو من ســــذاجة وتتسم شخصية الحبيبة بعدم الاستقلالية فى الرأى ، فاراؤها دائما من خلال اراء من تحبهم . انها ببساطـة انســـانة

المرأة
بين: تولستوى وتشيكوف

خاضعة فى مشاعرها وآرائها لمن تحبه ولا تجد سعادتها الا من خلال هذا المحبوب الذى تصبح ـ تقريبا ـ صورة مكررة لافكاره واقواله ، بل تصبح كذلك جزءا من نشاطه ، فحين كانت زوجة لصاحب حديقة للملاهى ومسرحا، كانت تجلس فى شباك التذاكر لديه • وتراقب النظام فى الحديقة ، وتسجل النفقات رتصرف الرواتب ، وكانخداها المتوردان وابتساماتها اللطيفة الساذجة التى تشبه الاشماع تومض تارة فىشباك التذاكر ، وتارة وراء الكواليس •وتارة فى البوفيه ، واصبحت تقول لمعارفها ان أروع واهم الزم شىء فى الدنيا هو المسرح .. » وبعد ان توفى زوجها صاحب اللاهى والمسرح ، حزنت لفترة ثلاثة شهور ثم تزوجت بعدها رئيسا لمخزن الاخشاب ، وكان زوجها هذا يبقى فى مخزن الخشب « عادة حتى الغداء ، ثم يمضى لاعماله ، فتحل محله اولئكا «الحبيبة» وتبقى فى المكتب حتى المساء وتسجل الحسابات وتصرف البضاعة . لقد خيل اليها انها تتاجر فى الخشب منذ زمن بعيد ، وان اهم والزم شىء فى الحياة هو الخشب .. وفى الليل يتراءى لها فى المنام جبال من الالواح والعروق ، وقوافل طويلة بلا نهاية من العربات التى تنقل الخشب الى مكان بعيد خارج المدينة.»

ان الحبيبة حين تكون وحيدة لايكون لديها « اية اراء » كانت ترى من حولها الاشياء ، وتدرك كل مايجرى حولها ، لكنها لم تكن قادرة على تكوين رأى فى اى شىء ولا تعرف عما تتحدث » ..

لقد هلل « تولستوى » لهذه الصورة التى جاءت عليها بطلة تشيخوف الحبيبة فهذا النموذج فى رايه مثالا لما يجبان تكون عليه المراة من اجل ان تكون سعيدة ، ومن اجل ان تسعد كل من يسوقه مصير، اليها ورفع تولسترى هذا النموذج للحبيبة الىمصاف« روائع الادب العالمى » « المؤلفات الكاملة لتولستوى الجزء العشرين ص ٢١٢ » ، ومن شدة اعجاب تولستوى بهذه القصة وبطلتها كان يعيد قراءتها تكرارا امام اصدقائه ومقربيه .

لقد شاهد « تولستوى » مغزى قصة الحبيبة فى ان روح بطلتها « بموهبتها ان تكرس نفسها وكل كيانها لذلك الذى تحبه » « مقدسة ومدهشة » ، وفىغضون ذلك لم يلحظ تولستوى الحالة التى تؤول اليها البطلة حين لايكون عندها « ذلك الذى تحبه » ، انها وحسب وصف تشيخوف « لا يكون لديها اىاراء وما افظع ان تكون بلا راى » حسب تعليق لتشيخوف ..

لقد وقف تولستوى بارائه ومؤلفاته ضد الاصوات التى كانت تنادىفى عصر بمساواة المراة بالرجل وبحقها فى التعليم والعمل ، فقد كانت المساواة ـ فى نظره ـ ممكنة فقط فى الجانب الشخصى ، اى من حيث حق المراة المساواة فى السعادة العائلية ، اما ماهو ابعد من ذلك فليس من حقها .. ولكن اى مساواة يمكن ان تحققها المراة فى ظل الخضوع الاقتصادى الكامل للرجل ، وهو الخضوع الذى يفقدها الاستقلالية والتى بدونها لاتستطيع ان تحقق اي مساواة ! ••• لقد أثار موقف تولستوى من قضيةتحريرالمراة حنقوسخط المثقفات فى عصره ، مما حدا باحداهن ان تكتب اليه مسجلة لموقفه هذا :

اما تشيخوف فعلى عكس تولستوى برز كمدافع حاد عن حق المراة فى المساواة فى التعليم والعمل وقد اتضح اتجاهه هذا من خلال مؤلفاته واقواله وايضا مراسلاته .

فى خطاب للكاتبة ليديا افيلوفا والتى كانت تتحدثعن التعارض والتناقض بين واجبات المراة المتزوجة والتزاماتها تجاه اسرتها وبين قدرات المراة على الابداع كتب

تشيخوف يقول : « هذا النظام غير الطبيعي للعائلة عندنا ، هذا الخضـــــوع وعدم الاستقلالية للمرأة ، هذا هو مايجب النضال ضده ، انه رواسب الماضي » .

● المساواة للمرأة ●

وقد اكد تشـــيخوف على حق المرأة في التعليم في قصته « أديانذا » « ١٨٩٥ » وهي القصة التي أوضح بها تشيخوف صراحة موقفه من تعليم المرأة من خلال الكلمات التي وردت بالقصة : « ان سعي المرأة تجاه التعليم والمساواة في الجنس .. اتفهمه كسعي تجاه العدالة .. »

وقد هاجم تشيخوف في قصته هذه أسلوب التربية الذي تربى عليه البنات وتوجه الى الاباء بالنداء : « علموا الفتاة منذ المهد ان الرجل قبل كل شيء ليس رفيقـا في الرقص وليس عريســـا ، بل قريب لها ومساو لها في كل شيء ، علموها التفكر في منطقية ، والنظرة الشمولية ، ولاتقنعوها بان عقلها يزن أقل من عقل الرجل ، وانه بناء على ذلك يمكنها أن تنظر بلا مبالاة الى العلوم والفنون وكل المهام الثقافية عامة .

وتعد قصـــــة « العروس » « ١٩٠٣ » لتشيخوف من أهم مؤلفاته التي تعرضت لموضوع تعليم المرأة ، في هذه القصة تحلم ناديا الشـــابة الثرية الجميـــلة بالبيت والزوج ، وتعيش ناديا في منزل جدتها حيث تعيش أيضا امها التي تعاني من خضوع تام لسيطرة أمها . وهاهي نادية تخطب لاندريه اندريش ويحدد يوم الزفاف لكن ناديا « مع ذلك لم تشعر بالفرحة ... وكانت تنام نوما سيئا ... » وكانت ناديا لاتعرف ، لماذا اصبحت الان ولم يبق على العرس أكثر من شهر ، تحس بالخوف والقلق ، كانما ينتظرها شيء غير واضح وصعب . ويأتي الى ضيافة بيت الجد القريب الفقير ساشا ، ان هذا القريب الذي يبدو متواضعا في ملبسه يحدث انقلابا في أفكار ناديا . ان ساشا الذي يعجب من نمط الحياة الفارغة التي تعيشها ناديا وامها وجدتها كان يعلن عن رفضه لهذه الحياة حين كان يقول مرارا لنـاديا « ياعزيزتي ينبغي عليك أن تدركي كم هي ملوثة ولا أخلاقية حياتكم الفارغة هذه » ان ساشا يحرض ناديا ويحثها على نبذ هذه الحياة الداعية الكسولة والرحيل طلبا للعلم « لو أنك رحلت للدراسة ، الاشخاص المتنورون والقديسون هم وحدهم الشيــقون ، هم وحدهم الضروريون ، فكلما ازدادت أمثال هؤلاء ، اقترب موعد قيام ملكوت الله في الارض . وعندئذ لايبقى من مدينتكم بالتدريج حجر واحد ، كل شيء سينقلب رأسا على عقب ، كل شيء سيتغير وكأنما مســـه سحر » . أن كلمات ساشا عن التعليم والعمل تثير اشمئزاز ناديا من خطيبهـــا الذي لايفعل شيئا ولا يستطيع أن يفعل شيئا ، أن هذه الكلمات تساعد ناديا على تكشف جوهر حياتها وحياة أسرتها وتفتح عينيها على حقيقة هذه الحياة .

ان عروس تشيخوف وهي تستدبـر للحياة الخانعة الضيقة تسعى الى حياة جديدة على مايبدو ، مناقضـــة لتلك التي كانت تعرفها في بيتها والتي كانت يمــكن أن تعيشها مع خطيبها ، وفي سعيها هذا تجاه المستقبل تصبح رمزا لنفس فكرة الحياة الجـديدة ، وروحها ، وحين قررت ناديا الرحيل « انكمش كل هذا الماضي الكبير والخطير قبضة صغيرة ، وتكشف مستقبل ضخم عريض لم يكن واضحا قبل الان ... وفجاة بهرتها السعادة وتذكرت انها ذاهبة الى الحرية ، ولتتعلم » ورغم أن مستقبل البطلة يبدو « مجهولا مملوءا بالاسرار » ، الا أن نفس خروج البطلة طلبا للتعليم كان يعني الخروج الى « الحرية » حسب مفهوم تشيخوف .

لقد راقتني فكرة الكتابة عن هذا الموضوع بمناسبة مايتردد صداه الان عندنا من اراء تجادل وتناقش امرا صار واقعا الا وهو حق المرأة في العمل والابداع ، لقد مر قرابة القرن منذ كان تولستوي ياخذ موقف المهاجم لخروج المرأة الى التعليم العمل ، بينما كان يقف قرينه تشـــيخوف ـ على الطرف الاخر ـ يساند ويؤازر حق المرأة في المساواة في التعليم والعمل ، ترى من كان منهما اصدق في رؤاه ؟

رسالة العراق
من : يوسف القعيد

الأهواز ، البصرة ، الفاو
عبقرية المكان
التي أصبحت مسرحاً للحرب

١ ـ فينسيا العرب

لكل مدينة مدخلها الخاص بها ، ومدخل البصرة بالنسبة الى مدخلان • الاول بدر شاكر السياب ، والاخير : الخليل بن احمد الفراهيدى ، الحداثة والتراث • ابدأ من زماننا وصولا الى العصر القديم • ولكنهما معا • السياب ، واحد من أكبر شعراء زماننا ، والخليل ابن احمد يقفان الان وسط أكياس الرمال ، التى فرضتها أزمنة الحرب التى تتجول فى هذه الأيام فى العام السادس من عمرها •

والبصرة يقولون عنها بندقية المشرق العربى وفى آلزمان البعيد كانت المرفأ والميناء الذى انطلق منه السندباد الى ابواب الدنيا وأساطير العالم وحكاياته البريئة •

فلك فيهـا ـ يقول ابن الرومى فى وصفها ـ وفلك اليهـا ، منشآت فى البحر كالاعلام •

هذه زيارتى الرابعة للبصرة • زيارتان فى أيام السلم • وزيارتان فى زمن الحرب • وهكذا أكون قد ساويت بالعدل بين هذه الايام وتلك •

انها نفس المدينة وان كانت تضع على رأسها فى هذه الايام خوذه الحرب الشناشيل ، والقصور • حيث تزهو الحجارة بنفسها وهى تشاهد انعكاسها على صفحة مياه شط العرب

والبصرة مدينة السفر وبيت المسافرين • منها سافر السندباد واليها عاد • والعودة قادته الى رحيل آخر نحو بغداد • ومنها رحل جلجامش لكى يبحث عن سر الكون ولغز الوجود •

ولانها مدينة السفر والمسافرين فالبيوت فيها لا يعرف الضجر طريقه اليها ابدا • والمسافر الذى يحط الرحال فيها لا يتسلل اليه الاحساس بالاغتراب ومن يتجول فى شوارعها يشعر أن كل بيت حكاية • يمكن أن تروى أتحمل الدهشة وراء كل كلمة فيها • وقلوب

الناس سكك مفتوحة على كل من يطرق ابواب البصرة ·

تجولت فى البصرة ليلا · تخيلت ان الخليل بن احمد يتحدث مع بدر شاكر السياب ، حاولت أن أسمع ما يقولانه · ولكن أصوات مدافع التتار ووقع اقدام الفيلة والخراتيت منعتنى من تسجيل الحوار الهام ·

والبصرة مدينة النخيل ، الذى لا يعرف الانحناء ولا الغرق ، والبصرة مدينة المياه التى لا يعرف الجفاف طريقه اليها ·

٢ ـ طفولة الماء

القرنه مدينة صغيرة ، واكتسبت اسمها من اقتران نهرى دجلة والفرات قديما ، وفى القرنة مكان يقال انه شهد انبات شجرة ادم المقدسة ·

لقطة تمثل جمال الحياة الريفية فى هذه المنطقة ذات الحضارة العريقة



الاهــوار
البصــرة
الفـــاو

وحول هذه المنطقة توجد « اهـوار العراق» ، حيث كان يتجول ذلك الزمان المنسى ، فى مكان فيه كل مقـــومات عبقرية المكان ٠

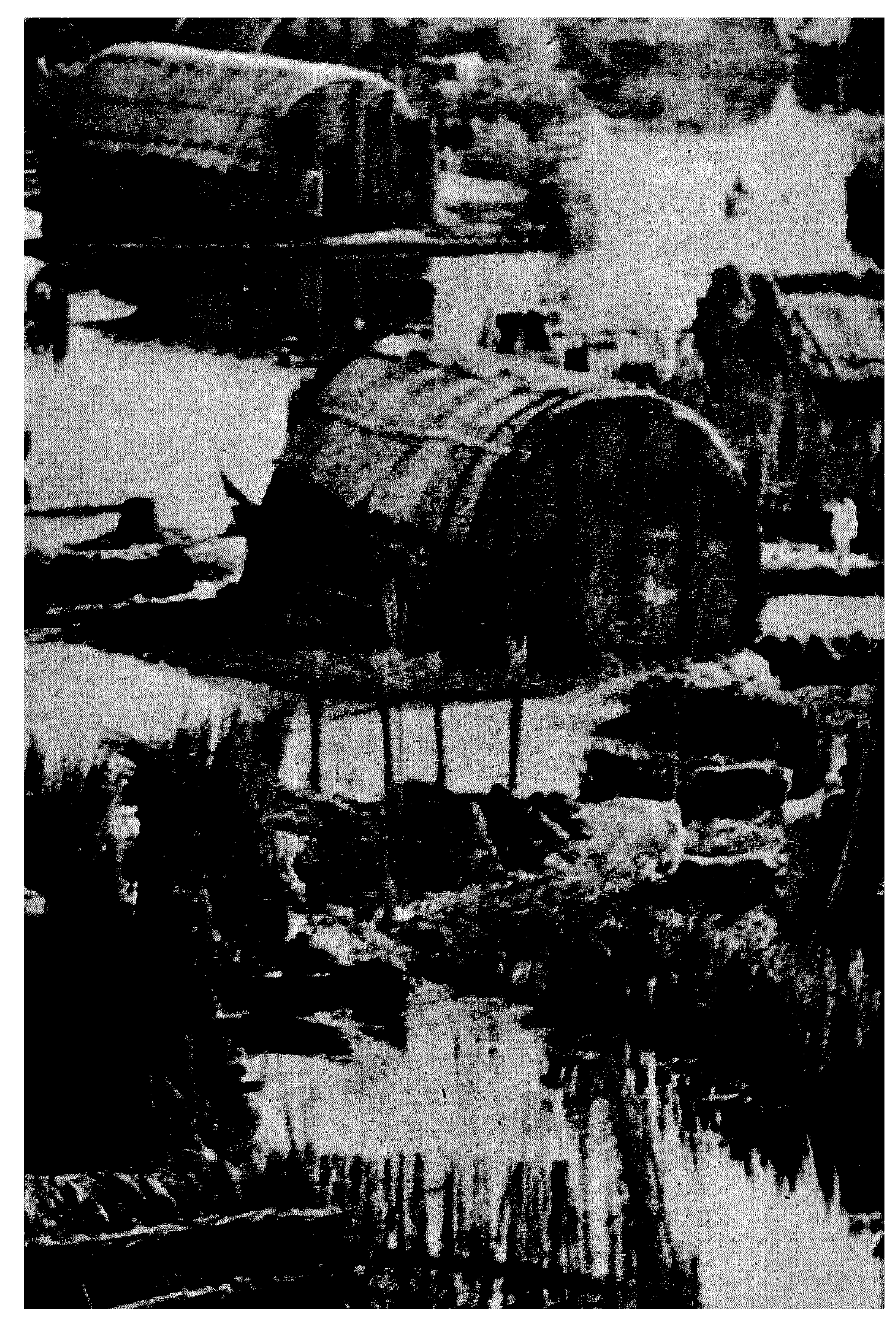
ولا انسى ذلك الظهـــر الحار الذى وجدتنى وجها لوجه فيه مع ذلك العالم الفريد الذى اسمه اهوار العــــراق ٠

شاهدت فيلما تسجيليا لقاسم حـــول عن الاهوار ٠ وفى اليوم التالى كنت اخترق الاهوار من النـــاصرية حتى العمارة والبصرة مرورا» بالجبايش « المدينة الوحيدة فى قلب الاهوار ،وفى ملحمة جلجامش حكايات عن فيضـان ضخم جـــرى فى جنـوب العــراق ٠ وهى قصة قريبة من طوفان نوح ٠

زرت الاهوار مـــرتين ٠ الاولى فى زمن الســــلم ٠ والثانيـة فى ايام الحرب ، بعد ان دخل هور الحــويزة وجزر مجنون قاموس هذه الحـرب ـ التى تشبه حروب طروادة وحـــرب

وسيلة النقل الوحيدة فى الاهواز وعلى الصفحة المقابلة منظر عام لقرية سيجال ويظهر هنا جمال البيئة التى تدمرها اقدام العدوان





الاهــوار البصــرة الفــاو

البســـوس ٠ من زاوية ٠ انـه من السهل معرفة متى بدأت ولكـــن من المستحيل معـــرفة لا كيف و لامتى تنتهي ابدا ٠

والاهوار منطقة لا تعرف الجفاف ، مكان يمكن ان تكون اجمل بقعـة في شرقنا الاوسط الذي يعاني من الصحراء ومن التصحر ومن خطر الجفـــاف وشبحه ، ومع هذا فان ماء الاهـوار مازال يعيش حتى الان طفولة مـــاء البشرية كله ٠ وكانه يحيا اليوم الاول في الخلق ٠

ومن يتامل في حياة ساكني الاهوار يدرك انه يقف امام شخصيات خارجة لتوها من صفحات تراثنا العــربي الاصيل والقديم ٠ يعيشـون في ريف رائع وغريب وبيوت الاهوار مبنية من القصب ٠ كما كانت تبنى في عهـود السومريين صف خلف صف من اعمدة القصب الغليظة تثنى وتقرن معا في اطار مقوس تدعمه ركائز قصبية تربط بها حصر من قصب تغطى السـقف والجدران ٠

وكل منزل مبني فوق جزيرة صنعها الانسان نفسه عندما يكون جبلا صغيرا من نبات الاسل ويدوس برجليه في الماء داخل سياج قصبي يرتفع فوق وجـه الغمر ٠ وتتم عمليه تكديس القصـب ودوسه حتى تصبح في حجم جـزيرة صغيرة ٠

وفي الاهوار مواصلات فريدة هي : المشحوف ، او البلم ، أو الطرادة ٠ وهي ثلاثة اسماء للـثلاثة انواع من المراكب الانسيابية الطاويلة المطلية بالقار ٠ وقد اشتهرت لصبغها قرية الهوير بالاهوار ٠

واهل الاهوار هم اكثر العـراقيين وداعة ، فجرائم القتل والسرقة بينهم معدومة والحوادث الوحيدة هي نزاعات بسيطة حول صيد الطيور والاسماك وزراعة الارز ٠

والاهوار فينسيا ليست العـراق وحدها ٠٠ ولكنها تعد فنيسيا الشرق الاوسط كله ٠٠ فالهواء فيها يبدو مبللا بالماء والندى والطل النهارى ـ قبـل الليلى ـ يلون الاشياء ٠ وصفحة الماء تبدو لامعة مثـل الزجـاج ٠ وفي المنطقة طيورها الخاصة الاخـاذة : الزرقاف ، الارقش ، اللقالق ، البجع الابيض الزاهي يبدو من بعيد مثـل الاساطيل الهادئة ٠

وفي الماء حياته ايضا ، ثعلب الماء٠ طيور مالك الحـزين ، ان نوعا من الحنين الكوني يشد الانسان الى هذا المكان الفريد ٠

وفي المياه وامام الاكـواخ نوع من الجـاموس الذي يعيش هنـــا ٠٠ والسلاحف الصغيرة تجرى نحـــو جحرها في هذه الجزر التي صنعهـا الانسان ٠

وعند الغــروب ، تبدو الشمس البرتقالية ، وهي تنطفيء في الميـاه على البعد ٠ وتذوب في ضباب مسائي بنفسجي رقيق

في الاهوار تبدو السماء شاهقـة وضخمة وعاليـة وبعيدة ، تعطى كل شيء سواها صورة قزمية وصفحة الماء امتد الى حافة الدنيا كلها ٠

ومكان الاهوار يصنعون حضارة بالغة الندرة فى عصرنا ..

لكن الخرتيت الذى جرى فى اوروبا قبل الحرب العالمية الاخيرة . يهدد المنطقة كلها ..

فهل من خلاص .. ؟!

٣ ـ بساتين الشاطىء



لم اضع قدمى فى الفاو الا بعد الحرب ، وهى امتداد جغرافى لقناتى البصرة والاهوار ومع هذا يختلف المكان هنا تماما .

عندما يقترب المكان من البحر ، تكون هناك البساتين والاشجار، وبعدها منطقة الملحة ، ثم الارض الجافة ، ذهبت الى الفاو والحرب على اشدها .. وان كان المكان يترك بصمته الظاهرة والواضحة على ما يجرى فيه نطقة حدودية ، فيها اثار بترول

البجعة في الأهوار الغنية بطيورها ونباتاتها



خريطة العراق . ويظهر عليها مثلث الأهواز والفاو والبصرة





انواع متعددة من قوارب الاهوار وسط بيئة جميلة



تلك الحياة الآمنة التى عاشها سكان الاهواز، يتهددها اليوم الحرب والدمار.

سابقة • والفاو نفسها ميناء قديم • والمنطقة كلها مهجرة من سكانها منذ سنوات •• تسيل فى النفس العديد من الذكريات عن المدن والقرى عندما يهجرها ساكنوها فى ازمنة الحرب ••

ان ارض الملح ترفض الحرب، وتقاوم ولكن بطريقتها الخاصة •

الغريب فى شبه جزيرة الفاو هو حكاية الجزر والمد • يحدث الجزر القادم من الخليج العربى فترتفع المياه وتغطى الملحة • ويأتى الجزر فتنزل المياه ولكنها تترك أرضا لا يمكن الحرب فيها انه احتجاج الارض الذى لابد وان نسمعه •

السراج والرزاز وزينب عبد العزيز
ثلاثة معارض بالقاهرة

بقلم : أحمد فؤاد سليم

بدأ كمال السراج اول معارضه الفنية فى عام ١٩٦٠ ، حين تخرج فى نفس العام فى كلية الفنون الجميلة ، فيكون معرضه الذى اقيم بالقاهرة ـ فبراير مارس ـ موافقا للعام السادس والعشرين منذ بدأ طريق الفن .

وفى عام ١٩٦٥ / ١٩٦٦ بلغ السراج احدى المراحل الهامة وسط حركة الفن المتجددة فى الستينيات . فى ذلك الوقت لم يكن السراج فنانا « طبيعيا » ، او «انطباعيا» ، بهذا المنحى ، بل كان قريبا الى مدارج الفن الشكلى بمقدار واضح.
كان فن السراج يعتمد « الخط » باكثر ما يعتمد المساحة الضوئية ، واللون ، كاساس للعمل التصويرى . « فالخط » هو ممارسة الصدق الاول فى العمل الفنى ، وانه ـ على ما يقول « انجر » ـ « تخطيط الشكل ، او رسمه هو جوهر الفن » .

وقد جاء استخدامنا لكلمة الخط هذه مشوبا بالتصور بالمقارنة لكلمة Design التى تشتمل على مجموعة معان عمومية ومغايرة تبدأ من الخط او التخطيط ، او الرسم ، أو الخيال ، أو الالهام ، او التصميم على اختلاف صوره ومدارجه .. ولعل ذلك التصور جاء بسبب اننا لم نقصد الى الخط بمفهومه السائد لفكرة الرسم ، ولا الى التصميم بمفهومه السائد لفكرة القالب المعد .. وانما كان ذلك بسبب اهتمامنا توضيح منهج كمال السراج الذى يلجأ فيه الى «الخط» فى العمل التصويرى على اعتبار انه « قاطع » متنام يبدأ من « النقطة » . اى أن الخط بالنسبة للسراج هو مجموعة من النقاط التى تتحرك تلقائيا من داخلها ، وتتلوى أو تستقيم كيفما كان اتجاهها ، فاذا بها تصنع شكلا « تخطيطيا » فى النهاية على سطح معد . وهو فى ذلك يختلف اختلافا جوهريا فى

منهج العمل بالنسبة لفنانين مثل فؤاد كامل أو رمسيس يونان ، اللذين كانا يعتمدان اللون والضوء مدخلا الى الشكل ، وبمقدار مسافة الاختلاف هـــذه ، فان السراج ربما هو قريب ــ من الناحيــة القاعدية ــ الى المنهج النسائى عنـــد فاسيلى كاندينسكى « ١٨٦٦ – ١٩٤٤ » فى المرحلة التى تزامل فيها مع بول كليه ، وفاينجر ، والتى بدأت منذ العام ١٩١٨ .

● جماليات الكتابة العربية ●

ولعله كان طبيعيا ان يلجــأ السراج فيما بعد ذلك بسنوات الى الجماليــات « الحروفية » فى الكتابات العربية ، بل الى انتخابه لتوليفات وتشاريح حــرف « السين » العربى ، وأن كان ذلك وليد الصدفة على مايصرح هو بنفسه ، الا انها « صدفة » متسقة مــع ســياق ومعالجات كمال السراج الى درجة تجعلنا أسرى للظن بأن هذه الصدفة نفســها لم تكن الا اختيارا خالصا .

وبقطع النظر عن الدوافع النبيلة التى تتبنى فكرة البحث عن شــخصية مصرية خالصة من خلال استغلال قويم وعصرى لامكانيات تراثية ، ومعتقدية ، الا أن المتأمل لفن كمال السراج فى الاعــوام ١٩٦٦ ، ١٩٦٧ ، يلمس لمســا تلك الارهاصات التى هى ــ بالتأكيد ــ بمثابة مقدمات ضرورية لفكرته عن التراث ، وعن الشخصية القومية .

فمع أن « الفكرة القومية » لم تكن مطروحة بشكل علنى عند السراج فى ذلك الوقت ، الا ان بعض لوحاته كانت قد اخذت تنحو منحى طبيعيا الى عالم قريب من أجواء الكتابات العربية ... وذلك قبل ان يخاطر بتجربته علنا فى العــام ١٩٦٩ .

ولقد لفتت تجربته باقامة معرض كامل على تنويعات حرف « السين العربى انظار الكثيرين ، ولعلها أثارت الدهشـــة ايضا . وفى حين ان البعض وقف أمامها دون محاولة الخوض او التدقيــق فى أحكام التجربة ، فان البعض الاخــر ، قد اعتبرها هبوبا عابرا لنزوات الفنان الذاتية ، وما تلبث ان تزول حين يستطيع الفنان أن يمسك ضالته الهاربة . غير ان التجربة صارت بقيناتويا حين أخذت معارض السراج تبث منابع فكرته الجمالية ودوافعها الموضوعية ، بكافة الاســاليب التقنية ، وبمختلف الخامات المتــاحة فى مسافة زمنية زادت على ســتة عشر عاما . وفى حين جرى ذلك ، فان تجـربة السراج كانت قد أخذت تشــــق لها طريقا راسخا ، ومكانا ، ورايا ، وسط الحركة الفنية المصرية .

مصطفى الرزاز

بدأ مصطفى الرزاز « ١٩٤٢ » التجربة الفنية فى سن مبكرة .. وفى وقت قصير للغاية « ١٩٦٥ / ١٩٦٦ » اســتطاع أن يحتل مركزا مرموقا فى المقدمة بين الفنانين المصريين الصاعدين . وفى العشرينات الاولى من عمره كان قد اخذ يشـــق طريقه بقوة ويسر ، مجسدا النموذج المصرى الجديد للفكرة الشعبية التى تتمثل فى المعتقد ، والرمز الغــامض للاسطورة . كان الانسان هو همه الاول وقد ظل الحال كذلك فى تجاربه اللاحقة جميعا ، مستندا على قــدر كاف من اليقين ، والتنوير الذاتى ، ومــدركا لطبيعة التجربة الجمالية مادامت هى من سبيل البحث عن شخصية مصرية .

كانت هنالك تلك القوالب الجــاهزة لمفهوم الجمال الشعبى : الذى كان يمثله سعد الخادم « ١٩١٣ » من ناحيــة ، وسيد عبد الرسول من ناحية أخرى . كان « الخادم » يمثل الصياغات الخالصة للفن الشعبى من خلال فكرة الخيال ، والمدرك العقلى ، على حين ان سيد عبد الرسول كان مترجما للعواطف الشعبية



ثلاثة معارض بالقاهرة

التى تبثها تفاصيل منهج الجمال الشعبى كما هو كائن فى مواريث عاشقية . على أن الرزاز جاء وقد حمل دماء جديدة ، وصياغات مميزة من دون وتنوع غير محسوب فى بحار العقل ، ومن دون انغماس خطر فى الموروث كحل جمالى ، بل انه دخل الى صميم الشخصية

الشعبية ، واخذ يتأمل من داخلها ، حتى يكون قادراً على أن يترجم روحها، وان يرسمها . كان يعنيه العالم الباطنى الجوانى ، الذى يختزن الموروث . هذا الموروث الذى هو قادر على ضبط الفعل ، وتحويله آلى اعتياد يومى ، والى هواكس حركية منظمة للسلوك المتقدى عند الشخصية الشعبية .

وبعد سنوات ، كان الرزاز قد حاز على ثروة عالية من التحصيل التقنى للعملية الجمالية ، وصار يمثل نموذجا قويا للفنان المستنير القادر على حل المعادلة المستعصية بين فكرة التراث ، وبين فكرة

لوحة للفنان كمال السراج



التجديد . بين المعتقد الموروث بجماله اليقيني ، وبين العمليات المعتقلمارسات عالم معاش بالفعل ، عالم حسي ، وعقلي ورياضي ، واحتمالي ، وغير معتقدى ، بل ومحفوف بمخاطر التغيير في كل منافذه ، ومدارجه .

● صياغات الفكرة الموضوعية ●

وفي معرض الرزاز عام ١٩٨٤ ، كان واضحا انه قد اخذ يسعى في اعماله التصويرية الى تأكيد حالة من الصدام بين الواقع الجمالي ، وبين صياغاته هو للفكرة الموضوعية .

ان الوجوه الكاملة ، والجانبية ، والترديد الخطي ، والظلي ، للاشكال والالوان ، والحيوان ، والطير .. ليست الا علامات من شأنها ان تجعل العمل « مشروعا » أمام المشاهدين ، في حين انها ليست سوى جزئيات تراكمية ، خضعت للانتخاب الذاتي من صميم ذاكرة الفنان المحضة ، واستجابت لعمليات التداعي المرادة في مواجهة فكرة الجمال بحسد ذاتها .

وعلى حين ان ذلك «الصدام» الذي نتحدث عنه ، بين الواقع والخيال ، كان يبدو تلقائيا في أعمال الرزاز ١٩٨٤ ، الا

لوحة للفنان مصطفى الرزاز



ثلاثة معارض بالقاهرة

انه فى تجربته الاخيرة ١٩٨٦ اخذ يؤكد على فكرة الصدام هذه بصورة متعمدة، وربما هجومية . وربما يعود ذلك الى البنية التركيبية لشخصية مصطفى الرزاز ذاتها التى تعتمد « التجريب » من بين غايات البحث عن اللغة الجمالية . لقد اخذ الرزاز فى معرضه ١٩٨٦ ، يستند على محور « فكرى » ، « ورياضى » ، بمعنى انه اخذ يقوم ببث سياق ادراكى للعملية الجمالية ، باعتبارها بديلا للمعتقد المصرى تجاه الواقع . يعنى « تعليم » المعتقد الجمالى عن طريق تفسيره بصريا ، اى فى جعله « علميا » . ومن حيث هو كذلك ، فان العمل يطرح نحواه على اعتبار انه شركة « مساهمة » لمجموعة المشاهدين بما فى ذلك صانع العمل ذاته . بمعنى أن هذا الاشتراك الجماعى يدعو العمل الى أن يتحرر تلقائيا من النوازع العاطفية لصانع العمل ، وكذلك ـ ربما ـ يتحرر من تلك الدوافع اللحظية اثناء عملية الممارسة الفنية . فنحن عندما نتأمل الطيور فى أعمال الرزاز ، لا نعرف ما اذا كانت هى مذاكرة للوهم ، أم هى وشم على ساعد فلاح ، ام هى اسطورة أوزوريسية ام هى ذكريات تاريخية لابراج الحمام ، ام هى الرمز الفاصل للجنس ، أم هى ببساطة تضج لفعلية جمالية تستلهم بساطتها من تعقيدها الغامض . غير اننا لا نخطىء حين نتصور أن هذه الطيور ذاتها هى « حالة » موضوعية صبت على قالب جمالى مثير ، وبان الفكرة الجمالية رهينة بهذا « الصدام » جميعه . وربما كان ذلك ، هو نفسه الدافع الذى دعى الرزاز الى استنهاض طيوره من مساحاته المرسومة ، ودعاها للخروج فى حجم مجسم مستقل ، وجعلها معلقة بذاتها ، وبمفردها ، فى قاعة معرضه الاخير ، بل ووضعها ـ وهى مجسدة بابعادها الثلاثة ـ فى اشكالية برنامجة لتدلل على العلاقة المركبة بين المسافة الحقيقية لمجموعة طيور متوالية خلف بعضها ، وبين الحيز الوائمى الذى يفصل طائرا عن طائر ، ويشرح الرزاز ذلك بقوله : « ترتبط هذه الظاهرة بالمجال الادراكى اكثر من الماديات المحسوسة اذ أنها نوع من الخداع البصرى » وبانها تبدو وهى معلقة « على درجات من التفاوت الحجمى ، بينما هى فى واقع الأمر متماثلة كميا من الناحية المادية » . واننا نكتشف ذلك على التو حين يعن لنا أن نختار زاوية معاكسة لرؤية العمل المجسم عند الرزاز ، أننا نفاجأ فى هذه الحالة بقوة « الفعل الجمالى » ، فان شكل الطائر الذى بدا لنا كبيرا فى الزاوية الكبيرة ، صار صغيرا من الزاوية المعاكسة ، على حين أن الحقيقة نفسها ليست كذلك . فنحن

لوحة للفنانة زينب عبدالعزيز



اذا قمنا برسم شكل لطائر على قطعة من الورق ، ثم قمنا بفصل الشكل المرسوم عن طريق القص ، فاننا نحصل على حيز فراغى مماثل للشكل المرسوم ، ونحن اذا وضعنا ذلك الحيز الفراغى على بعد معين من الشكل المرسوم فسوف تكتشف على التو أن الحيز الفراغى أصبح أصغر من الشكل المرسوم للطائر فى حين انهما متطابقان ، ومادام هذا الواقع هو ضرب من الوهم الخالص ، فان عملية تكبير رياضية للحيز الفراغى بنسبة مسافة البعد عن الشكل المرسوم للطائر سوف تمنحنا تطابقا جديدا بين الطائر وفراغه، مع ان الحقيقة مختلفة بالفعل بين حيز فراغى هو أكبر بالفعل من شكل الطائر ، وهذا هو نفسه ما فعله الرزاز ، بحيث يضع المشاهد - لا اراديا-أمام مثيرعجيب من مجموعة متواليات وهمية لتنفيذ عملية جمالية شديدة التعقيد . **ومن هنا تبدو الاهمية البالغة فيما يعرضه الرزاز ١٩٨٦ .**

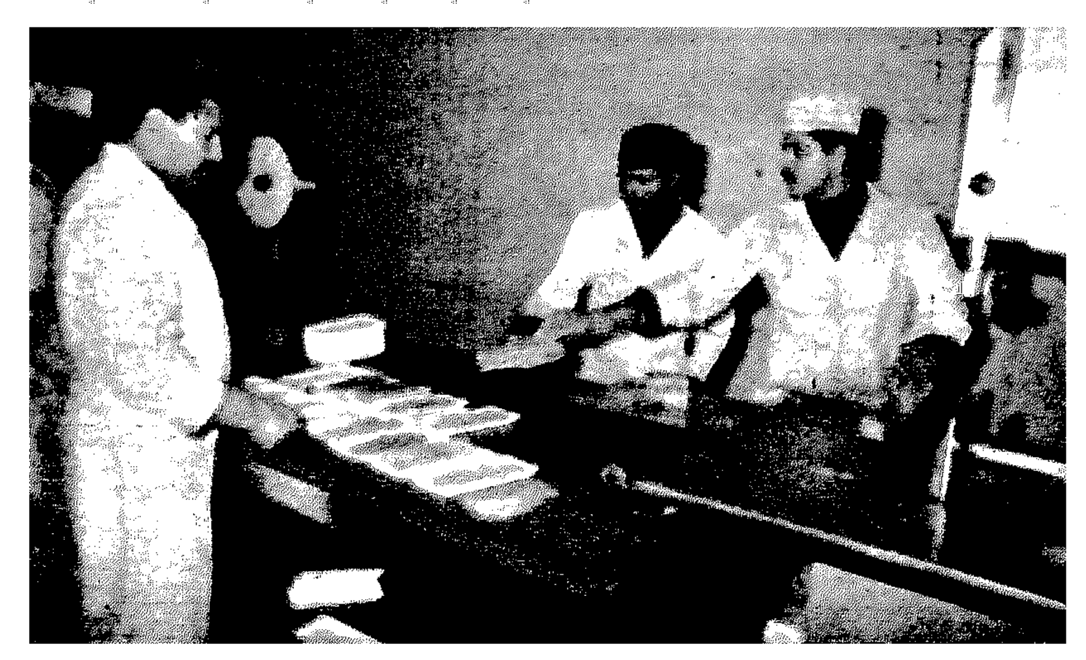
زينب عبد العزيز

واما المعرض الثالث فهو لفنانة دؤوبة تتميز بقدر عال من الاصرار والارادة وربما من أجل ذلك ، فان زينب عبد العزيز أخذت تكرس امكانياتهاالتصويرية على الدوام فى طرح معان مغايرة تعبر عنها فى نتاجها المتصاعد .

ومنذ بدأت الفن على نحو جدى فى النصف الثانى من الستينيات ، فانها أخذت تتعرض لطرح موضوعات بعينها ، كما انها ظلت حريصة على الدوام ، على أن تسمى كل لوحة باسمها . ومن قبل ذلك ، قدمت زينب عبد العزيز النيل ، والنخيل ، والريف ، والفلاحين ، والصحراء وتأملات الاوانى على شواطىء الانهار ، والنوبة ، ودراسات تصويرية متأنية لساقط الاضواء على الاحجار والمرتفعات ، ومراسى الصيادين .. ومن بعد ذلك ، أخذت الفنانة تستلهم الجماليات العذبة فى العمائر الاسلامية ، وشحذتها التجاويف الداخلية . بكيانها الظلى المعتم حين يكون الملون جزءا من بين تكوينها الصوتى ، الى أن قدمت معرضها الاخير هذا ، تحت اسم مغاير آخر هو « انطباعات من السعودية » .

وزينب عبد العزيز فنانة وفية للمعنى التصويرى ، بمعنى انها تكرس احتراما وتوقيرا لخامات وعجائن الالوان الزيتية ، وكذلك للمصادر الضوئية غيرالاصطناعية فوق مساقط السطوح والاشكال التى ترسمها . وبرغم أننا لا نلحظ خطا صاعدا فى تجربتها الجمالية بالنظر الى معالجاتها السابقة منذ سنوات ، الا انها وبنفس القدر ، قد استطاعت ان توفر تمكنا افضل فى المجال التقنى الخالص ، وفى الحلول الضوئية الشاكة للعمل التصويرى .

وتعد زينب عبد العزيز فنانة تقف على مسافة مادية وزمانية بين«الطبيعية» « والانطباعية » . فهى تنقل الطبيعة من « خارج الاستوديو » ، ثم تعود الى « داخل الاستوديو » لتعيد صياغتها . غير أن اعادة الصياغة هذه - باعتبارها عملية الجمال المعقدة - لا تلحق بالشكل الذى هو جوهر العمل فى البحث التصويرى - كما نرى عند فنانة مثل نحية حليم - الا بالمقدار الذى تقتضيه الا الجسات اللونية للمنطق الانطباعى من زاويته **التقنية البحتة . ويبدو الحال اكثر وضوحا حين تتناول رسم المنائر والمآذن والمساجد فى السعودية مثلا ، باكثر ما يكون الحال حين تتناول الفنانة الطبيعة الساكنة فى ارتفاعها وانخفاضها. .. وربما يفسر ذلك ما نعنيه هنا ، بالوقوف المادى والزمانى بين ما اسميناه ب « الطبيعية » ، وبين ما اسميناه ب « الانطباعية » فى معرضها الاخير .**



يتم جميع مراحل الانتاج آليا بمصنع هليوفود
بما يحافظ على جودة وسلامة المنتج



المصنع : بجوار مطار القاهرة الدولى بالهايكستب
الادارة : ٨ ميدان طلعت حرب القاهرة
ت : ٧٤٨١٢٥ - ٧٦٧٢٦٥

الشركة الوطنية للأمن الغذائى

والمساهمة الجادة فى حل مشاكل الأمن الغذائى



السيد / حسن الجريدلى رئيس مجلس إدارة الشركة

لاشك ان قضية الأمن الغذائى قضية تهم شعوب العالم النامى عامة ، وشعب مصر خاصة .. فالغذاء هو العصب الأساسى لاستمرار الحياة .. ولقد أولت الدولة عناية خاصة بتنمية موارد الغذاء فى مصر فى الفترة الأخيرة وبذلت جهوداً كثيرة ، ومازالت تبذل من أجل توفير الغذاء .

ولقد كانت الشركة الوطنية للأمن الغذائى ، هى الشركة الرائدة فى هذا المجال والتى اصبح نشاطها ملموسا يستشعر المواطنون وجوده نظرا لما توفره الشركة من منتجات غذائية تغطى جانبا كبيرا من احتياجات المواطنين ..

لهذا كان لقاؤنا مع السيد اللواء /حسن محمد الجريدلى رئيس مجلس ادارة الشركة الوطنية للأمن الغذائى ضروريا ليكون لنا معه حوار يوضح مدى الدور الذى تقوم به الشركة فى مجال الأمن الغذائى ؟ والى اى مدى يمكن زيادة هذا الدور حتى يتحقق الأمن الغذائى وتتوفر السلعة للمواطنين بالسعر المجزى الذى يحقق التوازن لكل من المنتج والمستهلك على السواء ؟

● وبسؤال سيادته عن طبيعة الشركة تفضل سيادته بقوله .

- إن الشركة انشئت لحل جزء من مشاكل الأمن الغذائى فى مصر .. وتم الحصول على الترخيص للقيام بثلاث عمليات هى الانتاج ، التصنيع ، التوزيع .

وبالنسبة للانتاج فنحن ننتج جميع المواد الغذائية ، ولكننا لا نستطيع وحدنا أن نقوم بالانتاج الكلى للاحتياجات . ولذلك فالشركة تقوم بانتاج جزء من الاحتياجات وتتعاقد على الباقى مع المنتجين على أساس من التعاون بحيث احصل على السلعة من المنتج وأقوم بتوصيلها الى المستهلك رأسا ، فالشركة لديها جهاز تسويق وعربات نقل ومنافذ توزيع .. وبهذا تصل السلعة الى المستهلك بسعر أقل من مثيلتها فى القطاع الخاص . كما ان الشركة لديها اسطول من سيارات النقل المغلقة حتى تصل السلعة بصورة صالحة للمستهلكين .

أما بالنسبة للتوزيع فقال سيادته :

من المعروف أن النقل والتداول يسببان تلفا لبعض المنتجات وتكون هناك نسبة من الفاقد تصل فى بعض الاحيان الى ٤٥٪

ولذلك فنحن .ننقل المنتج الى الثلاجات مباشرة وبعد ذلك نقوم بتعبئتها وتوصيلها الى المستهلك وبذلك نستطيع تقديم سلعه نظيفة بسعر أقل نظرا لقلة الفاقد الذى يقلل من سعر التكلفة .

والتخزين . الشركة لديها ثلاجات للتجميد تسع ١٠٠٠ طن ، وثلاجات تبريد تسع حوالى ١٠٠٠ طن أخرى ، وكذلك لدينا نفق للتجميد .. فمثلا اللحوم اننى اقوم بتعبئتها باسلوب معين ومغلفة تغليفا جيدا وباوزان معقولة ومناسبة لكل القدرات وتناسب كافة الدخول .

● وعندما سألنا سيادته عن التصنيع داخل الشركة وهو احد انشطتها اجاب :

ـ تقوم الشركة بالتصنيع للمنتجات وتقوم ايضا بتصنيع الفاقد ، أى انه لا يوجد عندنا فاقد على الاطلاق فنحن نعيد تصنيع الاجزاء الفاقدة . وباختصار نحن نراعى التعبئة الممتازة وباحجام مختلفة تراعى اذواق ومتطلبات واحتياجات المستهلك من جميع الفئات واصحاب الدخول المختلفة .

● وعند سؤاله عن منافذ توزيع الشركة .. وهل المنافذ تنتشر فى جميع انحاء الجمهورية ؟ وهل توجد منافذ اخرى لتوزيع المنتجات غير منافذ الشركة . قال سيادته :

ـ الشركة لديها منافذ التوزيع الخاصة بها . وهى تنتشر فى جميع انحاء القاهرة الكبرى .. وتقوم بتنفيذ مايسمى بمشروع توفير الغذاء لمليون فرد داخل القاهرة فى المرحلة الأولى .. ولدينا تصريح بالانتشار فى جميع انحاء الجمهورية ، ولكن فى المرحلة الأولى نقوم بتوفير الغذاء لمليون فرد ومن الممكن زيادتها بعد ذلك .. أما الآن فمنتجاتنا .توزع خارج القاهرة عن طريق موزعين كما توجد هذه المنتجات لدى محلات السوبر ماركت والمحلات العاديه

● ثم سألنا سيادته عن مدى التزام الشركه بالاسعار فقال

ـ الشركه ملتزمه بالاسعار وهى تقوم بطبع هذه الاسعار على العبوة وهذه الأسعار خاصة بالمستهلك ولا زيادة مطلقا لهذه الاسعار وكذلك تقوم بتوضيح مدة الصلاحية ونحن ملتزمون بالمواصفات القياسية التى وضعتها وزارة التموين

● وبعد أن لمسنا ان انتاج الشركة يتمتع بالجودة الفائقة سألنا سيادته عن مدى الاستفادة من الخبرة الاجنبية فى مجال تصنيع الغذاء .. فقال

ـ لقد ارسلت الشركة ستة افراد الى جميع الدول التى حصلنا منها على معدات المصنع لدراسة أحدث اساليب التصنيع على الطبيعة مثل فرنسا والمانيا وبلجيكا والدانمرك وبعد ذلك حصلوا على منهج لدراسة تكنولوجيا الغذاء فى بلجيكا وحصلوا على شهادات تخرج معتمدة ، وبعد ذلك عادوا لممارسة عملهم . كما تعاقدنا مع اثنين من المدرسين الذين كانوا يدرسون لهم بالدورة لمدة سنة لمتابعة العمالة والانتاج وتدريب الصف الثانى من العمال . وكذلك يوجد لدينا مكتب استشارى للمصنع .

● أما عن العمالة فقال سيادته

ـ لقد تم اختيار الأطقم الفنية اللازمة للمصنع من خريجى الجامعات والمعاهد العليا والمتوسطة ، أى من الشباب المثقف الواعى الذى لديه نية جادة ومخلصة لخدمة الوطن وتم اعدادهم وتدريبهم . ونقدم لهم الحوافز والأرباح المجزية

وبعد .. فلعل هذا القدر البسيط من المعلومات يوضح لنا مدى الجهد الذى تبذله الشركة الوطنية للأمن الغذائى فى سبيل تحقيق الأمن الغذائى وتوفير السلع للمواطنين وهو جهد مشكور نتمنى له المزيد حتى يتحقق الرخاء للوطن وللمواطن على السواء

اعداد / مصطفى البسيونى

مجموعة شركات المنوفية للاستثمار والتنمية . مونيفكو اسهام رائع فى التنمية والاقتصاد القومى



الاستاذ أحمد البدوى رئيس مجلس الادارة والاستاذة زينب فؤاد عبدالمجيد المستكاوى السكرتيرة التنفيذية .

بارك الله كل يد تبنى فى صرح هذا الوطن .. وبارك الله أصحاب الهمم الوثابة والقلب الشجاع الذين يأخذون بيد أمهم مصر حتى تنهض من كبوتها وتدخل مع أبنائها وبهم عصر الرخاء .

كان هذا هو دعاؤنا من القلب ونحن نتجه الى مجموعة شركات المنوفية للاستثمار والتنمية ـ مونيفكو لنطل إطلالة على صرح من صروح الاقتصاد والتنمية المصرية ولنلتقى بالرجل المسئول والذى

يقف وراء هذا الصرح . يدفعه إلى الأمام ليحقق المزيد والمزيد من النجاح ولينشر العمران ويبشر بالرخاء فى كل مكان فى مصر .

وكان لنا لقاء مع الاستاذ أحمد البدوى محمد رئيس مجلس الادارة الذى يشرف بنفسه على كل كبيرة وصغيرة فى هذا الصرح الشامخ يراقب ويوجه حتى يتأكد بنفسه من سلامة الخطوات ووسط مسئولياته الكثيرة وانشغاله الكبير استطعنا أن نأخذ بعضا من وقته نلقى فيه الضوء على هذا العمل الكبير من أجل مصر وحتى نعطى صورة لشبابنا عن الرجل الذى تأخذه همته ليتحمل مسئوليته فى التنمية وصنع الرخاء لمصر وشعبها .

● درس لا أنساه

يقول العميد أحمد البدوى محمد رئيس مجلس الأدارة :

لقد بدأت رحلة الألف ميل بخطوة !!

لقد بدأت مربيا للماشية .. ثم بدأت بمشاركة بعض الإخوة فى السودان الشقيق ثم تطورت الأمور وأصبح المصنع ملكى حيث أصنع أعلاف المواشى ، ثم اتجهت إلى الاستيراد على حسابى للمزارع الخاصة بى . استورد الأبقار العشار والجاهزة للذبح والتسمين وكذلك توجد الهناجر فى طريق بورسعيد وأصبحت أملك أحقية تداول الأعلاف وقدمت دراسة الجدوى للمشروع وأقمنا مصنعا غير تقليدى حيث نقوم بتدبير الذرة الصفراء ونستورد العليقة من الخارج وخصوصا الكتان وعند بداية تشغيل المصنع كنا نقوم بتجربة العلائق على المواشى من الحلاب والتسمين ثم نقوم بوزنها وكانت النتيجة ١٠٠ ٪ والحمدلله .. لقد أثبتت العلائق التى قمنا بتصنيعها جدواها وأعطت نتائج باهرة مع رخص سعرها عن مثيلاتها .. ولذا فانا أنصح السادة المربين بالتعامل معنا مباشرة أو مع السادة الوكلاء الذين ينتشرون فى كافة المحافظات حتى لايكون هناك مجال للوسطاء الذين يعملون على رفع الأسعار .

● استصلاح الأراضى

● هذا عن مجال استيراد المواشى وتصنيع الأعلاف .. فماذا عن المجالات الاخرى التى تعمل فيها مجموعة الشركات ؟

- تقوم الشركة بدراسة طبوغرافية التربة ويقوم بهذه الدراسات مجموعة من الخبراء المتخصصين فى مجال التربة والزراعة ونستخدم أحدث الطرق التى تستخدم فى هذا المجال بالرى بالتنقيط والرش .. وتقوم الشركة بتسليم الآلات بالتقسيط .. كما تقوم الشركة بعمل الهناجر وعنابر

الدواجن للسادة المربين وتقوم بعمل دراسات الجدوى الاقتصادية للأخوة المستثمرين سواء فى مصر أو فى الخارج .

والشركة تمتلك مساحات من الاراضى البور فى منطقة صان الحجر والصالحية وطريق مصر الاسماعيلية الصحراوى ، وطريق مصر الاسكندرية الصحراوى وتمتلك ارضا صناعية فى مدينة العاشر من رمضان وباذن الله سوف تقيم الشركة عليها مصنعا لتجهيز اللحوم كما ستقوم بانشاء مصنع أخر للحوم بمدينة ٦ أكتوبر ولدى الشركة مجموعة من الأطباء البيطريين للإشراف عليها .

كما توفر الشركة مجموعة جرارات زراعية من انتاج شركة النصر للجرارات قوة ٦٥و٦٦ حصانا وطلمبة البدوى وهى من أقوى الطلمبات .

● هل هناك نشاطات للشركة ؟

ـ نعم .. إننا نعمل بجهد فى مجالات متعددة .. فهناك مجال التشييد والبناء فقد اقامت الشركة عمارات سكنية وهوتيلات وشاليهات سياحية فى رأس سدر اسهاما منها فى تعمير سيناء .. وسوف يفتح باب الحجز بها قريبا بالاشتراك مع البنك العقارى المصرى وبنك القاهرة .

كما تعمل الشركة فى مجال نقل الركاب فلدينا عبارتان فى البحر الأحمر وقد ساعد ذلك الشركة على الدخول فى مجال الأمن الغذائى والتصدير الى السودان والسعودية .

● وماذا عن المشروعات الجديدة ؟

ـ يوجد خط لانتاج الأعلاف للدواجن وسوف نقوم باذن لله بتسويق الانتاج قريباً .. كل مانرجوه هو مساعدة وزارة الزراعة فى استيراد الذرة الصفراء

كما تقوم الشركة بتجهيز مصنع فى الخطاطبة بطاقة ٢٠٠ طن للدواجن وهو مصنع للأعلاف غير التقليدية .. وسوف يفتتح فى ١٠ / ٤ / ١٩٨٦ على مساحة ٣٠ فدانا وبجواره ثلاجة لتخزين الخضراوات واللحوم وتروى الاستاذة زينب فؤاد عبدالمجيد المستكاوى السكرتيرة التنفيذية لرئيس مجلس الاداراة أن وجهة نظرى بالنسبة للعمل التجارى ممتازة جدا وخاصة الجدية فى تنفيذها شاملة الدراسات ـ الائتمان ـ السيولة النقدية .

● وماذا عن وكلاء الشركة فى المحافظات ؟

ـ حتى يسهل على المربين التعامل معنا بدون وسطاء اخترنا مجموعة من الوكلاء فى المحافظات المختلفة يمكن التعامل معهم

● شركة ربابكو للتجارة والتوكيلات ـ محافظة الشرقية ـ المهندس مختار محمود دياب

● مؤسسة الطحطاوى للتجارة ادفو ـ المهندس حسين الطحطاوى وشركاه

● شركة جرين لاين للاستيراد والتجارة ـ اسكندرية البحيرة ـ العميد عبدالرحمن أسامة مشالى

● مرسى مطروح ـ العميد أحمد البدوى

وتركنا الرجل الذى يقف خلف هذا العمل الكبير الذى يحمل الأمل فى غد اكثر اشراقا يبنيه أبناء مصر لخير مصر وخير أبنائها .

ابتسامات

تخفيض

● قررت احدى الفتيات الا تتزوج رجلا يقل طوله عن ١٨٠ سنتيمترا .. وظلت عشرة اعوام ترفض كل من يتقدم للزواج بها ، لان طولهم يقل عن الحد المقرر .

واخيرا جاءها شاب وعرض عليهـــا الزواج فورا ، وكان طوله ١٦٢ سنتيمترا فقط ، ورغم ذلك وافقت الفتاة وجدت انها تستطيع أن تمنحه تخفيضا قدره ١٠ في المائة نظير الزواج فورا !!

الطفل الرائع

● قالت فتاة حسناء للكاتب الساخر برناردشو : ماراًيك يامستر شو في ان نتزوج حتى ننجب ذلك الطفـــل الرائع الذى يجمع بين جمالى وذكائك ؟

فقال لها « شو » : وماذا نفعل لو وقعت الكارثة وجاء الطفل جامعـــا لجمالى أنا وذكائك أنت !!

قبلة الوداع

● كان صديقه يقوم برحلات كثيرة كما يقتضيه عمله ، ولاحظ انه لم يترك المنزل مرة في احدى رحلاته الا وقد اصطحب معه زوجته .. فلما قابله ذات يوم سأله :

ـ بالله .. ان حبك لزوجتك يفـوق الوصف .. فأنت لم ترحل مرة عن بيتك دون ان تأخذها معك ..

ـ ياللك من غبي .. انني آخذها معي دائما لكي لا أكون مضطرا كلمـــا أردت الرحيل ان أقبلها قبلة الوداع !!

سوء حظ

● لعل من اسوأ الناس حظا ذلك المدعو « جون جريفيت » من ولاية تكساس بامريكا ، كان جريفيت يحرث الارض في حقله حين هبت عاصفة شديدة فوقف تحت احدى الاشجار ليحتمي من العاصفة ، ولكن صاعقة انقضت على الشجرة فقذفت به بعيداً فسقط في جحر للثعابين ولدغته افعى ، واستغاث الرجل فجاءت سيارة اسعاف لتحمله الى اقرب مستشفى .

ولكن السيارة انحرفت في الطـــريق وسقط في النهـر . ولم يكن جريفيت يجيد السباحة فغرق !!

● قالت السيدة للطبيب : ان مشـكلة ابني عويصة جدا يادكتور فهو يتخيـل انه دجاجة !

ومنذ متي يشعر بهذه الحالة ؟

ـ منذ سنة يادكتور

ـ منذ سنة .. ولم تفكروا في علاجه الا الآن !

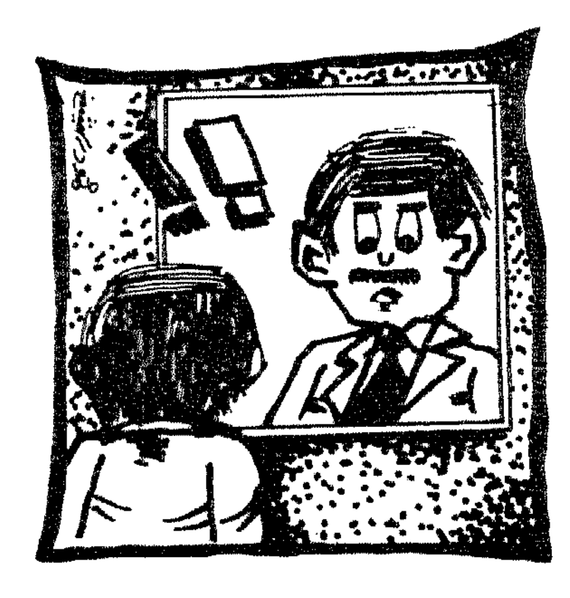
ـ انت تعرف يادكتور اننا فقراء ، وكنا نظن ان الانتظار قد يأتي بنتيجة .. خاصة وان اسعار البيض مرتفعة !!

صورة كاريكاتورية

● بينما كان احدهم يزور صـــديقه الرسام ويطوف بالاستوديو متفرجا على الرسوم استوقفه منظر ، فسأل صديقه :

ـ أظن هذه صورة كاريكاتورية ؟

ـ كلا .. هذه مرآة !!





العالم في سطور

• باريس •

ولكن هل يبقى النقد الصحفي ؟

تثير وفاة الناقد الفرنسي ماتيو جالى النقاش حول ماذا يتبقى من النقد الصحفي بعد رحيل الكاتب ، فماتيو هو ابرز النقاد الصحفيين خلال الربع قرن المنصرم في الصحف والمجلات بفرنساء ولكن! ماذا يتبقى منه بعد رحيله • هل هى تلك القصاصات التى قام فيها بتغطية الاحداث الادبية والثقافية فى فرنسا : الكتب الجديدة ، الجوائز ، الادباء الشباب ، الراحلون من الكتاب ••

بلا شك فان جالى قد لعب دورا كبيرا فى خلق الحس الفنى للقارىء من خلال تقديمه لادب عصره وخاصة الادب النسائى الذى اهتم به • واصبح جالى بمثابة بوابة يعبر منها كل من القارىء والكاتب سميا الى الالتقاء ••

وقد ساعد جالى فى لعب هذا الدور موسوعيته الشاملة • خاصة مايتعلق بالمسرح والرواية • فاستطاع ان يقدم ذلك الكم الهائل من الادباء الجدد الذين ظهروا فى العالم وترجمت اعمالهم الى اللغة الفرنسية • وقد شغلت الصحافة اليومية جالى فلم يقدم دراسة متكاملة فى كتاب واحد • والكتاب الوحيد الذى نشره عام ١٩٨٠ هو عبارة عن حوار طويل اجراه مع الكاتبة مرجريت يورسنار تحت عنوان « عيون مفتوحة » بمناسبة اختيارها أول امرأة عضو فى الاكاديمية الفرنسية •

وتثير وفاة ماتيو جالى اسئلة هامة • فالنقد الصحفي هو ذلك النقد السائد الآن والاكثر شهرة • وقد استطاع ان يجد قارئه فى كل انحاء العالم • واثار جدلا عند المتخصصين مما دفع بعضهم الى ممارسته بحثا عن الشهرة • فساد هذا النوع من النقد • الا أنه في النهاية يظل نوعا من الانطباعات السريعة تحكم الناقد فيها عدة انطباعات مثل المساحة المتاحة للنشر • واهمية سرعة التغطية مما يبعده فى احيان كثيرة عن التعمق •• كما انه من الصعب الاحتفاظ به ـ لدى القارىء ـ حيث انه منشور فى مجلات أو صحف سيارة • وعندما يجمعها الناقد فى كتاب يبدو فيه ـ غالبا ـ عدم وحدة الموضوع لان كل مقال منها كتب فى ظروف تختلف تماما عن الآخر ••

• ماتيو جالى •



● نيويورك ●

مدن .. قلوبها في جيوبها

جويس كارول اوتس هي أهم كاتبة على قيد الحياة في الولايات المتحدة الامريكية .

وتنبع أهميتها في انها استطاعت ان تتجاوز الموضوعات التقليدية التي تغرق فيها الرواية الامريكية المعاصرة . خاصة ان السينما لم تقدم أيا من رواياتها الست عشر التي نشرتها خلال العشرين عاما الماضية .

في الشهر الماضي صدرت طبعة جديدة من روايتها الخالدة « آخرون » التي نشرتها عام ١٩٧٠ . والآخرون في هذه الرواية هم الذين عاشوا على هامش حياة امرأة ريفية تدعى لوريتا فيما بين عامي ١٩٣٧ و ١٩٦٧ .. لقد ولدت في أسرة فقيرة يعمل كل أفرادها في شركة احتكارية ضخمة . فبعد ان ماتت امها . غرق ابوها في زجاجات الخمور يحتضنها بدلا من امرأته الراحلة . وتبلغ المأساة قمتها عندما يقتل بعض المتشردين حبيبها وهو بين احضانها . تتقطع بها السبل . تجد أن الدعارة هي المهنة الوحيدة التي يمكن ان تمارسها في مدينة امريكية لا تعرف سوى لغة : « النقود ولا شيء سوى الاوراق المالية » . التي تنتقل من الجيوب الى البنوك مرورا باجساد النساء . ويصبح الآخرون مجرد مجموعة من الارقام تتضخم كلما زاد الاهتمام بها . وتصبح ديترويت نموذجا لمدينة امريكية تفقد هويتها الادبية رغم كل البشر الذين يقيمون بها .

جويس كارول اوتس

● هافانا ●

لا وقت للشعر !



منذ أشهر قليلة تحدثنا عن فيلم قادم من امريكا اللاتينية تحت عنوان « ذكريات السجن » .. وتحت نفس العنوان أيضا يقدم الشاعر الكوبي ارماندو فالادارس كتابه الضخم الذي يسكب فيه مرارة تجربته كسجين سياسي في أحد سجون كوبا .

ومن المؤكد أن تجربة السجن كانت بالغة القسوة لارماندو الذي قضى بين الجدران ثلاثة وعشرين عاما حيث تم القبض عليه عام ١٩٥٩ بعد أن تزوج بأشهر قليلة . ولذا فقد جاء كتابه ثقيلا أشبه بتجربته . يقع في أكثر من خمسمائة صفحة . مليئة بوقائع شاهدها ، تسودها سادية وعنف . فيبدو الكتاب كأنه آهة عميقة تنزف دماء ساخنة غير مكروبة بقدر ما هي متجشأة من صدر الكاتب .

ويقول ارماندو عن كل ما اقترفه انه كان ضد نظام كاسترو . وعندما تم القبض عليه لم تعثر الشرطة على أي اوراق أو أسلحة تدينهم . « رحلوا وأيديهم خاوية تماما . الا مني » .

ويقول الشاعر انهم وضعوه فيما يعرف « بالزنزانة المقبرة » مسدودة



العالم في سطور

النوافذ وكانوا يضعون اثقالا في قدميه تزن ستين كيلو جراما • يتركونه في بعض الاحيان عاريا تماما فوق ارض رطبة • ولا يمدونه بماء الغسيل طوال ثلاثة أشهر • وكان الحراس يتلذذون حين يسكبون بولهم على جسده أثناء نومه • أما الناموس فلم يكن أكثر رحمة من ايدى الحراس •

وقد اطلق سراح أرماندو عام ١٩٨٢ عن عمر يناهز الخامسة والاربعين • ويبدأ كانه نسى كل ما يتعلق بهويته عدا أنه مسجون سابق زامل الزنزانة المقبرة قرابة ربع قرن • لذا فهو لم يشر الى كينونته كشاعر او الى ابداعاته التى ابتدعها فى السجن ربما لانه « لم يكن هناك وقت للشعور بالذات » •



الكاتب المصري والحب غير المعصوم

يصدر قريبا عمل أدبي جديد للمؤلفة البريطانية ديانا آثيل بعنوان « الحب غير المعصوم » بعد أن نجحت قصتها « بدلا من خطاب » • والعمل الجديد له أهمية خاصة فبطله كاتب مصرى وهو نوع من السيرة الذاتية للمؤلفة تتناول فيها علاقتها مع هذا الكاتب التى رمزت اليه بالحرف « د » وهذا الكاتب المصرى يتمتع بالذكاء وخفة الروح • وعندما التقت به المؤلفة عام ١٩٦٣ لاول مرة شعرت بانها يمكن أن تقع فى هواه ولكنها تغلبت على هذا الشعور لاكتشافها انه يصغرها بنحو ١٨ سنة ، وتبينت فيما بعد من خلال أوراقه الشخصية انه يصغرها بعشر سنوات فقط • الغريب فى الامر ان « د » - كما ترمز له المؤلفة لم يكن يبادلها نفس الشعور •

كانت ديانا تشعر بنوع من الامومة تجاه الكاتب المصرى الا ان العلاقة بينهما كانت تتخذ شكلا آثما اضافة الى المآسى الاخرى التى يرتكبها • فقد كان طفيليا ومقامرا ومحتالا وزيرا للنساء ربما لانه كان يعانى نفسيا من رفض أمه له ابتعد الكاتب المصرى عن صديقته ثم عاد اليها فوجدت نفسها مسئولة عن اعالته واصبح حملا ثقيلا على كاهلها وعلى نفسه أيضا وكان الاثنان على علم تام بمرضه العقلى •

وقد انتهت هذه العلاقة بانتحار الكاتب المصرى وقد ارجعت ديانا السبب وراء هذه المأساة الى شعوره بهجر والدته له •



فيينا .. دولة يهودية

وعن المدن أيضا يقول الروائي النمساوى روبرت موزيل : « نحن نعرف المدن من سلوكها » • المدينة - هذه المرة - هى فيينا التى يتم الاحتفال بها - من خلال عامى ١٨٨٠ - ١٩٣٨ - فى معرض ضخم يقام الان فى متحف بومبيدو ، حيث تترك مجموعة من أضخم اللوحات الفنية والمخطوطات الادبية مكانها لاول مرة فى فيينا الى مدينة اخرى •

لم يقتصر الاحتفال هنا بالمدينة من خلال لوحات الفن التشكيلى • بل بتكريم مجموعة من الادباء والمفكرين والموسيقيين الذين عاشوا ابان تلك الحقبة الزمنية فى العاصمة النمساوية • فامتزج كل منهم بالمدينة يأخذ منها ويعبر عنها يملأ سماءها حركة ووردهاتها انغاما وجدرانها الوانا •

من ابرز هذه الاسماء سيجموند فرويد• وجوستاف ماهيرو وشتراوس والادباء ستيفان زفايج وروبرت موزيل وجوزيف روث • وفنانى تشكيليين مثل : شسيل كوكوشا •



يقـول موزيل : « فى كل مرة وطأت فيها قدماى ارض النمســـا تهب على رياح كتابة رواية جديدة »، ويقول الفيلسوف فتجنشتين : « اذا كنت فى فيينا فعليك الا تتكلم ، بل أن تنصت الى صدى المدينة »،

لم ينس اليهود ان يستفيدوا من هذا المعرض الضخم بالدعاية لبنى جنسهم مما يذكرنا بكتاب ناحوم جولد مان « كلنـــا يهود ألمان » ، فاكثر هذه الشخصيات التى تضمنها المعرض يهودية ، وعلى رأســـهم تيدور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية وصاحب كتاب « الدولة اليهودية » ، ولم تنس مجلة لوبوان الفرنســـية فى عددها الصادر فى ١٠ فبراير الماضى ان تؤكد ان فيينا هى أيضا « دولة يهودية » ! ..



اغانى من بلاد الدلاى لاما

لكل شعب اغنياته الخاصة التى يشدو بها وتشجيه فى المناسبات المختلفة ، وفى بلاد التبت يشدو الشعب منذ ثمـــانية قرون باغنيـــات عديدة كتبها الشـــاعر الشعبى ميلاربا الذى عاش فى القـــرن الحادى عشر .. لدرجة أن ديوانه « مائة الف اغنية » يعد بمثـــابة كتاب مقدس يحتفظ به كل ابناء التبت فى بيوتهم الى جوار كتاب التعاليم لبوذا .

استقى ميلاربا هذه الاغنيات من بيئته التى عاش فيها ، ومن افواه الفقراء الذين تربى بينهم ، ومن الحيـــوانات والطيور التى كان يربيها فى منزله ، ومن الحدائق الغنـــاءة التي يتجول فيها .. ثم من الشوارع التى كان ينام فوق اطلالها ..

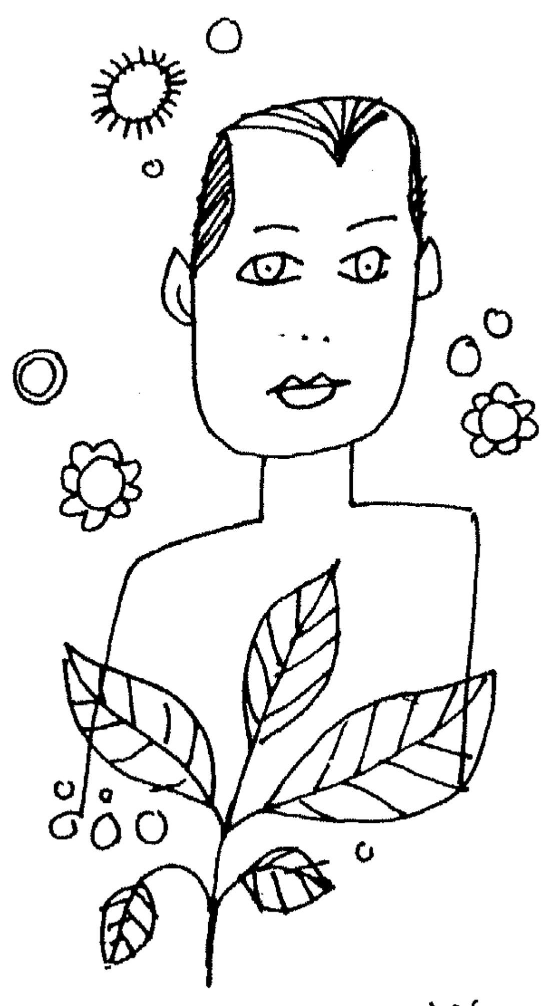
فى الشهر الماضى صـــدرت طبعة جديدة من « مائة الف اغنية » باللغة الفرنســـية وجاء فى مقدمة الكتاب أن ابرز ســـمات ميلاربا ـ كما جاء على لسانه فى احـــدى هذه الاغنيات ـ انه : « شحاذ بلا مأوى ، متشرد عار يجـــوب الطرقات » .. فمـــن المعروف أن ميلاربا نفسه كان أغنية لايكف عن الغناء طيلة يومه ، يغنى حين يتكلم ، وحين يشرب وحين ياكل ، اذا تألم او اذا ضحك ، ولم تنفصـــل الاغنية عن حياته اليـــومية .. ومن بين هذه الاغنيات التى يرددها ابناء التبت نورد :

قوس قزح ، الضباب ، وندا الصبحية
تشرق فى نفس الفضاء
وتغرب فى نفس الفضاء
الجدول والموج وزبد البحر
تصب فى نفس المحيط
وتنصب من نفس المحيط



فواصل الزمن الشرس

شعر :
محمد مهران السيد



هذا دمى ،
فتالقى يا أم .. فيه
او .. فاطرحيه
هذا العناق .. سعيت مشتاقا
اليه ، يخضنى .. واذوب فيه
ردي على عذوبة الاشياء ، بين
فواصل الزمن الشرس .
فالحلق مسدود بما القمت من
قطع الفلس
هذى الصدور البور ، مغلقة على
ورق الخريف .. ودمدمات
ـ الجدب في أوصالها ، وصرير
احذية الحرس
فرعون فى اعماقها ، ومحاجر
البازلت ، والصبر الدميم المحترس

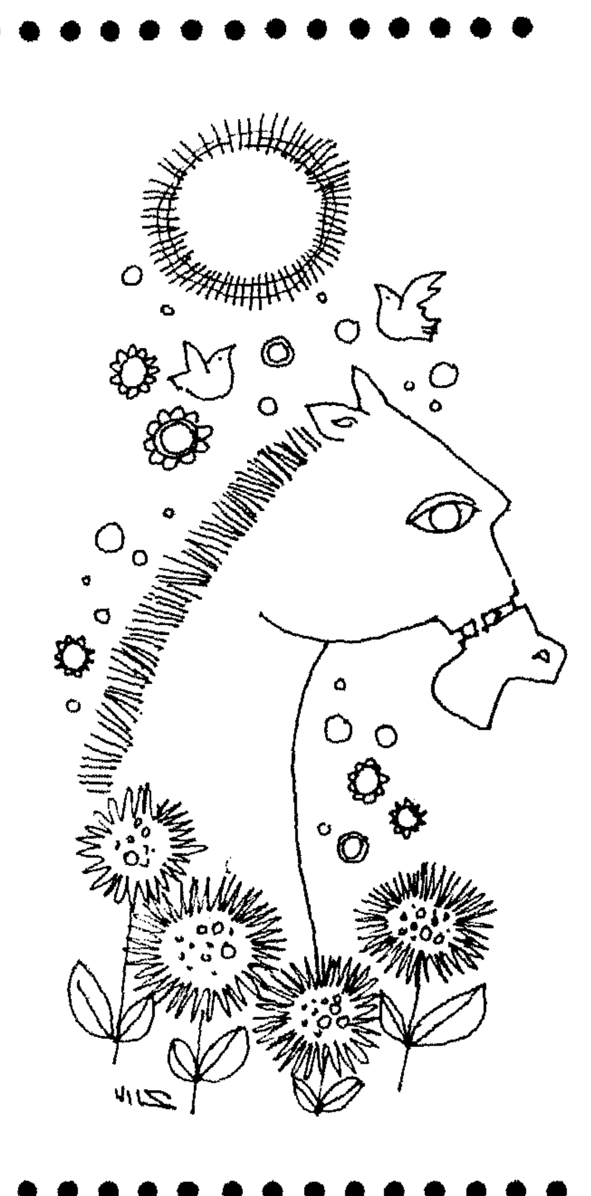
●

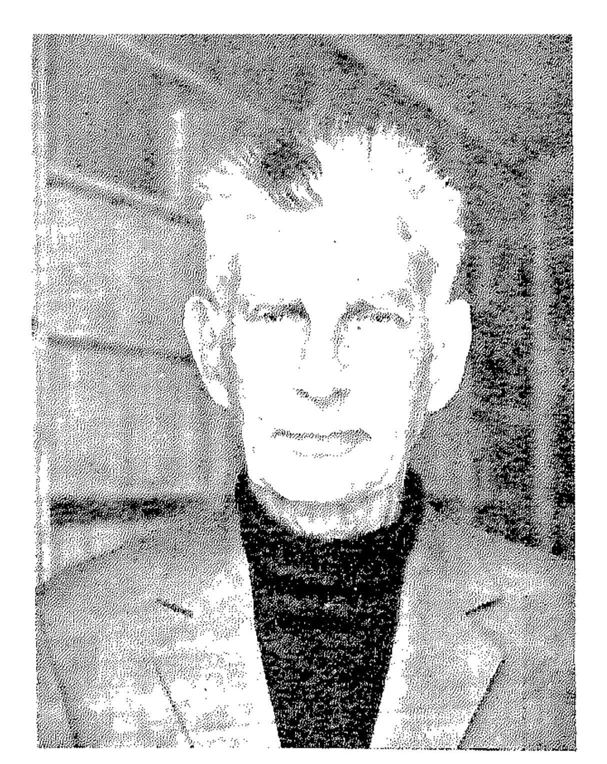
صعدت فى النهر العجوز ، اشقه
فى زورق الشعر التعس
ناديته :
اقبل شقيق الروح ، وامنحنى
مفاتيح القصائد من بيوت البوص،
بكرا لم تمس
فاتى ، يحمحم كالفرس
ما بين عينيها حروف النار ،
والتوق المجنح ، والنضالى
المفترس
فتبعته فى خرقة النساك ،
منتشيا ، وسكران الرؤى ريان من
هذا القبس

قد كان معراجي الى كبدالحقيقة،
مشرع العينين ،
لا ينسى ، ولا يطأ الدنس

●

سقط الشتاء على رءوس الزهر،
وانطلقت كلاب النـــار ، وانقض
الحلك
وتكوم الاطفال . والنور الذبيح
واغنيات القمح في قاع الوطن ،
فضت أصابع من ملك
اختام انهار الميوعة والعفن
هذا كتاب العشق فاقرا :
قد تغيب الشـــمس يوما في
عباءات الصفار
او قد يصيد الغول .. عنقـــاء
النهار
لكن آيات الشـــعوب لها بروج
تشرئب ، وتعتلى
ـ صهوات جنـــد الخـــان ..
والخاتون ، تحففها كتاتيب الازقة
والنجوع ..
تتلى ، فلا احد يخـــاف ، ولا
اصفرار .. ولا رجوع ..
.. هذا جنته عصابة القـــوت
الشحيح ، فجربوا علك القـــديد
المر .. من صحن النجيع !





بقلم : محمود قاسم

ثمانون عامًا على ميلاد صموئيل بيكيت

من سجن الوجود .. إلى سجن العدم

في الثالث عشر من هذا الشهر تحتفل الاوساط الادبية في العالم ببلوغ الروائي والكاتب المسرحي صموئيل بيكيت سن الثمانين عامـا ..

ويعد بيكيت من أبرز كتاب العصر الحديث الذين سعوا إلى تحطيم كافة صياغات الكتابة التقليدية . ليس في المسرح فقط . ولا في الرواية . ولكن حتى في المنظومات الشعرية التي كتبها . وفي الدراسات الادبية التي اعدها حول ادباء تأثر بهم كثيرا مثل مارسيل بروست وچيمس جويس اللذين يعدان أسياد فن الرواية في كل عصورها ..

وقد ارتبط بيكت بهذين الكاتبين من خلال اللغة والنمط الادبي وعلى المستوى الخاص . اما جويس فقد عمل سكرتيراً له فترة من الزمن وقدم عنه دراسة نقدية طويلة تعد مرجعا لا يمكن الاستغناء عنه حول صاحب « عوليس » . اما بروست فقد رحل بيكت من أجله إلى فرنسا عام ١٩٣٨ كي يدرسه عن قرب واجاد اللغة الفرنسية لدرجة أصبح يكتب بها رواياته ومسرحياته .. حتى اذا قام بكتابة عمل باللغة الانجليزية قام بنفسه وترجمه الى الفرنسية وبالعكس ..

ورغم أن شهرة بيكيت في عالمنا العربي قد قامت على أساس أنه صاحب مسرحية « في انتظار



احدى مسرحيات بيكيت على خشبة المسرح الالمانى

جودو » التى نشرها عام ١٩٥٢ إلا أن شهرته كروائى قد سبقته ككاتب مسرح . ففى عام ١٩٤٦ نشر مجموعة من القصص القصيرة . وفى أوائل الخمسينات نشر ثلاثيته المعروفة . « مولوى » عام ١٩٥١ ، مولوى يموت » ١٩٥٢ ، ثم « اللامسمى » ١٩٥٣ . فساهم فى تأسيس مدرسة الرواية الجديدة التى كان من أعمدتها فى تلك الآونة كلود سيمون . والتى نسب تأسيسها فيما بعد إلى الآن روب جرييه .

ورغم أن المسرح قد جذب بيكيت بعض الوقت إليه الا أنه عاد عام ١٩٦١ يكتب رواية جديدة تحت عنوان « واتّ » . وبعد ذلك بعشرين عاما ينشر روايته الأخيرة « رؤية رديئة . وكلام سيء » .

كان يمكن لكاتب مثل بيكيت أن يظل مغمورا لسنوات طويلة اذا لم ينتبه إلى ذلك الطوفان القادم للمسرح الفرنسى فى أوائل الخمسينات من خلال المسرحيات التى قدمها « اوجين اونسكو » لم يسارع بيكيت بإلقاء الحجارة على أونسكو مثلما فعل الكثيرون . ولكنه فاجأ الكثيرين بمسرحية من نفس اللون فى يناير ١٩٥٢ تحت عنوان « فى انتظار جودو » أثارت جدلا كبيرا مثلما فعلت مسرحيات أونسكو . بل إن النقاد والجمهور قد فوجئا بتلك القتامة التى تسيطر على مسرحه وشخصياته عكس ذلك الجو الوردى الذى ترسمه شخصيات المغنية الصلعاء » ..

وفى نفس العام ايضا عرضت مسرحية اخرى لبيكيت تحت عنوان « نهاية جزء » . الا أنه كان أقل إنتاجا من زملائه فى مسرح العبث فلم تتعد مسرحياته عدد أصابع اليد الواحدة . ومن أشهر هذه المسرحيات « سقطوا جميعا » عام ١٩٥٧ ، « الشكر » ، « الأيام الجميلة » ثم « اوهويو » عام ١٩٨١ .

وفى عام ١٩٧٨ نشر بيكيت أول ديوان شعر تحت عنوان « قصائدى » جمع فيه كل الاشعار التى كتبها منذ عام ١٩٣٧ وفى عام ١٩٨١ وبمناسبة الاحتفال ببلوغه الخامسة والسبعين الف - لأول مرة - سهرة تليفزيونية قصيرة باسم « تكلم يا سيد جوى » .

● تحطيم الحكايات التقليدية ●

يقول أرفنج وارول فى كتابه « الدراميون الانجليز



ثمانون عامًا على ميلاد صموئيل بيكيت

الجدد » إن مسرح اللامعقول يتسم بالتعويض من خلال مشهد داخلي عما يدور في العالم الخارجي من خلال غياب أي مقارنة واضحة بين الوهم والواقع ، موقف طليق تجاه الزمن ، يتحدد أو يتقلص حسب المتطلبات الذاتية ، محيط سائل يبرز أوضاعا عقلية في هيئة استعارات منظورة ، ودقة متناهية في اللغة والتركيب باعتبارها حرز الكاتب الوحيد ضد فوضى التجربة الحية (موسوعة المصطلح النقدي ص ٥٢٣) .

إذن فليس من السهل أن نعرض أعمال صموئيل بيكيت عرضا تقليديا مثلما يحدث مع ألوان الأدب الأخرى . فهو أحد الذين ألغوا الحكايات التقليدية وسعوا الى تحطيمها . والطريف أن هذا الأدب الذي هوجم بعنف ابان ظهوره قد أصبح الآن من الكلاسيكيات . فمنح جائزة نوبل ـ منحت لبيكيت عام ١٩٦٩ ـ أكثر من مرة والعديد من الجوائز المتحفظة ويصبح أدباؤه أعضاء في أعرق الاكاديميات الأدبية مثل الاكاديمية الفرنسية المعروفة بتزمتها الشديد .

فو نظرنا الى مسرحية « في انتظار جودو » لرأينا رجلين يمارسان اقدم عمل في التاريخ الا وهو الانتظار . ولا يهم ستراجون وفلاديمير أن يجيء هذا المدعو جودو أو لا يجيء .. المهم ان الانتظار قائم .. وجودو لا يحضر .. وكلا الشخصين لا يعرف من هو هذا « الجودو » . وهل هو شخصية حقيقية . أم مجرد وهم ماثل في داخل كل منهما . فعندما ينتهي الفصل الأول نفاجأ ان جودو لا يظهر عند قارعة الطريق . وعندما تنتهي المسرحية لا يأتي أي شخص .. لا هذا « المنتظر » .. ولا غيره .

● زمن وهمي كئيب ! ●

وتنبع أهمية جودو ـ مثلما تقول كوليت جودار في لوموند ـ ٢٤ فبراير ١٩٧٨ ـ في انه الشخص الكامن فينا جميعا . ويعطي رموزا للموجودات مثل الموت والحب والسلطة والجنة والنار . فلكل منا « جودو » .. الخاص يهرب معه من خلال أحلامه المرتبكة مرتديا جسدا يافعا لشاب تراكبت أعضاء جسده الواحد منها مكان الآخر » .

يتحول جودو في مسرحية « نهاية جزء » الى رجل منظور يجر نفسه فوق بقايا أعضائه المبتورة . بين غابة مظلمة وبحر غير مرئي . يردد السيد كلوف : « لا شيء غريب غرابة البؤس » وكي يهرب من هذا البؤس فانه يثرثر بلا هدف مع صاحبه « حام » مثلما فعل ستراجون وفلاديمير ..

نحن من جديد أمام أشخاص تلف داخل دوائر غامضة . في زمن وهمي كئيب متجهم يفصل الوجود الذي يدركونه عن العدم السرمدي . وتسعى هذه الأشخاص للهرب من هذا السجن ـ الوجود ـ الى سجن آخر غير ملموس ـ العدم ـ داخل رحلة تشاؤمية تخلو من أي أمل . وذلك عكس شخصيات اونسكو التي تتغلب على كل مشاكلها في كوميديا سوداء .. وعلى كل فان شخصيات هذه المسرحيات العبثية جميعها تجد ان الثرثرة هي الشيء الوحيد



كتاب جديد عن صموئيل بيكيت في اطار تكريمه

الذى يمكن ان يفعله الانسان فى رحلته المعتادة من الوجود . نحو العدم .

وتورق قضية الحياة والموت شخصيات بيكيت سنما يحدث فى ثلاثيته الروائية المشهورة ففى رواية « مولوى يموت » تتكلم عن الحياة . وعن الموت فالحياة شىء متناه تارة . أو هى نكتة لا يزال الآخرون يلقونها بحثا عن التسلية ولا تهم الطريقة التى يلقى بها الآخرون نكاتهم . المهم أن النكته قائمة .. ولكن تبقى اثارها باهتة . فى مسرحية « نهاية جزء » أكد بيكيت اننا جميعا نولد مجانين ومن خلال عبارة يتفوه بها كلوف ويبقى العبث هو التعقل الوحيد الذى يتلاءم مع نكتة الحياة . لان الحياة صعبة بنفس القدر الذى يصعب فيه الموت . والكلام صعب بنفس الدرجة التى يكون فيها الاصغاء صعبا ايضا ..

ولأن علاقة الانسان بالوجود واهية . ولأنه دائما الى زوال من خلال عبث سرمدى . فان « الأنا » تحاول تعويض هذا الزوال بكثرة الحديث عن نفسها . فالكاتب حين يجلس الى مكتبه يبدو صامتا لا يتكلم قط بلسانه . ولكنه حين يكتب يتحول الى غليان متحرر . وليست هناك أى صلة بين غليانه الداخلى ومظهره الهادىء من الخارج . لكنه يحاول نقل هذا الفوران الى القارىء والمتفرج بكل ما يمتلك من موهبة .. وحسب درجة موهبته يمكنه أن يؤثر فى جمهوره ويجذبهم أليه ... ورغم غرابة الشكل الذى قدمه بيكيت الا أن الجمهور قد اقبل عليه لأن الكثيرين قد وجدوا كيانهم فى ستراجون وكليموف .

● اللغة .. وتفسيرات الكاتب ●

وتعد روايات بيكيت امتدادا لمسرحه . فبطل روايته « وات » يزحف فى نفس العرض الذى زحف فيه كليموف . وهو يناجى الأشياء المجردة التى تحوطه أثناء متابعته لهذا الزحف . هناك حشرة ضخمة تلتصق بالاجساد . وينطق بلغة أشبه بحيوانات فقارية أو هلامية غريبة الشكل . « ليس لدى شىء أقوله . فانا الوحيد الذى يستطيع ان يردد الى أى احد لا امتلك شيئا اقوله . أو تضطرنى أمور أن اقوله » .

ورغم ذلك فانه حسب تعبير الدكتور صبار سعدون ـ عالم الفكر صيف ١٩٨٥ ـ فان السمة البارزة فى الثلاثية ككل هى التركيز على اللغة

الاستخدام الدقيق للكلمات ومعانيها الضمنية . وقد يعنى هذا أن اللغة هى الشىء الوحيد الذى يحظى باهمية . كذلك يعكس جانبا معنويا فى شخوص بيكيت الشوهاء . وكما هو شأن مسرحياته العينية . تعطى الثلاثية صورة جادة ، عينية عن حالة الانسلاخ والاغتراب فى المجتمع الغربى ، المجتمع الذى مزقته الحروب ، وأهوالها والتيارات والحركات والصراعات الفكرية وانعكاسات ذلك على نفسية الفرد وموقفه ازاء ذاته ومن حوله » .

والسؤال الذى يمكن ان نطرحه ـ مثلما فعل لوسيان جيسار ـ اذا كانت هذه هى فلسفة ونظرة بيكيت الى الحياة . فلماذا الاستمرار فى الكتابة بهذه الطريقة .. هل هى وسيلة أخرى لثرثرة عبثية بلهاء لا معنى لها لاتقابل الحياة فى تناقضها ولا معقوليتها .. فجودو الذى يمتد به العمر حتى الثمانين يستقبل القرن التاسع من العمر بحالة نفسية رائعة تختلف عن التشاؤم الذى صوره فى مسرحياته التى قدمها منذ خمسة وثلاثين عاما .. وقد حاول كلود مورياك أن يفسر هذه الظاهرة من خلال الاحتفالات الضخمة التى أقيمت لبيكيت بمناسبة بلوغه الخامسة والسبعين قائلا :

« ليست المفردات هى التى تعوز المؤلف كى يفسر ما لا يمكن تفسيره . بل القدرة على تنسيق الكلمات وفقاً لاستمالة الواقع البشرى . فمن يتكلم يساق بمنطق اللغة وتلفظها . وكذلك الكاتب الذى يواجه ما يعجز عنه » .

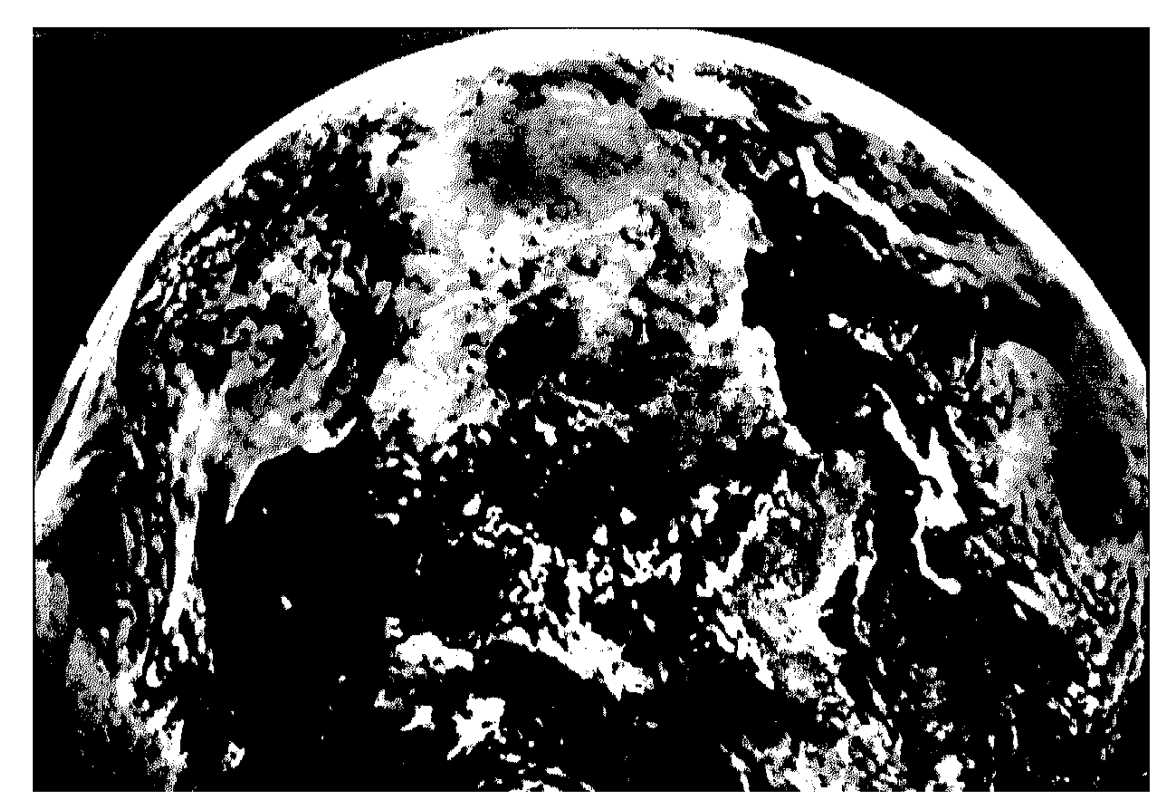
وفى نفس الاحتفالات كتب يوجن اونسكو مقالا حول مسرح العبث عند صموئيل بيكيت قال فيه تكريما لصديقه : « لقد أصبحت شخصياته نماذج تختلف عن كل الانماط التى عهدناها فى المسرح إنها تمثل الانسانية الخاصة فى انتظارها ومعاناتها الطويلة التى لاتنتهى . مما جعل من بيكيت نموذجا عالميا . ورغم هذا فلا يمكن أن نقول أن زمن الانتظار قد أشرف على النهاية » .



لفقراء العالم الثالث؟

بقلم: محمد فتحي

● الكرة الأرضية من الفضاء ●



● خمس دقائق من التصوير الفضائي تتيح قدرا من المعلومات تستغرق الطائرات في جمعه عامين ولايتيسر للبعثات المساحية الا علي مدي ٨٠ عاما !! ●

● مالنا نحن الفقراء وانشطة الفضاء الكوني الباهظة التكاليف والاعباء ؟ أي اغتراب وتغريب ان تفتوا لنا احاديث عن امور لايمكن ان يكون لها بواقعنا الا علاقة الخيال والهروب والوهم ، ولا يمنعنا من ان نضيف التضليل ـ الي ماسبق من صفات ـ سوى بعض التادب ..

ان اقصى مايجب ان نطمح اليه ـ نحن الفقراء ـ هو ان نحاول جادين الخروج من الدائرة الجهنمية .. « الفقر والجهل والمرض » ، التي يبدو ان شيطانا بارعا قد ربطنا اليها بخيوط تزداد متانة ، على مر الايام ، حتى لكاننا لانتقدم ساقا مبتعدين عن مدارها الجنوني، الا ووجدنا انفسنا قد تقهقرنا فراسخ وفراسخ ..

على هذا النحو درج من يفكرون بصورة اعتيادية على ان يمدوا حبال منطقهم . فهل يمكن ان يتسع اللهاث ـ على دائرة مغالبة « الفقر والجهل والمرض » لبرهة نشرع خلالها البصر الى انشطة الفضاء ؟ لعلنا ندرك حاجتنا ـ نحن الفقراء ـ اكثر من غيرنا الى ثمارها ، ولعلنا نعى انها ليست الا بعض العتاد ، الذى يستحيل الاستغناء عنه ، علي نفس طريق مغالبة « الفقر والجهل والمرض » .

شرع الانسان منذ خرج للمرة الاولى الي الفضاء القريب من الارض ، بل ومنذ اخذته نوبات التفكير فى هذا الخروج .. شرع يبحث عن الفوائد التى يمكن آن تعود عليه مقابل التكاليف الباهظة التى يتكبدها ..

كان الانسان قد خبر الاستطلاع الجوى، وبلغ ادراكه لفائدته حدا قبل معه ان يتجشم الكثير من المخاطر ، وان يركب آلاف الحيل ، في سبيل التطلع الى « الممنوع » الواقع خارج مجاله الجوى ووراء اراضيه ..

ومنذ اللحظة الاولى للتحليق في الفضاء كان هناك ، بالاضافة الى هذه الافكار والخبرات والاماني ، حب الاستطلاع الذى فطر عليه ابن آدم .. فشرع الرواد

هل هناك جدوى من أبحاث الفضاء

الاول ابصارهم من على مدار سفنهم وبهرهم ما طالعهم مما لم يكونوا ليشاهدوه لولا ابتعادهم عن الارض ..

ورويدا هال الانسان البوح الاكثر لجسد الارض - على البعد - رغم وثوق الالتصاق الذى جمعهما اجيالا بعد اجيال ، قبل الخروج الى الفضاء ..

ما يجرى فى بيوت الاخرين

وكان من المنطقى أن يسعى أول من ارتادوا الفضاء الى تسجيل مشاهداتهم بوسائل التصوير المعروفة حتى يشرع الواحد منهم نتاجه للدويه على الارض ، وكانه يقول . هاهو برهانى، الا تصدقون؟

كان التصوير من الفضاء قد جرب قبل ذلك ، بتثبيت آلات تصوير أوتوماتيكية، على الاجهزة الفضائية غير المأهولة . لكن شتان بين ما كانت تنقله هذه الآلات ، وبين المعارف البصرية للانسان . ورويدا اختلف الامر بصورة جذرية ، مع تطلع عيون الرواد ، الذين خبروا عينات دالة من كل ما كان يلوح تحتهم ، خلال تحليقاتهم الجوية الطويلة ، قبل الخروج الى الفضاء .. وهكذا سرعان ماكانوا يتعرفون على ملامح القارة فالوطن فالمدينة ، وقد يبالغ بعضهم او يغالى فيرى الزقاق ، بل وملعب الطفولة وبيت العائلة ..

ورويدا راح الواحد منهم يتملى أوطان الاخرين ومدنهم و « بيوتهم » متصايحا متفاخرا مبتهجا بقدرته على اختراق السحب، ولملمة الخطوط والمساحات والظلال ، فى بروفيلات وصور وخرائط ، يسهل التعرف عليها ..

هكذا انطلقت الخبرة الانسانية المصورة الفضائية الغريبة ، وهكذا جرى اثراء المعارف البصرية للانسان بباب جديد ، خاص بالتصوير الفضائى ..

ومع ما اصاب الانسان من انبهار ودهشة امام « المعلومات » التى تفصح عنها الصور بدأ تفكيره يتفتق عما هو جديد تماما ..

ان التصوير الفوتوغرافى ليس سوى نوع واحد من انواع « التصوير » التى خبرها الانسان على الارض . ومن المعروف ان هناك نوعا آخر من الصور تتعامل معه اجهزة التلفاز ، ونوعا ثالثا تتعامل معه اجهزة الرادار ، ونوعا رابعا تتعامل معه اجهزة الرؤية الليلية ، ونوعا خامسا ...

انواع وانواع من الصور يرجع تعددها الى كون الضوء «الموجات الكهرومغناطيسية» سلم طويل لا نرى بعيوننا الا جزءا يسيرا من درجاته ، ويتعامل كل نوع من انواع التصوير مع درجات أخرى عليه ..

كان الانسان يدرك ان الصورة التى يلتقطها المصور الفوتوغرافى له « وللاشياء بالطبع » غير الصورة التى يلتقطها له جهاز أشعة اكس « الهيكل العظمى» غير الصورة التى يلتقطها له جهاز الرؤية الليلية ...

وهكذا شرع الانسان فى نقل خبراته « التصويرية » الى الفضاء ومضى يرصد ما تحته بمختلف الطرق . واكتشف الدارسون انه ليس بمقدور الانسان التفرقة - فى صور طريقة معينة - بين الخضرة والرمال ، وان أمكن له تفريقهما معا عن سطح المياه . ثم تبينوا ان ظلال طريقة ثانية لا تفرق بين المياه والخضرة ، وان فرقتهما معا عن الرمال ..

وهكذا أمكن من حصيلة صورتين التفرقة بين الخضرة والرمال والمسطحات المائية . ومن حصيلتهما مع صورة ثالثة الكشف عن طبيعة الصخور وطبيعة الخضرة ، ومع صورة رابعة التفرقة بين المساحات السليمة والمساحات المصابة بآفة من الآفات فى حقول نبات بعينه .. هذا كما مكنت صورة خامسة من الكشف

مما هو كامن تحت سطح الارض أو سطح الماء ..

عيوب الفسيفساء

رويدا رسخت اقدام نوع جديد من التصوير الفضائي ، تستخدم فيه آلات تلتقط صورا عديدة ، في وقت واحد ، لنفس الشيء ((المساحة)) ، في مناطق مختلفة على درج الضوء ، السابق الاشارة اليه .. ورويدا رسخت اقدام قراء هذه الصور ، على اتساع ماتشي به من ((معلومات)) ..

قبل التصوير الفضائي كان اقصى ما يمكن ان يمدنا به الاستطلاع الجوى صورة فسيفسائية « موزايكو » ، ناتجة من جمع وتركيب المواد التي تم الحصول عليها ، خلال طلعات مختلفة ، والتقطت من زوايا مختلفة ، في ظروف اضاءة مختلفة . وبسبب الظروف المتنوعة للتصوير ، وبسبب المعالجة المتعددة الصور ، كانت عناصر الصورة تتميز او تتموه بدرجات مختلفة من الوضوح ..

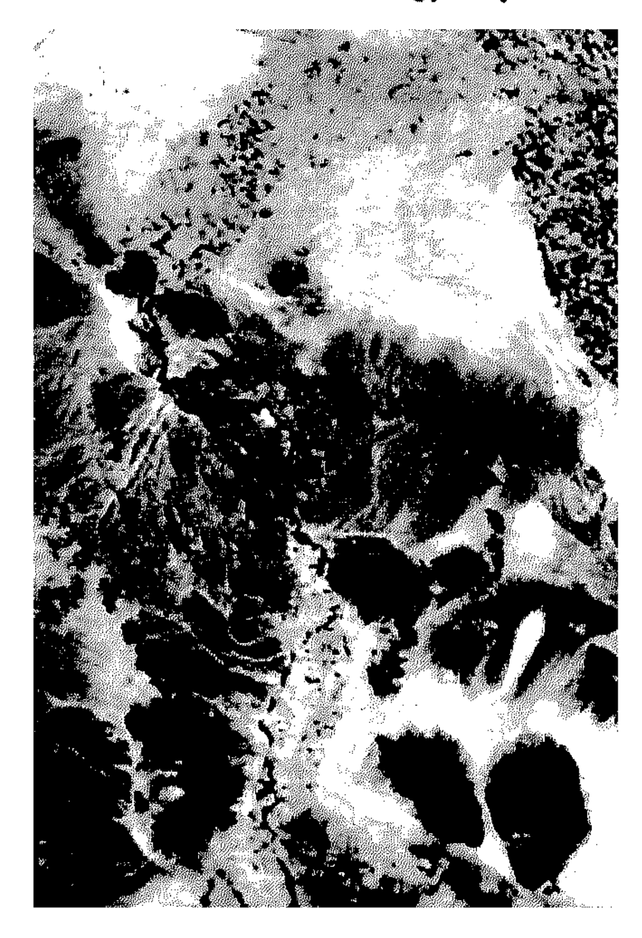
لكن الصور الفضائية جاءت خالية من عيوب ((الفسيفساء)) ، وبفضل تقليل خطوات صنع الصورة ، وبالتالى تقليل حجم المعلومات الخاضعة للتحليل ازدادت دقة مفردات الصور ، التي تشمل وللمرة الاولى ، التكاوين الضخمة ، التى كانت تتصاغر معها التحليقات الجوية ..

ببساطة برزت قيمة المشهد الشامل ، الذى يمكن للقارىء ان يدركه اذا تذكر قصة العميان عندما وصف كل منهم الفيل : الاول بعد ان امسك ذيله ، والثاني بعد ان احتضن ساقه ، والثالث بعد ان روع بمس طرف زلومته ..

وليت الامر توقف عند حدود المشهد الكامل اذ سرعان ما اتاح الفضاء امكانية الحصول على المشهد المجسم ((ستريو)) بتصوير منطقة ما من نقطتين على مسار الجهاز الفضائى ، لتبدو الصورة على وجه التقريب ، كما لو كنا ننظر الى المنطقة بعين من على نقطة محددة فوق المدار ، وبعين ثانية من نقطة اخرى على نفس المدار. بل وسرعان ما اتاحت الصور الحرارية مشهدا مجسما آخر ، يشي او يكشف عما هو موجود تحت سطح الارض ، ناهيك عما هو فوقها ..

المهم انه مع الخبرات المتعددة اكد النشاط الفضائي مفارقة ان الانسان يرى الارض ((اوضح)) كلما ابتعد عنها . وكلما تم التصوير من ارتفاع اكبر زادت دقة الصور ، بل وظهرت التفاصيل التي يعجز الانسان ان يراها بوسيلة اخرى . وذلك ناهيك عن تمكن الانسان من رصد السطوح الطبوغرافية عبر المساحات الهائلة المغمورة بالمياه او الرمال ((٨٠ ٪

صورة فضائية مركبة من صور ملتقطة بطرق مختلفة



هل هناك جدوى من أبحاث الفضاء

من سطح الارض » ، وفى متصل انسيابى، للمرة الاولى فى تاريخ الحضارة البشرية..

دولار واحد

واكاد ارى القارىء الصبور يتململ : لكن ماعلاقة ذلك كله بالفقر والفقراء ؟

لقد تبين مع الزمن والدرس ان ماتكشفه الصور الفضائية من خطوط كسور فى القشرة الارضية ، على سبيل المثال ، غالبا ما تكون حدودا لمكامن الخامات الطبيعية . وأن معالم اخرى بعينها تعنى وجود المياه العذبة ، وأن معالم ثالثة تعنى وجود ...

باختصار سرعان ما تشكلت مع التصوير الفضائى ابجدية جديدة باهرة للتنقيب والكشف عن الثروات الطبيعية ، لم يكن مطروحا على الانسان قبلها الا آن يسلك الاساليب التقليدية ، ولا بأس من مثال تطبيقى نجلو به القيمة الحقيقية لمثل هذه الابجدية .

كان البحث عن المياه الجوفية فى الصحراء يتطلب فى الاحوال العادية اعداد خرائط جيولوجية تبين ، بنوع من التفصيل نظم الصرف وانواع الصخور ، حتى يمكن اكتشاف المواضع المتوقع ان تنطوى على كميات معقولة من المياه . وبالطبع يفتقر الفقراء الى مثل هذه الخرائط، وحتى ان وجد ماهو قريب منها فهو غير دقيق، وغير مجد . ورسم مثل هذه الخرائط بالطرق المساحية التقليدية « البعثات المساحية المتنقلة » اجراء بطىء وباهظ التكاليف تعوقه كثيرا ظروف التخلف والفقر ، وضعف البنى الاساسية ، ونقص الكوادر الفنية ..

هذا بينما جاء التصوير الفضائى بصور مفصلة على نحو مذهل ، يمكن التعرف منها على المعالم الارضية بصورة دقيقة ، وتظهر عليها كل ملامح الصرف الطبيعى ، وانواع الصخور ، والمعالم الطبوغرافية ، وما اليها من معلومات يحتاجها المختص للتنبؤ بمكامن المياه تحت الارض ..

وللقارىء أن يتصور الفارق بين الطريقتين قياسا على اتاحة خمس دقائق من التصوير الفضائى لكم من المعلومات تستغرق الطائرات فى جمعه عامين ، ولا يتيسر للبعثات المساحية الا فيما يقرب من ثمانين عاما !!

ولعل القارىء يتساءل لكن ماذا عن التكاليف ؟

ولا باس هنا من واقعة قريبة . ففى اطار جهود اغاثة سكان ارتريا والسودان فيما يتصل بظروف الجفاف والمجاعة ، قامت الجامعة الحرة البريطانية بتحديد مائة موقع ، تعد بين انسب المواقع لوجود المياه العذبة فى كل اراضى ارتريا والسودان ، حتى يتم حفر الآبار فيها ، وقد روعى فى اختيارها الى جوار عوامل التنقيب البحت سهولة الوصول اليها ، ومناسبة تربتها للزراعة وبالتالى للاستيطان الدائم ..

ويلفت النظر فى هذه الواقعة ان فريق الجامعة الحرة البريطانية قد اعتمد فى انجاز عمله على خمس صور فقط التقطت خلال رحلات مكوك الفضاء، وتقوم هيئة الفضاء الامريكية ببيع الصورة الواحدة منها مقابل ٢٥ دولارا فقط !!

ويلفت النظر ثانيا أن الجامعة الحرة البريطانية فكرت فى الامر للمرة الاولى خلال اكتوبر ١٩٨٥ ، ولم ينته العام نفسه الا وكانت الجامعة قد سلمت خريطة المواقع المقترحة الى رابطة الاغاثة المعنية بالامر !!

ويلفت النظر ثالثا انه بعد زيارة المختصين لهذه المواقع واختيار الافضل والصالح منها لن يبقى ، حتى يتم حفر الابار ، الا عملية بسيطة يمكن أن تقوم بها سيارة نقل واحدة ، مجهزة بمعدات



● تشكلت مع التصوير الضوئى أبجدية جديدة للتنقيب عن الثروات الطبيعية ●

الحفر ، تتجول بين المواقـــع التى تم اختيارها ..

ويبقى بعد ذلك الكثير مما يمكن ان يلفت نظر القارىء الفطن ، الذى لاشـــك فى انه يدرك ، بعد تفصيلنا المسهب ، ان المسألة ليست آبار مياه عذبة فقط، لان دراسة الارض من الفضـــاء اتاحت امكانية تحديد المناطق المتوقع ان تكـون غنية بمختلف الثروات الطبيعية ، بل والتنبؤ بحالة المحاصيل و ...

وليس هدفنا هنا الاستغراق فى تفاصيل مدرسية ولهذا فلا باس من نظـرة عابرة تضع يدنا على الدلالة العامة ..

سد رمق الفقراء

ان معادلة النشاط الاقتصـــادي التى يصعب ان يختلف عليها اثنان تتلخص فى: « ضرورة سعى الانسان الى أفضـــل استفادة من الموارد المتاحة له » . ووضع هذه المعادلة موضع التطبيق يتطلب مراحل ثلاث من العمل ..

الاولى هى اكتشاف هـــذه الموارد « الثروات الطبيعية المختلفـــة ... » وحصرها ، والثانية هى التخطيـــط لاستغلال هذه الموارد « اختيار مواقـــع المشروعات المختلفة ، وتمهيـــد البنية الاساسية ووسائل النقل ... » . والثالثة هى الادارة الواعية لهـــذه المشروعات « اتخاذ قرارات قائمة على اكبر قدر من المعلومات الصحيحة ... » .

واذا اخذنا الزراعة والرعى والصيد ـ كمستوى مباشر من مستويات سد رمق الفقراء ـ لوجدنا ان الرقعة الصـــالحة للزراعة ـ وان كانت قد تحددت على مدار التاريخ فى كثير من الانحاء ـ ما زالت بعيدة عن التحديد والدرس فمثلها موارد اخرى تعد بين مقومات الزراعة « مصادر المياه الجوفية مثلا » واخرى يمكن ان

هل هناك جدوى من أبحاث الفضاء

تظفر بنتائج الارض « خامات الاسمدة مثلا » ..

في آن الدور الأكبر للتصوير الفضائي يكمن في الخدمات الجارية التي يمكن أن يؤديها لادارة ومراقبة سير الزراعة بما يحقق نتائج افضل من حيث الانتاجية والاستقرار والتكلفة الاقتصادية ، من خلال العناية بتدابير الهندسة الزراعية ومواجهة تقلبات الطقس ، والمبادرة بالاعمال الوقائية ، ناهيك عن مقاومة الامراض ..

ان التصوير الفضائي يتيح رسم خريطة جغرافية للتربة تتضمن أحدث المعلومات واكثرها تفصيلا مما يفيد في وضع برامج الاستصلاح والاستزراع ، ومقاومة التحر ، واستخدام الاسمدة ، وتنظيم دورة البذر وعمليات الري .. اي الاستخدام الرشيد لكل شبر من الارض.

ولم تكن مثل هذه الخرائط متاحة من قبل ، حتى في اكثر المجتمعات تقدما ، الا من خلال دراسة بعض عينات التربة ـ لا مجمل الارض كما في حالتنا ـ ولم يكن بالامكان تجديد مثل هذه الخرائط الا كل ٧ ـ ١٠ سنوات ، بينما يمكن ، مع التصوير الفضائي ، أن تجدد كل اسبوع .. وغني عن القول ان ذلك كله يتم على نحو ادق ، وبتكاليف وجهد اقل بما لا يقاس .

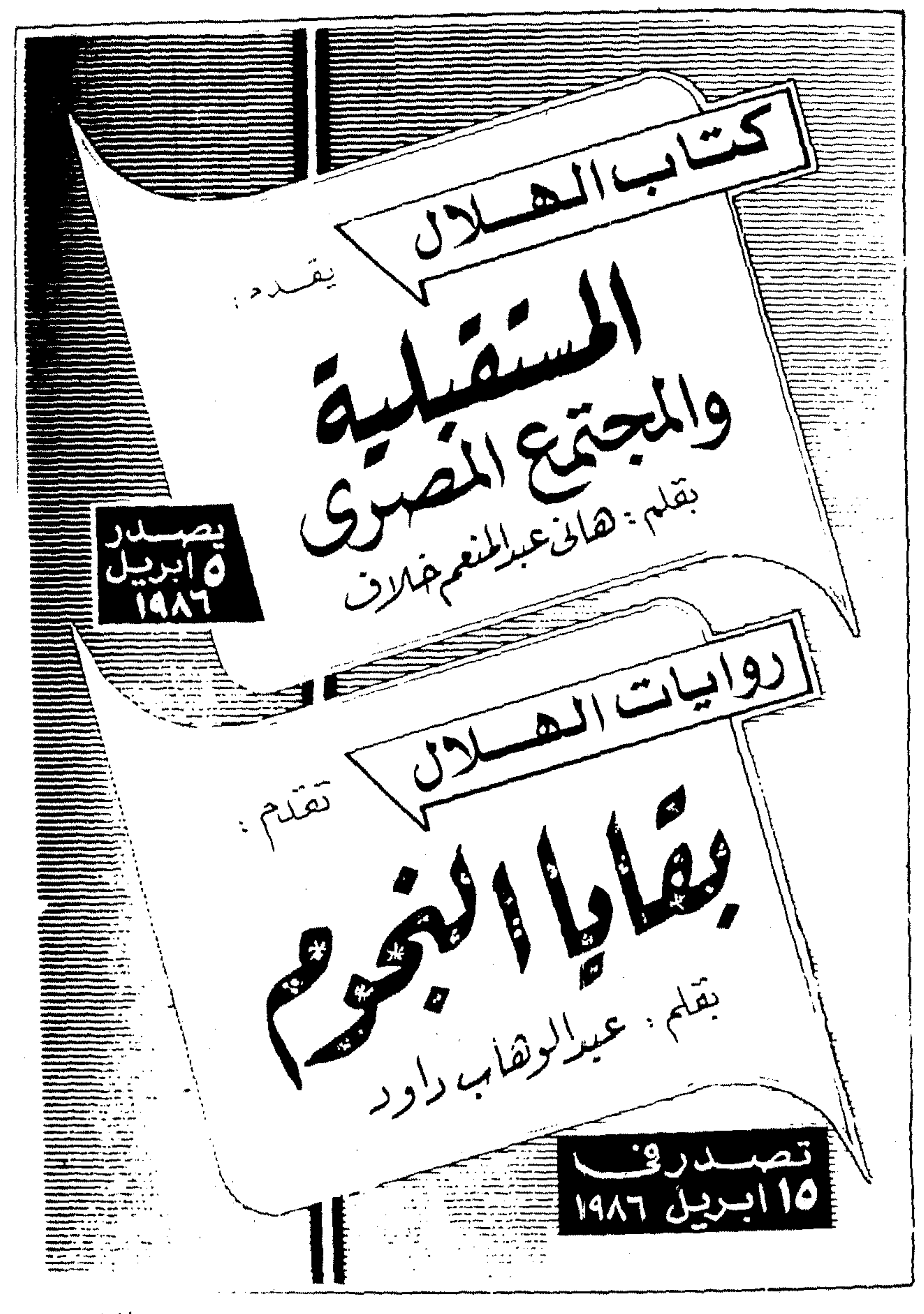
ومادمنا في مجال الحديث عن غذاء الفقراء فيمكن أن نضيف الى فوائد التصوير الفضائي الكشف عن مناطق المراعي الصالحة ، بالذات وسط المساحات الصحراوية الشاسعة ، وتحديد مناطق وجود الاسماك في اعالي البحار « من العوائق الموجودة بالمياه ، التي تتغذى الاسماك عليها » ومثل هذه الامور مما يرفع كثيرا من فعالية عمليتي الرعي وصيد الاسماك ..

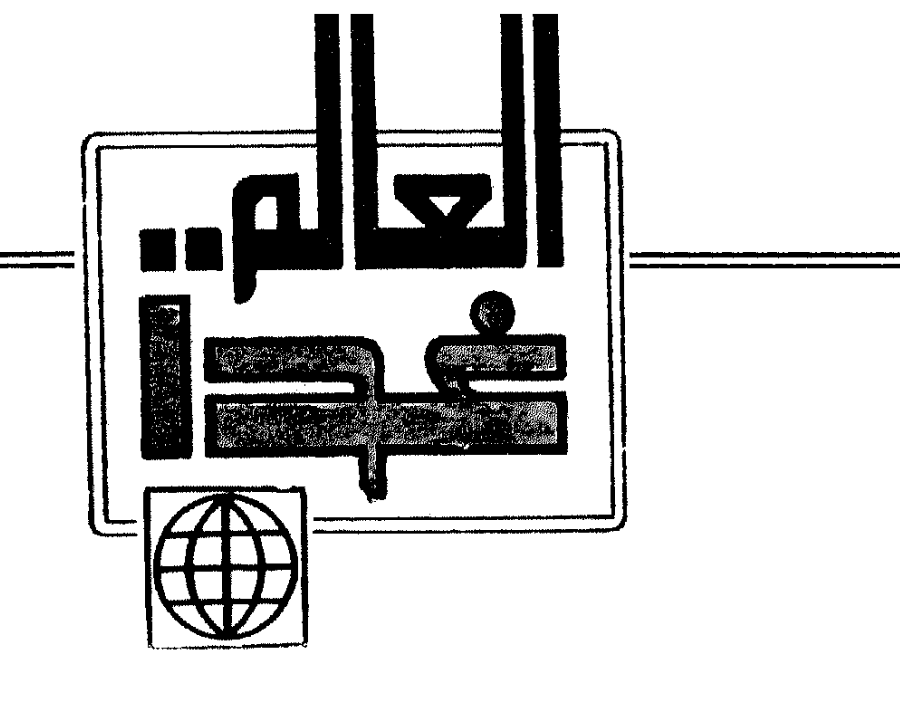
واذا تجاوزنا هذا المستوى المباشر لسد رمق الفقراء الى مستوى أرحب لوجدنا ان الخرائط الفضائية تسمح بتقييم كل الثروات الطبيعية للمجتمع، اي انها تعد اساسا للتخطيط الانمائي ، بدءا من وضع انظمة استخراج الخامات، والى انشاء المراكز الصناعية ، والمدن والموانى ..

ان انشاء الطرق والسكك الحديدية والقنوات وخطوط نقل الكهرباء وخطوط الانابيب وغير ذلك من وسائل المواصلات يحتاج الى خرائط طبوغرافية ضخمة تمكن من اختيار افضل المواقع اثناء التصميم، وتؤمن اقل تكاليف للتشييد ثم الاستثمار فيما بعد . والمعلومات الفضائية التي تتيحها الخرائط الجغرافية والجيولوجيه الفضائية تيسر ذلك كله . فضلا عن انها ـ المعطيات الفضائية المتكاملة ـ تتيح مباشرة العمل في اجزاء مختلفة على التوازي « في خط المواصلات او المنطقة الصناعية او الزراعية ... » مما يختصر فترات الانشاء كثيرا .

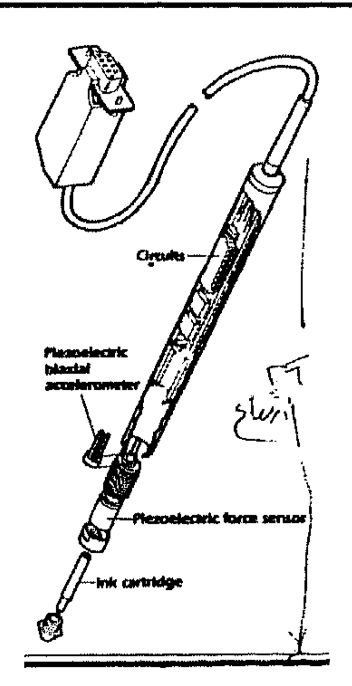
بقى ان نشير في النهايه الى ان اختيار مقولة : « الفقر والجهل والمرض » لم يكن سوى مسالة اجرائية ، استهدفنا من ورائها ايضاح بعض القضايا الفنية . ولمن يريد ان يأخذ ايه رموز تروق له في تحديد أوضاع مجتمعنا ، وأهداف النهوض به ، وسيجد أن امكانيات النشاط الفضائي في خدمتها هائلة ،سواء كانت هذه الرموز : « الخروج من مازق التبعية » ، او « التحديث والديمقراطية والعدل الاجتماعي » أو ...

وعلى الرغم من تداخل دوائر ثالوث : « الفقر والجهل والمرض » على نحو عضوى وجدلي ، الا أنه يمكن اعتبار مقالنا هذا الصق بدائرة الفقر ، اما بالنسبة لدائرتي الجهل والمرض فلنا عود ..


كتاب الهلال
يقدم :
المستقبلية
والمجتمع المصرى
بقلم : هانى عبد المنعم خلاف
يصدر
٥ ابريل
١٩٨٦
روايات الهلال
تقدم :
بقايا النجوم
بقلم : عبد الوهاب داود
تصدر فى
١٥ ابريل ١٩٨٦



لا تزوير باقلام الغد



مازالت جهود العلماء مستمرة لمنع عمليات التحايل والتزوير خاصة داخل البنوك • وقد ابتكرت احدى شركات الكمبيوتر الامريكية قلما خاصا للتحقق من التوقيع على الشيكات أو أوراق المعاملات البنكية ، يحتوى القلم فى داخله على جهاز اليكترونى معقد وهو يتصل عن طريق دائرة اليكترونية بملف التوقيعات الخاص بالعملاء والموجود داخل جهاز الكمبيوتر • من خلال مقدار الضغط على المحور الطولى للقلم والتحميل على المحورين العرضيين ، يمكن الكشف عما اذا كان التوقيع هو بالفعل توقيع العميل أم شخص آخر مزور •

سخن مياهك على الطريقة المصرية

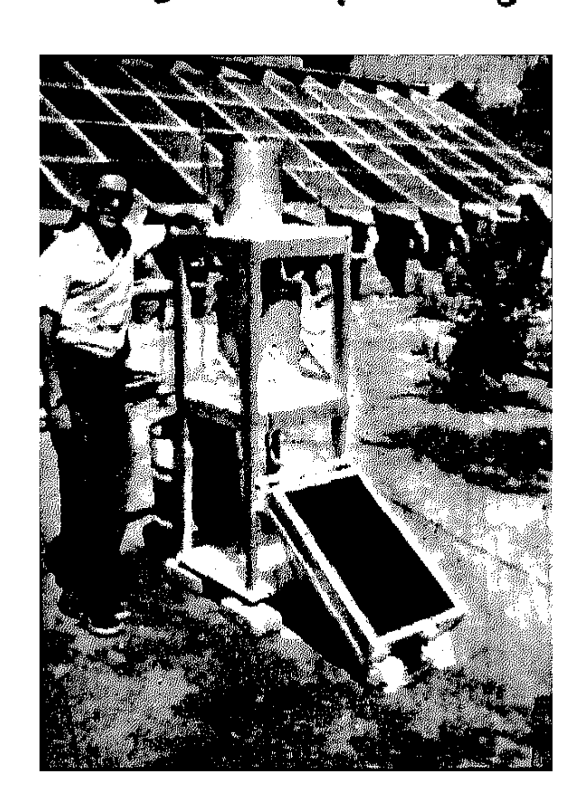
بعد أن فازت مصر بجائزة التفوق والامتياز فى المعهد القومى للاختراعات باليابان •• ما هى الخطوة القادمة •• للمخترعين الشباب •• والى اى حد تجد الاختراعات المصرية طريقها الى النور •• وخاصة الى الاسواق المصرية ؟

يطرح هذا التساؤل المخترع الشاب ايهاب صلاح الدين الذى نال هذه الجائزة عن اختراعه •• للسخان

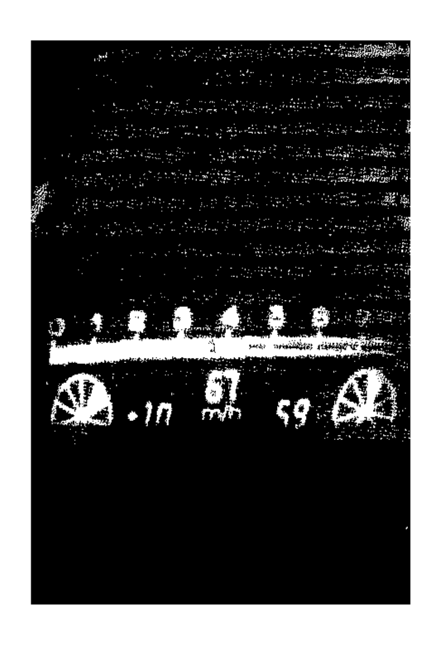
الشمسى .. لانه يحمل فى جعبتـــه اختراعات أخرى تسعى الى التمويل والى أن ترى النور .

وتعتمد فكرة السـخان الشمسى الذى قدمه الشاب المصرى ـ ٢٢ عاما ـ على استخدام الطاقة الشمسية فى تسخين الماء وتعتمـــد على تجميع الاشعة الشمسية الساقطة على مسطح شمسى ماص يقوم بامتصاصها وينقلها الى شبكة من المواسير الملامسة لهـذا السطح وتنقل عبر هـذه المواسير الى خزان للماء معزول حـراريا لحين استخدامها عند الحاجة .

ويتكون السخان من ثلاثة أجـزاء رئيسية هى خزان للماء البارد واخـر الماء الساخن مزود بمادة عازلة لمنع تسرب الحرارة بعد تسخين الماء . ثم مجمع حرارى وهو وحـدة التسخين وهو عبارة عن لوح من الصاج تعلوه مادة عازلة ثم لوح اخر ملحومة به شبكة من المواسير مطلية بلون أسود ومثبت فى أعلاها لوح زجاجى يعمـل على الاحتفاظ باشعة الشمس .



عـدادات السيـارة مجسمة على الـزجـاج

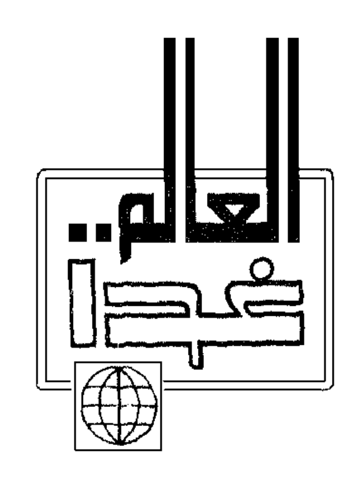


متابعة السائق لعـدادات البنزين والسرعة والحرارة أثنـاء قيـادته للسيارة قد يتسبب فى وقوع كثير من حوادث السيارات ، فى المستقبل القريب لن يجد السائق ما يعيقه عن متابعة الطريق أمامه بفضل جهاز اليكترونى حيث يعكس صورة مجسمه لعدادات السيارة على الزجاج امام القائد . وقد صمم هذا الجهاز فى الاصل لخـدمة الطيارين المقاتلين . الا أن العديد من الشركات الكبيرة فى اليابان والولايات المتحدة ، بدأت تسعى لتطوير هـذا الجهاز لاستخدامه فى انتـاجها من السيارات خلال السنوات القادمة .

فيتامين ج من البكتريا

فى المستقبل القريب ستصنع اقراص فيتامين (ج) من البكتريا . فقد توصل العلماء الامريكيون من خلال أبحاثهم





الى طريقة جديدة لتحويل السكر وذلك بمساعدة مادة يفرزها نوعان من البكتريا غير الضارة للانسان • ويتميز الاسلوب الجديد بانه اقل تكلفة من اقراص فيتامين (ج) المستخلصة من مادة طبيعية • وسوف يفتح هذا البحث المجال أمام العلماء لتربية كميات كبيرة من البكتريا لتصنيع مواد عضوية اخرى من الكافيين الى المضادات الحيوية •

مصابيح تعمل بدون كهرباء

تمكن العلماء الامريكيون من انتاج نوع جديد من المصابيح يمكن استخدمها فى الاضاءة دون استخدام الطاقة الكهربية • وهى عبارة عن أنابيب مضغوطة تحتوى غاز التريتيوم الذى يقوم باطلاق الفوسفور الذى يتحد بدوره مع جزيئات أشعة بيتا ، وينتج عن ذلك اضاءة المصباح ، ويمكن أن تستخدم المصابيح الجديدة كاشارات على الطرق السريعة ، وفى الاغراض العسكرية باضاءة أماكن الهبوط حتى تتمكن القوات العسكرية من الانتشار • ويمكن ملاحظة ضوء المصباح الجديد على بعد يصل الى عشرة أميال تقريبا • الا انه ليس منافسا للمصابيح الكهربية العادية والفلورسنت لذلك لا يمكن القراءة فيه •

رد من كمال الملاخ حول مراكب الشمس

دهشت عندما قرأت فى عدد مارس ١٩٨٦ لمجلة الهلال خبرا مفاده ان فريقا من علماء الاثار والجيولوجيين بقيادة د • فاروق الباز يجرون ابحاثهم الاستكشافية فى محاولة للكشف عن امكانية وجود مركب شمسى اخر اسوة بالمركب الذى اكتشف بالصدفة عام ١٩٥٤ فى سرداب بقاع الهرم الاكبر • وكان المركب الشمسى الاول قد اكتشف اثناء الاعداد لزيارة الملك سعود لمنطقة الاهرام •

يبدو ان الخبر مترجم عن تصريح من أحد غير المختصين أثريا نشرته مجلة اجنبية •• تبغى فيه لونا من الدعاية ليشارك فى اغتصاب كشفى عن مراكب الشمس وهو اول كشف مزدوج فى عالم الاثار • لانى كشفت عن فجوتى مركب الشمس لخوفو صاحب الهرم فى ان واحد • وليس فى قاع الهرم • ولكن على خط مواز لضلعه الجنوبى وعلى بعد عنه باكثر من ١٢ مترا •

ومن قبل كشفت عن فجوة لمركب الشمس للملكة زوجة خوفو الى الشمال من هرمها الصغير نسبيا وهو الثالث من مجموعة الاهرام النسائية الى الشرق الجنوبى للهرم الاكبر ومن هنا يجىء تعبيره الدائم : (مراكب الشمس) •• بصيغة الجمع وليس بالمفرد (مركز الشمس) • وقد بدأت البحث عنهما

بعد حادث سقوط تلميذ صغير فى فجوة مركب · وكانت فارغة وراء الاستراحة الملكية شرق شمال الهرم الاكبر ·

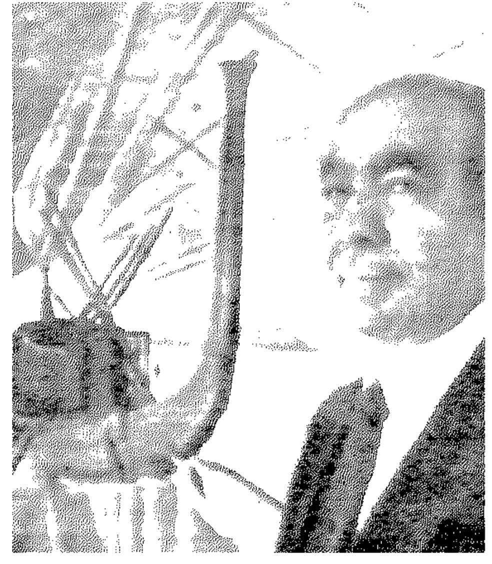
ولما كنت حينئذ المهندس المعمارى الذى استكمل دراساته العليا فى الاثار والمصريات ·· فقد بدأت الاهتمام بتسوير هذه الفجوات واستمر اهتمامى للكشف عن الغائب منها ·· وكان ذلك مع بداية ١٩٥٠ اى ان كشفى هذا استغرق اكثر من ٤ سنوات واعلنته فى ٢٦ مايو ١٩٥٤ ·

اذن لا صدفة هناك · وانما عمل جاد وكان اضخم كشف قام به اثرى بعد كشف كارتر لمدفن توت عنخ امون الذى اعلنه فى ٤ نوفمبر ١٩٢٢ فى وادى الملوك بالاقصر ·

ولم تكن لى صلة بزيارة عاهل السعودية الذى توفاه الله ٢ ربيع الاول ١٣٧٣هـ · الموافق ٩ نوفمبر ٥٣ بعد مرض الزمه الفراش · وقد كان لى شرف مرافقة سيادته فى سيارة مكشوفة · وهناك جلس فى الاستراحة الملكية بعض الوقت · وكان هذا فى العصر الملكى اى قبيل ١٩٥٢ !!

اما لماذا مركبا الشمس جنوب الهرم الاكبر والتى كشفت الشرقية منها عن سقف كتل المركب الغربية وعددها واطوالها تماثل تماما المركب الشرقية وكان يعلوهما سور للتمويه موازى للضلع الجنوبى للهرم ومن تحته مادتين احداهما طينية فوق مادة من صخر الحجر الجيرى للهضبة · التمويه وبعيدتان جنوبا عن الطريق الذى افسحته لترميم الهرم لاول مرة فى تاريخه الذى يمتد الى اكثر من ٤٦٥٠ سنه !!

المركبان فى العقيدة الشمسية وفى متون الاهرام تخدمان الروح فى رحلة الابد فى الهرم الا مقبرة

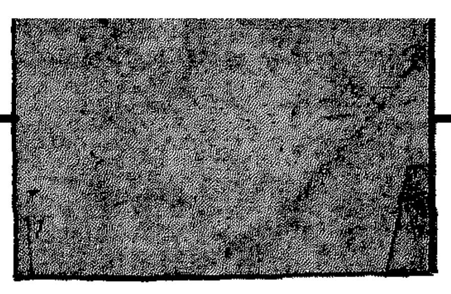


كمال الملاخ فى متحف مراكب الشمس

لجسد خوفو وقد اضيفت الى الغاية (سا · رع) يعنى ابن الشمس · ومن هنا كانت اسماء اولاده متصلة بعقيدة الشمس (جد ـ اف ـ رع) و (خا ـ اف ـ رع) ، (من ـ كاو ـ رع) وهكذا ظهر اسمه وولده الاكبر على باطن اغلب كتل السقف وعددها ٤١ كتلة وحجر زاوية وكانوا يسمونها (محنحت) وسقف الغربية موضع البحث ذات العدد · ويسمونها مسكتت وهى لخدمة الروح ليلا بينما الاولى نهارا فى مركب النور وراء رحلة الشمس وهكذا كانوا يتصورونها حين تشرق فى مشرق الدنيا فى اتجاه الغرب لتشرق اثناء اختفائها على العالم السفلى رحلة الابد ومن هنا عرف المصرى ايضا كروية الارض !!

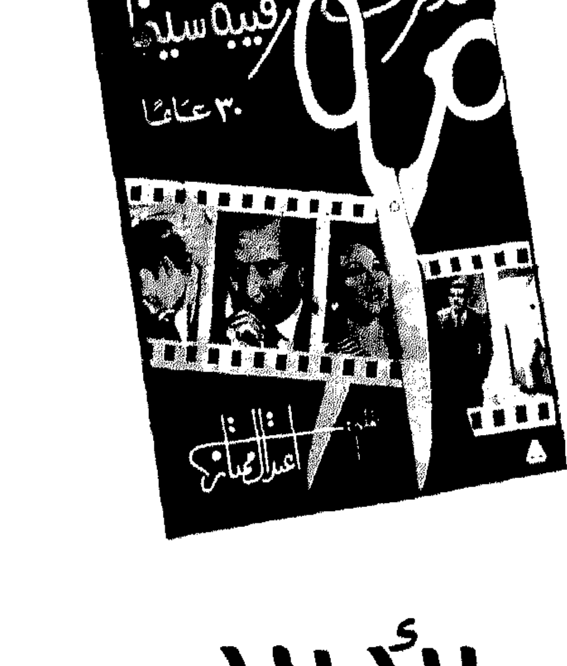
اما مهمة د · فاروق الباز بعد ان سمع منى وصفا للرائحة العبقة الذكية التى تصاعدت من فجوة المركب الشرقية ·· عندما زار وتفرج معى على كشفى فابدى رغبته فى دراسة نقاء مثل هذا الهواء عند لحظة فتح الفجوة الغربية ·

ومع خالص المودة ارجو نشر ردى تصحيحا · وكانت الصحافة العالمية والتليفزيون واكثر من ٥٠ كاتبا اجنبيا قد نشر عن كشفى للفجوش من ٣١ سنه ·



الوَجه الآخر





الرقابة على الأفلام ليست قانوناً فقط!

بقلم: اعتدال ممتاز

كتب الزميل المستشار مصطفى درويش مدير عام الرقابة السابق مقاله المذكور فى مقارنة بين ماكتبه مدير رقابة لندن "جون تريفيليان" فى كتابه "ماشاهده الرقيب" وما جاء فى كتابى "مذكرات رقيبة سينما" . مقتطفاً سطورا من هنا وسطورا من هناك ، راميا نفسه "بالشيطان يضحك" ثم وصفنى بأوصاف ونعوت ـ سامحه الله ـ لعل أخفها التخلف والنوم العميق والتخوف الذى ينته بصاحبه إلى الجمود دليلا على انعدام الوزن والثقة بالنفس ، إلى آخر ما انتهى إليه من كلمات .

واختتم كلمته بقوله "ان جاءه الأحساس بعد الانتهاء من قراءة "المذكرات" بالاحباط ، إحساس من رأى فيلما قديما مكررا ، أو من سمع اسطوانة مستهلكة ومشروخة تعيد وتزيد لأن "المذكرات" انتهت كما يقول بان "لابد أن تبقى الرقابة كاملة على الراشدين" .

وانى أعجب ، ألم تقم انت سيدى شخصيا يوم كنت مديرا عاما على "رقابة المصنفات الفنية" بتجربة عرض الافلام كاملة على الراشدين؟! فماذا حدث ؟ "أصدر وزير الثقافة قرارا يلغى بموجبه ندبك لوظيفة مدير عام الرقابة على المصنفات الفنية" ، وكما ذكرت أنت فى أول مقالك "واذا بك مرة اخرى فى مجلس الدولة تعود اليه سالما معززا مكرما باحد عشر اتهاما » .

انا لا ادرى بالضبط ماهى الاحد عشر اتهاما ولكنى اجزم لك ياسيدى لو انك لم تندفع فى السماح بعرض مجموعة الافلام التى رخصت بعد النكسة ، بما فيها من مشاهد وحوار وموضوعات جنسية الأمر الذى استفز الكثيرين ، ربما لو انك فعلت ، لخدمت الرقابة بالسير بها قدما دون ان تعرضها لما تعرضت له من هزة عنيفة بسبب الضجة الكبرى ورد الفعل العصبى الذى كان سببه المباشر هو ترخيصك بهذه الافلام ، ولجنبت الرقابة ما لقيت من تضييق ومتاهات من ثمارها تشويه أعمال فنية كثيرة منها شقة العازب الذى اتخذته مثلا لتلك الافلام تحت عنوان : افلام ممتازة وكيف ان ضغوطا مختلفة اثرت على ظهورها امام المشاهد المصرى .

وبعد ان شرحت بكتاب "المذكرات" الرحلة الرقابية مع الفيلم وكيفية وقوع الضغوط التى ادت الى الحذف حتى التشويه للفيلم وذكرت بالهامش الاجزاء التى حذفت بالضبط ، اردت فى النهاية ان اخلص مع القارىء الى تقييم لنتيجة هذا الفيلم ، اى انى بالفعل كنت قصدت ـ عندما

مصطفى درويش



اعتدال ممتاز





سردت قصة الفيلم ـ ان انتقد نوع الرقابة التى كانت قائمة بالفعل وقتها

ثم خلصت الى الحلول التى تحد من غلواء المقص الرقابى بأن ذكرت بالحرف ص ١١٢ "والآن وبعد سنوات من هذا الحادث ، ارى انه لو لم تؤخذ الأمور بعصبية وحدّة لأمكن ارضاء جميع الاطراف دون تعنت او خسائر او تشويه . وبمعنى آخر انى اناشد فى "المذكرات" الرقباء والرؤساء معاً عدم التعنت والعصبية والحدة مع الاحكام على الافلام حتى لاتخرج للناس مشوهة .

واظن السيد / المستشار اقتنع الآن انى اهبت فى كتابى باحد الحلول للحد من غلو المقص والذى اتهمنى السيد المستشار انى لم اذكر شيئا من هذا القبيل فى كتابى .

سيدى ، اننى عندما وضعت كتابى "مذكرات رقيبة سينما" اردت ان اضع فى الميزان تجربة رائدة ، اكشفها واقيّمها امام الناس ومع الناس لا دفاعا عن النفس او اعتذارا عن تصرف ما ، ولكن بهدف محاولة مناقشة جميع الاوضاع مناقشة موضوعية بناءة فى محاولة منى لوضع الامور فى نصابها مستقبلا ان امكن بتلافى ما اكون قد وقعت فيه من اخطاء والافادة من هذه الاخطاء .

اردت ان اوضح ماهية الرقابة واعمالها وحدودها وجهدها ، لانى رايت انها ميدان مجهول لدى الكثيرين ، وغير معروف معرفة وثيقة من الناس حتى الدارسين . فأبرزت بعجالة سريعة نشاتها وتطورها وقوانينها واحكامها وحدودها . كما وضعت تعريفا بالرقيب الامثل ، كما تصورت قراره الامثل المتوازن مستخلصا بقوانين لا ياتيها الباطل من هنا أو هناك .

ثم تطرقت الى تجربتى الشخصية بكل الامانة والصدق وما لقيت من اخلال بالقانون الرقابى بسبب التدخلات المختلفة ، وما ظهر اثناء التطبيق العملى من ثغرات فى القانون ، استغلها البعض اسوأ استغلال ، واثر الضغوط المختلفة على الرقابة مما كان سببا فى الاخلال بالميزان الرقابى ، وبالتالى الاخلال بالميزان الفنى . ثم انى قدمت لكل حدث خلاصة راى ، رايت من وجهة نظرى انه الحل الذى قد ينفع او يؤدى الى الطريق السليم .

سيدى انت تعلم جيدا ان كان هناك خلل ما بالقطاع العام مثلا مما سبب اغراءه للقطاع الخاص بالترخص والتبذّل والتهاون احيانا فى صناعة السينما المصرية ، واظنك تذكر كيف انك رفضت ان تضع اسمك على ترخيص فيلم "قصر الشوق" الذى انتجته المؤسسة وذلك لهبوط فى مستواه الفنى .

لقد قاومت مؤسسات وزارة الثقافة القوانين الرقابية ، رغم انها والرقابة ، تخدم هدفا واحدا وهو خدمة الفن . الهادف وبناء الانسان المصرى . واذا كان هناك فجوات قانونية مرق منها بعض صنّاع الافلام ، مما أضرّ بمسيرة الافلام فى رأيى ، فماذا يضير أن اشير الى كل ماذكرت "فى كتاب المذكرات" وان اضع امام القيادات الأحداث وربما الاقدر ـ ماوجدت من خلل بهدف الاصلاح ، فاكون بذلك قد اديت واجب وطنى دون تقصير ، ولمن يشاء : ان يأخذ بالرأى او يتركه بالقائه فى سلة المهملات . ولكنى اكون قد بلّغت اللهم فاشهد .

واذا كان قد جاء فى "المذكرات" بعض احساسيسى أو آلامى أو آمالى مما ضقت

انت به سيدى ، فاذكرك انها مذكرات لافصام بينها وبين المشاعر والام النفس ، فماذا يضير ان اذكر ما ألمنى تنفيذه كرقيبة ـ وبعد سنوات عديدة ـ انصياعا فى تنفيذ قرار وطنى قد اتخذ الراى منه بحذف كلمة "مصر" الحبيبة لتسميتها باسمها الجديد "الجمهورية العربية المتحدة" ليس معنى هذا انى خنت الامانة او خالفت النظام او لم أكن امينة عليه ، ولكنى افصح عن شعور ضايقنى رغم جرحى على التنفيذ مثل الكثيرين غيرى من الكتاب والمفكرين والناس او ربما اردت ان اقول : ان لا اختيار للرقيب أو لا مكان لاحساسه فى عمله .

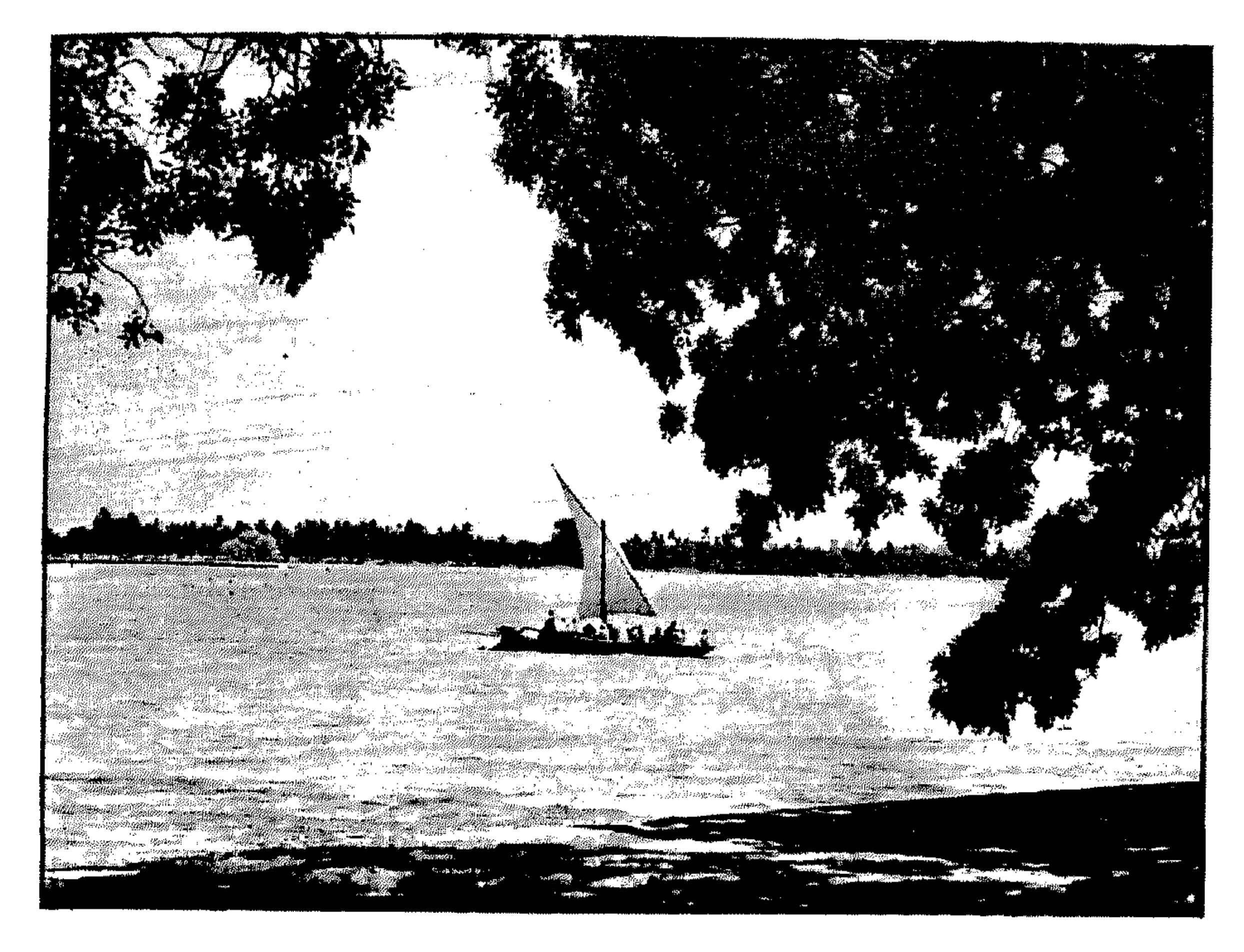
واذا كنت سيدى قد فرحت بالمبادرة الشجاعة فذلك سيدى لأن للسلام فرحة ولحقن الدماء فرحة ، ولو انك سيدى ذقت مرارة فراق الاحبة على البعد ، ولوعة قلوب الآباء لضياع الابناء والتى تحرق قلوبهم مدى حياتهم ، لعرفت كم تساوى فرحة السلام وليس معنى هذا سيدى انى خنت وطنى او بخلت عليه بغال أو ثمين لا سفيدى فداه روحى ودمى وجميع ابنائى واحبائى ، ولكن السنا دعاة سلام ونعمل على ارساء قواعده بكل طاقاتنا ؟!

سيدى اذا كانت غاية الغايات ان يرى جميع الراشدين ـ كما اراد الرقيب الانجليزى ـ جميع الافلام كاملة ، فهو ايضا يعترف بأن سيكون هناك ضحايا وهم ان كانوا قلة فى انجلترا كما قال ، فانى اجزم ان عددهم فى مصر سيكون كثيرا جدا . ومع ذلك فالرقيب الانجليزى يتكلم من منطلق الدعة والراحة والاستقرار النفسى والسياسى والديمقراطى وهناك فارق كبير بين ظروف مصر التى مازالت تحاول جاهدة ارساء قواعد استقلالها وحريتها وديمقراطيتها وأمنها ، وبين انجلترا التى ارست تلك القواعد منذ ازمان بعيدة ، ومع ذلك بقيت الرقابة هناك اربعين عاما على المسرح ، واستعيض عنها برقابة خاصة يقوم بها مدير المسرح والقانون العام . كما انى اذكرك سيدى بانه رغم الفارق الشاسع بين البلدين لم يطالب الرقيب الانجليزى بإلغاء الرقابة على السينما تلك الرقابة الاختيارية التى طالب بها اصحاب صناعة السينما انفسهم ، بينما الأمر يختلف فى مصر اذ يطالب حفنة من المصريين المتحذلقين الذين لا يرون إبعد من انوفهم بإلغاء الرقابة المصرية الوقائية .

سيدى لقد قابلت هذا الرقيب الانجليزى نفسه ، واثنى ثناء شديدا على منهاجى فى الرقابة ، كما قابله بعد ذلك بسنوات وكيل وزارة الثقافة وطالبه الرقيب الانجليزى ذاته بالانصات الى صوتى والى ما اطالب به من رؤية فى مجال الرقابة المصرية .

وانى اخلص فى كتاب "مذكرات رقيبة سينما" بالمطالبة برقابة رشيدة امينة قوية باشخاصها وسلامة قوانينها بعيدة عن التدخلات الخارجية والهزات والضغوط عندئذ ستؤدى عملها الوقائى تماما بقرار رشيد لن يكون ظالما .

ومع كل ذلك سيدى فانى على يقين : ان الشعب المصرى يوم تتأصل فيه ديمقراطيته بأعماقها فى وجدانه ويوم يتعلق بحريته المسئولة ، لأن الحرية هى المسئولية ، ثق ، انه يومها سينفض الرقابة عنه نفسه بنفسه لأنه سيكون رقيبا على فنه ووجدانه ولن يكون بحاجة الى رقيب ينبه الفنان الى حدود فنه وان للمجتمع حقوق وان امنه ونظامه يجب ألا يمسهما أحد ، ويومها سيدى سيرى الناس فنه الراقى والواعى ، كل الناس ، الراشدون وغير الراشدين لانه لن يكون هناك فن هابط او مسف أو مدمر والله الموفق .



النيل والزراعة والتاريخ

بقلم : د. رشدى سعيد

المجدلك أيها النيل
تخرج من الأرض
لتأتى لتروى مصر
تعطى الغذاء وتجلب الرزق
ياخالق كل شيء طيب

هذه السطور هي من نغم قديم للنيل تلخص الدور الرئيسي الذى لعبه هذا النهر في الحضارة العظيمة التى نشأت على ضفتيه ـ فقد كان النيل ولايزال هو مصدر المياه الوحيد لأرض مصر العطشى ، كانت مياهه تفيض على جنباته كل عام في انتظام رتيب ثم تتسرب في الأرض فتنبت المحاصيل الوفيرة ـ كان الفيضان العالى مصدرا للفرح ، والابتهاج ، والواطىء نذيرا بالمجاعة والويل .

ولم يحمل الفيضان الماء فقط بل كان يحمل أيضا فتات الرمل والطين والغرين التي كانت تترسب فى الحقول بعد حرثها فتخصبها بسماد طبيعى ـ لقد كانت مصر بحق هبة النيل كما قال عنها الرحالة الاغريق الذين كانوا ينظرون إلى النهر نظرة تحليلية لدراسة سبب ومصدر فيضانه ولغز ارتفاع مياهه السنوى الرتيب ـ أما المصريون فكانوا ينظرون إلى النهر نظرة عملية فقد عرفوه فى جميع حالاته ومواسمه ورتبوا حياتهم عليها فلم يكن النيل بالنسبة لهم موضعا للتساؤل والاستفسار بل كان مصدرا للحياة وجزءا من النظام الكونى الذى تجسد فى الاله حابى الذى كان النيل يمثل روحه وقواه الخفية ـ كان النيل يحمل مياه نون ، المحيط الأولى الذى خرجت منه كتلة الشمس والأرض ـ لقد كان بحق نهرا قدسيا يترنم به الكهنة ـ

ويعود اعتماد المصريين على النيل الى انتظامه الرتيب إذ يكاد أن يكون هذا النهر هو الوحيد من بين أنهار العالم الكبرى الذى يمكن التنبؤ بأحداثه بدرجة كبيرة ـ فالأنهار الأخرى مثل دجلة والفرات أو الهندوس التى أمدت الحضارات النهرية الأخرى بالمياه تعتمد على أحداث جوية عرضة للتقلب مثل السيول أو ذوبان الجليد ، مما يجعل التنبؤ بأحوالها صعبا والعيش فى ظلها مضطربا ـ أما النيل فإنه يحصل على مياهه من منطقتين مناخيتين : هضبة البحيرات الاستوائية ذات الفصلين من الأمطار (الربيع والخريف) وهضبة أثيوبيا ذات الأمطار الموسمية الصيفية ـ وبعد أن تبرق السماء وترعد ، وتهطل الأمطار كاسحة الجبال والغابات فإن المياه تتجمع فى عدد من الأفرع التى تصب فى نهاية المطاف وقبل أن تخترق الصحراء الكبرى فى نهر واحد ـ وفى ظل هذا الانتظام استطاع المصريون القدماء أن يكون لهم تقويم يبدءون فى فيضان النيل الذى كان يأتى رتيبا ، وإن ارتفع أو انخفض لعدة اقدام على مر معظم القرون .

والیوم فإن نظاما معقدا من الری یضبط میاه النیل وینظم استخدامها من یوم الی یوم ویدفعها من مکان إلی مکان کما أن السهل الفیضی للنهر قد أصبح کالبساط الأخضر الذی سوی حقولا تتخللها قری متناثرة ، وفی وسط هذا المنظر الذی صنعه الانسان فإن من الصعب أن نتخیل کیف کان شکل هذا السهل النهری ، قبل أن یزرعه الانسان ـ هل کان هذا السهل ملیئا بالأحراش والمستنقعات التی احتاجت من الانسان القدیم أن یصرف میاهها علی أمد أجیال طویلة قبل أن یستقر فیها ؟ أم أن السهل کان ممهدا وخصبا تتناثر فیه الأشجار والنهیرات والبرک کجنة عدن الأولی التی حلم بها الانسان منذ القدم ؟ ومن هم هؤلاء الناس الذین استقروا فی وادی النیل ؟ ومن أین أتوا ؟

● النیل والفیضان ●

إن شکل حوض النیل بمصـر قبل أن یستقر فیه الانسان لابد وأنه کان یشابه أحواض الأنهار الکبری التی یغمر فیضانها سهولا واسعة ـ ومثل هذه الأنهار تتعرج وسط هذه السهول فی مجار محددة بواسطة جسور طبیعیة بناها النهر نفسه من الرواسب الخشنة التی یخلفها حول مجراه عندما تبدأ میاهه فی الارتفاع وقت الفیضان ـ وتحدد هذه الجسور مجری النهر فی معظم الوقت إلا أنها لا تستطیع إیقاف اندفاع المیاه نحو سهل النهر عندما ترتفع المیاه فیه ـ وعندما یکون الفیضان متوسطا فإن المیاه تنحدر من فوق المواقع الواطئة من جسر النهر إلی السهل الفیضی وتغرق اجزاء منه ـ وعندما یبدأ الفیضان فی الانخفاض تعود المیاه مرة اخری إلی مجری النهر الأصلی ـ ومثل هذا النظام النهری یجعل السهل الفیضی سهل المنال ورطبا وحاملا لکمیة کبیرة من المیاه الجوفیة التی تکفی لنمو النباتات ونضجها .

ویسود مثل هذا النظام الآن فی أجزاء من نهر المسیسیبی وعدد من الأنهار المداریة مثل السنجال واللوجون شاری اللذین یخترقان جنوب الصحراء الکبری بأفریقیا فعلی سهول هذین النهرین وحتی العقد الفائت من هذا القرن کان الناس یمارسون الزراعة الناجحة فی سهولهما دون الحاجة الی ضبط فیضانها أو استخدام طرق صناعیة للری أو الصرف . کانت القری مبنیة فوق جسور النهر أو علی الامکنة العالیة المتاخمة لجانبی الوادی وکان الناس یبذرون السهول بعد أن تنحسر عنها میاه الفیضان وخلال فترة نمو المحاصیل هذه تساق الماشیة إلی السهول لکی ترعی ـ وقبل أن تعود المیاه الی الارتفاع تکون المحاصیل قد ضمت والماشیة قد سیقت الی الأماکن العالیة حیث تقف القری .. وکأنها معلقة خلال الفیضان فی وسط الماء .. ولایحتاج الانسان الی تقنیة متقدمة لاستیطان هذه المناطق غیر تنظیم اجتماعی معقول للاستفادة من هذه البیئة ذات الخیر العمیم .

وهناك من الأدلة ما یجعلنا نتصور أن هذا النمط من الحیاة هو الذی کان سائدا فی مصـر قبل التاریخ ـ فعلی جنبات وادی النیل وجدت جبانات وبقایا قری قدیمة یعود تاریخها (کما تحدد بطریق القیاس الرادیومتری للکربون المشع) إلی ما بین خمسة وأربعة آلاف سنة قبل المیلاد وهی الفترة التی تعرف فی تاریخ مصر باسم



عصر ما قبل الأسرات . وقد ظن الاثريون الأوائل أن هذه المحلات الأثرية انما تشير إلى مكان اوائل المستوطنات الزراعية بوادى النيل والتى بنيت فى هذه الاماكن العالية على جانبى الوادى لأن الناس لم تستطع فى ذلك التاريخ القديم أن تتغلب على مشاكل استيطان سهل الفيضان نفسه لأن ذلك كان يحتاج إلى تقنية متقدمة لصرف المياه وحصرها فى أحواض قبل استخدامها فى الرى - وكانت النظرية السائدة لذلك ولمدة طويلة هى أن استيطان الوادى ذاته لم يبدأ إلا بعد قرون طويلة ربما قبل مائتين أو ثلاثمائة سنة من توحيد الوجهين البحرى والقبلى والذى تم فى حوالى عام ٣٠٥٠ قبل الميلاد .

وقد كشف الأثريون عدة آلاف من الجبانات التى تنتمى إلى عصر ما قبل الأسرات على جانبى وادى النيل ولكنهم لم يعثروا إلا على عدد قليل من مستوطنات نفس العصر على شكل قرى صغيرة كان الكثير منها يمثل مواقع موسمية للرعاة أو محلات لبدو أطراف الصحراء - ولاشك أن العدد الكبير للجبانات انما يدل على أن عدد السكان كان أكثر بكثير مما يمكن أن تستنتجه من القرى الصغيرة ، والمستوطنات المتناثرة القليلة التى تم الكشف عنها بأطراف الصحراء ولابد لذلك من أن هؤلاء السكان كانوا يعيشون داخل وادى النيل ذاته فى قرى بنيت فوق جسور النيل فى سهله الفيضى تم اندثرت واختفت تحت طمى النيل الذى كان يترسب طبقة فوق طبقة على مر الزمان او تحت انقاض عديد من القرى الحالية والتى ظلت مقرا مستمرا لسكنى الانسان للآلاف من السنين ..

● كشف هام لآثار الإنسان ●

وقد كان للأبحاث الأثرية العديدة التى تمت فى أعقاب بناء السد العالى ضمن الحملة العالمية لانقاذ آثار النوبة أثرها فى الكشف عن آثار انسان ما قبل التاريخ الذى استوطن وادى النيل وعن الطرق التى استخدمها لاستغلال هذه البيئة النهرية التى ساهمت الأبحاث الجيولوجية فى تفهم شكلها وتطورها على مدى الزمان - وتشكل الآلات الحجرية وبعض الهياكل العظمية القليلة وفتات النفايات العضوية كل ما تبقى من اثار إنسان ما قبل التاريخ مما يجعل معرفة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية لهذه المجتمعات القديمة أمرا صعبا - وقد ارتبطت معظم آثار انسان ما قبل التاريخ بالنيل الحديث (النيونيل) آخر الانهار التى شغلت وادى النيل والذى شق طريقه إلى مصر من الهضبة الاثيوبية منذ حوالى ١٢٠ الف سنة مضت - ويتميز النيل الحديث عن الأنهار التى سبقته بأنه يشبه النيل الحالى من حيث هيدروجرافيته ومصادر مياهه ونوع الرواسب التى يحملها - أما الأنيال السابقة فقد اختلفت من حيث مصادر مياهها أو نوع الرواسب التى خلفتها وراءها - ويعود أصل النيل إلى حقبة الميوسين الأعلى (منذ حوالى ٦ ملايين سنة) حينما بدأ النهر فى حفر مجراه إلى أعماق كبيرة جعلته خانقا عظيما يفوق فى طوله وعمقه ودرجة انحداره خانق كولورادو العظيم الحديث ثم أخذ هذا فى الامتلاء برواسب عديد من الانهار حتى جاءت الفترة التى سبقت وصول النيل الحديث (الفترة من ٢٥٠ - ١٢٠ ألف سنة مضت) وكانت فترة مطيرة فى مصر اخضرت فيها أجزاء كبيرة من الصحارى

المصرية ورعت فيها حيوانات ضخمة أفريقية وجال فيها الانسان فى أماكن كثيرة كما انقطعت فيها صلة النيل المصرى بمصادره فى افريقيا الاستوائية والهضبة الاثيوبية واصبح النيل بدلك موسميا تغذيه مياه الأمطار المحلية فى مصر التى كانت تسقط سيولا شتوية على جبال البحر الأحمر

وقد وصل النيل الحديث إلى مصر فى أوائل العصر الجليدى الأخير وفى وقت جفت فيه الصحارى المصرية وخلت تماما من بقايا الانسان الذى يبدو وأنه قد عاد إلى جانبى الوادى فى أعداد يبدو أنها كانت صغيرة جدا على أن هذا الحال لم يدم لأكثر من ثلاثين ألف سنة عندما عاد النيل إلى الانخفاض كما زادت الأمطار على صحارى مصر ، وعاد الانسان يستوطن الصحارى مرة أخرى وقد تميزت الفترة (٩٠ - ٣٠ ألف سنة مضت) والتى تسمى بالفترة الموستيرية بانتشار الأعشاب فى مساحات كبيرة حول منخفضات الصحراء الغربية الجنوبية بل وبامتلاء بعضها بالمياه على شكل بحيرات كبيرة ولعل منظر الصحراء العام كان يقارب ذلك الذى نراه الآن فى جنوب السودان أو تشاد كما رعت فى هذه المناطق حيوانات مناطق السفانا مثل فرس النهر وبعض انواع الجاموس المنقرض ، والحمار البرى ، والغزال ، وأنواع من الجمال المنقرضة وهذه مجموعة من الحيوانات التى تعيش الآن فى المناطق التى لاتزيد فيها كمية الأمطار عن ٤٠٠ مم فى العام - كما امتلأت بحيرات هذه المناطق بالأسماك ومنها البلطى - وفى رواسب هذه الفترة عثر على اقدم هيكل عظمى للانسان بأحد الوديان النشطة والتى كانت تصب فى النيل عند أسوان - ويعتبر هذا الهيكل العظمى الذى اكتشف فى موسم ١٩٨٢ أقدم هيكل عظمى وجد بمصر للإنسان - على أن بقايا الانسان الموستيرى وآثاره لاتعطى لنا شيئا كثيرا عن الطريقة التى كان هذا الانسان القديم يدبر بها أمور معيشته غير أنه كان يعيش على صيد الحيوان والأسماك كما انه كان يعيش فى مجموعات صغيرة

● حضارات حول النيل ●

على أن الاستيطان الكبير المنتظم لوادى النيل لم يبدأ إلا بعودة النهر إلى نظامه الحالى منذ حوالى ثلاثين ألف سنة - كان النهر يتعرج فى سهل فيضانه فى مجار متعددة كان بعضها يحمل الماء على مدار السنة وبعضها الآخر يحمله وقت الفيضان فقط وكان الناس يعيشون على ضفاف هذه المجارى فى معظم الأحيان أو على طرف الوادى وفى الصحراء المتاخمة فى القليل من الأحيان - وقد ساهمت الابحاث التى تمت على هذه المستوطنات القديمة فى فهم النمط الذى عاشه الإنسان فى مصر منذ ذلك التاريخ - كان سكان هذه المستوطنات يستخدمون آلات من الصوان صنعوها على شكل البلطة أو السكين أو المخراز أو السهم .. وقد أدت دراسة هذه الآلات بواسطة الكمبيوتر إلى تصنيفها



إلى عدة مجموعات تبعا لتواتر انواع معينة منها وتبعا لطراز وتقنية صناعتها - ففى بعض المستوطنات كان الناس يصنعون آلات قليلة ولكنها كانت كبيرة الحجم نوعا ودقيقة الصناعة بينما كان الناس فى مستوطنات أخرى يصنعون آلات كثيرة ولكنها كانت صغيرة الحجم وكأنهم ينتجون بالجملة - وحتى فى هذه المستوطنات الأخيرة كانت هناك تخصصات معينة لكل مستوطنة ، فتميز بعضها بالآلات العريضة والكاشطة وبعضها الآخر بالسنون الضيقة والمخاريز والمثاقيب والأسهم التى لابد وأنها كانت مركبة على مقابض من الخشب اندثرت منذ وقت طويل .

وهذا التعدد فى أشكال مجموعات الآلات هذه تبين بوضوح انها صنعت بأقوام مختلفة ذات مهارات وخلفيات متباينة - وتدل الدراسات التى تمت على هذه العصور القديمة أن مجموعات حضارية بل وعرقية متعددة تتراوح بين الثلاثة والخمسة قد تعاصرت واستوطنت وادى النيل ويبدو أن كلا من هذه المجموعات كانت مكونة من وحدات سكانية صغيرة ومتناثرة لا

يزيد عدد افراد الواحدة منها عن الخمسين كانت تتجول فى محيط مجموعتها بل واطراف المجموعات الأخرى .

وقد ظل الحال رتيبا حتى الفترة التى تمتد بين ١٣ ، ١٠ آلاف سنة قبل الميلاد حين وفد على وادى النيل مجموعات تتشابه صناعة آلاتها بتلك المعروفة فى بلاد المغرب مما يجعلنا نظن أن وادى النيل وحتى ذلك التاريخ كان اكثر اتصالا بافريقيا عنه بالشرق الأوسط ـ لقد جذبت بيئة الوادى الغنية الكثير من أقوام العصور الحجرية مما أدى فى بعض الأحيان على ما يبدو استخدام العنف كما اثبت ذلك اكتشاف جبانة ترجع إلى هذا العصر وبها هياكل ذات عظام مكسورة أو بها أسهم من الصوان مدفونة فيها .

وقد أعطتنا مخلفات هذه المستوطنات فكرة طيبة عن الطريقة التى كان يعيشها هؤلاء الناس الذين أقاموا بوادى النيل بين ١٣ ، ١٠ آلاف سنة قبل الميلاد ـ فنحن نعرف الآن أنهم كانوا يصيدون الماشية البرية وبعض انواع الغزال والحمار البرى وفرس النهر كما كانوا يصيدون السمك ويأكلون الأصداف النهرية ، كما أن مستوطنة واحدة فى شمال سهل كوم أمبو احتوت على العديد من بقايا الطيور مما يوحى بأن سكانها كانوا يستخدمون الشباك لصيد الأوز والبط .

وتحتوى أرضيات الكثير من مستوطنات ذلك العصر على رحايات مصنوعة من الحجر يرجع تاريخ أقدمها الى حوالى ١٢٫٥٠٠ سنة قبل الميلاد والتى كانت تستخدم لطحن اللحوم أو اصباغ التجميل كما وجدت بغرف اسنا بعض هذه الرحايا التى يرجع تاريخها إلى مابين ١٠٫٧٠٠ ، ١٠٫٠٠٠ سنة قبل الميلاد والتى ربما كانت تستخدم لطحن الشعير وذلك لوجودها ضمن رواسب بها حبوب لقاح هذا الحب وضمن أدوات حجرية مصقولة ربما عاد صقلها الى انها كانت تستخدم فى حش الشعير الذى تحتوى سوقه على السيليكا الصاقلة للصوان عند احتكاكها به ـ ولابد لذلك من أن نستنتج أن بعض مستوطنى وادى النيل كانوا يعرفون أو كانوا يتعاملون مع بعض الحبوب البرية كمصدر للغذاء فى هذا الوقت المبكر والسابق لظهور الزراعة فى جنوب غرب آسيا بأكثر من ألفى سنة .

ويبدو أن تجارب هؤلاء المصريين القدامى المبكرة مع الزراعة قد توقفت منذ حوالى ١٠٫٠٠٠ سنة قبل الميلاد عندما انتاب النيل ولمدة ٧٠٠ سنة سلسلة من الفيضانات العالية التى يبدو وأنها أعادت الناس الى التجوال والرعى مدة أخرى ـ ففى هذه الفترة قل عدد المستوطنات واختفت الرحايات من بقايا الانسان وظهرت ادوات أخرى متخصصة من الصوان أو العظم معظمها لصيد الحيوان أو الأسماك وقد ظل الحال كذلك حتى عام ٥٢٠٠ قبل الميلاد ـ فقد ظل النشاط الأساسى

للمصـريين القدامى فى هذه الفترة هو صيد الحيوان والأسماك وجمع النبات البرى وذلك بالرغم من أن الزراعة كانت قد اكتشفت بجنوب غرب آسيا قبل هذا التاريخ بألفين من السنين ، وبالرغم من أن اقواما من الرعاة كانوا بجوار الوادى وفى الصحارى بحيواناتهم المستأنسة من الماشية والخراف ، والماعز - وإذا أردنا أن نصف مصريى هذا الزمان بلغة العصر لقلنا أنهم كانوا متخلفين ! لقد ظل مصريو ذلك الوقت محافظين على طريقة حياتهم على الرغم من أنهم لابد وأن سمعوا عن الزراعة والرعى واستئناس الحيوان التى كانت قد انتشرت فى اجزاء كثيرة من هذا العالم القديم حتى وصلت إلى واحات مصر ذاتها - ويبدو أن عجز المصـريين عن البدء فى عمليات الزراعة فى هذا الوقت المبكر انما يعود الى حاجة الزراعة الى اعداد أكبر من الأيدى العاملة التى لم تكن متاحة فى ذلك الزمان بمصـر



● تجانس الحضارة ●

وقد دخلت الزراعة مصـر فى النهاية حوالى عام ٥٢٠٠ قبل الميلاد وهو التاريخ الذى يبدأ فيه عصر ما قبل الأسرات بواسطة اقوام استقروا حول ضفاف بحيرة قارون ثم اطراف الدلتا الغربية مستأنسين الماشية والخنزير والخراف والماعز وزارعين للقمح والشعير والكتان - وقد استخدم هؤلاء القوم أدوات حجرية ذات طرز مختلفة عمن سبقوهم بوادى النيل تميزت بكبر حجمها وبكثرة الاسهم والسكاكين العريضة فى مجموعاتها وهى مميزات تختلف اختلافا تاما عما كان سائدا فى ذلك الوقت بجنوب غرب آسيا حيث نشأت الزراعة ولكنها تقترب من تقنية الأدوات الحجرية الافريقية المعاصرة - ويبدو أن هؤلاء الأقوام قد نزحوا إلى مصـر من الغرب واستقروا فيها دون حروب وانهم بدأوا تاريخهم بالرعى ثم بالزراعة فى الدلتا أولا ثم فى الجنوب بعد ذلك - على أن فترة الانتقال هذه والتى دامت حوالى ألف سنة غير معروفة تماما - وحوالى سنة ٤٠٠٠ قبل الميلاد انتشر هؤلاء الأقوام على طول أرض مصـر ، وشكلوا مجموعة حضارية متجانسة حافظت على استقلالها وقاومت الغزو من إسيا ، وليبيا ، والنوبة لعدة آلاف من السنين ، وحتى ظهور المسيحية بمصـر - وحتى لغة هؤلاء المصريين القدامى كانت متميزة تطورت من اللغات الافريقية الأسيوية فى الألف الخامسة قبل الميلاد أو قبل ذلك .

وقد تشكلت حضارة عصر ما قبل الأسرات من أصول متعددة حملت أفضل ما فيها فمن أفريقيا جاءت حضارة الزراعة والرعى وصناعة الادوات الحجرية المتقدمة لتتفاعل مع ماكان سائدا من حضارات الصيد وجمع الأسماك ومع تقدم الوقت جاءت صناعة تشكيل الفلزات والنحاس جنوب غرب اسيا وسيناء فمهدت بذلك لنشأة الحضارة الفرعونية الخالدة .

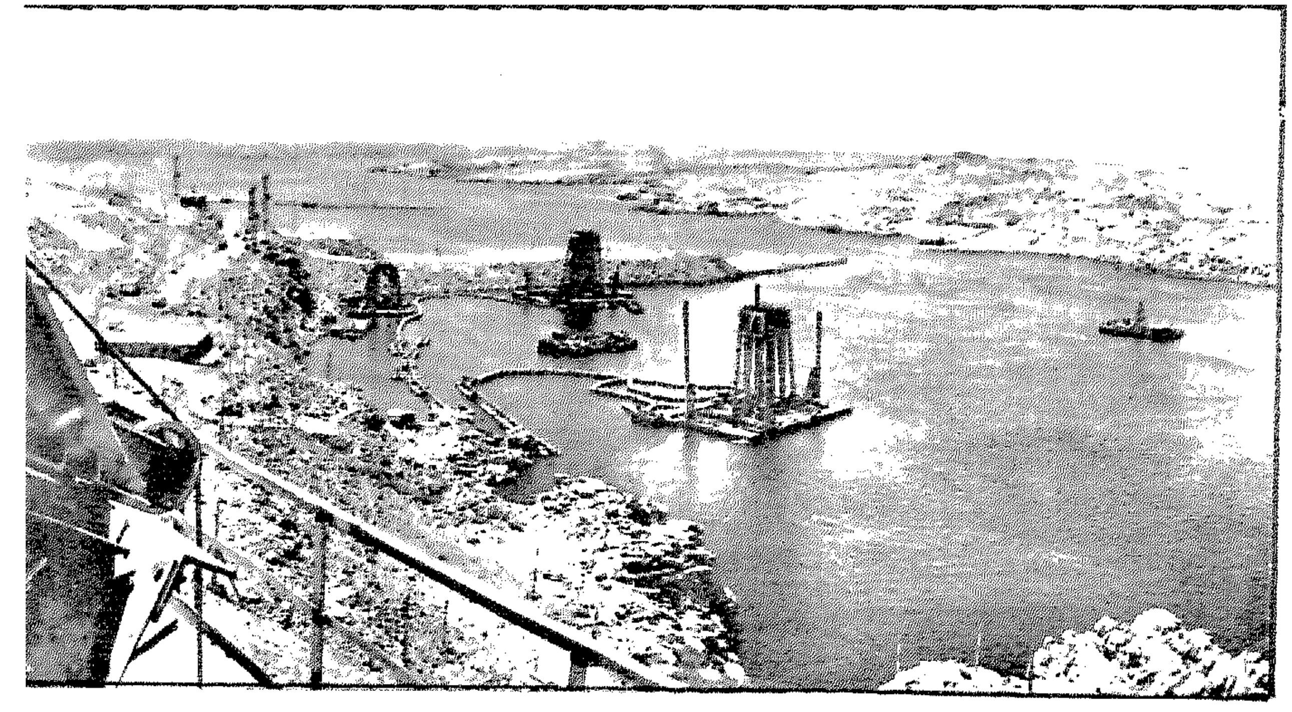
كان شكل اللاندسكيب (Landscape) فجر نشأة الحضارة الفرعونية حوالى ٣٠٥٠ سنة قبل الميلاد يدور حول نهر النيل الذى كان سهل المنال بالمركب يدفعه التيار إلى الشمال وريح مصر السائدة إلى الجنوب وحتى عندما يتوقف الريح فإن المركب يمكن أن تشد بالحبال من ضفاف النهر - كانت القرى تقبع على جوانب النيل وسط اشجار الطلح وأم الشعور والجميز وأمامها المساحات المزروعة كما كانت

الصحراء ، كما هي الآن ، حول الوادى فى كل اتجاه مصدرا لثروات معدنية ، فإلى الشرق من إدفو يقع طريق الصحراء المؤدى إلى مناجم الذهب ـ وكانت عاصمة الصعيد أنذاك مدينة رنخن (التى اسماها الاغريق فيما بعد هير أكونبوليس) التى كانت تقع على بعد ١٨ كم إلى الشمال من ادفو على حافة الصحراء والتى لاتزال آثارها باقية على شكل منازل بنيت من الطوب الأخضر ودعمت بالأخشاب والألياف وسورت بغصون الشجر المليسة بالطين وبقايا معبد بنى على تل يطل على المدينة يبدو انه كان مزينا بأعلام ومحروسا بجند يحملون علامة الملك وهى ريشة مزدوجة لطائر الرحم ـ وكان مسكن الملك مبنيا من الطوب الأخضر ، نصفه تحت الأرض فى سراديب ، ومحاطا بسور حوله حراس وجند وعلى الباب كان يقف بعض الموظفين الذين كانوا يحملون سعاف النخيل لكى يرفعوها فوق الملك لكى يمشى فى ظلها عندما يخرج من منزله .. ولم تكن الصحراء التى كانت تقع على طرف المدينة على هذا الجدب الشديد الذى نراه الآن فقد كانت الأمطار فى عصر ما قبل الأسرات أكثر تواترا والوديان بها عشب واشجار متناثرة تصلح للرعى وبعض الصيد فقد كان الغزال والنعام أكثر انتشارا .

وإلى الشمال من ادفو حيث توجد أخصب الأراضى كانت القرى تتناثر على ضفاف النهر بين أشجار النخيل وأمامها حقول القمح والشعير وبين كل مسافة وأخرى كان الفلاحون يقطعون جسر النيل لكى يسمحوا لمياه الفيضان بأن تغرق السهل حتى إذا ما امتلأت وارتفعت المياه فيها إلى اكثر من متر ونصف سدوها بالألياف وليسوها بالطين لكى تتشرب بالماء وتتغطى بطبقة من الغرين الذى كان النيل يحمله معه فى كل فيضان ـ وعندما ينحسر النيل ويأتى الخريف .. بجوه المعتدل والجميل تبدأ زراعة الفول والعدس والبصل والشعير والقمح ـ ولم تمتد زراعة الحياض هذه الى الشمال كثيرا ، ذلك لأن هذه المناطق وعلى الأخص حول أسيوط كانت مناطق متنازع عليها بين حكام الدلتا وحكام الصعيد فكان « اللاند سكيب » حولها بريا وموحشا خلال عصر ما قبل الأسرات .

أما مناطق الدلتا فكانت مليئة بالمستنقعات حول فروع النيل . بحيث كانت غير ملائمة لحياة الانسان الذى استقر فى قرى بناها فوق قليل التلال العالية فى هذا اللاندسكيب المسطح والذى شكل مرعى هائلا للأبقار التى كانت منتشرة انتشارا كبيرا بمنطقة الدلتا . كما انتشر أيضا فرس النهر والتماسيح كما كان صيد الأسماك عملا مجزيا ـ وعند الخريف كانت السماء تمتلىء بالطيور المهاجرة .

كان عدد سكان مصر فى ذلك الزمان حوالى نصف المليون يرتعون فى أرض واسعة ربما كان أكثر من ثلثيها بريا وموحشا لم تلمسه يد إنسان : أحراش وبرك فى مصـر العليا وبرك اللوتس والبردى والمستنقعات فى مصـر السفلى ـ وقد ظل الأمر كذلك لوقت طويل فحتى سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد لم تزد مساحة الأراضى التى كانت تفلح فى وادى النيل عن نصف السهل الفيضى للنيل أما النصف الآخر فقد كان مرعى طبيعيا ـ ولابد أن نفترض أن الأرض التى أفلحت فى عصر ما قبل الأسرات كانت صغيرة جدا ولابد أن نستنتج أيضا أن الأرض التى كان الانسان يرويها ريا صناعيا لم تزد عن ١ ٪ من جملة الأراضى الزراعية فقد اقتصرت طرق الرى



النيل واهب الحياة لمصر منذ الاف السنين



الصناعى على تزويد الحدائق وبعض الأماكن العالية بالماء أو لتحسين رى الحياض أما بقية الأرض فكان النيل يرويها ريا طبيعيا .

كان وادى النيل فى عصر ما قبل الأسرات مقسما الى أقاليم تحددت بعوامل طبيعية وسكنت كل منها قبيلة معينة وكانت القرى تقع على جسر النيل بجوار مصدر المياه ومطلة على سهلها الفيضى الواسع الملىء بالاحراش والذى كان جزء منه يستخدم كحوض للزراعة الموسمية ـ ولابد أن الناس كانوا ينتظمون تحت قيادة شيوخ القرى فرئيس القبيلة لدرء الأخطار والتعاون على المعايش وكان رئيس القبيلة يسكن بجوار المعبد قبلة السكان ومقر الاله المحلى .

وفى منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد اتحدت بعض الأقاليم فى وحدات أكبر واستطاع بعض رؤساء القبائل الأقوياء أن يشكلوا « كونفدراليات » واسعة حتى تم فى النهاية توحيد كافة أقاليم الصعيد تحت رئاسة واحدة استطاعت مع الوقت أن تربط الصعيد بالوجه البحرى أو باجزاء كثيرة من أقاليمه المتعددة .. وبالرغم من انه لا توجد لدينا الوثائق التى تسجل الطريقة التى تم بها هذا التوحيد ، والذى سبق اختراع الكتابة ، إلا أن هناك من المؤرخين من يعتقد أن توحيد الدلتا مع الصعيد قد تم دون حروب بل ومنهم من يشك فى أن أقاليم الدلتا قد توحدت فى أى وقت قبل عملية التوحيد الكبرى ـ على أن هناك من الدلائل ما يشير إلى أن تسعة على الأقل من أمراء الصعيد قد دخلوا فى معارك مع حكام كونفدراليات بعض أقاليم الدلتا أو مدنها ـ ونحن نعرف على وجه التأكيد أن توحيد الوجهين البحرى والقبلى قد تم نهائيا فى عام ٣٠٥٠ قبل الميلاد على يد الملك مينا أو نارمر وهكذا بدأ تاريخ

الأسرات فى مصــر ـ ومهما كان الطريق الذى اتخذه الملك مينا أو من سبقوه لتوحيد مصــر فقد أصبح للملك الجديد سلطة كبيرة وملك عظيم وثراء هائل ـ وقد شارك الملك فى هذا الثراء بعض مساعديه فأدى ذلك إلى نشأة طبقة جديدة ونظام سياسى مستقر استمر سائدا فى مصــر لعدة آلاف السنين .

النيل والرخاء الاقتصادى

وقد ظل تصريف شئون القرية اليومية فى يد رؤسائها ، أما الملك فقد تركزت مشاغله على بناء الجيش ورعاية طبقة الكهنة الذين كانوا يخدمون آلهة الأقاليم ومعابدهم التى كانت المراكز الأساسية التى استقطبت شعب مصــر ووحدته مع طول تاريخه القديم ـ كانت الدولة تحت هذا النظام مستقرة تماما وحامية لحدودها فى حزم صارم ولم تهزها إلا أصعب الأزمات . وقد مرت بمصر واحدة من هذه الأزمات عندما تحطمت قاعدتها الاقتصادية فيما بين أعوام ٣٠٠٠ ، ٢٨٠٠ قبل الميلاد بهبوط مستوى النيل فيما بين المتر والمتر والنصف ففقدت البلاد بذلك حوالى ثلث ما يصلها من ماء ـ ويمكن أن نتصور ما حل بالبلاد من خراب خلال هذه المائتين من السنين بمعرفة ما أصاب مصــر فى عام واحد هو عام ١٨٧٧ بعد الميلاد عندما هبط منسوب النيل عن منسوبه الطبيعى مترين كاملين ، فترك ثلث الوادى جافا ولاشك أن مصيبة مصر القديمة كانت افجع بكثير وليس عجبا لذلك أن عم مصر الخراب وبدأ سكان الصحارى حول مصر بالهجوم عليها واحتلال اجزاء من واديها كما هجر الكثير من الناس بلادهم . ولا نعرف تفاصيل كثيرة عن هذه الفترة من التاريخ غير أن الأسرة الحاكمة قد تغيرت واستطاع حكام الأسرة الثالثة الجديدة أن يعيدوا لمصــر أمنها ورخاءها وبدأوا عصرا من أمجد عصور مصر فى الفن والتشييد والعلم والحضارة كما استطاعوا أن يقووا جسر النيل الغربى وأن يستصلحوا مساحات كبيرة من أراضى الصعيد والدلتا وربما وصل عدد سكان مصر خلال عصر الاهرامات هذا إلى أكثر من المليون ـ وقد حلت بمصر أزمة جديدة حوالى عام ٢٢٥٠ قبل الميلاد وذلك بهبوط النيل مرة أخرى ولثلاثمائة سنة متصلة وهناك بعض النصوص الأدبية التى تشير الى شحة مياه الشرب وإلى وفيات بالجملة وتعفن الجثث ، والانتحار ، وانتشار أعمال السلب والنهب والفوضى .

وفى مجتمع يعتقد الناس فيه أن الفرعون هو المسئول عن النظام الكونى وأنه الوسيط بينهم وبين الآلهة فإن سلسلة هذه الفيضانات الواطئة كانت تعنى بالاضافة الى الفوضى الاقتصادية انتهاء سلطة الملوك الذين راحوا وحل محلهم سلسلة من الأمراء المجهولى الهوية وعديمى التأثير ـ وقد وصف إيبووير الكاتب المعاصر القديم حال انهيار النظام الاجتماعى بقوله « انظر لقد اصبح الأعيان عمالا وسيداتهم شغالات فى الحقول وأما الذى لم يكن لديه مكان يضطجع فيه فقد أصبح مالكا لسرير فاخر » .

وفى عام ١٩٥٠ قبل الميلاد تأسست الدولة المتوسطة على انقاض هذه الفوضى فأعادت النظام فى وقت انتظم فيه النيل ـ وقد استطاع فراعنة هذه الدولة أن يقووا

حسر النيل على البر الشرقى وان يحموا مصـر من سلسلة الفيضـانات العالية التى انتابتها حوالى عام ١٨٤٠ قبل الميلاد باصلاح ترعة الفيوم وضبط المياه الداخلة إلى منخفض الفيوم والخارجة منه وتعميره ـ على أن استمرار الفيضانات العالية لمدة تزيد عن سبعين عاما ، وفى تواتر قد يزيد عن ثلاث مرات فى كل عقد ، قد حطم الكثير من الخزانات والجسور ـ وقد حدث مايقارب من ذلك فى عصر محمد على فقد حطم الفيضان العالى لعام ١٨١٨ بعد الميلاد شبكة الرى المصرية والخزانات وأغرق الكثير من القرى ـ ومما هو جدير بالذكر أن ملوك الدولة المتوسطة كانوا من أعظم مهندسى الرى فى مصـر فإليهم يرجع الفضل فى انشاء أول مقياس للنيل على الشلال الثانى والذى عرفنا من سجلاته المنقوشة عليه هذه السلسلة من الفيضانات العالية التى انتابت مصـر إبان حكمهم ـ وهكذا اضمحل حال مصـر ودخلت فى عصر من العجز السياسى فى منتصف القرن الثامن عشر قبل الميلاد حتى احتلها غزاة من آسياهم الهكسوس فى عام ١٦٧٠ قبل الميلاد .. وسقطت منف عاصمة مصـر .

● مصـر هبة النيل ●

وظلت مصر تحت حكم الهكسوس حتى تحررت بقيادة أمراء الصعيد الذين نظموا أنفسهم واستخدموا العجلة الحربية التى برزوا فى استخدامها الغزاة الذين أدخلوها الى مصر واستولوا أولا على الفيوم فتحكموا فى المياه التى كانت تصل الغزاة وأسسوا ملكهم وبدأوا الاهتمام بالزراعة فأدخلوا الشادوف لأول مرة وأزادوا المساحات المزروعة وبنوا مخازن كبيرة لتخزين الحبوب على مقياس واسع لتفادى تأثير السنين العجاف التى عرفوها عن أجدادهم . ومع ذلك فقد أدت سلسلة من الفيضانات الواطئة فيما بين ١١٧٠ ، ١١٠٠ قبل الميلاد إلى أزمة جديدة أثرت فى قدرة الحكومة وأنهت حكم الزعامة والدولة الحديثة ذاتها .

هذا التاريخ الاقتصادى الطويل لمصر يثبت الارتباط الوثيق بينها وبين النيل .. فمصـر هى حقا هبة النيل .. لقد حاول المصـريون أن يقووا جسر النيل على بره الغربى أولا ثم على بره الشرقى ثانيا ، وان ينظموا فتحة النيل الى الفيوم لكى يتفادوا الفيضانات العالية وأن يخزنوا الحبوب فى معابدهم لكى يتفادوا شح المياه . كما أقاموا على ضفافه مزارع شاسعة ومنسقة حتى استطاعوا فى النهاية أن يحولوا أرض الوادى كلها الى عمل انسانى بالكامل ـ كانت أرض النيل السوداء ومازالت الدار ومكان العمل أما أرض الصحراء فكانت مكان الهباء والقسوة .. وفى هذه البيئة المحدودة من الجانبين نشأت حضارة مصـر القديمة فى اكتفاء ذاتى وجو متناسق ومحافظ ـ لقد كانت مصـر أول دولة فى التاريخ جمعت مدنها وأهلها وحدة واحدة .



● المتخمون ●

المتخمون على التكايا يحتسون القار
يحترفون برقعة اللسان بلا حياء
يتداولون قضية التحرير والتعريب ملء
جنوبهم، قهر وأفيون وعار
أواه يا وطن العروبة كيف صرت جماجما
يرتاح فيها الدود والهوس الغبى
كيف صرت مجامرا
ملأى بآلاف الخلافات العقيمة
جمراتها جثث الضحايا فى الجنوب وفى
الشمال
تبتاع فى سوق التراشق والنكايات القديمة
أواه يا وطن التشتت ألف مرثية عليك
وألف آه
يتراقصون
القل ينهش فى القل
وعرائض السجب المقـــزز والشعارات
السقيمة تنهمر
« لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى يراق على جوانبه » الصخب
أين الدم ؟
والوحدة الكبرى .. دعاء المتعبين مبدده
صور على سرد الكواعب ترسم
أين الدم ؟
يتعاركون !!
وأنا هنا أرغى وأزبد مثلهم
أرمى الحروف على الحروف قصائدا
فى وجه هاتيك المواجع
لا صدى
لا نار تشعلها القصائد
لا دخان ولا أمل
« لا صوت يعلو فوق صوت » الأرصدة
لا صوت يعـ ....
لا صوت
لا ...

فوزى صالح



● تنمية ثقافية ●

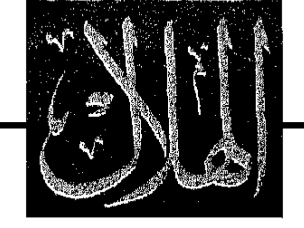
● أثار الهلال فى افتتاحية ديسمبر الماضى عددا من القضايا الفكرية والثقافية ، فى وقت ارتفع فيه النداء الى « الصحوة الكبرى » لانتشال مصر من وهدتها والارتفاع بها الى العمل الجاد الذى لا يتم الا اذا قامت كتيبة من ابناء مصر مناضلة تجمع الكتاب والمفكرين والادباء الدعاة الى تنمية انسانية وثقافية شاملة، تبدع الادب الجديد والفن الراقى الذى يبنى الانسان المصرى جوانيا - اذا جاز لنا أن نستعمل تعبير المرحوم الدكتور عثمان امين .. نريد لصحوتنا الكبرى أدب الفكرة الواعية الذى لا يعرف التعصب وضيق الافق . ويقدس الكرامة والشرف والمثل العليا .. نريد لصحوتنا الكبرى أدبا جديدا يستمد من جوهر الحياة تجديدا وخلقا وابداعا . ويعيد للانسان المصرى سلامه الروحى والنفسى وتوازنه الداخلى فى مواجهة الحياة المعاصرة بكل تعقيداتها .

عمرو عبد المنعم حمودة

برما - مركز طنطا

● العقاد ورايه فى البغاء والزواج ●

كان الشيخ محمود أبو العيون قد دعا الحكومة الى الغاء البغاء الرسمى على اعتبار أن بلدا دينه الرسمى الاسلام لا يحسن ان يوجد به مثل هذا البغاء. فما كان من الكاتب الاسلامى عباس محمود العقاد الا أن كتب مسفها تلك الدعوة . ثم انهال على الشيخ أبي العيون طعنا وتجريحا .. قال تحت عنوان : « حركة معقولة وأخرى فى غير أوانها » ما نصه : « ... أما تلك الحركة القائلة التى يدعون اليها فى هذه الايام - ونعنى بها الدعوة الى الغاء التصريح بالبغاء ، فهى حركة ايسر ما يقال فيها أنها فى غير أوانها ، وانها لن تنجح . » .. ثم قال العقاد : « لقد كانت الدولة العباسية أقوى دول الارض فى ابان مجدها وعزتها، وكانت دولة اسلامية تحد شريعتها الزانى والزانية بالرجم والجلد والتشهير ولكننا نرجح ان البغاء فى عهدها كان أروج سوقا وأقبح نعلا فى النفوس والابدان من البغاء فى العصر الحديث . فالمسألة اذن اعظم خطرا من أن يبت فيها بكلمة عاجلة ويقضى فيها بالفتاوى والمقالات . » ! .. ثم قال : « بقيت كلمة نود أن نقولها فى هذا المقام للشيخ أبى العيون . انه كما يعلم هو ويعلم عارفوه كان من المقربين الى حسن نشأت باشا والوزارة الزيورية وجماعة الاتحاديين ، وأنه كان أحد العاملين فى ذلك الشغب الذى اثاره نشأت فى الجامع الازهر على عهد الوزارة الشعبية ، وانه أصاب خيراً كثيرا من صاحبه هذا وأذنابه فى ايام تلك الحكومة المشئومة . وأن الحكومة الزيورية كان لا يكلفها الغاء البغاء أكثر من كتابة ورقة صغيرة فى ساعة قصيرة . فلماذا لم يلحف الشيخ ابو العيون فى طلبه الذى يشتغل به الان على اصدقائه اصحاب السلطان بالامس وأولئك السادة الذين كانت له عندهم حظوة حسنة وكان له بينهم سعى مشكور ؟ ولماذا كل هذه الحملة فى عهد



الوزارة الحاضرة التى لم يقل احـد منها انها تعد المصدات السرية لمؤتمر الخلافة ... ! او انهـا تستخدم ابا العيون كما كان يستخدمه الاتحاديون ؟ هى غيرة دينية لها مواسم ومواعيد ؟ أم هى مسالة احراج وتغرير بالجماهير على حساب اسم الدين واسم الاخلاق؟»

ويقول فى مقال آخر : « ابدءوا أولا برفع موانع الزواج ثم أجعلوه فرضـا محتوما يلام من يحجم عنه » .

ولما كان العقاد عزبا فقد برر العزوبة بقوله : « وقد تكون العزوبة مزيدا مع الاعتداد بالشخصية ، وقد تكون الابوة مزيدا من الايثار » واستخدام « قد » هنا يفيد التقليل . وهكذا نراه يرغب فى عدم الزواج ، بل انه يخوف منه وذلك فى قوله : « أعرف من فتياتنـا الموسرين فتى تزوج فأراد أن يستعين على المخدع بالمطبخ فأصيب بداء السكر فى أقل من شهرين ، وكان مصابه بالمطبخ المعين قبل مصابه بالمخدع المستعان عليه »

نرى من هذا ان العقاد كان يعارض الغاء البغاء ويطالب بالزام الشبان على الزواج ، بينما هو لم يلزم نفسه بالزواج ، بل راح يخوف النـاس منه ويزعم أن العزوبة مزيد من الاعتداد بالشخصية ، فكانه المعنى بقول الشاعر

يأيها الرجل المعلم غيره   هلا لنفسك كان ذا التعليم ؟!

ولم نر للعقاد شعرا فى الغزل ينبىء عن عاطفة حب واعجاب بالجمال . وقد حاول أن ينظم شعرا صالحا للغناء فلم يوفق ، فمن ذلك قوله : « نضضى الماء يا قمر » فكلمة « نضضى » ثقيلة على الاسماع ، وهذا لا يعيبه فكل انسان ميسر لما خلق له .

وحينما انضم العقاد الى حـزب السعديين رضى لنفسه أن يكون عضوا فى مجلس النواب عن طريق انتخابات مزورة ولم يجد الكاتب الاسلامى وازعا من الدين ويظن بعض الناس أن كثرة الكتب التى يؤلفها الكاتب دليل على العملقـة والفحولة ، وليس الامر كذلك فالعبرة بقيمة الكتب لا بكثرتها .

محمد سيد كيلانى

● **المسرح والتليفزيون** ● ●●●●●●●●●

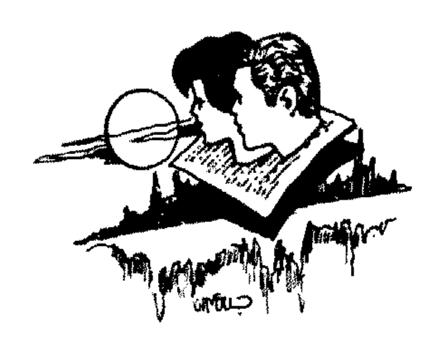
عندما كان الكاتب المسرحى الكبـير دورينمات يزور مصر ، قرات فى صحفنا انه قال فى احاديثه مع ادبائنا أن المسرح فن قديم أخذ فى الاندثار وان التليفزيون أصبح الوسيلة الاولى للاتصال بالجماهير وبذلك أصبح أكثر اهمية من المسرح الذى سيصبح عما قريب لنا متحفيا

هل لى ان أقول رأيى : كيف يندثر فن المسرح وهو الاصل فالمسرح هـو المدرسة الاولى التى يتلقى منها التليفزيون تعليمه ، ونجوم السينما والتليفزيون والفيديو اشتهروا أولا على المسرح .. ان وجود التليفزيون متوقف على وجود المسرح والا اصبح صورة مهزوزة .

لقد نجر الكاتب الكبير قضية مسرحية خطيرة وتركنا نتصارع ، ولكن المسرح مع ذلك سيبقى الى جوار التليفـزيون . بل وربما ظهر فى المستقبل جهاز يغنى عن التليفزيون ، ولكن لن يظهر شىء يحل مكان المسرح ! ..

عاصم فريد البرقوقى ـ الاسكندرية ـ جليم

قصة الامس



تعالى ننشد الذكـــرى
لحب كان يروينـــا
ونحكى قصـــــة الامس
على أطـــلال شاطينا
نبدل عمـــرنا سـحرا
ونروى جدب ماضـينا
نبـــدل ظلمـــة الامس
بنـــور من امانينـــا
ونشرب نخب قصـــتنا
على انقاض وادينـــا

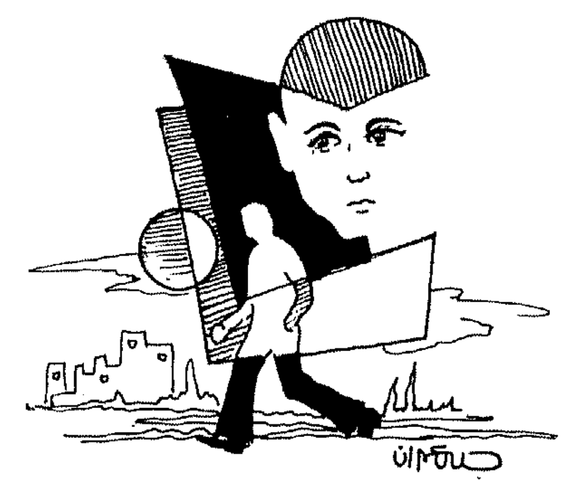
رفعت محمد بروبى
سوهاج

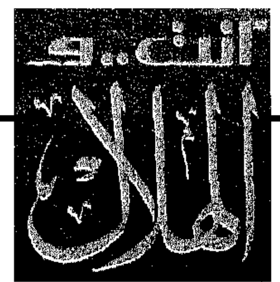


شـــــاعر

حسبوه ثانى عطفـه كبرا
لما انتحى للضفة الاخرى
وتناقلوا قصصا تروعـه
لما تعثر جذبه قســـرا
قالوا : تعود أن يسامرنا
متدفقا ينبوعه ــ ثرا
ويمص كالاسفنج شقوتنا
ويبث فى احشائنا الصبرا
ونجيئه والليـــل يملؤنا
فيضىء فوق دروبنا فجرا
ما باله قد خان رحلتنـــا
ولمن تسلق ينشد الشعرا.
لو يعلم الحمقى فجيعته
وعذابه .. ماأجمعوا أمرا
ساخت بليل الحزن خطوته
وتخشبت أوتاره حيرى
فانسل يخلى دمعة حرى
متماسكا فى الضفة الاخرى

مصطفى غنيم
شبراخيت ــ البحيرة





● بكائيــــة ●

هم صباحا ايها الوجه المتيم
عم صباحا
كل شيء بات « حرا »
مستباحا
كل شيء بات يمشي مثقلا ..
بالدمع والحلم المحرم .
ها هو النيل . انتصب
ـ لو شئت ـ
فوق الموج ، واضمم
حزمة الضوء وشاحا
ول شطر النيل نخلا .. ونواحا
فالرفاق الان تعدو ..
خلف دولار .. ودرهم
اخضرا . ما زلت تحلم
من يحط الان في كفيك راحا
من ...
سوى الحزن المصفى ..
ايها الوجه المتيم

على منصور



● مع الاصدقاء ●

● صفوت عبد الفتاح محمد ـ كلية التربية باسيوط :
ـ قصيدتك التى عنوانها « كفاك ياعينى » تفتقــر الى الاوزان .. حاول مرات كثيرة ..

● حمدى محمود السيد يوسف ـ كفر الشيخ ابراهيم ـ بنها :
ـ القصة كالشعر فن صعب وطويل سلمه ، اذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه، زلت به الى الحضيض قدمه ! .. نرجو أن تقرأ كثيرا وتجرب الحياة وتتعـرف على فن القصة قبل ان تتقدم الى نشر انتاجك .. فالنشر آخر الخطوات ..

● رافت ابراهيم ابو دومة ـ دار العلوم :
ـ قصتك « يوم العيد » لا شان لها بفن القصة ، ولاندرى ماذا تقصد بها.

● رمضان الهجرسى ـ المنصورة :
ـ رغبتكم فى زيادة عدد الصـــفحات المخصصة للرد على رسائل القراء ، تجد احيانا ما يساعدنا على تلبيتها ، ويحول ضيق المقام احيانا عن ذلك .. ثم أن الرسائل كثيرة جدا . ويحتاج الرد عليها الى عشرات الصفحات ، اما قصيدتكم « وللهلال صحوة » .. ففيهــا أشــياء موزونه واخرى ليست كذلك .. حاول مرات كثيرة اخرى ، فان طريق الشــعر طويل ..

● فاطمة رجب جمعة حسن ـ كليـة الآثار بجامعة القاهرة :
ـ قصتك « الهاربة » تدل على استعداد طيب لهذا الفن ، ولكن النشر لايجوء فى

اول طريق الكاتب ، وانما يجيء بعد ان يصبح ناضجا ..

● **السيد عصر ـ الواسطى :**

ـ تقول فى قصيدتك التى عنوانهـــا « جناب المدير » مايلى :

وصل المدير على جناح صلات
وبخبرة الحرباء فى الانفــلات
مرنينه بلغ السماء سلفـــا
وكما يظن القزم فى الشطحات
افلا تراه وقــد بدا حينما
من خلفه الكهان خلف اللات
نظم النفــــاق لاجله دررا
طول النهار لشخصه بالذات

وتمضى قصيدتك الى اخرها على هذا النحو .. فالشطر الاول من كل بيت له وزن يختلف عن وزن الشطر الثانى، فهل أنت تتعمد ذلك أمتظن أنك تنظمالقصيدة فى بحر « الكامل » ولا تنتبــه الى أن « الكامل هنا هو الشطر الثانى فقط .. يبدو انك تتعمد ذالك ، لان قصــيدتك الاخرى التى عنوانها « أرق على أرق » تمضى فى بحر الكامل فى الشطرين معــا بلا اجتزائه فىشطر واستكماله فى الاخر !. بقى أن تقول لك أن الشعر الفكاهىلايصح ان يستولى على وقتك كله !..

● **صبرىعبدالله قنديل ـ الاسكندرية:**

ـ سبق أن تعرضتم بالنقد للدكتــور عباس بيومى عجلان لانه اورد الفــاظا مكشوفة فى رسالته التى نال عليهــا الدكتوراة فى الادب .. ولعلك تعلم ان هذه الالفاظ موجودة فى كتـــب التراث المعتبرة . وفى كتب شرح الحديث . لانه لا حياء فى العلم ، ولا دخــل للنظــرة الصحفية فى هذا الموضوع .. لنعتــذر اليكم من عدم نشر كلمتكمفى هذا الموضوع لاننا نراها خارجة عن الموضوع ..

● **محمد حسن محمد خير ـ طنطا :**

ـ انت تعلن بصراحة انك تضيق ذرعا بقواعد اللغة العربية وتريد الخلاص منها، وتقول انك تقرأ فى لغات اخرى ، فهــل تراها بغير قواعد .. ترجو اذا كنتتكره العربية الى هذا الحد ان تترك الكتــابة بها ، واكتبه اذا شئت باللغات الاخرى.

● **الى السادة الفضلاء : محمــد طرموس .. محمدعبد العزيز .. اسماعيل تمام . عصام ضاهر نجدى .. محمـــود مصطفى حسن .. محمد حسن البحطيطى .. ابراهيم محمد جمال . حسن محمـد عزايز .. خالد عبد الله الصـــفى .. محمد عبد الستار محمد . طارقعزالدين على خليل .. محمد حسن محمد خير .**

ـ قصائدكم محاولات تدل عـــــلى الاستعداد لفن الشعر ، ولكن اوزانهـــا تحتاج الى مراجعة بدرجات متفاوته .. وبعض هذه القصائد يفتقر الى الـــوزن واللغة . ولا باس بهذا مادام الشــاعر مازال ناشئا ، ولكن اذا استمر ماجزاءمن قولّ الشعر موزونا صحيح اللغـــة ، فلينصرف عن الشعر غير آسف عليه !.. وقديما قال الشاعر :

اذا لم تستطع شيئًا فدعه
وجاوزه الى ما تستطيــع

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدأ أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب

القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

اسعار البيع للعدد

سوريا	٥٠٠ ق . س	اديس ابابا	٤٥٠ سنتا
لبنان	٥٠٠ ق . ل	باريس	١٢ فرنكا
الأردن	٤٠٠ فلس	لندن	١٠٠ بنس
الكويت	٥٠٠ فلس	ايطاليا	١٥٠٠ ليرة
العراق	١٠٠٠ فلس	سويسرا	٣,٥ فرنك
السعودية	٥ ريالات	اثينا	١٠٠ دراخمه
السودان	١٠٠ ق سودانى	فيينا	٣٥ شلنا
تونس	٦٥٠ مليما	فرانكفورت	٤ ماركات
المغرب	٨٠٠ فرنك	كوبنهاجن	١٠ كرونات
الجزائر	٦٥٠ سنتا	ستوكهولم	١٤ كرونه
الخليج	٤٥٠ فلسا	كندا	٢٥٠ سنتا
غزة والضفة	٤٠ سنتا	البرازيل	٣٥٠ سنتا
الصومال	٥٠ بنى	نيويورك	٣٠٠ سنت
داكار	٤٠٠ فرنك	لوس انجلوس	٣٠٠ سنت
لاجوس	٦٠ بنى	استراليا	٤٠٠ سنت
اسمره	٤٥٠ سنتا	هولندا	٤ فلورينات
اليمن الشمالية	٦ ريالات	عدن	٢٥٠٠ فلسا
بلجيكا	١٠٠ فرنك	اسبانيا	٢٥٠ بيزيتا

الهلال

مايو ١٩٨٦
الثمن ٥٠ قرشا

مأساة أميرة عربية

هدية العدد: إمساكية
لوحة قرآنية



من روائع الفن الإسلامى

شباك جامع السيدة زينب فى القاهرة من القرن الرابع عشر الميلادى .. وهى رسوم نباتات مع التخطيط الهندسي الدقيق ، وتتميز هذه اللوحة بالبساطة والعمق ، وتستخدم فيها أساليب الزخرف والألوان والظلال ..

الهلال

السنة الثالثة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال أسسها جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ ـ أول مايو سنة ١٩٨٦ ـ ٢٣ شعبان ١٤٠٦



الاحلام بحاجة
إلى تفسير ص ٦٠



ثورة الجينات
إلى اين ص ١٤٢

في هذا العدد ● فكر وثقافة ●



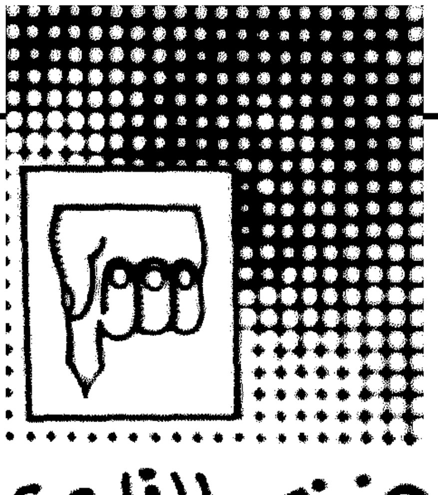
لغز جزيرة
العبيد ص ٥١



برنارد شو يؤيد
تعدد الزوجات ص ١٠٤



رسالة امريكا
ص ٤٠



عزيزى الفارى

اللمحات البهية

فى الجائزتين التقديريّة والتشجيعيّة

يثير توزيع جوائز الدولة التقديرية والتشجيعية كل عام على الأدباء والفنانين والمشتغلين بالعلوم ، خواطر كثيرة ، تنحدر على الوجدان من أقصى التاريخ العربى فى الجاهلية حتى يومنا هذا ، فتملؤه غبطة وأملا فى المستقبل ، برغم تحفظات معينة ينبغى إبداؤها فى هذا المقام ..

فالجائزة للشاعر ، تقليد عربى قديم ، لم يبدأ بالنابغة الذبيانى كما تقول الكتب ، بل بدأ ـ فيما نرى ـ قبل ذلك بعهد عهيد ، لأن الشعر نشأ ثم نضج خلال مئات السنين قبل ظهور النابغة ومعاصريه . وقبل الجاهليين الذين سبقوا النابغة ومعاصريه فى الشعر ونقلوا إليهم أوزانه وطرائقه الفنية ..

وفى الإسلام اتسعت الدنيا ، فشملت الجوائز الشعراء والكتاب والعلماء والمترجمين والفنانين من مغنين وعازفين وغيرهم .. وتضيق كلماتنا هذه عن التوسع فى الاشارة إلى هذه الفئات المتميزة التى نجمت فى حضارة الاسلام ، وكانت أكبر الدلائل على عظمة هذه الحضارة فى عصرها الذهبى .

وحتى فى العصور المتأخرة جدا ، مثل عصر العثمانيين فى مصر ، كان المماليك "المصرلية" الذين يتولون مشيخة البلد ، من أمثال رضوان كتخدا ، يخصون أهل الشعر والفن بالجوائز الكبيرة ، تكريما لهم وتشجيعا لمواهبهم . وبهذا استمر الشعر والأدب والعلم ـ ولو فى حال ضعيفة ـ ولم ينقطع أثر

الشعراء والأدباء والعلماء فى بلادنا طوال عصور التدهور الاجتماعى والسياسى والقومى ..

ثم جاءت النهضة الحديثة فى مصر ، وتطور معنى الجائزة التى يتلقاها الأديب والمفكر والعالم والفنان ، حتى قررت حكومة الثورة منذ ربع قرن تقريبا جائزة الدولة ، وجعلتها درجتين : تقديرية وتشجيعية . وقد علمنا أخيرا انها ستصبح ثلاثا من العام القادم ، بتقرير جائزة اسمها «جائزة التفوق» .. أعلى من التشجيعية وأقل من التقديرية ..

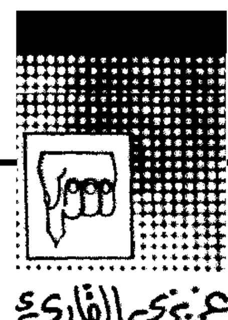
ولا شك أن تخصيص هذه الجوائز للمتفوقين والمجتهدين فى الآداب والعلوم والفنون ، حافز لهم على التنافس فى انتاجهم الذى تعود فائدته فى أخر المطاف الى الشعب كله .. ولكن لنا فى هذا المقام ملاحظتين ، نعرضهما بإيجاز وصراحة ونعتذر سلفا عن قسوة الصراحة ، إن وجد أحد فيها قسوة ، ولكنا إذ نعتذر من الصراحة لا نبرأ منها ، لأننا نزجيها خالصة لله والوطن ! ..

● يحصل الأديب أو الفنان أو العالم على جائزته التقديرية أو التشجيعية ثم تنساه الجهة التى قدمت اليه هذه الجائزة ، وقد يضطره واقع حاله الى إنفاق ما حصل عليه ثم الانضمام الى القافلة الضخمة فى مجتمعنا التى تضم المكدودين الذين «يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف» على حد التعبير القرآنى الرائع ..

وقد لايستطيع بعض هؤلاء النوابغ أن يطبعوا مؤلفاتهم ، وقد يتوقفون ويعجزون عن الاستمرار ، إلا من أتيح له منهم أن يعيش سنوات فى قطر بترولى ، فكسب شيئا يجعله فى عداد المياسير أو المساتير على الأقل ..

وفى الدول المتقدمة تنظر الجهات المعنية الى أمثال هؤلاء الممتازين نظرة تكريم بعد حصولهم على الجوائز ، فتتيح لهم من أسباب الاستمرار فى الانتاج ما يحميهم من العوائق والمثبطات التى تقتل المواهب فى بلادنا .. ولم نسمع قط عن أديب أو شاعر نال جائزة كبيرة فى أوربا أو امريكا أو الاتحاد السوفييتى ثم اضطرته دواعى العيش الى العمل فى بلاد البترول .. وما أوجع السخرية هنا ! ..

● ولقد بدأت الجوائز فى أول أمرها بأمثال طه حسين والعقاد وأم كلثوم وعبدالوهاب ، وعمالقة آخرين فى الآداب والفنون والعلوم ، ثم تدرجت الجوائز متدنية عاما بعد عام ، حتى تحولت فى كثير من حالاتها أو فى قليل ، إلى ما يشبه الجوائز المدرسية ، يحصل عليها مدرسو الجامعات على حسب درجاتهم فى «الكادر» الوظيفى .. ويقدمها بعضهم إلى بعض باتفاق متين وإن يكن غير مكتوب كأنه الدستور الانجليزى لايخالفه أصحابه ، حتى إن عدد الحاصلين على جوائز الدولة من أعضاء هيئات التدريس يفوق ـ نسبيا عدد الحاصلين



على مثل هذه الجوائز من المدرسين في جميع الدول المتقدمة وفى الدول الكبرى مجتمعة ، لأن هذه الدول إنما تعطى أمثال هذه الجوائز للمشتغلين بالأدب لا بتدريس الأدب ، وللعلماء والفنانين ، لا للمشتغلين بتدريس العلم والفن لصغار الطلبة والطالبات .

وفى هذه الظروف وجد «الفساد» ـ ونذكره هنا باسمه الصريح ـ ثغرات نفذ منها إلى حيث استقر واستراح وبات آمنا فى سربه ، وتآلفت «شلل» معروفة بأسمائها وسماتها ، بارزة بأشيائها وشياتها ، تتمتع بنفاذ الكلمة ، تمنَح وتمنع ، قادرة على المنح والمنع ، وتقبض أيديها أو تبسطها كل البسط حين تشاء أن توجه الجوائز خالصة معجلة ، على حسب اتجاه ريح الصبا التى تغنى بها الشعراء قديما وهى تهيج من نجد ، أو ريح الجنوب قادمة من تلقاء اليمن ، أو ريح الشمال تجر ذيول عطرها نافحة من الشام ! ..

صحيح أن بين أهل التدريس ـ وهم فى البلادالمتقدمة غير أهل العلم وغير أهل الأدب والفن ـ عددا من فضلاء المشتغلين فعلا بالأدب والفن قد لحقوا بقطار هذه الجوائز ، ولكن غيرهم لايستطيع أن ينفذ إلى هذا المرام إلا من خلال "الشلل" المدرسية التكوين الذى يسمونه «اللجان» وهى «شلل» مدرسية العقلية أيضا ، عاجزة عن التذوق والحكم فى غير مجالها المدرسى البحت ، وقد تكون عاجزة حتى فى هذا المجال ! ..

ولقد صارت هذه الشلل أو اللجان ـ مع الأسف والعجب ـ مراكز قوة لا يزعم أحد انها مثل امرأة قيصر ، فوق الشبهات ، أو مثل قيصر نفسه فوق القيل والقال وكثرة السؤال ، فى كل الأحوال ! ..

كيف الإصلاح إذن ؟! ..

كيف تصل الجائزة لا إلى المشتغلين بمجرد التدريس الذين ينالون الجوائز على محاضرات مجموعة فى كتب ، يشتريها التلاميذ الصغار ملزمة بعد ملزمة بنقودهم التى يحصل بعضهم عليها بشق النفس ، وقد تكون محاضرات مترجمة أو شبه مترجمة أو غير مترجمة ، أوتكون كيفما تكون ؟! ..

سؤال تصعب الإجابة عنه ، لأنه يتعلق بالوضع الشامل فى المجتمع المصرى كله ، بل فى جميع المجتمعات العربية ومجتمعات العالم الثالث .

فالحقيقة أن هذا العالم الثالث مضطر إلى أن يعتبر معظم فنانيه وادبائه

وشعرائه وعلمائه وخبرائه هم أهل التدريس لأنه لا يملك بيئة علمية أو أدبية أو فنية كالتى تملكها الدول المتقدمة ..

ولو أن جوائزنا هذه اقتصرت خلال ربع القرن الذى عاشته . على الشعراء والأدباء والفنانين والعلماء فقط . بدون إضافة هيئات التدريس إليهم ، لانقطعت هذه الجوائز منذ سنين . فلا مناص من التماس عذر لمن يوزعون الجوائز ويجعلون نصيب الأسد منها لهيئات التدريس . وإن كنا لا نعفى المهيمنين على الجوائز . وتوزيعها من جريرة اغفالهم من لا يلوذ بهم من أهل العلم والأدب والفن ، أو يكون له إليهم شافع من قوة أو جاه .. والأسماء فى هذا المجال كثيرة ، والحقائق مريرة .. مثيرة ! ..

● فياسدنة الجوائز الكرام ، ويا سقاة الحجيج الوافد اليها فى الضجيج والزحام .. نتقدم اليكم يا أصحاب السدانة والسقاية خاشعين قائلين : إن لدينا الآن جائزتين تقديرية وتشجيعية .. وغدا تجىء جائزة التفوق فتكون وسطا بين الجائزتين .. فإلى أين هى صائرة إن شاء الله من عام إلى عام ، وعلى الدوام ؟! ..

إننا نرى منذ اليوم نشاطا يدب بين القوم أو يدب به القوم دبيبا مسموعا مزعجا للضمائر .. وقد ظن أناس أن هذه الجوائز تأتيهم منقادة اليهم تجرجر أذيالها كما جاءت الخلافة إلى المهدى بعد وفاة أبيه الخليفة أبى جعفر المنصور، كما زعم ذلك الشاعر أبو العتاهية ..

وإن أعضاء «الشلل» المتربعين على سرر متقابلين ، فى جنة الثقافة ، لم يقترحوا هذه الجائزة الثالثة ليقدموها على أطباق من ذهب أو فضة إلى ذويها المستحقين الجديرين ! ..

ولقد تكاثر المستحقون فى أوقات التقديرية والتشجيعية بغير حق ، فإذا صارت الجوائز ثلاثا ، فإلى كم وإلى متى يتكاثرون ثم يتكاثرون ؟! .. وماذا عسى أن يقول أو يصنع امرؤ منصف محايد إذا فتح عينيه على هذه الكثرة الكاثرة .. ألا يحق له عندئذ أن يتمثل قول الشاعر :

إنــى لأفتــح عينــى حيـن أفتحــها
علــى كثيــر ولكــن لا أرى أحـــدا

وبعد ..

فنحن لم نتكلم بهذه الصراحة لنخدش طلاء يستر ما وراءه ، ولم نقصد ـ علم الله ـ أن نسىء إلى أحد .. فإن ساء قولنا أحدا ، فإليه نعتذر ، فإننا لم نرده باسمه ولا برسمه ، ولكن أردنا التعبير عن المعنى العام للقضية التى نحن بصددها ، بيانا لوجه الحقيقة الذى أوشك أن تضيع ملامحه ! ..

وقد تعلم يا عزيزى القارىء أن وجه الحقيقة تضيق به أحيانا عيون قوم وصدورهم ، وإن كان أجمل وأبهى من وجه القمر ليلة تمامه

كان يا ما كان

مأساة أميرة عربية

١٨٤٥ - ١٩٢٢

بقلم: أحمد حسين الطماوى



الأميرة سالمة
بنت السيد سعيد
بن سلطان
البوسعيدى
سلطان مسقط
وزنجبار

في سنة ١٨٨٦ وضعت الاميرة سالمة كتابا بالالمانية تضمن ذكرياتها عن الشرق، وانطباعاتها عن الغرب، وروت مغامرة غرامهـا، ومناوراتها في أوروبا، وتبين المذكرات كيف تجمعت السياسات الاستعمارية على تحطيمها، والى اى مدى تغرقت هذه السياسات في استغلال اوضاع الاميرة لتحقيق مآرب استعمارية دنيئة .

في صميم القرن التاسع عشر كانت بداية قصة الاميرة سالمة بنت السيد سعيد بن سلطان البوسعيدي ، سلطان مسقط وزنجبار . وقد استقر حكم السيد سعيد في عمان وشطر كبير من سواحل افريقيا الشرقية بما في ذلك جزر زنجبار ، وفي الاخيرة قضى أطيب أيامه ، وكانت له جملة من الحريم ينتمين الى جنسيات متعددة ، انجبن له عددا من الاولاد والبنات . وفي قصر المتنى بزنجبار ومن أم شركسية متدينة ولدت بنته سالمه حوالي ١٨٤٥ م وكانت وحيدة أمها .

توفى السلطان سعيد عام ١٨٥٦ ، وبعده بثلاثة اعوام ماتت أمها فشعرت الاميرة باليتم وهى في سن الخامسة عشرة ، وتفيد مذكرات سالمة أنهـا كانت نجيبة فقد استطاعت أن تحفظ ثلث القرآن وتتعلم في مدرسة القصر القراءة وتعلم نفسها الكتابة ، فقد كانت الاوامر تقضى بأن يتعلم الاولاد القراءة والكتابة ، وتتعلم البنات القراءة فقط ، وتبين المذكرات أنهـا كانت مغامرة فقد تدربت على ركوب الخيل والرماية بالنار والمبارزة بالسيف والخنجر، واشتركت في مؤامرة فاشلة ضد أخيها السلطان ماجد (الذى تولى الحكم بعد أبيه) لصالح اخيها برغش الطامع في الحكم ، وبعد احباط الثورة شعرت سالمة بعزلتها وضيق افراد أسرتها منها ، على أن ماجدا لم يعاقب الثائرين عليه بمن فيهم سالمة، وتحت احساس فتاتنا بنفور الاهل منهـا ، انتقلت الى مزارعها ، وسرعان مـا استقرت في مزرعة بوبوبو ، ولما وقع اختيار السلطان ماجد على مزرعة بوبوبو ليقيم فيها القنصل الانجليزى ، فقد انتقلت سالمة الى السكن في مدينة زنجبار .

الكارثة من النافذة

كان يجاور منزل سالمة منزل آخـر يعيش فيه شـاب الماني يعمل وكيلا لاحدى الشركات التجارية يدعى هنريخ روث ، وكانت الاميرة تنظر من نافذتها بين الحين والاخر فلمحت هذا الفتى الالماني ولمحها ، « وكنت غالبا ما ارقب من نافذتى حفلاته الرجـالية الباذخة التي كان يتعمد اقامتها في الاماكن التي يقع عليها نظـرى لعلمه برغبتي في



كان يا ما كان

الاطلاع على هذه الحفلات الغربية » وسرعان ما تحولت النظرات الى صداقة الى حب ، الى اتفاق على الهرب والزواج ، فلم يكن يسمح لها بأن تتزوج مسيحيا المانيا فى أوساط عربية وهى الاميرة بنت السلطان ، تقول عن محاولات الفرار : « وقد فشلت محاولتى الاولى ثم تهيأت لى فرصة ثانية بفضل المسز (س) زوجة الدكتور والقنصل الانجليزى التى نقلتنى فى احدى الليالى بزورق مع المستر (ب) ربان الباخرة الحربية البريطانية هاى فابر التى كانت جاهزة للحركة فما أن صرت على ظهرها حتى غادرت الميناء على التو ، واتجهت نحو الشمال حيث أوصلتنى الى هدفى المقصود وهو ميناء عدن » وكان ذلك فى شهر اغسطس سنة ١٨٦٦ :

وفى عدن نزلت بضيافة أسرة اسبانية وراحت تتلقى دروسا فى الديانة المسيحية حتى وافاها فتاها من زنجبار فى مارس ١٨٦٧ ، وما أن وصل الحب حتى تم تعميدها فى الكنيسة الانجليزية فى عدن باسم « اميلى روث » وفى الحال « بدأت مراسم الزواج طبقا للشعائر الانكليكانية (١) ثم سافرت وزوجى الى وطنه هامبرج » . أوجزت « اميلى روث » قصة حبها لفتاها حتى زواجها منه فى نصف صفحة تقريبا ، وهى التى عودتنا على ذكر التفاصيل والدقائق فى حياتها الماضية ، ولم تبين كيف تم تدبير ذلك .

واذا نظرنا فيما أوردته الفينا الامر كان مرتبا باحكام شديد، فالالمانى عرف كيف يغرر بها ويقيم حفلاته الراقصة فى مرمى نظرها ، وكان المسألة مدبرة ، ولا يفوتنا أن من وسائل المبشرين اقامة حفلات راقصة تصخب فيها الموسيقى لاستدراج الشباب واثارتهم ، ولابد أنه من خلال لقاءات الالمانى بها عرف كيف يدمر عاطفتها الدينية حتى تهون فى نظرها كل القيم التى تأصلت فيها ، مستغلا ظروفها النفسية والاجتماعية ، حتى اذا شعر بنضوج الثمرة اتفق معها على الهرب. وربما يكون فى الامر أبعاد سياسية ولا يغرب عنا أن الاوربيين مهرة فى نصب شباك الغرام للنساء لمآرب خفية. وقصة مترنيخ وزير خارجية النمسا مع «مارى لويز» زوجة نابليون معروفة حيث دفع اليها بـ «نايبرج» دونجوان النمسا ليغازلها الى أن وقعت فى حبائله وكان ذلك لاغراض سياسية .

وتثور فى الذهن عدة أسئلة : لماذا لم ينهض السلطان ماجد للقبض على الفتى الالمانى رغم علمه بعلاقته بأخته وفرارها ، هل خشى تدخل الالمان فى الجزيرة للدفاع عن احد رعاياهم أوهل شعر براحة لرحيل أخته التى لا يؤمن جانبها وقد اشتركت ضده فى

« ١ » الكنيسة الانجليكانية الرئيسية مقرها انجلترا ، وكانت تعد المبشرين وتبعث بهم الى الشرق ، ولها مراكزعديدةفى افريقيا ، والكنيسة الانجليزية عدت تابعة لها .

ثورة ؟ وثمة سؤال آخر ، لمـــاذا تطوعت زوج القنصـــل البريطاني في تسهيل مهمة هروبها ؟ ويجب أن نلاحظ انها استقلت سفينة حربية انجليزية ، وهذا الامر لا يتم الا بموافقة سلطات عليا ، وقد كانت المانيا وانجلترا في حالة تنافس دائم في تلك الفترة على استعمار شرق افريقيا ، لذلك فان هذا الزوج الالماني « سيكون مدخلا لبث كراهية الاسرة الحاكمة للالمان » عـلى حد قول د· محمد حسن عبد الله · وهنا يخلو الجو للانجليز ثم تأمل كيف تعـــاون انجليز والمان وأسبان عـلى تنصير فتاة في نحو العشرين وهو سن طيش ·

● المحنة والندم ●

وبعد رحيل سالمة وزوجها الىالمانيا، صارت أرملة حزينة لا تجد من يأخـذ بيدها ولها ثلاثة اطفال اثر اصـابة بعلها في حادث أودى بحياته بعدثلاثة أعوام من الزواج · ومن الطبيعي أن تشيع في عباراتها عقب هذا الحدث كلمات الندم والحسرة والمرارة، وقسوة الظروف وثـــورة الشجون والنحس وسوء الحظ ، بل تحدثنا عن استغلال وابتزاز بعض الالمان لاموالها، وازورار اهل هامبرج عنها مما دعاها الى التنقل في عدة مدن المانية بحثا عن الراحة، وتقول « مررت بأقسى التجارب وأعنفها مما لا يتمناها المرء لاشـد خصـــومه عداء والتي كانت حصيلتها نفسا مرهقا وجســـما متعبا » · ومن أقوالهـــا واعترافاتها : « انني استحق من أهلي احتقارا أكثر ممـــا استحقه لو كنت مسيحية أصلا » وفكرت في العـــودة الى بلادها ولكن حال دون ذلك موت اخيها السلطان ماجد في نفس سـنة وفاة زوجها (١٨٧٠) وتولى السلطان برغش الحكم الذي كان ينقم عليهـــا بسبب تغيير دينها ومصالحتها مـع ماجد ·

عاشت اميلي روث في ضنك وضيق وهي التي كانت منعمة مرفهة محنـأة ضمخة بماء الورد ، ترفل في حرير وتسهر على خدمتها الوصيفات · لذلك كانت ملحاحة ترتجي من يساعفها ويرد لهفتها بالعودة الى بلادها والصلح مع اهلها على نحو ما تذكر ·

وبينما هي في هذه الحال ، قرأت في الجرائد أن اخاها برغش سيزور لندن بدعوة من الانجليز (سنة ١٨٧٥) فرغبت في لقائه ليمد « يد الصفح والغفران الى اخته المستعطفة النادمة » فتوسطت الخارجيةالالمانية لدى الساسة الانجليز لتمكينها من لقاء اخيها ، وفي لنـدن قابلت الحاكم العام لمستعمرة الـكاب الذي طلب منها الابتعاد عن اخيهـــا طيلة فترة زيارته مقابل ضمانالحكومة الانجليزية مستقبل أولادها ، وبعـــد رحيل السلطان برغش عن لندن تنكر الانجليز لوعودهم وقد بينت الكاتبـة أسباب منع الانجـــليز لها من لقـاء اخيها وأرجعت ذلك الى أن الغرض من زيارة « برغش » الى لندن هو التوقيع على اتفاقية الرقيق التي تضع زنجبار تحت الســـلطة البريطانية ، وخشـية الانجليز من أن تؤثر اميـــلي روث الالمانية على اخيها فيمتنع عن التوقيع، وربما تجذبه في ناحية الالمان ، وهـو مالا توده سياسة الانجليز الاستعمارية.



كان يا ما كان

وعادت سالمة بلا شيء من لندن ، ولابد أن الالمان قد شعروا بخيبة وساطتهم ·

● العودة الى زنجبار ●

ولكن الاميرة لم تفقد الامل فى العودة الى بلادها للمطالبة بحقوقها الشرعية ولمشاهدة الأهل والاوطان فقد كان يعتادها طرب قديم ، فتردد انغام صباها فى مذكراتها ، ورات أن تنعم بدفء الشرق بعد أن ساءت صحتها ، فعرضت الأمر على السلطات الالمانية ، فاستجاب الالمان بعد دراسة لاتخاذها ذريعة للتدخل فى زنجبار واذلال الانجليز وبرغش الموالى للسياسة البريطانية ، وكان فى ضميرهم « أنه لو تعرض لها (السلطان) بأى سوء فان الحملة الالمانية تجد مبررا للتدخل بحجة حماية مصالح أحد الرعايا الالمان على حد قول عبد المجيد القيسى · ولم يكن الأمر خافيا على « سالمة » فقد قالت : « لا لزوم لتكرار القول عن الجوانب السياسية لهذه الرحلة فقد أوفتها بحثا الصحف الصادرة تلك الايام » ·

وفى يوليو ١٨٨٥ كانت سالمة فوق احدى السفن المدنية فى طريقها الى زنجبار بعد غيبة تسعة عشر عاما مرورا بالاسكندرية ، وفى بورسعيد ركبت سفينة حربية المانية ، حتى اذا وصلت الى زنجبار انضمت الى السفينة التى كانت تستقلها عدة قطع من الاسطول الالمانى الشرقى ولا يعقل أن يتحرك الاسطول الالمانى من أجل حماية سيدة الا اذا كان ذلك ذريعة لأعمال عسكرية وبموافقة أعلى سلطة فى المانيا ·

وعندما ترددت سالمة على شوارع زنجبار لم يتعرض لها أحد بسوء فقد فوت السلطان والانجليز على الالمان حجتهم فى التدخل ، وسرعان ما التف الناس حولها بعد ما كثر الكلام عنها ، وهو نوع من الفضول وليس ترحيبا وتكريما كما فسرت هى ، وبعد أيام غادرت الجزيرة دون أن تحصل على حقوقها ، أو تدخل دارا · على أن الالمان الذين تحمسوا لها سرعان ما أهملوا قضيتها بعد تحسن الاحوال بينهم وبين الانجليز ·

تلك هى قصة الاميرة سالمة ، وهكذا كانت ألعوبة فى يد الاوربيين ، ولم تكن غافلة عن الاعيبهم ولكنها كانت كالقارب الغارق الذى تتقاذفه الامواج وبعد عودتها من زنجبار عكفت على مذكراتها واكملتها ، ونشرتها بالالمانية عام ١٨٨٦ ثم ترجمت الى الانجليزية والفرنسية بعد صدورها بقليل ، وظل الكتاب مختفيا عن الشرقيين حتى قام بترجمته الاستاذ عبد المجيد القيسى مع مقدمة مستفيضة ، وتعليقات شارحة · وهوامش مفيدة ، وقد حاول المترجم أن يلملم أخبار المؤلفة بعد عام ١٨٨٦ فاهتدى الى اخبار خفيفة ولكنها أحسن من عدمها ·



سلطان عمان وزنجبار

• اميلى روث تضع كتابا تدافع فيه عن العرب والاسلام •

• سالمة تهرب فى باخرة حربية انجليزية بمعاونة الانجليز •

دبجت سالمة كتابها ليقرأه الاوربى لذلك فقد تضمن كلاما كثيرا عن الاسلام والعرب والشرق ، عرضت فيه كثيرا من الأصول الاسلامية والتقاليد العربية والشرقية · ولا يجد القارىء المسلم فيما كتبته عن الاسلام ما يؤلمه أو يجرح شعوره ، وقد ظهر مما سطرته المؤلفة أنها عارفة للاسلام وقضاياه ، ولم تخطىء فى التعبير أو التفكير ازاء الملة الاسلامية ، فاذا تحدثت عن القرآن قالت «القرآن الكريم» «النص القرآنى الشريف » وتعرب عن امتعاضها مما يقال فى الغـــرب عن الاسلام فتقول « ولكن مما يؤلمنى أن أرى الاوربيين يتحاملون على الاسلام والمســلمين بشتى الاســاليب ويوجهون اليهم شتى التهم دون أن يفهموا حقيقة الاسلام والمسلمين » · وأخذت تشرح للاوربيين أركان الاســلام فى بساطة واقنــاع فتقول عن الصلاة « فالمسلم حين يؤدى صلاته ينقطع كلية عن العالم الخارجى وما من أحد يجرؤ على أن يقتحم عليه خلوته ، ويقطع صــلاته حتى ولو اشتعل البيت نارا » وتقول عن مكة : « هو آخر ملاذ يركن اليه المسلم الزاهد فى الحياة » وتقول عن الزكاة « أحسن نظام ضرائبى فى العالم » لان المســلم يؤديها عن طيب خــاطر ولا يتهــرب من الدفــع وتقــول عن ليــلة القدر : « ليلة مباركة مقدسة عند المسلمين اذ فيها أنزل القرآن أول مرة » وتتناول الصــوم والعيــدين ، وتدافــع عن نظام الارث فى الاسلام ، وتتحدث عن القضاء والقدر ولا تقول بالمصــادفة والطبيعة مثلما يقول الاوربى ·

وتواصل دفاعها عن الاســلام على طريقتها فتعرض لنظام الزواج وتناقش قضية تعدد الزوجات وتنتصر لها بحجج عالية ثم تتحول الى نظام الزواج فى الغرب فتقول : « ولكن ما هو حــال الزواج بين الأوربيين المثقفين منهم ؟ ولأضرب الآن صفحا عن مزاولة تعدد الزوجات تحــت اسم مارمونيســم ،

كان يا ما كان

(المارمونيسم طائفة مسيحية ظهرت فى أمريكا عام ١٨٣٠ وكانت تبيح تعدد الزوجات) وهى طائفة مسيحية صرفة تقوم على أرض مسيحية صرفة ، ولنرى هل أن الزواج عند الاوربيين هو نظام مقدس فعلا ، وأليس من السخف فى اكثر الأحيان أن نتكلم عن زوجة واحدة للرجل الغربى ؟ أن الغربيين يتعمدون أثمين مخالفة تعاليم دينهم باتخاذهم الخليلات بالخنى والفجور ؟ ولعل الفرق الوحيد بين المرأة الشرقية وزميلتها الغربية أن الأولى تعرف بوضوح وبالضبط من هى منافستها أو منافساتها وعددهن وشكلهن ووصفهن وعندما تتناول الحضارة عند الاوربيين تقول : « ولا ادرى لماذا يجب أن تقترن المدنية عندهم بالرذيلة » . وتقول عن النساء فى الشرق أن حالهن واحدة « وحيثما يسود الاسلام تتشابه الأحوال والأحكام باستثناء بعض المجتمعات التى غزتها فافسدتها سفسطات الغرب » ولا أستطيع أن أوردها هنا أو حتى اوجز كل ما كتبته عن الاسلام ، وما سطرته سالمه فى هذا المجال هو للأوربيين لأنها تعرف أننا لا نجهله ، ويبدو لنا من كلامها حرارة عواطفها واستنارة ذهنها ، وفى الوقت نفسه تكتب بارادتها الحرة ، ولا يفوتنا انها تحدثت عن « الحب الأعمى » ومما قالته : « وهل نسمع لصوت الحق أو الضمير اذا ما علا صوت الحب وعربد ، أولسنا فى سبيل الحب ومن اجله نتخلى عن مبادئنا وآرائنا وافكارنا واقدس معتقداتنا » ، وهذا ما حدث لها على ان الحب لا يظل على الدوام فى عنفوان ولهيب ، فعندما هدأت لواعج الحب تحركت فى نفسها العواطف الدينية الاسلامية .

ومن هياج عاطفتها الدينية الاسلامية ما قالته عندما رأت الاسكندرية : « وما أن وطأت قدماى أرض الاسكندرية وصرت بين مساجدها ومنائرها ونخيلها حتى طغى على شعور غامر بالشوق والحنين للأهل والاوطان .. » **وعندما رأت زنجبار قالت : « فهنا ولدت ونشأت عربية مسلمة وفى اعز دار ثم حكمت على الظروف بالهجرة .. وها انا اعود الى بلادى نصف مسيحية ونصف المانية » فهى بعد عشرين عاما تقول انها نصف مسيحية ، وهو تعبير غريب غامض يفصح عن قلقها الروحى.**

ومذكرات الاميرة العربيسة تحفل بالصور العربية والشرقية ، وفى مجال الموازنة بين الاوضاع فى المشرق والغرب تفضل كل ما هو شرقى عربى على كل ما هو غربى أوربى . فتقول عن العربى : أن نفسه صافية « اخذنا ذلك من سماء بلادنا الصافية وشمسها الساطعة » وتبين كيف تتعرى الاوربية فى بلاد البرد والجليد وتتحجب الشرقية فى بلاد الحر ، وتقول عن الرقيق أن العربى يعتق الرقيق اذا كان فى غير حاجة اليه أما الاوربى فانه يبيعه اذا اضطر الى سفر ، وتهاجم معارف الغربيين عن الشرق التى مصدرها السائح الاوربى الذى يستقى معلوماته من خدم الفنادق

أو أصـــحاب الحمير الذين ينقلونه . وتبين أن العربى ينفر ممن يتطفل عليه ليعرف أسراره وبخاصة اذا كان أجنبى الجنس والعقيدة واللسان • وتنتقـــد التعليم الاوربى لأنه لا يعتنى بالجانب الروحى • واذا كـــان الطفل الأوربى يمارس رياضة الجمبـــاز فان الطفل العربى يزاول أعمال الفروسية والقفز من حصان الى حصان آخر ، وتوازن بين المربية الأوربية والجارية الشرقية فى مجال تربية الاولاد وتغلب الثانية ، وانتصرت للمرأة الشرقيـــة وأوضـــحت مدى ما تتمتع به من حرية واستقلال فى اطـــار الشرع الشريف والأعراف السائدة ، واذا كانت سالمة قد حملت اسم « اميلى روث » ، فانها توضح أن الفتاة العـــربية لا تفقد فى الزواج اسمها العائلى ، وهذا ما تفضله ، وفى مجال عمل المرأة كانت تدافع عن قلة عمل الشرقية ، وترى أن البرودة الشديدة فى أوربا أوجبت على المرأة العمل لسد احتياجاتها من الملابس ، ومعالجـــة الامراض الناجمة عن الجو القارس ، أما ، المـــرأة الشرقية فانه بسبب الدفء تقل احتياجاتها ، ويخف عملهـــا ، وتضرب مثلا بالنســـاء فى ايطاليا وأسبانيا حيث يقل عمل المرأة عن نظيرتها فى انجلترا والمانيا ، وترجع ذلك الى الطقس وقلة الاحتياجات تبعا لذلك •

ولا غرابة فى دفاع سالمة عن الشرق فقد كانت تقول انها تعيش فى أوربا أما مشاعرها ففى الشرق وتقول أيضا : « فما من تسلية •• كانت افضل لى من الانكباب على قراءة كتاب يصف الجنوب او يبحث فى أحواله » ويخبرنا الاستاذ القيسى انه وجد فى مخلفاتها بعد وفاتها « مكحلة فضة •• وشـــالا أخضر •• وكتاب تحفة الاعيـــان فى سيرة أهل عمان » ، والاغرب من هذا أنها أطلقت على ابنها اسم سعيد اعتزازا باســـم أبيها العربى ، وصورتها التى تتصدر الكتاب تبين بوضوح ملابسها العربية الزنجبارية واحتشامها فلم يظهر منها غير الوجه وأصابع اليدين والقدمين •

● اهمية الكتاب ●

ومن أوجه اهمية هذا الكتـــاب أنه دافع عن وجهات النظـــر الشرقية ، وصحح معلومات الاوربيين عن الاسلام ويتناول الكتاب أوضاعا كثيرة مفصلة عن زنجبار ذلك القطر العربى الذى لم نعد نذكره الآن فى كلامنا ولو فى جمل اعتراضية • ولعلها اول ســـيدة عربية تكشف عن بعض عورات أوربا، وفى حين كانت الأصـــوات تتاهب فى الشرق للمناداة بســـفور المرأة كانت سالمة تنتقد هذا السفور الفاضح فى الغرب • ومن وجوه اهميته انه يبين لنا مدى تآمر الغربيين على الاســـلام وتشويهه •

وبعد فقد انتابتنى مشاعر متباينة اثناء قراءة هذا الكتاب (٣٢٠ صفحة من القطع الكبير) امتزج فيها القلق والوجع والدهشة والاعجاب والشفقة والاستنكار •

وقد تحدثت المؤلفة فى الموضوعات التى أشرنا اليها وفى غيرها بعاطفة حماسية ، وذهن متقد قادر على التفكير التامل والارتفاع الى مستوى القضايا التى يعالجها • وحكمى الاخـــير على الكتاب انه لا يعدو أن يكون رســـالة ندم واعتذار واســـتغفار والله رحيم غفـــار •

● هذه خواطر اوحى بها مؤتمر القضاء الاول، الذى عقد فى المدة من ٢٠ الى ٢٤ ابريل الماضى ، وهو اول جهد يقوم به القضاة على هذه الصورة الواسعة والعلنية لاصلاح النظام القضائى فى بلادنا ومعالجة ما اصابه من قصور وآفات بفعل الادارة السيئة ، والعجز الحكومى واغراض السياسة لعل هذا المؤتمر فاتحة عهد جديد يقوم فيه القضاء برسالته المجيدة على احسن وجه ، وخير منهج ●

مذبحة القضاة

بقلم : فتحى رضوان

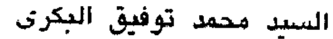
يحسب بعضنا ان القضاء فى مصر قبل الثورة ، كان بمنأى من التدخل الصريح فى اعمال القضاة ، او فى الضغط والترهيب والترغيب ، ليحصل اصحاب السلطة او الجاه او المال على مايطمعون فيه من المحاكم التى تعرض عليها قضاياهم ، التى تصور صراعا اوخصومة او تنافسا بينهم وبين آخرين قد يكونون فى مثل قوتهم ، او أضعف منهم كثيرا او قليلا والحقيقة تخالف ذلك الاعتقاد ، فالقاضى المصرى منذ وضع الاحتلال البريطانى قدمه فى ١٤ من سبتمبر ١٨٨٢ الى حين قامت ثورة يوليو ، كان يخضع تعيينه وندبه ونقله وترقيته وتخطيه فيها ، لارادة ممثل بريطانيا بغض النظر عن الاسم الرسمى لهذا الممثل ، الذى عرف اول الامر بالقنصل العام لبريطانيا العظمى ، ثم بالمندوب السامى ، واخيرا بالسفير البريطانى فى عقب معاهدة سنة ١٩٣٦ التى أبرمت فى أغسطس من ذلك الشهر .

وبذلك كان القضاة قلقين ، يعرفون انهم معرضون للفصل او التخطى ، أو النقل الى مدن اقل شأنا من مدن يعملون فيها فعلا . ذلك لان المندوب البريطانى وممثلها ، يعلم أن القضاء بطبيعته ، هو حماية للمظلوم ، ودرع للمطالبين بالحقوق العامة ، والمدافعين عن الشعب، فان كان مستقلا مصونا من الضغط والتأثير ، زاد المناضلون عن حقوق الناس المهدرة ، وحرماتهم المنتهكة ، وتمردهم على الغاصب الدخيل وعندها يعانى الاحتلال البريطانى وممثلوه من الضغوط الوطنية ، ما يفسد



السيد على يوسف





السيد محمد توفيق البكرى



مصر استمرت قرناً!

خططهم ، أو على الاقل ، يؤخرها ، ولما كان الخديو أو السلطان أو الملك المصرى ، هو رجل أختير ليكون عونا لهذا الاحتلال وسندا له ، فى مقابل مزايا يمنحها ، وسلطات يستمتع بها ، وحماية من المساءلة والمؤاخذة تقيه أن يحاكم او ينزل به عقاب أو تسترد منه اشياء سلبها ، أو أعراض هتكها ، أواعتداءات ارتكبها . وبذلك أصبح الحاكم المصرى الذى كان يسمى خطأ بالحاكم الشرعى أو الحاكم الاصيل ، لتميزه عن الحاكم الاجنبى الدخيل او الذى لا شرعية لسلطته ، أصبح هذا الحاكم شريكا فى العدوان على القضاء المصرى ، فلما قامت الحياة الحزبية ، بعد تصريح ٢٨ من فبراير سنة ١٩٢٢ التى أعلن بها الانجليز من طرف واحد ، الغاء الحماية البريطانية



السيدة صفية السادات زوجة الشيخ على يوسف

مذبحة القضاء

التي فرضت على مصر عقب اندلاع الحرب العالمية ، ذلك في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ ، والاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة ، وتحويل سلطانها الى ملك ، وتخويل للملك اعداد دستور تقوم في ظله حياة نيابية يمثل فيها الشعب ، نواب يختارون في انتخاب عام . لما تم هذا التغيير تنافست احزاب الحكم في مصر ، بعد انتخابات حرة مرة او انتخابات زائفة ، تعبث فيها السلطة كما تشاء ، ويعبث خلالها بارادة الشعب على ماتهوى احيانا ، فانضم شريك ثالث للسفير البريطاني والملك المصرى ، ذلك هو الحزب الذى تمارس بعض السلطة حكومته ، ففي ظل الحكم النيابي كان يتم افساد القضاء بصور منها :

١ - يكون لزعيم الحزب قضية خاصة ، ليرفعها الى محكمة ، فيقضى له بما يطلب . فيكافأ المستشار الذى يرأس المحكمة بتعيينه وزيرا . وقد تم تعيين اكثر من وزير ، لمثل هذا الغرض .

٢ - يبلو محام ما في تأييد حزب ما بلاء حسنا ، فيضم الى الاعضاء ، ويضم لرؤساء الحزب عند تجولهم في الاقاليم والولائم الفاخرة ، وتعد السرادقات الواسعة ، فيصل الى منصب القضاء في اقرب فرصة تالية باهون سبيل .

٣ - يخرج المحامي الوزير الذى يشغل مكانا مرموقا في حزبه ، من الوزارة فيشتغل بالمحاماة ، ويصبح منتظرا عند الجميع أن يعود في تعديل وزارى قريب وزيرا ، فيقبل على مكتبه اصحاب القضايا ، وينقدونه أتعابا ضخمة ، تتيح له أن يقتني الضياع ويبني القصور ، فاذا ذهب الى المحكمة ترافع امام قضاة عينهم حينما كان وزيرا أو عينهم حزبه الذى ينتمى اليه ، فيقابل بالاجلال علنا ، وبلا تحشم ، وكثيرا ماشاهد المترددون على جلسات المحاكم المحامي الحزبي ، الوزير الحزبي ، يدخل الجلسة ، فيقف رئيس الجلسة ، ويحييه علنا ، كما اصبح من التقاليد المرعية ان الوزير الحزبي السابق ، حينما ينتهى من مرافعته في احدى مدن الريف في الصعيد او في الدلتا ، يمضى الى المحطة ليستقل القطار ، ومن حوله القضاة والمستشارون الذين كان يترافع امامهم منذ ساعات ، وربما ينضم اليهم السيد مدير الاقليم او محافظه ، ولا يخلو الحال من ان ينضم الى هؤلاء جميعا أنصار حزب صاحب المعالي الوزير ، فيهتفون بحياته ويلهبون الاكف بالتصفيق .

٤ - وجاءت الاحكام العرفية - بحالة جديدة من حالات فساد القضاء واتلاف كل أسباب النزاهة وضماناتها للحكم . ففي ظل الاحكام العرفية ، لا تستأنف الاحكام ، وانما تعرض على مكتب ينشئه الحاكم العسكرى لمراجعة تلك الاحكام ، ثم يثبت ما يشاء فيها ويلغى ما يشاء ، بلا قيد والى غير حد ، وهذه المكاتب ليست محاكم ، فليس لها حصانة القضاء ولا هيبتها ، وقد ترى المكتب مليئا بالمحامين وذوى المتقاضين واصدقاء القضاة ، فاذا بالعدالة قد اصبحت شبحا ، والحق طيعا ، والقانون يداس بالاقدام علنا .

ومع ذلك يبقى المواطنون في مصر مؤمنين بأن قضاءهم من أنظف القضاء في الشرق والغرب ، وهذا الظن لم يكن كله وهما فالقضاء المصرى حيث تنأى الخصومة عن اصحاب السلطة ، ويصبح طرفاها من افراد الناس ، حتى ولو كانوا على شىء من الثراء او الجاه ، لا يهتز ميزان العدالة في يد القاضي ، في حين ان فساد انظمة التقاضي في بلاد عربية كثيرة كان امرا مقطوعا به ، وقد

حدثنى أديب الشيشكلى وكان رئيس الدولة الحقيقى فى سوريا ، وهو يزور مصر وأنا وزير خارجيتها بالنيابة بأن أكثر القضاة فى وطنه ، كانوا من فساد الزمة ، وكان بذل الاعطية لهم يتم على مسمع من الجميع ، بل بعلم الخصوم . اما القضاء فى أمريكا الذى ينتخب بها القضاء فهو مثل فى العبث بحقوق الناس ، وتلقى الرشوة بلا تحفظ ولا خجل ، وقد رأينا صورا من هذا التعفن فى قصص رآيد تعرضها الشاشة الفضية .

لقد بدا لى أن أروى للقارىء قصصا تدخلت فيها السلطة علنا فى قضايا شهيرة معروضة على القضاء فى واقع الامر قصص طريفة فى ذاتها منها :

١ ــ قضية زواج الشيخ على يوسف « باشا » صاحب جريدة المؤيد

٢ ــ قضية مقتل على كامل فهمى : الثرى الذى قتلته زوجته الانجليزية مرجريت ، التى حوكمت فى لندن فهربت .

٣ ــ قضية سليم بك حسن وكيل مصلحة الاثار المصرية سنة ١٩٣٨ وما حولها

٤ ــ قضية مقتل السردارلى ستاك ــ قائد الجيش المصرى وحاكم السودان فى الوقت نفسه .

واقدم هذه القضايا هى قضية الشيخ على يوسف الذى كان صحفيا ، وفد الى مصر من قرية فى الصعيد ، هى قرية بلصفورة التى هى من أعمال محافظة جرجا ، وقد طلب العلم فى قريته ، التى ولد فيها . وقد ترك قريته وذهب الى قرية بنى عدى بمركز منفلوط حيث اخواله . ثم مازال يلتمس أسباب المجد ، متذرعا بصلابة خلقه ، وثباته وطموحه غير المقرون بالتهيب ، حتى أصدر جريدة المؤيد فى أول ديسمبر ١٨٨٩ ، فما لبثت حتى أصبحت أكثر الجرائد المصرية ذيوعا . ولم يكن لواء مصطفى كامل قد صدر بعد اذ كان صدوره فى يوم الثلاثاء ٢ من يناير سنة ١٩٠٠ ، وبفضل سطوع نجم

الملك فاروق



الملك فؤاد



مذبحة القضاء

اللواء ، وانتشاره ، اصبح على يوسف احد كبار ذوى النفوذ ، اذ اتخذه الخديو عباس حلمى مستشارا يهتدى برايه ويعمل بنصحه ، وكان يطيب له الجلوس معه ، والتحدث اليه ، ولما كان طموح على يوسف لا يقف عند حد فقد طمع فى ان يخطب لنفسه الانسة صفية بنت السيد عبد الخالق السادات شيخ الطريقة الوفائية . وكانت فتاة جميلة وذكية ، وكان ابوها يصحبها الى كل مكان يقصده فرآها الشيخ على يوسف فوقعت من نفسه موقعا ملك عليه زمام قلبه ، وكان والد صفية صديقا لعلى يوسف ولم يكن لديه مانع من تزويجها لعلى يوسف وان كان يكبرها كثيرا فى السن الا انها كانت ماخوذة بشهرته وعلو مقامه ، وتردد اسمه على الالسن ، فوافقت على الزواج ، ولما كان زوج اختها السيد محمد توفيق البكرى هو نقيب الاشراف وشيخ مشايخ الطرق الصوفية، وكان يخشى ان تقوم عقبة فى طريق هذا الزواج ، فقد اخذ العروس الى قصره، وعقد لها على الشيخ على يوسف ، ثم نشرت جريدة المقطم نبأ هذا الزواج فى عدد ١٦ يوليو سنة ١٩٠٤ ، وفوجىء ابوها بهذا الزواج فهاج هائجه ان تزوج ابنته الحبيبة الى قلبه والاثيرة عنده بغير علمه ، وفى غير دار ابيها، وان كان العقد تم فى بيت اختها الشقيقة ، وانتهى الامر بان اعلن الشيخ عبدالخالق السادات بانه غير راض عن هذا الزواج ولا يقره لا للظروف التى لابسته، فحسب، بل لعدم كفاءة الزوج، لانها من نسل النبى، وشمل الخديو صديقه وجليسه ومستشاره على يوسف ، بعطفه فانقسم المصريون الى فريقين ، فريق يؤيد الزواج، ويرى على يوسف اهلا للزواج من صفية بنت عبد الخالق السادات ، وان كانت حفيدة لرسول الله، فان على يوسف بعلمه ومكانته وثروته، وعقله وقربه الشديد من الحاكم ، يرتفع الى مقامها، ورفع والد صفية الامر الى القضاء الشرعى ، ووكل الزوج اكبر المحامين ، وشغلت القضية الناس ، ولما كان الحزب الوطنى بقيادة مصطفى كامل قد اغضبه هذا الزواج بما شابه من اخطاء كان على يوسف وتوفيق البكرى جديرين بتجنبها فقد اشتد موقف المواطنين ضد على يوسف ، وعندها لم ير الخديو عباس بدا من ان يتدخل فى القضية صراحة فى جانب صديقه على يوسف ، ولما عرضت القضية فى صيف سنة ١٩٠٤ وكان الخديو عباس خارج مصر مصطافا فى باريس فقد اوفد اخاه الامير محمد على ليضغط على القضاة ليحكموا لصالح الزواج باقراره ، ولكن الراى العام كان ضد هذا القرار ، وانتهى الامر بصدور حكم فى يوم ٢١ يوليو سنة ١٩٠٤ بالحيلولة بين الزوجين حتى يفصل فى القضية نهائيا اذ اجلت بناء

د . سليم حسن



على طلب محامى على يوسف ، وهو الاستاذ حسن صبرى الذى عين رئيسا لوزراء مصر سنة ١٩٤٠ . ولم تتحمس الحكومة لتنفيذ حكم الحيلولة اذ سافر على يوسف الى الاسكندرية يقابل وزير الداخلية بطرس غالى باشا ، الذى كان قد وضع الحكم فى درجه ، فاستحال تنفيذه فما كان من الشيخ أحمد ابوخطوه الذى أصدر الحكم الا أن لجا الى قاضى القضاه وكان تركيا تعينه تركيا حسب الاتفاقات الدولية آنذاك بين مصر وبريطاليا وتركيا ، فأعلن انه سيقفل ابواب المحاكم الشرعية ان لم يتم تنفيذ حكم الحيلولة ، ولما سمعت الناس بقرار القاضى وقاضى القضاة بالدعوة الى اضراب المحاكم الشرعية حتى يتم تنفيذ حكم الحيلولة بين الزوجين ، هتفوا فى الشوارع للاسلام ولقضاة الشرع ، والتهب الموقف . حتى انتقلت الزوجة الى منزل الشيخ عبد القادر الرافعى وكان من كبار قضاة الشرع ، حتى حكم بالحيلولة فأحس كل من الخديوواللورد


محمود فهمى النقراشى

كرومر بالهزيمة ، ولكن عاد الوالد ، فرضى عن زواج بنته من على يوسف، بعقد جديد أبرم فى بيته . بعد أن تدخلت السلطات جميعا فى هذه القضية وعلنا .

اما القضية الثانية فقد بدات بجناية وقعت فى باريس ليلة العاشر من يولية سنة ١٩٢٣ بفندق سافوى بلندن.

وكان القاتل هو ابن الثرى المصرى على باشا فهمى الذى كان يملك مساحة كبيرة من الارض الزراعية فى المنيا ، وقد مات وترك اكثرها لابنه على كامل فهمى ، الذى كان قد راى الشابة الفرنسية مرجريت آن فهام بها ، ودعاها وهو فى الثانية والعشرين من عمره فى مصر ، فرات من آثار غناه والترف الذى يتقلب فيه ، مدعاة الى قبول زواجه فىديسمبر سنة ١٩٢٢ ، وما لبث ان تنافر الزوجان حتى انتهت حياتهما الزوجية برصاصة أطلقتها على زوجها الشاب ، فأردته قتيلا ، ثم قدمت الى المحاكمة فترافع عنها المحامى الانجليزى الشهير مارشال هول الذى حصل لها على البراءة من محكمة انجليزية منحازة ضد الشرقيين بعد أن صور لها الزوج القتيل بوحش آدمى اذاق زوجه الويلات ، وجاءت الزوجة الى مصر ومعها حكم من محكمة جنايات لندن ببراءتها وقد رفعت دعوى ميراث طلبت فيها الحكم لها بربع تركة زوجها ، لانها برئت من تهمة القتل والشريعة تمنع ميراثالقاتل فى تركة قتيله .. وهى بمقتضى حكم البراءة ، لم تقتل زوجها انما دافعت عن نفسها .

وعرضت القضية على المحكمة العليا الشرعية برياسة الشيخ طهحبيب والسيد انور حبيب الذى عينه السادات مدعيا اشتراكيا ، ثم رئيسا لديوان المظالم ، فأبى الشيخ طه حبيب ان يقضىلمرجريت آن قاتلة زوجها على فهمى لان محكمة لندن برأتها لقد قرا ترجمة الحكم الى العربية، فعرف ان المحكمة برات القاتلة المضبوطة



مذبحة القضاء

بآلة تنل فى يدها ، لا لان الدليل ضدها ضعيف بل لان القاتلة أوربية والقتيل مصرى ، فلم تمثل بالحكم ، ورفضت طلب الزوجة الاجنبية وكان الملك فؤاد يريد ان يحكم لها بربع التركة رغبة فى ارضاء الاجانب والمندوب السامى البريطانى ، فطلب صراحة من الشيخ طه ان يقبل دعواه فلم يمثل القاضى الشرعى الشجاع لطلب الملك وأصر على موقفه فكان ان عزله الملك من القضاء وهو بعد صغير السن وكانت امامه سنوات منتظرة فى المحكمة الشرعية ، وكان المتوقع أن يزيد معرفته اثناءها ، وان يعين رئيسا للمحكمة الشرعية .

فكانت هذه هى القضية الثانية التى تدخلت فيها السلطة بلا حياء فى قضية معروضة على القضاء الشرعى ، وفى اتجاه الظلم والعسف .

اما القضية الثالثة وهى قضية سياسية بحتة ، اسفرت فيها السلطة البريطانية عن وجهها القبيح كما لم تفعل قط من قبل .

لقد كان الحكم فى تلك القضية يهمها أعظم الاهتمام ، لقد كانت قضية زعيمين كبيرين وان كانا فى وقت القضية رجلين اقرب الى الشباب واعنى بهما الدكتور احمد ماهر والاستاذ محمود فهمى النقراشى وكلاهما تتلمذ على يد عبد اللطيف بك الصوفانى احد زعماء حزب مصطفى كامل ومحمد فريد ، اى الحزب الوطنى القديم ، ومدبر حركة العمل السياسى المباشر اى قتل الانجليز واعوانهم ، وقد تحول هذان الزعيمان من صفوف الحزب الوطنى الى صفوف الوفد ، ولما تدهور الموقف السياسى والوطنى فى مصر بعد اجهاض ثورة سنة ١٩١٩ ، راحت السلطة البريطانية تتعقب الوطنيين وتراجع ملفات القضايا السياسية القديمة ، لتسوق الذين تصدوا لها بالبندقية الى المشانق والسجون . وكان من هؤلاء الخصوم القدامى للاحتلال البريطانى ماهر والنقراشى . وعرضت قضيتهما على محكمة جنايات مصرية يراسها مستشار انجليزى اسمه « مستر كرشو » .

وكانت حالة العدالة فى مصر قد ساءت حتى أصبح من قضاة مصر أجانب منهم انجليز ومنهم فرنسيون ومنهم أرمن .

ولما انتهت المرافعة من الاتهام والدفاع عن قضية ماهر والنقراشى هذه ، ودخلت القضية فى دور المداولة من القضاة اصر المستر كرشو على وجوب الحكم على « ماهر » و « النقراشى » بالموت ، وعلى اقل تقدير على « ماهر » لثبوت الاتهام ضده ، وكان مع « المستر كرشو » مستشاران مصريان هما كامل ابراهيم بك ومصطفى عزت .. ويرفض المستشاران المصريان راى المستشار الانجليزى ، فبذل جهدا مضنيا لثنيهما أو لثنى احدهما على الاقل عن رأيه فلما لم ينجح ، نطق مضطرا بحكم البراءة ، ولكنه كتب خطاب استقالة أرسله الى المندوب السامى البريطانى يعلن فيه ان الحكم لا يتفق مع رأيه ولكنه نطق به عملا بتقاليد القضاء ، ولكنه يخرج على تقليد آخر وهو افشاء سر المداولة لان ضميره غير مستريح . وبذلك ثبت للمصريين ولغيرهم كيف كانت تتدخل السلطة التنفيذية فى أمور العدالة .

والقضية الاخيرة هى قضية سليم حسن بك وكيل مصلحة الاثار فى سنة ١٩٣٨ وكانت مصلحة الاثار تتهم دولة فرنسا بشكل دائم . اذ ان الظروف اتاحت لفرنسا بفضل كشف حجر رشيد أثناء حملة نابليون على مصر ، ان تكون وثيقة الصلة بهذه المصلحة ، فبقى رؤساؤها على وجه التواتر فرنسيين ، وبلغ من اهتمام فرنسا بهذا المنصب والاستئثار به دون غيرها من الامم أن تنص اتفاقية سنة ١٩٠٤ المعروفة بالاتفاق الودى الذى

أبرم بين فرنسا وبريطانيا لتسوية خلافات الاستعماريين الفرنسي والبريطاني في مصر والمغرب على أن منصب رئيس مصلحة الاثار المصرية من حق فرنسا . ولكن الايام جرت طويلا منذ سنة ١٩١٤ ومعها تطورات وتغيرات حتى وصل اثرى مصرى الى منصب وكيل المصلحة ، وكان سليم حسن هذا الاثرى ، مصريا صميما تنطق قسمات وجهه بمصريته وريفيته، وقد وفق الى اكتشاف الهرم الرابع من جهة ، والى وضع قواعد لتقسيم ما تسفر عنه الحفريات الاثرية في مصر وهى الحفريات التى كانت تقوم بها بعثات أجنبية بريطانية أمريكية وفرنسية والمانية وايطالية . ولما كانت مصلحة الاثار قد غزاها النفوذ الاجنبى فقد كان نصيب تلك البعثات الاجنبية من غنائم الحفريات نصيب الاسد ، وكان نصيب مصر ضئيلا ، ذلك لان مندوب مصلحة الاثار في عملية التقسيم كان دائما بمقتضى عرف غير مكتوب بين جنسية البعثة الاجنبية التى يتم الاقتسام معها ، وبذلك كان يحابيها ويحقق اغراضها ، فلما جاء سليم حسن قلب هذا النظام الظالم وأمر بان يكون ممثل مصلحة الاثار في جميع الحفريات مصريا ، وبذلك استقام الميزان وضاعت على المكتشفين الاجانب فرص النهب والسلب باسم العلم ، فحقد الاثريون الاجانب في مصلحة الاثار المصرية على « سليم حسن » وما زالوا يتربصون به الدوائر حتى اتهموه باختلاس مبالغ ضخمة من اعتمادات حفريات الهرم التى كان يديرها ويشرف عليها ، وبدأت النيابة المصرية تحقق مع سليم حسن ، وأخذ مدير المصلحة العام المسيو « دريتون » يدير الحملة على سليم حسن ، وكان « دريتون » صديقا للملك فاروق ، فانحاز الملك بكل ثقله مع الاتهام الموجه لسليم حسن ، واهتز ميزان العدالة في هذه القضية ، وكان سليم حسن أول اثرى مصرى عرفه العالم أول مستكشف بين مستكشفى آثار مصر ، يدخل السجن ، لتطيب نفوس الدوائر الاجنبية التى اضاع عليها هذا الاثرى اسلابا ذات قيمة لاتقدر بمال ولكن شاء الحظ ان يكون هناك صراع حزبى بين عنصرى الوزارة التى كانت تحكم آنذاك وهما الحزب السعدى برياسة احمد ماهر ، والحزب الدستورى برياسة الدكتور محمد محمود . وشاء الحظ ايضا ان يكون وزير المعارف والتربية ، آنذاك الدكتور هيكل وكان وزير العدل أحمد حسين دستوريا كذلك كما كان النائب العمومى يكن باشا أحمد من الدستوريين ، ولذلك استحال حبس سليم حسن وارساله الى المحكمة لحماية هؤلاء الثلاثة له في حين كان رئيس الحكومة ورئيس الديوان الملكى تقربا الى الملك ضد سليم حسن ، واستمر الشد والجذب بين الفريقين ، وتبدو مخاطر الجو مهددة لسلامة الاثرى المصرى الكبير ، لتنهار أعصابه ، ثم يبرق نور الامل ، لتستعيد هدوءه ، حتى سقطت الوزارة وتولى الوزارة الجديدة على ماهر خلف السعديين خصوم سليم حسن فايقن الرجل أن النهاية وانت، وانه ذاهب الى السجن ولكن شاء الحظ الحسن للمرة الاخيرة أن يكون وزير العدل مصطفى الشوربجى بك وهو من زعماء الحزب الوطنى القديم، وكنت أعرفه ، فذهبت اليه وحذرته من مغبة الانسياق مع مؤامرات الاجانب ، فأمر في الحال بحفظ الدعوى ، ووافق على ذلك رئيس الوزارة الجديد على باشا ماهر الذى كان يناصر سليم حسن وهو في الديوان الملكى اذ غلبت عنده دواعى المصلحة الوطنية حينما تلقى عبء الحكم وأدرك أن التاريخ سيحاسبه .

وحسمت القضية لمصلحة مصر ، بعد ان كادت هذه المصلحة تتبدد وتضيع

وكانت احدى القضايا التى يطيب فيها للسلطة التنفيذية العبث بالعدالة وسفك دمها علنا والقانون يشاهد ويسكت عقدة .

طاح النفط

وبقيت الأحلام القومية!

بقلم: عبد الرحمن شاكر

حينما وقعت هزيمة ١٩٦٧ بالجيوش العربية ، واحتلت « دولة » الكيان الصهيوني اراضي من ثلاث دول عربية هي مصر والاردن وسوريا ، ذهب المندوب « الاسرائيلي » الى مجلس الامن الذي اجتمع لمناقشة تلك الحرب وفي جعبته « مشروع » من اثنين وثلاثين بندا ، مما سماه بالتعاون الاقتصادي ، بين دولته والدول العربية التي لحقت بها الهزيمة !

سيف المعز وذهبه ، ذلك مالوحت به الصهيونية في ذلك الحين انها ليست فقط قادرة على قهر الوطن العربي في ميدان القتال، بل ايضا قادرة على تعميره بطاقاتها الاقتصادية الجبارة !

وبالطبع لم يلتفت احد في ذلك الحين ، الى ذلك المشروع الاقتصادي ولم يفكر أحد من العرب في مناقشته ، بل كان الجميع يعملون في ذلك الحين، تحت الشعار الذي أعلنه جمال عبد الناصر في اثر النكسة ، وهو البحث عن طريقة لازالة آثار العدوان، بمعنى اجلاء القوات الصهيونية عن الاراضي العربية ، التي احتلت في تلك الحرب ، وظلت تلك القضية هي موضوع مختلف المباحثات ، حتى حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، بما هو معروف عن انجاز الجيوش العربية فيها ، وما تلا ذلك من مفاوضات حول فض الاشتباك ، حتى كانت معاهدة السلام المصرية - الاسرائيلية ، التي اعتبرها صانعوها احدى « ثمار » تلك الحرب !

واليوم تعيد الدولة الصهيونية الكرة ، بعد اشتداد أزمة النفط ، وتدهور أسعاره في الاسواق العالمية ، ليذهب رئيس الوزراء الاسرائيلي شيمون بيريز الى الولايات المتحدة الامريكية ، وفي جعبته مشروع آخر ، من نوع ذلك الذي قدم في عام ١٩٦٧ ، يسميه « مشروع التعاون الاقتصادي بين دول الشرق الاوسط » ، لتلافي الآثار السلبية الناجمة عن تدهور أسعار النفط ، ويناقشه هناك مع الادارة الامريكية ، ويواصل التباحث بشأنه بعد عودته الى عاصمة

حرب اكتوبر المجيدة كانت حجر الزاوية فى ارتفاع اسعار النفط فى العالم

■ استغلال الأزمة فى محاولة بسط الهيمنة

دولته فى الارض المحتلة مع السفير الامريكى ، وقبل ذلك كان قد ناقشه مع مستشار النمسا عند زيارته لها . باعتبار النمسا واحدة من الدول الاوربية ذات الصلة الوثيقة بالعالم العربى وكثيرا ما تتيح لها مواقفها لعب دور الوسيط بين الطرفين فيما يسمى بأزمة الشرق الاوسط ·

لقد كان ارتفاع أسعار النفط بدرجة كبيرة ، ودخول العالم العربى فيما يسمى « بالحقبة النفطية » المزدهرة ، بدوره ، واحدا من آثار حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، بعدأن أثبت النفط خلال تلك الحرب ، أنه كان سلاحا ماضيا من أسلحتها ، حينما نجحت معظم الدول العربية المنتجة له فى الاتفاق على منعه عن الدول التى تساند الكيان الصهيونى فى حربه ضد العرب ، وفى مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية ، واضطرت كثير من الدول الاوربية الغربية، الى اظهار الحياد فى تلك الحرب ، والامتناع عن مناصرة الدولة الصهيونية باستثناء هولندا ، التى عوقبت هى الأخرى بقطع النفط عنها ·· وساد الفزع أرجاء أوربا والعالم الغربى من شبح انقطاع النفط وخطره على كافة نواحى الحياة المعاصرة ، من تدفئة ومواصلات وصناعات بتروكيمياتية ·· الخ ، ودار الحديث فى ذلك الحين عن العالم العربى ، باعتباره « قوة



طاح النفط

دولية ســـايسة ، حينما اســتطاع أن يوحـــد بين العمل العســكرى واستخدام قوة الضغط النفطى ، فى خوض معركة أصـــاب فيها كثيرا من النجاح ..

الدولة الصهيونية بموقفها الجديد او مشروعها « الثـــانى » للتعـــاون الاقتصادى وتوجيه رســـالة ضمنية الى العالم العربى بانه قد تمت هزيمته مره اخرى كما حدث عام ١٩٦٧ ، وأن سلاح النفط فى يده قد اصبح سلاحا مفلولا ، بل اكثر من ذلك اصبح العرب فى فترة تدهور اسعاره بحـــاجة الى القوى الاقتصـــادية الصـــهيونية فى مواجهة الآثار الاقتصـــادية المترتبـــة على هذا التدهور !

● الفرص الضائعة ●

وعـــلى طريقــــة « الكروبين » فى تعليقاتهم ، عن الفـــــرص الضائعة لتحقيق أهداف محققة ، فقد ضـــاعت على العرب فرص كثيرة فى «الحقبـــة النفطية » ، التى اعقبت حرب اكتوبر فرص استغلال مكاسب النفط الطـــائلة فى بناء الاقتصاد العربى ، وتطـــوير انتاجه الزراعى والصناعى ، بما فى ذلك صناعة السلاح ، وترقية العـــلوم فيه بما فى ذلك القضاء على الامية واكتساب علوم العصر التكنولوجية ٠ بل لقد ذهب ضياع الفرص الى حـــد لشل العالم العربى ، بكل ماتدفق عليه من أموال ، فى انعـــاش الاقتصـــاد المصرى «الذى أنهكته الحروب المتوالية، دفاعا عن القضية العربية الرئيسية ٠ قضية فلسطين ، حتى انتهى الامـــر بالحكومة المصرية التى قادت حـــرب اكتوبر ، وحققت التنسيق الرئيسى فيها مع قوى النفط العربية ، الى طلـــب التصالح مع دول العدو الصهيونى ، وانتهى الامر الى « خروجها » ممـــا يسمى بالصف العربى !

ولست أنكر أن كثيرا من أموال النفط قد استخدمت فى تطوير العمران العربى على نحو ما ، ولكن كثيرا منها أيضا، قد أهدر فى أعمـــال مظهرية لا تغنى شيئا فى مواجهة مطالب المستقبل العربى اقتصاديا وسياسيا وعسكريا ، فضلا عن كثير أهدر فى بذخ جنونى وجـــرى وراء الملذات هنا وهنـــاك ! غير أن أخطر ما فى الموضـــوع أن أنمـــاطا جديدة للاستهلاك قد نشأت فى الوطن العربى وشملت مختلف بلدانه ، طبقا للجرعة المتاحة لها من أموال النفط ، وتعتمد هذه الانماط اعتمادا اساسيا على الاستيراد من الخارج ، ومـــن الدول الصناعية الغربية على وجـــه الخصوص ، ولم تقض هذه الانمـــاط على مجرد فرص تنمية الانتاج المحلى فحسب ، بل كثيرا ما أحلت الاستيراد محل الانتاج الفعلى الذى كان قائما فيها ، ولنا من تجـــربة « الانفتـــاح الاســـتهلاكى » فى مصر بعـــد حـــرب اكتوبر ما يغـــنى عن الافاضـــة فى التفضـــيل ، ومازلنا نعـــانى آثاره حتى الآن !

ثم جاءت حرب الخـــليج ، التى أهدرت فيها الطاقات الاقتصادية لكلتا الدولتين الاســـلاميتين المتحاربتين ، وكلتاهما من دول النفط ، وفوق ذلك اضطرت بقية دول الخليج الى تخصيص الكثير من أموالها لمساندة العراق فى تلك الحرب ، الامر الذى يمثل نزيفـــا رهيبـــا لكل دول المنطقة ومواردها


جمال عبد الناصر

النفطية ، واضطرت ايران حتى تقوى على مواجهة الحرب الى زيادة انتاجها ومبيعاتها من النفط الى أقصى درجة غير مبالية بخطط «الاوبك» واتفاقاته، حتى تدهورت الاسعار وصارت الى ما صارت اليه ، وعادت «أعقل» الدول النفطية تتنافس بدورها على اغراق الاسواق بانتاجها حتى أصبح تدهور الاسعار يمثل سقوطا حقيقيا لحقبة النفط بأسرها !

● المخطط الصهيوني ●

وترقب الدول الصهيونية ما يدور فى جدل شديد ، فبدلا من ان تتوحد جهود العرب والمسلمين ، ومواردهم المالية الهائلة فى المواجهة ضدها ، ووضع حد لعربدتها فى المنطقة وعدوانها المستمر على حقوق الشعب الفلسطينى ، فضلا عن الاستمرار فى احتلال أراض سورية ولبنانية .. الخ ..

يهدر العرب والمسلمون طاقاتهم على هذا النحو على الحرب فيما بينهم . واليوم ، وقد تدهورت اسعار النفط ، وتوشك ازمته ان تمسك بخناق جميع دول المنطقة بلا استثناء ستقدم الصهيونية بمخطط جديد للهيمنة على المنطقة بأسرها .

وبالطبع ، لا تملك الدولة الصهيونيه - فى حد ذاتها - طاقات تكفى لاعادة بناء اقتصاد المنطقة وتعويضه عن خسائر النفط ، انها تعتمد فى خطتها على الولايات المتحدة الامريكية، وعلاقتها معها ، أى مع الدولة الصهيونية ، من جهة وكثير من الاقطار العربية أو معظمها من جهة أخرى . سوف تكون مهمتها هى أن تعترض ، قدر ما تستطيع العلاقة ما بين الولايات المتحدة والاقطار العربية، ويكفيها وقاحة فى هذا انها أبدت استعدادها لحث الولايات المتحدة على زيادة معونتها لمصر ! وربما كان ذلك هو عماد السيناريو « الذى سوف تمارس به مشروعها للتعاون الاقتصادى ، أن تبدى استعدادها لتلبية كل حاجة اعتاد العرب أن يطلبوها من امريكا » .

وتكون مهمة اللوبى الصهيونى فى أمريكا ، ان يكف يد الدولة الكبرى على تلبية تلك الحاجة ، الا اذا قبل طلابها ، والحاحهم عليها سوف يكون اكبر فى المستقبل ، بعد أزمة النفط ، اقول الا اذا قبلوا ، ان تحصل عليها عن طريق اسرائيل ، حتى ولو كانت أمريكية الاصل ، والارجح أو الاغلب، انها سوف تكون كذلك . منذ عدة سنوات ، وقبل ان توثق الهند علاقتها مع الاتحاد السوفييتى ، طلبت خبراء زراعيين من أمريكا ، فقيل لها هناك : اطلبيهم من اسرائيل ! وكان تعاطف الهند مع القضية العربية انذاك يمنعها ان تفعل !

● الاحلام الباقية ●

وقبل أن يأتى اليوم الذى يمد فيه

« طاح النفط

العرب ، جميعهم أو معظمهم أيديهم الى اسرائيل طلبا لمعونتها ، التى تضن أو سوف تضن بها الولايات المتحدة الا عن هذا السبيل ، فعلى العالم العربى والاسلامى والقارة الافريقية أن يعرفوا مواقع اقدامهم فى هذه الحالة التى تشبه الرمال المتحركة ، والتى توشك أن تضع مقومات وجودهم فى مهب الرياح ٠

لقد راحت السكرة وجاءت الفكرة وحان أن تزول غشاوة الثروه الطائلة عن أعين شعوب المنطقة ، والذين كانوا يمرقلون نمو الدوائر الثلاثة المترابطة ــ على نحو مافصلها جمال عبد الناصر فى كتابه عن فلسفة الثورة ، بدعوى الحرص على الامتيازات الاقليمية الخاصة ، فان تلك الامتيازات توشك أن تزول ويحل محلها ضرب من الهيمنة الاجنبية الثقيلة ، تريد الصهيونية أن تكون لها فيه نصيب الاسد أو بالاقل نصيب المتنمر المختلس من أجساد المستضعفين

ما هو الشرق الاوسط ، الذى تحاول الصهيونية الان أن تتقدم بخطط لاعادة بناء اقتصاده ، ان لم يكن هو جماع تلك الدوائر الثلاث : العربية والاسلامية والافريقية ؟ ٠

ما حاجته الى هذا الكيان العنصرى المصطنع المفروض بقوة السلاح والمتوجه بولائه الى المصالح الاجنبية دون سواها ، حتى يكون لهذه المنطقة من العالم تنظيمها الاقتصادى الجماعى على شاكلة السوق الاوربية المشتركة على الاقل ، فى عصر لا تتقدم فيه وتأمن على مستقبلها الا الكيانات الدولية الكبرى ، وحاجة هذه المنطقة الى التعاون اكبر من سواها ، ومقومات وحدتها اوفر وأوضح ، ولم تكد معظم دولها تحصل على استقلالها بعدالحرب العالمية الثانية ، الا وأوشكت انتفقده بسبب من بعثرتها وتمزقها ، وضياع مواردها الا فيما يهلكها او يهلك طائفة منها ؟ ويكفى ان العالم العربى كان يكتظ بتلك الثروة التى توشك على التبدد فى الوقت الذى كانت فيهشعوب شقيقة افريقية واسلامية يموت ابناؤها جوعا ، وفى الوقت الذى كانت مظاهر الاسراف العربى نادرة تسخر منها الصهيونية فى وسائل اعلامها الدولية، وفى الوقت الذى كان فيه أيضا كثير من الارصدة العربية فى البنوكالغربية فى اوربا والولايات المتحدة الأمريكية، تصب مباشرة فى جيوب الصهيونية العالمية ، وفى المساعدات التى تقدم الى « حاميتها » أو معسكرها الدائم فى المنطقة العربية ، بما فى ذلكالسلاح الذى تضرب به وتقتل فى أجزاء متفرقة من الوطن العربى ٠

هل يكفى ما تبقى أو سوف يتبقى من أرصدة النفط ، مع الطاقات البشرية العربية ، مع الاراضى الشاسعة الصالحة للزراعة ، ومختلف المصادر الطبيعية والخامات فى القارة الافريقية لصنع مستقبل افضل لشعوب المنطقة

نرجو ذلك ، ونعتقد ان مجلساً اقليمياً لحصر تلك الطاقات ووضع الخطط الصحيحة لاستخدام تلك الموارد ينبغى ان يقوم الان ، متجاوزا كل الخلافات والصراعاتالهزلية المفتعلة التى فرضت على شعوب المنطقة وتورطت فيها بعض حكوماتها أو قواها السياسية ٠٠ قبل فوات الاوان ، وقبل ان يقوم التوحيد والتخطيط والتنسيق على ايدى الصهيونية ، ولحسابها !

أقوال معاصرة



الشيخ جاد الحق



القذافى



ريجان

● "حول الرئيس ريجان الحرب ضد الفقر الى الحرب ضد الفقراء"

● ستيث سويتش
رئيس الجمعية الخيرية باتلانتا

● "إن العملية الأمريكية ضد ليبيا أفادت العالم بأسره"

● شيمون بيريز

● "إن الغارة الأمريكية على ليبيا . لا تزيد على ان تكون ممارسة أمريكا حق الدفاع عن النفس ؟"

● تاتشر

● "أدين باسم حركة عدم الانحياز العدوان الأمريكى على ليبيا ، إنه انتهاك للقانون الدولى وسيادة دولة مستقلة"

● راچيف غاندى

● "إن الأزهر يهيب بالحكام أن يقفوا وقفة شجاعة دفاعا عن كيانهم ووجودهم ، فالأمر ليس اعتداء على فرد وانما على شعب عربى مسلم"

● الشيخ جاد الحق على
جاد الحق شيخ الجامع الأزهر .

● "ريجان ممثل عجوز فاشل تافه"

● القذافى

● "إن القذافى عدو جيرانه فى أفريقيا ، والشعب الليبى صديق لأمريكا"

● ريجان

● "عليك أن ترى أخطاء مجتمعك ، ولكن بابتسامة ودون ايذاء"

● الممثلة جوليتا ماسينا

المتنزع على

الأشواك

بقلم: د. شكري محمد عياد

اقتصاديات جحوية

لسنا من جهابذة الاقتصاد ولا حتى تلامذته . وجحا كذلك لم يكن اقتصاديا . فلا علينا اذا تكلمنا فى الاقتصاد على المستوى الجحوى ، واذا ضحكت فهذا هو المنتظر من جحا وسيرته ، اما اذا اردت أن تغتاظ فنحن غير مسئولين .

يحكى أن جحا لقى ابا نواس ، فتشاكيا سوء الحال ، وقلة المال وكثرة العيال ، فقال جحا لابى نواس: لم أر أغنياء مثل التجار . قال ابو نواس لجحا : واين نحن من التجار والتجارة ؟ قال جحا : كل شىء يكون صغيرا فى اوله . تعرف فلانا التاجر ، صاحب الضياع والقصور لقد كان فى اول امره يبيع زلابية فى السوق . قال ابو نواس : انا لا احسن أن اقلى الزلابية . قال جحا : ولا انا . ولكننا كلينا نعرف احسن خمارين فى البلد ، وكلهم اصدقاؤنا ، ولو ذهبنا نشترى شيئا من بضاعتهم لاكرمونا فى السعر ، وربما اجلوا لنا بعضه وصحيح أن بائع الخمر ملعون مثل شاربها ، ولكن لعنة واحدة مثل الاثنتين .

قال الراوى : فاشتريا خابية نبيذ، وابريقا ، وكاسا عليها تصاوير كالذى وصفه ابو نواس فى بعض شعره ، وذلك طبعا بعد أن باع كل منهما شيئا من متاع الدار . ثم قصدا مكانا نزها لطيفا فى ضاحية من ضواحي بغداد يرتادها الفتيان والادباء الظرفاء . ووضعا بينهما خابية النبيذ وعليها الابريق والكاس ، وجلسا يتوسمان العابرين وينتظران الزبائن ومرت سويعة زمان خالها كلاهما دهرا، لشدة ما كانا يصبران نفسيهما ويصرفانهما عن افكار السوء . وكأنما تذكر جحا شيئا فتهلل وجهه وفتش فى جيوبه حتى وجد نصف درهم ، فناوله لابى نواس ، واشار الى الابريق والكاس . قال ابو نواس وقد فهم الاشارة : هذه خمرة جيدة ولا ابيعك الا نصف كاس بنصف درهم ، فأومأ جحا موافقا ، وبل ريقه بنصف كاس اما وقد انتقل نصف الدرهم الى يد ابى نواس فقد اصبح بدوره زبونا . وهكذا ظل نصف الدرهم يتنقل باليمين

والكاس تتنقل بالشـــمال ، وقد نسي الصاحبان انهما تاجـــران ناشئان وراحا يتناشدان الاشعار ، ويتذاكران الطرائف والاخبـــار ، ويسبحان في آفاق الســـعادة ، حتى نفدت خـــابية النبيذ ، وهنا تذكر ابو نواس ، فبسط راحته وصاح فرحا : انظر ياجحا ! ربحنا نصف درهم !

قالت شهرزاد : ايها الملك السعيد·· وليست هذه الحكاية باعجب من حكاية واحد من بلدنا ، كان يملك فدانا مـــن اجود الاراضي ، يكد فيـــه بالصيف والشتاء ، بالليل والنهار ، ولكنه كان يعيش منه هو وعياله الكثيرون مكتفين قانعين · ثم سمع اناسا يقولون ان التاجر يربح اضعاف ما يربحه الفلاح، فباع فدان الارض واستاجر دكانا ملاه باصناف البضائع ، وبما انه لم يكن يقرا ولا يكتب ولا يحسب ، فقد شارك كاتبا حاســـبا ســـبق له الاشتغال بالتجارة : هذا براس المال ، وهـــذا بالخبرة والشطارة · ثم ان الفـــلاح التاجر كان يجلس امام باب الدكـــان واضعا ســـاقا على ســـاق ، يدخـــن النرجيـــلة ويشرب الشاى ، ويـــدعو العابرين الى مجالسته تظاهرا بالنعمة والثراء ، وفي آخر النهار يعود الى داره محملا بالارز والدقيق والســـمن والسكر وســـائر خيرات الدكـــان ما يلزم منها وما لا يلزم ، واهل الدار يلطلطون الدقيق ويبلبطون في السمن، ولا يقولون ابدا لا · وكان كل واحـــد من ابنائه الكثيرين يـــزور الدكان في اليوم الواحد مرات ، مرة لقطعة حلوى ومرة للعبة ، ومرة لياخذ قرشا يذهب به الى المراجيح أو الى لاعب الثـــلاث ورقات ·

اما الكاتب الحاسب يا مولاى فلم يكن يعترض على شيء من هذا ، فقد كان له هو ايضا بيت وعيال · وكان له ولدان كبيران يتعلمان في المدرسة وياتيان احيانا لمســـاعدته في اعمال الدكـــان · فاما اصغرهما فلم يـــكن يعجبه الحال ، ولذلك كان يجيء فقط عندما يطلبه ابوه لفك ازمة او عـــلاج مشكلة · واما الكبير فكان كثير المرور، يزعم انه شديد الاشفاق على ابيه لكثرة اعماله ، ولكنه لا يبقى الا ريثما يتغافل



الأشـدالـ

اباه فيدس شيئا فى جيبه : بدأ بعلب الدخان ، فلما مرنت اصابعه على الخطف اصبحت تمر على الدرج فتلتقط جنيها او جنيهين ٠

وفى اثناء ذلك كان الكاتب الحاسب يذهب الى المدينة حيث التجار الكبار فيشترى شيئا من البضاعة بما يتبقى من ايراد الدكان ٠ وكان هذا المتبقى يقل مرة بعد مرة ، حتى تعود ان يشترى بالدين ٠ فلما طالت هذه الحال سئم التجار الكبار فحجزوا على الدكان وبيع كل ما وجد فيه بالمزاد حتى الرفوف ٠ فاما الفلاح الذى اصبح تاجرا فقد غدا طريح الفراش بعد ان ضربه الفالج ، وأما ابناؤه وبناته فتشردوا فى بلاد الناس ، يعملون بالاجرة فى الحقول والبيوت ٠٠ ويتحملون اصناف الهوان ٠ وأما الشريك الكاتب الحاسب فيقال انه هاجر من البلد ٠

قال بيدبا الفيلسوف لدبشليم الملك: فهذا يا مولاى مثل الشريكين اذا لم يتناصحا ٠ فان اغماض أحدهما عن عبث الاخر يحيق بكليهما ٠ قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : دعك من لعب القرود هذا ، فانه كلام لا يليق بغير كليلة ودمنة ، وهذا زمن وذاك زمن ٠ البلد حرية وفيها دستور ، فتكلم يارجل ولا تخف ٠ قال بيدبا الفيلسوف لدبشليم الملك : وعلى الامان يا مولاى؟ قالها متلعثما ، فبش الملك فى وجهه قائلا : وعليك الامان ٠

فتكلم بيدبا كلاما كثيرا نسيت معظمه ، ولكن الذى اذكره سيكون فيه مقنع ان شاء الله ٠ قال :

الشعب والحكومة شريكان فى مؤسسة أسمها الاقتصاد الوطنى ٠ الشعب هو الذى يملك كل شىء فى هذه المؤسسة ، وهو الذى يعمل ويفتح ايضا ٠ اما الحكومة فهى الشريك الذى ينظم الحسابات ، ويخطط للمستقبل ، ويقوم بدور الوسيط لتسيير الامور داخل المؤسسة ، وبينها وبين غيرها من المؤسسات٠ يحدث فى احيان كثيرة ان ينقسم الشعب قسمين : قسما يملك كل شىء ولا يعمل شيئا ، وقسما يعمل كل شىء ولا يملك شيئا ٠ هنا تنذر الحالة بالخطر ، ويخشى ان يفقد الكادحون المحرومون رشدهم ويرتكبوا اعمالا غير لائقة ، فيتدخل الشريك الثانى ـ الحكومة ـ باختصار تقوم ثورة بيضاء، وتقول الحكومة الجديدة للملاك : خلوا عنكم ٠ توزع الأرض على الفلاحين المعدمين ، وتتولى بنفسها ادارة المصانع لحساب الشعب كله ٠

الى هنا وكل شىء حسن جدا ، الحكومة حبيبة الشعب ، والشعب حبيب الحكومة ٠ الشريكان منسجمان غاية الانسجام ، ولم تعد الحكومة توجع راسها بحل الخلافات الداخلية لدى الطرف الاخر ـ الشعب ٠ ولكن مشكلات من نوع جديد تبدأ فى الظهور، وتتلخص فى ان اقتصاد الشركة اخذ يميل بالتدريج الى الشكل الجحوى فالعاملون ـ وقد اصبحوا الان ملاكا ـ احبوا الوجاهة بقدر ماكرهوا العمل ٠ واصبحت المسالة مسالة شطارة : من استطاع منهم ان يدير ظهره للمصنع ويجلس فى الطريق العام واضعا ساقا على ساق فعل ذلك ، ومن

استطاع أن يخلع بدلة الشغل ويترك موقعه أمام المكنة ليلبس قميصا ابيض ويجلس على مكتب فعل ذلك ، ومن استطاع أن يدور في الاسواق على انه عضو في لجنة المشتريات او لجنة المبيعات فعل . وأصبحت ترى الموقع من مواقع العمل وفيه كادح واحد عليه ستة ملاحظين ، وراءهم ستة عشر بين مفتشين ومحاسبين ومراجعين ، هذا عدا الرؤساء الكبار الذين يجلسون ومن يصطفونهم من العمال في غرفات فسيحة مكيفة الهواء فاخرة الاثاث ، كأنها من غرف الجنان .

لم يعد العمال الكادحون المحرومون هم عصب الحياة في الحقل والمصنع والمدينة ، أصبحوا من الناحية النظرية عمالا وملاكا في الوقت نفسه ، ولكنهم من الناحية العملية يهجرون العمل ليلتحقوا بصفوف « الادارة » اى الحكومة ، التي لم يعد عملها مقتصرا على دور المحاسب والمخطط والوسيط، بل أصبحت كل شيء في المؤسسة الاقتصادية . نام المالك عن حقوقه بوصفه مالكا ، ونسى واجباته بوصفه عاملا ، وترك مصير المؤسسة في يد المدير الذى لا يملك ولا يعمل . وهكذا أصبح المال بغير صاحب ، والعمل يسير فقط لانقاذ المظاهر .

والقاعدة الاساسية في الاقتصاد الجحوى تختلف عن قاعدة الاقتصاد الراسمالي التي تتلخص في أن القيم التبادلية لها مصدران : راس المال والعمل . فلكي تحصل على شيء من هذه القيم التبادلية ـ للغذاء والكساء الخ . ـ لابد لك من أحد هذين المصدرين على الاقل : أن تملك راس مال ، او أن تعمل . كذلك يختلف الاقتصاد الجحوى عن الاقتصاد الاشتراكي الذى يقوم على أن العمل هو المصدر الوحيد للقيمة ، ومن هنا جاءت القاعدة الذهبية في النظام الاشتراكي ـ وهي قاعدة اقتصادية وأخلاقية في الوقت نفسه ـ والقائلة بان « من لا يعمل لا ياكل » .

الاقتصاد الجحوى اقتصاد انساني : يرفض استغلالية النظام الراسمالي، كما يرفض وحشية النظام الاشتراكي . فقاعدته الذهبية هي « شيلني واشيلك »، ومع أن هذه القاعدة مرجعها في الاصل الى نظام رابع ـ هو في الحقيقة اقدم النظم الاقتصادية كلها ، وهو النظام التعاوني ـ فقد حولها الاقتصاد الجحوى الى معنى الحكمة المعروفة : « تراعيني قيراط اراعيك قيراطين » ويقال أيضا : « اشهدلي بلقمة اشهدلك برغيف » والواقع انك اذا قلت اليوم « شيلني واشيلك » فلابد أن يكون هناك اتفاق ضمني بين طرفين ضد طرف ثالث ، والغالب أن هذا الطرف الثالث هو ما يسمى «المصلحة المشتركة » .

وهكذا لم تعد الادارة الاقتصادية تحاسب العمال على كم الانتاج او جودته ، وفي مقابل ذلك أصبح العمال لا يسالون عن خطة الانتاج ولا حساب الارباح والخسائر. واذا كانت النتيجة الطبيعية لذلك هي ضعف الانتاج والهبوط الحقيقي والمستمر في دخل المؤسسة بالنسبة الى حجم العمالة وراس المال ، فان الاقتصاد الجحوى لديه وسائل خاصة في علاج هذه المشكلات ، وتقوم على ركنين : طبع كمية كافية من الاوراق المالية، وتوزيعها على العمال تحت اسم « حوافز » أو « مكافآت تشجيعية » ، أو « نصيب العمال في ارباح المؤسسة » . وبما أن العمال يعلمون حق العلم أن المؤسسة



الأشتــراكية

تخسر منذ مدة ، وتتزايد خسارتها باطراد ، فسيكون عليهم ان يتجاهلوا هذه الحقيقة وهم يمدون ايديهم لقبض « الحوافز والمكافآت الخ » ويتجاهلوا معها مجموعة اخرى من الحقائق عن مكافآت اعضاء مجلس الادارة وبدلات السفر وبدلات التمثيل الخ •

كم ان الاقتصاد الجحوى ياخذ بمبدأ اسمه « تكافؤ الفرص » ويطبقه بطريقته الانسانية السمحة • فابواب المؤسسة الاقتصادية مفتوحة للجميع الكبير والصغير ، العالم والجاهل ، الذى يعمل والذى لا يعمل • الكل داخلون خارجون لا الداخل يسال الخارج ولا الخارج يسال الداخل • معاهد العلم مفتوحة للجميع ، ابناء الاغنياء كابناء الفقراء ، رفعت المصروفات المدرسية عن كاهل الفقراء، وطبقا لمبدأ تكافؤ الفرص رفعت عن كاهل الاغنياء ايضا • الطالب المتخلف يتمتع بفرصة الرسوب مرتين وثلاث مرات حتى لا يحقد على الطالب المتفوق كل الشبان يمكنهم ان يتموا دراستهم العالية ، مع ان المدارس الابتدائية لا تكفى لجميع الاطفال • السر ان المعهد العالى يمكنه ان يحشد الف طالب فى المدرج ، ولا يمكن ذلك فى المدرسة الابتدائية • المؤسسة الاقتصادية الجحوية تسوى بين جميع الخريجين فكلهم له الحق فى ان يعمل ولو بلاعمل •• معظمهم اتيحت له الفرصة للحصول على شهادة عالية ولكن لم تتح له الفرصة لتعلم اى مهنة • يصبحون هم ايضا اعضاء فى المؤسسة الاقتصادية الجحوية التى توفر لهم وظائف ولا توفر لهم اعمالا ، ويزداد حجمها بينما تتناقص كفاءتها •يتعلمون قاعدة التعامل الجحوى : لا تحاسبنى ولا احاسبك • انت تعطينى مرتبا لا يكفى لضرورات الحياة ، وانت تعلم ذلك ، ولكنك تعلم ايضا انى اقبله راضيا لانى لا اودى عملا يستحق حتى نصف هذا المرتب ، وكلانا يعلم ذلك•

هؤلاء هم ابناء الشعب العامل الذين اصبحوا عاطلين يسيحون فى الشوارع لانهم وجدوا الوظيفة ولم يجدوا العمل وبعضهم لا يجد حتى كرسيا يجلس عليه فى المكان الذى يقال انه يعمل فيه • قلة نادرة منهم هى التى تستطيع أن تتسلل ـ كما تسلل الاباء ـ الى صفوف الادارة • الكفاءة ليست هى المؤهل المطلوب ، واذا وجدت فبالصدفة المحضة ، كما تجد فى اى مجموعة من الناس القصير والطويل ، النحيف والبدين ، الابيضانى والاسمرانى •

واذا اصبح شخص ما ، كبيرا كان او صغيرا ، منتميا الى «الادارة» فقد تغيرت حاله تغيرا كليا • ذلك انه لا ياخذ ما يعطاه ، من على باب الدكان ، ويمضى ، لقد اصبح من أهل الداخل ، داخل الدكان أو المؤسسة الاقتصادية ، يعرف ما فى الخبايا والاركان ، ويمكنه بشىء من اللباقة أن ينال ما يكفيه ويرضيه • ولكن ابناء الادارة ليسوا سواء • فمنهم الطامعون ، ومنهم الفاسدون ، وهؤلاء لا يكفيهم ما ينالونه باللباقة ، فهم يلعبون فى الدفاتر، ويعبثون بالمستندات ••وتتناقص البضاعة فى الدكان ، او فى المؤسسة الاقتصادية ، لا فرق ، فتلجا الى الاستدانة • والدين هم بالليل

وذل بالنهار ، واهم من هذا وذاك أن للدين اقساطا وفوائد ، وإذا حل موعد القسط أو الفوائد وعجز المدين عن السداد لم يستطع ستر موقفه الا بدين جديد ، ولا بد له أن ينزل على شروط الدائن مهما تكن مجحفة • ومن شروط الدائنين المعروفة أن يذهب القسم الاكبر من الدين فى شراء بضائع من الدائن بالسعر الذى يحدده ، والقسم الباقى فى دفع مرتبات « لخبراء » ياتون من بلد الدائن • وهم فى الغالب خبراء غير خبراء ، ولكنهم وسيلة ياجا اليها الدائن لاسترداد دينه قبل موعد سداده •

وهكذا يتحول الكادحون فى المؤسسة الجحوية ــ وهم قلة من الناس الطيبين لا يشعر احد بوجودها ــ الى قلة من العبيد عاملة فى « خدمة الدين » ، او فى خدمة الدائن • ويشعر خبراء المؤسسة الجحوية بالياس ، لانهم يرون اناسا اقل منهم علما وخبرة ياتون من الخارج وعليهم هالةالبلد الذى ارسلهم، فينصحون ويقترحون وربما كان فى نصائحهم واقتراحاتهم مزيد من الخراب للمؤسسة • وشيئا فشيئا يتعود خبراء المؤسسة الجحوية بلادة العقل والشعور ، ويصحو الواحد منهم ذات يوم فيجد نفسه مواجها بخيارين : اما ان ينسى علمه ويعدم ارادته ويستسلم لما يعتبره قضاء وقدرا ، واما ان يهاجر من البلد ويلحق بارض الخبراء، اسوة باولاد الادارة الاشقياء الذين خطفوا خطفتهم واختفوا ثم وردت الاخبار بانهم يعيشون فى الخارج عيشة الملوك•

هذا حال القلة من الخبراء والكادحين •• اما الكثرة الغالبة (بل المغلوبة) من ابناء المؤسسة الجحوية (فريق العمال وفريق الادارة ايضا) فهم حائرون لا يستريح لهم جنب ، ولا يطمئن بهم مقام ، يرومون الفكاك ولافكاك •

برميهم الياس والحاجة فى مطارح الذل ، ومنازل الهوان ، او يروضون انفسهم على القناعة بما هم فيه، ويمنونها بفرج ياتى من عند الله ، او يفرون من الداخل الى الخارج حينما ، ومن الخارج الى الداخل حينا ، فيكون حالهم يا مولاى ــ هكذا يقول بيدبا ان كنت قد نسيت ايها القارىء الكريم ــ كحال تلك السمكة الحمقاء التى حدثتك بقصتها من قبل ، والتى لم تزل فى اقبال وادبار حتى صيدت •

قال بيدبا : هذا يا مولاى هو المعنى الخبىء فى حكاية جحا وصاحب النواسى وفى قصة تلك الفتاة الماكرة شهرزاد • وقد بلغنى يا مولاى أن جماعة من المتعصبين اخذوا يطاردون هذه الفتاة ويرمونها باشنع التهم، مع انها تفضلهم جميعا لانها ملكت امرها ساعة الهول ، فلم يطر عقلها شعاعا وهى تعلم ان القتل يتربص لها عند الصباح، بل استنفرت ذكاءها وخيالها ليلة بعد ليلة حتى كسبت الحياة ، وكسبت الملك ، وكسبت الخلود !

هذا ما وعيته من حديث بيدبا • وقد خطر لى ــ بعد ان انصرفنا من حضرة الملك ــ ان اساله عن كينز ، وكارل ماركس ، وادم سمث • واذا به لم يسمع بواحد من هذه الاسماء • قلت: فمن اين لك هذا الذى زعمته عن الراسمالية والاشتراكية والتعاونية ايضا ؟ قال : يابنى ، هذه المذاهب قديمة قدم الانسان ، والمذهب الجحوى كذلك ، وهو ايسرها ماخذا ، واسوءها عاقبة • فاذا رجعت الى قومك فلا تنس ان تحدثهم بهذا الحديث •



هذه الصكوك

اترى لماذا كان القــدر محتــرما ؟لانه مكتوب ، واين ؟ على الجبين •
واذا كانت الكلمة المنطوقة تتبخــر في الهواء مع الزفير ، فان الـــكلمة المكتوبة تقييد وتسجيل وبقاء وخلـــود
وقد ترتفع قيمتها عند الشــعوب البدائية الى أعلى الدرجـــــات ، فتعتبرها ـ وحدها ـ برهان الصدق •
لست ادرى هل انا صادق أم واهم ، اذا قلت : ان الانسان ـ فيما يخيــل الى ـ اقــدر على الكذب ، اذا كتب اذ يكون قادرا على ان يتصيد بعناية، ما يشاء من الـــكلمات ، ويدس بين السطور ما لا يريد الافصاح عنه وفى نطاق العلاقات الدولية الامثــلة التى احتكم اليها •
فى ذاكرتى نص الضمان الـــذى قدمته انجلترا الى بولندا قبيل الحرب العالمية الثانية لكى يطمئنها الى انها لن تقف وحدها فى حالة اعتداء روسيا •
يقول الضمان : اذا وقع اعتــــداء خارجى بدون استفزاز ، وهبت بولندا تحشد كل قواها لصده فان انجلتــرا حينئذ تنظر فى اتخاذ ما يلزم لمساعدة بولندا •• فانظر كم فى هذا الصك من شروط مدسوسة بين السطور •
أولا : ان يكون الاعتداء من اجنبى، فاذا قامت ثورة داخلية قلبت الحكومة فان انجلترا بريئة الذمة •
ثانيا : الا يكـــون الاعتـــــداء استفزازيا • فاذا قامت بولندا بـــأى حركة أو مسعى يضر بروسيـــا فـــان انجلترا بريئة الذمة •
ثالثا : ان تبذل بولندا كل قواتهـــا لرد الاعتداء فاذا بذلت أربعة أخماسه فان انجلترا بريئة الذمة •
رابعا : وانظر الى كلمة حينئذ فهل هى تعنى فورا •• ام بعد أيام •• أم بعد أسابيع أم بعد شهور •

خامسا : ان التعهد هو ان تعمد انجلترا الى النظر لا الى الفصل المباشر والحكم الوحيد على توفر هذه الشروط منفردا أو جميعا هى انجلترا وحدها .

وبراعة صياغة مثل هذه الصكوك قد تنفرد بها انجلترا دون سائر الدول وهى متوارثة .. فانظر فى نص قرار ٢٤٢ الشهير الذى كتبه اللورد « كارنجتون » فانه قال ، جلاء اسرائيل عن اراض بالتنكير لا عن الاراضى ـ بالتعريف وهو فى الحقيقة يقصد أن الباب مفتوح لتسوية يتنازل فيها العرب عن بعض اراضيهم ثم يقول كارنجتون حينئذ : انها ليست سلبا للاراضى بل مجرد تعديل حدود لدواع جغرافية أو قبلية .. فى حين ان صدر هذا القرار ينص على تحريم سلب دولة لاراضى دولة أخرى بالقوة اى انه قرار يضاد عجزه صدره .

ثم انظر الى البراعة والنفاق فى صياغة وعد بلفور ، فان انجلترا لم تعد الا بالنظر بعين العطف على مشروع اقامة الوطن الاسرائيلى فى فلسطين ، ولكنها حققت لها اهم نصر ، لانها اشترطت ، وهى لا تملك حق هذا الشرط الا يمس التصريح بوضع اليهود فى البلاد الاخرى ، حيث يتمتع كل يهودى بوضع جوازى سفر فى جيبه ، واحد باسم البلد الذى يقيم فيه وواحد عليه نجمة اسرائيل ، وفى نظرى أن هذا النصر يعادل نصر اسرائيل فى الحصول على اعتراف بها دون ان ترسم لها حدودا تقف عندها ولا تتجاوزها .

ثم انظر الى محاولة الوعد استنامة العرب فى فلسطين الى ان هذا الوعد لن يضرهم .

كل هذا ينطبق عليه براعة انجلترا فى امساك العصا من الوسط .

وما قيمة الصك فى العلاقات الدولية فى نهاية الامر .. لقد وقف « بيتمان هولفيج » مستشار المانيا . قبل الحروب العالمية يعلن فى «الريشستاغ» ان المعاهدة الدولية التى وقعتها بلاده لضمان حياد بلجيكا ماهى الا قصاصة ورق وكانت الجيوش الالمانية قد دخلت بلجيكا فعلا وقد مزق النحاس باشا معاهدة سنة ١٩٣٦ م ، وفرحنا نحن عشاق اللغة العربية لا لهذا الالغاء وحده بل لان « لطفى السيد » استحدث لنا تعليلا اعجبنا به كل الاعجاب اذ قال : انها اصبحت غير ذات موضوع .

ومع ذلك فاننا نصر على أن نستحوذ من الخصم على صك يمهره بامضائه كم من الوقت أضعناه ، ونحن نسعى بكل جهد على ان نستصدر من انجلترا اعترافا مكتوبا بأن ملك مصر هو ملك مصر والسودان ، ويعلم الجميع اننا حتى لو حصلنا على هذا الصك فان السلطة والنفوذ ، والتصرف كل ذلك باق فى يد سردار الجيش المصرى وحاكم السودان وهو انجليزى ولن يتغير شىء بعد صدور هذا الصك .

ومازلنا الى اليوم نصر قبل ان ندخل جلسة المفاوضات أن يكون فى يدنا صك مكتوب صادر من الخصم .

رسالة أمريكا
من
مصطفى نبيل

الظاهرة الأمريكية وتفجير الطاقة البشرية

عندما تزور الولايات المتحدة الأمريكية لأول مرة . تنتقل الى النصف الأخر من الكرة الأرضية ، وتطارد الضياء ، في الطريق اليها تؤخر ساعتك سبع ساعات ، وربما تفقد توازنك عندما ترتبك مواعيد نومك وطعامك . !

فزيارة امريكا مغامرة غير مأمونة ، زيارة لمجتمع يزعم انه قادر على تغيير كل شيء حتى الوقائع ذاتها .. الى مجتمع يتطلع الى تجربته كل سكان العالم ، بعد ان شهد تطبيق احدث ماتوصل اليه العلم ..

واذا حاولت تلخيص انطباعاتي وملاحظاتي ، قلت إنها قارة ضخمة تزخر بالصور المتعاكسة ، وكلما تنقلت بين مدنها أرصد تلك الصور ..

فوجئت لدى زيارتي نادى العلماء في واشنطن ـ كوزمو كلوب ـ الذى يضم صفوة من العلماء ويضم كل من حاز جائزة نوبل في العالم والقائم في قصر فورستال

وزير الدفاع الأمريكى السابق ، أذهلنى التحذير الذى يحظر على النساء الصعود الى المبنى ! .

هذا رغم أن الولايات المتحدة هى أولى دول العالم التى تطبق المساواة بين الرجل والمرأة ، والتى شهدت مايمكن أن تطلق عليه ثورة النساء الثانية ، والتى ألغت الألقاب التى تبين هل الفتاة سيدة أو أنسة .!

ومازالت هذه الحركة نشطة فى كل المدن الأمريكية ومازالت قائمة ايضا اليافطة التى تفترض انه لايوجد بين النساء عالمات .!!

وتتلاحق الصور فترى العلم والخرافة

مجتمع استهلاكى ضخم مولع بالتغيير ويحتفى بكل جديد ..

الظاهرة الأمريكيّة

جنبا الى جنب ، فهذا المجتمع الذى يخضع كل شىء فيه للعقل وحساباته الدقيقة ، تنتشر فيه الخرافة ، والسحر والشعوذة وصور اللامعقول !

ترى كتب السحر والشعوذة مع دراسات علوم المستقبل جنبا الى جنب ، فهل امتزاج العلم بالخرافة ، هو انعكاس لظاهرة أخرى ؟ ، فالمجتمع الأمريكى هو أكثر المجتمعات المادية ، الربح والنجاح هما القيمة والمقياس والمحرك ، نجد ساسته يزعمون أن الولايات المتحدة هى حاملة الرسالة الروحية فى العالم كله .!

وكيف يتوافق وجود الخرافة مع شيوع المعرفة وتنظيمها ؟

فأجمل مبنى شاهدته في واشنطن ، هو مبنى مكتبة الكونجرس الأمريكى التى تقدم لروادها تسهيلات لانظير لها ، ولمكتبة الكونجرس مثلا مكتب إقليمى فى القاهرة ، يمدها بالكتب الجديدة والمخطوطات والكتب التى نفدت ، وتضم حتى منشورات الاحزاب السرية العربية وتعد لأعضاء الكونجرس الدراسات والأبحاث التى يطلبونها ..

● القانون والجريمة ●

وتتلاحق الصور ..

ترى أرقى مراكز البحث وأقوى عصابات الجريمة ، ففى الوقت الذى ترصد فيه المؤسسات والشركات مبالغ ضخمة للبحث والعمل على تطوير المنتجات المختلفة يدهشك تلك التحذيرات الرسمية التى تلاحقك وتنصح بعدم السير وحيدا فى بعض الأحياء وعدم حمل الكثير من الأموال . وأن تحمل القليل منها وأن تعطيه لمن يهاجمك ، بعد ان كشفت التجارب ، أن المهاجم غالبا مايكون من المدمنين ، إذا لم يعثر مع الضحية على الأموال فربما يهاجمه بطعنة خنجر أو طلقة مسدس !..

وهو مالاتصادفه فى معظم دول العالم .

وتفتقد الشعور بالأمان فى بعض أحياء المدن الكبيرة رغم القوة الكبيرة لأجهزة الشرطة ..

ومازلنا نذكر ماوقع فى نيويورك من عمليات نهب وسرقة عندما انقطعت عنها الكهرباء ..

فكيف يجتمع احترام القانون ، وتقدم الأجهزة العلمية فى اكتشاف الجريمة وملاحقتها ، مع هذه الصورة التى يلمسها كل من يزور الولايات المتحدة .؟!

واى شقة واسعة ، بين متعة تلك الليالى التى تقضيها مع البالية أو الموسيقى أو المسرح وصور الفنون الرفيعة المختلفة ، أو متنقلا بين قاعات العرض تشاهد الفنون التشكيلية بمدارسها وأجيالها وبين مايقدم من خلاعة فى علب الليل ، والذى لاتقدم عروضه على استحياء ، بل له مؤيدوه ومتاحفه ، ومن الأمثلة الصارخة التى شاهدتها ذلك المتحف الذى أقيم فى سان فرانسسكو والذى يخلد أول راقصة تخلع ملابسها قطعة قطعة وهو ما انتقل منها الى علب الليل فى العديد من المدن .. وتكتشف

هناك أن هذا النوع من الرقص ماهو سوى اختراع امريكى . !

● اقــــوى دولـــة واقصـرها عمرا ! ●

أمريكا واحدة من أقوى دول العالم المعاصر .. هى أقصر المجتمعات البشرية عمرا .. يثير إعجابك ناطحات السحاب والمطارات التى تنتشر فى كل المدن الأمريكية تنساب منها الحركة وتجذب الولايات المتحدة الامـريكية الخبراء والعقول من كل أنحاء العالم وتشاهد أوسع شبكات المعلومات ، تتذكر أن اكثر المجتمعات تقدما فى العلوم والمخترعات وصاحب أهم نظريات الادارة والانتاج هو اقصر المجتمعات الانسانية عمرا ، لاتزيد عمره على مائتين وعشرة أعوام .

كيف يجتمع لهذا المجتمع مراكز البحث التى تضم هذا الجيش الجرار من الخبـراء ومايعيشـه من ثورة المعلومات وما يقدمه لصانع القرار من معلومات وبدائل . وهذا الذى تقوم به الولايات المتحدة من حماقات فى الكثير من مناطق العالم ، والتى تصيب سياستها العالم بالتمزق وتقترب به من حافة الحرب ، وكيف يتفق وجود الخبراء مع تصورها انها بوليس العالم ، من حقه التدخل فى شئون دولة متجاهلين المنظمات الدولية والقانون الدولى وكأنهم قد حصلوا على صك الهى بذلك ..؟!

الأن اصحاب القرار فى المجتمع الأمـريكى ليسوا الخبـراء ولكنهم



مكتبة الكونجرس من الداخل

جماعات المصالح وقوى الضغط فى المجتمع الأمريكى .؟!

● الغنـى والفقـر ●

وكيف يتفق أن تكون الولايات المتحدة بلد الثروات الضخمة ، والتى تفوق ميزانية بعض شركاتها ميزانية بعض الدول مع استمرار صور الفقر بها .؟

رموز هذا المجتمع وأبطاله هم رجال الأعمال والصناعة ، وليسوا الجنرالات ولا الملوك والعلاقة بين رجال الأعمال ورجال



الظاهرة الأمريكيّة

السياسة متداخلة ، والشعار الذى يتردد دائما ، إن مصالح جنرال اليكتريك أو فورد فى مصالح الولايات المتحدة ذاتها ، لذا توضع تماثيل رجال الأعمال فى الساحات والحدائق ، وليس كما تحتفى فرنسا بالقادة السياسيين والفنانين والكتاب ، ولابريطانيا التى تحتفى بقادة البحرية والمستكشفين والقادة الذين قامت على أكتافهم الامبراطورية البريطانية ..

ورغم هذا الغنى والثراء ، فيا ويل العاجز بدنيا أو نفسيا على ملاحقة وتيرة الحياة الأمريكية والتوافق معها ، فكما ترى العمل الدائب بلا كلل ولا ملل فى

تلحظ انفجار المجتمع الأمريكى فى كل مكان



مواقع الانتاج المختلفة ترى القوى الهامشية التى تعيش حول المدن الكبرى ينتشر بين سكانها الادمان والجريمة

وعندما قامت حملة واسعة لجمع التبرعات من أجل الجفاف فى أفريقيا ، ارتفعت الأصوات تطالب بحملة مشابهة من اجل فقراء امريكا .!

وتضم هذه القوى الهامشية ، الزنوج والهنود الحمر وبعض الأقليات العنصرية الأخرى ومازال الهنود الحمر يعيشون فى المعازل ولاتقدم اليهم الخدمات العامة التى تقدم للمواطن الأمريكى ، بحجة أنهم لم يطلبوا ذلك .!

ورغم المساواة القائمة بين المواطنين بحكم القانون ، ورغم أن ركيزة المجتمع هى الحرية والمساواة ، فمازال الحس العنصرى عميقا فى المجتمع الأمريكى ، وإذا كان الزنوج يحتلون أعلى المناصب فالأسود فى الجنوب هو آخر من يتم تعيينه وأول من يتم الاستغناء عنه ، وتلحظ صور الاستعلاء العنصرى رغم وجود هيئة قضائية يعرض عليها شكوى اى جماعة تواجه الاضطهاد بسبب اللون أو الجنس أو العقيدة !

● فى تغير دائم ●

ورغم هذه الصور المتناقضة يمضى المجتمع الأمريكى ، يحقق كل يوم إنجازا علميا جديدا ، وهو أول مجتمع يحقق الثورة التكنولوجية وثورة الاتصال ويعيش ثورة المعلومات ، كل ذلك يتم فى قارة كاملة ، كل شىء فيها ضخم ومتعدد ومتنوع الجوانب ، وهى بلد فى حالة تغير دائم وحركة سريعة ، وليست بلدا تم تشكيله واتخذ طابعا مستقرا ..

كيف تتعايش هذه المتناقضات ؟

هذا هو اللغز الذى اخذت احاول تفسيره ، كما اخذت أحاول تلمس القواعد التى تحكم أمريكا ..

فهل نجد التفسير فى التاريخ الأمريكى ، الذى شكل الشخصية الأمريكية ..؟ أم فى طبيعة المجتمع الأمريكى كمجتمع قام على الهجرة وجذب اليه الثقافات المختلفة والتجارب الانسانية المتعددة ، وإلى أى حد اثرت بصمات هذه النشأة على فلسفة وطرق حياته ..؟

قام المجتمع الأمريكى على المهاجرين من شمال أوربا ، فى فترة كانت فيها أوربا تموج بالأفكار الجديدة بعد أن عصفت بالعالم القديم ورموزه الثورة الفرنسية والثورة الصناعية ، وكان الشاطىء الشرقى المواجه لأوربا هو محطتهم الأولى وانطلقوا الى قارة بكر شاسعة غنية بالمياه والمواد الأولية ، بعد أن ضاق بهم عالمهم القديم ، وتقطعت صلتهم بموطنهم الأصلى ، ويتميز المهاجرون بأنهم أنشط عناصر المجتمع . واكثره شبابا ، والأقدر على المخاطرة ومواجهة المجهول . يشمل المهاجرون الثوار والحالمين والمغامرين ، والباحثين عن فرص ضاعت ، ويأملون فى تحقيقها فى عالم جديد ويسعون الى الافلات من أسر الضغوط الفكرية أو العنصرية أو الدينية .

وأتيح لهم تطبيق أفكارهم دون عقبات تضعها قيم سائدة أو مؤسسات تقليدية مسيطرة .

وكان أمام تنفيذ هذه الأحلام الأهوال والعقبات ، فوجد المهاجرون أنفسهم على ساحل تكتنفه غابات كثيفة ، لايعلمون ماتخفيه أدغالها ، وأمامهم البرارى الموحشة ، وبدأت القصة الحقيقية لسيطرة الرجل الأبيض ، والتى قامت على افناء الهنود الحمر ، وتأكد فى هذا المجتمع أن البقاء للأقوى ، وتدور العجلة وتدوس على الضعيف الذى يسد الطريق أمام الرجل الأبيض القادم من بعيد ..

وبدأ الاتجاه الى الغرب ، والسعى الى آفاق جديدة ، ولايهم الثمن ولا الوسيلة ، وانقلب المهاجرون الوافدون من مظلومين الى ظالمين ، يحكم عليهم بمعيار النتائج وحدها ، ونشأ المجتمع الجديد على قانون سرعة إطلاق النار ، وبرر ذلك الشاعر الأمريكى والت وايتمان بقوله : « لم نعش أهوال الماضى ، ولم تعبر المحيط ، ونأتى الى هنا .. لنتوقف !. »

● أضخم مجتمع استهلاكى ●

واستمرت الولايات المتحدة تقوم على العناصر المهاجرة . ولم يتجاوز عدد سكانها عند الاستقلال خمسة ملايين نسمة منهم ثلاثة أرباع مليون من الزنوج يشكلون قوة العمل بها ، واستمرت ظاهرة الهجرة ووصل اليها فى الفترة مابين ١٨٠٠ و ١٩٠٠ خمسون مليون نسمة ، واستمرت الهجرة حتى وضع قانون يحد منها عام ١٩٥٢ ، وبقيت مركز جذب للعلماء والقادرين من كل أنحاء العالم ، وانتقلت قيادة العالم الغربى اليها بعد الحرب العالمية الثانية فقادت تطوره فى كافة المجالات ، وأقامت أضخم مجتمع استهلاكى بعد أن طبقت الرأسمالية فى ظروف مواتية مع وفرة مواردها ، ولم يكن أمام الفرد سوى أن يعمل وينتج ويبتكر ويثرى ، ومع كل اكتشاف جديد تتغير صور الحياة والمجتمع الأمريكى يتغير ويتخلق ويتشكل ..

الظاهرة الأمريكية

وكان من المنطقى أن يسود المجتمع الأمريكى الفلسفة البراجماتية التى تتفق مع احتياجاته ، وتقوم على أساس ان اهمية الافكار تظهر من خلال نتائجها العملية . واصبحت الحقيقة عندهم فرضا قابلا للاختيار ، لافرق بين الخطأ والصواب بالمعايير الاخلاقية او التاريخية أو الدينية فللنجاح قيمة وحيدة تنبع منه ، وله مقياس هو عدد الدولارات التى يمكن كسبها ، ومن يحقق هذا النجاح يملك الحق والعدل والقانون ، ويبقى للفاشلين الانين والشكوى ..

ورأينا الولايات المتحدة تضم الكثير من الأراضى عن طريق الغزو أحيانا والشراء أحيانا اخرى ، وتم شراء ولاية لويزيانا من اسبانيا لقاء ستين مليون فرنك . كما تم شراء فلوريدا من اسبانيا بمبلغ خمسة ملايين دولار ، واستولت على كل من تكساس وكاليفورنيا من المكسيك بعد قتال انتهى باعتراف المكسيك للولايات المتحدة بملكية تكساس وكاليفورنيا ونيومكسيكو مقابل ١٥ مليون دولار ، كما تم شراء الاسكا من روسيا !

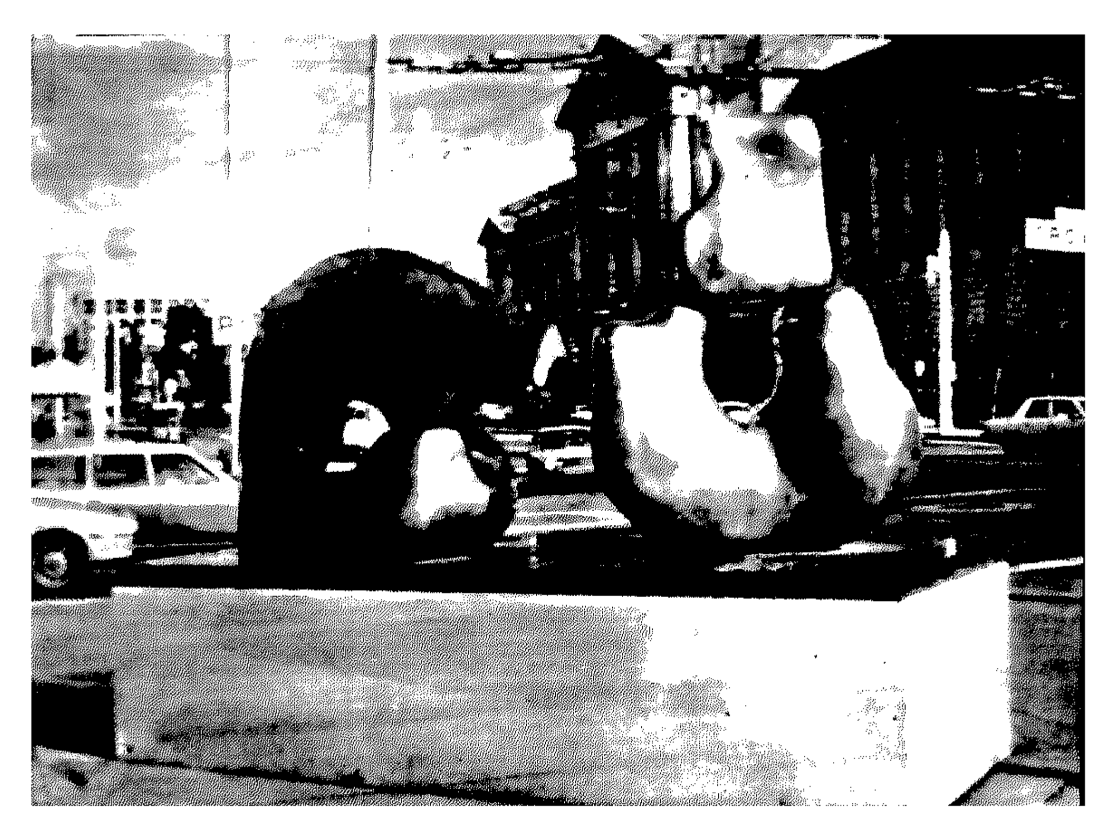
وحق للمؤرخين الأمريكيين – وهى بلد بلا تاريخ – أن يعتبروا الحقائق التاريخية ، مسألة نسبية لكل جيل من الأجيال أن يحددها .!

وغدا حلم الأمريكى يتركز فى ارتياد الآفاق الجديدة ، وتتراوح هذه الآفاق بين الاختراعات والابتكارات واقتفاء لأثر الآباء المؤسسين ، وأية مبادرة أخرى فحلم الكاتب فكرة جديدة تحقق له اعلى أرقام التوزيع وحلم العامل الوصول الى وسيلة جديدة لزيادة الانتاج ، وتصل الى ابتكار نوع جديد من الكوكاكولا لاتؤدى الى السمنة أو طراز جديد من البلوجينز ، وحتى الابتكارات المذهلة فى وسائل الطب والعلاج ، وعلى الفور يتغير من حول صاحب الابتكار كل شىء وينتقل الى أصحاب الملايين ..

فكل مافى المجتمع يساعد على تفجير طاقة الابداع والمبادرة وتفجرت الطاقة الانسانية كما تنفجر الطاقة النووية ، حتى أصبح الكشف والاختراع والريادة سمة مميزة للظاهرة الأمريكية ..

يعيش الانسان فى المجتمع الأمريكى على نحو ليس له نظير بعد أن أصبحت الولايات المتحدة اكبر سوق استهلاكية ، واصبح السائد فيه « لاتجعل الناس يشترون مايرغبون ، بل ماتريد لهم أن يشتروه ! » ومع تدفق السلع الاستهلاكية يأتى حب التغيير ، والسعى الى التبديل والتجديد ، ولم تعد المسألة مجموعة من السلع ، وإنما مجموعة من القيم تتشكل مع طبيعة السوق والقدرة على الشراء ، وأصبح هذا النمط هو النموذج الذى يجذب المستهلكين فى الكثير من دول العالم وقامت السينما والمسلسلات الأمريكية بنشر إنماط الاستهلاك والقيم التى وراءها فى بلاد مازالت فى مرحلة النمو ..

وإذا كانت السوق والدخول الأمريكية تجرب كل جديد فما أخطر ذلك على الدول حديثة الاستقلال والتى تتطلع الى التنمية ، والتى لاتتحمل مثل هذا الترف ، وحيث يتمكن لأنماط الاستهلاك الامريكية أن تسد الطرق أمام كل محاولات التنمية والتحديث ..



تشكيل فى الفراغ أمام المسرح فى سان فرانسسكو ..

والمؤكد أن الظاهرة الأمريكية لها ظروفها الخاصة ، وانها غير قابلة للتكرار خاصة عندما يقتصر النقل منها على النهايات ، متجاهلين ذلك الجهد السابق على الانتاج

● حلم أم كابوس ●

وإذا كانت هذه هى انطباعات سريعة لزائر لأول مرة ، فماذا يقول الأمريكيون أنفسهم ..؟

هناك أصوات ترتفع فى المجتمع الأمريكى ، مازالت تحلم بالعودة الى بساطة الحياة ، وتتوق الى البرارى وتدرك مخاطر الفلسفة البراجماتية ، وتجد فى صور الفن المختلفة أدوات التعبير عن همومها ، عبر عن ذلك الكاتب الأمريكى ليندر ستوكنج فى رواية بطلها رجل تجرى فى عروقه الدماء الهندية والبيضاء ، ينتمى الى الطبقات الدنيا فى المجتمع ، وهو عاشق للطبيعة ويجد نفسه مقيدا بقوانين المجتمع الأمريكى ويسعى الى التحرر ، ويتجه الى احضان الطبيعة وينطلق الى آخر الآفاق غربا ، ولكنه يصل فى نهاية الرحلة الى البرارى رجلا كهلا يصدمه شبح غروب الشمس .!

ولعل مسرحية « الحلم الأمريكى » لادوارد البى تعبر عن كيفية تحول الحلم الأمريكى الى كابوس عندما تكشف المسرحية تبنى القيم الزائفة التى حلت محل كل القيم الأصيلة . وتدين الادعاء والتفاخر وتتناول الحلم الأمريكى فى مجتمع نظيف متقدم هو قمة ماوصل اليه الانسان من مدنية ، وقد تحول هذا الحلم الى خواء ، جسد بلا قلب ، وقوة بلا شعور وجنس بلا حب !!

فالتجربة الامريكية تثبت حتى الآن :

انها نجاح تكتيك واستراتيجية فاشلة .. هذا ماستكشفه الأيام .

وقفة أمام الأرز

شعر: سليم الرافعي

بيروت

رجال قضوا ورجال بكوا
بسفحك يا اخضر الميسم
وانت حكيم حزين الذرا
تجملت بالثلج في مأتم
جذورك غاصت بمستنقع
وتلك الجذوع بمن تحتمي ؟
راوك مع الشمس أم لم يروا
سوى الفحم في ذهب المنجم ؟
على الارض زيتونة درة
تضيء .. وعاصرها قد عمي
تهاتوا الى الكهف في موكب
سلام على الموكب المرتمي
اتاسي لنا يا ابانا .. وقد
سقيت كئوس عقار الدم ؟
كانت تذكر (فينيقيا)
ومارد اسطولها المعلم
على الموج يجري بحيتانه
و (صيدون) تهتف ملء الفم
الى وعد (قرطاجة) ياله
نداء النبوة من ملهم
اهازيج فتح على مائج
اشم يزمجر كالضيغم
وقيل : هو البحر .. لكنه
بحيرة (بعل) (١) على ادهم
تحاذر ((روما)) محاذاته
وجبارها صيد في مغنم

---

(١) ((بعل)) اله فينيقيا القديمة

ريشة : مصطفى الرزاز

بنينا (اوربة) فى عـــالم
على البعد والقرب لم تحجـم
وكان مجــاهل مرصـــودة
لآلهــة الرعب والطلســم
من الشرق والغرب لم يلتبس
على الحرف فى نسق محـكم
ابانا ! تذكر .. ولا تبكنــا
ولا تبكهم .. نحن لم نهـزم
لعشر مــنين شياطيننــا
افاقت باسطولها المجــــرم
تعيد الحضـارة اسـطورة
الى الحوت مبتلع الانجـــم
وتلعق (بيروت) فى مشرب
وتنهش (صيدون) فى مطعم
هو الفتح مرتهنـــا للعـدا
بعـار الجمـاجم والاعظـم
آتســـكرهم كـرمة اينعت
بلؤم الطبيعـــة من مكرم ؟
ترفق بنا يـــا ابانا .. ولا
تظن بنـا السوء من مأثـم
معاذ النهى ومعــاذ الحجى
لمبتـــكر الوحش اذ ينتمى
ترقى الى الخلف فى علمـــه
كأن العقـــــائد لم تعـلم
هى الســـكر فى قدح فارغ
هى الشـوق للظما المبهـــم
اليس التناقض من طينـــة
شذى الزهر فى جيرة العلقم؟



كتاب الهلال
يقدم :
سلام على النبى وصحابته
بقلم : مصطفى بهجت بدوى
يصدر ٥ مايو ١٩٨٦
روايات الهلال
تقدم
رسائل قاضى أشبيلية
بقلم : ألفريد فرج
تصدر فى ١٥ مايو ١٩٨٦

لغز جزيرة العبيد

كيف خرج العبيد من جزيرة جوريه إلى العالم ؟

تحقيق : ساميه عباس

كان للاستعمار دور وحشى ولاإنسانى فى تجارة الرقيق واستباحة النساء واغتصابهن .

وفى قارة افريقيا تقف جزيرة « جوريه ريديه » بالسنغال ، شاهدا على القسوة التى تعرض لها أبناء القارة السوداء ، فقد دلت الاحصائيات على أن الرقيق من الأفارقة الذين اختطفوا بلغ عددهم ٨٠ مليونا خلال قرن من الزمان !

وهذه الجزيرة شاهد حى على الدور الذى تعرض له الانسان الافريقى من أدعياء المدنية والتحرر !

● جوريه أو جزيرة « العبيد » التى تجسد مأساة الظلم والقهر الاستعمارى



لغز جزيرة العبيد

ان التاريخ يذكر لنا أن البرتغاليين وقعوا عقودا مع الاسبان تبيح لهم توريد مائة وخمسين الف عبد سنويا الى المزارع الاسبانية ومزارع القصب والبن البرتغالية في البرازيل مما دفع الكاتب الفرنسي الشهير « برناردان سان بيير » الى القول :

« لقد كانت سعادة أوربا في الحصول على السكر والقهوة ـ القصب والبن ـ لكن توفير هذه السعادة للاوربيين استلزم تعاسة قارتين ، اولاهما امريكا التي استلزم الامر خلاءها من السكان الاصليين ـ الهنود الحمر ـ لايجاد الارض اللازمة لزراعة البن والقصب ، وثانيتهما افريقيا لحاجة الارض المقتصبة الى سواعد الزنوج القوية لزراعتها !! »

ولنا ان نتصور النزيف البشرى الذي تعرضت له قارتنا على ايدى المستعمرين من برتغاليين وهولنديين وفرنسيين وانجليز اذ بلغ عدد الافارقة الذين اختطفوا وارسلوا الى الدنيا الجديدة للعمل كعبيد قرابة ثمانين مليونا فيما بين الاعوام ١٦٨٠ و ١٧٨٦ ٠

وليس أدل على بشاعة ما فعله البرتغاليون فى افريقيا من ان عدد العبيد من الافارقة فى البرتغال عند نهاية الربع الاول من القرن السادس عشر كان يفوق عدد المواطنين البرتغاليين ٠

● صعوبة الحياة بالجزيرة ●

تبلغ مساحة جزيرة جورية وقد كانت خالية من السكان عندما وصل اليها البرتغاليون عام ١٤٤٤ خلال احدى جولاتهم الاستكشافية للسواحل الافريقية والتى تحولت الى وسيلة للسلب والنهب ٠

كانت الجزيرة خالية لان قبائل الولوف ـ غالبية سكان غرب افريقيا فى ذلك الوقت رأوا استحالة العيش فى الجزيرة لصعوبة ارضها وعدم توفر الماء اللازم لزراعتها ٠ اما البرتغاليون فقد وجدوا فيها قلعة طبيعية حيث ان الشكل المقوس للجزيرة قد حمى سفنهم من الامواج الصاخبة ، ووفر لهم شاطئا هادئا يمكنهم من تفريغ البضائع بسهولة ، كما ان الموقع المعزول وسط المحيط الاطلنطى يضمن لهم عدم هجوم الوطنيين ، ويؤمن لهم استحالة هروب العبيد منها ٠

لكن هذا الموقع بمزاياه تلك زاد من مطامع الاوربيين تجاه الجزيرة ٠ مما جعلها تشهد معارك مستمرة لاحتلالها وخاصة نمو وازدهار تجارة العبيد حتى انه طوال قرنين من الزمان شهدت الجزيرة معارك مستمرة بين المحتلين بعضهم البعض ، فقد كان المستعمر الجديد يصل بسفنه الى الجزيرة ويضرب بمدافعه القلاع والمنشآت الخاصة بالمحتل السابق ثم يبدأ فى بناء قلاعه ٠ وتوافد على الجزيرة بهذه الصورة البرتغاليون والهولنديون والانجليز والفرنسيون ٠

وقد اطلق الهولنديون على الجزيرة اسم « جورية ريدية » ، وهى تعنى « المرسى الجيد » ، وتحول الاسم على لسان شعب السنغال الى « جورية » وهو الاسم الذى اصبحت الجزيرة معروفة به ٠

● بيت العبيد ●

على ارض الجزيرة دليل حى على وحشية المستعمرين ٠٠ دليل مادى مازال على صورته كما بناه سينيارا« بيبان » فى القرن الخامس عشر ٠٠ انه

« بيت العبيد » الذى يقوم على مساحة مائتى متر ويتكون من طابقين ٠

الطابق الاول هو « بيت العبيد » وهو عبارة عن مجموعة من الحجرات المنخفضة الارتفاع والتى لا تزيد مساحة كل منها عن مترين ٠٠ وهى غارقة فى الظلام وتشع منها رطوبة عالية ، وفى اعلاها فتحة صغيرة للتهوية ٠

داخل كل حجرة من هذه الحجرات كان يحشر ما لا يقل عن عشرين عبدا !

الحجرات مقسمة كما يبدو من العلامات الموضوعة اعلاها الى حجرات للرجال والاطفال والنساء والفتيات ٠٠ هذا التقسيم كان يخضع للثمن الذى يدفع فى العبد ، فالشباب اعلى سعرا تليهم الفتيات العذارى ثم الرجال فالنساء والاطفال ٠

بجانب حجرات الانتظار هذه توجد حجرات اخرى لا تسع الا شخصا واحدا بشرط ان يظل مكوما على نفسه ، وهى الحجرات المخصصة للمتمردين من العبيد او الذين يبدون تبرما بالعمل ٠

وكان كل عبد يصل الى بيت العبيد يحمل رقما وعليه بعده ان ينسى اسمه وعائلته الى الابد ٠

الطابق العلوى من بيت العبيد فسيح وعال ٠٠ حجراته مريحة وواسعة ٠٠ انه مقر السادة او التجار الذين استباحوا لانفسهم كل شىء بما فى ذلك اغتصاب الشابات الزنجيات

ويصف لنا « جوزيف نديای » امين بيت العبيد الذى يحفظ تاريخ تجارة الرقيق ويتولى امانة البيت منذ سبعة عشر عاما ٠٠ يصف الحالة التى كان يصل عليها العبيد المخطوفون الى سواحل الجزيرة ٠٠ يقول :

كانت قافلة الرقيق تصل الى ساحل الجزيرة مكونة من الرجال والنساء والاولاد ٠٠ ولكن الرجال كانوا يكونون الغالبية العظمى ، وكانوا يربطون بالحبال كل اثنين معا ٠٠ ثم يربطون صفين متتابعين يجمعهم عمود كبير من الخشب يربط الى اعناق الرقيق متتابعين ، وقد تطلق ايديهم ليتاح لهم ان يحملوا مئونتهم على رءوسهم ٠ وكان يشرف على كل جماعة فرد يسير من خلفهم ممسكا فى يده سوطا يضرب به كل من يتوانى عن السير ٠

بعد وصول العبيد الى الجزيرة وحتى موعد رحيلهم كانوا يكلفون بالاعمال الشاقة ، ولا يستثنى من هذه الاعمال احد حتى النساء والاطفال ٠

كان العبيد يكلفون بفصل البازلت من الصخور لصناعة احجار البناء مستخدمين فى ذلك كرات حديدية مربوطة بالسلاسل الى ايدى العبيد بدلا من المطارق ، بينما يقوم النساء والاطفال بسحق المحار للحصول على الجير اللازم للطلاء ٠

وكان الذى يفكر فى الهرب قبل وصول السفن التى تقلهم الى الدنيا الجديدة يلقى مصيره غرقا او ينتهى بين فكى اسماك القرش كى تكتمل الصورة المأساوية ٠

وعندما تصل السفن التى سوف تقوم بنقل العديد من جوريه كانت تتم عملية شديدة القسوة ، وهى وضع علامة الشركة المصدرة على ذراع كل عبد ، وكانت تتم بواسطة الكى بسيخ محمى يحمل العلامة المميزة ٠ وفى ذلك اليوم التعيس تفوح رائحة اللحم الادمى المحترق لتملأ الجزيرة ٠

والسفن التى كانت تقوم بشحن الرقيق تبنى بشكل خاص ، فهى صغيرة الحجم قليلة الحمولة ، ومقسمة تقسيما افقيا على هيئة رفوف عرض الواحد منها ثلاث اقدام يرص عليها الرقيق وايديهم مصفدة بعد أن يقسم الرجال فى ناحية والنساء والاطفال فى ناحية اخرى ٠

وكانت السفن تصل « جورية » محملة



لغز جزيرة العبيد



● يحتفظ أهل «جوريه» بالتقاليد الافريقية الأصيلة والنسوة يحملن الأطفال خلف ظهورهن ويسرن بحرية فى انحاء الجزيرة

● بيوت الجزيرة تحتفظ بطابع واحد هو طابع المستعمرين الذين توافدوا عليها

● "جوريه" اصبحت جزيرة الباحثين عن الهدوء والسياح لكنها تحتفظ بالطابع السنغالى فى الأسواق



لغز جزيرة العبيد

بالاسلحه والكحول والمنسوجات والمصنوعات الزجاجية مثل العقود والاساور وهى الاشياء التى كانت تستخدم فى مبادلة العبيد او تجارة الابنوس .

واذا كان الربح يتضاعف كلما زاد العدد فقد كانت المراكب تحمل أكبر عدد ممكن من الرقيق وقد تستغرق الرحلة شهرين فى عرض البحر . مما يتسبب فى وفاة نصف عدد العبيد الذين اختطفوا وشحنوا بهذه الطريقة . ولكن وصول سفينة واحدة بما تحمله من عبيد كان يحقق ربحا يصل الى مائة وخمسين فى المائة من ثمن تكاليف الشحنة وهى نسبة خيالية فى مجال حساب الارباح حتى أن عمدة برستول البريطانية وصف ارباح تجارة العبيد عام ١٧١٣ بأنها عماد شعبنا

● دمار مستمر ●

وقد شهدت جورية عدة عهود من التخريب والتدمير بواسطة مدافع المحتلين ففى عام ١٦٧٧ هاجم الاميرال الفرنسى « ديسترية » قلاع الهولنديين بالجزيرة ودمرها قبل احتلاله للجزيرة وثبت فيها أقدام فرنسا .. لكن بريطانيا دخلت حلبة المنافسة على احتلال « جورية » وخلال القرن الثامن عشر وحده احتل الانجليز الجزيرة اربع مرات واحتلها الفرنسيون خمس مرات .

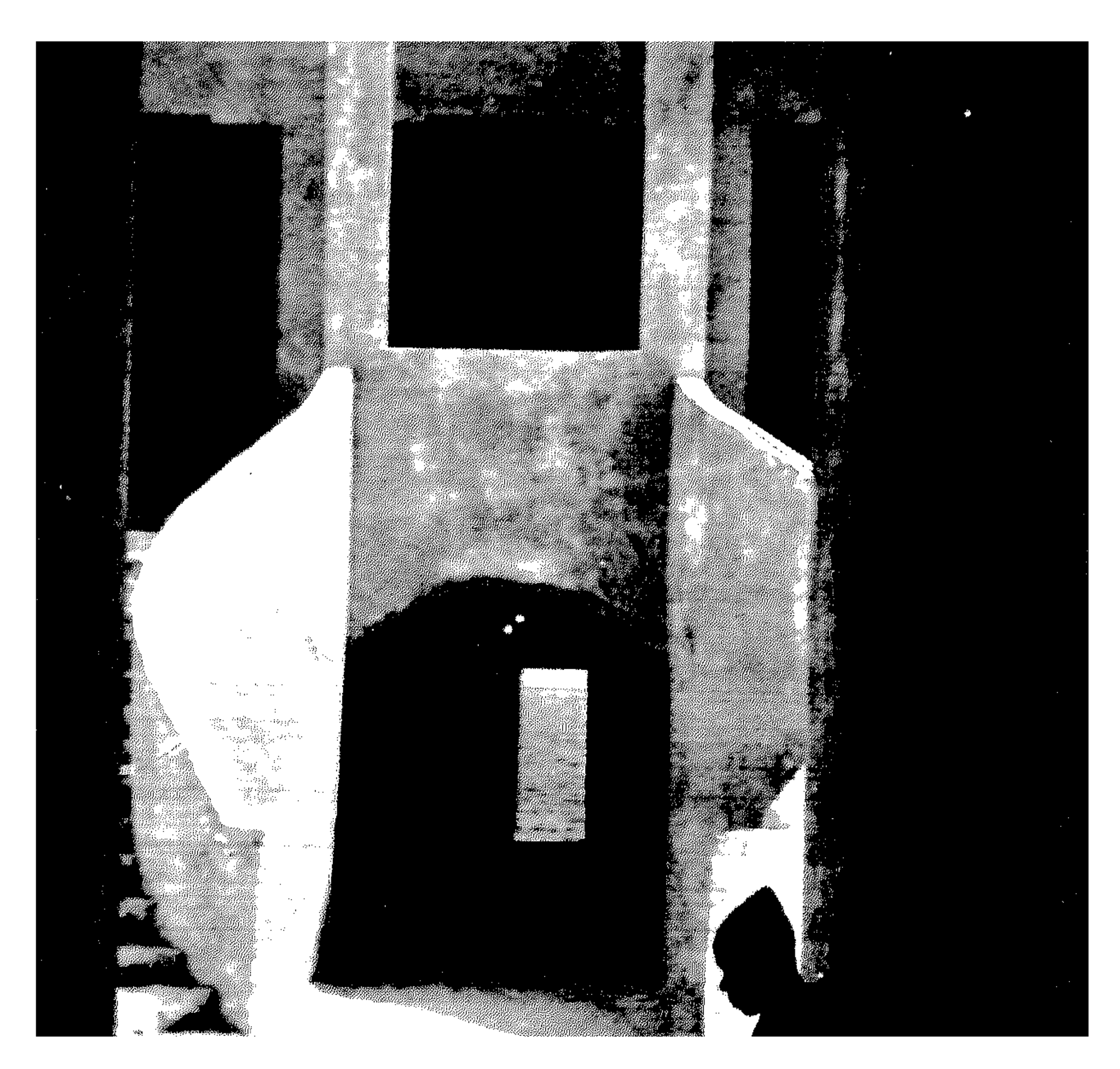
وكانت نتيجة هذه المعارك المستمرة والتخريب والتدمير انه لم يبق على الجزيرة فى عام ١٧٤٦ سوى « ستة » منازل مبنية بالطوب ارتفعت الى خمسة عشر منزلا فى عام ١٧٧٠ ثم واحد وثمانين منزلا فى عام ١٧٨٤ . اما غالبية منازل « جورية » فقد تم بناؤها فى القرن الثامن عشر وبعد الغاء تجارة الرقيق فى عام ١٨٤٨ حيث تحولت « جوريه » الى نقطة ارتكاز للبحرية الفرنسية ولعب ميناؤها دورا كبيرا فى تزويد السفن المارة عن طريق رأس الرجاء الصالح - قبل افتتاح قناة السويس - بالمؤن والوقود .

وظهرت فى هذا القرن ايضا فى الجزيرة ظاهرة « السينيار » أو سيدات الجزيرة الملونات اللاتى تزوجن من فرنسيين أو انجليز .. واصبحن يعشن فى رخاء ، وكن الحاكمات الفعليات للجزيرة .. ويذكر التاريخ منهن « كاتى لوات » التى كانت تمتلك عددا من الخدم داخل منزلها الذى تحول اليوم الى مستوصف للجزيرة « وفيكتوريا البيرا » التى تحول منزلها ذى الاعمدة الضخمة فى شارع سان جيرمان الى متحف ، « وان بيبان » عشيقة الفارس « دى بوفلييه » والتى كانت تذهب للقاء عشيقها على شاطىء الجزيرة يصحبها حاملو الشعلة واتباعها المخصصون لحمل المجوهرات

وفى عام ١٨٥٠ ضاقت « جوريه » بسكانها الذين وصل عددهم الى ستة الاف اوربى وخمسة الاف افريقى كانوا يعملون فى خدمتهم .. وكان يصل الى « جوريه » ما يقرب من ١٢٠٠ سفينة كل عام . لكن بافتتاح ميناء داكار عام ١٨٩٠ فقدت جوريه اهميتها وانخفض عدد سكانها الى سبعمائه نسمة .

● طابع مميز ●

وشوارع جوريه لاتزال تحمل اسماء المستعمرين ، فهذا شارع لويس الخامس عشر ، وذاك سان جيرمان وثالث باسم بوفلييه .. والعبرة من ترك هذه الشوارع بنفس الاسماء ان يظل



● بيت العبيد وقيد البوابة التى كان اذا خرج منها الافريقى قطعت كل صلة له بالوطن الأم والى الابد ويبدو مقر السادة فى الجزء العلوى

الماضى حيا وأن يدمغ الزائر والمقيم الى رفض اشكال الاستعمار والتبعية كما « قال جيبوكا » وزير الاعلام السنغالى والذى كان معنا خلال زيارتنا للجزيرة

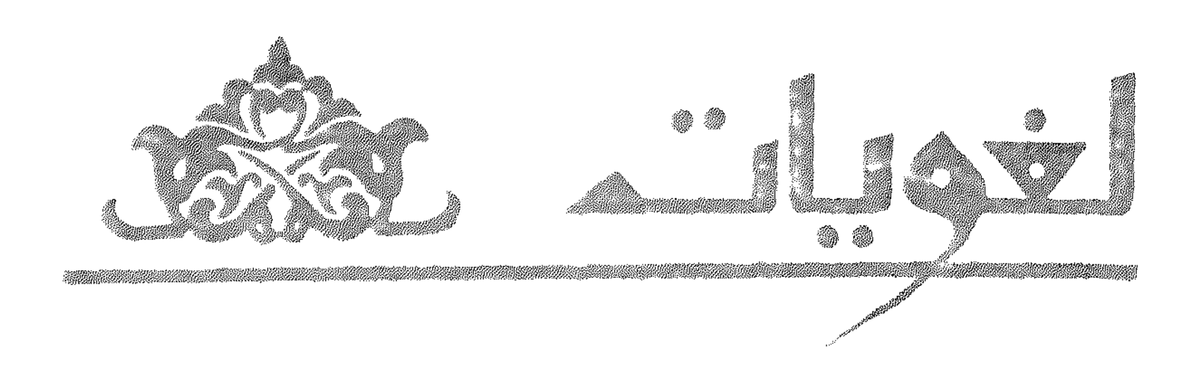
ومساكن جورية لهـا طابع مميز نظرا لتشابه وحداتها الهندسـية ، ولا توجد بها فتحات كثيرة نظرا لشدة الرياح ٠٠ وكل منزل يعتبر قصرا صغيرا يشبه القلعة وله باب واحـد يطل على الطريق وله حديقة خلفيـة وكل مجموعة من المنازل تكون مربعـا او مستطيلا يتوسطه حديقة ٠

وقد تحولت قصور « جـوريه » الى مراسم للفنانين السنغاليين ٠٠وتحولت المدافع التى يضعها المحتل على ارض الجزيرة الى ادوات يلعب بها الاطفال

وعلى ارض جوريه ترتفـع مأذنة أقدم جامع بنى فى السنغال عام ١٨٩٢ ٠٠ كما تمتلك الجزيرة اشهر حديقـة للنباتات اقامها عالم الطبيعة الفرنسى الاصل ميشيل دانسون عـام ١٧٤٩ ٠

وخلال تجولك فى جوريه » تشـعر برائحة أشجار السنط التى تنبعث من براعمها المتفتحة أو رائحة ثمار المانجو التى تملأ أشجار الجزيرة التى لا تعرف حتى الان ضجيج الحضـارة العصرية من موتورات السيارات والدراجـات البخارية فأرض « جوريه » غير مسفلتة وغير مسموح باستخدام المركبات نيها ولا تسمع غير تنهدات أمواج البحـر التى شهدت كل الاحداث التى مـرت بها جوريه ٠


عزيزتي الزوجة
لاشك أنك تريدين
الحفاظ على
صحتك ونضارتك
أن الحمل على
فترات متباعدة
هو الطريق الأمثل
لجمالك
وصحتك
وسعادة أسرية
غامرة
منار
الهيئة العامة للاستعلامات
مع تحيات ، مركز الإعلام والتعليم والاتصال



● اعتادت الصحف أن تصف الأرض الزراعية غير الصالحة للزراعة بأنها أرض بور .. وقرأنا لبعض الأدباء أخيرا تخطئة لهذا الوصف باعتبار أن " البور " جمع « بائر » فلا يستعمل فى المفرد مثل « الأرض » .. ولي، هذا بصحيح لأن كلمة « بور » تجيء أحيانا جمعا لكلمة « بائر » أو مصدرا للفعل « بار » .. ويوصف المذكر والمؤنث والمفرد والجمع بكلمة « بائر » .. وبجمع هذه الكلمة أو مصدرها وهو « بور » فيقال « رجل بور » و « امرأة بور » و « رجال بور » و « أرض بور » و « أراضى بور » الخ ..

● « تلك » من أسماء الإشارة .. وفى مخاطبة المفردة يقال : « تلك » وفى المثنى « تلكما » وفى الجمع « تكلم » إذا كان مذكرا ، و « تلكن » إذا كان مؤنثا .. ويشار إلى الجمع الذى يعامل معاملة المؤنث وهو جمع التكسير وجمع المؤنث السالم بكلمة « تلك » ..

● يستعمل الكاتبون كلمة « تارة » استعمالا كثيرا فيقولون « تارة بعد تارة » .. وهذا تعبير صحيح ، ولكن هناك تعبيرات أخرى غير صحيحة يقع بعضهم فيها أحيانا .. ومعنى « تارة بعد تارة » هو « مرة بعد مرة » .. وقد تكون التارة بمعنى « الكرة » فيقال « عاد إلى الأمر تارة أخرى » .. أى « كرة أخرى » .. فالتارة هى المرة أو الكرة « بتشديد الراء المفتوحة » ..

● يخطيء بعضهم فى كلمة « تترى » فيظنها فعلا مضارعا ، فيقول مثلا : « جاءت الوفود تترى » وهو يظن أن « تترى » هنا تقابل قولهم : « تتوالى » وهذا خطأ ، والصواب أن الكلمة اسم فاعل وهى تقابل هنا كلمة « متوالية » لا كلمة « تتوالى » التى هى فعل وليست اسما .. وهذا خطأ يقع فيه حتى مشاهير الأدباء ..

● يخطيء بعضهم وبعضهن فى الاذاعة والتليفزيون بقولهم عن يوم القيامة إنه اليومُ الآخَر ـ بفتح الخاء ـ والصواب بكسر الخاء ، أى اليوم الأخير ، أما بفتح الخاء فيكون معناه اليوم الثانى .. فانظر إلى البعد الشاسع بين المعنيين !..

● سمعت أحدهم يقول فى الإذاعة : لاتقل : « الرقابة » بكسر وتشديد الراء ، ولكن قلها بفتح وتشديد الراء ، وهذا غير صحيح ، فإن القائل إذا أراد « الرقابة » أى « مصلحة الرقابة على المصنفات » مثلا ، فهذه بكسر وتشديد الراء ، ويقال للعامل فيها : أنت تعمل فى الرقابة ، بكسر وتشديد الراء .. أما إذا أريد مجرد مراقبة الشيء أو مراقبة رجل أو امرأة ، فيقال « رقابة » بالفتح لا بالكسر ، فيا مذيع الاذاعة لاتضيق الكلام على الناس ، فقد وسعه الله ! ..

مصريون في بلاد العرب

الدكتور مصطفى الوكيل
القديس الثائر
بين حركة مصر الفتاه وحركة رشيد عالى الكيلانى

بقلم : جلال السيد

كانوا جماعة من الاصدقاء التقوا على حب القراءة ، وهواية التمثيل ، ومتابعة قضايا الوطن ، نضجت طفولتهم من خلال احداث ثورة ١٩١٩ وفى اعقابها ، واقتطت اذانهم كلمات: مصر . الوطن . نموت وتحيا مصر . نحن فداء الوطن ، سمعوا الحان سيد درويش وشاهدوا اعمال مختار ، واشتركوا فى المظاهرات ، وعرفوا الاحتجاج ، منهم من الف جمعية نصر الدين الاسلامى ومنهم من دعا لمؤتمر للطلبة الشرقيين ، ومنهم من فكر فى مشروع القرش ، وساهموا جميعا فيه ، وكان اكبرهم من مواليد عام ١٩١٠ ، اتصلوا بالاحزاب السياسية بحثا عن دور يصبون فيه حماسهم الوطنى ونشاطهم الزائد ، لكنهم لم يجدوا مايبحثون عنه ، واصطدموا بمواقف الاحزاب وبعدها عن تصوراتهم ومثاليتهم ، ولم يجدوا امامهم طريقا سوى تشكيل جمعية خاصة بهم ، و انت جمعية مصر الفتاة ، اكتوبر ١٩٣٣ .



الدكتور مصطفى الوكيل

كان من بينهم الزعيم « احمد حسين» والمفكر « فتحي رضوان » والقديس « مصطفى الوكيل » واستطاع هؤلاء مع زملائهم أن يتركوا بصمات واضحة في الحياة السياسية ، مازالت حية للان ، ويكفيهم انهم أول جماعة سياسية اعلنت ضمن مبادئها فكرة الوحدة العربية ـ منذ بداية الثلاثينيات ـ كما أشارت الى الدوائر الثلاث : المصرية ـ العربية ـ الاسلامية.

وبين هؤلاء الشباب تميز مصطفى الوكيل بنقائه وزهده، وصلابته وشجاعته بتواضعه وكبريائه ، بصفات عديدة ، بعيدة عن سلوك السياسيين وعالم السياسة ، انها صفات قديس ثائر .

في قرية الميمون ـ محافظة بنى سويف ـ كان مولده عام ١٩١٣ ، وكان يملك والده نحو خمسين فدانا ، والذى كان يهوى ركوب الخيل وتربيتها ، وغرس هذه الهواية فى نفس مصطفى ـ الوسط بين الابناء ، وكان دائما يبث في نفسه الشجاعة ، واستطاع مصطفى أن يحظى بحب افراد اسرته ، فقد كان نابغا فى دراسته ، يساعد اقاربه من زملائه ، بل يساعد كل من يحتاج الى المساعدة أو العون ، وما كان يملكه وهو قليل كان ملكا للغير ، كلمات والده أوامر لاتناقش ، وعليه دائما الطاعة والتنفيذ ، فى مدرسة بنى سويف الثانوية التقى بفتحى رضوان ، ويمرض والده ، ويعالج بالقاهرة ، فيأتى مصطفى لاستكمال دراسته الثانوية بمدرسة الخديوية ، حيث جاء ايضا فتحى رضوان ، والذى يقدمه لصديقه احمد حسين ، ويشترك الثلاثة فى الانشطة الثقافية والاجتماعية والسياسية . وفى الجامعة التحق مصطفى بكلية العلوم ، كما ساهم فى النشاط الذى كان يقوده كل من أحمد حسين وفتحى رضوان ، فكان مندوبا عن كلية العلوم فى مشروع القرش ، الذى دعا اليه احمد حسين ، وعضوا فى اللجنة التحضيرية التى أعدت لمؤتمر الطلبة الشرقيين الذى دعا اليه فتحى رضوان ، وحين أعلنت جمعية مصر الفتاة كان احد مؤسسيها البارزين .

انهى دراسته بكلية العلوم بتفوق ، كما حصل على دبلوم معهد التربية ، وذهب فى بعثة الى لندن للحصول على الدكتوراه ـ عام ١٩٣٥ ـ وبسبب نشاطه السياسى وهجومه على معاهدة عام ١٩٣٦ حرمته حكومة الوفد من البعثة ، لكنه استطاع بمساعدة الاصدقاء أن يحصل على الدكتوراه فى عامين وكان موضوعها « ذبذبة الارض المغنطيسية » .

ويعود الدكتور مصطفى الوكيل الى القاهرة ويرفض وظيفة بوزارة المعارف ، كما رفض ان يعين مدرسا بكلية العلوم ، واختار ان يتفرغ تماما للعمل فى صفوف مصر الفتاة ، ويقول الاستاذ فتحى رضوان : « لقد رأيت بنفسى الاستاذ الدكتور الحاصل على أكبر الشهادات من اكبر الجامعات ، حافى القدمين ، يحمل جردلا مثقوبا ومكنسة ليغسل أرضية نادى مصر الفتاة » كان « الدينامو » لحركة مصر الفتاة ، الكاتب والخطيب والمنظم المسئول ، وتعرض عدة مرات للاعتقال والتعذيب ، وظل صلبا وفيا لمبادىء مصر الفتاة ، ولزعيمه احمد حسين .

الدكتور مصطفى الوكيل

القديس الثائر

وفي اعادة تنظيم الحركة والتي اعلنت عن نفسها انها حزب مصر الفتاة واعلنت عن تشكيل مكاتب الحزب ، كان الدكتور مصطفى مسئولا عن مكتب شئون التربية ، ثم اصبح نائبا للرئيس احمد حسين ، وكان فتحي رضوان قد بدأ يبتعد عن مصر الفتاة ، ويقول احمد حسين :

كان نائب رئيس مصر الفتاة ، الدكتور مصطفى الوكيل ، وهو لم يكن نائبا للرئيس الا تواضعا منه فقد تنازلت عن رئاسة الحزب له ، ايمانا مني بأنه يفضلني في كل شيء ، ولكنه ابى ذلك واستنكره» وكان الدكتور مصطفى واضحا في فكره ، مستقيما في سلوكه ، متطابقا بين مايقول وما يفعل ، عن معاهدة ١٩٣٦ كتب احمد حسين وفتحي رضوان عن تعديل المعاهدة ، وكتب مصطفى الوكيل « يجب ان تلغى المعاهدة من اساسها » .

وقد الف مصطفى الوكيل كتابين صغيرين « كتاب الشهر » احدهما عن صلاح الدين الايوبي والثاني عن عمر بن عبد العزيز .

● الوكيل في العراق ●

بعد قيام الحرب العالمية الثانية بعدة شهور ، بدأت مرحلة جديدة من النضال في حياة الدكتور مصطفى الوكيل ، حيث سافر للعمل في العراق عام ١٩٤٠ .

وكان بين العراق ومصر علاقات ثقافية وطيدة - منذ العشرينيات - حيث استعان العراق بعدد كبير من الاساتذة والمدرسين المصريين للتدريس في معاهده العالية وكلياته ومدارسه الثانوية ، كان من بينهم الدكتور حسن سيف - الدكاترة زكي مبارك - الدكتور عبد الرزاق السنهوري - الدكتور مصطفى زيادة ، الدكتور زكي حسن وغيرهم .

ويفسر الدكتور سامي شوكت - مدير المعارف العام - بكلمته التي القاها في الاذاعة المصرية - يناير ١٩٣٩ - يوم ان جاء الى القاهرة على رأس الوفد الطبي العراقي ، لحضور المؤتمر الطبي العربي ، العلاقة بين مصر والعراق ، بقوله : سألني سائل حين هبطت مصر عام ١٩٣٥ ما الذي دعاك الى أن تجتاز البلاد العربية القريبة وتأتي الى مصر البعيدة ، وانت باستطاعتك أن تسد حاجة العراق من الاطباء والعلماء من أقرب موضع اليك ؟

فاجبته : لان العراق صمم على تشييد جسر عربي تكون قاعدته الشرقية العراق وقاعدته الغربية مصر ، وهؤلاء الرجال الذين سناخذهم من مصر سيكونون حجر الزاوية في القاعدة الغربية ، وكان حاضرا هذه المحاولة حمد باشا الباسل وعزيز علي باشا المصري وابراهيم عبد القادر المازني فتحمسوا في قولي هذا وايدوني فيه فهذا الجسر هو الذي سيتسلق على جوانبه من غرق من اقطار اخواننا لينقذها من الهلاك وعندها سنكون امة وعندها سنكون دولة أمة ، ودولة لا تكون عالة على غيرها » .

واثرت الاحزاب السياسية المصرية على الحياة السياسية في العراق ، خاصة حزب الوفد ، كما تأثر البعض بمصر الفتاة ، ويقول الدكتور حميد الهلالي : « حاولنا تكوين مشروع الفلس في العراق ، على غرار مشروع القرش في مصر ، ونشط في العمل له سلمان البياتي وابراهيم الواعظ ، وكان وفد من شباب العراق قد زار القاهرة عام ١٩٣٢ ودعاهم احمد حسين الى زيارة مصنع مشروع القرش ، ولكنهم توقفوا طويلا أمام عبارة « مصر فوق الجميع » وشرح لهم أن المعنى انها فوق الاشخاص وفوق الاحزاب وفوق الخلافات الشخصية ، ولكنهم رددوا ان العروبة فوق الجميع ، وهتف الجميع بالعروبة .

وسافر الدكتور الوكيل الى العراق على جسر متين من العلاقات الودية بين البلدين ، وفي رأي الاستاذ محمد صبيح ان السفر كان مهمة حزبية للتنسيق بين

مصر الفتاة ومجموعات عربية بالعراق لمواجهة الاستعمار المشترك - أثناء الحرب - ويضيف الاستاذ أحمد حسين بأنه لم يعد قادرا على تحمل تصرفات مصطفى الوكيل ، فتصرفاته تجعل الحزب وقيادته دائما في موقف الاحراج ومن الصعب عليهم جميعا أن يسلكوا مسلك مصطفى الوكيل ، ويحكى أحمد حسين قصة السفر بقوله : لم أكد أطلع على اعلان في الصحف المصرية عن حاجة مدرسة المعلمين في بغداد الى أستاذ متخصص في الرياضة براتب قدره أربعون دينارا في الشهر حتى اقترحت على الدكتور مصطفى أن يتقدم لشغل هذه الوظيفة ، ولم يقبل الا عندما لوحت له بأن حركتنا في حاجة لبعض هذه الاربعين دينارا ، وكان الاختيار بين المتقدمين لوزارة المعارف ، وكان وكيل الوزارة في ذلك الوقت الدكتور عبد الرزاق السنهورى وكان صديقا لنا ، فقصدته وعرضت عليه الفكرة وكان معى مصطفى الوكيل فسأله السنهورى : هل انت على استعداد أن تترك السياسة .

فاجابه مصطفى الوكيل : ان الجهاد في سبيل الوطن والعروبة والاسلام ليس سياسة ، وانما هو الحياة والواجب ، ولذلك لست آبه بشيء من ذلك ، ولكن الذى اقوله : انني اذا عينت استاذا لطلاب فسوف أؤدى واجبى نحوهم .

وانتهت المدة التى أعلنها الاعلان لقبول الطلبات ، وجاء الوكيل على رأس القائمة . فاستدعى الدكتور السنهورى ، تحسين العسكرى سفير العراق في مصر وعرض عليه النتيجة وقال له : ان الدكتور يتفوق على كل من تقدموا ، ولكن واجبى يحتم على ان انبهك الى انه نائب رئيس حزب مصر الفتاة وهو متطرف جدا في سياسته ، ولذلك ارى ان تعرض الامر على حكومتك لترى رأيها في الموضوع .

● كراهيته لانجلترا ●

واسرع تحسين العسكرى بقوله : ان هذا الشخص هو عين ماتريده بلادى .

وسافر مصطفى الوكيل ليعمل أستاذا للرياضيات في دار المعلمين العليا ببغداد ، حاملا أفكار مصر الفتاة ، والتى كانت خليطا من القومية المصرية والعروبة والاسلام ، حاملا التعاطف مع دول المحور والكراهية الشديدة لبريطانيا ، ولم تكن أفكاره بعيدة عن نشاط التيار القومى في العراق والذى كان في الثلاثينيات ، هدفه الاستقلال والوحدة العربية ، ولكن الحماس وعدم النضج السياسى كانا الطابع الغالب - في تلك الفترة - الامر الذى ادى الى مزالق فكرية وسياسية . ولم يجد مصطفى الوكيل اى عناد في ممارسة نشاطه السياسى ، فقد كانت دار المعلمين احد مراكز التجمع القومى ، اذ كان عميدها درويش المقدادى - فلسطينى - وأحد أساتذتها الدكتور سليم التميمى اللذين شكلا مع مجموعة اخرى من العراق واقطار عربية تنظيما سريا عرف باسم « جماعة الوحدة » وهذا التنظيم هو الذى شكل « جمعية الجوال العربى » وأسس « نادى المثنى » واشرف على تنظيم « الفتوة » واتصل بالضباط القوميه . في الجيش ، وساهموا جميعا مساهمة فعالة في حركة رشيد عالى الكيلانى - ٢ مايو ١٩٤١ - أو ماأطلق عليها حكومة الدفاع الوطنى .

وما أسرع ما كان مصطفى الوكيل يعمل بحماس بين هؤلاء ، والذين اكتشفوا حماسه الشديد للعروبة والاسلام ، وبدأت الاتصالات به من خلال نادى المثنى حيث التقى به صديق شخصى وعبد الرحمن البزاز ، وكان قد تعرف على درويش المقدادى ، وسليم النعيمى ، وارتبط ارتباطا خاصا بالمفتى الشيخ امين الحسينى ، والذى كان منزله المقر الدائم لهذا التيار القومى النشط ، كما كان على صلة دائمة بضباط الجيش القوميين ، ورشيد عالى الكيلانى ، ويقول امين الحسينى عن مصطفى الوكيل في ذلك الفترة « جاءني يحمل رسالة من احمد حسين وابلغنى بتواضع عظيم وحياء جم

الدكتور مصطفى الوكيل
القديس الثائر

انه يجند نفسه فى سبيل الله وسبيل الاسلام وفلسطين والعروبة ، وكـــان يزورنى حينا بعد حين ، فتتناول احاديثنا القضايا العربية والاسلامية ، فوجدت فيه عقلا راجحا وعلما ناضجا وحماسة متقدة وانكارا للذات قل نظيره فى هذا العصر المادى ، وكان مرتبه الشهرى نهبا مقسما يرسل نصفه الى جماعة مصر الفتاة ، ويوزع شطرا منه على جمعية الهداية الاسلامية فى بغداد وعلى ((منظمة الفتوة)) العراقية وعلى شئون القضية الفلسطينية ويعيش بالقليل الباقى ..))

وبسبب نشاط مصطفى الوكيـــل المتزايد ، طلبت الحكومة المصرية ـ حكومة حسين صبرى ـ عدة مرات من الحكومة العراقية ، ابعاد مصطفى الوكيل ، ولكن الاخيرة لم تستجب .

وكانت بريطانيا منذ أن اعلنت الحرب على المانيا ، مارست ضغطها على كل من مصر والعراق لقطع علاقاتهما السياسية مع المانيا ، وقد تم ذلك ، ثم طلبت نفس الطلب بالنسبة لايطاليا ، ونفذت مصر وتريثت العراق ، مما جعـــل بريطانيا تتربص بها ، وتتدخل تدخـــلا سافرا سواء فى مصر او العراق ، لجرهما فى الحرب ، مع محاولة احكام السيطرة على العداء لبريطانيا ، الامر الذى زاد من حدة شعور العداء لبريطانيـــا ، والتعاطف الشعبى مع دول المحـــور ، لا عن ايمان واقتناع ، ولكن نكاية فى بريطانيا ، مع محاولات للاستـــفادة من الحرب الدائرة فى تحقيق الاســـتقلال واتخذ الساسة العراقيون مواقف متباينة من بريطانيا ، فمنهم من ايدها باكثر مما تتضمن معاهدة التحالف العراقيـــة ـ البريطانية ـ معاهدة ١٩٣٠ ـ وكان على رأسهم نورى السعيد وعبد الاله ـ الوصى على العرش ، وعلى جـــودت الايوبى ، جميل الدفعى ، صالح جبر ، وبعضهم حاول الحصول على بعـــض الامتيازات من بريطانيا فى مقابل تنفيـــذ المعاهدة ، مثل حل قضية فلسطين لصالح العرب ، وكان من هؤلاء رشيدعالى الكيلانى ـ طه الهاشمى ـ ناجى شوكت ـ ناجى السويدى ـ توفيق السويدى .

● نضال رشيد عالى الكيلانى ●

وكان هناك بعض ضـــباط الجيش الذين اعتقدوا انهم يستطيعون تحـــرير العراق وفلسطين وكانوا قد عملوا ضد بكر صدقى وانقلابه ، وفرضـــوا نورى السعيد على الملك غازى ، ثم حاولوا فرض رشيد عالى الكيلانى على عبد الاله ، وهؤلاء هم العقداء الاربعة . صلاح الدين الصباغ ـ فهمى سعيد ـ محمـــــود سلمان ـ كامل شبيب ، ومعهم يونس السبعاوى من الشباب القومى . كمـــا كانوا على صلة وطيدة بالشـــيخ أمين الحسينى .

وتفاقم الموقف بسبب اختلاف وجهات النظر حول قطع العلاقات مع ايطاليـــا ثم محاولة تشتيت العقداء الاربعة ، مما ادى الى تطور الموقف وســـيطرة الضباط على السلطة وهـــرب الوصى عبد الاله ، وارغموا الهاشمى على الاستقالة وجاءوا برشيد عالى من جانب القوات للوزراء ، والشريف شرف وصـــيا على العرش وبدأ الاحتكاك من جانب القوات البريطانية ، حين اطلقت النيران على القوات العراقية فى مطار الحبانيـــة ، ووقف الجيش يسانده الشعب العراقى مدافعا عن حريته واستقلاله ، وكانت حركة ٢ مايو ١٩٤١ ، والتى أطـــلق عليها البعض ثورة العراق ، أو حـــركة رشيد عالى الكيلانى ، وتعلقت بها الابصار فى الاقطار العربية المجاورة ، وزحف البعض الى بغداد من الضباط العـــرب للمشاركة فى الحركة ، وانضـــم الى صفوفها العربى الموجودون فى العـــراق من الاقطار المختلفة ، وكان من بين هؤلاء الدكتور مصطفى الوكيل وفى نفس الوقت اخذت أبواق الدعاية الالمانية والايطالية



صورة نادرة للدكتور مصطفى الوكيل أثناء إقامته فى برلين وبجواره أمين الحسينى مفتى فلسطين سابقا ، ثم أحد الاصدقاء

فى اثارة الرأى العام العربى ضد بريطانيا . حتى اعتقد البعض ومنهم بعض المؤرخين انه كان هناك تفاهم مسبق بين الكيلانى ودول المحور ، ولا حقيقة مطلقا لهذا الادعاء .

وفى اليوم التالى لبدء القتال - ٣ مايو - بين العراق وبريطانيا ارسل مصطفى الوكيل برقية الى رشيد عالى الكيلانى يعلن فيها تأييد مصر الفتاة للحركة ونشرت البرقية فى معظم الصحف العراقية وكان نصها : « الى الزعيم المؤمن المنتصر - فخامة السيد رشيد عالى الكيلانى .

« أعلن باسم حزب مصر الفتاة وباسم الشباب المصرى الحر الموجودين بالعراق ومصر تاييدنا الكامل لقضيتكم الظافرة ، وانى اقدم نفسى للتجنيد فى الجيش العراقى واضع حياتى وما أملك تحت تصرف فخامتكم ، وكل رغبتى الاستشهاد فى سبيل نصر العراق الذى هو نصر لمصر وللعرب أجمعين ، وجميع الشباب المصرى الحر على استعداد تام للتضحية والجهاد حتى النصر على العدو المشترك » .

امضاء - مصطفى الوكيل - نائب رئيس حزب مصر الفتاة - الحزب الوطنى العربى الاسلامى .

ومن الملاحظ انه اضاف كلمة «العربى» لاسم الحزب الوطنى الاسلامى ، الذى كان قد اختاره أحمد حسين عام ١٩٤٠ فى محاولته للتقارب مع الاخوان المسلمين .. وفشلت المحاولة ، ولم يستمر هذا الاسم ، وعاد اسم حزب مصر الفتاة ، ثم أصبح الحزب الاشتراكى فيما بعد .

ويقول صديق شنشل - السياسى العراقى المعروف - عندما قامت الحركة - ٢ مايو - **عمل مصطفى الوكيل فى ميدان عمل مع يونس السبعاوى - أحد** قادة الحركة البارزين والذى أعدم فى ٥ مايو ١٩٤٢ ، وعمل مع كتائب الشباب ، وكان يذهب مع الطلاب والشباب - لنقل البنزين ويحمل الصفائح وهو صائم ، ويشترك فى جميع الاعمال ، وكان دور كتائب الشباب شبيهابدور الميليشيا ،

الدكتور مصطفى الوكيل
القديس الثائر

فى المحافظة على الامن الداخلى، الاسعاف، توزيع المواد الغذائية ، كما عمل معى فى الدعاية .

كان صديق شنشل مدير الدعاية فى حكومة رشيد الكيلانى فكان يلقى الاحاديث فى اذاعة بغداد ويكتب فى الصحف ويعقد الاجتماعات ، وبناء على اقتراح السبعاوى كلفته باقامة محطة اذاعة بالموصل ، يذيع منها فى حالة ضرب اذاعة بغداد ، ولكن المشروع لم يتحقق ، فقد تلاحقت الاحداث بسرعة مذهلة »

وفى ١٥ مايو ١٩٤١ أرسل مصطفى الوكيل برقية أخرى لرئيس الوزراء رشيد عالى الكيلانى ، نشرت فى جريدتى : الاستقلال والبلاد بتاريخ ١٦ مايو ١٩٤١ . جاء فيها :

منذ ان اعلن العراق الجهاد الاكبر طلبت ان اكون جنديا مسلحا بالجيش العراقى ولكن مازال طلب تجنيدى معروضا على رئاسة اركان الجيش لم يبت فيه ، ولما كنت لا اجد وجهة ارضاها لنفسى ولضميرى واستعدادى افضل من هذه الوجهة ، خصوصا بعد ان انتهيت من واجبى التعليمى فى دار المعلمين العلياء ، ولما كان الله قد امرنا ان نجاهد باموالنا وانفسنا فقد رأيت :

اولا : ان اقدم مالى ـ وهو مال العراق ـ لفائدة الجيش فارجو قبول عشرين دينارا للتصرف فيها كما تشاءون « كان مرتبه ٤٠ دينارا » .

ثانيا : ان اتنازل عن استلام امر مرتبات قادمة .

ثالثا : اصر على طلب تجنيدى بالجيش العراقى وان كانت جنسيتى المصرية تقف حائلا فى سبيل تجنيدى فانى على استعداد للتشرف بالجنسية العراقية ، فاليوم وغدا لا فرق بين مصرى وعراقى وسودى ، الجميع ابناء وطن واحد ويكافحون معا فى سبيل تحرير هذا الوطن وفى سبيل اعلاء كلمة الحق والدين والله ناصركم والله اكبر والحق للعرب والاسلام »

ويقول امين الحسينى فى مذكراته :

« تطوع مصطفى الوكيل لقتال الانجليز دفعا لعدوانهم على العراق والتحق بكتيبة المجاهدين الفلسطينيين بقيادة عبد القادر الحسينى » ولم يمنع نشاط الوكيل المتعدد من اتصاله الدائم بالمصريين الذين كانوا يعملون بالعراق ، فهو الذى يستقبلهم ويلتقى بهم ويدفعهم للمساهمة فى العمل الوطنى ويودع بعضهم وهم مغادرون العراق الى مصر وكان يتخذ من الاستقبال والتوديع فرصته يجعل منها مظاهرة سياسية ، وكان دائما هو قائدها ، وكثيرا ما نشرت الصحف العراقية الخطب المتبادلة اثناء توديع المصريين ، فى جريدة الاستقلال ـ ٢١ مايو ـ وصفت الجريدة توديع البعثة العلمية المصرية **ووصفت مصطفى الوكيل بالاستاذ المؤمن الذى هو قطعة من عقيدة واشارت الى كلمته التى قال فيها : ان حبى مصر ، مصر التى الهمتنى هذا الشعور تجاه العراق والامة العربية وساموت فى سبيل العراق ويسرنى ان اكون اول مصرى ضحى بنفسه فى سبيل العراق والعرب واذا مت فسياتى من بعدى من يموت وهتف بحياة العرب والعراق ومصر وسوريا وفلسطين والحجاز »** .

ومنذ بداية الحركة ـ ٢ مايو ـ وخطبه فى الاذاعة لا تتوقف ، الى جانب مقالاته التى كانت تنشر بجريدة البلاد ، ثم تنشر خطبه التى يلقيها فى الاذاعة ، وكانت افتتاحية جريدة البلاد ـ ٥ مايو ـ نص خطابه الذى القاه فى الاذاعة : وكان بعنوان « بسم الله فليسقط الانجليز ـ باسم الله فلينصر العراق » وجاء فيه : « انتصار العراق معناه انتصار مصر والشام والحجاز وبلاد العرب المسلمين »

كانت مقالاته وخطبه أقرب الى التحريض ، منها الى التحليل السياسى . وكان حماسه بالغا وكان موقنا بهزيمة الانجليز فى العراق وخارج العراق :

وظل متمسكا بفكر مصر الفتاة وموقفها الاخلاقي الذى كثيرا ما دعت اليه ، الا ان فكرة الوحدة العربية أصبحت عنده أكثر تحديدا من فكر مصر الفتاة وأن ظلت ممتزجة بالفكرة الاسلامية ، **لكنه في جميع الاحوال كان صادقا ومخلصا للفكرة وممارسا للسياسة أكثر منه صاحب فكر أو اتجاه ، فقد كان وطنيا مصريا عربيا مسلما ، وكان سلوكه وتصرفاته محل اعجاب وتقدير جميع من التقوا به حتى الذين اختلفوا معه فكريا .**

● نضال قوى ومستمر ●

وقد كان لحركة مايو ١٩٤١ العراقية اصداؤها في بعض الاقطار العربية ، ففي مصر ، كانت جماعة مصر الفتاة تستمع الى خطب مصطفى الوكيل وتطبعها وتوزعها وكان الجميع يعلقون عليها الامال ، وتشير بعض المصادر الى أن الزعيم الراحل جمال عبد الناصر قد ارسل برقية يرغب الالتحاق هو ورفاقه بالثورة .

فيقول الدكتور محمد حسن سلمان في كتابه « صفحات من حياة د . محمد حسن سلمان » ص ٨٥ صدر عام ١٩٨٥ – الدار العربية للموسوعات – بغداد .

« حضر صباح أحد الايام الى غرفتي في المستشفى الامريكاني الاخ تحسين قدرى وبصحبته قنصل العراق في القاهرة السيد « خ . ج » وهو من الشباب القومى المؤيد للثورة حاملا الى رسالة مختومة ، معنونة الى وزير الشباب في حكومة العراق الوطنية ففضضتها وكان بالمضمون التالي : « نحن جماعة من الضباط الاحرار ، نرغب الالتحاق بالثورة العراقية الوطنية لخدمة امتنا العربية واهدافها القومية ، آملين اعلامنا السبيل الى ذلك ... » – جمال عبد الناصر ورفاقه .

ويقول الدكتور سلمان : كنت قد احتفظت بهذه الرسالة التاريخية امدا طويلا حتى فقدتها أثناء تنقلاتي ايام الهجرة والتشريد ، ولدى الاخ المجاهد منير الريس – صاحب جريدة بردى الدمشقية علم بذلك ، كما جاء ذكرها في مقدم الاستاذ نزيه الحكيم كتاب الاخ منير الريس – الكتاب الذهبي للثورات الوطنية في المشرق العربي ص١١ ، – دار الطليعة – بيروت – ١٩٦٩ .

وعلى ضوء ما حدث لحركة مايو ، أو حركة رشيد عالي الكيلاني ، والتي لم تستمر أكثر من شهر ، وهرب الزعماء الى ايران ، أما مصطفى الوكيل فقد كان آخر المجموعات التي تركت بغداد مع يونس السبعاوى وصديق شنشل ، وقد اتجه الى الموصل ومنها الى سوريا ثم الى لبنان ليذهب الى تركيا لم يستقر به المقام في المانيا ليعيش مع اخوانه العرب – على أمل ما – لكن هذا الامل لم يتحقق ، وخلال اقامته في المانيا ، قام بمهام خطيرة لم يجد الحاج امين الحسيني من يأتمنه عليها سوى مساعده الاول الدكتور مصطفى الوكيل ، وتلك قصة أخرى . لقد ترك الوكيل العراق بعد أن أمضى بها فترة وجيزة ، لكنه مازال في قلوب الذين عاصروه ومازالوا يذكرونه بكل حب وكل فخر

هذه بعض صفحات من حياة شاب مصرى عاش في العراق ، ثم عاش في المانيا وتنقل بين تركيا ، ويوغسلافيا ، وتشاء ظروفه أن يستشهد في آخر غارة على المانيا في ٤ مارس عام ١٩٤٥ ، وكما عاش بعيدا عن وطنه منذ عام ١٩٤٠ ، عاش جثمانه بعيدا ايضا حتى مايو ١٩٥٤ ، يوم أن عاد – بفضل صديق عمره . فتحى رضوان .. وشيعت رفاته في ٢٨ مايو ١٩٥٤ ، وكان في مقدمة المشيعين اللواء محمد نجيب رئيس الجمهورية – البكباشي جمال عبد الناصر – رئيس الوزراء – الصاغ صلاح سالم وزير الارشاد القومى – البكباشي زكريا محيى الدين وزير الداخلية – نور الدين طراف وزير الصحة – فتحى رضوان وزير الدولة – فضيلة الشيخ احمد حسن الباقورى وزير الاوقاف – الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الازهر ، الحاج أمين الحسيني مفتى فلسطين واعضاء اللجنة العربية العليا .

وحمل نعش الفقيد على عربة مدفع ولف بالعلم الاخضر ، ووقف فتحى رضوان يتقبل العزاء .

• قصة قصيرة •

الوجه الآخر

بقلم: نجيبة العسال

امتد الطريق أمامي .. انه يمتد ويمتد وكلما خطوت خطوة زاد الطريق خطوات .. وخطوات .. والتفت حولي وانظر امامي ولا اجد ما يحد طريقي .. حولي متسع خاو وامامي لا نهاية لحدوده .. اللون الارجواني يملأ السماء ، قارب الوجود على الغروب ولكن ما هذا الوهج الذي يملأ جوانبي ، ليس توهجا لكنه وهج مخيف يهب من داخلي حتى اشعر بأنفاسي تكاد تختنق ، هذا ليس شروعا في البكاء ولكنه الطريق أمامي ، فهو لا يمتد فقط ، ولكنه يضيق ويضيق رغم خلافه وبعده عن العمران ، لكن هل هو فعلا خال ابدا ، انه مملوء بمن حولي وهم كثيرون ، ولكنهم بعيدون بعيدون عني ، ومن هم ؟ انهم دمي وعروقي ومن تجرى الانهار بيني وبينهم . انني لا اصدق ما حدث ، فقد كنت أؤمن دائما بتبادل الاشياء في هذه الحياة وكما يقولون من أضمر خيرا وجد خيرا ومن كان مبيتا على الشر كان الشر نهاية ركابه فالتبادل ليس مقصورا فقط على حب الانسان للانسان ولكنه موجود بين الانسان وما يقابله في الحياة وما ينتظره من الحياة ترى هل هذا التبادل يوجد بالنسبة للتضحية في سبيل الاخرين .

هناك رأى يقول ليس من المؤكد أن تنال جزاءك من نفس الانسان الذي ضحيت من اجله وانما المدية لا تنسى ابدا من قام بعمل طيب لاحد ابنائها وعلينا الا ننتظر الجزاء ممن ضحينا في سبيلهم حتى لا تكون صدمتنا كبيرة يوم لا يردون الجميل .. اذن هي الايام وما تحمله في بطونها وليس من يجمعني بهم النهر الكبير ..

توفى أبي وأنا في الخامسة عشرة من عمري ولم يترك لنا الا معاشه الضئيل وكنا بنتين وثلاثة اخوة صغار اكبرهم في الثامنة من عمره وكانت شقيقتي تصغرني بثلاث سنوات أي انها كانت في الثانية عشرة من عمرها .. ولجأت امي الى ماكينة خياطتها التي كانت لا تستعملها الا لملابسنا الخاصة .. كانت شقيقتي متفوقة عني في دراستها وكان أمل أمي الوحيد أن تكافح وتجاهد لتراها

وقد حصلنا على اعلى الشهادات ولكن للاسف الشديد كنت أنا دائما لا أبشر بأنني ساحصل حتى على دبلوم متوسط .. في الوقت الذي كانت شقيقتي تلتهم علومها التهاما . وبدات اشعر بمدى الارهاق الذي تعاني منه أمي في كفاحها من اجل استمرار البيت واستمرارنا ، نحن الابناء الخمسة في دراستنا فصممت على ان أرحم أمي من احساسها بعدم تفوقي الدراسي وان ارحمها ايضا من الانفاق على دراستي ويكفي ان احمل عنها عبء العناية بالبيت او حتى أعاونها في عملها ، وربما استطعت ان احمل عنها العبء كله . وقد كان ، وبمرور الوقت بدأت اتفوق في فن حياكة الملابس واطور عمل امي لكنها آثرت ان تترك العمل كله لي وان تتفرغ هي للعناية بالبيت .

وبدأت الايام تدور ، التحقت شقيقتي بالجامعة . ووصل اشقائي الصغار الى المراحل الدراسية المختلفة .. وزادت اعبائي حتى اني كنت اواصل الليل بالنهار لكي اواجه كل مطالب اسرتي ، لكنني كنت سعيدة ، أشعر بأني اخيرا وجدت طريقي الذى خلقت له . ألم اواصل رسالة امي ورسالة ابي ، اليس طريقي هذا ثماره يانعة وآثاره باقية ، وهل بعد الوصول باشقائي الثلاثة وشقيقتي الوحيدة الى اجمل الطرق وابقاها من شيء ؟ ألست انا انسانة محظوظة أن انعم الله على بنعمة الوفاء لامي وابي واشقائي وهل نجاحهم في الحياة الا نجاح لي انا قبل كل شيء ونسيت نفسي تماما ، لم افكر يوما بأني مازلت آنسة تنتظر حياة اخرى غير حياة اخوتها .. حياة لها وحدها ، تصبح فيها

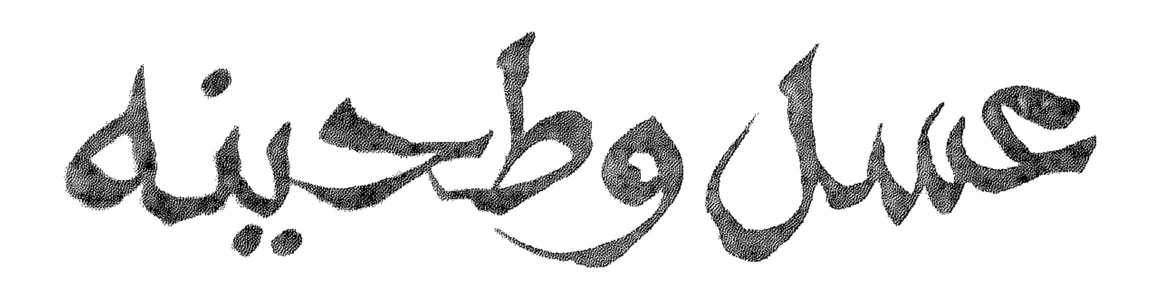


زوجـــــة وربة بيت تعنى بأولادها هي وزوجها . حتى انني كنت عندمــــا يفاتحني أحد في أمر زواجي انظــر اليه في استنكار ودهشة وكأنه قد أتى امرا غير موجود في قاموس الحياة .. ولكن هناك من الامور ما يحـــدث في حياتنـا دون ان نفكر فيه ، وهكذا كان وارتبط قلبي بشاب من عائلة ابي كان قريبا الى نفسي وروحي منذ صــباي المبكر وان كنت اخشى دائمـــا التفكير فيه حتى لا يعوق مسيرتي .. لكنـــه عندما تقدم الى بعد ان احس به قلبي لم استطع الرفض ، فقط اشـــترطت شرطا واحدا الا يفاتحني في اتمـــام الزواج حتى تتخرج شقيقتي لتحل محلي في رعاية أسرتي ، او على الاقل تساهم معي في مطالب الاسرة حتى استطيع أنا ان اتفرغ لحياتي بعض الشيء الى ان يقف اكبر اشقائنا على قدميـــه ويحمل عبء الاسرة .

في هذا الوقت كان قد تبقى عامان على تخـــرج شقيقتي ، عامان كاملان وقبل حبيبي شروطي عن رضـــا وطيب خاطر وبدأ يعمل على تأثيث بيتنـــا .. وتخرجت شقيقتي وزغردت الفرحة في قلبي . سأعمل ليل نهار لاكمل بيتي فهـــا هي الحياة لم تخـــرجني من حسبانها وان لي ان أجني ثمـــار ليالي الماضـــية . ان بيت امي وابي مستمر في الحياة كما هو وطريـــق اخوتي ممتد في مساره الصـــحيح وها هي شقيقتي الصغرى ســـتواصل طريقي في سبيل اخوتي ولكـــن .. ما هذا لقد تعرضت امي لازمة مرضية مفاجئة كان من جرائها ان تعرفنـــا على طبيب شاب ممتاز تماما وفوجئنـــا به يتقدم طالبا يد اختي وهـــو على استعداد تام لكل مطالب بيت الزوجية على ان يتم الزواج فـــورا .. كانت اختي لم تتسلم عملها بعد واقتـــرح الطبيب الشاب الا تحاول شقيقتي تسلم العمل ولا داعي ابدا لان تعمل وامتلات جدران بيتنا بزغاريد امي وفرحـــة شقيقتي وانغرس نصل حادداخل قلبي لقد نسوا تماما ما انا مقبلة عليه وما هو مصير اشقائي الثلاثة ونظرت الى امي طويلا دون كلمة واحدة ولكن شقيقتي لم يكن في جدولها وقت لانظر اليها ..

خرجت الى الطريق وحدي .. اللون الارجواني يلفني والطريق يمتد ويمتد امامي والوهج يخنق حلقي ولكن رويدا رويدا هدأت انفـــاسي وتلاشى اللون الارجواني مع ظهـــور الرمادية التي تتسابق لترطب حلقي واسرعت واسرعت خطواتي الى بيتنا .. انني لن استطيع ان احرم امي من فرحتها بابنتها ، كما لا استطيع أن افرض على أختي واجبها ولكنني انا انا وحدي لن اتخلى عن اخوتي ووقف خطيبي يدافع عن حبنا وبيتنـــا واتهمني بانني افضل واجبي لاخوتي على واجبي لنفسي وحبي وحبيبي .. لكنني صممت على فسخ الخطبة ، في هذه اللحظة نظرت طويلا الى وجه أختي . لقد اتسع جدولها حتى ملأ افقها بوجه اخـــر لم اره من قبل ، وجه ظهر بعـــرض الافق ليعلن للطبيب الشاب رفض طلبه نهائيا ما لم تتسلم عملها وتظل تحمل عبء البيت الى ان يتخرج شـــقيقنا الاكبر واحسست بروحي تحتضـــن الفضاء وقد امتلأ بأشعة الشـــمس الذهبية ، ويوم زفت أختي الى خطيبها الطبيب (الشاب) نظرت امامي وكان الطريق الممتد قد اتسع بعرض الكون كله .

● فى مثل هذا الشهر عام ١٢٩١ استرد المماليك عكا وانتهى حكم الصليبيين للأراضى المقدسة :



بقلم : محمد سيد كيلانى

● ان الحروب الصليبية استمرت نحو قرنين من الزمان ، ولكن ليس معنى هذا أن المعارك ظلت متصلة ليل نهار طوال هذين القرنين دون توقف ، لا لقد كان الطرفان يشعران بالتعب والاجهاد فيتفقان على عقد هدنة تستمر عدة أعوام ●

وهذه صورة هدنة بين السلطان الظاهر بيبرس وبين الاخوة الاسبتار

« استقرت الهدنة المباركة الميمونة بين مولانا السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس وبين الكبير الهمام مقدم حصن الاكراد ، وبين مقدم حصن المرقب وجميع الاخوة الاسبتار لمدة عشرين سنة متوالية وعشرة اشهر وعشرة ايام وعشر ساعات ، اولها يوم الاثنين رابع رمضان سنة ٦٦٥ من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة .

ـ على ان جميع المملكة الحمصية والشيزرية والحموية وبلاد الدعوة المباركة واقع عليها الاتفاق ومستقرة لها هذه الهدنة بجميع حدود هذه الممالك المعروفة .

على أن المستقر بمملكة حمص المحروسة وجميع القرى يكون ايرادها من الغلات مناصفة بين السلطان والاسبتار .

وعلى أن يكون امر فلاحى بلد المناصفات فى الحبس والاطلاق راجعا الى نائب السلطان باتفاق مع نائب بيت الاسبتار ، على ان يحكم فيه بشريعة الاسلام أن كان مسلما ، وان كان نصرانيا يحكم فيه بمقتضى دولة حصن الاكراد . وأن يكون الفلاحون الساكنون فى بلاد المناصفات جميعها مطلقين من السخر من الجانبين .

وعلى ان ما يجبى من اموال يكون نصفه للسلطان والنصف للاخوة للاسبتار » .

عسل وطحينه

وقد ذكر القلقشندي ان العادة قد جرت انه اذا كتبت الهدنة كتب قرينها يمين يحلف بها السلطان او نائبه المفوض بعقد الهدنة . على التوفية بفصـــولها وشروطها . ويمين يحلف عليها القائم عن الملك الكافر المفوض بعقد الهدنة او تجهز نسختها الى الملك الكافر ليحلف عليهـا ويوقع باسمه ، ثم تعـــاد الى الابواب السلطانية .

والبلاد المذكورة في هــــذه المعاهدة هي المقاطعات التي تحت يد الصـــليبيين ، وكان معظم سكانها من المسلمين . ولما كان الفرنجة في حاجة الى من يقوم باعمــال الزراعة والصناعة والتجارة ، اضـطروا الى معاملة رعاياهم المسلمين معاملة طيبة . وقد وصف ابن جبير حالة المسلمين تحت الحكم الصليبي فقال « ... وانتهينا الى حصن كبير من حصون الافرنج يعرف بتبنين ورحلنا عن تبنين ـ دمرها الله ـ وطريقنا كله على ضياع متصـــلة وعمائر منتظمـة وسكانها كلهم مســـلمون وهم مع الافرنج على حالة ترفيه ـ نعوذ بالله من الفتنة. وذلك انهم يؤدون لهم نصف الغلة عند اوان ضمها وجزية على كل رأس دينار وخمسة قراريط ، ولا يعترضونهم في غير ذلك ، ولهم على ثمر الشجر ضريبة خفيفـــة يؤدونها ايضا . ومساكنهم بايديهم وجميع اموالهم لهم ، وكل ما بايدي الفرنج من المدن بساحل الشام على هذه السبيل ، رساتيقها كلها للمسلمين وهي القـــرى والضياع . وقد اشربت الفتنـــة قلوب اكثرهم لما يبصرون عليه اخوانهم من اهل رساتيق المسلمين وعمالهم ، لانهم ضد احوالهم من الترفيه والرفق . وهــذه من الفجائع الطارئة على المســلمين أن يشتكي الصنف الاسلامي بجور صــــنفه والمالك له، ويحمد سيرة ضده وعدوه والمالك له من الافرنج ويانس بعـــدله . الى الله المشتكي من هذه الحال . »

في اوقات الهدنة يجري التعامل بين الطرفين في ثقة تامة وامن واطمئنـــــان . حكى سالم الحمامي قال : « ان احـــد فرسان الافرنج دخل الحمام فرآني وعلى مئزر ، والافرنج ينكرون على من يشد في وسطه المئزر في الحمام . فمد يده فجذب المئزر ورماه ، فرآني وانا قريب عهـد بحلق عانتي ، فقال : سالم ، فاقتربت منه وقال : سالم ، جيد وحق ديني .

ان هذا الفارس اطمان ودخل الحمـام واختلط هو وزوجته بالمسلمين ، ولم يخش على نفسه من ضرر قد يلحقه .

وقال ابن جبير عند تقرير المكوس على المسافرين ببلاد الصليبيين، وذلك في معرض الموازنة بين عمال المكوس عند المســـلمين وامثالهم عند الصليبيين ما نصه « ... وكل ذلك برفق وتؤده دون تعنيف ولاحمل» ثم قال عن عكا « وكانت عكا ملتقى تجار المسلمين والافرنج من جميع الافاق ، وكان بشرقي عكا مسجد بقي محرابه على حاله، ووضع الافرنج في شرقيه محرابا لهم . فالمسلم والكافر يجتمعان فيه . يستقبل هذا مصـــلاه ، وهذا مصلاه . وهو بايدي النصارى معظم محفوظ .

وقال عن صور « واهلها الين في الكفر طبائع ، واجرى الى بر غرباء المسلمين شـــمائل ومنازع ، فخلائقهم اســـجح ، ومنازلهم اوسع وافسح . واحـــوال المسلمين بها اهون واسكن » .

وكان بعض المسلمين قد الموا باللغـة اللاتينيه ، كما درس بعض الافرنج اللغـة العربية . وكان اسـامة بن منقذ يتخذ من الداوية اصـــدقاء يانس اليهم ويانسون اليه . وكان اذا زار بيت المقدس دخل الى المسجد الاقصى وفي جانبه مســـجد صغير قد جعله الافرنج كنيسة . قال : فكنت اذا دخلت المسجد الاقصى وفيـه الداوية وهم اصدقائي ـ يخلون لي المسجد الصغير اصلي فيه .

وكان المسلمون يشاركون الصليبيين فى حفلات الزواج . وابن جبير وصف لاحد هذه الاحتفالات جاء فيه : ((ومن مشاهد زخارف الدنيا زفاف عروس شاهدناه بصور وقد احتفل بذلك جميع النصارى رجالا ونساء . واصطفوا سماطين عند باب العروس المهداة، والبوقات تضرب والمزامير وجميع الالات اللهوية حتى خرجت تتهادى بين رجلين يمسكانها من يمين وشمال . وهى فى أبهى زى وافخر لباس ، تسحب اذيال الحرير المذهب سحبا على الهيئة المعهودة من لباسهم . وعلى رأسها عصابة ذهب وهى رافلة فى حليها وحللها ، تمشى فترا فى فتر . والمسلمون وسائر النصارى من النظار قد عادوا فى طريقهم سماطين يتطلعون فيهم ولا ينكرون عليهم ذلك .

وكان من الصليبيين من يسعى الى التحالف مع المسلمين ضد بعض ملوك النصارى . ومن هؤلاء امبراطور الروم فقد كان خائفا من الفرنج على بلده ، مدافعا عن نفسه، كما ان ملك قبرص كاشف ملك انكلترة بالعداوة والحرب . وكاتب صلاح الدين يعرض عليه الدخول فى طاعته والمظاهرة على الملك المذكور . ويقول القاضى الفاضل ((والله ما افلح ملك الروم قط ولا نفع ان يكون صديقا ولا ضر ان يكون عدوا))

وكان البنادقة والجنويون على علاقة طيبة بالمسلمين ، لانهم كانوا يحتكرون تجارة الواردات والصادرات . وقد حصلوا على حق انشاء مركز تجارى اهم فى الاسكندرية وبعض مدن الشام . فشيدوا وكالة وكانوا يخزنون فيها بضائعهم ويعملون فيها كل ما يلزمهم من الطعام والملابس . ولم يكن لهم اهتمام بالشئون الدينية . ولذلك تحالفوا مع السلطان الغورى ضد البرتغاليين حين اكتشفوا طريق رأس الرجاء الصالح . وقد حلت الهزيمة بالاسطول المصرى فى معركة ديوى البحرية .

وكان من المسلمين من يتحيز للافرنج لما عندهم من نساء جميلات . قال ابن كثير فى البداية والنهاية حوادث سنة ٥٨٦

((استهلت والسلطان محاصر لحصن عكا ، وامداد الافرنج تفد اليهم من البحر فى كل وقت حتى ان نساء الفرنج ليخرجن بنية القتال ، ومنهن من تاتى بنية راحة الغرباء لينكحوها فى الغربة فيجدوا راحة وخدمة وقضاء وطر . قدم اليهم مركب فيه ثلاثمائة امراة من احسن النساء واجملهن بهذه النية فاذا وجدوا ذلك ثبتوا على الحرب والغربة حتى ان كثيرا من فسقة المسلمين تحيزوا لهم من اجل هذه النسوة واشتهر الخبر بذلك)) . وفى وصف تلك النسوة يقول العماد الاصفهانى ((فوصلن وذكرن انهن قصدن بخروجهن تسبيل فروجهن . وانهن لا يمتنعن من القربان ، ورأين انهن لايتقربن بافضل من هذا القربان . وتفردن بما ضربنه من الخيم والقباب . وفتحن ابواب الصدور على الاعجاز وسمحن بالسلفة لذوى الاعواز)) .

وكان ابن القيسرانى الشاعر يذهب الى كنائس الافرنج ويتغزل فى النساء ويتمنى ان لو كان صليبا ، او صورة مرجرجس . فمن ذلك قوله :

بدينك يا قس بربارة
وما بت تتلوه فى المقدس
اجرنى من الصور الناطقات
وقد فمن حولك فى مدرس
اذا هن القين وقت الصلاة
فى كل لون من الاطلس
فيا ليتنى عندها دمية
ترانى ولا ريب فى ملمس
فاقسم لو اننى استطيع
تحولت صورة مرجرجس

وبعد انقضاء مدة الهدنة ترك الصليبيون الشرق ، وانقطعت الصلة بينهم وبين الشرقيين ماعدا البنادقة والجنويين فانهم ارتبطوا بالشرق وخاصة مصر بروابط اقتصادية . ووجدوا من سلاطين المماليك خير مشجع . وكان بعض الرحالة من الاوربيين يزور مصر والشام ، ويدون مشاهداته . ومن اشهر هؤلاء فولنى الفرنسى وله كتاب ضخم عن رحلته .



بقلم : د . أحمد عبد الرحيم مصطفى

الدولة العثمانية في الكتابات الغربية

منذ قيام الدولة العثمانية حتى انهيارها كانت الكتابات الغربية التى عرضت لها متأثرة الى حد كبير بعاملين رئيسين :

اولهما : ان هذه الدولة كانت امتدادا للدول الاسلامية السابقة وانها ظلت عدة قرون تشكل اخر الامبراطوريات الإسلامية • لهذا اصطبغت الكتابات الغربية عنها بالصبغة الصليبية التى أساءت فهم الاسلام والمسلمين خاصة وان الاتراك العثمانيين لم يندمجوا فى رعاياهم وجيرانهم الاوروبيين ، بل ظلوا شديدى الحرص على دينهم الاسلامي وعلى التراث الذى استقوه من الحضارة العربية الاسلامية التى اختلفت عن الاسس التى قامت عليها الحضارة الغربية

(ثانيهما) ان الدولة العثمانية قد شكلت منذ ظهورها خطرا متزايدا على أوروبا • حقيقة ان الاوروبيين واجهوها منذ البداية بسلسلة من الحملات الصليبية ، الا أن العثمانيين أوقعوا بهذه الحملات هزائم مريرة ـ نذكر منها على سبيل المثال موقعة قوصوه (١٣٨٩) وموقعة نكوبوليس (١٣٩٦) وموقعة فارنا (١٤٤٤) • وأخيرا حقق العثمانيون حلم المسلمين القديم الخاص بالاستيلاء على القسطنطينية والقضاء على الدولة البيزنطية ، وهى آخر ما تبقى من الامبراطورية الرومانية القديمة (١٤٥٣) • ثم مضى العثمانيون فى توسيع أملاكهم فاستولوا على كل شبه جزيرة البلقان وجزر شرقى البحر المتوسط وسيطروا على جنوبى روسيا واحتلوا المجر (١٥٢٦) وحاصروا فيينا فى عام ١٥٢٩ ، ولم يكن ذلك آخر حصار لهذه المدينة الهامة الواقعة فى قلب أوروبا والتى لم تلبث أن أصبحت عاصمة لما عرف باسم الامبراطورية الرومانية المقدسة • بل لقد نزلت



مصطفى كمال اتاتورك

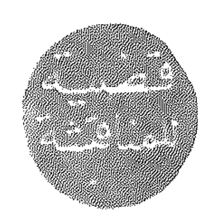


السلطان عبدالحميد

القوات العثمانية فى جنوبى ايطاليا عدة مرات أولاها فى أواخر عهد السلطان محمد الفاتح (١٤٥١ ـ ١٤٨١) ـ وكان هدف هذا التوجه العسكرى الزحف على روما والقضاء على البابوية التى ما فتئت تدعو الاوروبيين الى حمل الصليب وتدمير الدولة العثمانية وفتح الطريق نحو القدس • وفى الوقت الذى هددت فيه الدولة العثمانية ألمانيا سيطرت على كل الوطن المعربى باستثناء مراكش وسدت مداخل البحر الاحمر فى وجه الحملات الصليبية البرتغالية •

● تفتيت العالم الغربى ●

وتصدت للوجود البرتغالى فى الخليج العربى وفى المياه الشرقية وساندت مسلمى الاندلس الذين تعرضوا للاضطهاد الاسبانى وحررت طرابلس المغرب وتونس والجزائر من الاحتلال الاسبانى ـ الصليبى وسيطرت بعض الوقت على الملاحة فى البحر المتوسط ، وبعد أن تحطمت وحدة العالم الغربى فى أعقاب حركة الاصلاح الدينى التى فجرها مارتن لوثر فى أوائل القرن السادس عشر ساندت الدولة العثمانية المذهب الجديد الذى استنجد أنصاره بها ذاهبين الى أن مذهبهم أقرب الى التوحيد الاسلامى من المذهب الكاثوليكى •• ولاسباب سياسية فى المحل الاول انقذت الدولة العثمانية المذهب الجديد من الدمار الذى كان عرضة لان يلحق به على يد الامبراطورية الرومانية المقدسة التى هيمنت على ايطاليا واسبانيا وأملاكهما فى العالم الجديد والمانيا والاراضى المنخفضة وتزعمت الجهود التى بذلت لمواجهة العثمانيين



والمذاهب المنشقة على سلطة البابوية وهكذا لعبت الدولة العثمانية دورا هاما فى تفتيت وحدة العالم الغربى الذى انشغل بالحروب الدينيه والاستعمارية – بل لقد استنجدت ملكة بريطانيا اليزابيث الاولى بالسلطان العثمانى فى أواخر القرن السادس عشر لكى يرسل سفنه لحماية الجزر البريطانية من الخطر الاسبانى ، مدعية هى الاخرى انها تعتنق التوحيد الذى اخذ به سلاطين آل عثمان والعالم الاسلامى !

لكل هذا كان العثمانيون مصدر رعب بالنسبة للاوربيين الذين خشوا أن تقضى الدولة العثمانية على الدين المسيحى – لهذا دقت اجراس الكنائس فى ربوع القارة الاوروبية لدى وفاة السلطان محمد الفاتح ثم لدى فشل حصار العثمانيين لفيينا اكثر من مرة وظلت مخاوف الاوربيين من العثمانيين تلعب دورا رئيسيا فى تشكيل الصورة التى كونوها عن العثمانيين ، وهى الصورة التى امتزجت الى حد كبير ولفترة طويلة بالتراث الاوروبى الوسيط المتعلق بالاسلام والمشرق، خاصة وأن الاوربيين خلطوا ما توصلوا اليه من المعلومات عن العثمانيين باشكال الفكر والتعبير التى ارتبطت بالاسلام فى العصور الوسطى ، وهى اشكال ذات صبغة صليبية شديدة العداء للاسلام والمسلمين • لهذا ظل العثمانيون بالنسبة الى اوروبا يمثلون خطرا لا يستهان به ، وبالتالى كانت الوثائق الخاصة بتنظيمهم والدراسات المتعلقة بنواياهم السياسية والتواريخ المستفيضة التى تناولت تصاعد قوتهم تشكل الاساس الذى قامت عليه المؤلفات التى تطرقت اليهم، حيث ظل الاوربيون ردحا طويلا يعتبرون الصراع ضد العثمانيين وسائر المسلمين جزءا من صراع كونى واحد بين المسيحية والاسلام •

وفى اسبانيا التى حملت العبء الاكبر فى مواجهة العثمانيين تعقدت وجهة النظر هذه التى نمت فى ثنايا اضطلاع الاسبان بمهمة دينية تستهدف تحويل العالم الى الدين المسيحى على المذهب الكاثوليكى ، وبالتالى فانهم سعوا عقب سقوط غرناطة (١٤٩٢) الى تعقب المسلمين فى شمالى افريقيا، كما سعوا الى تنصير السكان الاصليين الذين خضعوا لهم فى الامريكتين عقب الكشوف الجغرافية الا ان بسالة العثمانيين فى مواجهة الاسبان جعلت هؤلاء الاخيرين يعترفون بقدرة عدوهم الحربية ويعترفون بدقة نظامهم، ولو أنهم عزوا فشلهم فى مواجهتهم لا الى قوة العدو ، بل الى سوء القيادة أو الى أوضاع الاجرام السماوية • وهكذا تطورت نظرة الاسبان الى العثمانيين خلال القرن السادس عشر من الخوف الى الاحترام والاعجاب • على انه فى أعقاب فشل الحصار العثمانى لجزيرة مالطة (١٥٥١) وهزيمة الاسطول العثمانى فى موقعة ليبانتو (١٥٧١) على أيدى التحالف المسيحى أخذت تتغير الصورة التى كونها الكتاب الاسبان عن الصراع ضد العثمانيين • فالانتصارات التى أحرزها الجند المسيحيون والاسبان فى مالطة وبوجه خاص فى ليبانتو قد استتبعت انتعاشا نفسيا رفع مستوى ثقة المسيحيين بانفسهم فيما يتعلق بعلاقاتهم بالمسلمين وعدلت الصورة الادبية الخاصة

بالخصم المسلم الذى أضحى حينئــذ اقل خطورة بكثير ـ فلم يعد الاتراك مصدر خطر مخيف يستوجب توخي العناية في تحليلهم ، بل أصبح في حيز الامكان أن يشكلوا موضوعا للاعمال تستند الى الخيال ٠

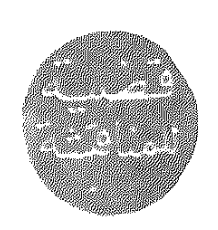
● حملات ضد العثمانيين ●

وحتى أواسط القرن السابع عشر أصبح تاليف أعمال خيالية عن الاتراك العثمانيين اداة استعان بها المؤلفون الاسبان فى تمجيد بلدهم ودينهم فى الوقت الذى لم يشهد حربا واسعة النطاق ضد المسلمين ٠ ولما لم يحل الانهيار بالعثمانيين بفعل الاسلحة المسيحية تمسك الكتاب الاسبان بامل أن تنجز مثالب المجتمع العثماني مالم يتسن للسيف انجازه ٠ ومما تجدر الاشارة اليه أن الكاتب الاسباني الكبير ميجيل دى سرفانتس مؤلف القصة الشهيرة (دون كيخوته) قد اشترك فى الحملات الاسبانية على الشمال الافريقى ، بحيث أثرت هذه التجربة فى كثير من الصور الادبية التي تمتلىء بها قصته ٠ وفى مجال المناقشة اهتم المؤلفون اهتماما كبيرا بأمراء العثمانيين وخلعت صفات سلبية ـ كالسكر والشهوات ـ على السلاطين العثمانيين من أمثال سليم الثاني (١٥٦٦ ـ ١٥٧٤) ومراد الثالث (١٥٧٤ ـ ١٥٩٥) ، وعزيت الى التركي كل المثالب التى فى مقدمتها ـ فى رأى الغربيين ـ تعدد الزوجات والطلاق ٠ وقد جرى هذا التحول فى وصف الاتراك العثمانيين والمجتمع الاسلامي وصفا خياليا فى الوقت الذى اشتد فيه ساعد حركة الاصلاح الكاثوليكي فى أوربا ، وهى الحركة التى وجهت هجومها الى أعداء البابا والمذهب الكاثوليكي ولجأت الى اسلحة قمعية منها محاكم التفتيش والحرق علنا ، وحظر الكتابات التى لا تقرها البابوية ومنها القرآن الكريم وكتابات افلاطون ودعم الجماعات الكاثوليكية المسلحة (وأهمها الجزويت بمعنى جند المسيح) التى كانت تسعى الى التصدى لأعداء المذهب الكاثوليكي واستغل امتلاك العثمانيين للبقاع المسيحية المقدسة فى فلسطين فى احياء الروح الصليبية بصفة دورية ٠

● تركة الرجل المريض ●

ثم بدأ عصر الهزائم العثمانية المتتالية وبخاصة بعد ظهور روسيا القيصرية وتشكيل شتى المحالفات الاوربية التى استهدفت القضاء على الدولة العثمانية ٠ وفى ثنايا هذا الهجوم الاوربى المعاكس ظهر ما عرف فى المصطلح الدبلوماسى باسم « المسألة الشرقية » وتركة « الرجل المريض » ٠ وهكذا فمنذ القرن الثامن عشر بوجه خاص تحولت نظرة الاوربيين الى العثمانيين من الاعجاب والاحترام الى عدم الاكتراث والاحتقار ٠

وظهرت الى حيز الوجود مختلف المشروعات التقسيمية التى أحصى منها الكاتب جوفارا مائة مشروع تقدم بها ساسة وتجار ورجال دين وغير ذلك ٠ ويرتبط بهذه المشروعات تصميم اوربا على أن تفرض حضارتها على الشعوب الاقل حضارة فى شتى أنحاء العالم ، واتخذ هذا الاتجاه عدة أشكال استعملت فيها اسماء التجارة والتقدم والانسانية والدين أو أى اصطلاح مناسب آخر ، وجرى الافتراض بأن على كل الشعوب أن تقبل عن طيب خاطر الاخذ بالمثل والانماط الادارية الاوربية ولوقت طويل ظلت فكرة الاوربيين الخاصة بالاتراك والدولة العثمانية متأثرة بنفس المفاهيم الوسيطة التى



سخرت لخلع الشرعية على الحروب الصليبية وثبت جدواها فى عصر الامبريالية الاقتصادية والثقافية ، فروسيا القيصرية ادعت أنها وريثة الامبراطورية البيزنطية وغلفت أهدافها التوسعية بمسيرة انسانيه الهدف منها تحرير الشعوب البلقانية الارثوذكسية من نير الاتراك العثمانيين .

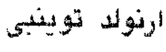
وتوافد المبشرون الامريكان والفرنسيون وغيرهم على الامراك العثمانية وهم يحلمون بتنصير المسلمين و « هداية » الطوائف المسيحية المحلية واثارتها لكي تتمرد على الحكم العثماني أملا فى تمزيق الامبراطورية العثمانية وتحقيق الاحلام الصليبية القديمة . وحين لجات الدولة العثمانية الى قمع أعمال التمرد أثيرت ضدها حملات دعائية شرسة ـ بل ان السياسى البريطانى وليم ايوارت جلادستون صرح فى عام ١٨٧٧ فى أعقاب أعمال الشغب التى قام بها البلغاريون بأن الاتراك العثمانيين يشكلون وصمة عار فى جبين أوربا وانه قد أن الاوان لطردهم بقضهم وقضيضهم bag and baggage من القارة الاوربية ومن ناحية أخرى فان بعض الدراسات الاوربية التى جرت فى أواخر القرن الثامن عشر وخلال القرن التاسع عشر وكتبها رجال على اطلاع وثيق بأوضاع الدولة العثمانية كانت تستند الى الواقع وتسعى الى تحقيق أهداف عملية ـ ومن هؤلاء أشخاص اضطلعوا بين وقت وآخر بخدمة حكومات أوربية وانشغلوا الى حد كبير بمشاكل محددة تتصل بالتجارة والاقتصاد والتغييرات الادارية والسياسية ، فى حين نظر البعض الآخر أحيانا الى المشاكل العثمانية من زاوية المصالح الاقليمية والاقتصادية الاوربية وبالتالى اقترحوا أن تعمد الدولة العثمانية الى القيام باصلاحات عصرية على النمط الاوربى من شأنها أن تطور نظمها ومؤسساتها وفق أسس جديدة . ومن تحمسوا لهذه الاصلاحات كتاب وساسة بريطانيون كانوا يسعون الى تقوية الدولة العثمانية بحيث تشكل حاجزا فى وجه التوسع الروسى صوب المياه الدفيئة . وقد أبدى دعاة الاصلاح الاوربيون ، وبوجه خاص الانجليز ، ضيق صدورهم نتيجة البطء فى تحديث الدولة وتوقعوا أن يلمسوا تغييرات سريعة ، ومن ثم أحكامهم السلبية وتجاهلهم لكون الصعوبات المحيطة بالدولة العثمانية أخطر بكثير مما كانت تواجهه معظم الدول المعاصرة

● السقوط المتوقع ! ●

وكان موقف الكتاب الاوربيين من الدولة العثمانية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين متأثرا بالقضايا المعقدة التى أثارتها المسألة الشرقية وهى القضايا التى كانت تدور حول السقوط المتوقع والمحتمى للامبراطورية العثمانية وتقسيم أملاكها وتوزيع مناطق النفوذ الجديدة فى الشرق الاوسط . ومن العسير توقع قيام الكتاب الاوربيين بدراسات موضوعية عن المجتمع العثمانى فيما اعتبر الايام الاخيرة من حياة الدولة . وعززت وجهة النظر السلبية هذه الكتابات القومية التى صدرت فى البلقان ووصفت الدولة العثمانية بأنها دولة أجنبية اعترضت التطور الطبيعى للنظم السياسية الحديثة لدى شعوب

البلقان التى أرجعت تخلفها عن باقى الشعوب الاوربية الى خضوعها للحكم العثمانى الذى دمغ بالبربرية والقسوة والظلم والجمود ، وهى الأحكام العامة التى كانت لا تزال متداولة فى الغرب وكان لها أثرها فى موقف الدول الاوربية من الدولة العثمانية التى مالبثت أن اقحمها الاتحاديون فى آتون الحرب العالمية الاولى الى جانب المانيا وحلفائها، وحين حلت الهزيمة بدول الوسط، ومنها الدولة العثمانية حكم على هذه الاخيرة بالفناء وعوملت بقسوة استثنائية لم تطبق على باقى الدول المنهزمة بحيث سعى اليونانيون الى بعث الدولة البيزنطية والقضاء على الوجود التركى فى أوروبا وشبه جزيرة الاناضول .

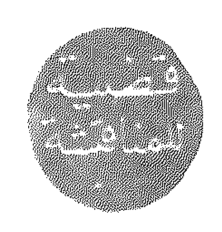
الا أن الاتراك ، ازاء روح التشفى التى صدرت عن المنتصرين والاقليات الدينية ، رفعوا لواء المقاومة بعد أن انتهى وجود الدولة العثمانية ـ من الناحية الواقعية ـ بصفتها دولة أوربية واخيرا وجدت حركة المقاومة الوطنية التركية قائدها فى مصطفى كمال (أتاتورك) الذى نسقها وبلور أهدافها وجسم أمانيها ثم قادها الى النصر فى النهاية وأقام النظام الجمهورى الذى قضى على الخلافة العثمانية وأخذ بالعلمانية ووضع حدا نهائيا لجعل الشريعة الاسلامية الاطار العام للدولة وساوى بين الرجل والمرأة وبين المواطنين على اختلاف دياناتهم وابطل استعمال الحروف العربية وفرض استعمال الحروف اللاتينية وارتداء الملابس الاوربية . ولم يخف الكتاب الاوربيون اعجابهم بالعهد الجديد ومحاولاته الاصلاحية التى قارنوها بما اعتبروه جمودا خلال العصر العثمانى . ومن أهم من أشادوا بالتحول الجديد المؤرخ البريطانى رنولد توينبى الذى كان شديد الحماسة للحضارة الغربية التى كان يتوقع أن تسود العالم بعد قضائها على الحضارات القديمة ، ومن ثم حماسته لأخذ تركيا الحديثة ببعض الانجازات الغربية . بل انه فى بعض دراساته ذهب الى أن اقتباس العثمانيين لبعض مظاهر الحضارة الغربية منذ أواخر


ارنولد توينبى



شفيق غربال





القرن الثامن عشر قد جر وراءه كل مقومات هذه الحضارة التي اكتسحت ديناميتها الاسس العامة التي بنيت عليها النظم العثمانية ، وهي النظم التي أرجعها الى أصول رعوية . وجارى توينبى فيما ذهب اليه تلميذه المصرى محمد شفيق غربال الذى تأثر بآرائه جيل كامل من تلامذته المصريين رغم أن هذه الآراء قد واجهت النقد فى الغرب هيونظرياتتوينبى المتعلقةبقيام الحضارات وانحلالها . فرغم تأثر البنى الفوقية للدولة العثمانية ولتركيا الجمهورية بالانماط الاوربية فان جماهير الاتراك لا تزال متمسكة بكثير من العادات والتقاليد الشرقية والاسلامية

انصاف الحضارةالعثمانية

وبعد الحرب العالمية الثانية كانت قد زالت مختلف المشاعر التى كان يثيرها الوجود العثمانى فى مخيلة الاوربيين مما مهد لظهور عدد كبير من المؤرخين المنصفينالذين اصطنعوا الموضوعية فى معالجة أسس الحضارة العثمانية وأكدوا على دورها الحيوى بالنسبة الى تاريخ الاسلام والشرق الاوسط وأثاروا اهتماما جديدا بالتاريخ العثمانى . وفى طليعة هؤلاء المؤرخين فرانز بابنجر الذى لا تزال دراسته الخاصة بالسلطان محمد الفاتح تشكل مصدرا كلاسيكيا لحياة هذا السلطان وانجازاته ، وبول فتك الذى خرج فى كتابه « قيام الامبراطورية العثمانية » بنظرية جديدة عن أصل العثمانيين تناولت بالتحليل والمقارنة القصة التقليدية الخاصة بهجرة آل عثمان الى الاناضول فى زمن المد المغولى ، وأرجع قيام الدولة الى حركة الجهاد الاسلامى التى نمت فى غربى الاناضول فى أعقاب انهيار دولة سلاجقة الروم فى أواخر القرن الثالث عشر . ومن المؤرخين المرموقين الذين توخوا الموضوعية فى تناول التاريخ العثمانى برنارد لويس الذى أضاف الى المكتبة التاريخية عدة دراسات أصيلة حول التاريخ العثمانى لعل أهمها كتاباه « ظهور تركيا الحديثة » .. و « استانبول والحضارة العثمانية » هذا الى جانب مؤرخين غربيين مرموقين آخرين منهم كلود كامان ـ وروبرت مانتران ـ وهاملتون جب ـ وهارولد بون وغيرهم. ومما ساعد على اعادة النظر فى التاريخ العثمانى بدء تنظيم الارشيف التركى وانتشار دراسة التاريخ العثمانى فى الجامعات الغربية . أما فى شبه جزيرة البلقان التى اعتنقت كثيرا من دولها ـ الايديولوجية الماركسية فى أعقاب الحرب العالمية الثانية فقد فسر التاريخ العثمانى باعتباره العصر الاقطاعى الذى سبق ظهور البورجوازية الصغيرة فالراسمالية فى القرن التاسع عشر ثم الاشتراكية بعد ذلك . وترتب على ذلك ظهور مادة وفيرة ترتبط بالتطور الاقتصادى والاجتماعى . وهكذا تعدلت النظرة الى التاريخ العثمانى خلال السنوات الاخيرة بسبب الاهتمام بالوثائق العثمانية بحيث أصبح فى حيز الامكان وضع هذا التاريخ فى مكانته الصحيحة فى اطار التاريخ العالمى .

أما فى الولايات المتحدة فلم تتطور الدراسات الخاصة بالتاريخ العثمانى الا بعد الاربعينيات من القرن العشرين

فقبل ذلك كان هذا التاريخ يشكل جزءا من التاريخ الاوربى العام ، وبخاصة فيما يتعلق بالدبلوماسية الاوربية والدراسات المتعلقة بجنوب شرقى أوروبا دون اهتمام كبير بلغة العثمانيين وثقافتهم أو بالدراسات العربية والاسلامية . وكانت هذه الدراسات السابقة متأثرة بالاحكام الخاصة « بمذابح الأرمن » و « المآسى البلغارية » بحيث دمغ السلطان عبد الحميد فى الغرب باعتباره « السلطان الاحمر » و « السلطان السفاح » و « عدو المسيح » . وكان من المعتقد حينئذ أن الامبراطورية العثمانية على وشك الانهيار بحيث كانت « المسألة الشرقية » هى شغل المؤرخين والساسة الشاغل . وكانت أوروبا وأمريكا لا تزالان تعتقدان اعتقادا راسخا بتفوق الحضارة الغربية على كل ما كان يمكن للبلدان « المتخلفة » فى الشرق أن تنجزه ، ومن ثم نشاط المؤسسات التعليمية التبشيرية فى الامبراطورية العثمانية وقبول وجهات نظر المهاجرين الى الغرب من غير المسلمين الذين اعتبروا حجة فى كل ما يتعلق بالعثمانيين وسادت آراؤهم وأحكامهم دون أن يضبطها تحليل نقدى . بل لقد ظل الامريكان حتى وقت قريب متأثرين بالاحكام التى أطلقها الكتاب الاوروبيون على الدولة العثمانية ، وهى أحكام كانت متحيزة بوجه عام ومتأثرة بأفكار مسبقة ، بعضها مستقى من معتقدات دينية ولا يستند الى أى مصادر عثمانية . ولكن لم تلبث الجامعات الامريكية ، وفى طليعتها جامعة هارفارد ، أن شجعت تقدم الدراسات العربية والتركية ، خاصه وان الجامعات الامريكية قد اهتمت فى أعقاب الحرب الاولى بتاريخ وأوضاع جنوب شرقى أوروبا التى ارتبطت الى حد كبير بالامبراطورية العثمانية ، خاصة وأن تركيا الحديثة قد وثقت علاقاتها بدول البلقان . وكانت النتيجة هى أن الجامعات الامريكية اهتمت اهتماما متزايدا باللغة والمصادر التركية - العثمانية وخلال الحرب العالمية الثانية ازداد اهتمام الولايات المتحدة بمنطقة الشرق الاوسط ذات الموقع الاستراتيجى الهام والثروة البترولية الضخمة والامكانات التجارية المتزايدة - وهكذا أضيف الى برامج بعض الجامعات الامريكية دراسات شرق أوسطية تشتمل على التاريخ العثمانى والتركى واللغة العثمانية التركية - ومن هذه الجامعات برنستون وكولومبيا وهارفارد وميتشجان وشيكاغو وكاليفورنيا . (لوس أنجلوس) وما لبثت هذه الجامعات أن اجتذبت باحثين أوروبيين وأتراك ، من أمثال اندرياس تيتزه وخليل اينالجك وفاخر عز وكمال كربات ، لعبوا دورهم فى تأصيل الدراسات التركية والعثمانية وتوجيه الدارسين الى المادة المتوفرة فى تركيا التى لعبت دورها فى تصحيح كثير من الاخطاء الموروثة المتعلقة بالاتراك والتاريخ العثمانى .

من العرض السابق يمكننا أن نكون فكرة عامة عن تطور نظرة الغربيين الى الدولة العثمانية وتاريخها . فقد شابت هذه الفكرة فترة طويلة نظرة مسبقة ومتحيزة حكمت على الاتراك العثمانيين بوجه عام من زاوية الاهتمامات والمصالح والمعتقدات الغربية . ثم جاء رسوخ الدراسات التاريخية فى الجامعات الغربية واتباع وسائل البحث العلمى والرجوع الى المادة العثمانية ليصحح النظرة الى التاريخ العثمانى ويزيل التعصب والاهواء التى لازمته .



صبرى منصور

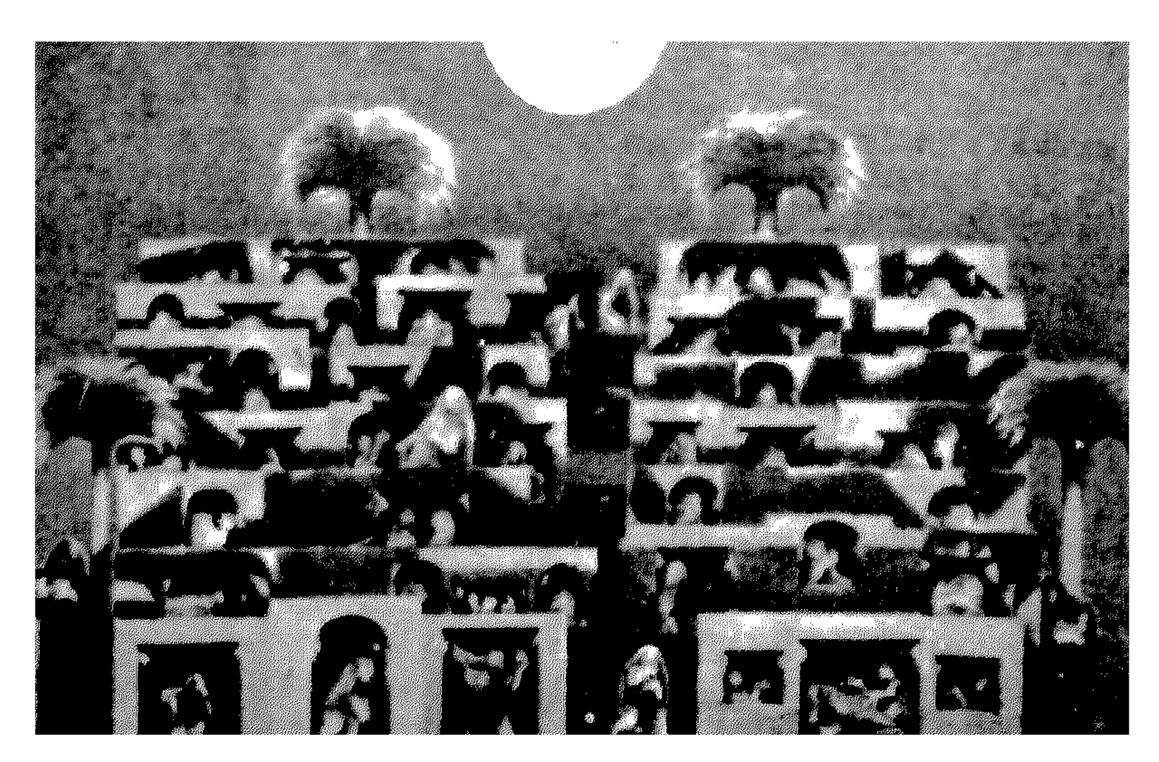
"الأحلام دائماً بحاجة إلى تفسير"

بقلم : د. نعيم عطية

عرفت فى اواخر الستينيات صبرى منصور فنانا يضرب بعيدا موغلا فى دروب صامتة ، معرضا عن الصخب الزائف ، مصغيا الى الصوت الداخلي الهامس كل ما فى لوحاته روح البرية سابحة فى بحورها الخضراء الضبابية ، وليس الزمان يحسب بالساعات ، فهو زمان تراجيدى . عالم سكونى .. التفاصيل عنه مقصية ، فتقل المباشرة ، والايحاء يقوى، عالم الحلم هو ، لكنه الحلم الدرامي لا الفانتازيا ، علاقة ضارية بين الانسان والمجهول ، السماء انقضاض ، والارض استسلام لتهديد ، وانطراح على مذبح ، الحركة استحالت رمزا، فالطائر مثلا ليس طائرا بذاته ، لكنه المخلب الجارح ، والمنقار الشرس، والنظرة التى لاتطرف. شبحيات بكائية خارجة من توابيت الفراعنة .

لوحات صبرى منصور لا تعطى سرها لاول نظرة، وعلى الرغم من أن حيزها يظل اميل الى الخواء ، الا ان اجواءها تبقى مشحونة بالتوتر ، وتنم عن معاناة

اللغز ، فالوجه الذى تغطيه جدائل الشعر الغزيرة المنسكبة ، والنقاب الابيض الذى يذوب فى الخلفيات الخضراء الشاحبة تخفى على الدوام سرا ، انها

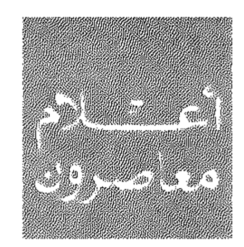


قريتنا فى الليل ١٩٨٢

اجواء غنية رغم الزهد اللونى ، ورؤية منفردة فى تصويرنا المعاصر .

الريف موضوع مطروق، كثيرون صوروا مناظر الحصاد ، والعمل فى الحقــل ، وملء الجرار من النهر ، والعــودة من السوق ، وغير ذلك من مناظر الحياة فى الريف ، اما صبرى منصور فقد دخــل منــذ أواخر الستينيات الى موضوع ((القرية)) وهو موضوع حبيب الى قلبه منذ صباه الباكر ـ دخله من زاويــة ((الليل)) واضحى شغله الشاغل فى هذه المرحلة التى تلى عودته من البعثــة الى اسبانيا هو ((الليل الريفى)) .

ولهذا الموضــوع بالنسبة لصــبرى منصور شقان : الاول هو الموضوع نفسه، الذى يتناوله بشكل جديد ، يختلف عما سبق لكل من طرقه قبله . اما الثانى ، فهو ان صبرى منصور قد اقصى عــن انشغاله الجوانب التى الفها الفنــانون الســابقون من الريف . ترك الريف السابح فى الضياء النهارية ، المتلالىء تحت وهج الشمس ، وركز على زاوية ((الليل الريفى)) الهامس ، المــلىء بالاسرار والحكايات الخرافيــــة ، والحواديت ، والالغاز ، وهل ننسى على سبيل المثال ((الجنية)) التى تعيش فى بئر الساقية ، ((وام الشعور)) التى تحيا على ضفاف الترع وتتمايل فى رشاقة ومهابة عندما يطلع القمر ، والعفاريت التى تملأ الازقة والدروب و ((الغيطان)) النائمة فى ظلمة الليل الريفى المعتمة ؟ وهذا الجانب الخرافى بدأ يختفى مــن الريف المصرى بدخول الكهرباء ، وتشييد البيوت من الاسمنت المسلح ، وهمــا خامتان تفتقران الى الذوق والحس ، لان البيوت الريفية المبنية بالطين كانت مـن حيث الشكل الفنى مليئة بالجمــال والدفء ، ومن ناحية اخرى ، فقــد انشغل صبرى منصور فى لوحاته عــن الريف فضلا عن مصرية الموضوع والتصاقه الحميم بالبيئة ـ أنشــغل بـأن تجىء صياغته ذاتها للموضوع حاملة خصــائص الاستقلال والاختلاف عن الصياغات التى تم بها التعبير عن موضوع الريف مــن قبل . ولنذكر من الصياغات القديمة فى هذا المقام اعمال يوسف كامل عن الريف



المصرى ، التى كانت تحتوى - فى نظر صبرى منصور - على نوع من التناقض بين بيئية الموضوع واوربية المعالجة ، المتمثلة فى « المذهب التأثيرى » . على الاخص . فلم يكن هناك فرق بين اعمال يوسف كامل وبين اعمال اى فنان تأثيرى اجنبى تسنى له ان يسجل بنفس اللمسات المفعمة بالالوان المضيئة ، تلك الموضوعات التى طرقها يوسف كامل . وقد حاول صبرى منصور من ناحيته ان يزيل هذا التناقض بالمواءمة بين الموضوع وطريقة تناوله وتجسيده . لهذا كانت صياغته تستمد جذورها من قيم فنية منتمية الى مصر ، اكثر من انتمائها الى قيم التراث الفنى الغربى ، فعلى سبيل المثال هناك عنصر «السمترية» وهى فكرة ممجوجة اصلا فى الفن الغربى ، ولكنها محببة فى التراث المصرى القديم ثم القبطى والاسلامى . وهناك عنصر « هندسية التصميم » . وهناك ايضا عنصر « التسطيح » او المنظور الذى لا يعتمد على فكرة الايهام بالبعد الثالث ، وانما يركز على بعدين اثنين ، وهو منظور يختلف اختلافا كبيرا عن المنظور الغربى الذى يرمى اساسا الى تجسد الواقع والايهام به ، هذه العناصر الثلاثة هى العناصر الاساسية التى اعتمد عليها صبرى منصور فى تصميماته ، وادت الى تحقيق شكل متميز .

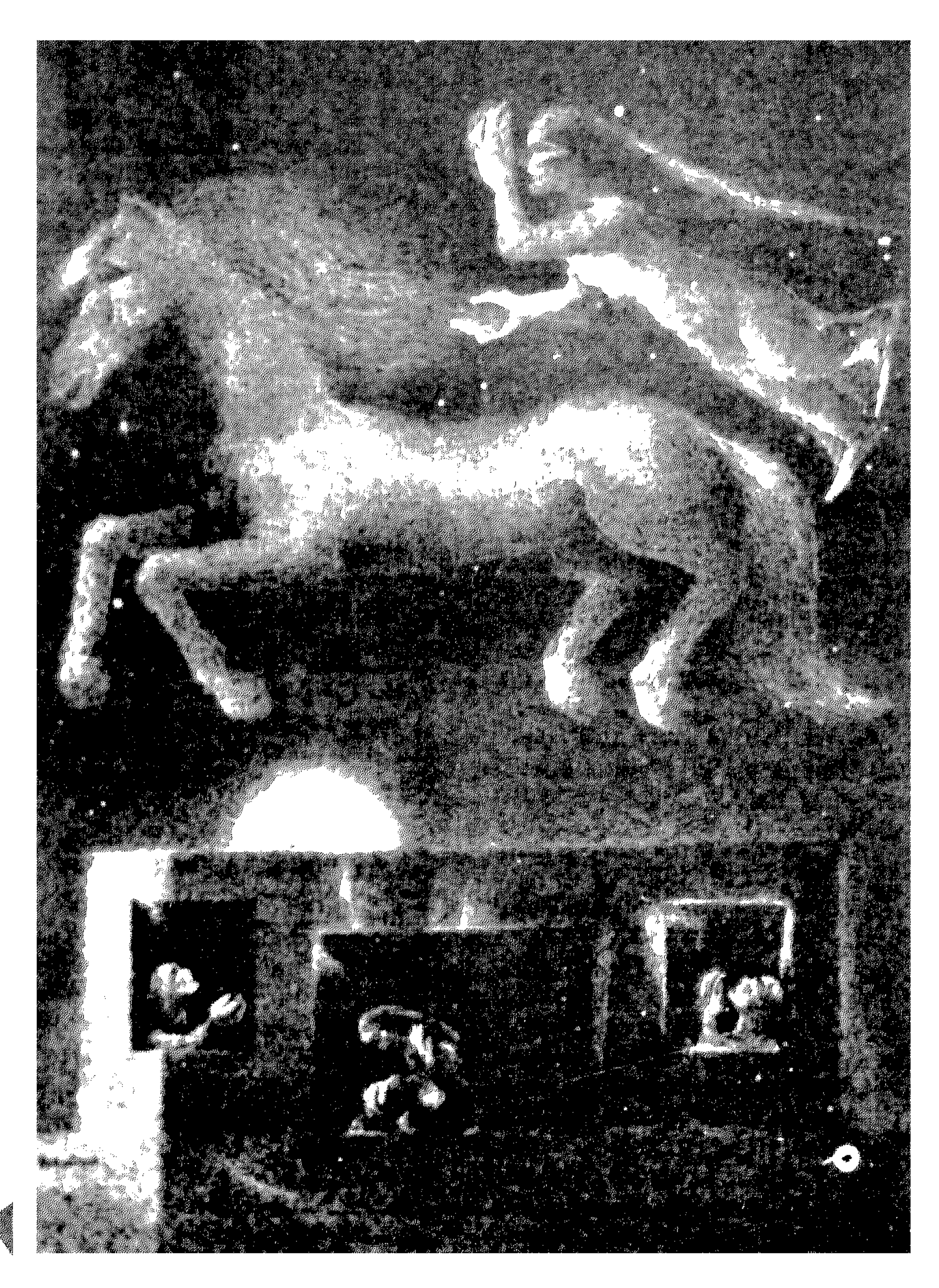
● تعدد العناصر ●

ومن هذا المنطلق بدات عناصر ومفردات جديدة تدخل اعمال صبرى منصور منذ عودته فى صيف ١٩٧٨ من بعثته الفنية الى اسبانيا ، فبعد ان كان الشكل ساكنا صامتا بدات « الحركة » والايماءات تظهر بوضوح على الاشكال . وهناك عنصر « الضوء » الذى كان فيما مضى ينتشر على المسطحات بشكل متساو تقريبا ، اما الان فقد بدا يستخدم من اجل اداء وظيفة تعبيرية وجمالية اكثر فعالية . وهناك ايضا اللجوء الى افساح المجال داخل اللوحة للعناصر وتعددها ، بعد ان كان يتم التركيز فى اللوحة على بضعة عناصر قليلة او على عنصر واحد ، بل وعلى جزئية دون غيرها ، مع ترك سائر الموضوع خارج اطار اللوحة ، تتحول الجزئيه المركز عليها او العناصر المنشغل بها الايماء اليه . ان اطار اللوحة الان اصبح يحتوى على عالمها كله ، وليس هناك امتداد بصفة عامة خارج هذا الاطار .

هذه العناصر الثلاثة : الحركة ، والضوء ، والتعدد ، هى مظاهر التطور الذى طرأ على اعمال صبرى منصور فى مرحلته الحديثة التى يمكن ان نطلق عليها مرحلة « الليل الريفى » .

وعلى الرغم من ان لوحات صبرى منصور الحاصل على جائزة بينالى الاسكندرية عام ١٩٧٢ فى مرحلته الحديثة ، التى تمتد اربع سنوات بعد عودته من البعثة ، قد زادت فيهما الحركة وتنوعت الايماءات ، وبصفة عامة زاد انحسار الستار عن جوانب المشهد الذى تنشغل به اللوحه ، فان المرءمازال يحس ازاءلوحاته بانه ثمة ماهو خارج عن اطار اللوحة ، يومىء الى ان ثمة ما سيحدث ، اكثر من مجرد تقرير ما هو حادث ، وفيما مضى من لوحات صبرى منصور فى مرحلته الاولى قبل البعثة كان المرء يحس بان ثمة شىء ما حدث ، وانه يعاين بقاياه فى اللوحة وانه انما يعاين فى اللوحه بقاياه فحسب ، ومن ثم عليه فى كل الاحوال ان يحدس .

وقديما كان عليه ان يشحذ المتفرج فكره وخياله ليتمثل ما حدث ، واليوم عليه ايضا ان يقدح زناد فكره ويطلق



الرؤيا .. من أعمال الفنان عام ١٩٨٤ ـ حبر شينى على ورق ٥٠ × ٣٠ سم



الفنان لخياله كي يستوعب ما سوف يحدث .

ان العمل الفني عند صبرى منصور يجدر ان يتذوق على مستويين ، مستوى ماهو ماثل امامه ، اللوحة ، ولكن تذوقه لن يكتمل ولن يبلغ ذروته الا اذا تجاوز المستوى الاول المباشر المحدود ، الى مستوى التفاعل مع اللوحة ، والولوج منها الى عالم اللامرئى واللا محدود . حقا ان لوحات صبرى منصور من هذه الزاوية مثل ((الاحلام)) تحتاج على الدوام الى تفسير . وسوف تكتشف الى اى قدر استوعب فناننا القدير تعالم ((الرمزيين)) من رجال الفرشاة والقلم على السواء .

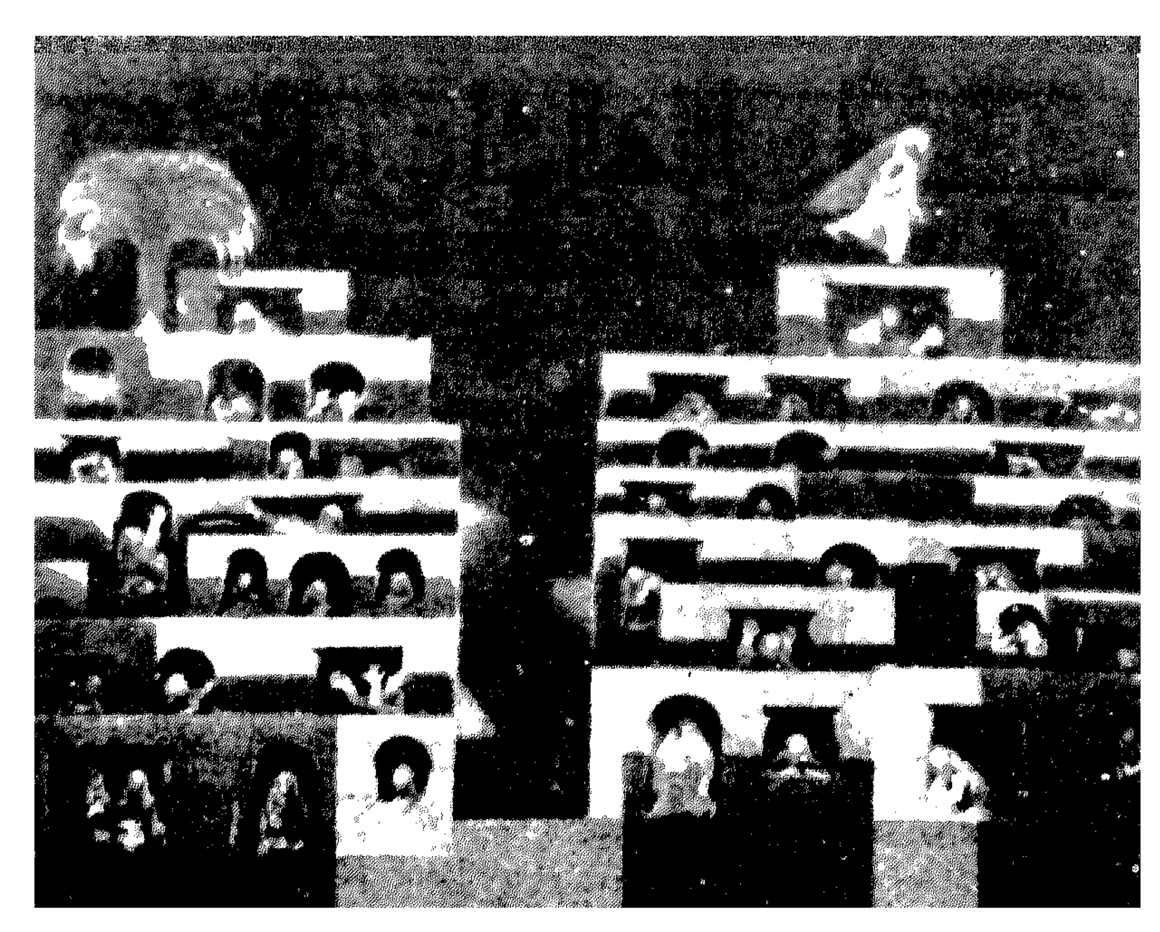
اننا فى لوحات صبرى منصور الحديثة على وشك ان نعاين امرا سيقع. اى ان عنصر التوتر والترقب موجود فى هذه اللوحات بشكل ملموس . ثمة شىء سيزحف . يثير فى الوجدان توجسا ورهبة ، على الاخص فى قلب الليل الساجى ، والاضاءات المبهمة غير الكاشفة والظلال الزاحفة على المشاهد الريفية .

وفى حديث لى مع صبرى منصور فى أمسية الاول من اغسطس ١٩٨٣ قال لى الفنان :

((ان التعبير الفنى يصدر عن احساس معين بالحياة وبالوجود بشكل عام ، واحساسى انا بهذا الوجود وبهذه الحياة هو - كماتمثل فى لوحاتى - احساس بترقب المجهول والايماء اليه فى الوقت ذاته ، الى الحد الذى يتم بدون وعى او قصد فى اعمالى . وعلى سبيل المثال ، اذكر اننى عندما كنت طالبا بكلية الفنون الجميلة كانت تنحصر مهمتى فى الدراسة الاكاديمية ، وكانت الاشكال التى افرغها فى لوحاتى رغم جودة رسمها واتقان نقلها عن الواقع تشى بهذا المجهول ، وتفصح عن ارتباطها بعالم أبعد من العالم المرئى والمحسوس . وقد مضيت اكثف احساسى بالعالم الاخر وأركز تجربتى الروحية بحيث تكتب الغلبة لهذا الاحساس ، ويتبلور ادراكى المبهم له حتى يصل الى الرائى بشكل مصفى . وعلى ما اعتقد، فان هذه هى النوعية التى أستطيع ان اسهم بها فى الحركة التشكيلية المعاصرة. فهذه رؤيتى التى اومن بها ، وأحاول بصدق ان اعبر عنها ، وذلك الى جانب رؤى الاخرين من زملائى الفنانين الذين يقدمون نوعيات اخرى من الرؤى . وان الثراء الحقيقى للحياة الفنية هو ان يقدم كل منا نفسه ببراءة وصدق . مؤكدين على استنبات سمات خاصة لفننا القومى لا تكون فيه مجرد مقلدين لاتجاهات اجنبية او مرددين لتعاليمغربية بدعوى المعاصرة ، ومواكبة الركب الحضارى ، الذى هو ركب تكنولوجى بالمقام الاول. ورفض التبعية - هذا، مع الاكبار والتبجيل للمنجزات التشكيلية الحقة على مر العصور شرقا وغربا - هو المجال الذى يعنينى ان اعمل فيه عقلى وتفكيرى . ولذلك فان لوحاتى خليط بين الاملاءات العقلية بكل ما تلقيته من خبرات ومعارف ، وبين اطلاق العنان للملكات التعبيرية والقدرات الروحية العميقةالتى يكون لها فى النهاية الغلبة فى عملىالفنى دون اجحاف او تجن .

واننا لو حللنا اغلب لوحات صبرى منصور الحاصل على جائزة المعرض العام سنة ١٩٨١ فى مرحلة ((الليل الريفى)) لوجدنا بعض المفردات تكاد تتكرر بحيث تصبح من العلامات المميزة لهذه المجموعة من الاعمال الجديدة . فهناك النخيل ، والاهلة ، والاشكال الاربية المطلة او البادية من فتحات فى عمائر ريفية مبسطة فى اشكال هندسية .

وقد ادرج صبرى منصور النخيل فى عالم الليل الريفى)) ولم يكن قد التفت اليها من قبل . وقد تناولالفنان النخلة كمسيب تشكيلى يعود الى جمال



القرية .. كما رسمها الفنان صبرى منصور

شكلها بجذعها السامق فى الهواء ونهاياتها المتفرعة فى الفضاء . والظلال التى تلقيها هذه الفروع والجذوع على الارض والبيوت وما يمكن ان تشى به هـــذه الظلال من الحنان والامان من ناحية والمهابة التى قد ترقى الى مرتبة ادخال الرهبة فى النفوس من ناحية اخرى . وهذا هو الجـــانب التعبيرى لشكل النخيل .

كما يتاكد الجانب الجمالى للنخلة حين يختصرها الفنان الى خط راسى مستقيم ينتهى باقواس ومنحنيات وعندئذ تستمع الى حوار بين صرامة الخــــط المستقيم ورقة الخط المقوس . هذا بالاضافة الى ان عصر النخـــــلة عنصر بيئى تمتلىء به مصر من اقصاها الى أقصاها . ويحق للفنان المصرى أن يتغنى بعناصر تمتلىء بها عيوننا صباح مساء . وقد كان من اول اختيارات صبرى منصور من عناصر المشهد الريفى الذى اراد ان يعبر عنـــه هو النخلة . ويقول الفنان : ((من المؤكد ان للنخلة جذورا دفينة ترجع الى صباى فى قرية بخاتى بالمنوفية التى ولدت بها وعشت بها الاربع سنوات ، الاولى من حياتى قبل ان انتقل مع اسرتى الى طنطا)) .

وتشبه صفوف النخيل المتراصة فى الحقول الملوية اعمدة المعابد الفرعونيـــة بمهابتها ورسوخها . وفى لوحـــة صبرى منصور ((اغنية النخيل)) تشعر بالايقـــاع الطقسى الناتج عن التوالى لصـــفوف النخيل عند الفنان على الدوام سامقـــة منتصبة فيها شموخ وكبرياء ويضيف عليها الليل مزيدا من المهابة والوقار . ويقول صبرى منصور فى حديث له ((لم اصور نخيلا محنية فى مهب ريح . او شوهاء النمو . وكم أشعرنى النخيل باحتوائه للقرية واحاطته لها بالحنان والحماية)) .

رفاعة رافع الطهطاوى

بقلم : جورجى زيدان

لا يختلف اثنان على ان الشيخ الطهطاوى هو ابرز رجالات النهضة الحديثة ومنارة مصر فى عصر البعث والتنوير ، فقد ترك اثارا جليلة فى ميادين عديدة ، ابقت عليها صروف الايام ، كان اهمها مجال الترجمة ، حيث نقل كثيرا من العلوم الاوربية الزاخرة بالمعارف الجديدة المجددة • ونذكر مما عربه رفاعه كتاب المنطق ، وجغرافية ملطبرن ، وهندسة ساسير ، والقانون المدنى الفرنسى ، وتعريب قانون التجارة ، ورسالة المعادن وغيرها •

ولعله أول من عرف الشرقيين باخلاق واحوال الاوربيين وذلك فى كتابيه « قلائد المفاخر » •• «تخليص الابريز»•

والى جانب ذلك كان شعوره الوطنى والقومى واضحا فى اثاره ، فقد تغنى بمصر ، وذكر امجادها ونظم الاناشيد من وحيها ، ودبج عنها الفصول الفياضة بالحب والتمجيد ولم يكن اقل وفاء للغته ودينه ، فقد عمل على تسهيل تعلم العربية وله فى ذلك كتاب « التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية» وكتاب «جمال الاجرومية» كما انه سطر سيرة النبى (ص) وسجل مواقفه فى كتاب « نهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز » •

فلم يكن رفاعه رجلا عالما فقط ، وانما كان ظاهرة ثقافية ، حركت الجمود ، وغيرت المناهج ، وعدلت الخطط من اجل الاصلاح والنهوض ، فلا جرم ان جرت بمدحه الاقلام واستنارت به العقول والافهام • اما كاتب هذا المقال فهو صاحب الهلال ، نشره فى مجلته تكريما وتحية للرجل، ثم عاود ذكر سيرته مرة أخرى فى كتابه « تاريخ اداب اللغة العربية جـ ٤ » •

قد أكمل الله ذيلك "الهلال" لنا .. فلا رأى الدهر نقصاً بعد إكمال

شوقي



هو العالم العلامة السـيد رفاعة ، ويتصل نسبه بمحمد الباقر بن علي زين العابدين .

ولد فى طهطا بمديرية جرجا « سوهاج الان » من صعيد مصر، ويؤخذ مما كتبه عن نفسه ان أجداده كانوا من ذوى اليسار وأخنى الدهر عليهم وقعد بهم كما هو شأنه فى بنى الزمان ، فلما ولد المترجم كانت عائلته فى عسر . وعندما ترعرع الغلام اخذ يقرأ القرآن الى أن حفظه ، وقرا كثيرا من المتون المتداولة على أخواله وفيهم جماعة كبيرة من العلماء الافاضل كالشيخ عبدالصمد الانصارى .

ثم توفى والده فجاء رفاعة الى القاهرة وانتظم فى سلك الطلبة بالجامع الازهر سـنة ١٢٣٢ هـ وجاهد فى المطالعة والدرس جهادا حسنا .. ولم تمض عليه بضع سنين حتى صار من طبقة العلماء الاعلام فى الفقه واللغة والحديث وسائر علوم المعقول والمنقول وكان فى جملة من تلقى العلم عليهم من العلماء الافاضل الشيخ حسن العطار المتوفى ١٢٥٠ هـ شيخ الجامع الازهر فأحب صاحب الترجمة وميزه عن سائر أقرانه التلامذة وخصه بالتقرب منه .

وقضى صاحب الترجمة بمجاورة الازهر زهاء ثمانى سنوات، وكانت والدته تنفق عليه مما تبيعه من بقايا حليها ومصاغها فلما أتم

دروسه تعين سنة ١٢٤٠ هـ اماما فى بعض الآيات الجند .

وكان ذلك العصر زاهيا بمحمد على باشا .. وكان آخذا فى مشروعاته تعزيزا لشأن هذا القطر وفى جملتها نشر العلوم فأحب ارسال لجنة من شبان هذا القطر الى أوربا لتلقى العلوم الحديثة ليكونوا له أعوانا فى فتح المدارس وبث تلك العلوم فى أبناء البلاد فأمر بتعيين صاحب الترجمة اماما لهم للوعظ والصلاة فسارت الارسالية المشار اليها من مصر سنة ١٢٤١ هـ وهى أول ارسالية مصرية الى فرنسا فتاقت نفس المترجم الى علوم المغرب « اى الغرب » فعكف على درس اللغة الفرنسية من تلقاء نفسه رغبة منه فى تحصيل العلوم بها او نقلها منها الى العربية . وكان معظم درسه اللغة بنفسه فلم يتقن التلفظ بها ولكنه تمكن من فهم معانيها فهما جيدا وأخذ يطالع العلوم الحديثة فأتقن التاريخ والجغرافيا وعلوما أخرى وكان ميالا الى التأليف والترجمة فترجم وهو فى باريس كتابا أسماه « قلائد المفاخر فى غرائب عوائد الاوائل والاواخر » وغيره . فبلغ محمد على ما اظهره السيد رفاعة من النباهة والرغبة فى العلم من تلقاء نفسه فسر به سرورا عظيما واستبشر بطالعه .

وفى سنة ١٢٤٧ هـ عاد الى الديار المصرية بعد أن نال الشهادات الناطقة بدرجته من العلم والفضل فولاه محمد على منصب الترجمة فى المدرسة الطبية التى كان انشأها سنة ١٢٤٢ هـ فى قرية ابى زعبل قرب القاهرة برئاسة كلوت بك وكان متوليا رئاسة الترجمة بها قبله يوحنا عنحورى من ابناء سوريا . وشهد لصاحب الترجمة بقصب السبق تولوه الترجمة وعمل على خدمة البلاد ولا سيما أن عارفى اللغات الاجنبية اذ ذاك كانوا يعدون على الاصابع . ومما يعد له فضلا جزيلا أنه اول من باشر انشاء جريدة عربية فى سائر المشرق وهى الوقائع المصرية فانها انشئت بمساعيه ومساعدته سنة ١٢٤٨ هـ .

وفى سنة ١٢٤٩ هـ انتقل من مدرسة ابى زعبل الى مدرسة الطوبجية فى طرا لترجمة الكتب الهندسية والفنون العسكرية وفى سنة ١٢٥١ هـ افتتح المغفور له عزيز مصر مدرسة الالسن الاجنبية وعهد بادارتها الى صاحب الترجمة وسميت عند فتحها مدرسة الترجمة فقام الشيخ رفاعة اذ ذاك حق القيام بادارة هذه المدرسة واختار لها التلامذة وبلغ عددهم فى أول الامر خمسين تلميذا ثم زاد حتى وصل ٢٥٠ . وكان فى أبى زعبل مدرسة تجهيزية للطب فنقلت الى جهات الازبكية وعهدت ادارتها إليه فضلا عن مدرسة الالسن ومدارس أخرى

فرعية منها مدرسة للفقه والشريعة وأخرى للمحاسبة وأخرى للادارة والاحكام الافرنجية .

وفى سنة ١٢٥٨ هـ تشكل قلم الترجمة من اول فرقة خرجت من مدرسة الالسن وبعد سنة ونصف من تشكيله نال رتبة قائمقام وكان قد نال ما يتقدمها من الرتب تدريجيا فى أوقات متتابعة وفى سنة ١٢٦٢ هـ نال رتبة اميرالاى فصار يدعى رفاعة بك .

وما زال رفاعة ناظرا لمدرسة الالسن حتى أقفلت على عهد عباس الاول فأمر بارساله الى السودان لنظارة مدرسة الخرطوم وما زال هناك حتى توفى عباس باشا المشار اليه ١٢٧٠ هـ . وتولى سعيد باشا فعاد يشكر الله على نجاته من تلك الاقطار فمثل بين يدى سعيد باشا فعهد اليه سنة ١٢٧١ وكالة مدرسة الحربية بجهات الصليبة تحت رئاسة سليمان باشا الفرنساوى وبعد قليل انشئت مدرسة الحربية بالقلعة فأحيلت اليه نظارتها مع نظارة قلم الترجمة ومدرسة المحاسبة والهندسة الملكية والتفتيش والمعمارجية وعند ذلك نال الرتبة المتمايزة .

وفى سنة ١٢٧٧ هـ ألغيت كل هذه المدارس فبقى رفاعة بغير منصب الى سنة ١٢٨٠ فأعيد الى نظارة قلم الترجمة وتعين عضوا فى قومسيون المدارس وتولى ادارة جريدة « روضة المدارس » مع مثابرته على التــــاليف وما زال قائما بهذه المهام حتى توفاه الله سنة ١٢٩٠ هـ بداء النزلة الثانية وله من العمر ٧٥ سنة .

وقــد ملأ الديار المصرية من المترجمين والاساتذة والمهندسين وغيرهم ممن استفادوا من مؤلفاته وتعاليمه .

وكان رحمه الله قصير القامة واسع الجبين متناسب الاعضاء أسمر اللون حازما مقداما على ذكاء وحدة ، وهذا ما نهض به من حضيض العسر الى مراتب المجد والفخر حتى اصبح ممن يشار اليهم بالبنــان ويقتــدى بأعمالهم بنو الانسان .

وكان فى أوائل حياته الى أن عاد من الديار الافرنجيــة يلبس اللباس العربى الخاص من الجبة والعمامة والقفطان ثم بدله باللباس الافرنجى المشهور .

ومن مؤلفاته : التعريبــات الشافية لمريد الجغرافية ، وكتاب المرشد الامين فى تربية البنــات والبنين ، مواقع الافلاك فى أخبار تليماك ، مباهج الألباب المصرية فى مناهج الالباب العصرية ، ومختصر معاهد التنصيص ، شرح لامية العرب .

• فى الروايــة العــربية •

الطاهر وطار.. كيف عاد اللاز؟!

بقلم : فاروق عبد القادر

● كانت رواية " اللاز " مفاجأة مدهشة وسارة حين قرأتها للمرة الأولى قبل عشر سنوات (انظر : اللاز ، رواية الانسان ـ فى الثورة " ، مجلة « الطليعة » ، يناير ١٩٧٦) : كنا لانكاد نعرف شيئا عن أدب جزائرى مكتوب بالعربية ، وقصارى مانعرف أعمال لكتاب جزائريين منفيين ـ على تعبير واحد من أهمهم هو كاتب ياسين ـ فى لغة أخرى ، محرومين من التعبير باللغة التى هى مغروسة فى صميم هويتهم ، ولابد لهم ـ كى يتوجهوا إلى قارئهم فى الوطن العربى الكبير ـ من وسيط آخر ، وسيط ليس محايدا على أى حال ، فهو لغة قاهريهم بالذات ، الذين ثاروا عليهم ، وانتزعوا حقهم فى الحرية والحياة عبر معارك طويلة وشاقة ، شملت جسد الجزائر كله : من البادية للقرية للمدينة ، ومن الصحراء للسهل للجبل . ثم كانت " اللاز " : رواية جميلة ومتقنة ، ومكتوبة بلغة عربية صافية وصحيحة ، لاعجمة فيها ولا التواء ، بل قدرة على التحليق والنفاذ . الى شمول فى الرؤية ، واحكام فى البناء ، وسيطرة على حركة الزمن فى العمل الروائى وتحديد دقيق لملامح الشخصيات والكشف عن تكوينها النفسى وانتمائها الاجتماعى .

ولم يكن هذا فقط مبعث الدهشة والسرور ، كان ثمة ماهو أثمن ، فقد استطاعت " اللاز " أن تجسد آلام شعب بأكمله : آلامه التى حتمت قيام الثور

وآلامه فى الثورة ، وترصد ـ فى دقة ورهافة ـ كيف يصنع الانسان الثورة ، فتصنعه بدورها فى جدل لايتوقف ، وتبقى شخصيات مثل قدور وحمو وبعطوش ـ د ع



الآن شخصيتي ريدان واللاز داته . ممتلئة بالحياة والحضور والتفرد قادرة - مع ذلك - على أن تكون نماذج لهؤلاء الذين حتموا قيام الثورة ، وكانوا وقودها وارتبطت مصائرهم بتقدمها عبر سـ داميات من النجاح والإخفاق . إن التر هنا هي البطل : كانت الحياة تمضي مذ مرآة صقيلة وان كان وجهها مليئ بالخدوش و « الوجود الاستعماري لايستشعره أحد إلا كما يستشعر المريض داء مزمنا ، لولا أزماته من حين لحين لتوهم - بل لاعتقد - سلامته .. » ثم تفجرت أحشاء الشعب بالثورة ، سقطت المرآة فتناثرت شظايا ، ومع تقدم الثورة راحت تفرض وجودها وايقاعها الخاص ، وتحطم معالم الحياة العادية شيئا بعد شيء . بين حمو : الحمامجي المسحوق تحت وطأة حياة تستخدمه بلا رحمة ولا

ل في المستقبل ، وصديقه قدور الذي اشترى أبوه دكانا في القرية فأقام فيها يشترى ويبيع ، بينهما يدور الحوار في نهايته يقول حمو : فات الحال .. إما وإما .. الشامي شامي والبغدادي بغدادي .. الذبح من جهة و الرصاص من جهة .. فأيهما نختار ؟ .. وعرف كل جواب السؤال وإن جاء من طريق .

الثورة تغير الانسان ، وقدر عمقها يكون عمق التغير . وحين يرى قدور صديقه البائس حمو يخرج من جيبه أموال الثورة بالملايين بينما عائلته تتضور جوعا ولباسه رث ممزق كالعادة ، وعمله الشاق كما هو لايزال ، فما أسهل الاقتناع بأن هذا العمل الذي يقوم به حمو وزيدان وكل الفقراء - وحتى هو اخيرا - عمل جاد وعظيم ، ولابد أن يغير الأوضاع فعلا .. » ومادام هناك من يناضل فلابد أن يكون هناك من يخون . أحد هؤلاء بعطوش ابن عم قدور ، كان راعيا للعجول ، ثم التحق جنديا بصفوف الفرنسيين ، وكشف أمر الشبكة التي تتولى تهريب الجنود الجزائريين للحاق بالثورة في الجبل وتقاضى ثمن خيانته ، رتبة ومزيدا من التقرب للضابط الفرنسي .

● تدمير الأنسان ●

إقرأ فرانز فانون ، اقرأ ما كتب في نهاية « معذبو الأرض » عن تلك الحالات التي أوردها للجلادين وضحايا التعذيب ، وسترى كيف أن هذا الاستعمار من حيث هو نفي منظم للآخر ، من حيث هو قرار صارم بأنكار كل صفة انسانية على الآخر يجعل الشعب المستعمر - بفتح الميم -

الطاهر وطار..

كيف عاد اللاز؟!

مجبرا على أن يطرح على نفسه السؤال : من أنا فى الواقع ؟ » فتنفتح أمامه كل الدروب ، وفى كل الحالات التى قدمها فانون - والتى دمرت فيها الشخصيات الانسانية تدميرا كاملا - كان الحادث الذى أطلق المرض - بتعبير فانون - هو فى الدرجة الأولى « ذلك الجو الدامى الذى لايرحم .. هو تلك الأعمال التى لاتعرف الروح الانسانية والتى أصبحت عامة وشاملة ، هو هذا الشعور الذى لايبرح نفوس الناس بأنهم يشهدون قيام الساعة » » . (فانون معذبو الأرض ، الترجمة العربية للدكتور سامى الدروبى ، ص ٢٤١) .

وهكذا .. حين يقوم راعى العجول بعطوش باغتصاب خالته وأمرأة عمه أم قدور الذى لجأ للجبل بعد اكتشاف الشبكة أمام عينى زوجها وعيون الضباط والجنود ، فانما هو من ضحايا هذا الجو الدامى ، يهرب منه الى الخمر والدم والجنون لكنه يجد خلاصه الحقيقى ذات ليلة ، قتل الضابط الفرنسى واستطاع مع مجموعة من الجنود الجزائريين تدمير الثكنة وقتل معظم رجالها .. « ارتفعت الزغاريد من كل منزل ، اشتعلت أنوار صومعة المسجد التى أصبحت لاتضاء إلا من عيد لعيد ، وارتفع الآذان فى غير وقته ، ظل يتردد زمنا طويلا .. » .

لقد تحطمت الحياة العادية تماما ولم يعد للفرد خلاص إلا بأن يلقى نفسه إلى الأتون .

حتى اللاز : اللقيط المتمرد والاشكال المطروح على القرية من ثلاثة وعشرين عاما فى مواجهة ازدراء القرية له تحول إلى طاقة عدوان يخشى الجميع بأسها ، لم يسلم أحد من يده ولسانه ، حين قامت الثورة استبشر الناس بالخلاص منه لكنه عرف كيف يتدبر أمره ويسخر من الجميع بادر إلى مصادقة جنود الثكنة وأصبح يتردد عليها إلى أن اقتحم مكتب الضابط نفسه ولم يعد يغادره ، غير أن أحداً لايستطيع أن يقيم عليه دليل الخيانة « فقد كان دائما يشهد فى صالح من يستشهده ، ويقدم الماء والتبغ لكل من يطلبه ، فى حين أن الخونة الحقيقيين هم الذين يقومون بتعذيب اخوانهم .. »

● أسطورة كفاح ●

وحين التقى اللاز بزيدان - شقيق حمو ، والذى كان هذا يصفه بأنه ضائع أهلكته السياسة - يسأله اللاز عن الغلاقة ، وهل يعرفهم (وتلك كانت كلمة جزائرية تعنى « قطاع الطريق » أطلقها الفرنسيون على رجال المقاومة لينفروا الناس منهم) ولأن زيدان كان يعرفهم حق المعرفة فقد انعقدت الصلات بينهم وبين اللاز ، وأصبح مسئولا عن تجنيد الجزائريين العاملين فى صفوف الجيش الفرنسى ، وتحريضهم على اللحاق بالثوار فى الجبل ، ليس هذا فقط ما أخذه اللاز ، فقد ألقى اليه زيدان مفاجأة عمره ، هويته الضائعة : إن اللاز ليس لقيطا ، لكنه ابن .. زيدان نفسه ثمرة حب اندلع فى غمار مأساة : إنه ابنى ابن جميع الناس .. ابن ذلك الزمن .. ابن ماضينا كله .. » ويقول له زيدان : « كنت دائما أعلق عليك آمالا كبيرة ، وكنت أثق أنك لن تخون ابدا لأنك لاتطمع فى شىء ولاتخشى ضياع

شيء .. » وحين يكشف بعطوش عن الشبكة يساق اللاز الى التعذيب ، وهو ممدد على طاولة التعذيب ، المسامير تدمى جسده والسياط تلهب ظهره والملح يحشو جراحه الناغرة كان اللاز القديم قد مات وما سيبقى منه بعد ذلك سيكون لازا جديدا ، يقول عنه الضابط الفرنسى فى خواطره : حتى هذا الاسم ليس له معنى واحد .. (...) إنك لاتمثل شيئا ، لاتمثل غير هذا الشعب اللقيط ، غير هذه القضية المفتعلة التى انفلتت من دبر التاريخ ! .. غير أن هذا الشعب اللقيط يمد يديه ليلتقط ابنه الذى من أحشائه خرج : يرتب الجنود الجزائريون فى الثكنة خطة وينجحون فى الهروب مع اللاز بعد خوض عدة معارك مع رجال الحرس ، وحين يصلون الجبل يجد اللاز فى انتظاره صدر أبيه العريض ، وحين توضع بين يديه البندقية ، يلتقى بوجوده ، طاهرا نقيا محررا .

لكننا لم نتعرف بعد الى زيدان : الشخصية الرئيسة فى الرواية وأكثر الشخصيات خصوبة وامتلاء بالمعنى والحضور تتجاوز قامته حدود زمانه ومكانه ، نحو مصاف الأبطال الكبار فى الأدب الروائى كله : يتقدم الينا أولا فى كلمات أخيه حمو ، فهو ضائع أهلكته السياسة .. ، ثم فى خواطر الضباب الفرنسى عنه : تدرب فى صفوفنا وتثقف فى مدارسنا ، وسبقتنا اليه موسكو .. ، وفصلا بعد فصل تتكامل شخصيته أمامنا بماضيه وحاضره وموقفه من الحياة والثورة والرفاق : جزائرى أمى فقير خرج الى العالم الواسع ، وفى فرنسا عرف اللغة والثقافة والحب ورأى ما بدا له أنه الحق فآمن به ، وحالت الحرب دون أن يكمل تعليمه فى موسكو ، فرجع الى الجزائر أوائل الأربعينيات منذ رجع وهو عضو فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الجزائرى .

● إصرار على النصال ●

هنا لابد من الوقوف لحظة عند هذا الحزب وموقفه من الثورة ، بدونها لن نفهم موقف زيدان ومأساته كبطل تراچيدى : فمن المعروف أن عوامل كثيرة قادت الحزب الشيوعى الفرنسى لأن يأخذ موقف المعارضة من الثورة الجزائرية حين اندلعت شرارتها فى نوفمبر ١٩٥٤ ، وحذا الحزب الجزائرى حذو الحزب الأم ، فأدان الثورة واعتبرها عملا من أعمال الأرهاب ، دون أن يناقش مضمون هذا الأرهاب وسياقه ، وقد أوضحت جبهة التحرير هذا الموقف أكثر من مرة : إن القيادة الشيوعية البيروقراطية عجزت عن تحليل الموقف الثورى تحليلا صحيحا ولهذا السبب شجبت الارهاب ، وأصدرت الأوامر - منذ الأشهر الأولى للثورة - للمناضلين الشيوعيين فى منطقة الأوراسى ، الذين قدموا الجزائر لطلب التوجيهات - أصدرت اليهم الأوامر بعدم حمل السلاح .. ، (عن : الياس مرقص : الحزب الشيوعى الفرنسى وقضية الجزائر ، ص ٨٦)

مثال نموذجى تكرر كثيرا : أن تعجز قوى اليسار العربى التقليدى عن فهم الواقع ، وتحليل معطياته تحليلا سليما ! .

لكن زيدان رأى الأمر على نحو آخر نستطيع أن نجمله من مونولوجاته المتناثرة على طول الجزء الثانى من الرواية : لأول مرة فى التاريخ يطرح موضوع تكوين جبهة من أفراد لا من أحزاب ، وهذا يعنى تكوين حزب جديد ،

الطاهر وطار..

كيف عاد اللاز؟!

وإذا كانت الخلافات والتصدعات داخل الحركة الوطنية تدعو بعض أعضائها لتكوين هذا الحزب ، فانه ليس من الضرورى أن يطلب من الأحزاب الأخرى حل نفسها ، والموقف المبدئى لكل حزب عقائدى ألا يحل نفسه . فماذا فعل زيدان - عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى - حين قامت الثورة ؟ إنه يجيب بوضوح : التحقت بالثورة ، لم استشر أحدا ، لا الحزب ولا غيره ، واذا ما سئلت هل انسلخت من حزبى فسأجيب فورا بالنفى .. لن أنسلخ ، ولن أدفع الأشتراك ، ولن أسعى إلى تكوين خلايا جديدة ، وسأظل أكافح من أجل الاستقلال الوطنى .. ، قال الشيخ مسئول الولاية : لو كنت شيوعيا عاديا لأمرت بذبحك ، وأرسل يطلب رأى القيادة فى الخارج ، وها قد جاء الرد ، وألقى على زيدان عبء الاختيار : إما إعلان الانسلاخ وإما الذبح . لم يكن زيدان وحده ، كان معه رفاق خمسة : أربعة فرنسيون ، وأسبانى ، كان الاختيار نفسه مطروحا عليهم ، بالاضافة لاعتناقهم الإسلام ! .

أمهلهم الشيخ يوماً يتخذون فيه قرارهم وكان القرار واضحا لاغموض فيه : إنه الموت كل ما بقى لهم أن يختاروا أحد وجهيه : إما الموت الجسدى وإما الموت الحزبى والنضالى : تناقش الرفاق طويلا طوفت مناقشاتهم حول مورياك وبطلته تيريز دى - كيرو .. ، وحول هيمنجواى وعمله " لمن تدق الأجراس " وهاهم



أخيرا : لم ينضموا الى صفوف الثورة بقسم أحزابهم ، لكنهم يعاملون كما لو كانوا ممثلين لها ، ومن ثم ليس لهم سوى الموت فى صورته الجسدية . أمر الشيخ أن يحضر اللاز تنفيذ الحكم فى ابيه . وظل اللاز يقف مشدوها لايصدق عينيه .. وعندما انفجرت الدماء من قفا ابيه صاح فى رعب : ما يبقى فى الوادى غير حجارة ! ثم ارتخت كل عضلاته ودارت به الأرض .. ومد يديه يحاول التشبث بشىء ، .. ثم هوى .. "

اكتملت دورة الزمان فى رواية الطاهر وطار ، والتقى طرفاها : بعطوش أصبح قائدا بعد زيدان ، وقدور استشهد وهو يحاول عبور الحدود باللاز ، الثورة انتصرت والفرنسيون خرجوا ، ورجع حمو يبحث عن عمل يعيل أسرته ، واللاز أفضل الجميع لأنه لايزال يعيش الثورة فى ثياب

عسكرية رثة يطوف القرية بصوت هادر : ما يبقى فى الوادى غير حجارة (أى : لايصح غير الصحيح أو : ماينفع للناس يمكث فى الأرض) .

يقول الطاهر وطار فى تقديم روايته إنه كان لابد من تصفية الحساب مع الماضى كان لابد من التعرية حتى الجذور ، فهذا وحده ما يمنح الكاتب شرعية الكتابة عن الحاضر ، وقد فعل : استطاع أن يقدم لنا صورة الانتفاضة التى شملت الجسد الجزائرى كله ، بكل ما فيها من أضواء وظلال لم يقع فى أسر رومانتيكية شاحبة ، أو رغبة فى تزييف الماضى ، بإلغائه ثم إعادة خلقه حسبما يهوى ، لكنه وضع يديه على كل جراح الماضى من أجل تجاوزها ، فاجتمعت فى عمله حرارة الرؤيا وجسارة الفكر .

وقبل أن يتقدم زيدان للذبح تخايلت لعينيه صورة جزائر المستقبل (يوحى لنا الكاتب بأن أحداث روايته وقعت فى ١٩٥٦) : هذه النطفة ، هذا الجنين يجب أن يرث كل الخلايا البيض والصفر وحتى السود ، ويجب أن يرضع اللبن الطبيعى .. وأن يحبو وينهض ويسقط ويمشى على أرضية طبيعية عادية .. ولأنه سيولد بدون قابلة ولأنه سينشأ بدون مربية .. وسيظل بلا منطق زمناً طويلا من يدرى أى عذاب سيلحقه قبل أن يكتسب المنطق ..

فهل اكتسبت ثورة الجزائر المنطق عبر سنوات التضحية والدم والعذاب ؟

لنبحث عن الجواب فى الأعمال التالية للطاهر وطار .

● ● ● ●

يذكر الطاهر أنه ظل منشغلا بكتابة اللاز سبع سنوات (٦٥ ـ ١٩٧٢) بعدها صدرت له مجموعتان من القصص القصيرة الطعنات ، الجزائر ، د . ت . « و الشهداء يعودون هذا الأسبوع » بغداد ، ١٩٧٤ وفى ١٩٧٣ فرغ من رواية الزلزال لتنشر فى الجزائر فى ١٩٧٦ ، ثم تلك الرواية المتفردة فى عمله الابداعى كله « عرس بغل » (الجزائر ، ١٩٧٨) وأخيرا رجع يذكر اللاز فكتب روايته « العشق والموت فى الزمن الحراشى » ، واصفا اياها بأنها الكتاب الثانى من اللاز (بيروت ، ١٩٨٠) .

وقد أحدثك ـ فى حديث قادم ـ عما يمكن أن تحدثه عودة الشهداء فى واقع الجزائر يكفى الآن القول بأن المرآة الصقيلة التى أحالتها الثورة الى شظايا ، رجعت للالتئام بعد الاستقلال ، وأصبحت مرآة صقيلة أخرى ، ولاشك فى أن عودة لشهداء ستحيلها الى شظايا من جديد نما لهذا يقاوم عودتهم كل صاحب مصلحة فى ابقائه على ماهى عليه ، مهما ختلف الدوافع والمواقع ، وقد أحدثك ايضا عن الشيخ عبد المجيد بو الأرواح تلميذ بن باديس ومتخرج جامعة الزيتونة ، ومدير الثانوية فى العاصمة ابن الآغا وحفيد الباشآغا ، الاقطاعى المرابى العقيم المولع بخنق الزوجات الصغيرات ، وقد أحدثك اخيرا عن شيخ آخر ، أصبح يتسمى باسم المكان الذى سجن فيه فهو الحاج كيان وعن عالم « الهزية » أو مانعرفهم فى عاميتنا المصرية « بالبورمجية » أعنى اولئك الذين يتعشقون العاهرات ويفرضون عليهن الحب والحماية والابتزاز ، وعن سيدات ماخور العنابية الجميلات : روح النفوس وعلجية والوهرانية ، وعن عرس البغل ، الذى شاركن فيه وكيف انتهى .

الطاهر وطار..

كيف عاد اللاز؟!

ذلك كله حديث مرجأ ، فلننظر الآن إلى اللاز وكيف عاد · هذه أيام الهوارى والثورة الزراعيـة ذلك يعنى أواخـر الستينيات أو أول السبعينيات وتخرج جماعة من جماعات الطلبة المتطوعين للعمل اليدوى فى الحقول فتكاد سيارتهم تصطدم بشبح اسود مصلوب وسط الغبش والصقيع ويتبعهم الشبح المصلـوب صيحته الواحدة : ما يبقى فى الوادى غير حجارة . وعلى الفور يصل الكاتب ما انقطع من تاريخ بطله : عاد مع العائدين فى مطلع الاستقلال يبشر بزوال وضـع وحلول وضع آخر ، وفى حين راح الجميع يغيرون من حالهم ويهتمون بأنفسـهم وشئونهم غارقين شيئا فشيئا فى متاع الدنيا ولذة الحياة بقى المسكين على الهيئة التى عاد بها ، رافضا كل الرفض تغيير البدلة العسكرية التى يرتديها شتاء وصيفا ..

لكن هذا وجه واحد من وجوه اللاز ، يعرفه صاحبه وخالته ، الوجه الآخر وجهه عند الناس الذين أحالوه نبوءة وتعويذة وأسطورة ووليا وسيدا وقديسا وفحلا وشهيدا ، وحاكوا حوله الحكايات : قالوا فيما قالوا : داهمته وجماعة من الثوار من بينهم زيدان سبع طائرات ملأى بالحقد والموت ، ظلت تتناوب على قنبلتهم يوما كاملا ، لم يبق من أجسادهم قطعة لحم واحدة أو حتى ذرة من عظم ، أختلط لحمهم وعظمهم ودمهم بالتراب حتى صار طينا أحمر ، إذ ذاك سقطت قنابل النابالم ، التهب كل شيء وتشكل جسم تكور وتكور واختفى .. كان الجسم نورانيا مشعا لا تستطيع العين التحديق فيه ، كذلك لم يستطع أحد حصر الاتجاه الذى أخذه أو المكان الذى اختفى فيه اللاز اثر ذلك ظهر اللاز ليس سوى جثة تسكنها أرواح جميع الشهداء .

وأيا ما كانت وجوه اللاز فهو يبقى - فى هذا الكتاب الثانى - الشاهد الحاضر الغائب . قلب هذا الكتاب هو واقع الجزائر بعد عدة سنوات من الاستقلال حين حاول الهوارى وجماعته السير فى طريق الاشتراكية ، بادئين - وهل ثمة بداية أخرى ؟ - بالأرض فيما عرف بالثورة الزراعية ، ومن خلال جماعة الطالبات والطلبة المتطوعين يرسم لنا الطاهر بانوراما هذا الواقع محـددا القوى المتصـارعة فيـه : القـوى المؤيـدة للاشتراكية والمناوئة لها ، القوى صاحبة المصلحة فى التقدم وصاحبة المصلحة فى عرقلة التقدم ، على رأس الأولى يقف الشيوعيون والفقراء الواعون وقدامى المجاهدين وقلة من المسئولين ، وعلى رأس الثانية الرجعيون والمستفيدون وكثرة من المسئولين الصغار والكبار .

ولعل أهم وأدق توصيف لهذا الصراع مايدور فى خواطر جميلة الطالبة الشيوعية المتطوعة ، التى أهلها جمالها وطموحها للقيادة وثوريتها العاقلة لأن تصبح محط الأنظار ومثار التعليق والتى يربطها المؤلف بعلاقة خاصة به تتيح له أن يتسلل وراءها ويقول أفكاره هو على نحو مباشر جاء فى خواطرها : مستقبل الجزائر هو القضية التى نختلف حولها ونتصارع من أجلها .. ماذا أفرزت معركة السنوات

السبع المسلحة بين الثوار والاستعمار وبين الثوار والثوار ؟ ، قبل الثورة الزراعية لم تكن هناك سوى ومضات ، سوى إشراقات . الاحساس بضرورة ثورية الثورة قوى ، تجسد فى ميثاق الجزائر . فى كل بيانات وتصريحات القادة لكن تجسيد ذلك الاحساس ، وهذه الاسقاطات الشعبية الثورية فى تنظيم ثورى طلائعى تحتضنه وتسانده الجماهير الشعبية وفى الأنطلاق لخوض المعركة بكل متطلباتها ، وبدون عقد لم يتم بعد ، لم يتم بالشكل المناسب لطموحات وتضحيات هذا الشعب ..

تلك إذن رؤية الطاهر وطار لجزائر الهوارى والثورة الزراعية ، وطبيعى أن يدور الحدث الرئيسى فى هذا الكتاب الثانى بين جماعة من الطلبة المتطوعين - المتطوعات على وجه التحديد ، فمن المدهش ألا نعرف من هؤلاء سوى الفتيات ! - يؤمنون بأهمية هذه الثورة ، وأقلية تدعو الى « حزب الله » وتستغل الدين لضرب أى انجاز تسعى الحكومة الثورية الى تحقيقه ، ملوحة بالاتهامات المعتادة : الالحاد والتبعية لموسكو ، طارحة دعوتها المعروفة للعودة الى حياة « السلف الصالح » ، هذا مايقولون بألسنتهم ، أما حقيقة دعاواهم فهم ضد تأميم الارض ، وضد توزيعها على المعدمين وضد وضع أى قيود تحول دون بقاء الجزائرى مستغلا .

على ان هذه الاقلية ليست وحدها بل يساندها كثيرون من صغار المسئولين وكبارهم على السواء ، وهكذا يتحالف الطالب الرجعي مع مسئول الحزب فى المنطقة الذى يعده بتقديم العون له فى اللحظة المناسبة ، على حين يقف الباقون - عدا الأكثر وعيا ، وهم فى العادة من قدامى المجاهدين - منتظرين ان يقوم الهوارى وحده بكل شيء . وطبيعى فى مثل هذا الواقع ألا تحسم هذه المعركة الدائرة فى قرية صغيرة الا حين تتدخل القيادة فى العاصمة وتبعد مسئول الحزب .

والى جانب من بقى من شخصيات الكتاب الأول (بعطوش الذى أصبح واحدا من كبار المسئولين فى العاصمة ، ولكنه لم يتخل عن فهمه الحاد ونقائه الثورى ، وحمو الذى رفض كل المغريات وبقى فى القرية كما كان ، ثائرا وفقيرا ، والناصر الذباح الفنان الذى أنشأ سيركا متجولا يجوب معه العالم ..) فان الطاهر يقدم لنا فى هذا الكتاب الثانى شيئا ثمينا هو التعريف المفصل بهذا الجيل الشاب الذى يقع على عاتقه الآن - اعنى زمن الكتابة - عبء الاستمرار فى الثورة ، ابناء الفلاحين الفقراء والبورجوازيين الصغار الذين لولا الثورة مافتحت امامهم ابواب التعليم واتيحت لهم فرص الاستمرار فيه ، من هنا قد يكون اهتمام الكاتب بالطالبات مبررا ، فهن اللائى يتعرضن لضغوط المجتمع أكثر من الطلبة ، وعليهن يقع عبء ايجاد الحلول لمشكلاتهن ومشكلات آبائهن واخواتهن جميعا !.

كانت « اللاز » - اعنى الكتاب الاول حسب تسمية المؤلف الجديدة - عملا صلبا ومتماسكا ومتألقا مثل جوهرة صقيلة ، أما قارىء هذا الكتاب الثانى فقد لايملك أن يدفع عن نفسه الاحساس بشيء غير قليل من التشتت والتفكك ، فثمة استطرادات طويلة ، وثمة تدخلات وآراء مباشرة للمؤلف يوردها احيانا فى خواطر جميلة ، كما سبقت الاشارة ، أو يوردها منسوبة اليه هو باسمه الحقيقى او

الطاهر وطار.. كيف عاد اللاز؟!

باسمه الذى يطلقه على نفسه ، أو تطلقه عليه صديقته « براهما » . والحقيقة ان هذه الاستطرادات والآراء - وبصرف النظر عن صحتها او عدم صحتها - تضعف من تماسك العمل وتشير - فى ذات الوقت - الى شىء من رثاء الذات . ترى .. هل داخل المؤلف اليأس من ان يفهمه قراؤه حق الفهم من خلال أعماله ذاتها - بأحداثها وشخوصها ومواقفهم ومجمل بنائها - فتطوع لافهامهم مايقصد على نحو مباشر ؟ ثم .. ماذا سيفيد القارىء من مثل هذا الدفاع عن « اللاز » - اعنى الكتاب لا الشخص - يورده المؤلف فى خواطر جميلة . براهما فى رواية « اللاز » كان عبقريا حقا .. استطاع وهو يتحدث عن حوادث داخلية محضة ذات طابع خاص تجرى فى بلادنا ان يستشف جوهر حركة عبد الناصر .. كان شموليا وكان ذكيا .. الخ .. »

إننى افهم ان يكتب مثل هذا الكلام قارىء اللاز أو ناقدها ، أما أن يكتبه الطاهر وطار بنفسه ، فاننى لا أفهمه ! .

بقيت النهاية التى أرادها الكاتب لبطله عقب معركة صغيرة بين جميلة والطالب الرجعى الذى أراد تشويه وجهها بالحامض ، جرحت ذراع جميلة وتناثرت قطرات الدم ، رأى اللاز الدم المتناثر فتراءت له الجثث المسجاة ، وتراءى له وجه زيدان ابيه يتخبط والسكين يحز قفاه صاح اللاز صيحته الواحدة وسقط مغميا عليه ، ثم افاق من إغماءته ليعود الى الحياة التى هجرها اكثر من عشر سنوات قضاها الشاهد الغائب الحاضر . عم نبأ استيقاظ اللاز القرية بسرعة فائقة ، كان الدليل اليقينى لمن يعلن استيقاظه أنه غير ثيابه ، نزع القشابية المزينة بالحرير الاحمر ، ارتدى بدلة عصرية ، حلق ذقنه ، قص حتى شعر رأسه ، زار كوخ زيدان أول زار ، كان يسلم على كل سكان القرية كأنما يلتقى بهم لأول مرة ..

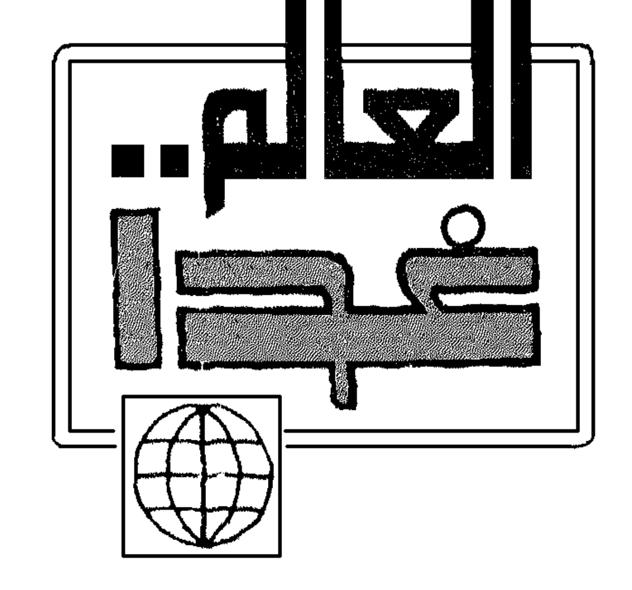
انتهت الاسطورة اذن كما تنتهى المسرحيات الكوميدية وأفلام السينما الهزلية بالنهاية السعيدة « المفتعلة غالبا » .

تقول لماذا ؟ .. لأن اللاز هو الشعب ولان الشعب هو المستقبل ، ولأن الايمان بالمستقبل هو سلاح كل مناضل !.. أو .. هكذا تكلمت براهما .. أو .. هكذا تكلم الطاهر وطار !؟

الرؤيا حق .. والتأويل باطل

لقى ابن جامع ابراهيم الموصلى ، وكانا من أقطاب الغناء فى عصر العباسيين ، فقال ابن جامع : رأيت كأنى واياك فى ركاب واحد ، ثم سقطت أنت حتى كدت تلتصق بالأرض وعلا الشق (الجزء) الذى انا فيه ، ففسرت هذا بأن صيتى سيعلو عليك فى الغناء .

فقال ابراهيم : الرؤيا حق ، والتأويل باطل .. اننى واياك كنا فى ميزان ، فرجحت كفتى وشالت (ارتفعت) كفتك .



منازل المستقبل نظيفة للابد

الأمطار ، الاتربة ، ارتفاع درجات الحرارة وعوامل الطقس كلها ظروف تؤثر على المبانى وثبات ألوانها أو تلوثها ، لذلك أنتجت احدى الشركات طلاء جديدا تطلى به المبانى من الخارج بحيث يمنع التصاق الاتربة أو أية مواد عالقة على السطح وبالتالى تظل المباني لامعة نظيفة للابد . هذه المادة الجديدة شفافة اللون وهى تساعد على تماسك الطلاء الاساسى بحيث لايتأثر بظروف الطقس مثل ارتفاع حدة الرطوبة كما هو الحال فى المبانى الواقعة على السواحل والتى تتساقط مواد طلائها .

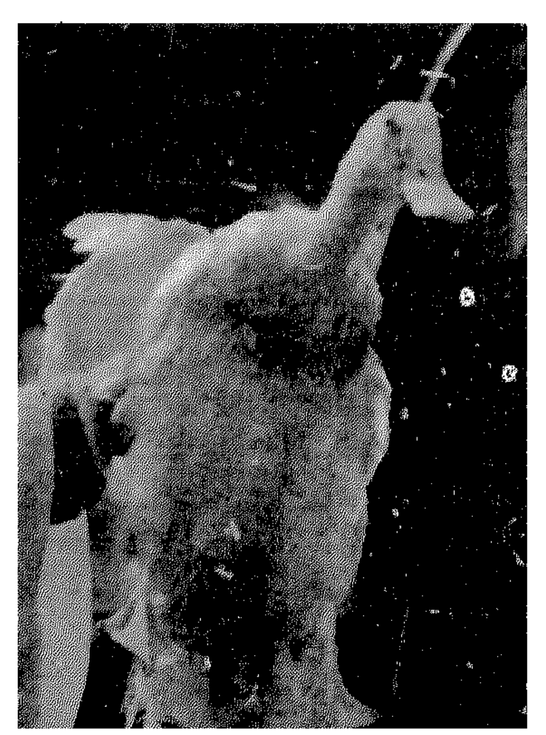
بطة غريبة من المرج

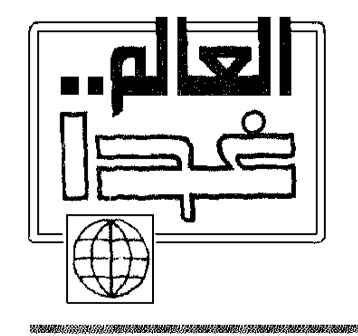
ماهو تفسير العلم لظواهر الأعضاء الزائدة فى أجسام الحيوانات . أو فى الانسان .. فى الفترة الأخيرة وفى إحدى المزارع بالمرج . ووسط آلاف البط . وجدت بطة ذات أربعة اقدام وفتحتى شرج .. حول مثل هذه الظواهر يتحدث الدكتور محمد حسين عامر قائلا :

« هذه ظاهرة غير طبيعية ، إن أى سلالة من السلالات لابد أن تكون لها صفات معينة تتوارث جيلا وراء جيل . فإذا ماتعرضت الشفرة الكروموسومية لما يغير من بعض سماتها . فإن ذلك يؤدى إلى حدوث مثل هذه الحالات . مثل عمليات التهجين بين انواع مختلفة من البط مع وضع أعلاف بها هرمونات ذات تركيز اكبر . أو اضافة مواد كيماوية مع الأطعمة .

كما يشمل التغيير البيئى الاشعاعات المختلفة والضوء . مما يؤثر على الصفات الوراثية للكروموسومات . فيتغير تركيبها البروتينى مما يؤدى إلى وجود أجنة ذات صفات مختلفة عن صفات النوع وينطبق هذا على كل المخلوقات الحية .

ومن النادر أن يطول عمر مثل هذه الكائنات . بسبب صعوبة التكيف مع البيئة ففى حالة مثل هذه البطة فإن القدمين الزائدتين وفتحة الشرج الاضافية تؤثر على الدورة الدموية والحالة الجسمانية لجميع أعضاء الجسم مما يؤدى انها لاتعيش عمرها الافتراضى المنتظر لقريناتها ..





الأقمار الصناعية تسير قطارات الغد

سيتم التحكم فى سير القطارات عن طريق الأقمار الصناعية كالصواريخ والطائرات . فقد كشفت إحدى الشركات الأمريكية عن ابتكار نظام لتسيير القطارات عن بعد عن طريق شبكة الاتصالات بالأقمار الصناعية . والتى ستساعد على خفض تكلفة الوقود بنسبة ١٠٪ ومنع انتشار الحوادث . وبموجب الشبكة الجديدة سيتم تزويد عربة القيادة بهوائى وجهاز استقبال . أما فى داخل العربة فيوجد جهاز فيديو ملون للمراقبة ، به شاشة تسجل عليها المعلومات عن اتجاه القطار ، وظروف الطريق ، واستهلاك الوقود ، واحتمالات الاصابة بالأعطال . وتعرض الشاشة صورة للقطار فوق خريطة متحركة لتكشف عن العيوب الألكترونية أو الفنية ومواقعها كما تسجل إشارات الفرامل الموجهة بفضل الكمبيوتر الذى يكشف الطريق بامتداد عشرة أميال للأمام .

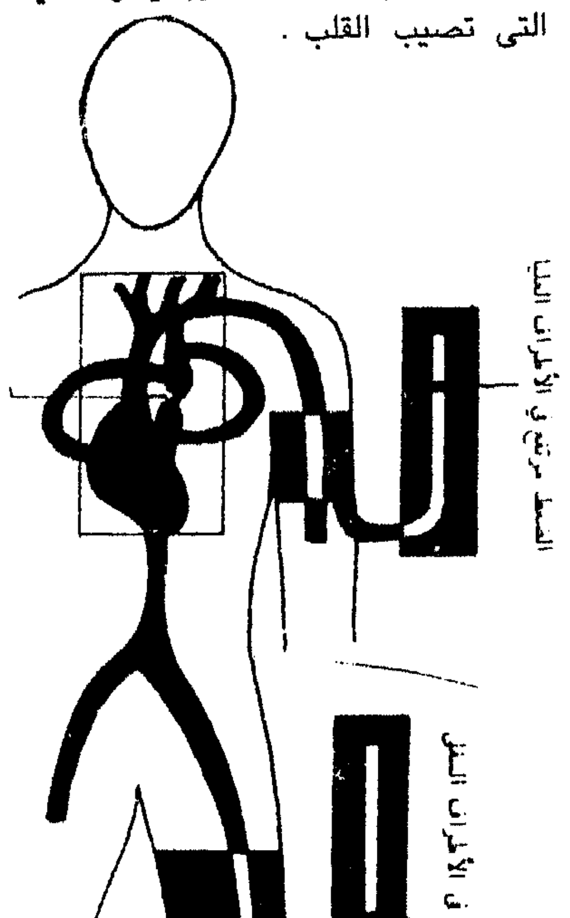
قلبك وقلبها

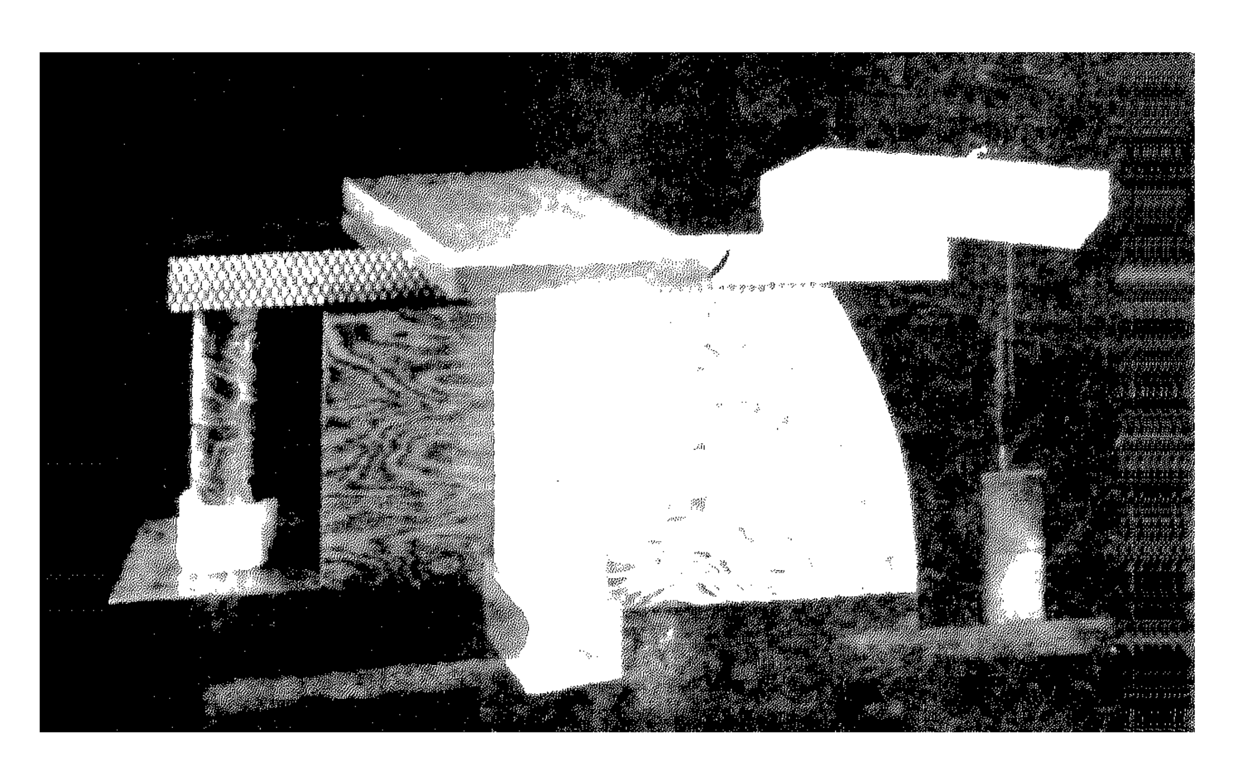
قلبه هو .. وقلبها هى .. أيهما يصاب بالعطل أكثر من الآخر؟ أيهما أكثر حساسية تجاه الأحداث اليومية والقلق والتوتر .. الرجل أم المرأة؟

هناك حقيقة تقول إن ٧٠٪ من الرجال يصابون بأمراض القلب عند سن الأربعين .. و٣٠٪ من النساء فى نفس السن يصابون بنفس المرض . هذا الكلام للدكتور محسن محمد ابراهيم أخصائى أمراض القلب . ويضيف أن التوتر العصبى الذى نعيشه فى هذا العصر ، يجعل الرجل أكثر قابلية لأمراض القلب عن المرأة فى نفس السن ، ولذلك سبب فسيولوجى ، فالمرأة تفرز هرمونا معينا يحدث نوعا من التوازن فى الدورة الدموية مما يقلل من إصابتها بهذا المرض .

إن أسباب الاصابة بأمراض القلب كثيرة ولكن من أهمها ارتفاع الدورة الدموية الذى يؤدى إلى حدوث قصور بالشريان التاجى لدى المرأة والرجل على السواء ، وأكدت الأبحاث الحديثة أن هذا القصور شائع بنسبة ٧٠٪ أو أكثر فى حالات ارتفاع ضغط الدم ، ونسبة المضاعفات تزيد فى الذكور وداكنى اللون أو السود .

هذا بجانب الأمراض الوراثية والخلقية التى تصيب القلب .





أثاث العصر القادم .
قطع من الفن التجريدى

يتجه بعض مصممى الأثاث اليوم .. إلى تغليب الاشكال المستوحاة من الفن التجريدى على قطع الأثاث .. حتى أن بعض هذه القطع لاتبدو للناظر اليها كقطع أثاث .. وقد حرص مصممو الأثاث على تصميم هذه القطع ووضعها فى معارض الأثاث وعليها لافتة (للمشاهدة فقط) .. كإشارة واضحة لاتجاه الفن الى الأثاث يستلهم منه الأفكار الجديدة .. ويبدو أن قطع الأثاث توافقت مع الخطوط التجريدية والسريالية .. وهكذا ، أمكن تحويل قطع من الأثاث إلى اشكال مثيرة للتندر والفكاهة ..

واليوم تقام معارض فى كل انحاء العالم لهذا الطراز من الأثاث ، ففى ميلانو بإيطاليا عرض مجموعة من المصممين منضدة لم يتمكن رواد المعرض من التعرف عليها إلا بعد أن قرءوا اللافتة الموضوعة عليها ، فقد كانت أشبه بقطعة سريالية ملونة .. صنعت من الخشب الحبيبى الصناعى المغطى بالرقائق البلاستيكية . أيضا عرض مصمم فرنسى شاب مقعدا من المعدن الرقيق جدا .. ظهره على هيئة مروحة مقوسة .. وبالطبع كان للمشاهدة فقط وليس للاستعمال .

وفى معرض بنيويورك لقطع الأثاث العصرى عرض مقعدين تحت اسم (المنديل) .. فى اشارة إلى إمكان طبعهما ليصبحا مثل المنديل .. وقد بدا المقعدان وكأن ريحا شديدة قد عصفت بهما .. وهما من الفايبر جلاس القوى . وفى مانهاتن عرض مقعد معالج كيميائيا ليكشف عن البريق الناتج من التدرج اللونى للمعدن الواحد .. ويبدو المقعد وكأنه من الورق .. فقد صمم على هيئة رقائق رفيعة جدا .. بلا سمك فى أى جزء منه .

بقلم : محمود على مراد - جنيف



برناردشو يـؤيـد تعـدد الـزوجات

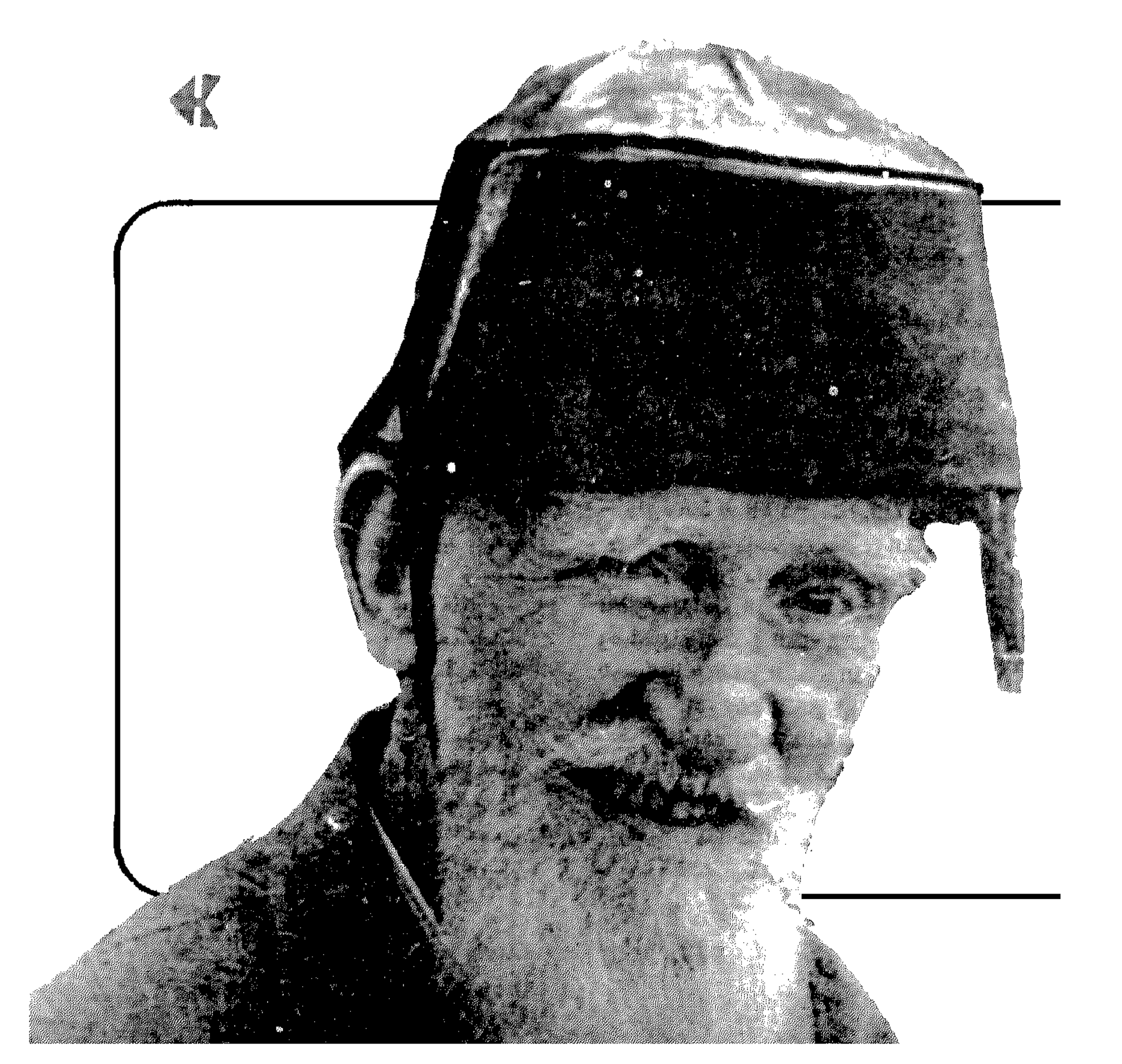
●● كثير من الناس فى الغرب لايعرفون عن الاسلام سوى أنه دين تعدد الزوجات .

وتعدد الزوجات - حتى فى آهون صوره أى حالة الزواج من اثنتين - ليس عيبا وحسب فى جميع دول العالم الغربى ، بل هو جريمة يعاقب عليها القانون ، والدين الذى سيسمح به يعتبر فى هذه الدول دينا متأخرا وهمجيا بغض النظر عن مبادئه وتعاليمه ●●

لقد ظهر فى أمريكا منذ قرن ونصف شخص اسمه «جوزيف سميث» (١٨٠٥ ـ ١٨٤٤) أعلن أن ملاكا قد قاده الى مكان دفنت فيه ألواح ذهبية كتبت بلغة مصرية قديمة مجهولة ، وأنه وجد بجوار هذه الألواح «نظارة» إلتقطها ونظر من خلالها الى الألواح فتكشفت له طلاسمها واستطاع أن يقرأ مافيها واتضح له أنها صفحات كتاب اسمه «كتاب المورمون» وهو ـ حسب قوله ـ كتاب أرسله الله لاصلاح مافسد من الدين المسيحى على مر القرون وعلى أساس هذا الكتاب أنشا «جوزيف سميث» فى عام ١٨٣٠ دينا جديدا له كنيسة جديدة ، أسماه «ديانة يسوع المسيح تقديس اليوم الأخير»

وأثار ظهور هذا الدين فى أمريكا ضجة كبرى ألبت ضده جميع المذاهب والكنائس الأخرى لاسيما وأن «جوزيف سميث» أعلن فى عام ١٨٤٣ أن ديانته تسمح بتعدد الزوجات بل وتحبذه بلا قيود .

وآمن برسالة «جوزيف سميث» كثيرون ، وكانت السلطات تنظر اليهم نظرة سيئة . وبلغت ثورة الرأى العام الامريكى عليهم درجة حملت حاكم ولاية «الينويس» التى كان يعيش فيها «جوزيف سميث» على القبض عليه وايداعه السجن . وفى يوم من الأيام اقتحم رجال مسلحون بوابة السجن وذهبوا الى حيث كان «جوزيف» وأخوه وأطلقوا عليه الرصاص فخرا صريعين . ولكن ديانة «المورمون» لم تمت بموت نبيها بل واصل اتباعها رسالة هذا «النبى» وهاجروا بها من بلد إلى بلد ومن ولاية إلى ولاية حتى انتهى بهم المطاف الى ولاية إسمها



برناردشو يؤيد تعدد الزوجات



«اوتاه» فى غرب الولايات المتحدة وأصبحوا يشكلون غالبية سكان هذه الولاية .

وعلى مدى اربعين سنة ، من ١٨٥٠ إلى ١٨٩٠ ، كان «المورمون» يمارسون تعدد الزوجات دون تقيد بعدد وكان لجميع الشخصيات البارزة بينهم زوجات عديدات .

● لاتحريم لتعدد الزوجات ●

وارادت «اوتاه» ان تنضم إلى الولايات الأخرى التى اصبحت تشكل الولايات المتحدة الامريكية فاشترطت عليها هذه الولايات ان تتخلى عن مبدا تعدد الزوجات فاضطرت ولاية «اوتاه» صاغرة الى قبول هذا الشرط . اما باقى تعاليم الديانة التى جاء بها «جوزيف سميث» فلم تمس . وديانة المورمون الآن من الديانات المعترف بها فى امريكا ولها مبشرون فى بلدان عديدة ويبلغ عدد اتباعها نحو أربعة ملايين عاصمتهم هى مدينة «سولت ليك سيتى» بولاية «اوتاه» .

وخلافا لما يتصوره الكثيرون فليس فى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد مايحرم تعدد الزوجات او يحظر التسرى بالاماء او يضع حدا لعدد الزوجات المسموح للرجل بالتزوج أو التسرى بهن بل إن فى هذا الكتاب انبياء كابراهيم وداود وسليمان كان لكل منهم عدة زوجات وسرارى . وقد كان للملك اليهودى «هيرودس العظيم» الذى ولد السيد المسيح فى عصره تسع زوجات فى وقت واحد . وظل تعدد الزوجات مسموحا به فى الديانة اليهودية بل إن بعض المصادر ومنها «قاموس الكتاب المقدس الجديد» الذى صدر فى أغسطس ١٩٧١ عن دار نشر ايرد مانز الأمريكية تحت اشراف ج . د دوجلاس تقول أن تعدد الزوجات مازال الى يومنا هذا يمارس عند اليهود فى بلاد المسلمين .

ولكن الكنسية ورجال الدين المسيحى حرموا تعدد الزوجات وانتقل هذا التحريم بعد ذلك الى القوانين الوضعية فى العالم الغربى وظل قائما الى اليوم .

وفى انجلترا صدر عام ١٦٠٣ قانون يجعل من الزواج باثنتين جناية من الجنايات التى يعاقب عليها بالاعدام ، ثم خفضت العقوبة عام ١٨٦١ الى السجن سبع سنوات وبقيت دون تغيير منذ ذلك التاريخ الى الآن .

ولم تظهر فى العالم الغربى ، فى أى وقت من الأوقات ، فيما عدا ماذكرنا ، حركة تدعو إلى أباحة تعدد الزوجات . كما لم يظهر مفكرون أو فلاسفة أو مصلحون اجتماعيون يدعون الى هذا التعدد باعتباره ، ولو إلى حد ما ، علاجا لبعض المشكلات التى تعانى منها المجتمعات الغربية ، وذلك رغم ضعف الوازع الدينى الذى كان الأساس فى منعه ورغم كثرة الحركات التى ظهرت فى الغرب خصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية وترتب عليها تغييرات فى الأفكار والقيم والتشريعات غيرت جذريا أوضاع الحياة الاجتماعية والاقتصادية السياسية والثقافية فيه .

وقد استخدم أعداء الاسلام فى الغرب ترخيصه بتعدد الزوجات حجة للنيل منه وركز المستشرقون ومن نحا نحوهم ممن كتبوا عن رسولنا الكريم على موضوع تعدد زوجاته تركيزا ألقى الظل على باقى جوانب شخصيته وجعل كثيرا من الناس فى الغرب لايعرفون عنه صلوات الله عليه سوى كثرة أزواجه .

ولم يتصدّ للدفاع عن رسول الله وعن الاسلام من هذه الناحية أحد من مفكرى الغرب . وحتى المفكرون الذين دافعوا عن الاسلام وعن نبيه انصرف دفاعهم الى جوانب اخرى فى الرسالة وصاحبها وتجنبوا الحديث فى هذا الموضوع الحساس . والمفكر الوحيد الذى تصدى للدفاع عن تعدد الزوجات كنظام اجتماعى مقبول فى بعض الظروف الاستثنائية وعن تعدد زوجات النبى العربى هو - فيما نعلم - جورج برناردشو .

ولم يكتب هذا المؤلف عن تعدد الزوجات كتابا أو مجموعة مقالات أو حتى مقالا واحدا ، بل اشار اليه

اشارات سريعة ومتفرقة فى عدد من مسرحياته وفى مقدماته لهذه المسرحيات وفى كتاباته الأخرى ، نخص منها بالذكر مسرحية «التأهب للزواج» ومقدمتها وكتاب «دليل المرأة الذكية» . وسنحاول فى مقالنا هذا تجميع هذه الاشارات وتحليلها واستخلاص فلسفتها العامة ووضعها فى إطارها العام المتصل بمجمل أراء برناردشو عن الاسلام والعالم .

● رفض الاستعلاء ●

لقد كان «شو» يبغض لهجة العظمة والاستعلاء التى كان الانجليز يستخدمونها فى حديثهم عن سكان مستعمرات بريطانيا وعن المسلمين بالذات وكان ينبه قراءه ، المرة تلو المرة الى أن بريطانيا رغم قوتها العسكرية ليست سيدة العالم وإلى أن الانجليز ليسوا خيرا من غيرهم والى أنه ليس هناك بالتالى مايسمح لهم بتعدد أو أدانة غيرهم من الأمم والشعوب أو النيل من انبيائهم . إنه يجعل احد اشخاص مسرحية «التأهب للزواج» مثلا ، يصرخ فى وجه محدثه قائلا :

من أنتم حتى تعرفوا اكثر مما كان يعرفه محمد أوكرنفرشيوس أو أى من أولئك الرجال الذين تصدوا لهذه المهمة «أى مهمة الاصلاح» منذ أن وجد العالم ؟

وهو يذكر القراء بما ينساه أو يتناساه البعض من أن محمدا ليس هو الذى ابتدع نظام تعدد الزوجات كما أنه لم يكن اكثر الانبياء زوجات ، فيجعل احد الاشخاص فى نفس المسرحية يقول :

ـ لفهم هذه المسألة لايكفى أن يكون المرء قد تزوج مرة واحدة . الملك هنرى الثامن ـ لو أنه كان على قيد الحياة ـ لأفتانا فى شأنها فتوى العارفين . لقد تزوج محمد أربع عشرة مرة ! وماذا عن سليمان ؟

والملك هنرى الثامن هو احد ملوك بريطانيا المشهورين (١٥٠٩ ـ ١٥٤٧) وهو صاحب القرار الخطير الخاص بقطع صلات الكنيسة البريطانية مع الفاتيكان وانشاء كنيسة جديدة لانجلترا ، مستقلة عن البابا ، وجعل ملك بريطانيا رئيس الكنيسة الانجليكانية الجديدة وراعيها . وقد اتخذ هذا القرار اساسا لأن البابا رفض أن يلغى زواجه من زوجته الأولى التى لم يرزق منها بوريث للعرش . وقد رفض البابا هذا الطلب لأن الزوجة المذكورة كانت خالة لملك اسبانيا الذى كان البابا يخشى سطوته . وقد الغت الكنيسة الجديدة التى انشأها هنرى الثامن زواجه فاستطاع أن يتزوج من ثانية . ولم تنجب له هذه الزوجة الثانية ولدا وخيبت ظنه فى أشياء أخرى فما كان منه الا أن استصدر ضدها حكما بالاعدام ونفذ الحكم . وفى اليوم التالى لاعدامها تزوج الملك من زوجة ثالثة ورزق منها بابن ولكنها ماتت بعد الوضع بأيام . وتزوج هنرى زوجته الرابعة ولكنه زهد فيما بعد فترة فانفصل عنها وتزوج من خامسة ولكنها لم ترضه فاستصدر حكما باعدامها هى الأخرى ثم تزوج من سادسة . هذا بطبيعة الحال عدا المحظيات .

اما سليمان فقد ورد ذكره فى سفر «الملوك الأول» من أسفار العهد القديم فى الكتاب المقدس حيث جاء فى أول الاصحاح الحادى عشر من هذا السفر مايأتى :

وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موابيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى اسرائيل لاتدخلون اليهم وهم لايدخلون اليكم لانهم يميلون قلوبكم وراء الهتهم فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة . وكانت له سبع مائة من النساء السيدات وثلاث مائة من السرارى فأمالت نساؤه قلبه . وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء الهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب الهه كرب داود ابيه .

والشىء الذى لانشك فيه هو أن برنارد شو قد قصد من ايراد اسم نبى الاسلام (ص) إلى جانب اسم الملك هنرى الثامن واسم النبى سليمان الثناء على نبينا الكريم فقد أراد للقارىء أن يعقد بين هؤلاء العظماء الثلاثة الذين عرفوا التاريخ بحبهم للمرأة مقارنة تنتهى لصالح محمد عليه الصلاة والسلام فهذا النبى الكريم لم يتخذ ، مثل سليمان من الزوجات سبعمائة ومن السرارى ثلاثمائة ، كما أن حبه لزوجاته لم يجعله ينحرف ، مثله ، عن عبادة ربه . وهو ، من الجهة الأخرى ، على عكس هنرى الثامن ، لم يكن عبدا لشهواته ولم يسمح لحبه للمرأة بأن يغريه ، كما أغرى هذا الملك ، بالتلاعب بالدين ، ولم يسخر دينه لارادته وأهوائه ولم يقتل ولم يطلق ولم يسىء معاملة أى من نسائه .

● ظاهرة تقبلها التشريعات ●

وفى معرض ابطال حجة من يهاجمون التعدد ذكر



برناردشو يؤيد تعدد الزوجات



برناردشو بأن تعدد الزوجات ظاهرة اجتماعية محدودة بطبيعتها وانها فى الوقت ذاته ظاهرة تقبلها تشريعات معظم المجتمعات البشرية :

هى ظاهرة محدودة بطبيعتها لأنها تتعرض قبل كل شىء قدرة الرجل على إعالة اكثر من زوجة والرجال الذين يتمتعون بهذه القدرة فى أى مجتمع قليلون ، ولذلك فان الأصل فى المجتمعات التى تسمح بتعدد الزوجات هو وحدية الزوجة ، وهذا ثابت من جميع الدراسات التى اجريت فى هذا الموضوع . وقد ذكرت موسوعة يونيفرسالس «الفرنسية فى هذا المعنى أن علماء السكان قد اثبتوا أن ٦٠ الى ٨٠ فى المائة من الأسر فى المجتمعات التى تمارس تعدد الزوجات تتكون من زوجة واحدة .

وهى ظاهرة تقبلها معظم المجتمعات البشرية طبقا لنفس المصدر فقد ذكرت الموسوعة ان نطاق نظام تعدد الزوجات فى القانون اوسع بكثير من نطاق نظام الزوجة الواحدة وأن بعض العلماء قد قرر نسبة المجتمعات التى تسمح بتعدد الزوجات بـ ٨٠ فى المائة من المجتمعات المعروفة »

ومن الراجح أن يكون برناردشو قد أطلع على بعض البحوث التى خرجت بهذه النتيجة : فقد اجرى على لسان قسيس بريطانى فى مسرحية «التأهب للزواج» هذه العبارة :

إن الغالبية العظمى من رعايانا (المقصود بطبيعة الحال من سكان المستعمرات البريطانية فى الهند وفى افريقيا وأسيا ممن يمارسون تعدد الزوجات ، وانا كقسيس بريطانى ، لاأملك أن اهينهم بالتحدث عن تعدد الزوجات بصورة تنم عن عدم الاحترام .

ويقرر المؤلف بعد ذلك حقيقة بديهية فيقول فى مقدمة المسرحية المذكورة :

«لو ان ثلاثة أرباع الرجال فى بلد من البلاد قتلوا نتيجة لحرب عظمى لتعين - كضرورة حتمية - الاخذ بالرخصة التى اباحها «محمد لكل رجل فى الزواج من اربع لتعويض نقص السكان»

ولكن الحروب ليست العامل الوحيد الذى يؤدى الى نقص السكان بل هناك عوامل ثلاثة أخرى تؤدى اليه هى الاجهاض أو البنات ووسائل منع الحمل.

● تعدد الزوجات قائم ●

مؤلفنا يعتبر أن الخطأ والنفاق ادعاء أن تعدد الزوجات لايوجد إلا فى الاسلام وأنه ينبغى تسمية الأشياء بأسمائها ، وأن تعدد الزوجات قائم مادامت للمرء علاقات جنسية مع اطراف متعددين سواء كان هناك زواج أم لم يكن . وهو يطلق على مايسمى الآن فى المجتمعات الغربية بالحرية الجنسية اسم «تعدد الزوجات السرى» أو «تعدد الزوجات غير المشروع» وهو يقول فى مسرحية «التأهب للزواج» إن فى انجلترا سلاطين وسلطنات وسرايات ولكن فى صورة انجليزية والمعنى واضح لايحتاج الى بيان .

والشأن نفسه قائم فى البلاد الأخرى التى تحرم تعدد الزوجات ويقول المؤلف فى «دليل المرأة الذكية» إن الزواج كان فى روسيا القيصرية رباطا لاتنفصم عراه ولم يكن الطلاق فيها مسموحا على أنه كان عندهم ، كما هو الحال عندنا ، ممارسة لتعدد الزوجات غير المشروع على نطاق واسع ، فقد كان باستطاعة أى امرأة ان تعيش مع أى رجل دون أن تتزوج منه وكان باستطاعة اى رجل أن يعيش مع أى امرأة دون أن يتزوج منها والواقع أن كلا منهما كان يستطيع أن يتخذ اكثر من عشيق أو عشيقة .»

العبرة اذن هى بالواقع لا بالمواجهة القانونية والتسميات والمجتمع الغربى الذى يستهجن تعدد الزوجات ويرى أنه شر محض لايرى بأسا فى العلاقات الجنسية خارج الزواج ولو كان احد طرفيها متزوجا بل أن هذا النوع من العلاقات هو الموضوع المفضل فى المسرحيات والأفلام والروايات ، وهو يثير من الابتسام لدى الناس اكثر مما يثير من الامتعاض والتقزز والشعور بالخطر

- الخطر على وظيفة الزواج الأساسية ، كما رأينا
- والخطر على عدد السكان
- والخطر على الصحة العامة وصحة المواليد : إن

تعدد الزوجات السرى وغير المشروع يشجع البغاء وقد كتب برنارد شو مسرحية كاملة عن مشكلة البناء أسماها «مهنة مسز وارين» وتحدث عن هذه المشكلة فى مواضع اخرى . وهو يقول بصددها فى «دليل المرأة الذكية» : او أن الفتيات الفقيرات الجميلات وجدن ـ وهن يجدن أن باستطاعتهن ، عن طريق الفاحشة ، كسب مبلغ من النقود اكبر من ذلك الذى يكسبنه بالعمل الشريف ، فانهن سيسمحن دم الشبان الاغنياء . وحين يتزوج هؤلاء فانهم سينقلون العدوى الى زوجاتهم وابنائهم ويسببون لهم كثيرا من الأمراض التى تنتهى أحيانا بالتشوة أو بالعمى أو بالموت » وخطر انجاب ابناء غير شرعيين بكل الآلام والمشاكل التى يسببها انجابهم وهو يقول «ان افظع الوان الاضطهاد التى تعرضت لها امهات الأطفال غير الشرعيين لم تحل دون ولادة مثل هؤلاء الأطفال» ويقول ايضا ان العلاقات الجنسية غير الشرعية أصبحت من الشيوع بحيث اضطرت الحكومة الى التدخل لتنظيمها « فيما يتعلق بهؤلاء الانباء »

وخلاصة القول أن برناردشو يرى أن الاسلام الذى يحرم وأد البنات ويحرم الزنا ويحرم البغاء كان منطقيا مع نفسه حين اباح تعدد الزوجات فى حالات استثنائية خاصة وأن منهجه فى ذلك كان منهجا سليما .

وبرناردشو يسجل للاسلام كونه بخلاف الهندوسية وديانة المورمون ، يقيد تعدد الزوجات بأربع .

وقد حاول أن يصحح بعض المفاهيم الخاطئة بشأن تعدد الزوجات فى الشرائع التى تسمح به كالفكرة التى مؤداها أن للزوج مطلق الحرية فى التمتع بالزوجة الجميلة أو الشابة وهجر الزوجات الاخريات أو اهمالهن ، وتلك التى تصور زوج اكثر من الواحدة على أنه إنسان شهوانى غارق فى اللذات ، وتلك التى تقول إنه ما من امرأة تقبل برضاها التزوج من رجل متزوج أو البقاء فى عصمة الرجل اذا تزوج عليها .

أما القول بأن من يتزوج بأكثر من واحدة رجل شهوانى لايهتم الا بمتعة الجسد فهو قول ينكره برناردشو أشد الانكار . وهو يرى أن تعدد الزوجات ، على العكس ، شىء ثقيل ومخيف بالنسبة للرجل ، ويسوق للتدليل على ذلك ماكتبه فى هذا الموضوع «بريجام يونج» أحد اتباع ديانه المورمون فى وصف ما انتابه من رعب حين جاءه الخبر بأن «جوزيف سميث» نبى المورمون قد تلقى وحيا يقضى بأن يتخذ كل مؤمن عددا من الزوجات قدر مايستطيع .

ويقول المؤلف أن «بريجام يونج» قد نشأ وتربى على عقيدة ان تعدد الزوجات خطيئة كبيرة ، وأنه كان يؤمن بذلك ولكنه كان فى الوقت ذاته يؤمن بأن ماأوحى الى «جوزيف سميث» هو من عند الله . وقد بلغ اثر الصدمة النفسية التى تلقاها حين علم بالوحى المتعلق بتعدد الزوجات أنه خرج الى الشارع وراى جنازة ونعشا محمولا وجد نفسه يحسد الميت على موته حين تصور انه سيكون عليه الا يكتفى بزوجة واحدة . وقال برناردشو ان هذا شعور طبيعى لأن أى رجل ـ حتى اذا لم يكن قد نشأ على اعتبار ان تعدد الزوجات خطيئة ـ ترتعد فرائصه خوفا لفكرة انه سيظل مرتبطا مدى الحياة بعشرين زوجة . ويضيف «شو» أن بريجام يونج قد تغلب مع ذلك على ما أصابه من رعب وتزوج اكثر من سبع وثلاثين مرة .

● المناداة بتحرير المرأة ●

ولم يطل برناردشو الحديث فى إثبات أن من النساء من تقبلن التزوج من رجل متزوج أو البقاء فى عصمة الزوج بعد زواجه بأخرى ، ولعله لم ير داعيا لذلك اعترافا منه بأن معظم النساء تفضلن الزواج من غير المتزوج على انه لاحظ أن نساء المورمون التقيات واللاتى كن اكثر من الرجال تمسكا بمبدأ الزوجة الواحدة امكن اقناعهن بقبول تعدد الزوجات بنفس الفعالية والسهولة اللتين قبله بهما : بريجام يونج .

لقد كان المؤلف ـ وهذه حقيقة لامراء فيها ـ من انصار تحرير المراة ومن أوائل من نادوا بتحريرها . وكان يرى أن من حق المرأة أن تتعلم وتعمل وتكسب لتحقق استقلالا ماديا كالرجل سواء بسواء بحيث يكون لها الخيار فى أن تتزوج او لا تتزوج دون أن تكون عالة على غيرها وبحيث لاتتزوج إلا من تشاء ولا تضطر الى قبول الزواج من رجل متزوج ولا الى البقاء فى عصمة رجل اذا تزوج عليها .

● دفاع عن زوجات الرسول (ص) ●

هذه هى آراء برناردشو عن تعدد الزوجات

برناردشو يـؤيـد تعـدد الزوجـات



عموما . وقد تحدث هذا المؤلف كذلك عن زوجات الرسول عليه صلوات الله ودافع عنه فى شأن تعددهن وقد كان يظن انهن أربع عشرة . ونتلخص ملاحظاته فى هذا العدد فيما يأتى :

أولا ـ محمد لم يكن رجلا عاديا ومن الاجحاف بحق العظماء أن تطبق عليهم المعايير التى تطبق على البشر العاديين .

ثانيا ـ عدد النساء فى حياة النبى العربى ـ رغم كثرة زوجاته ـ يعتبر قليلا بالنسبة لعددهن فى حياة كثير من الرجال فى هذا العصر الذى رفعت فيه القيود عن العلاقات الجنسية . ولو ان أحدا ممن يعتبرون انفسهم خبراء فى الموضوع رأى محمدا رأى العين لقال انه زاهد .

ثالثا ـ المرأة التى تشعر بجلال الامومة تفضل ان ينحدر ابنها من صلب رجل عظيم يكون لها فيه نصيب العشر أو اقل ، على أن يكون من صلب رجل عادى لاتشاركها فيه زوجات اخريات ، ومحمد هذا الرجل العظيم .

رابعا ـ ليس المهم هو عدد النساء فى حياة الرجل العظيم المهم هو الا يحول حبه لهن بينه وبين جلائل الأعمال وحب محمد للنساء لم يمنعه عن اداء رسالته بوجه من الوجوه .

تزمت واضح

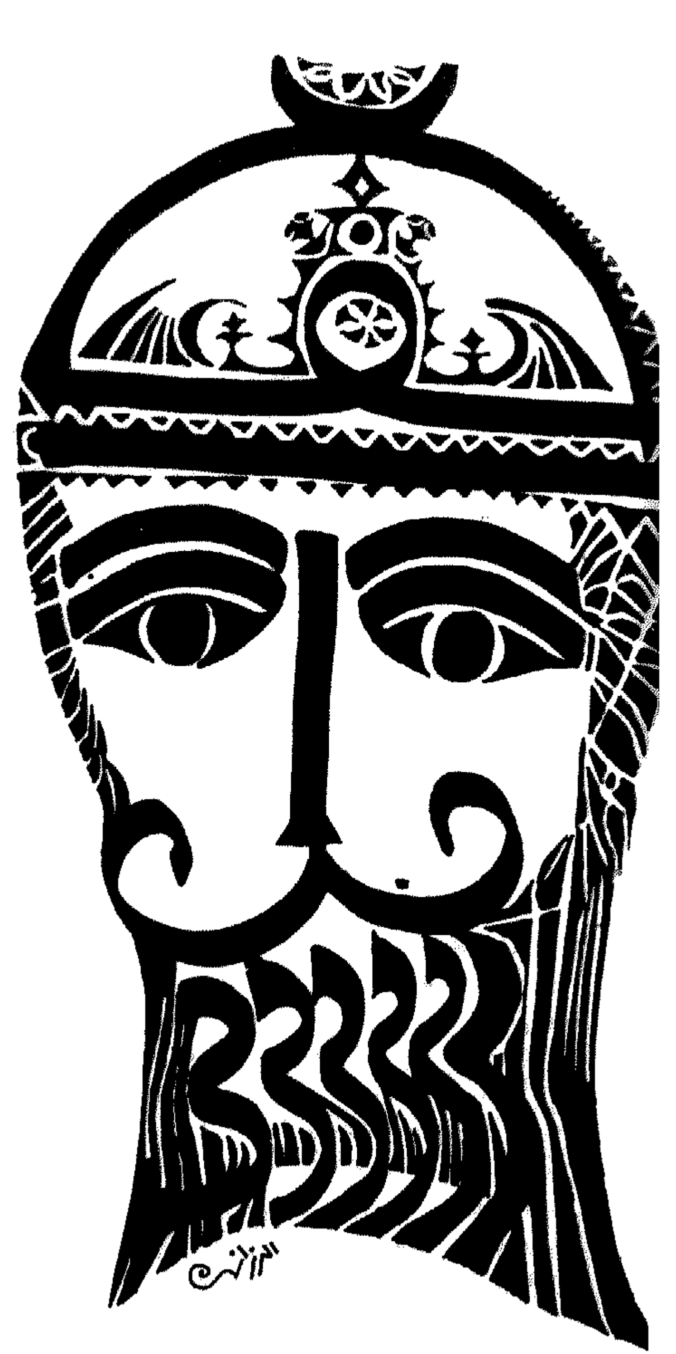
بقى الآن ان نتساءل عن صدى آراء برناردشو عن تعدد الزوجات فى المجتمع الانجليزى والمجتمع الغربى بصفة عامة .

والجواب هو أنه لم يترك فيهما أى اثر على الاطلاق ، وان المجتمعات الغربية مازالت متمسكة بمبدأ الزوجة الواحدة مازالت تعتبر هذا المبدأ بين المقدسات . هذا على الرغم من أن السنوات الخمس والثلاثين التى انقضت على وفاة «شو» كانت حافلة ـ كما قلنا ـ بالتغييرات الجذرية فى حياة الناس فى الغرب وفى اخلاقهم وفى تشريعات الدول ورغم ان سلطان التعاليم والمبادىء الدينية على النفوس وعلى القوانين الوضعية فى المسائل المتصلة بالجنس اصبح ضعيفا بل شبه معدوم . وبعد أن تفشى الزنا بين المتزوجين وغير المتزوجين بصورة محت تقريبا كل شعور بالاثم عند الناس بصدده ورغم ان كثيرا من المحظورات بل ومن الجرائم ، كالطلاق والاجهاض والشذوذ الجنسى اصبحت مباحة ، ورغم تفشى الأمراض السرية ، وبعد أن زاد عدد الأبناء غير الشرعيين بدرجة خطيرة فوصلت نسبتهم الى مجموع المواليد فى بعض البلاد وبعض الطبقات الى واحد من كل خمسة او من كل أربعة والمجتمعات الغربية مازالت تتمسك بمبدأ الزوجة الواحدة رغم انها جميعا تعانى الآن من ظاهرة تناقص السكان ، وانها اصبحت تتقبل بصورة متزايدة عمليات لاتخلو ـ على الاقل من حيث نتائجها ـ من شبه تعدد الزوجات ونعنى بها عمليات التلقيح الصناعى . لقد أصبح هناك فى معظم بلدان العالم الغربى الآن مراكز تعرف «ببنوك النطف» وأصبحت النساء اللاتى لايستطعن الحمل من ازواجهن ـ وأحيانا بعض النساء غير المتزوجات ـ يقصدن هذه البنوك ويتلقين تلقيحا صناعيا تنتقل الى ارحامهن بواسطته نطف رجال لايعرفن عنهم شيئا ، وأصبح بعض هذه المراكز ـ على ماذكرت الصحف ـ يشترى نطف عظماء الرجال من الفائزين بجائزة نوبل وغيرهم ويلقح بها من يرغبن فى الحمل من رجل عظيم مقابل دفع مبالغ كبيرة .

ورغم ان كثيرا من المفكرين والكنائس ورجال الاجتماع فى العالم الغربى يبدون تحفظات على التلقيح الصناعى ولايخفون القلق بشان نتائجه المحتملة فإن الحركة التشريعية لم تصاحب هذا التطور ولم تصدر حتى الأن فى معظم الأحيان قوانين تمنع التلقيح الصناعى ، علما بانه ينطوى على مخاطر لايستهان بها من حيث اختلاط الانساب واحتمالات ان يؤدى الى زواج المحارم وحرمان الأطفال الذين يولدون عن طريقهم من حقهم المشروع فى ابوة معروفة ومسئولة ، وإلى عدد من المآسى الانسانية ، فى الأجل الطويل لايمكن لأحد ان يتخيله الآن .

أغنية إلى أبى زيد الهلالى سلامة

شعر: مهدى جابر توفيق



رحل الفارس فالموت أمامه
وعلى وجه صحارينا دمامة
وايادي البدو قضبان السم
تر فوق السجن طيفا لحمامة ؟!
انها روحى التى تهرب من
عسكر الوالىومنأرض الندامة
هذه الصحراء لن تعرفنى
رغم انى كنت والنخل علامة
مستباح الدم لا « نجد » بها
وجه من يهوى فؤادى او ((تهامة))
ضائعا ابحث عن ارضى وعن
وجهى الضائع فىليل الجهامة
كان عند النهر كوخ وغمامة
وحصان عربى وعمامة
وجهك الاسمنت يا سيدتى
لميعد فى«خده» الاسحمشامة
قلت لى حارب فحاربتهمو
واضعت العمر حبا وكرامة
وليالى السجن صحراء فلا
كتب منك ولا نور ابتسامة
انت بعتنى لهم سيدتى
ليتهم ما نذرونى للامامة
هذه الجند التى قد قتلت
وردة الحب وأشجار الشهامة
اننى أرجع يا سيدتى
وعلى الصدغ نخيل وحمامة
هل هو وجهى الذى عاد لكم
ام ابو زيد الهلالى سلامة

● حول قضية استطلاع الهلال ●

المذنب هالى يخرج لسانه للعرب

بقلم: محمد فتحى

● اغلب الظن انه لا دخل للهلال فى الصورة المؤسية التى نبدو عليها نحن العرب مرات كل سنة، وان ما يطرا من اضطراب على مواعيد بدء صيامنا وافطارنا واحتفالنا باعيادنا .. يعود الى عوامل اخرى بعيدة تماما عن دورة القمر .. ●

قبل سنوات، وبينما نحن غارقون في حيص بيص .. « شرقنا » صائم لاعتقاده أن شهر رمضان قد بدأ، و « مغربنا » مفطر لاعتقاده أن الشهر لم يبدأ بعد .. بينما نحن على هذه الحال نضرب أخماسا في أسداس: « ظهر الهلال ام لم يظهر؟» خرج علينا العالم بصورة أو خارطة خبيثة.

صورة يدعى « العلماء » أنها تحدد خط سير ونقط تواجد المذنب هالى، على مدى سنوات مقبلة، باليوم والساعة والثانية.

ولأننا صائمون أو على وشك، ولان الصيام يدعونا الى الحلم، ولاننا نعرف ان انفضل سبل مواجهة الخبائث هو تجاهلها .. بلعنا الصورة بضمير مرتاح.. خاصة وقد كان المذنب على مبعدة ملايين الملايين من الكيلومترات عن أرضنا، وليس بمقدور أقوى المراصد ادعاء أنه قد رصده، مما يجعل الامر كله في حكم الغيب، ومن يدرى !!

نسينا الامر كله فالانسان مفطور على النسيان .. لكن بينما نحن غارقون في حيص بيص مرة أخرى .. « مغربنا » يصلى العيد ويرفع صوته بالتكبير، و « مشرقنا » يغط في النوم عازما على أن يصليه بعد يوم أو بعض يوم .. بينما نحن ضاربون، هنا وهناك، عرض الحائط بحكمة صلاة الجماعة، وبحكمة رفع الصوت بالتكبير معا .. بينما نحن على هذه الصورة خرج علينا « علماء » العالم بأنباء خبيثة حول خطط يزعمون فيها أن مختبرات ومعامل ستطلق بعد شهور كثيرة، لتلتقى -بعد شهور كثيرة

اخرى المذهب هالى ، فى مواعيد محددة باليوم والساعة والثانية .

● دقة فى التنفيذ ●

كان شهر الصيام قد انصرم هنــا وأوشك أن ينصرم هناك .. أى أن عهدنا بالصيام كان قد طال مما أضفى طمأنينة وسكينة على نفوسنا ولم يكن من الحكمة ان نترك خبراً خبيثاً ، من هنا أو من هناك ، يعبث بهذه السكينة .. ومرة اخرى وجدنا الحل فى حكمة شعبية : « اذن من طين واخرى من .. » بالذات والمذنب هالى ، الذى يدعون لقاءه ، فى مواعيد محددة باليوم والساعة والثانية، كان لايزال على مبعـدة الاف الملايين من الكيلومترات عن ارضنا ، ولا يستطيع أقوى المراصد ادعاء أنه قد رآه بوضوح بعد ..

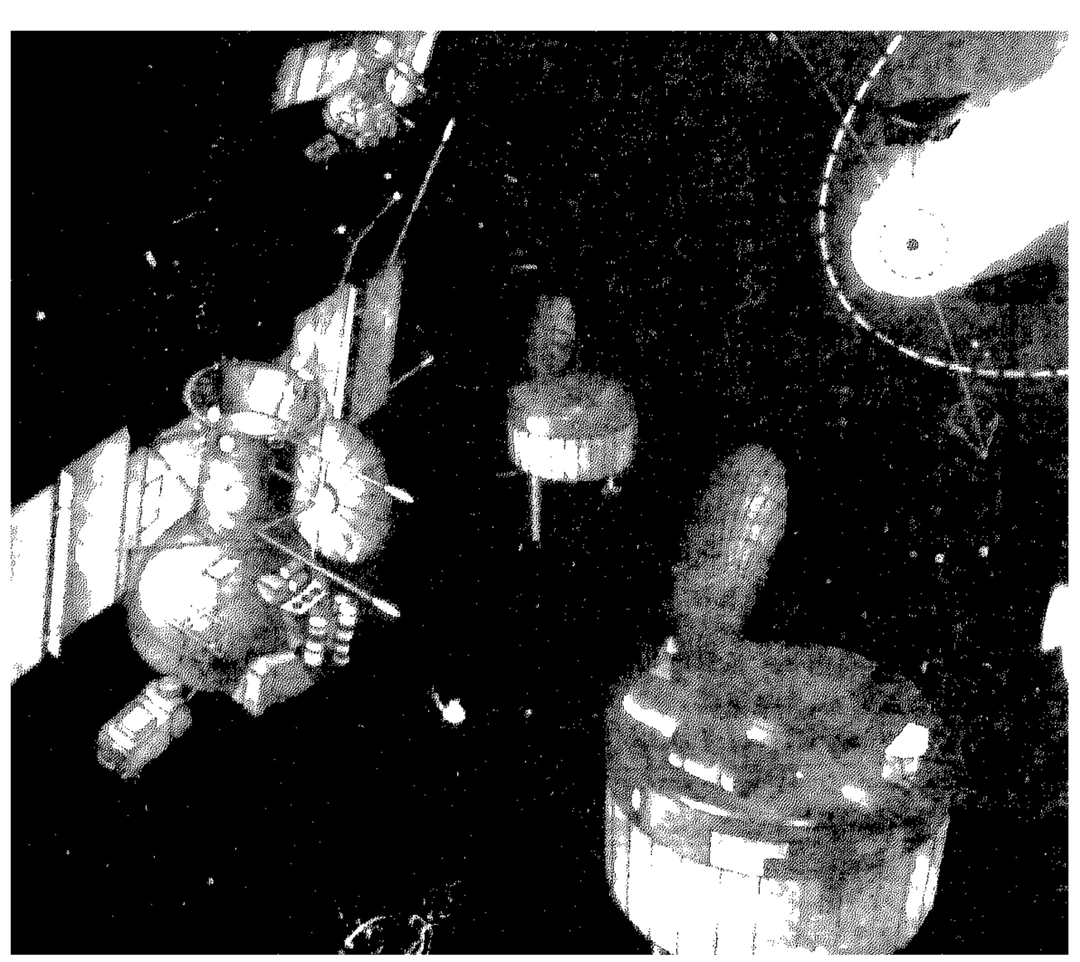
ونسينا الامر كله سنوات ، حتى كان شهر مارس الماضى (١٩٨٦) فعلى مدى عشرة أيام ، منذ الخامس وحتى الخامس عشر منه ، توالت الانباء عن تنفيذ الخطط التى كانت قد أعلنت قبل سنوات .. نعم نفذت نفس الخطط بالحرف الواحد، وباليوم والساعة والثانية تتابعت المختبرات الفضائية تقترب من المذنب هالى بدقـة بالغة ، رغم أنها كانت تمضى بسرعة تعادل خمسين مرة سرعة الطلقة النارية ، ورغم أن المذنب كان على مبعدة ما يزيد على مائة مليون كيلو متر عن الارض ، ورغم

لقطة توضح :

١ ـ المركبة الفضائية السوفيتية فيجا ـ١ ٢ ـ المركبة الفضائية السوفيتية فيجا ـ٣

٣ ـ سويساى المركبة الفضائية اليابانية ٤ ـ ساكيجاكى المركبة الفضائية اليابانية

نواة المذنب هالى والهالة التى تحيط بها ـ ذيل المذنـب المزدوج ويتكون أحد الذيلين من الغبار والآخر من البلازما



المذنب هالي

انه كان يتحرك بسرعة تقارب ربع مليون كيلو متر !!

ولم تكن الانباء وحدها هي التي طالعتنا حتى يتسرب شك بانها انباء خبيثة ، غير دقيقة وراءها ما وراءها (بالذات وقد كنا نستعد لاستطلاع هلال اول الشهر العربي) اذ كانت الصور التي تبعث بها المختبرات تباعا ، تنشر على رءوس الاشهاد ، بعد أن حولت ثورة الاتصالات العالم الى قرية صغيرة ، لا تقع في زقاق منها واقعة ، حتى تعرف الازقة الاخرى في التو واللحظة خبر ما حدث .

● مهرجان علمي عالمي ●

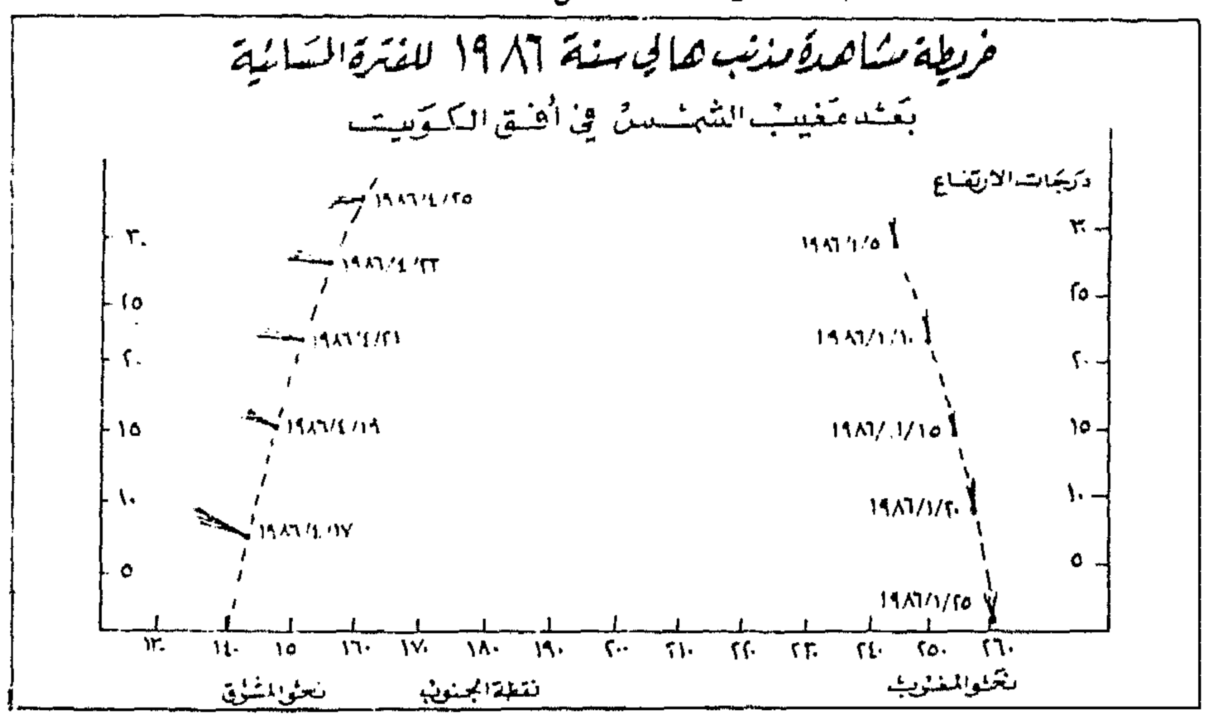
وليت الامر اقتصر على ما حدث خلال هذه الايام العشرة فحولها سمعنا عجبا .

على سبيل المثال أحس العلماء الامريكيون بالغصة تأخذ بخناقهم وهم يتابعون انباء المهرجان العلمي العالمي اللذي حرموا المشاركة فيه ، بعد أن رفض الكونجرس اعتماد الاموال اللازمة لتنفيذ مشروعهم الخاص بمتابعة المذنب هالي .. لكنهم لم يكتفوا بالغصة .

قلبوا أوراقهم القديمة ، واعملوا معارفهم الفلكية ، واصدروا اوامرهم لمحطة أوتوماتيكية (بيونير) تدور اساسا حول الزهرة منذ سنين ، طالبين منها ، وهي على مبعدة آلاف الملايين من الكيلومترات عن الارض ، أن ((تلقي نظرة)) على المذنب ، وتبعث باخباره عند مروره بين الزهرة والشمس .. ولم تكذب ((بيونير)) خبرا .. وشاهدنا ما ارسلته من معلومات ، مرة والمذنب في رحلة الذهاب خلال ديسمبر ١٩٨٥ ، والثانية خلال رحلة الاياب ، في بداية ١٩٨٦ .

كما فكر الامريكيون في توجيه قمر صناعي كانوا قد أطلقوه عام ١٩٧٨ (بهدف دراسة الرياح الشمسية) ، الى مذنب صغير لا يتمتع بشهرة هالي هو ((جياكوبيني زينر)) تصادف أنه كان يقترب من مجموعتنا الشمسية عام ١٩٨٥ ، لكنهم اكتشفوا استحالة ذلك من خلال الوضع الذي كان عليه القمر ، والسرعة التي كان يبحر بها .. أسقط في يد العلماء لكن المهندسين لم يسلموا بالعجز ،

خرائط تحدد سير المذنب خلال الفترة من ١٥ فبراير و ٢٤ ابريل ١٩٨٦ .. أعدها قسم الفلك في النادي العلمي



واستفادوا من المعارف الفلكية التى لعب اجدادنا العرب الاقدمون دورا فى تطويرها ، ووجهوا القمر الصناعى نحو القمر الطبيعى ، واستعانوا بجاذبية الاخير فى مضاعفة سرعة الاول ، حتى وصلت الى ٤٥ ألف ميل فى الساعة ، الامر الذى مكنهم من توجيهه بعد مجموعة من المناورات الى المذنب المقصود .. وهكذا تابعنا خلال اغسطس ١٩٨٥ المعلومات التى أرسلها القمر الصناعى عن المذنب بالفعل.

وليت الأمر وقف عند هذا الحد ..

لم ترض وكالة الفضاء الامريكية بالمقسوم ، ولم تكتف بحمد ربهما على ما حققته من نجاح بلا تكاليف (لم تستثمر فيه الا المعارف الفلكية) فجرها «الطمع» الى التفكير فى توجيه القمر الصناعى الى فلك قريب من الارض ، لتقوم باسترداده يوم الثانى من اغسطس عام ٢٠١٢ ، لفحص الغبار الذى لابد ان يكون قد علق بسطحه لدى اختراقه ذيل المذنب ..

● هل نحن عصريون ؟! ●

والطريف فى امر هذه السيمفونية الفلكية المديدة ، التى احاطت بمذنب هالى ، التى يستمر عزفها منذ عام ١٩٧٥ ، أننا نحن العرب لم نسترشد فى صددها بالحكمة الشعبية اياها : « أذن من طين والاخرى من .. » .. وحتى نثبت بالدليل القاطع اننا عصريون ، واننا نساهم فى مسيرة العلم ونفهم روح التقدم .. حتى نثبت ذلك كله رحنا نتسابع ما يحدث على قدم وساق ، بنفس وسائل الغربيين .. نعم تابعنا هالى بالحساب والمنحنيات والحاسبات الالكترونية التى لقمت وشملت وجرى استقراؤها وفقا للمعارف الفلكية .

نعم والله تابعنا كل شىء باليوم والساعة والثانية ، كما يرى القارىء مع الصور المنشورة على هذه الصفحات ، رغم أنه يجرى كما هو موضح بالجداول على مبعدة عشرات ومئات ملايين الكيلو مترات عن الارض (الف ضعف المسافة بينها وبين القمر) .

نعم والله فعلنا لكن يبدو أن فى عالمنا من لا يعجبه العجب ولا «الصيام فى رجب» ! ، ولا يريد لنا سكينة أو هدوء بال فبعد أن قام العرب بنصيبهم فى رصد المذنب وأدوا ضريبة العلم على خير وجه .. وبعد أن خرجت الارصاد العالمية نفسها تؤكد أن المذنب (بوجع الرأس الذى لابد وأن ينتج بالتداعى عن حكايته) قد أخذ طريقه مبتعدا عن الارض ، وانه لن يعود الا بعد ٧٦ سنة .

بعد ذلك كله ظلت اصوات الخبثاء اياهم تطالعنا من هنا وهناك بانباء مغرضة تبدو وكأنها تخص المذنب ، وان استهدفت تعكير سكينتنا ..

قال الخبثاء — على سبيل المثال — وقبل استطلاع هلال شعبان : « بينما كان الشعراء العرب يشتغلون فى الماضى بادانة الخرافة مثلما فعل ابو تمام فى القصيدة التى عرض فيها بالمرجفين الذين كانوا يخوفون الناس من اقتراب مذنب هالى ، والتى استفتح هجومه عليهم فيها قائلا :

وخوفوا الناس من دهياء مظلمة
اذا بدا الكوكب الغربى ذو الذنب

بينما فعل ذلك شعراء العرب فى الماضى. ينشغل « علماء » العرب اليوم بالهروب الى الامجاد القديمة وتدبيج القصائد حول مدح العلم العربى القديم ، وحول ريادة العرب للعالم فى مجال الفلك ، كما فى غيره من المجالات .

بل وادعى مراقب اخبث — مثال آخر — أن احدهم حقق اكتشافا مؤداه ان النجم «ابو ذنب» الذى يعرفه العالم بالمذنب هالى ، والذى كان قد أخذ طريقه مبتعدا عن الارض قد غير رأيه وبدأ يعود أدراجه مقتربا منها ، بعد عملية تمويه بعيدة المدى ، غير فيها اسمه الى «أبو لسان» وغير مساره بحيث يكون ظاهرا فى المنطقة الجغرافية التى يعيش العرب على امتدادها .. كما غير دورته بحيث يظهر مرة كل شهر ، بالتحديد حول أيام ظهور الهلال ليستمتع العرب برؤيته وهو يخرج لسانه الطويل لهم .

وهذا ليس الا قليلا من كثير اقوله الخبثاء الذين لا يودون للعرب راحة بال.





القلق مرض العصر

إعداد : سناء حنفى

● اذا كان الخوف أحد المظاهر الطبيعية ، الا انه كثيرا مايصبح مدمرا ، وكثيرا ماتكون المخدرات والكحوليات مجرد قناع لاخفاء ما يشعر به بعض الافراد من القلق ..
والرجال يخافون أكثر من المرأة من ان يفقدوا السيطرة على انفسهم ، ولكنهم لايعترفون بذلك الخوف ..
كما ان هناك عقاقير يؤدى تناولها الى الاثارة وتساعد على اظهار الذعر .. ●

هذه الحقائق الاربع اعلنها مؤخرا علماء المعهد القومى للصحة النفسية ، والعقلية باحد المدن الامريكية ، واضافوا انه بالرغم من التقدم التكنولوجى الهائل الذى شمل جميع مجالات الحياة فى الولايات المتحدة ومع توفر الاجهزة الحديثة التى ابتكرت الا ان ذلك لم يحقق التوازن والسعادة للكثير من الافراد ، ولكنه خلق هوة سحيقة بين الانسان وبين وتيرة التطور الاجتماعى ، مما دفع الكثير الى شعور عميق بالقلق .
ولعل دوافع الخوف والقلق لدينا تختلف عن الولايات المتحدة ، الا ان الدراسات والابحاث التى اجريت هناك تقدم العديد من الدلالات عن طرق العلاج

□ الخوف والقلق وراء الكثير من مظاهر العنف

□ الكافيين يزيد القلق والخوف والعصبية

□ وصفة جديدة تقضى على القلق بدون عقاقير

وتساعد الكثيرين على التغلب على ما يجتاحهم من خوف وقلق .

لقد اصبح القلق اكثر الامراض العصبية شيوعا فى العالم لقداظهرت نتائج الدراسة التى اجراها المعهد القومى للصحة النفسية والعقلية لتقييم انتشار الاضطرابات العقلية فى الولايات المتحدة الامريكية ان الاضطرابات الناتجة عن القلقهىالاولى بالنسبة للامراض العقلية للمراة . اما الرجل فهى المشكلة الثانية بعد ادمان المخدرات والكحوليات والتى يعتبرها الكثير من الباحثين مجرد قناع لاخفاء القلق .

وربما يكون الشعور بخطر الحرب النووية ومعدل الجريمة والارهاب وعدم الاستقرار الاقتصادى من اسباب شعور الانسان بالقلق بدرجة تزيد عما كان عليه من قبل بالرغم من ان الاطباء النفسانيين يعتقدون انه ليس هناك تغير حقيقى فالقلق جزء من الطبيعية الانسانية .

ان القلق كما يقول علماء النفس استجابة عامة للجهاز العصبى تثير الجسم فى محاولة للتغلب على الاخطار التى يتصورها الانسان . ويمكن انتصل شدة القلق الى درجة تتغير معها كيفية حياة الانسان او تتدخل فى قدرته على اداء مهامه .

ويجرى العلماء الان ابحاثهم لايجاد تفسير وراثى للقلق المرضى مثل التعرض لموجة من الرعب عندما يكون الانسان تحت ضغط شديد ، وللتغلب على الاضطرابات البيوكيميائية تنتج شركات الادوية سنويا عقاقير مضادة لحالات القلق ، ولكن باحثى السلوكيات يرون أن اضطرابات القلق تعتمد بدرجة كبيرة على كيفية ترجمة الانسان لخبراته وما يمكنه القيام به حيالها . فالقلق يظهر فى التفكير غير المنطقى وافراز العرق والتصرفات العامة ويمكن انتعرف القلق بالشعور بالخطر ، وربما يكون الخطر نفسيا مثل خطر الشعور بالاذلال



والرفض والهجر ومواجهة نقاط الضعف فى الانسان ، وقد يكون جسمانيا والشخص الذى يعانى من الخوف الجسمانى يخشى ان تكون المشاعر التى مر بها . ما هى الا اضطراب عقلى أو انه قد لحق به مرض خطير او اصيب بازمة قلبية . واحيانا يعكس القلق ادراكا حسيا للخطر الحقيقى .

● الخوف من الخوف ●

ان الخوف كما يعتبره علماء النفس مظهر من مظاهر القلق . وهو ظاهرة صحية فى الاساس ولكنه يصبح مدمرا عندما يبدأ الانسان فى الخوف من الخوف . وعلى سبيل المثال فالقلق يدفع الى تصحيح الاخطاء فالانسان يصاب بحالة قلق شديد عند القائه لخطاب وسوف يكون اقل قلقا فى المرة التالية ولكن اذا تغلب عليه الشعور بالقلق فانه سيصبح اسيرا لهذا الشعور . وقد حقق المتخصصون فى الصحة النفسية تقدما هائلا عند معالجتهم الخوف من الخوف .

والقلق ليس مشكلة المراة وحدها بالرغم من ان المراة اكثر عرضة من الرجال للاصابة بانواع معينة من القلق والكثير من الرجال يجبرون انفسهم على تحمل المواقف التى تسبب لهم كربا وحزنا او انهم مقبلون على تناول الخمور لنسيان خوفهم . والسيطرة على العواطف بالطبع سمة من سمات الرجولة والمعاناة من المشكلة التى تصاب بها السيدات انما تثير الشك فى الرجولة . والرجال اكثر من السيدات خوفا من فقدان السيطرة والتحول الى العنف . وقد ذكرت احدى الطبيبات النفسيات ان احد عملائها كان شرطيا ترك عمله لخوفه من استخدام مسدسه اثناء تعرضه لموجة من القلق وبالتالى التسبب فى قتل شخص ما بطريق الصدفة .

ولا يميل الرجال الى الاعتراف بخوفهم لذلك تتزايد حالة قلقهم عند طلب المساعدة كذلك فهم اكثر اقبالا عن النساء على تناول الكحوليات للهروب من القلق وهم اكثر عرضة لظهور اعراض مرضية للتعبير عن قلقهم . ويعيش الرجال فى قلق حول مستقبلهم او علاقاتهم والغريب ان معظم الرجال الذين يعانون من القلق يتمتعون بالقوة والنجاح ولكنهم يخشون من عدم استقرار نجاحهم .

● عصر الاكتئاب ●

لقد اصبحت الاضطرابات الانفعالية سمة للعصر الذى انتشرت فيه . فقد تميزت الخمسينات بانها عصر القلق اما الستينات والسبعينات فهى عصر الاكتئاب . ويمكن ان نطلق على اى من هذه العقود لقب عصر القلق المشوب بالاكتئاب لان معظم الاشخاص الذين يعانون من احدهما يشعرون بالآخر . ومع ذلك فان اساليب التفكير فى كل من حالات القلق والاكتئاب يمكن تمييزهما بوضوح . فالاكتئاب هو التاكد ان الامور تسير بصورة مرعبة ولا امل فيها . اما القلق فهو الاعتقاد بانه فى اى لحظة ستصبح الامور مرعبة ولا امل فيها .

وفى حالة الاكتئاب يؤكد الشخص على الماضى مثل القول : « انا آمر بحالة سيئة لاننى قد فقدت عملى » ويتحدث عن الماضى كما لو كان حدث بالفعل . اما فى حالة القلق فيتوقع فيهما الشخص حدوث كارثة مستقبلية مثل

القول سافقد عملى . وبالرغم من هذه الفروق الا ان معظم المصابين بالاكتئاب يعانون من القلق ايضا . فالمراة ربما تشعر بالاكتئاب لانها تعرف انها لن تجد من يحبها ولكنها تشعر بالقلق ايضا من تقدم عمرها وهى وحيدة .

● عقاقير تؤدى الى الاثارة ●

وفى اتجاه اخر يختلف عن اتجاه الاخصائيين فى دراسة السلوك نجد مجموعة من الباحثين تهتم بالكيمياء الحيوية والصفات الوراثية للقلق .

ويرى عدد من الباحثين ان هناك بعض المواد تتسبب فى الاثارة الفسيولوجية مثل الكافيين او لكتات الصوديوم التى تساعد على اظهار موجة الذعر بين المصابين بالخوف بدرجة اكثر من الاصحاء . وقد اثبتت مجموعة من العلماء الامريكيين فى دراسة لهم ان الكافيين يزيد من القلق والخوف والعصبية والغثيان وخفقان القلب بسرعة والارتعاش بين مرضى الخوف من الاماكن الخالية اكثر من الاصحاء . ولكن ربما تحتاج الاجابة حول مدى تاثير الاضطرابات البيوكيميائية فى القلق الى المزيد من الوقت ، فالحقيقة ان عقارا معينا مثل الكافيين يؤثر على مختلف الاشخاص بدرجة مختلفة لايعنى ان هناك اختلافا كيميائيا حيويا فى مخ هؤلاء الاشخاص

ولكن هل يمكن ان يكون القلق المرضى وراثيا ، ويمكن ان ينتقل بين العائلات وتشير الدراسات الى ان هناك احتمال لذلك وهو يتزايد فى حالة اصابة توام متشابه فى الاسرة به وهكذا يبدو ان هناك دليلا على وجود صلة بين اضطرابات الذعر والميكانيكية الوراثية .

ويرى احد العلماء المتخصصين فى دراسة السلوك ان التعلم يغير من التركيب الوراثى للخلية داخل الجهاز العصبى المركزى .

● كيف نقضى على القلق ؟ ●

ومن الواضح انه ليس العلاج الطبى وحده او النفسى وحده كافيا . ولكن بتطبيقهما معا يمكن ان ينفذ العلاج الى المخ والجسم معا فى العديد من النقاط والاعراض الفسيولوجية والتصرفات والافكار .

ولكن هناك خطورة من استخدام العقاقير اذ ان الكثيرين يسيئون استخدام هذه العقاقير ويدمنونها .

ويرى احد الاطباء فى دراسة له ان الطريقة المثلى لمواجهة القلق تتلخص فى المعرفة : تقبل القلق وتتبعه وراقبه بشكل موضوعى ثم قسمه الى درجات تتراوح من صفر الى عشرة وتتبع منحنى ارتفاعاته وانخفاضاته . تصرف كما لو كنت قلقا . تنفس ببطء ثم كرر هذه الخطوات بصورة طبيعية ثم توقع اصابتك به فى المستقبل على انه جزء من طبيعة الحياة ومع توقعك له يمكنك الاستعداد للتعامل معه عند اصابتك به.



الموسيقى والأغاني

فى عصر الأقمار الصناعية

بقلم :
د. انشراح الشال

اذا كانت الاذاعة المصرية وسائر الاذاعات العربية قد خطت خطوات واسعة نحو توحيد الاغنية العربية ، وتعريف المستمع العربى فى كل مكان بمختلف الوانها المحلية ، فان الدور الآن هو على التليفزيون ليواصل تلك الرسالة الفنية القومية ، خاصة وقد اصبح هو الجهاز الاعلامى الاكثر سيطرة وتاثيرا عند جيل الشباب ، وبفضل ما تتيحه الاقمار الصناعية حاليا من بث تليفزيونى على نطاق واسع ، ومن منطلق ان الاغنية التليفزيونية ــ باعتبارها عملا مسموعا ومرئيا فى آن واحد ــ تختلف بطبيعتها كل الاختلاف على شقيقتها المسموعة فحسب واولى التجارب بالدراسة فى هذا المضمار هى تجربة اليوروفيزيون او التليفزيون الاوربى الموحد .

ان شبكة اليوروفيزيون ، يمكن ان نقول عنها دون مبالغة انها قد نجحت فى ميدان الاغنية التليفزيونية ، ليس على المستوى الاوروبى فحسب ، بل على المستوى العالمى ، ولم يتخط اليوروفيزيون الثلاثين من عمره بكثير ، فقد بدأت تجارب التبادل رسميا فى شبكة اليوروفيزون فى ٨ يونية عام ١٩٥٤ م وهو التاريخ الرسمى لبداية اليوروفيزيون ، واستمرت التجارب الى ٤ يوليه عام ١٩٥٤ . وخلال هذه الفترة التى لم تتجاوز شهرا ، تم

بث ١٩ برنامجا تليفزيونيا ، قاما باعدادها ثماني دول مختلفة هي المانيا الغربية وبلجيكا والدانمارك وفرنسا وايطاليا وهولندا والمملكة المتحدة وسويسرا . وتم التقاط هذه البرامج على شاشات التليفزيون في هذه الدول من خلال ٤٤ محطة تليفزيون ، على مسافة ٦٤٠٠ كيلو متر ، ويقدر عدد مشاهدي هذه البرامج الاولى لليوروفيزيون باكثر من ٦٠ مليون مشاهد .

وعندما بدأ اليوروفيزيون، كانت أهم مشكلة قابلته وقتئذ هي تعدد اللغات واختلافها في اوروبا ، لذلك كان اهم برنامج موحد لليوروفيزيون هو اذاعة البرامج الرياضية ، التي احتلت فيما بين عامي ١٩٥٤ و ١٩٦١ اكثر من نصف محتوى المواد المتبادلة على شبكة اليوروفيزيون . ولكن ، في بداية عام ١٩٦٠ ، بدأت البرامج غير الرياضية تأخذ مكانتها في اليوروفيزيون ، وترتفع نسبتها ، بعد ان كانت تعد على الأصابع .

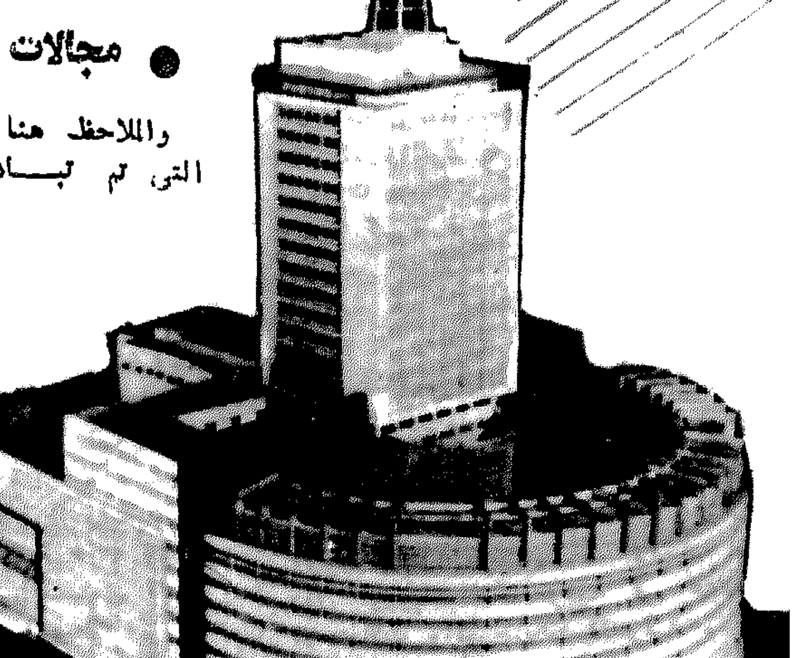
ومن أهم البرامج الاولى التي ساهم اليوروفيزيون في نقلها بين الدول الاعضاء ، الى جانب البطولة العالمية لكرة القدم التي اقيمت في سويسرا ، نذكر برنامجا عن تكوين باليه خاص للتليفزيون في بروكسل عاصمة بلجيكا . وفي اعياد راس السنة الميلادية ، خلال الفترة من ٢٣ ديسمبر عام ١٩٥٤ الى اول يناير ١٩٥٥ ، تم تبادل برامج خاصة بين الدول الأعضاء، تضمنت اغاني للكورال قدمتها الكلية الملكية في كمبردج ، ورقصة على الجليد من سويسرا ، الى جانب عدة برامج اخرى .

ومن البرامج التي تم نقلها عن طريق اليوروفيزيون عام ١٩٥٦ ، والمرتبطة أيضا بالموسيقى ، يمكن أن نذكر حفلات زفاف امير موناكو رينيه الثالث على ممثلة الشاشة جريس كيلي التي قام بنقلها راديو مونت كارلو .

● مجالات وبرامج متنوعة ●

والملاحظ هنا ، ان المواد الموسيقية التي تم تبادلها من خلال شبكة







اليوروفيزيون فى بداية عهدها – كما هو الحال بالنسبة للمواد الرياضية وغيرها من مواد متبادلة – لم تكن تحتاج الى ترجمة لمتابعة مضمونها ، والتى تقف حجر عثرة امام المواد الاخبارية ، او المواد الثقافية الاخرى .. لذلك فاننا مثلا ان البرامج المتبادلة فى شبكة اليوروفيزيون الاخرى .. تخلو تماما من نشرات منتظمة للاخبار حتى عام ١٩٦٢ عندما بدات الاخبار تحتل مكانة متواضعة فى البرامج المتبادلة على هذه الشبكة الى ان اثبتت وجودها بصفة يومية فى صورة ثلاث رسائل، ووصلت نسبتها الى نحو ٦٠ ٪ من نشاط اليوروفيزيون .

وتغطى برامج اليوروفيزيون ستة مجالات مختلفة هى : الاحداث الرياضية، والاخبار ، والمنوعات ، والمسابقات والمهرجانات ، والموسيقى ، والبرامج الدينية ، حيث يصل متوسط عدد البرامج التى ينقلها سنويا ١٩٠٠ برنامج تستغرق ١٢٠٠ ساعة بث . وتحتل البرامج الاخبارية والرياضية نسبة ٩٠٪ من حجم المواد المتبادلة على هذه الشبكة . ولما كان من المفروض ان يبث اليوروفيزيون برامجه بثا مباشرا، ولصعوبة تحقيق ذلك بالنسبة للبرامج الثقافية بسبب تعدد اللغات ، فان اليوروفيزيون يلجا الى ما يمكن ان نطلق عليه اسم « البرامج المحايدة » مثل الرياضة والباليه والموسيقى وما شابه ذلك ، اى البرامج التى لا تقف اللغة عقبة امام بثها مباشرة ، وهى صعوبة تعانى منها كل الشبكات « الدولية » بل واكثر الشبكات « الاقليمية » ، ولكنها لا تشكل اى عقبة على مستوى الوطن العربى من الخليج الى المحيط .

وعلى الرغم من ان اليوروفيزيون شبكة تتولى تنسيق البرامج بين هيئات التليفزيون الاعضاء فى اتحاد الاذاعات الاوربية ، الا ان هذه الشبكة قد قامت بانتاج بعض برامج المنوعات مثل برنامج « الجائزة الكبرى لليوروفيزيون » وهو مهرجان سنوى للاغنية ، ويلاقى اقبالا شديدا ، نستطيع من خلال دراسة الاغانى الفائزة فيه أن نعرف خصائص الاغنية التليفزيونية .

وبالاضافة الى الاغنية التليفزيونية التى نجحت بالنسبة لشبكة اليوروفيزيون بفضل برنامج الجائزة الكبرى ، نذكر ايضا اغانى الفولكلور وموسيقى الجاز والموسيقى الكلاسيكية والباليه والاوبرا والمنوعات والرقص على الجليد .. وتتابع جماهير اليوروفيزيون امام الشاشة الصغيرة ما يقرب من اربعين خدمة تليفزيونية ، فى كل دول اوروبا الغربية وبعض دول اوروبا الشرقية بل وفى خارج اوروبا ايضا ، تتابع البرنامج الخاص براس السنة ، الذى يتضمن كونشرتو السنة الجديدة والذى يؤديه اوركسترا الفيلهارمونيك بفيينا . كما يقوم اليوروفيزيون ايضا بنقل الاحتفالات التى تقام فى مدينة اكس ان بروفانس ، وفى سالزبورج ، وكذلك المسابقات التى تذاع فى وطننا العربى تحت اسم تليماتش. ومن البرامج التقليدية ايضا التى تدخل فى مجال الموسيقى نذكر حفلات زفاف الامراء والملوك ، وحفلات التتويج ، وقفزت مبيعات اجهزة التليفزيون بسببه قفزة كبيرة فى فرنسا ، كان البرنامج الخاص بحفلات تتويج الملكة اليزابيث الثانية فى انجلترا يوم ٢ يونية سنة ١٩٥٣ ، والذى اظهر اهمية فكرة انشاء مركز لتنظيم تبادل برامج التليفزيون كان مارسيل بيزونسون مدير راديو لوزان بسويسرا قد طرحها عام ١٩٤٨ .

والى جانب برامجه الخاصة ، يشارك اليوروفيزيون كنشاط لاتحاد اذاعات دول اوروبا الغربية فى عديد من الاحتفالات والمهرجانات الدولية .

وعندما نتكلم عن الاغنية من الجانب السوسيولوجي كرسالة اعلامية ، يجب ان نتناول بالتحليل جانبين اساسيين من مقومات نجاحها وهما الكلمات التي تغنى، والموسيقى التي تصاحب هذه الكلمات، متناسين الى حد ما مؤدي الاغنية وباقي عناصر الرسالة الاعلامية الاخرى ، التي طرحهـا لازويل في نموذجه الكلاسيكي الشهير : من ؟ يقول ماذا ؟ ولمن ؟ وبأي وسيلة ؟ وما هو التأثير ؟ اي اننا في تحليلنا الاجتماعي للاغنية نرى ان نكتفي مؤقتا بتحليل ما يقال وكيف يقال « او القالب الذي تقدم فيه هذه الكلمات واهمها اللحن المصاحب الكلمات » .

والعنصر الاول الذي يهمنا من وجهة النظر السيوسيولوجية هو اذن الكلمات التي يتغنى بها . ولا نعني بالكلمات هنا المفردات اللغوية فقط التي تشكل الرسالة في هذه الحالة ، ولكننا نعني بوجه خاص المضمون الذي تتعرض له هذه الكلمات ، كما نعني ايضا صياغتها ونظمها باللغة العربية الفصحى لا باللهجات المحلية ، حتى وان كانت هذه اللهجات مفهومة ومستساغة على مستوى الوطن العربي كله، وكفانا فرقة واختلافا.

نفهم من ذلك اذن ، اننا نحمل وسائل الاعلام ــ حتى على مستوى الاغنية ــ مسئولية توحيد اللهجات المحلية في الوطن العربي ، باستخدام اللغة العربية الفصحى . ويجب ألا نخشى ذلك ، فالاذن العربية قد اعتادت سماع الفصحى، وتذوقها من قارىء القرآن الكريم في المدن والقرى والنجوع .. ومن قارىء النشرة في الراديو والتليفزيون .

اما الشعر العربي الفصيح ، الذي لحن له وتغنى به كبار المطربين في الوطن العربي ، وخاصة القصائد التي تغنت بها ام كلثوم ، فغني عن التعريف .

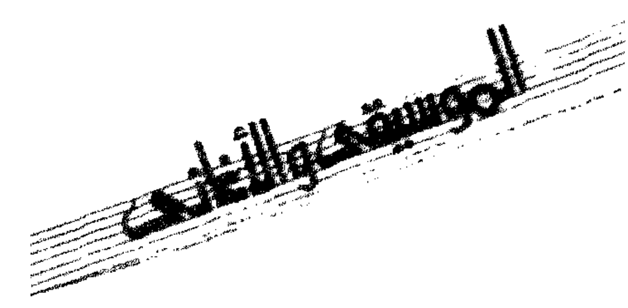
وغني عن البيان ان الموسيقى، أو بتعبير آخر المواد الموسيقية، تشمل فيما تشمل الفن الشعبي الغنائي والموسيقى ، والفولكلور ،الى جانب الموسيقى الحديثة اذا جاز لنا استخدام هذا التعبير .

والموسيقى كائن حي ، شأنها في ذلك شأن اللغة . ومن سمات الكائن الحي التطور والنمو الذي نلمسه في الموسيقى العربية سواء في الاستعانة بالات غربية وتطويعها للموسيقى العربية ، او في تطوير آلات كلاسيكية ، او في تطويع النغمات لطبيعة العصر .. وكل ذلك يمكن ان نلمسه اذا تتبعنا ما ابدعه الموسيقار محمد عبد الوهاب من نغمات ، وما ادخله من تعديلات في تشكيل الاوركسترا .. وهذا يعني اننا وان كنا نميل الى الموسيقى العربية الكلاسيكية، فان هذا لا يتعارض مع ايماننا بان الموسيقى يجب أن تواكب التطور الذي يحدث في المجتمع .

والتليفزيون ظاهرة اجتماعية يتم من خلاله بث المواد الموسيقية الى جانب المواد الأخرى المعروفة ، وان كان نصيب المواد الموسيقية من المساحة الزمنية لخريطة البرامج محدودا بمقارنته بغيرها من البرامج . فعندما قمنا بتحليل برامج التليفزيون عام ١٩٨١ خلال اسبوع صناعي ، وجدنا أن نسبة زمن بث

فرقة أم كلثوم الموسيقية ودور كبير في ترقية الذوق الموسيقي





المواد الموسيقية لا تتجاوز ٩ر٨٪ من زمن البث الاجمالى للفنانين فى التليفزيون المصرى .

وعند تحليل هذه المواد لاحظنا ان اهتمام التليفزيون العربى فى مصر بالاغنية والموسيقى العربية اكبر من اهتمامه بالاخرى الاجنبية حيث وصلت نسبة المواد الموسيقية العربية الى ٥ر٨٧٪ من اجمالى زمن البث المخصص لهذه الفئة من البرامج على القناتين .

ولكى نلخص رؤيتنا فى هذا الموضوع، نقول ان المواد الموسيقية مثلها مثل اى فن آخر ، واى رسالة اخرى ، يمكنها ان تساهم فى تدعيم الهوية فى الدول النامية التى يجب ان تعمل على ان تكون لها موسيقاها الخاصة واغانيها الخاصة بها ، الا ان هذا لايعنى رفض موسيقى الاخرين ، بل يجب ان نتعرف عليها ، على الا نغفل موسيقانا الخاصة .

والخطورة التى تكمن فى المواد الاجنبية ترجع الى أن الفرد فى الدول النامية ـ وهو فى الغالب انسان أمى ريفى ... اذا ما حاولنا تقديم صورة له ـ هذا الانسان سوف يشعر فى يوم ما أن التليفزيون قد أهمله ، وانه لا يهتم بمشاكله ـ ويجب ان نعرف أن هذا الانسان البسيط يعتقد ان هذا الجهاز يمثل السلطة فى بلاده ، لذلك فهو يضفى مكانة على الاشخاص وعلى الاشياء التى تظهر على شاشته، وان هذا المجتمع « الكبير » يتجاهله ولا يشعر به ، أى انه يعيش على هامش الحياة ، مما يحمله يفقد الدافع للمساهمة فى هذا المجتمع فلا يتعايش معه ، ولا يندمج فيه ، وهذا يعنى اننا يمكن أن نجد انفسنا فى يوم ما ، أمام مجتمع فقد اهم مقوماته وخصائصه ، فقد الانسجام والتجانس مما يدعونا الى طرح عدة قضايا جديرة بالدراسة الواعية المتعمقة ، عن التاثير السلبى لوسائل الاعلام ، والذى قد يظهر على اربع مراحل على النحو التالى :

المرحلة الاولى :

ويطلق عليها الشك السياسى .. والذى يظهر فى احتقار العرف والتقاليد والرأى العام والاخلاق الشائعة وتسفيه العمل السياسى وعدم الثقة فى رجال الحركة السياسية ولا فى أولى الامر .. بالمفهوم الواسع لهذه الكلمة .

المرحلة الثانية :

وتتمثل فى عدم الاهتمام بالافراد او بالمواقف أو الظواهر ، وعدم الاعتراف بالمسئولية الشخصية وتحملها، وفقدان الشعور والحساسية بعواطف الاخرين.. وكل ما يشير الى حالات الخمول واللامبالاة .

أما المرحلة الثالثة :

فهى مرحلة الاغتراب وهو شعور الفرد بأن المجتمع والسلطة لا يحسان به ، ولا يعنيهما أمره ، وبانه لا قيمة له فى ذلك المجتمع مما يؤدى الى فقدان الفرد الحماس والدافع للمشاركة الفعالة .

والحالة الاخيرة ، أو المرحلة الرابعة :

هى رد فعل لحالة الاغتراب السابقة عندما يعتقد الفرد بأن السياسة أو الحكومة فى مجتمعه يسيرهما آخرون لصالح بعض ، على أسس وقواعد غير عادلة ، فتكون النتيجة أن يصبح الفرد أسيرا ، وعبدا لبعض الافكار الخاطئة، هذا اذا لم تأسره التيارات المعادية ، والتى يمكن أن يتبناها الفرد عندئذ ويتبعها دون وعى . اى أن الفرد هنا يفقد حريته وذاته بسبب عوامل خارجية « اقتصادية وسياسية .. » ويطلق على هذه الحالة اسم التبعية . قمة المأساة على اى مجتمع . ولنناقش الان موضوعنا الخاص بالموسيقى من هذا المنظور الاجتماعى والنفسى .

ظهرت فى مصر بعض الفرق **الموسيقية** التى تنظم حفلات **للموسيقى الكلاسيكية**

العربية ونخص بالذكر فرقة ام كلثوم وفرقة الموسيقى العربية . ولهذه الحفلات جمهورها الخاص بها ، الذى يمكن ان نتعرف عليه اذا قمنا بدراسة اوائل الرواد لهذه الحفلات ، الذين كانوا - ومازالوا ربما - يشكلون طبقة خاصة فى مجتمعنا المصرى ، نالت قسطا وافرا من التعليم ، واحتكت بالثقافة الاجنبية ، ولجأت الى هذه الموسيقى تبحث فيها عن هويتها التى تاهت منها وسط صخب الموسيقى المستوردة .

وفى مقابل هذه الحفلات الخاصة بالموسيقى الشرقية ، التى نشبهها وجمهورها بجمهور الترانيم داخل المعابد ، تقابلنا حفلات الجاز والديسكو الصاخبة ، التى تقدمها فرق اجنبية ، أو ذات أسماء أجنبية تعرف بها على الاقل . وهذه الحفلات - اذا جاز لنا وصفها بهذا الاسم - لها أيضا جمهورها المتميز .

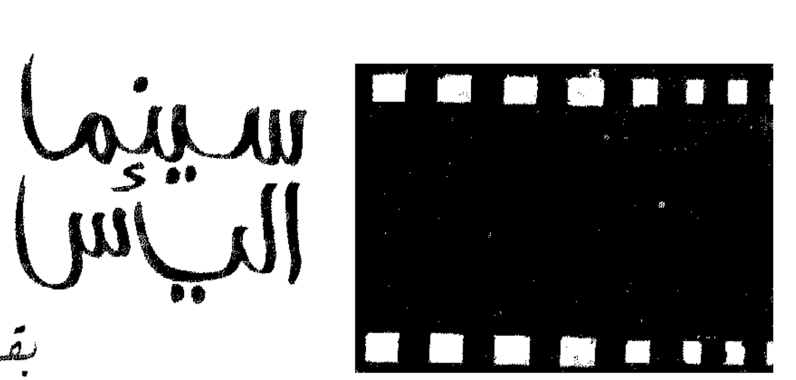
وبين هذين الطرفين ، ظهرت موجة جديدة فى شكل افراد او جماعات تسمى نفسها فرقا اجنبية ايضا ، تقدم اغانيها المكتوبة باللغة العربية على نغمات غربية ، مما قد يكون السبب وراء انحدار مستوى الكلمات فى هذه الاغانى - اذا جاز لنا التعبير - والتى تشكل خليطا غير متجانس بين الشرق والغرب .

وان كان من الممكن ان نطلق على الفئة الاولى التى تعشق الموسيقى العربية الكلاسيكية الاصيلة صفه المحافظين ، وان ننسب الفئة الثانية التى تميل الى الموسيقى الغربية الى الغرب ، الذين تبهرهم حضارته ، فان الفئة الثالثة لم تتضح بعد هويتها ، حائرة بين الحضارتين الشرقية والغربية ، وهى ظاهرة تصحب عمليات التحضر فى المجتمعات النامية فى نواح متعددة ، ونكرر تحذيرنا من خطورته على تجانس المجتمع .

يفهم مما سبق أننا نميل الى القول بأن الموسيقى التى تصلح لمجتمع ما ، قد لا تصلح لمجتمع آخر يختلف عنه فى مقوماته وخصائصه . ورغم ذلك ، نتابع بنجاح الاغنية اليوروفيزيونية على مستوى العالم كله ، فلم تنجح بعد فى الوطن العربى فى العثور على الاغنية العربية للتليفزيون والتى تصلح للبث عبر الاقمار الصناعية ، ونرى ان الوقت قد حان الان لاتخاذ خطوة ايجابية فى هذا الموضوع ، وليبدأ المسئولون فى الاعداد لمهرجان خاص بالاغنية العربية ، أسوة بمهرجان الاغنيه لدول البحر الابيض المتوسط .

وغنى عن البيان أننا عندما نتكلم عن الاغنية العربية ، فاننا نقصد الاغنيه العربية المتطورة التى تصلح للبث التليفزيونى - دون أن تغفل المقومات السابق ذكرها .

ومن المهام التى يمكن ان تقوم بها الاقمار الصناعية على مستوى العالم العربى ايضا ، تشجيع التنافس بين الفرق الموسيقية الكلاسيكية والحديثة ، ونقل حفلاتها الخاصة ، وحفلات المناسبات . مثل الاحتفالات الخاصة باكاديمية الفنون ، وحفلات التخرج فى كلية التربية الموسيقية ، معهد الموسيقى العربية ، والكونسرفتوار ، ومعهد الباليه وغيرها .. ولقد ركزنا هنا على مظاهر النشاط الموسيقى فى مصر .. دون غيرها من الدول العربية الاخرى ، لمعرفتنا بما يجرى هنا أكثر مما نعرفه من الدول العربية الشقيقة ، تاركين بذلك الفرصة لزملاء لنا فى هذه الدول ، لكى يتقدموا بمقترحاتهم الخاصة بالاستعانة بالاقمار الصناعية فى بث المواد الموسيقية .



بقلم : مصطفى درويش

نساء قاتلات ورجال أموات

مايلفت النظر فيما عرض من أعمال سينمائية خلال الأشهر الأخيرة من مسيرة الزمان تكفى لتبيان أننا أمام أفلام ظاهرها اليأس كل اليأس من الحاضر ومن المستقبل ، ولاترى فى أيهما بارقة امل

والعجب كل العجب أنه رغم انعدام التجانس بين صانعيها فى الروح والهدف ، ورغم الاختلاف بينهم فى كل شىء ، فإنهم يتفقون فى النظر الى مايدور حولهم بمنظار أسود متشائم كل التشاؤم يعتبرون الحياة من حولنا كلها نكر وشر ، وبؤس ويأس « فبشير الديك » يرى المجتمع فى « الطوفان » - أول فيلم من اخراجه - وقد تحول الى دغل يسيطر عليه المال ، فينقلب بالانسان الى كائن شانه أشبه بالوحوش الكاسرة ، بل اشد هولا .

فالأبناء فى فيلمه « فاروق الفيشاوى » و « عبد الرحيم ابوريه » و « ليلى يسرى » يتآمرون للتخلص من امهم « امينة رزق » لا لشىء سوى انهم لو تركوها تشهد بالحق امام المحكمة لضاعت عليهم أرض زراعية موروثة ، اصبحت بالفساد ارض مبان ، ولتبدد حلم الثراء بغير حساب . وفى ختام مفجع ، ينتهى بهم صاحب «الطوفان» الى قتل الام بالسم .

● القتل الحلال ●

وقد يبدو للعين البريئة ان فيلمى « الحكم آخر الجلسة » لصاحبه المخرج « محمد عبد العزيز » و « عفوا ايها القانون »لصاحبته المخرجة « ايناس الدغيدى » اقل هولا .

ولكن لو دخلنا فى الاعماق ، وأمعنا النظر لتبين لنا ان بهما ضروبا وضروبا أشد من الطوفان هولا .

فكلاهما يتناول مشكلة الانسان فى مواجهة القانون ، وكلاهما يعرض لها



يحيى "الفخراني وتحية كاريوكا في فيلم الحب قصة أخيرة

من منطلق حق المرأة فى ان تتساوى مع الرجل فيما له ، وفيما عليه .

فالمرأة سواء أكانت « اوصاف » (بوسى) الحاصلة على الدكتوراه فى علم الاجنة ووراثة الجنون او « هدى » (نجلاء فتحى) الاستاذة الجامعية فى النفس ، ومايصيبها من اضطرابات ، المرأة فى كلا الفيلمين مهددة فى حريتها بقانون لايرحم .. القانون المكتوب.

وهى دفاعا عن الذات ، انما تستلهم قانونا آخر .. قانون السماء ..

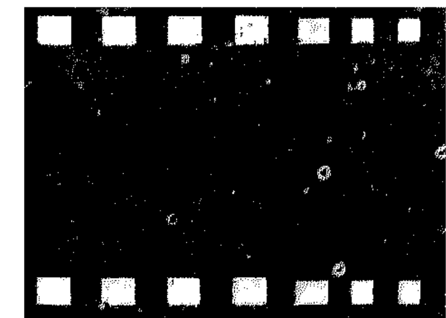
● الموت للحياة ●

وللحق فموقف المرأة ازاء القانون الظالم فى الفيلمين انما يذكرنا بـ «أنتيجون» بطلة مسرحية « سوفوكليس » .. تلك البطلة التى تقف وحدها متحدية قانون المدينة .

وهنا قد يكون مفيدا من باب المقارنة أن نسترجع احداث تلك المسرحية التى اعتبرها كل من « جوته » و « هيجل » أعظم عمل فنى كتب للناس .

شبت حرب دموية اقتتل فيها شقيقا « انتيجون » وكلاهما وارث للعرش ، وانتهت بانقاذ طيبة وموت الشقيقين المتناحرين اثناء المعركة .

بعد ذلك أصدر الملك الجديد « كريون » فرمانا مقتضاه التمييز بين الشقيقين فى الدفن ، فأحدهما ، وهو الذى دافع عن تراب طيبة ، يوارى جثمانه الثرى بمراعاة طقوس الدفن بما تنطوى



عليه من خشوع واجلال للابطال .

أما الآخر ، وهو الذى تحالف مع العدو ، فقد تركت جثته نهبا لخساس الطير والكلاب تنهشها فى العراء .

وهنا تتدخل « انتيجون » .. لماذا ؟

لانها تعتبر أن من الحق عليها نحو شقيقها الميت ان ترتكب جريمة دفن جثته حسب الطقوس انزالا لحكم السماء .

وطبعا يلقى القبض عليها ، ويصدر « كريون » فرمانا يعاقبها فيه بالاعدام .

ويحتج خطيبها « هايمون » محاولا دون جدوى ، تبصير ابيه الملك الى عاقبة الظالمين .

وبعد فوات الاوان ـ وتحت تأثير الرائى « تيريسياس » وشيوخ المدينة يتوب « كريون » يبدى ندمه على فعلته فى حق « انتيجون » وشقيقها غير المدفون .

اقول بعد فوات الاوان لأن « انتيجون » كانت قد فارقت الحياة .. و« هايمون » خطيبها كان قد انتحر حزنا عليها .. و « اوريديس » امه كانت هى الاخرى قد اختارت من بعده الانتحار طريقا للخلاص .

وهاهو ذا « كريون » وحيد محاصر بالموت أو بمعنى أصح بالحياة لان انتيجون ، وهى تقوم بدفن جثمان شقيقها متحدية القانون الظالم انما كانت تسعى بذلك الى اعدام اخيها بعد الموت لحياة اخرى ، لانه بدون دفن فلا بعث ولاحياة

أما أوصاف وهدى فى فيلمى « الحكم آخر الجلسة » و « عفوا ايها القانون » ، ففاجعتهما ذات طابع آخر مخالف تماما .

فهما تقاومان الطغيان لا من أجل استمرار الحياة وانما من اجل حق غريب كل الغرابة ، شاذ كل الشذوذ ، حقهما فى تسليم الحياة للموت بالقتل العمد .

فالأولى تتعمد قتل الجنين فى احشائها خوفا من أن يكون ملوثا بجنون موروث عن زوجها (نور الشريف) لا امل فى علاج منه أو شفاء .

والثانية تقتل زوجها (محمود عبد العزيز) بوابل من رصاص ، وهو فى الفراش ، واثناء المحاكمة يطلب الدفاع البراءة لها لأنها ضبطت القتيل متلبسا بخيانتها .

وغنى عن البيان أنه فى كلتا الحالتين ثمة افتعال لمآس تبريرا لقتل الاطفال والرجال .

فاذا ما انتقلنا الى فيلمى « للحب قصة اخيرة » لصاحبه المخرج رأفت الميهى و « مشوار عمر » لصاحبه المخرج محمد خان لوجدناهما فى كل مشهد ، بل فى كل لقطة يقطران يأسا أو ضياعا .

● جزيرة ورمز ●

فأحداث أولهما تجرى على ضفاف النيل امام القاهرة فى أرض خراب اسمها جزيرة الوراق ، حيث يختلط الريف بالحضر وحيث توجد صناعة طوب بناء فى طريقها الى الزوال .

وبفضل لقطات سريعة يبدأ بها الفيلم نعرف ان بطله « رفعت » (يحيى الفخرانى) مدرس ابتدائى وصاحب قلب عليل ، يماطل الداء ، لايحسبه رجفة فى القلب تزول بالحماية والوقاية ، ومع ذلك

فهو يعيش ماتبقى له من أيام غير متذمر ، مقبلا على الحياة ، لايكبل خوف الموت خياله واستمتاعه .

واذا كان « رفعت » - ورغم مرض الموت - يرى الحياة جمالا وسلاما ومحبة ، فزوجته (معالى زايد) لاتواجه المأساة هكذا بروح متفائلة ، انها تكوى بأوجاع الخوف عليه من هذا الموت القريب الذى يعكر صفو الحياة .

وكذلك حال أمه (تحية كاريركا) التى يعتصر الألم قلبها لان ابنها الوحيد قد تزوج بالتحدى لارادتها .

وفوق هذا لانه لو جاءه الموت فثروة العائلة من صناعة الطوب - وهى ثروة طائلة - يتهدده الضياع ..لماذا ؟

لان امرأة ابنها عاقر ، ولاأمل فى ان ترزق بولد يرث ارض الجزيرة ومن عليها .

● عذابات وخزعبلات ●

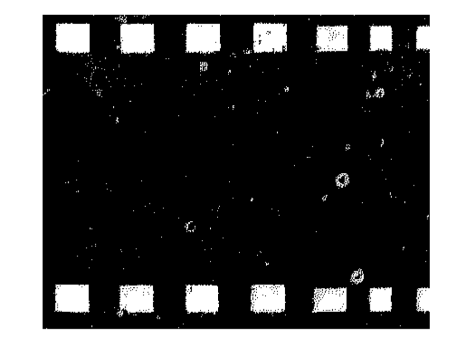
ولو اقتصر خطر الموت على « رفعت » لهان الأمر ، فأغلب الافلام يتشابك فيها الموت بالحياة دون ان يطغى عليها ، ولكن للموت شأنا آخر فى فيلم « رأفت الميهى » الأخير ، أنه اقوى من الحياة التى تبدو بجواره ظلالا باهتة .

فطبيب الجزيرة الشاب (عبد العزيز مخيون) يعيش اسير ام عجوز بلغت من الكبر عتيا (٩٥ عاما) ، تعانى سكرات الموت منذ سنوات ، وهى فى غيبوبة لاتعى من امر نفسها شيئا ، حتى اذا ماكتب لها ان تلفظ انفاسها الاخيرة ، رأينا ولدها الطبيب يمارس الجنس مع عاهر مرتاح البال منشرحا ، يكاد لموتها يطير فرحا .

و (عبد الحفيظ التطاوى) وزوجته (روحية جمال) يعيشان على شاطىء الجزيرة الملعونة بالموت والخزعبلات (عودة الشيخ التلاوى) أزمة انقطاع اخبار وحيدهما « سامى » ، هو يخفى عنها انه هارب من الأيام مع مطاريد العدالة فى متاهات الجبال ، وهى تخفى عنه مانشر فى الجرائد من ان دمه قد سفك ، وان

● مشوار عمر - مشوار الضياع ●





وهدة الموت تفصل بينه وبينهما الى الابد .

والخالة « دميانه » هى الأخرى تستسلم للموت فجأة بعد ان غارت قطرات حياتها فى مسار الزمان .

وهاهو ذا جثمانها محمول فى موكب جنائزى حافل مهيب ماعرفت الجزيرة نظيره ، منقولا عبر النيل الى المقابر شرقى القاهرة الساهرة بعيون لاتنام .

ولعلى لست بعيدا عن الصواب اذا ماقلت انه ليس لمشهد الموكب الجنائزى هذا مثيل فى تاريخ السينما على ارض مصر ، بل هو من ناحية امتداد عرضه زهاء ربع الساعة يكاد يكون وحيدا فى نوعه خلال عمر السينما وهو مائة عام الا قليلا .

واذا كنا لانسمع فى « للحب قصة اخيرة » سوى صوت واحد .. صوت الموت ، فان الصوت الوحيد الذى نسمعه فى « مشوار عمر » هو صوت الضياع .

● مونت كارلو .. لماذا ؟ ●

وأول مفاجأت هذا الفيلم المأخوذ عن سيناريو مبتكر كتبه الناقد « رءوف توفيق » مع المخرج هو شريط الصوت ، فلا موسيقى تصويرية تصاحب المشاهد بضوضاء حمقاء كما المعتاد فى معظم الافلام المتكلمة بلغة الآباء .

فمنذ لحظة ظهور العناوين تحمل اسماء مبدعى مشوار الضياع ، ونحن لانسمع مع متابعة اللقطات سوى صوت راديو مونت كارلو منطلقا تارة بالاخبار ، وتارة بالحوار مع نجوم المجتمع فى التافه والجليل ، وفى اكثر الاحوال منطلقا بموسيقى الروك والديسكو حارة صاخبة تشد السامع الى اسفل سافلين ، ولاتعطى الفكر راحة ، تتركه مضطربا ، متوترا .

فعمر « فاروق الفيشاوى » بطل المشوار ، وان كان متخرجا فى كلية الحقوق ، الا انه شاب مدلل لا يعمل ، حياته مدارها اللهو واللعب انه يمتلك سيارة فارهة الكترونية اشتراها له ابوه الثرى « محمد رضا » تاجر المصوغات بأربعين الف جنيه فقط لاغير ، وهو اسير هذه السيارة اللعبة مسلوب الارادة ازاء سحرها ، لايعيش الا بها ولها ، لايتركها الا ليعود لها .

وطبعا صوت مونت كارلو من لزوم الانحباس فيها .

والمشوار يبدأ به فى سيارته يطارح فيها إحدى الفتيات الغرام .. انه اذن شاب مستهتر ، تستبد به امبراطورية الحواس ، يحركه سلطان الغرائز ، لايستطيع ان يفرق بين ماهو صواب ، وماهو خطأ ، بين مايجوز فعله وما لايجوز .

● سكة الضياع ●

وبعد هذه الفاتحة يكلفه أبوه بتسليم كمية من الذهب الثمين الى احد التجار فى طنطا .

ومن هنا المشوار مع نماذج بشرية ، وصور من حياة مضطربة متنافرة بعيدة كل البعد عن الاستقرار .

وأول انحراف عن سكة السيد البدوى يقع عندما يتجه « عمر » بسيارته او معشوقته الى مطار القاهرة حيث يستقبل صديقا عائدا من انجلترا ، لم يجن من سنوات الغربة سوى بعض حقائب طويت على ملابس ، وبعض ذكريات لمغامرات مع نساء ساقطات ، وقارورة ويسكى هدية « لعمر » صديق العُمْر .

وتتتابع الاحداث من خلال لقاءات مع انماط غريبة اولها شاب ريفى ساذج (احمد بدير) يريد العودة الى « بنها » يشير الى السيارة بالتوقف ، يسمح له « عمر » بالركوب الى جانبه من منطلق التفاخر والابهار .

ولكنه تخوفا من جنون السرعة وحرصا على حياته سرعان ما يغادر السيارة فزعا ، بعد ان يكون « عمر » قد انعطف بها فى سكك زراعية جانبية تهربا من مطاردة شرطة المرور .

وهنا يبدأ مسلسل من مفاجآت تتحول بالمشوار الى فيلم آخاذ مثير ، يريد ان يقول فى الضياع الشىء الكثير .

فها هو عمر نراه ، وقد اطلت عليه جاموسة من وراء زجاج نافذة السيارة .

وها نحن نكتشف انه قد بات الليل بطوله داخلها ، وانه يواجه معضلة كيف يحصل لها على وقود .

ومأان ينتهى هذا المشهد المدهش الذى ابدع تصويره الفنان الصاعد « طارق التلمسانى » ، حتى يبدأ مشهد مدهش ثان لسيارة لورى تحمل عمال تراحيل ، فيستقلها « عمر » الى اقرب محطة بنزين حيث يلتقى بنقيضه ، فلاح ضائع من المعذبين فى الارض يعمل فى المحطة ، ويحمل بدوره اسم « عمر » (ممدوح عبد العليم)

● الخُسران المبين ●

وعلى قارعة الطريق ، فيما بين السيارة والمحطة ، تجرى الوقائع لاهثة حتى ينتهى الأمر بعمر القرية منقذا لعمر المدينة من جريمة نكراء كان سائق اللورى (احمد عبد الوارث) قد اوشك على اقترافها .

وبصرف النظر عن التفاصيل الشيقة اللاحقة لمشهد الجاموسة وعمال التراحيل فالفيلم ـ بعد ان يقبل « عمر » المسكين عرض « عمر » الغنى العمل فى محل أبيه ـ ينتقل بهما الى سكة كلها بشاعة وعبث فقريبا من القرية يلتقطان غانية من بورسعيد « نجاح » (مديحة كامل) ومرة اخرى ينحرف « عمر » : يتغلب الحيوان الذى فيه .. ينصاع الى الجوع الذى فى دمه ، ينقاد الى نداء الجسد بجواره ، يشترى لذة لحظة بندامة عمر .

فعلى نغمات موسيقى مونت كارلو ، يعربد العمران والغانية يحتسون خمر قارورة الويسكى حتى الثمالة حتى اذا ماأفاقوا لم يجدوا من متاع الحياة شيئا ، فقد أختفت السيارة ، واختفى معها ذهب الأب ، وتفرق الجميع بعضهم لبعض عدو .

ويجىء الختام مناسبا منطلقا من شريط الصوت . انه سعر الدولار تسمعه مع « عمر » خبرا مذاعا من راديو السيارة بعد العثور عليها حطاما فوق صخرة بارزة من صخور شاطىء البحر الأحمر .

ومع صوت الدولار نرى « عمر » حبيس السيارة وحيدا ، ضائعا عاجزا ، معلقا لايدرى الى أين يمضى ..

وداعاً أفريقيا

الفيلم الفائز بجائزة أوسكار

١٩٨٦

بقلم : محمود قاسم

تثير جوائز الاوسكار السينمائية العديدة التى منحت لفيلم بعيدا عن افريقيا ومن اخراج سيدنى بولاك — الحوار حول العديد من النقاط .. منها الاضواء التى يمكن للسينما أن تلقيها حول كاتب اقل شهرة . رقد اسمه فى ظل النسيان منذ سنوات عديدة والتى يترتب عليها تهافت رجال الادب للعمل فى ميادين اخرى اكثر جماهيرية كالتلفاز والسينما ومنها ذلك التعتيم الغريب الذى يخيم بظلال كثيفة على الادب فى شمال أوروبا مثل الدنمارك وهولندا وبعض دول اسكندنافيا

لقد ساعد فيلم « بعيدا عن افريقيا » فى اخراج رفات الكاتبة الدنماركية كارين بلكسين من مقبرتها وضخ الدماء حية متدفقة فى هذه الرفات من خلال الباسها ثوبا يحبه الامريكيون كثيرا فى السنوات الاخيرة هو ميريل ستريب .. خاصة ان الفيلم المأخوذ عن احد كتبها هو بمثابة سيرة ذاتية لها فى مرحلة ما من حياتها عاشت ابانها فى قارة أفريقيا ..

كما يثير هذا الفيلم السؤال ايضا عن الادب الافريقى . وعن افريقيا «كمكان» سياحى يحج اليه ادباء العالم ويكتبون عنه مثل ارنست هيمنجواى وجون ابرايك .. أما ادب القارة نفسه فيظل مغمورا عدا ذلك الادب المكتوب اصلا بلغات أوروبا .. مثل اشعار سنجور الذى يعترف انه مواطن فرنسى ـ سنغالى . وروايات دوريس ليسنج ونادين جورديمر وكوتيزى واندريه برينك .

واذا كان ارنست هيمنجواى قد أعلن حين تسلمه جائزة نوبل عام ١٩٥٤ أن كارين بلكسين أحق منه بهذه الجائزة .



كارين بلكسين



ميريل ستريب

ليس لانه يرى انهـا اكثر منه اهمية . بل لان كارين صـديقته الشخصية قد تعرف عليها كرفيقة رحلات اكثر من تعرفه على أدبها . ولان كارين قد عشقت سهول افريقيا ـ وخاصة سهول كينيا ـ مثلما عشق هيمنجواى ثلوج كلمنجارو .

وقبل أن نتحدث عن كارين . نود أن نؤكد انها أسعد حظا من زملائهـا أدباء واديبات شمال اوروبا لانها آثرت أن تنقل نشاطها الى الولايات المتحدة في فترة ما من حياتها . بينما ظل أبنـاء بلادها ـ حتى الان ـ في دائرة الظل . خاصة أن هـذه البلاد ـ كما جاء في كتـاب الادب في هولندا الصادر عن دار الاداب الجـديدة عام ١٩٧٥ ـ تضـع الادب ورجـاله في اطار أقل أهميـة عن زملائهم في الـدول المحيطة بهم وكما جاء على لسـان الناقد هارى مولبش في هذا الكتـاب : « ظل الادب في بلادنا ثريا ولكنه بقي معـزولا ، ولم يكن الجمهور يهتم كثيرا بالجـوائز الادبية على غرار ما يحدث في البلاد الاخرى ولذا فعلى الكاتب أن يظـل يعمـل على الهامش ، فالكتابة نشاط ثانوى على المرء ان يمارسه في أوقات فراغه ، أما الكاتب المحترف فهو شيء نادر في بلادنا ، وعليه ان يضحى بنبأ المجتمع الذى يعيش على هامش وجوده » .

من هذا الهامش اسـتطاعت كارين بلكسين أن تمر من موشح ضيق صعب . لكنها لم تكن أبدا كاتبة محترفة . بل ان كتبها تخلو تقريبا مما يمكن تسميته بالادب النقى .. فلا رواية هناك . ولا مسرحية .. ولا قصيدة . واذا كانت الاعترافات

ادبا فان هيمنجواى قد رشحها لنيل الجائزة نيابة عنه رغم انها لم تحصل على جائزة أدبية واحدة فى حياتها ..

● نساء بيض .. في قارة سوداء ●

ولولا رحلة افريقيا لما استطاعت كارين ان تقدم كتابا مثل « بعيدا عن افريقيا » التى عصرت فيه تجربتها الخاصة .. ليس مع ابناء القارة . بقدر ما هى تجربة حب مع رجل اثردت له العديد من صفحات الاعجاب والولاء .. وفى الوقت الذى تجاهلت فيه السينما الامريكية روايات كاتبه عظيمة من طراز دوريس ليسنج آو، نارين جوروريمر فان بولاك يرصد هذه الملايين من أجل حكاية حب تربط بين كارين وصائد الحيوانات دينيس فيتشى هاتون ..

على كل فهناك اوجه تشابه بين كارين ودوريس . فقد امتلكت كل منهما ارضا افريقية فى سنوات العشرينيات والثلاثينيات وعاش كل منهما تجربة حب وزواج فاشل داخل القارة . كما أن كارين خصصت كتابها الاول عن تجربتها فى افريقيا . وكرست دوريس ليسنج الفترة الاولى من حياتها الادبية لمساندة زنوج أفريقيا فى قضاياهم من خلال روايتها «العشب يغنى» .. ومجموعة قصصية عرفت بـ « حكايات افريقية » . واذا كانت دوريس قد جاءت من انجلترا الى افريقيا لتعيش ثلاثين عاما فان كارين قد غادرت الدنمارك كى تعيش فى نيروبى بين عامى ١٩١٤ و ١٩٣١ . لتعود الى بلادها مرة أخرى مثلما عادت دوريس الى انجلترا عام ١٩٤٩ .

ولدت كارين تريستتز فى مدينة كوبنهاجن فى السابع عشر من ابريل عام ١٨٨٥ فى اسرة دنماركية ثرية معروفة تحت اسم دائسن . ولم تبد على الفتاة أى مواهب أدبية فى صباها . لذا سرعان ما تزوجت من ابن عمها برور بلكسن البارون السويدى ، فمنحها لقب بارونة . وذهبت لتعيش فى مزارع البن التى يمتلكها فى نيروبى . وهناك تعرضت المزارع لمجموعة من الكوارث المتتالية حيث اندلعت فيها الحرائق . ونضب الانتاج . فضلا عن بعض المواجهات الشرسة التى تعرض لها الزوج مع القوات الانجليزية . واصابة كارين بمرض الزهرى الذى لازمها حتى اخر سنوات حياتها .

واشتدت متاعب الزوج حين وجد نفسه ينفصل عن كارين . ويراها بعينيه تحب رجلا آخر هو الانجليزى دنيس فيتش هاتون . وقد سعت كارين الى الاقتران بدنيس . الا انه كان دائم الزوغان منها . وعندما سمعت خبر مصرعه فى الرابع عشر من مايو ١٩٣١ فى حادث طيران آثرت الرحيل عن افريقيا فى نفس العام عائدة الى الدنمارك . وكانت تلك اخر علاقة لها بالقارة السوداء ..

● الكحل العربى فى عيون كارين ●

عندما عادت الى بلادها فكرت أن تقتل ذلك الفراغ القاتل الذى يتسرب فيها بكتابة بعض القصص القصيرة باسم مستعار هو اوزولا فى مجلات دنماركية . قامت بترجمتها بنفسها ونشرتها باللغة الانجليزية تحت عنوان « سبع حكايات خرافية »عام ١٩٣٤ . ثم بدأت تجتر تجربتها فى افريقيا بكتابة كتابها «بعيدا عن افريقيا» الذى نشرته عام ١٩٣٧ . وفيه تقول « لم يدفع أحد الثمن غاليا كى يدخل الى عالم الادب مثلما فعلت » .. وتقول : « كان حبا عظيما ، حبا لا يوصف جرفنى معه وأصبح « شيطانى » الخاص » .

ولم تكن علاقة كارين بالادب قوية . فقد عرفت من خلال علاقتها بالحياة الادبية والادباء كسيدة مجتمع ، فلم تنشر فى حياتها سوى اربعة كتب هى « حكايات الشتاء » ١٩٤٢ ، « حكايات نهائية »١٩٥٧ ،



ارنست هيمنجواى

و « مرارة مصير » ١٩٥٨ ، ثم « عروض فوق العشب » ١٩٦٠ • وفي عام ١٩٦٥ ـ بعد وفاتها بثلاثة أعــوام ـ نشرت لها مجموعة مقالات فى كتاب مستقل •

اهتمت كارين بأن تخرج من المرشـــح الصعب كى تصبح معروفة خارج بلادها • فكانت تترجم بنفسها الكتب التى تؤلفهــا الى اللغة الانجليزية • وقد صادقت العديد من الادباء الامريكيين وأصحاب دور النشر فى بلدان عديدة • ومن الحديث الذى كتبته الناشرة الايطالية انجه فلنيتو تللى فى مجلة بانوراما الايطالية ـ ٥ ينـــاير ١٩٨٦ • يمكن أن نكتشف حدود هــذه العلاقات : « فى شتاء عـام ١٩٥٩ قابلت الكاتبـــة الدنمـــاركية الكبيرة فى مدينة نيويورك • فى جلسة ضمت كلا من ترومان كابوت ، جـون شتاينبــك ، وجلـوريا فندربلت • فى تلك الاونة كانت نيويورك كلها تتحدث عن الدنماركية التى جاءت تبحث عن فرصة لكتبها فى هوليود » •

ونقول أن كارين كانت ذات وجه أبيض أقرب الى تلك المســاحيق البيضــاء التى يضعها المهرج الفرنسى مارسيل مارســو على وجهه • تبدو عيناها وكأنها وضعت « كحلا » عربيا •• واسمتين جميلتين رغم شيخوختها •• وتبدو عليها الاناقة واللباقه •• فكانت بؤرة الجالسين •

● البحث عــن معنى الحيــاة ●

اما الناقدة جوديث تورمان فتقــول فى كتابها عن كارين : « لم تكف أبدا فى البحث عن معنى للحياة • وتحديـد المصير الانسانى » ان افريقيا بالنسبة لها كانت بمثابة خلاص مسيحى سمم شبابها • وانها قد شاركت نيتشه احتقاره للحياة • لذا وجدت نفسها فى افريقيا التى كانت تمثل بالنسبة لها بكارة المكان • وان هذه البكارة قد سعى رجال الغرب مرارا الى فضها اكثر من مرة لكنهم فشلوا •

وقد سمت كارين كما تقول جوديث الى أن تمــارس الادب بكتــابة « حكايات » يمكن للمرء أن يقرأها بصوت عال مثلما كانت تتم القراءة فى الازمنة القـــديمة • وترى ان كتابها « بعيدا عن افريقيــا » أشبه بمرشح قامت من خلاله بتصفيــة رسائلها الخاصة التى ارسلتها من نيروبى الى بعض اقرانها فى الدنمــارك • ونحن نموت وسط السعادة الفياضة النابعة من مآسى الماضى » • وفى هذه الرسائل تحدثت عن بعض من عرفتهم هناك كالطاهى ورئيس الخدم وزوجها وحبيبهــا وبعض الافارقة المقربين اليها ••

وقد عرفت كارين باسم ادبى اخر هو ايزك دينسن • وماتت فى كوبنهاجن فى السابع من ســبتمبر عام ١٩٦٢ • وقالت عنها مجلة لوبوان ـ ٤ مارس ١٩٨٦ ـ : ان اسلوب كارين يسعى الى المثالية وانها كانت تعرف كيف تضع النغمة الصحيحة فى مكانها • وتختار الايقاع الامثل لتعبر عن انشودة الحرية التى تتفق مع الواقع •

المعرض العام السادس عشر
التاريخ والقصة

بقلم : أحمد فؤاد سليم

فى الثامن من ابريل الماضى افتتح المعرض العام السادس عشر للفنون التشكيلية بالقاهرة ، حيث اشترك فيه ٢٨٧ فنانا مصريا فى فروع التصوير والنحت والرسم والخزف والحفر ، وضم اكثر من ستمائة عمل فى فروع الفن الخمسة . أفتتح المعرض الدكتور احمد هيكل وزير الثقافة ، وبذلك يكون هو وزير الثقافة الثامن الذى يحضر هذه المظاهرة الفنية السنوية خلال ستة عشر عاما منذ بدأ المعرض العام الأول فى صيف عام ١٩٦٩ .

وفي يوليو من عام ١٩٧١ كتبت فى هذا المكان من « الهلال » موضوعا مطولا حول المعرض العام الثالث أشرت فيه من بين ماأشرت ، الى ضرورة اعادة النظر فى صيغة المعرض العام للفنون التشكيلية ، وحذرت فيه تحذيرا ، من محاولات بث واقع عقيم لحركة الفن المصرى يكون فيه النشاط من السطح الظاهر هو المعيار ، على حين ان ذلك المعيار فى حقيقة أوصافه مهدر تحت سطح ومدفون على مسافة فى القاع .

آنذاك كانت اللجان المعنية قد عجزت عن ملاحقة السيل المتدفق لمعارض الفنانين ، فتفتقت القرائح حينئذ عن اقامة المعرض العام حتى يتجمع الفنانون كلهم فى سلة واحدة مثل سلة « تعويم العملات » وليقتنوا منهم جميعا حتى ترضى الناقة بحملها ، وتلوذ بنصيبها .

فحين دعونا فى شتاء عام ١٩٦٨ يسألوننا الرأى فيما هم عازمون عليه فى العام التالى ، ذهبنا إليهم وكنا سبعة نحمل فى ايدينا أوراقا وتفويضا من خمسة وسبعين فنانا مصريا . ناقشنا الأمر واعترضنا عليه وقدمنا البديل فلم ينفع . وكان البديل ان يقام المعرض العام هذا فى صورة تسابق بين الفنانين ترصد له جوائز احسن عمل ، على ألاّ يخل ذلك بنظام الاقتناء من معارض الفنانين الشخصية خلال الموسم .

ومرت السنوات والمعرض العام يقام

فى بعض دوراته خابيا وهزيلا دون ان يلقى تكريما او حتى اكتراثا من مجموعات المشاهدين .

يذهب الفنانون بأعمالهم ويعودون بها ، والكبرياء معتلة . ومحظوظ من كان يعود بأعماله سليمة دون كسر أو خدش أو قطع ، وهى تحمل على ظهورها ارقام المعرض العام المسلسلة ، وقد كتبت بأقلام قاسية ، غير مبالية بطبيعة قماشة التصوير المعدة ودون ادنى اعتبار للضرر .

● البداية ، والنهاية مرة اخرى ●

وفى عام ١٩٨١ بدأت محاولات الحقن والعلاج للجسد المريض ، وكانت قد تولت قيادة الفنون الجميلة شخصية طامئة وطموح وهى من بين صفات فنان جاد ، ومصور مكين . وبتضافر المجموعات المهمومة بالرسالة ، استطاعت ان ترصد لنشاط الحركة الفنية وحدها ميزانية خيالية قدرها ٢٥٠ الفا من الجنيهات لشراء اعمال الفنانين بزيادة عشرة أضعاف كاملة على الميزانية المخصصة اصلا ، ومرة واحدة . وارتفع تبعا لذلك ثمن لوحة الفنان من ٢٥٠ جنيها كحد اقصى الى الف من الجنيهات ، وارتفع ثمن قطعة النحت من ٦٠٠ جنيه كحد اقصى الى اطلاق الثمن فوصل فى بعض الاحوال الى اكثر من ثلاثة الاف من الجنيهات لقاء منحوتات فنان واحد وارتفع ثمن قطعة الحفر من ثمانين جنيها كحد اقصى الى ٢٥٠ جنيها ، وارتفع ثمن لوحة الرسم من اربعين جنيها كحد اقصى الى ٤٠٠ جنيه ، ثم ارتفع ثمن القطعة الخزفية من ٥٠ جنيها الى خمسمائة جنيه .

وبدأ الاهتمام بالفنانين الراحلين والرواد على اعتبار انهم يمثلون فى اقل الاحوال الذاكرة التاريخية لحركة الفنون المصرية ، وفى اكثر الاحوال فانهم ملف وتراث الفن المصرى منذ بدأ فى اول القرن العشرين .

ثم كان بعدئذ ذلك الرصد المنقطع النظير لعديد من المسابقات ذات الجوائز السخية بين الفنانين ، كان منها مسابقة التصوير والتصوير الجدارى ، ومسابقة النحت والنحت الميدانى ، ومسابقة الرسم ومسابقة فن الاعلان ، ومسابقة فن الميدالية ، ومسابقة النقد الفنى ، بل وتبع ذلك طرح موضوعات للتسابق حولها كمسابقة أشعار شوقى وحافظ ، ومسابقة النيل ، والطبيعة والقاهرة فى عيون الفنانين المصريين .

وبدأت الحياة تدب فى أوصال الفنانين .

كان المعرض العام لايزال حلما غائبا . نعم جرى تعزيزه بميزانيات طموح ولكنه فى جميع الاحوال كان يتطلب خطة حقيقية خطة برنامجية ذات رسالة وأهداف .

ولماذا يكون المعرض العام ! .. أكانت علته الوحيدة هو ان يكون صالونا على نمط صالون الفن الباريسى ، وهل كانت هى نفس الدوافع ، وهى نفس التوجهات .. ، بالاحرى هل كانت هى نفس الركائز والمسببات ، أم هى مسخ ضائع التقليد لنموذج عريق بعلله وتواريخه ، وفنانيه . ام كان هكذا منفذا وبابا وخلاصا ، للفنانين الضاغطين بحكم مناصبهم ، والفاعلين بفنهم ، وغير الفاعلين ، والزاعقين بالحق وبغير الحق ، والضائعين بين هؤلاء وأولئك جميعا سواء بسواء فإذا ماأتى يوم الافتتاح واجتمعوا فى

صالة العرض ، حاقت ببعضهم الهموم ، وضاقت عليهم السبل من فرط الإحساس بالغربة !

وفى غضون ذلك العام الهام ١٩٨١ اخذت الافكار الجديدة تطرح المعرض العام فى ذمة البحث . آنئذ تم ادراج المعرض العام للفنون التشكيلية فى صورة سباق على التنافس بين الفنانين ، سباق على الجودة والابتكار وقوة الاثر الفاعل ، قبل ان يكون سباقا على « مساواة الرءوس » ببعضها البعض مثلما كان يحدث فى السابق وهكذا اعلن عن المعرض العام للفنون التشكيلية لأول مرة بعد مرور ثلاثة عشر عاما كاملة على اجتماعنا الأول مع المسئولين بوزارة الثقافة عام ١٩٦٨ .. ، اعلن عنه باعتباره مسابقة رفيعة ، ومشروطة المستوى . كانت تلك هى اول صيغة ايجابية على الطريق نحو تحسين الوضع لسببين :

- **اولهما : أنه بذلك يكون على سبيل قويم نحو تهيئة المناخ لبث الروح فى الحركة الفنية المصرية ، وشحذ ابتكارها وضميرها .**

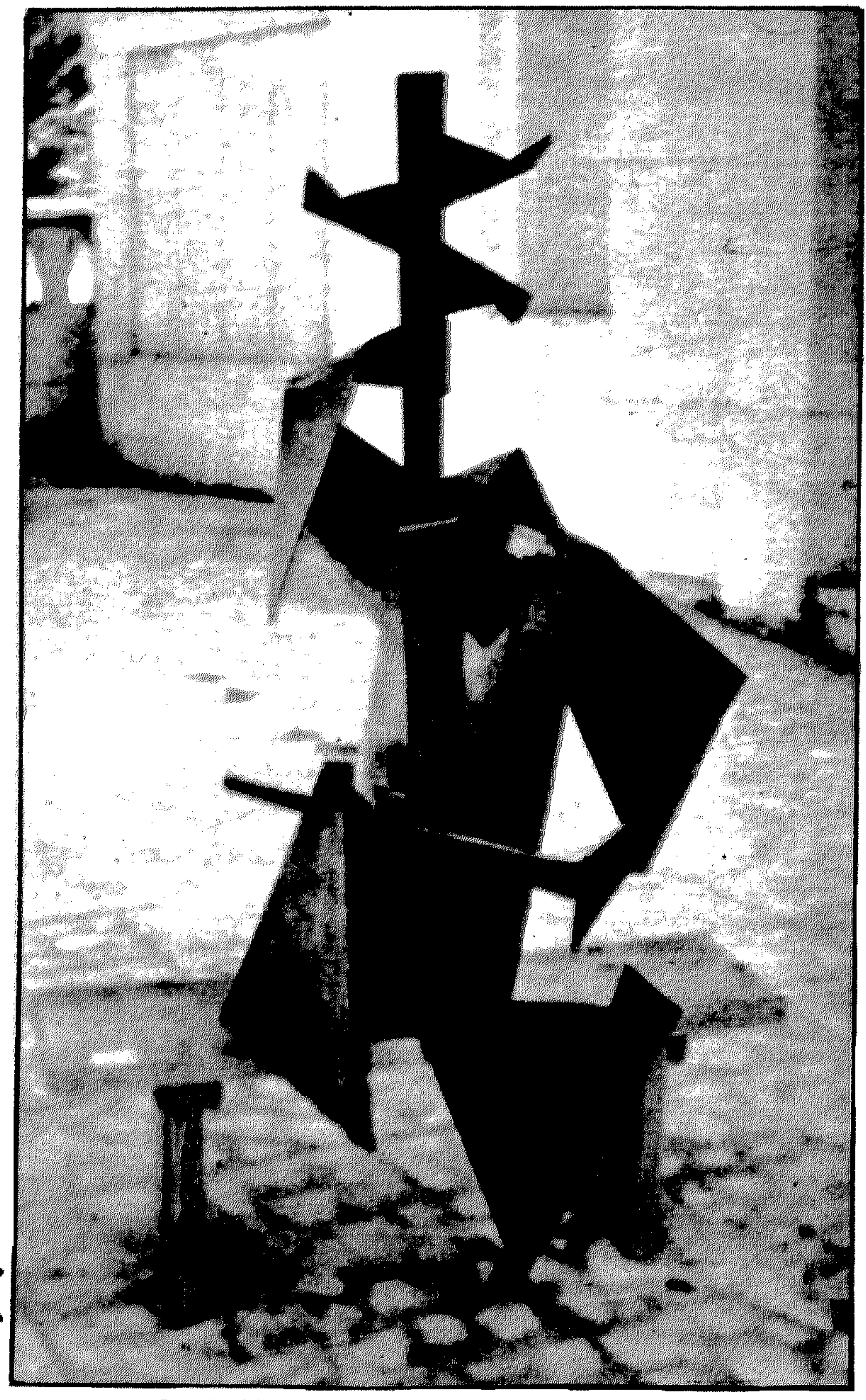
ثانيهما : أنه بذلك ايضا يطرح الفرص المتكافئة أمام الفنانين جميعا للقيام بدورهم ، .. فإن تساوى الرءوس اذا جاز فى الاسواق فانه لايجوز فى الفن بداهة .

وقام المعرض العام للفنون التشكيلية من كبوته بنجاح منقطع النظير . وكانت الافكار قد اخذت تعد لتطوير نجاحه من معرض عام جمعى ، الى معرض عام نوعى ، والى مسابقة على افكار وطروحات بين الفنانين .

نعم كانت هنالك اخطاء ، ذلك ان اى عمل ناجح يأتى من تلاقى مجموعة ارادات فاعلة .. ، ويخطىء من يتصور أن تلك الارادات الفاعلة هى بذاتها متساوية الثقافات والاهداف ، والاغراض ، بل وحتى الانتماء كذلك . برغم هذا ، فان الخطأ - مهما كان الرأى - لايبرر القضاء على نموذج صحى متوافق فى رسالته الباطنة والظاهرة على السواء .

غير ان الطبول الزاعقة نجحت فى ان توقف المد الصحيح . فان الذين كانوا قد اعتادوا على تساوى الرءوس ببعضها ، وجدوا أنفسهم امام سباق هم غير قادرين عليه . فاجتمع الزامرون ببعضهم ، وعلا الضجيج ، واستنهضوا سلطات المسئولين فيمن لايعرف من تاريخ حركة الفن المصرى مايعينه على اتخاذ موقع صحيح بين المختلفين .

وساد النكوص على الشجاعة ، فتوقف المعرض العام للفنون التشكيلية بصيغته الجديدة الناجحة الحية ، وعاد من حيث بدأ بكبوته ونجاحه الخادع .. ان مثالا واحدا صارخا كاف للدلالة على حجم النجاح المصطنع ، كاف للدلالة على مدى تبجيل الواقع الكمى فى مقابل الواقع الكيفى ، ففى عام ١٩٨٣ تقدم للمعرض العام بصيغة المسابقة ٢١٦ فنانا بما يقرب من ٧٠٠ عمل فنى ، وفى عام ١٩٨٥ تقدم للمعرض بصيغته العمومية ٣٤٢ فنانا بمجموعة اعمال مماثلة فى العدد بالمقارنة لمعرض عام ١٩٨٣ . اى انه فجأة قفزت زيادة اعداد الفنانين



الفنان محمد رزق ـ نحاس (عمل جديد) ، عازف الربابة

المشاركين من ٢١٦ فنانا الى ٣٤٢ فنانا . بزيادة ١٢٦ فنانا عارضا خلال عام واحد . برغم ان الزيادة محمودة ، غير اننا نريد زيادة ذات دلالات حقيقية ، ولا نريد زيادة ذات دلالات مصطنعة . نعم ،.. كانت النهاية محزنة حين ساعد على تكثيف ذلك الاهدار تخفيض مؤسف ، وجالب للدهشة ، لميزانية الفنانين ، من ٢٥٠ الفا الى ٦٠ الفا من الجنيهات هكذا ، ومرة واحدة !

● المعرض العام ١٩٨٦ ●

وأما المعرض العام المقام فى قاعة النيل بالجزيرة فقد اشترك فيه هذه المرة ٢٨٧ فنانا ، قدموا مايقرب من ٧٠٠ عمل فني . ولعل من المفيد ان نلفت النظر نحو ثلاث ملاحظات على جانب كبير من الاهمية :

● أنه جرى اختصار اعمال الفنانين المقدمة من ثلاثة أعمال لكل فنان الى عملين فى اغلب النوعيات المعروضة تفاديا للازدحام ، من ناحية ، وتفاديا للضعف العام من ناحية أخرى .

● إن اكثر من ٩٥ فى المائة من الاعمال المعروضة هى أعمال سبق عرضها عدة مرات ، نذكر من بين هؤلاء فنانين لهم قدرهم مثل انجي افلاطون ، وحامد ندا ، وزكريا الزينى ، وكمال السراج ، ومصطفى الرزاز ، وصبرى ناشد ، وعدلى رزق الله ، ورضا عبد السلام ، .. وهى دلالة على ان المعرض العام لم يعد قادرا بصيغته الراهنة على ان يمثل مصداقية يعتد بها بين الفنانين .

● إن الاعمال الفنية الجديدة المقدمة بغرض العرض فى المعرض العام لاتمثل أكثر من اثنى عشر فنانا من بين ٢٨٧ عارضا ، وهى علامة ذات دلالات واضحة .

● مقدمات « كتالوج » المعـــرض الـعــام ●

ثمة ما هو جدير بالاشادة وهو ماastنه المركز القومى للفنون أخيرا من نشر مقدمات تحليلية وتاريخية لحركة الفن المصرى المعاصر فى كتالوج المعرض من خلال تناول العرض المتنوع فى المعرض العام . فإذا كنا نشيد بالفكرة فى ذاتها ، فإن ذلك لايعنى موافقتنا على جانب كبير مما نشر ، كما أنه لا يجوز إغفال المراجعات الدقيقة للمقولات التى يتم نشرها ، وبخاصة حين تصل فى بعض الحالات الى حد الخطر . إن النقائص العلمية والفنية والثقافية والتاريخية ، تدفعنا الى ضرورة المناداة بأن نتحلى بالحرص فى دراسة الآثار المترتبة على ماينشر ، ذلك أنه ينتظم فى مكتبات حائزيه ، حتى اذا مر عليه الزمان صار مرجعا ومرشدا بين طلاب الفن .

وضع الفنان حامد عويس المقدمة الرئيسية لكتالوج معرض ١٩٨٦ ـ وهو استاذ وعميد سابق لكلية فنون الاسكندرية ـ ، وقد تضمنت تناولا شاملا للبواعث التاريخية والوطنية والثقافية التى افرزت الفن المصرى . وسرد الكاتب فى عجالة مخلة موضوعات حول الفن ، ومصر

القديمة ، والحملة الفرنسية ، والغزو الثقافي والعمارة وطرز الفن الاسلامي ، ومحمد علي ، والخديو اسماعيل ، والفن الاكاديمي الاوربي ، ثم ذكر رفاعة الطهطاوي ، وتعرض لانشاء مدرسة الفنون الجميلة ثم ثورة ١٩١٩ ، ثم الرعيل الأول ، ومر على التراث ، وثورة ١٩٥٢ وطه حسين والعقاد ومحمد حسين هيكل ، وختم موضوعه بشن حملة على النقاد لعجزهم الثقافي . وباستثناء هجومه على النقد بعامة وهو مانوافقه عليه نظريا ، وبتحفظ أيضا ، فانه من الغريب ان يكون بقية الموضوع هو بحذافيره نفس الموضوع الذي تناوله الفنان محمد سالم ، في نفس كتالوج المعرض ذاته في عام ١٩٨٥ ، والأغرب من ذلك أن الكاتب قد اعتمد نفس المحاور ، ونفس الاسماء ، ونفس الشروح ، بل ونفس الالفاظ التي تناولها موضوع محمد سالم ، .. بخلاف ان هذا الاخير قد سرد لموضوعه ببرنامج علمي واضح ، واستعان بمنهج اجتماعي تحليلي النزعة يستحق الإشادة بالفعل . ومن المرجح ان محمد سالم قد استند الى مراجع وفيرة ليضمن الحيدة العلمية في مقابل موضوعات بعينها لم يحسم في شأنها الخلاف بعد . ونتساءل عما اذا كان الفنان حامد عويس قد قرأ موضوع سلفه المنشور في نفس كتالوج المعرض العام ، ذلك انه مما يثير الدهشة حقا أن يلجأ الكاتب دون « تحرج » الى حد « النقل المباشر » من موضوع سلفه دون أية إشارة ، أو حتى التلميح بوضع الاقواس . ففي السطر ١٠٤ مثلا يقول عويس : « ومصطلح الاكاديمية لايعني اسلوبا معينا في الفن بقدر مايعني أي اسلوب فني فقد مبررات وجوده التي أنبتته أصلا ليتحول في النهاية الى مجرد التمسك بمجموعة من الأصول والقواعد التي يجب اتباعها في انتاج عمل فني » ، بينما يقول محمد سالم بالنص في السطر رقم ٩٨ مايلي : « .. ومصطلح الاكاديمية لايعني اسلوبا معينا بل يعني أي اسلوب فقد مبررات وجوده التي أنبتته اصلا ليتحول ، لمجرد التمسك بمجموعة من الأصول والقواعد المرعية .. »! ، وفي السطر رقم ١٠٦ ينقل عويس للمرة الثانية : « ولقد انتشر هذا النوع من الفن المتدهور في مصر وسيطر على الحركة التشكيلية المصرية ولم يلبث ان أصبح هذا النمط من الفن المنحط مقياسا لما ينبغي أن يكون عليه الفن الجميل » ، بينما يقول محمد سالم بالنص في السطر ١٠١ مايلي : « انتشر هذا النوع من الدراسة الاكاديمية خلال القرنين الماضيين في اوربا ليؤدي الى شيوع صنوف من الفن الاوربي المتدهور ، أومايحاكيه من الانتاج المحلي لم تلبث أن أصبحت في مفهوم العامة مقياسا للفن الجميل » ! ، وفي السطر رقم ٩١ ينقل عويس للمرة الثالثة « أما الفن التشكيلي فعرفنا الفن الاكاديمي الأوربي وكل هذه الألوان من الفنون هي في الحقيقة جديدة علينا .. » بينما يقول محمد سالم في السطر ١٠٤ « إن مصر عرفت الفن التشكيلي أول ماعرفته بهذا الشكل الاكاديمي الذي كان سائدا في ذلك الوقت .. » ! .. وبرغم ان هناك الكثير مماكان يجب مراجعته ، فإننا نكتفي بالاشارة الى نقطتين :

● الأولى : ماأورده الفنان عويس في مجال تعريف « الفن » من أنه : تعبير عن

انفعال الانسان بالكشف العلمى .. » وهو قول غير سائغ ، زاخر بالخلط فى تعريف الفن

● الثانى : ماأورده فى نهاية كلمته « بوجوب » أن « ندمج عقل الغرب وقلب الشرق » لكى يكون خلاصنا الى فن مصرى « متحضر ومعاصر » . وهو قول جزافى الطابع ، وخطير حقا ، .. هذا اذا كان لنا ان نفهم على الوجه العلمى ، ما الذى يعنيه « العقل الغربى » ، وما الذى يعنيه « العقل الشرقى » فى مجال التصدى لفكرة الشخصية المصرية فى الفن .

الفنان مصطفى عبد المعطى (زيت) عمل جديد .

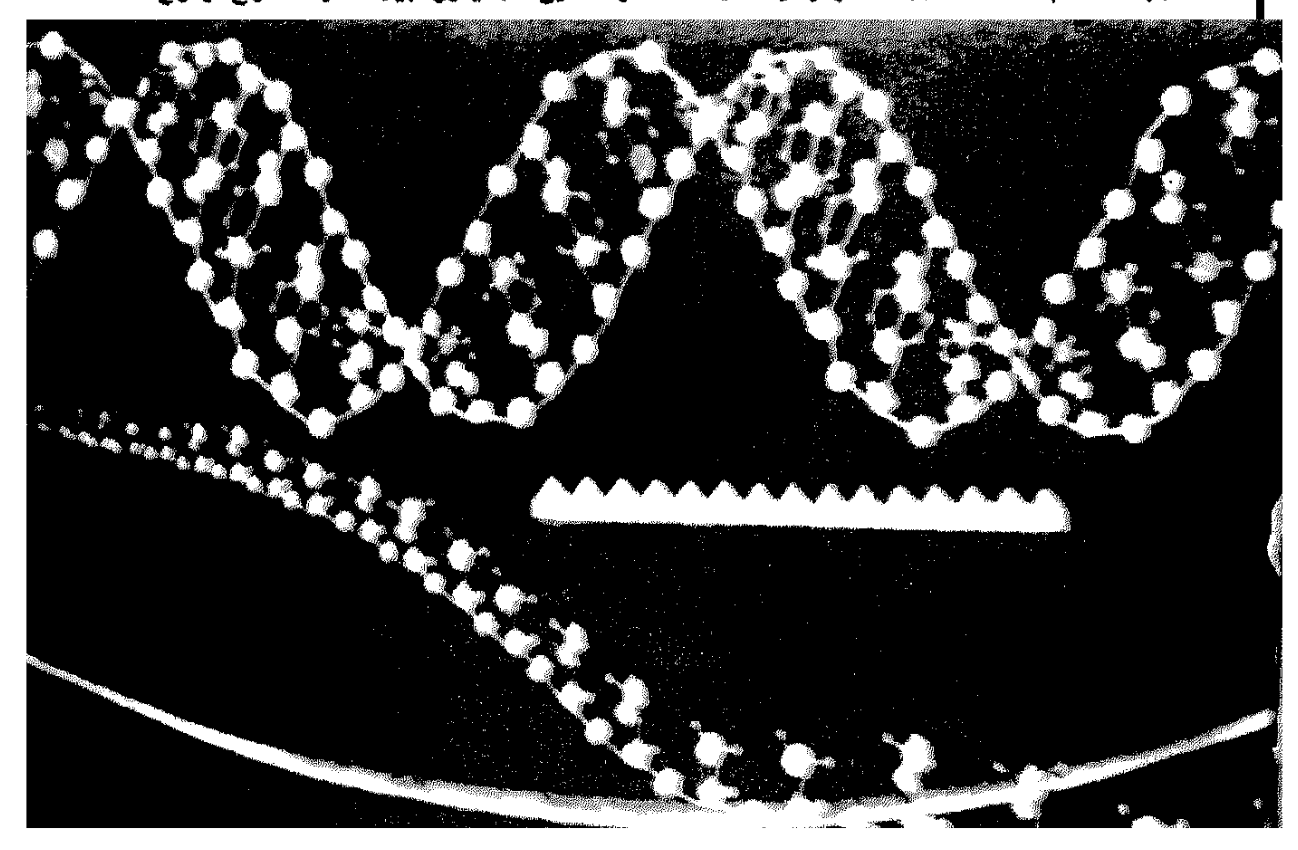


انها ثورة الجينات

بقلم: د. عبدالمحسن صالح

طلبت منى ((الهلال)) ان اشارك بدراسة فى هذا العدد الخاص عن ثورة المعلومات، ومدى استيعاب واستفادة مصر خاصة ، والدول العربية عامة من هذا التقدم المذهل الذى يتم الان فى كثير من المجالات بالدول المتقدمة . . ولقد قلبت الامر على وجوهه ، على اختار موضوعا اقرب الى تخصصى ، فلم اجد ما هو اولى بالتقديم من الثورة البيولوجية الجديدة فى الجينات ، فالجينات ـ بلاشك ـ ((بنك معلومات))

نموذج مبسط لجزء ضئيل جدا من شريط وراثى مجدول ، وفيه تكمن شفرة الحياة التى تبدو كدرجات سلم ، لكنها درجات كيميائية ، ولا احد يستطيع أن يفرق بين أشرطة نوع ونوع



انها ثورة الجينات

الحياة ، وكما ابدعها الله ، ومن اجل هذا كانت بمثابة المرجع الحق الذى يستقى منه العلماء مادة معينها لا ينضب ، واسرارها لا تنفد وعطاؤها غير محدود ، ونتائجها تذهل العقول ، واخيرا فهى الثورة على كل ما هو مألوف . . فما هى الحقيقة فيما قدمنا فاوجزنا ؟

ثورة الجينات أو الموروثات قد تؤرق العقول التى لم تتهيأ لها ، لانها لاتعرف شيئا عن أسرارها ، ولا تدرك كيف بدىء الخلق بها ، ولقد ظلت هذه الجينات فى طى الكتمان ، الى أن جاء انسان هذا الزمان ، وغاص بعقله ــ وبكل ما قدمته له التكنولوجيا الحديثة من وسائل دقيقة ومتطورة ــ الى أعماق الكائنات الحية ، عله يدرك سر الحياة كيف قامت ، والخلايا كيف بدأت ، والجزيئات كيف تفاعلت ، والمخلوقات كيف تنوعت ، والسلالات كيف تباينت .. الى اخر هذا الطوفان الدافق من صور الحياة التى لا تكاد نحصيها عدا !

على اننا لن نتعرض هنا لشرح بدايات الحياة وتنوعها وتفاعلها وما شابه ذلك ، فهذا وحده كفيل بتغطية صفحات اعداد متتالية مثل هذه المجلة ، لكننا سوف نختصر كل ذلك فى جملة واحدة : اخيرا وضع العلماء أيديهم على الشفرة أو « الكود » الذى تستخدمه كل أنواع الكائنات فى ادارة دفة حياتها ، والاحتفاظ بصفاتها ، ليرثها الخلف عن السلف .

يعنى ذلك اننا اكتشفنا أسرار لغة جديدة ، واستطعنا ان نفك رموزها ، تماما مثلما حدث مع رموز حجر رشيد ، وبها استطعنا أن نقرأ تاريخ الفراعنة ، لكن اكتشاف رموز « حجر رشيد » الحياة سوف يمهد لنا الطريق لكى نغير فى صفات المخلوقات ذاتها .. أى نستطيع أن « نفصل » الكائنات حسب الطلب ، ونقدم منها « موديلات » جديدة ما أنزل الله بها من سلطان !

● علامات دالات على ثورة الجينات ●

لكن .. ماذا يعنى كل ذلك حقا ؟

يعنى أن تظهر فى قواميس لغتنا ألفاظ ومسميات جديدة .. ألفاظ مثل بطاطم وشاعز وطماقل وشايناع وكرنفس أو حتى نبانسان !

هل هذه أحاجى والغاز ؟

ليس ذلك حقا ، بل هى نتيجة من نتائج ثورة الجينات التى لم تبدأ الا منذ نحو ١٤ عاما فقط .. ثم أن هذه المسميات تشير الى امكان ظهور مخلوقات جديدة ، وبصفات جديدة ، لكنك لاتستطيع ان تحدد أن كانت تنتمى الى هذا النوع أو ذاك .. لانها ببساطة شديدة تحمل صفات من هذا ، وصفات من ذاك ، ولهذا لم نتعد الحدود عندما قلنا هذا بطاطم ، وذلك شاعز .. صحيح أن ليس لهذه أو تلك معنى ، لكن الاولى تعنى أنك امام نبات يحمل بعض صفات البطاطس ، وبعض صفات الطماطم ، لكنه ليس بهذا او ذاك ، بل هو بطاطم ،



نجح علماء الحيوان فى دمج خليتين حيوانيتين من نوعين مختلفين ، فكان هذا المخلوق الجديد ، شاعز لأنه شاه فى ماعز او ماعز فى شاه

أو طماطس .. اى بطاطس فى طماطم ، أو طماطم فى بطاطس .

كذلك الحال مع شاعز .. أنها شاة فى ماعز ، أو ماعز فى شاه .. أو سمها « ماعشاة » مثلا — فلا أحد يلومك ، مادام الخلط قد وصل الى هذا الحد الذى يبدو وكأنما هو تهريف فى الالفاظ وتخريف !

لكنه ليس كذلك ايضا .. اذ يوجد الان حيوان جديد اسمه شاعز ، ونبات جديد اسمه بطاطم .. لا تنزعج ولا تبتئس فهذه بدايات متواضعة ، لكنها مثيرة وغريبة ، وهى تشير الى اى عصر مذهل نحن عليه مقبلون ، ولقد أثارت مثل هذه البحوث خيال فنان له بالعلم اهتمامات ، فراح يعبر عن ذلك بنبات ذرة خرافى ، لكنه يحمل ثمارا مختلفة وكان ان نشرته مجلة علمية أمريكية فى صدر موضوع يتناول مستقبل هندسة الوراثة ، أو هو ما اطلقنا عليه اسم ثورة الجينات .. لكن مما لاشك فيه ان الصورة خيالية ، او هى ممعنة فى الخيال ، لكنها تعبر عن مقتضى الحال !

ان ذلك يختلف مثلا عن بطاطم وشاعز ، فهما كائنان موجودان بالفعل .. اذ عندما نجح العلماء فى دمج خلية من طماطم مع خلية من بطاطس عبرت كل خلية عن بعض صفاتها الوراثيه ، ونتج عن ذلك نبات جديد ، لا هو بطاطس ، ولا هو طماطم ، بل الاثنان فى واحد .. وهذه التجربة ذاتها تكررت مع خلية من ماعز وخلية من شاة ، فنتج حيوان بوجه ماعز ، وجلد شاه ، لانه حمل الصوف بدلا من الشعر .

لهذا لا تقلق إن سمعت عن نبات اسمه طماقل ، لانه طماطم فى فلفل ، أو فلفل فى طماطم « فلاطم » .. ولا تبتئس اذا أكلت شماطيخ — اى شملغا فى بطيخ ، او شربت شاينعا — اى شايا فى نعناع « لانه نبات واحد » .. أو اشتريت الكرنفس — اى الكرنب فى الكرفس ، أو انباك احد أن قدوم النبانسان على هذا الكوكب قد يتحقق بعد مئات السنين .. والنبانسان يعنى نباتا فى انسان .. أى مخلوق هجين بعضه نبات ، وبعضه انسان .

ومن المحتمل جدا ان تكون أحد المتمضين من هذا السرد الردىء ، أو من الناقمين على هذه الاوصاف التى لا طعم لها ولا معنى .. ولك فى ذلك بعض الحق .. لكنها — يا صاح — أحد منجزات هذا الزمان الذى بدأ العلماء يتلاعبون فيه بصفات المخلوقات ، حتى اختلط الحابل بالنابل ، فجعلت الناس يضربون اخماسا فى أسداس .. لكن ماخفى كان أعظم !

● انهم يتلاعبون باصول الخلق ●

وربما ترجع غرابة هذه البحوث ، وما تتمخض عنه من مخلوقات قد يصعب على العقل تصديقها — ربما يرجع ذلك الى عدم معرفة الناس « بلوح » الحياة المحفوظ ، اذ لو استطعت قراءة ماسجل فى هذا اللوح المذهل من مفردات الحياة التى كتبت بها لغتها ، فلا شك انك امام بنك ضخم من المعلومات المسجلة على أشرطة كيميائية دقيقة غاية الدقة ، والغريب أن هذه الاشرطة موحدة بين كل الكائنات .. بداية من الفيروس الضئيل ، ونهاية بالانسان العظيم ، فلها جميعا نفس الشفرات ، ونفس النظام ، ونفس





دفعت البحوث الغريبة التى يقوم بها العلماء الآن خيال فنان فتصور ظهور نبات جديد يعطى حبوبا وفاكهة وثمارا لاتنتمى لبعضها

انها ثورة الجينات

المقاسات ، ونفس طريقة التشغيل .. الخ .. ومن اجل هذا كان من الممكن أن نصل « قطعه » من شريط انسان بشريط ميكروب ، أو ننقل اخرى من ميكروب الى ميكروب آخر ، أو من باذنجان الى طماطم ، او من فأر الى كلب .. الخ .. الخ ، فيعبر الشريط المنقول عن نفسه بصفة وراثية جديدة فى الكائن الذى نقل اليه ، رغم أن هذه الصفة لم تكن موجودة أصلا فى الاسلاف .. أى كأنما نحن نغير او نعيد برمجة الصفات الوراثية التى جاءت بها الانواع المختلفة، ونكسبها صفات غير صفاتها .

دعنا نوضح ذلك بمثال من واقع حياتنا ، وليكن مثالنا شريط تسجيل متكامل ، ثم لو فرضنا أننا أردنا أن نقطع هذا الشريط ، لنصل به قطعة من شريط اخر ، ثم أدرنا هذا الشريط فى جهاز تسجيل أو على جهاز فيديو ، عندئذ ستعبر قطعة الشريط الموصولة عن نفسها بما سجل عليها .. صوتا كان ذلك ، أو، صوتا وصورة ، ولا شيء يمنع ذلك مادام الموصول من صنف الموصول به .

وبفكرة قريبة من تلك ، يتعامل العلماء مع أشرطة الحياة ، فينقلون جزءا من شريط كائن الى شريط كائن اخر من نفس النوع ، او من نوع اخر مختلف ، وعندئذ يتقبل هذا ذاك ، لانه من نفس نوعه وتكوينه وسمكه .. الخ ، ويسمح له ايضا بالتعبير عن ذاته ، فيؤدى ذلك الى ظهور صفة جديدة .. اى كأنما نحن قد محونا الحدود الفاصلة بين المخلوقات ، وبدأنا فى ارتياد لعبة خطرة تتمثل فى التدخل فيما قدر الله .. لكنه تدخل مشروع ، لان الهدف منه استنباط مخلوقات معدلة او مفصلة حسب الطلب .. أو حسب مانظنه فى صالحنا ، او فى خدمتنا .. اذ بالعقل والمعرفة نعيد كتابة بعض فقرات كتاب الحياة .. اى الخطة الوراثية التى تحدد صفات المخلوقات .

هى - اذن - ثورة معلومات على كل ماهو تقليدى وعقائدى وفطرى ، وبحيث يؤدى ذلك الى أرق فكرى ، ويثير العديد من القضايا الهامة ، او علامات الاستفهام الحائرة التى ستسيطرت على خاصة الناس قبل عامتهم ، لان العامة قد لا تستطيع أن تستوعب أبعاد هذه اللعبة التى يعبر عنها البعض بأنها ستكون اعظم وأخطر انجاز يصل اليه الانسان فى عصرنا الحالى ، خاصة عندما ينسب بعض العلماء هذه المخلوقات المعدلة الى أنفسهم، ثم يسجلونها على أنها «براءات اختراع»، أو ملكية خاصة ، ومن حق أى منهم أن يستغلها لصالحه ، ذلك أن ثورة الجينات، ستتحول الى ثروات تدر سنويا بلايين الدولارات !

● الجينات فقرات فى الاشرطة ●

لكن قبل أن نتحدث عن معنى براءات الاختراع ، وكيف انها تدر ثروات هائلة على أصحابها ، كان من الاوفق أن نوضح هنا العلاقة بين الاشرطة الوراثية والجينات ، ثم ماذا يعنى ذلك فى اكساب المخلوقات صفات جديدة أو مختلطة .

الواقع أن الجينة أو المورثة فقرة محددة على الشريط الوراثى ، ويعنى ذلك أن الشريط ذاته مقسم الى عدد من الفقرات او الجينات ، وكل جينة تحتوى على عدد محدد من الشفرات الكيميائية التى تتحد وتتبادل مع بعضها أزواجا أزواجا ، وبحيث يؤدى ذلك الى شريط كيميائى مجدول او حلزونى .. وفيه تتراص اربعة مركبات كيميائية تعرف باسم : آدينين وثايمين وجوانين وسيتوزين - أودعنا نختصرها الى أ ، ث ، ج ، س « أخذنا الحرف الاول من كل مركب ليس الا » .. وهذه الحروف أو الرموز أو الشفرات الاربع هى ألف باء الحياة التى سجلت بها صفات كل المخلوقات فى تباديل وتوافيق لا تنتهى أبدا .. وهذا - فى حد ذاته - أمر يدعو الى الاكبار والاعجاب لروعة الفكرة ، واصالة اللغة التى سجلت نقط

انها ثورة الجينات

بحروف او مركبات اربعة لا غير ، ثم نراها تتمخض عن انواع من المخلوقات التى لا تكاد نحصيها عدا .

ورغم أن هذه اللغة الوراثية المسجلة فى اشرطة كيميائية تبدو بسيطة غاية البساطة ، الا انها تنطوى على تفاصيل مذهلة ، ومتاهات هائلة ، وأسرار تعيي عقول الرجال - والنساء اذا أردت ذلك .. وطبيعى أننا لانستطيع أن نتعرض هنا للكيفية التى تتحول بها لغة الحروف الاربعة الى هذا الطوفان الدافق من المخلوقات ، فذلك يحتاج الى صفحات مجلة اكبر من هذه المجلة ، لكن يكفى أن نمس الموضوع مسا خفيفا ، وبقدر ما يسمح المجال .

ذكرنا أن الجهاز الوراثى « أو الادارة العليا المخططة لكل العمليات » لاية خلية حية يستطيع أن « يستضيف » جينة او أكثر من أى جهاز وراثى لخلية اخرى ، لان الاشرطة موحدة فى الشكل والشفرة ، وان كانت مختلفة فى المضمون .. فأنا مثلا أكتب مقالى هذا بحروف لغتنا المعروفة ، وغيرى يكتب مقاله بنفس الحروف ، ثم تجمع على نفس الالات .. لكن مضمون هذا المقال يختلف عن مضمون اى مقال آخر ، وكذا الحال مع خلية الميكروب او الدودة او الباذنجان أو الكلب أو القرد او الانسان .. الخ .. الخ ، فالشفرة موحدة ، والاشرطة متماثلة ، لكن المضمون مختلف ، وللتبسيط اعتبر أننا نتعامل مع اشرطة كأشرطة التسجيل او الفيديو .. هى من الظاهر متشابهة ، لكن الباطن او المحتوى مختلف .

وطبيعى أن المخلوق كلما ارتقى فى سلم التطور ، طالت اشرطته المسجلة ، وزادت جيناته المبرمجة ، واكتسبت المخلوقات صفات أرقى وأسمى بقدر ما مر عليها من ملايين او عشرات او مئات الملايين من السنين .. اى كأنما هى تكتسب اضافات وخبرات ، وتزداد صقلا ، وتصبح اكثر تعقيدا وسموا .. فشريط الفيروس لا يزيد على جزء من الف جزء من الملليمتر ، ومع ذلك فهو مسجل بنحو سبعة آلاف شفرة ومكون من سبعة جينات تكفى لتكوين سبعة بروتينات ، فى حين أن شريط الخلية البكتيرية يقع فى حدود ملليمتر واحد ، وبه من اربعة الى خمسة ملايين شفرة ، تكفى لتكوين آلاف الجينات التى تشرف على صناعة الالاف من مختلف البروتينات ، ثم يزيد طول الاشرطة « وفى هذه الحالة تطوىها أجسام اسمها الكروموسومات » ، كلما تعقد تركيب المخلوق ، حتى نراها فى كل خلية من خلايا الانسان وقد وصلت أطوالها الى حوالى ١٧٠ سنتيمترا ، وعليها تتراص مئات الالوف من الجينات التى تشرف على تكوين مئات الالوف من البروتينات .. اى أن لكل بروتين جينة محددة تشرف على جمعه من خاماته الاولية « الاحماض الامينية » .. تماما مثلما يجمع الطابع الحروف فى كلمات ، أو يجمع الصانع الاجزاء فى آلات .. مع الفرق طبعا بين روعة عمليات الحياة المذهلة ، وبدائية عملياتنا التى لايمكن أن ترتقى اليها بحال ، حتى ولو كان ذلك على مستوى الحاسبات الاليكترونية المتطورة .

● انهم يزرعون الجينات ●

لكن مما لاشك فيه ، أن لكل عصر أفكاره وانجازاته ، فقديما عرف الانسان زرع أجزاء نباتية على نباتات اخرى تختلف عنها ، وهو مايعرف حتى اليوم بالتطعيم ، ثم تطورت الامور ، وعرفنا زراعة الانسجة والاعضاء بين انسان وآخر ، ثم زراعة نوى الخلايا فى الخلايا ، أو الجمع بين خلايا من نوع ، واخرى من نوع آخر .. واخيرا جدا تمكن العلماء من زراعة الجينات فى الاجهزة الوراثية للمخلوقات ، وهذه - فى الواقع - ادق واصعب أنواع الزراعات .. أو قل انها جراحة على مستوى دقيق للغاية ، وطبيعى أن الانسان هنا لا يجرى الجراحة وان اجراها فلا يراها ، لانه يتعامل مع عالم

دقيق من الجزيئات التى لا ترى بالميكروسكوبات ، حتى ولو كانت هذه من النوع الاليكترونى .

ان مهمة الانسان هنا ان يعزل الجينات المرغوبة ، وهذه وحدها عملية دقيقة تحتاج الى تدريب طويل ، و «تكنيك» حساس ، ومهارة عالية ، وصبر جميل ، لان الانسان هنا كمن يعمل فى الظلام ، لانه يتعامل مع عوالم غير مرئية - كما سبق أن ألمحنا ، لكننا لن نتعرض هنا لكيفية عزل الجينات ، لان الحديث فيها يتشعب ويطول ، ثم انها تحتاج الى الالمام بمبادىء علمية لا بأس بها ، لكن يكفى ان نذكر أن اقحام هذه الجينات فى الخلايا ، الى أن تصل الى هدفها فى أنويتها ، حيث يوجد المخزون الوراثى « أو بنك معلومات الخلية » ، تحتاج أيضا الى علماء ذوى ذكاء ومعرفة بأصول الخلق على مستواه الدقيق ، ثم يتركون الامور تجرى لاعنتها ، أى لا دخل لهم بعد ذلك فى زرع الجينة ، أو تحديد المكان الذى ستأوى اليه ، أو حتى معرفة ان كانت العملية قد أصابت أو خابت !

والواقع أن الذى يقوم بهذه «الجراحة» على مستواها الجزيئى الدقيق ، هى الخلية ذاتها ، لانها تحمل فى طياتها « أدواتها الجراحية » التى تصلح بها شأنها ، وما هذه الادوات الا جزيئات بروتينية عملاقة تعرف باسم الخمائر أو الانزيمات ، وبها تشقق الاشرطة ، وتزرع الجينات ، ثم « تحيك » هذا بذاك ، ليتصل الشريط المزروع « أى الجينة » بالشريط الاصلى ، ويصبحان واحدا ، ثم تبدأ الجينة المزروعة فى اعطاء أمر التشغيل للبروتين الذى تحمل خطة تصنيعه ، ودون أن تجد معارضة من الجهاز الوراثى الذى احتلت لها مكانا فيه !

وطبيعى أن الامر ليس ميسورا ، ولا هو بالبساطة التى نقدم بها شرح مايجرى من عمليات فى الخفاء بل ينطوى على متاهات كبرى ، لا يزال العلماء فيها غرقى ، لكنهم مع ذلك قد حققوا أهدافا عظيمة ، ففتحت بدورها بابا واسعا لثورة جديدة من المعلومات التى ظلت حكرا على المخلوقات منذ أن نشأت على هذا الكوكب ، لكن انسان هذا العصر قد وقع على أسرار هذا الكنز العظيم ، وأخذ مبدأ المبادرة ، ثم راح يوجه هذه المعلومات لصالحه ، فيحذف منها ما يشاء ، ويبدل ما يريد ، ويضيف ما يراه ضروريا « ليفصل » ويوجه ويكسب الكائنات جينات غير جيناتها ، فيظهر فيها بروتينات غير بروتيناتها ، ويعنى ذلك تحويرا وتبديلا فى صفات غير صفاتها .. وهذا بيت القصيد !.

● انجازات هائلة ●

ورغم ان عمر هندسة الوراثة ، أو اعادة تشكيل الجينات ، أو دس المعلومات الدخيلة فى « الملفات » التى تحتفظ بها الكروموسومات ، وتحافظ بها على صفحات المخلوقات من « الدس » أو التغيير والتبديل - رغم أن عمر تلك الهندسة يعتبر حديثا ، فان العلماء قد حققوا أهدافا كبيرة وكثيرة ، لكننا لا نستطيع ان نتعرض لها هنا لضيق المجال .

يكفى مثلا أن نذكر أن الحدود الهائلة الفاصلة بين ميكروب وانسان قد تهاوت عندما نعلم أن نوعا من البكتيريا يقوم الان نيابة عن الانسان بتصنيع ما عجز جسمه عن تصنيعه من بروتينات وهرمونات وانزيمات كانت تشتغل له فى دمه ، أو فى كبده ، أو فى مخه ، أو فى نخاعه .. الخ .. الخ ، نتيجة لخطأ فى الجينة التى كانت تنتج هذا المركب أو ذاك ، فينتج عن ذلك مرض عضال .

خذ على سبيل المثال مرض السكر الذى ينشأ عادة من عدم تمكن جسم المريض من افراز هرمون الانسولين الذى ينظم له عمليات احتراق السكر ، وامداده بالطاقة اللازمة لحياته .. والانسولين - كما هو معروف - بروتين ، وله جينة تشرف على تصنيعه ، لكن الجينة قد عطبت او توقفت عن افراز الانسولين ، ولابد ان يحصل المريض على انسولين من البقر او الخنازير او الخيل ، لكنه ليس صورة طبق الاصل من انسولين الانسان ،

انها ثورة الجينات

لهذا فله محاذيره ، ثم انه من الصعب جدا تخليق الانسولين الانساني ، ولقد ظل أمل العلماء يتأرجح بين الرغبة والرجاء فى الحصول على كميات كبيرة ورخيصة من الانسولين البشرى ، رحمة بعشرات الملايين من مرضى السكر .

وتحقق الامل أخيرا ـ حققه ميكروب يعيش على فضلات الطعام فى أمعاء الانسان والحيوان ، لكنه لم يصبح ذات الميكروب بل تحول الى ميكروب « معدل » او مفصل ، أو مزود « ببروجرام » وراثى من خلايا الانسان ، اى بروجرام تصنيع الانسولين ، اى انه مزود بالجينة المسئولة عن ذلك من بنكرياس الانسان « بالتحديد نسيج اسمه جزر لانجرهان» .. والغريب أن الجينة اشتغلت فى الميكروب ، وأعطت انسولينا بشريا مائة فى المائة ، وطبيعى ان الميكروب لا يحتاج الى هذا الانسولين ، لكنه بالنسبة لنا حلم عزيز تحقق من خلال هذه الثورة الجديدة فى هندسة الوراثة ، لتتحول بعد ذلك الى ثروة تدر سنويا عشرات او ربما مئات الملايين من الدولارات .. فكأنما الميكروب الذى لا يساوى ، اصبح الان يساوى كنزا هائلا .. انه ميكروب معدل او مبرمج بجينة من سيد المخلوقات ، وهو أيضا أمل الملايين !.

ولا شك ان نجاح هذا الهدف العظيم قد دفع حماس العلماء الى تحقيق المزيد، اذ لم يقتصر اختيار الجينات ونقلها وزرعها على الخلايا البكتيرية فحسب ، بل اتسع المجال ليشمل عالمى النبات والحيوان ، بما فى ذلك الانسان بطبيعة الحال ، خاصة عندما يحدث خلل او مرض لبعض جيناته ، ثم يراد ابدال جينات سليمة بها، ويستلزم الامر ان تعزل منه بعض خلايا لزرعها فى الدوارق والانابيب ، ثم اعادة برمجتها او تعديلها بجينات سليمة ، والتأكد من المسار الصحيح فى خط التشغيل الوراثى للخلية ، لانتاج السلعة البروتينية المطلوبة ، وعندما يصبح كل شىء على ما يرام ، يعاد زرع الخلايا المبرمجة فى الذى منه قد عزلت !.

ولتتصور معنا ـ بعد ذلك ـ ان يكون « بنك معلومات » الحياة قد اصبح ملكا للانسان ، وان عملة هذا البنك هى ملايين الجينات الموزعة بين كل انواع المخلوقات، وانه يمكن تحويل هذه العملة من اى كائن تشاء ، الى اى كائن تريد ، وهى ايضا عملة ذات وجهين : وجه فيه الموت « الجينات التى تصنع السموم الحيوية فى الميكروبات » ، ووجه فيه الحياة « الجينات المرغوب فيها » .. عندئذ اطلق لنفسك عنان الخيال لما يمكن ان تتمخض عنه هذه الثورة العلمية الجديدة من انجازات مرعبة ، واخرى مثمرة ، وثمراتها تتركز فيما يمكن ان يكون عليه حال النباتات المعدلة ، او الحيوانات «المفصلة» حسب الطلب ، او حتى اعادة برمجة خلية انسانية جنينية باحسن جينات هذا الكوكب ، ليتمخض عنها انسان معدل.. ربما كان هو «السوبرمان» الذى ورد فى الخيال العلمى .. لكن هذه موضوعات طويلة ومتشعبة ومثيرة ويضيق بها هنا المجال ، وربما يكون لها مجال آخر ، لنعلم شيئا عن عظمة الانجازات التى تحققت ، ثم اتت اكلها ، فكان ان غيرت مفاهيمنا التقليدية عن الحياة .

وبعد ..

هل يمكن أن نستوعب هذه الثورة الجديدة ، وندلى فيها بدلونا ، ونلحق بركب التقدم العلمى !.

كل شىء ممكن .. لكنه يحتاج الى معامل متقدمة ، وميزانيات كبيرة ، وعلماء اذكياء وممتازين ومتفرغين ومتعاونين .. ومن فضلك لا تنس بلادة الروتين .. الخ ، فاذا تحقق ذلك فى الدول النامية «ونحن منها» فابشر خيرا، واذا كان غير ذلك ، فالامر متروك لتقديرك على اية حال !.

رسالة السودان
من
جمال الألفى

مصر والسودان ثقافة مشتركة

بعد التاسعة صباحا ، لا تحاول البحث عن صحيفة سودانية ، من اى لون ، أو حزب ، ستجدها جميعا قد اختفت فالشعب السودانى قارىء ممتاز للصحف ، ورغم انه بعد الانتفاضة السودانية ، ظهرت صحف كثيرة ، دورية ومنتظمة يومية ، واسبوعية ، قد يزيد عددها عن الثلاثين صحيفة ، الا انك بعد التاسعة صباحا لن تجد جريدة فى اكشاك بيع الصحف فى الخرطوم ..

والصحف المصرية التى تصل عادة الى الخرطوم ، فى اليوم التالى من صدورها ، لن تحصل عليها الا بتوصية من بائع الصحف الذى تتعامل معه ، واذا حاولت البحث عن جريدة مصرية عند المكتب الاعلامى المصرى ، فانت تبحث عن الذهب فى الصحراء ، ربما تفوز بابتسامة كسولة من موظفى المكتب ، اذا كنت حسن الحظ ، أما اذا كنت مواطنا مصريا عاديا، فسيكون خطاك وحدك ، واذا حاولت الحصول على نوع ما من المعرفة عن طريق صحيفة أو نشرة أو كتاب ، من مكاتب الاعلام المصرية فى الخرطوم ، حتى لوحة الاعلانات فى مواجهة المكتب ، تعرض صفحات من جرائد مصرية قديمة ، لا يقرؤها أحد ..

يبقى سؤال ، لماذا لا تضاعف دور « الصحف المصرية ، من أعداد المجلات والصحف التى تبعث بها الى السودان ، انهم هنا شعب محب للقراءة بطريقة مثيرة ، وقد وجدت عدد المكتبات فى الخرطوم ونظافتها واتساعها وكثرة روادها ، بصورة تثير الاهتمام حقا ، ولم أجد مقهى واحدا يمكن الجلوس فيه ، فى معظم أحياء الخرطوم ، التى شهدتها طوال تجوالنا بها ، ولقد كنت أتوقع عددا هائلا من المقاهى فى الخرطوم ، بحكم المناخ والطبيعة ، غير انى لم أجد بالفعل مقهى واحداً ، وهى ظاهرة جديرة بالاستفسار ، كما أن عدد المكتبات الكبير يثير الاعجاب أيضا، وقد وجدت أن أعداد الكتب المطبوعة



جامعة الخرطوم كانت حافزا قويا لانشاء فرع لجامعة القاهرة بالخرطوم ليتلقى أبناء السودان تعليمهم بها .

مصر والسودان

فى بيروت ، هى السمة الغالبة على كل المعروض من الكتب ، ولم أجد دور النشر المصرية ، هنا بالقدر الذى يليق بحجمها وامكاناتها ، وحب القارىء السودانى لاقتناء كتبها ..

ولابد أنه توجد معوقات ، تمنع تواجد الكتاب المصرى ، أمام قارئة الطبيعى فى السودان ، واذا كان ثمة معوقات مادية أو فى وسائل النقل ، أو السعر ، فان الملحق الثقافى المصرى أو الملحق الاعلامى - لا أدرى - جدير ببحث الموضوع ، والاهتمام به ، ومتابعته ، فليست كتب التراث والتفسير ، التى تطبعها دور النشر البيروتية ، والمعروضة فى كل مكتبات الخرطوم ، هى التى تثير فقط اهتمام القارىء السودانى ، رغم أسعارها الباهظة ، وانما يميل السودانيون ، الى كل ما تنتجه مصر ، خاصة اذا كان الامر يتعلق بعالم الكتب والصحف والافلام ، والاغانى ، وتسجيلات

القرآن الكريم باصوات مشاهير القراء المصريين ، ان الثقافة المصرية جزء من التراث السودانى الاصيل ، لقد هزتنى عبارة شاردة ، قالها ضابط سودانى متقاعد ، جمعتنا به جلسة ثقافة وفكر ، فى شرفة منزل محمد السيد حمد ، أحد كبار زعماء الحزب الاتحادى الديموقراطى ، وأحد مرشحيه الاساسيين فى الانتخابات وأبرز مرشحى الحزب أيضا للدخول فى الوزارة الجديدة .

يقول الضابط السودانى وهو اللواء عمر البكر ، أن رحلته مع الثقافة ، مثل غيره من كافة المثقفين السودانيين بدأت مع كتب الكيلانى للاطفال وتبلورت مع كتاب الايام ، للدكتور طه حسين ، وبين هذا وذاك ، فقد قرأ لكل من استطاع أن تصل اليه يده من كتب مصرية ...

● صعوبات ينبغى تذليلها ●

ويقول أستاذ سودانى فى جامعة الخرطوم ، أنه قد آلت اليه ، بحكم الميراث ، مكتبة والده ، وقد وجدها عامرة ، بكل مطبوعات دار الهلال ، التى صدرت منذ خمسين عاما ، ومن بينها مجلة الهلال لا تنقص عددا ،

وكتب ومجلات ، وروايات الهلال وقال الاستاذ الجامعي في جامعة الخرطوم، انه وجد وفاء لذكرى والده، أن يستكمل كل الاعداد التي تصدر عن دار الهلال ، من كتب ومجلات ، ودوريات، حتى يسلمها لاولاده، كاملة، ثم اشتكى في النهاية بأنه يجد صعوبة في الحصول بانتظام ، على مطبوعات دار الهلال، وخاصة المجلات المخصصة للاطفال ...

ولا أدري أيضا ، ماذا يمنع دور النشر المصرية الكبيرة ، مثل دار الهلال ودار المعارف ، من أن يكون لهما مكتباتها الخاصة التي تعرض مطبوعاتها في الخرطوم ، على أن تقوم الدار القومية ، بتوزيع ما تطبعه دور النشر الصغيرة ، التي لا تستطيع افتتاح مكتبات خاصة في السودان ..

ان التواصل الثقافي بين مصر والسودان ، شيء بديع ، ويستحق الاهتمام،ليس على مستوى الحكومات، فهي تتغير ، وتاتي ، وترحل ، ولكن الشعوب باقية ، ولا يربطها الا الثقافة والعلم ، والخبرات المشتركة، والتراث الواحد . وقد هزتني بالفعل المعرفة الكلية للسودانيين بكل الشئون الثقافية المصرية ، فلم نختلف في شيء ، وعندما جاء حديث السياسة ، فقد كان لكل منا ما يخصه من آراء ..

● دور بارز ●

لقد شكا أبرز مثقفي السودان ، واكثرهم شهرة اكاديمية ، وهو البروفسير عمر البشير وكان قد استضافنا على فنجان شاي في بيته في ضاحية المنشية من العزلة التي تفرضها على نفسها طواعية جامعة القاهرة ، فرع الخرطوم ، وقال ان ٢٠ الف طالب وعشرة ملايين جنيه كل عام ، تعني الكثير جدا ، بالنسبة للشعب السوداني ، والثقافة السودانية، وقال ان هذه المنارة العلمية والثقافية ، العظيمة ، تعزل نفسها عن معترك الحياة الثقافية والفكرية للبلاد ، وأن دورها مفتقد ، وأنها تقدم الخبرة العلمية للشعب السوداني في كل مجالات الحياة ، وأنه لا يوجد موقع للعمل ، في كل أنحاء السودان شمالا وجنوبا ، غربا ، ووسطا ، وشرقا ، الا يوجد خريج سوداني من جامعة القاهرة ، فرع الخرطوم ، يقدم خبرته وعلمه ، لخدمة بلاده ، وقال الاستاذ السوداني العجوز ، انه من بين كل السياسيين السودانيين ، في مختلف الاحزاب ، يوجد عدد هائل منهم ، تعلم في جامعة القاهرة ، فرع الخرطوم ، أو تعلم في القاهرة ، في الجامعات المصرية ، وطالب بدور بارز ، لجامعة القاهرة في الخرطوم ، يتعدى أسوارها ويتفاعل مع مجمل الحياة العلمية والثقافية للشعب السوداني ..

وقال الدكتور عمر البشير، الذي يتمتع بعلاقات ممتازة ، مع معظم قادة الرأي والفكر في القاهرة ، بأنه يتمنى أن تنجح مساعيه وتقتنع القاهرة، بجدوى التفكير في تأسيس معهد كبير، يضم كافة الخبراء ، ويكون مكانه لقاهرة ، أو الخرطوم ، شريطة أنيكون مطلا على شاطيء النيل الخالد ، وأن يكون اسمه ، معهد دراسات واديالنيل وقلت لماذا لا تعرض فكرتك على محبي هذه الفكرة في القاهرة ، وهم كثيرون، وقلت هل تحدثت مع د. عبدالملك عودة في الموضوع .

أطرق العالم العجوز ، برهة ، ثم قال ، سأفعل ، ومن جانبنا ، فقد سجلنا دعوته على صفحات الهلال، حتى يكون لنا شرف المشاركة في التمهيد لفكرة نبيلة ...



● شعــــر ●

أصــوات جديـده في الشعر العامي

وزارة الثقافة ، الثقافة الجماهيريـة . مطابـع هيئة الكتاب . بدون سنة نشر . ١٤٨ صفحة . بدون ثمن .

هـذا الديـوان من الشعـر العامي ، لشعراء شبان ، جرى نشره بتوجيه . من مؤتمر ادباء الاقاليم الأول والذى عقد فى المنيا منذ عامين .

الديوان كتب مقدمته فؤاد حداد . والمفروض ان يكـون الديوان مقدمة لسلسلة جديدة هى أصوات جديدة ..

والشعراء اصحاب القصائد فى الديوان تجمـع بينهم صفات كثيرة : فهم شبان ، وشعـراء عامية . والأغلب فيهم من ابناء ريف مصر . واقاليمه .

يقول فؤاد حداد فى مقدمة هذه الأشعار :

بوركت الارض التى أنجبت هؤلاء .
لست طبيبا فى الشعر ولا خبيراً
ولكننى لاأزال أجربه ويجربنى .
يعجم عودى ولا أعجم عوده ،
أستشف وجوده فى غبش هو
المغرب يؤدى الى العشاء بل هو
السحـر يؤدى الى الصبـاح
المبين .



● قصــص ●

المبعدون قصص قصيرة .

ادريس على .
الناشر : مطبوعات الفجر
١٦٨ صفحة ـ ١٢٥ قرشا

وهذا الكتاب هو الثالث من سلسلة مطبوعات الفجر ، وهى مطبوعات يطبعها الكتاب على نفقتهم الخاصة ، وان كان هذا الكتاب الثالث قد ساهم اتحاد الكتاب فى طباعته .

والمبعدون مجموعـة من القصص ، فيها خمس قصص

قصيرة هى : المبعدون ، غدر الغرياني ، المأزق ، انفجار ، حكايات غير مسلية من داخل المبنى المنعزل .

وادريس على صاحب هذه القصص يقدم تخوم عالم النوبة فى جنوب صعيد مصر وشمال السودان . وابطاله مسافرون الى بلاد البترول بحثا عن الحلم والثروة والمال .

وهو قاص تدفق قصص يوسف ادريس الأولى . ومثيولوچيا عالم الطيب صالح وجزئيات شمندورة محمد خليل قاسم . لكن ادريس على له مفرداته الخاصة ، وتدفقه النادر فى الحكى والقص . حاملا هما له مذاق شديد التفرد . وكل حرف فى قصصه وراءه تجربة خاصة مر بها الكاتب ..

● مذكرات ●

استراتيجية المصالحة
الجزء الثانى من مذكرات
الفريق اول : محمد فوزى
٣٠٧ صفحة قطع كبير .
الناشر : دار المستقبل العربى ـ الطبعة الاولى ١٩٨٦
القاهرة : بدون ثمن .



الفريق أول محمد فوزى ، لعب دوراً هاماً فى إعادة بناء القوات المسلحة المصرية ، بعد الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، وخاضت القوات المسلحة بقيادته حربا تكاد أن تكون حربا مستقلة تماما من حروب الصراع العربى الاسرائيلى ، هى حرب الاستنزاف .

الفريق أول فوزى يكتب فى أيامنا هذه مذكراته الشخصية . أصدر منذ فترة الجزء الأول منها . وهذه الايام يصدر الجزء الثانى . وقد نتفق مع مايكتبه فوزى من آراء ـ وقد نختلف معه . ولكن اهمية مايكتبه هذا المقاتل انه يقدم شهادة حية . من واقع المشاركة الحية فى صنع الحدث . والتروية عن قرب .

واستراتيجية المصالحة ، هى التى كانت تسعى اليها اسرائيل منذ ١٩٤٨ . ولم تتحقق سوى فى المرحلة الساداتية فى مصر . فطوال مرحلة مصر الناصرية كانت الاستراتيجية السياسية والعسكرية والاقتصادية لمصر هى استراتيجية المواجهة العربية الشاملة للعدوان والتوسع الاسرائيلى والمساندة الأمريكية له . الكتاب يعالج بصورة رفيعة من الدقة والموضوعية .





● الألف كتاب الثانى ●

أحلام الاعلام وقصص أخرى

تاليف : برتراند راسل

ترجمة : شاكر ابراهيم

مراجعة : عبدالحليم البشلاوى

١٤٧ صفحة من القطع الكبير . الثمن مائة قرش . الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب .



هذا الكتاب ـ كما تقول الجمله المدونة على غلافه ـ هو الكتاب الاول من سلسلة الألف كتاب الثانية . وكان قد صدر فى مصر منذ سنوات مشروع ثقافى طموح وضخم لاصدار الف كتاب مترجمة من عيون الأدب العالمى . لكن مشكلة مصر الأولى . هى القدرة على البدء فى الخطوة الأولى . دون القدرة على الخطوة الثانية . والذى حصل أن المشروع القديم توقف قبل ان يكتمل وحتى الكتب التى صدرت نفدت ولم يعد لها اى وجود الآن .

المشروع الجديد ، الذى أصدرته هيئة الكتاب ، فيه نفس طموح المشروع الأول . ولكن هل يكتمل ؟ وهل يكون هناك حد مامن التنسيق بين كتبه ؟! ذلك ماستحسمه الخطوات القادمة .

لكن هذا الكتاب الاول . القريب من قصص الفانتازيا . كتبه راسل . عن تصور طريف . ماذا لو حلم الكبار والعمالقة ؟ ماذا لو حلم سكالين دايز نهاور وغيرهما ..؟ تلك هى قصص راسل . ولكن د . نصار عبدالله قد ترجم اجزاء من هذا الكتاب من قبل ونشرته دار المعارف .

● روايـــة ●

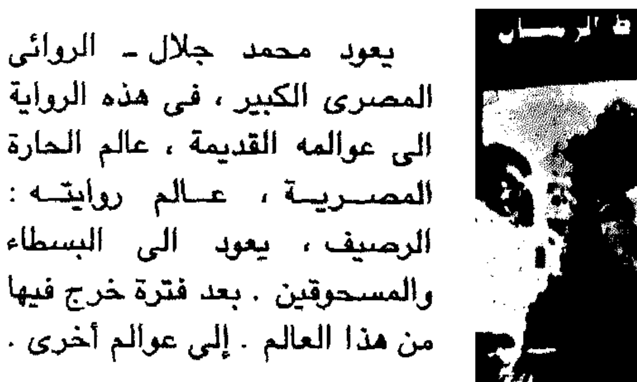
فرط الرمان

راوية . الجزء الاول

محمد جلال

٢٢٦ صفحة قطع متوسط . الثمن ١٧٥ قرشا . الناشر مكتبة غريب ـ القاهرة ١٩٨٦ .





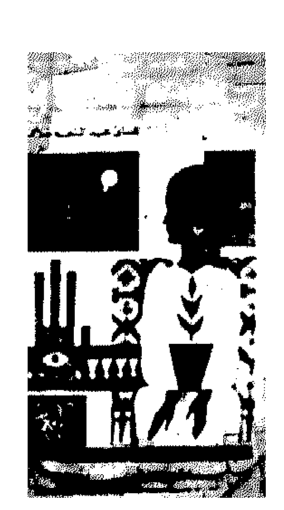
يعود محمد جلال ـ الروائى المصرى الكبير ، فى هذه الرواية الى عوالمه القديمة ، عالم الحارة المصـريـة ، عـالم روايتـه : الرصيف ، يعود الى البسطاء والمسحوقين . بعد فترة خرج فيها من هذا العالم . إلى عوالم أخرى .

لكن العودة كانت لها تصورات جديدة . فالكاتب يستخدم لغة أصبحت أكثر تألقا وشفافية . وعالم الرواية شفاف زجاجى ، والبشر فيه مسكونون بكل الأمثلة التى ترهق هذا العالم .

ان استمرار وتدفق العالم الروائى لمحمد جلال من القضايا المثيرة لأكبر قدر من الاعجاب والسؤال الوحيد الذى يثيره هو صمت النقاد الغريب تجاه هذا الروائى ـ الظاهرة .

● علـــوم ●

المستقبليــة والمجتمــع المصرى
هانى عبدالمنعم خلاف .
كتاب الهلال ـ العدد ٤٢٤
ابريل ١٩٨٦ ـ ١٨٤ صفحة
قطع صغير . الثمن ٧٥ قرشا .



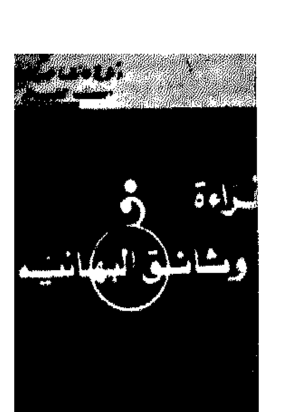
"المستقبليات" علوم كثيرة قائمة بذاتها فى كافة انحاء العالم الآن . وهى علوم قائمة على فكرة القدرة على قراءة المستقبل . وفى عالم اليوم فإن الكتب التى تحاول رسم صورة المستقبل . هى الآن من اكثر الكتب توزيعا . وان كان هذا يحدث فى العالم كله . فإن موقفنا من المستقبل لا يتعدى التخمين الشخصى والتنبؤ .

وصاحب هذا الكتاب يقول فيه الى متى تستمر الفجوة لدينا بين العلم والفعل ؟! ثم يعرض لأبعاد وصول الرؤية المستقبلية فى كثير من قطاعات المجتمع المصرى الشعبى منها والرسمى ويتضح لنا كيف ان المستقبل يحمل من الدواعى والمحاذير والاخطار والحتميات مايستوجب ترشيدا بل وتنويرا لهذه الرؤية المستقبلية .

وهذا النوع من الكتب ينقص المكتبة العربية ، ويسد نقصا فارغاً فى الثقافة العربية .

● فرق ونحـل ●

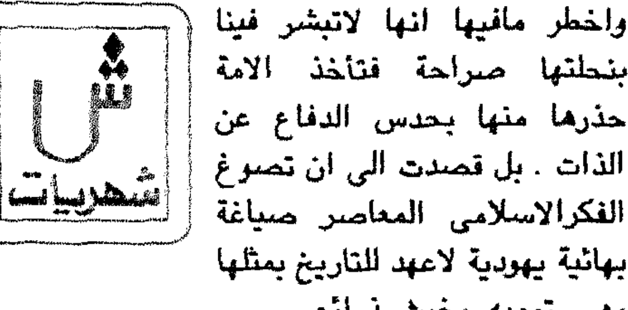
قراءة فى وثائق البهائية
المؤلف : الدكتورة عائشة عبدالرحمن « بنت الشاطىء »
الناشر : مـركز الاهـرام للترجمة والنشر
عدد الصفحات ٣٥٨ صفحة من القطع الكبير ـ ١٩٨٦ ـ بدون ثمن



هذا الكتاب من الكتب الأولى التى يستهل بها مركز الاهرام للترجمة والنشر عمله فى النشر ، ومؤلفة الكتاب هى الأن استاذ التفسير والدراسات العليا فى كلية الشريعة جامعة القرويين .

والدكتورة عائشة عبدالرحمن لم تكتب عن البهائية ، بمناسبة حديث اجهزة الاعلام عنها . تقول :

وهذه البهائية لا تشغلنى من حيث هى نحلة فئة ضالة . بل من حيث أسستهـا الصهيـونية العالمية ، لتكيد للاسلام واقعه ،



واخطر مافيها انها لاتبشر فينا بنحلتها صراحة فتأخذ الامة حذرها منها بحدس الدفاع عن الذات . بل قصدت الى ان تصوغ الفكرالاسلامى المعاصر صياغة بهائية يهودية لاعهد للتاريخ بمثلها وهى تمويه وخبث ذرائع .

والكاتبة تقدم جذور البهائيةّ القديمة .. عبر القرون .



● مقعد أمام الستار ●

متى يرتفع الستار عن المسرح المصرى ؟

●● وتبقى للسؤال مشروعية البقاء حتى إشعار آخر ؟!

وربما يصبح السؤال عجوزا معمراً دون أن يجد الاجابة عليه . فالسؤال يعود الى زمن الستينيات . الى تلك السنوات العجاف . التى أغلقت مسرح القطاع العام . وفتحت الباب لمسرح القطاع الخاص . الذى تحول إلى نوع من كباريه الضحك بدون هدف . والذى قدم جنسا وقفشات ودخان ودموع ولكنها لم تقدم فنا مسرحيا أبداً .

لكن السبعينيات مضت . وهاهى الثمانينيات انتصفت ومر العام الأول من النصف الثانى . ولكن يبقى السؤال يبحث عن الاجابة .

ربما تكون هناك عروض هنا أو هناك ولكن هذه العروض المتناثرة من الصعب ان تصنع ربيعا مسرحيا يمكن الحديث عنه .

وآخر نكات المسرح السوداء . ما جرى لمسرح محمد نجم ، فالرجل عمل فى المسرح التجارى سنوات طويلة وجمع حوالى نصف مليون جنيه . وقدر أن يتجه الى انتاج مسرحى جاد . ووقع إختياره بالفعل على نص مسرحية "الكلاب وصلت المطار" لعلى سالم . ولكن خلال البروفات احترق المسرح ولم يعد به مسرح . وكأن هناك قوة ماتمنع هذه المحاولة (مجرد محاولة لانتقال مسرح خاص من الهزل الى نوع من الجد) .

على المسارح الاخرى ماذا نجد ؟!

على خشبة المسرح القومى نجد مسرحية شوقى الشعرية مجنون ليلى . حيث تعرض النص لاعادة تفسير جديدة . وهناك عروض اخرى فى بعض المسارح الأخرى . ففى مسرح مصر الدور الرابع شقة ٩ . التى كتب نصها فيصل ندا واخرجها شاكر عبداللطيف . وعادل امام مازال مبتسما وهو يتصدر

إعلانات "الواد سيد الشغال" وهو العرض الذى يبدأ لحظة انتصاف الليل ولا ينتهى قبل آذان فجر اليوم الثانى .

وهناك بعض عروض الثقافة الجماهيرية سواء فى القاهرة ، أو بعض الاقاليم ، ولكن يبقى السؤال هل تصنع كل هذه البؤر المسرحية ربيعا مسرحيا متكاملا .. هل تخلق جدا مسرحيا يمكننا من القول من انه فى مصر الآن جو مسرحى ثقافى . فى هذه الحالة من الصعب الحديث عن اجواء مسرحية أبداً . ولابد وان يبقى نفس السؤال .

- متى يرتفع الستار عن المسرح المصرى ؟!

خارج القاهرة

فى المؤتمر الثانى لأدباء مصر فى الأقاليم .. كثير من التوصيات قليل من الإنجاز

● أنتهت أعمال المؤتمر الثانى لأدباء مصر فى الأقاليم بمدينة الاسماعيلية بنقطتين وإحدى عشرة توصية ، وقد سبق أن أنتهى المؤتمر الأول بالمنيا باصدار سبع وعشرين توصية . وبذلك دخل هذا المشروع الأمل (مؤتمر أدباء الأقاليم) فى حرب التوصيات وهى آفة كثير من المؤتمرات التى لافعالية لها . تلك التوصيات التى تصدر عن الطموحات العاليه وضمور قيعان الامكانيات واستمرت أعمال المؤتمر ثلاثة أيام ، أنعقدت خلالها خمس لجان للقصة والشعر والمسرح والدراسات الأدبية ونوادى الأدب . وكانت هناك ظاهرتان أساسيتان فى أعمال اللجان ، الأولى : وجود مقرر فى كل لجنة ثابت لايتغير منذ عامين ولانعرف هل عين أو أنتخب أو مساعد مقرر مهمته الوحيدة هى اسكات كل من يبدى رأياً ومطاردته ومحاصرته فى مقعده وإقناعه قسراً مستخدماً حيل إقناع مزيفة ومتعللاً بضيق الوقت لاقتراب موعد الغذاء أو الأمسية الشعرية مع أن المؤتمر قد أنعقد أصلاً لكى نستمع إلى اراء الأدباء ومشاكلهم .

الظاهرة الثانية هى الرغبة العجيبة فى الخروج باكبر عدد ممكن من « التوصيات » دون داع . وقد شغلت جميع اللجان بمسألة التوصيات هذه كانها هدف بحد ذاته .

● حرب التوصيات ●

ولأن أعضاء المؤتمر قد



أستنفدوا طاقاتهم في حرب التوصيات فقد مر عليهم دون أن يشعر احد اهم توصية كان يمكن أن يخرج بها المؤتمر وأن تبدأ الخطـوة الأولى فى سبيـل تنفيذها فى الجلسة الختامية للمؤتمر . فالمشكلة الأساسية التى تواجه أدباء مصر فى الأقاليم هى النشر . وفى جلسة إعلان توصيات وقرارات المؤتمر وجه عبد المنعم عماره محافظ الاسماعيلية كلمة حذر فيها من المؤتمرات المتتالية دون فائدة ودون إنجاز حقيقي . واقترح على الحاضرين فكرة إنشاء دار طباعة ونشر فى الاسماعيلية لطبع مؤلفات أدباء مُصر فى الأقاليم . إلا أن أحداً من أعضاء المؤتمر لم يتلقف هذا الأقتراح ويطالب بتنفيذه ويتم التصويت عليه فى الحال . والخروج به كتوصية رئيسية بدلاً من ركام التوصيات من نوع (اهمية أن تكون قيادة الأجهزة الثقافية بأيدى المثقفين) و (يوصى المؤتمر بترجمة عيون الأدب العالمى المعاصر وتوفيرها بأسعار مناسبة لتأكيد التواصل بين أدبـاء مصر والثقـافـة العالمية) !!

إلا أن أهم ما فى المؤتمر كان خارجه ، فى اللقاءات الجانبية التى تمت بين أدباء مصر الكبار والأدباء الشبان . فقد كان هناك دائما د . عبد القادر القط ود . عبد المحسن طه بدر ود . سيد حامد النساج وصبرى موسى وابراهيم عبد المجيد وعبد الفتاح رزق ويوسف عز الدين عيسى وفؤاد حجازى وإقبال بركه وصلاح الراوى ويسرى العـزب ومحسن الخيـاط ، يشكلون نقاط إرتكاز فى اللقاءات الجانبية فى حديقة النادى أو النزل ، ويتحاورون مع الأدباء الشبان فى أهم قضايا الأدب والثقافة العربية .

وكذلك الأمسيات الشعرية التى خرجنا منها بعدد من القصائد الجيدة وأيضاً التعارف الشخصى الذى تم بين أدباء مصر فى الأقاليم .

وقد عاد الأدباء المشتركون فى المؤتمر وعددهم يزيد على المائتين إلى مدنهم والحق أن هناك قضايا لم تحسم بعد .



● تسميـة مرفوضـة ●

« أدبـاء الأقاليم » تسميـة مرفوضة يصر الكثيرون على استخدامها . وهى نظرة أقليمية للأدب هدفها انعزالى رفضناها على المستـوى العـربـى وانزعجنا ممن يقـول : أدب مصرى أو عراقى أو مغربى ، ونستخـدمها على المستـوى المحلى ، فالأدب إما جيد أو ردىء . وللاسف يساهم البعض من أساتذتنا فى تعميق هذا



مؤتمر أدباء الاقاليم .. توصيات كثيرة .. هل تتحقق

المفهوم الأقليمى المتخلف للأدب . فقد قرأ الدكتور عبد الحميد ابراهيم مقرر عام المؤتمر فى الجلسة الافتتاحية رسالة غريبة من شخص مجهول - ورفض الافصاح عن أسمه - أتهم فيها أدباء العاصمة بالعزلة والتفاهة والسطحية فى تكريس خطير للتقسيم الادارى للأدب العربى فى مصر .

كما شكا الكثير من الأدباء من هيمنة بعض موظفى الثقافة فى المدن المصرية وتدخلهم دون وعى فى العملية الثقافية وفى اختيار ممثلى المدينة فى المهرجانات والمؤتمرات .

كذلك لم تحسم بعد قضية « الماستر » وهى الظاهرة التى ولدت لاختراق الحصار واختصار سنوات الانتظار الطويلة حتى يتمكن الأدباء الشبان من نشر أعمالهم . ولكن الأجهزة الثقافية فى القاهرة لاتريد أن تعترف بالابداعات المنشورة بطريقة « الماستر » . فاتحاد الكتاب . يرفضها ، والمجلس الأعلى للثقافة لايعتبرها نشراً . مع أن المأمول فى مثل هذه الأجهزة أن تتعامل مع المادة المكتوبة بصرف النظر عن نوعية الورق وطريقة الطبع .



وقضية أخرى قديمة جديدة

وهى « شعر العامية » ، وقد صدرت توصية بتخصيص جائزة من جوائز الدولة التشجيعية لشعر العامية وتمثيل شعراء العامية في لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة . وقد ثار جدل كبير حول « شعر العامية » فلا أحد يتحمس لنشره إلا فيما ندر مع أن له فرسانا كثيرين ، كما يتهم بأنه عدوان على وحدة لغة الضاد ، ويقف عقبة فى طريق الوحدة العربية .

ولكن كل هذه القضايا التى قتلت بحثاً ، وتجد لها طريقاً فى مناقشات المؤتمرات شىء ، ومايتم على أرض الواقع شىء آخر ، فعدد كبير من الشعراء يواصلون إبداعاتهم بالعامية ، وكتب ومنشورات الماستر تزداد وتتحسن نوعيتها ، كذلك مازلنا نسمى الأدباء خارج القاهرة بـ « أدباء الأقاليم » ، وسوف ننتظر عاماً أو عامين لنكون هناك فى « سوهاج » حيث يعقد المؤتمر الثالث لاصدار عدد جديد من التوصيات .

أخبار ثقافية من الأقاليم ..

● « مسافر فى الطوفان »



ديوان جديد للشاعر محمد محمد الشهاوى . وكان قد صدر له من قبل ديوانان : « ثورة الشعر ـ ١٩٦٢ » و « قلت للشعر ـ ١٩٧٣ » . والديوان الجديد يضم سبعاً وعشرين قصيدة من الشعر الحديث ، وجميعها سفر فى طوفان الواقع وارتحال فى بحار المعاناة .

والشاعر الشهاوى من أشد الشعراء صدقاً وأرهفهم حساً وأدقهم تصويراً ، وهو عاشق لتراب وطنه متيم بهواه ، صاغ شعره من نبضات فؤاده ودفقات وجدانه وفيض مشاعره .

● تستضيف محافظة السويس البرنامج التليفزيونى الجديد « قافلة المدينة الفاضلة » الذى تعده وتقدمه سميحة غالب ، لتسجيل حلقته الأولى مع أعضاء الندوة الأدبية بالسويس . ويهدف البرنامج إلى إبراز دور الكاتب تجاه مجتمعه وإبراز المثل والقيم فى الابداعات الأدبية والفنية .

● تنشر مجلة القصة فى عددها القادم ملفاً خاصاً عن كتاب القصة القصيرة بالسويس ، ويضم الملف قصصاً لمحمد عطا وعلى لاشين ومحمود الجمل وسناء محمد فرج وأحمد عبد اللطيف وأمينة ابراهيم .

● يصدر خلال هذا الشهر العدد الجديد من النشرة الأدبية

« الكلمة الجديدة » التى يرأس تحريرها الأديب محمد الراوى .

● يلتقى أعضاء الندوة الأدبية بالأديب صبرى موسى فى لقاء أدبى حول ملامح العالم الروائى عند صبرى موسى .

● يقيم أدباء بنى سويف مهرجاناً أدبياً لتأبين الشاعر الراحل يوسف محمد رزق فى الذكرى الأربعين لوفاته . ويقدم الأديب أسماعيل بكر دراسة عن الشاعر الفقيد بعنوان « يوسف رزق ونظرته الخاصة الى الشعر » كما يقوم بإلقاء بعض قصائده .

● يعد النادى الأدبى بقصر ثقافة أسوان « ندوة الشريف » فى السابعة والنصف من مساء كل أربعاء . وتتعرض الندوة للأخطاء النحوية الشائعة وكيفية تسلل هذه الأخطاء إلى لغتنا ، ومدى تأثر الفصحى باللغات الأجنبية المختلفة ، وآثار تغلغل العامية فى حياتنا الثقافية . ينظم الندوة محمود الزمراوى رئيس قسم الثقافة العامة بأسوان .

● يصدر هذا الشهر العدد الخامس من « أقلام أسوانية » وهو عدد خاص عن القصة القصيرة .

● بدأت فرقة أسوان القومية المسرحية عرض مسرحية « إتفرج ياسلام » تأليف د . رشاد رشدى وأشعار محمد هاشم زقالى وألحان عبد المنعم اسماعيل وأخراج فوزى فوزى .

● يقيم نادى الأدب بدمياط يوم ٨ مايو (العيد القومى) ندوة شعرية يشارك فيها عدد كبير من أدباء مصر . ويتخلل الندوة إضاءات نقدية على القصائد المقدمة .

● يصدر كتاب « القصة القصيرة فى دمياط » للناقد سمير الفيل . يضم الكتاب دراسة تطبيقية حول القصاصين : يوسف القط - مصطفى الأسمر - طاهر السقا - محسن يونس - أحمد زغلول - حلمى ياسين - حسين البلتاجى .

● يصدر العدد الثانى من مجلة « صوت سوهاج الثقافى » وهى مجلة فصلية تهتم بإبداعات ونقاد الأقاليم . وكان عددها الأول قد أثار عدة قضايا أهمها ظاهرة الغموض فى الشعر المعاصر ، ويأتى العدد الجديد حاملاً حصيلة الاجابات على علامات الاستفهام التى وضعها العدد الأول . كما ينشر العدد الثانى مقالاً خطيراً بعنوان « الحب الضائع .. لمن ؟! » ينفى فيه نسبة رواية « الحب الضائع » للدكتور طه حسين .

محمد الشاذلى



كورازون أكينو

ربة بيت على عرش الفلبين

أول ربة بيت « متفرغة » تصبح رئيسة للجمهورية وتهزم طاغية متمرسا وقاتلا من ذوى السوابق ، هى السيدة كورازون أكينو رئيسة جمهورية الفلبين .

وبغض النظر عن دور الولايات المتحدة الأمريكية وانحياز بعض رجال فرديناند ماركوس (الذين شاركوه جرائمه بنفس القدر) إلى معسكر أكينو فى اللحظة الأخيرة ، إلا أن ذلك لم يكن ليحدث لو لم تكتسح كورازون أكينو منافسها وتقود أنصارها إلى صناديق الاقتراع وفى معارك الشوارع .

وربما يقال إن أفضل الوسائل لمواجهة امرأة منافسة هى الهروب منها . لكن أكينو لم تكن « منافسة » لأحد . ولم تتخيل يوماً أن يشغلها شىء عن واجباتها المنزلية .

كأن زوجها زعيماً للمعارضة . أو زعيماً لأحد فرق المعارضة الممزقة والمنهكة بفعل الرجل الذى وضع كل ثروة الفلبين وكل سلطاتها فى خدمته . ولم يخرج عن طاعته إلا الذين يرفضون الذهب ولايخشون السيف . وهم ليسوا كثيرين عادة ، ومن بينهم ذلك الزوج « بنينو أكينو » .

ولم يحدث أن شاركت كورازون زوجها ـ قبل أن يقتله ماركوس ـ نشاطه السياسى ، إلا إذا كان تقديم الطعام أو القهوة للزوج وأنصاره وأصدقائه فى لقاءاته المنزلية من أعمال السياسة !

ولذلك كان ماركوس أول الواثقين من النتيجة ، وأكبر الساخرين من هذه



السيدة التى لاتعرف حتى بعض أصول « الماكياج » التى تجيدها النساء .

لم يقدر ماركوس ماذا يمكن أن يحدث لسيدة تشهد بنفسها جريمة الاغتيال الرسمية لزوجها قبل أن تلمس قدماه أرض الوطن . ولم يدرك ماذا فعل بشعب الفلبين وبهذه المرأة عندما دبر محاكمة مسرحية لمساعديه من الجنرالات القتلة ليبرئهم من دم الزوج أكينو .

إن التحقيقات التى تجريها رئيسة الجمهورية الجديدة أثبتت أن ماركوس سرق من قبل عشرة آلاف مليون دولار وقتل بدون محاكمة أو تحقيق نحو عشرة آلاف معارض . لكن فى لحظة ما يصعب حسابها بأعقد الأجهزة الأليكترونية ينقلب الوضع كله رأساً على عقب بمجرد إضافة قتيل واحد جديد إلى قائمة الشهداء أو إضافة دولار واحد إلى قائمة المسروقات .

وهى نفس اللحظة التى يجسد فيها شخص كان مجهولاً كل رغبات وآمال ومطامح الناس ، باتصال غير منظور وفقاً لقواعد « الكيمياء البشرية » فيصبح زعيماً !

ولذلك تربعت ربة بيت على « عرش » الفلبين أو « عرش الفلبينيين » ، وهرب طاغية إلى جزيرة معزولة بعد أن أنكره حتى الذين قدم لهم بلاده وشعبه بلا مقابل . وضاعت السلطة والثروة جميعا !

فيليب جلاب

تغيير العالم

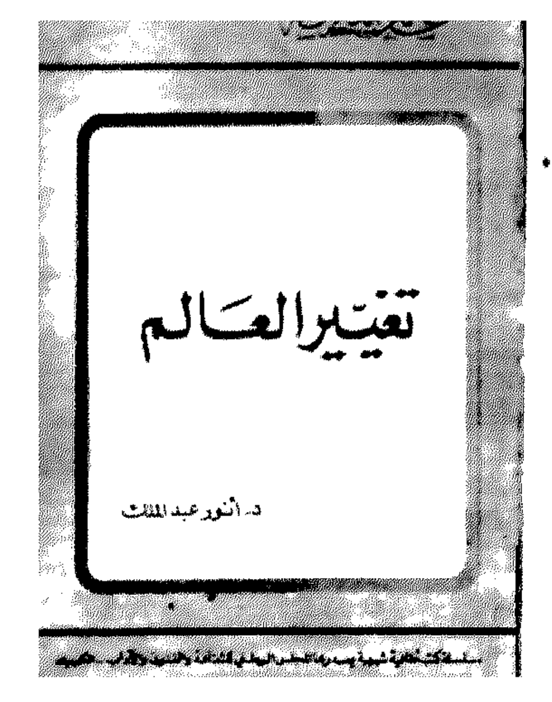
تأليف : د. أنور عبد الملك

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية مع اكتشاف القنبلة الذرية والهيدروجينية ،وماحدث من تطور فى اسلحة الدمار ، والعلماء والفكرون لا يتوقفون عن التحذير من استخدام مثل هذه الاسلحة التى تعجل بنهاية العالم ، وعندما تحدث احد هؤلاء العلماء - فى بداية الخمسينات - كان قوله : ((انى اتحدث لاخيفكم ، انا نفسى خائف)) ،وكانت مؤتمرات العلماء والتى تزعمها الفيلسوف البريطانى برتراند راسل ، وقراراتهم التى ارسلوها الى كل رؤساء العالم ، من اجل الحفاظ على البشرية ، وكانت صرخة راسل فى كتابه ((هل للانسان مستقبل)) عن هذه القضية .

وبدات قضية العالم تشغل بال المفكرين والفلاسفة والعلماء والسياسيين ، بحثا عن خلاص الانسان ، وظهرت فكرة الحكومة العالمية ، ومؤتمرات السلام ، واتفاق الدولتين العظمين « الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي » على تقليل الاسلحة ومحاولة تجنب ويلات الحرب .

وفى نفس الوقت كانت هناك حركات تحرر وطنى ، وشعوب تعانى من المجاعات، واخرى أغرقتها الديون ، والكل يتحدث عن العالم ، ثم يقف عند قضيته بحثا عن الخلاص ، فى هذا العالم المتوتر . وظهرت افكار عديدة لتصور مستقبل العالم ، اعتمادا على التاريخ الحضارى للانسان ، ومدى استجابة الشعوب للتحديات التى واجهتها ، وكانت افكار المؤرخ البريطانى « ارنولد توينبى » عن تدهور الحضارات وصعود حضارات جديدة ، تعتمد فى الاساس على حضارات وأديان الشرق .

وحاول بعض المفكرين العرب أن يساهموا فى القضية ، فقدم بعضهم مشروعات حضارية عربية خاصة بالمنطقة العربية ، وحاول آخرون تقديم مشروع حضارى جديد للبشرية ، مع الوقوف عند المنطقة العربية او الدائرة الحضارية العربية الاسلامية ، ومن هؤلاء الدكتور أنور عبد الله ،





د . أنور عبد الملك

والذى تعرض للدعوة الى تكـوين مشروع حضارى جديد ، وذلك فى كتابه « ريـح الشرق » واستكمالا لما قدمه من دراسـات حول « الفكر العربي فى معركة النهضة » او « نهضة مصر » أو ما جاء فى كتـابه « ريح الشرق » كان كتابه الاخير « تغيير العالم » والذى صدر فى سلسلة « عـالم المعرفة » التى يصـدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب بالكويت .

فى تقديمه للكتاب يحدد الدكتور عبـد الملك بأن عملية « تغير العالم » لا تحـدث بشكل موضوعى آلى بحت ، من جراء تطور القوى الانتاجيه -أو مقتضيات المرحلة الثانية للثورة الصناعية ، انها عملية تلعب فيها الارادة السياسية دورا رئيسا ، يمتـد مجاله من الجيـو ـ سياسة العـالمية والاقليمية الى الدين وصراع الحضارات ، اى أن عملية تغير العالم تقتضى بالضرورة دراسة القوى العاملة على تغيير العالم ، بعضها يعمل من أجل توسيع رقعة التحرر والحرية والتقدم والبعض الآخر يعمل من أجل اخضاع عملية التغير الى هيمنة المركز الواحد وان تشـابك هـذه الاتجـاهات وتعدد مسالكها ومناهجها وتباين معـدلات سرعة تحركها الذاتى أثارت وتثير بشكل متزايد مستوى جديدا من الاشكال يقتضى نوعا جديدا من التحليل .

واشار فى تقـديمه ايضا الى اهمية مرحلـة ما بين عامى ١٩٤٩ ، ١٩٧٣ ، اى بين انتصار ثورة التحـرر الوطنى واقامة جمهورية الصين الشعبية من ناحية وحرب أكتوبر عام ١٩٧٣ وتحـرير فيتنام فى نفس المرحلة من ناحية اخـرى ، وان هذا امر مركزى فى تطور المجتمعـات البشرية الحديثة ، كما انه يمثل نقطة التحول فى تاريخ العالم ، وقد جاءت مقـدماته هذه ليصل بها الى نتائج تصدره لتغيير العالم .

فى مقدماته التحليلية للوصـول الى رؤيته للتغيير ، يرصد فكرة المركز المؤثر، فى القرن التاسـع عشر كانت القـارة الاوروبية ، ثم تحركات هائلة فى قطـاع الشرق الحضارى ، أى آسـيا والعالم الاسلامى ــ العربى بامتداداته الافريقية ، خاصة حول تحرك الدولة المصرية بقيـادة محمـد على بين عـام ١٨٠٥ ــ ١٨٤٠ ، والثـورات الشعبية الفلاحية فى الصـين والهند ، ثم تحـديث اليابان فى عهد الامبراطور ميجى ١٨٦٨ ، ويرى أنه منـذ عام ١٩٤٥ برزت قوتان عظميـان ، وكانت المفاهيم تقوم على أساس نظـام الهيمنـة القائم حاليا ، ومنذ القرن الخامس عشر ، مع تغيير مركز الهيمنة .

ويطـرح الدكتـور أنور عبد الملك السؤال : الى أين ، اذن تتجه عملية تغيير



تغيير العالم

العالم ؟ وجهتها ، التصورات المستقبلية البديلة المطروحة واقعيا .

ويقدم ثلاث رؤى - فى رأيه - تتنازع فى التنقيب عن أبعاد المستقبل ، أى على تغيير العالم لا على النظام العالمى الجديد .

١ - الرؤية التقليدية : وهذه الرؤية قريبة من التشكل الواقعى للنظام العالمى القائم المتمركز حول مركزى القوتين العظميين ، وما هو قائم انما هو تجمع عدد من الدول الكبيرة والوسيطة تمت كلها الى طراز المجتمع الصناعى المتقدم بدرجات متفاوتة ، وتلتف حول قيادة الدولتين العظميين ، هكذا يتشكل واقع ، وبالتالى ظهرت فكرة « المعسكر » بوصفه بوتقة واطار الصراع العالمى ، فهناك معسكر دول حلف الاطلنطى ويضم مجموعة الدول الراسمالية ، أو دول اقتصاديات السوق، بقيادة الولايات المتحدة الامريكية ، وفى مواجهته معسكر الدول الاشتراكية «حلف وارسو » وغالبيتها العظمى أوروبية ، بالاضافة الى فيتنام وكوبا ومنغوليا وكذا أفغانستان ، بينما تظل الصين خارج هذا المعسكر تماما أسوة بيوغسلافيا .

وما دام الامر كذلك فلم يعد هناك دور من حيث الفاعلية للدول التى لا تقبل احدى القيادتين . وهذه الرؤية تحاول ان تقيس تفوق كل معسكر على الآخر ، من حيث الناتج القومى ومتوسط دخل الفرد مع نوعية وكم الاسلحة النووية والتقليدية. فكيف اذن يتغلب معسكر على الآخر مادامت الحرب النووية مستبعدة من الطرفين ، وكذا انضمام احدهما الى الآخر ؟

هنا يتبارى كل معسكر فى التنديد بمساوىء الآخر ، معلنا امتيازه وتفوقه فى حرب ايدلوجية لاهوادة فيها . ثم ان هناك تغطية القضايا : تلك المتعلقة بتشكل ونوعية المركز العالمى الثالث أى الصين فى حلف مع اليابان فى قلب الدائرة الاسيوية للشرق الحضارى ، فهل تراه سوف يقدم نمطا متمايزا ؟

وعلى ذلك فان النظرة التقليدية والتى ترى أنه لا مفر من تغليب نظام ومذهب على الآخر لا يمكن أن تتحقق ، وبالتالى لا يمكن ان تحدث تغييرا فى النظام العالمى الا بواسطة وعبر حرب ثالثة وهو ما يرفضه معظم المسئولين .

٢ - الرؤية التكنولوجية : وتكونت هذه الرؤية تحت ظلال الرؤية الاولى ، لاكنقيض لها ، ويرى عدد من المفكرين والمشتغلين بالعلوم الاجتماعية وتطبيقاتها أن الانسانية تعيش الان مرحلة مغايرة تماما لمرحلة الثورة الصناعية ، واطلقوا عليها « الثورة العلمية والتكنولوجية » وقد بدأت هذه الرؤية الثانية تؤثر فى كافة مجالات الفكر والعمل فى معسكرى الغرب الحضارى وفى اليابان - رغم خصوصيتها الحضارية والاجتماعية ، وذهب أنصار هذه الرؤية الى أن الثورة العلمية والتكنولوجية تضع بين الانسانية - واول مرة فى تاريخها - أدوات ذات فاعلية هائلة تغير تماما من نوعية العلاقة بين الانسان والطبيعة وأنها بذلك تملك جوهر عملية التغيير ، وظلت الدعوة الى الثورة العلمية والتكنولوجية رافعة لواء امكان تغيير العالم بشكل جذرى ، واذا العالم نفسه ، وخاصة قطاع العالم الغربى المهيمن يندفع الى سباق جنونى للتسلح النووى يكاد يهدد وجود الانسانية على سطح الارض ، بينما انتشرت المجاعة والاوبئة فى مناطق شاسعة من العالم - العالم الثالث - وارتبك ميزان المداينة واستمر العديد من المناطق والقطاعات فى جو من الثبات أو التقدم البطىء .

وما لا شك فيه ان التقدم الهائل الذى تمثله معطيات الثورة العلمية يعتبر جزءا من

كل ، أى مجموعة من الادوات بين ترسانة الادوات الاخرى، ولكنها ليست المفتاح النهائى، الى مستقبل لامفر منه، وعلى العكس من ذلك فان تحكم قلة من المجتمعات فى هـذه الادوات سوف يزيد قدرتها على صد وتحريف حركة تغيير العالم ، التى تبدو فى الاساس تهديدا للقطاع الاستعمارى وهيمنته ، اذ انها تعمل على تحقيق حياة انسانية خلاقة لشعوب العالم •

الرؤية الثالثة : فى راى الكاتب أن هذه الرؤية التى يقدمها ، والتى يقف طويلا عند تكويناتها ، تكونت تدريجيا ابتداء من السبعينات ، على أساس التمعن فى عدد من العوامل المؤثرة بشكل مركزى على الساحة العالمية •

ويبشر الكاتب بمولد هـذه الرؤية ، وحاول رسم صورة عامة للجو التكوينى الذى احاط بمولدها وحددها كما يلى :

● ان العمليـة الجـدلية بلغت ذروة تفاقمها واحتدامها ، وان رؤية الثورة العلمية والتكنولوجية تندرج فى هـذا الجو ، اذ انها تعمق الهوة بين المجتمعات الصناعية المتقدمة من ناحية والقارات الثلاث من ناحية اخرى ، بينما تندفع بعملية التسـليح الهجومى الاستراتيجى والتسليح النووى الى تجاوز كل مدى • وهنا يطرح التساؤل اى اشكال تغيير العالم ـ بشكل جديد ، اقرب الى الواقع الموضوعى والوجدان ، والى واقع حياة الانسان على تنوع الانظمة والمذاهب الاجتماعية والفكرية •

● كما ان عامل الجيو ـ سياسة بدأ يحتل مـكانته الطبيعيـة وهى مركزية ، بوصفه الاطار الاكثر شمولا للتحرك السياسى بعيد المدى ـ من حيث أن الجيو ـ سياسة تحدد اهمية المنطقة المعنية بالنسبة للقوى الاكبر ودوائر تحركها وسلم اولوياتها •

وتحدد نوعية ومستوى التفاعل بين مختلف القوى المتواجدة اصلا فى المنطقة المعنية ، ثم تنقب عن الطاقات الكامنة غير المسـتعملة حتى الان فى وحدة التحرك ، أى فى المجتمع ـ الدولة المعنية ، فتحليل هـذه الابعاد بشكل جدلى واقعى وعلى أساس صـياغتها التـاريخية يضىء الطـريق امام امكانات التحرك المطروحة لصياغة المستقبل ، فالاطار الجيو ـ سياسى ، يحكم ولكنه لايتحكم ، ذلك أن الوحدات الاجتماعية المختلفة التى تندرج فيه ليست متجانسة أى أنها لاتملك نفس الطاقات والامـكانات الحـركية فى تفاعلها مع معطيات ومؤثرات الجيو ـ سياسى وهذه الوحدات فى الواقع تتكون من المجتمع ـ الدولة من حيث التحرك السياسى ، يتميز بخصوصية صاغها التاريخ على مدى عشرات من الاجيال أو على مدى بضعة أجيال ، أو عبر مدة محدودة للغاية ، وفى هذا السياق يطرح الكاتب تعريفه لمفهوم الخصوصية •
ويرى أن تصور الخصوصية يتشكل من مستويات ثلاثة :

١ ـ التركيب الداخلى لتصور الخصوصية أى تبين النمط المتميز لاسـتمرار مجتمع قومى معين ، أى نمط العـلاقة المتبادلة والتاليف بين أربعة عوامل محورية تكوينية لكل مجتمع أى لكل استمرار اجتماعى :

● عامل انتاج الحياة المادية لمجتمع معين فى اطاره الجغرافى وأسلوب انتاجه •

● اعادة انتاج الحياة البيولوجية •

● النظام الاجتماعى «السلطة والدولة»

● العلاقات مع البعد الزمنى « نهائية الحياة الانسانية ، الاديان والفلسفات »

ويرى الكاتب ان تطبيق هـذا المربع التكوينى على المعطيات الاقتصـادية الاولية سوف يثرى التحليل للمجتمعات البشرية •

٢ ـ المستوى الثانى ، يعنى تحريك هذا المربع التكوينى عبر التطور التـاريخى فى اطاره الجغرافى المحدد ، فالتطور التاريخى يضع فى المقام الاول عنصر الزمان ، ومن



تغييرالعالم

هنا تأتي الاهميــة المركزية لعمق المجـال التاريخي ، ومن حسن الحظ أن الغالبية الكبرى من المجتمعات البشرية تتـكون من مجتمعات قومية تتراوح بين أقدم القوميات في العالم « مصر أم الدنيا » وبين المجتمعات القومية الحديثة في أوروبا الغربية مثلا ٠ أما عنصر المكان ، فانه يعني على وجه التحديد أن كل مجتمع بشرى يحيا ويتطور في مجال جغرافي محدد بالنسبة للمجالات الجغرافية الاخرى ، وهذا ماتعنى به الجيو ـ سياسة ، كما أنه يمارس وجوده وتطوره التاريخي في مجال جغرافي له تركيب داخلي محـدد وهذا ماتعنى به الايكولوجيا التى ترصـد الامكانات والطاقات البشرية والحيوية معا ٠

٣ ـ المستوى الثالث ، هو مستوى التفاعل الجدلى بين عوامل الاستمرار والتغيير ، لتحريك المربع التكويني على مدى التطـور التاريخي في أطاره الجغرافي سوف يشكل العلاقات المتبادلة وبالتالي الاهمية النسبيـة لكل عنصر من العناصر التكوينية الاربعة ، مما يؤدى على مر الاجيال الى تشكيل خصوصية كل مجتمع قومي محدد مثـلا : دور الدولة والجيش في الحياة المصرية ، أهمية مستوى الثقـــافة الوطنيــة فى المانيا وايطاليا ـ أيديولوجية اقتحام الحدود غير القومية في المجتمـــع الامريكى ، النزعة التجــريبية الموضوعية في المجتمع الانجليزى ، استيعاب التناقضات في دائرة الشخصية القومية في المجتمع الصينى ... الخ ..

ويجمل الكاتب قوله بأن مفهوم « الصورة » الخصوصية الذى يقدمه ، يهدف الى التسليح الفكرى المعاصر ، وخاصة الفـكر القومى العقل التقدمى بأداة علمية ، لتبين ما هـو أصيل حقا في الاستمرار التاريخي لمجتمع قومى معين وماهو بالتالي القـالب القـومى المتميز الذى يمكن ويجب الرلؤه بصدد من المعطيات والتجارب المصرية ، يمنح الفكر المعاصر ورجاله الوسيلة الفعالة للتعجيل بعملية تطوير المجتمعات القومية بحيث تصبح عصرية قومية على أساس أصالتها الموضوعية التاريخية ، ومن خلال هذه الاصالة ، دون تقليد الغرب المتأزم حضـــاريا كما يبشر بذلك عملاؤه الحضاريون ، فتبين الفـروق النوعية يمكننا من تبين سبل التحرك الاكثر فاعلية وتجنب مناطق التأزم المزمنة ، أى انه يمكننا من التحرك مع الجدلية الاجتماعية لمجتمعاتنا القومية في طورها المعاصر ، أى أن نواكب ونمارس عملية الصيرورة التاريخية من الداخل ، كعقول واعية وصاحبة سيادة ، لا كعقول عميلة لقوى الهيمنة الخـــارجية التى لاتهدف الا الى الاحتفاظ بالعالم غير الغربى في مكانة التبعية ، بينما وجهتـه هى النهضة الحضارية ، أى أنه لابد من الاعتمـاد على الشريحة الـكاملة لمجموعة التحليلات الاجتماعية لتطور المجتمع ـ الدولة المعنى عبر التاريخ وكذا في المرحلة الراهنة بغية تبين امكان تعبئـــة الطـاقات الكامنة والافادة منها لاختصار الطريق نحو المشاركة في عملية انساح المجال لتغيير العالم ٠

وهذه الرؤية الدقيقة ليست سوى نقطة بدء ، انما الاهم هو : صـــياغة مشروع التحرك صوب عملية التغيير ، وبمجرد أن نصل الى ذكر مشروع التغيير يصبح لزاما علينا أن نقبل فكرة التحدى ، تحدى حدود الظروف الموضوعية بهدف تخطيها نحو ماهو مغاير وجديد ، وهو تحد ينطلق من معرفة دقيقة لما يمكن أن نطلق عليه دائرتى الجدلية الاجتماعية ـ الدائرة الخارجية أى الجيو ـ سياسة ، والدائرة الداخلية أى الخصوصية القومية في اطارها الجيو ـ ثقافى والحضارى ـ وكلاهما على نحو ماصاغهما التاريخ عبر الاجيال ٠

ان التـــركيز على التنقيب في أبعـــاد ومكونات وتكوين الخصوصية القومية هو وحده الذى سوف يمكننا من معرفة الطاقات الكامنة وتعبئتها الفعالة ، أى الانتقال مما هو ممكن الى ماهو واقع أى الانتقـــال من الامكان الى العمل ٠

وتؤدى بنا هذه الابعاد والزوايا الى نتيجة تمثل الاسهام المتمايز لهذه الرؤية الثالثة : ان الشرق الحضارى — شعوبا ودولا — هو الذى بدأ يتحرك منذ أوائل القرن التاسع عشر فى موجة عارمة من ثورات وحروب التحرير الممتزجة أحيانا بالثورات الاجتماعية بحيث أصبح حامل لواء التحدى الرئيسى للنظام العالمى القائم ، وكذا صاحب المصلحة الرئيسية فى عملية تغيير العالم · ان صحوة الشرق الحضارى محسوبة بطبيعة الحال فى الرؤيتين الاولى والثانية ، ولكن بطريقة مختلفة تماما ، فهى صحوة يقال انها استقلالية فحسب ، وليست تحريرية ثورية بمعنى الكلمة ، ثم يضاف أنها فى مضمونها ، حركة تهدف الى التنمية والتحديث فحسب ، ولا يتصدى بحال من الاحوال النهضة الحضارية ، ثم ان مجال التحرك فى نظر الرؤيتين الاولى والثانية هو مايسمى « العالم الثالث » دون تحديد أن الشرق اساسا آسيا ، ثم الجزء الاكبر من افريقيا ، والعالم الاسلامى — العربى فى قلبه هو صاحب الريادة والتحدى الرئيسى ·

اما الرؤية الثالثة ، فانها تقرر أن للشرق الحضارى مكانة الريادة أى المبادرة التاريخية فى طرح اشكال تغيير العالم ، والافادة من انقسام الغرب الحضارى الى نظامين اجتماعيين وايديولوجيين متناقضين ، وكذا اسهامات المرحلة الثانية الصناعية فى بعدها العلمى والتكنولوجى ·

ان تغيير العالم فى حاجة الى صياغة مشروع حضارى جديد ، يتكون فى واقع الامر من عدة مشروعات حضارية ، وتقدمه الدوائر الحضارية والجيو — ثقافية التكوينية الكبيرة ابتداء من تفاعل وتواكب مختلف المدارس التكوينية الاصيلة للفكر والعمل بها ، ويقدم رؤى جديدة ، تتشابك فى رؤية عالمية جديدة تعيد الى الانسانية ليس الامل الاكيد فى استمرارها فحسب وانما تعيد اليها أنماطا جديدة خلاقة ايجابية من التعامل الانسانى والحياة الهادفة ، والتقدم الروحى والمادى المتزن غير المدمر ·

والدكتور أنور عبد الملك فى كتابه الجديد — تغيير العالم — يؤكد على أفكاره التى سبق أن طرحها فى كتابه « ريح الشرق » سواء فى متابعته للمركز المهيمن منذ القرن الخامس عشر — الغرب — حتى تقسيم العالم بين الدولتين العظميين فى يالتا — ١٩٤٥ — ومنذ ثورة الصين عام ١٩٤٩ حتى حرب أكتوبر المجيدة عام ١٩٧٣ لم يعد العالم موزعا بين مركزين ، بل بدأ مركز حضارة الشرق ·

ويرى التطور من خلال الدوائر الحضارية والتى بدورها تحتوى على دوائر حضارية أخرى ، وفى كل دائرة حضارية يوجد قلب الدائرة أو مركزها ، مثل مصر وتحرك الامة العربية حولها فى قلب الدائرة الحضارية الاسلامية الاسيوية — الافريقية ، والصين التى تتحرك اسيا حولها ، ومن خلال التعددية ، واعتماد الدوائر الحضارية الشرقية على أصالتها الفكرية وسندها التاريخى ودورها الحضارى المستمر وموقعها يتكون المشروع الحضارى الجديد ، كما أكد الكاتب على تصوره التاريخى للخصوصية والتى أثارت جدلا واسعا بين المثقفين العرب اذ يرى البعض أن تركيز الكاتب على مفهومه للخصوصية ، كثيرا مايخرج بعض المجتمعات من القوانين العامة التى تحكم حركة المجتمعات وتطورها ، كذلك مفهومه حول القوة الفعالة أى القوة السياسية والحربية الفعالة ، الامر الذى يغيب دور الجماهير ، ويخشى البعض من الوقوف عند دائرة حضارية — ريح الشرق — قد يكون بها ظلال الاستعلاء الحضارى ، اذا جاز التعبير ، وخطورته فى انعكاس الموقف على مجالات وقضايا اخرى ·

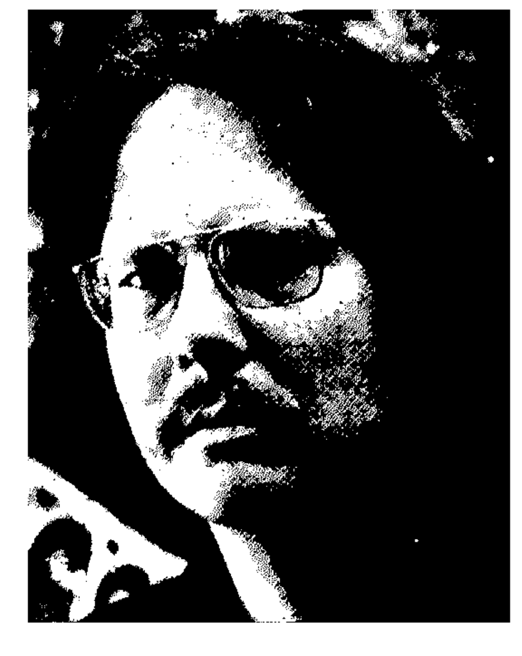
انه ونحن نتطلع الى مشروع حضارى او تصور لمشروع يساهم فى تغيير العالم ، لا شك اننا نهتم بما جاء فى تحليلاته الاجتماعية المتشابكة فى الاستفادة فى تصورنا لمشروع حضارى قومى عربى ، يجيب على الاسئلة الحائرة والمشاكل الراهنة والقضايا المصيرية لامتنا العربية ·

العالم في سطور





لا شيء يهم .. في الادب النمساوى
بيتر هاندكه



بيتر هاندكه

ظاهره ادبية خاصة تلعب دورا في الحياة الثقافية النمساوية منذ اكثر من ربع قرن - عمره الان ٤٢ عاما - في المسرح والسينما والرواية .

شهدت فيينا هذا الشهر حدثين هامين يتعلقان بهاندكه . الاول صدور رواية ((الصيني والالم)) والثانى هو عرض مسرحية ((المطر)) على خشبة المسرح .

تدور رواية « الصيني والالم » حول تاريخ الالم في عالمنا المعاصر الذى سرعان مايصيبه بالنسيان . فالراوية هنا مدرس يقوم بتدريس اللغتين اليونانية واللاتينية في أحد أحياء سالزبورج . يسمونه السيد ((مفقود)) . انه يميل الى البحث في اسرار البيوت القديمة والابواب العتيقة . هجر زوجته وأسرته من أجل هذه الهواية الغريبة . رجل غريب الاطوار . يصفع زميلا بلا سبب . وعندما يعود من عرض مسرحية ((الصيني والالم)) يلقي بنفسه في القناة ويسبح بلا توقف . وعندما يسير في الشارع يجمع الحجارة ويلقيها في وجوه المارة .

لقد اكتشف فجاة قانون انه ((لا شيء يهم)) وانه يجب هجرة قلعة ((الذات)) والهجرة خارج النفس تلافيا للالم . ولهذا فهو يقضى أغلب وقته في تأمل الاشياء من حوله . يتلذذ وهو يرى الاطباء يتحدثون عن أمراض الآخرين . ويحس كانه في أوبرا حين يسمع اصوات السوق القريب من مسكنه .

وعندما يرحل ((مفقود)) الى مدينة اخرى يدخل فندق المسافرين الغرباء سعيا لاكتشاف وجوه اناس يراهم لاول مرة . وعندما يعود من السفر يرى وجوه أفراد أسرته وقد بدت غير مألوفة له .

بيتر هاندكه كاتب روائى ومسرحى وسيناريست ومخرج سينمائى . من اشهر اعماله ((القلق الحاد الذى أصاب الجنايني في لحظة عقاب)) عام ١٩٧٢ ، « الشولاء » ١٩٧٩ ، « عودة بطيئة » عام ١٩٨٢ .



سيمـــون دى بوفوار وسارتر وبجوارهما توفيق الحكيم أثناء زيارتهما لمصر



سيمون دى بوفوار .. صديقه سارتر التى رحلت

●● من يذكر سيمون دى بوفوار عندما جاءت الى مصـر فى الستينيات !!

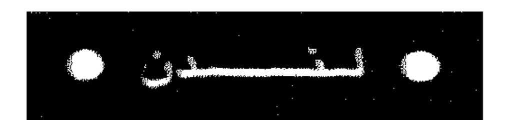
ومن يذكر كتبها الكثيرة فى ترجماتها العربية عندما كانت تملأ أرفف المكتبات فى الستينيات البعيدة ؟!

لقد ماتت سيمون فى الشهر الماضى بعد سبعة وثمانين عاما من عمرها .. وبعد سنوات قليلة من رحيل رفيق عمرها .. وصديق عمرها .. جان بول سارتر .. والذى عاشت عمرها كله فى ظله .. ومع هذا لم تتزوجه ولم ترتبط به على الطريقة البرجوازية التقليدية .. وحتى عندما سافرت معه الى بلدان كثيرة من العالم .. انما بسافرت كصديقته وليست كزوجته .

سيمون دى‌بوفوار لها كتاب هو " الجنس الآخر " الذى صدر فى الاربعينيات من هذا القرن .. وكان من الكتب الهامة التى لعبت دوراً فى الحركة النسائية فى العالم .

وقد سافرت الى الصين واصدرت كتابا كبيرا من جزءين عن التجربة الثورية هناك عنوانه : الزحف الطويل .. كما ان لها رواية طويلة عنوانها : المثقفون .

وسيمون دى بوفوار .. مع سارتر هما صاحبا فلسفة كاملة هى الوجودية التى انتشرت فى اوربا بعد الحرب العالمية الثانية



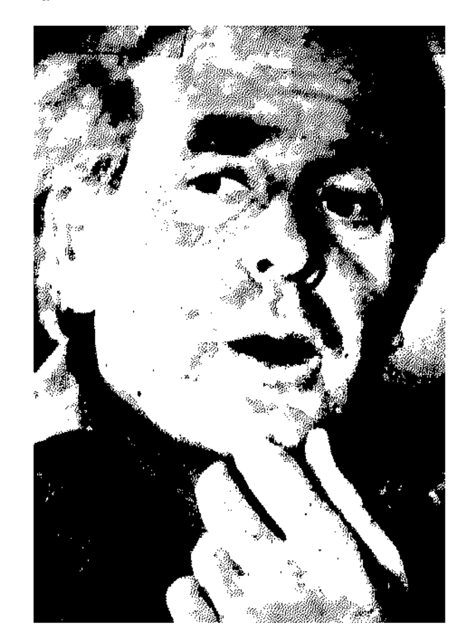
الجاسوس المتميز .. والادب المشبوه

رغم الشهرة العريضة التى يتمتع بهـا الروائى الانجليزى جون لوكاريه . الا انه احد الكتاب ذوى السمعة السيئة فى العالم . فهو بالنسبة لجهاز المخابرات البريطانى خارج على نظامه . ويسعى الى كشف اسراره فى رواياته العـــديدة . وبالنسبة للنقاد فهو ليس‌سوى «حكاواتى»

يكتب كي يسيل لهاث القارىء . اما بالنسبة للسياسيين فلا احد يعرف فى اى اتجاه هو تارة يهاجم المعسكر الشرقى - كما حدث فى روايته الاخيرة « جاسوس متميز » التى صدرت فى الشهر الماضى . وتارة يهاجم المخابرات الغربية مثلما فعل فى روايته « التلميذ المحترم » التى نشرها عام ١٩٧٧ .

جاءت شهرة لوكاريه - وهو اسم مستعار للكاتب - مع رواية « الجاسوس الذى اتى من البرد » عام ١٩٦٤ حول هروب رجل مخابرات انجليزى عبر سور برلين . وقد تتابعت رواياته الاخرى مثل « ناس من سميلى » ١٩٧٩ والتى تحولت الى مسلسل تلفازى شهير . ثم « الطبالة الصغيرة » التى نشرها عام ١٩٨٣ حول تورط المخابرات الاسرائيلية فى تصفية بعض رجال المقاومة الفلسطينية .

جون لوكاريه



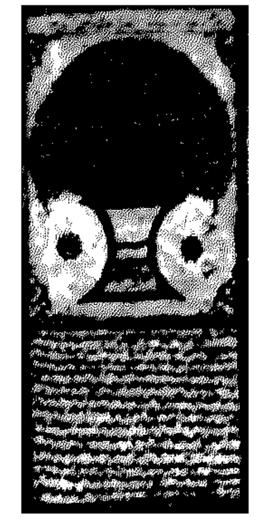
• بـون •

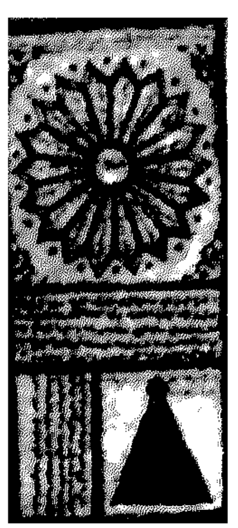
عندما تحكم العالم فارة ..

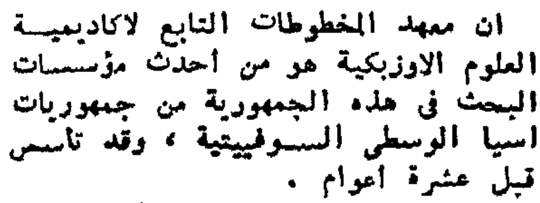
الفارة .. هى اهم حدث أدبى فى المانيا فى الاشهر الاخيرة بعد وفاة الكاتب هاينريش بل فى العام الماضى ..

الفارة هى عنوان أحدث روايات الكاتب المعروف جونترجراس التى استغرق فى كتابتها أكثر من عامين . وتدور أحداث الرواية حول فارة صغيرة تقوم بدور الرواية من خلال حوار شبه فلسفى حول مختلف الكوارث التى حلت على العالم . وارتبطت فى ذاكرة الفئران وامتزجت بتاريخ المانيا . لقد بقى بعض الفئران على قيد الحياة بعد اندلاع الحرب النووية استطاعت هذه الفئران أن تحكم العالم بعد زوال الجنس البشرى .

جونترجراس هو أحد الذين أسسوا جماعة ٤٧ الادبية التى حملت على أكتافها بعث أمجاد الادب الالمانى فى أعقاب الحرب . ولد عام ١٩٢٧ فى مدينة وانتسنج من أبوين نصف بولنديين ونصف المانيين. نشر مجموعة من الروايات من أبرزها « الطبلة » ١٩٥٨ . « القط والفار » ، ١٩٦٠ و « سنوات كلب » ١٩٦٥ . ثم « مخدر موضعى » ١٩٦٨ و « الترسة » ١٩٨٠ وأخيرا « لقاء فى وستفاليا » كما نشر مجموعة من القصائد والمسرحيات وقد عرف بمواقفه السياسية الجريئة ضد السيطرة الامريكية على بلاده . وقد بدا هذا من خلال روايته « لقاء فى وستفاليا » التى تدور حول مجموعة من الادباء يقررون انشاء قومية المانية رغم الصعاب التى يتعرضون لها ..







فى طشقند يدرسون المخطوطات الشرقية العريقة

ان معهد المخطوطات التابع لاكاديمية العلوم الاوزبكية هو من أحدث مؤسسات البحث فى هذه الجمهورية من جمهوريات اسيا الوسطى السوفييتية ، وقد تأسس قبل عشرة أعوام .

يقول يعقوبجون جورايف نائب مدير المعهد : ان مهمتنا هى كشف وحفظ وتحليل ونشر الاثار المكتوبة باللغات لصفوية والخورازمية والتركية القديمة والاويغورية والاوزبكية القديمة والعربية والفارسية ، يتضمن رصيدنا اليوم أكثر من ١٠ الاف مخطوطة وكتاب من طبعات قديمة .

يتحدث أمين الرصيد عبد الواحد شاكيروف قائلا : فى حوزتنا أشياء ثمينة للغاية ، على سبيل المثال – مجموعة مؤلفات على شير نوائى المشهورة تحت عنوان « خمسة » نسخة من عام ١٥٧٩ .

يضع شاكيروف بحذر وعناية مجلدا ضخما على الطاولة ويقلب صفحاته ببطء ليعطى الفرصة للامعان والتمتع بخط الكاتب وألوان الرسوم الصغيرة البديعة التى تبدو كأنها رسمت اليوم ، رغم مرور قرون عديدة عليها .

ويحتوى الرصيد كذلك على كتب نادرة مثل تفسيرات كل سطر لمؤلفات حافظ لشيرازى ، الذى خلد ذكره بفضل غزلياته المكتوبة باللغة الفارسية .

كما يوجد مجلدان للشاعر حافظ الخوارزمى ، أصدرهما المعهد ، وحتى مدة قصيرة ، لم يعرف أى شىء عن هذا الشاعر الذى ولد قبل خمسمائة عام فى خوارزم ، والذى كان يكتب أشعاره باللغة الاوزبكية القديمة . وقد عثر على مؤلفاته فى متحف مدينة حيدر أباد الهندية ، البروفيسور حميد سليمانوف مؤسس معهد المخطوطات ، الذى يحمل اليوم اسمه .

كما اكتشف فى الهند ايضا ، معجم موسوعى باللغة الآوزبكية القديمة من ثلاثة مجلدات كتبت باليد ومؤرخة فى القرن الثامن عشر وكذلك ديوان الشاعر زيبونيسو « القرن السابع عشر » .

ويقوم المعهد باصدار نشرة « الثروة الادبية » تضم الدراسات والابحاث العلمية للباحثين العاملين بالمعهد . لقد حظى بتقييم عال من جانب الخبراء والقراء البوم رسوم مصغرة رائع لمؤلفات على شير نوائى ومؤلفات خسرو ديهلوى من اعداد فاضلة سليمانوفا . ومنذ تسعة أعوام يصدر المعهد سلسلة «مختارات الشعر الشرقى» التى حظيت بشهرة عالية . وتصدر هذه السلسلة باللغة الروسية والاوزبكية وقد صدرت منها مؤلفات نوائى وبابور وماشراب وفورقاط وابن سينا وموقيمى وأوغاهى ونظامى وزيبونيسو واويسى نوديرا وعمر الخيام والسعدى وغيرهم من المؤلفين . تصدر هذه الكتب باحجام صغيرة وفنية برسوم مصغرة شرقية .

وجهة نظر

العلاقة بين الدين والعلم

بقلم: د. محمد عامر



يبدو ان استعدادنا فى الحاضر للنظر فى الجديد، او لاعادة النظر فى القديم، ليس بافضل من استعداد اجدادنا فى الماضى . فنحن لا نزال نعتبر ان القول بان رايا ما، او فكرا ما، او اتجاها ما، يتعارض مع ما هو سائد، نوع من تجريح ذلك الراى، او الفكر، او الاتجاه .

فالقول بان هناك تعارضا بين العلم والدين يعتبر فى المجتمعات التى فيها السيادة للدين تجريحا للعلم، بينما يعتبر تجريحا للدين فى المجتمعات التى فيها السيادة للعلم .

واذا ما كان هناك تعارض، او مظنة تعارض، بين فكرين عزيزين على مجموعة من البشر، او على مجموعتين تعيشان فى مجتمع واحد، فكثيرا ما يلجا الناس الى التجاهل او التلفيق او التوفيق. والتجاهل والتلفيق قد يساعدان على الاستقرار النفسى، وايضا الاجتماعى على المدى القصير . الا أنهما يضران بقضية التطور على المدى الطويل، كما انه يصعب الدفاع عنهما فى اى مجتمع يقدر الامانة الفكرية . اما التوفيق فبامكانه ان يلعب دورا ايجابيا فى قضية الاستقرار النفسى والاجتماعى . فى ذات الوقت الذى يلعب فيه دورا ايجابيا فى قضية التطور . ومحاولة التوفيق قد تتطلب جهودا فكرية عميقة ومثابرة، واذا ما جرت على أسس سليمة فسيكون من الصعب اتهامها بعدم الامانة . وحتى ان فشلت محاولات التوفيق، فانها ستساعد على احسان الاختيار، ان لم يكن هناك بد من الاختيار .

والمقصود بالدين هنا اى دين، وليس دينا واحدا بعينه دون غيره .

ـ يسعى العلم الى وضع نظريات تربط الظواهر الكونية، والبشر ومجتمعاتهم بجزء منها، بعضها ببعض . أو هو يفسر الظواهر الكونية بظواهر كونية اخرى . ولذا فانه لن يصل الى تفسير شامل وكامل ونهائى ابدا .

بناء على هذا فان قضية المحرك الاول، أو المسبب الاول، او الخالق الاعلى الذى

هو فوق الكون . تقع خارج اختصاص العلم . فالعلم لا ينفي وجوده . كما ان اثبات أو نفي وجوده ليس ضروريا لبناء فلسفة علمية ، سواء عنينا بهذا فلسفة تتبنى العلم ، أو فلسفة يقوم عليها العلم ، وتساعد على تطوره ، أو الاثنين معا . وهذا يفتح الباب للتوفيق بين الدين وكل من العلم والفلسفة العلمية . اذ أن اثبات وجود الخالق الاعلى يمكن أن يكون متسقا مع كل من الاخرين .

وبناء عليه أيضا ، فان ارجاع الظواهر الكونية ــ بما في ذلك الظواهر المتعلقة بالبشر ومجتمعاتهم ــ الى اسباب خارج الكون ، أمر يتعارض مع العلم « الا أن ياتي هذا الارجاع كتحليل نهائي ، أو كسبب اخير » .

ــ ولان للعلم جاذبية طاغية في عصرنا هذا ، فان كثيرا من الذين يفسرون اديانهم بطريقة تجعلهم يرجعون بعض الظواهر الكونية الى اسباب خارج الكون . يتحرجون من القول بأن تفسيرهم ، أو دينهم . يتعارض مع العلم . ويفضلون أن يقولوا ان تفسيرهم ، أو دينهم ، يتعارض ــ مثلا ــ مع الماركسية ، أو الوضعية المنطقية ، أو مع نظرية بعينها كنظرية التطور . وحتى عندما يفعلون هذا يفضلون أن ينزعوا صفة العلمية عن نظرية التطور « أو غيرها » على أن يقولوا ان تفسيرهم يتعارض مع نظرية علمية . وهذا نوع من تقديس العلم ، أو من الخضوع لتقديس العلم ، لا مبرر له . وهو يقع في اطار التجاهل أو التلفيق اللذين علقنا عليهما في أول حديثنا .

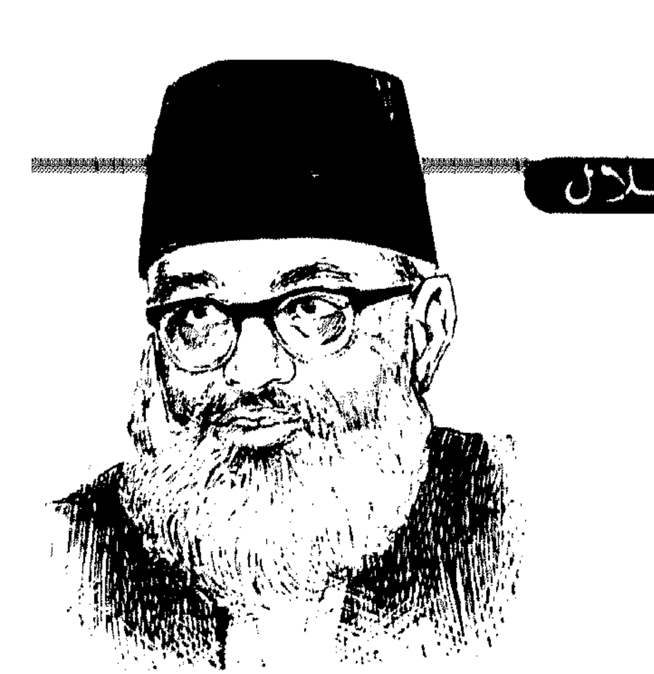
ــ حتى بالنسبة الى التفسيرات الواردة في هذا الصدد فنوع ما من التوفيق قد يظل واردا ــ ليس مع العلم كله ــ ولكن مع جوانب أو أجزاء منه . فمثلا قد يكون التوفيق ممكنا مع العلوم الطبيعية والبيولوجية دون الانسانية . أو مع العلوم الطبيعية دون البيولوجية والانسانية أو ..

ــ بينما يظل التعارض قائما حتى ان لم يكن العلم قد توصل الى تفسير للظواهر التي يرجعها البعض الى اسباب خارج الكون . لان التفسير الخارجي سيعطي الانطباع بانه لا توجد مشكلة . في حين ان المنهج العلمي يقتضي القول بان هناك مشكلة . والسعي الى ايجاد حل لها .

ــ كيف يكون الحال اذا ما استقى اصحاب تفسير ما ــ لدين ما ــ من فهمهم لدينهم تفسيرا كونيا لظواهر كونية ؟ يمكن ان يكون هذا متوافقا مع العلم اذا ما اخذ هذا التفسير على انه فرض يخضع لما يخضع له غيره من فروض العلم حتى يقبل او يرفض او يعدل . اما الذى يتعارض مع العلم فهو ان يؤخذ هذا التفسير الكوني للظواهر الكونية على انه حقيقة ثابتة ، حتى وان كان متفقا او متطابقا مع النظريات العلمية المعاصرة له . ذلك لان النظريات العلمية خاضعة لاعادة النظر في اى وقت . واضفاء اى نوع من القدسية الدينية او غير الدينية . على اى منها يعوق اعادة النظر فيها . (راجع مثلا مشكلات الانتقال من فلك بطليموس الى فلك كوبر نيكوس وجاليليو ، وايضا مشكلات الانتقال الى نظرية التطور من نظريات ظهور الانسان على الارض السابقة عليها) .

تتضمن صياغات بعض الفلسفات التى تنسب الى نفسها أنها علميه ، مقولات من الصعب ــ ان لم يكن من المستحيل ــ اى توفيق بينها وبين أى تفسير لاى دين .

وبعض صياغات الفلسفة الماركسية تقول بان الكون لا نهائي من الزمان والمكان . وان الله لم يخلقه . وهذا القول ــ بلا نهائية الكون ــ اقحام للفلسفة على العلم . فقضية لا نهائية الكون تقع في اطار علم الكون ، ولا يجوز لفلسفة تنسب الى نفسها انها علمية أن تتخذ منها موقفا مسبقا . اما القول بان الله لم يخلق الكون فلا يمكن قبوله على اساس علمي . لان قضية الخلق ــ كما اسلفنا ــ تقع خارج اختصاص العلم . ويمكن للماركسية أن تترك الباب مفتوحا لمواقف مختلفة من قضية الخلق دون اية مساومة على العلم .



فى فكر الأستاذ المودودى: هل هناك تناقض بين الوطنية والإسلام؟

بقلم: د. محمد عمارة

قبل تقسيم الهند كان « حزب المؤتمر الهندى » يستقطب جمهور الحركة الوطنية الهندية ، واليه انضمت جماهير الوطنيين المسلمين الهنود .. ومن لم ينضم من المسلمين ، ذوى الاهتمام بالعمل السياسى الى « حزب المؤتمر » انضم الى « حزب الرابطة الاسلامية » وكانت للفكرة الوطنية مكانة بارزة ودور محورى فى فكرية كل من الحزبين .. فهما حزبان وطنيان بالدرجة الاولى، همهما الاكبر تحرير الوطن من الاستعمار الانجليزى ، وانجاز مهام الثورة الوطنية ، وإقامة سلطة وطنية ـ بدلا من السلطة الاستعمارية ـ فى الوطن المستقل ـ هندا كبرى ـ كما كان يريد « حزب المؤتمر » ـ أو باكستان المسلمة ـ كما كان يريد « حزب الرابطة » .

وكان خلاف الاستاذ المودودى مع « حزب الرابطة » حول « درجة اسلام باكستان ؟! لكن خلافه الاكبر كان مع « حزب المؤتمر »، فتوجه هذا الحزب « وطنى » ، وهو يريد الهند الموحدة ، غير ملق بالا للتعدد الحضارى لقومياتها ، استنادا الى أنها « وطن واحد » ، وعلى حين كانت دعوة المودودى « اسلامية » كانت دعوة « حزب المؤتمر » « وطنية » .. فكانت هذه « الوطنية » هى حجة الحزب ضد تقسيم الهند ، وضد التعددية القومية ، حتى لقد غدت - « الوطنية » - الفكرية - « الايديولوجية » - التى تجمع التيار الذى يعاديه الاستاذ المودودى . فبلغ فى هجومه عليها - بمعناها هذا - وعدائه لها حدا جعل المديد من صياغاته وعباراته - فى تلك الفترة الزمنية - يوهم الذين لاينظرون الى هذه الصياغات فى ضوء هذه الملابسات بأن الرجل لم يكن مؤمنا « بالوطنية » . وأنه قد أسقط من حسبانه « دائرة الولاء للوطن » الذى نشأ فيه ، لحساب «الاسلام» .. الامر الذى أتاح لمجتزئى النصوص - كما صنعوا مع فكره القومى - افتعال وجود تعارض بين « الوطنية » و« الاسلام » ! ..

لكننا اذا سبرنا غور فكر الرجل حيال « الوطنية » ، فانا واجدون عداءه موجها لها اذا كانت - هى - نقيضا للاسلام ، وبديلا لاسلمة الدولة والحياة ، وسبيلا يستر هيمنة الاغلبية الهندوكية على الاقلية الاسلامية .. مع حدة فى الصياغات احيانا، تحدث لبسا اذا هى لم تعرض على الصياغات الاخرى الاكثر انضباطا فى هذا الموضوع .

ولذلك ، فان منهجنا فى جلاء حقيقة موقف المودودى من هذه القضية يستلزم أمرين :

١ - التنبيه الى العبارات التى بلغت بالحدة ، حد التعميم والاطلاق - والتى صيغت فى مرحلة ما قبل تقسيم الهند ، عندما كانت معركة المودودى الاساسية ضد الحزب الوطنى والفكرة الوطنية، الداعية الى هند واحدة ، باعتبار أن « الوطنية » هى الرباط الكافى لقيام « القومية الواحدة » .. فضد هذه « القومية - الوطنية » - التى سماها المودودى « القومية السياسية » - كانت معركته الكبرى .. وفى هذه العبارات والصياغات مال المودودى الى التركيز على نقد « الوطنية » والتقليل من شأنها ... ينبه منهجنا الى هذه العبارات والصياغات مبرزا ملابساتها .. كما ينبه على عبارات وصياغات أخرى للمودودى ، فى ذات الفترة التاريخية ، لا تنكر أثر « الوطنية »، **لكنها تتحدث عنها كثمرة للاسلامية ، وليست كعامل ومحرك وقيمة مستقلة .. لان النظر اليها بهذا المعنى كان السند والمنطلق لتيار « حزب المؤتمر » الوطنى فى عدائه لاقامة دولة خاصة للقومية الاسلامية بعد الاستقلال .**

٢ - والامر الثانى ، الذى ينبه اليه منهجنا فى هذه الصفحات ، هو أن حديث المودودى عن « الوطنية » ، بعد استقلال المسلمين الهنود بباكستان قد تغيرت لهجته .. فلقد تراءت « الوطنية » ، فى صياغات له ، عاملا فعالا وطاقة فاعلة فى صيانة ودعم وبناء الوطن الجديد ..

• الحكم الصالح •

فى معركة المودودى ضد « وطنية » حزب المؤتمر ، التى حاول بها هذا الحزب نقض مبررات التعددية فى « القومية » والتعددية فى « الدولة » ، اكتسحت « حماسة » المودودى فى طريقها كل ما للوطنية من فضائل مستقلة .. ولم ير فيها الرجل - فى تلك الفترة وأثناء تلك المعركة - سوى عدوه اللدود ؟! .. فكتب تلك العبارة الغريبة ، والبالغة فى غرابتها حد الشذوذ، والتى يقول فيها : « **لوثمة عدو لدعوة الاسلام - بعد الكفر والشرك - فهو شيطان الجنس والوطن (١)** » ؟! .. وهى العبارة التى بدون فهم ملابساتها - التى تحدثنا عنها - لابد وأن نسىء الظن بولاء هذا المناضل العظيم للوطن الذى ولد وشب وعاش فيه ! ..

وفى مواجهة « **الايديولوجية الوطنية** » لحزب المؤتمر ذهب المودودى على درب العداء لها الى الحد الذى أسقط فيه أى قيمة وأى اعتبار « للعامل الوطنى » .. فعنده





فى فكر الأستاذ المودودى :

ان الحكم الصالح هو المطلوب حتى ولو كان الحاكم انجليزيا .. **مهملا التفكير فى امكانية ان يكون هذا الحكم صالحا وغير وطنى ! ومتناسيا ان الوطنية ، فى ذاتها ، نوع ودرجة من « صلاح » السلطة الحاكمة .. كما ان غربة السلطة ، فى ذاتها ، عدوان لابد وان ينافى « الصلاح » ! ..**

يقول المودودى ، فى نص من نصوصه هذه المتميزة بتكثيف المثالب على الفكرة التى يعاديها الى الحد الذى يوقعه فى التعميم والاطلاق وسلبيات «النظرة وحيدة الجانب» ... : «ان القضاء على الاستبداد الانجليزى أمر ضرورى ، بل هو واجب كل فرد يعيش فى هذه البلاد ، ولا يمكن لاى مسلم حقيقى ان يقبل أبدا الخضوع للعبودية والاستبداد .. ولكن يجب ألا ننسى فى ثورة الحماس ان **نظرية المسلمين**، فى معارضة السيطرة الانجليزية ، **تتعارض تماما مع نظرية الوطنيين ، فلو قام العداء بيننا وبين الانجليز على أساس انهم ليسوا من سكان هذا الوطن ، فلايمكن اعتبار هذا عداء اسلاميا ، بل هو عداء جاهلى ، ولو قام العداء بيننا وبين الانجليز على أساس انهم قوم غير صالحين ، يحكمون البلاد بطريقة غير شرعية ، ينشرون الظلم بدلا من العدل ، يقومون بالفساد فى الارض بدلا من الاصلاح ، فهذا بلا شك عداء اسلامى ، ومن هنا تقوم الصداقة والعداوة على أسس معيارية ، لاعلى اسس وطنية** ، فلو قام احد باتباع نفس نهج وسلوك الانجليز ، فلا يمكننا الوقوف بجانبه لانه من مواطنينا ، **اذ لا يوجد فى الاسلام وطنى او غير وطنى** ، فالاسلام يمكن أن يعانق ويحتضن كلا من صهيب « الرومى » وسلمان « الفارسى » ، لكنه لا يمكن ان يقيم صداقة مع مواطنيه من مثل أبى جهل « العربى » وأبى لهب « العربى » ، وهكذا ، **فنحن كمسلمين لا يجب ان نضع أفكارنا فى قالب الوطنية، بل يجب ان تصاغ على أساس العدالة والحق.** ان واجبنا ، كمسلمين ، هو تحطيم قيود العبودية والسيطرة الانجليزية ، ولكن لا يجوز لنا ابدا ان نساعد على قيام مثل هذه الحكومة التى تقوم على نفس الاسس التى وضعتها الحكومة الانجليزية ، سواء كانت حكومة وطنية او غير وطنية..!» (٢).

انه من المفهوم ـ والمشروع ـ فى حالة الاستاذ المودودى النضالية،ذات الخصوصية التى سبق حديثنا عنها ، من المفهوم والمشروع أن يعارض وحدة الهند القومية ، المؤسسة على وحدة الوطن وفكرة الوطنية وحدها.. ولكن غير المفهوم وغير المشروع ان يذهب به العداء **«لصلاحية الوطنية وحدها»** كى تكون قاعدة ومبررا لوحدة الهند ، الى تجريد « الوطنية » من آية صلاحيات .. الامر الذى أوقعه فى العديد من الاخطاء :

● فالوطنية ، بمعنى الولاء للوطن ، فى حد ذاتها « معيار » يقاس به صلاح الحكم وفساده .. وحزب المؤتمر اذا حكم الهند بفكرة الوطنية وعلى أساسها ، لا يمكن أن نساويه مع الانجليز اذا حكموها بذات الفكرة وعلى أساسها .. لاسباب كثيرة اهمها استحالة حكمهم لها بفكرة الوطنية ، لان الوطنية ولاء لوطن ، ووطن الانجليز هو انجلترا وليس الهند .. لقد حكم المماليك ـ وهم ترك ـ مصر .. وحكمها العثمانيون ـ وهم ترك أيضا ـ لكن الخلاف بين السلطتين ـ وهما مسلمتان ـ لا يمكن أن تخطئه العين .. **فولاء المماليك كان لمصر ، يجلبون لها الخيرات ، ويجعلونها مركز سلطنة ودار خلافة .. اما العثمانيون فكانت فى نظرهم مصدرا للجزية ، ومنبعا لدماء التقدم والتحضر الزكية التى نزفوها منها ، فى صورة ارباب الحرف والصنائع والعلوم والفنون .. نزفوها منها ، وحقنوا بها حاضرة سلطنتهم ! .. والفاطميون كانوا أجانب عن مصر ، لكنهم بعد فتحهم لها لم يعودوا كذلك ، فلقد أتوا اليها من المغرب ومعهم ثروتهم ، بل ورفات ابائهم**

واجدادهم ، فكانت وطنهم الذى جعلوه دار خلافة .. ولذلك ، فانهم - رغم خلاف المذهب - كانت دولتهم تسمى « الدولة المصرية » ! .. فالوطنية - بمعنى الولاء للوطن ، والتعمير فيه وله - وليس لمركز آخر - هى ، فى ذاتها ، قيمة و « معيار » من معايير تقييم الحكومات ..

● وليس صحيحا ما قاله الاستاذ المودودى - فى النص موضوع التعليق - من أن التعارض « تام » بين « نظرية المسلمين » و « نظرية الوطنيين » ..فنظرية المسلمين اسلامية .. والوطنية - بمعنى أن الولاء للوطن ، والنضال لتحريره من الانجليز - بعض من هذه النظرية .. وفى هذا الاطار وهذا الميدان - وهو هام - يوجد الاتفاق بين النظريتين .. والاستاذالمودودى ذاته - وفى ذات الكتاب الذى حكم فيه بالتعارض التام بين النظريتين - يقول : **« ان هدفنا كمواطنين هنود هو نفس هدف حزب المؤتمر - اى تحرير الهند - . ان مشاعرنا وعواطفنا معه من اجل تحقيق الاهداف الوطنية المشتركة .. « ٣ » »!**

لكنه الحماس الذي يدفع الرجل الى التركيز على جانب ، حتى لينسى الجوانب الاخرى للقضية موضوع الحديث !..

● ثم ان دولة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فى المدينة عندما احتضنت « صهيب » .. فانما احتضنته وولاؤه للعروبة الحضارية ، ومواطنته كانت فى هذه الدولة ، ولم يكن ولاؤه للروم الكفار .. وكذلك « سلمان » ، فلقد تعرب بالمعنى الحضارى لا العرقى - وغدا ولاؤه للعروبة ، بهذا المعنى ، وكان ولاؤه كمواطن لدولة المدينة ، وليس لفارس المجوسية ! .. ويشهد لذلك أن دفاع النبى عنهما وعن بلال انما قام فى وجه من أراد الانتقاص من عروبتهما ، فنبه النبى على **انهم عرب ، باللغة والولاء والحضارة** والفكر ، وقال : « ليست العربية باحدكم من اب أو أم ، وانما هى اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربى » « ٤ » !

● وكذلك أبو جهل وأبو لهب .. لقد كانا عربيين ، ولكن عروبتهما كانت عروبة الجاهلية العرقية ، وليست عروبة الحضارة التى نجاه الاسلام نزرعها بديلا عن العصبية الجاهلية « المنتنة » ! .. ولذلك فان ولاءهما لم يكن للوطن الذى أنشاه الاسلام، بل ضد هذا الوطن قاتلا فى صفوف المشركين .. فلم تجمعهما « الوطنية » مع المسلمين الذين اقاموا الدولة الجديدة للاسلام الوليد ! ..

لقد كان المودودى ، وطنيا حتى النخاع.. ومناضلا فى سبيل تحرير وطنه - الهند - من الاستعمار . لكن خلافه المبدئى مع « حزب المؤتمر »الذى جابهالفكرة الاسلامية والقومية الاسلامية بالفكرة الوطنية والقومية الوطنية - اى المؤسسة على عامل وحدة الوطن - وحده - قد تصاعد بحماسه الى الحد الذى جعله يفصل بين الوطنية وبين الاسلام .. ولو برئت صياغاته من هذا العيب لقال لنا ان هناك وطنية اسلامية ووطنية هندوكيه ، تناضلان ضد عدو واحد هو الاستعمار الانجليزى ، لحساب يتميز عند كل فريق .. فالوطنية الاسلاميةغايتها **وطن اسلامي للقومية الاسلامية والوطنية الهندوكية يجب أن تكون غايتها وطن هندى للقومية الهندوكية ، وليس - كما يريد حزب المؤتمر - وطن هندى تقهر فيه القومية الهندوكية غيرها من القوميات .. تلك هى الصياغة المثل فى التعبير عن الفكرة الحقيقية للاستاذ المودودى ؟!..**

● دولة عقيدة ●

ولقد ذهب الاستاذ المودودى - فى المرحلة التى سبقت تحرير الهند وتقسيمها - على درب « الفصل » و « التعارض » بين « الاسلام » و « الوطنية » شوطا بعيدا .. فتناثرت فى كتاباته نفس الافكار ، وأخذ يجمع للتدليل على صحتها الوقائع والاسانيد ..

فهو يجرد الدعوة الاسلامية ، والمجتمع الاسلامى الاول والدولة الاسلامية الاولى من « المحتوى الوطنى » فهى - عنده -





فى فكر الأستاذ المودودى :

دعوة عقيدة .. ومجتمع عقيدة .. ودولة عقيدة ـ مبرأة من فكرة الوطنيـــة ونداء الوطنية ودعوة الوطنية .. لكنـــه يستدرك فيقول أن هذه العقيــــدة حققت لأهلها ودولتها . ومجتمعها ما يمكن أن تحققه الوطنية .. (٥)

ولقد كان الاوفق لو أن الرجل قال ان هذه العقيدة ـ فى ذلك المجتمع ـ قـــد تجسدت فى دولة ، تحكم وطنا ، رعيتـه مواطنون .. وأن الدفاع عن « المدينــة » كان دفاعا عن وطن العقيدة وأهلهـــا ..
فليس هناك تناقض بين الاسلام وبين الوطنية الاسلامية ، بل ولا فصل ، وانما التناقض بين « الوطنية الاسلامية » المسلمـــة ، و « الوطنية المشركة » الوثنية .. فما دام الاسلام « دينا » قد أقام « دولة » ، فهو شامل للوطنية التى تجعل ولاء هذا المسلم لوطن هذه العقيدة جزءاً من شـــعائر الاسلام ! ..

تلك كانت ملابسات الصياغات « الاثارية » التى صاغها المودودى عن « الوطنية » وعينه مركزة فقط على « وطنية حزب المؤتمر » ، فجاءت حاملة لقدر من اللبس الذى يتيح لقليلى العلم وسيئى النية أن يصـــوروا الرجل بما هو منه براء !؟ ..

والامر الذى يؤكد تفسيرنا هذا لحقيقة موقف المودودى من فكرة «الوطنية » كقيمة من القيم التى تشد الانسان برباط الولاء والانتماء لوطن من الاوطان ، دون أن تكون بالضرورة سجنا يحول بين الوطنى وبين أن يشمل بولائه ـ المتدرج ـ دوائر أخـرى خلف حدود وطن الولادة والمنشأ ـ .. الامر الذى يؤكد تفسيرنا هذا .. هـو كتابات المودودى نفسه ـ فضلا عن حبه لوطنـه ، الذى حمله مناضلا فى سبيل تحـــريره وترقيته ـ فعنده أن الرسول ، صـــلى الله عليه وسلم ، « قد ترك وطنه مكة وهاجـر الى المدينة مع أصحابه » .. وهذه الهجرة كانت فى سبيل « العقيدة » ، لكنهـــا لا تنفى « الحب الفطرى للوطن » ، الذى كان يعمر قلب النبى وصحبه تجاه وطنهم مكة .. « فقلبه الشريف وقلوب صحابته لم تكن خلوا من حب الوطن الفطرى الذى يولد مع كل انسان ، فقد قال وقت هجرته مخاطبا مكة : « والله انك لاحب البلاد الى ، ولولا ان اهلك أخرجونى منك ما خرجت .. »

ولما وصل سيدنا بلال الى المدينة ألم به المرض ، وهاجت ذكريات مكة فى خاطره . فخرجت من فمه هذه الابيات المشهورة التى امتلأت لوعة وحسرة :

الا ليت شعرى هل أبيتن ليلة
بواد وحولى أذخر وجليـــل ؟
وهل أردن يوما ميـــاه مجنة
وهل يبدون لى شامة وطفيل !؟ .. »

كتب المودودي هذه السطور .. لكن وقفة الشيخ حسن البنا أمامها كانت أجود مـــن وقفة المودودى . فلقد استشهد بها البنـــا

حسن البنا



على أن حب الوطن « فريضة اسلامية لازمة لا مناص منها ، ان يعمل كل انسان لخير بلده ، وأن يتفانى فى خدمته ، وأن يقدمه فى العمل على سواه ، وان يقدم أكبر ما يستطيع من الخير للامة التى يعيش فيها » (٨)

والذين يرون ان « حب الوطن فطرة تولد مع الانسان » ، ولابد أن يروه « واقعا » لا يصادره الاسلام ولا يتجاهله ولا يقفز عليه ·· ولقد كانت « مكة » ــ مع شركها ــ أحب بلاد الله الى رسول الله ، لانها الوطن الذى ولد وشب فيه ·· لكنها لم تكن أحب اليه من الرسالة التى اصطفاه لها الله ! ··

● والمودودى يجيد تصوير العلاقة بين « المسلمين الهنود » وبين «الوطنية الهندية» ، فهم معها ·· وهى جزء من غايات نضالهم ، لكنها ليست نهاية المطاف وكل الاهداف ، كما هو الحال مع « الوطنيين الهنود » ، وانما للمسلمين مرحلة اخرى وغاية أبعد وهى أن تكون « حرية الوطن » سبيلا ــ « أسلمة هذا الوطن » ! ·· « فللمسلمين فى الهند ، صفتان :

الاولى : هى أنهم « مواطنون هنود » ··

والثانية : أنهم « مواطنون مسلمون » ··

وهم يشتركون ، من حيث الصفة الاولى ، مع بقية مواطنى الهند فى كل ما يحصل بالبلاد وما تتعرض له ·· أما فيما يتعلق بالصفة الثانية ، فان قضايا المسلمين قضايا منفصلة تتعلق بالمسلمين والمسلمين فقط دون غيرهم ·· أن الحرية هى هدفنا كمواطنين هنود وكمواطنين مسلمين ·· ــ « أما الوطنيون فقط فيقولون » : ان حرية الوطن لها طريق واحد ، وهو الطريق الذى يمكن أن نسلكه كمواطنين هنود فقط ·» (٩) .

ان اخلاص المودودى لقضية تحرير الهند لاشك فيه ، ففكره ونضاله تجسيد لهذا الاخلاص ·· لكنه كان ينبه على ضرورة التمييز بين وطن اغلبيته مسلمة ، وقوميته مسلمة ، وبين وطن متعدد القوميات ، والقومية المسلمة فيه أقلية ·· ففى الحالة الاولى تكون حرية الوطن ، بلا منازع ، رصيدا ايجابيا يكسب منه المسلمون ·· أما فى الحالة الثانية فان هذه الحرية قد تعنى ــ اذا لم تكن للمسلمين « حاكمية اسلامية » فى الوطن المستقل ــ وقوع المسلمين فى استعباد « حاكمية غيراسلامية » من نوع جديد ! ··

فهو يتساءل : « لماذا ترغب أية أمة فى الحرية ؟! »

ويجيب : « من أجل الحفاظ على نمطها القومى ، ورغبتها فى التطور والرقى ·· »

ثم يستطرد : « ·· انه فى البلد الذى تعيش فيه عدة أمم تتمتع كل منها بنمط قومى مختلف عن النمط القومى للامم الاخرى ، لا يجعلنا نقول : ان حرية الوطن المحضة تعنى حرية كل أمة من الامم ·· فحكم الاغلبية فى هذه الحكومة الحرة سيعنى أن الحرية القادمة ستكون مقصورة على الامة التى تتمتع بالكثرة العددية ، ولن يكون لهذه الحرية أى معنى بالنسبة للامم الاخرى قليلة العدد ·· انها ستتخلص من استبداد الاجنبى لتخضع لسيطرة أمة أخرى من أمم وطنها ·· وكذلك الحال فى تقاسم ثروة هذا الوطن ! » (١٠)

لقد كانت مشكلة المودودى أن قيادة الحركة الوطنية فى الهند ليست فى يد المسلمين ، ومن ثم فان قطار الحرية لن يتجه الى محطة الاسلام ·· ولذلك كان نضال الرجل من أجل قيادة اسلامية ، لا تهجر قطار الحرية ، وانما تجعل من محطاته محطة الاسلام ! ·· فلايجب أن تقع قيادة المسلمين فى يد عبيد الانجليز ، أوفى يد عبيد الهنادكة ، بل علينا أن نحاول جاهدين أن تكون هذه القيادة فى يد تلك الجماعة التى تكون على استعداد لمشاركة بقية الطوائف من أجل تحرير الهند تحريرا كاملا ، على أن تكون هذه الجماعة مستعدة ــ مهما كانت الظروف ــ للتضحية بالمصالح الاسلامية ·· »

تلك هى الصورة الكاملة للوطنية ، كما رآها المودودى ، فى المرحلة التى سبقت استقلال الهند ، وتقسيمها ·· وقيام الوطن المسلم : باكستان ···

● حب الوطن ●

وعندما قامت باكستان سنة ١٩٤٧ ، تحدث عنها المودودى أكثر من حديث



فى فكر الأستاذ المودودى :

الشاعر فى الوطن الذى يهيم به ويتغزل فيه .. فهى ليست مجرد وطن ، « بل هى بيت الاسلام » .. وفيها سيقوم « المثال العمل لفلاح هذا الدين ونجاحه .. ويجب علينا أن نصونها ونحافظ عليها بشتى الطرق وبأى ثمن .. »

ورغم أن مسيرة المودودى فى وطنه المسلم باكستان قد كانت مليئة بالعقبات والاشواك .. ففى هذا الوطن اعتقل لاول مرة فى حياته .. وتكرر سجنه واعتقاله .. وصدر ضده حكم بالاعدام .. الا أن نغمة حب الوطن ، والدفاع عنه قد علت ، دون تحفظات ، فى كتابات المودودى « الباكستانية » .. صحيح انه تحدث بوعى ناضج عن وجوب امتلاء وعاء الوطنية بالمضامين والحقوق الاجتماعية والسياسية التى تحققها الوطنية للمواطنين .. وعن مخاطر ذبول العاطفة الوطنية لدى الفقراء « اذا حرموا من العدل ، وحيث يجعل الظلم الاقتصادى الناس فريسة الفقر المدقع ، واذا افتقد الانسان فى الوطن المكان الذى يحفظ عليه حقوقه وكرامته وعزته وامنه .. »

كل هذا صحيح .. وجيد .. ولكن المودودى ظل يتحدث عن الوطن والوطنية ، وحبه لباكستان ، وصبره على جور حكوماتها ، وعدم يأسه من التغيير والاصلاح .. وكما لو كان لسان حاله هو قول الشاعر :

بلادى ، وان جارت على ، عزيزة
واهلى ، وان ضنوا على كرام .

فهو يكتب الى احد اخوانه رسالة يسطر فيها عن « الوطنية » سطورا مضيئة يقول فيها :

« ... على كل انسان فرض تجاه البلد الذى ولد فيه .. ان وطن الانسان هو مجال عمله ، وهله فطرة وطبيعة ، حيث يعرف الانسان لغة هذا الوطن وعاداته وتقاليده . والان ، اذا كانت الارض ارضا صخرية ، فلنحاول معها ، وعلينا ان نرى هل يمكن ان تنبت البلور او الشتلات ، ام لا ؟! .. »

كتب المودودى هذه الكلمات فى ١١ مارس سنة ١٩٤٩ م .. وكان قد أعتقل اعتقاله الاول ، ولما يمض على قيام باكستان أكثر من ثلاثة عشر شهرا ! .. لكن المحنة .. والاعتقال .. والمخاطر والظلمات التى تكالبت على حلمه الوليد .. لم تجعله يتخلى عن عشق « الوطن » والتغنى « بالوطنية » ..

هوامش

(١) (الحكومة الاسلامية) ص ١٤٩ . طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧ م .
(٢) (المسلمون والصراع السياسى الراهن) ص ٣٣ ، ٣٤ ، طبعة القاهرة سنة ١٩٨١ م .
(٣) المرجع السابق . ص ٥٤ .
(٤) ابن عساكر (تهذيب تاريخ دمشق) جـ ٢ ص ١٩٨ . طبعة دمشق .
(٥) المسلمون والصراع السياسى (الراهن) ص ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٧ .
(٦) اذخر وجليل ومجنة وشامة وطفيل : معالم بمكة المكرمة
(٧) (الحكومة الاسلامية) ص ١٥٦ .
(٨) (رسالة المؤتمر الخامس) ص ٤٥ ومابعدها . طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧ م .
(٩) (المسلمون والصراع السياسى الراهن) ص ٤٥ .
(١٠) (الامة الاسلامية وقضية القومية) ص ٣٧ ، ٣٨ . وانظر كذلك صفحات ٣٣ ، ٦١ ، ٨١ ، ٨٣ ، ١٣٦ طبعة القاهرة سنة ١٩٨١ و (المسلمون والصراع السياسى الراهن) ص ٣٩ ـ ٤١ .



● العقـاد والـزواج ●

● طالعتنا مجلة الهلال الغراء فى عددها الصادر فى ابريل ١٩٨٥ بمقال "العقاد ورأيه فى البغاء والزواج" للأستاذ محمد سيد كيلانى يقول ان العقاد سخر من الشيخ محمود ابو العيون عندما دعا إلى إغلاق بيوت البغاء في مصر ، ولقد طالعنا كل كتب العقاد فلم نجد هذا المقال ولقد كتب العقاد كتبا جاءت فيها احاديث عن الزواج والحث عليه لبناء مجتمع اسلامى وانظر كتاب "حقائق الاسلام واباطيل خصومة من ص ١٤٧ : ص ١٦٨ وانظر كتاب المرأة فى القران ص ٧٢ : ص ٨٤ وانظر كتاب "هذه الشجرة" وهو تحليل نفسى لشخصية المرأة فى القديم والحديث .

والعقاد جاء شعره كله في العمق النفسى والفنى والفلسفى ولم يكن مقلدا بل كان مجدداً ولقد استشهدت كتب كثيرة صدرت منذ عام ١٩٦٠ حتى الآن بنصوص كاملة من كتب العقاد ، اما اذا لم تستطع ان تنال من العقاد فى حياته بل اردت ان تنال منه فى مماته فالعقاد مازال حيا فى كل عقولنا وقلوبنا وهدانا الله واياك لحسن السبيل

رجب عبدالحكيم بيومى الخولى
دار العلـوم ـ القاهرة

● لماذا لم يتزوج العقاد ؟ ● ●●●●●●●●●●●●

● بمناسبة الزوبعة المثارة حول رأى العقاد فى الزواج والبغاء ، نرجو إجابتنا عن هذا السؤال : لماذا لم يتزوج العقاد طوال حياته ، بالرغم من ثبوت قصص حب منسوبة إليه ، كحبه لسارة والممثلة السمراء ، فضلا عما يقال من حبه للأديبة مى ، إلى غير ذلك من قصص الحب التى نجهلها ويعرفها غيرنا ؟!

محمود عبدالعظيم عبدالواحد
أسيـــوط

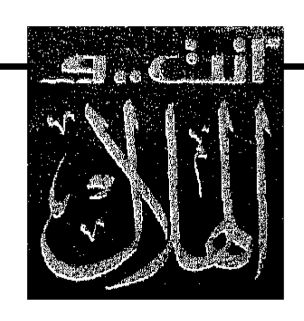
● تعليق شرح العقاد ـ رحمه الله ـ عدم زواجه وعلل ذلك بانه انشغل بمقارعة خطوب الدنيا حتى تجاوز سن الزواج ، ولما فاته قطار الزواج وجد من الصواب الا يدخل فى تجربة زواج فاشل وهو فى سن الكهولة ، وقد كان صريحا فى تبيان هذا المعنى !..

● لماذا التشهير بالعقاد ●

● عاود الاستاذ كيلانى تناول العقاد وتراثه فى عدد ابريل من الهلال ، وهو فى كل ماكتب قصد التجريح والتشهير فى الجانب الاجتماعى الذى يعالج فيه العقاد قضايا المرأة والزواج والاسرة والجنس ، وكان الاجدر به ان يعالج هذا الموضوع من خلال كتابات العقاد فى مجموعها فى مقالاته ومؤلفاته والدراسات التى كتبت عن التراث العقادى فى هذا المجال واهمها "المرأة فى حياة العقاد" للاستاذ الدكتور عبدالحى دياب .

والعقاد فى كتاباته ومؤلفاته عالج هذه القضايا بنظرة موضوعية وشاملة منذ ان عاصر منذ بداية حياته الادبية والفكرية حركة تحرير المرأة المصرية والنهضة النسائية ، واعتبر المرأة قطب الرحى فى المجتمع ودعامة الاسرة وقوتها واعترف بحقوقها وبأن النهضة لاتتم دونها ، فكتب فى "خلاصة اليومية" يقول : "لا ينبغى ان يقتصر الغرض من تربية البنت على تعليمها كيف تكون زوجة الا اذا كنا نعلم الفتى فى المدارس ليكون زوجا ، والواجب ان نعنى اولا بتعليمها ماتنشأ به امرأة قادرة على النهوض بنصف اعباء الهيئة الاجتماعية" . وكان موقفه من هذه القضايا جامعا بين الاصالة والمعاصرة ، محافظا على التقاليد والآداب الاجتماعية والشرائع السماوية من ناحية ، ودافعا بقلمه لحركة المرأة والاسرة فى طريق التقدم العصرى من ناحية اخرى .

ولم يكن العقاد معارضا لالغاء البغاء فى المجتمع المصرى ، بل انه نظر الى هذه الظاهرة النظرة العلمية للباحث الاجتماعى الذى يربط الظاهرة باسبابها فكتب عن هذه الظاهرة فى خلاصه اليومية "كان البغاء يكثر او يقل حسب اشتداد تلك القيود ـ يقصد القيود الاجتماعية ـ او ارتخائها تبعا لاعتداد الرجل بقوته البدنية او قلة قيمتها عنده" ويستطرد الى القول "اذا بحثنا عن علة لهذا البغاء فلا نبحث عنها فى الرجل او المرأة فانهما لم يتغيرا فى طبيعتهما عن ذى قبل ، انما نبحث فيما تغير من تلك القيود والحدود .. والذى علينا ان ننتظر حتى يهيىء المجتمع نفسه كما يلائم هذه الحال او تحدث لنا قيود جديدة فى موضع تلك القيود المنحلة" وهذا الكلام كتبه العقاد سنة ١٩١٢ سابقا بسنوات طويلة حواره مع الشيخ محمود ابو



العيون . دفعاه ضرورة تغيير المناخ والظروف التى تؤدى الى ظهور هذه الظاهرة فى المجتمع ، وان العلاج يكون باحلال قيود وضوابط اخلاقية بدلا من القيود المنحلة . فالخلاف بين العقاد وابو العيون لم يكن على مبدأ الالغاء وانما على توقيته وظروفه كى لا يستغل هذا المطلب استغلالا سياسيا فيه قدر من الاتجار والمزايدة بالدين ، وهذا مارفضه العقاد من الشيخ «ابو العيون» .

وهو يرى ان الزوجية ليست شركة بين اثنين وانما هى وظيفة اجتماعية يشترك كل من الزوجين فى اداء حصتها من الفرائض والتكاليف ويحق للمجتمع ان يفرض القوانين التى تمكنه من الاشراف على امانة هذه الوظيفة ولو دعا الامر الى الحد من حرية الرجل والمرأة التى تفرض لهما وهما فردان مستقلان .

وكان العقاد يرى فى فقدان الشعور بالانتماء الاسرى نقصا خطيرا فى شخصية الانسان وتكوينه فكتب فى ذلك يقول "اذا فقد الانسان هذا الشعور الحميم لم يكن قصارى الامر عنده ان يعانى نقصا بيولوجيا يؤثر فى الغريزة والعقل ويدل على ان المسألة فى اصولها مسألة الحياة لا مسألة الاوضاع والانظمة والقوانين ، فالاسرة ضرورة انسانية وحيوية واجتماعية تحمى الانسان الفرد وتحقق مطالبه الانسانية والبيولوجية

وينظر نظرة المفكر الاجتماعى الى تشريعات الاحوال الشخصية عندما يثار بحثها فى اوائل الستينات فيرى ان تنظيم العلاقات الزوجية عمل حسن دعت اليه اطوار الحياة العصرية .. واحسن مافى التشريعات التى طرحت وقتها انها مطابقة للنصوص الدينية مع مطابقتها لمطالب الزمن وللمصلحة الاجتماعية وللنظرة السليمة الى حقوق الرجل والمرأة فى الحياة الخاصة والعامة ، وفى كتابه "الفلسفة القرآنية" يتناول احكام الشريعة الاسلامية عن المرأة والزواج والميراث كاشفا عن عظمة التشريع الاسلامى وقدرته على ملاءمة العصر ومتطلباته .

وعندما تعرض لموضوع سيئات تعدد الزوجات دعا الى ضرورة حماية المرأة والاطفال الصغار تلك الخلائق الضعاف ووقايتهم من الشعور باليأس من الانصاف فى البيت والمجتمع ، وحمل حملة على اساءة استعمال حق الزوج فى تعدد الزوجات ، وانتهى الى ان هذا الحق اذا كان يساء استعماله

ذنب لاحد الزوجين فذنب المرأة اسوأ من ذنب الرجل الذى قبلت ان تعيش فى كنفه مع ضرتها .

عمرو عبدالمنعم حموده
برما - مركز طنطا - محافظة الغربية

● الطِّمَأنِيْنة ●



تَسَّاقطُ الأوراقُ مِن عُمْرِ الرَّبِيْعِ المُنْتَهى
والأمْنُ قد أضحى مُحَالْ
غَيْمٌ وريُحٌ ومَطَرْ
صفصافَةٌ مالَتْ إلي رَيْحَانةٍ
غَنَّتْ وقالتْ : لا خَطَرْ
فالمَوتُ إحياءٌ لمَنْ ضَلَّ المَنَالْ !!!

عبدالرحيم الماسخ
بجع الماسخ / المراغه / سوهاج

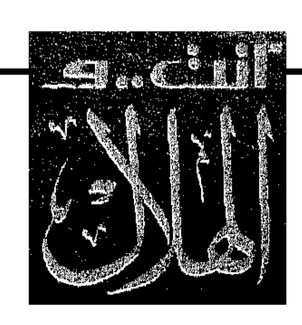


● مواقف متناقضة لنوال السعداوى ●

● تدافع الكاتبة د / نوال السعداوى فى (مذكرات طبيبة) عن المرأة كعقل وذكاء وعلم ، وكذلك تسعى الى تحطيم القيود التى تعوق تحررها ومساواتها بالرجل ، فالمجتمع الشرقى يفهم المرأة على انها للمتعة الحسية فقط ، بالاضافة الى أن الرجولة شرف وامتياز ، والأنوثة ضعف ومهانة على حد قول الكاتبة .

من هذا المنطلق ، يحاول الرجل الشرقى السيطرة على المرأة كأنها قطعة أرض يمتلكها !! . وهذا وهم بحجة أن المرأة فى وسعها مشاركة الرجل فى الحياة .

وتبين (مذكرات طبيبة) مواقف متناقضة للكاتبة إزاء الرجل ، اذ تهاجمه تارة (ماأقبح الرجل ، من خارجه ومن داخله أشد قبحا) ص ٢٥ (ماأتفه مايملأ عقول الرجال وعيونهم) ص ٢٦ ، (لماذا ينهار الرجل هكذا أمام رغبته ؟ لماذا تتلاشى إرادته بمجرد أن يغلق عليه باب مع امرأة ، فيرتد حيوانا أعجم يمشى على أربع ؟ اين قوته ؟ أين عضلاته ؟ أين زعامته ؟)



وتبالغ الكاتبة فى ازدراء الرجل (وتكاثر حولى الرجال كالذباب) ورغم ذلك . فالكاتبة تبحث عن الرجل فى نفس الوقت : (والسرير أصبح باردا واسعا مخيفا . والعملاق لا يريد أن ينام ، والنجاح ليس له طعم ، والشهرة ليس لها معنى ، والمال مجرد أوراق ميتة لاتدب فيها الحياة)
كما أن (مذكرات طبيبة) تحمل فى طياتها مواقف متناقضة تجاه العلم . فالكاتبة اعتنقت العلم بدعوى (أنه إله جبار قوى عادل يعرف أسرار كل شىء) ، (أثبت لى العلم أن المرأة كالرجل ، والرجل كالحيوان ... المرأة لها قلب ومخ وأعصاب كالرجل تماما ، والحيوان له قلب ومخ وأعصاب كالانسان تماما ... ليست هناك فروق جوهرية بين أحد منهم ، انما هى فروق شكلية تتفق جميعا فى الاصل والجوهر)

وتقول نوال السعداوى : (ان الحياة تسير الى الأمام ... تسير ببطء ، ولكنها ستبلغ حتما ماتريد ... لقد انقضت ملايين السنين حتى أصبحت الهيولى هواء ، وحتى أصبح الهواء ماء ، وحتى أصبح الماء جمادا ... وانقضت ملايين أخرى حتى أصبح الجماد أميبا تتحرك ، وحتى أصبح للاميبا زوائد حية ... وانقضت ملايين أخرى حتى صار للزوائد زعانف ثم صارت الزعانف أجنحة ، ثم لتصبح الأجنحة آذرعا وذيولا ... وانقضت ملايين أخرى ليصبح للاذرع أصابع ولينقرض الذيل ويقف القرد على اثنتين)

ومع أن الكاتبة تؤكد على أهمية العلم وحقائقه ، كما هو واضح من خلال عباراتها السالفة ... الا أنها تتبنى موقفا معاكسا ، ومن خلال أقوالها (لقد حطم العلم ايمانى القديم ، ولم يهدنى الى ايمان جديد ، وأدركت أن طريق العقل الذى عاهدت نفسى أن اسلكه طريق ضحل قصير فى نهايته سد كبير) والأدهى أن الكاتبة تؤكد على أن (ثرثرة العلم القاصر العاجز) تفسد وجه الطبيعة الساحر الجميل .

كم كنا نود أن تدعو الكاتبة الى تحطيم القيود التى تقلل من شأن المرأة وتعوق حريتها دون ازدراء الرجل واحتقاره . فالمرأة انسان كالرجل تماما . وكنا نطمح الى عدم الاقلال من شأن العلم ومنجزاته التى لا ينكرها سوى الاعمى وعلاوة على أن مواقفها الفكرية غير المتناسقة كما أوضحناها .

لا تجعل القارىء يفهم ، أى الاتجاهات الفكرية تنحاز اليها الدكتورة نوال

محمد ابراهيم على
مدرس فلسفة بالثانوية الصناعية بفاقوس

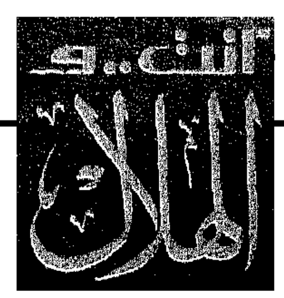
● الاستسلام للجمال ●●●●●●●●●●●●●●

طفولتى الشرسة تسألنى
هل أحمل علما أبيض بين يديك ؟
وتطيّرنى ألغامك ورصاصات عيونك
تصبح فخا يخشى هربى منك اطمئنانى فى عينيك
تنتفض الطفلة تحمل كل مُنى الجوع
الراغب أن يتطهر بعذابات البشرية
تسألنى فلتكتبنى / حرفا فى قنبلة الدهشة
والحب الثاقب حين يكون فجائيا
طِرْ بى نتدفق فى اللا وطن
حَمَلا مفترسا قدريا
خذنى الآن إلى أحضانك / بوداعة نمر
إنى جائعة لأظافر أحلامك / نأوى فيها سويا
تحرقنى تشربنى / نارا ترفض ماقيل
بأن الحب جبان وبراءة (قيس) فى محكمة الحب و (ليلى)
أستسلم لجمالك ينهشنى / أتدحرج لعيونك
تشربنى / فوق الخنجر نمشى / والعالم يتدارك أنا
فوق صليب القصف
نتصاعد فى صلوات السيف
الصاعد فى مملكة الجمهور ومملكة النبل قضيه
خارطة للوطن العودة وهويه

جمال محمد فرغلى
أسيـوط

● ديوان شاعر ●

● أرسل إليكم بأربع قصائد إلحاقا بقصيدتين سبق لى ارسالهما ، وإنما أرسلت إليكم هذا القدر من القصائد لأننى قررت نسخ قصائدى المتناثرة



والتى بلغت ديوانين أقدمها إلى الهيئة المصرية العامة للكتاب بعد طول سبات فى الأدراج !..

فؤاد سليمان محمد
منيا القمح

ـ نرجو لكم التوفيق مع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ونرجو الخير لكم فى عودتكم إلى الشعر بعد طول انصراف .. و « مبروك » صلحكم مع شيطان الشعر !!..

● حوار مع أصدقائنا ●

● نادية كيلانى :

ـ قصيدتك « عطرها » ينقصها استقامة الوزن فى بعض الأبيات ، فضلا عن أن قصيدتك هذه مجرد مواعظ منبرية تقدمينها لبنات حواء .. وهذا ليس من الشعر الحقيقى حتى لو استقامت أوزانه .. فالشعر شىء غير المواعظ ..

● **محمد أبو ظاهر ـ فلسطين :**

ـ قصيدتك « زهرة فى ربيع العمر » ينقصها الوزن فى جميع الأبيات !..

● **سمير طنطاوى ـ كلية الطب بطنطا :**

ـ قصيدتك التى عنوانها « توازى » صحيحة الأوزان ولكن ينقصها روح الشعر ، فاجتهد ولا تتعجل النشر ، ولا تجعل عاطفتك خارج أوزانك وقوافيك ..

● **سيد محمد عودة ـ المعهد الفنى التجارى بالروضة :**

ـ قصيدتاكم صحيحتا الوزن ـ ولا تتعجل النشر .. ونرحب برسائلكم دائما .

● **جمال عبدالباسط أحمد ـ الاسكندرية :**

ـ زجلك الذى عنوانه « باحبك يامصر » نعتذر إليك من عدم نشره لأننا مجلة للأدب العربى الفصيح .. ولعلك تجد لأزجالك مكانا فى الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية .. وقد سبق أن نبهنا إلى هذا الأمر فى الأعداد الماضية ..

● **عصام ضاهر نجدى عبدالنبى ـ بلقاس :**

ـ قصيدتكم عن الرشوة ينقصها الوزن وإن لم ينقصها السخط على تفشى الرشوة فى بعض الأوساط .. وماهى بلدتكم ؟.. لقد كتبتم أنها « بلقس » فهل تقصدون « بلقاس » ؟!.. اهتموا باللغة والنحو ، أما الوزن فمازلتم بعيدين عنه جدا ، مع الأسف !..

● **عبدالمطلب مرسى عبده ـ ادفو شرق :**

ـ نعم .. تقع أحيانا أغلاط مطبعية فى الهلال وفى غيره من الصحف ، ونحن نحاول أن نتحاشاها بقدر المستطاع .. ولا تشغل بالك كثيرا بما يجىء فى الأساطير الفرعونية من أسماء الآلهة الوثنية ..

● **حزين عمر :**

ـ قصيدتكم « فصل من التاريخ الخاص » .. تحتاج إلى ثمانى صفحات من الهلال ، ولا نستطيع تخصيص هذه المساحة لأية قصيدة مهما كانت جودتها ، وبهذه المناسبة نستميح الشعراء عذرا فى عجزنا عن نشر القصائد المطولة فى جميع الحالات ..

● **محمد شكرى سويرجو ـ غزة ـ فلسطين**

ـ تشطيركم لقصيدة عزيز أباظة « يامنية النفس مانفسى بناجية » تشطير لابأس به ، ولكنا نعتذر من عدم نشره لطوله فقط ، وليس لأنه تشطير ، لأن التشطير الجيد فن لابأس بابتعاثه من جديد بعد موته أو ركوده !..

● **السادة الفضلاء : أشرف صالح .. مجدى عبدالنبى .. محمد عبدالعزيز بكلية الحقوق فى القدس .. خالد عرفات .. جهدكم فى القصة واضح ، ولكن مازال هناك الكثير قبل أن نهنئكم على تمام النضج فى هذا الفن الذى يبدو سهلا ، وماهو بسهل كما يبدو !..**

● ونحيى أطيب تحية ونعتذر لضيق المقام من عدم النشر إلى السادة الأصدقاء : زكى محمود محمد .. أحمد حمدى البدراوى .. حاتم جوعية .. رمضان الهجرسى .. درويش الأسيوطى .. محمد ابراهيم الفرحاتى .. محمد عبدالرحمن قطب .. عادل أنور محمد شاهين .. السيد سعد الجزايرى .. بهاء الدين حسن .. رفعت محمد بروبى .. أيمن على دسوقى ..

ونرجو أن نلتقى بأصدقائنا هؤلاء وبالأصدقاء الاخرين فى أعداد قادمة إن شاء الله .

● ملحوظة : نرجو أن تكون الرسائل أو القصائد مكتوبة على وجه واحد من كل ورقة وبخط واضح ، مع توضيح الاسم والعنوان .. مع الإيجاز بقدر الإمكان

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدأ أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب

القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١ .

اسعار البيع للعدد

سوريا	٥٠٠ ق . س	اديس ابابا	٤٥٠ سنتا
لبنان	٥٠٠ ق . ل	باريس	١٢ فرنكا
الأردن	٤٠٠ فلس	لندن	١٠٠ بنس
الكويت	٥٠٠ فلس	ايطاليا	١٥٠٠ ليرة
العراق	١٠٠٠ فلس	سويسرا	٣,٥ فرنك
السعودية	٥ ريالات	اثينا	١٠٠ دراخمه
السودان	١٠٠ ق سودانى	فيينا	٣٥ شلنا
تونس	٦٥٠ مليما	فرانكفورت	٤ ماركات
المغرب	٨٠٠ فرنك	كوبنهاجن	١٠ كرونات
الجزائر	٦٥٠ سنتا	ستوكهولم	١٤ كرونه
الخليج	٤٥٠ فلسا	كندا	٢٥٠ سنتا
غزة والضفة	٤٠ سنتا	البرازيل	٣٥٠ سنتا
الصومال	٥٠ بنى	نيويورك	٣٠٠ سنت
داكار	٤٠٠ فرنك	لوس انجلوس	٣٠٠ سنت
لاجوس	٦٠ بنى	استراليا	٤٠٠ سنت
اسمره	٤٥٠ سنتا	هولندا	٤ فلورينات
اليمن الشمالية	٦ ريالات	عدن	٢٥٠ فلسا
بلجيكا	١٠٠ فرنك	اسبانيا	٢٥٠ بيزيتا

الهلال

يونيه
سنة ١٩٨٦

الثمن
٥٠ قرشا

● المسلمون .. إلى أين؟ د. كمال أبو المجد

● عالم الإسلام (جزء خاص)



من روائع الفن الإسلامى

احدى لوحات الفنان العربى المعروف باسم الشيخ محمد ترجع الى القرن العاشر الهجرى الذى شهد عصر الصفويين الذهبى لفن المنمنمات . وتصور المنمنمة مشهدا من قصة « مجنون ليلى » . حيث يبدو العاشق العربى وهو يرسل نظرة والهة الى حبيبته الواقفة عند مدخل خيمتها .

الهلال

السنة الثالثة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال أسسها جورجى زيدان سنة ١٨٩٢ ـ
أول يونيو سنة ١٩٨٦
٢٤ رمضان سنة ١٤٠٦

صورة الغلاف :



صلاح جاهين مغنى
سنوات الزهو والانتصار ص ٥٢

نموذج لكتابة القران بالخط الكوفى
فى القرن الثالث الهجرى

فى هذا العدد

● عالم الإسلام : جزء خاص ●

● فكر وثقافة ●



عبد الوهاب عزام
سفير العروبة ص ٦٤



الطوق والاسورة
بين الفيلم والاسطورة ص ١٣٠

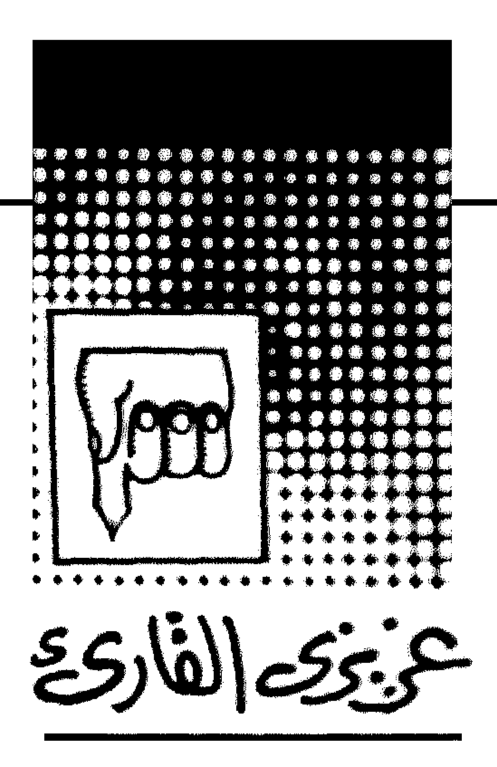


قصة الرقص الافرنجي
في مصر ص ٩٦

● دراسة الهلال ●

● شعر وقصة ●

● الأبواب الثابتة ●



الشخصيات الدينية على الشاشة الصغيرة

شهر رمضان المعظم يوشك أن يتم تمامه ، وعيد الفطر السعيد على الأبواب .. كل عام وأنتم بخير ..

تغير وجه الثقافة العامة فى مصر والبلاد العربية فى زمن وجيز ! .. مازلنا نذكر كيف كان الاحتفال الثقافى بشهر رمضان بين الثلاثينيات والخمسينيات ، يقتصر على " حديث رمضان » تنشره الصحف يوميا ، وتبثه الاذاعة ليلا أو نهارا ..

الآن اتسع المجال الثقافى المتاح للجماهير العريضة ، فقد تعددت وسائل الاعلام وتطورت وفرضت سيطرتها الهائلة على عقول ملايين الناس وأذواقهم وأخلاقهم وأحلامهم واعمالهم .. إن التليفزيون يشد الانسان المعاصر من عقله ووجدانه إلى حيث يراد له أن يقف من قضايا عصره الثقافية والسياسية والاجتماعية والدينية .

والثقافة التى يتلقاها الانسان المصرى المسلم فى شهر رمضان ، صارت موضوع جدل كثير ، ومحور هذه الثقافة ما يبثه التليفزيون والاذاعة وتكتبه الصحف طوال الشهر .. ولم يكن لهذا الجدل وجود قبل هذا الاتساع الهائل للامكانات الاعلامية الذى يبتلع الجماهير ابتلاعا ..

لقد أصبح التليفزيون ينبوع الثقافة فى عصرنا ، وانفرد التليفزيون المصرى ـ بعد الاذاعة ـ بابتكار اسلوب خاص فى البث الثقافى طوال شهر رمضان ، حتى

صار هذا الشهر الكريم شهرا للثقافة التليفزيونية والاذاعية .. ولا بأس بذلك ، فإن التطور يفرض نفسه .. ولكن لنا ملاحظات .

فالطابع الدينى هو طابع الارسالين التليفزيونى والاذاعى طوال شهر رمضان ، وتفوز المسلسلات والتمثيليات والأفلام الدينية بنصيب الأسد . وتتناول تاريخ الاسلام كله تقريبا ، من الأندلس إلى الهند ، ومن أوزبكستان إلى السودان .. وتخص تاريخ الدعوة النبوية وغزواتها وأبطالها من صحابة النبى صلى الله عليه وسلم ، باهتمام كبير وتقدير بارز ..

إلا أن أكثر النقاد يتفقون على أن المسلسلات والتمثيليات الدينية قد فشلت حتى الآن فى تجسيد التاريخ الاسلامى وعظمة أبطاله ، وبخاصة مايتعلق بالصدر الأول ، من بداية الدعوة النبوية إلى آخر عصر الخلفاء الراشدين .

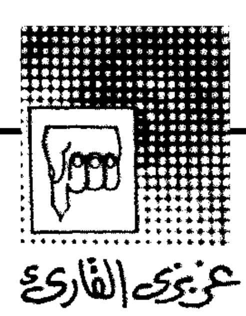
لقد شاهدنا أفلاما عربية ذات مستوى عالمى تناولت التاريخ العربى المعاصر ، مثل فيلم « عمر المختار » .. وشاهدنا أفلاما أخرى جيدة المستوى مثل « وا إسلاماه » و « الناصر صلاح الدين » ..

ولكن الأفلام والمسلسلات التى تناولت تاريخ الدعوة النبوية والصدر الأول كانت أشبه بالمونولوجات والديالوجات والمواعظ ، وغلب عليها أسلوب « التقرير » و« الخطابة » والميلودراما الساذجة ..

إن الأفلام الدينية المسيحية التى أخرجتها هوليود ، كانت من أعظم الأفلام فى تاريخ السينما العالمية .. أما عندنا ، فيقف دون إبراز تاريخنا الدينى فى الأعمال الفنية « فرمان » صارم يمنع تمثيل الأنبياء وصحابتهم فى الأجهزة الثقافية الحديثة التى يمكن أن تؤدى للاسلام أعظم الخدمات لو أتيحت لها عندنا الحرية المتاحة لأمثالها فى أوربا وأمريكا .

إن لدينا قاعدة رقابية معروفة ، تنص على أن الصحابة رضى الله عنهم لايصح ظهور شخصياتهم تمثيلا على الشاشتين الكبيرة والصغيرة والمسرح .. ولا يصح أن ينطق الممثلون بألسنتهم حتى لايقال إنهم هم الذين يتكلمون ، وإنما ينطق الممثل حكاية عنهم ، أو نيابة عنهم ! ..

ولكن هذه القاعدة تطبق بحسب الظروف فإن خالد بن الوليد ـ وهو الصحابى الجليل ـ سمحت الرقابة قبل عشرين عاما بظهور شخصيته تمثيلا فى فيلم يحمل اسمه ، ثم رأينا شخصيته فى بعض المسلسلات والتمثيليات ..



كذلك رأينا شخصيات أبى ذر الغفارى ، وابن مسعود ، وبلال ، وعمرو بن العاص ، والعباس بن عبد المطلب ، وعكرمة ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وعبيدة بن الجراح وغيرهم .. ولكن شخصيات الخلفاء الراشدين الأربعة ممنوع تمثيلها ، وكذلك شخصيتا الحسن والحسين .. فضلا عن شخصيات الأنبياء عليهم السلام من نوح إلى ابراهيم إلى موسى إلى عيسى ، وكل نبى ورد ذكره فى القرآن الكريم ..

وكانت لجنة الفتوى بالأزهر قد أفتت منذ سنوات بعدم جواز تمثيل الأنبياء والصحابة وأمهات المؤمنين ، حتى إن بعض الأعمال الأدبية مثل مسرحية « الحسين شهيدا » لعبد الرحمن الشرقاوى ظلت ممنوعة من التمثيل مدة طويلة بالرغم من تعديلها وتحويل شخصية الحسين عليه السلام الى شخصية راوية يتحدث نيابة عن الحسين فى تكلف ليس له مثيل فى المسرح العالمى كله !

وهناك حالات اعترضت فيها الرقابة على هذا العمل الفنى أو ذاك لأسباب تتعلق كلها بالفتوى الصادرة عن لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ، ولكن الرقابة تسمح بظهور شخصيات أعداء الدين .. من فرعون وهامان إلى أبى لهب وأبى جهل ، فيرى المشاهد هذه الشخصيات المناوئة للدين ، ولا يرى الأنبياء والصحابة الا من خلال شخصيات بديلة هزيلة تتحدث نيابة عنهم فلا يقتنع بها أحد ..

نحن نعرض لهذه المسألة أو هذه المشكلة بمناسبة شهر رمضان وما نشاهده فيه على شاشة التليفزيون ونسمعه من الاذاعة ولا ندرى اتكون الرقابة على خطأ أم على صواب فى منع تمثيل تلك الشخصيات العظيمة التى لايتم تصوير تاريخ الاسلام إلا بتمثيلها أدق تمثيل على النحو الذى فعله الأوربيون والامريكيون بتاريخهم الدينى ..

وفى رأينا أن المسيحية فى اوربا وأمريكا قد استفادت من تمثيل هذا التاريخ فى المسرح والسينما والتليفزيون .. ودعك مما كتبوه فى الصحف بمنتهى الحرية والتوسع .. ولم يستفد الاسلام بمنع تمثيل شخصيات عظيمة بالغة الأهمية فى صدر تاريخه .. حتى إن صدر التاريخ الاسلامى يبدو على الشاشة مفككا غير مقنع للمشاهد المحايد ، أو الخالى الذهن ، أو حتى للمشاهد المسلم ! .. فالخطب الرنانة والهتافات المدوية وصليل السيوف وما إليها من « المؤثرات

الصوتية » .. لاتدخل فى باب الفن .. وقد صارت جماهير المشاهدين ذات خبرة فنية لايصح أن يستهين بها أحد .

نحن لانطلب إلى الاذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح فى مصر ، اللحاق بأوربا وأمريكا فى هذه المجالات الفنية ، فذلك مالا يمكن إدراكه بسهولة .. ولكننا نلفت انظار أهل الاختصاص إلى أن المسيحية فى أوربا وأمريكا ، وكذلك اليهودية الصهيونية ، بل والهندوكية والسيخية والبوذية وغيرها من الملل ، حتى ما كان منها ملفقا حديث العهد كالبهائية والقاديانية قد استفادت من الامكانات الجبارة للتليفزيون والاذاعة والسينما لتدعيم عقائد أهلها وجمع شملهم واغراء الناس بالدخول معهم ومؤازرتهم .. أما نحن فمازلنا نخشى هذه الأجهزة الحديثة ونتعامل معها فى معالجة تاريخنا بطريقة تجعلنا نخسر ولا نكسب ..

وقد انتهز بعض محترفى كتابة التمثيليات والقصص هذه الفرصة ، فغمروا الأبصار والأسماع بانتاجهم التليفزيونى والاذاعى عن الاساطير الفرعونية والاسرائيلية والصوفية وشتى القصص العجيبة التى لاتخدم الدين ، بل تجر الناس الى المتاهات الفكرية وتبلبل نفوسهم وتملؤهم حيرة ! ..

فهل يصح فى الرأى أن يفوتنا عصر الأقمار الصناعية فى الدعوة إلى الإسلام مع أن أهل الأديان الأخرى قد وطئوا بأقدامهم أديم القمر الذى نعرف به نحن مواقيت صومنا وافطارنا وحجنا وأعيادنا . ولم تعترض هؤلاء الناس فتوى تعرقل صعودهم إلى الفضاء ؟! ..

نحن ننظر بتفهم تام إلى الاعتبارات التى جعلت فتوى لجنة الأزهر الشريف تسيطر على الانتاج الفنى المتعلق بتاريخنا .. ولكن نسأل : لماذا تسمح الرقابة بتمثيل بعض الشخصيات الصحابية وتمنع بعضها الآخر ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « أصحابى كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم » ؟! ..

ثم نسأل : أيكون تاريخنا الى نقصه أم إلى تمامه ، إذا توسعنا فى التصوير الصحيح لأبطال صدر الاسلام ؟!

فى رأينا أننا قادرون على التمام فى هذا المجال .. ولكن الخوف ـ وهو أكبر عيوبنا ـ يعود علينا بالنقص .. كأننا الذين عناهم أبو الطيب المتنبى بحكمته القائلة :

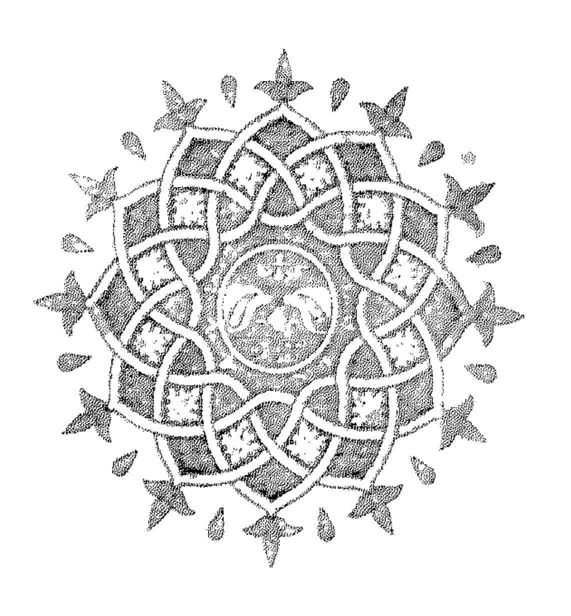
ولم أرا فى عيوب الناس شيئا
كنقص القادرين على التمام





بقلم: د. أحمد كمال أبو المجد

من غرائب حياتنا الثقافية والسياسية المعاصرة ان الحديث لاينقطع عن مظاهر الازمة التي نواجهها كامة .. وعن صور التحديات القادمة من الخارج او النابعة من الداخل والتى تهدد استقلال ارادتنا فى مواجهة الاخرين ، وصور العجز الذى اصبح يلازم حياتنا كلها ونحن نحاول التصدى لتلك التحديات.. ومع ذلك فان هذه الاحاديث تتوقف وتنقطع فجأة اذا بلغت الخط الفاصل بين الحاضر القائم والمستقبل القادم .. كان فى عقلنا ووجداننا خصومة مع المستقبل تحول بيننا وبين التعامل معه او مجرد التفكير فيه . وحين يتحدث المخططون وراسمو السياسات الاقتصادية والاجتماعيه عن الاخطار الهائلة التى تنتظرنا فى مستقبلنا القريب، فان عقلنا الجماعى ، ووجداننا العام لا يكادان ينفعلان بهذا الحديث او يأخذاه ماخذ الجد، كانما استقر فى عقيدتنا أن قوة قدرية غالبة ، سوف تتدخل فى الوقت المناسب لتردهذا المستقبل عنا ، وتمنع وصوله ـ بكل ما يحمله ـ الينا ، ولتضمن لنا استمرار الحاضر الذى ألفناه وعرفناه ، وجربنا التعامل معه.



ولو ان هـــذا الموقف العجيب كان موقف العامة وحدهم لهان الامـــر ولقلنا ان استشراف المستقبل والتفكير في صورته يحتاج الى الوان من رصد الظواهر وتحليلها يتاح أكثرها لغير العلماء والمتخصصين .. ولكن المشكلة الحقيقية تكمن فى أن أكثر المثقفين والمتخصصين من العرب والمسلمين لا يزالون مشدودين الى الماضى ، مشغولين بهمومه مختلفين حول قضايا جزئية وفرعية تذهلهم عن الظواهر الكبرى والمعالم الاساسية لمسار التطورين المحلى ، والعالمى الذى تسارعت خطاه على نحو مخيف تحت تاثير الثورات العلمية والتقنية وما حققته من تقدم هائل في وسائل الحركة ، وادوات الانتقال والاتصال ولانريد ان تستدرجنا الشكوى من هذه الظاهرة الثقافية العجيبة الى حديث طويل حول ابجديات التخطيط وأوليات التفكير فى المستقبل وتصور معالمه .. وانما حسبنا أن نقول ان منهج التعامل مع المستقبل يقوم اساسا على اركان ثلاثة :

اولا : معرفة الواقع معرفة موضوعية دقيقة ، ورصد ظواهره ومكوناته الأساسية .

ثانيا : تحديد الوزن النسبى لكل من هذه الظواهر والمكونات ، ورصد حركة كل منها واتجاه تلك الحركة وسرعتها ورسم صورة للمستقبل القريب تصنعها هذه الظواهر والمكونات المتحركة حين تعبر من عالم اليوم الى عالم الغد .. متفاعلة متشابكة ، ومحكومة بقوانين الحركة ، واتجاهها وسرعتها ..

ثالثا : محاولة التحكم فى صورة المستقبل عن طريق « التدخل » فى حركه الظواهر القائمة تدخلا تمليه وتحدد وجهته مجموعة الاهداف الاساسية للمجتمع ، ومجموعة القيم التى يراد لها ان تستمر وان تنتقل مع الزمن من الحاضر الى المستقبل .. وتلك التى يراد لها أن تتراجع وان تسقط ..

● ظواهر اساسية ●

ولانستطيع فى هذه السطور القليلة ان نستعرض الظواهر العديدة لواقع المسلمين ، فضلا عن ان نرصد اتجاه حركتها وسرعة هذه الحركة .. ولكننا نستطيع مع ذلك – ان نشير الى عدد من الظواهر الكبرى التى لابد ان يكون لها دور مؤثر فى تحديد صورة المستقبل .. والتى تحتاج من اجل ذلك الى ان نتعامل معها وأن نحاول التدخل فى مسارها، والتاثير – بهذا التدخل – على صورة المستقبل الذى ينتظرنا ..

ان فى مقدمة هذه الظواهر التى تصنع صورة حاضر المسلمين ، الامور الاتية :

١ – استمرار الانكفاء على الماضى عند محاولة التعامل مع ظواهر الحاضر ◄

جزء خاص عن:
عالم الإسلام

وغلبة المنهج الدفاعي الذي يحاول الاعتصام بحرفية النصوص « ابقاء على جوهر « الذات الحضارية » في مواجهة محاولات الاقتلاع ، والتذويب، وتصفية الوجود الحضاري المميز ٠

٢ـ تناقص الوزن السياسي والاقتصادي للشعوب المسلمة ، وتزايد السرعة التي يجرى بها هذا التناقص في اعقاب تصفية الدور السياسي والاقتصادي « للنفط » وتزايد اعتماد الدول المسلمة على الدول الكبرى اقتصاديا وعسكريا وسياسيا ٠

١ ـ توقف اسهام المسلمين في حركة التقدم الانساني وتجمد مظاهر الابداع في مجالات العلوم المختلفة ٠٠ واتساع الفجوة بين شعوبهم التي تنتمي اليوم الى ما يسمى « العالم الثالث وبين الدول المتقدمة التي تحتكر القوة العسكرية والاقتصادية ، وتكاد ـ لذلك تحتكر التأثير في توجيه حياة الشعوب الاخرى ٠٠ ومنها الشعوب المسلمة ٠

٤ ـ تراجع المد الوحدوي بين الشعوب المسلمة ٠٠ وهي ظاهرة ساهمت في خلقها أسباب عديدة بعضها يرجع الى اوضاع البنية الداخلية للشعوب المسلمة ذاتها ، مثل تناقص الاحساس بمعني « الامة » الواحدة بمفهومها الاسلامي القائم على وحدة العقيدة ووحدة الرسالة والالتزام بالتكافل الاجتماعي والسياسي وما تقتضيه من واجب « النصرة » لرد العدوان والمحافظة على مصالح الجماعة ، ونشر الدعوة الاسلامية ومنها ما يتعلق بانتشار نظم للحكم قامت تاريخيا في ظل اوضاع التجزئة المستمرة ، بحيث صار تثبيت تلك التجزئة والمحافظة عليها هو السبيل الوحيد لاستمرار تلك النظم في حكم « الكيانات المجزأة » ، ولممارستها خصائص السيادة وطقوس الدولة ، ومنها كذلك ما احدثه ظهور النفط وما فتحه من ابواب الثراء الواسع المفاجيء من خلق فجوة « غنى » بين الدول المنتجة للنفط وتلك التي لانفط عندها ، وهي فجوة ترتب عليها احساس خاطيء بتناقض المصالح بين الدول النفطية المسلمة وتلك التي تواجه مشاكل التقدم والتنمية محرومة من هذا « المصدر « الجيولوجي » للثراء السريع ٠٠ والى جوار هذه الاسباب الداخلية تراجع المد الوحدوي بين الشعوب المسلمة . عملت كثير من القوى الكبيرة خارج الدائرة الاسلامية ، على محاربة كل توجه صادق وجاد لتحقيق اية صورة من صور « التوحد » بين اجزاء العالم الاسلامي ٠٠ تارة بتحريك اسباب الخلاف ، واذكاء نارها حين يبدأ الخلاف ٠٠ على نحو ما نرى في الحرب العراقية الايرانية ٠٠ وما نرى في لبنان ٠٠ وفي سائر انحاء العالمين الاسلامي والعربي ٠٠ وتارة بخلق نماذج « زائفة » « وكاذبة » للتوحد الاسلامي ، يشارك فيها من لا يؤمن بالوحدة الحقيقية ، في تثبيط الهمم ، وصرف الجهود عن المشاركة في أي عمل وحدوي صادق وحقيقي ومؤثر٠٠ وليس ما يجرى على الساحة الاسلامية ـ من هذه الناحية ـ بعيدا او مختلفا عما يجرى على الساحة العربية اذ الامران ـ في النهايه ـ خادمان لنفس المصالح ، ومسخران

لتحقيق مصالح نفس القوى الداخلية والخارجية ..

● غياب الشورى ●

٥ ـ غياب الشورى ، وافتقاد المشاركة الشعبية في توجيه مسار الحياة العامة في الاغلبية الكبرى من الدول المسلمة .. ومع التسليم بتفاوت درجات هذا الغياب من بلد مسلم الى بلد آخر .. فان غياب هذه المشاركة ، قد مكن القوى صاحبة المصلحة في استمرار تخلف العالم الاسلامي ، واستمرار تمزقه من متابعة «مخططها» الذى يجرى تنفيذه بوعي ودراسة ، او بالعمل المتواصل النشيط لحماية مصالحها المناقضة لمصالح الشعوب المسلمة..كذلك فان غياب « المشاركة الشعبية » قد حرم الشعوب المسلمة من ضمان إساسى من ضمانات النجاح في مواجهة التحديات والمشاكل الكبرى وترك مستقبلها كله ، وهنا بفوضى التجربة والخطأ والاجتهاد الشخصى الذى تمارسه انظمة ومؤسسات تتصور أنها قادرة « برايها الواحد » واجتهادها القائم على غير منهج .. على تحقيق مصالح الرعية ومواجهة تحديات الحاضر والمستقبل جميعا .. وهو تصور مدمر لا يمكن أن تكون عواقبه الا استمرارا للتراجع ، وتثبيتا للازمة، وتعقيدا للمأزق السياسى والحضارى الذى تعيشه الشعوب المسلمة ..

● الصحوة الاسلامية ●

٦ ـ والى جوار هذه الظواهر التى تحاصر « الحاضر الاسلامى » والتى تجعل حركته نحو المستقبل محملة بكل ظواهر العجز واسباب التعثر التى رصدناها فى واقعه .. فان هناك اتساعا ملحوظا فى « دائرة القلق » الواعى بهذه الظواهر جميعها .. كما أن هناك نشاطا متزايدا وحركة متنامية على الساحة الاسلامية يهدفان الى وقف تيار التراجع وتزكية عناصر القسوة والرشد المؤذنة بمواجهة تحديات المستقبل بمزيد من الرؤية الواضحة والاهداف المحددة والعمل المكثف المنظم الذى تقف وراءه روح جديدة من الوعى بالذات،والوعى الموضوعى لحقائق التحدى ، والحوافز القوية للبذل والعطاء والاستشهاد. وهذه الظواهر النشطة المتداخلة هى التى نسميها ويسميها الباحثون فى حاضر العالم الاسلامى «الصحوة الاسلامية».

ولقد كثر الحديث عن الصحوة الاسلامية « داخل العالم الاسلامى وخارجه .. بل ان غيرنا قد كانوا اسبق الى هذا الحديث ، واشد اهتماما برصد مظاهر هذه الصحوة وتحليل اسبابها ومحركاتها .. وكان اهتمامهم مشوبا بالقلق ،ممزوجا بالرغبة الكامنة فى رؤية هذه الصحوة تخبو وتموت .. أو تتعثر وتنزلق باصحابها الى مسارات جانبية وقضايا هامشية تستغرق طاقتهم وتستنفد اوقاتهم ، وتبدد قوة الاندفاع الاولى لمواجهة هذه الصحوة ، حتى يتيسر احتواؤها وتصفيتها فيبقى المسلمون على ما هم عليه من حيرة وتمزق وياس وعجز عن النهوض والحركة .. ويظل مكانهم على خريطة المستقبل مكانا هامشيا تابعا .. وتظل اجيالهم تنتظر دورة جديدة من دورات التاريخ يتاح لهم فيها أملا جديد من آمال النهضة والانبعاث ، بعد ان تكون الفجوة بينهم وبين سائر الامم والشعوب قد زادت اتساعا ، وصار عبورها اشد صعوبة وعسرا ..

على ان هذه الصحوة الاسلامية قد افرزت على ساحة الواقع عديدا من الظواهر يعبر بعضها عن توجه اصيل نحو تأكيد الذات الثقافية ، والتحقق ◄

جزء خاص عن:
عالم الإسلام

بمظاهر الخصوصية الحضارية .. نزوعا الى الاستقلال وأملا في اقامة مشروع للتقدم والنهضة يستمد القائمون عليه حوافزهم الحركة من روح الاسلام .. كما يستمدون موقفهم من تحديات العصر ومشاكل المجتمع من « التصور الاسلامي الشامل » للانسان ووظيفته في الكون ومسئوليته امام خالقه عن تعمير الدنيا وهداية اهلها ..

ومع ذلك فان الجماعات التي ترفع شعار « تطبيق الاسلام » وبناء النهضة الجديدة على اسس من مبادئه قد اتخذ بعضها وجهة أخرى ، محركها الاول الغضب على « الواقع » واحد منطلقاتها الرئيسية الاحتجاج على مسيرة حياة المسلمين بعيدا عن مبادىء الاسلام .. وقد عبر هذا الاحتجاج عن نفسه بصور مختلفة منها الانسحابي الرافض الذي يميل باصحابه الى العزلة وهجر المجتمع الذي يحمل سمات الانقياد لتصورات اساسية ، مخالفة للتصور الاسلامي .. ومنها العدواني الذي نذر نفسه لمحاربة كل ما حوله من اوضاع اجتماعية وسياسية لاتتفق مع تصوراته الذاتية عن الاسلام .. متصورا ان اقامة احكام الاسلام وعباداته لا يمكن ان تتحقق الا اذا سويت الأرض بما عليها ، وجرى هدم كل ما فوقها من ابنية ومؤسسات ونظم .. ثم اعيد بناؤه من جديد .. ووقع بعض ممثلي هذا التيار في خطأ اخر حين شددوا على انفسهم وعلى الناس وحين اتبعوا في دعوتهم اساليب لا تخلو من العنف والمخاشنة واقتحام خصوصيات الناس ، وتعقب عوراتهم .. فوقعت بينهم وبين كثير من الناس جفوة ، وقام بينهم وبين كثير من مؤسسات الدولة سوء ظن متبادل . هم يتهمون « المجتمع » ومؤسساته بالجاهلية .. والمجتمع يتهمهم بالخروج على نظمه وقوانينه كما يتهمهم بالسعي لاقامة نموذج حياتي مستمد من الماضي وحده متجاهلين الاف المتغيرات التي تحيط اليوم بمسيرة الشعوب الاسلامية ، عاجزين لذلك ، عن تقديم اجابات مقنعة وحلول صحيحة لمشاكل لم يكن كثير منها موجودا في عصور الاسلام الاولى ..

والى جانب هذه العثرات ، فقد تعرضت حركة الانبعاث الاسلامي الجديد لموجة هجوم كاسح بدأ بتشويه صورتها ، وتضخيم عيوبها وعثراتها ، والصاق عديد من التهم بدعاتها .. مع حرص على تعميم هذه التهم بحيث تصيب كل داع للاسلام مناد بتطبيق قيمه ومبادئه .. وحرص ماكر شديد المكر على الخلط المتعمد بين بعض الظواهر النادرة والعثرات التي تقع فيها روافد ضئيلة بين روافد تيار الانبعاث الاسلامي وبين التيار الواسع العريض الذي يمثل هذه الصحوة الجديدة .

● تشويه الصورة ●

ولقد كانت ثمرة ذلك كله ان اختلطت الامور في عقل عامة المسلمين ووجدانهم ، واستولت الحيرة عليهم ودب ديبب اليأس في قلوب كثيرة منهم وهم يرون الصراعات السياسية والاجتماعية والفكرية تستغرق العالم

الاسلامي على امتداد ساحته ٠٠ويرون الدنيا من حولهم تتحرك بخطى سريعة واثقة ٠٠ وهم غارقون في هموم بعضها قديم لم يفرغوا منه ، وبعضها جديد لا يعرفون الطريق الى مواجهته والتعامل معه ٠٠

واذا هم يتساءلون - في اشفاق ووجل - عن مكانهم على خريطة المستقبل ٠٠ وعن مسيرتهم في الغد٠٠ الى اين ؟؟

ولا نستطيع ان نزعم - في هذه السطور القليلة - اننا قادرون على تقديم جواب واضح وحاسم عن هذه الاسئلة ٠٠ وانما حسبنا أن ننبه - في غير رفق ولا مجاملة - الى حجم المخاطر الهائلة التي تنتظرنا نحن المسلمين في مستقبلنا القريب ان نحن تركنا عناصر التراجع والضعف العامة في حاضرنا تنمو وتستقر وتقتحم معنا أبواب المستقبل .

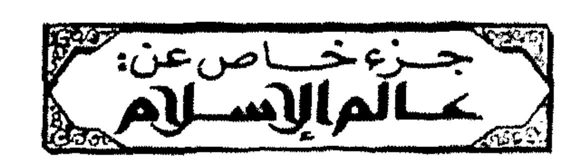
وان ننبه - فوق ذلك - الى المداخل الرئيسية لتغيير الواقع القائم وفتح ثغرة في الجدار المسدود الذي يوشك ان يغلق في وجهنا ابواب النهوض والانبعاث والتقدم ، وان يغتال ما بقى في ساحتنا من فرص قليلة لتدارك ما فات واللحاق بالشعوب الكثيرة التي سبقتنا الى احتلال مواقع القيادة والتاثير على خريطة المستقبل ٠٠

ونعود فنطرح على انفسنا السؤال الذي لابد من طرحه - على مرارته وقسوته - وهو هل لنا مكان في هذا العالم الجديد ؟؟

● حضارة المستقبل ●

والجواب الذي نقدمه ان الاختيار المطروح امامنا لم يعد اختيارا بين اللحاق والتخلف ٠٠ فلقد مضى زمن هذا الاختيار ، وصار الاختيار الوحيد المطروح اختيارا بين الوجود المستقل المشارك في حركة الحياة ٠٠ والوجود التابع الذليل الذي تضيع معه الذاتية، ويتحول اصحابه - مهما كانت امجادهم القديمة - الى موال يخدمون الاخرين ٠٠ وقد تنمو حضارة المستقبل على اكتافهم وجهودهم ، ولكنهم لن يكونوا أبدا من صناعها ولن يعرف التاريخ لهم كيانا مستقلا عن سادتها الذين يحتكرون معرفة قوانينها ويقودون - وحدهم - مسيرتها ٠٠ ان خطر الانهيارين الحضاري والسياسي للعرب والمسلمين خطر حقيقي لا يمكن ان تجدي في ابعاده شبده شعارات الدنيا كلها ، واحاديث الماضي وامجاده واماني انتظار النصر الموعود لخير امة اخرجت للناس ، اذا كان هذا الانتظار لايصاحبه عمل، ولاتتحرك بسببه همة ولا يسعى اصحابه الى تغيير ما بانفسهم ٠٠ ناسين ان الله تعالى ليس بينه وبين احد نسب وانه القائل :





فاوفوا بعهدى اوف بعهـــدكم واياى فارهبون » .

اما المداخل الرئيسية لتحقيق دخول المسلمين الى المستقبل دخولا يجددون به مكانتهم بين الناس والشـــعوب ، ويستانفون به ما انقطع من عطائهم القديم لمسيرة النمو والتقدم والعمران والهداية .. فحسبنا أن نذكر منهـــا امورا ثلاثة :

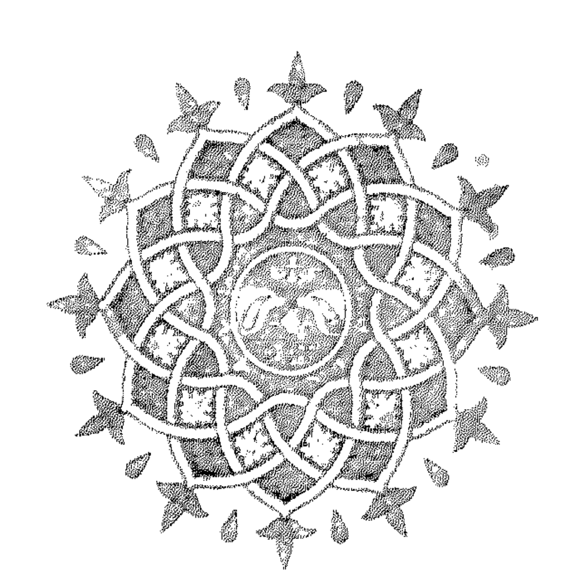
المدخل الاول :

الارتحال ! العقلى والنفسى من الماضى الى المستقبل .. ومن العزلة والانكفاء على الذات الى الانفتاح على العالم . ومن الجمود على الموجود الى البحث الحر فى الافاق .. وتلك ـ عنـــــد التامل ـ ثورة ثقافيه حقيقية لابد منها حتى يهتز النسيج الحضارى لامتنـــا التى تعيش مرحلة « بيـات ثقــافى واجتماعى وسياسى .. طال مداه .. وهى ثورة لا يقدر عليها الا جيـل من الشباب .. قدماه فى الارض ، ورأسه فى السماء .. جذوره تأخذ من الماضى .. واغصانه تسابق الدنيا الى المستقبل القريب والبعيد .. ولن يقدم الشباب على هذا الجهاد الجديد الا اذا وجـد ذاته من خلال تراثه ، والا اذا استمد من «عنوزه على تلك الذات» واندفاعه الى دوره الحضارى المرتقب حافــزا للحركة والانبعاث .. ومصـدر امـل واسع رحب الافق فى مستقبل يحقـق له مزيدا من السـعادة ، ومزيدا من الاحساس بقيمة الذات » .

اننا ندعو الى هذا الارتحـال من الماضى الى المستقبل ونحن نعلم حـق العلم ان هذا الماضى كان ولا يـــزال سجل حضارتنا بمكوناتها كلهـــــا وتجاربها الممتدة عبر القرون ، وهـــو زاد لا يستغنى عنه العقلاء ســــواء كانوا او غير مسلمين .. ولكن هـذا الماضى بـــكل ما فيه ينبغى أن يحضر الينا ولا يجوز أن « نرجع » نحن اليه ، وفرق بين الامرين عظيم لان التجارب الانسانية تزخر بكل ما هو جديد واهل الحاضر يملكون أن يطلوا ـ من نافذة الزمن ـ على الماضى بكل ما فيـــه .. اما السابقون والماضون فلم يكن لهم الى معرفة الحاضر والمستقبل سبيل ، فضلا عن ان يكون لهم فيه رأى نافـــذ وقول غير مردود .

المدخل الثانى :

الخروج من اسر الوهم القديم الذى وضع امتنا كلها ـ وعلى امتداد قرون طويلة ـ أمام خيار كاذب خاطىء بين العقل من جانب ، والنصوص الدينية من جانب اخر .. وادى بنا فى النهاية الى التهوين من مكان العقل ومكانته فى حياتنا الوجدانية والعمليـــة ... وادى بنا الى الذهـــول عن كثـــير من القوانين العلمية التى تحكم الطبيعة والمجتمع ، وحال بيننا وبين التعـــامل مع كثير من هذه القوانين .. وجعـــل كثيرين من بيننا يتصرفون فى حياتهم كما لو كانت الدنيا كلها مجموعة من الصدف العابرة والجزيئـــات التى لا يحكمها ناموس كما جعل كثيرين من « المؤمنين » يتعبدون فى حياتهم كلها بالنصوص ، لا يتجاوزون ظاهرهـــا



وينفرون اشد النفور من محـاولات النظر في عللها ومقاصدها والمصالح التي تسعى لحمايتها .. وانتهى الامر ببعضهم الى الاعتقاد بأن « التجديد » في الفقه ، والاجتهاد عن طريق النظر في تجدد الحاجات واختلاف الازمنة والامكنة افتئات على صاحب الشريعة، وتدخل في « الحاكمية التي ينفرد بها .

ولقد آن الاوان لكي نعلن على انفسنا من جديد ، وبصوت عال لا تحجبه عن الاسماع صيحات الخائفين والمترددين : ان العقل ينبغي ان يعود في حياتنا كلها الى عرشه الذي أنزل عنه في عصور التراجع والانتكاس . والاسلام يعلمنا ان صاحب « العلم » هو صاحب الشريعة وان واهب العقل هو الموحي بالنقل » .. وان الرواية ، اى رواية النصوص الدينية ، لا تغنى عن الدراية (اى معرفة العلل والمقاصد ووظائف التشريع واهدافه .. ولنعلم شبابنا وابناءنا ان يقرءوا – في خشوع – كتاب الله المنزل على رسوله، وان يقرءوا – في خشوع مماثل – واستشراف مرهف ، كتاب الله المثبوت في الكون .. ايات بينات .. تدل على القدرة والرحمة والعلم واللطف والوحدانية ..

ان كارثة تنحية العقل ومطاردته وقفل ابواب الاجتهاد امامه ينبغي ان ترفع عن كاهل هذه الامة حتى تستطيع عمل شيء – اى شيء للخروج من بياتها الحضاري الطويل

المدخل الثالث :

انه لا مجال – بعد الان – لعزلة المسلمين عن العالم .. والدعوة الى هذه العزلة « تاجيل » موقوت لساعة اللقاء بين المسلمين والدنيا الواسعة التي تحيط بهم..فالحواجز بين الناس والشعوب قد اسقطت الثورةالصناعية جانباً منها .. ثم جاءت الثورة في وسائل الاتصال فأسقطت بقيتها الباقية ولقد اخذ الزمن يتسارع ، وأصبح التقدم العلمي يتم قفزا وانطلاقا..ومن ابتعد اليوم عن ركب الحياة ضاع . وقتلته الحيرة .. وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية .. والحكمة – بعد ذلك كانت – وينبغي ان تظل – ضالة المؤمن..واكثر مايقدمه العلم من ادوات ووسائل واسلحة ، يستطيع المسلمون أن يوجهوها وجهة الخير ، وان يوظفوها لاشاعة « الرشد والقسط » ..

ان الدعوة الى العزلة ، مهما اختلفت شعاراتها ومبرراتها ، هي في حقيقتها دعوة الانتحار الحضاري لانها تعزل أصحابها بكل ما يحملون من قيم وما يملكون من طاقات خارج دائرة الحركة والصراع .. وهي وحدها الدائرة التي تحتاج الى جهد المسلمين والى معالم حضارتهم .. ان التجارب الانسانية – منذ الان سوف تقع كلها في ساحات مكشوفة .. والتبادل الثقافي والحضاري بين الناس والشعوب سوف

يجرى ـ هو الاخر ـ فى ميـــــادين مفتوحة ·· لاحجب بينها ولا حواجز ·· وعلى مسلمى هذا الزمان والازمنـــة المقبلة ان يخوضوا تجربتهـــم ويؤدوا دورهم فى اطار هذه الشــــروط التى فرضتها مرحلة النمو العـلمى والتقنى التى وصلت اليها المسيرة الحضـارية للانسان ·· ولهذا فان عددا هائلا من انماط سلوكنا واساليب عملنا الفردى والجماعى تحتاج ـ اليوم ـ الى اعادة نظر عاجلة ··

فاسوار الحماية والوصـــاية على السلوك الفردى لم تعد اسـلوبا تربويا فعالا ·· وانما صارت قضية تنميـــة الاحساس بالمسئولية ، وتشجيع الاقدام على ممارسة الحرية ، هى البـــدائل الشرعية الوحيدة فلا وقت هنـــاك ـ ولامكان «الستر الحديدية» التى تنمو وراء جدرانها العالية بذرة الحضارة ·· اننا لا نجادل فى شرعية الهواجس والمخاوف التى تدعو كثيرين الى التحـذير من الاندفاع فى رفع اسوار الحمـــاية عن مجتمعات المسلمين، وهى مخاوف ترجع فى مجموعها الى الاشفاق من تســلل قيم وتصورات وانماط سلوك وعلاقات مناقضه للاسلام يذهب معها « تميزه » وتضيع فى غمارها «ذاتية» حضارته وجوابنا أن المكن الوحيــد فى دفــع هذه المخاوف هو تعميق الاحســــاس بالمسئولية الحضارية والمســارعة الى اعادة ترتيب الاولويات فى منـاهـــج الدعـــوة والتربية والتعليم ، بحيث تتميز الاصول عن الفـروع ، والثوابت عن المتغيرات ·· وبحيث يكون «العقل المسلم» و«الوجدان المسلم» و«الضمير المسلم» ، حراسا حقيقيين لجوهـــــر الحضارة ·· يقومون مقام الاســـوار العالية التى لم تعد قادرة على الصمود وبعد ····

فان التاريخ محايد ، والمســـتقبل لا يجامل ولا يحابى ، والحق ـ سبحانه ـ يتعامل مع عباده كلهم بالعدل والقسط بعد ان سن السنن ووضع الميزان ··

والمسلمون ـ كما نرى ـ على مفترق طرق تلتقى بداياتها لتفترق بعـد ذلك اشد الافتراق ·· واقع المسلم محمل بمظاهر الضعف والعجز وسقوط الهمة عن محاولة اللحاق بالاخرين ·· ولكن فى الافق ـ مـــع ذلك ـ بارقة امـل لا ينبغى ان تغيب ·· وهـــو امل معلق بخيوط ينبغى على جيلنا ان يتعـــرف عليها وان يمسك باطـــرافها قبــــل الا يستطيع الوصول الى تلك الاطراف ولقد ذكرنا بعض هذه الخيوط ···

ونحن نلمح وســـط تيـــار الحيرة العريضه الذى يحيط باكثر المسـلمين بشائر موكب جديد يتجمع أصحابه ومعالم وجه مشرق جديد تتخلق قسمـاته ·· موكب الاتقياء الاقوياء العقـــلاء ·· ووجه الاسلام الذى يعمر الكون ويبنى الحياة ثم يسير بها تحت ظـــلال قيم الخير الخالدة ·· العدل والرحمـــة والسماحة واصلاح ذات البين والايثار

واصحاب هذا التيار الجديد مطالبون فى غير هوادة ـ بأن يسرعوا الخطى، وان يشحذوا العزم ·· وان يبـــادروا بالخروج الى الناس ·· فهم ـ وحدهم جواب الاسلام عن هذا السؤال الكبير ·· المسلمون الى اين ؟

٣٧٠ مليونا
عدد الأقليات المسلمة فى العالم

يصل عدد الاقليات المسلمة فى العالم الى حوالى ٣٧٠ مليون مسلم ، ويقدر الباحثون عدد الاقطار التى تضم أقلية اسلامية بسبع وخمسين وحدة اسلامية، وبعضهم الاخر يقدر عدد تلك الاقطار بخمسين دولة فقط .

ومن أهم العوامل التى تحول دون تقديرات صحيحة للاقليات المسلمة فى العالم :

● عدم اهتمام كثير من الدول باحصاء الاقليات الدينية ، بحجة ان مثل هذه التعدادات تؤدى الى مشكلات طائفية .

● يلجأ كثير من المسلمين فى الدول الشيوعية الى اخفاء عقائدهم وشعائرهم الدينية ، حتى يكونوا بمنأى عن الاضطهادات ، ولا يحرموا من الوظائف الكبرى والحساسة .

● يعيش معظم المسلمين فى اقطار نامية ، لا تجرى احصاءات حيوية ، خاصة بعدد المواليد والوفيات ، وعدد افراد الاقليات الدينية المختلفة وقد قدر عدد السكان المسلمين والاقليات المسلمة فى العالم عام ١٩٨٥ على النحو التالى بالمليون :

المسلمون فى الدول الاسلامية

آسيا	٤٧٠
افريقيا	٢٢٣
اوروبا	٢
الامريكيتين	—
استراليا	—
المجموع :	٦٩٥ « ٦٥٪ »

الاقليات الاسلامية

	٢٨٢
	٧٠
	١٥
	٤
	٣٠٠ الف
المجموع :	٣٧١٫٣ « ٣٥٪ »

ويتزايد عدد سكان المسلمين فى العالم ما بين ٢١ الى ٢٥ مليونا فى السنة .

الاقليات المسلمة فى آسيا

يقدر عدد الاقليات المسلمة فى آسيا بنحو ٢٨٢ مليونا اى بنسبة ٦٣٪ من اجمالى عدد المسلمين فى آسيا ، وتضم الهند نحو ١٠٠ مليون مسلم ، والصين الشعبية ٩٥ مليونا والاتحاد السوفييتى ٦٩ مليونا .

ويتعرض بعض مسلمى آسيا الى الاضطهاد والمذابح ، كما هو الحال فى الاتحاد السوفييتى والفلبين وتايلاند والهند .

● الاقليات المسلمة فى افريقيا ●

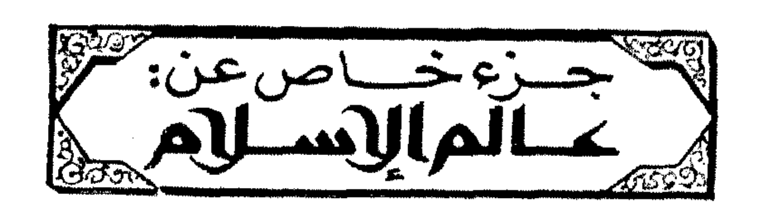
يقدر عددهم باكثر من ٧٠ مليونا اى بنسبة ٢٤٪ من مجموع المسلمين فى افريقيا ، وتزيد نسبة المسلمين فى شرقى افريقيا لقربها من شبه الجزيرة العربية، ولقدم الهجرات الاسلامية اليها .

اما فى أوروبا فيصل عدد الاقليات المسلمة الى نحو ١٥ مليونا ، يعيش منهم فى يوغوسلافيا وحدها اكثر من خمسة ملايين ، ويعيش فى بلغاريا اكثر من ٢٫٥ مليون مسلم ، يتعرضون لضغوط تصفية خطيرة .

كما يقدر عدد الاقليات المسلمة فى الامريكتين بما يقرب من اربعة ملايين مسلم ، وهم يعانون من مشكلة التشرذم، بسبب الخلافات الاقلية التى حملوها معهم من أوطانهم .

وفى استراليا ٣٠٠ الف مسلم، ويوجد بها ٥٥ جمعية اسلامية و ٣٥ مسجدا ومركزا اسلاميا .

وفى الوقت الذى يزيد فيه عدد المسلمين فى العالم على مليار و ٦٦ مليون مسلم . فقد قدر عدد المسلمين فى العالم فى أوائل يناير ١٩٥٥ بنحو ٤٠٠ مليون مسلم كان أكثرهم فى آسيا « ١٥٠ مليونا » وتليها افريقيا « ١٠٠ مليون » والاتحاد السوفيتى « ١٠٠ مليون » والاتحاد اقليات فى أوروبا .



المسلمون والتيارات الدولية المعاصرة

بقلم: عبد الرحمن شاكر

● لم يكن في مقدور المجتمع الاسلامى، أن يبقى بمعزل عن التطورات الحاسمة التى شهدتها أوربا والقارة الأمريكية خلال القرون الثلاثة الأخيرة التى تحقق فيها الانقلاب الصناعى، وتبعه ماتبعه من تطور واسع النطاق. فى النظم والمفاهيم السياسية والاجتماعية والفكرية، فقد بدأت النهضة الأوربية والدولة العثمانية ـ كبرى الدول الاسلامية فى ذلك الحين ـ دولة أوربية بمعنى من المعانى، حيث كانت تضم ممتلكاتها شطرا كبيرا من شرق أوربا، والمقابل، فمع النهضة الأوربية تجاريا وصناعيا وعلميا، شرع كثير من القوى الأوربية فى وضع أيديها على أجزاء من العالم الإسلامى بدءاً من الهند التى كانت تعتبر امتدادا له، إلى إفريقيا السوداء التى كانت ولاتزال مسلمة فى معظم أجزائها أو كثير منها على الأقل، انتهاء إلى قلب العالم الاسلامى ذاته وهى المنطقة العربية الممتدة من العراق والخليج إلى المغرب العربى فى افريقيا ●

كان التداخل والتلاحم حربا وتجارة ، والتأثر والتأثير لامفر منهما على نطاق واسع شديد التشابك والتعقيد . بيد أن التفوق الأوربى الذى هيأته الصناعة وامتلاك ناصية العلوم الحديثة . قد جعل نصيب العالم الاسلامى من التأثر أكثر بكثير من نصيبه من التأثير ، وتبع ذلك سقوط كثير من مؤسساته التقليدية وفى مقدمتها الخلافة الاسلامية ذاتها بسقوط دولتها الكبرى والأخيرة : الدولة العثمانية .

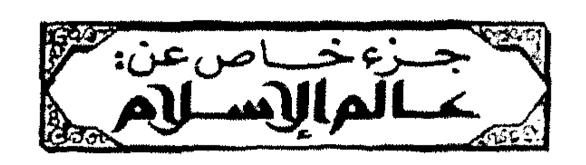
وخلال ذلك وقبله وبعده ، وحتى الآن لايزال المجتمع الاسلامى مضطرا إلى التعامل مع مجموعة من المفاهيم السياسية الرئيسية من صنع أوربا ، وله مع كل منها تاريخ حافل بالسلب والايجاب والتناقض فى أحيان كثيرة ، انطلاقا من المأزق الذى وجد ذاته فى مواجهته ، من الاحتياج إلى الاستحواذ على عناصر القوة الأوربية الجديدة ، المتمثلة فى العلم والصناعة ، مع استمرار الشعور بالحاجة إلى التخلص من وضع التبعية ، والرغبة فى المحافظة على أصالته وهويته التاريخية المميزة .

● الديمقراطية والتعامل معها ●

ولعل أول المفاهيم السياسية التى اضطر العالم الاسلامى إلى التعامل معها هو فكرة الديمقراطية ، التى سادت المجتمعات الأوربية والأمريكية المتقدمة ، والتى جعلت من " الاستبداد الشرقى " عنوانا على التخلف والانحطاط ، وهو الطابع الذى كان يطبع نظم الحكم ، ليس فى الدولة العثمانية وحدها ، بل فى كل مايليها شرقا إلى الصين واليابان ، بما فى ذلك أجزاء من أوربا ذاتها ، وخاصة فى شرقها ، كالقيصرية الروسية على سبيل المثال .

ولقد اكتسبت كلمة " الدستور/ " ـ وهى كلمة فارسية قديمة دخلت العربية ، وأعيد إحياؤها لتعنى الحكم النيابى ـ سمعة مدوية فى كل ارجاء العالم الاسلامى ، باعتبارها أساسا للتخلص من ربقة " الاستبداد الشرقى" وتحقيق مشاركة " الرعايا" على الأقل فى حكم أنفسهم بأنفسهم . كانت هى شعار الثائرين فى مصر من أيام أحمد عرابى ، إلى الثائرين فى تركيا ذاتها أيام الانقلاب العثمانى ، ولم يكن مصطفى كامل يجد تناقضا بينها وبين دعوته إلى الجامعة الاسلامية بمعنى بقاء الرابطة من الدولة العلية ، وكانت هى محور صراع "الوفد المصرى" بقيادة سعد زغلول ثم مصطفى النحاس ، ضد السراى .

وإذا كان عبد العزيز فهمى ، قد وصف دستور عام ١٩٢٣ فى مصر بأنه ثوب فضفاض على الأمة ، فبالرغم من استنكار القوى الديمقراطية لتلك العبارة باعتبارها دعوة إلى تعزيز الاستبداد على حساب سيادة الأمة فإن الحقيقة الموضوعية كانت تقف إلى جانبها للأسف الشديد ، ليس بالنسبة لمصر وحدها ، بل بالنسبة للعالم الاسلامى فى مجموعه ، حيث اصطدمت إرادة المثقفين الداعين إلى الديمقراطية ، بوهن القوى الاجتماعية القادرة على فرض الديمقراطية ، أو صيانتها . فمن المعروف أن المجتمعات الأوربية لم تظفر بالديمقراطية لمجرد أن قلة من مثقفيها قد أكتشف أنها النظام



السياسي الأمثل ، بل لأن تلك المجتمعات قد نشأت فيها قوى حقيقية قادرة على فرض الديمقراطية ، بدءا من « البرجوازية » التي عزز مكانتها الاجتماعية ازدهار العلم والصناعة على أيديها ، وصولا إلى الطبقات العاملة الصناعية التي ناضلت بدورها من اجل توسيع الحقوق الديمقراطية أفقيا ، بأسقاط شرط التملك في التمتع بالحق الانتخابي في الترشيح والتصويت ، ورأسيا بمحاولة سحب الحقوق الديمقراطية إلى ساحة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ، مما ولد المذاهب الاشتراكية ، التي تصبو إلى العدل الاجتماعي باعتباره تعبيراً عن الديمقراطية الاقتصادية .

ولقد كان من أبرز التناقضات التي سادت العالم الاسلامي في هذا المجال ، أن القوى الاستعمارية الآتية أساسا من غرب أوربا ، أي من المجتمعات التي تتمتع بالديمقراطية ، كانت تساند استبداد القوى التقليدية في مواجهة الشعوب الثائرة على السيطرة : المحلية والأجنبية على السواء ، مثلما حدث في القضاء على ثورة عرابي في مصر على يد الاحتلال البريطاني ، مما يعكس الحقيقة الرئيسية في العصر الاستعماري ، أنه لم يكن يريد للمجتمعات المتخلفة ـ من وجهة نظره ـ أن تصل إلى ما وصلت اليه مجتمعاته هو من تطور وازدهار ، بل يريدها باقية على تخلفها ، لتبقى فريسة لمصالحه الاستعمارية ، ولاينسحب هذا على قضية الديمقراطية وحدها بل يمتد إلى بناء الأساس المادي لها أيضا ، وهو التصنيع ونشر التعليم .

● الرأسمالية والقومية ●

من المعروف أيضا ـ تاريخيا ـ أن فكرة القومية قد نشأت في أوربا مرتبطة بنشوء الرأسمالية الصناعية ، التي سعت إلى الاستحواذ على السوق "القومية" الخاصة بها ، سواء بالاستقلال عن الامبراطورية القائمة على أساس الرابطة الدينية ، مثل انفصال الدول الأوربية ـ بما في ذلك كنائسها ـ عن البابوية في روما ، أو التوحيد الداخلي لتلك البلدان بالقضاء على سلطة أمراء الاقطاع ، ولم تتردد الرأسمالية في بداية عهدها عن تأييد الملكية المطلقة في مواجهة هؤلاء الأفراد ، لإزالة المكوس التي كانوا يفرضونها على دخول البضائع الى مقاطعاتهم ، قبل أن تنقلب الرأسمالية باسم الديمقراطية على الملوك ذواتهم لتحويل البلدان الى ملكيات دستورية يملك فيها الملك ولايحكم أو تسقط الملكية وتحل محلها الجمهورية .

ولكن القومية استخدمت في العالم الاسلامي لأغراض أبعد ماتكون عن أغراض الرأسمالية الأوربية في بلادها ، فتمزيق الرابطة الدينية التقليدية في


مصطفى كامل


عبد العزيز فهمى

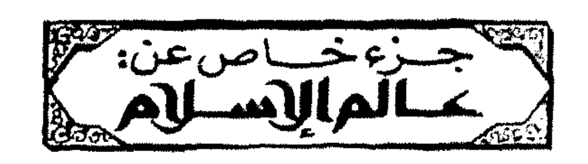
الدولة العثمانية كان مطلبا للاستعمار الأوربى ذاته ، حيث انتقل من تحريض الرعايا الأوربيين للدولة على الانشقاق عليها باسم القومية ، إلى نقل ذات العدوى إلى المواطنين الأتراك أنفسهم ، وربطها بقضية التطور العصرى الدستورى ، فكانت حركة التتريك التى تبنتها جماعة الاتحاد والترقى ، وحاولت ممارستها فى البلدان العربية ، الخاضعة للحكم العثمانى ، مما جعل نشوء الحركة القومية العربية فى مواجهتها رد فعل منطقيا لها ، استخدمه الحلفاء بدوره فى الحرب العالمية الأولى للقضاء نهائيا على الدولة العثمانية .

بيد أن نمو الرأسمالية الصناعية كان بعيدا تماما عن هذا المسار ، فلم تكد تستفيد أقل استفادة من فكرة الاستقلال بالسوق الوطنية ! ، فالدول الاستعمارية كانت تريد للأقطار الاسلامية أن تكون ـ شأنها شأن سائر المستعمرات ـ أسواقا لتصريف بضائعها هى ، واستثمار رءوس أموالها فيما بعد ، وفى سبيل ذلك لم تدمر فحسب الصناعات التقليدية فيها ، بل غيرت من أنماط الاستهلاك الداخلى فى تلك البلدان باسم التحضر حتى تخلق السوق الخاصة لبضائعها خلقا ، ولم تسمح للرأسمالية المحلية إلا بالعمل فى مجالى التجارة والاستيراد أساسا من الدولة الصناعية المسيطرة أو تصدير الخامات المحلية إليها مثل القطن ، ولم تفلح جهود " الصناعيين " الجدد من أبناء العالم الاسلامى فى تطوير الصناعة داخل أى من بلدانه على الطريقة الرأسمالية ، بالرغم من الجهود التى بذلت لتوطئة الأرض لهذا الغرض ، بما فى ذلك إقرار أنماط الاستهلاك الأوربى ، وإنشاء المصارف على الطريقة الأوربية ، واستصدار "الفتاوى" على مشروعية فائدة رأس المال ، بالرغم من التشابه الظاهر بينها وبين الربا الذى يحرمه الإسلام .

وكان من طبيعة الأمور أن تتجه أنظار وإعاة التصنيع فى العالم الاسلامى وجهة أخرى .

● الاشتراكية والتصنيع ●

بعد الحرب العالمية الثانية ، التى أدى انقطاع المواصلات البحرية خلالها إلى نوع من الازدهار فى الصناعة الوطنية داخل بعض الأقطار الاسلامية وفى مقدمتها مصر ، لاح شبح



الكساد أمام عودة الواردات الأجنبية مخيما عليها ، بما يعنيه ذلك من بطالة وتدهور فى مستوى المعيشة ليس بالنسبة للطبقات العاملة وحدها ، بل أيضا بالنسبة لكثير من المتعلمين إلى أعلى درجات التعليم الجامعى .

وفى هذه الظروف ظهرت القيادات الاشتراكية ، ولم تكن لمجرد الاحتجاج على تدهور الأوضاع الاقتصادية ، بل كانت تضع نصب عينيها بعض التجارب الدولية ، التى أثبتت أن الاشتراكية - وإن كانت لم تسيطر تماما على المجتمعات الرأسمالية المتقدمة ، اكتفاء بالاصلاح الاجتماعى فيها - قد أفلحت فى نقل بعض الدول المتخلفة ، التى عجزت عن تحقيق التطور الرأسمالى فى حينه إلى مستوى الدول الصناعية ، بل وفى مقدمتها ، خاصة الاتحاد السوفييتى ، وبعض دول شرق أوربا ، وتبعتها فى ذلك أكبر أمم العالم القديم ، وهى الصين .

وبالفعل اتجهت ثورة ٢٣ يوليو فى مصر إلى الاشتراكية كأداة للتطور الصناعى ، على غرار ماحدث فى عدد من بلدان العالم الثالث ، مثل الهند واندونيسيا ، دون ما حاجة إلى قيام حكم الأحزاب الشيوعية فيها ، كما حدث بالنسبة لروسيا والصين ، وكان ذلك من وجهة نظر التاريخ الاشتراكى ، طريقا جديدا للاشتراكية ، كان للعالم الاسلامى - أو اجزاء منه - الفضل فى اكتشافه وظهرت اجتهادات عدة للربط بين ذلك الطريق المعتدل للاشتراكية ، وروح العدل الاجتماعى فى الاسلام .

وفى ظل هذا الطريق انتعشت فكرة القومية على مستوى جديد ، باعتبارها أداة لتوحيد السوق القومية العربية على سبيل التحديد أمام الحركة الصناعية الوليدة النشطة فى بلدان عربية رئيسية مثل مصر وسوريا والعراق والجزائر .. الخ مع عدم إغفال الروابط التاريخية التى تعتبر بمثابة احتياجات واسعة إليها مثل الرابطة مع سائر العالم الأسلامى والقارة الافريقية .

ومرة أخرى تحركت القوى الامبريالية - وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية ، وريثة العصر الاستعمارى كله - لضرب هذا الطريق الجديد فى العالم الثالث بصفة عامة والاسلامى بصفة خاصة ، وكانت أداتها هى الدولة الصهيونية التى زرعتها فى قلب العالمين العربى والاسلامى وحولتها إلى قوة عسكرية باطشة ، فكانت هزيمة عام ١٩٦٧ التى قلبت موازين القوة رأسا على عقب فى المنطقة العربية ، وأجبرت مصر على التخلص من كثير من أحلامها القومية والصناعية على الصعيدين المحلى والعربى ، وأضافت الامبريالية العالمية الى ذلك إغراق العالم العربى فى مزيد من أنماط الاستهلاك المستوردة بسوء استخدام واردات النفط ، وهاهى بعد تدهور أسعار النفط تخطيط لربط هذا العالم بعجلة اقتصادها بوسائل أخرى

ليست بعيدة عن خطط الهيمنة الصهيونية .

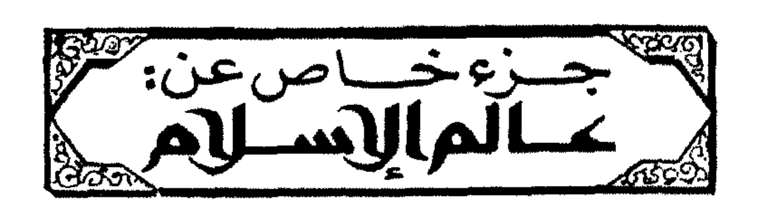
● المفاهيم الجديدة ●

إزاء كل العثار الذى يعانى منه العالم الإسلامى فى محاولاته للتطور والتقدم شأنه فى ذلك شأن بقية العالم الثالث ، فإن الثورة التكنولوجية التى تنعم بآفاقها الدول الصناعية الكبرى فى الغرب ، وتحاول اللحاق بها الدول الاشتراكية فى الشرق ، تجعل أبرز المفاهيم التى يفرضها هذا الوضع هو الحاجة الى كيان كبير يكون إطارا للتقدم التكنولوجى المنشود ، حيث إن القوى الحقيقية فى العالم تتركز فى دول أشبه بالقارات مثل الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفييتى ، وأوربا الغربية التى توشك أن تتحرك باعتبارها وحدة واحدة وليست دولا متفرقة إزاء العملاقين من حولها ، فضلا عن الصين الضخمة والهند التى تصارع من أجل الاحتفاظ بوحدتها .

ومن أجل إقامة هذا الكيان فإن جميع الروافد السابقة يمكن أن تصب فى مجراه الرئيسى ، بدءا من الديمقراطية ، التى لاتزال معظم بلدان العالم الاسلامى محرومة منها حتى الآن ، مرورا بالقومية وخاصة العربية فى حالتنا .

ومن المعروف أنه إذا عز العرب عز الإسلام ، والربط العلمى الصحيح ، هو بين ماقد تفلح الرأسمالية المحلية فى إنجازه ، وبين ما ينبغى أن تتولاه الدولة من مشاريع كبرى للنهوض السريع ، علما بأن العدل الاجتماعى لم يعد مجرد مستوى عصرى فحسب ، بل نحن نطالب به على المستوى العالمى بالنسبة للعالم الثالث الغارق فى ديونه ، فضلا عن كونه أداة بناء السوق الداخلية اللازمة لما نطلبه من تطور صناعى .

على أن الربط العلمى الصحيح ليس مقصورا على تلك النواحى فحسب ، بل إنه يتغلغل إلى جوهر وأصول التطور الصناعى والاجتماعى والثقافى ، فليس التصنيع هو مجرد استيراد آلات لانتاج مثيلات للسلع الأوربية أو الأمريكية ، بل هو فى مداه الأعلى صنع تلك الآلات ، لانتاج سلع تمثل ضرورة حقيقية للمستهلك المحلى أو لأسواق التصدير إن وجدت ، على أساس الاستخدام الأمثل لوسائط الانتاج من خامات طبيعية محلية أو مستوردة وقوى عاملة متوفرة مدربة ، واختيار السلع فى حد ذاته ليس قضية سهلة ، بل هى قضية تذوق اجتماعى عام تصنعه البيئة والثقافة وتمثل الهوية الحضارية ركنا أصيلا من أركانه ، وقد أصبحنا فى عصر تعتبر مخلفات الصناعة فيه عبئا ثقيلا قد يعصف بكثير من ثمار البناء الصناعى ويحيط البيئة بكثير من أخطار التدمير ، وربما كان التصنيع من أجل التوسع فى إنتاج المواد الغذائية عن طريق استخدام الوسائل التكنولوجية المتطورة فى تكثيف الزراعة واستصلاح الأراضى الجديدة ، هو الحلقة الرئيسية فى النهوض الاقتصادى للعالم الثالث - والعالم الاسلامى جزء منه - والخروج من دائرة التبعية ، التى يمثل توفير الغذاء المستورد أداة رئيسية من أدوات سيطرتها .



الإسلام يقتحم وجدان الغرب

بقلم: أنور الجندى

أما أن الإسلام قد اقتحم وجدان الغرب فهذه حقيقة لاسبيل إلى إنكارها اليوم أو تجاوزها ، شهد بها كثير من نوابغ الغرب وأعلنوها واضحة جلية ، ولكن المفارقة التى يدهش لها بعض الناس هى أنه : كيف يمكن للإسلام أن يقتحم وجدان الغرب فى نفس الوقت الذى يعجز فيه أهله عن امتلاك إرادتهم وتطبيقه فى مجتمعاتهم ، ومعنى هذا أن الإسلام (أولا) قادر على العطاء فى كل البيئات بالرغم من وجود التعارض بين المنهج وبين التطبيق أحيانا (ثانيا) إن تراجع أهله وتخلفهم لايرجع إلى الإسلام نفسه وإنما يرجع إلى انصراف أهله عنه إلى مناهج أخرى ظنا منهم أنها تعطيهم القدرة على امتلاك إرادتهم أو شكامتهم فى قدرة الإسلام على العطاء أو مايدعونه من حاجته إلى التطور .

وهى مفاهيم دخلت على المسلمين من أجل تعويق مسيرتهم إذ أن الإسلام قد حقق الغاية من التطبيق ألف سنة كاملة ، وأنه فى نفس الوقت قادر على العطاء فى مختلف العصور والبيئات لأنه مرن واسع الأطر ، ربانى الوجهة ، يختلف تماما عن الأيديولوجيات البشرية التى سرعان مايصيبها العطب وتحتاج فى مواجهة المتغيرات إلى الاضافة والحذف .

لقد تطلع أهل أوربا منذ وقت بعيد إلى منهج جديد يختلف عن منهجهم الذى رأوه عاجزا عن العطاء وتطلعوا إلى الهندوكية والبوزية والى نحل مختلفة ظانين ، أنها قادرة على إخراجهم من أزمة الانسان الحديث ومن الغربة التى يواجهها مجتمعهم ، حين انصرفوا تماما عن منهج الدين كلية إلى الأيديولوچيات البشرية ، وحين اعتصموا بالفلسفة المادية ظنا منهم أنها تستطيع بناء مجتمع متماسك سليم ، بعد أن حجبوا تماما مفاهيم الروح والوجدان والمعنويات كلها أو فسروها تفسيرا ماديا .

واليوم وعلى أيدى كتاب منظرين لهم قدرهم فى الفكر الغربى يتبين .

أولا : أن عزل الدين عن المجتمع والحضارة هو مصدر الأزمة الأساسى

ثانيا : أن الدين الذى انتقل من المشرق إلى المغرب اختلط بالأديان البشرية والفلسفات التى كانت تعيش فى بيئة الغرب ولذلك فقد جاءت معطياته غير كاملة .

ثالثا : إن الحضارة التى شكلها الغرب والمجتمع الذى أقامه أخذ من المسلمين (المنهج التجريبى) ولكنه رفض منهج المعرفة ذا الجناحين (المادة والروح) ومن هنا فقد فصل بين المنهج والتطبيق ، وأعلى مفهوم المادية والوثنيات القديمة فعجز عن معرفة أبعاد الصلة بين الله تبارك وتعالى وبين المجتمعات والحضارات ، هذا البعد الالهى الغائب الذى هو وحده القادر على حماية حركة الحضارة من الانهيار والتمزق والصدع إذا هى عادت إليه واستمسكت به .

ومن هنا ظهرت تلك المفارقات العجيبة ، ففى مجتمع الوفرة تبرز ظاهرة الانتحار ، ونبذ الأبناء للآباء والقضاء على المريض إذا تعذر الشفاء ، والاستعلاء بالعنصر والدم وتصور الأمم الملونة وكأنها من طبقة آخرى ، على النحو الذى كان سائدا فى حضارة الرومان مع اختلاف خفيف هو وضع مخالب العدوان فى قفازات حريرية ، ولقد مضت الحضارة على هذا النحو المتحرر من البعد الالهى إلى أقصى غايات الاستعلاء والاستهلاك والسرف فى الترف واستنزاف الثروات الطبيعية فأحست بالفزع والترويع

● حلول صالحة ... كيف ●

تلك هى أزمة الحضارة الصاعقة التى لفتت أنظار المثقفين الغربيين والمفكرين إلى مدى الخطر الذى يحيق بالبشرية ، ومن هنا تحرك الباحثون حول المذاهب المختلفة يحاولون إيجاد حلول منها صالحة ،أما الذين ذهبوا إلى المذاهب الروحية وعلى رأسها (البوذية) فقد كانوا يطلبون عبثا فهذا تيار مختلف تماما يرفض المادة تماما

ويبرأ منها ويعكف على الزهادة من الحياة وهو فى هذا شأنه شأن الفلسفة المادية التى تنكر الروحيات والمعنويات ، إذن فلابد من(منهج) قادر على الجمع بين الروح والمادة ، والقلب والعقل ، والعلم والدين ، والدنيا والاخرة ، وهو الاسلام الذى غيبه الغرب وحجبه وشكك فى عطائه خوفا من خطره .

وكانت غلبة مفهوم العقلانية والمادية والعلمانية على الفكر العربى بمثابة حجاب خطير يحول دون الوصول إلى الحقيقة .

ومن هنا كانت صيحة الذين استطاعوا أن يجردوا من الوهم : « أن العقل المادى يقود الحضارة إلى الهاوية وأن الاسلام هو الوسيلة الوحيدة لاعادة التوازن للعقل البشرى وتخليص الانسانية من السياسيات الميكيافيلية » .

● فساد التجربة الغربية ●

وكان لابد للإسلام أن ينتظر أربعة قرون كاملة حتى ينكشف فساد التجربة الغربية بكاملها سواء فى مجال الحضارة أو مجال المجتمع . أو عجزها عن العطاء النفسى وأشواق الروح . لقد استطاع العلم التجريبى منذ وقت طويل أن يعترف بعالم الغيب ، خاصة عندما فجر الذرة وتبين له أن الطاقة تتحول إلى مادة وأن المادة تتحول الى طاقة ، وبذلك وقف العلم التجريبى على أبواب الإيمان بالخالق الذى هو النقطة الأولى والكبرى فى القضية كلها ، ولكن الفلسفة المادية ظلت تتحدث عن (الطبيعة) وحاولت بأساليبها ومغرياتها ان تخدع الكثيرين خاصة فى عالمنا الاسلامى بأن المادة مصدر الحياة كلها ، لقد كان خلاف العلماء فى الغرب مع دين الغرب نفسه مصدر هذه الأزمة التى فصلت تماما بين العلم والدين ولكن هذه قضية خاصة بالغرب نفسه فإذا نقلت إلى إطار الإسلام كانت غربية مجهلة ،لسبب بسيط جدا:هو أن الإسلام هو الذى فتح الباب واسعا أمام العلم وأعطاه فكرة النظر والتجريب والبرهان (أساس القاعدة الأولى للعلم والتكنولوجيا) .

أن الغرب فى بعض دوائره يخاف الإسلام ،كما يخاف العلم الحديث لأنه يكشف كثيرا مما أعتقده الناس مسلمات على مدى التاريخ دون أن يتبينوا حقيقته ،وكانت دعوة الإسلام الخطيرة فى نظر الغرب هى : (أعرف ثم آمن) وإن الشك مدخل إلى الإيمان وهى مناقضة تماما لدعوة (آمن ثم فكر) ومن هنا فان العلم اليوم يؤكد حقائق القرآن .

لقد دعا الغرب إلى النظرية المادية وقدم الإسلام المنهج الجامع احتراما لعقل الانسان .

لقد دعى الغرب إلى الحرية المطلقة ، وقدم الإسلام الحرية المنضبطة لحماية الانسان .

لقد دعا الغرب إلى فك القيود وإطلاق الارادة فماذا وجد الانسان نفسه بعد التقدم المادى الهائل:

يقول جارودى: أننى أقول بكل ثقة أنه بعد أربعة قرون من هيمنة الغرب فان العلم وفر وسائل الدمار ، إن الغرب والشرق الان لديهما ما يعادل مليون قنبلة مثل التى ألقيت فى هيروشيما ، أى لدى الحضارة الحديثة قنابل تستطيع أن تقتل ٦٠ مليارا من البشر أى نحو عشرين ضعف سكان العالم فى الوقت الحاضر ، إن البشرية فى حاجة ألى الإسلام ليحقق التوازن بين الأهداف والوسائل ، وبين ما يمكن أن يفعله العلم الحديث وبين ما يجب أن يفعله فى حقيقة الأمر ، لأن العلم خلط بين الوسائل والأهداف وفقد (الحكمة) فى الاختراعات الحديثة بحيث وجدنا عشرات المخترعات الحديثة ليس من ورائها حكمة ، وليس من ورائها غايات . أجزم أن الإسلام كعقيدة وفكر ونظام حياة هو الوسيلة الوحيدة لاعادة التوازن للعقل البشرى وتوجيهه نحو فائدة الفرد والمجتمع والعالم . فالاسلام يركز دائما على أن الانسان هو خليفة الله فى الأرض وما دام الانسان هو خليفة الله فلابد أن يعمل ما يأمر به الله وما يرتضيه» .

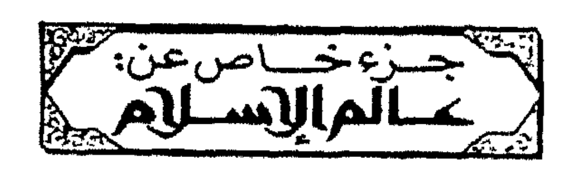
هكذا نجد أن هناك طبقة عالية من المفكرين فى الغرب :

(ارثر اليسون ، موريس بوكاى جارودى)

● صراع المفاهيم ●

كيف يمكن للغرب آن يواجه هذه الأزمة ، أزمة الصراع بين المفاهيم والمعايير المضطربة التى تقدمها الحضارة بين النفس والانسانية الحاسة بالفراغ الواسع ، لقد أقر هؤلاء أن الاسلام هو القادر على العطاء فى هذا المجال ، بما يطرحه فى قلب المؤمن من الحب والصدق والأمانة والصبر والشجاعة والوفاء والمروءة ويطرح فى عقل المؤمن : التواضع والرشد والحكمة ويطرح فى وجدان الانسان الايمان والثقة بالله تبارك وتعالى وصدق الوجهة إليه ، وإيمانا بأن الجانب الروحى والمعنوى سيظل آهم العوامل التى تقف وراء تقدم الحضارات أو انهيارها .

لقد افتقدت الحضارة الحديثة الروحانيات فافتقدت الأولويات والوجهة التى تتجه إليها فاضطربت منطلقاتها وتوزعت ، إن بعدنا عن الروحانيات قد أوصلنا فى مجال العلم إلى التجرد العلمي بعيدا عن الأهداف والحكمة وأصبح العلم علمانيا أو دينيا يسعى وراء اللذة وفى مجال السياسة أوصلنا ألى القول المعروف (الغاية تبرر الوسيلة) = الميكافيلية هذه السياسة هى المسئولة عن الانانية والفردية التى تعم الغرب على مستوى الافراد والجماعات ، وهى المسئولة عن اختراع وسائل الانحدار والدمار وعن حرب القوى العالمية



فالاسلام وحده هو القادر على إعادة هذه (الروحانيات) الى حياتنا وان نجعل العلم فى خدمة غايات الله تبارك وتعالى وان تخدم هذه الغايات (عباد الله) عن طريق تحديد الاولويات والتأكيد على الغايات ، ا .هـ .

على ضوء هذه المفاهيم المضيئة المنبثة الان فى الغرب نجد العشرات من المثقفين يدخلون فى الاسلام ويؤمنون به بالرغم من حالة التردى التي يعيشها المسلمون وأعتقد أن هذا التحول قد تم على مراحل خلال اكثر من خمسين عاما حين كتب برناردشو وكارليل ، وجوستاف لوبون كتاباتهم الاولى .

(١) حين انكسر هذا الحاجز الذى كان يحول بين الغرب وبين الاعتراف بالدور الذى قام به الاسلام فى بناء المنهج التجريبى الذى قامت عليه الحضارة المعاصرة .

(٢) حين إنكشف لبعض كتاب الغرب الدور الذى يقوم به النفوذ الاجنبى فى تعويق نهضة المسلمين .

(٣) حين انكشف شيء من أصالة الاسلام بعد أن ارتفعت غاشية التعصب العقائدى الخالص .

(٤) حين انكشفت تحريفات بعض الكتب القديمة .

(٥) حين كشف العلم الاعجاز الطبى والعلمى الذى جاء به القران الكريم وفتوح أخرى على الطريق (سيريكم اياته فتعرفونها) صدق الله العظيم

● دور كبير للمراكز الاسلامية فى اوربا ●

تنتشر المراكز الاسلامية فى أوروبا ، حيث تقوم بدور كبير فى تعريف المسلمين بدورهم ، وتنظم لهم البرامج الدينية.. ومن اشهرها المركز الاسلامى فى لندن والمركز الاسلامى فى فيينا والمركز الاسلامى فى لندن ، يعتبر مؤسسة اسلامية دينية تقع فى اهم شوارع لندن .

ويضم مسجدا يسع ١٩٠٠ من المصلين، ومركزا ثقافيا ، وينظم فصولا للتعليم الدينى ، ويشرف المركز على تعليم الدين الاسلامى للاطفال المسلمين فى مناطق عديدة من لندن وبريطانيا .

القبة الموجودة بالمركز تشبه الى حد كبير قبة الصخرة ، وهى مصنوعة من البرونز الاصفر الشبيه بالذهب ، ويعتقد الناس ان القبة مصنوعة من الذهب الخالص ، ولذلك يطلقون على المسجد .. المسجد الذهبى ..

اقتصاد العالم الإسلامى

يمتد العالم الاسلامى من المغرب غربا الى الجزر الغربية فى المحيط الهادى ويبلغ عدد المسلمين فيه ٩٠٠ مليون مسلم من السكان البالغ عددهم ٢ بليون نسمة.

ويتزايد عدد السكان فى دول العالم الاسلامى بمعدل ٢ر٨ ٪ فى السنة ويبدو ان معدلات الزيادة بين المسلمين فى المنطقة الاسلامية سترتفع من ٤٥٪ الى اكثر من ٥٠٪ مع نهاية القرن الحالى ويصل مجمل الدخل بالنسبة للفرد الواحد فى الدول ذات الكثافة السكانية الكبيرة من المسلمين نحو ٦٠٠ دولار فى عام ١٩٨٥ وهو ما يقارب معدل الدخل فى كل الدول النامية . وقد بلغت معدلات الزيادة فى دخل الفرد فى هذه الدول فى الفترة بين ١٩٦٥ — ١٩٨٥ نحو ٥ر٣٪ وهى اقل من معدل الزيادة فى كل الدول النامية .

ويمكن تقسيم العالم الاسلامى الى خمس مناطق اقتصادية :

● الاولى تشمل الدول المستوردة للبترول ذات الدخل المتوسط فى جنوب اوربا والشرق الاوسط وشمال افريقيا .

● الثانية تشمل الدول المصدرة للبترول فى نفس المنطقة السابقة .

يبلغ عدد سكان هاتين المجموعتين نحو ٣٠٠ مليون نسمة واقتصادهما يتكامل بصورة جيدة مع النظم الاقتصادية العالمية ولكنه يختلف من حيث ان المجموعة الاولى عليها ديون ضخمة متراكمة فى الوقت الذى تملك فيه المجموعة الثانية كميات كبيرة من الاحتياطى الخارجى والارصدة

● المجموعة الثالثة تمثل الدول الافريقية التى تقع تحت الصحراء . وهى ليست فقيرة للغاية ولكن معدل دخل الفرد انخفض بثبات خلال العقدين الماضيين حيث كان دخل الفرد عام ١٩٨٥ فى هذه الدول اقل من دخله فى اوائل السبعينات

● المجموعة الرابعة وتضم الدول الاسيوية وتمتد من هندوكوش غربا الى خليج البنغال فى الشرق . ويعيش نحو ٣٠٠ مليون مسلم فى هذه المنطقة .

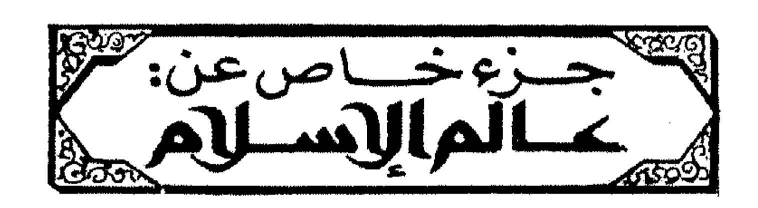
● المجموعة الخامسة وتمثل شبه الجزر والجزر الواقعة فى جنوب شرق آسيا . ويعيش فيها ٢٠٠ مليون مسلم.

وبالرغم من الاختلافات بين المجموعات المختلفة فهناك عدد من النقاط المتشابهة سوف تؤثر على اسلوب تطور الاقتصاد فيها فى المستقبل . ومن اهم هذه الملامح المشتركة :

● اولا : المساهمة الضئيلة نسبيا للتصنيع فى مجمل الانتاج القومى . ففى كل الدول الاسلامية يساهم التصنيع بنسبة اقل من سدس الانتاج القومى وهى نسبة تقل بكثير عن مثيلتها فى الدول النامية الاخرى التى لها نفس معدل الدخل تقريبا . وللزراعة اهمية اكبر من التصنيع وهذا يفسر المساهمة الضئيلة للتصنيع فى التصدير . وحيث أن التصنيع بصفة عامة والصادرات المصنعة بصفة خاصة يلعب دورا هاما فى دفع النمو الاقتصادى لذلك يجب أن يحدث تغيير فى النظم الاقتصادية للعالم الاسلامى . وان كانت بعض دول العالم الاسلامى قد شهدت ازدهارا اقتصاديا خلال العقدين الاخيرين فذلك يرجع الى التغييرات فى الاسعار لبعض السلع مثل البترول والمطاط ومن ثم فالكساد الاقتصادى فى الكثير من هذه الدول هو نتيجة الانهيار الفعلى لاسواق السلع العالمية وباختصار شديد فالعالم يحتاج الى ثورة صناعية !.

● ثانيا : سيادة القطاع العام فى كل مجالات الاقتصاد حيث تلعب الدولة دورا هاما فى التصنيع والتجارة وتوفير الخدمات العامة . وقد انتعشت الاستثمارات الخاصة فى دول قليلة وهو احد الاسباب للمعدل المنخفض للتصنيع.

● ثالثا : المعدلات المرتفعة لهجرة العمال . فلقد اصبحت الهجرة عاملا هاما فى تشكيل اقتصاد العالم الاسلامى فى العصر الحديث .



مسلمو الصين
الغائبون الحاضرون

بقلم : فهمى هويدى

يشكل مسلمو الصين علامة استفهام كبرى فى سجل مسلمى العالم الان ، اذ شاءت المقادير ان تعيش ملايينهم ـ التى تتضارب الاقوال حول عددها ـ فى ظل غموض مركب ، وعزلة مضاعفة ووسط محيط بشرى هائل تذوب فيه اية اقلية ، وتنطمس معالمها بمضى الوقت .

● ورغم أن موضوع الاديان فى الصين ، والاسلام فى المقدمة ، يحظى باهتمام عديد من الباحثين فى الولايات المتحدة الامريكية وفرنسا وانجلترا ، فان قضية مسلمى تلك البلاد النائية والمستعصية على الفهم ، لم تشغل ايا من الباحثين في العالم الاسلامى .. نستثنى من ذلك باكستان ، التى اهتم البعض فيها بالامر ، بحكم الجيرة والحدود المشتركة بين باكستان ومقاطعة سينكيانج الصينية ، ذات الاغلبية المسلمة .

اما غير ذلك ، فلا نعلم انه خلال السنوات الاربعين الاخيرة ، صدر كتاب أو بحث مستقل باللغة العربية الا فى حالتين ، دراسة نشرها احد الدبلوماسيين الصينيين المسلمين منذ ١٢ عاما باسم « تاريخ المسلمين فى الصين » . وهو بدر الدين و . ل . حى ، الذى نزح من الصين بعد نجاح الثورة الشيوعية فى عام



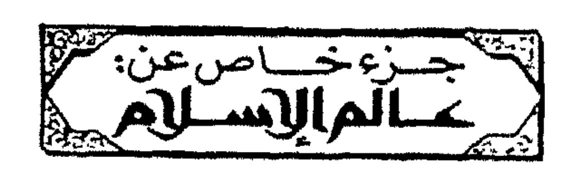
١٩٤٩ ، الى الهند ثم استقر فى المملكة السعودية • وهى تركز على الخلفية التاريخية لهؤلاء المسلمين • ولكنه توقف عند السنة التى هاجر فيها هو وأسرته من هناك • الدراسة الثانية لكاتب هذه السطور ، الذى اتيح له أن يقوم بزيارة ميدانية لمناطق مسلمى الصين فى آخر السبعينيات » فى اطار مهمة صحفية ـ وصدر له فى عام ١٩٨٠ كتاب متواضع باسم « الاسلام فى الصين » ، ضمن سلسلة عالم المعرفة التى تصدر فى دولة الكويت• وباستثناء هذين الكتابين ، فان المكتبة العربية تكاد تخلو من دراسة مستقلة حول الموضوع ، دعك من المقالات أو التعليقات المتناثرة فى بعض الكتب التى تتناول العالم الاسلامى ، أو تعرض فى الصحف بين الحين والاخر•

ومن المفارقات الغريبة هنا أن المسلمين كانوا من أوائل من طرقوا أبواب الصين قبل ١٣ قرنا ، وان العلاقات الثقافية والتجارية بين العالم الاسلامى وبين تلك البلاد كانت وثيقة للغاية • والدراسات التى تناولت موضوع الملاحة والتجارة بين بلاد العرب واقاصى أسيا عبر المحيط الهندى ، حافلة بالاشارات الدالة الى عمق تلك الروابط المبكرة •

● أسلام مبكر ●

ومن الثابت ان المسلمين وصلوا الى بلاد الصين فى العصر الاسلامى الاول ، وأن مبعوثين عن الخليفة عثمان بن عفان وفدوا على تلك البلاد فى عهد الامبراطور قاو تنغ ، أحد ملوك أسرة تانغ ، حوالى عام ٦٥١ ميلادية (٣٠ ـ ٣١ هجرية) • وتشير السجلات الصينية الى انه فى ٢٥ اغسطس من ذلك العام ، وصل المبعوث العربى على رأس وفد ، والتقى بالامبراطور ، وتذكر السجلات أن الوفد «القادم من أرض بعيدة جدا ، نقل الى الامبراطور انباء عن جزيرة العرب ، التى شهدت ظهور نبى بعثه الله بين العرب » •• وان « ملكهم يدعى هنجى مومى (أمير المؤمنين)، وان حكومتهم أسست من أربع وعشرين سنة • وقد مضى منهم ثلاثة ملوك الى الان » •

تشير المصادر الصينية أيضا الى أن المبعوثين العرب كانوا يترددون على الصين طوال فترة حكم أسرة تانغ « التى استغرقت نحو ثلاثة قرون » وان السفارات العربية الرسمية فى تلك الفترة بلغت ٢٧ سفارة أو وفدا ، وربما كان أبرز تلك السفارات تلك التى أوفدها القائد العربى الكبير قتيبة ابن مسلم الباهلى فلتح أواسط اسيا ، الذى وصلت قواته الى كاشغر ـ على حدود الصين وقتئذ واستولت عليها الصين فيما بعد ـ وكان ذلك فى سنة ٩٦ هجرية • وتقول المصادر العربية (الطبرى فى تاريخ



الرسل والملوك) ان ملك الصين فى ذلك الزمان دفع الجزية الى مبعوث قتيبة ، ورده مع بعض الهدايا ، اذ كان القائد العربى يهدد حدود بلاده ٠

اضافة الى ذلك ، فان المصادر العربية تشير الى ان اول الرحالة والتجار العرب الذين وفدوا على الصين هو تاجر عمانى الاصل ، اسمه ابو عبيدة عبد الله القاسم الذى اقلع منعمان الىكانتون - ميناء الصين الجنوبى - حوالى عام ١٣٣ هـ - ٧٥٠ م ، لشراء الصبار والاخشاب ٠٠ وهو الرجل الذى يقول عنه العمانيون انه اول من أطلق عليه وصف « السندباد » ٠

لكن أول مدونة عربية عن رحلة بحرية الى تلك المناطق كتبها تاجر عربى آخر اسمه « سليمان » ٠ كان كثير السفر الى الهند والصين ٠ وقد كتب مدونته بعد مائة عام تقريبا من رحلة أبى عبيدة ، ووصف فيها كانتون - كانت تدعى خانقو - قائلا انها مرفأ السفن ومجتمع تجارات العرب ، وبين أيدينا أيضا مدونة مختصرةتصف رحلة تاجر عربى آخر هو أبو الحسن السيرافى ، الى كل من الصين والهند ٠

ومن مشاهير من زاروا الصين بعد ذلك الرحالة العربى الاشهر ابن بطوطه ، الذى قام بجولة فى أهم حواضرها بعد خمسة قرون من رحلة التاجر سليمان ٠ وذهب الى ملكها موفدا من سلطان الهند المسلم «تغلق»، وكان ابن بطوطة مقيما بالهند فى ذلك الوقت ٠

● علاقات قديمة ●

ومن الاشارات الدالة على وثوق العلاقات بين العالم العربى والصين ، تلك القصة التى يرويها « التنوخى صاحب كتاب « مشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة » ، وفيها يسجلرواية لاحد تجار عمان قال فيها انه كان فى بلدة الابلة - عبدان الان - يهيم بالسفر بالبحر ، ووجد سائلا بباب الجامع فأعطاه بعض الدراهم ، ثم ذهب ذلك التاجر الى عمان لعدة أشهر ، توجه بعدها الى الصين عبر كانتون ٠٠ « فاذا الرجل » بعينه قائما فىالسوق يتصدق ، فتأملته فعرفته ، فقلت له : ويحك٠ سائلا بالابله وسائلا بالصين؟ فقال ، لقد دخلت هذا البلد (يقصد كانتون) ثلاث دفعات وهذه الرابعة، لطلب المعيشة ، فلا أجدها الا من الكدية (الشحاذة) ، فأرجع الى الابله ، ثم أرجع الى هنا » ٠

الى هذا الحد كان الطريق مفتوحا بين الصين والعالم العربى ٠٠ للتبليغ والتجارة والسياحة ، والشحاذة أيضا !

ومنالامور المؤسفة أن تلكالصفحات طويت تماما فيما بعد ،باستثناء العلاقات التجارية التى استمرتسواء عن طريق المحيط الهندى ، او عبر طريق الممر - البرى - الذى كان يمر ببلاد فارس والعالم العربى - الشام اساسا - وعبره كانت تصل البضائع الى استنبول فى تركيا ، ثم

اشهر الموانى التجـــارية فى اوربا وقتذاك ، وهى البندقية ·

وبينما توقف الرحـــالة والباحثون المسلمون عن متـــابعة ما يجرى فى الصين ، فان البـــاحثين الغربيين يكثفون جهدهم لكشف غوامضهـــا والتعرف على أسرارها ، منذ اكثر من قرنين من الزمان · وذلك بالضبط ما حدث مع افريقيـــا ، ذهب اليهـــا المسلمون واكتشفوا معالمها وكتبـــوا عنها فى مرحلة ، ثم توقف جهدهم بعد ذلك . ليأخـــذ الاوربيـــون مكانهـــم ويقطفـــوا ثمـــار جهـــدهم . وان كان المسلمون قد ذهبوا الى تلك المناطق دعاة وتجارا وراحلين ، فان الغربيين ذهبوا اليها بعد ذلك طامعين ومحتلين·

● هؤلاء المسلمون : داشى ●

والمسلمون يذكرون فى السجـــلات الصينية القديمـــة باسم « داشى » ، وهى كلمة معناها « التاجر » فى اللغة الصينية · ولان التجـــار هم أبرز الوجوه المسلمة التى راهـــا أهـــل الصين ، فقد اختلطت المهنة بالملة ، واطلق على كل مسلم وصف التاجر منـــذ تلك العصور المبـــكرة ، حتى التصقت كلمة « داشى بأى مســـلم يذكر فى مدوناتهم · فالامويون ــ مثلا ــ يذكرون فى سجلاتهم باسم « باى لى داشى » ، اى المسلمين ذوى الملابس البيضاء · اما العباسيون ، فيطلق عليهم « خى لى داشى » ، اى المسلمون ذوو الملابس السوداء ، اشارة الى اللون الاسود الذى اتخذه العباسيون شعارا لهم ·

غير ان المسلمين باتوا يعرفون منذ ثمانية قرون باسم هوى ، او خسوى طبقا للنطق الصينى · وقصة هـــذه التسمية ترجع الى ان المســـلمين فى الصين كانوا فريقين احدهما وافـــد من الخارج ــ التجار اساسا ــ وهـــؤلاء كانوا يعرفون باســـم داشى ، وكانوا يعيشون فى جنوب الصين ووسـطه اما الجزء الاكبر فانه كان من سكان البلاد الاصليين ، الذين كانوا يسـكنون فى غرب الصين ــ منطقة تركستان ــ حيث تستوطن قبائل ويغـور ، التى اعتنقت الاسلام فى وقت مبكر · كان الويغـور هم الاصل ، وعندما استقر الـ « داشى » فى مناطق الوسط والجنوب ، اطلـــق عليهم الصليبيون فيما بعد اســـما مشتقا من قومية مسلمى الغرب ذوى الاصول التركية ، وكان الاسم هـــو : هوى ، وهى المقطع الاول من ويغور ، التى كانت تنطق هو يغور ، فى العصور القديمة ·

ومنذ ذلك الحين والى الان ، فقد اعتبرت قومية «هوى» ، هى القومية التى ينتمى اليها المسلمون الصينيون ·

وتتعذر الاحاطة بتاريخ مســـلمى الصين فى سياق المقال ، لكننا نشـــير باختصار الى ان ملف العـــلاقات الاسلامية الصينية بدأ فى ذلك الـوقت المبكر الذى اشرنا اليه ، والذى تزامن مع عصر أسرة تانغ « ٦١٨ ــ ٩٠٧ م » ــ التى اعقبتها اسرة سونغ (٩٦٧ ــ ١١٦٨م) وتشير سجلاتها الى ان ٤٩ بعثه عربية وفدت من حكام المسلمين الى بلاط الامبراطور ، فى تلك الفتـرة وتلتقى المصادر الصينية والعربية على ان التجارة كانت محور العلاقات بين الصينيين والمسلمين ، وان المسلمين كانوا يحتكرون التجارة على الاقل فى ميناء كانتون ·

غير ان الاسلام حقق القوة اوســـع فى الصين ، فى عصر مملكة يـــوان المغولية (١٢٧١ ــ ١٣٦٨م) بعدمـــا اطاح قبلاى خـــان حفيد جنكيز خـان بحكومة اسرة سونغ · وقد برزت اسماء عديدة من المسلمين تولوا مناصب الحكم

والادارة ـ فى البلاط والاقاليم ـ خلال تلك الفترة واشـــهرهم رجل يعرف باسم السيد الاجل ، واسمه الحقيقى عمر شمس الدين ، وقد كان قريبا من قوبلاى خان ، حتى نصبه وزيرا ، وعضـــوا فى مجلس العمر الاعلى ، وكان لـــه دوره الكبير فى انماء البلاد واقرار العدل فيها .

وبعد مملكة يوان ، حكمت الصـــين اسرة مينـــغ (١٣٦٨ ـ ١٦٤٤) التى تعاملت بقدر من الود والاعتدال مـــع المسلمين الذين كانت اوضـــاعهم الاقتصـــادية والاجتماعية ، ومكانتهم فى السلطة قد بلغت شأوا كبيرا ،واعقبتها اسرة مانشو (١٦٤٤ ـ ١٩١١) التى عانى المسلمون الامرين فى ظل حكمها، رغم ان نشاطاتهم قد اتسعت واصبحت لهم جمعيـــات ومدارس ، وقيادات سياسية وفقهية بارزة ، فضـــلا عن ان تداخلهم فى الحياة الصينية بات امرا واقعا ، حتى ان اســـماءهم تعرضت للتصيين . وعلى سبيل المثـــال فان محمود صارت تنطق (ما) ـ ومحمد اصبح (مو) ـ وسعد الدين صـــار (سا) ـ ونور الدين (نو) ـ ويحيى (يى) .. وهكذا .

خلال تلك الفترة ، تعددت ثـــورات المسلمين ضد تعسف اسرة المانشـــو ، اذ كانوا قوة غير مســـتعدة لاحتمـــال الضيم والظلم . ولكن تلك الثـــورات كانت تقابل بقمع وحشى ، خســـر المسلمون بسببه اعدادا هائلة ، وتاثرت مصالحهم نتيجة لذلك الى حد كبير .

ولهذا السبب فان مسلمى الصـــين كانوا فى مقدمة المؤيدين للثورة عـــلى حكم المانشو ، واعلان الجمهـــورية عام ١٩١١ ، فبادرت الجمهـــورية الوليدة الى الاعتراف بهم ، واعتبارهم احد العناصر الاساسية الخمسة التى تقوم عليها البـــلاد ، ونص على ذلك صراحة فى الاعلان الدستورى .. الذى صدر سنة ١٩١٣ .

ورغم ان الثورة انعشت امـــــال المسلمين فى البداية ، فان الصـــدام ما لبث ان وقع بين رجال شيانغ كاى شيك وبين المسلمين فى عـــــدد من المقاطعات ، الامر الذى دفع المسلمين للانحياز الى ماوتسى تونج فى حـــربه على كاى شيك ، وتاييـــدهم له فى مسيرته الشهيرة ، التى قام بها من اقصى الصين الى اقصاه ، وانتهت بانتصاره فى سنة ١٩٤٩ . وفى تلك المرحـــلة فانه كان لمسلمى الصين دورهم البارز فى حرب المقاومة ضد الاحتلال اليابانى (١٩٣٧ ـ ١٩٤٥) ـ حيث شـــكلوا فصيله قوميه هوى ، عرفت باســـم الجحافل الحديدية ، بقيادة ضـــابط مسلم دخل تاريخ الصـــين الحديث لبسالته الفائقة ، اسمه مابن تشاى .

● ٤ مراحـــل بعـــد الثـــورة ●

ونستطيع أن نقسم رحـــلة مسلمى الصين بعد نجاح الثورة عام ١٩٤٩ ، الى أربع مراحل أساسية :

● مرحلة الاعداد لتأسيس الدولة (١٩٤٩ ـ ١٩٥٨) ، وهى مرحـــلة اختلطت فيها مشاعر التقاط الانفاس ، بالانتظار والترقب من جانب المسلمين ولوحظ أن الجمعيات الاسلامية التى كانت موجودة من قبـــل ، بدأت تختفى واحدة تلو الاخرى ، بينمـــا ظهـــرت

الى الوجود الجمعية الاسلامية الصينية التي أرادت لها السلطة أن تكون وعاء جديدا للنشاط الاسلامي . وقامت تلك الجمعية بانشاء معهد تعليمي للمسلمين ، واصدار مجلة خاصة بهم في سنة ١٩٥٥ .

● مرحلة تطبيق النظام الشيوعي (٥٨ ـ ٦٦ م) ، التي ارتبطت بعام القفزة الكبرى (٥٨) الذي انشئت فيه الكوميونات ومارست الدولة سيطرتها على مختلف نواحي الحياة العامة . في تلك الفترة أغلقت بعض المساجد وحولت الى اغراض اقتصادية وأغلق المعهد الاسلامي في عام ١٩٥٩ ، أي بعد ٤ سنوات فقط من انشائه . وتوقفت مجلة « المسلمون في الصين » ، كما أوقفت بعثات الدراسة للازهر ، والحج للاماكن المقدسة .

● مرحلة الثورة الثقافية (٦٦ ـ ٧٦) التي كانت تتويجا للحرب التي أعلنت على الاسلام والمسلمين ، ضمن ما شن ضد المورثات القديمة في الصين ، حيث أغلقت جميع المساجد (يقال أن مجموع مساجد الصين عشرة آلاف) ، باستثناء مسجد رمزي واحد بقي مفتوحا في العاصمة بكين ، وتعرض شيوخ المسلمين للحبس والاهانة ، وأحرقت مكتباتهم ، وأغلقت المطاعم الاسلامية ، والغيت عطلتا عيد الاضحى والفطر اللتان كانتا تمنحان لهم. ومنع مسلمو سينكيانج من استخدام الحروف العربية في كتابة لغتهم ، كما منع مسلمو المناطق الاخرى من ارتداء أزيائهم الخاصة ، وأجبروا على لبس « البدلة » الزرقاء المقررة على الجميع

● المرحلة التي بدأت منذ عام ٧٨ والى الان ، بعد وفاة الرئيس ماو وتصفية ما سمي بعصابة الاربعة . وهي المرحلة التي شهدت انفراجا متزايدا في أوضاع المسلمين ، ضمن حالة الانفراج العامة التي سادت الصين ، فأعيد فتح المعهد الاسلامي ، واصدار مجلته ، وأعيد طبع المصحف وظهرت ترجمات للعديد من كتب التاريخ الاسلامي ، واستؤنفت البعثات المسافرة الى الحج .. وكان آخر تلك الخطى ، أن الحكومة سمحت بانشاء بنك اسلامي في بكين ، لتتجمع فيه أموال المسلمين في الداخل أو المهاجرين منهم الى الخارج

● دور لحم الخنزير ●

ليس هناك رقم متفق عليه بشأن تعداد مسلمي الصين ، وستظل تلك المشكلة بغير حل ما دام تعداد السكان هناك يقوم على أساس القوميات .. ويحصر المسلمين في قومية هوى دون غيرها . وطبقا للاحصاء المعلن في سنة ٨٠ فان عدد مسلمي الصين نحو ١٣ مليونا ، وهو رقم أقل بكثير في الحقيقة ، خاصة وان شواين لاي ـ رئيس الوزراء الصيني الاسبق ـ قد أعلن أمام مؤتمر باندونج سنة ٥٤ ان في بلاده ١٠ ملايين مسلم ، وكان تعداد الصين وقتئذ ٦٠٠ مليون نسمة ، وبعد أن وصل العدد الى نحو الف مليون الان ، فقد يكون من المقبول أن يدور عدد المسلمين حول رقم ٢٠ مليونا ، اذا اعتمدنا كلام شواين لاي أساسا للقياس والتقدير . ورغم ذلك فان الامر لا يخلو من مبالغات تصل بعدد المسلمين الى ٣٠ و ٣٥ مليونا .

وأغلبية المسلمين تنتمي الى قومية هوى ، وهو الشعب الذي ينتمي الى أصول عربية وفارسية ، ويقدر عددهم ـ طبقا لارقام سنة ٨٠ ـ بنحو ستة ملايين ونصف مليون نسمة . أما

الويغوريون ذوو الاصول التركية فهم في حدود خمسة ملايين ونصف .. والقومية المسلمة التالية هم القوازق وهم اقل قليلا من مليون شخص ، وهناك الوف ينتمون الى قوميات اخرى ، وتتناثر أعدادهم في أنحاء الصين ، خاصة في الغرب ، منهم القرغيز ، والطاجيك ، والاوزبك ، والتتار .

وطبقا للدستور فان مقاطعتي سينكيانج (مركز الويغوريين) ونلينغشيا (مركز الهوين) تتمتعان بالحكم الذاتي ، الذي يعطيهما قدرا محدودا من الاستقلال الداخلي ، وتتولى السلطة والقيادة فيهما ، شخصيات مسلمة .

والاغلبية العظمى من المسلمين اهل سنة ينتمون الى المذهب الحنفي ، ولكن تعاليمهم متاثرة الى حد كبير بالمذهب الشيعي ، ربما لان اكثر التجار الذين استقروا هناك كانوا من اصول فارسية . وهناك نسبة ضئيلة للغاية - عدة الوف - من الشيعة الاسماعيلية ، وهم من قومية الطاجيك، ويتوزعون على الحدود الصينية الافغانية .

وفي حقيقة الامر فان العزلة الشديدة التي عاشها المسلمون هناك جعلتهم يعانون من الفقر البالغ في المعرفة بتعاليم الاسلام ، ولذلك فانه قد يبدو من المبالغة القول بانتمائهم الى مذهب بذاته ، لان الاغلبية الساحقة لا تعرف الفرق بين مذهب وآخر ، فضلا عن المعرفة باصول الدين وفرائضه واحكامه .

لقد تبلور الاسلام الان عند اغلبية المسلمين الصينيين في معرفة متدنية للغاية او منعدمة بالصلاة ، ثم في الامتناع عن اكل لحم الخنزير ، والتعامل مع المطاعم الاسلامية المنتشرة في المدن الكبرى وفي مقدمتها بكين العاصمة ، وفي احترام طقوس الدفن استثناء من القاعدة السائدة في حرق الموتى .

وفي حقيقة الامر فان قضية لحم الخنزير تشكل عند المسلمين حدا فاصلا بين الايمان والكفر ، فبسبب رفضهم القاطع لتعاطي الخنزير ، فانهم انشئوا لانفسهم اماكن خاصة لذبح وبيع اللحوم فضلا عن اكلها ، وتخصصوا في ذلك واشتهروا به حتى أصبح المسلمون هم أبرع الجزارين في العاصمة ، لذلك فان الحي الذي يسكنونه في بكين يعرف باسم حي « السلخانة » ، في حين أن الشارع الذي استقرت فيه الجمعية الاسلامية التي ترعى أمورهم اسمه شارع البقر !

ومع ذلك ، فلا يزال مجتمع مسلمي الصين حافلا بالاسرار والغوامض التي تحتاج الى جهد مكثف لاستجلائها .. الامر الذي يمكن أن تصدق فيه مقولة الامير شكيب ارسلان عندما تحدث عنهم في كتاب لوثروب ستودارد « حاضر العالم الاسلامي »، قائلا : مسلمو الصين ليسوا في هذه الدنيا .

العلوم والتكنولوجيا في العالم الإسلامي

منذ اكثر من الف عام اقيمت فى العالم الاسلامى جامعات تحتل فيها العلوم مركزا بارزا . والعالم الاسلامى به اقل معدل للامية اذ يبلغ نحو ٤٢٪ فقط فى حين انه فى دول العالم الثالث يصل الى ٥٥٪ فى الوقت الذى تصل فيه الى ٩٥٪ فى الدول الصناعية ، ويرجع السبب فى انخفاض نسبة الامية فى العالم الاسلامى الى ٣٧٪ من السكان فى سن يتراوح بين ٥ و ١٩ سنة يحرصون على حضور الفصول الدراسية .

وعلى العكس من ذلك نجد ان ٣٪ من السكان بين ٢٠ — ٢٤ سنة يلتحقون بالتعليم العالى فى العالم الاسلامى فى حين تبلغ نسبتهم فى الدول الصناعية ٣٣٪ ، ٩٫٢٪ من دول العالم الثالث .

وبصفة عامة يبلغ عدد المهندسين فى العالم الاسلامى نحو ٢٫٥ مليون مهندس وعالم فى العالم الاسلامى وهو ما يعني ٣٣٠ مهندسا وعالما لكل ١٠٠٫٠٠٠ «مائة الف» من السكان ، وهى نسبة ضئيلة بالطبع لا تكفى للتطوير التكنولوجى الجاد .

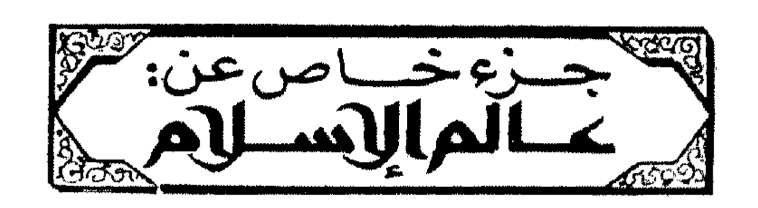
وخلال العشرين سنة الماضية فقدت بعض الدول مثل باكستان ومصر وايران وسوريا وبنجلاديش وتركيا ولبنان والجزائر عددا لا بأس به من خريجى الجامعات هاجروا الى الدول الصناعية . ويرجع السبب فى ذلك الى ان البحث العلمى فى الدول المتقدمة لا يرتبط بالتطور الصناعى فى دول العالم الاسلامى لان الصناعات المحلية فى هذه الدول تدعمها دول متقدمة مختلفة .

ويرجع عدم التوازن الهائل الى السياسة الاستعمارية خلال القرنين الماضيين التى ساعدت القوى الاجنبية على السيطرة على منابع المواد الخام التى تعتمد عليها الصناعات . وقد وقعت معظم الدول الاسلامية ضحية لهذا الوضع واقتصر اقتصادها على انتاج المواد الخام التى تحتاج اليها صناعات القوى الاستعمارية . ومنذ الاستقلال وهذه الدول تحاول حل هذه المشكلة بتشجيع استخدام التكنولوجيا فى زراعتها وصناعاتها .

ومع ذلك تشير الاحصائيات الاقتصادية الى فشل الدول الاسلامية فى الخروج من دائرة التخلف . اذ تمثل المواد الخام نحو ٩٠٪ من حجم صادراتها فى حين ان ٧٠٪ من وارداتها من المنتجات المصنعة .. ولا شك ان لذلك اثرا سيئا على التطور التكنولوجى فى الدول الاسلامية .

والسبيل الوحيد للتغيير هو تحطيم الدائرة المفرغة التى كان يفرضها النظام التجارى الاستعمارى بتبادل المواد الخام من الدول الاسلامية مقابل المنتجات المصنعة . ويمكن تحقيق ذلك عن طريق التعاون الجاد بين اعضاء منظمة المؤتمر الاسلامى ببذل الجهد والطاقة لتطوير التكنولوجيا وفتح أسواقهم امام منتجات العالم الاسلامى .

ثانيا : هناك علاقة وثيقة بين التطور العلمى والتكنولوجى والازدهار التجارى بين الدول الاسلامية وليس هناك أى احتمال للتطور اذا استمرت أسواق الدول الاسلامية محدودة امام المنتجات المصنعة . لذلك يجب اقامة سوق مشتركة بين الدول الاسلامية .



المسلمون في الهند وشهر رمضان

بقلم: د. عبدالمنعم النمر

قضيت فى الهند نحو سنتين ونصف سنة مدرسا للغة العربية فى جامعتها الاسلامية فى شمال دلهى "جامعة دار العلوم ديوبند" وهى اكبر جامعة اسلامية عربية ولذلك تسمى هناك "ازهر آسيا" نظرا لأن دراستها تقوم على نسق الدراسة القديمة فى الأزهر للعلوم الدينية والعربية والمنطق والطب العربى او اليونانى أو الإسلامى .. وكان ذلك من يناير سنة ١٩٥٦ حتى مايو ١٩٥٨ ، موفدا من الازهر والمؤتمر الاسلامى فى ذلك الوقت ، وقد قضيت هناك رمضانين ، وأتيح لى أن أزور أكبر مدن وأقاليم الهند



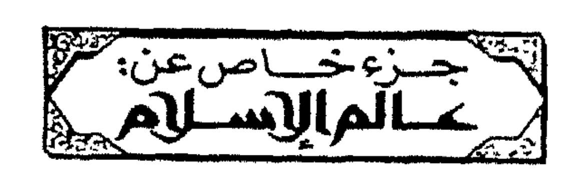
الاحتفال بمقدم العيد ، يحرص عليه المسلمون فى الهند

والهند الآن ـ بعد أن قامت دولة باكستان فى الولايات التى يكون المسلمون فيها أغلبية ـ يعتبر المسلمون فيها أكبر أقلية ، إذ كان يبلغ تعدادهم حينذاك فى ١٩٥٦ نحو الستين مليونا والهندوس نحو ثلثمائة مليون . ولكن الأعداد زادت الآن حتى وصل المسلمون نحو المائة مليون مسلم من السنة والشيعة معا .

والهند دولة علمانية ، لا تتدخل فى الأديان ولا تنفق على نشاطها ، بل تركت كل طائفة تعمل لدينها فى الاطار العام ، وتنفق على ماتريده من نشاط وتعلم .. ولذلك يتولى المسلمون على نفقتهم كل مايتعلق بأمور دينهم . من مساجد وجمعيات وتعليم دينى وأوقاف ، وعقود زواج الخ ..

ومنذ وضع الانجليز أيديهم على الهند وضموها لمستعمرات التاج ، وحكموها حكما مباشرا كانوا يضطهدون المسلمين ، ويعملون على القضاء على نشاطهم الدينى ، وعلى اغلاق مدارسهم الدينية التى تعلم "الجهاد" وتبثه فى نفوس المسلمين . والجهاد كان هو "بعبع" الانجليز الرهيب ، فكانوا يتابعون كل مدرسة دينية يدرس فيها "كتاب الجهاد" فى الفقه ، ويقبضون على العالم الذى يدرسه ، كما انتزعوا الأوقاف التى كانت محبوسة على هذه المدارس والمساجد من أيام الحكم الاسلامى ، حتى تعجز عن الاستمرار فى اداء رسالتها .

لكن المسلمين اندفعوا بإخلاصهم لدينهم وخوفهم عليه ، وبعامل رد الفعل اندفعوا وبحماس وتحد للحفاظ على هذه المدارس الدينية وعلى المساجد .



بالمساهمة فى قيامها ، ولو بحفنة قمح ، وربطة حطب ، كما اندفعوا للحفاظ على شعائر دينهم ، بل ومقاطعة الانجليز فى تعليمهم ومدارسهم ، وفى ملابسهم وشكلها .. فكان العلماء يعلمون المسلمين كراهة تقليد الانجليز فى لبس البدلة والبرنيطة ، والحذاء بالرباط ، ولبس القميص بالياقة ، بل والحلاقة على النسق الانجليزى .. محاربة منهم لموجة التقليد للانجليز واتباعهم فى تقاليدهم .. خوفا من هذه الموجة الغربية على دينهم ، وفى ظل الجهود الذاتية للمسلمين تجاه دينهم ، وجدنا المساجد يعنى بها وترمم وتفرش ويوفر لها حتى الماء الساخن فى برد الشتاء . ويحرصون على أن يصلوا فيها الاوقات .. ويوفروا لها الإمام والخادم كارهين للصلاة فى البيوت .

كما وجدنا المدارس الدينية التى تعنى بدارسة الدين واللغة العربية تكثر وتنتشر ، وتنمو وتكبر وتتسع بالجهود الذاتية للمسلمين ، وتبرعهم بما يستطيعون . بل ورأينا جامعات اسلامية مدنية يقيمها المسلمون بجهودهم الذاتية مثل "جامعة عليكر" عندما انشئت فى اواخر القرن التاسع عشر وظلت إسلامية الطابع والانفاق حتى ضمتها حكومة الهند أخيرا بعد استقلالها ومنذ سنوات ..

وكذلك .. "الجامعة الملية الاسلامية" فى العاصمة دلهى ، حيث أقامها المسلمون بجهودهم سنة ١٩٢٠ تحت رعاية شيخ الهند "مولانا محمود الحسن فى ذلك الوقت ، وظلت كذلك حتى ضمت للجامعات الحكومية أخيرا ..

وفى الهند تعنى المدارس الدينية ويعنى الأهالى بحفظ القرآن الكريم وتجويده حتى للسيدات وبدافع الرغبة والطاعة ، بل والتشرف بحفظ القرآن ، وحمل لقب "قارىء" أو "قارئة" وهو لقب يفضل على لقب العالم هناك ، حتى إن "مدير جامعة دار العلوم ديوبند" مولانا محمد طيب عليه رحمة الله كان يقال عنه مولانا قارىء محمد طيب إشارة إلى أنه حافظ للقرآن الكريم وبعض الأثرياء يحرصون على استقدام قارئة أو قارىء لتحفيظ بناته فى بيوتهم .أما شهر رمضان فهم يستعدون لاستقباله قبله بشهرين أو اكثر ، لا من حيث الطعام أو الياميش أو الكنافة أو القطايف ، كما نعمل هنا ، بل يستعدون للعبادة فى هذا الشهر ، وتجهيز المساجد وتنظيفها وطلائها ، ثم يعملون على إعداد الإمام الذى يصلى بهم الاوقات والتراويح .. بحيث يكون متفقها حافظا للقرآن الكريم كله لأنه سيصلى به كله صلاة التراويح بحيث يختم القرآن كله فى ٢٦ أو ٢٧ ليلة . ويجهزون وراءه فى الصف حافظا آخر يمكن أن "يفتح عليه" أى يرده إذا غلط ، ويذكره إذا نسى ، وإذا لم يوجد فى البلد استقدموه من أى بلدة أخرى .. وكل ليلة يقرءون فى التراويح جزءا وبعض جزء ، بحيث يتمون قراءة القرآن كله قبل انتهاء الشهر بنحو

ثلاث ليال ، ويقيمون حفلة الختام ويحضر الاطفال إلى المساجد والذين لم يشتركوا فى الصلاة ، ليأكلوا الحلوى ، ويكون مهرجانا وفرحة ، إيذانا بأنهم ختموا القرآن ..

ثم فى الليالى الباقية يحرص الكثيرون على أن يختموا فيها القرآن مرة ثانية .. فلا ينتهى رمضان حتى يكون المصلون قد ختموا القرآن مرتين بتوفيق من الله ..

وهذه عادة وتقليد عام عند المسلمين فى الهند .. كما شاهدت ، وكما عرفت من زملائى وتلامذتى هناك ..

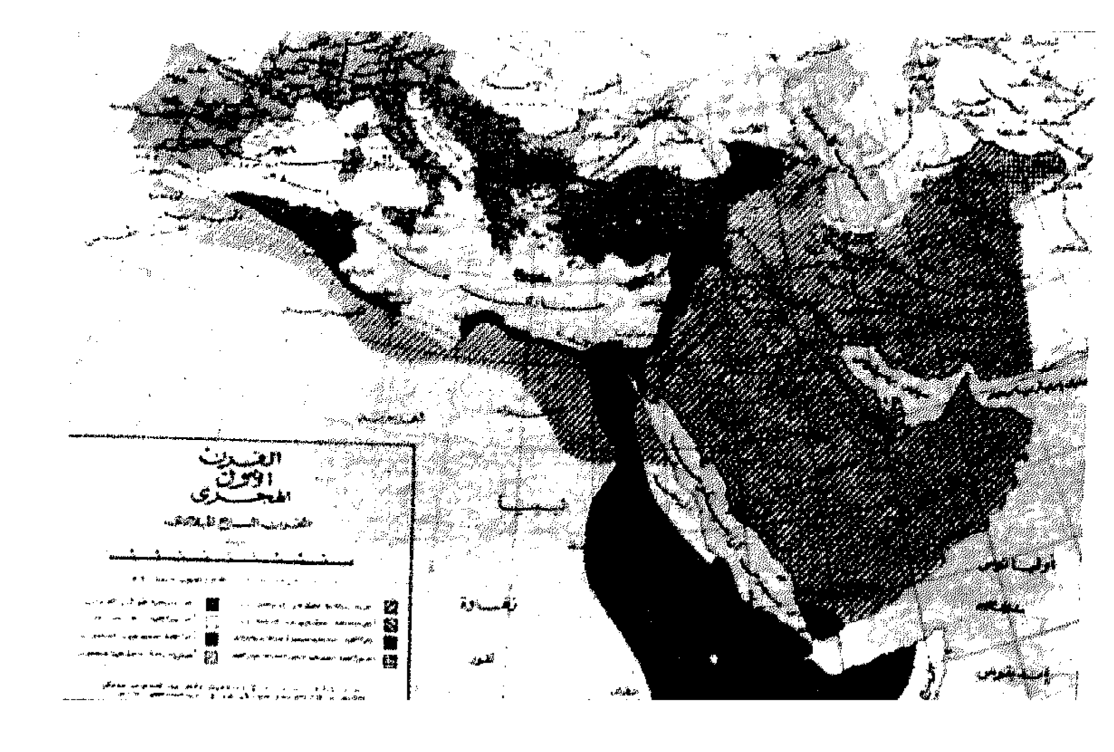
أما من حيث المأكولات والمشروبات هناك فى رمضان ، فلا تتميز بشىء صارخ كما هنا ، فإن رمضان يقبل دون أية عناية بمظاهر الأكل والشرب فيه ، هو كبقية الشهور ، وربما أحضروا التمر الجاف ليفطروا عليه عملا بالسنة .

وفى العيد : لم أجدهم يعنون بعمل الكحك ومايتبعه ، بل يقضونه كعادة أيامهم فى الطعام ، وربما زادوا عليه ، حلوى يقدمونها من اللبن الحليب به جوز الهند المقطع قطعا صغيرة ، وشعرية رفيعة جدا يسمونها "سقيا" ويناولها الانسان بالملاعق . لأن العادة الغالبة عندهم تناول الطعام باليد دون ملاعق أو شوك ، حتى الهندوس كما رأيتهم فى بيوتهم ، وفى مطاعم المحطات ..

وفى الهند حلوى خاصة يصنعونها محليا فى كل مدينة وقرية يوميا . وتباع فى الأسواق ويقدمها صاحب البيت لضيوفه فى أى وقت ، وهى حلوى لذيذة تدخل الزبدة أو مايشبهها مما يسمى عندهم « ماوه » فى صنعها .. وأهم مايعملونه يوم العيد ، هو العناية بلبس الملابس الزاهية الجديدة كمظهر لهم أمام غيرهم ثم التجمع لصلاة العيد خارج القرية ، فى مكان متسع للصلاة ، ولمن حضر من الاولاد والزوجات للصلاة ، أو للفرحة بالاحتفال ..

ويتأخر وقت صلاة العيد لنحو الساعة التاسعة فى القرى والمدن غالبا حتى يحضر المسلمون من البلاد الواقعة حولها ، ويكون التجمع الكبير ، والمظهر الضخم الذى يظهر كثرة المسلمين وإقبالهم على العبادة ، ويكون من هذا فرصة عظيمة للقاء بعضهم بعضا ، وتجديد الصلات بينهم .. ويحسون فى هذا التجمع معنى العيد ..

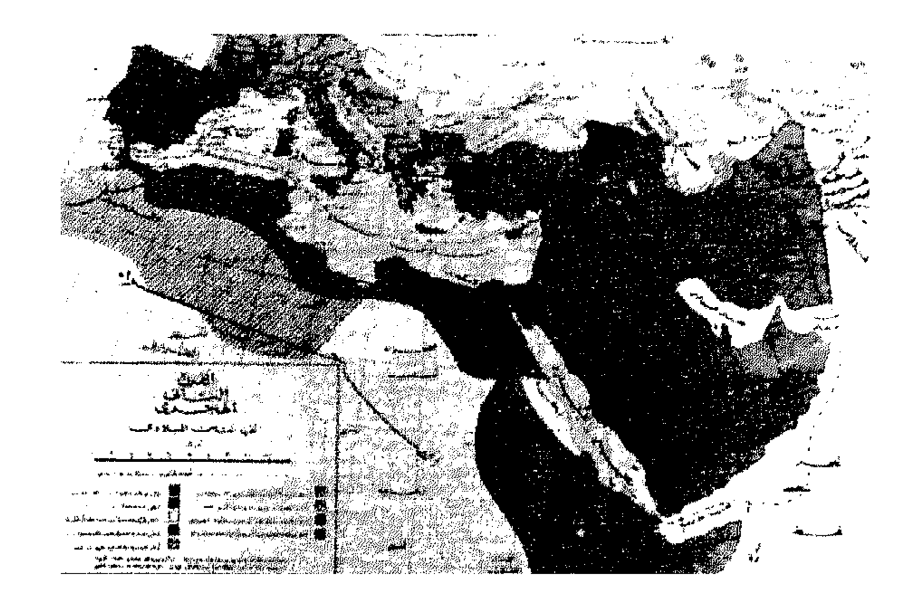
والمسلمون فى الهند وإن كانوا نحو مائة مليون مسلم إلا أنهم وسط نحو ستمائة مليون هندوسى ، وهم موزعون على جسم الهند الكبير فى بعض القرى قد يكونون أكثرية وقد يتعادلان وهذا قليل ، لكنهم بعد ذلك أقلية وسط موجة هندوسية ، وهم يعيشون فى شبه توتر دائم للحفاظ على دينهم ، ويتعرضون أحيانا للايذاء من الكثرة ، لكنهم يظلون أوفياء لدينهم ولحياتهم ولذلك قلت عنهم: إنهم يعيشون فى رباط دائم ، يشاركون فى الحياة بكل مايستطيعون ، ويبتعدون عن كل تحرش ، لكن هناك أحزابا متعصبة ضد المسلمين تعصبا ممقوتا تشحن نفوس أتباعها بالكراهة للمسلمين والعسف بهم .. وزعماء المسلمين هناك يقومون بواجبهم نحو دينهم ونحو إخوانهم ، وأعرف منهم الكثيرين ، منهم من لقى ربه ، ومنهم من ينتظر ويؤدى دوره فى خدمة الاسلام والمسلمين وسط ظروف صعبة ، ولذلك فهم فى حاجة باستمرار ان نشعرهم بأننا واقفون معهم ومقدرون لمواقفهم ، وليسعد النطق إن لم يسعد الحال ..

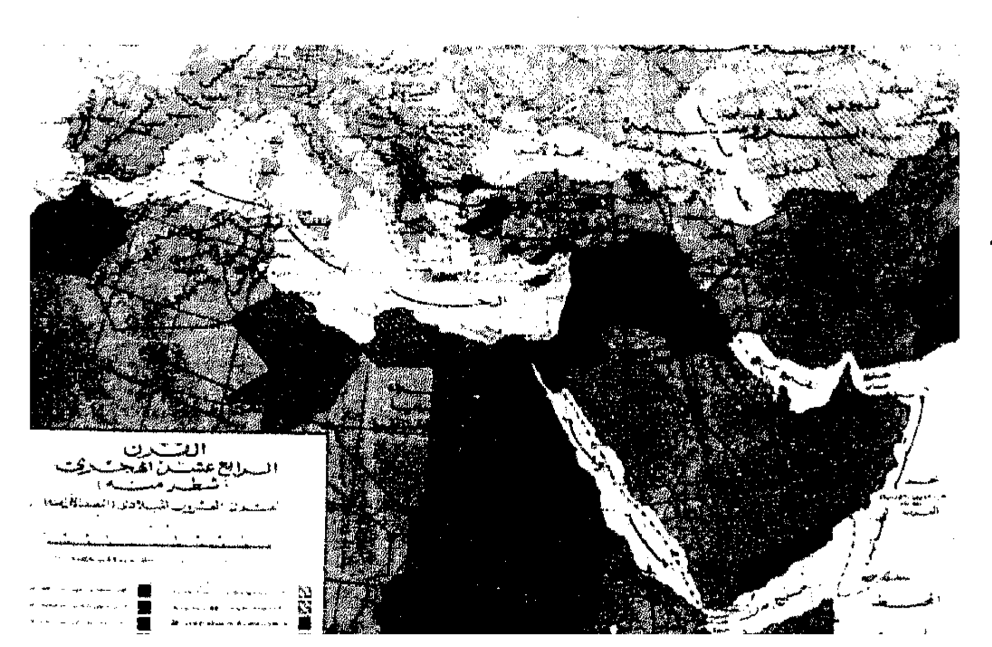


العالم الاسلامى بين القرن الأول الهجرى والقرن ١٤ الهجـــرى

شهد القرن الأول الهجرى ازدهارا للإسلام فى ربوع العالم واستمر المد الإسلامى قويا عبر القرون المتتالية.

وطوال تعاقب القرون تضاعفت اعداد المسلمين، إلا أن المشكلات قد بدأت تصيبهم بالوهن. وتفت فى عضدهم. والدليل على ذلك عدم قدرتهم على القيام بعمل موحد ضد إسرائيل. والحفاظ على المقدسات الاسلامية فى القدس، ووقف نزيف الدم الاسلامى بين الجارتين المسلمتين العراق وإيران





أقوال معاصرة



سيمون دى بوفوار

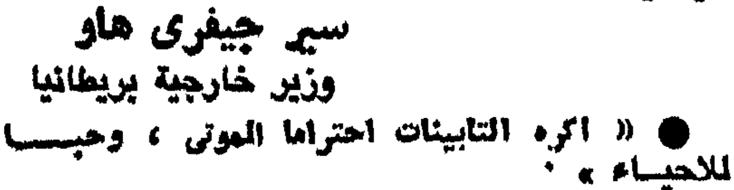
● « الشيخوخة محاكاة هازئة للحياة » .

سيمون دى بوفوار

● « من يذهب الى الاراضى المقدسة ، انسانا مستقيما يرجع منها نهايا مجرما !»

اميل حبيبى الكاتب الفلسطينى

● « كارثة مفاعل شيرنوبيل ليست فرصة لتتحول المأساة الانسانية الى لعبة كرة قدم سياسية » .



سير جيفرى هاو

وزير خارجية بريطانيا

● « اكره التابينات احتراما الموتى ، وحبا للاحياء » .



ادوار هيث

يالمز جونى

المخرج التركى

● « القذافى ليس الا لاعبا ثانويا لن يحل قتله مشكلة الارهاب بل سيصبح شهيدا يرتكب باسمه مزيدا من العنف ، فى الكفاح من اجل التحرير ..

باتريك سيل

الصحفى البريطانى



أحمد بهاء الدين

● « ان ما يجب عمله الان هو التوجه الى قلب مشكلة الشرق الاوسط والمتمثله فى مستقبل الفلسطينيين فتجاهل هذه الحقيقة هو الذى يؤدى الى المزيد من التوتر فى المنطقة » .

ادوارد هيث

رئيس الوزراء البريطانى السابق

● « ان ما نطالب به أن نصبح مثل الكونجرس الامريكى ، الذى لا يستطيع الرئيس شن حرب دون الحصول على موافقته » .

تونى بن

وزير سابق ونائب فى البرلمان

● « اجتماع قمة طوكيو لم يكن مؤتمرا عاديا للرؤساء ولكنه كان اعلانا عن ميلاد حكومة عالمية جديدة تدبر شئون الكون » .

احمد بهاء الدين

بقلم: د. شكري محمد عياد

الاستعمار التكنولوجي

هنيئا لنا معشر العرب !!
طردنا جنود الاحتلال من ارضنا ، وخلصنا ايدينا من قيود التبعية السياسية ، وقلنا للاستعمار ، احمل عصاك وارحل ! فحمل عصاه ورحل ثم راينا طوقا خفيفا ظريفا ، يبسم لنا بثناياه اللؤلؤية ، ويغمز بعيونه الفيروزية ، فجرينا اليه ، وساومنا عليه ، والبائع يغلى فى الثمن ، ويعلى فى البضاعة ، وبعد اللتى واللتيا ، لبسناه وكاننا نتقلد الثريا . وما هى الا ساعة زمان ، حتى تبين لنا ان القلادة الثمينة ، ان هى الا افعى لعينة !

هذه هى قصتنا مع التكنولوجيا ، ومع ان بعضنا يعربها فيقول ((التقنية)) فانها هى نفسها تابى أن تتعرب .

اخشى ما اخشاه ايها القارىء ان تتهمنى بالجمود او المبالغة ، وهما تهمتان ابرا الى الله منهما ، فلم اكن يوما من الايام راضيا عن العهد الحميدى فى اليمن السعيد ، ولا انا اليوم اكن اعجابا خاصا بالبانيا انور خوجة . ليس من مصلحتنا ولا هو فى مقدورنا ان نغلق ابوابنا فى وجه الحضارة الحديثة ، فالحضارة الحديثة مثل الجن ، تستطيع ان تدخل من الطاقة او من تحت عقب الباب او تنفذ من الحيطان ، من الذى

يعجبه ان يمشي الناس كبارا وصغارا ، رجالا ونساء ، حفاة على الارض اللاهبة او الصخور المسننة ، لا لانهم يستمتعون بمباشرة الطبيعة البكر، بل لانهم لا يعرفون الاحذية او لعلهم لم يسمعوا بها ؟ من الذي يعجبه ان يقف العبيد خلف السلطان بالساعات ، يحركون اذرعهم صعودا وهبوطا لتحرك مسطحات كبيرة من الخيش المندى بالماء ، فتخفف وطأة الحر على الجسد السلطاني ، ويرى ان هذا الاسلوب اكثر كفاءة او اكثر انسانية من مروحة كهربائية او جهاز تكييف ؟. ان الحيوان نفسه يبحث عما يريحه ، فكيف بالانسان ؟

ولكنني لا ابالغ حين اسمي فتنتنا بالتكنولوجيا الحديثة تبعية واستعمارا « تبعية من جهتنا واستعمارا من جهتهم» لطالما سالتك ايها القارىء : مالنا نشكو الفقر والسيارات الخصوصية مرصوصة امام بيوتنا ، والتليفزيون الملون لا يكاد يخلو منه بيت في مدينة او قرية وسالتك كيف يمكننا ان ننظر في عيون اطفالنا ونحن نعلم ان الواحد منهم لم يعد يولد صفحة نقية ، بل صفحة بالكومبيوتر عليها حساب مدين ببضع مئات من الدولارات ، اضعناها نحن بحماقتنا وسوء تدبيرنا ، وسالتك وسالتك ، عساك ترفض اسلوب الحياة الذي فرضه الغرب علينا بالاغراء والخداع ، ليتحكم في رقابنا ورقاب ابنائنا من بعدنا ، فكنت تتهمني بالجهل والتخلف .

فقد اراد الله ان ينصفني منك « عزيزي القارىء » حين وقع في يدي كتاب لا يمكنك ان تنسب احدى هاتين الصفتين الى كاتبه او ناشره ، فوجدته يصرح بما كنت ادور حوله ، واتلطف لانبهك اليه ، فاقتبست منه عنوان هذا المقال !

الكتاب من منشورات هيئة الامم المتحدة « اللجنة الاقتصادية لغرب آسيا» وعنوانه « نقل التكنولوجيا والتغير في العالم العربي » .

وقد ظهر سنة ١٩٧٨ حاملا الابحاث والمناقشات التي جرت حول هذا الموضوع في ندوة عقدت في بيروت بين ٩ و ١٤ من اكتوبر سنة ١٩٧٧ . يعنيني من هذه الابحاث بحث واحد اعده جهاز رسمي من اجهزة الامم المتحدة وهو سكرتارية « مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية» الذي يعرف في معجم الامم المتحدة باسم « الانكتاد » . ومعذرة ان ضاق صدرك بهذه العناوين والاسماء والرموز فهكذا يعمل جهاز الامم المتحدة ، اما نتائج عمله فاطنان من الورق المطبوع الذي يحمل قرارات وتوصيات من نوع القرارات والتوصيات الصادرة عن مجلس الامن والجمعية العمومية في شان المشكلة الفلسطينية . وياليت عقولنا تصدق ان هؤلاء الرجال المنعمين الذين يقبضون اعلى الرواتب في العالم النامي والمتقدم ويتنقلون بين عواصم الدنيا بدون تاشيرات دخول هم حقا مثاليون اطهار كما تدل هذه التوصيات والقرارات . ولاشك ان هناك استثناءات مهمة مثل الورقة التي نحن بصددها ، ولكني لا اعجل بعرضها عليك حتى افكهك ببعض ماورد في ورقة اخرى من اوراق الندوة اعدها موظف من موظفي الامم المتحدة كذلك ، وعنوانها : « العلم والتكنولوجيا في نظام الامم المتحدة » . فقد اورد فيها مقتطفات من وثائق الامم المتحدة حول هذا الموضوع وفي مقدمتها هذا القرار الذي اتخذته الجمعية العامة بشان خطة التنمية لعقد السبعينيات ، ونصه ا

« تقوم البلدان المتقدمة والنامية والمنظمات الدولية المختصة بوضع وتنفيذ برنامج لتشجيع نقل التكنولوجيا الى البلدان النامية ، ويشمل ذلك ، بين ما يشمله ، مراجعة الاتفاقيات الدولية بشأن براءات الاختراع ، وتحديد وتذليل

الصعوبات التى تعوق نقل التكنولوجيا الى البلدان النامية ، وتسهيل الحصول على التكنولوجيا المسجلة وغير المسجلة للبلدان النامية بشروط عادلة ومعقولة، وتيسير استخدام التكنولوجيا المنقولة بصورة تساعد هذه البلدان على تحقيق اهدافها التجارية والتنموية ، وتطوير التكنولوجيا الملائمة للبيئة الانتاجية فى البلدان النامية ، واتخاذ الخطوات التى تساعد على تطوير تكنولوجيامحلية » »

يتامل المرء هذه السطور ويسأل نفسه اهذا الذى اقرؤه قرار او توصية لجمعية من سياسيين ودبلوماسيين محنكين ام فقرة من محاكاة عصرية سمجة للمدينة لفاضلة التى حلم بها افلاسفة الاقدمون الادهى ان اجهزة الامم المتحدة حين تحاول النزول بهذه الاحلام الى ارض الواقع تزداد تخبطا فى عالم الاحلام . فالعقبات الواقعية ، كما تقول الورقة ، منها ما يرجع الى البلدان النامية ومنها ما يرجع الى البلدان المتقدمة ، وتبالغ الورقة فى تعداد القسم الاول : معوقات تاريخية واقتصادية واجتماعية تضعف قدرة البلدان النامية على التحديث ، ولكنها تضطر الى الاعتراف بعامل واحد واساسى يتحكم فى انتقال التكنولوجيا من البلدان المتقدمة الى البلدان النامية ، وهو ان المؤسسات الخاصة التى تمتلك التكنولوجيا فى البلدان المتقدمة « تميل الى طلب اثمان عالية نسبيا لبيع المعلومات التكنولوجية » ، «انظر الى هذه العبارة المهذبة » ولذلك فان لجنة « الانكتاد » الخاصة بنقل التكنولوجيا قامت بصياغة المبادىء الاتية لتراعى على مستوى الدولة .

«ا» العمل على تقوية الطاقة التكنولوجية للبلدان النامية ؟

«ب» ــ اقرار ميثاق شرف بشان نقل التكنولوجيا ؟

«جـ» ــ مراعاة الجوانب الاقتصادية والتجارية والتنموية لنظام براءات الاختراع الدولية .

وكان احد المناقشين صريحا كل الصراحة حين تساءل : « اى معلومات يمكن ان تقدمها الامم المتحدة للمراكز الاقليمية لنقل التكنولوجيا « صاحب التعليق ، مدير لمركز اقليمى مقره باريس » والحال ان الملاك الاساسيين للتكنولوجيا هم شركات وحكومات ؟ ماهى الخطوات التى تقترحها الامم المتحدة لاغراء مـلاك التكنولوجيا هؤلاء حتى يمكنوا غيرهم من الحصول عليها ؟ ان طلاب التكنولوجيا موجودون ، ولكن المراكز الاقليمية يصعب عليها جدا ان تجد ملاك التكنولوجيا ومنتجيها . »

ولم يستطع كاتب الورقة ولا غيره ان يقدم جوابا عن هذا السؤال الحاسم ، ولكن ورقة سكرتارية « الانكتاد » التى اشرت اليها فى صدر هذا المقال ، تقدم شيئا من التوضيح لخلفية السؤال .

القسم الاكبر من هذه الورقة ــ وهو الاهم فى نظرى ــ يصف الظواهر المرضية المصاحبة لنقل التكنولوجيا فى العالم العربى ، فهو يقرر فى الفقرة الاولى منه «ان التحليلين النظرى والتطبيقى لعملية نقل التكنولوجيا يظهران ان الصور المستعملة فى نقل التكنولوجيا المملوكة والشائعة، وكذلك الشروط والظروف التى يخضع لها هذا النقل ، كان لها اثار خطيرة فى اضعاف اقتصاديات البلدان النامية ، وبالتحديد فى حالة التبعية التكنولوجية التى تعانيها فى الوقت الحاضر . »

ويورد البحث بعض المؤشرات الدالة على حالة التبعية التكنولوجية ومنها ان نسبة الاعتمادات المخصصة للبحث والتنمية فى العالم العربى الى مجمل الدخل القومى لا تتجاوز ربع نسبتها فى البلدان الصناعية ، وان نسبة عدد العلميين والمهندسين المشتغلين حاليا

بالبحث والتنمية الى مجموع السكان لا يتجاوز واحدا من كل عشرة الاف ، بينما يبلغ العشرة في تلك البلدان ، وان نسبة السلع الراسمالية المستوردة الى مجموع راس المال الثابت يبلغ ٤٣ ٪ ، مع انه يتراوح في البلدان النامية نفسها بين ٨٪ و ٢٥٪ . هذه المؤشرات الاحصائية التي تعطينا صورة شاملة بطبيعة التبعية التكنولوجية » ، ومداها يجب الا تنسينا هكذا يقول الكاتب – ابعادا اخرى لهذه التبعية ، يذكر منها : التبعية لنماذج الاستهلاك الاجنبية ، والبضائع ذات الماركات الاجنبية .

وتحرص الورقة على التمييز بين نقل التكنولوجيا والتبعية التكنولوجية فنقل التكنولوجيا له مزايا كثيرة بدون شك ، ولكن « الصور والشروط » التي يجري بها نقل التكنولوجيا في العالم العربي هي التي تكون ما تسميه الورقة «التبعية التكنولوجية » ، بما يصاحبها من اضرار شديد بالاقتصاد الوطني ، وتاخذ الورقة في تعداد بعض جوانب هذا الضرر ، مؤيدة بالبيانات والارقام ، وعلى راسها التكاليف العمالية في النقد الاجنبي ، التي تؤثر تاثيرا مباشرا على ميزان المدفوعات .. ويلاحظ ان البحث لا يدخل تحت هذا البند اثمان السلع الراسمالية او الالات ذاتها ، فهذه لا تشكل ضررا وان كانت تعد علامة مهمة على التبعية التكنولوجية. انما المقصود بهذه التكاليف منحصر في حقوق الامتياز ومصاريف الادارة التي تدفع للشركات الاجنبية . وبناء على حساب دقيق يقدر البحث هذه التكاليف في السنة المالية ١٩٧٣ – ١٩٧٤ بمبلغ ٥٧٣ مليون دولار على الاقل ، ينتظر ان تزيد حتى تبلغ في اوائل الثمانينيات مابين ٣٫٥ و ٤ بلايين دولار ، ويستدرك على ذلك بمايلي نصه ؟

« ان التكاليف المباشرة لا تشكل الا قسما صغيرا من اجمالي التكاليف . فقد اثبت عدد من الابحاث الميدانية انموردي التكنولوجيا – وخصوصا حين تكون مرتبطة باستثمار اجنبي مباشر كما هو الشان في صناعة النفط – يفضلون ان يتسلموا ارباحهم طبقا للاسعار التحويلية ، هذا الى جانب طائفة كبيرة اخرى من الحيل الخفية او غير المباشرة، حتى يقللوا نسبة الضرائب المستحقة عليهم ، ولهذه الاسباب نتوقع ان تكون تكاليف التكنولوجيا اضخم بكثير ممايبدو على السطح . »

على ان الامر لا يقف عند هذا الحد ، بل ان تكاليف التكنولوجيا تتضاعف بالتكاليف الضمنية التي تحتوي عليها العقود المبرمة بين المورد والمستورد فهذه العقود الشاملة تحتوي عادة على بنود مقيدة لحرية المستورد في الحصول على مواد التشغيل قطع الغيار او السلع الوسيطة ، وبذلك يضطر الى شرائها بالاسعار العالية التي يحددها مورد التكنولوجيا ، كما تحتوي على بنود اخرى تقيد حريتهم في تسويق السلعة المنتجة بقصرها على اسواق معينة .

هذا الضرر الاقتصادي المحض فلايكون الفدح في نظرنا نحن ابناء الشعوب المستعمرة تكنولوجيا من ضرر اخر مادي ومعنوي في الوقت نفسه ، وهو فقدان مستورد التكنولوجيا لحريته في اتخاذ القرار « وورقة البحث لا ترى الا القرار الاقتصادي » ولكننا تستطيع بسهولة ان نلاحظ تاثير الوضع الاقتصادي الناشيء عن التبعية التكنولوجية في حريتنا السياسية ايضا – تلك الحرية التي جاهدنا طويلا قبل أن نحصل عليها . »

اوضح مايكون ذلك في الشركات متعددة الجنسيات التي تنشيء فروعا لها في بلادنا فجميع القرارات المهمة المتعلقة بالتوظيف والادارة والاجور والاسعار والارباح تتخذ في المقر الرئيسي . وقد عمدت كثير من الحكومات العربية وحكومات العالم الثالث بوجه عام الى تشجيع الاستثمار المشترك ليكون للقرار الوطني دور اكبر في توجيه النشاط الاقتصادي ، كما عمدت الى تاميم

قطاعات كاملة رئيسية كانت تنتمى اصلا الى احتكارات عالية كبرى ، ولكن الدراسات العملية ، التى اعتمدت عليها ورقة البحث ، اظهرت ان الشروط التى تم بها هذا التغيير ابقت سلطة القرار فى يد المورد الاجنبى للتكنولوجيا وبورد البحث امثلة صارخة من العالم العربى ، ولكننا نفضل ان نترك هذه الامثلة لخبرة القارىء الخاصة ، ونكتفى بما اورده نقلا من دراسة خاصة بالمشروعات المشتركة فى الهند « وهى تعد من البلدان التى حققت بعض النجاح فى التحرر من التبعية التكنولوجية » ..

تقول هذه الدراسة : « ان النتيجة العامة التى تظهر من التحليل .. هى ان الشركات الاجنبية استطاعت ان تميع الملكية المشتركة بحيث لم تتاثر السيطرة الاجنبية فى كل حالة تاثرا يذكر . »

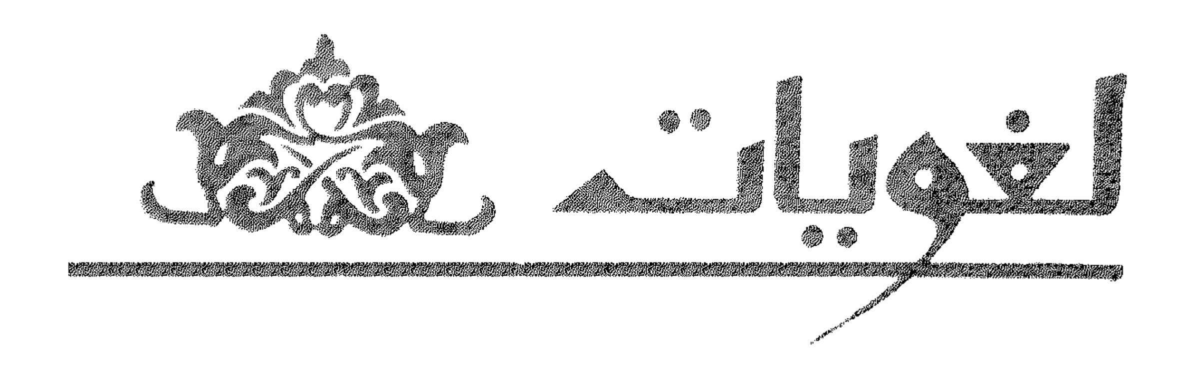
واذا كنا قد بدأنا ندرك ـ ولو متاخرين ـ ان الاستقلال السياسى لا يكفى للحفاظ على حرية الوطن ، بل انه يمكن ان يتحول الى مظهر كاذب ان لم يدعمه استقلال اقتصادى حقيقى ، فلعلنا لم ننتبه بعد الى ضرورة البحث العلمى الجاد لازدهار الاقتصاد الوطنى . والمقصود بالبحث العلمى هنا ذلك المرتبط بالتنمية . وتوضح الورقة ان التبعية التكنولوجية، التى كان تخلف البحث العلمى التكنولوجى احد اسبابها ـ تعمل على زيادة هذا التخلف ، فكاننا ندخل فى حلقة مفرغة مؤداها المزيد من التخلف . وهى تعمل على زيادته من طريقين :

اولهما ان البنية الاقتصادية التى نجحت فى الهيمنة عليها تجعل قيام الشركات والمؤسسات الوطنية بالابحاث العلمية التكنولوجية اما جهداً غير مطلوب واما محاكاة ضعيفة لما تقوم به مؤسسات البلد المورد للتكنولوجيا ، وربما اخذ هذا الاتجاه شكلا « قانونيا » ، فقد وجدت امثلة عدة لعقود تكنولوجية تمنع او تقيد النشاط البحثى للشركات الوطنية المتعاقدة ، ولا سيما ابحاث « تطبيق التكنولوجيا » التى تمس الحاجة اليها.

والطريق الثاني هو وقف نمو الخبرة الوطنية « بالتعلم من خلال العمل » ، اذ تصر الشركات الاجنبية « موردة التكنولوجيا » على استخدام شركات هندسية ومنفذة اجنبية فى المراحل المختلفة للمشروع . وسرعان ما تحذو الشركات الوطنية نفسها حذو الشركات الاجنبية ، فتستخدم المهندسين الاجانب والمقاولين الاجانب ، وتصبح الخبرة الاجنبية والتكنولوجيا الاجنبية والماركة الاجنبية هى صاحبة السيادة فى جميع الاحوال!.

والاقتراح الذى يشير اليه البحث ، لتلافى هذه المضار او تخفيفها : هو انشاء مركز اقليمى لنقل التكنولوجيا ، يضم مختلف الاقطار العربية ، بهدف تنسيق سياساتها التكنولوجية ، وتشجيع الابحاث العلمية التنموية المشتركة ، وتحسين الشروط التى يجرى العمل بها حاليا فى نقل التكنولوجيا .

ولكن البحث يعترف بان مثل هذا المركز الاقليمى لن يحقق الغرض منه اذا لم تقم بجانبه مراكز بحثية تكنولوجية فى كل قطر عربى . واذا تذكرنا الملاحظة التى ابداها مدير المركز الاقليمى الفرنسى على الورقة السابقة وصلنا الى نتيجة واحدة : وهى ان مسئولية التقدم التكنولوجى ، والتقدم الاقتصادى، ليست مسئولية منظمة دولية ولا عربية، بل هى ـ فى الوقت الحاضر على الاقل مسئولية وطنية خالصة .



● تقول النساء أحيانا عند كلامهن عن الزواج : « هـذا عريس لقطة » وتعبيرهن هذا صحيح ، لكن كلمة « عريس » صحتها « عروس » للمرأة والرجل ، وتقول العامة عن الشيء الغالى الثمن حين يباع بثمن بخس انه « لقطة » ·· ينطقونها بضم اللام وتسكين القاف وفتح الطاء ، وهى كلمة صحيحة بشرط فتح القاف لا تسكينها ، ولكن الضرورة قد تبيح طريقة نطق العامة لهذا اللفظ ··

● نسمع بعض المتحدثين والخطباء فى الاذاعة والمحافل يقولون : « كان ثمة هناك كذا وكذا وكيت وكيت » ·· وهو تعبير خطأ ، لان « ثمة » معناها « هناك » ·· و « هناك » معناها « ثمة » ·· فلا يصح المجىء باللفظين مترادفين على هذه الصورة ، ويتعين الاكتفاء بأحدهما ، ومن عجب أن هذا الخطأ الفاحش يقع فيه « بعض اللغويين » حتى اننا سمعنا رئيس المجمع اللغوى يتحدث مرة فى الاذاعة فيقول : « ثمة هناك » ·· فأذهلنا ذلك ، ثم قلنا : لعله كان سهوا منه ؟··

● ومن الاخطاء قول بعضهم : « كلما فعلنا كذا ·· كلما حدث كذا » ·· وهذا خطأ شائع جدا فى الصحف والاذاعات وغيرها ·· والصواب حذف « كلما » الثانية ، فالتكرار هنا من كلام العجم لا العرب ··

● لاحظت أن بعض المتأدبين يضع كلمة « سؤالات » وكلمة « جوابات » بين قوسين لظنه أنها من الكلام غير الفصيح ·· وهذا الظن فى غير موضعه لانهما كلمتان فصيحتان ·· ومثلهما فى الفصاحة كلمة « عنوانات » جمع « عنوان » ·· و « علالى » وهى الامكنة العالية ··

● ينطق الفصحاء كلمة « ترجمان » بفتح التاء وضم الجيم ، وينطقها العامة بضم هذين الحرفين ·· وكلا النطقين صحيح فصيح ·

صلاح جاهين

مُغَنّى سنوات الزهْو والانتصار

بقلم : فاروق عبد القادر

من المؤكد عندى أن رحيل صلاح جاهين قد مس نبضا حيا فى قلب كل مصرى ..

ومن المؤكد عندى أن رحيله ليس حدثا عابرا لفنان عاش وكتب ورسم وصنع افلاما .. ثم مات .

ومن المؤكد عندى أن غياب صلاح جاهين انما هو غياب مرحلة كاملة : حين كان القلب الاخضر ، والامال ممتدة الى أفق فسيح ، لا حد لانفساحه ، حين كان القائد على رأس شعبه . يمتشق سيفه ويخوض المعارك ، ويعود مكلل الهام بالانتصار . حين خرجت جماهير المصريين تتصدى للعدوان وتهزج : « ح نحارب ــ والله زمان يا سلاحى .. » ، حين كانت سواعد المصريين والسوفييت ــ جنبا لجنب وكتفا لكتف ــ تقيم السد العالى وترفع قواعده ، حين بدت الاشتراكية حلما دنا تحقيقه ، حين رفرفت راية الوحدة للمرة الاولى فى تاريخ العرب الحديث : « عرب الشمال والجنوب اتجمعم فى حى ــ دقة قلوبهم غنا ــ ونظرة عيونهم ضى .. » .

ومن المؤكد عندى ــ أخيرا ــ انه مهما تعددت وجوه صلاح جاهين وتنوع علماؤه ، يبقى وجهه الحقيقى ــ هو الممثل ، المؤدى ، دائم الولع بالاقنعة ولعب الادوار ــ والذى حفظ له مكانه فى قلب تاريخ مصر الحديث ، انه كان ــ دون سواه واكثر من سواه ــ مغنى سنوات الصعود والزهو والانتصار .

من هنا ، من حقيقة أن صلاح رمز وشارة لمرحلة بكاملها ، تفاوتت المواقف بعد رحيله ، وانصرفت عنه لتلك المرحلة ! ثمة من يصفى حساباته القديمة معها ، وثمة من يسقط عليه أخطاءها ، وثمة من يرثى نفسه حين يرثيه ، وما أسرع ما لبست كلمات الباطل أثواب الحق !

من هنا أيضا ، يبقى الاقتراب الوحيد ، المتاح والمجدى ، هو ما عبر عنه صلاح فى بكائيته الجميلة لاستاذه بيرم : « بيرم .. فتحت ديوانه .. رد عليا .. » .

وها نحن نفتح ديوان صلاح جاهين .. خير ما تبقى منه لنا :

● ازدهار فنون الشعب ●

ولم يكن ازدهار « شعر العامية المصرية » ــ كما اسماه صلاح جاهين ــ



صلاح جاهين .. رمز وشارة لمرحلة بكاملها

غير احدى ثمار تلك المرحلة ذاتها ، وتزامن صدور مجموعته الاولى « كلمة سلام ، ١٩٥٥ » مع موجه جديدة صاعدة فى القصة والرواية والنقد والمسرح وشعر العربية والغناء ، الى جانب لون من الاهتمام ـ المرسمى وغير المرسمى ـ بفنون الشعب وآدابه ، كان الرائد الكبير بيرم التونسى (١٨٩٣ ـ ١٩٦١) لا يزال يواصل عطاءه ، لكن معظم اهتمامه كان موجها للاغنية الفردية ، ومعظم ما تبقى منه كان وراءه : لقد راد الطريق ، طريق الخروج « بالزجل » من دائرة « الاخوانيات » و « الحلمنتيشيات » ، التى ظل زمننا طويلا يتخبط فيها من سخف لسخف ، ونسمع نبض المصرى الصغير ، وعبر ـ بلغته ـ عن همومه ، والتفت الى

صلاح جاهين

مظاهر الجمال فى الطبيعة المصرية وتغنى بهـا ، وارتفع ـ فى بعض أعماله ـ الى آفاق اكثر انسانية وشمولا . كل هذا قدمه فى عامية عذبة ورائقة ، تنجو من الابتذال ، وتتخللها مفردات عربية صحيحة ، طاعت لموهبة بيرم ، فلم تعد نابية فى السياق .

وفى « كلمة سلام » تلك الهواجس التى شغلت هذا الجيل المتفتح مع بداية الخمسينيات (صلاح من مواليد ١٩٣٠) : فثمة قصيدة عن شابلن ، واخرى عنروزنبرج ، واكثر منقصيدة عن الذل الذى يلقاه العامل فى قبضة رأس المال ، الذى لم يكن مصريا ، وعن بؤس الفلاحين وشظف حياتهم . كان صلاح عالى النبرة خشن الصوت لكنه دل على موقف فكرى صحيح ، وانتماء صاف للانسان والارض ، كما دل على حس ومعرفة بالعامية المصرية، وحسن افادة من تراثها . وكان وجهه المتفائل انصع الوجوه : « واحنـا ماشيين فى المظاهرة ـ بنت مالت ناحيتي وادتنى وردة ـ وردة حمرا ـ قمت م القهوة سعيد ـ وباقول : .. ـ بكره أجمل م النهارده » .

كان القصد واضحا ، والسعى اليه مباشرا ، والطريق قد عرفنا أوله، وآخره ، مشمس يلوح من بعيد والشاعر لا يستطيع أن يصرف وجهه عنه ، ليغنى للحب والطبيعة : « ملزوم احس بالم وانزف قصايد نار .. » .

●

ومهما كان الضوء الذى يبدو فيه ، الان ، ما حدث فى ١٩٥٦ ، الا أن الذى لا شك فيه أن تلك الايام من شتاء ٥٦ ستظل بين أيام النضـال البطولى لجماهير المصريين . وفى فرحة النصر تقدم صلاح يغنى « موال عشان القنال ، ١٩٥٦ » : أغنية حب طويلة لمصر ، يربط فيهاالماضى بالحاضر .. عذاب الجدود فى حفر القنـاة بالقتال لاستردادها . والمعركة الاجتماعية بالوطنية ، فالتصميم على بناء السد العالى هو الذىأدى لمحاولة الغزو ، ومصر لم تكن وحدها ، فمعركتها جزء من ، متلاحم مع ، معارك العرب وشعوب العالم الثالث، والشعوب المحبة للسلام . وفى هذا الموال الذى تتخلله أغانى الاطفال والاناشيد والاهازيج وأغنيات العمل ، ويقوم فى معظمه على الحوار وتعدد الاصوات ، وضحت طاقة صلاح الشعرية الدافقة ، وطاعت له الاشكال المختلفة التى عرفتها الاغنية والموال.

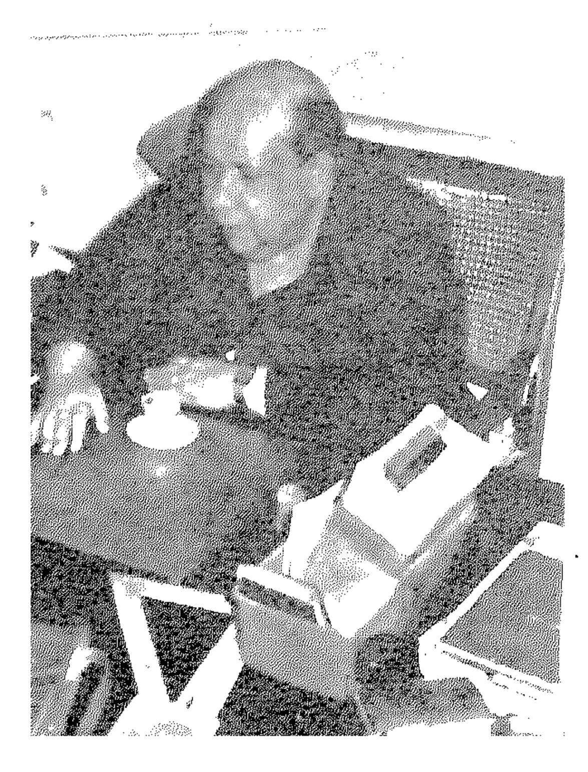
●

مجموعتاه التاليتان « عن القمر والطين ، ١٩٦١ » و « قصاقيص ورق ١٩٦٦ » ـ وارجىء الحديث عن « الرباعيات ، ١٩٦٣ » ـ ترسمان لنا ملامح وجوه متعددة للشاعر ، لكن أوضحها وجهه المهموم بمتابعة قضايا الواقع المصرى المتفجر بامكانات الانتصار والتقدم ، فغنى الشاعر لحادثتين جسدتا عنده هذه الامكانات اكثر من سواهما . تصدى المصريين لعدوان ١٩٥٦ ، وما تلا ذلك من انفتاح على المعسكر الذى تقدم يبنى، مع الشعب المصرى السد العالى ، رمز تحديه وصموده للتحدى . ان عددا كبيرا من قصائد المجموعتين عن هذين الحدثين ، وقد أصبح معظمها أغنيات تغنى، ولعلها لاتثير عند سامعيها،

ســوى الشـجن والاسى لتكشف وجه الواقع القبيح ، وتبدد سراب العمـر الجميل ـ أعنى أغنيات مثل : « والله زمان يا سلاحى ، ح نحارب ، احنـا الشعب ، الجنة هى بلادنا ، الله معك، ثوار ، بالاحضان ، على راس بستان الاشتراكية ، ما أحلاك يا مصرى وانت ع الدفة .. » وقصائد مثل : « احكم يا شـعب ، وقال يا بلد ، كـلام فى السياسة ، قطار الجنود ، أيامنـا الحلوة ، رسالة الى جندى ، أغنية الى أسوان ... الخ » .

لقد شهد صلاح واقعـا قديمـا يتقوض ، ومن أحشائه يتخلق واقع جديد ، فالقى بشعره الى جانب هـذا الجديد ، وبقى وفيا لالتزامه القـديم فى الواقع المتغير ، ودفعه صـعود عبد الناصر ، الثابت والدائم آنذاك ، الى التغنى بالشعب والبطل ، والى اليقين بأنالايام القادمة لاشك ستحمل لنا الرخاء والعدل (لم أعرف شاعرا مثله ترددت فى شعره كلمة « بكره » بهذه الوفرة وبهذا اليقين !) ورأى فى ارتفاع السد وهدير المكن ودخـان المصانع ارهاصات بتحقيق الحـلم فغنى طويلا لاسوان « أم السد » ، التى يلقى برأسه على صدرها فتنزاح عنـه الهموم والاحزان .

لكن هذا النضـال المصرى لا يمكن أن ينعزل عن سياقه ، وراحت أغنيات الشاعر تحدو النضـال العربى : فى الجزائر والعـراق وفلسطين واليمن والسودان ، وغنى عددا من أجمـل اغنياته للوحـدة : ها هو الحـلم قد تحقق ، وها هو عبـد النـاصر يخـاطب العـالم من شرفة « قصر الضيافة » وها هو الشاعر تسـتولى عليـه النشوة : « الوحـدة راية



قضى اجمل سنوات عمره يبدع . رغم معاناته

ونجمتينها صبايا ـ علشـان عيونهم ياما راحوا ضحايا ـ شجعان زمان فرسان حروب الوحـدة ـ من دمهم نبتت وصبحت راية ـ وكم شهيد وسط الميدان وجريح ـ هتف وقال بكل عربى فصيح : مجد العرب فى الوحدة » .. وهو يتابع النضال البطولى للثـورة الجزائرية ، وحين يتحقق انتصارهـا يغنى لها الشاعر المجذل : « يا جزائر اللهب .. اطرحى ورد أبيض ـ خلى الجبال تلبس عروسة وتنهض ـ أمر البلاد لاين البلاد اتفوض ـ ياكبريائى وفرحتى وعيونى ـ جاكى السلام ـ عز ومقام ـ كأن شعبك عمره يوم ما اتألم ـ ما احلا المغنا بعد الرصـاص ما اتكلم .. » .



ومن الانصاف للشاعر هنا القول بانه لم يكن غافلا عن دبيب العفن وراء الواجهة البراقة ، وأن الخطى قد تثاقلت عن تحقيق الاحلام ، وأن ما يتوق الشعب للخلاص منه لا يزال يزهق أنفاسه : « اسفخص على لون الاصفرار ـ والفقر والخوف والمرض ـ ما شفته الا ودمى فار ـ وحلمت بيه زال وانقرض ـ كابس علينا الشىء ده ليه ـ هو انجليز ·· ولا تتر ؟!·· ـ دوكهم خطر قمنا عليه ـ رياح ماخلتلوش اثر ·· » · لقد أخلف القمر موعده ، وران على العالم كله ليل ثقيل أسود ، تسلل الى نفس الشاعر فملأها بالحزن والضياع ، وتلفت فلم يجد حوله سوى أناس مقهورين يتسللون ليحتموا بجدران البيوت ، ورفع عينيه الى السماء ، فلم يجد سوى المحاق ، فسقطت عيناه الى الارض : « الارض برضه محاق ـ قهاوى سوده من الهباب والهذر ـ والراديوهات تنعب نعيب الجنون ـ يا ليله من غير قمر ـ يا كحل من غير عيون » ·

ترى ·· هل أحس المغنى أنه خان وجهه القديم ؟ هل صمت عن أشياء ارتآها وبدا له أن يقولها ، ثم آثر الصمت ، فهو يلعنه ؟ : « ملعون فى كل كتاب يا داء السكوت ـ ملعون فى كل كتاب يا داء الخرس ـ الصمت قضبان منسوجين عنكبوت ـ يتشندلوا الخياله فيه بالفرس ·· » ، ترى ·· هل احس بانه نأى عن الانتماء لساكنى الصفيح ، فهو يرجوهم الصفح ، ويعد بالعودة اليهم : « يا قلبى يا مليان ـ قول للى فى البيت الصفيح افتحوا ـ صاحبكم الغايب رجع صحصحوا ـ صاحبكم اتلطم كتير ـ اصفحوا »··

ان القراءة الصحيحة لقصيدته المثقلة « غنوة برمهات » تومىء للاجابة : حين كان صلاح يزداد تألقا وصعودا ، كان أعز رفاقه ، فى الفن والحياة ، بين ساكنى الصفيح فى المعتقلات والمنافى ، واليهم يتوجه صلاح بالخطاب : « يا ساكنين الصفيح ـ استبشروا وافرحوا ـ أنا مانيش المسيح ـ علشان أقول لكم غلبكم ـ لكنى باحلف بكم ـ باحلف لكم ·· وباقول ·· ـ الدنيا كدب ف كدب ، وانتوا بصحيح » ·

ولئن كانت « غنوة برمهات » تومىء للاجابة ، فان اصابة الشاعر بداء السكوت بعد ١٩٦٧ تشير اليها بأفصح بيان ! لكن وجوها أخرى لصلاح جاهين تطالعنا فى هاتين المجموعتين : ثمة وجهة اللاعب اللاهى العابث المرح ، القاهرى ابن البلد ، صاحب الفكاهة العذبة والنكتة الرائقة ، يتمنى أن تكون كلماته « قصاقيص ورق » من كل لون ، وأن يوهب القدرة على الطيران ، فيناثر أوراقه الملونة فوق رءوس البشر ، فيسرون ويبتهجون ، ويصبح العالم كله مثل حفل عيد الميلاد · فى قصائد مثل « أغنية مزار ، آلهة ، عيون البقر ، وكيل ، يا وحوى ، سكس أبيل ، فى الحب ··· الخ » يعابث الفتى اللاهى المرح الناس والشعراء ، ويروح يسخر منهم وبهم ومعهم ، يسخر دون أن يؤلم او يدمى ، عارفا بقوانين النكتة وصياغتها ، مثل الحاوى الماهر ، يخفى آخر الاوراق وراء ظهره ، لا يبديها الا حين يضمن أنها

ستحقق الاثر المطلوب ، وهو تفجير الفكاهة فى كل ما سبق ·

وثمة وجه اخر : الشاعر المرهف رقيق الحس يتسمع دبيب خفقة الحب الاولى تتسلل الى قلب الفتى والفتاة ·· فيتعاطف مع المحبين الصغار لكنه يشفق عليهم ، لانه يعرف ان حبهم سيصطدم بالف عقبة وعقبة ، ولانه يعرف أن الحب عطاء ، ومسئولية ومبادرة ، والاهم انه يعرف انه لا تتفتح عاطفة صحيحة فى مجتمع معتل (قصائد مثل : ولد وبنت · آغنية البنت أم ضفيرة ، عصفورة ، اغنية من الشباك ، البنت والولد»·

وثمة وجه ثالث أو رابع : الوجه المحزين (ولعل هذا ما يتضح اكثر فى « الرباعيات ») · ووجه المتهم الذى يقف أمام قضاته ، يلقى مرافعته ، ثم يتوجه فى نهايتها نحوهم بالسؤال : والمقاهى ، من منفى يسير ، يحمل فى « سيادى القاضى ــ سيادى الحدادى اللى حايمه على رمتى ــ ح اقول كلمتى ·· لكنى قبل ما انطق وأقول كلمة ــ قولوا لى انتم : ايه تهمتى ؟ » ·

ولا ينسى الشاعر أصدقاءه ، فيتوجه بقصيدة لعبد الوهاب البياتى ، حين كان مبعدا عن بلاده ، هائما بين المطارات والموانى وغرف الفنادق والمقاهى ، من منفى الى منفى يسير، يحمل فى قلبه عيون حبيبته ووجوه اطفاله والاسئلة ــ الهموم التى تصحبه فى حله وترحاله ، ويقدم صلاح كلماته من القلب للاصدقاء الراحلين : ناظم حكمت ويوسف حلمى وفاخر فاخر ، وتبقى أجمل بكائياته وأحفلها بالعذوبة الدامعة بكائيته لبيرم ، التى يلفيه فيها افادة واضحة من البكائيات الشعبية و « التعديد » ، ويسرى فيها قبس من بيرم نفسه : « جايه عروس الشعر م البغالة ــ بملاية لف وكف متحنى ــ شافت صوان وحبال وناس شغالة ــ وانا بابكى جنب الباب ومستنى ــ والشمس تقطر حزن ع المسبحية » ··

● أصفر النماذج ●

عن عمد أبقيت الاشارة للرباعيات ، فهى عندى أصفى النماذج التى قدمها صلاح جاهين تعبيرا عن فكره وفنه معا :

إكثر من مائة رباعية (مائة واحدى عشرة) تمثل كل منها بلورة صغيرة مضيئة ، وتنسلك معا لتنتظم عقدا فريد الحبات كريم الجوهر ، بحيث انك ان فرغت من الطواف بهذا العالم ··

◄

صلاح جاهين فى مكتبته يختار كتابا



صلاح جاهين

متعدد الالوان والدرجات مثل قوس قزح ، طالعك وجه صلاح جاهين ذاته ، ووقعت معه فى نفس حيرته : بين الكفر والايمان ، بين التشاؤم والتفاؤل ، بين الحدب على الانسان والضيق بالانسان ، بين السخرية من المصير والخوف من المصير ، بين الانغماس فى الحس والتسامى بالروح · أنت فى قلب بهو من المرايا المسحورة ، اينما تلفت فثم وجهك ، لكنك لا تراه أبدا هو هو مرتين متتاليتين !

لكن حزنا رقيقا شفافا يسدل أستاره على عالم الرباعيات كله ، ليس حزنا لان شيئا قد مس الشاعر فى أمنه أو رزقه ، لكنه حزن المتأمل فى المصير ، المتأسى عليه ، الواقع فى براثن الفناء والقدر ، لا يستطيع منها فكاكا ، فمهما تظاهر صلاح بالمرح فى رباعياته ستظل وجوه الخوف والملل وشلل الارادة والعجز عن التحكم فى المصير · فى واحدة من أجمل الرباعيات – على الاطلاق – يفصح الشاعر عن خوفه : « سهير ليالى ، وياما لفيت وطفت – وفى ليلة راجع فى الضلام قمت شفت – الخوفكأنه كلب سد الطريق – وكنت عاوز اقتله ·· بس خفت – عجبى ! » انه يعترف بخوفه ، لكنه خوف مركب ، خوف من الخوف ذاته ، الذى قد يتأدى الى التشبث الجبان بالحياة · وهو ليس خوفا ميتافيزيقيا غامضا وغير مبرر ، ففى رباعية أخرى يحدد الشاعر مخاوفه : « لو كان فيه سلام فى الارض ، وطمان وأمن – لو كان مفيش ولا فقر ولا خوف ولا جبن – لو يملك الانسان مصير كل شىء – أنا كنت أجيب للدنيا مية ألف ابن – عجبى ! » انه الخوف والفقر والجبن – وهى شرور انسانية فى عالم الواقع – يضاف اليها عجز الانسان الضعيف عن التحكم فى مصيره ومقاومة الفناء · وهذا كله يجعل الشاعر مرتجفا فى قلب الوحدة ، لا يخفف عنه أنه ليس ، وحده ، الحزين فطالما نظر فى عيون الناس : « أعرف عيون هى الجمال والحسن – وأعرف عيون تاخد القلوب بالحضن – وعيون مخيفة وقاسية وعيون كتير – وباحس فيهم كلهم بالحزن – عجبى ! »

مرة أخرى ·· انه حزن لا يتعلق بهموم الحياة المعيشة قدر ما يتعلق بمكانة الانسان فى هذا العالم : « أيا انسان ·· أيا انسان ·· ما اجهلك – ما اتفهك فى الكون وما أضالك – شمس وقمر وسدوم وملايين نجوم – وفاكرها يا مهموم مخلوقة لك – عجبى ! » ، على أننى أبادر الى القول بأن هذا لا يعنى أن الشاعر مستسلم لليأس أو داعية اليه ، فرغم كل الشرور ، الدنيوية والكونية ، تبقى هنالك أشياء تقاوم الفناء ، وتشبث بالحياة الجميلة ، الجميلة رغم كل شىء · هذه حكمة صلاح جاهين مقطرة : « دخل الشتا وقفل البيبان ع البيوت – وجعل شعاع الشمس خيط من عنكبوت – وحاجات كتير بتموت فى ليل الشتا – لكن حاجات اكتر بترفض تموت – عجبى ! » ·

ولا أجد فى الحديث عن «الرباعيات» – أرقى وأنقى ابداع لصلاح جاهين –

الفضل من رأى قديم للاستاذ يحيى حقى ، فى دراسته الرائعة لى : «هذه الرباعيات هى صلاح جاهين، وصلاح جاهين هو هذه الرباعيات ، لذلك لم يجد غضاضة فى ان يتخذ من نفسه مرجعا لكل رموزه ، فقد وصف نفسه بأنه قرين مهرج السيرك ، لا تدرى هل هو يضحك أم يبكى ، هل هو مطمئن أم خائف ، هل هو مستسلم للحياة أم رافض لها ... قد لا تعرف كيف تجيب على هذه الاسئلة ، ولكنك ستعرف ولاريب شيئا واحدا لا يمكن لك انكاره هو انك لقيت عنده السعادة التى كنت تتمناها ولا تجدها : ان تقابل فنانا أصيلا ، لاحد لانسانيته ورقته وصدق نظرته وعمقها ، وهو وحده الذى يجود عليك بفيض الكريم» .. (عطر الاحباب ، ١٩٧١ ، ص٥٢) .

● يونيو ٦٧ والاحزان ●

ومن المؤكد أن مغنى الانتصار لم يجد ما يقوله حين جاء الانكسار ، وبقدر ما حلقت الاحلام كانت قساوة الارتطام ، وبعد ٦٧ طوى الشاعر أحزانه ولملم جراحه ، وانصرف الى الوان أخرى من الاعمال ، ينفس فيها عن طاقته الابداعية الهائلة ، ويخاتلها ويراوغها ، اعمال تعد باسم لامع ووجود مؤثر ومال وفير ــ وقد رأينا وعرفنا انه لم يكن بحاجة للمزيد من هذا كله ، أو أنها لم تكن مطلبة بالذات ــ وكانت آية صدقة انه لم يستطع ان يكون صادقا وقد دار الزمان دورة معاكسة ، وهو لم يكد يتجاوز الاربعين ! .

اما ان احتبست الدموع فى المآقى فلتنهمر فى قصائد قليلة ، لم يكن يسمعها غير خاصة الاصدقاء .

جمع صلاح بعض هذه القصائد فى « أنغام سبتمبرية ، ١٩٨٤ » . لماذا سبتمبر ؟ .. يجيب صلاح : « ربما لان عواطفى تعودت أن تجيش فى سبتمبر من كل عام ، منذ أن كان الفيضان يأتى فى هذا الشهر محملا بعطر كان يملؤنى بنشوة عجيبة، ورغبة خفية فى الارتواء والاحتواء او ربما لان عبد الناصر مات كمدا فى سبتمبر ؟..»

واضح أن هذا التساؤل الاخير الذى يقدمه على استحياء هو الجواب . فعبد الناصر : الامل والحلم ، البطل والقائد ، الصديق والانسان ، موجود فى كل السطور أو وراءها ، بل ان أهم ما فى هذه المجموعة ، أعنى قصيدته الطويلة « على اسم مصر ــ وحضرت شاهد » ، والتى حاول فيها صياغة مشاهد من التاريخ المصرى ، انما تنتهى اليه ، ليقف الشريط فى وضع ثابت : ظهر قميص العرق متشمر الاكمام .. انا شفته عقلى برق وبدا لصاحبه يميل / نقشت له فى قلبى احلى واروع التماثيل / بدراعى والمطرقة ، وايدى الازميل / على اسم مصر .. » .

بلغنا نهاية الرحلة ، لنقرأ معا الكلمات الاخيرة فى الصفحات الاخيرة من الديوان :

آدى اللى كان ، وآدى القدر والمصير
نودع الماضى ، وحلمه الكبير
نودع الافراح ..
نودع الاشباح
راح اللى راح .. ماعدش فاضل كتير .

وهكذا : ذات مساء ، ودع صلاح جاهين كل شىء ، وادار وجهه للجدار .. ومات .

كيف استدرج الفرنسيّون سعيد باشا إلى حرب المكسيك ؟

بقلم : مصطفى نبيل

هذه صفحات مطوية من التاريخ ...
عندما شاركت « أورطة » مصرية ـ سودانية فى حرب المكسيك عام ١٨٦٣ م ، والتى جرت وقائعها بعيدا وراء المحيطات والقارات ، بين الجمهوريين ودعاة الامبراطورية فى المكسيك ، وهى حرب لا ناقة لمصر فيها ولا جمل ، قامت خدمة للمصالح الاستعمارية لفرنسا وبريطانيا وأسبانيا .

ومايثير الدهشة أن هذه الحرب لم تحتل فى كتب التاريخ سوى صفحات معدودة ، رغم ماتحمله من عبر ودروس ، ورغم أن هذه « التجريدة » أمضت فى حربها أربع سنوات وسبعة عشر يوما .

قرر هذه الحملة الوالى محمد سعيد باشا . واستمرت إلى عهد سلفه الخديو إسماعيل ، والتى تقررت مجاملة لنابليون الثالث امبراطور فرنسا ، والبعض يؤكد أنها استمرت بسبب العلاقات الخاصة جدا بين الامبراطورة اوجينى والخديو اسماعيل !

ويحتل سعيد مكانا خاصا بين اسرة محمد على ، ففى فترة حكمه برزت فكرة المواطنة وحقوقها المتساوية ، وهو أول من جعل اللغة العربية بدلا من التركية لغة المعاملات .

وأول من جند المصريين تجنيدا اجباريا لمدة عام ، ولم يستثن أبناء العمد

والمشايخ بعد أن كان التجنيد يقتصر على أبناء الفقراء ، وفى هذه الفترة دخل عرابى إلى الجيش ، وهو القائل : « نظرت فى أحوال الشعب المصرى وتاريخه ، فوجدته مظلوما مستعبدا لغيره ، توالت عليه الدول الظالمة ، الهكسوس والأشوريون والفرس واليونان والرومان قبل الإسلام .... وكثيرا ما أغارت فرنسا على مصر حتى احتلتها فى أوائل هذا القرن فى زمن بونابرت ، وبما أنى أعتبر نفسى مصريا فوجب على أن أربى هذا الشعب وأهذبه تهذيبا حتى أجعله صالحا يخدم بلاده خدمة صحيحة نافعة ويستغنى عن الأجانب ....

ويقول فى رسالة بعث بها من الخارج ... « لاأريد اقامة زينة واحتفالات لدى عودتى ، ولا أرغب فى ان يتكلف الأهالى مصاريف للتزلف ، ويجب على كل ديوان او مصلحة أن يبقى مواظبا على أعماله وأشغاله ... » .

وكان هو أيضا الذى أعطى صديقه ديلسبس امتياز حفر قناة السويس ، وكان آخر عمل غير عادى ختم به حياته هو استجابته لنداء نابليون الثالث فى الاشتراك فى حرب المكسيك !

● البحث عن شركاء ●

ولنتابع الحملة المصرية إلى المكسيك من بدايتها ، ونتبين السياق الدولى الذى وقعت فيه ...

كانت الحملة تستهدف مواجهة الثورة الوطنية التى اشتعلت هناك ، وظروف المكسيك فى هذه الفترة التاريخية قريبة الشبه بما كانت تشهده مصر ، وهى موطن أقدم الحضارات الهندية وأرقاها وكانت تشهد حركة اصلاح ديمقراطى ، كان أحد ثمارها دستور ١٨٥٧ م ، وقامت حركة مضادة استعانت بفرنسا ، وفرضت الأسر الحاكمة فى كل من فرنسا والنمسا أحد أفراد أسرة الهابسبورج الامبراطور ماكسيميليان حاكما على المكسيك ، وتذرعت هذه الدولة ـ كمبرر لهذه الحرب ـ باساءة حكومة المكسيك معاملة رعايا

سعيد باشا



فرنسا وانجلترا وأسبانيا ، وعدم تسديد ماعليها من ديون ! .

أما الدافع الحقيقى لها ، فهو الرغبة فى اقامة حكومة موالية لهذه الدول ، تحقق التوازن فى القارة الأمريكية مع الولايات المتحدة القوة الديمقراطية الجديدة البازغة ، ولكن مالبثت كل من بريطانيا وأسبانيا أن سحبت قواتهما بعد أربعة شهور من القتال ، وتركت فرنسا متورطة وحدها فى القتال ، فأخذت تبحث لها عن شركاء ، وخاصة أن المناخ القارى للمكسيك ومناطقها الجبلية كانت تستعصى على الفرنسيين ، فتقدم نابليون الثالث يطلب إلى « صديقه » سعيد إرسال قوات مصرية للقتال فى جبال المكسيك ووهادها ...

كان الهدف إذن ، القتال ضد ثورة تهدف الى التحرر ومساندة دولة استعمارية أى الوقوف مع الأعداء ـ فرنسا ـ ضد الاصدقاء « ثورة المكسيك » ورغبة شعبها فى التحرر !

وانتهت الثورة المكسيكية بالانتصار وتولى زعيمها الوطنى جواريز رئاسة أول جمهورية وقتل الامبراطور ماكسيميليان التى أرادت فرنسا أن تفرضه على شعبها !

وقد نشر الأمير عمر طوسون فى بداية الثلاثينيات كتابا روى قصة هذه الحملة منذ مغادرتها الاسكندرية وحتى عودتها يوم ٨ يناير ١٨٦٧ ، وقد بدأت وعدد جنودها ٤٥٣ وعادت بعد ان فقدت ١٤٠ جنديا .

غادرت « التجريدة » ميناء الاسكندرية على متن الباخرة الفرنسية « لاسين » ، فى طريقها إلى ميناء طولون الفرنسى ، وهناك شاهد الجنود القادمون من النجوع والكفور لأول مرة مدينة أوربية ، يتحدث أهلها لغة أخرى ، ونساؤها جميلات سافرات ، وقبل ادراك ماحولهم ينتزعون من هذا العالم الغريب ، وينضمون إلى بقية القوات القادمة من عدد من المستعمرات الفرنسية ، ويستقلون سفينة أخرى فى طريقها إلى ساحة المعركة فى المكسيك ، التى وصلوها يوم ٢٣ فبراير وبعد أن فقدت الأورطة سبعة من جنودها فى رحلة الآلام ! .

الامبراطورة أوجينى



وعندما وصلت الجيوش الفرنسية التى تضم الأورطة المصرية ، إلى مكسيكو العاصمة المكسيكية ، أقيمت احتفالات كبيرة ، وتم استعراض الأورطة المصرية السودانية فى أكبر ميادين العاصمة ، ومنح كل جندى ٦٥ سنتيما يوميا علاوة على راتبهم الذى يتقاضونه من الحكومة المصرية .

● القائد = ٥ آلاف فرنك ! ●

وواجهت الحملة منذ مراحلها الأولى مشكلة التواصل مع بقية الجنود وتمكنوا من حلها عن طريق الجنود الجزائريين الذين قاموا بالترجمة ، وأخذت التقارير التى ترد إلى القاهرة تصف العديد من المصاعب التى مرت بها هذه الحملة ، وهى تقاتل حربا ليست حربها فى بلاد بعيدة ، وتفصلهم عن أوطانهم المحيطات ، وكان سوء المناخ أهم أعداء الحملة بما يسببه من أمراض ، وفقدت الأورطة قائدها جبرالله محمد بعد فترة قصيرة ، عندما أصيب بالحمى الصفراء ، وخلفه محمد الماس ، وترك ٥ آلاف و٦١٧ فرنكا أرسلتها السلطات الفرنسية إلى أسرته فى القاهرة ، مع خمسة آلاف فرنك آخرى منحة من السلطات الفرنسية .

وجاء فى أحد هذه التقارير : « تميزت هذه الوحدة بالشجاعة والبراعة فى الرماية وقوة التحمل ، لذلك أوكل لهذه الوحدة دعم المواقع المتقدمة ، وتولى أصعب المهام ، وهى صد الغارات التى تشن على قوافل المئونة والذخيرة » ...

والمدهش حقا ماسجلته هذه الحملة من أعمال باسلة فى المعارك التى خاضتها ، رغم افتقارها للمعنى والهدف ، ومن أوراق هذه الحملة ماكتبه القائد الفرنسى لمنطقة فيراكروز حول الموقعة التى نشبت فى ٢ أكتوبر عام ١٨٦٣ ، قال : « أبلت الحملة بلاء حسنا ، ولم يبالوا بقوة النيران التى أطلقت عليهم ، وردوا المهاجمين الذين يفوقونهم عددا بنسبة تسعة إلى واحد ! »

وذكر كتاب « مصر فى عهد اسماعيل » الذى كتبه كل من أميديه ساكريه ولوى أوترين قصة هذه المعركة ، يقول الكتاب : « غادر أحد القطارات محطة فيراكروز تحت حراسة جنود الأورطة المصرية

اربعة من ضباط الأورطة المصرية بالمكسيك من بينهم القائمقام صالح حجازى



السودانية ، وعند نقطة على الطريق بين الجبال فى ممر لايتجاوز عرضه أربعة امتار . وعند منحنى وعر . نصب كمين للقطار بعد أن أنتزعت قضبانه . وبدآ الثوار يطلقون النار من كل جانب ، وما كان يشغل جنود الحملة فى هذا الوقت الدقيق سوى رد المهاجمين ، وعندما خرج القائد الفرنسى « ليجين » وهبط من القطار تبعوه ، وقذف بجنوده إلى المرتفعات تحت نيران المهاجمين ، وأصيب القائد الفرنسى ومرافقه بلال بطلقات قاتلة ، فتقدم بخيت بدروم وأتون سودان وحملا ليجين وبلال حماد ، وتسلم الملازم شرر القيادة ، وأعاد تنظيم قواته لتواجه كل الاحتمالات ، ونجح فى صد المهاجمين وابعادهم عن القطار المزدحم بالنساء الهلعات والكهول العاجزين ، واستمر القتال حتى وصل الدعم ، ولاشك ان صد الهجوم يعود الى ثباتهم وشدة مقاومتهم لما يزيد على ثلاثمائة مهاجم ... » .

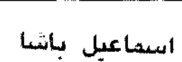
● ماذا بعد شجاعة الرجـــــال .. ؟ ●

وتشمل اوراق الحملة رسالة كتبها القائد العام للقوات الفرنسية لنظارة الجهادية فى القاهرة يقول فيها : « ان الأورطة قاتلت بشجاعة نادرة ، فلم أشاهد قتالا نشب فى هدوء وحماس كما شاهدتهم ، فكانت أعينهم وحدها هى التى تتكلم ، وكانت جراتهم تذهل الجميع ... »

وتضمنت سجلات قصر عابدين رسالة كتبها الخديو اسماعيل إلى قائد الحملة يعبر فيها عن تقديره ... « وردت على مسامعنا ماقمتم به من ثبات واقدام فى الحرب ، وما أبديتموه من شجاعة ومهارة ، ما أوجب الالتفات اليكم من الدولة الفرنسية ، وارتحنا غاية الارتياح لما ظهر منكم فحافظتم على الشرف الذى حصلتم عليه من الحكومة المصرية ..... وأقصى أمالنا إنقيادكم للأوامر التى تصدر من الجنرال الفرنسى وحصول سرورنا يكون بحصول سرور الجنرال ، وسرور الدولة الفرنسية منكم ومن أفعالكم .... » ! ! !

وتمضى الأيام وتكمل الحملة سنتها الرابعة ، ويقترب رجالها من آهالى المكسيك ، ولايفوتهم التشابه بين بلادهم وبين البلاد التى وصلوا إليها ، ويتعلم بعض أفراد الحملة اللغة الأسبانية السائدة ، ويتعاطفون مع آمال الشعب المكسيكى ، ويتعلم الأهالى صناعة الخبز المصرى الذى حرص رجال الحملة على صنعه ، والذى يذكرهم بما تركوه خلفهم فى أرض الوطن ، ومع بداية عام ١٨٦٧ يتقرر جلاء القوات الفرنسية ، ويبدأ انسحاب الأورطة يوم ١٣ يناير تاركة خلفها ذكريات مرة مع الذين سقطوا بعيدا ، وتعبر بهم الباخرة المحيط وتصل إلى ميناء سانديز الفرنسى ، ويتوجهون إلى باريس ، ويستقبل جنود وادى النيل الامبراطور نابليون الثالث فى حديقة قصره فى حضور ناظر الجهادية شاهين باشا ، الذى شاهد الامبراطور يثنى على رجال الحملة ، كما شاهد قائد الحملة البكباشى ألماس يرد على الامبراطور





اسماعيل باشا





الامبراطور ماكسيميليان



نابليون الثالث

معبرا عن تقديره ، ثم وزع على افراد الحملة المكافآت والأوسمة ...

واخيرا يصل الرجال إلى الاسكندرية فى أواخر شهر مايو ، ويستقبلهم الخديو اسماعيل فى فناء قصر رأس التين ، وبذلك يسدل الستار عن فصل فى تاريخ العلاقات المصرية الفرنسية . أو بالاحرى فصل فى علاقات العرب بالغرب ، ولم يكن الفصل الأخير ...

أما مغزى الحكاية كلها ، فيظهر فى أنه بالرغم مما قام به سعيد من الاستعانة بفرنسا من آجل دعم استقلال مصر تجاه الدولة العثمانية ، ورغم ما استهدفه خلفه اسماعيل من خلق توازن بين كل من فرنسا وانجلترا لدعم استقلال مصر . فلم يسفر كل ذلك سوى عن نتائج عكسية ! .

ولم تجد المشاركة فى حرب المكسيك شيئا ، ولم يفد انتشار الخبراء الفرنسيين فى الادارة المصرية ، بل ولا حتى حصول فرنسا على امتياز قناة السويس . بل وحتى ما أعلنه وسعى إليه الخديو اسماعيل من أن تكون مصر قطعة من أوربا .

ومضت المخططات الاستعمارية فى طريقها ، واشتركت فرنسا فى صندوق الدين ، وكانت انشط الدول المطالبة بتخلى الخديو اسماعيل عن عرش مصر ...

وتظهر المأساة التاريخية فى أجلى صورها ، عند المقابلة بين دوافع حرب المكسيك ودوافع الاطاحة باسماعيل . عندما استخدمت ضد اسماعيل ذات الذرائع التى حاربت بسببها الأورطة المصرية السودانية فى المكسيك ، بل استخدمت الحجج نفسها التى تذرع بها البريطانيون عند احتلالهم مصر عام ١٨٨٢ ، وهى اساءة معاملة الرعايا الأجانب وضمان تسديد الديون ....

ويمضى التاريخ يستصرخ من بدل عبرة ....

مصريون
في بلاد العرب

عبدالوهاب عزام

سفير العروبة الجوال..

بقلم: د. محمد رجب البيومي

●● حين طلبت منى مجلة الهلال أن أكتب عن دور المغفور له الأستاذ الدكتور عبدالوهاب عزام في يقظة الأمة العربية حين جاب ربوعها المترامية حاملا رسالة الأخوة العريقة، والوئام الجامع، رأيت أن مقالا واحداً مهما امتدّت صفحاتُه لايفى بجهد هذا العربى الناهض وأن عناء الكاتب فى محاولة الإيجاز حين تهجم عليه المعانى الحافلة يشبه عناء الكاتب حين يُجْبَر على الحديث في موضوع لايعلم عنه شيئا، فالحيرة هى الحيرة وان اختلفت أسبابها، وماذا تقول في إنسان كانت نهضة العروبة والاسلام هى شغله الشاغل محاضراً فى كليته، ومتحدثا مع رفقته، ومؤلّفا فى كتابه، وشاعرا فى ديوانه، لأن عزاما كان ذا رسالة إصلاحية تملأ عليه حياته، فهو لا يتجاوزها إلى غيرها من فنون يسهل الحديث عنها، لدى من يكتب فى كلّ موضوع وإن تناقض مع نفسه حين يكتب مرة عن ذوى المثل الرفيعة، وأخرى عن ذوى النزوات الهابطة، إن أصحاب الرسالات العالية من حملة الأقلام قليلون، ولئن ذكرنا فى طليعتهم محمد فريد وجدى وأمين الرافعى وشكيب أرسلان ومصطفى صادق الرافعى فإننا نذكر معهم عبدالوهاب عزام، حين اتجه متجههم فى الدعوة إلى الإصلاح والحرية والاستقلال، وحين بذل نشاطه الفكرى باحثا موجها، وشبابه الفنى راحلاً متنقلا، وله عن كل بلد حديث، وفى كل قطر صدى رنان ●●

الدكتور عبد الوهاب عزام يلقي درسا دينيا لطائفة من المصلين في مسجده بحلوان

كنت أصلى الجمعة كثيرا فى مسجده بحلوان ، وكنت استمع إليه خطيباً على المنبر ، ومتحدثا فى الحلقة العامة ، فلا أشعر أن خطيبا يتكلم ، بل أرى حمية تتدفق ، ودما يلتهب وشعوراً يجيش ، وألمس غيرة على الإسلام والعروبة تأخذ بجميع أقطاره ، وترسم على وجهه حزنا صامتا نعرف دواعيه فيما نشهد من واقعنا المعاصر ، فإذا أشرقت البسمة السريعة فى ثغره فكما يلمع برق خاطف فى غيم متكاثف ! هذا عند الاستنهاض الحافز ، أما حين يُسمِر مع صفوة عارفيه فما أرق وما أندى .

يقول الدكتور طه حسين فى حفلة تأبينه بمجمع اللغة العربية عنه « كان إلى هذا كله صاحب نزعة عربية حرة ، سمحة مع ذلك لا تعصب فيها ولا إلحاح ، كان مؤمناً بأن وطنه هو أرض العرب كلهم ، لم يكن يؤمن أنه مصرى فحسب ، وإنما كان فى كل البلاد العربية مواطن ، كان يرى نفسه مواطنا عربيا ينزل فى قومه حيث حل من هذه البلاد ، ثم اقتضت به الأسباب فسافر إلى الهند وباكستان ، وألم بإيران وزار تركيا ، وتظهر فيه نزعة أخرى فهو مسلم مخلص فى إسلامه ، سمح مع ذلك فيه ، وهو مؤمن بأن كل دار إسلام وطن له ، كما كانت الحال فى العصور الإسلامية الأولى ، وكذلك كان عبدالوهاب مسافراً قبل أن تشغله ظروف السياسة ، فكان كثير الأسفار إلى البلاد العربية وإلى إيران وتركيا »



مصريون في بلاد العرب

وتفصيل حديث الدكتور طه حسين مما يطول ، فحسبى أن أشير .

● من أقوال عزام ●

من حظ المكتبة العربية أن حظيت بمجلدين نفيسين ، دون فيهما عبدالوهاب عزام رحلاته المتعددة إلى البلاد العربية ، والإسلامية ، فكانت جولاته مصدر نفع كبير للقارىء الأديب ، لأن الرحالة الهادف لم يخط كتابيه دون مقصد أصيل يتوخاه ، إذ أراد أن يربط قلوب قرائه بأهداف عزيزة ، حين يلمون بأنباء إخوانهم فى ربوعهم النازحة ، وحين يعرفون ماتتضمنه هذه الربوع من مشاهد ، وما يملأ مجتمعاتها من شواغل ، وما يهجس فى صدور أبنائها من أحاسيس ، وإذا كانت جل رحلاته فى بلاد الإسلام ، فلأن كتب الرحلات الأوربية والأمريكية قد ملأت الأيدى وشغلت القراء ، ومن حقهم أن يعرفوا الجار اللصيق والأخ القريب ، كما يعرفون ذوى الشهرة من أصحاب السيطرة السياسية فى عالم اليوم ، لاسيما وعزام يعرف حقيقة الشعور المصرى ويعبر عنه أصدق تعبير فى قوله :

"يذهب المصرى إلى أحد الأقطار العربية ، فكأنما برح قطعة فى مصر إلى أخرى ، يرى وجوهاً يعرفها ولا تنكره ، ويسمع من أحاديث الماضى والحاضر مايسمعه فى بلاده ، ويحدث عن الهموم والمطامح التى تنطوى عليها نفسه ، ويخفق بها قلبه ، حيثما توجه وجد أهلا بأهل وإخواناً بإخوان ، وأبصر من ذكر التاريخ ومشاهد الحاضر ، وخطط المستقبل ، ما يؤحى إليه أنه فى وطنه وبين قومه ، وأنه لايذهب إلى هذه البلاد إلا ليرى بعينه ما حدثه به التاريخ وأحكمته فى نفسه النشأة والتعليم .

ذهبت مرات الى فلسطين والشام والعراق ، فكان يخيل إلى أينما سرت ، أنى لا أخطو إلا على صفحات من التاريخ المجيد ، ولا أرفع بصرى إلا على عنوان من عناوينه فى صورة مسجد ، أو قبة وضعت على عظيم من أسلافنا ، أبطال الإسلام والعربية ، وطوفت فى العراق مدنه وقراه وحضره وباديته فكانت بغداد عندى القاهرة بل أجل ذكرا . وكانت الكوفة والبصرة والموصل أعظم أثراً فى نفسى من طنطا والمنصورة وأسيوط ، وكانت مضارب شمَّر وبنى تميم أذهب بى فى التاريخ من مضارب القبائل المصرية ، أما دمشق الجميلة الجليلة فما دخلتها إلا ازدحمت علىَّ أحداث التاريخ ، ودفعتنى مواكبه فسارعت إلى المسجد الأموى أنشد قول شوقى .

الدكتور عبد الوهاب عزام



هذا الأديم كتاب لاكفاء له
رث الصحائف باقٍ منه عنوان

ولست بدعا فى هذا فما أحسب مصريا ذهب الى هذه البلاد إلا شعر بما أشعر به .

بهذه الروح الصافية كتب عزام رحلاته فكانت صدى لمشاعره القوية وترجمة لإحساس إنسانى نبيل وليس من موضوعنا أن نتحدث عن تركيا وإيران والهند والباكستان ، فقد يأتى وقت قريب يتيح لى أن أجول فى هذا النطاق ، أنما أقصر حديثى على شذور مما هتف به عزام فى رحلاته الى السعودية ودمشق وبغداد ، لنرى كيف كان هذا الرحالة سفيرا أدبيا قبل أن يكون سفيرا سياسيا ببعض البلاد .

في ربوع السعودية

عاش عبدالوهاب عزام طيلة حياته مرفرفا فى أجواء الحجاز ، تصور روحه على البعد مشارق النور فى مكة ومعامع الجهاد فى المدينة ، ومسرى الروح الأمين بين حراء وقباء ، وقد ألهمته هذه الربوع أرق ماتلهم الأماكن الحبيبة من بيان حيٍّ متوثب ، وقد قدّر عليه أن يسلم روحه بالرياض إذ كان يعمل مديراً لأول جامعة هناك ، فمكث عامين يشرف على الدراسة بعد أن وضع الخطة ، وأحضر الأساتذة ، وطبق المنهج ، ورأى بعينه بشائر الأمل تنمو زاهرة ، يوحى يومها الحالم بغدها الناضر ، ومن قبل كان السفير السياسى لمصر فى جدة ، فكان بدعاً بين السفراء إذ كانت دار السفارة مراح أولى الفكر من رجال الأدب والعلم والدين ، من مواطنى الحجاز الذين عرفوا الكاتب البحّاثة ، وتتلمذوا على مؤلفاته ، وفهموا عشقه الصوفى لبلادهم قبل أن يروه ، فهرعوا إليه ليكونوا عونه على ارتياد مواطن العزة فى الجزيرة ، فأحسنوا صحبته إلى بدر وحمراء وثور والطائف وعكاظ ، وشفوا

لقاء بين الملك فيصل ود . عبد الوهاب عزام وقد شهد اللقاء عبدالخالق حسونة



مصريون في بلاد العرب

غلته إذ أشبعوا نهمه العلمى فى التحقيق الميدانى الكاشف !! لقد اقترح الدكتور عزام وهو عميد كلية الآداب بمصر على جامعتها المصرية أن تبعث الى الجزيرة العربية بعثا فيه من المؤرخين والأدباء والجغرافيين والمهندسين من يضعون مصوّرات للجزيرة العربية يبيِّنون المواضع التى ذكرت فى التاريخ الاسلامى منذ إشراقه ، كما يحققون الوقائع التاريخية . ومنازل القبائل القديمة ، ذكر ذلك الأستاذ الدكتور يحيى الخشاب فى كلمته التأبينية عن أستاذه بالمجمع ثم عقب قائلاً :

"ولم يكد الأستاذ يعمل سفيرا لبلاده بالجزيرة العربية حتى قام بنفسه بما كان يوصى به غيره ، ولم يحل بينه وبين هذا الواجب تقدم السن وضعف البدن ، وكما ارتحل الأستاذ إلى أنحاء الجزيرة فكذلك فعل وهو بالهند وباكستان وإيران إذ كانت الأمة الاسلامية بعربها وعجمها أهم ما يفكر فيه الأستاذ ، وغاية ما يرمى إليه فى رسالته "

ومن آثاره العلمية فى هذا المجال كتاباه "مهد العرب" "وموقع عكاظ" والجهد فى الكتاب الأخير أوضح من أن يدل عليه ، فكما وقف الدكتور محمد حسين هيكل باحثاً عن مكان عكاظ ، ومسجلاً خواطره ونتائج رحلته العملية فى كتابه الخالد (فى منزل الوحى) فكذلك وقف الدكتور عزام مع نفر من حوارييه يتأمل الجرعاء الممتدة ، ويقيس الأبعاد والأطوال ليتحدد موضع هذا الأثر التاريخى الفذ ، وإذا كان أعلام المؤرخين من أمثال الهمدانى والبكرى والأزرقى واليعقوبى وابن هشام وابن حبيب والادريسى وياقوت قد اختلفت أقوالهم فى التحديد الدقيق لعكاظ فأى جهد بذله الرحالة الباحث للاهتداء لهذا المكان ، وقد تبعه من ناقشه دون أن يصل الأمر الى حسم صريح ، فالنقول كثيرة ، والآراء متشاجرة ، وقصارى الباحث أن يرجح دون يقين .

وقبل السفارة وإدارة الجامعة قام عزام بحج البيت أكثر من مرة ، وسجل فى رحلاته خواطره الدافقة منذ فارق مصر فى رحلات الإيمان حتى رجع إليها ، فهو فى الرحلة الأولى يوازن بين الحج فى العهود القديمة حيث السفر الممتد والرحلة الشاقة عن طريق البر وبين الراحة النسبية والوقت القصير عن طريق البحر ، ويتحدث بإعجاب عن الأمن الآمن فى الطريق إذ يرتحل الناس مطمئنين على حاجاتهم ، ومن سقطت منه حقيبة وجدها تسبقه لدى الشرطة إذا كتب عليها اسمه ، أو رجع إلى مكانها ليجدها دون أن تمتد إليها يد .

وقد اقترح عدة إصلاحات بسطها فى وضوح أسر لتسهّل الرحلة على الناس ، كإنشاء المكتبات والمستشفيات ، وضم أماكن قريبة إلى الحرمين المكى والمدنى وتظليل الشوارع بالشجر ليحمى المارة من الحر والعمل على صيانة ماء زمزم من التلوث ، وتمهيد الطريق إلى عرفات ومنى ، وإيجاد المساجد المهيأة بالمرافق لديهما ، وكأن السماء كانت تصغى لمقترحه إذ تحقق ما أراد اليوم على نحو بهيج .

أما خواطره المؤمنة فى هذه الرحاب الوضيئة ، فقد كانت أقرب إلى الشعر حين يصف العيون المتطلعة الى المسجد الحرام ، والزفرات المترددة فى شوق ، والألسنة الهاتفة بالذكر ، والقارىء الصادح بالقرآن ، والمؤذن المغرد بقول الله أكبر والملبّى الهاتف لبيك اللهم لبيك .

يقول عزام كم قلب محزون حمل إلى هذا الجناب شكواه ، وفؤاد معذب بث فى هذه الساحة نجواه ، وكم آثم حط فى هذا الفناء الأوزار ، ليمسحها بالتوبة والاستغفار ، وكم



أحمد حسن الزيات



الشاعر : معروف الرصافى

نفس مظلومة ترفع ظلامتها ، وأخرى ظالمة تعترف بجنايتها ، ان الدعوات تهفو إلى الكعبة مع النسيم ، أترى سوداوات القلوب اجتمعت ، فكانت هذا البناء ، أم أناسىّ العيون تراكمت فكانت هذه البنية السوداء .

إقرأ مثل ذلك فيما كتبه عزام عن عرفات ومنى ، واقرأ أرق ما أوحى به الإيمان الخالص فيما كتبه عن الروضة الشريفة بالمدينة المنورة مثوى رسول الله ! فتلك صحف مزدهرة لا ينقطع لها عبير .

● دمشق وما يليها ●

رحل عزام إلى سوريا أكثر من مرة ، رحل إليها فى بعثة الجامعة المصرية مع فريق من أساتذتها الكبار ، ورحل إليها عند الاحتفال بالذكرى الألفية لأبى الطيب المتنبى ، حيث ألقى بحثا علميا عن الشاعر الكبير ، ثم رحل مرة ثالثة إلى سوريا عند الاحتفال بالذكرى الألفية لأبى العلاء المعرى وقد سجل انطباعاته عن هذه الرحلات فوصف ما شاهده من البلاد والحدائق والأنهار ، وتحدث عمن قابله من أعلام الأدب والسياسة ومن هرعوا لاستقباله من الأساتذة والطلاب ، والكاتب المحدود إذا وصف بلدة رآها فى رحلة أولى فإنه يكرر نفسه لا محالة إذا تعرض لوصفها من بعد ، أما عزام فكاتب فسيح الأفق ، جياش الخاطر ، بعيد النظر تلهمه أحاسيسه من المعانى كل طريف نادر ، فأنت تتابع ماكتب عن الرحلات الثلاث فى شوق لايعرف السأم ، بل أقول إن القارىء الدارس يعلم سلفا ما يتعرض له الكاتب من أحداث التاريخ فيما يزور من الأماكن ، فيرى الحدث القديم لجدة تناوله وحسن عرضه كأنه طريف جديد ! ولعل الكاتب أراد أن يروح عن قارئه حين تحدث عن دمشق شاعرا مرة وناثرا مرة أخرى فهو فى مجال الشعر يهتف بقوله :

أحيت دمشق رميم الشعر فى خلدى
لاغرو أن تبعث الأشعار أشعار
كلا فؤادى وطرفى فوق بهجتها
بين الحضيض وبين السفح طيار
تندى القلوب وتجوى من نضارتها
ورب أخضر منه تقدح النارُ
واها لقلبى إن يبدِ الجمال له
سطراً تبدت من الآلام أسفار

وتابع الشاعر شوقياً فى معانيه ، فتحدث

مصريون في بلاد العرب

عن المسجد المعمور وصوت مؤذنه ، وعن أمية وقرطبة ، وعن الغوطة الخضراء ودمّر ، ولن أظلمه شيئا حين أقول إنه احتذاه فى بعض سبحاته ، وانفرد عنه فى بعض آخر .

وفى مجال النثر يخاطب صديقه الأستاذ أحمد حسن الزيات قائلا : لعلك رأيت دمشق فأنقك مرآها ، ولعلك أشرفت من قاسيون على البلد الجميل تحيط به الحدائق الشجراء ، متصلة بين المزة والغوطة فسرحت الطرف والقلب فى مرأى جميل ، ومنظر بهيج ، ولا ريب رأيت بردى يتبطن الوادى ، ويتسنم الجبل ، ويتسرب فى شرايين المدينة ، فيسرى فى دورها ومساجدها ، وحماماتها وشوارعها ، وأحسبك ياأخى مررت بمعاهدها فأحسست وقدة بين الضلوع أو طرحت كما يقول البحترى ثقلا من الدموع "(1)

ويمضى الكاتب فى وصف رائع هو شعر منثور ، وكذلك فعل فى وصف ربوة دمشق فى حديثه عن الرحلة التالية فى ذكرى أبى العلاء ، وكان صادقا حين قال إن الجلوس فى منازه الجمال لايقدّر بالساعات والدقائق ، فالفكر سابح هائم ، لايدرى الانسان أفارغ هو أم مشغول حتى يدعوه صاحبه للرحيل فيقوم وملء عينه التلفت ، وملء صدره الحنين .

وفى تسلسل مطرد أخذ يصف احتفال الذكرى ، ومتجه الطريق من دمشق إلى المعرة ، متحدثاً عن بصمات التاريخ فى ديار الشام ومارا بالغوطة فجرستا فتدمر وبيرود وحمص وحماة ، وفى حماة أقيمت لوفد أبى العلاء حفلة تكريم خطب فيها الدكتور عزام شاكرا ، حتى انتهى الى المعرة فأفاض فى حديثها محييا أبا العلاء ومستشهدا بشعره ونثره ، وهكذا اجتمع المحفوظ والملحوظ معا فيما كتب عزام ! وهو فى كليهما مدقق بصير .

وكان بين المجتمعين نفر من ذوى المكانة منهم طه حسين وأحمد أمين والمازنى والمغربى والنشاشيبى ، تعرف ذلك من رحلة عزام . وأذكر أن المازنى رحمه الله قد كتب فى جريدة البلاغ مقالات متتابعة عن هذه الرحلة ، تصور اتجاهه الخاص فى سرد الأحداث كما تلتقطها عين الأديب المقتدر ، والفرق بين ماكتب المازنى وما كتب عزام أن الأول ينقل عن خواطره فحسب ، أما الثانى فيرجع إلى القديم ليصل الطريف بالتليد .

● فى آفاق العراق ●

لبغداد فى نفس كل مثقف عربى منزلة عالية ، فلا تكاد تمر بخاطر ما حتى تشرق معانى الحضارة المزدهرة ، والارتقاء الفكرى ، والنهضة الأدبية فى عهود المنصور والرشيد والمأمون ، وإن أطياف الجاحظ وأبى تمام والبحترى وأبى حنيفة والكندى وسيبويه لتتخايل واضحة زاهية أمام العيون فإذا رحل إليها أديب كبير وعالم ضليع ، وعربى حر أصيل مثل عبدالوهاب عزام فإن أشواقه إلى منهل الثقافة الأولى ، وعصر العربية المؤتلق لتسبقه رفافة فوق مياه دجلة وفى سماء الفرات ، وقد رحل إليها عزام عدة رحلات ، رحل إليها فى طريق الفردوس عند الاحتفال بعيده مع العبادى ، ورحل إليها أستاذاً للأدب العربى بدار المعلمين العالية ، ورحل إليها مشاركاً فى حفلة تأبينية كبرى لراحل عظيم ، وقد تحدث عنها شاعرا وناثرا كما تحدث عن دمشق ، فيقول متعجبا "لله بغداد ما يستقر بها فكر زائرها حتى يحلق فى أرجاء العصور وثنايا التاريخ أمداً بعيداً ، فما يفتأ البصر يترامى بين الرصافية والكرخ يبتغى أن يقع

---

(1) إشارة إلى قول البحترى

وقفة بالعقيق أطرح ثقلا ... من دموعى بوقفة بالعقيق

على موكب من مواكب الخلفاء ، أو مجلس من مجالس العلماء ، أو حفل للأدباء والشعراء ، ففى كل نظرة ذكرى خليفة ، وفى كل فكرة حديث فيلسوف ، ثم يقع الفكر وقوع الطائر بعد التدويم فسيتريح من بغداد الحاضرة إلى أمة أخذت للمجد أهبتها ، وأعدت للعظائم عدتها ، وعرفت بين الأمم غايتها فسارت فى مواكب من الهمة تحدوها عزة عربية ، وأنفة إسلامية ، ذلكم تاريخ يتدفق من قمم المجد الشاهقة إلى المستقبل ، ومن ذا يصد السيل إذا هدر ، بل من يسلسل البحر بأمواجه ، ويرد الحر الأبى عن منهاجه ثم يهتف بالشعر الراجز مخاطبا بغداد .

دار السلام لاعداك المجد
وارفـة ظلالــه تمتــد !
ولا حدا نجمك إلا السعد
موصولة الآجال بالآجـال
لابسـة مجـدد القـرون .

وفى أثناء قيامه بالتدريس فى دار المعلمين العالية كان موضع الاحتفاء من أعيان العراق إذ غمرته صداقات رضا الشبيبى وطه الراوى وفاضل الجمالى ومعروف الرصافى وغيرهم من نجوم الفكر بسعادة هانئة نضّرت آفاقه وأمتعت امانيه ، وقد أقيمت له حفلات التكريم فى نادى القلم ونادى المثنى بن حارثة ، فكانت هذه الحفلات تعبيراً حياً عن هواتف الحب بين مصر والعراق ، وحين شيعت جنازة الشاعر الكبير جميل صدقى الزهاوى اختير الدكتور عزام ليسمع المشيعين كلمة مصر فوق ضريحه ساعة الدفن ، فارتجل كلمة حارة موجزة ختمها بقوله : ستتلقى مصر والبلاد العربية نعى الزهاوى كما تلقى العراق نعى شوقى ! فتتجاوب بلاد العرب بالرثاء وتتبادل العزاء ! ثم تلاه الرصافى فأنشد أبياتا مرتجلة بدأها بقوله :

أيها الفيلسوف قد عشت مضنى
مثل ميت ، وصرت بالموت حيا !

كما أصدر فى بغداد كتابه الرائع (ذكرى أبى الطيب) واخال أنه ألقاه دروسا على طلابه بدار المعلمين كما ألقى الدكتور زكى مبارك من بعد كتابه (عبقرية الشريف الرضى) فى دار المعلمين نفسها ، وقد اعتز عزام بتأليف كتابه ببغداد وسجل ذلك فى خاتمة البحث ، ليعلن أنه ثمرة من دوحة العراق .

وإذا كان الأمد قد اتسع لدى عزام كى يزور مدن العراق فإنه صار موضع الترحيب فى كل بلد نزله ، إذ أقيمت له الحفلات التكريمية . واستمع الحاضرون إلى أفكاره الداعية للوحدة ، وطارح اصفياءه أفاويق الشعر بادئا ومعقبا ، كما سجل انطباعاته عن الناصرية والموصل والصالحية والبصـرة والكوفـة وخانقين فى فصول سائرة ، وقد يمر بقرية صغيرة "كالزبير" على مقربة من البصرة فيقف أمامها وقفة المؤرخ العالم فيذكر أنها بلد الزبير بن العوام ، وبها قبور عتبة بن غزوان ، والحسن البصرى ومحمـد بن سيرين ، ويفيض فى أنباء تاريخية يوحى بها المكان ، وتجد الصدى الجوّاب فى نفس الرحالة العالم . أذكر أن بعض من تحدثوا عن رحلات عزام أخذوا عليه بعض الإسهاب فى الأحداث التاريخية السالفة كما فعل فى حديثه عن البصرة مثلا ، إذ يرى هؤلاء أن الرحالة وصاف لا مؤرخ ! وقد فات هؤلاء أن عزاما ليس رحالة فحسب ، ولكنه كاتب ذو رسالة ، ومن رسالته أن يبعث التاريخ الماضى حيا فى النفوس ليعلم الأحفاد مآثر الأجداد فيحاولوا اللحاق بهم إذ يستعيدون عصر العزة المسيطر ، وعهد القوة الحاسم ، ومن كانت هذه غايته فتاريخ العروبة مدده الحافل ، ومرجه الخصيب .

هذا بعض ما يقال عن سفارة عزام فى دنيا العروبة ، وكم من أساتذة كبار رحلوا إلى الأقطار الشقيقة كما رحل عزام . ولكنهم لم يتركوا من الصدى المؤثر ماترك هذا الغيور الصادق ، ولن نغبن نفرا قليلا ممن انتحوا منحاه إخلاصا وتأثيرا ونفاذا ، ولكنهم رذاذ يتقاطر تجاه غيث دفوق لم يؤت أكله المستطاب ●

الفرق والنحل

الدروز

عرب موحّدون أم عجم ملحدون؟

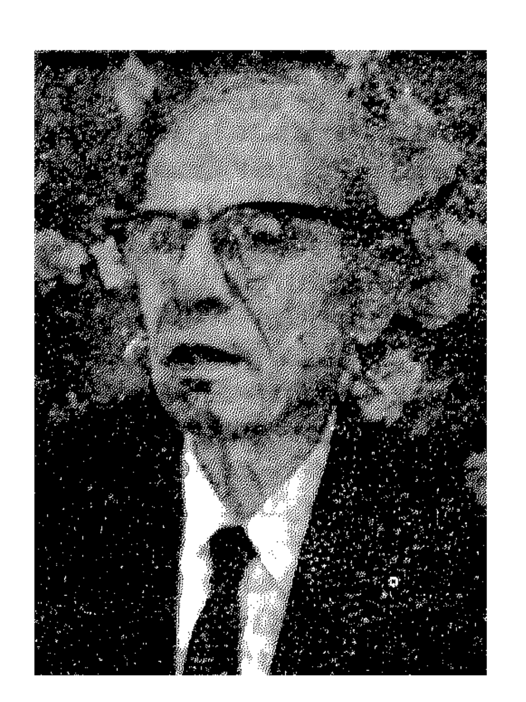
بقلم : د. محمود إسماعيل

كما يفصح العنوان : تحاول هذه الدراسة فك لغزين يتعلقان بالاصول الاثنية والعقيدية لطائفة الدروز فلقد اثير خلاف وجدل شديدان حول أصل الدروز وانتمائهم السلالى . كما اثير ولا يزال لغط ولجاج حول العقيدة الدرزية . واختلطت الاشكاليتان معا بما اضفى سحبا من الغموض واللبس لا ترجع اسبابها لعوامل معرفية فحة وحسب ، بقدر ماترد هذه العوامل لمعطيات ((جغرا تاريخية)) بالاضافة لاخرى ((اجتماعية ـ سياسية)) ..

ولا سبيل لحسم علمى موضوعى الا بالتجرد عن الهوى وتناول الموضوع تناولا تاريخيا محايدا ..

وبخصوص الاشكالية الاولى تضطرب الروايات حول الاصل الاثنى للدروز .. فمنها ما تردهم الى سلالة « الاترابى » وهى سلالة اسيوية عرفت بطابعها الفوضوى ، اذ دأبت على اثارة الشغب والسلب ابان الوجود السلوقى ببلاد الشام وذلك عقب تقسيم الامبراطورية المقدونية على خلفاه الاسكندر بعد وفاته .

وثمة رواية اخرى تذهب الى كون الدروز ينتمون الى اخلاط لاتينية شتى يرجع تاريخ تواجدها بالشام على اثر انتهاء الموجة الصليبية .. فالدروز من ثم يمثلون بقايا الصليبيين الذين نجحوا فى الهرب من مذبحة عكا ـ آخر المعاقل الصليبية بعد تحريرها سنة ١٢٩١ م على يد المماليك من آل قلاوون . وقد دعم هذه الرواية بعض شيوخ الدروز انفسهم



فيليب حتى

ابان القرن السابع عشر حين ذهبوا بأصلهم الى جود فرى دى بوييون .

والرواية الاولى تثير من الاعتراض أكثر مما تقدم من براهين . وحسبنا تدليلا على خطئها أنها لا تقدم تفسيرا لتواجد هذه السلالة فى عصور ما قبل الاسكندر . وبالمثل ندحض الرواية الثانية التى ترجع بهذا التواجد الى عصر متأخر جدا عما تقدره وتثبته الوقائع التاريخية .

ولقد حاول المؤرخ الشامى المتأمرك الاستاذ فيليب حتى تقديم حل لهذه الاشكالية ، نعتقد فى صوابه . فبعد درس متأن للموضوع انتهى الى مقولة الاصل العربى للقوم الذين عرفوا بعد باسم الدروز . ولا غرو ، فقد ردهم الى قبيلة « تنوخ » العربية (١) . وانطلاقا من حيث انتهى ، نضيف أن هذه القبيلة تنتمى الى عرب الجنوب ، لكنها لاسباب ما ــ ربما نتيجةانهيار سد مأرب وماترتب عليه من موجة هجرة الكثير من عرب الجنوب الى الشمال ــ لفظت مواطنها الاولى واناخت بأطراف الحيرة . حيث اعتنقت النصرانية بعد تحالفها مع قوم من النصارى عرفوا باسم « العباد » لتدخل فى خدمة الامبراطورية الكسروية الفارسية التى استعانت بالعرب التنوخيين لتأسيس « امارة حاجزة » هى امارة المناذرة . ولقد نيطت هذه الامارة « الثغرية » بمهمتين أساسيتين ، الاولى حماية حدود الامبراطورية الفارسية من اغارات القبائل العربية البدوية . والثانية ، مناصرة الفرس فى صراعهم التقليدى ضد البيزنطيين وحلفائهم من الغساسنة .

● الفتح الاسلامى والدروز ●

لكن السؤال يفرض نفسه ، كيف انتقل هؤلاء العرب التنوخيين من الحيرة الى بلاد الشام ؟ تأتى الاجابة من رصد وتتبع أطوار هذا الصراع . اذ نعلم ان المناذرة تمكنوا فى عهد ملكهم « المنذر الثالث » من اجتياح أعالى الشام ووصلوا حتى انطاكية . ثم شجر صراع بين المناذرة والفرس أسفر عن استعانة الاخيرين بقبيلة طيء العربية لتحل محل المناذرة التنوخيين فى الحيرة . وفى ذات الوقت حدث تقارب بين المناذرة والغساسنة أسفر عن مصاهرة دعمت أواصر الود بين الطرفين . وقد ساعد على ذلك وحدة القوتين العربيتين النصرانيتين فى مواجهة «مجوس» الفرس. ولا غرو ، فقد هاجر التنوخيون من الحيرة واستقروا فى جبل لبنان وحول دمشق وجبل حوران كما ذهب كاراديفو (٢) . وقد استمر هؤلاء بمواطنهم الجديدة حتى الفتح العربى الاسلامى ، فاعتنقوا الاسلام ضمن من اعتنقه من أهل الشام .

وموضوع اعتناق الدروز للاسلام يصل بنا الى الاشكالية الثانية ، وهى هل الدروز مسلمون حقا أم أنهم هراطقة متزندقون ؟

يؤكد كاراديفو (٣) أن الدروز لم يسلموا اسلاما صحيحا قط . ويضيف أنهم لا يتمسكون بعقيدتهم الا قليلا ، « فهم مسلمون بين المسلمين ونصارى بين النصارى » . أكثر من ذلك وصمهم بالاباحية ، وبعبادة العجل رمز الشيطان.

● مبدأ التقية ●

ونحن نرى خلاف ذلك ، فهم مسلمون

الدروز

عرب موحدون ام عجم ملحدون ؟

شيعة اسماعيلية . وفي هذا الاطار يمكن الرد على مقولات كاراديفو المتحاملة . وهذا التحامل استمرار لتحامل تاريخي متواتر توارثه الرواة خاصة من السنة ضد الشيعة عموما والاسماعيلية على وجه الخصوص . فمقولة كونهم مسلمين بين المسلمين ونصارى بين النصارى تفهم في اطار مبدأ « التقية » الذي أخذت به جل فرق الشيعة وهو يعني انه يجوز للمرء ان يظهر خلاف ما يبطن تحاشيا لاخطار جسام وامام خصوم متربصين ذوي بأس شديد . واتهامهم بعبادة العجل لا يزيد على اظهارهم العجل في احتفالاتهم باعتباره لعنة لانه يرمز – في نظرهم – الى الشيطان . اما تهمة « الاباحية » فهي قاسم مشترك بين كافة الفرق التي انطوت آراؤها على مضامين اجتماعية كالقرامطة على سبيل المثال .

ان عقائد الدروز يجب أن توضع في اطار عقائد المذهب الاسماعيلي خاصة وقد تأثر اكثر من غيره بمعطيات فكرية فلسفية غنوصية لاتنبو به – مع ذلك – عن جادة الاسلام . يضاف الى ذلك المعطيات الجغرا – تاريخية باعتبار الدروز أقلية تقطن مناطق جبلية تعرضت كثيرا لاخطار الدول الاسلامية السنية كالسلاجقة فضلا عن الصليبيين ابان وجودهم بالشام .

ان وقائع التاريخ تثبت أن مؤسس مذهب الدروز هو محمد بن اسماعيل البخاري الدرزي . ويخيل الى أن صفة الدروز أطلقت عليهم نسبة اليه . لقد كان من دعاة الفاطميين . وهو تركي من آسيا الوسطى (٤) تأثر بعقائد الحلول والتناسخ التي سادت الغنوصية الفارسية الشرقية . وكان ضمن عدد من **الدعاة قيل انهم كانوا من وراء ادعاء الحاكم بأمر الله الالوهية** .

ولقد فند الكثيرون من الدارسين هذه الدعوى واعتبروا الحاكم « خليفة مفترى عليه » . كما اعتبروا أن دعوته يمكن تبريرها في ضوء المذهب الاسماعيلي بعامة ، الذي تأثر بآراء الافلاطونية المحدثة في الحلول والتجسد . فالقول بحلول روح الله « العقل الكلي » في الانبياء والرسل حتى محمد (ص) ثم في علي بن ابي طالب وآل بيته من بعده امر متواتر في فكر الشيعة قصد به تبجيل الائمة ، وفكرة التبجيل في حد ذاتها موجودة – بدرجة أقل – عند السنة خاصة تقديرهم لكبار الصحابة كأبي بكر وعمر . كما أخذ بها الصوفية الذين يرون في « أقطابهم » مفاتيح الكون ، كما أن مقولة « المهدوية » قاسم مشترك عند كافة الفرق الاسلامية . حتى السنة قالوا بوجود امام على رأس كل قرن يجدد للناس أمور دينهم ودنياهم . فالمهدي في نظر الشيعة ليس نبيا بعد محمد بقدر ما هو « دون السلطة التعليمية الهادية » (٥) .. **وما جرى من اتهام الشيعة الاسماعيلية خصوصا والحاكم بامر الله بشكل اخص بادعاء الالوهية او حتى النبوة أمر رفضه الخلفاء الفاطميون أنفسهم** . واذا كانت بعض التجاوزات قد وقعت فلم يجر ذلك الا على يد بعض الدعاة من قبيلة بث الدعوة بين جهال العوام . فالمسألة اذن سياسية اكثر منها عقيدية . واذا كان الخليفة الحاكم – الذي نعترف باصابته بلوثة عقلية – قد وافق على ذلك فقد سارع بالتراجع (٦) .

يعنينا من هذا العرض أن الداعية الدرزي هرب الى الشام بعد ان قال بحلول روح الله وتجسدها في الحاكم بامر الله . واذ فشلت دعوته في مصر – نظرا لرسوخ المذهب السني بين سكانها – فانها نجحت بين الكثيرين في مناطق الشام الجبلية . لذلك لم تكن العقيدة الدرزية هرطقة أو اباحية أو الحادا بقدر ماكانت نحلة اسماعيلية تنطوي على شيء من الغلو « وان هذه النحلة لم تخرج عن المذهب الاسماعيلي في جوهره » (٧) **اما من**

تفسير نجاح الدعوة بين الدروز فيرجع فيما نرى الى عدة اعتبارات :

اولها : استعدادهم لتقبل الاراء الغنوصية الفارسية باعتبارهم عاشوا قبل الاسلام ردحا من الزمن فى امارة الحيرة التابعة للاكاسرة .

ثانيها : توافق هذا الاستعداد مع تأثيرات الافلاطونية المحدثة التى شاعت فى بلاد الشام التى نزحوا اليها واستقروا بها منذ خروجهم على السيادة الكسروية الفارسية .

ثالثها : حصارهم فى اقاليم جبلية وعرة وسط أعداء سياسيين ومذهبيين كالملاجقة والصليبيين .

فى مثل هذه الظروف تتطرف العقائد والمذاهب وتتأثر احيانا بالكثير من الموروثات العقيدية القديمة . ولعل ظهور العجل فى احتفالاتهم كان من معطيات هذه العقائد التراثية ..

لعل هذه الظروف أيضا كانت من وراء تبلور النزعة العشائرية الطائفية بحيث نرى أن الدروز الى اليوم يعتبرون عقائدهم حكرا عليهم ويرفضون أن يكون مذهبهم تبشيريا ..

● اركان بديلة ! ●

كانت هذه الظروف أيضا من أسباب تضخم النزعة القتالية لدى الدروز فقد عرفوا بالبأس والغيرة من أجل الحرية والاستقلال .

لقد أخطأ كاراديفوحين ذهب الى أن الدروز استعاضوا عن أركان الاسلام الخمسة بسبعة اركان بديلة .. وحين نسبر غور هذه الاركان نتحقق من تبلور معايير خلقية وقيم انسانية عامة لا تخرج فى جوهرها عن الاسلام . مثال ذلك : « حب الحق وتكفل العارفين بالسهر على سلامة الغير والابتعاد عن الشيطان والتبرؤ من العقائد السابقة والاعتراف بمبدأ اتحاد اللاهوت بالناسوت ، والرضى عن افعال الرب والخضوع التام لارادته التى تجلت فى الائمة » .

ولقد انعكست هذه التعاليم على صورة المجتمع الدرزى الذي يقسم الى طائفتين : الاولى « طائفة الروحانيين » وتنقسم الى « رؤساء » و « عقلاء » ويناط الرؤساء بمعرفة أسرار المذهب والعقلاء بمهمة تنظيم الاتباع .

أما الطائفة الثانية فتعرف باسم « الجثمانيين » وتنقسم الى « أمراء » و « عامة » . ويختص الامراء بأمور الحرب والسياسة . أما العوام فقد لا يعرفون عن اصول المذهب الا اسمه . ويلاحظ أن هذه التقسيمات والتنظيمات هى تنظيمات اسماعيلية الاصل وان جرى تحوير بعضها وفقا لتطور الواقع الاجتماعى التاريخى .

لقد تطور هذا الواقع بتطور العصور دون أن يفقد الدروز طابعهم العام . وحسبنا أنهم حافظوا على وجودهم وسط ظروف طاحنة استهدفت طمس هويتهم فى العصور الايوبية والمملوكية والعثمانية وبرز دورهم فى التاريخ الحديث بتأسيس الاسرتين « المعنية » و « الشهابية » . واليها يرجع الفضل فى سبق لبنان الى الاخذ بالحضارة الغربية حتى قبل مصر وسائر دول العالم العربى . كما ناضلوا ابان مرحلة الاحتلال الفرنسى المتعصبة لطائفة الموارنة حتى تحقق الاستقلال . وفى اطار لبنان الحديث والمعاصر برز — ولا يزال — دور الدروز من أجل تحقيق وحدة لبنان وافساد المخططات الرامية الى تجزئته طائفيا . كما يتجلى هذا الدور فى تبنيهم للافكار الاشتراكية التقدمية على صعيد العمل السياسى الحزبى . ان هذا الدور المشرف للدروز يفهم فى اطار كونهم عربا ومسلمين ، لا أعاجم متهرطقين .

---

(١) النار :
(٢) راجع : دائرة المعارف الاسلامية : مادة « الدروز » ص ٢١٤ .
(٣) نفسه ص ٢١٧ .
(٤) حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ، ١٩٨١ ص ٦٢١ .
(٥) جولدتسيهر : العقيدة والشريعة فى الاسلام ، ص ٢٢٤ .
(٦) حسن ابراهيم : المرجع السابق ص ٢٥٢ .
(٧) نفسه : ص ٣٦٠ .

أسرة المويلحي وأثرها في الأدب العربي الحديث

بقلم : د. محمد عبد المنعم خفاجي

مؤلف هذا الكتاب هو المستشرق اليوغسلافي د. يوسف راميتش ، الاستاذ بكلية الدراسات الاسلامية بسراييفو بيوغسلافيا، وهوشخصية علمية متميزة ، واهتمامه بالادب العربي الحديث واضح وكبير ، وهو يحدثنا في مقدمة كتابه عن اسرة المويلحي واثرها البارز في النهضة الادبية الحديثة ، وعن اهمال الدارسين للاعلام الكبيرة الذين نشئوا من هذه الاسرة ولتراثهم ، وأن هذا الاهمال كان هو الحافز له على كتابة هذه الدراسة وابراز دور هذه الاسرة في تاريخ مصر الادبي الحديث .

وقد قدم هذه الدراسة الاستاذ الدكتور سيد حنفي حسنين الذي لفت نظره ان يجد عالما من يوغسلافيا يدرس لقصة أسرة من اصل حجازي ، وهي أسرة المويلحيين التي استقرت في القاهرة ، واصبحت اصلا من اصول الثقافة المصرية منذ القرن التاسع عشر الميلادي ، وأدى رجالاتها دورهم في الحياة السياسية والادبية في مصر تأدية تركت اثرها في تاريخ الثقافة المصرية الحديثة .

والمؤلف الدكتور راميتش يجعل كتابه سبعة أبواب :

فالباب الاول دراسة العصر الحديث في مصر الذي عاش فيه المويلحيون : من الجانب السياسي، والاجتماعي، والفكري، والادبي .

والباب الثاني : دراسة لاسرة المويلحي من حيث نشأتها وتاريخها ، وللمويلحي الكبير « ابراهيم المويلحي » وحياته وادبه، وللمويلحي الصغير « محمد المويلحي » وحياته وثقافاته ، وللمويلحي الاوسط « عبد السلام المويلحي » وكفاحه الوطني والادبي .

والباب الثالث : دراسة لدور هذه الاسرة في الحركات الوطنية والادبية في مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، ومن اجل ذلك يحدثنا المؤلف عن الو





الاسرة فى الحيـــاة النيابية في مصر ، ودورها فى الثورة العرابية ، ومواقفها فى حركة احياء التراث العربى .

والبابالرابع : دراسة لاثار المويلحيين فى الادب العربى الحديث ، والمؤلفلذلك يحدثنا عن آثار المويلحى الكبير الادبيـة ومترجماته من اللغات الاجنبيــــة ، وعن آثار المويلحى الصغير اللغوية والتاريخية والسياسية ، والادبيــــة ، وعن اثار المويلحي الاوسط فى الحياة الثقافيــة والنيابية .

وفى الباب الخامس : يحدثنا المؤلف من آثار المويلحيين فى الصحافة العربية، وعن دورهم البارز فى الجانب الصحفى ، وموقف ابراهيم المويلحى من حركةالمجتمع المصرى الحديث ، وموقف محمد المويلحى من الامتيازات الاجنبية ، وغير ذلك .

وفى الباب السادس : يحدثنا المؤلف عن آثار المويلحيين فى ادب المقـــالة والرسالة .

وفى الباب السابع : حديث عنمدرسة المقامات فىالادب الحديث ودور المويلحيين فى دعم هذا الجنس الادبي واثرائه ، ومن حديث عيسى بن هشام لمحمد المويلحى واثره الادبى بالتفصيل .

وابراهيم المويلحى عصامى بنشـــــاته الادبيه والعلمية ، وكانت له مشاركة فى الشعر ، وان كان نثره الادبى الرفيعهو الجانب الاكبر من ادبه ، وجـــــريدته الاسبوعيه « مصباح الشرق » كانت ضوءا ساطعا فى آثار الادب العربى الحديث ، وكانت كما يقول البشرى : انضر مدرسة لطلب الادب الرفيع « المختار ١/٢٢٤ »، وقد توفى ابراهيم فى ٢٩ من يناير عام ١٩٠٦ .

وعبد السلام المويلحى طارت شهرته فى الحياة الوطنية والسياسية ، ورأسزعامة المعارضة عام ١٨٧٩ فى مجلس شـــورى النواب ، وقـــد اشـــارت اليه جريدة التيمس الانجليزيه فى عددها الصادر فى ١٦ أبريل عام ١٨٧٩ وقارنته بميرابو فرنسا ، وكانت مواقفه الوطنيـــــة ذات صـــدى عميق فى حياة مصر السياسية آنذاك ، وقد عاش ثلاثا وستين ســـنة « ١٨٤٧ - ١٩١٠ م » .

وأما محمد المويلحى صـــاحب كتـــاب « حديث عيسى بن هشام » فله دوره البارز فى الحياة الادبية والفكرية فى

المويلحى

مصر ، وتوفى فى آخر فبراير عام ١٩٣٠ .

يؤرخ المؤلف لهؤلاء الاعلام وفكرهم السياسى والادبى تاريخا واسعا ، ويستعرض مواقف رائعة من تاريخ مصر الحديث ، كموقف عرابى أمام الخديو توفيق فى مظاهرة الجيش المصرى فى ٩ سبتمبر عام ١٨٨١ فى ميدان عابدين ، وهذا الحوار الذى جرى بين عرابى وتوفيق صورة من مفاخر مصر الوطنية آنذاك ..

توفيق لعرابى : ما هى أسباب حضورك بالجيش الى هنا ؟.

عرابى : جئنا لنعرض عليك طلبات الجيش والامة ، وكلها طلبات عادلة .

توفيق : وما هى هذه الطلبات ؟.

عرابى : هى اسقاط الوزارة المستبدة، وتشكيل مجلس نواب ، وابلاغ الجيش العدد المعين فى الفرمانات السلطانية ، والتصديق على القوانين العسكرية التى أمرتم بوضعها .

توفيق : كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها ، وانا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائى واجدادى ، وما أنتم الا عبيد احساناتنا .

عرابى : لقد خلقنا الله أحرارا واننا لن نستعبد بعد اليوم .

وفى حياتنا الصحفية يتحدث عن دور ابراهيم المويلحى البارز فى هذا الجانب ، اذ كان ركنا كبيرا من اركان الحركة الصحفية فى مصر فى عصره ، فقد أصدر العديد من الصحف اليومية والاسبوعية: ومنها نزهة الافكار ، ومصباح الشرق .

وقد صدر العدد الاول من نزهة الافكار فى يوم الخميس ١٤ من جمادى الاولى عام ١٢٨٧ هـ — ١٢ من اغسطس عام ١٨٧٠ ، وصدر العدد الاول من «مصباح الشرق» فى الرابع عشر من ابريل عام ١٨٩٨ م .

وكان ابراهيم المويلحى من تلامذة جمال الدين الافغانى واشترك معه فى تحرير « العروة الوثقى » ، وكان من أصدقاء الامام محمد عبده والشيخ رشيد رضا، وقد توفى فى ٢٩ يناير عام ١٩٠٦ .

نائب جرئ

وعبد السلام المويلحى انتخب نائبا عن القاهرة عام ١٨٧٦ فى مجلس شورى النواب المصرى ، حيث صار من أبرز الاعضاء فيه ، وفى عهد الاحتلال انتخب كذلك نائبا عن القاهرة فى مجلس شورى القوانين ، الا أنه رفض العضوية هذه المرة وقال : انى ارى أولى أن أصدر جريدة ، يمكننى أن اخدم بها بلدى أكثر من عضويتى فى مجلس اختصاصاته مبتورة وقانونه يحرم اعادة الرأى فى موضوع يعرض ، فى حين اذا أصدرت جريدة فان أى موضوع يعرض ، لى أن أكتب فيه مرة ، وثانية ، وثالثة ، وألح فى انفاذه ، فالجريدة أفضل من المجلس بقيوده .

ومن مواقف عبد السلام المويلحى ماقام به يوم أن ذهب رياض باشا الى مجلس شورى النواب المصرى فى ٢٧ مارس عام ١٨٧٩ ليعلن انتهاء الدورة ، فانبرى له نائبان جريئان هما : عبدالسلام المويلحى، ومحسن راضى ، وقال له عبد السلام : ان الاعضاء لم يعملوا شيئا حتى الان ، وان مهمة الاشراف على اعمال الوزارة لا تزال أمامهم ، وان ذلك يدعوهم الى البقاء ، ورد عليه رياض باشا بقوله : مستحيل ، مستحيل ينفض المجلس ؟. ماذا تقول ؟. كيف يكون فض المجلس مستحيلا بعد أمر خديوينا المعظم ؟ .. هل حضرتك فاهم جيدا قيمة مسئولية ماتقول الان ؟.

ورد عليه عبد السلام المويلحى : نعم انا فاهم ، وفاهم جيدا معنى ما قلته ، ومقدار مسئولية ما أقول تماما ، وأخذ رياض باشا يقول : هل حضرتك تتكلم عن

نفسك فقط ؟ وهل اخوانك يوافقونك على هذا الكلام ؟ ما اظن أن حضراتهم يوافقونك على ذلك مطلقـا ، وردد النواب : نحن موافقون على ما قاله عبد السلام المويلحى بك : وثار رياض باشا : اذن انتم جميعا عصاة، فانبرى له عبدالسلام يقول: حلمك يا باشا لا تغضب سريعا ، والآن الحمد لله قد ظهر لك موافقة اخوانى لاقـوالى ، وهم يعرفون مقدار المسئولية ويقدرونها حق قدرها ، ومن الغريب أن تحمل لنا أمرا عاليا اليوم ، يقضى بفض المجلس ، وهذا الامر العالى مبنى على غلطة جوهرية فاضحة ، لانها مغالطة مزرية من الحكومة لمجلس نواب امتهـــنا ، وهى كيف جاز للحكومة أن تبنى الامر العالى بفض المجلس على ان مدة انعقاده ، وهي ثلاث سنوات قد انتهت ، مع أن الحكومة تعلم والنواب يعلمون انه لم يمض على المجلس سوى سنة وثلاثة اشهر ، ورد رياض باشا : يعنى حضراتكم تقلدون نواب فرنسا الذين ثاروا على حكومتهم ، فرد عليه النواب ردا شديدا وقاطعه عبد السلام المويلحى قائلا : اسمعت ياباشا ؟ ارايت عاقبة تسرع حضرتك فى الكلام ؟ وعدم ضبطك لعواطفك ؟ المسالة مسالة نواب لهم عقول تفهم جيدا رغائب الامة التى انابتهم عنا ، **واعلم يا باشا ان اهل وطنك ليسوا باقل شعورا بما لهم من الحقوق وما عليهم من الواجبات من الامم الاخرى ، التى هى فى الواقع اقل منا كثيرا فى المكانة المالية والعمرانية ثم ثق ان كنت تعتقد ان مصر لم تتمخض ولم تلد سوى عطوفتك من عهد رمسيس الى الان ، فانك غلطان جدا ،** والف غلطان يا باشا ، تقول عن نواب بلادك يا باشا انهم ناس جهلاء وهمج ، ولا تزن قولك قبل صدوره منك ولا تتألم فى نجواك من صدوره عنك ، ثم تكرره تقريبا أمامنا اليوم ؟

وقال حسنى عبدالرازق : ان ماقاله عبد السلام بك المويلحى هو اعراب من أفكارنا ومطابق مطـــابقة تامة لارائنا ، ولا يشذ عنه أى فرد منا ، وكلنـــا متحملون مسئولية هذه الاقوال مهمـا عظمت ، أليس كذلك يا اخوانى ؟ واجاب الاعضاء : نعم .. نعم .. نوافق على جميع ما قيل من اخواننا النواب فى هذه الجلسة .

وانسحب رياض باشا من المجلس ، وهو يقول : أنتم عصاة ، أنتم ثوار . ووجه عبد السلام المويلحى حينئذ الكلام الى سكرتير عام المجلس : لا تحذف حرفا واحدا مما قيل فى كتابة المحضر ، لتعلم الامة والناس جميعـــا من هم الهمج : النظار أم النواب ؟ وطلب عبد السلام المويلحى : استمرار الجلسة ، فوافق المجلس بالاجماع .

تلك صفحات ممـا سجله المستشرق اليوغسلافى عن جانب من تاريخ مصر فى عهد الاحتلال ، وعن كفاح نواب الشعب ضد سياسة الوزراء الذين تحركهم ايدى الاحتلال .

● أعظم الجرائد الاسبوعية ●

وفى حديث المستشرق اليوغسلافى عن « مصباح الشرق » يقول : انها كانت فى نظر كثير من الادباء والباحثين من اعظم الجرائد الاســبوعية فى مصر ، وكانت معرضا لادب كبار الادباء ومدرسة لمريدى الادب ، ومجالا لقرائح الســـياسيين المعدودين فى الفصحاء ، وكانت تصـدر يوم الخميس من كل أسبوع ، وكانت كما يقول العقاد فى كتابه « رجال عرفتهم » لسانا للحركة الادبية .

ويقص علينا المستشرق اليوغوسلافى قصة ظهور كتاب «حديث عيسى بن هشام» لمحمد المويلحى بك وأثره فى النهضـــة الأدبية الحديثة بالتفصيل .

وقد تضمن الكتاب الكثير من المواقف الوطنية والنقدية والأدبية ، وتحدث عن العديد من تيارات الأدب ومذاهبـه فى العصر الحديث.. مما يجعل للكتاب اهمية كبيرة ، هذا الكتاب القيم الذى صدر عن دار المعارف فى القـــاهرة فى اكثر من اربعمائة وخمسين صفحة .

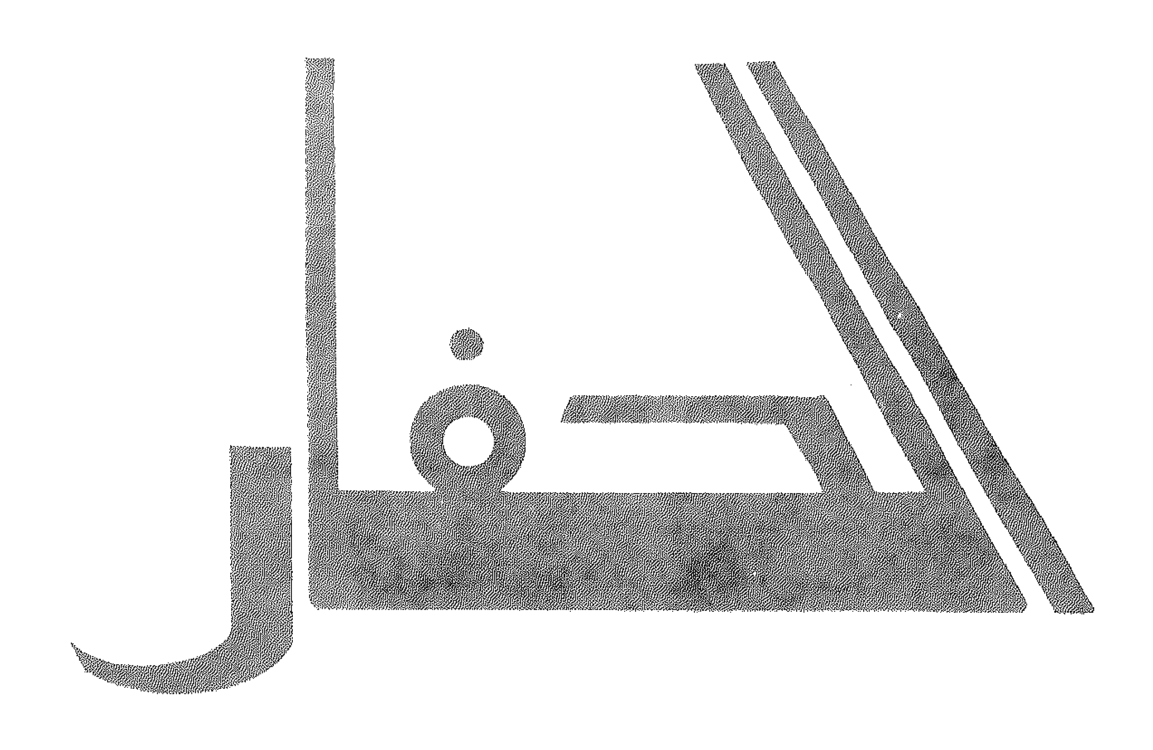
منسأة سليمان

شعر : أحمد فضل شبلول

لى وطن فى حجم القلق العربى
وفى لون الزيتون ،
وفى طعم فلسطين
لى وطن يبدأ من بدر ،
ويمر على الخندق ،
تتوسطه حطين .
فى اسفله تتنهد سبأ ،
فى اعلاه يطير الهدهد ،
يفجا بوابات البستان
يدخل بين الاغصان
ويسرى فى السيقان
يجاوز حد الجذر
يختصر الصحراءامام العينين الواسعتين
يعود ، ويصرخ فى منساة سليمان
ـ لا تتهاوى .
ـ لا تتهاوى .
ـ ـ الجن يروح ، يجىء ولا يدرى
ـ لا تتهاوى .



بلقيس تساءلت الان عن الحكم
لم تعرف ان الحكم يساوى الدم
لى وطن فى حجم الهم
الدم ينفجر ـ مع الامعاء ـ من الفم
والشجر جريح
يساقط من أول صرخة ريح
كنت اناجى الاوطان ،
اعنفها فى الاحلام
واجاوز حد التسبيح
منساة سليمان
قدت من شمس فلسطين
ها انذا ...
ادفع تلك الديدان
عن منساة سليمان
لكن بلقيس .
لايعنيها ..
الا ..
الحكم .



وإمكانيات روائيّة جديدة

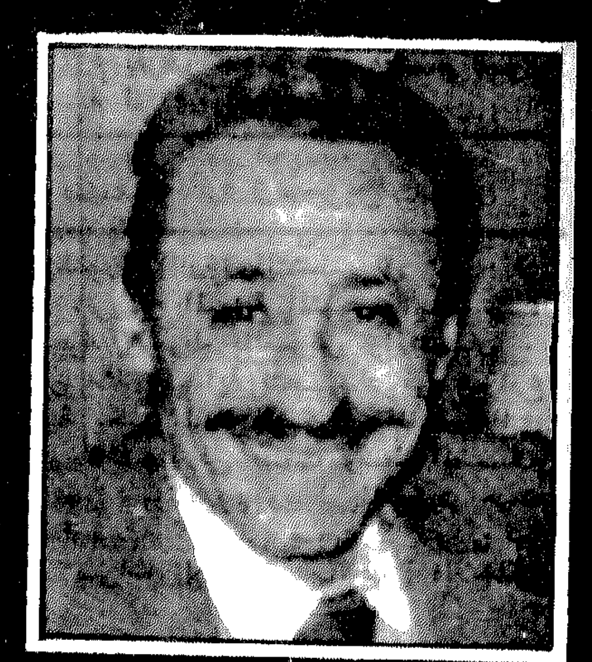
مع الحفار انت في رحلة مع المجهول ، بكل ما تثيره فيك هذه الرحلة من غموض الخوف والرهبة والمخاطرة ، فأنت تتعقب مغامرا بحثا عن حفار استوردته اسرائيل للتنقيب عن البترول في خليج السويس بهدف اذلال مصر في أعين العالم ، فتنطلق من القاهرة الى البحيرات التي تفصل بين كندا والولايات الامريكية ، أو تدور في حلبة رقص في فندق قريب من شلالات نياجرا ، او تجد نفسك في مبنى جريدة في أمستردام ، أو في مطعم سمك في لشبونة ، او على جزيرة من جزر البرتغال ، او على ظهر سفينة شحن في عرض البحر ، او في غرفة في فندق غريب وقد عبثت بحاجاتك الشخصية يد غريبة في غيابك ، او في احد موانىء غرب افريقيا او في قلب غاباتها واحراشها ، وعيناك حيثما كنت مفتوحتان تمسحان الامواج والموانىء في انتظار ان يظهر الحفار . الرحلة تطوح بك هنا وهناك تفتح لخيالك آفاقا ، وللذكائك آفاقا ، ولمشاعرك الوطنية أفقا بعد أفق ، وأنت تدور وسط ذلك الصراع الطاحن بين رجال المخابرات المصرية ورجال الموساد ، تتحرك بدفع العقلية المصرية واصرارها على التفوق وتدمير الحفار .

وهي رحلة تجري في مناخ حرب الاستنزاف ، وسط انباء عن نسف الضفادع البشرية المصرية لسفينتين حربيتين في ميناء ايلات ، ومعركة شدوان المجيدة ، والاشتباكات ودوي المدافع عبر القناة ، ودوريات العبور التي كانت تقض مضاجع الاسرائيليين ●

بقلم : د. أمين العيوطي

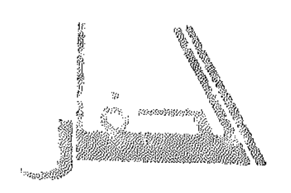
● ● بعد أن قدم صالح مرسى مجموعته القصصية الصعود الى الهاوية عن التجسس فى عام ١٩٧٦ ، وبعد أن قدمت له الشاشة الصغيرة ذلك المسلسل المتميز دموع فى عيون وقحة عن عميل مصرى مزدوج فى عام ١٩٨٣ ، يعود الينا اليوم فى روايته الجديدة الحفار بعنوان فرعي « قصة أعنف صراع بين المخابرات المصرية والاسرائيلية » لا ليضيف الى أعماله السابقة رصيدا جديدا فى هذا المجال فحسب ، بل ليفتح للرواية العربية آفاقا جديدة لم يسبق ارتيادها من قبل ، ولينبه الاذهان الى امكانيات الفن الروائى فى اقتحام مناطق أخرى من التجارب الانسانية العريضة لم تزل بكرا حتى الآن ● ●

صالح مرسى



كما تجرى وسط تحركات واجتماعات سياسية وتصريحات تهدف الى زعزعة النفوس وادخال اليأس الى القلوب ، ووسط حركة محمومة من جانب مصر لتؤكد صلابتها واصرارها .

ورأت وسط هذا الصراع تعاشر ثمة جيش صغير من الرجال والنساء والشباب والفتيات من جميع الاعمار ، ومن جنسيات شتى لا يعرف أحدهم الاخر ، يتحركون حركة سريعة ونشطة وشديدة الدقة والخطر » ، بل رجال ونساء تتبدل اعمارهم واشكالهم من آن لاخر ، كل خطوة عندهم لها حساب ، وكل فكرة لها الف وجه واحتمال ، وكل ثانية الف قيمة فى صراعهم الدائم مع الزمن وهم يلاحقون عبر موانىء العالم حفارا



احاطت اسرائيل تحركاته بسياج من السرية والمناورة عليهم ان ينفذوا منه فى جو من السرية والكتمان والمعلومات والحسابات والخطر والحركة المحسوبة ، ليصلوا الى الحفار ويدمروه دون أن يتركوا وراءهم اثرا واحدا يدل عليهم ، خاصة وأن العملية دقيقة يحيط بها الكثير من الحرج السياسى مع كثير من الدول المتورطة فيها مما يكسبها مزيدا من الاهمية والتوتر الذى يصاحبها .

تشابك الاحداث

وقد تلتقى هذه الرواية مع الرواية البوليسية فى اعتمادها على اثارة التشويق والتوتر لدى القارىء ، وهو التشويق الذى يعتمد أساسا على استفزاز فضول القارىء الذى يلذ له أن يتابع تعاقب أحداث الحكاية وفصولها ، كما تلتقى معها فى اعتمادها على تشابك الاحداث وتشعبها واحتمالاتها بالقدر الذى يكفى لاستفزاز ذكاء القارىء الذى يلذ له أن يستقرىء الاحداث وسط جو الغموض واللبس الذى يشيع فى جنبات هذا العالم المحفوف بالمخاطر فى الرواية، وهو الجو الذى يتطلب اثارته من الكاتب تلك الخبرة التى يصفبها - هو نفسه - رجال المخابرات بأنها « خبرة طويلة مع الغموض » هذه المتعة العقلية توفرها لنا الطريقة التى يعمل بها عقل طاهر رسمى ، مثلا ، وهو يقوم بتحليل الرسالة التى ترد اليه بالشفرة والمعلومات التى تتضمنها عن رحيل الحفار عن دكار والرجال قاب قوسين أو أدنى من تدميره ، ويدرس احتمالات الموانىء الاخرى التى سيلجأ اليهاالحفار، وانسب الموانىء لضربه ، ويضع الخطة التى تفرض على الاسرائيليين أن يلجئوا بالحفار الى ذلك الميناء بالذات الذى وقع عليه اختيار طاهر رسمى لتدميره .

غير أن الرواية تتميز مع ذلك على الرواية البوليسية بأنها تخاطب أساسا الحس الوطنى المصرى العميق ، لا لانها تتناول الحرب بين الذكاء المصرى والاسرائيلى فحسب ، بل لانها تتناول قضية تتعلق بعزة مصر وكبريائها، خاصة وأن أحداثها تجرى فى وقت كان كبرياء كل مصرى فيه جريحا . وهى لهذا تدخل فى نطاق ذلك النوع من الادب الذى يخاطب معنويات الناس ليرفعها ويدعمها ويؤكد فيها الشعور بالاعتزاز بالانتماء لهذا الوطن العريق ، أو كما تقول الرواية على لسان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فى تصويرها لموقف بينه وبين امين هويدى مدير المخابرات المصرية آنذاك :

ساد الصمت بين الرجلين لثوان ، وعاد عبد الناصر الى الحديث وقد برقت عيناه ، قال : ان العالم كله لابد أن يعرف أننا رغم الهزيمة نرفض الاذلال : « مش الاسرائيليين بس يا أمين ، العالم كله لازم يعرف كده . وده مهم قوى بالنسبة لنا فى المرحلة دى » .

اثارة وتشويق

وعنصر الاثارة والتشويق تكفله فى هذه الرواية السرية المشحونة بالتوتر ، والتحرك المحوط بالغموض والكتمان . فنحن منذ البداية نتحرك فى شوارع خالية يخيم عليها السكون والظلام الذى يجثم كالشبح فى صمت وسط الظلام الكثيف ، ونجوس وسط السكون حيث الرجال يتحركون فى صمت لا تتردد فيه الا الاصوات الصادرة عن أجهزة اللاسلكى

وصفيرها المتقطع ، قبل ان يملك علينـــا انتباهنا رســـــــــالة ترد بالشفرة تثير احساسنا بأهميتها وتشيع جوا من التوتر يتناغم مع جو التوتر المـــــام ويعشش بداخله . بل لعل الحركة فى الرواية ايضا تكتسب معنى آخر وبعدا اخر من هذه البداية من جوف الظلام الذى يغلف الشارع والمبنى . فلعلنا نستطيع أن نقول ان حركة الاحداث كلها تبدأ من الظلام الى النور .

فى بحثنا مع الرجال عن الحفار ، حجمه ، شكله ، قوة احتمـــــــــاله ، مواصـــــفاته ، عدد رجاله ، مكـــــانه ، بحث يبدأ من الظلام قبل أن ترد اول رسالة بالشفرة تحمل معها أول خيط نور يكشف لنا امر الحفار الذى لا يلبث أن يختفى فى متاهة المحيط الواسع . « فها هى الايام تمضى ولا خبر عـــن الحفار ، ولا شىء ســـــوى ظلام يكتنفه ظلام ... »

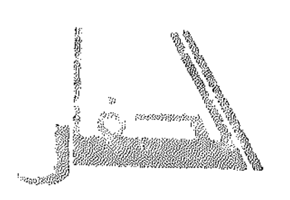
منذ هذه اللحظة تبدأ الحركة سريعة محمومة . فالاثارة لا تكمن فى المناخ فقط ، لكنها تكمن أيضا فى سرعة الايقــــــــاع اللاهث ، والتنقلات السريعة من مجموعة بحث الى مجموعة بحث أخرى ، وتلاحق الاحداث ، ومحـــــــــاولة كسب الوقت واستباق الزمن . فنحن « فى سباق مع الزمن » حتى ندرك الحفار قبل أن يدخل البحر الاحمر لنضربه فى عرض المحيط بأقصى كفاءة ممـــــكنة ، وبأقصى سرعة ممكنة ، لجنبا لفتح معارك جانبية مع الدول المتورطة فى العملية .

ويعمق لحظات الاثارة ذلك التوتر الذى نعيشه مع الرجال ، مثلمـــــا يحدث مع نديم هاشم ، الضـــابط المكلف بتدمير الحفار ، فى مطار أورلى وهو يحمل معه كل معدات الضفادع البشرية التى ستقوم بأداء المهمة ، وسط ظـــروف التفتيش الصارم المفروض على كل عربى . فالرواية تتعمق اللحظة فى اثارة تجعـــل القـــارىء مشدودا فى مقعده ، وتنسج التفاصيل على مهل . « انقضت يد الضابط على كتاب راح يتصفحه ويفحصه ، ألقى به ، ثم أمسك بكتاب آخر وثالث ، ورابع » .. ونحن نعلم أن معدات الضفادع ترقد تحت هذه الكتب !

ويلعب عنصر المفاجأة دوره فى الوصول بالاثارة التى يعيشها القارىء الى قمتها حين يظهر الحفار فجأة فى ميناء ، ليغادر فجأة الى ميناء آخر مجهول ليمضى فيه حين يظهر مرة ثانية فترة مجهولة لا ندرى ان كانت كافية لوصول الرجال ، ليغادر مرة اخرى والرجال على اهبة الاستعداد لتنفيذ مهمتهم . ويدعم عنصر المفاجأة فى مثل هذه اللحظة ، أو فى غيرها على امتداد الرواية كلها ، عنصر الخطر الذى يعيشه الرجال .

ولعلنا نستطيع أن نضيف الى كـل عناصر الاثارة التى تحفـــــل بها الرواية عنصرا هاما ، هو عنصر نشر اية رواية بشكل عام ، ورواية من هذا النوع بشكل خاص ، على شكل مسلسل . مثل هـــذا الاسلوب فى النشر يتطلب من الكاتب حذقا بالغا بحيث يبقى القارىء مشدودا الى متابعة حلقات الرواية حلقة بعد حلقة . وفى هذه الرواية يتحقق هذا من خـلال سرعة الانتقال من مشهد الى آخر داخـل الفصل الواحد بعد أن يكون الكاتب قد شد اهتمامنا الى ما يجرى فى مكان ما قبل ان ينتزعنا من قلب هذا المشهد الى آخر .





ولعل هذا العنصر الاخير هو الذى يحدد الشكل الفنى لرواية الحفار . فأول ما يلفت النظر هو أن الرواية تأخذ شكل المشاهد السينمائية القصيرة المتلاحقة ، بحيث يبدو الشكل الروائى أقرب الى سيناريو أحد الافلام . والحقيقة ان صفة السيناريو لا تنطبق فقط على الطريقة التى كتبت بها الرواية من مشاهد قصيرة لا تكاد تجتذب القارىء حتى يحدث « اختفاء » سريع لهما لتحل محلها مشاهد قصيرة أخرى ، بل أن صفة السيناريو تنطبق عليها من حيث أن الخطط المختلفة التى يضعها رجال المخابرات فى محاولتهم الا يفلت منهم الحفار تحت أية ظروف هى فى حد ذاتها سيناريوهات . هناك سيناريو خاص بفرناندو بالديرا فى جزر الازورس ، وسيناريو آخر خاص بلونا بايرن فى ساحل العاج ، وسيناريو ثالث يقوم بوضعه نديم هاشم فى اختيار الضفادع البشرية ووضع خطط تهريب الملابس ، وتعديل الخطط ، تبعا لتطور الاحداث .

كل هذا بالطبع فى اطار السيناريو الاساسى الخاص بالحفار . بل ان طاهر رسمى نفسه ، العقل المدبر وراء العملية ، يفكر بهذا الاسلوب حين تواتيه فكرة استغلال الفنانة دلال شوقى وارسال بعثة سينمائية لتصوير فيلم تجرى أحداثه فى احراش نيجيريا . « منذ اللحظة الاولى أيقن طاهر أن الامر يحتاج الى خطة خيالية ، خطة تصلح لاحد الافلام السينمائية ، ولا تصلح للتنفيذ على الطبيعة » ..

فى مثل هذه الرواية لا تكون الشخصيات مهمة فى حد ذاتها . فلعلنا لا نرى منها الا ملمحا او بعض ملمح . بل لعلها لا تكتسب خصائصها الا من خلال ارتباطها بالهدف الذى تسعى لتحقيقه . فاذا كان عزت بلال هو « كومبيوتر » المجموعة فما ذلك الا لانه مخزن المعلومات التى يزود بها المجموعة ، واذا كان طاهر رسمى يتمتع بشمولية الرؤية والذكاء البارع فما ذلك الا لانها امكانات يضعها فى خدمة العملية ، واذا كان نديم هاشم يتسم بالجرأة وعشق الخطر فما ذلك الا لفناء ذاته فى المهمة التى يضطلع بها ، بل لعلنا لا نبالغ اذا قلنا أن العلاقات الانسانية ليست مهمة فى حد ذاتها . فلا العلاقة العاطفية بين دلال شوقى ومدحت صبرى ، ولا العلاقة المادية بين مراد وفرناندو بالديرا ، ولا العلاقة الجنسية بين زكريا ولونا بايرن ، ولا حتى العلاقة المبدئية بين ليز ونورمان والقضية العربية مهمة فى حد ذاتها . العلاقة الاساسية التى تحرك الحدث هى علاقة العمل ، علاقة جمع المعلومات والتخطيط والتنفيذ . فالشخصيات فى حد ذاتها لا أهمية لها ، بل ان بعضها يلبث ان يختفى ، مثل موريس ، ما أن تؤدى دورها المنوط بها فى اطار العملية الكلية . ولهذا فهى شخصيات لا تتطور . الحدث فقط هو الذى يتطور ، والشخصيات مجرد تروس فى عجلة عملية واحدة .

ولعل هذا الاهتمام بالحدث على وجه التحديد قد ترك بعض الاثار السلبية على فنيات العمل ، وخاصة فى بدايته . فمع وجود هذا الحشد الهائل من الشخصيات ومحاولة الكاتب تتبع الخيوط المتشعبة التى ينسج منها الحدث ، كان دخول

الشخصيات يأتى فى بعض الاحيان فجائيا يحير القارىء قبل أن يستطيع ان يربط بينها وبين خط الاحداث الرئيسى ، مثل دخول لونا بايرن فى امستردام بهولندا فجأة دون مقدمات ، أو دخول ابراهيم سيد فرج الله الى صالة المطار فى طريقه الى داكار وعمر السيد فى طريقه الى غانا وأحمد زين العابدين فى طريقه الى مقديشيو دون أن ندرى عنهم شيئا . ونستطيع أن نضيف الى هذا دخول شخصيات جديدة الى مسرح الاحداث فى اوقات متأخرة .

كذلك كان غياب عنصر رجال المخابرات الاسرائيلية عن حيز الاحداث فى النصف الاول كله من الرواية ، وفى اغلب النصف الثانى ، قد اضعف من التوتر الدرامى فى الرواية ، وأظهر تحرك الجانب المصرى كما لو كان تحركا احادى الجانب فبدا «صراع العقول» هزيلا الى حد بعيد . وحتى حين يظهر أيزاك ديستان وباربرا هوفمان على مسرح الاحداث فاننا نراهما على البعد ، أو نسمع عنهما بشكل سردى لا من خلال تصوير درامى مؤثر ، أو من خلال الخطة والخطة المضادة الا فى اضيق الحدود وفى حالة واحدة قرب النهاية .

فقد نسمع عن استنجاد الاسرائيليين للقاطرة آلبى فى انتويرب لسحب الحفار من أبيدجان ، واطلاقهم لشائعة ان ثريا عربيا قد استأجره بهدف التمويه . المعلومة تنقل الينا ولا تبرز دراميا وهو ما كان من شأنه أن يضاعف من جرعة التوتر ومن جرعة الاعتزاز بالعقلية المصرية المناورة فى آن واحد . ونحن نسمع عن الخطر الذى يطارد ليز ونورمان ولا نراه الا فى حادث اختطافهما فعليا .

وعلى الرغم من أن طاهر رسمى ليس ممن يميلون الى الاستهانة بذكاء عدوه ، الا ان غياب النزال الحقيقى بين العقلين والذكاءين يميل الى تسطيح ذكاء العدو ويضعف من تأثير الذكاء المصرى . ولناخذ مثلا على ذلك ردود فعل الجانب الاسرائيلى فى ميناء داكار حين يرحل الحفار فجأة ، فلا نرى من جانبهم الا الشكوك والعصبية والتصرفات التى تبدو محسوبة على اساس حدس لا على اساس معلومات . عن هذا الموقف تقول الرواية :

ان الاسئلة تفرض نفسها فرضا علينا ونحن نقلب فى الاوراق والاقوال والاحداث معا .. نقارن بين ما اتيح لنا من معلومات وما لم يتح ، ثم نستنتج فى محاولة للاقتراب من الحقيقة بقدر مانستطيع من جهد .. »

ولكن هذا ما كان على صالح مرسى بصفته قصاصا أن يفعله بالضبط ، لا أن يجمل المعلومات تجسرنه ، ولكن أن « يخلق » مالم يتح له من معلومات ، مثلما كان يفعل بالضبط فى دموع فى عيون وقحة ، أو مثلما يحدث هنا فى حالة الالتحام الوحيد الحى بين العقلين الذى يحدث حيث يحاول الجانب الاسرائيلى ايهام المصريين بأن الحفار سيدخل ميناء أبيدجان فى حين يخططون هم لدخوله ميناء هاركورت فى لاجوس ، والاسلوب الذى يتبعه طاهر رسمى باستغلاله طاقم البعثة السينمائية لابعاد الاسرائيليين عن دخول بورت هاركورت والالتجاء الى ابيدجان حيث كل الظروف موالية للجانب المصرى حتى يضرب ضربته .

ومع كل هذا يبقى الحفار عملا روائيا مثيرا متميزا ، يفتح الطريق أمام الرواية العربية لارتياد مناطق جديدة بما يتمشى مع امكانات الشكل الروائى وامكانات اثرائه بحيث يستوعب آفاقا جديدة فى انتظار من يرتادها .



بقلم : سعاد شلش

كانت تجول بعينيها كمن يبحث عن شيء .. تغض طرفها وترفعه عشرات المرات .. حتى فى جلستها كانت متململة .. لا تستقر على مقعدها ، تصلح من شان ثوبها . شعرها .. تمشى براحتيها على وجنتيها ... القلق مرض العصر .. اصبحت تسلم قيادها لتلك المقولة كى تبرر نظرات الموجودين وحين تنبهت انها فى حفل .. خشيت فقط مراقبة شقيقتها لها التى كانت تروح وتجىء فى سعادة تستقبل مدعويها تقدمهم لبعضهم البعض بطريقة ارستقراطية .. هذه عقيلة الدكتور .. وتلك حرم رجل الاعمال .. وحينما كان يصيبها الدور .. كانت تردد فى خفوت :

– شقيقتى « ريهام » .

وتضج اعماق ريهام ويتضاعف داخلها الاحساس بالقلق الذى اصبح يلد له مرافقتها .. ولازمهما الاسى لاول مرة فى حياتها .. لا لوم ازاء اختها .. أيستطيع المرء الفرار من حقيقته ! الانسان يولد وهو متشح بقدره . وقدرها انها فشلت فى زواجها . شقيقتها دبلوماسية كبيرة . كان بامكانها أن تقول لهم « السيدة ريهام » وتجنبت ذلك متدا .. للتساؤلات .. كل واحدة فى الحفل تاتى وهى متابطة ذراع زوجها .. داهمتها رغبة فى الفرار من هذا المكان . وجودها مثل عدمه .. عضت على نواجذها .. كانت تتمنى أن تموت ولا أحد يردد أمامها فى همس بأنها « مطلقة » فى تقديرها ان الجمال والثقافة والجاه ألفاظ بلا معنى تجاه الوفاق بين زوجين . لم تتزوج عن حب .. غزلها برودة مفاجئة . هو الذى تركها تجنبت ان تشرح لاقاربها وأصدقائها عن سبب الانفصال .. كل الذى قالته أن الارتباط نصيب . حظوظ .. تغرق نفسها فى عملها ولا تملك مقدرة على النسيان .. فى يوم زفافها ظلت حتى الصباح بثياب العرس . وتسربت الايام دون جدوى وكانت علامات الاسى على وجه زوجها . كان يصنع لها الكثير من المشروبات الساخنة حتى تأففت .. وفى ليلة قراره بالانفصال هاج وماج وفى غمرة ثورته ارتطم « بالبراد » الصغيرة فى حجرة النوم ولعن التكنولوجيا والتطور ووظيفة المرأة .. تنهدت فى عذاب .. الخجل منعها من الذهاب الى طبيب . اصبح يشكل فى اعماقها خوفا أبديا . ونمت الرهبة بمرور السنين حتى

خالتها وحشا مفترسا . فباتت لا تفكر فى الارتباط مرة أخرى . أختهـا تسعى لاقناعها . جاءت اليها بالكثيرين لكنهـا رفضت حتى مشاهدتهم .

لمحت « ريهام » واحدة تحملق فيها .. ابتسمت لها ونهضت .. لتجلس بجوارها .. حادثتها .

ـ تعملين ؟

واومات بالايجاب .. وسـألتها بدورها .

ـ وحضرتك ؟

ـ طبيبة علم نفس .

ارتجفت أوصالها .. هذه النوعية من الاطبـاء تعتبرها مثـل المحققين وهى ليست مذنبة .. نهضت متعللة بمساعدة شقيقتها . قبلت الصغير المحتفى به .. وحثت الخطو الى حجرة النوم .. القت بجسدها على الفراش .. عاودتها البرودة .. أخذت ترتعد ، تلاحقت انفاسها . أرادت أن تبـكى .. لم تفلح . جذبت الغطاء عليها .. مثلت أمامها الطبيبة .. عنفت نفسـها . لماذا نهضت !! تلك فرصتها . ربما يكون لديها البرء . برء !! من ماذا ؟؟ لا تشكو مرضا .. قدرها فقط هو الذى حرمها من حنان الام مبكرا .. رحلت أمها وهى تضعها . وتقبلت ..



بصدر رحب وجود البديلة ، تزوج ابوها قبل مرور عام على رفيقته الاولى . لم يؤخر عنها شيئا هي واختها .. هكذا يردد دائما .. لكنها حين تكون نهداها بكت طويلا امام صورة امها وهي تبثها ما يعتلج بداخلها .. وصرخت لحظتها واحتبس صوتها .. وذهبوا بها الى طبيب فبشرهم بانها مشرفة على سن البلوغ . وترعرعت وهي تنصت باهتمـــــام الى رفيقاتها في الدراسة وهن يهمسن لهـا بغبطة ووجوههن مشربة باللون الارجواني عن تلك القطرات القانية التي تسيل مثل « الدبس » من حبات الرمان الناضجة في حدائقهن وتمتلىء بالاسى وتصــمت ، فحديقتها تخالف .. حدائق صويحباتها .. وعكفت على التفــوق في دراستها وبذكاء كانت دائمــا تغير دفة حديث الصديقات الى ما تريد قــوله هي . وابتعدت تماما وهي بالجامعة عن الجنس الاخر ، وكانت كلما أثنى على جمالهــا صديق .. تجفل في لين وترفق وتركض الى بيتهـا لتصارع نوبة شجن يصيب جسدها بصقيع مميت . جاءت أختهـا تبحث عنهـــا .. تمتمت وهي تخفي رعشتها .

ـ دعيني قليلا .. أشعر بدوار .

دفعت شقيقتها عنهـا الغطاء ورددت بتعجب .



ـ الجميع في انتظارك . نريد أن نطفىء الشموع .

لا عذر لديهـــا . نهضت وهي تضم ساعديها على صدرها . ما زالت البرودة تدغدغ بدنها وأطرافهـا . انضمت الى الموجودين جاملت شقيقتها ورددت معهم أغنية عيد الميلاد . فرغوا وقبل أن تترك المكان . وجدت أختهـا تقدم اليها أحـد المدعوين .

ـ الدكتور عادل .

اختلجت يدها وهي تصافحه بحياء . حملق فيها الرجل وهتف وهمـــا يجلسان .

ـ متوعكة ؟

يتضاعف خجلها . أضاف الطبيب وهو يكاد يلتهمها بعينيه .

ـ مم تشكين ؟

لا شيء يؤلمها على الاطلاق . ماذا تقول له : ترفض الافك .. همست .

ـ مجرد ارهاق .

عاد الطبيب يطوف بعينيه على وجهها المتناسق السمات . حدثه عنها صديقه زوج شقيقتها . استراح صدره وهو يحمد الله لعثوره على رفيقة بعد انتظـــاره الطويل . قال بود :

ـ برودة يدك تنفي ذلك .

انضمت اليهما أختها وهي فرحة .. الحظ وحده كان حليف هذه الشقيقة . تزوجت دون أن تكمل دراستها من رجل أعمال ثرى . وأصـــبحت الان سيدة مجتمع . لا تملك من الجمال قلامة ظفر . لبقة وتجيد التحدث . قالت وهي تعالج من انسياب الموسيقى الهادئة .

ـ لنرقص جميعا .

رقصت « ريهام » بصـحبة الطبيب . أحست بالالفة تجــاهه وبدفء طفيف يتسرب اليها . وانفض الحفـل وكانت ريهام في قمة غبطتها وهي تومىء بالموافقة على دعوته لها .. بتناول الشاي معـه في الغد . وحينما سألته عن تخصصه في مهنته . علمت انه طبيب في علم النفس . وفي ميعادهما . لم تذهب اليه ، وتركته يغوص وحده في دوامة الانتظار ...



« شكل مختلف »

● فسخت احدى نجمات هوليود الناشئات خطبتها من احد الاثرياء وقالت تشرح السبب لصديقتها : لقد رأيته فى ثياب الاستحمام ، فبدا شكله مختلفا تماما بدون حافظة نقوده !

● ذهب الرجل الى عيادة الطبيب البيطرى مع كلب الأسرة ليعالجه ، وعندما عاد الى البيت قال لزوجته : لابد أنه كان مرتاحا تماما فقد ظل ينبح طوال الطريق وكأنه يريد أن يقول لى شيئا ، وردت عليه زوجته : تماما لقد كان يحاول أن يقول لك أنك احضرت معك كلبا آخر !

● ان مايزيد على عشرين مليون امرأة فى العالم ، يرفعن اصواتهن ويقلن : لن نسمح للرجل بأن يملى علينا ما يشاء ، ثم يصبحن كاتبات اختزال !

« عناوين »

● عندما فر نابليون من جزيرة البا عام ١٨١٥ ، نشرت احدى الصحف الباريسية انباء فراره فى مقالات كتبتها على عدة أيام وصدرتها بالعناوين الآتية بترتيب الصدور :

« فرار الوحش الكورسيكى »
« وصول السفاح الاكبر الى خليج جوان »
« المغتصب يدخل مدينة جرينويل »
« بونابرت يقترب من مدينة ليون »
« نابليون يشق طريقه الى فونتانبلو »
« صاحب الجلالة الامبراطور يصل غدا الى باريس المخلصة »!!

« فاتورة الفندق »

● ذهل نزيل الفندق عندما قدموا له فاتورة الفندق الذى نزل به ، فقد كان مبلغا لم يتوقعه ، وبعد أن سدد ماطلب منه سأله مدير الفندق عما اذا كان عنده اقتراح للفندق . قال النزيل : نعم انكم تضعون فى الغرف لافتة كتب عليها : " هل نسيت شيئا " وانا اقترح أن تكتبوا عوضا عنها " هل بقى معك شىء "..



قنديليات

بقلم : يحيى حقى

أن تكون.. أو لا تكون

ونحن نردد الحديث عن الفساد والطهارة . يسرح ذهني فاقول ان من الخلائق ما يقبل التدريج كالكريم يبدأ بقرش تدفعه لشحاذ وربما تتخصص من الحاجة ، وينتهي في القمة بان ينطبق عليك البيت المشهور .

لو لم يكن في كفه غير روحه
لجاد بهسا فليتق الله سائله

وكذلك البخل يقتصد في ميزانية اللهو والتمتع أولا ويعيش عيشة المنساك ، ثم تنتهي الى الاقتصاد في مطالب الحياة الاساسية من مادى وملبس ومسكن ويعيش عيشة الكلاب

ولكني الحظ بابتسام ان البخيل اذا ارتقى الذروة اصبح موضع تندر ويتخطفه السمار لمازحته ، ورحم الله الجاحظ في كتابه المشهير البخلاء، وشبيه به من بلغ القمة أيضا في سماجة الدم فانه يعد حينئذ عند الناس من الظرفاء .

وهناك خلائق لا تقبل التدرج فاما ان تكون كاملة أو لا تكون أو إصابها اقل خدش انهدمت مرة واحدة كالعفة، رحم الله يوسف وهبى حينما قال « شرف البنت مثل عود المكبريت » ، وكذلك طهارة الذمة أقل غبار يلحقها يسود به وجهها ، ولا يسلم المتمسك بها من اتهامه بالحنبلية كما يقول عامة أهل مصر !

اسمح لي ان اقدم لك مثلين من هذه الحنبلية استقيتهما من صحيفة «تايمز» الانجليزية ايام كنت أقرأ القضايا الجنائية المعروضة على المحاكم الانجليزية ، ومن دخل مدرسة الحقوق مثلي لايسلو الابحاث القانونية مهما طال به العمر .

● المثل الاول ●

جرت عادة بعض الشركات المساهمة اذا حققت في سنة من السنوات ربحا كبيرا غير منتظر ان تحجز منه قدرا تودعه في حساب سرى غير معلن لتجعله ذخيرة لها في سنوات العسر ،

وتوزع الباقى على المساهمين فيفرحون به ، وفى مرة اعلنت احدى الشركات انها تعرض اسهما جديدة لها على افراد الشعب لشرائها وارفقت هذا الطلب بنشر ميزانية السنة السابقة التى تدل على أنها حققت ربحا كبيرا مما يدل على ان الشركة فى احسن حال ، وان المستقبل يبتسم لها ، فأقبل الناس على شراء هذه الاسهم الجديدة ، ثم تبين بعد ذلك ان الشركة لم تحقق أرباح السنة السابقة الا لانها استخرجت من الحساب السرى المودع لديها رصيده وضمته الى الارباح المعلنة دون أن تذكر ذلك فى بيانها المعلن • فاقيمت دعوة ضد مدير هذه الشركة بطلب ادانته لانه غش الجمهور وخدعه وكان الواجب ان ينص على حقيقة الارباح التى حققتها الشركة فعلا . وقد تولى الدفاع عن المدير اشهر محام فى ذلك الوقت ، وهو اللورد « سايمون » الذى كان حاكما للهند ، ووزيرا للحكومة ، وقال للمحكمة : اننا لم نكذب لان المبلغ الذى اضفناه سرا على ارباح الشركة هو ايضا من ربحها ، لاقرضا من احد ولاتدليسا على احد ، ولكن المحكمة حكمت على المدير بالحبس لانه خدع وغش الجمهور •

● المثل الثانى ●

هيئة الاذاعة البريطانية دخلت فى مفاوضات مع شركة امريكية وانتدبت أحد موظفيها لمباشرة هذه المفاوضات وصياغة العقد الذى ستسفر عنه وقالت له هذه هى مطالبنا وعددتها فاذا اتيت بها فنحن عنك راضون وشاكرون ، ولكن لنا احلاما واطماعا لو استطعت تحقيقها ايضا يا فتى لكنت بطلا من الابطال ، وسافر الرجل وعاد وقد حقق جميع المطالب المعقولة والطموحة معا ولكن الهيئة البريطانية رفتته فورا لانه قد بلغ الى علمها ان المندوب قد عمد بعد انتهاء المفاوضات وتوقيع العقد الى الهمس فى اذن الجانب الامريكى قائلا : قد شهدتم مقدرتى على العمل وأحب أن اخبركم بينى وبينكم أننى أريد أن اتحول الى العمل معكم هنا فى امريكا • هذا كل ما قاله ، يريد ان يتصيد منصبا له هناك ، فقد رأت الهيئة البريطانية أنه كان يضمر من سابق طلب رشوة ولو انه أجلها الى ان انتهت المفاوضات

وشبيه بهذا قضية حدثت وقائعها فى مصر أخيرا فى وزارة الصناعة •

ويجب ان يستقر بين أعرافنا انه كلما علا المنصب ، وزادت المسئولية سقطت كل شبهة فى وصف الطهارة بانها من قبيل الحنبلية فالطهارة فى مثل هذه المناصب اما ان تكون او لا تكون ، ولا وسط •

واحلم احيانا باننى لو طلب الى ان اضع دستور مصر لجعلته من مادتين فقط ••

المادة الاولى •• السمكة تفسد من رأسها •

المادة الثانية •• لا ينشر هذا الدستور فى الجريدة الرسمية لانه مثل شعبى معروف فى مصر منذ القديم ، وترددة جميع الالسن ••



قصة الرقص الإفرنجى فى مصر

بقلم : محمد سيد كيلانى

● شاهد المصريون الرقص الافرنجى أول مرة حين جاء الفرنسيون لاحتلال مصر . فلم يكن يدور بخلد أحد منهم أن رجلا كبيرا مثل كليبر أو مينو أو غيرهما من الضباط العظام يمكن أن يشارك الشبان والنساء فى حلقات الرقص ، ولكن هذا ماحدث بالفعل فى احتفالات عيد الجمهورية لقد أضاءوا حى الأزبكية بكثير من المصابيح وأقاموا أقواس النصر . ثم شرعوا يرقصون ويغنون ، لافرق بين النساء والرجال . وكان الشاب اذا أعجبته فتاة أمسكها من يدها وأخذ يراقصها فتضع رأسها على صدره أو على كتفه . إنه منظر غريب جدا بالنسبة إلى الشعب المصرى .

وقد اختفى هذا النوع من الرقص مع رحيل الفرنسيين . فلما تولى الخديو إسماعيل كان أول حاكم مسلم يدخل هذه البدعة ويجتهد فى نشرها بين المسلمين وكان يقيم هذه الحفلات الراقصة فى قصر الجزيرة ، ويدعو إليها عددا كبيرا من أعيان المصريين والأجانب . وفى حفل بتاريخ (١٦ ـ ١ ـ ١٨٧٣) بلغ عدد الحاضرين خمسة آلاف مدعو وكانت الأنوار تنعكس على صدور الفرنجيات ونحورهن العارية ، بينما الشيوخ من علماء وأعيان وموظفين يلبسون قفازات بيضاء ويلتحفون بوقارهم (الأيوبى ١ ـ ٤٣٧)

على أن أعظم حفل راقص أقامه إسماعيل هو ذلك الذى أقيم بمناسبة فتح قناة السويس للملاحة والذى حضره عدد من الملوك والأمراء ورؤساء الدول ، وفى مقدمتهم امبراطورة فرنسا يوجينى .



الخديوى اسماعيل





الخديـوى توفيـق

وبمجرد أن صدحت الموسيقى بأنغامها الشجية بدأ الرقص ونشط الملوك والرؤساء فى إظهار براعتهم . وشارك إسماعيل الراقصين والراقصات ووقف الخدم والعمال ورجال الحاشية يشاهدون سيدهم وهو يراقص هذه وتلك ، وتفوح من فيه رائحة الخمر .

وكان الأمير عبد القادر الجزائرى قد حضر الحفل بدعوة من الحكومة الفرنسية التى أرسلت إليه سفينة حربية أقلته من بيروت إلى بورسعيد ، ولكنه لم يشترك فى الرقص فبقى متفرجا فقط ببرنسه الأبيض وسط ازدحام تلك الرءوس المتوجة بتيجان الملك ، إلا أنه أستوقف الأنظار بشكله الجميل وقوامه المعتدل ووجهه المكسو مهابة وجلالا (الأيوبى ١ ـ ٤٣٧) .

قال ابراهيم صنوع «والذى حمل الخديو على نشر الفواحش واستحلال المحارم إنما هو ماجبل عليه من حب الفسوق والفجور ، وانتهاك محارم الله تعالى ، ولهذا أنشأ فى مصر جملة تياترات وملاعب باسم التمدن والحرية ، والحال أن الذى حمله على أنشائها فسقه وفجوره لاغير ، فجعلها كالاشراك لصيد النساء ، وجعل المرتبات الوافرة فيها للنساء ، لأنهن المقصودات بالذات وإنه قد تعجبه إحداهن فيصرف عليها ألوفا من الجنيهات حتى يصل إليها برضاها ، ولهذا صارت النساء الفواجر تتوارد عليه من جميع الأقطار حتى إن امرأة جميلة افرنجية لما سمعت بصيته حضرت إلى مصر وتعرضت له فى التياترو حتى رآها فأعجب بجمالها وطلبها لزيارته فامتنعت ولم يزل يطلبها وهى تمتنع إلى أن أوصل



الفئة إلى عشرة آلاف جنيه . فحينئذ رضيت منه ، بل كثير من النساء المخدرات يصيرهن في هذه الملاعب ويفتنهن بالمال . ومن كانت منهن عفيفة صاحبة عرض يتحيل عليها بإحدى قواداته حتى تجلبها إليه فيجبرها على الفاحشة ويقضي وطره منها رغما عن أنفها (ابراهيم عبده : الصحفى الثائر) .

فى الوقت الذى كان ينفق فيه إسماعيل عشرات الألوف على هذه الحفلات وعلى ملذاته وشهواته ، فى هذا الوقت بالذات هلك أكثر من عشرة آلاف مصرى جوعا فى مديريات جرجا وقنا وإسنا ، واستمر الفناء يعمل عمله فى الأطفال والشيوخ حتى خلت قرى كثيرة من سكانها .

وبرحيل إسماعيل توقفت هذه الحفلات طوال عصر توفيق . فلما تولى عباس الثانى كانت هذه الحفلات تعقد فى قصر عابدين ، جاء فى صحيفة المقطم (١٣ - ٢ - ١٨٩٦) مانصه «كانت الليلة البارحة واسطة عقد تلك الليالى فغص شارع عابدين بمركبات كبار المدعوين ، وأمَّ السراى زهاء ألف وثمانمائة من عيون أعيان هذا القطر ونزلائه والسياح الوافدين إليه . وكانت السراى سماء أشرقت فيها شموس الكهربائية ونجومها فصيرت ليلها نهارا ، وجنة غناء تهادت أنجمها ورياحينها أنوارا وازهارا . ونادى أنس وطرب . والأمير المعظم يطوف بين هاتيك الجموع يصافح جلتهم ويخاطب عقائلهم وهو بحلة المشيرية وعلى صدره نيشان الامتياز ونيشان خاندان آل عثمان »

وقد برع أحمد شوقى فى وصف هذه الليالى الراقصة شعرا ونثرا ، ومايحدث فيها من عناق وتقبيل . ومايراق فيها من الخمر ومايقدم من الطعام . انظر إليه وهو يقول فى وصف إحدى تلك الليالى "ما بابل فى موكبها وعند أكبر مآدبها ولا الإيوان وكسرى قائم يولم فى النيروز الولائم ، ولا الحمراء إذ الأيام أيامها ، والدهر غلامها ، واذ يموج بها العرب بين الوقار والطرب ، ولا الخورنق والسدير فى يوم مهرجان كبير ، ولا الليالى الرشيديات على دجلة والفرات بأحسن تصويرا فى خيال الشاعر ولا ألطف حضورا فى خاطر الناثر من قصر عابدين ليلة هذا الباللو المأنوس»

ثم قال « .. فلما كانت الساعة العاشرة من الليل أقبل المدعوون مواكب تترى آتية من كل مكان . وقد أخذت السيدات للبالو زينته ولبسن له أفخر الثياب والجواهر كأنهن نيرات على الأرض زواهر . هنالك وقفنا وما فى فتنة النظر شك لمن حضر ، ولا منها حذر يمر بنا اللؤلؤ المنثور من تلك الحاكيات الحور ، تراهن أمثال النيرات ، منتظمات فى العين منتثرات ، قريبات للنواظر بعيدات ، تأخذهن العيون مقبلات ويأخذن القلوب مقبلات مدبرات»

«وهناك صدحت الموسيقى بتحية صاحب الدعوة الأكرم ، ثم ألقت آلاتها بالنغم فى هذا المزدحم فاذا هو على قدم ، أخذت اليد باليد ، ودار الساعد بالساعد والتقت الساق بالساق وانبرى الراقصون والراقصات ، واندفع الواثبون والواثبات متجمعين آونة ، متفرقين آونة ، متهادنين

تارة ، متواثبين تارة ، وأنا يذهبون ذات اليمين وذات الشمال . وأنا نراهم كالعقد المفصل بين كل لؤلؤتين من ربات الحجال خرزة من الرجال ، فكنت ترى القامات عند اهتزاز بأنها كأنها الفات فى عين لاقرار لانسانها » قال احمد شوقى فى قصيدة تحت عنوان

«الباللو الخديوى»

فالقدود بان ربى
بيد أنها تثب
يلعب العناق بها
وهو مشفق حدب
الرءوس مائلة
فى الصدور تحتجب
والنهود هامدة
والخدود تلتهب
والخصور واهية
بالبنان تنجذب
سالت الأكف بها
فهى أغصن نهب

فكان المدعوون بعد ذلك بين نعيمين فى جنتين : إحداهما رقت فيها معانى الأدب والطرب ، والأخرى راق بها مجانى الذوق والحبب . وبين هذا وذاك تعطفات ولى النعم حتى كاد الليل يتولى وأذن الفجر ان يقبل .

ليلة علت وغلت
ليل فجرها كذب
يكفل الخديو لنا
أن تعيدها الحقب

(اللواء فى ٢٧ - ١ - ١٩٠٢)
و (المؤيد فى ٣٠ - ١ - ١٨٩٧)

وكانت بعض المجلات تنتهز هذه الفرصة فتحمل على الخديو حملات عنيفة وتصفه بأنه يضرب مثلا سيئا للشبان قالت مجلة العجائب (١٢ - ٢ - ١٩٠٢)

عبد القادر الجزائرى



احمد شوقى





«أتدرى أيها المصرى وأيها المسلم ماذا يجرى فى هذه الليلة ؟ يجرى فيها مايحمر منه وجه الاسلام خجلا ، ويصفر من منظره وجه الدين وجلا . يجرى فيها مانلوم عليه الشبان ونشكو منه فى كل زمان ومكان . يجرى الرقص على أنواعه والسكر على أشكاله»

«بأى دين يدين الخديويون ؟ بدين الاسلام ؟ وهل هذا الدين يبيح مخاصرة الغيد ومنادمة الحسان ؟ وهل هذا الدين يبيح الخمر التى تمد على مائدة المدعوين ؟ وهل هذا الدين يبيح هذه النفقات الباهظة التى تنفق على هذه

الخديوى عباس



الليلة ؟ ماذا نقول للشبان وماذا نعيد للفتيان ؟ وأمير البلاد وسيد الحكومة يقيم فى سراى الامارة الرقص ويمد الشراب .

إذا كان رب البيت بالدف ضاربا
فلا تلم الفتيان يوما على الرقص

وعرضت مجلة الصاعقة لليلة راقصة فى شتاء ١٩٠٤ فقالت تحت عنوان «ليلة فى قصر نائب الخليفة (٢٢ ـ ١ ـ ١٩٠٤) «لوقام محمد من القبر وحوله شهداء بدر ، وشاهد ماحدث البارحة من القصف فى القصر ، ورأى شوقى ، وهو يصف الليلة بأنها حسنة الدهر ، وليلة القدر ، وسمع الناس يتحدثون بثنائه ويعجبون بغريب إطرائه ، وأبصر تلك الدائرة ، وقد اختلط فيها الرجال بالنساء وهم من تأثير الصهباء يثبون فى الهواء وقد جذبت الأيدى الخصور إلى الصدور ، ومالت على الأكتاد ـ (جمع كتد) وهو ملتقى الرقبة بالكتف ـ الأعناق ، والتقت الساق بالساق ، وتكسرت الجفون وذبلت العيون . وقد أظهرن ما أخفينه طول الدهر من الصدر إلى النحر ليظهرن بهذا التبرج بمظهر الجمال فى أعين الرجال . ورأى جماعة وقد انتحوا ناحية بملابسهم المقصبة وعمائمهم المذهبة وهم يمدحون واحدة لفرط جمالها ، ويذمون أخرى لشدة قبحها ويقولون : أنأخذ بقول الله «قل للمؤمنين» الآية .. ونترك قول العرب : اليوم خمر وغدا أمر ؟ لا ، والله لاكان هذا ـ لورأى كل هذا رسول الله لحول وجهه عنهم ، ولحلف بالله ألايشفع لأحدهم ، ولعاد إلى قبره مهرولا وهو يقرأ قول الله تعالى ـ «فحق عليها القول فدمرناها تدميرا» .

كاريكاتير








راسبوتين
بين الرومانسيّة والتاريخ

● إن قصة راسبوتين هى فى حقيقتها قصة المناخ السائد ، الذى يحتفى بالخرافة ويفزع من الحقيقة ، فهو رمز رجل الدين الذى يسلك طريق الدجل ، والذى يعيش مغامراته بين الدهاء والخداع ، بين المجون والعربدة ، مدعيا اتصاله بالقوى السماوية ●

بقلم : د . فوزى عطيه محمد

أصبح راسبوتين شخصية محورية فى العديد من الكتب والروايات والقصص بجانب مايربو على العشرين فيلما سينمائيا وتليفزيونيا غير ان الشكل الرومانسى طغى فى تصوير شخصية راسبوتين فى الكثير مما كتب أو انتج عنه .. فنراه رجلا جلفا فارع الطول ، قوى البنيان ، مصفف اللحية الطويلة أو أشعثها ، رجلا يعيش سلسلة من المغامرات .. المثيرة هى خليط من الدهاء والخداع .. المجون والعربدة ، المعجزات الدينية والدنيوية ، فهو على اتصال بالقوى السماوية ، يتحدث باسمها على الأرض ، ويستخدمها فى شفاء الناس جسدا وروحا ، وغير الكثير من الأساطير الهلامية التى احاطت بشخصية راسبوتين الذى لعب دورا هاما ومؤثرا لا فى حياة آخر القياصرة الروس فحسب ، بل فى تاريخ روسيا فترة ما بين الحرب العالمية الأولى وقيام الثورة الروسية عام ١٩١٧ .

الواقع هناك تربة خصبة لتشابك الخيوط الرومانسية بالوقائع التاريخية فى حياة هذا الرجل الذى كان « قيصرا لروسيا فى الظل » فقد ولد جريجورى يفيمفتش راسبوتين عام ١٨٧٢ بقرية باكر وفسكيا بالقرب من مدينة تيومن بسيبريا ـ على بعد الاف الكيلومترات من قلب البلاد ، دون موهبة أدبية أو فنية أو علمية .. عرف راسبوتين فى شبابه بعدم طهارة الثوب .. وذات ليلة ضبط متلبسا بسرقة جواد احد أبناء قريته ، فأوسعوه ضربا حتى فقد الوعى ، غادر بعدها موطنه ليجوب البلاد « طوافا » بين الأديرة والكنائس ليصبح من النساك الطوافين ـ وهى فئة كانت تقطع البلاد طولا وعرضا مشيا على الأقدام .



راسبوتين
بين الرومانسية والتاريخ

ترتدى لباس « الدروشة » وتعيش على ما يقدمه لها الأهالى والأديرة والكنائس ، وكان من الممكن أن يبقى راسبوتين فى دائرة « النساك الطوافين » هؤلاء لولا الظروف التى مهدت له الطريق ليخرج الى دائرة الأضواء الباهرة فى قصور الأسرة الحاكمة وصالونات كبار الطبقة الأرستقراطية فى روسيا .. فقد ساقته قدماه بعد طول طواف إلى بتروجراد عاصمة الامبراطورية الروسية عام ١٩٠٢ ..

جاء يحمل توصية من أسقف ابرشية مدينة قازان يطلب فيها الى مدير اكاديمية اللاهوت رعاية الشيخ الطواف وتقديم معونة مالية له .. وفى اللحظة التى دخل فيها راسبوتين مكتب المدير ، بدأت عجلة الحظ فى الارتفاع به الى اعلى ، اذ كان فى المكتب عدد من أصدقاء المدير من ذوى النفوذ منهم الألمانيان شفا ينباخ ونيجاردت والأب فيوفان القس المقرب من الأسرة الحاكمة .. ولقد لعب هؤلاء الثلاثة الدور الأكبر فى صعود راسبوتين الى القمة ..

● رعاية الأسرة الحاكمة ●

بادىء ذى بدء وجد الثلاثة بنظرة فاحصة فى الشيخ الطواف شيئا ما غير عادى : نظرته ، طريقة حديثة ، حركات يديه ، ويبدو أن إعجاب الأب فيوفان براسبوتين بلغ حدا كبيرا لدرجة انه اخذ يصطحبه معه فى تردده على بيوت وصالونات بطانة القصر الى ان وصل به الى بيت البرنس نيقلاى نيقلايفتش عم القيصر نيقلاى الثانى والقائد الأعلى للجيش الروسى ، وراق الطواف الشيخ للبرنسيسة ـ وكانت صديقة ووصيفة للامبراطورة الكسندرا فيودرفنا قرينة القيصر ـ فأسرعت بتقديم الفلاح الورع الى سموها ، وكان لحديثه مع صاحبة الجلالة وقع السحر ، ومن ثم دعته الى القصر الامبراطورى .. حيث دخله أول مرة عام ١٩٠٧ .. والتقى بالقيصر نيقلاى الثانى ، ومن بعدها شملته الأسرة الحاكمة برعايتها وتقديرها ليصبح رجلها الأول .

ما من شك فى أن وصول فلاح من الأجلاف مرتديا مسوح الدروشة الى القصر ليكون جليس الأمبراطور والأمبراطورة ، وشخصية واسعة النفوذ .. يعمل الجميع حسابها ، يغازله رجال البلاط لكسب رضاه ومودته ـ أمر به الكثير من العناصر التى تثير الخيال الرومانسى ، لقد كان راسبوتين ظاهرة فريدة فى تاريخ روسيا ، إذ أن مجالسة القياصرة لأهل الثقة تقليد امتد مئات السنين .. غير ان أهل الثقة كانوا عادة من بين الارستقراط ورجال البلاط ، ولكن راسبوتين كسر هذا العرف سواء من حيث المنشأ أو من حيث ما حققه من سلطان فى الدوائر الحاكمة .. وهناك عوامل يسرت للراهب القادم من سيبريا الوصول الى هذه المكانة ، منها ما هو متعلق بشخصية راسبوتين ذاتها ، ومنها ماهو مرتبط بعقلية افراد الاسرة الحاكمة ، ومنها ما هو انعكاس للوضع العام فى البلاد .

● دهاء مميز ●

كان جريجورى راسبوتين ذا نظرة ثاقبة ودهاء مميز وخبرة تعامل مع الناس من مختلف الفئات والطبقات ، وهى خبرة اكتسبها من خلال تجواله بين الأديرة والكنائس فى بقاع روسيا الرحبة .. ولقد افاده تجواله هذا فى معرفة الكثير من النصوص المقدسة ، وقصص القديسين ، هذا بجانب تشربه بروح الأداء للصلوات

بصوت جهورى ، والهمهمة بنصوص مبهمة عويصة الفهم مع تقطيع الجمل ، والأندماج فى الأداء الى حد الهوس .. ولقد كانت هذه الموهبة هى السلاح الذى استغله راسبوتين فى التأثير فى عقول وافئدة المستمعين له من افراد الأسرة الحاكمة اثناء المسامرة حول مائدة الشاى فى القصر الإمبراطورى .. فقد كان يقص لهم لساعات طوال أسرار العلاقة بينه وبين السماء ، واتصاله - كرجل ربانى - بالقوى الخفية ، وسعيه الى تطهير البشر من الأثام ، كل هذا من خلال حديث جهورى الصوت ، هامس الترانيم السريعة اللفظ ، وصلوات مفرطة فى الحماس ، ولقد ساقه دهاؤه الى حقيقة هامة استغلها خير استغلال كى يبقى شخصية متميزة وسط هذه الطبقة المتحضرة على أسس الثقافة الأوربية .. فقد كان يعلم أنه لن يستطيع أن يصبح رجلا من رجال الصالونات ، ولذا فأن التناقض الفاضح بينه وبين المحيطين به يمكن ان يكون ورقة رابحة فى صالحه .. فابقى على شكله غير المهندم كالفلاحين الروس الاجلاف .. وأعمل الفظاظة فى تعامله وسلوكياته .. حيث كان يتعمد التمخط بصوت عال فى المجتمع ، والبصق فى وجود الأخرين ، والتلمظ أثناء تناول « الطعام » ، الأمر الذى أضفى على شخصيته فى القصر مذاقا خاصا بين علية القوم .

● ظاهرة راسبوتين ●

ومن ناحية أخرى كانت عقلية افراد الأسرة القيصرية على استعداد لقبول ظاهرة راسبوتين .. فقد كان الايمان بالرقى والسحر والتنجيم مسيطرا على فكر أسرة القيصر ، وكان القصر مليئا بالتمائم على اختلاف أنواعها واشكالها ما بين خشبية وصلصالية ونحاسية ، هذا بجانب الأحجبة والتعاويذ المدونة بها آيات الكتاب المقدس ، ولم يكن من باب الغرابة أن يسبق راسبوتين رجلا فرنسيا عرف بقوة سحره ، حيث اسكنه القيصر الغرفة المجاورة لمخدعه كى يعمل وسائله الروحانية لينجب القيصر وريثا ذكرا للعرش بعد ثلاث بنات ! ولم يكن عجيبا كذلك أن يهدى الساحر الفرنسى الإمبراطورة الكسندرا فيودرفنا أيقونة ذات اجراس صغيرة تدق وحدها منذرة إياها بالخطر !

لقد فطن جريجورى راسبوتين إلى خبايا نفوس المتعاملين معه ، واستغل السمات المرضية النفسية لهم ، فاعمل بينهم الهذيان المغلق الفهم والمستعصى على الترجمة إلى لغة البشر ، والصيحات المهموسة لطرد العفاريت والشرور عن القيصر وأهل بيته ، فقد ألهمته بصيرته الى أن الكلمات والعبارات - المبهمة ، تعد اكثر قدسية بقدر عدم إدراك السمع والعقل لها - ولذا كان يوغل فى الغموض ، فيزداد حديثه وزنا وموهبته قيمة .. ولقد ازداد راسبوتين ثقلا ومكانة فى القصر بعد ان تمكن من « شفاء » وريث العرش الكسى .. فقد كان الكسى يعانى من مرض سيولة الدم ، وكان الموت يتهدده لو أصيب بخدش ما يعقبه نزيف شديد ، وما من شك أن الأسحار والتعاويذ لاسبيل لها فى شفاء هذا المرض الا أن راسبوتين دخل على القيصر والقيصرة بخدع والاعيب اقنعهما بها انه وحده القادر على معالجة ابنهما الوحيد .. والواقع أن الكسى كان يتعرض لنوبات من الهستيريا والفزع ، فكان راسبوتين يأتى إليه فى المساء والغرفة شبه مظلمة ، ويجلس على طرف سريره ويرسل عينيه على الصبى بما يشبه التنويم المغنطيسى ويمسح على رأسه ويحكى له الحكايات بصوت رتيب ، فيبعث الهدوء فى نفسه

راسبوتين بين الرومانسية والتاريخ

حتى يستغرق فى النوم . ولقد تعود الصبى على هذا واطمأنت نفسه الى راسبوتين والذى أصبح ظهوره أمام الصبى كفيلا بإخماد نوبات الصبى ، الأمر الذى يعد فى نظر الوالدين والآخرين معجزة من السماء .

ولقد تمكن راسبوتين من التغلغل الى الحياة الخاصة للأسرة الحاكمة فى روسيا ، وبات رجلا مقدسا فى عينى الامبراطورة الكسندرا فيودرفنا زوجة القيصر ، ترى الربانية فى تصرفاته وكلماته ، ولذا كان التشكيك أو التشكك فيما يقول وما يأتى من فعل يعد إثما .. ومن هذا المنطلق كانت الأمبراطورة تنصح فى رسائلها زوجها بتنفيذ توصيات وطلبات راسبوتين ، ذلك لأن « الرب أرسله لنا ، وما علينا الا أن نبدى اهتماما بكلماته التى لا تقال عبثا » وتوحى للقيصر أن يفكر فى الرجل القديس كلما واجه موقفا صعبا ، بل ويطلب إليه أن يسعى لدى الرب ليلهمه الطريق السليم ، لأن عدم لرغباته يعنى سوء العاقبة للأسرة الحاكمة والبلاد نظرا لربانيته وروحانيته ..

والواقع أن ربانية وروحانية راسبوتين وتدخله فى شئون الدولة كلها ظواهر لم تكن وليدة « قوى سماوية » بل كانت عناصر مخطط صاغته « قوى خفية » افسحت الطريق للناسك الطواف ليحقق ما وصل إليه ..

كانت روسيا تعيش احداث الحرب العالمية الأولى وقد مزقتها الاضطرابات والأزمات الأقتصادية والهزائم العسكرية المتتالية .. ولم يكن القيصر نيقلاى الثانى ذا شخصية قوية تسمح له باتخاذ قرارات حاسمة فى إدارة شئون الدولة .. وكان الفكر السياسى وقتذاك ينحصر فى اتجاهين رئيسيين اتجاه ينادى بمواصلة الحرب ضد المانيا وتعزيز التعاون مع انجلترا وفرنسا .. وكان يتزعم هذا الاتجاه البرنس نيقلاى نيقلايفتش عم القيصر والقائد الأعلى للجيوش الروسية .. أما الأتجاه الثانى فقد كان يرى ضرورة عقد صلح مع المانيا لشروطها لتجنيب البلاد ويلات الهزيمة . وكان وراء هذا الأتجاه القيصرة الكسندرا فيودرفنا الى جانب الألمانيين شفاينباخ ونيجاردت ، واللذين يرجع إليهما الفضل فى اكتشاف « مواهب » الشيخ الطواف حين كانا فى زيارة لمدير اكاديمية اللاهوت أثناء مقدم راسبوتين إليه .

والجدير بالاهتمام أن الامبراطورية الكسندرا فيودرفنا المانية الأصل .. فهى ابنة أمير مقاطعة هن ، وتزوجت من القيصر نيقلاى الثانى وأصبحت امبراطورة للبلاد عام ١٩٨٤ .

● ذكاء خارق ●

ويبدو أن دهاء راسبوتين وفطنته مكناه من تقدير الموقف تقديرا صحيحا ، ووجد أن الحفاظ على مكانته وسلطانه يكمن فى الدعوة إلى الصلح مع المانيا وعقد تحالف مقدس معها ، ويدلى الرجل - الذى لم يكن يعرف الطريق للاطلاع على الكتب ، ولا يعرف الكثير من أسماء الدول الأخرى عدا روسيا - بتصريحات للصحافة يؤكد فيها أن التحالف مع المانيا أفضل من اندلاع الثورة فى روسيا ، والمانيا دولة قوية بدرجة يصعب معها المخاطرة بمحاربتها ، هذا بجانب الفضل الذى قدمته المانيا لروسيا . فالالمان بمثابة "الماكينة" أما الروس فبمثابة "الروح" فياحبذا لو اتحدا لأن

الوقوف فى وجه "الماكينة" الالمانية يغنى الفناء لروسيا . ولم يقتصر الأمر عند راسبوتين على هذه التوجهات السياسية ، بل زاد من نشاطه "الروحانى". لتصحيح الأوضاع فى البلاد بالقضاء على الجبهة المعارضة للصلح مع المانيا .. فقد أوصى راسبوتين - وأيدته بالطبع الامبراطورة - بإقصاء البرنس نيقلاى نيقلايفتش من منصب القائد الأعلى للجيوش الروسية ، وتم ذلك ، وتولى القيصر القيادة عام ١٩١٥... وبذا يكون راسبوتين قد " تغدى " بالرجل قبل ان "يتعشى" هو به .. فقد كان البرنس يطالب القيصر دوما بإبعاد هذا "الرجل الصعلوك" عن القصر ، ولكن دون جدوى ، وبذلك لم يتمكن البرنس من تحقيق أمله بشنق راسبوتين على أول شجرة تصادفه حال اقترابه من مبنى القيادة العامة بحجة إحكام حالة الطوارىء كما كان يقول للمقربين منه من ضباط القيادة .

لم يكن البرنس نيقلاى نيقلايفتش هو الوحيد الذى كان يسعى الى وضع حد لملحمة راسبوتين الا ان الفشل كان نصيب المحاولات فى هذا الاتجاه لمساندة القصر له ، بل والأدهى انه ازداد نفوذا لدى الاسرة الحاكمة ، وثقلا فى تصريف أمور الدولة بحيث لم يعد قرار يتخذ فيها الا بموافقة أو توصية منه ، ولقد تدخل

راسبوتين فى الفترة مابين ١٩٠٩ و ١٩١٦ فى تعيين وتبديل مايقارب العشرين وزيرا بجانب ثلاثة رؤساء للوزارة ، وكان المعيار الوحيد لتدخلات راسبوتين هذه - سواء على مستوى الوزراء أو كبار موظفى الدولة - هو مدى ولاء الشخصية له ومقدار الطاعة لمتطلباته ، وكانت شقة راسبوتين فى بتروجراد بمثابة غرفة عمليات يتردد عليها خليط من كبار رجال الدولة وجنرالات وضباط الجيش من مختلف الرتب .. والكل يشارك فى الهرج والمرج حتى وقت متأخر من الليل ويسعى لكسب رضاء راسبوتين .. ومن خلال احاديث الموائد وصيحات السكارى من رجال ونساء المجتمع وبين ترانيم الغناء الدينى والحان اغنيات الغجر .. ووقع أقدام راقصى الرقصات الشعبية الروسية ، يخرج راسبوتين رغم وجوده فى حالة سكر دائم ، بتوصيات وتوجيهات يبعثها الى الامبراطورة ، فترسلها بدورها الى الامبراطور فى مقر قيادته .. ومما يذكر أن الإمبراطورة أرسلت لزوجها خلال عام ونصف فقط نحو ١٥٠ توصية ومطلبا لراسبوتين .. وكلها واجبة التنفيذ ، لأنها نابعة من الروح السماوية المتجسدة فى راسبوتين .

واذا كان هناك بعض من الملامح الرومانسية فى حياة جريجورى راسبوتين فقد شاءت الاقدار أن تحمل نهايته قدرا منها .. ففى ليلة ٢٨ ديسمبر عام ١٩١٦ .. دعاه البرنس فيلكس يوسوبف الى بيته ، وأعد له وليمة من الجاتوه والخمر ودس فيهما السم ، وتناول راسبوتين ست قطع من الجاتوه وكأسين مترعتين من الخمر ، ولكنه لم يتأثر ، فأطلق فيلكس رصاصتين عليه ، فسقط على الأرض وحمل زملاء البرنس جثته والقوا بها فى فجوة من مياه نهر ماليًا نيفا ببتروجراد المتجمدة ، ورغم ذلك كان لايزال على قيد الحياة حتى غرق .. واذا كان راسبوتين قد استغل فكرة أن موته يعنى هلاك الأسرة الحاكمة ، فأن الصدفة جعلت نهاية النظام القيصرى فى فبراير عام ١٩١٧ .. ولكن لملابسات تاريخية وموضوعية بعيدة كل البعد عن تنبؤات الناسك الطواف .

وهكذا انتهت ملحمة راسبوتين الداهية ، الذى كان يجهر دوما بنظرية مفادها أن العبد كى يستحق التوبة لابد له من ارتكاب الأثم .. وهى نظرية لاتمت لدين بصلة ، ولكنه أفاد منها فى مسيرة حياته حتى أصبح عبرة لمن يعتبر .

العالم في سطور



القاهرة ـ باريس ـ بيروت

العودة الى مدينة مجنونة

لاشك ان اندريه شديد تعيش فى هذه الايام اخصب واسعد فترات عمرها فهذه الكاتبة التى اعتبرتها بعض الاوساط الادبية نصف موهوبة فى زمن العمالقة قد استطاعت بكثرة انتاجها وتنوعه ان تعوض من موهبتها بشكل ملحوظ . ففى القاهرة انتهى يوسف شاهين من اخراج روايتها « اليوم السادس » وهى العمل الوحيد الذى ترجم لها الى اللغة العربية .

وفى نفس الفترة التى انشغل فيها شاهين بتجسيد حكاية العجوز التى تهرب بابنها من وباء الكوليرا عام ١٩٤٧ . قدمت الكاتبة روايتها الاخيرة « المنزل بلاجذور » . التى اكدت ـ كما تقول مجلة نوفيل اوبسرفاتور ـ ان موهبتها قد نضجت من عمل لاخر .. ففى هذه الرواية تتحدث



اندريه شديد

من ارض ثملة بجمالها . مزقتها القنابل خائفة من الاغتصاب وينسم البشر الذين يقيمون عليها بالجنون .. انها لبنان .

تدور الرواية ايضا من خلال منظور امراة عجوز تعود الى لبنان اثناء فترة اجازة كما تقابل ابنتها القادمة فى زيارة خاطفة من الولايات المتحدة .. ومن خلال حدث عابر تشاهدان فيه امراتين تتبادلان القبلات فى الطريق تتغير مفاهيم كثيرة عند الام وابنتها . فهذه القبلة رمز للسلام الضائع فى بلد يحمل الاخرون اسلحة فى الشوارع لسفك دماء الاخرين . وهذه الدماء التى دفعت بالام وابنتها الى مغادرة لبنان .. لكن لابد من العودة اليها .. ولو فى زيارة خاطفة ..

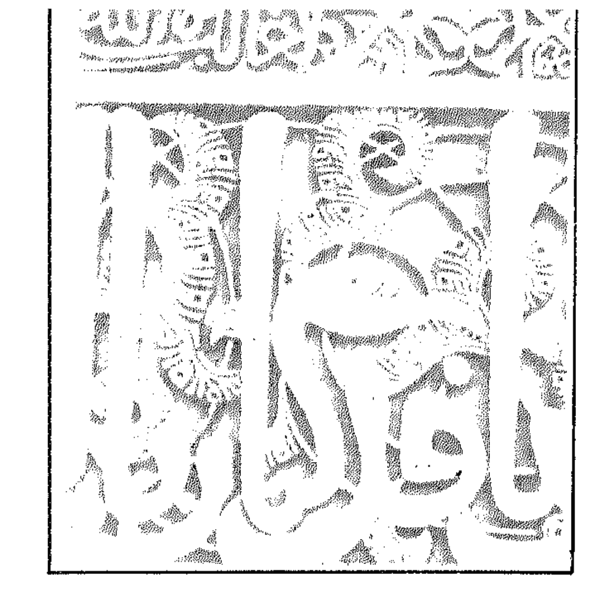
مدريد

وشهد شاهد من اهلها

« فضل عرب اسبانيا على ثقافة الغرب » عنوان كتاب جديد نشرته دار سندباد من وضع الباحث الاسبانى خوان فرنيه احد الكتاب البارزين فى دراسة تاريخ العرب فى العصر العباسى وخاصة فى علوم الطب . ويتناول الكتاب تاريخ اسبانيا تحت الحكم الاسلامى من القرن الثامن وحتى القرن الخامس عشر .

يرى الكاتب ان جغرافية العالم العربى فى العصور الوسطى قد ساعدت على ان يضع العرب ايديهم على مناطق عديدة من العالم مرورا بصقلية وانتهاء باسبانيا

ويقول ان العرب قد قاموا بتعديل نظم الرى فى اسبانيا وادخلوا صناعة الورق والسكر وزرعوا القطن ونباتات اخرى



عديدة . كما ان العرب قد قاموا بنقل الفلسفة اليونانية الى الغرب من خلال ترجمة اشهر الكتب فى هذه الفلسفة كما قاموا بوضع ٤٠٠ الف مجلد فىمختلف المعارف مثل الطب والرياضة والفيزياء فضلا عن الفلسفة .

ويرى خوان فرينيه ان هذه الانشطة قد ساعدت على تعجيل ظهور عصرالنهضة فى اوروبا . وان محاكم التفتيش التى جاءت بعد رحيل العرب قد سعت الى طمس كل معالم ثقافة العرب فى اسبانيا لتقليل اهمية العرب فى صناعةتاريخالغرب

يقول النقاد ان اهمية هذا الكاتب قد جاءت فى وقت ينتشر فيه الاسلام فى الغرب بصورة رغمت من حرارة خصومة الذين حاولوا التقليل من اهمية دورالعرب فى اسبانيا بصفة خاصة .

صقلية

● ست شخصيات تبحث عن .. بيرانديللو

تستعد ايطاليا باكملها ـ وخاصة اهالى صقلية ـ للاحتفال برجل احبوه كثيرا يدعى لويجى بيرانديللو والاحتفالات التى ستقام تجىء فى فترة تشهد محاكمة رؤوس عصابات المافيا التى صدرتها صقلية الى شتى انحاء العالم .. وكان هذه الاحتفالات تؤكد انالجزيرة الصغيرة قد انجبت عباقرة فى الادب مثلما انجبت عباقرة الجريمة والشر ..

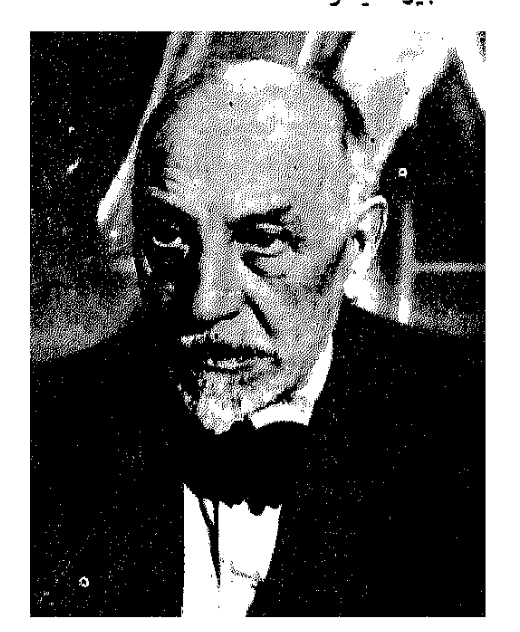
لويجى بيرانديللو الذى مات منذ خمسين عاما هو رجل المسرح الاول فىالقرن العشرين ، بدأت علاقته بالادب فى سن متاخرة واستطاع ان ينجز فى ربع قرن تقريبا مايزيد عن الاربعين مسرحية فضلا عن روايات عديدة من اهمها ((المرحوم ماتيا باسكال))

وجدت اعمال بيرانديللو المسرحيةصدى واسعا فى عالمنا العربى حين ترجمت فى الستينات واثار الكاتب دهشة العالم وهو يقدم مسرحيات على غرار .. ست مسرحيات تبحث عن مؤلف و ((حسب تقديرك)) و ((طاقيه المجنون)) التىتعرض الان على خشبات المسارح فى العديد من دول اوروبا فى الشهر الماضى ..

من المعروف ان مسرحيات بيرانديللو قد ولدت من جنون مطبق عاشه مع زوجته المريضة داخل احزان سوداء وعلاج ميئوس منه بعد أن رحل عن صقلية الىالعاصمة روما . ورغم كل هذه المعاناة التى كان يعيشها على المستوى الشخصى . الا ان الكاتب لم يتوقف يوما عن الابداع .

قامت بعض شركات السينما الايطالية ـ احتفالا بهذه المناسبة . باعادة انتاج روايته المشهورة ((المرحوم ماتيا باسكال)) كما اهدى الاخوان تافيانى فيلمهما الاخير ((تشويش)) الى اسم برانديللوباهداء كتبه الكاتب الصقلىالمعروف ليوناردو فضلا عن دراسات لم يسبق نشرها عنالكاتب.

بيرانديللو



جنيف

فراعنة على الطريقة الامريكية



ابرز ما عرضه التلفاز السويسرى خلال الشهر الماضى هو الفيلم التليفزيونى «عبد وفرعون» من اخراج باتريك مونييسه وبطولة كريستوف رأتندرا ولوك لافانديه

يروى الفيلم حكاية وفاء بين فرعون وشاب من ابناء الشعب فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، قام الشاب يوما بانقاذ مليكه من موت محقق ، فلم ينس فرعون ذلك الصنيع فسعى الى ان يهب العرش له يوما .. حيث قدمه لاحد الحكماء كي يعلمه الحكمة . ثم ادخله مدرسة الفرسان ليتدرب على فنون الحرب .. وقدم له ابنته كي تصبح عروسا قبل ان يتنازل له عن مقعد السلطة .

جاءت اهمية هذا الفيلم فى ان كاتبه هو جيرار براش اشهر كتاب السيناريو فى السينما الفرنسية والذى كتب اكثر افلام رومان بولانسكى ومن الملاحظ ان براش قد صنع فيلما من طراز افلام الغرب الامريكى مرتديا زيا فرعونيا .. ولهذا فانه لم يأت بجديد سواء فيما يتعلق بهذه الحقبة من التاريخ .. او بفنية كتابات براش .

لكن وسط افلام من طراز « قوة دلتا الضاربة » لمناحم جولان الذى يعرض فى دور السينما ويسيء الى الكفاح العربى فان الصورة الطيبة التى ظهر بها تاريخ مصر قد اثلجت صدور المشاهدين العرب فى تلك السهرة .

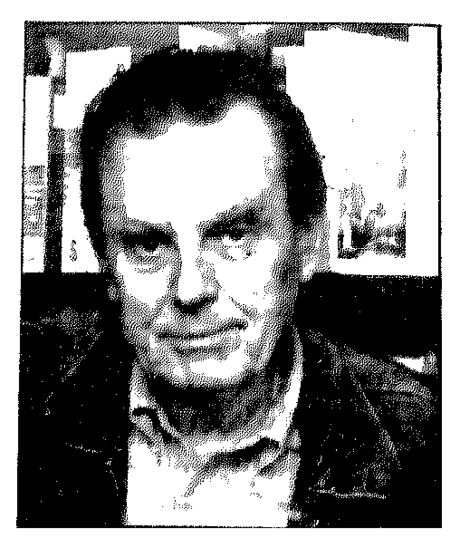
وارســـو

اديب فى دائرة النسيان

لا لم تنجح طريقة اكاديمية ستوكهولم فى فض غبار النسيان عن الادباء الذين منحتهم جائزتها فى مجال الادب خلال الاعوام الاخيرة . فمن الواضح انها قد منحت هذه الجائزة الى ادباء اقل شهرة ايمانا بان شهرة الكاتب فى حد ذاتها جائزة ولذا من الواجب ان تمنح لادباء اقل اهمية مثلما حدث مع كلود سيمون وياروسلاف سيفيرت وبثنت اليخانديره

نسوق هذا الكلام بمناسبة صدور ثلاثة كتب تتعلق بالشاعر البولندى تشيزلوميلوش الذى فاز بجائزة نوبل عام ١٩٨٠ . فقد صدر له اخيرا كتاب بالغ الضخامة تحت عنوان « تاريخ الادب البولندى » وآخر هو « مشاهدات من ثقب مدينة سان فرانسيسكو »

كما صدر كتاب « ميلوش من منظور مليوش للكاتبة الصحفية ايفاشارنيكا



شيزلو ميلوش

ليس ميلوش اقل شهرة فى عالمنا العربى فقط ، بل فى الغرب أيضا ،ونحن لا نناقش هنا اهمية الكاتب لكن نؤكد ان لشهرته علاقة بدرجة الافتراتية .. لاننا لم نقرأ قصيدة واحدة مترجمة للكاتب الى اللغة العربية رغم غزارة انتاج الشاعر الذى يقترب الان من السبعين . فقد كتب الدراسة والقصيدة والرواية بلغات عديدة منها البولندية والانجليزية والفرنسية . ويعمل حاليا مدرسا للادب البولندى بجامعة كاليفورنيا . ورغم انه قد نفى نفسه اختياريا خارج بلاده منذ خمسة وثلاثين عاما الا انه كرس كل جهده ليقدم نماذج من الادب البولندى الحديث الى العالم فقام بتحليله وتأصيله وتفسيره فى كتابه الذى اكد النقاد انه اهم ما صدر عن هذا الادب على الاطلاق .

باريس

امرأة من جنس .. ابو الهول

هل يمكن أن تتردد فى الاوساط الادبية والمصحات النفسية فى السنوات القادمة مايمكن تسميته بعقدة « أبى الهول » على غرار عقدتى أوديب واليكترا .. ؟ اثير هذا التساؤل مع الرواية الاولى التى نشرتها الكاتبة آن جاريتا ـ ٢٣ عاما ـ تحت عنوان « ابو الهول » . وتتلخص هذه العقدة فى ظهور جنس مختلف عن كل من المرأة والرجل جنس يمزج بين الرجل والمرأة معا مثلما مزج ابو الهول بين رأس امرأة وجسد اسد فالراوية هنا تدرس علم اللاهوت فى النهار وتعمل فى احد البيوت السرية ليلا امرأة تائهة بين تعاليم الدين وابخرة علب الليل .. تقابل امرأة مجهولة الاسم . قادمة من الولايات المتحدة كى تعمل راقصة « الخلع بالقطعة » . ذات جسد أسود ،ورأس حليق أشبه بالممثلة جريس جونز .

تقوم بين الامرأتين عاطفة مخنوقة يحدها الموت والغيرة وغريزة الامتلاك والندم . لا يعرف احدهما من هو الرجل ومن هى السيدة ، فهما نموذج لعقدة أبى الهول، التى تود الكاتبة ان توصلها ، واذا نظرت الى صورة الكاتبة ـ المنشورة ـ سوف تصيبك الحيرة . هل هى امرأة ام رجل. ونتساءل هل هناك علاقة بين ابى الهول الرابض الى جوار الاهرامات أو ذلك الذى قلبه اوديب بلغزه السرمدى .وبين ما تحدثت عنه الكاتبة من ان هناك مرضا جديدا يسود العصر يدعى « السادية ـ الماسوشية »

ان جارنيا





العالم في سطور

روما

اعتاب الغضب تجتاح اوروبا

العتب المر او اعتاب الغضب اسم رواية شهيرة للكاتب امريكى جون شتاينبك .. ولكن فضيحة خمور « مغشوشة » .. ادت الى مصرع بعض الافراد فى ايطاليا دعت الصحفيين الى اطلاق نفس الاسم على هذه الفضيحة .. والسبب هو ان ايطاليا هى الدولة الثانية التى اصبحت صناعة النبيذ بها مهددة بكارثة بعد النمسا التى ظهرت فيها فضيحة مماثلة الصيف الماضى .

فبعد اسبوع واحد من تداول هذه الخمور لقى عشرون شخصا مصرعهم اثر تناول تلك الانواع الرخيصة من الخمور التى يتم خلطها بكحول الميثيل ، وقد تم اسعاف مائة كانوا قد تناولوا هذه الانواع وبدأت تظهر عليهم اعراض التسمم

وقد اثار ذلك نوبة من الذعر الشديد لدى محبى ومدمنى الخمور فى اوروبا . واعقب ذلك حظر فورى رضته بلدان كثيرة على استيراد النبيذ الايطالى .. مثل الدانمرك والمانيا الغربية وبلجيكا . اما سويسرا وفرنسا فقد اوقفا تداول ملايين الجالونات التى كانت قد دخلت الى حدودهم بالفعل . اما الولايات المتحدة فاضافت الى الاجراءات السابقة تحذيرا الى مواطنيها بعدم شراء اية مشروبات لا تخضع لاختبارات صلاحية مسبقة .

وقد تكون تلك الاجراءات الصارمة هى السبب فى عدم ورود اية تقارير عن حالات تسمم من الخمور خارج ايطاليا ويرى المراقبون ان هذا الحادث سيؤثر على صناعة الخمور فى اوروبا بأسرها .. فالخوف عادة يدفع بالمواطنين الى تجنب شراء اية خمور من فرنسا .. خوفا من ان تكون رواية الخمور المغشوشة قد هربت اليها عبر الحدود المشتركة بينهما وبين ايطاليا . وهكذا يتخوف صانعو النبيذ فى فرنسا من ان يتحول المستهلك الامريكى والياباني الى كاليفورنيا .. طلبا لخمور اكثر ضمانا .. من تلك التى يجرى تداولها فى اوروبا .. ومما يؤكد صحة هذه المخاوف ان نفس الشىء كان قد حدث عقب مأساة الخمور المغشوشة فى النمسا فى الصيف الماضى .

موسكو

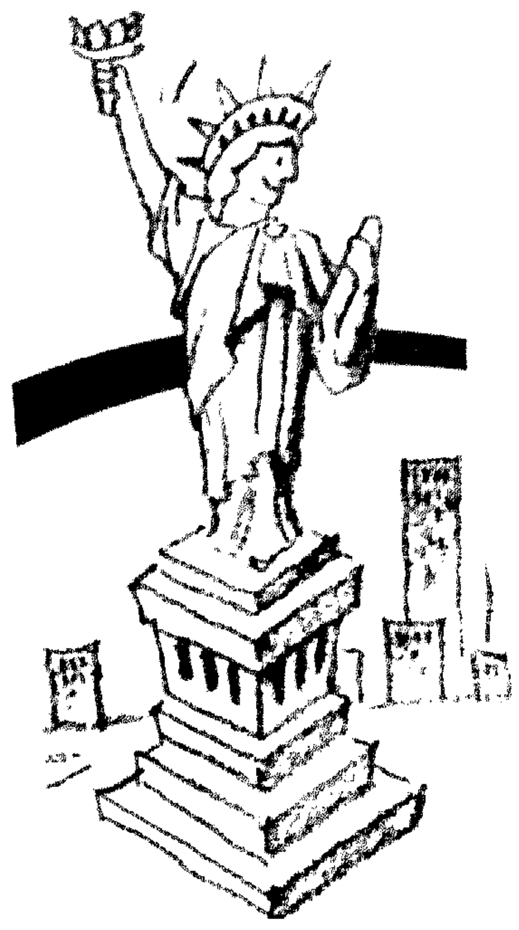
فودكا جديدة فى زجاجات قديمة

يتزعم هذه الايام ميخائيل جورباتشوف الزعيم السوفييتى حملة واسعة النطاق ضد المشروبات الروحية فى الاتحاد السوفييتى .. لانها تؤثر على الانتاج .. وعلى ميزانية الدولة التى تنفق مبالغ كبيرة لانتاجها ..

وفى اثناء هذه الحملة نشرت الصحف السوفييتية خبرا عن عامل يدعى كاهاليف يعيش بالقرب من مدينة لينينجراد ويقوم بتعبئة زجاجات الفودكا الفارغة .. بمصانع اخرى ويبيعها على انها فودكا اصلية .. والطريف انه عند محاكمته .. أصر على انه كان يحاول القيام بواجبه الوطنى

مشاركا فى الحملة التى يقودها جورباتشوف ودافع عن نفسه بقوله : « انني اطالب ان تاخذوا فى الاعتبار اننى بتخفيف الفودكا وخلطها بمشروبات اخرى غير روحية قمت بدورى فى الحملة القومية ضد الخمور » ولكن يبدو ان المحكمة لم تقتنع بدفاعه واصدرت عليه حكما بالسجن ثمان سنوات ! .

نيويورك



الامريكيون كسبوا معركة التقدم وخسروا الحرب ضد الامية !!

اكدت دراسة امريكية ان من بين كل ثمانية افراد هناك شخص واحد على الاقل لا يجيد القراءة .. مما حدا باحد الرسميين الامريكيين وهو روبرت بارنز ان يقول « اننا نجحنا فى خلق جيل جديد .. من الاميين » .

قال هذه العبارة بعد اطلاعه على نتائج دراسة احصائية عن نسبة الاميين قام بها مكتب الاحصاء على عينة قوامها ٣٫٤٠٠ امريكى تخطوا جميعا سن العشرين

واوضحت الدراسة ان ١٠٪ اخرين رفضوا اجراء الاختبار ، لانهم لايفضلون الكشف عن اميتهم . ومن هذه النتائج تبين ان فى امريكا مابين ١٧ مليونا الى ٢١ مليون بالغ لايستطيع القراءة . واكدت الدراسة ان اغلبية الاميين تحت سن الخمسين .

ويضيف بارنز الى ان الدراسة اشارت فقط الى عدم القدرة على القراءة نهائيا دون محاولة لرصد اعداد البالغين المتعلمين الذين لا يجيدون القراءة بشكل يمكن معه اعتبارهم مواطنين ناجحين فيما بعد

ويؤكد بارنز انه لو اجريت دراسة اخرى مماثلة على تلك الشريحة فسيصاب القائمون على التعليم فى الولايات المتحدة بخيبة امل اكبر من تلك التى شعروا بها وهم يقرءون نتائج الدراسة الاولى ، ويقترح بارنز تنفيذ هذا الاختبار .. لقياس ما اسماه « بالامية الوظيفية » .

واشار الى دراسة سابقة نشرتها جامعة تكساس عام ١٩٧٥ اسفرت عن ان هناك واحد من كل خمسة امريكيين لا يستطيع القراءة بشكل يكفل له القيام بابسط اموره اليومية .. فمن بين ١٥٫٠٠٠ خضعوا للاختبار تبين ان ٢٠٪ منهم لا يستطيعون كتابة شيك دون اخطاء جوهرية مما يدفع البنك الى عدم الاذن بصرفه ، و ٢٥٪ لا يستطيعون كتابة العنوان على الظرف بطريقة تضمن وصوله بريديا .

ويعلق احد الخبراء الامريكيين على ذلك بقوله :

« انه لايوجد تهديد اكبر من ذلك يواجه الولايات المتحدة الامريكية » ..

شهريات

يقدمها :
يوسف القعيد

• ندوات •

ثورة يوليو بين قضايا الحاضر وتحديات المستقبل ..

●● « نحن لم نأت هنا لكي نحرق البخور لثورة يوليو ولكن لكي نمارس نوعا من النقد الذاتي » كان هذا ماقاله محمد فائق مدير دار المستقبل العربي في افتتاح ندوة ثورة ٢٣ يوليو : قضايا الحاضر وتحديات المستقبل . والتي عقدت أخيرا في القاهرة على مدى اربعة أيام نوقش فيها ١٣ بحثا . وحضرها ٨٦ مفكرا وسياسيا من ١٣ دولة عربية .

وهي المرة الاولى . منذ ستة عشر عاما التي تقام فيها مثل هذه الندوة المهمة . والتي تأخرت اقامتها طويلا قدم أبحاث هذه الندوة ، مفكرون وكتاب عرب . ورجال عملوا مع عبد الناصر . ومفكرون وكتاب مصريون . وعلى الرغم من الرغبة التي كانت لدى الجميع في الحديث عن قضايا الحاضر وتحديات المستقبل كهدف أساسي للندوة . الا أن زخم الماضي فرض نفسه على الندوة ، ويبدو أنه لامفر من النظر الى الماضي على شكل مراجعة . قبل التطلع الى الحاضر والتعامل مع تحديات المستقبل .

أبحاث الندوة كانت كثيرة ولكن اهمها : بحث عصمت سيف الدولة عن ديمقراطية يوليو ، وبحث جميل مطر عن موقف ثورة يوليو من الصراع العربي الاسرائيلي . وكذلك بحث ثروت عكاشة عن المسألة الثقافية وثورة يوليو .

الجلسة الاخيرة كانت مفتوحة وقد تحدث فيها محمد حسنين هيكل واحمد بهاء الدين عن ثورة يوليو .

والمناقشات المفتوحة كانت في بعض الاحيان في نفس أهمية الاوراق المقدمة .

من المتوقع ان يصدر كل ما قيل في الندوة في كتاب يصدر عن دار المستقبل العربي .

ي . ق

الجلسة الأخيرة للندوة ويرى بين الحاضرين أحمد بهاء الدين ، محمد حسنين هيكل ، عادل حسين



المؤتمر الثانى للمعماريين المصريين



الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الثانى للمعماريين المصريين

اقيم المؤتمر الثانى للمعماريين المصريين وحضره عدد كبير من المهندسين المعماريين وهم ممثلو وابناء مهنة العمارة فى مصر .

اجتمعوا لبحث ، وحل مشاكل العمارة ، والظروف والاسباب التى أدت الى ضمور وانحسار دورالمعمارى المصرى .

واستكمال عمل مظلة واقية لهذا التخصص الهندسى الذى يتسم بالخلق الفنى وانجاز وجه الحضارة بواسطة اتحاد المعماريين المصريين .

ذلك ان دور المعمارى المصرى من الادوار القديمة قدم التاريخ ، وهو الاثر الباقى على مر العصور ، منذ عهد الفراعنة الى يومنا هذا . نجد بصمة الحضارة على وجه مصر من أقصاها الى أقصاها ، هذه البصمة التى تلاشت منذ أوائل هذا القرن .

فقد اصبح وجه مصر المعمارى مشوها ، وبلا شخصية مميزة وهذا ما يبحثه التجمع المعمارى ، بجانب مشاكل المعماريين المهنية .

والمؤتمر الثانى للمعماريين المصريين يعد حلقة اتصال مثمرة ظهر نتاجها فى لجان العمل المنبثقة عن المؤتمر الاول للمعماريين المصريين والذى عقد سنة ١٩٨٥ ، وقد بذل على امتداد عام كامل من الفكر الخلاق والعمل البناء ، ما يجعلنا نتطلع الى آفاق جديدة تبشر بصحوة معمارية كبرى .

● وهذا ما أشارت اليه الكلمة الافتتاحية التى القاها محافظ القاهرة يوسف ابو طالب ، وقد أشاد فيها بدور المعمارى المصرى الخلاق - وأكد على اهمية الدراسة الشاملة للمهندس المعمارى . فهو جزء من البيئة التى يعيش فيها ، وفرد من هذا المجتمع ، وعليه دراسة العلوم المختلفة من اجتماع واقتصاد وسياسة ، حتى يتسنى له القيام بدوره الخلاق على أسس تتفق وتراعى ظروف البيئة. فالبيوت المشيدة الجديدة فى الريف تختلف عنها فى الحضر او فى المجتمع الصحراوى . ان كل فئة لها متطلباتها الخاصة والمستقلة عن الاخرى . وهذا يحتاج الى دراسات شاملة من قبل المعمارى الذى يخلق الفن فى خدمة المجتمع ، ويرتقى بالذوق العام حتى نتنفسه مثل الهواء ، وضرورة ضم اتحاد المعماريين تحت مظلة مستقلة ، حتى يقام عمل خلاق على أساس علمى .

ولكن قبل تحليقنا المتفائل فى آفاق مستقبل مشرق للعمارة والمعماريين ، نلقى نظرة موضوعية على واقع المعمارى الحالى والتى ألقاها المهندس الاستشارى [illegible] توفيق .. عضو المهندس [illegible]



للمعماريين في كندا ، وما قيل ·

● « أنه قد أصبح من الواضح في السنوات الأخيرة انحسار دور المعماري المصري في خدمة المجتمع ، وخفوت صوته ، واختفاء بصماته أو تشوهها على الوجه الحضاري للبلاد ، وأصبح العمل المعماري الجاد قليلا ، والتميز فيه اجتهادا فرديا بحتا، قد ينجح فيه بعض المعماريين ويفشل غالبيتهم ، ونتج عن هذا التخلف المهني تدهور في أداء المعماري ، واستتبع هذا بالضرورة، تغيرا في نظرة المجتمع الى أسس تقييم العمل المعماري ، حتى تم اصدار تشريعات من الدولة تصنف العمل المعماري الخلاق كما وكيفا ، كتوريد أصناف خاضعة للائحة المناقصات والممارسات الحكومية ، مما خلق جوا من المرارة والاحباط بين المعماريين ، وما استتبع ذلك من مضاربات في الاتعاب ، وانحدار الكثيرين الى تقديم خدمات فجة أو مبتورة لتتناسب مع ضآلة الاتعاب .. كل ذلك .. بدلا من اذكاء روح التنافس في الابداع والخلق للوصول الى الكمال ·

● المهندس على نصار طالب الحكومة لتحقيق التوازن المطلوب بين العاصمة ، والمدن والقرى الصغيرة، وعدم التكتل والهجرة الدائمة البلهاء· طالب بأن يقتصر الدعم ، على المجتمعات الجديدة .. والقرى ، حتى يحد هذا من الهجرة الى المدينة· ثم اشار أيضا الى تكلفة البناء في القاهرة .. وهي تزيد على مثيلتها في نيويورك بنسبة ١٦٠٪ !

● المهندس صلاح حجاب ، أثار عدة مشاكل من ضمنها تواطؤ الحكومة مع بعض شركات البناء ، حتى يصل تكلفة ونش متعطل لمدة سنتين ٢٥٠ الف جنيه في مشروع تكلفته الفعلية ½ مليون جنيه !

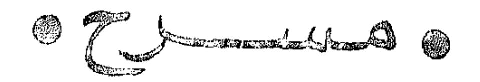
● الدكتور عبد الحليم الرمالي أثار موضوع المكاتب الاستشارية



الاجنبية والتي يتقاضى خبراؤها أجورهم بالدولار وهي تصل للالاف وهذا تتكبده الحكومة المصرية لماذا؟! · وأين المكاتب الاستشارية المصرية ·

● استقل منبر هذا المؤتمر ستة وعشرون متحدثا،منهم من تحدث عن تقنين ميثاق شرف المهنة ، والممارسة والمستندات القانونية ، ونظام الانتخاب — حتى يصبح اتحاد المعماريين مثلا مشرفا — ومنهم من القى من الاحاديث العامة والاقتراحات ، أما الجزء الثالث من الاحاديث فقد كان مخصصا للباحثين ، لتقديم وعرض أبحاثهم العلمية ·

نجوى صالح



● ● كان الاحتفال باليوبيل الذهبي للمسرح القومي المصري فرصة كبيرة للقاء العديد من المسرحيين العرب .. وكان لقاؤهم لثلاث ليال يناقشون معا « قضايا مسارحهم القومية في الوطن العربي » .. كان هناك أكثر من قضية طرحت في دائرة المناقشة وان كان الحديث قد تركز بصفة أساسية في قضايا أزمة الممثل واشكالية العلاقة بين المسرح والدولة وأزمة الانغلاق والعزلة وحماية الابداع المسرحي

وعن الحوارات التي تمت داخل قاعات المسرح القومي عن قضايا المسارح القومية في الوطن العربي يمكن تحديدها في السطور التالية :

● أن أزمة فناني المسرح هي أزمة كل المبدعين وهي نابعة من المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي لحقت بالمجتمع العربي .. وأننا نعيش الان داخل مجتمعنا العربي معركة سياسية دائرة حول الشكل الديمقراطي



الامثل لتعايش الحاكم والمحكوم وبالتالى فالمسرح والثقافة عموما يمثلان جانبا جوهريا من جوانب هذه المعركة ويصبح التساؤل .. لماذا نعزل المسرح عن هذه الحركة السياسية الدائرة ؟ .. وهو أساسا ابن للديمقراطية ووجد ليقضى على الديكتاتورية .

● ان المعادلة الصعبة فى العلاقة بين المسرح والدولة أو المؤسسة هى كيف يتأتى أن تكون هناك مؤسسة من أجل تحقيق الضمانات والاحترام المهنى للمشتغلين فى المسرح ويتحقق فى نفس الوقت الانطلاقة فى التعبير .. وهل يحتاج المسرح ان مؤسسة رسمية تحميه - وان وجدت كما هو واقعا الان - فعلى الفنان أن يستغل مؤسسة الدولة لصالحه .. فالعلاقة بين المسرح والمؤسسة هى علاقة جدلية أكثر منها تناقضية وعلى الفنان أن يستغل ذلك لصالحه .. وأن السبيل الى اعادة التوازن أن يشارك المسرحيين مع رجال الدولة فى تنظيم مؤسساتهم واشراكهم فى الارباح والخسائر والتنظيم والادارة .

● أن انجاز أى حركة مسرحية لا يمكن أن يتم بدون الممثل الجيد .. فهو العنصر الجوهرى فى العرض المسرحى وبدونه لا يتم العرض رغم توافر باقى العناصر .. ولكن هذا العنصر « الممثل » أصبح الان محاصرا بامكانيات واغراءات مختلفة فى نفس الوقت الذى يعيش فيه أزمات ومشاكل مجتمعه .. والواقع حاليا أن المسرح فقد جسده « الممثل » وفقد استقلاليته وأصبح يعطى جسده الى مؤسسات أخرى كالسينما والتليفزيون والفيديو .

● والمؤسف أن أهل المسرح فى الوطن العربى خانوه قبل أن يخونه الغرباء وتخلوا عنه استسلاما للاغراءات المالية والاعلامية .. واستقطب الممثل وأصبح نشاطه فى نطاق دول البترول واليونان .. وان ما يحدث لا يعنى الا أن الممثل قد فقد انتماءه لمسرحه والفنان العظيم لا يكون عظيما الا بانتمائه لعمله .

● أن حل أزمة الممثل يبدأ من تحديده فى الوظيفة وأن تدار المسارح من قبل ادارتها ويكون لها استقلالها المالى والادارى .. ولابد من حل وان أدى الى الغاء المؤسسات وتجميد الوضع على ما هو عليه والبدء فى حركة تعتمد على الممثل العادى وأن تكون هناك عروض حقيقية فى طول البلاد وعرضها .

● أنه لابد من توفير الحماية للمبدع ومن سيطرة مديرى المسارح وسطوة رجال الرقابة حتى يسهل للمبدع ان يوصل كلمته للناس .. وأنه أيضا يمكن عمل جائزة لافضل عرض مسرحى مما يتيح الفرصة للمنافسة الابداعية بعيدا عن الاعمال الرخيصة التجارية التى مصدرها - ان لم يكن أغلبه - المسرح التجارى وهو الاولى بالحماية لانه بما يقدمه يساهم فى افساد الذوق العام .

● أيضا دعوة لكل المسرحيين لتكوين اتحاد عام للمسرحيين العرب يرعاهم ويبحث مشاكلهم ويتولى قضاياهم ويحميهم من أنظمتهم الداخلية .

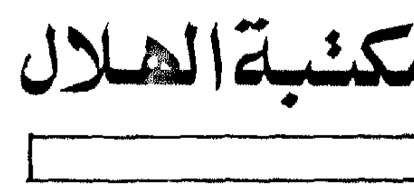
● شارك فى احتفالات اليوبيل الذهبى للمسرح القومى ومناقشة قضايا المسارح القومية فى الوطن العربى .. من فلسطين « جواد الاسدى » ومن لبنان « يزول شاروك ونضال الاشقر » ومن المغرب « عبد الحق الذروالى » ومن الاردن « حاتم السيد » ومن تونس « عز الدين المدنى » ومن السودان « خالد مبارك » وأدار الندوات الدكتور فوزى فهمى نائب رئيس أكاديمية الفنون وشارك من مصر العديد من المخرجين والكتاب والممثلين والمهتمين بالحركة المسرحية فى مصر .



بدوى شاهين









● رواية ●

الابلة ج ١
تاليف : فيدور دستويفسكي
ترجمة : الدكتور سامي الدروبي
الناشر : دار التقدم ـ موسكو ١٩٨٦
عدد الصفحات : ٦٤٧ صفحة
الثمن ا ٢١٠ قروش

ها هو الروائي الروسي العظيم فيدور دستويفسكي يطل علينا من جديد · ولكن من نافذة موسكو هذه المرة · ومن المؤكد ان رائعتــــه « الابله » نشرت وترجمت أكثر من مرة من قبل · وهذه الطبعة الصادرة من موسكو سبق أن صدرت من قبل ـ في القاهرة ـ لنفس المترجم · ولكنها وبصدورها من موسكو تعنى أن السوفييت ـ مثقفين ومسئولين ـ قد اعادوا النظر في هذا العمـلاق الذي لن يتكرر مرة أخرى · خاصة في ارتباطه بالنفس البشرية · منذ سبعة اشهر قالت الباحثـــة السوفييتية :

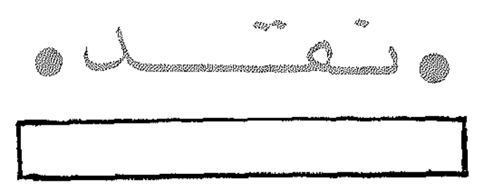
ـ سنرد الاعتبار لدستويفسكي وتلك هي مقدمات الاعتبار له · وان كانت الابله ليست أولى رواياته والنسخة الصادرة من موسكو لاتقول انها جزء من أعماله الكاملة. فمع هذا فهناك النية لاصدار كافة أعمال



هذا الكاتب من موسكو بكافة لغات العالم · وهذا يحدث لاول مرة منذ ثورة أكتوبر الاشتراكية

ترجمة الدروبي راجعها عند الصدور من موسكو الدكتور ابوبكر يوسف · وهو مصري أصلا ·

ومن المتوقع ان تصدر رواية الابله في جزءين ·

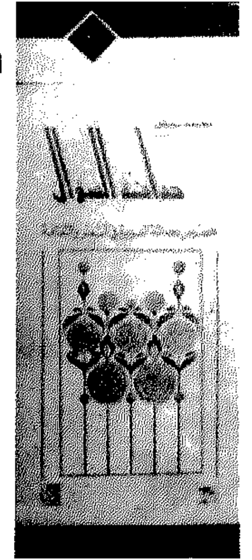


حداثة السؤال
تأليف : محمد بنيس
الناشر : دار أكتوبر ـ بيروت
عدد الصفحات : ٢٥٤
الثمن : ٣٢ ليرة

● ● صاحب هذا الكتاب محمد بنيس شاعر وناقد وشخصية أدبية فاعلة ومؤثرة في الواقع الثقافي المغربي والعربي معا ··

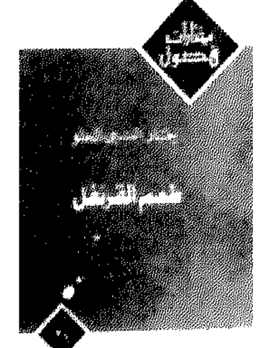
وكتابه الجديد ، يؤلف بين نصوصه وفصوله السؤال الملح عن الحداثة ليس في الادب وحده ولكن في الواقع العربي الراهن كله · بعد ان أصبح السؤال والحداثة معا · يقفان على الباب العربي بأكبر قدر من الالحاح الرهيب وغير العادي ·

في الكتاب موضوعات كثيرة :
في الحداثة الشعرية العربية · منشأ الحداثة : غزو لبنان ومابعده مع الثقافة الفلسطينية · واتحاد كتاب المغرب · والكتاب مكتوب بتلك اللغة الطازجة والحاضرة والعفسوية والبكر ، وهو لا نجده سوى عند كتاب المغرب العربي فقط ··



• قصص •

طعم القرنفل ..
تأليف : جار النبي الحلو
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ..
عدد الصفحات : ١١١ صفحة
الثمن : ٥٠ قرشا



هذه المجموعة القصصية هى العمل الثالث للقاص المتميز جار النبى الحلو • وهى العدد السابع والعشرون فى سلسلة مختارات فصول • الابنة البكر لمجلة فصول • والتى يشرف عليها سامى خشبة •

أصدر جار النبى الحلو من قبل « هذا يوم طيب للحياة » فى طبعة فقيرة على حسابه الخاص • ثم أصدر : القبيح والوردة •

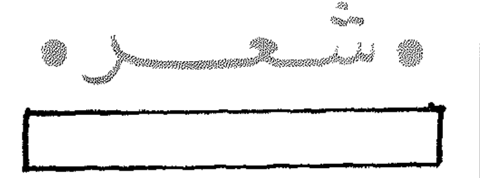
وقصص جار النبى الحلو ـ الذى يعيش حتى الان فى مدينة المحلة الكبرى من محافظة الغربية ـ تتسلل الى من يقرؤها على مهل • عبر مسارات غير تقليدية • حسب مسامات الجلد ومنابت الشعر • وهو مبدع يعرف طريقه جيدا • بعيدا عن غايات المبدعين ومعاركهم الوهمية اليومية التى أصبحت تأكل كل ماضى حياتهم حتى الابداع نفسه •

• مذكرات •

السجن ..
دمعتان ووردة ..
تأليف : فريدة النقاش
الناشر : دار المستقبل العربى
عدد الصفحات : ٣٥٥ صفحة
الثمن : ٦٥٠ قرشا

أصدرت فريدة النقاش من قبل: كتابها المتفرد : « السجن الوطنى » وكان عبارة عن مذكراتها الشخصية ورؤيتها فى تجربة السجن المؤلمة ، وعندما نفد أعيد طبعه • ثم جلست لكى تكتب الجزء الثانى من التجربة • وأصدرت الجزءين معا • فى هذا المجلد الضخم •

والسجن مثل الحروب تماما • تجربة من الصعب أن يكتب عنها الا من عاشها وعاشرها • ووقف وجها لوجه أمامها وفى مواجهتها .. وهذا ما فعلته نوال السعداوى فى كتابها : « سجن النساء » ومافعلته وما فعلته فريدة النقاش فى هذا الكتاب الذى يعد الاول فى سلسلة كتاباتها حيث تخرج من أرضية الكتابة النقدية الى نوع جديد من الكتابة الابداعية التى ربما قادتها الى الكتابة الروائية .. من يدرى



فى الساعة الخامسة والعشرين
تأليف : ايجور ايسايف
ترجمة : عبد الرحيم أبو ذكرى
مراجعة : ايجور يرماكوف
الناشر : كتاب لوتس • اتحاد كتاب آسيا وافريقيا كوشى ..
الثمن : جنيه واحد ..



●● ايجور ايسايف أهم شعراء السوفييت الان • وهذا الكتاب هو الاول فى سلسلة تصدرها مجلة لوتس التى يتولى رئاسة تحريرها الان : زياد عبد الفتاح •

أما القصيدة التى يحمل الديوان عنوانها عنوانا له : فهى تتحدث عن الساعة التى ستاتى بعد الساعة الاخيرة فى تاريخ البشرية وهى عبارة عن رحلة مجهولة • يقوم بها شهيد من شهداء الحرب الى أمريكا• حيث يقابل ريجان ويتحدث معه عن أهوال الحروب • وقد سالت نفسى: لماذا لم يذهب الى جسوباتشيف أيضا ؟ أم أن ذلك هو الممكن الوحيد بالنسبة لشاعر سوفييتى •



يقول الشاعر :
اني مبعوث جميع الناس
فلسان النار
يلتف على كل الدنيا
ليموت الكون .

• دين •

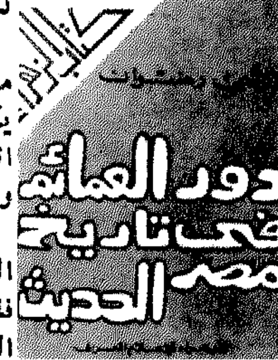
دور العمائم في تاريخ مصر الحديث
المؤلف : فتحي رضوان
الناشر : دار الزهراء للاعلام العربي . كتاب الزهراء
عدد الصفحات : ١٤٢ صفحة
الثمن : ٢٥٠ قرشا ..

لفتحي رضوان اهتمامات مثيرة وجميلة معا . وهذا الكتاب الطريف والفريد واحد من هذه الاهتمامات

والكتاب يتحدث عن : السيد عمر مكرم والشيخ رفاعة الطهطاوي . وعمامة الشيخ محمد عبده . وعلى يوسف : عمامة عظيمة على رأس فلاح . والشيخ عبدالعزيز جاويش ومصطفى لطفي المنفلوطي : الرجل والظاهرة .

وكل هؤلاء عاشوا وفعلوا في المائة سنة الاخيرة المجيدة من عمر مصر، والكتاب يحاول ان يبرهن ان الاستنارة كانت دائما اسلامية وان حاملي مشاعل الحضارة والمدنية المؤثرين في صياغة العقل الجماعي لمصرنا المحروسة كانوا دائما من الدائرة الاسلامية .

ومن الامور الجيدة أن فتحي رضوان ليس من أصحاب العمائم .



• سيرة ذاتية •

الولد الشقي في المنفى
المؤلف : محمود السعدني
الناشر : دار الهلال
عدد الصفحات :
الثمن :

هذا هو الجزء الرابع من السيرة الذاتية التي كتبها محمود السعدني. كان الجزآن الاول والثاني : بعنوان مذكرات الولد الشقي . وكان الجزء الثالث : الولد الشقي في السجن. ولكن بعد السجن جاء المنفى فكان لابد من جزء رابع .

ومحمود السعدني من أكثر كتاب العربية قدرة على الحكي ، كما أنه قادر على استخلاص الدمعة من الضحكة والابتسامة . وهو يكتب بسلالة نادرة . ولغة جميلة . ويوظف العامية مع الفصحى بصورة فريدة . وان قرأت الصفحة الاولى من أي عمل للسعدني لا يمكنك القيام قبل قراءة آخر الصفحات فهو يأخذك اخذا الى عوالم رحبة فيها من الضوء . ومن الحرارة ومن الحركة الشيء الكثير .

كانت تجربة المنفى في السبعينات من هذا القرن من التجارب الانسانية التي تعرض لها عدد كبير من المثقفين المصريين .. وقليل منهم من جلس لكي يكتب مذكراته في المنفى .

محمود السعدني كان شجاعا مرتين .. المرة الاولى لانه جلس لكي يكتب والمرة الثانية وهذا هو الاهم: انه كان صادقا في كل حرف كتبه ولم يخش ولم يخف ولم يبال

خسارة ضخمة الا يتفرغ هذا الرجل للكتابة الروائية والقصصية ففي أعماقه قاص وروائي وحكاء من الدرجة الاولى .



ازمة
المجتمع
العربى

عرض وتقديم : د . صلاح قنصوه

البحث عن حل لأزمة الوجود العربي

هذا الكتاب الذى نقدمه اليك بالغ الاهمية ، لانه يبحث عن اجابة سؤال هام : ماهو الحل لازمة الامة العربية على الصعيدين السياسى والاجتماعى !..

هناك الحل الاسلامى .. والحل الاشتراكى بانواعه، والحل الراسمالى بما يتضمنه فالى اين تتجه الامة العربية واين طريق خروجها من مازقها ؟

ان مؤلف الكتاب يعرض جميع وجهات النظر ،فجاء الكتاب عرضا شاملا ونقدا عميقا مبتكرا ، لاتثقله الافكار الجاهزة فى ادبيات المذاهب التى تتصارع فى عالمنا ..

انه ينقد اليسار واليمين برغبة صادقة فى الوصول الى الحقيقة .

الدكتور سمير امين مفكر مصرى يسارى احتل موقعه بين المفكرين العالميين عن جدارة واستحقاق عبر محاولات مضنية بحثا عن المنهج الملائم ، واجتهادات نظرية استغرقت ثلاثين عاما منذ عام ١٩٥٤ وحتى كتابه الاخير « أزمة المجتمع العربى » .



كتاب الشهر

وربما كان هذا الكتاب هو البيان الذى يوجز اقتراحاته عن الطرح السليم للمشكلات ، كما يقدم حلوله وبرامجه لمواجهة تلك المشكلات .

وتأتى اهمية الكتاب من صدوره فى وقت يعانى فيه مجتمعنا العربى من احباط مشروعاته الوطنية ، كما يتراشق فيه المثقفون بالشعارات الحادة النبرة ، بدءا من اعلان الثورة ، وانتهاء بالعودة الى السلف الصالح .

ورغم تعدد الممارسات ، والوقائع ، والشعارات فى الساحة مما يجعلها مراوغة بين يدى الباحث حيث تفلت من اسار التحليل والتفسير ، فان المؤلف يقبض عليها من خلال تصور بسيط يضم بمقتضاه تفاصيل الواقع ، ثم يعود من خلال هذا التصور الكاشف الى تسليط الضوء على سائر جوانب الساحة ، فينتشر مكانيا الى كل أنحاء العالم غربا وشرقا ، ويخترق الزمان الى عصور الاسلام الاولى .

والتصور الكاشف البسيط هو اخفاق اليسار فى المجتمع العربى الراهن . وسرعان مايرده هذا التصور الى ربط أزمة اليسار العربى بأزمة المجتمع العربى بوجه عام ، ثم ربط أزمة المجتمع العربى بأزمة مجتمعات العالم الثالث ، وهى أزمة تنتمى بدورها الى نظام عالمى يتحكم اتجاه تطوره فى مصير شعوبنا ، ولهذا يبدأ الكتاب بالدائرة الاوسع ، وهى النظام العالمى . فمن خلالها يمكن تصور الخريطة الجديدة لطرح المشكلات بخطوطها الخاصة للطول والعرض ، وهى نظريته الجديدة عن « المركز والاطراف » ، ففى ضوئها يمكن تحديد المسار ، ومن قبله الهدف الذى ينبغى ان يمضى فيه هذا المسار .

وتتجلى أهمية هذه الخريطة التى تحدد معالم السياق العالمى فى اعادتها توجيه مراكز الاهتمام والتساؤل ، بمقتضى ترتيبها الجديد لاولويات المشكلات الملحة ، وبدائل حلها .

● النمو اللامتكافىء بين المركز والاطراف ●

تعتمد الخريطه الارشادية لدى المؤلف على تأويل مجدد للماركسية من ثنايا تطوير خاص للمادية التاريخية . فهو يرفض كلا الخيارين اللذين تذهب اليهما الماركسية الكلاسيكية فى تفسير تطور المجتمعات الشرقية قبل مقدم المرحلة الرأسمالية .

فهو يرفض وصف المجتمع العربى بالسمة « الاقطاعية » التى لا تلتفت الى خصوصيات هذه السمة المزعومة ، التى جاءت انعكاسا لقبول نظرية المراحل الخمس للتاريخ وهى الشيوعية البدائية ، العبودية ، الاقطاعية ، الرأسمالية ، الاشتراكية . فهى نظرية تنكر خصوصيات مختلف التطورات التاريخية ، وتجعل من التسلسل الاوربى نموذجا شاملا ووحيدا .

كما يرفض البديل الاخر المتمثل فى نظرية « نمط الانتاج الاسيوى » التى تجمد المجتمعات الشرقية فى ذلك النمط الزائف .

ويقترح المؤلف بديلا اخر هو نظرية « النمو اللامتكافىء » التى تعترف باختلاف تسلسل أنماط الانتاج من اقليم حضارى الى اخر وبالتالى بخصوصيات مختلف انماط الانتاج التى تتابعت على مختلف الشعوب التى يجملها فى مجموعات ثلاث هى : الجماعية ، والخراجية ، والراسمالية . وتتضمن هذه النظرية :

أولا : ان النمط العام للمجتمعات الطبقية الذى يسبق الراسمالية ويتخذ أشكالا وصيغا متعددة هو نمط الانتاج الخراجي ، ويعد الاقطاع الاوربى احد أشكاله ، كما أن الشكل المصرى احد تنوعاته الذى يتميز بخصوصياته عن الشكل الاقطاعى وتنبع تلك الخصوصية من الطابع المكتمل للنمط الخراجي الذى يعبر عن نفسه فى جميع المجالات : مجال القاعدة ، أى وجود طبقة حاكمة خراجية تركز الفائض من خلال الدولة ، وليس كما فى الاقطاع الاوربى الذى يفتت فيه الفائض الاقطاعى وتضعف دولته .

وفى مجال البنـــــــاء الفوقى ، أى الايديولوجيا ، التى نجدها قوية موحدة وبالتالى ذات صبغة كلية شاملة فى النظام الخراجى ، ومن ثم ، فان العلاقة الجدلية بين القاعدة والايديولوجية تؤدى الى تجمد وافتقاد للمرونة ، التى من شأنها أن تعاون على تجاوز النظام . وهذا الشكل الشرقى المكتمل يطابق المستوى الاعلى لنمو قوى الانتاج اذا ماقورن بالشكل الاقطاعى الاوربى ، ويطلق المؤلف على الشـــكل المكتمل لنمط الانتاج تسمية « المركز » بينما يطلق على الاشكال غير المكتملة تسمية « الاطراف » .

ومن هنا ، تؤدى نظرية نمط الانتـــاج الخراجى ، كشكل عام ، وأشـــكاله الخاصة المركزية ، أى المكتملة ، والطرفية غير المكتملة ، الى نظرية النمو غـــير المتكافىء فى نشأة الراسمالية . فالشـــكل الاوربى ، أى الاقطاعى ، وهو الاقل نموا والاشد تأخرا بسبب تكوينه انطلاقا من المجتمعات البربرية التى اجتـــــاحت الامبراطورية الرومانية ، كان أكثر مرونة وقدرة على الانتقال الى الراســـمالية ، فهنالك نجد التضاد بين انصهار الدولة والدين فى دار الاسلام ، والطابع الشمولى لايديولوجيا الاسلام وتقدم الدولة مـــن جهة ، وبين الطابع الجنينى للدولة فى الغرب ، واحلال الكنيسة محل هـــــذه الدولة جزئيا فقط ، مما ادى الى التقدم المستقل للدولة ازاء الكنيسة ، والتفتت فى القاعدة ، أى تفتت الفائض الاقطاعى ، كما نجد فى القمة ، ان البناء الفوقى ، تفتت الايديولوجية المؤلفة من اجـــزاء متراصة غير منصهرة فى وحدة متكاملة . من الجهة الاخرى . فظهور الراسمالية الباكرة فى أوربا ، وكذلك فى اليابان ، لا يفسر بتقدم هذه المجتمعات من حيث القوى المنتجة ، بل يفسر بطابع تشكيلاتها الاجتماعية الاكثر مرونة مما هى عليه فى المجتمعات الاسيوية والافريقية .

غير أن السبق الاوربى لنشأة الراسمالية قد أدى الى تشويه الانتقال اليهـــا فى المناطق الاخرى من العالم ، حيث أصبحت أوربا هى « المركز » . فلم يتطور العالم على نحو متجانس . فرغم أن بورجوازية الاطراف قد تسعى لان تكون طبقة وطنية حاكمة ، فانها تجد نفسها مجبرة على الخضوع لشروط السيطرة الاستعمارية .

ولم يتخذ هذا الاستغلال طريق احلال علاقات انتاج راسمالية محل العلاقات القديمة ، أى انشاء مشروعات راسمالية تستغل الايدى العاملة المأجورة التى يملكها راس مال الاحتكارات الاجنبية ، بل اخذ طريقا اخر ، هو حفظ العلاقات القديمة مع اخضاعها لمطالب سياســة راس المال عن طريق ادماجها فى نظام التقسيم الدولى للعمل غير المتكافىء . وتكيفت هذه الاشكال مع نوع التحالف الطبقى بين راس مال الاحتكارات المسيطرة العالمية والطبقـات الحاكمة المحلية . فتكونت ، على سبيل المثال ، ملكيات زراعية كبيرة تنتج المواد الخام للسوق العالمية .

● النظام العالمى الراسمالى وقطيعة الاســـــتعمار ●

وترتب على هذا التقسيم العالمى بين المركز والاطراف أن هذا التحويل لفائض القيمة قد قلص الاستغلال الراســـمالى المباشر داخل مجتمعات المركز المتقدمة ، بينما تضاعف الاستغلال الراســـمالى المباشر وغير المباشر ، أى الاستغلال الذى يقوم على الابقاء على علاقات انتاج قديمة وادماجها فى النظام الراسمالى العالمى ، للعمال والفلاحين فى المجتمعات التابعة فى الاطراف . ولم تعد الطبقة العاملة فى بلدان المركز المتقدمة تتحدى النظـــام الراسمالى من أجل الغائه وتحويله الى نظام اشتراكى ، بل قبلت وضعها قانعة بزيادات مستمرة لاجورها موازية للزيادة المستمرة فى الدخل القومى ، الناتجة عن استغلال بلدان الاطراف المتخلفة . ويرد ذلك الى أن نمط الانتاج الراســـمالى يفترض نوعا من التوازن فى توزيع الدخل بين أجر العمل وربح رأس المال لان اجر العمل هو المصدر الاساسى الاقتصادى فى الانتاج ، على حين ان ربح رأس المال هو مصدر تمويل الاستثمارات التى تسمح بزيادة الانتاج من فترة الى اخرى . فثمة



ضرورة موضوعية لزيادة فى الاجور تساير زيادة الانتاج .

أما فى بلدان الاطراف التابعة ، فعدم زيادة أجر العامل ودخل الفلاح ، أى عدم توسع السوق الداخلية للاستهلاك الجماهيرى ، يشوه شكل التنمية ، لان التنمية تجد سوقها اولا : فى تصدير ماتطلبه منها البلدان المتقدمة ، أى تلك السلع التى تساعد على تعجيل التراكم لديها ، وثانيا : فى توسيع سوق الاستهلاك للاقلية المنتفعة من هذه التنمية المشوهة والمحدودة .

وبعبارة اخرى ، فان التنمية غير المتكافئة تتكشف فى اختلاف النموذج الخاص بالمراكز عن نموذج الاطراف . فالتنمية فى النموذج الاول هى نمو قطاع الانتاج بهدف الاستهلاك ، وقطاع انتاج وسائل الانتاج المتفق مع زيادة الاجور الحقيقية الموازية لزيادة انتاجية العمل . فالتراكم هنا « مرتكز حول ذاته » .

أما التنمية فى الاطراف التابعة فانتاجها للتصدير ، كما أنه موجه للاستهلاك الترفى ، وهنا مناط التشويه فى التنمية التى يكون نموذج التراكم فيها « موجها من الخارج » .

وهذا « القدر » العالمى المحتوم يطلق عليه د. سمير أمين : « القطيعة الاستعمارية » التى هى نقطة تحول ميزان القوى بين بورجوازيات المراكز التامة التكوين ، والبورجوازيات الحديثة النشأة ، فبعد أن كان من الممكن قبل الاستعمار أن تظهر مراكز جديدة ، اصبح ذلك امرا مستحيلا .

● فك الارتباط ●

غير أن الحل الوحيد فى نظر المؤلف للافلات من هذا القدر الصارم هو « فك الارتباط » ، الذى يعنى لديه استراتيجية شعبية قائمة على تلبية حاجات الجماهير من العمال والفلاحين ، وتشترط نظاما اخر لقياس مدى مساهمة مختلف المنتجين فى خلق الثروة الوطنية . أى أنه يعتمد على قانون قيمة وطنية وشعبية ينعكس فيه التحالف الطبقى الشعبى الحاكم .

ويتولد امكان « فك الارتباط » من المقولة النظرية للمؤلف وهى التنبؤ بأن التطور المتوقع الى نمط الانتاج الاشتراكى لاينبثق من مراكز نمط الانتاج الراسمالى بل عن أطراف ذلك النمط ، وشأنه فى ذلك هو شأن انبثاق الراسمالية عن أطراف نمط الانتاج « الخراجى » .

ولقد بدأت الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى فعلا ، غير أنه انحرف عن هذا الطريق فى عقد الثلاثينيات حينما تم تحطيم التحالف بين العمال والفلاحين نتيجة اسلوب انشاء المزارع التعاونية ومزارع الدولة من أجل الاسراع بالتصنيع على حساب استغلال الفلاحين ، ذلك التصنيع الذى قام على نمط التصنيع الغربى ، ولكن فى اطار الملكية العامة التى ادت الى قيام دولة استبدادية تملك وسائل الانتاج ، ومن ثم تتفاقم أزمة الديمقراطية .

وكذلك الصين الماوية ، فقد تفادت تحطيم التحالف الشعبى ولم ترتكب أخطاء الاتحاد السوفييتى فى سياسة التصنيع وانشاء الجمعيات التعاونية . الا انها لم تنجح فى اقامة دولة اشتراكية ديموقراطية لتمسكها بتأويل الاشكالية الديموقراطية ، والعلاقة بين الدولة والشعب والحزب القيادى تأويلا موروثا من « اللينينية » .

اما النموذج الناصرى ، فهو يقترب ايضا من استراتيجية محمد على . فقد هدفت اقامة التعاونيات الريفية بعد الاصلاح الزراعى الى ما هدف اليه محمد على فى عصره . وهو امتصاص الفائض الزراعى من أجل التعجيل بالتصنيع . وبينما كان محمد على متوجسا من البورجوازية المحلية ، كان عبد الناصر فاقدا للثقة فى الجماهير الشعبية ، فاعتمد على التكنوقراطية والبيروقراطية .

فالمشروعان متماثلان فى انهما هدفا الى

تحديث الدولة والاقتصاد على اساس علاقات الانتاج السائدة ، اى دون ادخال ثورى لعلاقات انتاج جديدة . فقد حاول محمد على اقامة اقتصاد عصرى مع الحفاظ على علاقات نمط الانتاج الخراجي . فلم يعتمد على البورجوازية لاقامة علاقات انتاج رأسمالية صحيحة . كما حاول عبد الناصر تحديث الدولة والاقتصاد مع الابقاء على علاقات انتاج النمط الراسمالي دون الاعتماد على الجماهير الشعبية من أجل اقامة علاقات انتاج اشتراكية سليمة . فقد اولى كل منهما ثقته المطلقة فى التكنولوجيا دون ادراك أنها تفقد فاعليتها ان لم تقم على علاقات الانتاج الملائمة لها . فهناك كانت بورجوازية دون بورجوازيين ، وهنا كانت اشتراكية دون اشتراكيين .

وللمؤلف اسهام خاص فى قضية الصراع الطبقى ، فهو يرفض التأويل الماركسى المبسط والتقليدى الذى يرى أن التضاد بين اليمين واليسار فى الثورتين البورجوازية والاشتراكية انما هو صراع بين طبقتين . ولكنه يرى انه صراع بين ثلاثة أطراف .

ففى عهد ظهور الراسمالية ، كان الصراع يشمل الكتلة الريعية الاقطاعية من جهة ، والكتلة البورجوازية الصاعدة من جهة ثانية ، والكتلة الشعبية المكونة وتتمثل من فقراء الفلاحين وفقراء المدن من صغار الاجراء من جهة ثالثة ، ولم يكن شكل الانتقال الى الراسمالية ثوريا الا حينما اضطرت الكتلة البورجوازية ، الى التحالف مع الكتلة الشعبية .

اما فى اطار المعركة فى سبيل الاشتراكية فثمة كتل ثلاث ، الرجعية الحاكمة المعتمدة على رأس المال المهيمن ، وكتلة القوى الاجتماعية والايديولوجية والسياسية التى تبلورت فيما بعد فى شكل صفوة حاكمة ، وكتلة الطبقة الجماهيرية من العمال وفقراء الفلاحين .

وتنشأ أزمة اليسار فى رأى المؤلف عن هذه الاوضاع . وهى ازمة لاتخص فقط المجتمعات الاشتراكية الراهنة ، بل انها ازمة عالمية النطاق ، اذ انها أزمة « الانتقال الى الاشتراكية » ، وهى مسألة مطروحة على نطاق عالمى وهى تخص أطراف النظام الرأسمالى ، أى العالم الثالث ، وبالتالى فهى أزمة اليسار العربى . غير أن هذه الازمة تتعلق أيضا بمراكز النظام الرأسمالى المتقدمة رغم أن تناقضاتها اقل حدة ، فاليسار هناك قد تنازل عن الاهداف الاجتماعية الراديكالية وذلك مجرد انعكاس لعالمية الصراع الطبقى الحقيقى الذى لم يعد مجرد حاصل جمع الصراعات على المستوى القطرى . ولم يعد الصراع بين البورجوازيات والطبقات العاملة الغربية ، بل صار بين البورجوازيات العالمية فى المراكز من جهة ، وبين الجماهير المستغلة فى العالم بأسره وهى التى تضم أساسا جماهير الأطراف .

ويترتب على هذا الطابع المعقد والعالمى للوضع الطبقى أزمة مزدوجة : ازمة اليسار فى الأطراف المتردد بين وهم الاكتفاء بالتحرر الوطنى ، والميل الى اهداف اجتماعية اكثر راديكالية .

وازمة اليسار فى الغرب المتردد بين قبول النظام الرأسمالى ، والميل الى تجاوزه . كما يضاف الى ذلك ان أزمة اليسار على المستوى العالمى قد نتجت ايضا عن الحدود التاريخية للثورات الاشتراكية ، حيث ساد « منطق الدولة » فى الاتحاد السوفييتى ، واخذت الصين فى التسويات مع الواقع الدولى واقتربت كثيرا من الولايات المتحدة ، ويتفاوت النموذجان من حيث الاتفاق على الانحياز الى صف « الطبقة الجديدة » ضد المصالح الشعبية . فالطبقة الجديدة من حيث التكوين تبرر فرض دكتاتوريتها على الجماهير باسم « التراكم الاشتراكى البدائى » أى نمو قوى الانتاج ، وباسم « الكفاءة او الفاعلية الاقتصادية » .

ولعل مرجع هذا الغموض او الالتباس فى فهم مايحدث هنا أو هناك هو العجز عن ادراك أن الصراع الطبقى ثلاثى الاطراف وليس تناقضا بين ضدين فحسب .

ويبادر المؤلف الى نفض يديه من الامل فى اليسار الغربى لان التمييز بين اليمين واليسار قد فقد مغزاه التاريخى



بتخلى الطبقة العاملة فى المراكز عن هدفها الاصلى .

ويتطلب المخرج اليسارى من الازمة اليوم اعادة توزيع الدخل لا فى صالح تلك الطبقات العاملة ، بل فى صالح الجماهير الشعبية فى أطرافه . ولن يتم ذلك الا من طريق قوة اجتماعية مشروطة بنجاح حركات تحررية فى أطراف النظام .

● ازمة اليسار العربى والصحوة الاسلامية ●

فاذا كان ماسبق منتميا الى الاقتصاد ، فلابد من الانتقال الى ميدان السياسة ، وهنا يثور السؤال : ماهى التفسيرات السياسية التى تدور حول فشل اليسار ؟ ان معظم اليسار لم يتوقع استحالة الاهداف التى طرحتها الناصرية خلال الستينيات وتحول التجربة تدريجيا الى مجرد ذيل للحركة البورجوازية للتحرير . فجاءت هزيمة ١٩٦٧ فجأة ثم انقلبت الاوضاع بعد ١٩٧٣ كأنها صدفة لا تفسير لها الا بتدخل عناصر خارجية ودوافع مزاجية لصاحب القرار . وأوضح دليل على قصور الماركسية العربية وعجزها عن ادراك طبيعة الصراعات الداخلية وارتباطها بالصراعات العالمية هو الرأى السائد الذى يرى ان البديل فى مصر بعد يوليو ١٩٥٢ اما اتباع نظام الحكم والتذيل خلفه ، واما تجاهل مقتضيات التحرر الوطنى .

بينما كان على اليسار ان يدرك ان البورجوازية ، مهما تكن امانيها ، فهى طبقة عاجزة عن انجاز مهام التحرير الوطنى . فالفترة بين ٥٢ ، ١٩٦٧ لم تكن مرحلة تحقيق التنمية على نحو مستقل ، ولكنها محاولة كتب عليها الاخفاق ليس من جراء مصادفة وعدوان خارجى ، بل نتيجة نواقصها الذاتية . وكان العدوان مجرد ((اشهار افلاس)) .

وما حدث بعد ١٩٧٣ لم يكن امرا غير متوقع ، بل كان ناتجا محتوما لما تراكمت فى أحشاء النظام نفسه من قوى اجتماعية وانتقل مركز الثقل فى البورجوازية العربية من فئتها المصرية المهددة من الجماهير الى فئتها البترولية الخليجية ، وفرضت الحماية الاستعمارية على المنطقة بأسرها بتآزر أداة المال البترولية واليد العسكرية للتوسعية الاسرائيلية معا . وتبع ذلك تشجيع التنازل عن الوطنية العربية لحساب انتعاش الانتماء الدينى ، وهو مايمكن أن يسلم بسهولة ويسر الى تكريس الانفتاح وتصفية القوى الاشتراكية والشعور الجماهيرى بالحاجة الى تحقيق الوحدة العربية .

ففى ظل الاخفاق فى ادراك هذه الأبعاد الاساسية لدى اليسار العربى ، والممارسات المشوهة للنظم الراديكالية ، والاجهاض العسكرى والعدوانى من الغرب واسرائيل ، كان لابد أن ترتفع أصوات مايسمى بالصحوة الاسلامية واعلان العودة الى السلف .

ويرى المؤلف ان هذه الحركة ليست اجابة عن المشكلات الملحة الراهنة بقدر ما هى هروب من الاجابة ، وهى هروب الى الامام كما يقول . وحديثها عن الخصوصية الاسلامية انما هو انكار لكل حقائق التاريخ الاوربى ، وعزوف عن فهم التاريخ العربى الاسلامى نفسه الذى تحول عندها الى مجرد انحراف عن المبادىء لا تجهد نفسها فى تفسيره بقدر ما تقنع بالاعتراف به فحسب .

فلا يهم السلفى أن يعرف لماذا اصبحت الامور على هذا النحو ، بل مايهمه هو معرفة ما اذا كانت مطابقة للمبادىء . وهو بذلك يتجاهل الاسئلة التى يطرحها المؤرخون ، ولا يسمح لنفسه بالخروج من دائرة البداهة فى حديثه المكرور عن المبادىء وهو التمرين الذى يفضله السلفى دون أن يضيف شيئا لكشف منطق هذه المبادىء التى تسمح بطبيعتها بمرونة هائلة تتيح لكل القوى المختلفة أن تنضوى تحت رايتها .

الا ان عنصرا يكاد يكون مشتركا بينها جميعا هو « الـــــرفض » الناشىء عن التعريف السلبى لوقائع التـــاريخ الذى يجعلها جميعا شيئا غريبا ونتاجا غـــير اسلامى وكفى .

ومن ثم فان السلفيين يرفضون طرح الاسئله ، أو وضع المشكلات فى اطارها الاقتصادى أو السياسى أو الاجتماعى ، بل يطرحونها فى اطار اللاهوت .

والاختيار الوحيد هو بين مجتمــــــع اسلامى ، ومجتمع غير اسلامى ، وبالتالى يستبدلون بالمواطن العربى ، الفرد أو الرعية الخاضعة للملة .

وهى فى نهاية الامر اشهار بالعجــز امام تحديات العصر ، لان التمسك بفهم جامد للدين ليس بديلا عن الاستسلام فى عالم الواقع ازاء الاعداء الحقيقيين . ولن يفرخ هذا الاتجاه الا موجات من التعصب المظلم وخاصة تجاه الاقليات . ولقــد اثبتت حوادث لبنان ، والحرب بين ايران الخمينى والعراق انها السبيل المؤكد الى مزيد من الطائفية والتجزئة التى يستهدفها الاستعمار ومعه اسرائيل .

● الخروج من الازمة ●

ولكى ماهو الطريق الى الحل والخروج من المأزق ؟

يقدم المؤلف مخرجا يســـميه برنامج الاصلاح الديموقراطى للمجتمع العربى ، يكون بديلا عن الحديث المجرد حـــول « التراث والتجديد » ، ويقوم على مواجهة مشكلات المجتمع العربى مواجهة مباشرة ، ومحاولة لتحديد برنامج الاصـــلاحات والتفسيرات اللازمة من أجل التقـــدم لاعادة بنائه وفقا لمطالب عصرنا .

ويضع المؤلف سبعة بنود بعدها اجابة من السؤال : ماهى الديموقراطية التى نحن فى حاجة اليها فى المرحلة الراهنة ؟.

● احترام المصالح الاجتماعية المختلفة لمجموع الفئات المشتركة فى البناء الاجتماعى الوطنى .

● وربط مشكلة الديموقراطية بالمشكلة القومية باسترجاع الشرف القومى وتأمين الامل وحرية اختيار المستقبل للشـــعب العربى .

● وربط الديموقراطيـــة السياسية بالديموقراطية الاجتماعية بضمان قدر من المساواة والتضامن الاجتماعى وذلك تمهيدا للسيطرة الكاملة للشعب العامل عـــلى وسائل الانتاج والغاء نظام الطبقات .

● استكمال المجتمع المصرى من خلال اعلان مبادىء فصل الدولة من الدين . فالعلمانية هى الوسيلة الوحيدة لحفظ المبادىء الدينية من التزوير الناجم عن تدخل المصالح الاقتصادية الطبقية والحكم السياسى .

● الاخـــذ بمبادىء الديموقراطيـــة السياسية الكاملة أى الاعتراف دون تحفظ بحقوق حرية التنظيم السياسى «الاحزاب» والتنظيم الاجتماعى « النقـــابات .. » وحرية الصحافة والنشر .

● ينبغى ان تكون السلطة السياسية نتيجة اختيار حر للجماهير فى ممارسات سياسية صحيحة تحول دون التشبث بالحزب الواحد واشباهه .

اعادة النظر فى نظم الحياة الاجتماعية وخاصة نظام الاسرة والعـــــلاقات بين الجنسين ، وكذلك مراجعة مضــــــمون التعليم والثقافة والاعلام بما يتفق مع تطوير المجتمع وازدهار روح المبادرة على جميع المستويات .

ومهما يكن من امر هذه البنود ، فهى دعوة من الافلات من «الانحطاط» الذى يعنى لديه العجز من التكيف مع الاوضاع الجديدة على المستويين العالمى والمحلى .

ويرفض أن يكون المخرج مؤديا الى نوع اخر من « الجمود » الذى يعنى الانغلاق فى اطار الايديولوجية ، أو يكون الايمان الثورى مرادفا لحجب الاعتراف عـــن « الشرعية السائدة » وبالتالى الدعوة الى العنف . فشكل النضال ، كما يقول ، مسلحا كان أم سياسيا ، فى اطار الشرعية او خارجها ، انما يتوقف على الظروف العينية الملموسة . فهذه المشكلة تنتمى الى اشكالية التكتيك فى الممارسة ، وليس الى جوهر الطـــابع الطبقى للحركات الاجتماعية .

شخصية العدد

معمر القذافى

يضيع أهدافاً استراتيجيّة لأخطاء تكتيكيّة !

فيليب جلاب

العقيد معمر القذافى مثل غالبية الزعماء العرب وزعماء العالم الثالث الذين يتولون السلطة بالثورة او الانقلاب ولان الديموقراطية بمعناها المعروف نوع من « الترف » ليس من السهل توفره واعداد حكام المستقبل من خلاله ، فان كل هؤلاء الحكام يتعلمون ادارة شئون البلادوالعباد واصول الحكم من خلال الحكم نفسه .

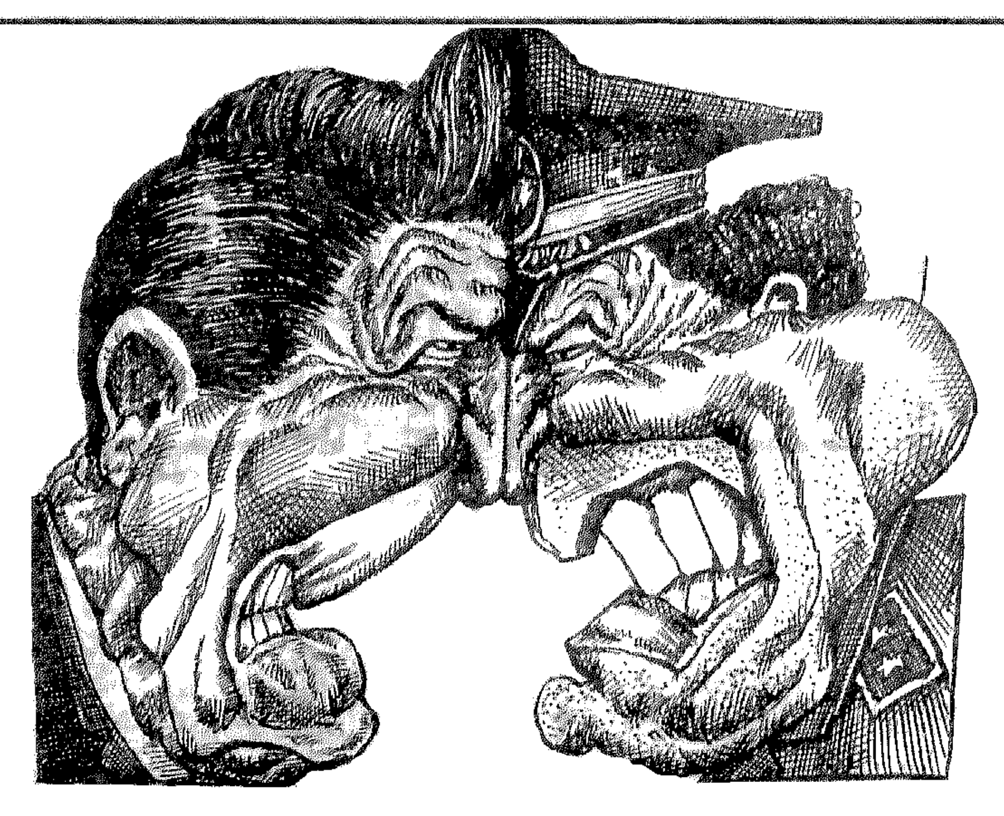
وليس فى هذا عيب الا انه اصبح كالقدر الذى لافكاك منه .وليس هنا العيب ان يتعلم الحكام من خلال الحكم. والعيب هو ان لا يتعلموا !

ومع توفر حسن النية والحماسة القومية والتطلع الى استغلال هذه الاية وحرية ارادتها تختلف درجة التعلم من حاكم الى اخر وفقا لظروف وطبيعة البلدان والمزاج النفسى للحكام .

ومن البداية حتى النهاية علينا أن نقرر ان « اخطاء » معمر القذافى لا يمكن ان تنسى « بجرائم » الذين يتصيدون لتصفيته فى الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل . وتوضح ما يقال عن « تورط » القذافى فى عمليات « ارهابية » ضد الامريكيين والاسرائيليين فهى نقطة فى بحر من الدماء الذى اغرق فيه الامريكيون والاسرائيليون شعوبنا تعذيبا وقهرا وعدوانا واضلالا .

خطأ القذافى اذن هو محاولته احيانا تقليد اساتذة فن الارهاب فى العالم على نطاق ضيق وبأساليب بدائية لا تأخذ بأحدث ماوصل اليه علم الاجرام الامريكى والاسرائيلى الرسميين !

وخطؤه الاهور فى نطاق أمته العربية هو رؤية لونين نقط هما الابيض والاسود



من بين عشرات الالوان والظلال . وكل من ليس معه وبأسلوبه فهو خارج عن الصف « متخندق » مع العدو !

والاخذ بالابيض او الاسود فقط يدفع القذافى ذا المزاج النفسى الحاد الى الانتقال احيانا من اقصى اليمين الى اقصى اليسار ومن اقصى الشرق الى اقصى الغرب او العكس .

وفى امة مرت بأهوال تاريخية وتمزقت « شذر مذر » كما يقال لابد فى كثير من المواقف ان يجد معمر القذافى نفسه وحيدا حتى بالنسبة للذين يؤمنون بنفس الاهداف والشعارات ويتطلعون الى مواجهة تاريخية حاسمة مع العدو .

وفى ظروف وتوازنات عالمية غاية فى التعقيد يصبح الهدف « الاستراتيجى » النبيل بدون « تكتيك » ملائم مدعاة الى السقوط فى فخ الاعداء او استعداء الاصدقاء والحلفاء ودفعهم الى الجانب الاخر فى اغلب الاحيان ، حتى لو كان ذلك بصمتهم !

ولذلك يتكاثر الاعداء ضد معمر القذافى ليس بوصفه « ارهابيا » كما يدعون لكن لانه صوت صارخ فى « برية العرب» يصيب استراتيجيا فى الاغلب ويضيع كل ما يصيبه يوما بيوم !

وفى هذا الخصوص ينال القذافى من نفسه اكثر مما ينال منه اعداؤه واعداؤنا ولمن يريد التحقق من هذه المعادلة السهلة عليه ان يرجع الى التاريخ المعاصر ابتداء من الحرب العراقية الايرانية وانتهاء بالعدوان وما بعد العدوان على خليج سرت التابع للجماهيرية العربية الاشتراكية « العظمى » !

الطوق والإسورة بين الفيلم والأسطورة

بقلم : مصطفى درويش

لو وضعت "الطوق والأسورة" فى كفة الميزان ، ووضع فى كفته الأخرى أغلب ماكتب من أدب القصة عندنا عقب زلزال الخامس من يونية "حزيران" لرجحت فى ظنى كفة قصة يحيى الطاهر عبدالله .
ومن هنا صعوبة التحول بها الى لغة السينما شأنها فى ذلك شأن أية رائعة من روائع الأدب العالمى .

وعلى كل ، وقبل الكلام عن الفيلم ، وكيف أقدم "خيرى بشارة" على إخراجه عن سيناريو استوحاه بالاشتراك مع الدكتور يحيى عزمى عن "الطوق والأسورة" ، أرى من اللازم الوقوف قليلا أولا : عند صاحب القصة ، وثانيا : عند الإبداع فيها .

● الكابوس الأسود ●

مرّ يحيى الطاهر عبدالله بهذا العالم مرورا سريعا ، فلم يعش فيه إلا ثلاثة واربعين عاما أنفق جزءا غير قليل منها فى الطفولة والصبا متأثرا بما حوله فى قرية الكرنك . مركز الأقصر حيث ينام الرجل الصعيدى وبندقيته وزوجته واولاده والحمل والبقرة والكلب والحمار فى حجرة واحدة .

وحيث تسلك الذئاب والثعالب تلك الدروب الضيقة على المارة . وحيث يتعذر على الغريب ان يميز الآدمى من الوحش والناس والاشياء .

● أيام فى المدينة ●

وبعد الحصول على دبلوم الزراعة المتوسطة ، أنفق بعض هذا الأمد فى مدينة قنا حيث التقى بالشاعرين عبدالرحمن الابنودى وأمل دنقل ، وحيث كان محاصرا بالسكون والظلمة والتعب ،



شيريهان « فهيمة » قبل الزواج من الحداد فى « الطوق والاسورة »

وحيث أحس بأن روحه منهكة ، وأنه فعلا مضطهد ومقهور ، وإنه حقيقة يتعذب .

فلما رحل (١٩٦٤) بجسم نحيل وعينين براقتين وكلام مهتاج من الصعيد الى القاهرة كى يظفر بشىء من الحياة الفنية المستقلة ، لم يلتمس عملا آخر غير كتابة القصة القصيرة يكسب منها القوت .

ورفض النصيحة "خصوصا من الجيل السابق ، لأنه مؤمن بأنه يفتح صفحة جديدة بريئة من الرتابة والصنعة وشكوك التقليد والاقتباس من بعيد لبعيد" .

● الجثـــة ●

ثم لا يكاد الربع الرابع من القرن العشرين يتقدم قليلا حتى يكون قد حقق لنفسه فرحه الخاص بما كتب ، فالكتابة بالنسبة له "متعة كما هو الاكل" ، وحتى يكون بعين مملوءة بالدمع والدم على موعد مع ملاك الموت فى سكة القاهرة ـ الواحات سنة ١٩٨١ (٩ ابريل)

وهاهو ـ بعد ان تمكن الموت من الريح وفرغت الحدوتة ـ يعود طائرا ـ وهو الذى لم يدخل الطائرة سوى نعشه ـ الى مسقط رأسه الكرنك حيث رأت عيناه المضيئتان النور لأول مرة ، وحيث دفن مع الشمس وكفّن بالضباب .

وهاهو محلقا يسمع لآخر مرة صوت "الابنودى" فى ختام عدّودة يناجيه "دى .

الطوق والإسورة

مش نهايتك . يايحيى .. يمكن تكون دى البداية"

● شمــــوس ●

أظهر مايمتاز به قصص يحيى الطاهر من الخصائص انه يصور الموت والقلق من مكر الدنيا الذى يوشك أن يبلغ اليأس .. وأين ..؟ فى قرية هى الكرنك فى الاقصر اى "طيبة القديمة" ، وعنها قال يحيى فى حديث صحفى لعله الأول والأخير "ارى أن ماوقع على الوطن وقع عليها .. وهى قرية منسية منفية ، كما أنا منفى ومنسى .. كما أنها ايضا قرية فى مواجهة عالم عصرى .. إذن عندما ابتعد عن قريتى أسعى إليها فى المدينة ، وأبحث عن أهلى وأقربائى وناسى الذين يعيشون معى .

وأنا لا أحيا إلا فى عالمها السفلى .. فحين التقى بهم نلتقى "كصعايدة" وكأبناء "كرنك" ، ونحيا معا ألمنا المصرى وفجيعتنا العربية وبعدنا عن العصر كشخوص مغتربة .

وأحداث "الطوق والاسورة" ـ التى هى واحدة من نفائس عقد يحيى ـ انما تدور وجودا وعدما فى قريته هذه ، لا تخرج منها أبدا .

● عطـر الحبيـب ●

فحتى "مصطفى" البطل الغالى الغائب عن جحيم الكرنك بعيدا فى السودان ومن بعده فلسطين فالقنال ، والذى لا نراه خلال الايام التى طويت من أعمار افراد أسرته الصغيرة ، وذلك لأنه لا يعود إلى القرية إلا قريبا من النهاية ، يعود أميا كما كان ، وفوق هذا مهزوما مهانا ، حتى هذا البطل الغائب الغالى نحس به وكأنه حاضر فى القرية ، فهو فى عقل الأب "بخيت البشارى" الذى صار بعد العمر الذى مرّ كالقفة .

وهو فى قلب الأم "حزيْنة" الملهوفة التى تخطف رسائله من السودان أرض السحر والاحجبة والمهدى المنتظر ، ومن فلسطين الشام جنة الله فى الأرض تسلل إليها اليهودى كاره العربى ، تخطفها لتشمّها وتقبلها ثم تدسها فى الصدر الحنون .



يحيى الطاهر عبد الله

وهو فى حواس الأخت "فهيمة" التى تحبه ، تتذكر وجهه . الرجل يطفر بالدم الاحمر الدافىء ، والعروق فى رقبته تنفر وتكاد تنفجر .

● ولادة أسطـورة ●

وهنا وقفة أخرى لابدّ منها ، ذلك أن "الطوق والأسورة" بما انطوت عليه من كشف مافى نفس صاحبها الغنية ، ومن فضح مافى الحياة التى تكرّ حوله فى الكرنك من فقر وضحل وبشاعة وغثيان لم تخرج الى الناس كاملة غير مفتوحة كما هى الآن .. بل خرجت مبتورة فى شكل قصتين قصيرتين من مجموعة الدف والصنـدوق (١٩٧٤) تحت اسمى "الشهر السادس من العالم الثالث" و "الموت فى ثلاث لوحات" .

وهـاتان القصتـان تشغلان تسـع صفحات إلا قليلا ، فى حين ان "الطوق والاسورة" تزيد صفحاتها على ذلك بكثير حتى تبلغ سبعة اضعاف هذا الرقم او يزيد .

ويبدو من الاطلاع عليهما أن "يحيى" قد باشر تأليفهما ، وليس فى رأسه غير فكرة واحدة وهى أن يصور كيف رحل انسان بعيدا مع رجال التراحيل ، وكيف أثرت غربته هذه على اسرته حتى انتهت بافرادها جميعا الى موت اكيد .

وبغتة ـ أجل بغتة ـ فتق له ان يعود إلى حكاية الغائب والموت ، وأغراه بالغ الإغراء أن يتخذ من مصطفى ومأساته ترجمانا لافكاره ، فيصور ماكان من شأنه مع أبيه وأمه وأخته خلال أعوام من العناء المتصل والشتاء المقيم صرفوها فى الكرنك ، والمسافات تباعد بينهم والزمان يعاديهم .

فكان أن اقبل على كتابه "الطوق والاسورة" (١٩٧٥) ، وقد امتلأ خياله صورا لأهل بيت مصطفى فى غربته . وبسحر ساحر تهيأ له القالب الذى يريده والشخصيات التى كان يفتش عنها .

فكان أن تخلّقت شخصيات بنت الأخت "نبوية" ـ فى الفيلم أسموها "فرحانة" لا أعرف لماذا ؟ ـ وابن الشيخ الفاضل والحداد العاجز وشقيقته الحدادة الماكرة وابنها السعدى العاشق ومحمد الشرقاوى الصحفى .

● لعنـة الطاحونـــة ●

ولكن لم يكن بينها صاحب الطاحونة "منصور الصادق" (أحمد بدير) تلك الشخصية التى تلعب دورا محوريا فى الفيلم . فمن اين جاء ؟

لصاحب "الطوق والاسورة" قصة قصيرة اسمها "طاحونة الشيخ موسى" نشرت ضمن مجموعة "ثلاث شجيرات كبيرة تثمر برتقالا" (١٩٧٠) ،

وبطلها بنصف عين فقط ، عثر على ماكينة طحين نصف عمر .

وبعدها جاءته المتاعب تباعا بسبب كلام فارغ عن أطفال لابدّ وأن يرمى بهم داخل الماكينة حتى تدور .. كلام يتردد صداه رجفة بقلوب آباء يعبدون الأبناء ، وأمهات يفضلن تعب المشوار وشتاء العمر ولا المصيبة فى الولد .

وحول هذه المتاعب تدور القصة التى تنتهى بانتصار صاحب الطاحونة بفضل بركات الشيخ موسى .

ولعل هذا الانتصار فى المواجهة بين معتقد اهل القرية فى ان الماكينة لا يـ[illegible] ◄

الطوق والإسورة

ان تدور دون التضحية بطفل ومعتقدهم الثابت فى بركة الشيخ .. لعله هو الذى حدا بالأديب الراحل الى استبعاد الطاحونة وحكايتها تماما من حلقة الطوق والاسورة الجهنمية التى تحيط بشخصيات القصة ، وهم مسلوبو القدرة على مواجهتها حتى ينتهى بهم الأمر الى موت سخيف حقير او حياة مرّة بائسة .

وقد لا أكون بعيدا عن الصواب إذا ماقلت ان حشر هذه الحكاية فى سياق السيناريو ساو بالفيلم القهقرى ، ورجع به الى وراء .. كيف ؟

لأنه كان على حساب الروح التى يشعّها "الطوق والاسورة" ، ولأنه أدى إلى بعض الغموض والاضطراب فى السرد بحيث كثيرا ما اختلطت الامور .

ومهما يكن من شىء ففيما عدا هذه الهفوة التى كادت تكون قاتلة ، فالفيلم كان فى معالجته لأحداث درّة يحيى الطاهر أمينا الى حدّ كبير .

فهو يبدأ كما القصة بالأب "عزت العلايلى" كالقفة تحملها زوجته "حزينة" "فردوس عبدالحميد" وابنته "فهيمة" (شيريهان) من الشمس الى الظلّ ومن الظل الى الشمس .

وينتهى كما القصة بالابن "عزت العلايلى" ـ يقوم بدوره علاوة على الاب لا أعرف لماذا ؟ ـ ساقطا من عداد الرجال ، شاحرا كالذبيحة .

وفيما بين البداية والنهاية يحدثنا الفيلم كما القصة عن الاب كيف تخلص من الاوجاع والعمر المكروه بالذهاب الى الله الرحيم .

ويحدثنا عن ابنته فهيمة ، وقد عقد قرانها على الحداد الهامد " احمد عبدالعزيز " الذى يوسعها ضربا لأنه لا يستطيع ان يفلح أرضا ، ومن ثم ينفلت فى بكاء مرّ .

وحين تعلم "حزينة" بحال ابنتها هذه تذهب بها الى المعبد القديم المشيّد من الحجر الكبير حيث ينشرخ إناء ، وتنمو خرافة الاسطورة فى رحم "فهيمة" ، فيطلقها الحداد ، وتنجب طفلة "فرحانة" ثم لا تلبث ان تصاب بحمى يتعذب لها الجسد ولا يستريح إلا بالموت .

● الخيوط تتشابك ●

وكذلك يحدثنا عن فرحانة "شيريهان مرة أخرى "! يتيمة من الام والاب الذى مات محترقا بفعلته مع زوجته الجديدة بنت الصياد .

إنها صبية فقيرة لا تكاد تميز الاشياء .. تعيش حياة ضيقة ضئيلة .. تسعى مع جدتها على رزقها فى بيت الشيخ الفاضل حيث حدث الذى لا يقدر على منعه أحد حين يختلى ولد ببنت مولعة به .

فلقد انشرخ الإناء مرة اخرى ، ولكن عن غير طريق الاسطورة .

وطبعا نقلت "حزينة" الخبر المفجع



عـزت العلايلى ، فى دور الاب والابن

لابنها "مصطفى" الذى أشبع بطن "فرحانة" بما يحمل من حرام رفسا بقديمه ، وتركها كوم لحم مهشم العظام حتى انتهى من حفر حفرة أنزلها فيها ، وأهال التراب على جسمها حتى العنق ، ثم تركها على هذه الحال حتى تموت ، وحتى تبوح بمن فعل .

ويعلم بالخبر العاشق "سعدى" ابن الحدادة .

وفى مشاهد ـ ماأظن ان لها مثيلا فى الجمال المقترن بالقسوة طوال تاريخ السينما فى الوطن العربى ـ يحرر السعدى "فرحانة" من اسر الارض يحملها كما المحبين الى الطاحونة لا ليعتلى الفرس وينطلق بها فى دنيا الله كما كان يحلم ، وانما ليحصد بالمنجل العنق الشامخ .

كل ذلك يحكيه الفيلم بلغة سينمائية راقية بفضل مخرجه "خيرى بشارة" ، وبفضل كاميرا المصور الموهوب "طارق التلمسانى" .

ولولا هفوة الطاحونة وماصاحبها من ظلال لبدت حسنات "الطوق والاسورة" ساطعة وقّاجة .

اللغة العربية

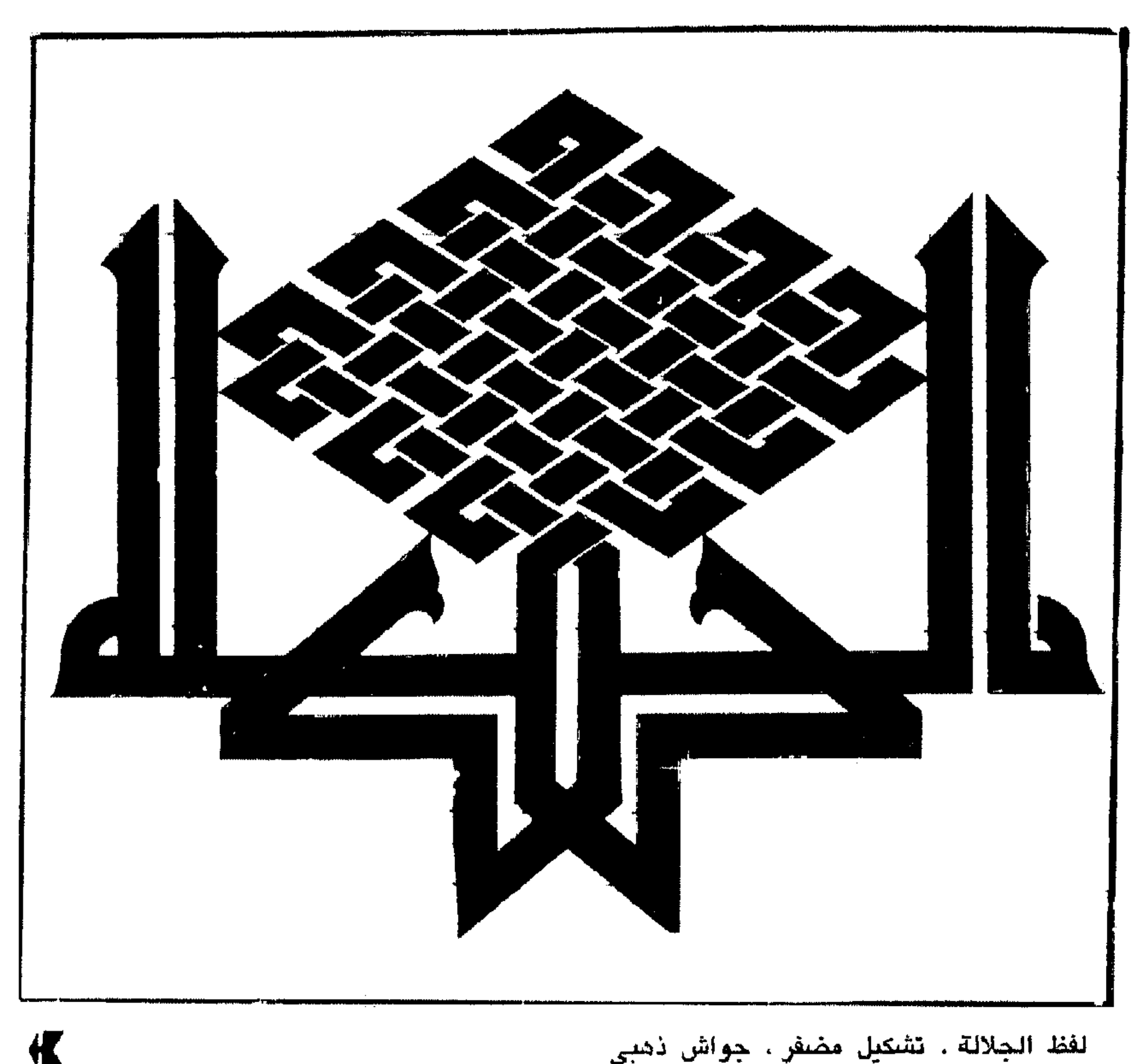
بين الصّوت المنطوق.. والفعل الجمالى

بقلم : أحمد فؤاد سليم

● **مدخل إلى "اللغة" :**

لعل اللغة هى بحق الوسيط الأول للحضارة الإنسانية . فإنه بدون اللغة يصعب علينا "فعل" الاتصال مع الآخرين ، ومع العالم . كما وأنه بدون اللغة ، يصعب علينا جمع الذاكرة ، وتكوين الخبرة الإنسانية ، وبالتالى بث المخيلة الابتكارية .

وحينما نتحدث عن اللغة ، لانقصد إليها على اعتبار انها منطق لأنماط المعانى المتواترة بين مجموعة الألفاظ كما يقول برتراند رسل ، ولا باعتبار أن « اللغة » معنى كما يقول فتجنشتين (١٨٨٩ ـ ١٩٥١) ، ولا باعتبارها صوتا لسانيا يرتبط ببنية اللغة كما يعبر عنها عالم اللغويات فرديناند دى سوسير (١٨٥٧ ـ ١٩١٣) ، ولا باعتبارها منظومة « صناعية » تتمثل فى لغة العلم كما يزعم هيجل . ولاحتى باعتبارها بنية متواطئة مع المعنى فى صميم اللفظ المباشر ، وإنما نحن نقصد اليها ـ بالاضافة الى كل ماسبق ـ على اعتبار أن اللغة هى بنية « إنسانية » يلزم أن نتصل بها اتصال الفاهم لمكنونات معنى اللفظ المكتوب . فان « اللغة الانسانية » زاخرة بنقيض « الدالة » الكلامية وأن الغموض والخلط المفترض فى هذه الحالة ماهو الا جانب ضرورى من بين المكونات البنياوية لأية لغة



لفظ الجلالة . تشكيل مضفر . جواش ذهبي

ومادام الأمر كذلك ، فإن الصوت هو عنصر أساسى فى محمول المعنى ، وبأن الكتابة هى مجموعة علامات ، ورموز للمنطوق والمسموع ، وبأن « طريقة » الكتابة من شأنها أن تبث إشارات نوعية للمعنى ، مثلما يكون من شأنها أن تطلق العنان للصوت المنطوق ، ومقاميته ، فنجعله قصيرا أو طويلا ، وذلك بقدر ماتكون عليه المسافة المادية والزمانية بين بعض حروفها . فنجعله كذلك ضاما أو فضفاضا ، قاطعا أو إنسيابيا ، متقطعا أو موصولا . هامساً أو زاعقاً . مكتوما أو مزمجراً . سريعا وشديد السرعة أو بطيئا متناهيا فى البطء ، متداخلا أو مستقيما .. بل وحتى هزلياً ومأساويا إذا كان لذلك من سبيل .

وحين نسوق هذه الخصائص الحية لانقصد الى نوع الخبرة الانسانية ذات الطبيعة الايمائية أو التمثيلية التى يكون على نسقها مستوى الناطق حين يتوسل

اللغة العربية

« بالصوت » للتعبير عن ذاته » ـ وإنما نحن نقصد إلى تلك الاشارات الصوتية المقامية التى قد تمليها أنواع كتابية بعينها على من ينطقها .

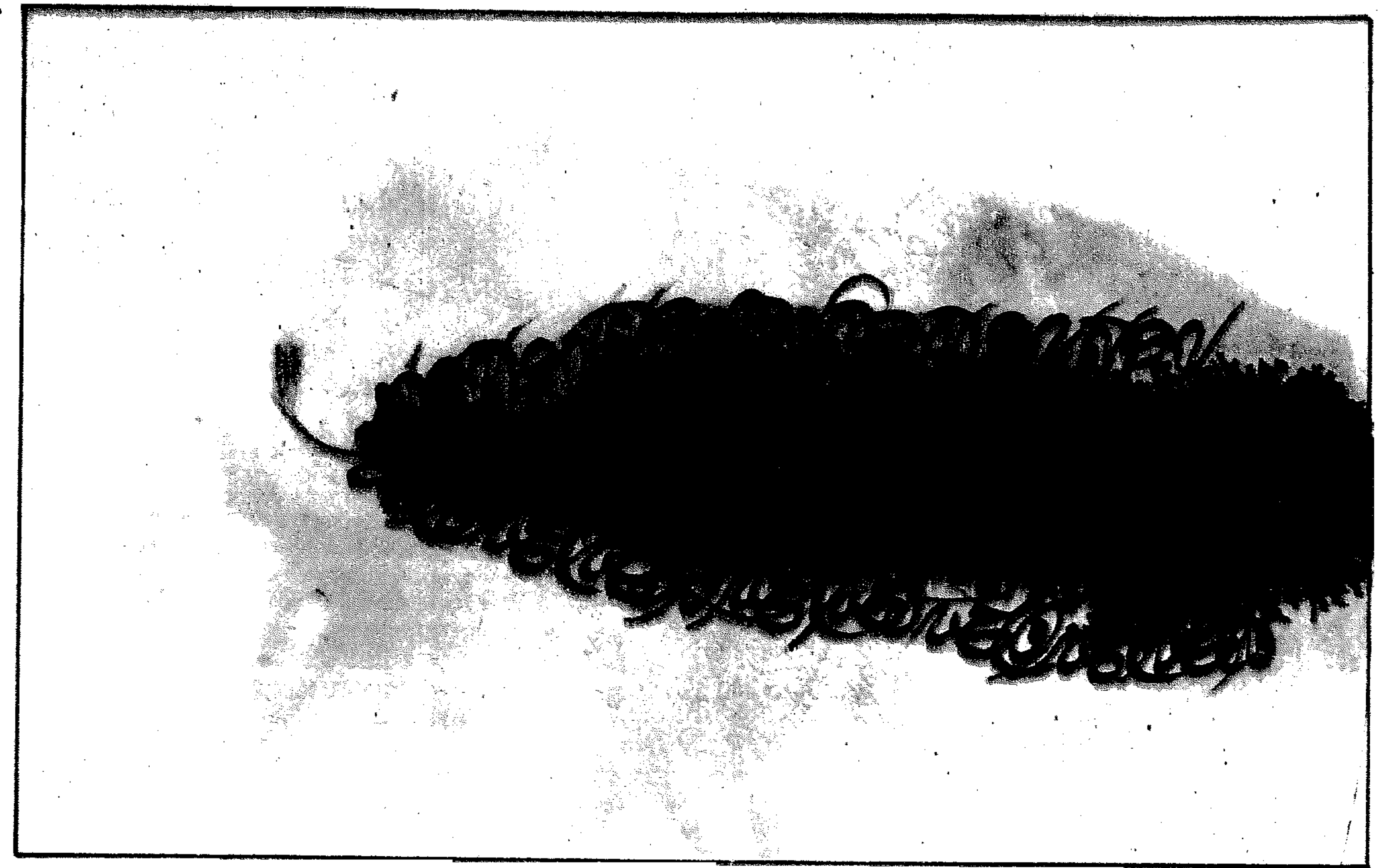
واللغة العربية المكتوبة . فضلاً عن أنها لغة ذات نسيج "بنيلوى" غارق فى القدم ، نجد أن أصولها التصويرية قد أكسبتها نطاقاً غنياً بالخصائص الجمالية البصرية ، والصوتية ، فى مقابل اللغات اللاتينية التى انحدرت فى أغلب الظن من أصول إيمائية للإشارات الإنسانية .

وليس غريباً أن يغفل جانب من علماء المستشرقين فى اللغويات ، والفلاسفة الغربيون تلك الدلالات الخاصية للغة الكتابة العربية ، ولطرائقها . ونحن حين نلتمس العذر لبعضهم ، فإنما ذلك يعود إلى حجم تفهمنا لنوع القصور ـ غير المتعمد غالبا ـ الناجم عن عجز فى القدرة على اختراق عالم هو فى الواقع شديد الخصوصية لطبيعة التكوين العربى ، كما أنه لصيق إلى أبعد مدى بالبنية التراثية بجملتها . ذلك أن اللغة العربية ليست فقط لغة منطق ، أو علم ، أو معنى ، أو اتصال ، ـ بقدر ماهى حياة كاملة . وهى حياة كاملة لأنها ليست ترتيبياً منتظما فى الذاكرة نأخذ منها حين يعوزنا الأخذ ، بل إنها عنصر شبيه إلى أن يكون عضوياً ومستساغاً فى صميم تكوين الشخص العربى . فليس غريبا أن نعثر على عواكسها القوية ليس فقط فى نطاق التكوين العنصرى لأصحابها ، وإنما أيضا نعثر عليها متشيئة فى مذاهبهم ، وسلوكهم ، وأزيائهم ، وتقاليدهم ، وعقيدتهم ، ونظام مدنهم ، وفنونهم ، وعمائرهم ، بل وصفاتهم اللصيقة بهم ، اينما حلوا حلت معهم .

● نظرة على الأصول البعيدة ●

على أنه من الواضح أن هنالك كثيرين ممن يخلطون خلطاً جزافياً بين الخط العربى ككتابات قدسية ، وبين منابعه . كما أن هناك من يخلطون بين اللسان الاسلامى للغة القرآنية ، وبين مصدر اللسان العربى . ذلك أنهم حين يأخذون الأول بأسباب الثانى أو العكس ، فإنهم يقعون فى خطأ يتعين رده وتصويبه . بل إن أكثر مايذهبون إليه فى مجال مايطيقون هو اعتبارهم لعربية الزمن الجاهلى فى غضون ما لا يزيد على قرنين قبل الإسلام . مع أن علماء اللغات وفلاسفتهم قد اجتمعوا على دحض ذلك الخطأ بصورة غير قابلة للجدل ، إلا أن ذلك الخطأ لايزال شائعاً بين العوام ، بل وبين أولئك الذين حازوا على قسط من التعليم المتميز .

ويقول الدكتور محمد عبدالعزيز مرزوق فى كتابه القيم تحت عنوان "الفنون الزخرفية الاسلامية" "ط ١٩٧٤ ص ١٧٢" مايلى : (اشتق الخط العربى من الخط النبطى الذى اشتق بدوره من الخط الأرامى . والأنباط هم قبائل عربية كانوا فى أول أمرهم يعيشون عيشة التنقل فى البقعة الممتدة بين شبه جزيرة سيناء وفلسطين) ، ثم يضيف الدكتور مرزوق (وتعلّم الانباط فيما تعلموا الخط الأرامى وكتبوا به لغتهم العربية) ، ثم يضيف



اية قرانية .. محاولة تحديث من الفنان

اللغة العربية

(ثم اتسعت الهوة بين هذا الخط الارامى الأصلى حتى أصبح له طابع خاص عرف من أجله بالخط النبطى ثم تطور هذا الخط النبطى حتى فقد صورته الأولى واصبحت له صورة جديدة يمكن آن نعتبرها أول صورة للخط العربى) ـ ثم يقرر عالم اللغويات أ . ولفنسون فى كتابه "تاريخ اللغات" ص ١٦٨ قوله (إن من مميزات اللغة العربية انها تشتمل على عناصر قديمة جداً من اللغات السامية الأصيلة . وهذا يدل على أن اللغة العربية كانت موجودة فى مهد اللغات السامية أو فى ناحية قريبة منها ، أو أن العناصر التى نزحت إلى البلاد العربية كانت من أقدم الأمم ..) ، ثم يذكر أمين مدنى فى كتابه "التاريخ العربى وبدايته" ط ١٩٨١ ص ١٤٩ (إن اللغة العربية هى أصل للغة البابلية ، وفى اللغة العربية كثير من الكلمات التى مازالت حية منذ آلاف السنين مثل أليم ، آرخ ، أم ، أخ ، امه ..) .

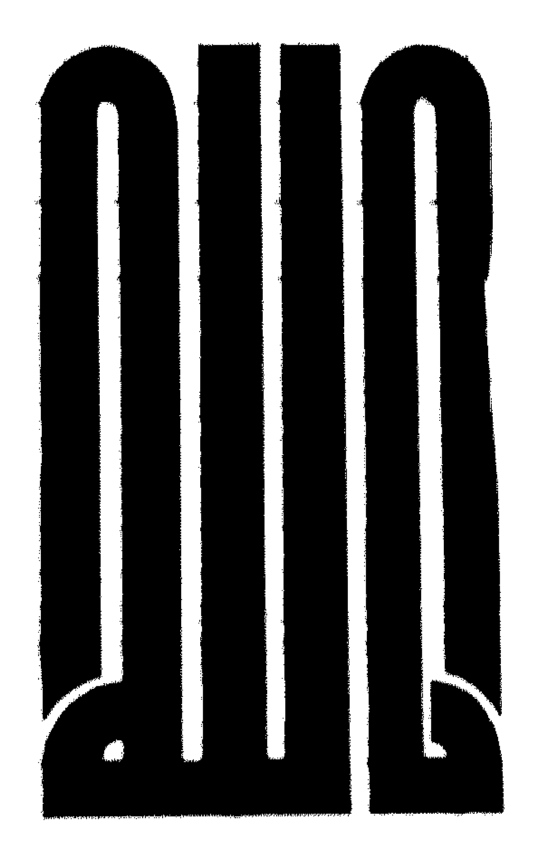
● الفنان مصطفى عبدالرحيم وفـن الخـط العربـي ●

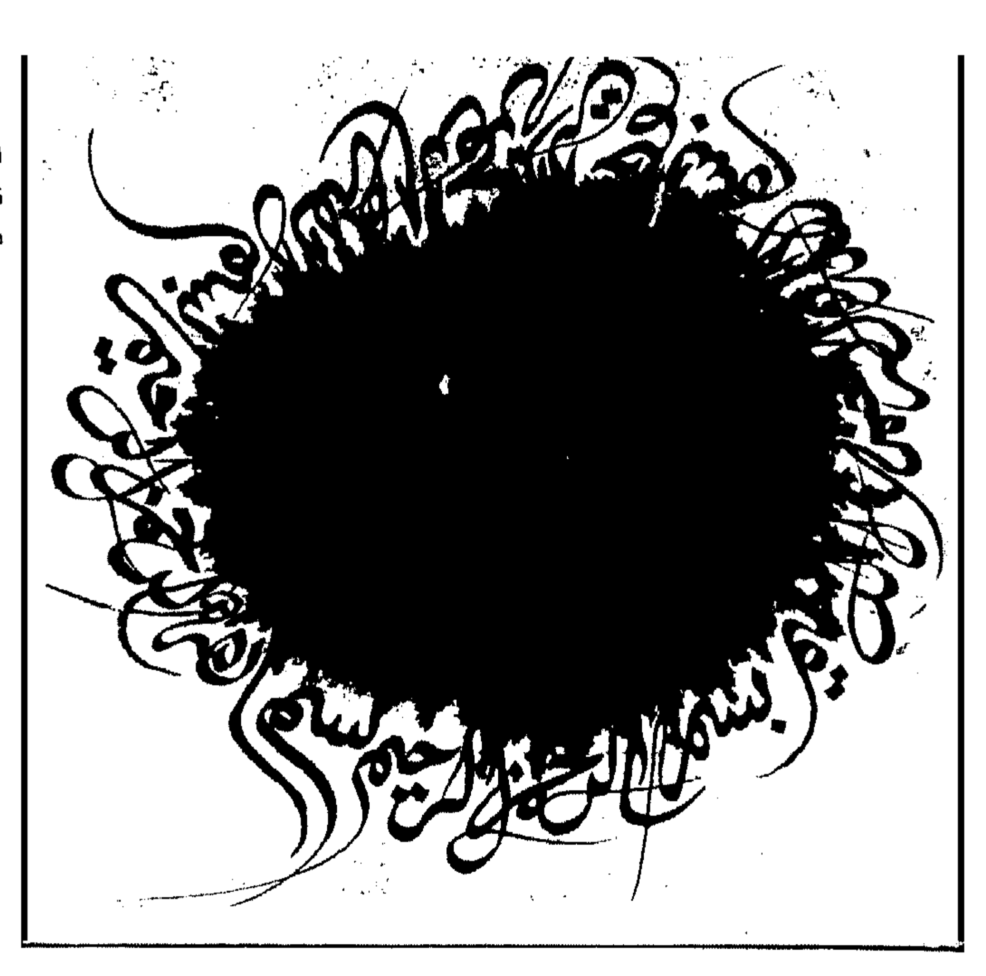
لقد هدفنا فى العجالة السابقة الى ان نلقى بصيصاً من الضوء على الطبيعة البنياوية الثرية لعالم اللغة العربية المكتوبة ، وبخاصة فن الكتابة الوصفية للمعتقد الإسلامى . وأن نلمس ـ ولو باضيق سبيل ـ تلك الخصائص اللغوية اللصيقة بتكوين الشخصية العربية عن طريق لغته ، بل وعن طريق الصفات الوراثية الاشتقاقية للفعل الجمالى المتمثل فى عمارة الكلمة العربية المكتوبة . ثم مايشير إليه ذلك من التدليل على مقامية الصوت المنطوق .

ولقد دفعنى إلى ذلك مجموعة الرسوم القيمة التى اتيح لى أن اشاهدها فى مرسم الفنان مصطفى عبدالرحيم مدرس الفن بكلية الفنون التطبيقية .

فلقد اطلعت على مايقرب من ثلاثة آلاف رسم فى مجـال لفظ "الجـلالـة" . و"البسملـة" ـ محـورة ، ومـدورة ، ومقطعة ، ومصنفة ، ومذهبة ، ومصحفة ، ومورقة ، ـ وكذلك متوافقة ، ومتبادلة ، ومضفرة متضادة ، ومعاكسة ومشطرة على نحو لم يسبق له مثيل .

قدم مصطفى عبدالرحيم ابتكارا صرفا للخواص التركيبية للغة الكتابة

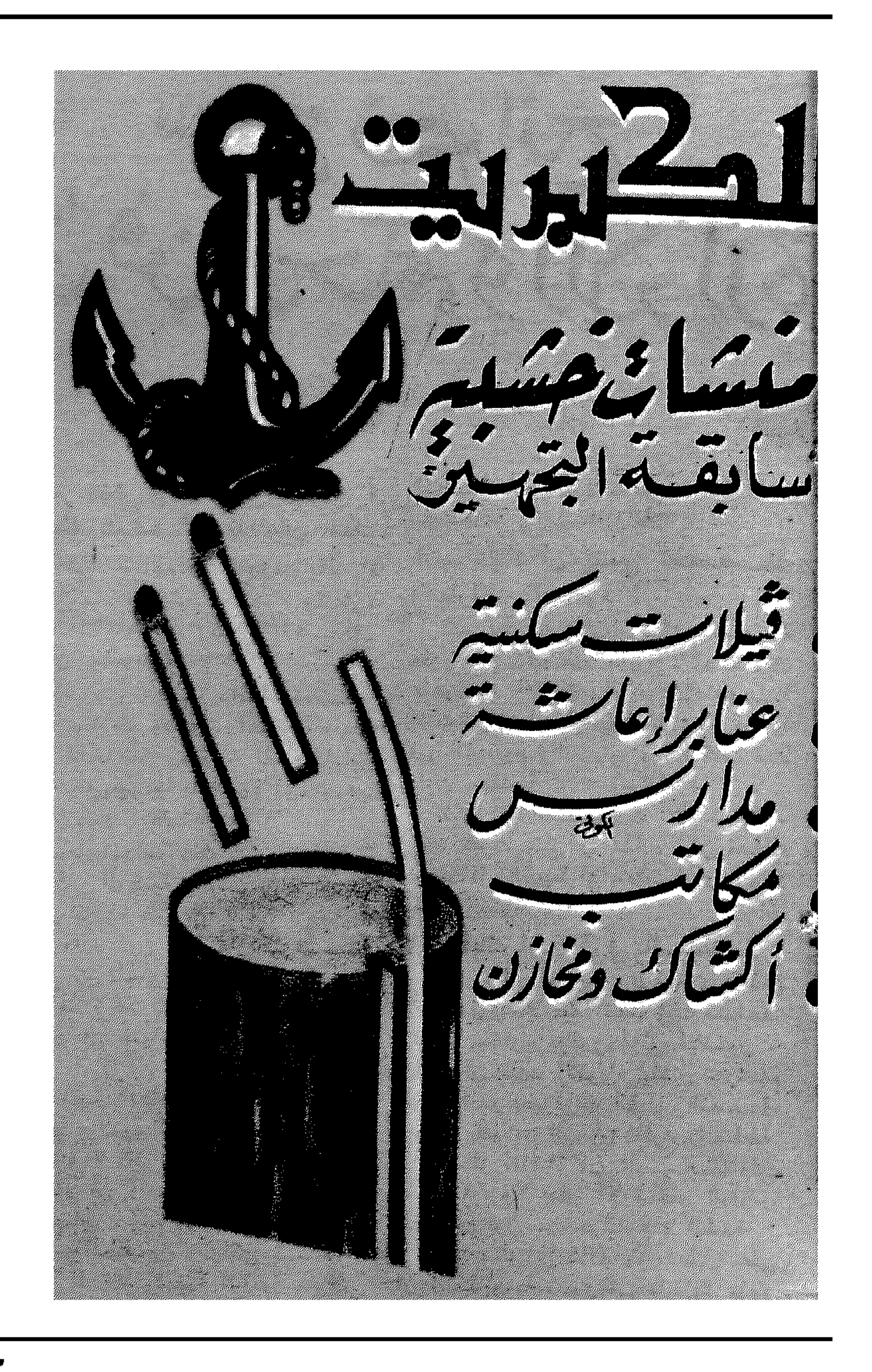




البسملة .. محاولة تحديث من الفنان مصطفى عبدالرحيم

العربية ، ليس باعتبارها لغة اتصال في الأساس ، وإنما باعتبارها مكنونا جمالياً صافياً له علاقة صميمة بالصوت كعامل مقامى مسموع . ويؤكد ذلك الدلالات القوية التى تمتاز بها الكتابات الشكلية العربية على ماعداها من اللغات . فإن المد الحركى والتطويل البالغ لحرف الألف فى كلمة "سبحان" على سبيل المثال ،، لا يلغ قراءتها . ولكنه يضيف إليها ترجمة وصفية لحركة قائلها ولمقامية الصوت المنطوق بها ... فكلما طال الألف طال مدى الصوت ، فإذا انتهى الألف ـ مثلاً ـ نهاية تدريجية حتى يصير مدبباً فإن الصوت ينتهى بالطبقة المقامية الحادة . وفضلاً على ذلك فإننا نرى عمارة الكلمة ذاتها وقد اصبحت على هذه الدرجة العالية من القابلية المنوطة بالفعل الجمالى . ونستطيع الآن أن ندرك ـ قياسا على اجتهادنا فى الرأى ـ الكيفية الصوتية لعملية تقصير السين والباء والحاء حتى تتداخل مع حركة مد الألف الطويلة فيكون تلوين الصوت على نسق الشكل من الناحية الإيقاعية . كما أننا نستطيع الآن أن نتصور كيفية النطق "بالنون" التى يمكن وضعها ـ جمالياً ـ إلى جدار نهاية الألف ، أو فوقه مباشرة ، أو تحته مباشرة ، أو قريبة أو بعيدة عنه على خط أفقى متساو . أو تكون متسعة ولينة فى نسق شكلها كالإناء ، أو كالاسطوانة ، أو كالعمارة الحادة الأطراف .

ومع أن مصطفى عبدالرحيم قد استخدم كلمات ذات حس قدسى ، إلا أن ذلك الدور القدسى لم يكن ـ فيما نرى ـ غير ركيزة لبث عالم من الفن الخطى الرفيع يستحق من أجله الاشادة والتشجيع ●



لكبريت
منشآت خشبية
سابقة التجهيز
فيلات سكنية
عنابر إعاشة
مدارس
مكاتب
أكشاك ومخازن

سبع نصائح في فن الحكم والإدارة

بقلم : حافظ أمين

١ ـ حدد هدف منشآتك ، واجعله هدف كل العاملين معك

لا شيء يساهم فى النهوض بالمنشأة قدر انتماء العاملين لهـا ، ولا شيء يخلق الانتماء قدر وضوح الاهداف وايمان الناس بها .

لهذا يجب ان تبدأ دائما بتحديد هدف منشأتك بصدق واخلاص ، وأن تتأكد دائما من وضوحه للعاملين معك ، حتى يجدوا سعادتهم فى السعى الحثيث نحو الاقتراب منه .

واجعل أهداف منشآتك مرتبطة بالاهداف الوطنية والانسانية ، بحيث تزدهر المنشأة بازدهار البلاد ، وبحيث يزدهر العاملون فيها بازدهارها واحذر كل الحذر من تضارب الاهداف وتنافرها ، فلا شيء يفسد المنشأة ويفسدك فى النهاية قدر سياسة (فرق تسد) .

ولا تقصر أهدافك على الربح السريع والامور المادية ، فالاهداف الانسانية لا تقل عنها فى الاهمية .

واعلم ان المديرين فى المنشآت والمؤسسات ، هم حلقة الاتصال بين الحكام والمحكومين ، ولكى تكون أهداف الحاكم مفهومة للناس ، ولكى تكون أهداف الناس وامالهم معروفة للحاكم ، لابد أن يتصف المدير بالشجاعة وعمق الثقافة .

٢ ـ عليك ان تنسى تخصصك ومهاراتك الصغيرة :

لابد انك قد بدأت حياتك العملية ماهرا فى تخصص معين : لعلك كنت ماهرا فى الضبط والربط ، عندما بدأت حياتك العملية ضابطا . أو ماهرا فى التصميم والحساب ، اذا كنت قد بدأت مهندسا ... وهكذا .

تذكر انك أصبحت الان مديرا ، وانك كبرت على كل هذا ، وان تدخلك فى دقائق الضبط أو الهندسة أو غيرها يفسد المنشأة كلها .

٣ ـ اياك ان تنفرد بالسلطة :

ابعد عنك المنافقين والمتملقين ، الذين لا يتحدثون الا فيما تحب أنت سماعه ، والذين يخفون عنك حقائق الامور ، واياك ان تبعد الاقوياء وتشل حركتهم لمجرد انهم يصدقونك القول والنصيحة ، فينتهى بك الامر الى أن تنفرد بالسلطة ، والى خلو المنشأة من الكفاءات المخلصة ، ولا يبقى الا صغار النفوس الذين يهربون من حولك عند الشدة .

ولعل هتلر وأمثاله خير دليل على ان الدكتاتورية تحمل فى داخلها بذور الدمار ، أو على الاقل ، لا تحمل فى

داخلها بذور الاستمرار •

وتذكر دائما قول ابن المقفع :

« أعدل عن مشاورة من قصد موافقتك متابعة لهواك ••

أو من تعمد مخالفتك انحرافا عنك وعول على من توخى الحق لك او عليك »

اهتم بالابداع كما تهتم بالروتين:

واعلم انه بالنظام والروتين تضمن اتمام العمل بدقة وسرعة عاليتين ، وبالابداع والمبادأة تضمن جودة التغيير ، وحسن التصرف اذا دعت الحاجة الى الاستثناء والتطوير •

وهناك من العاملين معك من لا يطيقون الخروج عن الروتين ، فانتفع بهم فى حفظ النظام من التلاعب والتسيب •

واعرف كيف تخلق المناخ الذى يتعاون فيه الفريقان

اياك ان تكتفى بالعلم والحكمة دون الحزم والقوة :

العلم والحكمة لا نهاية لهما ، واذ انتظرت – لكى تبدأ افعالك واصدار قراراتك – الى أن تستكمل عندك من العلم والحكمة ، فستنتظر الى مالانهاية وسيكون مصيرك ومصير منشاتك هو نفس مصير هاملت ومملكته ، فى مسرحية شكسبير الشهيرة •

واعلم ان الحزم هو العمود الفقرى لفن الادارة ، لان الحزم هو خلاصة الشجاعة والذكاء ، والثقة فى النفس والقدرة على التنبؤ ، وكلها صفات لازمة للمدير الناجح •

تذكر دائما ان السلطة تكون على قدر المسئولية :

ان اعطاء الفرد سلطة بدون مسئولية ، ينتهى دائما بالكوارث ، كما رأينا فى المسرحية الشهيرة لشكسبير. « الملك لير » ، عندما أراد الملك ان يحتفظ بسلطاته ، مع توزيع مسئولياته على بناته ، فانتهى الامر بأن حصل صاحب المسئولية على السلطة بالقوة، بالاضافة الى ما حدث من مصائب معروفة •

أما تحميل الفرد المسئولية دون سلطة فهذا ايضا من أهم أسباب التسيب والسخط والاحباط •

اياك والجمود :

فى عصر التغيرات السريعة والعنيفة يعتبر الجمود أسوأ صفات المدير ، فالمنشاة العصرية لا يمكن أن تعيش طويلا بمدير متخلف ، و (التخلف و (الجمود) كلمتان تكادان تكونان مترادفتين •

يحكى ان احد المديرين اليابانيين ذهب الى احد حكماء مذهب « الزن »، ليسأله عن تعاليم (الزن) فى ادارة الاعمال ، فقال له الحكيم : « اجلس أولا حتى نشرب الشاى معا ، حسب أصول الضيافة الزنيوية » • فلما أحضر الحكيم الكوب والابريق ، أخذ يصب الشاى حتى امتلأ الكوب ، ولكن الحكيم لم يتوقف عن الصب فصاح المدير :

« احترس •• الشاى يسيل خارج الكوب » •

رد الحكيم : « هكذا سيسيل كلامى، مادمت قد حضرت الى ورأسك ملآن »•

وكان استاذ الهندسة والجبر فى مدرستنا الثانوية يقول لنا

« اذا امضى احدكم وقتا طويلا فى حل مسألة هندسية ولم يصل الى نتيجة ، فليترك كل ما رسمه وكتبه وفكر فيه جانبا •• وليبدأ من جديد ، فكثيرا ما يكون ما بداخل العقل ، عائقا عن اكتساب الفكر السليم » نعم ان من الصعب على المدير أن يتخلص من قيم ترسخت فى ذهنه منذ الصغر ومن الصعب عليه أن يترك مهارات اكتسبها خلال عشرات السنين •••

الشيخ آق شمس الدين

مكتشف الميكروب قبل باستير بأربعمائة عام

بقلم: د. محمد حرب

●● الشيخ آق شمس الدين هو علم من اعلام الحضارة الاسلامية العثمانية وهو عالم الدراسات الإسلامية وعالم الطب والصيدلة ، والذى لم يدخل اسمه تاريخ العلوم الا مؤخرا بعد الاعتراف بفضله الذى طمس طوال سنوات عديدة .

اسمه محمد شمس الدين ابن حمزة وهو معلم ومربى السلطان الفاتح وكان السلطان مراد الثانى قد طلب من الشيخ حاجى بايرام ولي ان يوصيه بمرب ومؤدب لابنه الصغير محمد ، الذى عرف فى التاريخ بعد ذلك باسم محمد الفاتح ، فأوصى الحاجى بايرام بأن يكون آق شمس الدين ذلك المربى وقد كان ●●

يتصل نسب الشيخ آق شمس الدين بالخليفة الاول ابى بكر الصديق ، ولد بدمشق عام ٧٩٢ هـ « ١٣٨٩ م» حفظ القرآن الكريم وهو فى السابعة من عمره ، ودرس فى أماسيا ثم فى حلب ثم فى أنقره ، وكان مريداً للشيخ حاجى بايرام ولى وكان هذا بدوره استاذاً للسلطان العثمانى مراد الثانى .

اشترك المربى آق شمس الدين فى التخطيط لدراسة الامير محمد (الفاتح) وتحصيله فى مجال العلوم الاساسية فى ذلك الزمان وهى القرآن الكريم والسنة النبوية والفقه واللغات الاسلامية « العربية والفارسية

العثمانيون يدخلون القسطنطينية . الشيخ محمد أق يقف على يمين جواد محمد الفاتح





الشيخ آق شمس الدين

والتركية » وفى مجال العلوم العمليـــــة من الرياضيات والفلك والتاريخ والحرب.

وعندما أوكل السلطان مراد الثـــانى ادارة امارة مغنسيا الى ابنه الامير الصغير محمد ليتدرب فى سن مبكرة على اصول الحكم ، ارسله الى هناك تحت اشرافه مجموعة من العلماء على راسهم الشـيخ آق شمس الدين .

وقد اثرت مجموعة العلماء هذه ، على اتجاهات الامير محمد ثقافيا وعسـكريا، واصبح محمد هذا اكثر الامراء العثمانيين سعة أفق وادراكا وعبقرية . وكـــان الشيخ آق شمس الدين يبث فى الاميـر الصغير بانه المقصود بالحديث النبوى : « لتفتحن القسطنطينية فلنعم الاميـر اميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش » .

وعندما أصبح الامير محمد سـلطانا على الدولة العثمانية ، وكان صـــغير السن شابا ، وجهه شـــيخه فورا الى التحرك بجيوشه لتحقيق الحديث النبوى .. فحاصر العثمانيون القسطنطينية .. برا وبحرا ، ومما يدل على ضخامة عملية الحصار ان اشترك فيها ٢٠٠,٠٠٠ جندى على ٤٠٠ سفينة خفيفة من البحـرية العثمانية ، امـا القـوات البرية فيهـا فكانت ٨٠,٠٠٠ جندى وعدد المـدافع ٢٠٠ مدفع ، ودارت الحرب عنيفة قوية مدة اربعة وخمسين يوما .

فى لحظة ارهاق انتابت الجنـــــود العثمانيين ، اكتشف الشيخ آق شمس الدين وكان مصاحبا للسلطان فى الحرب، قبر الصحابى الجليل أبى أيوب الانصارى خارج أسوار المدينة المحاصرة ، فأحدث بهذا انتعاشة استعاد بها العثمـــانيون حيويتهم .

استطاعت اربع سفن ارسلها البـــابا لتقـــــل الامدادات الى المحاصرين فى القسطنطينية والاشتراك فى الدفـــاع عن المدينة ، ان تخترق الحصــار العثمانى وتدخل من الخليج فابتهج البيزنطيـون وارتفعت روحهم المعنوية . يقول لنــــا امير حسين انبسى فى رسالته « مناقب آق شمس الدين »

اجتمـــع العلماء والامراء العثمانيون وقابلوا السلطان (محمد الفاتح) وقالوا له : « انك دفعت بهذا القدر الكبـــير من العساكر الى هذا الحصار » جريـا وراء كلام احد المشايخ ، يقصــــدون آق شمس الدين ــ فهلكت الجنـــود ، وفسد الكثير من العتاد ، ثم زاد الامـر على هذا بأن جاء عون من بلاد الافرنج للكافرين داخل القلعة . ولم يعد هنـاك أمل فى هذا الفتح » .

امام هذا الموقف العصيب ارسـل السلطان محمد وزيره ولى الدين احمد باشا الى الشيخ آق شمس الدين فى خيمته ليسأله الحل فأجاب الشيخ « لابد ان يمن الله بالفتح » .

خطاب الشيخ للجنود بالثبات

لكن السلطان الشاب لم يقتنع بهذا الجواب العام فارسل وزيره مرة اخرى ليطلب الى الشيخ توضيحا عن الفتـــح فكتب هذا رسالة لتلميذه الســـلطان يقول فيها : « هو المعز الناصر .. ان حادث اهل تلك السفن قد احـــدث فى القلوب التكسر والملامة .. واحدث فى الكفار الفرح والشماتة . ان القضـية الثابتة هى : (العبد يدبر والله يقدر والحكم لله .. لقد تلونا القرآن الكريم وما هى الا سنة من النوم بعده الا وقد حدثت الطاف الله تعالى ، وظهرت من البشارات ما لم يحدث مثلها من قبل) »

احدث هذا الخطاب الموجة اساســـا للجيش ، الراحة والطمأنينة فى نفوس

على أمر الشيخ ، فأخذ الفاتح خنجره وشق جدار الخيمة في جانب من جوانبها ونظر الى الداخل فاذا بشيخه ساجدا في سجدة طويلة وعمامته متدحرجة من على رأسه وشعر رأسه الابيض يتدلى على الارض ولحيته البيضاء تنعكس مع شعره كالنور . ثم رأى السلطان شيخه يقوم من سجدته ودموعه تنزل متلاحقة من مآقيه فقد كان يناجي ربه قاضي الحاجات .

عاد السلطان مطمئنا بعد ذلك الى مقر قيادته ونظر الى الاسوار المحاصرة فاذا بالجنود العثمانيين وقد احدثوا ثغرات بالسور تدفق منها الجنود الى القسطنطينية .

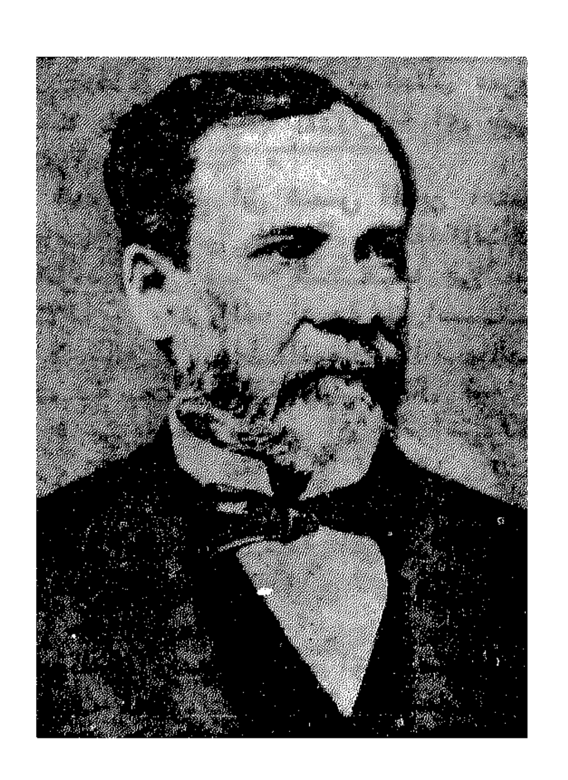
وبهذا التدفق بدأ العصر الحديث ، واصبح قائد الجيش يلقب بمحمد الفاتح اى أصبح الامير الذى بشره الرسول صلى الله عليه وسلم بفتح القسطنطينية « استانبول » .

وبينما تتدفق جيوش العثمانيين الى المدينة بقوة وحماس ، تقدم الشيخ آق شمس الدين الى السلطان الفاتح ليذكره بشريعة الاسلام في الحرب وبحقوق الامم المفتوحة بلادها .

وعندما أمر محمد الفاتح باقامة الصلاة في ايا صوفيا اعطى للشيخ آق شمس الدين حق القاء اول خطبة فيها . وبعد صلاة اول جمعة في ايا صوفيا بعد الفتح « وكان الفتح يوم ثلاثاء » قام العثمانيون بعرض عسكرى ثم بدأت عملية توزيع الغنائم فقام الشيخ آق شمس الدين خطيبا ليشير الى الجنود بضرورة تعمير المدينة بعد الحرب وحماية ما بها من مؤسسات .

الشيخ يخشى على السلطان من الغرور

بلغ الشيخ آق شمس الدين مكانة كبيرة في نفس تلميذه السلطان ابى الفتح محمد الثانى . وقال السلطان لمن حوله بعد الفتح : « انكم ترونني فرحا. فرحي ليس فقط لفتح هذه القلعة ، ان فرحي يتمثل في وجود شيخ عزيز



لويس باستور توصل بعد اربعمائة عام من محمد اق شمس الدين ان الامراض تنتقل عن طريق الميكروبات

الامراء والجنود . وعلى الفور قرر مجلس الحرب العثماني في ٢٦/٢٧ مايو ١٤٥٣ استمرار الحرب وفتح القسطنطينية .

ثم توجه السلطان (محمد الفاتح) الى خيمة شيخه فقبل يده وقال له :

ــ علمني يا سيدى دعاء أدعو به الله ليوفقني .

فعلمه الشيخ دعاء ، وخرج السلطان من خيمة شيخه ليأمر بالهجوم العام .

الشيخ الواثق من نصر الله

ود السلطان أن يكون شيخه بجانبه اثناء الهجوم ، فارسل اليه يستدعيه لكن الشيخ آق شمس الدين كان قد طلب الا يدخل احد عليه الخيمة وبالتالى منع حراس الخيمة رسول السلطان من مقابلة الشيخ ، فغضب السلطان وذهب بنفسه الى خيمة الشيخ ليستدعيه فمنع الحراس السلطان من دخول الخيمة بناء



الشيخ آق شمس الدين

الجانب ، فى عهدى ، هومؤدبى الشيخ آق شمس الدين » .

وعبر محمد الفاتح عن تهيبه لشيخه هذا فى حديث ادلى به السلطان لوزيره محمود باشا ، قال السلطان الفاتح : ان احترامى للشيخ آق شمس الدين احترام غير اختيارى . اننى اشعروانا بجانبه بالانفعال والرهبة » .

وعندما دخل السلطان الفاتح - بعد الاستئذان - على شيخه آق شمس الدين ، عقب الفتح المبين اى فتح القسطنطينية كما ورد اصطلاحها فى المراجع التركية ، لم يقم الشيخ تحية للسلطان ، ظل مضطجعا . ولما انتهت المقابلة واستأذن السلطان فى الانصراف وسمح له الشيخ به ، لم يقم الشيخ من اضطجاعه . وقد تأثر السلطان بذلك الموقف كثيرا ، وسأل ابن ولى الدين فى سبب عدم اهتمام الشيخ به وعدم قيامه له ، فقال هذا ، للسلطان : « يا مولاى السلطان : ان الشيخ مرب ، وقد خشى عليكم من الغرور بسبب هذا الفتح الكبير » .

آق شمس الدين : عالم النبات والطب والصيدلة

كان الشيخ آق شمس الدين عالما مشهورا فى عصره ، ليس فى الدراسات الدينية فقط ، بل له بحوث فى النباتات ومدى مناسبتها للامراض فى العلاج .. وبلغت شهرته فى ذلك ان سرى بين العثمانيين قولة مشهورة هى : « ان النبات ليحدث آق شمس الدين عن علاجه للمرض » .

وكان الشيخ آق شمس الدين يعنى بالامراض البدنية قدر عنايته بالامراض « الروحية » او ما نطلق عليه اليوم ، اسم الامراض النفسية . وكما كان الشيخ ملجأ لاصحاب الامراض البدنية المستعصية فى عهده ، فقد كان معروفا ايضا بلقب « طبيب الارواح » اى طبيب الامراض النفسية .

اهتم الشيخ آق شمس الدين اهتماما خاصا بالامراض المعدية ، فقدكانت هذه الامراض فى عصره تتسبب فى موت الالاف . وقد الف نتيجة لدراساته وملاحظاته فى هذا المضمار كتابا باللغة التركية بعنوان مادة الحياة قال فيه :

« من الخطأ تصور أن الامراض تظهر على الاشخاص تلقائيا ، فالامراض تنتقل من شخص الى آخر بطريق العدوى هذه العدوى صغيرة ودقيقة الى درجة عدم رؤيتها بالعين المجردة . لكن هذا يحدث بواسطة بذور حية » .

وبذلك وضع الشيخ آق شمس الدين تعريف الميكروب فى القرن الخامس عشر الميلادى وهو أول من فعل ذلك ، ولم يكن الميكروسكوب قد ظهر بعد .. وبعد أربعة قرون من ظهور الشيخ آق شمس الدين جاء الكيميائى والبيولوجى الفرنسى لويس باستير ليقوم بأبحاثه وليصل الى نفس النتيجة ، وظل تاريخ العلم الى عهد قريب - يذكر اكتشاف الميكروب بلويس باستير ولم يكن يذكر مكتشفه الاول الشيخ آق شمس الدين .

اهتم آق شمس الدين أيضا بالسرطان وكتب عنه .

وفى الطب ألف آق شمس الدين كتابين هما : « مادة الحياة » و « كتاب الطب » وهما فى اللغة التركية . كما ان له باللغة العربية سبعة كتب فى الدراسات الاسلامية ، هى : حل المشكلات - الرسالة النورية - مقامات الاولياء - رسالة فى ذكر الله - تلخيص المتائن - دفع المتائن - رسالة فى شرح حاجى بايرام ولى .

عاد الشيخ آق شمس الدين الى بلدته كوينوك بعد أن احس بالحاجة الى ذلك ، رغم اصرار السلطان على بقائه بعد موت شيخه حاجى بايرام ولى ، عاد ليتولى مشيخة الطريقة اللامتية وهى فرع من فروع البكتاشية . ومات الشيخ آق شمس الدين عام ١٤٥٩ م .

قد أكمل الله ذيالك "الهلال" لنا .. فلا رأى الدهر نقصا بعد إكمال

شوقي



الشرطة عند العرب

لم يأل العرب جهدا فى الحفاظ على الامن ، وراحة الاهل من خطر الشطار والزعار والعيارين ، فانشئوا جهاز العسس أو الشرطة ، وقد تغير لقب المسئول عن الامن العام من عصر الى عصر ، ومن مصر الى مصر ، وكان واجب الشرطى فى البداية مقصورا على الحراسة وحفظ النظام دون التجسس ، ولكن الامر تغير بعد ذلك فظهرت الجاسوسية . أما حالة الامن فى الدولة العربية الاسلامية فكانت مرهونة بقوة الدولة وحزم الحاكم .

وموضوع الشرطة او الامن من الموضوعات الهامة التى عرض لها كتابنا القدامى من امثال المسعودى فى ((مروج الذهب ..)) وابن الاثير فى ((الكامل)) وابن تغرى بردى فى ((النجوم الزاهرة)) وغيرهم .

وفى هذا المقال الذى نشرته ((الهلال)) فى ديسمبر ١٩١٦ وكتبه عبد الفتاح عبادة نقف على شيء من تاريخ هذا الجهاز وتطوره . وقد ساهم كاتب المقال بعدد وفير من الدراسات التاريخية والادبية فى مجلة الهلال نذكر منها ((السفارة فى الاسلام)) و ((آثار حضارة بغداد)) و ((الرشيد وشارلمان))

الهلال

أسس العرب المصالح والنظامات لادارة الاعمال المدنية ولاسيما ماكان خاصا منها بالمحافظة على الاموال والامن العام وهو نظام الشرطة عندهم . وكانوا يسمون البوليس بالشرطة والعسس والولاية وغيرها من الاسماء التي كانت تختلف باختلاف البلاد والازمنة .

واول من قام بالطواف ليلا للمحافظة على الامن وتتبع أهل الريب عبد الله بن مسعود فهو اول من عس بالليل في الاسلام ، فقد أمره أبوبكر الصديق بعسس المدينة والطواف حولها ، ويظهر من الرواية الاتية ان نظام هذه الوظيفة كان كنظام البوليس أو الخفر وليس كالبوليس السرى أو التجسس فقد روى أبوداود : « أتى عبد الله بن مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود اننا قد نهينا عن التجسس ولكن أن يظهر لنا شيء نأخذ به » .

وكان الخليفة عمر بن الخطاب يتولى في خلافته العسس بنفسه ومعه مولاه أسلم ، وكان ربما استصحب معه عبد الرحمن بن عوف .

وبعد وفاة الخليفة على بن أبي طالب أى في أوائل الدولة الاموية حينما استأثر معاوية بالملك وانفرد به استحدثت وظيفة « صاحب الشرطة » وهو المكلف بالمحافظة على راحة أهل المدن والسهر على الامن العام ، وكان نصير « والد موسى بن نصير » هو صاحب الشرطة في عهد معاوية ، ففي هذا العهد ظهرت لاول مرة هذه الوظيفة التي سمي صاحبها فيما بعد بالوالي . وكلمة شرطة معناها الحامية التي تطوف حول المدينة ليلا وهذا هو ماتدل عليه كلمة « عسس » التي لقبوا صاحبها أيضا « بصاحب العسس » وقد نظمها الخليفة عمر واهتم بها . وزياد بن ابيه هو أول من اتخذ العسس وسيره بين يديه بالاسلحة والحراب فمشت بين يديه حامية المدن بالاعمدة وغيرها ، وهو أول من أخذ على أهل السوق أجرا من جهة العسس .

وكان من اداب الشرطة في أيامه الا يتكلموا أو يرفعوا أصواتهم اذا ساروا بين يديه .

وقد توسعوا في وظيفة الشرطة فاضيف اليها تنفيذ أحكام القضاة أو فرض العقوبات الزاجرة واقامة التأديب في حق من لم ينته عن الجريمة ، فكانت الشرطة خاضعة للقضاء تساعد القاضي في اثبات الذنب على مرتكبه وتساعد الحكومة على تنفيذ الاحكام ويتولى صاحبها أيضا اقامة الحدود على الزنا وشرب المسكر وكثيرا من الامور الشرعية التي يحلون مقام القاضي عنها .

● الشرطة في الدولتين العباسية والفاطمية ●

ثم صار النظر في الجرائم واقامة الحدود في الدولتين : العباسية ببغداد والفاطمية بمصر راجعا الى صاحب الشرطة وافردوها من نظر القاضي . قال ابن خلدون : وكان أصل وضعها في الدولة العباسية لمن يقيم أحكام الجرائم في حال استبدائها اولا « أي كوظيفة النيابة الان » ثم الحدود بعد استيفائها فان التهم التي تعرض من الجرائم لا نظر للشرع الا في استيفاء حدودها وللسياسة النظر في استيفاء موجباتها باقرار يكرهه عليه الحاكم اذا احتفت به القرائن لما توجبه المصلحة العامة في ذلك . فكان الذي يقوم بهذا الاستبداد وباستيفاء الحدود بعده اذا تنزه عنه القاضي يسمى « صاحب الشرطة » وربما جعلوا اليه النظر في الحدود والدماء باطلاق وأفردوها من نظر القاضي . وقد نزهوا هذه المرتبة وقلدوها كبار القواد وعظماء الخاصة من مواليهم ولم تكن الشرطة عامة التنفيذ في طبقات الناس وانما كان

حكمهم على الدهاة من العامة وأهل الريب والضرب على أيدى الرعاع والفجرة .

● الشرطة فى دولة السلاطين بمصر ●

كانت الشرطة فى دولة السلاطين المماليك فى مصر يتولاها رجالاتهم من المماليك والترك أو أعقاب أهل الدولة « الايوبية » قبلهم من الكرد ، يتخيرونهم لها كما قال ابن خلدون بالنظر لما يظهر منهم من الصلابة والمضاء فى الاحكام والحزم فى الامور لقطع مراد الفساد وحسم أبواب الدعارة ، وتخريب مواطن الفسوق ، وتفريق مجامعه مع اقامة الحدود الشرعية والسياسية كما تقتضيه رعاية المصالح العامة فى المدينة .

وقد وصف كاتريمير المستشرق الفرنسى عن كتاب مسالك الابصار دائرة اختصاص الولاة فى مصر على عهد هذه الدولة فقال : كانت العادة تقضى بأن ولاة كل مدينة أعنى أصحاب الشرطة فيها يتلقفون يوميا من أفواه الموظفين الذين كلفوهم حراسة المدينة والسهر على مراقبة انحائها جميع الحوادث التى حدثت فيودعونها فى مذكرات خاصة يدونونها فيها باسهاب وتفصيل ثم يرفعونها الى السلطان .

وقد روى المؤرخون أن أول من أنشأ فى مصر وظيفة « متولى القاهرة » الذى كان يسمى بصاحب الشرطة هو الخليفة عثمان بن عفان . وكثيرا ماكانوا فى عهد الدولة الاموية يولون قضاء مصر وصاحب شرطتها لشخص واحد فكانوا يعتبرون الشرطة من توابع القضاء لان المراد بها تنفيذ أحكام القضاة . الا أنهم فى العصور التالية وعلى الاخص فى أيام استقلال مصر على عهد الفاطميين والايوبيين والسلاطين المماليك ازدادت أهمية الشرطة ففصلوها عن القضاء وصاروا يلقبونها حتى فى المراسيم السلطانية التى تسلم لصاحبها بلقب « الولاية » وجمعو تحت امرة متولى القاهرة ولاية مصر «شرطة الفسطاط » وشرطة الضواحى فكان مكلفا تنفيذ عقوبات المجرمين وتفتيش السجون فتح أبواب المدينة وغلقها ، والطواف بنفسه فى الاماكن التى يظن أنها تحتوى على الثروة أو متاع نفيس . فكان لايمكنه المبيت خارج المدينة الا بتصريح كتابى خشية أن يحدث أثناء غيابه سرقة أو حريق مكان أو التباس فى أمر مسجون . وكان متولى القاهرة حتى عصر الملك المؤيد يضرب الطبل على بابه « طبلخانة » ويمتلك الاقطاعات الا أنه بعد ذلك ألغيت امتيازاته هذه .

وكما كان والى « متولى » القاهرة يخضع للسلطان رأسا كان الوالى فى كل أقليم « مديرية » يخضع «للكاشف» وقد استبدل أسم الوالى فى عهد الدولة التركية بمصر باسم « النائب » .

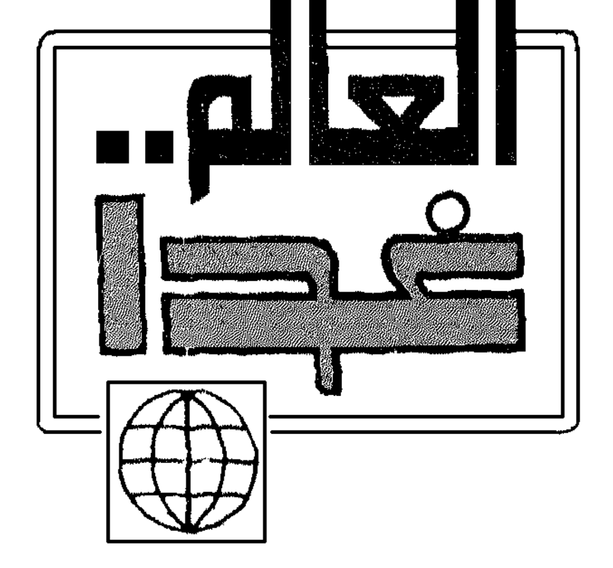
● الشرطة والطواف بالليل ●

على أن العرب لما تقدموا فى الحضارة والمدينة وبلغوا شأوا بعيدا فى الادارة فصلوا الطواف بالليل عن الشرطة وجعلوه عملا مستقلا بذاته وخطة قائمة بنفسها فى نظمها وعمالها غير خطة الشرطة وسرى ذلك فى المشرق والمغرب والاندلس فكانت الشرطة كالبوليس فى عهدنا هذا والطواف بالليل كالخفر الا أن الانفصال كان بين الادارتين اكثر مما هو الان .

● العرب والشرطة فى أوربا ●

وقد نشر العرب نظام شرطتهم فى كل الممالك التى افتتحوها فأدخلوه فى صقلية فضلا عن الاندلس وغيرها من ..
وقد أخذه الافرنج عنهم كما لاحظ ذلك المسيو ميشيل أمارى فقد احتفظوا به فى صقلية حتى فى عهد الحكم المسيحى أعنى بعد خروجها من أيدى العرب . ومما يدل على ذلك أننا نرى فى قوانين دولة الاراغونيين فى صقلية أن البوليس كان يسمى عندهم حتى القرن الرابع عشر للميلاد XURTA أى الشرطة .

عبد الفتاح عباده



تمثال لتوت عنخ آمون

منذ زيارته الى مصر من عدة سنوات يتساءل الجراح الامريكى باتريك بارى رئيس جمعية المصريات فى ميامى ما اذا كان يمكن اعادة تكوين راس الملك توت عنخ آمون كى يكشف عن الاسباب الطبية التى ادت الى وفاته فى التاسعة عشرة من عمره • وقد اسند هذه المهمة الى الخبيرة بيتى بات جاتليف حيث وضع مساعدوها باستخدام أشعة اكس ومقاييس جمجمة توت عنخآمون التى سجلت عند اكتشاف مقبرته فى أوائل العشرينيات ، وبمساعدة الكومبيوتر برنامج العمل المستخدم فى بناء نموذج مجسم للجمجمة • وقد كشف تمثال توت عنخ امون الذى صنعته الخبيرة الامريكية عن وجه قوى ووسيم له ملامح القوقازية مختلطة ببعض الملامح الزنجية ولكن عينيه اقل اتساعا من تلك المرسومة على القناع الذهبى وكذلك انفه مستقيمة • الا ان التمثال لم يكشف عن اى معلومات طبية ، وسوف تجرى نفس التجربة مع رمسيس الثانى والبقايا التى يعتقد انها لاخناتون •



حفظ الفاكهة بالتنويم التكنـــولوجى

كانت المشكلة الاساسية دائما فى شحن الفاكهة انها سريعة التلف • وقد اجريت عدة تجارب على تغطية الفواكه بالشمع ، وأسفرت عن تلف ٤٠٪ من الشحنات ، الان تجرى التجارب على نوع جديد من المعالجة يتكون من تنويم الفاكهة والنتائج حتى الان تبدو مشجعة •

ورغم أن فكرة تنويم او تخدير الفاكهة تبدو غريبة ولكنها اخر ما توصل اليه علم البيوتكنولوجى فعن طريق المعالجة البيوتكنولوجية أمكن لشركة بريطانية أن تحتفظ بالفواكه طازجة لفترات طويلة أثناء الشحن • ويعتمد الاسلوب الجديد على استخدام محاليل مائية وبولثين وشموع طبيعية وصناعية لوقف عملية نضج الفواكه التى تتمثل طبيعيا باختزال الاوكسجين الموجود فى الهواء والذى يحول محلول السكر والنشا المركبة الى محاليل بسيطة واحماض وثانى اوكسيد الكربون •

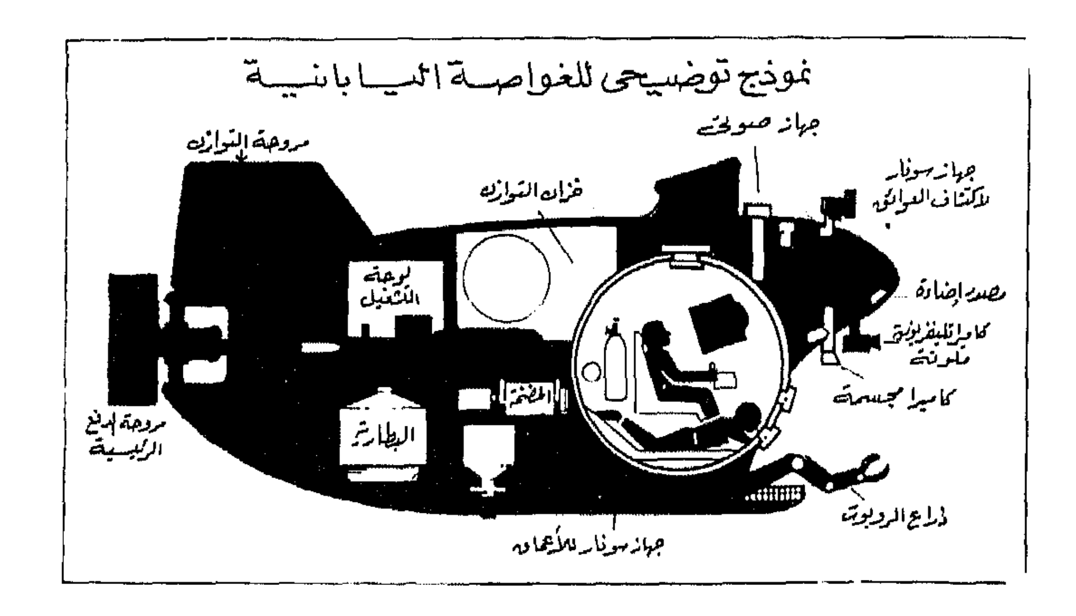
والفرق بين اسلوب حفظ الفاكهة بالشمع والاسلوب الجديد هو أن الفاكهة المغطاة بالشمع تختنق رويدا ورويدا وتموت • اما الاسلوب المركب فانه بمثابة ادخال الفاكهة فى حالة بيات شتوى حتى ازالة هذه المحاليل المركبة عنها • وميزة هذه المركبات انها تتحكم فى تبادل الغازات بحيث تسمح بالحد الادنى لدخول بعض الاوكسجين والحد الاقصى اللازم لخروج ثانى أوكسيد الكربون •

والميزة الاخرى لهذا الاسلوب هى انه

يسمح بتصدير الفواكه فى درجات حرارة عادية وليس تحت التبريد . وتقول الشركة المبتكرة لهذا الاسلوب انه يطيل عمر الكروم ٣٠ يوما ، والاعشاب سبعة ايام . ويتم حفظ الفاكهة باذابة مسحوق فى الماء ثم غوز الفاكهة تحت سطح الماء لعدة ثوان . ولا يتكلف هذا الاسلوب أكثر من نصف سنت امريكى لكل كيلوجرام من الفاكهة . والمواد المستخدمة فى الحفظ كلها طبيعية وتوافق القوانين الاوروبية والامريكية واليابانية .

ثورة يابانية فى اكتشاف اعماق المحيطات

مازالت الحياة فى اعماق البحار والمحيطات عالما غامضا ساحرا لم يكتشفه العلم بعد . فرغم التقدم التكنولوجى فى مجال صناعة الغواصات فان العلماء يوجهون اهتمامهم اساسا لاستخدامها فى الاغراض العسكرية . وحتى اليوم مازالت الغواصات تستخدم سلكا سميكا يرتبط بالسفينة الاساسية التى تزودها بالطاقة وتوجهها وعن طريقه يمكن ارسال صور تليفزيونية سريعة ومعلومات كثيرة عن اعماق المحيط الى السفينة الام ، ولكن لوجود هذه الاسلاك عدة عيوب من بينها انها قد تتشابك فى الاعشاب البحرية او قد تتلاعب بها تيارات الهواء والماء الشديدة ، فتنحرف عن هدفها لذلك يخطط العلماء فى هيئة تنمية ابحاث المحيطات باليابان لانتاج اول غواصة ماهولة تعمل ذاتيا بدون اية اسلاك تربطها بالسفينة الاساسية والتى ترشدها عن طريق اجهزة الكمبيوتر او الاشارات الصوتية . وتتميز هذه الغواصة ايضا بانها تستطيع الوصول لابعد الاعماق فى المحيطات ولمسافة قد تزيد على ٢١ الف قدم بل ويمكنها ان تغوص تحت الثلوج ايضا . يتوقع ان ينتهى العمل فى انشاء الغواصة خلال عام ١٩٨٩ وتتكلف ٧١ مليون دولار ، وسوف تقوم هذه الغواصة بجمع المعلومات واكتشاف المعادن الثمينة ، وتحدد مناطق وقوع الزلازل فى المحيط الهادى . صممت هذه الغواصة بيضاوية الشكل ، يجلس طاقمها داخل كابينة من خليط التيتانيوم تستطيع تحمل الضغوط الشديدة تحت سطح البحر ، والتى قد تصل الى حوالى ٤ اطنان لكل بوصة مربعة تعمل الغواصة اليابانية الجديدة عن طريق موتور كهربائى يدار بالبطارية وتستطيع ان تجوب المنطقة المحددة لها بحرية تامة لمدة تسع ساعات متواصلة ، ويوجد فى مقدمة الغواصة كاميرا تليفزيونية واخرى مجسمة تتوليان جمع المعلومات والصور عن منطقة البحث ، بل ويمكنها ايضا جمع عينات عن الاعماق عن طريق ذراع روبو مثبتة فى القاع .





رصاص الالومنيوم اشد فتكا

تمكن احد المبتكرين فى مجال الاسلحة من تطوير نوع من الرصاص المصنوع من الالومنيوم له قدرة على الاختراق تفوق الرصاص التقليدى بمقدار عشرة اضعاف

ويستمد هذا الرصاص قوته الهائلة من خفة وزنه فعندما تصطدم الرصاصة بالجسم فى سرعة عالية تقل سرعتها فجاة اى انها توجه طاقتها الحركية كلها الى الهدف فتسبب اصابة شديدة . أما الرصاصة العادية فهى تنطلق بسرعة ضعيفة وتكتسب قوة دفع فتندفع الى داخل الجسم . وتتميز هذه الرصاصة القاتلة ان تكلفتها مشابهة للرصاص التقليدى كما انها تشبه فى الشكل والحجم الرصاص العادى ، بحيث يمكن استخدامها من خلال نفس نوعية المسدسات بدون اجراء أى تعديلات ويتوقع أن تستغل فى اغراض محددة مثل ، التعامل مع المختطفين او محتجزى الرهائن لقدرتها الفائقة والسريعة على اعاقة حركتهم .

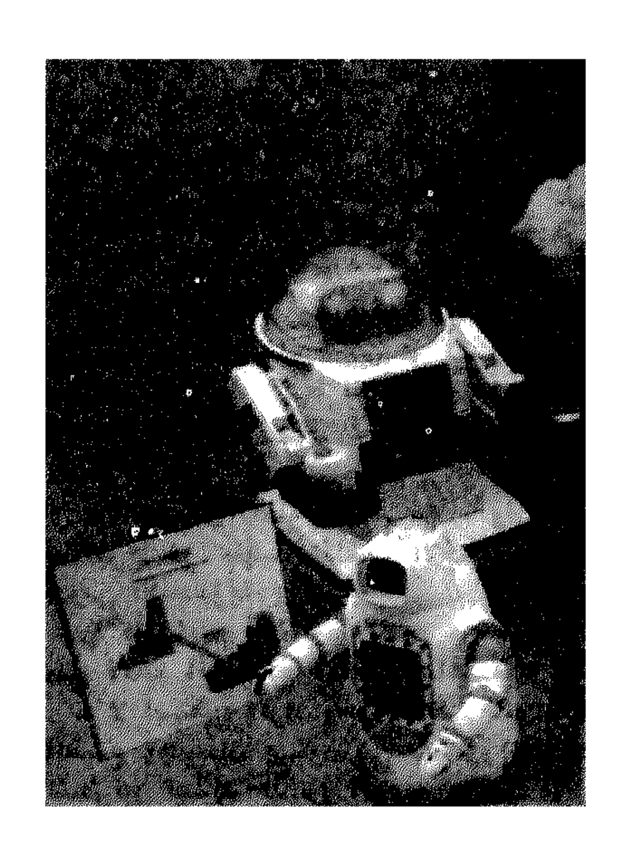
تناول الزبادى من فول الصويا

بعد ان امكن تصنيع اللحوم من فول الصويا ، بدأ العلماء يجرون تجارب جديدة لانتاج مواد غذائية اخرى من هذا الفول المتعدد الفوائد وقد توصل احدهم اخيرا وهو كيميائى سويسرى لامكان صناعة الزبادى من فول الصويا عن طريق تخمير اللبن المستخرج منه ، وان كان من المفضل ان يضاف اليه قليل من السكر أو الفواكه لتكسب نكهة طيبة ، ويتميز هذا الزبادى بقيمته الغذائية العالية رغم قلة السعرات الحرارية به ، وقد بدأت سويسرا فى انتاج هذا الزبادى المصنع من فول الصويا وطرحه باسواقها ويتوقع ان يزيد من مشكلة فائض الالبان التى تعانى منها دول أوربا الغربية

ثورة فى عالم الاتصالات

سوف يشهد عالم الاتصالات ثورة هائلة اذ تخطط المؤسسات الخاصة بوسائل الاتصالات لاستخدام الالياف البصرية فى ارسال المزيد من المعلومات وبسرعة أكبر من تلك الناتجة عن استخدام الكابلات التقليدية . ويمكن لكابل الالياف البصرية نقل المعلومات عبر المسافات البعيدة وهى تبلغ ضعف المعلومات التى تنقل عبر الكابلات العادية نحو مائة مرة ، اذ يمكن للكابلات الالكترونية نقل نحو ١٠٠ ميجابايت من المعلومات فى ثانية واحدة اى ما يعادل نحو ١٫٥٠٠ مكالمة تليفونية فى حين ان خطوط الالياف البصرية يمكنها نقل نحو ١٫٥ مليون مكالمة فى الثانية .





الانسان الآلي متحدث لبق

انتجت الولايات المتحدة الامريكية أحدث جيل للانســـــان الالي ـ الروبوت ـ يتميز بانخفاض سعره نسبيا . وهو مصنوع من البلاستيك وله ذراعان وعينان وفم ويمكنه التحرك بسهولة والسيهر في اى اتجاه . ويستطيع الســـــباحة وتحريك الذراعين وتشغيل شرائط الكاسيت والاشتراك في العاب الفيديو . الى جانب تعليم الانسان كيفية برمجة الكومبيوتر . وبصـــفة عامة فالجيل الجديد للانسـان الالى متحدث لبق وموهوب وله القدرة على القيام بكل الاعمال المنزلية فيما عدا غسيل الملابس .

المذنبات تحمـــل الاوبئة الى الارض

كان السائد بين العلماء حتى وقت قريب ان المذنب هالى ـ مثله مثل غيره من المذنبات ـ يتكون من كتل جليدية تنطوى على كثير من الغبار المعدني وبعض الصخور .. وهذا ماجعلهم يتوقعون ان تكون الصـــور التى ترسلها المعامل الفضائية للمذنب هالى براقة ومضيئة . ولكن الصـــــور التى ارسلها معمل الفضــــــاء الاوربى « جيوتو » لنواة المذنب كانت شديدة السواد ، على غير ماتوقع العلماء ، الامر الذى انطوى على مفاجأة مثيرة أعادت الى الاذهان الاســـاطير التى ربطت دوما بين المذنب وحدوث الكوارث والاوبئة .

ذلك أن المادة التى تشكل ٩٠٪ من نواة المذنب عبارة عن جزيئات عضوية يرى البعض انها تشـــــبه جزيئات البروتين فى المادة الحية ، الامر الذى فتح الباب من جديد امام افتراض الفلـــكى فريد هويل حول وجود بكتريا وفيروسات فى اجســـام المذنبات ، ذلك الافتراض الذى أكده ، فيما بعد ، علماء آخرون عن طريق دراسة الاشعة تحت الحمراء المنبعثة من المذنبات فى أعماق الكون .

والمثير ان المعلومات الجـديدة تعارض اعتقادا ساد فى الماضى حول عجز البكتريا عن العيش فى الفضاء لمدد طويلة تمكنها من الانتقال عبر مسافات شـاسعة . وذلك لوجود الاشعة فوق البنفسجة والفراغ الخالى من الغازات ، ودرجات الحرارة المنخفضـــة جدا . وبذلك تؤيد ـ المعلومات الجديدة ـ وجهات النظر التى ترى ان البـــكتريا قادرة على الحياة باعداد كافية ، اذا تهيأت لها حماية ما ، قد تتمثل فى غلاف المذنب او الجو الذى يحيط بنواته ..

لكن الاكثر اثارة أن فريق فريد هويل قام اخيرا ، مع عالم متخصص فى بحوث الاوبئة ، بدراسة حوادث انتشار العـدوى بالفيروسات « كالاصابة بالانفلونزا مثلا » ووصلوا الى قناعة مؤداها ان انتشــــار المرض من منطقة الى اخرى يجرى بسرعة لايفسرها نمط انتقال العدوى من فرد الى آخر ، الامر الذى قادهم الى التأكيد على أن الفيروسات تحط على الارض من الفضاء ، وان ذلك يتكرر عند تقاطع مدار الارض حول الشمس مع مدارات المذنبات فى الفضاء الكونى ..

وبالرغم من ان ذلك يعيـد الى الاذهان المعتقدات القديمة التى ربطت بين ظهـور المذنبـات وحدوث الـكوارث والاوبئة فمن



الجدير بالذكر ان قطاعا كبيرا من العلماء مازال يسخر من الاراء السابقة ، ولا يرى فى الجزيئات التى ظهرت من خلال صور المعمل « جيوتو » ماهو اكثر من مركبات عضوية بسيطة « كالقار مثلا » لا علاقة لها ، من قريب أو من بعيد ، بالفيروسات او بغيرها من الاجسام الحية .

البطل ابن امه

فى التاسع من نوفمبر ١٩٨٥ توج جارى كاسباروف بطلا للعالم فى الشطرنج . ولم يكن عمره يتجاوز الثانية والعشرين . ترى ماذا يقول اصغر من فاز بهذه البطولة حين يتكلم ؟ لنقرا معا هذه المقتطفات ـ التى لاتخلو من مفاجآت ـ من حديث ادلى به البطل اخيرا ..

● متى بدات تلعب الشطرنج ، ومن دربك على ذلك ؟

ـ بدات العب الشطرنج وانا فى السادسة من العمر . وامى هى التى عرفتنى على مواقع القطع المختلفة فوق الرقعة ، بينما علمنى ابى كيف تتحرك كل قطعة . اما اذا تكلمنا عن الممارسة الجدية للشطرنج فقد كان مدربى بطل العالم السابق ميخائيل بوتفنيك ، الذى كنت تلميذا بالمراسلة فى مدرسته ، منذ ان كان عمرى ١٢ سنة .

● من يشرف على تدريبك حاليا ؟

ـ مجموعة من الحاصلين على لقب استاذ وأستاذ كبير فى الشطرنج .

● ماهى اهتماماتك الاخرى « ليس الشطرنج » ؟

ـ أميل الى العلوم الانسانية ، وقريبا سأتخرج فى معهد اللغات الاجنبية حيث ادرس الانجليزية والالمانية .

● ما رأيكم اذن فيما يشيع عن ضرورة تمتع لاعب الشطرنج بعقلية رياضية ؟

ـ لا أستطيع اقرار وجهة النظر هذه .. بالطبع يجب ان يكون فى مقدور لاعب الشطرنج تحديد بدائل الوضع القائم على الرقعة أمامه بدقة ، ناهيك عن تحديد الافاق الممكنة وحساب الامكانات . لكن هناك جانبا ابداعيا اخر يجب أن يتوفر فى لاعب الشطرنج يصنعه الحدس والخيال والقدرة على الرؤية بشكل أعمق مما تسمح به الحسابات الرياضية .

● كيف تنظر الى مايدعونه من تاثير بعض طرق التنويم المغناطيسى والباراسيكولوجى على نتائج بطولة العالم للشطرنج ؟

ـ ما استطيع تاكيده اننى لم اشعر قط انه يمكن قطع حبل افكارى بتدخل من الخارج . انا على قناعة بان الفوز يكون دائما من نصيب اللاعب الافضل .

● ماذا تفضل ان تمارس بهدف الراحة والاسترخاء .. الرياضة ام الموسيقى او القراءة ؟

الثلاثة معا ان امكن .

● هل لى من سؤال شخصى اذا سمحت .. اتوقع ان يقدم ملك الشطرنج ملكته او نصفه الاخر لنا قريبا ؟

ـ لا أعتقد ذلك . ان اختيار الحركة الصحيحة فى هذا الصدد ليس اسهل من الحصول على بطولة العالم ..



جهاز جديد لمرض الشلل النصفي

توصل العلماء الأمريكيون إلى تصميم جهاز يمكن حمله يستمد طاقته من البطارية ويعمل على إثارة إحساس المصابين بشلل النصف السفلى . يتم تركيب الجهاز على الحزام حيث يرسل ومضات كهربية إلى الأقطاب المصنوعة من حديد غير قابل للصدأ ، ويتم زرعها فى مناطق الساق والفخذ والأرداف . وباستخدام جهاز التحويل يرسل المريض التعليمات لجهاز إثارة الاحساس بالحركة التى يرغب القيام بها ويقوم الجهاز بدوره بإرسال إشارات كهربية للعضلات المتحكمة فى الحركة .

جهاز إنذار لحماية الأطفال من الغرق

تمثل حمامات السباحة خطرا شديدا على الأطفال الصغار الذين قد يسقطون فيها بدون سابق انذار ، مما يعرض بعضهم لحوادث الغرق التى تودى بحياتهم ، لذلك ابتكرت إحدى الشركات جهاز إنذار ينبه الوالدين فى حالة تعرض ابنهما للسقوط فى الماء بدون انتباههما . الجهاز مكون من قطعتين ، تثبت الأولى على جوانب حمام السباحة فوق مستوى الماء وترسل إشارات استقبال ، والثانية تثبت حول جسم الطفل فإذا تصادف وسقط فى المياه بدون سابق إنذار يطلق الجهاز صوتا عاليا ينبه الوالدين للخطر الذى يتعرض له طفلهما .



الدكتور محمود محفوظ
كنت أكبر مُدَخن .. ولكني أُقلعت عنه

حديث أجراه : موريس عزيز

ليس منا من لايصادفهم ، أو يعرفهم . الرجل البسيط الذي يرتدى ثيابا بالية وعلى ملامحه سمات الفقر ، ومع ذلك تراه متلهفا على اشعال سيجارته ، الزوجان السعيدان اللذان لايحلو لهما الاستمتاع بالطبيعة الجميلة الا مع أنفاس السجائر .. الكبار والصغار الطالب وهو يستذكر دروسه وقبل الامتحان ، العالم المفكر، الاديب، الفنان، الطبيب، المهندس ، الصحفي ، رجل الاعمال .. الكل يعتقد انه لايبدع الا اذا أشعل السيجارة .

بعض الناس يستطيعون أن يعيشوا فترة طويلة بلا طعام ، ولكنهم لا يستغنون عن سيجارة .

ولكن لم يعد هناك أى شك فى أن التدخين ضار بالصحة ، والخلاف بين بعض الاطباء هو فى درجة هذه الخطورة ، البعض يقول ان درجة هذه الخطورة تتوقف على عدد السجائر التي يدخنها الشخص وكيفية اخراج الدخان من فمه او من صدره ، منهم من يقول ان اشعال سيجارة واحدة قد يؤدى الى ان يصل الانسان الى مايقرب من ستين سيجارة وربما اكثر وهذا هو الخطر ..

وعن التدخين واضراره ومتاعبه وكيفية الاقلاع عنه . كان هذا الحوار مع الاستاذ الدكتور محمود محفوظ ، وزير الصحة السابق ، ورئيس مركز علاج الاورام بالاشعاع والطب النووى . كلية طب جامعة القاهرة .



د . محمود محفوظ

● الســـــيجارة تحتوى على نيكوتين وقطران ، وكلاهما ضار بالصحة ، وكل علبة سجائر مكتوب عليها تحذير «التدخين ضار بالصحة» ، ورغم تحذيرات الاطباء ، وخاصة لمرضى القلب ، لماذا يلجأ الناس الى التدخين ؟

ـــ الناس تعرف ان السيجارة بمـــا تحتويه من سموم تسبب أمراضا كثيرة ، لا حصر لها ، ورغم ذلك تقبل عليهـــا بشراهة . ان مصدر التدخين اساسا هو حالة القلق التى قد تصيب الانسان احيانا ، مثل تأدية الامتحان ، أو الاقدام على أمر خطير ، أو انتظار التعيين فى احدى الوظائف الخ .. كل هذا يدعو الانسان الى التدخين ، حيث يعتقد بعض الناس أن تدخين سيجارة يحد من قلقه. الديانات السماوية الثلاث ، كانت تحد من القلق بالايمان ، ولكن الان يوجـــد ضعف بالايمان ، وبالتالى حدث ازدياد فى القلق ، واصـــبحنا غير قادرين على استخدام الدين ، استخدمنا كل شىء يمكن أن يهبط هذا القلق ، اســـتخدمنا التدخين ، واستخدمنا المخدرات ، ثم المسكرات ، كل هذه الانواع اساســـها حالة القلق التى تعترى الانسان فتجعله يبحث عن اى شىء يقلل به هذا القلق .

أذكرك بالمنظر المشهور ، الرجل الذى تضع زوجته مولودا ، يقف أمام غرفة الولادة ، أو فى المنزل . يشعل سيجارة يتبعها بأخرى ثم ثالثة ورابعة .. الخ ، ويشد الانفاس بشراهة لانظير لها ، كأن السيجارة هى التى تجعل السيدة تضع مولودها بأقصى سرعة . ففى هذه الحالة لا تحل السيجارة المشكلة بل انها تظهر حالة القلق الذى يعترى الانسان فى مثل هذه اللحظة « لحظة الولادة » .

والتدخين أصبح عادة والعادة سيطرت عليه ، والتعود يتطلب مزيدا ، فالاثر الطبى للسيجارة الاولى كان حركة انتعاش ، وتراكب حركة الانتعاش عليه حركة هبوط ، الانسان بعد السيجارة الاولى وذهابه الى « دورة المياه » يشعر بأنه محتاج الى سيجارة اخرى معتقدا بأن الســـيجارة الثانية تعطيه الانتعاش مثل الاولى ، ولكن السيجارة الثانية تسبب هبوطا ، وأكثر المدخنين يشربون القهوة ، وتستمر هذه العملية حتى اخر اليوم حيث يكون المدخن قد دخن أكثر من ستين سيجارة وعشرة « فناجين » قهوة على الاقل ، وجســـم الانسان لايمكن أن يتحمل هذا العبء . سواء كان النيكوتين او القطران فكلاهما سام ، ولكن الانسان كان يمكنه أن يتخلص منهما ، ويمكنه ان يعيش فى اطمئنان ، فى الماضى كان الانسان يعيش فى السموم الصادرة عن البراكين والابخرة . والجسم يمكن ان يتخلص من كل هذا الضرر ، لكن الذى يدخن سيجارتين أو ثلاث فى اليوم ثم يستمر الى أن يصل الى ستين سيجارة فيما بعد ، فلا يوجد شىء يوقف الضرر الناتج عن هذه الكمية ، ولكن قوة الارادة ومنع التدخين يمكن أن يوقفا الكثير .

والتدخين ضرره شأن ضرر الادخنـــة الصادرة من السيارات ، وعربات الديزل والصناعة .

تأثير سيىء

● هل يؤدى التدخين الى التعجيل بالوفاة ؟

ـــ نعم .. ان الاعمار بيد الله ، ولكن

الدكتور محمود محفوظ

التدخين قد يؤدى الى الوفاة المبكرة ، وأيضا اذا أخذنا هذا من الناحيـــة الاحصائية نجد أن بعض المدخنين يصلون الى سن المائة وهنا اقول كيف وصل هذا المدخن الى سن المائة ؟.

لقـد ذكرنا ان التـدخين يقصر عمـر الانســان ، وهـذا كلام صـحيح فكم فى المليون يعيش حتى يصل الى سن المائة ؟ المعروف الان أن متوسط عمـر الانسان مابين ستين وسبعين ســنة ، ولذلك فان أى انسان يدخن وهو صغير السن لايمكن أن يصل الى سن الستين.

ان القطران والنيكوتين لهما تأثير كبير جدا على صحة الانسان . فالقطران يحمل مواد سمية تسبب حدوث سرطان تحت الجلد والامعاء ، ولكن الانسان عنــده القدرة على أن يتخلص من كل هــذا مادام فى الحدود المعقولة ولكن اذا زادت على الحد ، يكون هنا الخطر ، فيحدث السرطان من أول الانف حتى المعــدة والرئتين ، ولكن هل خطورة السرطان مثل خطورة النيكوتين على الاوعية الدموية ، الخاصة بالقلب والرئتين والكلى !! ..

... اقول لا .. أكثر المسائل خطورة على صحة الانسان من ناحية الجهــاز الدموى النيكوتين والقطران معا ، وبالتالى فان خطر النيكوتين والقطران على صحة الانسان يكون أشد وأكثر .

ان الدخان الصادر من اشعال السيجارة يسبب احتقان العين ، أما بالنسبة للمخ فكما ذكرت فان السيجارة الاولى تسبب انتعاشا ينتهى بهبوط وهذا الهبوط سببه مادة التدخين ، والصداع ايضا سببه التدخين ، ولكن هناك صداعا سببه ألم بالاسنان أو أن النظارة غير سليمة ، ولكن هناك الصداع الوظيفى ويكون ســببه الحالة النفسية بسبب اتساع أو انقباض شرايين المخ ، فاذا حدث الصــداع والانسان حزين مثلا فيبدو للانسان أن تدخين سيجارة سيزيل هذا الصداع ولكن يحـدث العكس فان التــدخين يزيد الصداع .

● ما اثر التدخين عــلى القلب والرئتين ؟.

ـ النيكوتين هو العامل الاول فى كل متاعب القلب وما نسمع عنه من الذبحة الصدرية وتصلب الشرايين وانسداد فى الاطراف ، والقطران والنيكوتين يسببان تليف الرئتين ، وهذا التليف فى حـد ذاته يؤثر على الدورة الدموية .

● هل يتأثر غير المدخن بما يشتمه من رائحة السجائر ، وما أثر ذلك عليه ؟

ـ نعم : فان الانسان غير المدخن والذى يعيش مع الانسان المدخن يأخذ ٦٠٪ من نسبة الدخان الصادر ، حيث أن المدخن يأخذ أقل بكثير من المستنشق وبالتالى يحدث المدخن تدخينا سلبيا لكل مـن يجلس بجواره .

وبالرغم من كل التحذيرات الطبيــة يحاول البعض التدخين ، فمثلا الاولاد عندما يشاهدون الكبار يدخنون . تظهر الصورة عنده مرتسمة فى العقل الباطن ، وانها علامة من علامات النمو والذكورة . وبالتالى يهيىء نفسه لعملية التدخين . جزء كبير من القيم والعادات التى تحدث فى المجتمع ، نابع أساسا من الاسرة ، البيت هو المسئول الاول عن كل مايحدث،

● هل التدخين يؤثر على القــدرة الجنسية عند الرجل والمرأة فى عمليــة الانجاب ؟

ـ عندما يكثر الانسان من التدخين فان ذلك يؤثر على القدرة الجنسية ، فضلا عن أن الوظائف الحساسة عند الرجل والمرأة يتأثران . كما أن القلق يضعف القدرة الجنسية ، والخصــوبة شىء والقدرة الجنسية شىء اخر ، فالقدرة الجنسية او عدمها اكثرها ناحية عصبية وتأثير التدخين على الرجل والمرأة سببه الحالة العصبية عند الطرفين ، وقــد أثبتت الاحصائيات أن السيدات الحوامل اللواتى يدخن نسبة حدوث السقط بينهن كبيرة ، ونسبة التشوهات الخلقية فى أولادهن أكثر من الســـيدات غير المدخنات .

● ما مسئولية وزارة الصحة واجهزة الاعلام والصحافة فى نشر الوعى الصحى للمدخنين ؟

— لقد ثبت من تقرير منظمة الصحة العالمية والذى شاركت فى اعداده — ليس لانى من كبار المتخصصين فى هذا المجال ولكن بسبب كونى من كبار المدخنين — وكان من توصياته الاساسية . أن يمتنع الاطبـاء من التدخين ، فالطبيب الذى يدخن ، مثل القسيس أو الشيخ الذى يقول للناس الخمر حرام وهو مستمر وفى هذا الصدد أقول ان فاقد الشىء لايعطيه ، ولابد للمهتمين بالطب أن يكونوا القدوة . والاطباء المدخنون عمرهم اقل عشر سنوات من الاطباء غير المدخنين فمنهم من هو مريض بالقلب أو الرئتين وتصلب الشرايين والكلى الخ ..

ووزارة الصحة أكثر الوزارات حرصا على نشر الوعى باضرار التدخين، أصدرت قرارا بعدم التدخين داخل المستشفيات وداخل العيادات .. وفى بريطانيا قلت نسبة التدخين الى ٤٠٪ ، وعندنا قلت النسبة الى حد ما . ومطلوب منع التدخين بتاتا فى السينما والمسرح والمواصلات العامة وبعض المكاتب الحكومية وغير الحكومية ، وللاسف نجد لافتات كتب عليها ممنوع التدخين والناس يدخنون ، ونجد اعلانات السجائر اقل بكثير مما كانت عليه ، لقد منع مثلا الاعلان عنها بالتليفزيون ، ونحن الان فى سبيل القضاء على اعلانات السجائر نهائيا . وان كانت مصدرا أساسيا من الناحية المادية لبعض اجهزة الاعلام .

لابد لاجهزة الاعلام والصحافة ان يكون لها دور أساسى فى نشر الوعى الصحى مع اظهار مضار التدخين . بالندوات فى التليفزيون ونشر المقالات والاحاديث فى الصحف والمجلات لايجاد وعى يقضى على ظاهرة التدخين .

لقد كنت أكبر مدخن من سيجار الى بايب الى سيجارة ، كانت مشكلتى التدخين بشكل حاد ومستمر ، وعرفت ان السيجارة ليست هى الحل الامثل . ولكن الذى يحل المشكلة هو مواجهتها بالتحليل العلمى ، الامر الثانى : احتساء القهوة بشكل مستمر مع التدخين . وكلاهما يسير فى خط متواز مع الاخر ، واخيرا وجدت قدرتى على حل المشكلة تقل ، وهنا كان عدد السجائر وفناجين القهوة يتزايد ، لانهـا تحدث عملية تهبيط للقدرة الذهنية هنا قلت فى نفسى : حينما تصوم تلبث ١٧ ساعة ممتنعين تماما عن الطعام والشراب والتدخين . وعلى الفور ألقيت بعيدا عنى كل شىء يذكرنى بالسيجارة .

عادات مكتسبة

● **هل هناك ماكولات معينة يحتاج الانسان بعدها الى التدخين ؟**

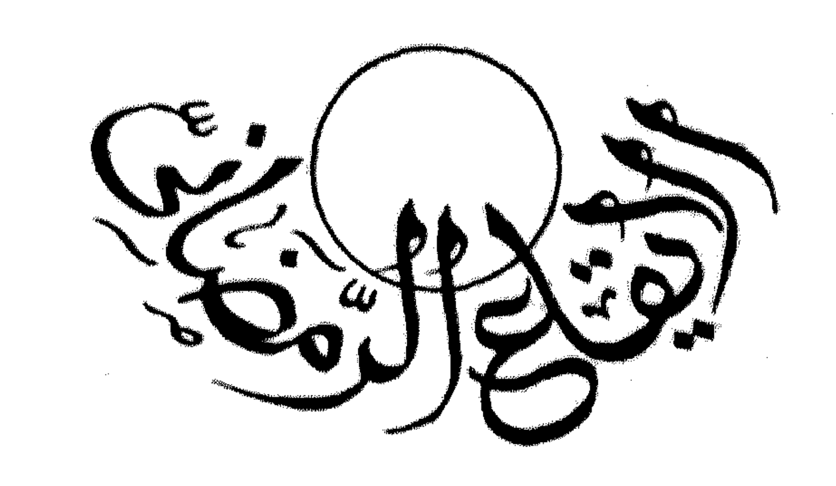
— بعض الناس تعتبر السيجارة الاولى وقت الصباح تحدث عملية تنشيط للامعاء ، وازالة الغشاوة التى تحدث بعد النوم ، أقول ان الانسان لو شرب قدرا بسيطا من الماء البارد أو كوبا من عصير البرتقال المثلج ، أو ملعقة من عسل النحل ، أو عسل النحل المركز فان ذلك عندما يدخل المعدة يعمل لها عملية تنشيط ولنعلم أن الايام الاربعة الاولى من منع التدخين هى الايام الحرجة ، بمعنى أن الانسان عندما يعرف انه مكث بدون تدخين هذه المدة فان بامكانه مواصلة الامتناع عن التدخين .

● **البعض يمتنع عن التدخين لسنوات طويلة ثم يعود الى التدخين ، لماذا ؟**

— هذا الانسان نسى الحديث عنها ، والواجب على كل من يمتنع عن التدخين أن يتحدث دائما عن امتناعه بالاقلاع عن التدخين وقدرته على ذلك امام الاخرين .

● **هناك خبر نشر باحدى المجلات المصرية ، يؤكد بانه جاء فى تقرير لطبيب بريطانى ان التدخين يحمى من الاصابة بسرطان الرحم للسيدات اللائى تخطين سن الياس ، فما رايك فى هذا الخبر ؟**

— تعليقى أن هذا التقرير دراسة احصائية على بعض أنواع الهرمونات ، ومثل هذه الحقيقة يعوزها الكثير من الاحتياط العلمى ، لان هذا اذا ثبت على الحيوان يقابله اسقاط ثبت على الانسان، واما كيف يسقط هذا على الانسان ، فانه يحضر بعض السيدات المدخنات فى سن الياس وغير المدخنات فى سن الياس، ونحصر نسبة حدوث السرطان فى كل من الطرفين ، وستجدون نسبة حدوث السرطان أقل ثم يقولون ان كان هذا الفرق له قيمة أم لا !.



وإيقــاع الحيـــاة

بقلم: محمد فتحي

● للعيش المنظم ، أى الالتزام ببرنامج يومى منتظم للنوم والطعام والعمل ، أهمية بالغة بالنسبة للانسان . فقد ثبت أن جسمه نسيج أو أوركسترا من إيقاعات حيوية كثيرة ، يقودها مايسترو ـ يرتبط بدورة الليل والنهار ـ يجب احترامه حتى لايتحول عزف الأوركسترا إلى نشاز .

وشهر رمضان المبارك يضيف الى الكتاب الموقوت على المتعبد المؤمن ـ الصلاة ـ عبادة موقوتة أخرى هى الصوم ، وكل من العبادتين مرتبط أوثق الارتباط بالزمن والايقاع وجسم الانسان ...

وإذا أخذنا بعين الاعتبار الظروف التى تعبث بليل الانسان ونهاره وإيقاعية حياته عامة ، بالاضافة الى حاجة الانسان الملحة إلى مثل هذا الايقاع ، فهل يمكن ، ونحن نودع الايقاع الرمضانى المميز ، أن نجعله مقدمة لنظام معيشة إيقاعية ، تدعونا إليه كل شواهد العقل والدين ●

فى عام ١٧٢٩ أبلغ عالم الفلك دى ميران أكاديمية العلوم الفرنسية باكتشاف مؤداه أن أوراق النباتات ، التى تتفتح مع شروق الشمس وتنطوى مع غروبها ، تقوم ـ احتكاما إلى التجارب التى أجراها ـ بالشىء نفسه ، إذا عزلت واحيطت بالظلام !

والمؤكد أن احدا من الأكاديميين الذين عرفوا باكتشاف " دى ميران " لم يدرك وقتها المغزى البعيد لهذا الاكتشاف ، كما

حدث مع دى ميران نفسه ، الذى أخطأ الاستنتاج فقرر أن اكتشافه يعنى ان النبات يدرك واقع شروق الشمس ، دون استرشاد بضوء أو خلافه . والصحيح أن ساعة حيوية خاصة ، فى جسم كل كائن حى ، تعمل على ضبط وظائفه فى دقة باهرة ، بصرف النظر عن واقع أو إشارات الصباح والمساء حوله .

وقد احتاجت البشرية الى مايزيد على مائتى عام بعد اكتشاف دى ميران حتى تدرك قيمة هذا الاكتشاف بالنسبة ليقظة الانسان ونومه ، وصحته ومرضه ، وراحته وعمله ، بل ولقيمة هذا العمل على وجه العموم .

● الإنسان بين الايقاعات الحيوية والاجتماعية ●

لقد عاش الانسان ٣٠ ألف جيل ـ على الأقل ـ ليله ليل ونهاره نهار ، دون أن تؤرقه مشكلة الخلط بينهما . وحتى حين اضطرت ظروف الانسان إلى استبدال ليله بنهاره او العكس بالعكس . كما حدث بالنسبة للاوربيين الاوائل على الارض الامريكية ، فإن امكانات الشراع وسيقان الدواب ، جعلت انقطاع الانسان يتم بالتدريج وعلى مهل ، وبما يسمح للجسم بأن يحشد إمكاناته لهذا الظرف الجديد حتى يتاقلم عليه ..

وبعد هذه الرحلة التاريخية المديدة مع انتظام الليل والنهار عرف الانسان الاضاءة الصناعية ، وبدأ يحول ليله ، او بعض ليله ، إلى نهار . وفى طفرة مذهلة على مدى حياة جيل أو جيلين عرف السفر بسرعة تفوق سرعة الصوت ، وبالتالى الانتقال خلال ساعات الى مناطق ليلها هو بعينه النهار الذى كان يكد فيه ، ونهارها هو الليل الذى تعود أن ينامه . بل وصل الأمر بهذه الطفرة الى خروج الانسان من نطاق جاذبية الأرض ، ليعيش على مدار حولها ، مواجها شروق وغروب الشمس ١٦ مرة كل ٢٤ ساعة .

ورويدا اكتشف الانسان ماعرف باعراض " دوار النفاثات " من إحساس متزايد بالصداع الى خلل فى عمل الأمعاء والعين ، ومن إحساس بالجوع الى فقدان الشهية فى نفس الوقت ، وذلك فضلا عن شكاوى المضيفات الجويات ، التى تراوحت بين الأرق والأوهام وبين عدم انتظام دورة التبويض الشهرية .

وبالطبع لم يكن ذلك كله يجرى بعيدا عن رصد الدارسين والعلماء ، الذين اتخذ كل فريق منهم وجهة مختلفة فى دراسته .. هذا يدرس تأثيرات الظروف الطبيعية على الوظائف الحيوية ، وذاك يدرس تأثيرات الظروف الاجتماعية ... غير أن الكائن الحى ، والانسان بصفة خاصة حظى بالنصيب الأوفر من الابحاث ..

جعل العلماء نصف مجموعة من الفئران تعيش نفس الظروف ـ الزمانية ـ لعمل الطيارين على الخطوط التى تعبر المحيط الى امريكا .. وكانت النتيجة أن تقلص عمر هذا النصف بنسبة ٦ ٪ مقارنة بعمر فتران النصف الأخر ..

نقل العلماء نحلا من باريس إلى نيويورك وكانت المفاجأة أن ظل النحل



يمارس أنشطته الحيوية هناك وفق التوقيت الباريسى .

غير العلماء مواعيد يقظة ونوم القرود . ورغم زيادة ساعات النوم كانت تغضب وتمرض وتصاب بالسكتة القلبية .

تجارب كثيرة أجريت على الحشرات والحيوانات تبعتها دراسات على أناس عاشوا متطوعين فى كهوف وفى قمرات معزولة ، بعيدا تماما عن أية علامات تدلهم على سير الزمن الطبيعى حولهم . ورغم حرية التصرف التى تركت لهم ظلوا ينظمون أنشطتهم - بدون ساعات - مع دورة الليل والنهار .

ومع مراقبة ظروف نومهم ويقظتهم ، وقياس درجات الحرارة وتحليل الدم والبول واللعاب ، وتسجيل ذبذبات المخ ، وقياس سرعة الاستجابة ، والقدرة على التركيز الذهنى ، بل والمحيط الميكروبى الناتج عن أنشطة جسم الانسان ، ومع دراسة تطور ذلك كله على مدار اليوم والأسبوع والشهر توصل العلماء إلى أن الوظائف الحيوية للانسان ليست بعيدة عن الناموس العام الذى يحكم ظواهر عالمنا ، ويجعل كلا منها تتكرر بعد آماد زمنية متساوية ، على نمط دوران الليل والنهار ، ودوران الفصول والسنين و ..

وكشف العلماء فى جسم الانسان عن آلاف مؤلفة من إيقاعات الأعضاء والأنسجة بل والخلايا ، يتراوح ترددها بين واحد على ألف من الثانية (تتكرر ألف مرة فى الثانية الواحدة) وبين ١٢ سنة (تتكرر مرة كل ١١ سنة) ..

● الايقاع المايسترو ●

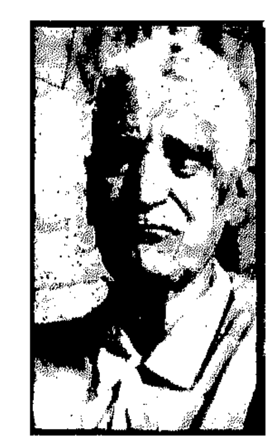
ولأن الجسم وحدة متكاملة كان لابد أن تعمل هذه الايقاعات المثيرة المتنوعة فى توافق ولم يطل البحث كثيرا عن ضابط الايقاع العجيب ، الذى يحكم هذا التوافق ، إذ سرعان ماالكتشف أنه إيقاع شبه يومى سمته الأولى هى الاتفاق مع زمن دوران الأرض حول محورها ، وبالتالى مع دورة الليل والنهار ، واليقظة والنوم . ولايضاح طبيعة هذا المايسترو يكفى معرفة أن إيقاع عمل القلب يتراوح بين ٧٠ دقة فى الدقيقة خلال بعض أوقات النهار ، و ٤٥ دقة فى الدقيقة خلال بعض أوقات الليل ، ذلك رغم تعودنا الاشارة الى هذا الايقاع بشكل عام على أنه ٦٠ دقة فى الدقيقة ونفس الشىء بالنسبة للايقاع العام للتنفس (١٦ دورة فى الدقيقة) فهو يتراوح بين ١٨ دورة نهاراً و ١٢٠ دورة ليلاً .. أى أن كل عضو وكل نسيج يخضع إلى جوار إيقاعه الخاص للايقاع شبه اليومى .

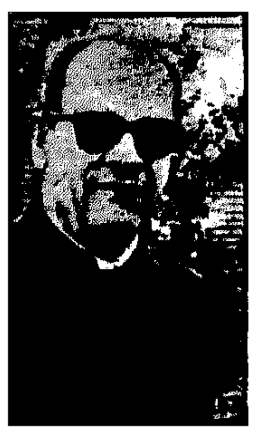
هذا وقد أمكن تحديد مايربو على ٥٠ عملية فسيولوجية تجرى فى جسم الانسان وفق ذبذبات متكررة ، فى دورات يومية ، على غرار النبض والتنفس . ويمكن تشبيه دور المايسترو بدور الأمين على مخزن موارد الجسم المحدودة ، الذى يقوم بتوزيعها على نحو يضمن

توافقها ، ويضمن تجنيب الجسم حدوث اختناقات فى الموارد .

وهكذا فإن تغيير موعد النوم واليقظة مثلا ، نتيجة لفارق التوقيت أو خلافه ، يفرض على آلاف الدورات الخاصة . بمختلف الوظائف ـ معاودة ضبط خطوها وضبط العلاقات بينها من جديد ، الأمر الذى لابد وأن ينعكس على نظام العمل والطعام والعلاج ، وعمل ناتج أى منها . وللمرء أن يتصور الفوضى التى يفرضها المرء على هذه الأنشطة جميعا إذا تكرر هذا التغيير بصورة مستمرة .

ولم يكن اكتشاف علاقة أوركسترا إيقاعات الجسم الحيوية بدورة الليل والنهار اكتشافا غريبا ، فالانسان لايعيش وحده فى الكون . ولابد لايقعات أجزانه المختلفة من علاقة متبادلة . وهكذا عملت إيقاعات الانسان الحيوية دوما فى علاقة بايقاعات الطبيعة لكن المدنية جاءت لتضيف مجموعة أخرى من الإيقاعات الاجتماعية التى تتناقض مع هذه الإيقاعات الطبيعية ، وتحول أنشطة النهار الى ليل ، فمن عمل ليلى الى حفلات ساهرة حول موائد شهية ، وإلى سفر عبر المناطق الزمنية و .. وكل ذلك يعاكس نشاط المايسترو ويثير الفوضى بين إيقاعات أوركستراه . فإن كانت توجيهاته تقضى بأن تفرز المعدة أنزيماتها وعصاراتها لآخر مرة فى الثانية فأنها تفاجأ بالطعام بعد منتصف الليل . دون أدنى استعداد ، وان كانت أوامر المايسترو تقضى بأن تبدأ بعض أجهزة الجسم خفض نشاطها ، اعتبارا من الثامنة فإن هذه الأجهزة تفاجأ بتصاعد الأحمال اعتبارا من العاشرة ، والنتيجة الحتمية هى الخلل الوظيفى فى أداء هذه الأجهزة مما يؤدى إلى مانسميه بأمراض


عباس العقاد


نجيب محفوظ

● نجيب محفوظ يترك القلم إذا جاء موعد النوم .

● لماذا يصاب الطيارون المتجهون من الشرق الى الغرب بالأمراض .. ؟!



العصر من القرحة الى الارق والاجهاد والتوتر والاكتئاب ...

وبالفعل اكتشف العلماء أن سبب ارتفاع نسبة الطيارين المصابين بقرحة فى المعدة ، بين العاملين على خط « باريس - نيويورك » يرجع الى عدم توافق طورى إفراز عصارات المعدة وعصارات الكبد ، فى المقام الأول لعدم انتظام مواعيد تناول الطعام .

واذا كنا قد ركزنا على نتائج الخلل فى مواعيد تناول الطعام فذلك لأنه المثال الأكثر ارتباطا بواحدة من الحكم الكثيرة الكامنة وراء الصيام . غير أن الخلل فى الايقاعات الحيوية يمتد بتأثيره السيىء الى مختلف أنشطة الانسان ، ومن هنا ضرورة احترام الانسان لهذه الإيقاعات ، لما ينطوى عليه ذلك من أهمية بالغة بالنسبة له سواء أكان طالبا يسهر أيام الامتحان على غير عادة ، دون أن يدرك مدى ضرر ذلك حتى على تحصيله ، أم ربة بيت لاتدرك سر الشحان العصبى الذى يسود بيتها دون أسباب مفهومة .

● حضور ذهنى وعمر طويل ●

ويروق لى دوما ، لايضاح هذه الأهمية بصورة مجسمة ، أن أستعين بعلاقة كاتبنا الكبير نجيب محفوظ بالساعة . فمن المشهور أن جيرانه يستطيعون ضبط ساعاتهم على مواعيد أنشطته المختلفة فى الصباح على موعد خروجه من البيت وفى المساء على اللحظة التىّ يضاء فيها النور بحجرة مكتبه ، ثم على اللحظة التى يُطْفَأ فيها النور لانتهائه من الكتابة ومايروى عن نجيب محفوظ فى هذا الصدد من أنه لايكتب المجرور إذا حلت اللحظة التى حددها لانتهاء الكتابة وقد انتهى السياق الى حرف جر ليس إلا رمزا لما يلتزم به كاتبنا من دقة بالغة ، فى تنظيم كافة أنشطة حياته .

وقد سألت نجيب محفوظ مرة عن الفائدة التى يُجنيها من هذه العلاقة المرهقة بالساعة فكان جوابه : " إن هذه العلاقة ، بالرغم من كونها مدعاة للعناء والألم قد أفادتنى كثيرا ، لأنها مكنتنى من ممارسة نشاطى الأدبى بانتظام ، على الرغم من أعباء الوظيفة " . وإذا أدركت أن الوظيفة فى ظروفنا الاجتماعية كانت ضرورة بالنسبة لنجيب محفوظ ، اتضح أننا مدينون لهذا الالتزام بالأديب نجيب محفوظ . وربما مكن الفارق الأساسى بين نجيب محفوظ وبين المواهب الكثيرة التى تلمع وتضىء ، لكنها سرعان ماتحترق كالشهاب ، فى هذا الانضباط المرهق .

وأنا أختار نجيب محفوظ عن عمد لما قد يبدو من جفوة بين العيش المنظم وبين النشاط الفنى ، لما ارتبط به فى أذهان العامة من متطلبات كالجرى وراء شيطان الالهام والبوهيمية ... ونجيب محفوظ ليس غريبا فى هذا الباب فمثله فى ذلك كمثل

توفيق الحكيم وزكى نجيب محمود والعقاد ..

ومن الجدير بالذكر أن كل من ذكرناهم - رحم الله العقاد وأطال فى عمر الباقين - من المعمرين الذين يتمتعون بيقظة عقلية يحسدون عليها . هذا كما أن الدراسات العلمية التى اهتمت بظروف حياة المعمرين عامة كشفت أن أياً منهم لم يتعرض لمحنة فارق التوقيت ، والسفر المتكرر بين المناطق الزمنية المختلفة .

وإن كنا قد آثرنا أن نتخذ الصحة ، ومايصاحبها من إنتاج مميز وفير ، محورا ندير الحديث حوله فيجب ألا يفوتنا أن القاع المقابل لقمة الصحة هو ماأصطلح على تسميته بأمراض العصر . ومن المسلم به فى الأوساط العلمية حاليا أن الخلل فى توافق الإيقاعات الحيوية يعنى المرض ، وأن بلوغ الخلل مدى يقضى على الانتظام تماما ، يعنى فناء الكائن الحى ..

● لماذا هذه الأيام بالذات ●

ومن المفيد ألا نتخطى هنا نقطة هامة لابأس من إثارتها عبر تساؤل قد يراود القارىء : كيف نختار فى دعوتنا إلى التزام إيقاع منظم دقيق للعيش ، شهر رمضان بالذات وله إيقاع لابد وأن يخالف إيقاع العيش الاعتبارى ؟

ولابأس هنا من كلمات كتبها العقاد يشرح بها سر شبابه فى الشيخوخة : « ولا أرانى صنعت معجزة أن أحتفظت بهذا القسط من الشباب ، لأنه حظ يصيبه من يشاء ، وأخال طريقتى فى إصابته من أيسر الطرق للجميع ، فلى وقت للعمل ، ولى وقت للرياضة ، ولى مواعيد للطعام وللنوم لاتختل فى يوم .. ولى يوم فى كل اسبوع أكف فيه عن كل عمل وكل قراءة حتى مطالعة الصحف وفض رسائل البريد » ..

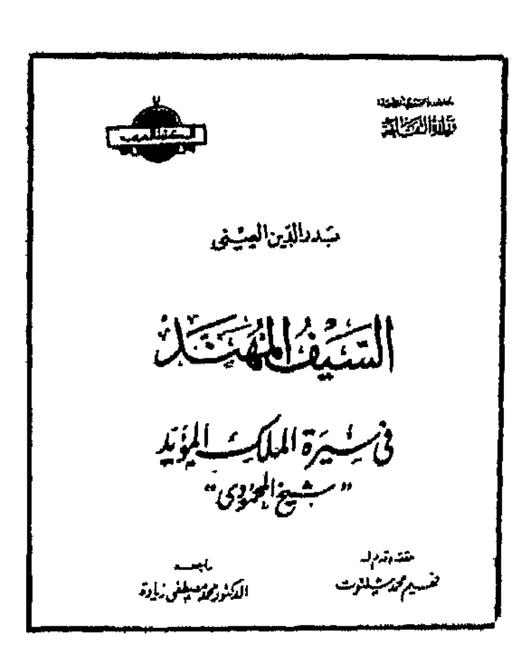
واذا اضفنا إلى الشق الأخير من فقرة العقاد ما اعتاده نجيب محفوظ من ترك القاهرة ، ونظام عيشه فيها ، إلى نظام صيفى مخالف تماما ، لاتضح لنا أحد النواميس التى ترتبط بالعيش الايقاعى فلا شك أن ماستهدفه العقاد أو مايستهدفه نجيب محفوظ من التغيير هو الاقبال مجددا على النظام الاعتيادى بشغف أكبر ..

إن تغيير الايقاع أمر مطلوب لتجديد الاحساس به ، ولكن شريطة أن يكون التغيير إيقاعيا هو الآخر . ومن هنا اختيار توقيت هذه الدعوة للقارىء ، بعد التنويعة الرمضانية المتميزة بالذات .

ولعله واضح أن حديثنا لم يتناول سوى مظهر واحد من مظاهر الصيام هو إيقاعيته ، وارتباط الصوم بايقاع القمر (صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته) وإيقاع الشمس (إفطار المغرب وسحور ماقبل الفجر) أمر لايحتاج فى جلائه الى مزيد . وإن كان من كلمة تضاف فلتكن ماكشفت عنه دراسات الايقاعات الحيوية من أنهما - إيقاع الشمس وإيقاع القمر - أكثر إيقاعات كوننا تأثيرا على الكائنات الحية ...

بقلم : محمد السيد عبد

السيف المهند في سيرة الملك المؤيد


بدر الدين العيني

السيف المهند

في سيرة الملك المؤيد
"شيخ المحمودي"

حققه وقدم له
فهيم محمد شلتوت

راجعه
الدكتور محمد مصطفى زيادة

هناك صنف من المؤرخين يوصف دائما بانه ((رسمى)) ويقصد بهذه الصفة ان هؤلاء المؤرخين يعبرون فى تاريخهم عن وجهة النظر الرسمية ، اى وجهة نظر السلاطين الذين يؤرخون لهم ، ومن ابرز الامثلة على هذا الصنف من المؤرخين البدر العينى صاحب كتاب السيف المهند الذى نتناوله

والبدر العيني هو : بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد ، ولد بعينتاب بين حلب وانطاكية فى السابع عشر من رمضان سنة اثنتين وستين وسبعمائة للهجرة . وسافر فى طلب العلم الى عده بلاد ، ثم استقر به المقام فى مصر ، واشتغل فيها بالتدريس ، وتولى أمور الحسبة ، كما عين ناظرا للأحباس « الاوقاف » وناظرا للخاص « أى الاملاك السلطانية » .

وقد تعرض البدر لغضب المماليك غير مرة اذ عزله الامير جركس الخليلي من وظيفته وأمر بنفيه ذات مرة لولا تدخل شيخ الاسلام البلقيني ، وكذلك عزل من وظيفته فى بداية عهد السلطان المؤيد ، ومن هنا فقد قرر ألا يعرض نفسه للغضب السلطاني ، فراح يؤلف لكل من يلي السلطنة كتابا ، فكتب عن الملك المؤيد هذا الكتاب ، ثم كتب « الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر » عن السلطان الظاهر ططر الذى جاء بعد المؤيد ، ثم كتب « عقد الجمان » وترجم فيه للأشرف برسباى الذى تلا ططر ، وهكذا ظل مرضيا عنه حتى أدركته الوفاة وقد تجاوز التسعين .

هذه نظرة سريعة على مؤرخنا ، فماذا عن سلطاننا المؤيد الذى يدور حوله هذا الكتاب ؟. لنتعرف عليه سريعا ، لكن ليس من خلال البدر العيني الذى تتسم كتاباته بالاستطراد ، بل من خلال ما كتبه عنه المؤرخ العظيم المقريزى .. يقول المقريزى :

« سرق من بلاده وهو صغير ، فصار الى تاجر يقال له محمود شاه اليزيدى ، اشتراه بثلاثة آلاف درهم فضة ، وقدم به الى القاهرة .. فى سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة ، وعمره قريب من اثنتى عشرة سنة ، فاخذه السلطان الملك الظاهر بعد موت محمود هذا من تركته ، ودفع الى ورثته ثلاثة آلاف درهم ، ورقاه فى خدمته فعرف بشيخ المحمودى ، ثم أنعم عليه بامرة عشرة ، ثم بامرة طبلخاناه ، وجعله رأس نوبة . ثم صار من جملة أمراء الالوف . وولى نيابة طرابلس ، ثم نيابة الشام . وحاربه السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق الى ان انهزم «اى السلطان » وقتل .. وقدم بعد قتله الى الديار المصرية من دمشق بالخليفة المستعين بالله ، وفوض الخليفة اليه جميع الامور ، ولقبه نظام الدولة ، فتصرف فى الولايات والعزل والاخذ والعطاء وغير ذلك ، بحيث لم يكن للخليفة معه أمر ولا نهى .. الى أن كان يوم الاثنين مستهل شعبان هذا ، واجتمع قضاة القضاة الاربعة ، وجميع الامراء وكافة ارباب الدولة .. قام فتح الدين فتح الله كاتب السر على قدميه وقال لمن حضر ان الاحوال ضائعة ، ولم يعهد أهل نواحى مصر عندهم اسم الخليفة ولا تستقيم الامور الا بأن يقوم سلطان على العادة . ودعاهم الى الامير شيخ ، فقال الامير شيخ : هذا امر لا يتم الا برضا أهل الحل والعقد ، فقال من حضر من الامراء بلسان واحد : نحن راضون بالامير الكبير . فمد قاضى القضاة شيخ الاسلام جلال الدين ابو الفضل عبد الرحمن بن البلقيني يده وبايعه ، فلم يختلف عليه أحد » .

● السلطان ونسبه ●

هذه عجالة عن مؤرخنا وسلطاننا ، ننتقل بعدها الى استعراض الكتاب ..

يبدأ البدر العيني كتابه بباب عن اصل السلطان المؤيد وجنسه ، ولابد لنا أن ندهش من هذا العنوان ، لمعرفتنا ان السلطان تركى جركسي مثل كل الاتراك الجراكسة الذين كانوا فى مصر حينئذ ، وأنه لا يعرف له نسب لانه سرق صبيا من آخر الدنيا ، الا أن مؤرخنا الذى عقد العزم على تعظيم السلطان لم يهتم بهذا ، وبدأ كتابه بباب « وليس فصلا »

من أصل السلطان وجنسه ، فماذا كتب فيه

راح أولا يرصد تاريخ البشرية من عهد آدم الى أن وصل الى ترك بن يافث رأس سلالة الاتراك ، ثم تتبع بعد هذا قبائل الترك حتى وصل الى الفرع المسمى بالجراكسة ، ثم تتبع الجراكسة حتى وصل الى بطن من بطونها يسمى كرموك، ثم تتبع ملوك كرموك حتى وصل الى رجل يسمى اينال . ثم قال :

«ومولانا السلطان المؤيد ثبت الله قواعد دولته من ذرية اينال المذكور ، وهو أصل شريف كبير فيما بينهم، مشهور بالشجاعة والشهامة والمروءة والكرم والسطوة ، وابوه أيضا كان كبيرا كأسلافه حاكما على طائفته » .

هذه هي السطور التي جاد الله بها على مؤلفنا عن أصل السلطان ونسبه لابيه الذي لم يذكر لنا اسمه خلال باب كامل . اما عن ام السلطان التي لم يذكر اسمها أيضا ، فقد خصها هي الاخرى بخمسة أسطر ، قال فيها :

« اما ام مولانا السلطان الملك المؤيد رحمه الله ، فقيل انها من الترك ، ولكن لما اجتمعت به يوم الاثنين العاشر من ربيع الاخر سنة ثماني عشرة وثمانمائة ، لأجل قراءة تاريخه وسيرته ، وسألته عن أمه فقال : انها من الجركس ، فأثبت ذلك مثلما سمعت والله سبحانه اعلم » .

● التسمية بالهام من الله ●

وبعد البحث في الاصل والجنس يخصص مؤلفنا بابا آخر للبحث في اسم السلطان وما يدل عليه ، ويقوم الباب كله على نظرية غريبة تقول :

« ان وضع الاسماء لا يكون الا بالهام من الله تعالى ، فلو لم يكن ما تضمنه الاسم من المعاني أو بعضه موجودا في مسماه لما وقع عليه بالالهام الرباني » .

ويبذل العيني جهده في التدليل على النظرية من خلال اسماء الانبياء :

((سمي آدم عليه السلام بهذا الاسم لكونه خلق من أديم الارض وهو وجهها، وسمي شيث عليه السلام بهذا الاسم لأن معناه عطية وهبة بالسريانية ، وسمي به لانه هبة من الله لادم عليه السلام عوضا عن هابيل ، وسمي نوح عليه السلام بهذا الاسم لكثرة نوحه من خوف الله تعالى ، وسمي ابراهيم عليه السلام بهذا الاسم لان معناه أب رحيم في السريانية ..)) .

وهكذا يمضي في البرهنة على نظريته التي يكذبها الواقع بقوة ، لاننا قد نجد فتاة قبيحة يسميها أهلها جميلة أو رجلا كاذبا واسمه صادق .. ولاننا نعلم أن أسماء الرسل التي ذكرها مؤرخنا لا يمكن ان تكون قاعدة للقياس ، خاصة وان بعضها مرتبط بمناسبات ومواقف محددة اكتسب اسمه من خلالها وليس كل البشر كذلك .

وينتهي مؤرخنا من مسيرة الربط بين أسماء الانبياء وصفاتهم الى قوله :

« وكذلك اسم مولانا السلطان – خلد الله ملكه – يدل على أن ذاته معظم موقر مشرف ، فالشين تدل على شرفه ، والياء تدل على يمنه ويسر أمره ، والخاء تدل على خيره في افعاله واقواله » .

ولا شك ان هذه نتيجة مفتعلة لا تقوم على أساس ، لان الشين كما توجد في اسم السلطان « شيخ » توجد في «شيطان» والياء أيضا توجد في الفاظ ذات معنى مخالف كقولنا « يابس » والخاء توجد في الفاظ منكرة ، الا أن البدر العيني – كعادته – لا يهتم بكل هذا ، بل يمضي في نفاقه فيذكر مميزات سلطانه «شيخ» الاخرى ، وهي كالتالي :

– ان القيمة العددية لحرف الخاء « آخر حروف شيخ » تسعة ، وبالتالي فهو آخر السلاطين الترك على ما رمز به بعض أصحاب الرموز ، فيكون به صلاح

الدنيا ، ويختل بعده نظام العالم .

وقد كفانا محقق الكتاب الاستاذ محمد فهيم شلتوت مؤونة الرد على هذا الزعم، اذ قال فى هامش الصفحة :

« ولم يصدق ذلك فقد وصل عدد سلاطين الاتراك فىمصر الى نيف وأربعين، وكان ترتيب المؤيد بينهم الثامن والعشرين » .

— « ان من جملة أسرار حروف اسم السلطان أنها مشتملة على الحروف النارية وهى الشين ، والهوائية وهى اليـاء ، والترابية وهى الخاء ، وقد علم فىأسرار الحروف انها نارية وهوائية ، وترابية ومائية » وبالتالى « فالشين تدل على أن من عاداه أو عصى عليه أو خرج من طاعته، أو أضمر له سوءا ، أو نوى له مكـرا وخديعة فانه يحترق بناره ، ويتـلاشى أمره ، ويتفرق شمله ، ويندرس حاله ، ولا يبقى له ولا لحاشيته أثر ولا خبر ، كالنار اذا وقعت فى أرض تأكل ما فيها كله » .

انظر الى كل هذه المعانى التى أضفاها المؤرخ « المنافق » على حرف الشين .. سبحان الله !! على أية حال لنر أيضا ماذا كتب عن حرفى الياء والخـاء ، يقول :

« والياء تدل على أن من نصـح له واخلص فى طاعته ظاهرا أو باطنا تنصب عليه نفحات نسيمه الوسيم وتهب عليـه نسمات بره وخيره العظيم ، كالهـواء فانه حياة كل ذى روح وبقاء كل حيوان. والخاء تدل على عمارته بلاد رعيته ، ويدل على ذلك عدله ، وذلك لان التراب تخرج منه ارزاق جميع العباد والحيوانات ، ويستتر به من كان من الاموات » .

— ان حساب حروف اسم السـلطان وتطبيقه على حركات النجوم يفيـد أن السلطان يولد له كذا طفل ، ويوصف بصفات كذا ، ويصيب أعداءه منه كذا، ويتوفى يوم الاربعاء الثانى عشر .

هكذا يصل مؤرخنا الى حد مخالفـة الدين من أجل سلطانه ، ناسيا الاية الكريمة : « فلا يظهر على غيبه أحد ».

— ان من خواص اسم « شيخ » انه ليس فيه حرف من الحروف التى ينغلق بها الفم ، وفى هذا اشـارة الى أن صاحبه دائما فى الفتوح والبركات .

— أن حروف الشين والياء والخـاء موجودة فى أسماء الانبياء ك : شعيب ، اشعيا ، يونس ، يحيى ، وغيرها . وقد ورد فى الاسرائيليات ان من كان فىاسمه حرف من حروف اسماء الانبياء دخـل الجنة .

● ان اسم شيخ لم يسم به احد من سلاطين الترك وغيرهم فى دولة الاسلام .. ومعنى هذا أن السلطان هو شيخ السلاطين الذين تولوا الديار المصرية ، والدليـل على ذلك « انه تولى السـلطنة بيسر وسهولة من غير سل سيف وسـفك دم بخلاف غيره من السلاطين الترك » فهل بعد كل هذا الكلام مجال للاختـراع والتلفيق والنفاق !.

● اختراع الدلالات ●

ويخصص العينى بابا آخر للبحث فى « كنية السلطان « أبو النصر » وما تدل عليه ومن تكنى بها من الملوك » ويقـوم هذا الباب — مثل الباب السابق — على نظرية تقول : « ان وضع الكنى الهام من الله تعالى .. يظهر سرها فى صاحبها » ويدلل على ذلك بدليلين ، الاول : ان الظاهر بيبرس لما تكنى بابى الفتح حصلت فى ايامه فتوح كثيرة . والثانى : ان الظاهر برقوق لما تكنى بابى سعيد لم يزل سعيدا فى حياته الى ان مات .

ويرتب على هذين الدليلين أن « كنيـة مولانا السلطان المؤيد تدل على أنه منصور فى كل حركاته ، وكل أموره ، وان النصر لا يفارقه لانه صار أبا له ، فصار النصر

كالابن ، والابن جزء من الاب ، فكذلك النصر جزء لمولانا المؤيد » .

وواضح ان اختراع الدلالات فيما سبق لا يستند الى الواقع، الا انهذه هى طريقة مؤرخنا ، وامعانا منه فىاختراع الدلالات يتتبع كلمة النصر فى القرآن ومشتقاتها ليثبت شرف الكنية ، ويتتبع الكنية فى الخلفاء والوزراء والفقهاء والفلاسفة والشعراء ليؤكد ان كل من تكنى بأبى النصر كان عظيما ، وكأن الكنية كافية لحل مشاكلصاحبها وجعلشخصيته فى اعلى مكان .

● مواصلة الطريق ●

واصرارا على النفاق يعقد مؤرخنا بابا خاصا للبحث فى لقب السلطان ، ولان لقب «المؤيد» لايحتاج الى باب كامل يبحث فيه عن دلالته ، فان مؤرخنا تخلصا من الحرج راح يبحث فى الالقاب منذ بدء الاسلام حتى العصر المملوكى ، ثم تحدث بعد ذلك عن لقب السلطان المؤيد فى اقل من ثلاثة اسطر ، قال فيها :

« المؤيد أيده الله بملائكته الكرام ، ولقبه احسن الالقاب ، وكنيته احسن الكنى ، وبهما خاطب الله نبيه الكريم حيث يقول فى كتابه الكريم « هو الذى أيدك بنصره » . » .

ولو دققنا فى هذه السطور الماضية لما وجدنا فيها تحليلا عميقا ولا نظرة فلسفية ، ولا استنتاجا لشىء يذكر ، فقط يصدمنا نفاق المؤرخ الرسمى فى كل حرف منها .

وعلى الطريقة العينية يقوم مؤرخنا بحصر المواضع التى ورد فيها لفظ «أيد» ومشتقاته فى القرآن ، ويتلوها بذكر من لقب بالمؤيد حتى يأتى الى السلطان المؤيد شيخ فيقول :

« ولم يذكر لقب من القاب السلاطين مثلما ذكر هذا اللقب ، ففيه اشارة عظيمة لمولانا السلطان المؤيد خلد الله ملكه ، حيث خصه الله بهذا اللقب الشريف » .

ويبدو أن العينى شعر بأنه لم يوف السلطان حقه من الانشاء فى هذا الباب، فأضاف تذييلا قصيرا عن لقب «السلطان» وكأن المؤيد وحده هو الذى حمل لقب « سلطان » .

● نظرية التاسع والتسعة ●

ومن اغرب النظريات التى يطرحها مؤلفنا نظرية تقول ان التسعة الاوائل فى كل شىء هى أعظم الاشياء وان آخر التسعة اعظمها ، وبالتالى فأعظم سلاطين الجركس هو المؤيد أن ترتيبه بينهم هو التاسع . وهذه نظرية لا اساس لها ، فالواثق مثلا وهو تاسع خلفاءبنى العباس لا يرقى أبدا للمأمون ، او لبناة الدولة العباسية ، او لهارون الرشيدالذى صاغ الناس الاساطير حوله فى الف ليلة ، لكنها رغبة مؤلفنا فى تعظيم سلطانه فماذا تفعل !.

● عشرة اسباب ●

ويقف البدر عند الاسباب التى يستحق المؤيد السلطنة لاجلها ، ويجملها فى عشرة: السن ، الشجاعة ، الفروسية ، حسن الصورة والبسطة فى الجسم ، المعرفة باحوال الرعية ، المعرفة بأمور الشرع ، الرغبة فى نشر العدل والعفو والصفح، الفضل والكرم والاحسان الى اهل العلم والغرباء ، قربه من الناس وتواضعه ، واخيرا عدم من يدانيه او يقاربه فى عصره فى مثل صفاته .

والحقيقة ان هذه الصفات بعضها تافه مثل حسن الصورة وكأننا فىمسابقة للجمال ، او البسطة فى الجسم وكأن قصار القامة لا يستحقون ان يحكموا الدول ، وكذلك صفة السن ينطبق عليها نفس قاعدة التفاهة لان التاريخ يشهد أن حكاما وقادة حققوا اعظم الانتصارات وهم



على مشارف العشرين أو بعد أن تجاوزوها بقليل ، اما الشجاعة والفروسية فهى صفات متداخلة ذكرها صاحبنا تفصيلا لاكمال العدد عشرة لا غير ، وأما بقية الصفات فمعظمها كاذب مثل الكرم الذى ينكره المقريزى ويقول « كان بخيلا » ومثل العفو والصفح والعدل اذ المعروف أن هذا السلطان قتل ابنه بالسم دون ذنب لانه خاف على نفسه من انتصارات ابنه العسكرية التى كان يحققها بأمره ولصالحه .. وهكذا نرى كيف يتهاوى تاريخ العينى امام اى فحص موضوعى .

● وبالنجم هم يؤمنون ●

لم يكتف العينى بكل ما اخترعه من دلالات للاسم والكنية واللقب والترتيب بين الحكام لاعلاء شأن سلطانه بل اضاف بابا فى حساب النجوم لبيان دلالات التاريخ الذى تولى فيه المؤيد الحكم ، والحقيقة انه يصعب تلخيص هذا الباب لاعتماده على الجداول الفلكية والمصطلحات الخاصة ، الا أن المهم هنا هو بيان مدى اصرار العينى على تعظيم الحاكم مهما كانت الوسائل .

● آخر الاشياء هو التاريخ ●

بعد ان تعب مؤرخنا فى البحث عن دلالات الالفاظ والتواريخ وأوشك الكتاب على الانتهاء تذكر انه لابد ان يكتب تاريخ مولاه كسلطان لمصر ، فعقد بابا أخيرا لهذا الغرض ، وحتى لا يقع فى أى مزالق مع السلطان فقد حدد لنفسه هدفا واضحا هو ان يذكر الانعامات التى أنعم بها على رجال حاشيته ، وعقابه لمن خرجوا عن طاعته . ويبدو أنه ضاق بكتابة التاريخ حتى بمفهوم الانعام والعقاب فتوقف عندما شاء له مزاجه ان يتوقف ولم يتتبع الاحداث الى نهاية عصر المؤيد . فالى اى مدى انتهك هذا الرجل حرمة التاريخ !!.

تبقى أخيرا كلمة مهمة عن تحقيق الكتاب وتيسيره للقارىء .. لقد قام الاستاذ محمد فهيم شلتوت بجهد طيب فى تحقيق الكتاب ، وباكمال النقص فيه ، والتعريف بالأعلام ، والاماكن ، والوظائف ، والمعارك وقدم لكل هذا فهارس وافية ، كما قدم للكتاب بمقدمة جيدة عن المؤلف والكتاب ، لكنى — رغم هذا — كنت أرجو منه مضاهاة ما جاء بهذا الكتاب بما جاء فى الكتب الاخرى التى تحدثت عن نفس السلطان ، وكذا مضاهاة ما جاء بهذا الكتاب بما جاء فى كتاب المؤلف عن الظاهر ططر ، وتقديم رأى نقدى فيما يورده صاحب الكتاب من نظريات غريبة ، حتى تتم الفائدة ..

إسرائيل .. والكنيسة الأمريكية

بقلم: عبد الحميد الكاتب

عندما نتحدث عن النفوذ اليهودى فى امريكا نركز الحديث على نفوذهم فى الكونجرس ، او تاثيرهم فى الانتخابات ، او تسلطهم على الصحافة واجهزة الاعلام وقد نتحدث عن نفوذهم فى دوائر التجارة وعلى الاخص تجارة المال فى المصارف وسوق الاوراق المالية .. ثم نغفل او نجهل ان النفوذ اليهودى قد تشعب وتغلغل فى الكيان الامريكى بوجه عام ، وامتد الى نواح ودوائر يفترض انها ابعد ما تكون عن التاثر بهذا النفوذ ، وان فيها مناعة تحصنها وتحميها من تاثير اليهود ..

واعنى بهذا دوائر الامريكية سواء كانت بروتستانية او كاثوليكية ..

تسرب أو تسلل النفوذ اليهودى الى الكنائس الامريكية منذ البداية .. ثم تغلغل فى مجالسها ومؤسساتها وتدخل فى مصالحها المادية .. وشيئا فشيئا سيطرت الافكار والدعايات اليهودية على عقول المترددين على الكنائس وهم - قطعا - الاغلبية الساحقة من الرجال والنساء من الشعب الامريكى

ولم يكن هذا الامر يعنينا نحن العرب فى قليل أو كثير ، فلا المسلمون منا يعنيهم أن يسيطر اليهود على عقول الامريكيين المسيحيين ، ولا المسيحيون منا يهمهم الامر لان أغلبيتهم هم الارثوذكس وليسوا من البروتستانت أو الكاثوليك ..

ولكن الامر اختلف عندما بدأت الحركة الصهيونية تعمل لتنفيذ مشروعها الخطير .. مشروع انشاء دولة يهودية فى قلب البلاد العربية .. معتمدة - أولا وقبل كل شىء - على النفوذ اليهودى المتشعب المتغلغل فى أمريكا فقد جعلت الحركة الصهيونية من الكنيسة الامريكية سندا وعونا لها فى الوصول الى أهدافها ، بل اتخذت منها ومن نفوذها الكبير على الشعب الامريكى أداة فعالة فى تنفيذ المشروع الصهيونى وفى اقامة الدولة اليهودية

فى قلب العالم العربى ، والاسلامى
وليس هذا مجرد كلام أو أوهام ..
بل سوف أستشهد بوقائع محـــددة وبمصادر أمريكية مسيحية تبين لنـا حقائق عن التغلغل اليهودى فى أوساط الكنـــائس الامريكيــــة ومجالسها ومؤسساتها ، حتى صارت هذهالكنائس قوة مؤثرة فى توجيه الشعبالامريكى الى تأييد الحركة الصهيونية . وقــوة ضـاغطة وفعـــالة على الكونجرس الامريكى وعلى الادارة الامريكيةلتاييد اسرائيل وامدادها بكل وسائل العـون والتدعيم .

● قرار تقسيم فلسطين ●

كان أول ما أثار انتباهى الى دور الكنيسة الامريكية فى تأييد اسرائيـل هو ماشهدته بنفسىفىعملية قبولاسرائيل عضوا فى الامم المتحدة فى سنة ١٩٤٩
فى ذلك الوقت كان التفكيرالسياسى .. وكان المنطق القانونى ، يقولان بأن الاغلبية الكبيرة من الدول الاعضـــاء فى الامم المتحدة لا يمكن أن توافقعلى قبول انضمام اسرائيل اليهـــا الا اذا قامت بتنفيذ قـــرار تقسيم فلسطين تنفيذا كاملا بما فيه جعل المنطقة التى تقوم فيها مدينة القدس منطقة دولية .
أن القرار المعــــروف باسم قرار فلسطين ، والذى أصــدرته الجمعية العامة للامم المتحدة فى نوفمبر ١٩٤٧ قـد قسم أرض فلســـطين الى ثلاثة أجـزاء : جزء مساحته ٥٦ فى المـائة من أرض فلسطين تقوم فيه ما سمـاه القرار .. « الدولة اليهودية » .. وجزء مساحته ٤٣ فى المائة تقوم فيه « دولة عربية » .. وجزء ثالثمساحته واحد فى المائة وهو المنطقة التى تقوم فيها مدينة القدس ، هــذه لا تدخل فى الدولة اليهــودية ، ولا فى الـــدولة العربية ، وانما تكون منطقه دوليـــة



ايدت الكنيسة الأمريكية قيـــام دولة اسرائيل فور إعلان التقسيم

ولها نظام خاص بها .
وأرفق بقرار التقسيم هذا خرائط مفصلة تبين خطــــوط التقسيم الى الاجزاء الثلاثة ، كما نص القرار على الاجراءات السلمية التى يتم بهـــا تنفيذ القرار فى الموعد المحدد وهــو اليوم الذى حددته بريطانيا لانهـــاء انتدابها على فلسطين ، أى يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ .
ولكن « الوكالة اليهودية » .. وهى نواة حكومة اسرائيل ــ سارعت بقوات « الهــــاجناه » ــ وهى نواة الجيش الاسرائيلى ــ فاستولت على الاجـزاء المخصصه لها بمقتضى قرار التقسيم .

كما استولت أيضا على مناطق أخرى خصصها القرار لاقامة الدولة العربية .. وبهذا كانت الارض التى استولى عليها اليهود ، وقبل أن يأتى اليوم المحدد لتنفيذ القرار بالوسائل السلمية .. تبلغ ٧٧ فى المائة من مساحة أرض فلسطين .

كان هذا خرقا واهدارا لقرار التقسيم الذى اصدرته الامم المتحدة والذى يعده انصار اسرائيل والموالون لها اساس « الشرعية الدولية » لقيام دولة اسرائيل .. وكذلك أهدر اليهود جزءا اصيلا وهاما جدا من قرار الامم المتحدة حين زحفت قواتها فاستولت على النصف الغربى من مدينة القدس، بينما صار القسم الشرقى من المدينة جزءا من « الضفة الغربية » التى ضمت الى مملكة الاردن

وهكذا انتهكت اسرائيل قرار التقسيم بل أهدرته أهدارا .. ورغم هذا فقد ظل العالم يقول .. بل ان العرب انفسهم أخذوا وظلوا يقولون : ان اليهود قبلوا قرار الامم المتحدة بتقسيم فلسطين ، اما العرب فهم الذين رفضوه !.. والواقع والتاريخ يقولان ان العرب رفضوا قرار التقسيم بالسنتهم ، لانها ألسنة طويلة تهدر بالالفاظ الطنانة والعبارات الجوفاء ، أما اليهود فهم الذين رفضوا قرار التقسيم ، بل انتهكوه ومزقوه بأيديهم وبأسلحتهم ، وبالقتال تشنه قوات الهاجناه على مدن وقرى مجردة من السلاح وبالارهاب الذى بلغ حد المذابح التى اقترفتها عصابات مثل عصابة شتيرن يقودها مناحم بيجن !

● القدس دولية ●

كان استيلاء اليهود على مناطق لم يخصصها لهم قرار التقسيم أمرا يعنى الدول العربية أو « بعضا » منها . أما اغفال اسرائيل تنفيذ ما نص عليه القرار من جعل منطقة القدس منطقة دولية ، فأم يهم عديدا من الدول .. وبالذات الدول الكاثوليكية وعددها فى ذلك الوقت يقرب من نصف الدول الاعضاء فى الامم المتحدة .. فهناك عشرون دولة تماما من دول أمريكا اللاتينية ، وكلها دول كاثوليكية ، وهناك عدة دول أوربية يدين أغلب أهلها بالديانة الكاثوليكية .. وهذه وتلك تؤلف نصف الدول الاعضاء التى كان عددها حينذاك احدى وخمسين دولة .

فاذا أضفت الى هذه الدول الكاثوليكية دولا عربية كانت أعضاء فى الامم المتحدة فى ذلك التاريخ ، وكذلك أربع أو خمس دول اسلامية.. فلا يمكن أن تحصل اسرائيل على موافقة ثلثى الدول الاعضاء ، فضلا على شرط موافقة الدول الخمس الكبرى .. أو عدم اعتراض احداها .

فأما موافقة الدول الخمس الكبرى فهى مضمونة .. فالولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتى كانتا تتسابقان فى تأييد قرار تقسيم فلسطين وانشاء الدولة اليهودية .. وكانتا تتسابقان فى الاعتراف بالدولة اليهودية حين قامت واتخذت لنفسها ، قبل قيامها ببضع ساعات ، اسم «اسرائيل» .. فاعترفت بها واشنطون « اعترافا واقعيا » بعد قيامها بعشر دقائق تماما .. « اعترف بها الاتحاد السوفييتى بعد بضعة أيام « اعترافا

قانونيا » .. والاعتراف القانونى اقوى من الوجهة الدولية من الاعتراف الواقعى ، ولهذا لا يخطىء من يقول ان الاتحاد السوفييتى سبق الولايات المتحدة فى الاعتراف باسرائيل .

اما الصين الموجودة فى الامم المتحدة فى ذلك الوقت فهى جزيرة تايوان ، وهى لا تزيد على مستعمرة امريكية تأتمر بأمر واشنطون .. وأما فرنسا فهى حينذاك احدى الدول الاوربية المنهوكة الفقيرة التىتستجدى المعونة من مشروع مارشال ومن أيدى الامريكان ، فهى لا تخرج عن طاعتهم .. وأما بريطانيا ، فهى وان كانت تدرك أن عملية انشاء اسرائيل هى جزء من مخطط واسع النطاق لاخراج بريطانيا من الشرق الاوسط أو تقليص نفوذها فيه ، وتدرك أيضا أن تدعيم اسرائيل وتقويتها هو جزء من عملية بسط النفوذ الامريكى فى المنطقة واتخاذ اسرائيل ركيزة للسيطرة الامريكية فيما حولها ، الا انها مثل فرنسا ، صارت منهوكة القوىومحتاجة الى المعونة الامريكية ، فهى لن تعترض على دخول اسرائيل فى الامم المتحدة ، واقصى ما يصل اليه موقفها هو ان « تمتنع » عن تأييد القرار .. وهذا الامتناع لا يحول دون صدور القرار .

لا مشكلة اذن فيما يتعلق بالدول الخمس الكبرى صاحبة المقاعد الدائمة فى مجلس الامن .. ولكن المشكلة التى تواجه اسرائيل وانصارها هى الحصول على اصوات ثلثى اعضاء الامم المتحدة ، بينما الكثيرون منهم ـ وخاصة من دول أمريكا اللاتينية ومن بعض دول أوربا ـ يعلقون موافقتهم على شرط أن تقوم اسرائيل بتنفيذ ما قررته الامم المتحدة من جعل منطقة القدس منطقة دولية ، يديرها جهاز دولى ، وتكون مفتوحة للحجيج وللزائرين من بلادهم وبلاد العالم كلها .

اذكر اننى حضرت فى ذلك الوقت أوائل أبريل سنة ١٩٤٩ ـ اجتماعا فى نيويورك يرأسه وزير خارجية مصر أحمد خشبة باشا رحمه الله ، والتف حوله لفيفمن القانونيينوالدبلوماسيين الكبار .. وكان تقديرهم جميعا أن اسرائيل لن تستطيع الحصول على الاصوات اللازمة لقبولها عضوا فى الامم المتحدة .. وكانت اقوالهم وحججهم واضحة ومقنعة ، وكانوا يكررونها ويؤكدونها .. وكان أحد الحاضرين المرحوم الدكتور محمود فوزى ممثل مصر فى الامم المتحدة ، وكانت هذه هى أول مرة أرى فيها هذا الرجل الذى ارتبطت به رباط العمل والتعلم والمودة والصداقة بعد هذا ثلاثين سنة أو اكثر ، وأدهشنى أنه لم يشترك فى هذه المناقشة بكلمة واحدة ، وانما اكتفى بأن يقول فى نهاية الاجتماع وهو يهز رأسه : ربنا يسمع منكم !

وبعد ثلاثة او اربعة اسابيع منذلك الاجتماع خرجت علينا صحف نيويورك معلنة فى صدر صفحاتها الاولى ان الفاتيكان ابدى موافقته على دخول اسرائيل الى الامم المتحدة !.. وان الفاتيكان مقتنع بان اسرائيل ستكون وفية بوعدها وتعهدها بان تكون القدس مدينة مصونة ، ومفتوحة لاصحاب الديانات الثلاث .. وان الفاتيكان قد اشار ايضا على الدول اللاتينيةوالدول الكاثوليكية بان تصوت بالموافقة على طلب اسرائيل ان تكون عضوا فىالامم المتحدة .

وكنت فى تلك الايام لا أعود الى الفندق الذى انزل فيه الا بعد ان تخرج الطبعة الاولى من صحف نيويورك فى المساء .. فاحمل صحيفة نيويورك

تايمز وصحيفة هيرالد تريبيون ، وأعكف على قراءتهما وتلخيص ما يهمنا من أخبار ٠٠ ثم أذهب فى الصباح الباكر لاقرأ لوزير الخارجية ، الذى كان لا يعرف الانجليزية ولكنه يتقن الفرنسية ، لاقدم له خلاصة ما نشرته الصحف من أخبار وتعليقات ٠٠ وكنت اذهب فى الصباح الباكر ، وقد أنتظر فى الغرفة المجاورة حتى ينتهى من تلاوة القرآن الكريم بعد أداء فريضة الصبح ٠

وعلى عادته سألنى : ما وراءك يا عصام !

قلت : يا معالى الوزير ٠٠ أخبار هذا اليوم غير سارة ٠٠ تقول الصحف أن الفاتيكان ، موافقة على دخول اسرائيل الى الامم المتحدة ٠٠ وانه اشار على الدول الكاثوليكية بأن توافق على طلب اسرائيل ٠٠

وخرجت من فم الرجل الطيب كلمات غاضبة ساخطة لاعنة ٠٠

ثم قال : هذا ما ذكره لى فوزى « بك » منذ اليوم الاول ٠٠ قال لى أن يهود أمريكا يضغطون ضغطا شديدا على كاثوليك أمريكا ٠٠ وان كاردينال الكاثوليك هو الان الوسيط بين اسرائيل والفاتيكان ٠٠ وعند اليهود وسائل عديدة للاقناع أو للاغراء أو للتهديد ٠

أما أنا فقد سرح ذهنى قليلا وتذكرت كلمة محمود فوزى فى تعليقه على مناقشات « القانونيين الكبار » ٠٠ ربنا يسمع منكم !٠٠ فالمسألة ، فيما يعرف هو ، لم تعد مسألة قانونية تعالج بالنصوص أو بالمنطق ، بل هى مشكلة سياسية لا تحل الا بمعجزة !٠

وسمعت وزير الخارجية يتمتم ويسترجع لنفسه حديث محمود فوزى الذى قال له منذ اليوم الاول : فى مرحلة تقسيم فلسطين ركز اليهود جهدهم وضغطهم على الرئيس الامريكى هارى ترومان ، ونجحوا ٠٠ وفى مرحلة طلب اسرائيل دخول الامم المتحدة ، فانهم يركزون جهدهم وضغطهم على الفاتيكان ليرضى بما فعلوه فى القدس !

وكانت الصحيفتان الامريكيتان الكبيرتان تحفلان بأخبار وروايات عما حدث طوال الاسابيع الماضية ٠٠ فقرأنا عن رجل لم يسمع العرب باسمه من قبل ٠٠ انه الكاردينال سبلمان ، رئيس الكنيسة الكاثوليكية فى أمريكا٠ الذى يقيم فى قصر فى قلب مدينة نيويورك الشبه بقصور أوربا القديمة ، وأمام قصره تقوم كنيسة سان باتريك احدى الكنائس الفخمة فى العالم ٠٠ ورأينا فى تلك الصحف صورة هذا الكاردينال فى لقاء مع موسى شيرتوك أول وزير خارجية لاسرائيل ٠٠ وقرأنا أخبارا عن سفر سبلمان الى روما ولقاءاته مع البابا والمسئولين فى الفاتيكان ٠٠ وقرأنا تصريحات يدلى بها الكاردينال بعد عودته من رحلته ناجحا مظفرا ، ويقول : ان تدويل القدس لم يعد ممكنا لان جيش الاردن استولى على نصف المدينة وضمها الى مملكته ، ولهذا أخذت اسرائيل المناطق الباقية من المدينة وضمتها اليها ٠٠ وهذا الكاردينال ، مقتنع بأن اسرائيل من جانبها ستحافظ على ما فى منطقتها من كنائس واثار مسيحية ، وانها ستتحمل مسئوليتها كاملة فى أن تكون القدس مدينة آمنة ، ومفتوحة الابواب للمسيحيين يحجون اليها ويزورونها فى يسر وأمان ٠

ثم بشير الكاردينال سبلمان - أو هكذا تنسب اليه الصحف الامريكية - الى أن الفاتيكان أبلغ الدول الكاثوليكية اقتناعه وقبوله بهذا التعهد الاسرائيلى .. وأنه أشار على هـــذه الدول بأن توافق على انضمام اسرائيل الى الامم المتحدة .

وانعقدت الجمعية العـــامة للامم المتحـــدة يوم ١١ مـــايو ١٩٤٩ ، وأصدرت قرارها بانضمام اسرائيل الى الامم المتحدة .. وكانت الموافقـــة بأغلبيـــة كبيـــرة ، ضمت الدولتين المعظميين الولايات المتحدة والاتحـــاد السوفييتى ، وضمت دول أوروبا الشرقية والغربية ، وضمت دول أمريكا اللاتينية فيما عدا واحدة .. وطبعا كانت هناك ضغوط واغراءات أخرى على عديد من الدول ورؤسائها ووزرائها ، ولـــكن ليس هذا مجال الحديث عنهـــا .. وصوتت ضد القرار الدول العربيـة الســـت ، وأربع دول اســـلامية .. وامتنعت بريطانيا عن التصويت مثلما امتنعت من قبل عن تأييد قرار تقسيم فلسطين .. ويومها قذف المتظاهرون فى نيويورك أرنست بيفن وزير خارجية بريطانيا بالبيض والطماطم .

وصارت اسرائيل عضـــوا فى الامم المتحدة ، وكانت العضو رقم ٥٢ .. وكان « الفضل » فى هـــذا عائدا الى الفاتيكان !..

● شعارات انتخابية ●

ومرت بعد هذا سنوات طوال أقمتها فى امريكا ، ومرت معها « مسلسلات » الانتخابات الرئاسية كل اربع سنوات ، وانتخابات الكونجرس كل ســـنتين وسمعنا كثيرا من المرشـــحين يرددون نغمة « دينية » مؤيدة لاسرائيل .. ثم أخذت هذه النغمة تتصاعد شيئا فشيئا حتى بلغت الـذروه حين ســـم جيمى كارتر لانتخابات الرئاسه فى ســـنة



١٩٧٦ • عندما دخل كارتر ميدان التسابق فى الانتخابات الامريكية منذ عشر سنوات ، كان لابد ان يتطلع مثلما يتطلع منافسوه الى اليهود فى امريكا والى نفوذهم الطاغى على وسائل الاعلام والدعاية ، وفى الدوائر المؤثرة فى الانتخابات من نقابات واندية وجمعيات وجماعات ••

تطلع كارتر الى اليهود فى امريكا وخاطبهم باسلوب يتفق مع ما اتصف به واشتهر من تمسك بعقيدته الدينية •• فراح يقول مرارا وتكرارا انه يؤيد اسرائيل لان هذا تمليه عليه عقيدته المسيحية • فهو يؤمن بأن قيام اسرائيل الحديثة كان تحقيقا لنبوءة الكتاب المقدس من عودة اسرائيل القديمة •• فايمانه بالكتاب المقدس يحتم عليه ان ينظر الى اسرائيل نظرة دينية توجب عليه ان يؤيد اسرائيل او يتعهد بامدادها بكل اسباب الحماية والقوة •

واذكر ان هذا الذى كان يقوله كارتر قد اثار كثيرا من الاستياء والاستنكار من الدوائر العربية بما فيها الصحف المصرية ، فكانت تقول ان هذا الرجل الساعى الى رئاسة امريكا يريد ان ينقل مشكلة الشرق الاوسط من نطاق السياسة الى نطاق الدين •• وهى نقلة خطيرة جدا •• لان السياسة تتغير بتغير الظروف والاوضاع ، فاذا كان التاييد الامريكى لاسرائيل راجعا الى تقديرات سياسية ترى ان اسرائيل هى القوة التى تستطيع ان تعتمد عليها امريكا فى تحقيق مصالحها فى هذه المنطقة فى الوقت الحاضر ، فان هذه السياسة قد تتغير اذا ثبت خطأ هذه التقديرات فى يوم من ايام المستقبل القريب او البعيد •• اما اذا قام التاييد الامريكى لاسرائيل على اساس دينى ، فكيف ومتى يمكن ان تغير امريكا موقفها اذا انبعث من عقيدة دينية ملأت عقول الناس وتسربت الى قلوبهم ومشاعرهم ؟

ولكن الواقع ان ما كان يقوله كارتر فى الدعاية الانتخابية هو نفس مايسمعه الامريكى العادى المتدين عندما يذهب هو وزوجته واولاده الى الكنيسة يوم الاحد •• وخاصة اذا كانت كنيسة بروتستانتية وهو المذهب الدينى الغالب فى امريكا ذلك ان الحركة الصهيونية استطاعت أن تنفذ بدعايتها وتضليلها الى الكنيسة الانجيلية الامريكية حتى صار من الاحاديث المألوفة فيها ان

غسيل الارجل يوم الجمعة الحزين



قيام اسرائيل كان تحقيقا لنبوءة الكتاب المقدس ، وان تأييد اسرائيل واجب دينى على المسيحى المتدين !

ولا اريد ان القى هذا الكلام على عواهنه..بل لابد ان استشهد بمصادر مسيحية بروتستانتية امريكية تأييدا لما اقول ..

واحدث ما كتب فى هذا الموضوع ما كتبه النائب الامريكى المسيحى بول فندلى فى كتاب اتخذ له عنوانا له مغزاه .. فعنوان هذا الكتاب الحديث هو : « من يجرؤ على الكلام ؟ » .. اى من يجرؤ فى امريكا ان يتكلم وان يكتب عن موضوع تغلغل النفوذ اليهودى فى كثير من نواحى الحياة الامريكية بما فيها تغلغل الدعاوى الصهيونية الى الكنيسة الانجيلية .. وقد افرد النائب الامريكى فصلا فى كتابه بعنوان «الكنيسة والدولة» جاء فيه بعدة حقائق ووقائع عن تغلغل الدعاية الصهيونية الى الكنيسة الانجيلية فى امريكا .. نذكر هنا بعضا منها .

يردد كثير من رجال الكنيسة فى مواعظهم واحاديثهم المعنى التالى ان اسباب البركة فى امريكا عبر السنين الطويلة هى انهم اكرموا اليهود الذين لجئو الى هذه البلاد فرارا من الاضطهاد .. وقد بورك لسكان امريكا منذ ذلك الوقت لانهم ايدوا اسرائيل واعترفوا بحق اليهود فى الارض التى ولدت فيها دولتهم من جديد .. وسوف تشملهم البركة دائما مؤيدين ماداموا لاسرائيل ومدافعين عنها .

يعيد اسقف تكساس ، اى كبير **القسس البروتستانت فى كبرى الولايات** الامريكية برنامجا تليفزيونيا خاصا باسرائيل عنوانه : اسرائيل مفتاح البقاء لامريكا .. وتتسابق محطات التليفزيون الاخرى على اعادة اذاعة البرنامج الذى يذاع الان فى خمس وعشرين ولايه ، وبثت اذاعته اكثر من مائتى محطة تليفزيون .

يقول الاسقف فى احدى هذه الاذاعات اذا تخلت اسرائيل عن الضفة الغربية ضاعت امريكا نفسها ! .. كيف ما هى العلاقة بين الضفة الغربية لنهر الاردن وبين بقاء امريكا وازدهارها ؟ ..نعم، ان هذا الاسقف وجد صلة وثيقة جدا . لانه اذا ضاعت الضفة الغربية انهارت اسرائيل .. واذا انهارت اسرائيل انهارت امريكا طبعا .. هكذا بكل بساطة !

وفى برنامج تليفزيونى اخر يقول اسقف تكساس : ان امريكا هى المسئولية عن مشاكل اسرائيل الاقتصادية لانها هى التى شجعت وعملت على انسحاب اسرائيل من سيناء ، وعلى فقدان بترولها ، مما اثر تأثيرا خطيرا على اقتصاديات اسرائيل فيجب على امريكا ان تعوض اسرائيل عن هذه الخسارة الاقتصادية الفادحة

وكان من اغرب ما قرأته فى كتاب النائب الامريكى بول فندلى ان الطائفة الانجيلية فى امريكا امتد نشاطها الى جنوب لبنان ! .. فأنشأت هناك محطة اذاعة سمتها اذاعة « صوت الامل » . وان هذه الاذاعة الانجيلية الامريكية تقوم باذاعة البلاغات العسكرية التى كان يصدرها سعد حداد !

وكانت هذه الاذاعة تصف سعد حداد بانه زعيم روحى ، وانه مسيحى متدين .. وكانت هذه الاوصاف تسبق وتلحق بلاغاته العسكرية التى يعلن فيها قيام قواته بقصف صبرا او محاولاته غزو صور وقتل من قتلت من الاطفال والنساء والشيوخ !

ويقول الذين اقاموا هذه الاذاعة فى جنوب لبنان : انها محاولة لحمل كلمة الله الى منطقة لم تعرف كلمه الله منذ قرون !

يكفى هذا لنتبين الى اى مدى بلغت الدعاية والدعاوى الصهيونية حتى

نفذت الى عقول المشرفين على الكنائس الانجيلية في امريكا ٠٠ وان كان بعض المشرفين على هذه الكنائس يضجون من هذا النفوذ والتغلغل اليهودى فى صميم شئونهم الدينية ، حتى ان احد اعضاء مجلس الكنائس اسر الى النائب الامريكي قائلا : ان اطول سجل للنفوذ اليهودى فى امريكا هو سجل نفوذهم فى « مجلس الكنائس » ٠٠ بل انه يفوق سجل النفوذ اليهودى فى الكونجرس الامريكى ٠

واخيرا ينبغي ان نتساءل : هل هذه الكنائس الامريكية مفتوحة لليهود وحدهم ؟ هل لا يستطيع العرب ان يدخلوا اليها ويتحدثوا الى رجالها عن عدالة قضيتهم مثلما فعل اليهود بقضيتهم ؟

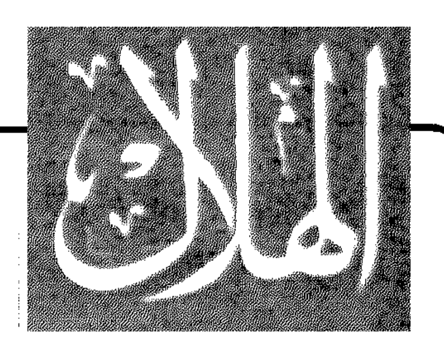
اعتقد انه كان فى وسع العرب ان يفعلوا مثلما فعل اليهود ٠ وان ينفذوا الى الكنيسة الامريكية ولو من باب ضيق كثيرا من الابواب المفسحة التى تفتح امام اليهود ٠٠ بل كان فى وسع العرب ان يفعلوا اكثر مما فعل اليهود، ذلك ان من بين « العرب الامريكيين مسيحيين كثيرين جدا ٠٠ مسيحيين من سورية ولبنان وفلسطين ومصر ٠٠ وكثير منهم على اعلى درجة من الثقافة، ومن القدرة على الاقناع بالكتابة والخطابة والحوار ٠٠ هذا بالاضافة الى ما ينبغى توافره اولا وهو الايمان بعدالة القضية العربية وكان فى وسع هؤلاء ان يكونوا باقلامهم وبالسنتهم وبشخصياتهم رسلا للقضية العربية فى الاوساط الدينية المسيحية فى امريكا

ولكن العرب لم يفعلوا شيئا من هذا القبيل٠٠بل انى اعرف ان الدوائر العربية فى نيويورك كانت تتلقى دعوات من بعض الكنائس المسيحية ليتحدثوا فيها عن القضية الفلسطينية ، فكانوا يعتذرون عن عدم تلبية الدعوة٠٠ويفضلون ان يلقوا خطبهم فى الامم المتحدة ٠٠اما اليهود فيخطبون فى الامم المتحدة ،وفى الكنائس ، وفى كل مكان ٠٠ حتى ملئوا رءوس الناس بدعواهم ، فلم يبق فيها مكان لاية دعوة اخرى ٠٠ وحتى صارت الكنيسة فى امريكا مصدر تأييد كبير للحركة الصهيونية ولاسرائيل حتى ان احد زعماء الصهيونية كتب يقول : « كانت الصهيونية انشودة فى الكنيسة الامريكية قبل ان تصبح حركة سياسية يهودية ٠

مقالات فى كلمات

● سئل الفيلسوف برتراند راسل إذا كان مستعدا للموت فى سبيل ما يعتقد ، فاجاب : كلا بالطبع إذ بعد هذا كله ربما كنت على خطأ .

● قال احد الأعراب يوما لأولاده : والله لقد احسنت إليكم قبل أن تولدوا وصغارا وكبارا قالوا : إننا عرفنا أنك احسنت إلينا صغارا وكبارا فكيف أحسنت لنا قبل أن نولد ؟ قال : تخيرت لكم من الأمهات من لاتعيرون بها



● قرارات مجمعيـــة ●

● **جاءنا من مجمع اللغة العربية مايلى :**

أصدر المجمع فى دورته الثانية والخمسين فى مارس ١٩٨٦ القرارات والتوصيات الآتية :

(١) يؤكد المؤتمر توصياته السابقة التى تنص على ضرورة العناية باللغة العربية فى مراحل التعليم ، ولاسيما مرحلتى التعليم الجامعى والعالى .

(٢) يوصى المؤتمر بضرورة الحرص على تعليم قدر من القرآن الكريم حفظا وتلاوة وتفسيرا فى مراحل التعليم الأساسى .

(٣) يوصى المؤتمر بأن يلتزم المدرسون فى مرحلة التعليم الأساسى باللغة الفصحى فى مختلف المواد حتى يتعود عليها الناشئة مع العناية بعرض مختارات منتقاة من التراث العربى شعرا ونثرا ودراستها ، حتى يتمثل الناشئة الصياغة العربية السليمة .

(٤) يوصى المؤتمر بنشر ماوضعه المجمع من مصطلحات فى مجال الحاسبات الالكترونية بهدف توحيدها على امتداد الوطن العربى .

(٥) يؤكد المؤتمر ضرورة العمل على توحيد المصطلحات العلمية فى الوطن العربى ، ويوصى بتكوين هيئة قومية تتولى إنشاء مركز للمعلومات تسجل فيه جميع المصطلحات العلمية باستخدام الآلات الحاسبة .

(٦) يوصى المؤتمر بأن تكون اللغة العربية السليمة لغة المسرح وبخاصة فى مسارح الدولة .

(٧) يدعو المؤتمر القادة والمسئولين فى الوطن العربى إلى أن يحرصوا على أن تكون خطبهم الرسمية وكلماتهم الى الجماهير بلغة عربية واضحة .

● المناقشة حول العقاد ●

● **الهلال : ننشر فيما يلى تعليقات الأدباء والقراء حول المسائل التى أثارها الكاتب الأديب محمد سيد كيلانى عن العقاد وإسلامياته وآرائه ، ونختمها برأى للأستاذ كيلانى ..**

● عالج الاستاذ "محمد سيد كيلانى" موضوع "العقاد بين الكفر والايمان" بأسلوب علمى قائم على الأدب مع المتأدبين ، والتأدب مع الأدباء واستخلص رأيا يتوافق مع ماقدم من دلائل ثابتة لكن بعض أنصار "العقاد" هاجموا الكاتب وتهجموا على حرمة الكلمة بما ينافى احترام الرأى والإذعان للحق وعذرهم أن العاطفة تغلب العقل !! .

ولاأدرى لماذا يسكت تلاميذ "العقاد" ولايدلون بشهاداتهم لوجه التاريخ حتى لايتخذ الرجل ذريعة للفصل بين العقيدة والفكر !!

لقد قالوا : إنه لم يُقم الصلاة بل كان ناديه دائما ساعة أذان الجمعة !!

وزعموا أن الرجل لم يصم شهر رمضان قط ... ولعلك سائلى : فلماذا كتب العبقريات والإسلاميات ؟

أجيبك ... لقد قدم "وليم موتير وباول شمتز وتوماس آرنولد" وغيرهم أفكارا لاتخرج الا من مسلم فهل قال أحد إنهم من المسلمين ؟ !

وهل يجوز لنا أن نُدخل مايكل هارت الاسلام ونصفه بالتقوى لأنه امتدح النبى وأثنى عليه فى كتابه "الخالدون مائة ..." ؟ !

إن "العقاد" أديب أفضى الى ربه ، ولايملك أحد التشكيك فى إسلامه بيد أن واجب الادباء الكشف عن منهاج حياته وفاء لحق الاقتداء واستيفاء لمعالم القدوة !!

ويأيها الذين غرتهم المؤلفات ، هلا قرأتم ماجرى بينه وبين الرافعى من جراء "إعجاز القرآن" اتركوا هواكم وحكِّموا عقولكم وانتصفوا لأنفسكم حتى تعود الأمور إلى نصابها والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

عبد الجواد الخضرى
مشرف صحافة مدرسية
بشربين

● رفقاً ياكيلانى بالعقاد ! .. ● ●●●●●

● لقد بحثت ياأستاذ كيلانى فى ماضى العقاد وكشفت عن جوهره وسبرت غورة وفسرت تصرفاته وكأنك جزء من ذاته ، بل كأنك ضميره الذى يعلم ما يظهر لأنه يعلم مايبطن !!

واتهمته بالكفر وبانعدام الشاعرية وبالفقر والاملاق فى الأمور المادية والعاطفية وفوق هذا وذاك فهو أبو النرجسية !!





ورغم اعتراض القراء تواصل رحلتك وحملتك بحماس شديد يحركه شيء دفين لا ندريه .

★ ها أنت فى عدد أبريل تزعم أن العقاد كان له رأى فى مسألة الغاء التصريح بالبغاء ولأن سواك متهم بالغباء فقد فهمت من المقال ما لم نفهمه فيالسر العبقرية !!

ورغم ان هذا الأمر قد أثير فى بداية هذا القرن الا أنك لم توضح الظروف التى كان فيها هذا الحدث ولكننا فى حدود مانشرت نقول :

أولا : إن العقاد فى جميع الأحوال لايعقل أن يكون من أنصار البغاء .. والدليل على ذلك قوله كما تذكر (فالمسألة إذن أعظم خطرا من أن يبت فيها بكلمة عاجلة)

ثانيا : ان المقال المحتج به مقال سياسى ، كتب فى ظروف معينة وللرد على أبى العيون وكما يقول أهل النظر (لكل مقام = مقال) . والعقاد عندما كتب هذا المقال لم يكن يعارض الفكرة وانما يعارض أبا العيون فهو يقول له (أهى غيرة دينية لها مواسم ومواعيد ؟) وثمة فارق كبير بين معارضة شخص ومعارضة موضوع يقول به ..... فما رأيك يا استاذ سيد ؟ .!!!

ثالثا : قول العقاد (هى حركة أقل مايقال عنها أنها فى غير أوانها ..) قول سديد إذا مانظرنا الى الخلفية الفكرية التى فى ذهن العقاد ومنهجه فى تناول الأمور . إذن فنظرة العقاد كانت ثاقبة ينظر الى ماهو أبعد من الغاء التصريح بالبغاء .. فهى نظرة الفيلسوف الذى ينظر الى الكل .

★ ويستمر سيل الاتهامات .. فالعقاد عزب وبرر العزوبة .. ويحاول عم سيد ربط هذا بقوله (ولم نر للعقاد شعرا فى الغزل ينبىء عن عاطفة حب واعجاب بالجمال) ..

وهنا يكاد القارىء يشد شعر رأسه هل كان العقاد جمادا ؟؟

★ ويستمر قائلا : (وحينما انضم الى حزب السعديين رضى لنفسه أن يكون عضوا فى مجلس النواب عن طريق انتخابات مزورة ولم يجد الكاتب الاسلامى وازعا من الدين) !

ونسأل : ياعم سيد ..

أى انتخابات فى الفترة المذكورة خلت من تزوير ؟ !

وكلمة فى أذنك بعد إذنك ياعم سيد .. من خلال هجومك على العقاد استشف صديق لى انك لم تقرأ العقاد جيدا .. وتصدر بعد نظرة عاجلة حكما سريعا بدون البحث فى البواعث والأسباب !

★ ورغم ذلك نحاول قراءة ماكتبت فى ذات العدد تحت عنوان (حمارة منيتى ومعارك صحفية) ..

فماذا فى هذا المقال ؟!

واذا كان موضوع الهجوم على العقاد هو من قبيل (الفرقعة) فى المقالات .. والعناوين المثيرة فإن مجلتنا الغراء الهلال أكبر من هذا الأسلوب .. فلها قراؤها ... ويمنعها عمرها الطويل وشبابها المتجدد من اتباع هذا النمط فى التفكير ..

★ وثمة سؤال ياعم سيد :

لقد مات العقاد .. فأين الآخرون ؟ وكم من العمالقة أنجبت مصر بعد جيل العقاد وطه حسين وأمثالهما من الرواد ؟ !

ولسنا نقدس الماضى بما فيه بل نطالب بنظرة موضوعية .. .. والعقل يا .. هوه !!

رمضان الهجرسى

● السَّكَنْ ●

أشكو حَنينىَ لِمَنْ ... وقَدْ جَفَانى الزَّمَنْ

إليكَ ياهَــاجِرى ... أم لـلأســى والشَّجَنْ

قلبى تَصَابَى إلـى ... لِقْيَاكِ والعقلُ حَنْ

والرُّوحُ تحيا مع الـ ... مـاضِى لِتَذْكار مَنْ

هلاّ منحْتَ الذى ... ذاب اشتياقاً .. سَكَنْ ؟

عبد الرحيم الماسخ

نجع الماسخ المراغة / سوهاج

● بين العقاد وشوقى ●

● فى سنة ١٩٢٧ اتفق ادباء العرب على اقامة حفل لتكريم أحمد شوقى ومبايعته أميرا للشعراء . وكان هذا موضع فخر لمصر والمصريين ، ولم يشذ عن هذا الاجماع سوى عباس محمود العقاد وليته سكت بل راح يحرر المقالات



الطويلة ويصف مصر بأنها بلد عقيم لم تنجب شاعرا واحدا ، لا فى عهد قدماء المصريين ، ولا فى العصر الاسلامى انظر اليه حين يقول :

« فلم أعثر على شاعر واحد أنبتته مصر كى يذكر بين أعاظم الشعراء وتسمع له رسالة من رسالات الحياة ، فكل شعرائها عرب أو مقلدون للعرب . وكل هؤلاء وهؤلاء عالة على الأدب ونفاية ضئيلة أولى بها النبذ والاهمال »

« ورجعت الى مصر القديمة لأعرف جوابها على هذا السؤال ، فاذا آلاف السنين مضت لم تنجب شاعرا واحدا عظيما ، ولم تخلف لنا أثرا فى الشعر كتلك الآثار التى رويناها عن امم العهد القديم وقلبت كلام بنتاءور شاعر مصر القديمة فلم أجد فيه شعرا ولاشبيها بشعر ، وكل مايقوله شبيه بتدوين المحاضر الرسمية التى ينقصها التفصيل والتحقيق »

فما رأى القراء فيما وصم به العقاد الشعب المصرى ؟ وهل كان يجوز له أن يواجه أدباء العرب بهذا المقال ؟ الا يعنى هذا المقال أن المحتفلين بأحمد شوقى والمبايعين له بامارة الشعر جهلة بحقيقة الشعر والشعراء ؟ .

لم يلتفت أحد لكلام العقاد ، ولا أقام له وزنا ، بل عرفوا أنه كلام حقود ، فمضت الأمور هادئة . ففى السادس من شهر مايو ١٩٢٧ جاء فى البلاغ الأسبوعى مانصه «أقيمت بالقاهرة فى الأسبوع الماضى حفلات شائقة لتكريم صاحب السعادة أحمد شوقى بك ، وقد حضرها وفود كثيرة من أنحاء البلاد العربية ، قدمت للاشتراك فى تكريمه باسم أدباء بلادها . وكانت حفلة الافتتاح يوم الجمعة (٢٩ ـ ٤ ـ ١٩٢٧) بدار الأوبرا الملكية برياسة حضرة صاحب الدولة سعد زغلول باشا وبحضور مندوب عن جلالة الملك والأمراء والوزراء والنواب والشيوخ واهل الفضل والأدب ، ولكن دولة الرئيس لم تمكنه صحته من ترأس الحفلة فاناب عنه معالى محمد فتح الله بركات باشا وتليت رسالة من دولته يعتذر فيها »

كاد العقاد ينفجر غيظا ويموت كمدا ولاسيما حين سمع حافظ ابراهيم يتقدم بين يدى أحمد شوقى وينشد قصيدته ويقول :

أمير القوافى قد أتيت مبايعا
وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

كان العقاد يدعوا الى التجديد فى الشعر ، وكان التجديد فى رأيه ترك شعر المناسبات ولكنه لم يزد على ذلك فيما نظم قائلا :

بنى مصر صونوا لها حقها
كبار النفوس كبار الشيم
لكم مصر حيث يقر الثرى
وحيث يرف عليها العلم

وحيث جرى النيل من أرضها
وحيث نما شعبها وازدحم
فلا تتركوا ذرة من ثرى
لباغ ولاقطرة من خضم
وهذى الكنانة من رامها
بسوء وهى ظهره وانقصم

فإذا نظرنا فى هذه الأبيات رأينا ان العقاد لجأ الى اسلوب الخطاب المباشر ، وهو اسلوب لايترك أثرا فى النفس ، وقوله (كبار الشيم) لايضيف جديدا إلى معنى البيت فهو مجلوب للقافية ولتكملة الكلام لأنه لافرق بين كبار النفوس وكبار الشيم . وقوله (وازدحم) أيضا لاتضيف جديدا الى المعنى بعد (قوله إنما شعبها)

اما قوله (وهذى الكنانة) الى آخر البيت فهو من كلام الفقهاء ، وإلا فلماذا خصت مصر دون اقطار العالم بأن من رامها بسوء وهي ظهره وانقصم ؟ هل لدى العقاد دليل واحد على صحة مايقول والأبيات كلها تافهة المعانى وخالية من العاطفة ، وأين هذا من قول أحمد شوقى :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه
نازعتنى اليه فى الخلد نفسى

فهذا البيت يمكن أن يجرى على كل لسان فى كل زمان ومكان ولو ترجم الى أية لغة اجنبية لما فقد روعة معناه .

وطريقة العقاد فى النقد تدل على التحامل مثال ذلك قوله ناقدا لقصيدة أحمد شوقى فى رثاء بطرس باشا غالى : (ليت شعرى ماذا كان يعنى شوقى بك بقوله على قبر بطرس باشا :

القوم حولك ياابن غالى خشع
يقضون حقا واجبا وذماما
يتسابقون الى ثراك كأنه
ناديك فى عهد الحياة زحاما
يبكون موئلهم وكهف رجائهم
والأريحى المفضل المقداما

أكان يريد ان يقول ان زائرى قبر الرجل وفيهم ساداته الأمراء والوزراء والعظماء والعلماء وفيهم نائب مولاه الأمير ووكلاء الدول وأكابر السراة والوجهاء أكان يريد ان يقول ان هؤلاء كلهم ممن كانوا يجدون من نادى ابن غالى موئلا وكهف رجاء يستعطون من أريحية ساكنه الجواد ، ويستدرون من أفضاله ؟ أم أراد ان يقول كما قال الناس فى هذا المعنى فأخطأ التقليد ؟ أم لعله كان لايريد



أن يقول شيئا ؟ أم تراه يحسب أنهم ملكوا عليه حتى دموع عينيه وأنه نائحة المعية اعد ليرثى كل من يموت من خدامها بلا مقابل ؟ »

لقد تحامل العقاد على أحمد شوقى ولم يعترف له بفضل على الاطلاق ولايخفى أن شوقى أراد بقوله «القوم» الطائفة القبطية لأنه كان بارا بها شديد العطف على فقرائها وبذلك ينهار نقد العقاد من أوله الى آخره لقد ظل أحمد شوقى جبلا شامخا لايدانيه أحد ولم يؤثر فى عظمته نقد العقاد

محمد سيد كيلانى

● الدخول إلى مصر ●



علنى أدخل مصراً بين أوراق مجله
ها أنا أنزف شعراً بقوافيه أهِلَّه
أيها الطائر دوماً فى فضاءٍ لن تملَّه
لأراك الله يوماً لوعة القيد المذلَّة
ولتعشْ حراً كريماً لاسوى الله يؤلِّه
ولترَ الله رحيماً مالنا غير التعلَّة
أيها النيلُ سلمتَ كم رويناك بقبلَه
قد ظمئنا .. هل ظمئت أنا شاعرك المولَّه
يابلادى .. يابلادى قُبلاتى بالتجلَّة

الدكتور أحمد عامر

● رثاء شوقى للشيخ عبده ●

● في عدد أبريل ١٩٨٦ تحت عنوان : « حمارة منيتي ومعارك صحفية » بقلم الأستاذ محمد سيد كيلانى ، وردت العبارة التالية بآخر صفحة ٥٧ : « استمر عباس فى حقده على الشيخ محمد عبده . ولما توفى الشيخ لم يجرؤ أحمد شوقى على رثائه فى حين أنه رثى من هم أقل منه شأنا وأدنى مقاما » وبرجوعي إلى الجزء الثالث من الشوقيات ، الخاص بالمراثى وجدت أن شوقى رثى الشيخ محمد عبده بأبيات مطلعها ،

مفسّر آى الله بالأمس بيننا
قم اليوم فسّر للورى آية الموت

والمرجع : الشوقيات ، الجزء الثالث ، طبعة دار الكتب ١٩٤٦ .

لذا لزم التنويه تصحيحا لهذه المعلومات التى أوردها الأستاذ كاتب المقال مع تقديرى له .

محمد محمد القاضى سرس الليان

● **ابراهيم خليل ابراهيم يوسف ـ شبرا الخيمة :**

ـ لاينقص شعركم الا اعتدال الأوزان واستقامتها ، فأنت تقول :

هــا حياتى إثر أعينكم
مزيـــج من وهم وظنون
ففى نفســى تشتعل نار
كأنها الجمـر فى الأتون

فهذه الشطرات الأربع تشمل وزنين صحيحين ولكنهما مختلفان فى التفعيلة أو البحر ، وذلك فى الشطرتين الأولى والأخيرة .. أما الثانية والثالثة فخارجتان عن الوزن .. وقصيدتك التى عنوانها « ياقلبى » أيضا تحتاج الى مراجعة الوزن .

● **شحاتة فرهود :**

ـ قصيدتاك الزجليتان اللتان سجلتهما فى الشهر العقارى ، وصلتا الينا بسلام ونشكرك عليهما ، ونعتذر إليك ، لأننا ننشر باللغة الفصيحة فقط .. حاول نشر أزجالك فى الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية .

● **عبد الرحمن محمد عبد المولى ـ الاسكندرية :**

ـ حاول أن يكون شعرك فى معنى يهم قراء الشعر جميعا ، لامجرد رسالة الى صديق لك بالاسم ، فهذا الشعر الذى يسمى شعر الاخوانيات ، قلما يهتم به القارىء .

● **أبو الهيثم المجدلى ـ غزة :**

ـ شعركم الحلمنتيشى لايصلح للنشر عندنا ، ولم يكن حسين شفيق المصرى ينشر شعره الحلمنتيشى فى الهلال ، بل كان ينشره فى الصحف الفكاهية التى كانت تصدر قديما عن دار الهلال ..

● **عاصم فريد البرقوقى ـ الاسكندرية :**

ـ تحدثت فى رسالتك عن العقاد والموسيقى بكلام منقول من مقالة سبق للهلال نشرها منذ عامين تقريبا ، فلماذا لم تشيروا الى المصدر الذى أخذتم عنه الكلام بنصه ؟!

● **كمال محمد نصر الدين نادى ـ بنى خالد ـ مغاغة :**

ـ أنت مازلت صغيرا فى الدراسة الثانوية وفى السابعة عشرة من عمرك فلا تتعجل نشر أشعارك ، وحاول قبل النشر أن تتقن قواعد اللغة والأوزان وتقرأ كثيرا فى الشعر الجيد والأدب .

● **عبد الرحمن عبد المحسن البسطة ـ المنصورة :**

ـ أنت فى الأوزان موفق كثيرا ، ولكنك فى اللغة والنحو تحتاج إلى جهد كبير لتسد الثغرة فيهما .. فاعرف لغتك معرفة جيدة قبل كل شىء ..

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقداً أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١ .

اسعار البيع للعدد

سوريا	٥٠٠ ق . س	اديس ابابا	٤٥٠ سنتا
لبنان	٥٠٠ ق . ل	باريس	١٢ فرنكا
الأردن	٤٠٠ فلس	لندن	١٠٠ بنس
الكويت	٥٠٠ فلس	ايطاليا	١٥٠٠ ليرة
العراق	١٠٠٠ فلس	سويسرا	٣,٥ فرنك
السعودية	٥ ريالات	اثينا	١٠٠ دراخمه
السودان	١٠٠ ق سودانى	فيينا	٣٥ شلنا
تونس	٦٥٠ مليما	فرانكفورت	٤ ماركات
المغرب	٨٠٠ فرنك	كوبنهاجن	١٠ كرونات
الجزائر	٦٥٠ سنتا	ستوكهولم	١٤ كرونه
الخليج	٤٥٠ فلسا	كندا	٢٥٠ سنتا
غزة والضفة	٤٠ سنتا	البرازيل	٣٥٠ سنتا
الصومال	٥٠ بنى	نيويورك	٣٠٠ سنت
داكار	٤٠٠ فرنك	لوس انجلوس	٣٠٠ سنت
لاجوس	٦٠ بنى	استراليا	٤٠٠ سنت
اسمره	٤٥٠ سنتا	هولندا	٤ فلورينات
اليمن الشمالية	٦ ريالات	عدن	٢٥٠ فلسا
بلجيكا	١٠٠ فرنك	اسبانيا	٢٥٠ بيزيتا